جامعة الجزائر 2 -أبو القاسم سعد الله —
كلية العلوم الانسانية
قسم التاريخ

أثار الحكم العثماني بمدينة الجزائر خلال القرنين 10-11 ه/16 -17 م
دراسة تاريخية في الميدان الاجتماعي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة :نادية مباركي

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ.د. مختار حساني	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله	رئيسا
أ.د .عمار بن خروف	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله	مشرف ومقررا
أ.د .أرزقي شويتام	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله	عضوا مناقشا
أ.د. إبراهيم سعيود	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله	عضوا مناقشا
أ.د.أحمد مريوش	أستاذ تعليم عالي	المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة-	عضوا مناقشا
أ.د.جميلة معاشي	أستاذة تعليم عالي	جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2018 -2019

كلمة شكروعرفان

قبل أن أفتتح كلمة الشكر هذه أقول الحمد لله لمنحه إياي القوة ،والأمل والإرادة لتجاوز كل العقبات فالصعوبات تهون بعون الله .
أما بعد فأود أن أشكر الأستاذ الباحث عمار بن خروف جزيل الشكر أولا لأنه مما حفزني للبحث في التاريخ الاجتماعي للجزائر في العهد العثماني منذ سنوات الدراسة الجامعية؛ أنه كان لي الشرف أن درست وحدة الجزائر العثمانية على يديه ؛حيث كان الأستاذ يأخذنا من خلال محاضراته في جولات وصولات عبر ذلك العهد سمحت لنا بالاطلاع على مختلف جوانبه ،وبالاطلاع على فترة هامة من تاريخنا، وقد جلب اهتمامنا في إحدى الحصص إلى النقص الكبير الذي تعانيه الفترة العثمانية في الجزائر من نقص في الدراسات والاجتماعية ،والاقتصادية وحتى الثقافية وحثنا على البحث، و الكتابة في الموضوع في المستقبل.
وثانيا لنصائحه وتوجيهاته الثمينة التي وجهها لي خلال كل محطة من محطات رحلة البحث الطويلة وللوقت الأثمن الذي كان يخصصه لي كلما احتجت إلى الاستفسار والتوجيه ولتزويده لي ببعض المصادر الهامة لموضوع البحث التي أرهقتني محاولة الاطلاع عليها في المكتبات ،وكان من الصعب تصوير نسخ عنها.
مما جعلني لا أعتبره منبعا للمعارف،والنصائح ،والتوجيهات في إطار البحث من حيث مضمون البحث الموضوع ومن حيث منهجية إعداد الرسالة فحسب بل كان بمثابة أب في طريقة معاملته المتسمة بالصبر ،وبالتفهم للصعوبات التي تواجه الطالب خلال رحلة البحث و سعيه للتخفيف من أثرها على النفس بعبارات تشجيعية ،فلا أكاد أحصى المرات التي شجعني فيها للمضي قدما في رحلة البحث مبينا لي ما في البحث من متعة لا يستسيغها إلا من أدرك حقيقة البحث التاريخي ،وأهميته وما يمكن أن يؤديه من دور في الحاضر والمستقبل ،وأن من المستحيل قطف الثمار من دون بدل أي جهد أو تعب.
وهو أمر لا أستغربه منه كونه جزء لا يتجزأ من شخصيته وهذا ما تبين لي منذ أن كان لي الشرف وأن درست لديه وحدة الجزائر العثمانية في مرحلة الليسانس وكذا في قبوله الإشراف على مذكرة التخرج الأمر الذي كان مجرد التفكير فيه يعد حلما ،ولكنه تحقق حينما قبل ذلك بكل رحابة صدر فاستفدت من تلك التجربة أيما استفادة ،فحرصت كل الحرص على أن أواصل الاستفادة من خبرته خبرة سنين طويلة لإعداد مذكرة الماجستير ومن تم رسالة الدكتوراه هذه ؛فكل الشكر والتقدير لأستاذي المشرف .
كما أوجه شكري للأساتذة الكرام الذين كان لي الشرف أن أدرس لديهم وأنهل من معارفهم خلال المرحلة الجامعية ،وأخص بالذكر من ساهم في رفع معنوياتي بنصائحه ،واهتمامه بموضوع البحث ،فشكرا لالتفاتتهم الطيبة ،والمعبرة والتي لا تقدر بثمن وتعبر عن حقيقة وجوهر الأستاذ الباحث الحق الشمعة التي تحترق لتنير درب غيرها،وهي ترى كل سعادتها في ذلك ؛ فالنبل كل النبل في مهنة التدريس متى ولجها المرء قلبا وقالبا.
فأشكر في البداية أساتذتي الذين غيبهم القدر عنا أستاذي الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله-رحمه الله-فكل كلمة منه كانت صيدا ثمينا اقتنصته وكنزا وقعت عليه ،والأستاذة الباحثة عائشة غطاس –رحمها الله –التي طالما كانت تؤكد لي في عدة مناسبات استعدادها التام لتقديم أي مساعدة ونصيحة أحتاج إليها خلال رحلة البحث فلها خالص شكري ودعائي لها بالرحمة والمغفرة ورياض الجنة وفي هذا الصدد لا أنسى-أن أذكر أيضا أستاذتي الأستاذة مريم الصغير-رحمها الله- والأستاذة زهرة زكية التي طالما حفزت الباحثين على العمل الجاد؛والتي شكلت بحد ذاتها مثالايعتدو يحتدا به .
وأنتقل الأن لأوجه شكري إلى أستاذي الأستاذ الباحث أرزقي شويتام الدائم الاستعداد لتوجيه وإبداء النصح القويم،والمعلومة السديدة بكل رحابة صدر وتواضعوالذي لم يترددلحظة واحدة في إفادتي بمدخلاته ومقالاته القيمة سواء المنشورة منها أو غير المنشورة ؛التي القيت ضمن فعاليات ملتقيات ولم تنشر بعد أي نسخ مخطوطة،وأستاذي الأستاذ الباحث حساني مختار الذي طالما شجعني للمضي قدما في رحلة البحث والإفادة من المعرفة التاريخية التي تزخر بها المصادر المحلية، وبخاصة المخطوطةمنها.
ولايفوتني بهذا المقام أن أوجه بالغ شكري وتقديري لأستاذي المتميز الأستاذ الباحث الدائم عبد الحميد زوزو لتوجيهاته ونصائحه القيمة الثمينة التي أفادني بها وشكر خاص للأستاذة الباحثة فلة الموساوي القشاعي لتحفيزها الدائم لي لأطلب منها أي مساعدة في رحلة البحث وتأكيدها على أهمية

البحث الجاد..

وشكر مميز للأستاذتي الباحثة نعيمة بوحمشوش التي لم تتوانى عن افادتي بنسخ من دراساتها الأكاديمية القيمة ماجستير ودكتوراه فضلا عن تحفيزها الدائم ليللمضي قدما في البحث وعدم ترددها لحظة واحدة في مناقشة أي فكرة أو تساؤل أطرحه بكل رحابة صدر، فشكرا لها لهذهالجبلة المميزة فيها.

والشكر موصول أيضا للأستاذي الباحث سعيود ابراهيم الذي لم يتوانى بدوره لحظة واحدة وبكل رحابة صدر وتواضع عن إفادتيبعناوين مقالاته ودراساته التاريخية كما أفادني بنسخة من أحد أعداد مجلة الحياة الذي تعذر عثوري عليه وهو دليل حرصه الكبير لمساندة طالبي العلم.

وأشكر كل أساتذتي وزملائي الأساتذة الذين شجعوني على المضي قدما في مضمار البحث العلمي وأخص بالذكر أستاذي الأستاذ المجاهد والباحث جمال قنان ، وأستاذي الباحث عبد العزيز لعرج ،و أستاذي الباحث تومي رشيد، وأستاذي الباحث محمد القرصو،وأستاذي الباحث حباسي شاوش وأستاذي الباحث عبد العزيز بوكنة ،وأستاذي الباحث دحو جربال،وأستاذي الباحث أحمد شرف الدين،وأستاذي الباحث مصطفى نويصر ،وأستاذي الباحث محمد العربي معريش، وأستاذي الباحث مريوش أحمد ،وأستاذي الباحث جمال يحياوي، وأستاذي الباحث بن شوش محمد، وأستاذتي الأستاذة الباحثة حرفوش وهيبة ،وأستاذتي الباحثة مليكة القرصو ،وأستاذتي الباحثة الواليش فتيحة وأستاذتي الباحثة رمضان تسعديت،وأستاذتي الباحثة بن عميرة لطيفة وأستاذتي الباحثة كربال زكية، والأستاذة دلال لواتي،و الأساتذة و الأستاذات الزملاء و الزميلات: زهرة زغبي ،ونعيمة عميروش ،ومهيبل أسمى وصاري أمينة، ومزياني فتيحة، و شارف رقية، وبعارسية صباح، و أويحي سعيدة ،وكريمي خديجة و بنت النبي مقدم، ،وليلي بومريش، ونجوى طوبال، وليلي خيراني وبحيرى يامنة، ونادية يفصح، وعلامة صليحة، ورشيدة شذري ؛وغيرهن ممن لايسع المقام لذكرهن وإن سعتهم الذاكرة واحتواهم القلب ، والأستاذ الباحث كنتور رابح ،والأستاذ الباحث بوعزة بوضرياسة ،والأستاذ الباحث دحماني توفيق و أوجه جزيل شكري وامتناني إلى أستاذي الباحث الموسوعي الأستاذ بنور فريد ؛ الذي لا يمكن أن أنسى مساعدته في تعريفي أولا و إمدادي ثانيا بمصادر كان من الصعب نسخها في المكتبات. و شكري وامتناني الخالص وكل تقديري وبالغ احترامي للأستاذي الباحث رحماني بلقاسم المستعد دوما ودائما لتحفيز طلبة العلم، ومد يد العون إليهم كلما دعت الحاجة،وبذله كل ما في استطاعتهفي سبيل ذلك بكل طيبة ورحابة صدر، ونبل، وكرم أخلاق لامثيل لها ؛فهو يستحق منا كل الثناء والتكريم .

كما أوجه شكر خاص ،واعتراف بالجميل للقائمة على مكتبة المركز الثقافي بالأبيار الآنسة رميلة لأنها أثبتت بحق من خلال عملها الجاد والدؤوب وسعيها لتطوير المكتبة ،ومساعدة من يقصدها أنها صديقة وفية للكتاب ،وخير سند لطالب ،وطالبة العلم ،والمعرفة .

و أشكر أيضا كل القائمين على مكتبة المركز الأسقفي للدراسات، والأبحاث بالجزائر العاصمة، وأخص هنا بالذكر صبرينة لجديتها الكبيرة في العمل ولطفهاو تفهمها لصعوبات البحث هذا التفهم الذي ينعكس بالإيجاب على الباحثين،والطلبة الذين يقصدون المكتبة، فيجيدون ضالتهم دون عناء كبير مما يسمح لهم بالتركيز أكثر على موضوع بحثهم .

و الشكر موصول أيضا للقائمين على المكتبة المركزية بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله كما أشكر القائمين على مكتبة مركز الأرشيف الوطني لتعاونهم الكبير وتفانيهم في خدمة الباحثين ،و أشكر أيضا موظفي مكتبة المركز الثقافي بالشراقة لتفهمهم الكبير، ومساعدتهم لي ،وأخص بالذكر السيد عمار –رحمه الله -. وأشكر القائمين على مكتبة المركز الوطني للدراسات ،والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،وأخص بالذكر نصيرة،وسهام .ولا أنسى أن أنوه بفضل القائمين على كل من مكتبة معهد الآثار ،وكل شكري وبالغ امتناني وشكري للأستاذة والباحثة الدائمة الجادة الموسوعية المكتز الأستاذة بوعون سعيدة المشرفة على إدارة وتسير مكتبة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله لنصائحها وتوجيهاتها السديدة، وتشجيعاتها وجهودها المضنية والمتفانية لتسهيل وصول الباحثين لمصدر المعلومة .

وأشكر أيضا القائمين على المكتبة الوطنية لمساعدتهم لي وأخص بالذكر السيد محرز، والسيد فوزي، والمشرفين على قسم المخطوطات ،وفي مقدمتهم الأخ رشيد وكذلك القائمين على قسم الرصيد المغربي كما أنوه بفضل القائمين على المكتبة الجامعية جامعة الجزائر 1،وخاصة المشرفين على قسم نوادر المؤلفات.

ولا أنسى التنويه بفضل المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية للصور التي أمدوني بها لإثراء هذا البحث التاريخي، وتدعميه بمصادر ماديةوأخص بالشكر مديرة المتحف السيدة عامرة لتفهمها الكبير لأهمية البحث التاريخي،كما أشكر القائمين على كل من متحف الآثار القديمة والاسلامية و متحف الباردو دون نسيان القائمين على قصر- رياس البحر الشهير بباستيون 23،وأوجه شكري للقائمين على المكتبة الوطنية الفرنسية BNF بما فيه فرعها الخاص بالمخطوطات، وفي مقدمتهم السيدة ماري لور بال(Marie-Laure Pelle).

كما لا يفوتني في هذا المقام من توجيه شكري لكل الموظفين الإداريين بقسم التاريخ للجهود التي يبدلونها لضمان السير الحسن للقسم و لتشجيعهم الدائم لي للمضي قدما في مضمار البحث وفي مقدمتهم :عائشة، وصليحة، وبديعة، وردة وشكر خاص لفريد.

كما أوجه شكري للباحث الهاوي العصامي محب التاريخ الباحث شكيب لحرش للمعلومات التي أفادني بها عن عادات وتقاليد كانت توارثتها أسرته من ناحية والدته ذو الأصول العثمانية ؛والتي استخلصها من جدته ووالدته؛والتي وإن لم اوظفها في بحثي الحالي؛ فإني سأسعى جاهدة لاستثمارها في وقت لاحق وأستغل الفرصة لأنصحه بتدوين هذه المعلومات ليتمكن الباحثين من الاستفادة منها لأنها تتيح الفرصة لهم للقيام بإسقاطات تاريخية.

و أوجه شكري ،وعرفاني بالجميل لكل من كان لي الشرف ،وأن تتلمذت لديهم منذ المرحلة الابتدائية وصولا إلى المرحلة الجامعية ،وإن كان هذا المحل لا يسمح بذكرهم اسما اسما إلا أن ذكراهم بالعقل محفوظة ،وبالقلب منقوشة ،والشكر أيضاموصول لطلبتي الأعزاء الذين لطالما حفزوني للمضي قدمافي مضمار البحث.

و لا أنسى في هذا المقام أن أوجه شكري أيضا إلى القائمين على وراقة (PAPETERIE)بن موسى للجهود التي بذلوها في تجليد هذه الرسالة بصورة حسنة ومتقنة في ظرف وجيز. و في الأخير أوجه شكري إلى كل من ساهم بطريقة، أو بأخرى في خروج هذا العمل إلى النور.

كلمة شكر وعرفان خاص

لا يمكن ان أختم كلمة الشكر هذه دون أن أوجه شكري الخاص وكامل امتناني إلى عائلتي وفي مقدمتهم والدتي العزيزة تلك البوصلة الغالية التي طالما هدتني إلى بر الأمان وكانت دوما بالنسبة لي المرفأ الحصين المنيع الذي الجئ إليه ملتمسة النصح والإرشاد في كل شؤون الحياة ؛فهي بالنسبة لي منبع حكمة متجدد وينبوع رحمة وحنان صافي لا ينضب؛ فشكرا لك يامن كنوز الدنيا لاتساوي شيئا أمام لمسة حانية من يدها أو كلمة تشجيع منها ؛فقد كنت بحق السراج الذي أنار لي الدرب خلال رحلة البحث الممتعة والمضنية في آن واحد فألف شكر أمي يا نبض الحياة في عروقي.

وأوجه شكري أيضا وكامل عبارات الاحترام والتقدير والمحبة الخالصة إلى روح وذكرى والدي المجاهد- رحمه الله –الذي اعتبره حاضرا معي دوما في حطي وترحالي فقد أورثني ما لا يقدر بثمن حبه للتاريخ ؛ولاسيما تاريخ الجزائر ؛حيث كان يحبذ كثيرا الحديث عن ذكرياته عن ثورة التحرير ويحرص دوما على تزويدي بكتب ،ومجالات ،ووثائق عن هذه المرحلة الهامة من تاريخنا الوطني ،وتحفيزي دوما ودائما على البحث؛ فلك يا والدي العزيز أيها الغائب الحاضر خالص امتناني ودعائي الدائم لك بالرحمة والمغفرة ورياض الجنة إنشاء الله.

كما أشكر أيضا من أفراد عائلتي أخي سامي ، وأخي سفيان العزيزان على قلبي لمشاعرهما الطيبة اتجاهي وتحفيزهما الدائم لي للمضي قدمافي رحلة البحث.

وأشكر جزيل الشكر خالي دحمان وعائلته الكريمة للدعم والتحفيز الكبيران اللذين قدموهما لي خلال المدة التي قضيتها لديهم عندما كنت أسعى للبحث عن المادة التاريخية في المكتبة الوطنية الفرنسية.

و خالص شكري أيضا إلى من أعدهن بمثابة أخواتي الشقيقات ورفيقات درب الدراسة وأيام الطفولة والصبا، واللواتي لطالما شجعنني للمضي- دوما قدما في مجال البحث التاريخي والمحاولات الأدبية وهن على التوالي :بلياسين أمينة ،وتكروشت نعيمة، ودقيش نعيمة .

وشكري الخاص للأستاذي المتميز أستاذ يلس أستاذ التاريخ والجغرافيا لأنه كان يحفزني كل مرة التقيته فيها على استكمال موضوع رسالتي ولأنه جعلني أربط بين حبي لمهنة التدريس وبالتالي حلمي في أن أصير أستاذة وبين حبي للتاريخ من خلال طريقته المتميزة في تدريس مادة التاريخ لتلاميذ المرحلة المتوسطة ؛طريقة أساسها بعث الحياة في الأحداث التاريخية وتحفيز قدرتهم على الفهم والاستيعاب من منطلق أن التاريخ استيعاب للأحداث الماضي بفهم وإدراك ومن تم تحليليها للوصول إلى استنتاجات وإسقاطات تاريخية وأنه من قبل الجريمة الشنعاء في حق التاريخ اعتباره مجرد حفظ واجترار للأحداث الماضية.

مقدمة:

إن موضوع آثار قيام الحكم العثماني بمدينة الجزائر خلال القرنيين (10-11هـ/16- 17م) في الميدان الاجتماعي موضوع مهم لأنه يتعلق بدراسة الموروثات ولاسيما المستجدات والتطورات التي عرفتها المدينة من حيث مكانتها السياسية و عمرانها ، وتنظيماتها الإدارية و على وجه الخصوص من حيث بنية مجتمعها،وتقاليده وعاداته وهو أيضا بحث في العلاقات بين سكان المدينة ،وأنشطتهم المتنوعة خلال مرحلة هامة من تاريخنا الوطني شهدت قيام الدولة الجزائرية الحديثة بكل مقوماتها من عاصمة وحدود سياسية ،وإدارية ،وسلطة حاكمة كانت لها علاقات خاصة مع الدولة العثمانية و علاقات مع الدول المجاورة ،وغير المجاورة تراوحت بين الحرب والسلم وفي تلك الفترة عمقت الجزائر هويتها الحضارية وأغنتها ،ودعمتها في إطار الأصالة الإسلامية .

و كانت مدينة الجزائر خاصة خلال الفترة موضوع البحث القلب النابض لنشاط بحري مكثف شمل كل الحوض الغربي للمتوسط بل إن نشاط بحارتها امتد إلى المحيط الأطلسي،وكذلك إلى الحوض الشرقي للمتوسط قبل أن يميل إلى التقلص ،والانكماش بعد القرن 11 هـ (17 م).

وشهدت مدينة الجزائر خلال الفترة المدروسة التي بلغ فيها الغزو البحري ذروته نموا ،وتطورا قلما شهدته غيرها من المدن في ذلك الحين لأن ذلك الغزو أدى مع عوامل أخرى إلى تزايد عدد سكانها وتنوع أصولهم ،واختلاف أنشطتهم.

كما انعكس على المدينة من حيث التوسع العمراني الذي رافق هذا الازدهار؛فأبرز المعالم والمرافق الحضارية التي كانت تشتمل عليها مدينة الجزائر خلال العهد العثماني قد شيدت خلال القرنين 10هـ (16م) -11هـ (17م) بفضل هذا الازدهار الذي دفع سكان مدينة الجزائر ولاسيما الميسورين منهم إلى المشاركة الفعالة في حركتها العمرانية ،وفي طليعة هؤلاء رياس البحر الذين استغلوا ما حققوه من ثروات في إطار الغزو البحري في تشيد العديد من المرافق السكنية والدينية ،والتي لا تزال ماثلة للعيان محافظة على قيمتها الحضارية، والفنية كقصر رياس البحر المشهور حاليا بباستيون 23.

وأهمية هذا الموضوع تكمن أيضا في كونه يتيح الفرصة لتسليط الأنوار على جزء هام من تراثنا الحضاري ولاسيما في مجال العادات، والتقاليد التي كانت سائدة حيينها والتي مازلت

تأثيراتها فينا نتفاعل معها ، وتحظى بعنايتنا لأنها جزء لا يتجزأ من هويتنا ؛وتقف دليلا على التواصل الحضاري بين الأجيال ،و تأكيد على الدور،والأثر الإيجابي الذي خلفه الحكم العثماني في مدينة الجزائر من خلال صونه وحمايته لهذه العادات والتقاليد وإثرائه لها في آن واحد. وقد بدا لي بعد التقدم في هذا العمل أنه يمكن عرض موضوعي تحت عناوين أخرى مثل :مدينة الجزائر ومجتمعها في ظل الحكم العثماني خلال القرنيين (10-11هـ/16- 17م) أو مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنيين (10-11هـ/16- 17م).

وبالإضافة إلى الأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع، هناك عدة أسباب أخرى دفعتني لاختياره يمكن إجمالها فيما يلي :

1 – المكانة المتميزة التي أصبحت تحتلها مدينة الجزائر سياسيا وعسكريا ليس في المغرب الأوسط– الجزائر –فحسب ولكن في كل بلاد المغرب الإسلامي وفي الحوض الغربي للمتوسط من جراء بروز الحكم العثماني فيها ،فكانت الرغبة في إبراز آثاره فيها لاسيما في الميدان الاجتماعي،وتسليط أضواء الدراسة على مجتمع هذه المدينة التي اشتهرت حينها باسم المحروسة و دار الجهاد دافعا قويا للبحث فيه .

2-الرغبة في التعرف على العوامل التي مكنت مدينة الجزائر أن تحتضن بين أسوارها بل وحتى خارجها في الفحوص حياة اجتماعية ،واقتصادية نشطة وهذا بالرغم من الأخطار المتربصة بها والمتمثلة في الحملات الأوروبية المسيحية المتواصلة ؛ أي محاولة التعرف على مدى تكيف مجتمع مدينة الجزائر مع المستجدات ،واستجابته للأوضاع الجديدة .

3-الرغبة في محاولة إبراز العوامل الطبيعية، والظروف التاريخية التي أهلت مدينة الجزائر لتكون عاصمة للبلاد خلال هذه المرحلة علما أنها حافظت على هذا الموقع المتميز حتى خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر وما بعدها.

4 -الرغبة في تكوين صورة دقيقة قدر الإمكان عن مجتمع مدينة الجزائر ذي الأغلبية المسلمة وكيفية تعامل عناصره فيما بينها أولا ،ومع الأقليات والجماعات السكانية الأخرى اليهودية و المسيحية ثانيا ومن ثم إبراز التسامح الديني الذي كان سائدا في أوساط مجتمع مدينة الجزائر حينذاك في ظل النظام العثماني بين مختلف الجماعات ،ولم يكن ذلك غريبا في مجتمع يدين بالإسلام، ويتعامل مع أهل الذمة الذين يعيشون في وسطه ؛فمن خلال هذا التعايش تتجلى لنا

معالم ،ومظاهر هذا التسامح التي تجسدت في الميدان الاجتماعي .

5 -رغبتي في تسليط الضوء على بعض الصفات، والقيم والمثل الأخلاقية الطيبة التي كانت سائدة حينها في مجتمع مدينة الجزائر والتي مازال الكثيرون متمسكين بها مثل التعاون للصالح العام و الحرص على التكافل الاجتماعي وعمل الخير الذي تجسد على المستوى الرسمي وغير الرسمي ولاسيما من خلال تحبيس الأحباس ،أو وقف الأوقاف لصالح المحتاجين وغير ذلك من مشاريع البر ،و الإحسان.

وكذا تبادل الزيارات بين الأهل في المناسبات ، و مشاركتهم في إقامة الأفراح ،وتأدية التعازي وكذا التعبير عن صفة الاحتشام ،و"السترة "،و احترام حرمات البيوت وحقوق الجيرة بل واحترام ومراعاة حرمات المقابر ،والالتزام الشديد بقواعد النظافة ، والارتباط الوثيق بالطبيعة وحفظ الأمانات، واحترام وتقدير العلماء ،و الاهتمام بالتعليم ،والحرص على أداء الفرائض والسنن الدينية و غيرها من العادات و الصفات، و الممارسات الاجتماعية والأخلاقية التي تزيد المجتمع تماسكا و وحدة واستقرارا وأمانا.

6-تقدم مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة نموذجا حيا للتعايش السلمي بين مختلف العناصر السكانية التي شكلتها ،و تجسد أيضا الأثر الإيجابي لهذا التنوع السكاني الذي انعكس على المدينة وتطورها حيث تم الاستفادة من هذا التنوع في تنمية وتطوير مختلف الميادين بهدف تلبية احتياجات المدينة و أهلها ،فحاولت إبراز ذلك التنوع، وكيف أثر على المجتمع والمدينة.

7-الرغبة في إبراز مدى إسهام الحكم العثماني في نمو و ازدهار مدن ظلت تؤدي دورا ثانويا؛حيث أصبح لها دور رئيسي ،وجوهري لم تكن لتؤديه لولا الحكم العثماني الذي منحها الفرصة للبروز مثل مدينة الجزائر في محاولة للرد على إدعاءات بعض الدراسات الغربية وخاصة منها الكتابات الفرنسية ؛ التي دونت خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر ؛والتي تجعل من بروز الحكم العثماني ،وامتداده إلى البلاد العربية الإسلامية سببا في انحطاط وتراجع المدن العربية الإسلامية ،و دخولها في مرحلة الفوضى وغياب النظام والتنظيم.

وقد حاولت من خلال هذا العمل اقتفاء آثار الدراسات السابقة الرائدة في هذا المجال من أمثال كتابات أندري ريموند وأخص بالذكر كتابه المدن العربية الكبرى في العهد العثماني .

8-الاهتمام الشخصي بهذه الفترة من تاريخ الجزائر طيلة سنوات الدراسة الجامعية ؛فقد مكنتني

دراستي في إطار الجذع المشترك آثار وتاريخ من زيارة مواقع أثرية كقصر الداي فضلا عن زياراتي للمتاحف كمتحف الباردو، ومتحف الفنون والتقاليد الشعبية المشهور باسم قصر خداوج العمياء، ومتحف الآثار القديمة والإسلامية وقصر رياس البحر المشهور باسم "باستيون 23" التي تحوى عدة تحف تعود للفترة العثمانية في الجزائر مثلا إعادة تجسيد للجلسات العائلية بمتحف الباردو؛ فهذه الزيارات الميدانية جعلتني أتساءل ،وأتخيل كيف كان يعيش سكان مدينة الجزائر ،وأتصور ما كانت عليه حياتهم اليومية وتعاملهم فيما بينهم ومع الجو المحيط بهم وغيرها من التساؤلات التي حاولت الإجابة عنها في مرحلة سابقة من خلال مذكرة الماجستير على اعتبار أن موضوع هذه الرسالة في واقع الأمر يعد توسيعا،واستكمالا،وتعميقا ،وإثراء لهذه الأخيرة .

9-الرغبة في إبراز التفاعل الإيجابي الذي كان يميز الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر من جراء قيام الحكم العثماني فيها نظرا إلى أهمية الدراسات الاجتماعية بصفة عامة، إذ أنها تعتبر الروح النابض بالحياة للتاريخ ومكمن حيويته، فالمجتمع هو الذي يعطي الحركية للحوادث التاريخية أيا كانت، إذ أن تفاعل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض ومع محيطهم هو الذي يضمن الصيرورة التاريخية، كما أن المجتمع كان القوة الكامنة التي ما إن تتحرك حتى تغير كل شيء إما إيجابيا أو سلبيا، فالعديد من الحوادث العسكرية والسياسية لا يمكن إدراكها حق الإدراك والمعرفة دون العودة إلى الدراسات الاجتماعية، فالكثير من الثورات في التاريخ قامت لانتشار الظلم بين صفوف المجتمع كما أن إمبراطوريات عظيمة كان من أسباب انهيارها انتشار الظلم والرذيلة والانحطاط الخلقي في أوساط مجتمعاتها .

10 - واختيار مدينة الجزائر كإطار جغرافي للموضوع دون غيرها يعود إلى كونها كانت عاصمة للبلاد ومفتوحة على التأثيرات الخارجية كما أنها أحسن نموذج يعكس آثار الحكم العثماني في الميدان الاجتماعي بالنظر إلى التنوع السكاني الذي شهدته المدينة بظهور مجموعات سكانية جديدة كالعثمانيين ،والكراغلة ،والأعلاج.

11-الرغبة في الكشف عن بعض الشواهد التاريخية التي من شأنها تصحيح الأحكام وتصويب الأفكار الخاطئة، أو المغرضة الرائجة عن الحكم العثماني في الجزائر وسوء تعاملهم مع غير المسلمين والمزاعم القائلة بأن الإسلام والمسلمين مصدر لكل الآفات التي يشهدها العالم من

عنف وهمجية وإرهاب كانت من الدوافع القوية للبحث في هذه المسائل ومحاولة إبراز ما كان يجري حقيقة في مدينة الجزائر من تعاملات مع غير المسلمين سواء كانوا أحرارا أو أسرى بالإضافة إلى محاولة إبراز مدى صحة ما ذهبت إليه العديد من المصادر ،والدراسات التاريخية وبخاصة الغربية منها منها؛ التي تجعل من خلق النعرات والخلافات في أوساط السكان أحد أهم مبادئ،ومرتكزات سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر لتسهيل عملية التحكم فيهم وإخضاعهم لسلطتهم .

تلك كانت أهم الأسباب والدوافع إلى البحث في الجوانب الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين (10-11هـ/16- 17م).

أما الإشكالية التي حاولت الإجابة عنها من خلال هذا العمل فتتمثل في: ما هي أهم الآثار التي ترتبت عن الحكم العثماني لمدينة الجزائر في الميدان الاجتماعي خلال القرنين (10-11هـ/16- 17م)؟وترتكز هذه الإشكالية على جملة من التساؤلات الفرعية وهي كالآتي:

-هل شهدت الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر حركة تأثير وتأثر من جراء قيام الحكم العثماني بها؟ وما مدى قابلية أو تقبل السكان للمؤثرات العثمانية؟ وهل تمكنت الأقلية العثمانية من التأثير على الأغلبية، وفي هذه الحالة ما هي العوامل المساعدة على ذلك؟ وهل التأثر كان أحادي الاتجاه أم أن العثمانيين تأثروا بدورهم بالعادات والتقاليد المحلية؟

-ما هي الجوانب التي حافظ الجزائريون على أصالتها، وما هي الجوانب التي طرأ عليها التغير؟

-ما هي العادات والتقاليد والممارسات التي جسدت مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال فترة موضوع البحث؟

-ما هي التحولات التي شهدتها مدينة الجزائر من حيث تركيبتها السكانية، ونسيجها العمراني خلال القرنين (10-11هـ/16- 17م)؟

- فيم تمثلت فعاليات مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني خلال المرحلة محل الدارسة؟

-ماهي التأثيرات الحضارية المتنوعة التي أفادت منها مدينة الجزائر ومجتمعها من جراء استقرار العثمانيين بها في الفترة موضوع البحث

-ما هي الآثار المترتبة من الناحية الاجتماعية عن اتخاذ مدينة الجزائر عاصمة لكل المغرب الأوسط-الجزائر- ؟

-هل وجدت سياسة محددة المعالم للعناية بالمجتمع وكل ما يصب في خدمته، وتنشيط الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر؟

-ما هي عوامل الوحدة والتعايش بين مختلف الجماعات والعناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني؟

-ما هي أبرز القيم الأخلاقية والاجتماعية التي سادت في أوساط مجتمع مدينة الجزائر خلال القرنين(10-11هـ/16- 17م)؟

وبالنظر إلى أن البحث في كل هذه التساؤلات على امتداد ثلاثة قرون ونيف وهي المدة التي كانت فيها مدينة الجزائر تحت الحكم العثماني أمل عزيز المنال فقد اقتصرت على القرنين الأولين فقط باعتبار أن القرن الأول كان قرن التأسيس لنظام الحكم العثماني وأن كل التطورات والتأثيرات على الجوانب المراد بحثها كانت في القرن المذكور ،واستكملت تبلورها في القرن الثاني كما حرصت أن يكون توثيقي مستمد من الوثائق والمصادر الأصلية من وثائق أرشيفية ومصادر مادية وكتابية المخطوطة منها والمطبوعة وأن لا أغفل الدراسات الحديثة ولاسيما الرسائل الجامعية و المراجع والمقالات المتخصصة المحلية والأجنبية فكان توثيق الدراسة متنوع ومن أهم المضان التي عدت إليها لتوثيق هذه الدراسة والتي أفادتني كثيرا في جانب أو أكثر من جوانب الأطروحة أذكر :

مجموعة من الوثائق الأرشيفية الموجودة بالأرشيف الوطني الجزائري –ببئر خادم – والتي تتكون فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية من ثلاثة مجموعات و الملاحظ على هذه الوثائق تقديمها لمعلومات هامة؛فهي تشكل معينا لا ينضب للمعلومات المتنوعة حول مجتمع مدينة الجزائر وحياته الاجتماعية ،والاقتصادية والدينية الثقافية لاغني عنه لأي باحث يريد أن يعد بحثا عن الحياة الاجتماعية في الجزائر عامة ومدينة الجزائر خاصة خلال العهد العثماني علما أن التوصل لاستخلاص ،واستنباط هذه المعلومات يتطلب التركيز ،والتمعن و التدبر بما ورد في هذه الوثائق والسجلات للتوصل لاستنطاقها والإفادة منها وهي:

أ- سجلات وثائق المحاكم الشرعية ،وهي تشتمل على قضايا متنوعة تصب في إطار خدمة الباحث في التاريخ الاجتماعي ، والاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، وهي تتوزع على 152 علبة بعضها ذات ترقيم مزدوج ،وهي تغطي الفترة الزمنية الممتدة بين عامي 1001 هـ

و 1272هـ (1592م-1856م) وتحوي وثائق تتضمن قضايا الأوقاف، والملكيات الخاصة، وما يتعلق بها من ممارسات كالبيع ،والشراء ،و حل المخاصمات، وتقسيم التركات والهبات، وكذا عقود الزواج، والطلاق ،والاعتراف بالدين...الخ.

ب –سجلات البايلك التي تضم 386سجلا، محفوظة في 36علبة فتمدنا بمعلومات ذات صلة وطيدة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب احتوائها على عدد هام من التسجيلات حول الأملاك التي كانت موقوفة على أعمال البر، والمؤسسات الخيرية كالجامع الأعظم ومؤسسة الحرمين الشريفين.

ج–دفاتر بيت المال وعددها 64 سجلا تضمنتها 11 علبة وهي في معظمها وثائق تركات وأملاك يعود قسم منها إلى البايلك.

وقد كان اعتمادي الأكبر على وثائق رصيد سجلات المحاكم الشرعية،وعلى بعض دفاتر البايلك وبيت المال والتي تم ذكرها بالتفصيل في قائمة المصادر والمراجع.

وبالإضافة إلى الأرصدة الأرشيفية المذكورة آنفا تم الاعتماد الكبير أيضا على رصيد رابع متواجد بدوره أيضا بالأرشيف الوطني الجزائري وهو يتمثل في:

د–مراسلات **الدفاتر المهمة** وهي تلك المراسلات أو الأحكام أو الأوامر السلطانية التي كان ترسل إلى حكام الجزائر من طرف السلاطين العثمانيين وإن كان المطلع لأول وهلة على هذا الرصيد يجد أن طبيعته تخدم بالدرجة الأولى تاريخ علاقة الجزائر بالدولة العثمانية في جانبها السياسي ،والعسكري الإستراتيجي والدبلوماسي إلا أنه بعد التمعن والتدقيق فيها يمكن استنباط واستخلاص العديد من المعلومات التي تخدم الميدان الاجتماعي والاقتصادي وحتى الميدان الثقافي والديني.

وتمت العودة أيضا إلى عدد من وثائق **الرصيد العثماني** بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالحامة –الجزائر وتحديدا **الملف الثاني من المجموعة**3205 –علما أن هذه المجموعة تشتمل على3 ملفات ولكن الملف الذي استقينا منه هذه الوثائق هو الملف الثاني الذي يحتوى على مجموعة من الوثائق القضائية وهي تشتمل على مواضيع متنوعة حول الأوقاف تقسيم التركات وحل الخصومات وقضايا البيع والشراء..إلخ ؛و التي يبلغ عددها 46 وثيقة وتغطي الفترة الزمنية الممتدة من (1082 هـ-1243هـ)(1671 م-1827م) أي من القرن11 هـ / 17م

إلى القرن 13 هـ/ 19 م.

وتم الاستفادة أيضا من وثائق أخري من هذا الرصيد أخذت من**الملف الأول من المجموعة3190 و من المجموعة 3207** وهي وثائق تتطرق إلى قضية تجنيد الإنكشارية وكذا القوانين التي كانت تنظم حقوق الجنود في المحلات وواجباتهم وعلاقتهم فيما بينهم وطريقة عملهم لتفادي حدوث اختلال وخلافات في صفوفهم تنعكس سلبا عليهم وعلى بقية أفراد المجتمع.

وأشرنا أيضا إلى المجموعة1903؛ التي تضم مجموعة من المراسلات المتبادلة بين آخر دايات الجزائر الداي حسين وآخر بايات بايلك الشرق أحمد باي عند التطرق إلى فصل التعليم واللغات عند إبراز استخدام اللغة العربية على المستوى الرسمي.

كما تمت الاستفادة من مخطوطات محلية نذكر منها:

1-"**قانون مدينة الجزائر**" أو "**قانون على أسواق مدينة الجزائر**"،وهو مخطوط يتناول بشكل عام القوانين التي كانت سارية المفعول فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية ،وكل ماله صلة بها كأهم القوانين والعادات والعوائد التي كان معمولا بها في أسواق مدينة الجزائر ،والذي يتضمن تحديد أسعار البضائع المتنوعة والرسوم الجمركية المستحقة على الصادرات، والواردات،وإشارات إلى الجماعات ،والطوائف الحرفية والعلاقات القائمة فيما بينها و بالسلطة من حيث الضرائب المفروضة عليها ،وما ينبغي أن تقدمه من خدمات ،وكذا تحديد وتعين أسعار المنتجات الحرفية كالأواني الفخارية وغيرها ولاسيما ما يتعلق بالمواد الغذائية من خبز ،وخضر وفواكه ،وغير ذلك .

كما يقدم لنا هذا المخطوط في الأخير زمام تاريخ بالجزاير"الذي هو بمثابة كرنولوجيا للأهم الأحداث التي شهدتها مدينة الجزائر بدءا بقدوم عروج وآخر تاريخ هو1167 هـ(1753 م) وهو موجود في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالحامة بعدد نسختين النسخة الأولى تحمل رقم 2311،وهو عبارة عن سجل ذي أوراق كبيرة الحجم أغلبها تعرض للتلف مما يصعب عملية قراءته وما يميزه وجود أختام على صفحاته،ونسخة ثانية تحمل رقم 1378 وهي أوضح و يبدو أنها نسخت عن النسخة الأولى وهي توجد على شكل مجلد صغير،وقد تمت محاول الاعتماد على النسختين كلما تيسر قراءة فحوى النسخة الأولى ،ولهذا أشرت أحيانا في الهامش إلى موقع المعلومة الواحدة في كلا النسختين.

2-مخطوط "**القضـاء بالمرفق في المباني والدير ونفى الضـرر**" والذي هو عبارة عن مجموعة من النوازل المالكية أي أجوبة فقهية لأسئلة متعلقة بالملكية العقارية سواء تعلق الأمر بالملكية في المدن أو الأرياف من الورقة 1 إلى الورقة 49،وهو الجزء الذي اعتمدنا عليه .

والقسم الثاني منه عبارة عن **كتاب بعنوان كتاب الدعوى، والإنكار** وقد عنى بتصنيفه وتهذيبه الشيخ الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين الرعيني القروي من الورقة 50إلى 84 وهي تدور حول الأحكام المتعلقة بالبينة، والقسم في الأحكام القضائية ويحمل ترقيم 1292.

وتمت العودة أيضـــا من خلال هذه الدراســـة إلى المصـــادر المحلية المطبوعة والتي لا يمكن الإغفال عنها علما أن مضـــمونها الإخباري يرتكز بالدرجة الأولى على المعلومات ذات الطابع السـياسـي والعسـكري والتي أفدنا منها فيما يتصـل بالفصـل الأول من الباب الأول ولاسـيما في إطار مبحث ظروف ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية وقيام نظام الحكم العثماني في مدينة الجزائر وبالتدقيق في هذه المصـادر تم التوصـل أيضـا إلى اسـتخراج عدة معلومات تخدم الجانب الاجتماعي مثلا معلومات تتصـــل بالتكافل الاجتماعي في أوســـاط مجتمع مدينة الجزائر ودور السـلطة فيه ،ودور الجهاد والتصـدي للخطر المسـيحي في إيجاد لحمة اجتماعية بين العناصـر السـكانية المتنوعة المكونة لمجتمع مدينة الجزائر وتتمثل هذه المصـــادر في المقام الأول في كتاب **غزوات عروج وخير الـدين** لمجهول و**مـذكرات خير الـدين لخير الـدين** التي قـام بترجمتهـا من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية وعلق عليها الأستاذ الدكتور محمد دراج .

ونص أول رسـالة أرسـلها سـكان مدينة الجزائر إلى السـلطان سـليم الأول سـنة 1519 التي ترجمها من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية وعنى بالتقديم لها الأسـتاذ الدكتور عبد الجليل التميمي وقد ورد نص الرسالة باللغة العثمانية ونصها المترجم للعربية والتقديم لها في المجلة التاريخية المغربية .

كما وجدت في المصـــادر الغربية أو الأجنبية المتنوعة وبخاصـــة كتابات الأســـرى المســـيحيين وتقارير القناصلة، وسفراء ومبعوثي الدول الأوروبية معلومات هامة عن الموضوع محل البحث ولا يمكن تكوين تصـــور شـــامل عنه بدون التقميش منها، ولكن بحذر ومن أهمها بالنســـبة للقرن 10 هـ /16 م:

-كتابا فراي دييغوا دو هايدو وهما **الطبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر، وتاريخ ملوك الجزائر** وقد كانت الاسـتفادة جمة من النسـخ المترجمة للفرنسـية من لإسـبانية وتم التركيز في هذا البحث

بشكل كبير على مصدر ...Haëdo ,Topographie للتفاصيل التي يقدمها حول عدة جوانب من الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر ؛ولأنه يعد المصدر الوحيد الذي يتناول فترة أواخر القرن10 /16 م من الجوانب الاجتماعية التي تمس بحياة مجتمع مدينة الجزائر بشكل واف،ولأنني لاحظت أن بعض المصادر الأخرى والتي تعود إلى القرن11هـ(17م) تأثرت بما أورده ونقلت عنه.

HAEDO (le Bénédictin Fray Diégo de)**: topographie et Histoire Générale d'Alger,** traduit de l'Espagnol par MM. Le Dr Monnereau et A. Berbrugger, Revue Africaine ,Alger ,1870 tom 14 et1875 tom 15

وتم الاعتماد أيضا على مصدر آخر يعود للقرن 10 (16م)وهو:

Nicolay (Nicolas de) « Les quatre premiers livres des navigations orientales de N. Nicolay dauphinois… »

والذي يعد بدوره مصدرا مهما بالنسبة للقرن 10هـ(16م) ولاسيما بسبب ندرة مصادر هذا القرن التي تتناول تاريخ مدينة الجزائر وبصورة أكثر دقة الميدان الاجتماعي منه علما أن نيكولا دونيكولاي لم يتناول الجوانب الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر بتوسع كما قام به هايدو إلا أن كتابه لا يخلوا من إشارات ومعلومات ذات طابع اجتماعي واقتصادي تهم مجتمع مدينة الجزائر تمت الإفادة منها من خلال هذا العمل .

وأعتمد أيضا في هذا العمل على كتاب مارمول دو كربخال بعنوان : إفريقيا

Marmol Y Carvajal (Luis Del) **L'Afrique de Marmol**, Traduction de Nicolas Sieur d'Ablancourt, Paris, 1667

علما أنه نقل الكثير عن الحسن الوزان- مؤلف المصدر المعنون ب: وصف إفريقيا الذي اعتمدنا عليه أيضا -كما أن جل معلوماته ذات طابع سياسي وعسكري وإن تتخلله بعض الإشارات التي تخدم الميدان الاجتماعي.

أما بالنسبة للقرن11هـ/17م فقد تم العودة إلى عدة مصادر منها :

ROQUEVILLE (S. de) : **Relations des Mœurs et du Gouvernement des Turcs d'Alger,** Editions Olivier de Varennes, Paris, 1675

وهو مؤلف للمدعو روكفيل الذي كان أسيرا فرنسيا في مدينة الجزائر لمدة تسعة أشهر خلال أوائل القرن 11 هـ/17 م عمل خلالها حمالا عند السيد الذي اشتراه ، وقام أيضا ببيع الماء حيث كان يحمل المياه من العيون إلى البيوت مقابل أجرة معينة ،ورغم قصر المدة التي قضاها في مدينة الجزائر نسبيا إلا أن ذكرياته خلال هذه المدة عن مدينة الجزائر جد مفيدة وما يزيد مؤلفه قيمة هو تناوله لمسائل هامة كإشارته إلى النظافة الكبيرة لمدينة الجزائر ووفرة المواد

الغذائية و انخفاض أســـعارها ، وغيرها من المعلومات حول الحياة الاجتماعية والاقتصـــادية .وهناك مصادر أخري تتعلق بالقرن11هـ(17م) تستحق التنويه وفي مقدمتها كتاب "دو شستال دي بويس " :

Sieur du chastelt des boys, **l'odyssée ou Diversité d'aventure rencontre et Voyages en Europe Asie et Afrique**

وهو كتاب يقع في أربعة أجزاء، والذي تعذر علي إيجاده في بداية الأمر فتم الاعتماد عليه من خلال المجلة الإفريقية التي أعادت نشـره عبر صـفحاتها من سـنة 1866 إلى سـنة 1870 م من طرف لويس بيســـى(louis Pisse)والذي يحوي معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرن 11هـ/17 م ولاسيما أن مؤلفه تحلى بالموضوعية عند عرضه لمعلومات تهم مجتمع مدينة الجزائر والحياة اليومية لسـكانها، و لم تؤثر وضـعيته كأسـير على الأحكام؛ التي أصـدرها بل و من خلال ما أورده حول حياته في الأسر نستخلص صورة مغايرة تماما عن الصورة النمطية للأسـرى المسـحيين في بلاد الإسـلام التي تصـورهم وهم يرزحون في الأغلال ويتعرضـون لأقسى وأشـد أنواع العذاب وهي الصـورة النمطية ؛التي روجت من طرف كتابات الأسرى ورجال الدين وخاصـة المكلفين بعمليات الفداء و التي اسـتندت إليها الكتابات الغربية في المراحل اللاحقة وبخاصة كتابات مؤرخي مرحلة الاحتلال الفرنسي.

فهؤلاء ممن ذكرناهم وغيرهم من مؤلفي المصـــادر الغربية التي عدنا إليها كانوا شـــهود عيان على تلك الفترة وبالرغم من أهمية هـذه المصـــادر ؛فإنها لا تخلو من بعض المبالغات وبعض الأفكار التي يصـعب تصـديقها، أو اسـتيعابها وغيرها من الأحكام المتحاملة، والمغرضـة ويعود ذلك إلى النزعة الدينية أو الحقد المســـيحي الذي كان يجثم على نفوس هؤلاء الكتاب و إلى وضعيتهم كأسرى أو أباء فداء؛ولكن هذا لم يمنعهم من إقرار بعض المعطيات والحقائق المهمة و الإيجابية حول الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر، والمتعلقة بتلك الفترة، وربما يعود ذلك للأثر القوي الذي خلفته في نفوسـهم مما أثار إعجابهم وجرهم للاعتراف بها مرغمين، وإن كانوا يتأســـفون في نفس الوقت عن وجودها لدى مجتمع مدينة الجزائر المســلم ومن النماذج عن ذلك كتاب الأب دان المعنون بتاريخ بربرية وقراصـنتها؛ والذي يعد أحد أبرز المصـادر عن مدينة الجزائر ومجتمعها خلال القرن 11 هـ/17 م.

Dan (Père François) : **Hstoire de Barbarie et de ses Corsaires**, Pierre Ricolet imprimeur et librairie du Roy 2e édition, Paris, 1637

وكتاب جووا مسكغناس المعنون:ب: عبد في مدينة الجزائر رواية عن الأسر من1621-1626

MASCARENHAS (Joao de):**Esclave à Alger Récit de captivité de 1621à 1626** Traduit du Portugais et annoté par Paul Teyssier, Editions Chandeigne ,Paris , 1998

ومن خلال قراءتي لهذه المصادر لاستخراج واستنباط المعلومات منها وجدت أنه لا يمكن التسليم بكل ما جاء فيها، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بأدق خصوصيات الحياة الاجتماعية الأسرية إذ لا يمكن تجاهل خلفية الذين كتبوا عن هذه الفترة ،وأهدافهم فضلا عن جهلهم بالكثير من خصوصيات وتقاليد الحياة الاجتماعية في مجتمع إسلامي ، وهذا ما اضطراني إلى أن أنتهج نهجا يرتكز على غربلة المعلومات قدر المستطاع وانتقاء أكثرها واقعية واقترابا من الحقيقة التاريخية والتي تظل دوما نسبية مادامت ترتبط بالوثائق والمصادر المتنوعة وكذا باستقراء الباحث لهذه الأخيرة ومع ذلك لا يمكن في أي حال من الأحوال الاستغناء عن هذه المصادر لأنها تحوى معلومات ثرية عن مجتمع مدينة الجزائر، ومختلف الجوانب التي ترتبط ارتباطا وثيقا بممارساته ،وحياته الاجتماعية معلومات تفتقر إليها المصادر المحلية من منطلق أن مؤلفي المصادر الغربية بمثابة ملاحظين أجانب غرباء عن البلاد ،وأهلها كانوا يسعون لتسجيل كل ما يلاحظونه لتعريف مواطنيهم وسلطات بلادهم بهذه البلاد وأهلها في حين أن مؤلفي المصادر المحلية على اعتبارهم أبناء البلد لم يجدوا ربما داعي للكتابة عن ممارسات ،وعادات ،وتقاليد اجتماعية كانت تعتبر جزء من حياتهم اليومية معروفة لديهم وتعودوا عليها ؛فلا تثير اهتمامهم كما تثير اهتمام المؤلفين الأجانب ،وهذا بطبيعة الحال لا ينفي بعض الإشارات للجوانب الاجتماعية التي ترد في المصادر المحلية في إطار سياقها العام.

وتمت العودة أيضا في توثيق هذه الرسالة إلى بعض المصادر التي تعود للقرنين 12 -13هـ/ 18 -19م من كتابات أسري ورجال دين و سفراء ومبعوثي الدول الأوروبية وتمت الاستعانة أيضا بالكتابات التي تزامنت مع السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي من تقارير القادة العسكريين ولاسيما تلك التي تميزت بنوع من الموضوعية في نقل واقع مجتمع مدينة الجزائر ورسم ملامح حياته الاجتماعية مثل كتابات الضابط الفرنسي روزيت:

Rozet(M), Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique

وبعض عرائض أعيان مدينة الجزائر الموجهة لسلطات الاحتلال وبخاصة تلك التي تنوه وتشير لصلتهم مع الحكم العثماني ،و كذا المؤلفات المنددة بالسياسة الفرنسية الهمجية الممارسة ضد سكان الجزائر والتي تبرز ملامح الحكم العثماني الإيجابية بالمقارنة مع سياسة المحتلين الفرنسيين على غرار كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة الذي يتيح للقارئ الخروج بتصور واضح حول طبيعة علاقة سكان مدينة الجزائر بالنظام العثماني منذ بروزه فيها واستخلاص جملة من القيم الاجتماعية والأخلاقية التي ميزته؛ والتي اعتبرناها بمثابة مراجع من الدرجة الأولى بالنسبة لموضوعنا ولاسيما أنه موضوع يبحث في الجوانب الاجتماعية وهي على عكس الأحداث السياسية والعسكرية التي تعرف في العادة حركية وتحولات سريعة على المدى القصير تتطور ببطء وعلى المدى البعيد كالعادات والتقاليد مما يمكن الباحث من القيام بإسقاطات تاريخية؛ فالعديد من الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد التي أشارت إليها هذه المصادر تجد جذورها ،وامتدادها التاريخي في المراحل السابقة فيصبح لمدلول الزمن في الدراسات التاريخية ذات الطابع الاجتماعي مدلولا مغايرا للدراسات ذات الطابع السياسي أو العسكري .

واستعنت أيضا في توثيق هذا العمل بالدراسات الأكاديمية السابقة التي أنجزها من تقدمني بالاهتمام بالجوانب الاجتماعية وبمراجع ،ومقالات متخصصة وهي دراسات رائدة في مجال البحث في التاريخ الاجتماعي وما يتصل به من جوانب حيوية أخري في العهد العثماني ومنأبرز هذه الدراسات أذكر :

–دراسة الباحث الأستاذ الدكتور أرزقى شويتام ، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519- 1830 أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ جامعة الجزائر 2006-2007 ؛والتي صدرت في هيئة كتاب سنة 2009وهي دارسة شاملة،و بصورة مركزة ومعمقة لكل ما يتصل بالواقع الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني والتي أفدت منها بشكل كبير فيما يتصل بمدينة الجزائر؛ فمن خلالها تمكنت من التعرف على جملة من المصادر والدراسات التي تخدم موضوعي من حيث إطاره الزماني، والمكاني كما استفدت من العديد من الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة الجادة النموذجية من حيث طريقة الطرح،وأسلوب عرض المادة التاريخية والاستنتاج و التي حرص

الأســـتاذ الباحث من خلالها على مناقشـــة أطروحات المؤلفين و المؤرخين الغربيين فيما يتعلق بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وبخاصـــة ما يتصـــل بجناحه الاجتماعي وقد حرصـــنا على تثبيت ذلك في متن هذا البحث وهوامشه.

–دراسـات المرحومة الباحثة الأستاذة الدكتورة عائشـة غطاس، والتي تستمد أهميتها ،وتميزها من خلال اعتمادها على الأرشـيف والوثائق المحلية المتصـلة بهذه الفترة كسـجلات المحاكم الشـرعية وسـجلات بيت المال أولا،ومن خلال طريقة معالجتها ثانيا نذكر منها على سـبيل المثال لا الحصـر:

1-الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700 -1830 مقاربة اجتماعية –اقتصـــادية، أطروحة لنيل شـــهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،إشـــراف الدكتور مولاي بلحميســـي، كلية العلوم الانسـانية، قسـم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 – 2001 والتي طبعت ونشـرت سـنة 2007 فكان التركيز على الإفادة من الكتاب و العودة إلى الرسـالة فيما يتعلق ببعض ملاحق الدراسـة التي لم ترد بالكتاب.

2-"الصـــداق بمدينة الجزائر خلال القرنين 18 و19 م "،في مجلة الإنســـانيات، مركز البحث في الأنتربولوجية الاجتماعية و الثقافية، عدد4، جانفي-أفريل 19983- «ســـجلات المحاكم الشـــرعية وأهميتها في دراســـة التاريخ الاقتصـــادي، والاجتماعي لمجتمع مدينة الجزائر –العهد العثماني –"، في مجلة الإنسـانيات، مركز البحث في الأنتربولوجية الاجتماعية و الثقافية، عدد3، شتاء 1997.

– دراسة الأستاذة الدكتورة القشاعي موساوي فلة المعنونة بـ :الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنســي 1518 -1871 م، منشــورات بن ســنان،وزارة الثقافة الجزائر ،2010 ؛ وهي بالأصـل رسـالة دكتوراه والتي اسـتفدت منها فيما يتصـل بالجانب الصـــحي في مدينة الجزائر وتحديدا ما يخص المرحلة التاريخية التي تخدم موضـــوعنا وهي دراســـة شـاملة ومعمقة ، حيث يمكن للقارئ لها أن يخرج بتصـور واضـح للواقع الصـحي ،والسـكاني للجزائر خلال العهد العثماني وتتبع مختلف التطورات والمؤثرات التي شـــهدها ،وانعكاســـه على مختلف الميادين الأخرى . ومن الدراسات الأكاديمية الأخرى التي استفدت منها أذكر:

– دراســـة الأســـتاذ الدكتور خليفة حماش والمعنونة بالأســـرة في مدينة الجزائر خلال العهد

العثماني ،وتكمن أهمية هذه الدراسة بالمقام الأول في استنادها إلى وثائق أرشيفية ،وبخاصة وثائق سلسلة المحاكم الشرعية والارتباط الوثيق للمواضيع التي تتطرق إليها بالحياة الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني وطريقة الطرح والمعالجة في المقام الثاني وقد أفدنا من هذه الدراسة كمصنف ببيوغرافي أحالنا إلى عدة وثائق تخدم موضوع بحثنا من حيث الإطار الزماني ومن حيث طبيعة المادة الإخبارية التي تحتويها كما أفدنا من التحليلات ،و الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث لتأكيد ما توصلنا إليه ومناقشة آراء باحثين آخرين ولاسيما ما يتصل بموضوع الأوقاف ،والمرأة وقد حرصنا على تثبيت ذلك في متن هذا البحث وهوامشه .

و استفدت أيضا من رسالة دكتوراه الأستاذة الدكتورة جميلة معاشي، الموسومة بالإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ،وبخاصة في فصولها الأولى التي تبرز من خلالها الطابع الأسري الذي ميز تنظيم الجيش الإنكشاري في الجزائر بصفة عامة ؛حيث نستخلص من دراستها أنه طابع طبع الجيش الإنكشاري منذ نشأته الأولى، وحافظت فرق الإنكشارية التي توافدت على الجزائر على هذا الطابع ،وقامت بتعزيزه.

و استعنت في إطار الفصل الذي خصصته للحديث عن الأوقاف والتكافل الاجتماعي من دراستين أكاديميتين و هما :

–رسالة دكتوراه الأستاذة الدكتورة زهرة زكية الموسومة ب :من إسطنبول إلى الجزائر مؤسسة أوقاف سبل الخيرات ومساجدها الحنفية في العهد العثماني(من بداية القرن 18 م إلى الاحتلال الفرنسي.

Zakia (**Zahra**),*D'Istanbul à Alger: la fondation du waqf des subul al -Kayrat et ses mosquées hanéfites a l'époque ottomane (du début du XVIII^e siècle à la colonisation française)*

وأفدت منها خاصة فيما يتصل بتاريخ تأسيس هذه المؤسسة والفئات المستفيدة منها.

–رسالة دكتوراه الأستاذة الدكتورة نعيمة بوحمشوش،ا لجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف وبخاصة ما يتصل بإبراز الأهمية التي خصصها الحكام العثمانيين لهذا المعلم الديني المخصص لإتباع المذهب المالكي والذي حظي بالاهتمام والعناية حتى من طرف أتباع المذهب الحنفي مما يجعلنا نستخلص وحدة مجتمع مدينة

الجزائر في ظل الحكم العثماني وحدة أساسها الرابطة الدينية بالدرجة الأولى.

-رسالة دكتوراه الأستاذة الدكتورة لواليش فتيحة المنشورة عن العائلة في مدينة الجزائر في القرن17م و 18 م

Fatiha Loualiche, la famille à Alger XVII[e] et XVIII[e] siècles Parenté, alliances et patrimoine, Préface de Bernard Vincent, Média-Plus, Constantine, 2017

و هي دراسة تحليلية لما ورد في الأرشيف الخاص بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وبخاصة وثائق سجلات المحاكم الشرعية ،واستنطاق هذا الأخيرة لإعادة بناء صورة تقريبية لواقع الأسرة وفعالياتها ،و ما يرتبط بها من عادات وتقاليد وممارسات في مدينة الجزائر خلال القرنين17 م و 18 م وقد أفدنا منها عندما تعرضنا لموضوع الطلاق في مجتمع مدينة الجزائر وتحديدا ما يترتب عن الخلع،وقضية النفقة وكفالة الأبناء و وظفت أيضا استنتاجات أوردتها الباحثة عند تطرقها لموضوع الهيئة العلمية والفقهية والقضائية المتمثلة في المجلس العلمي أو الشريف ،وهي هيئة انفردت الجزائر بها مما يبرز مكانة الجزائر المتميزة في فضاء الدولة العثمانية .

– دراسات وبحوث الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي يعد رائدا في مجال البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للجزائر في العهد العثماني ومن بين دراساته التي عدت إليها وأفدت منها أذكر :

ناصر الدين سعيدوني و الشيخ المهدي بوعبدلي" الجزائر في التاريخ ج4: العهد العثماني" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر-1984.

-دراسات وبحوث الأستاذ الدكتور مولاي بلحميسي وأبرزها" تاريخ مدينة الجزائر من خلال مياهها في القرن16م-18م.

MOULAY BLHAMISSI, Histoire d'Alger par ses eaux 16[e] 18[e] siècle» ENAL Alger ,1994

و يعد هذا المرجع مرجعا هاما بالنسبة لموضوعنا، فهو يتناول تاريخ مدينة الجزائر من خلال مياهها حيث يتحدث عن كل ما يتعلق بهذا المورد الهام كحديثه عن الشبكة المائية من قنوات لنقل المياه، وغيرها مما يشكلها، وكذا الهيئة المشرفة على صيانة المنشآت الخاصة بالماء كالعيون والآبار....الخ.

كما أشار إلى اهتمام المجتمع ككل بهذا المورد، وتناول مسائل أخرى لها علاقة بالماء كالحدائق

والفحوص المحيطة بمدينة الجزائر التي كان الماء سببا جوهريا في جمالها ، و تزويد أسواق مدينة الجزائر بخضر، و فواكه متنوعة؛ ففي هذا الكتاب إشارات إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان مدينة الجزائر من خلال حديثه عن الأنشطة المتنوعة التي كانت بحاجة إلى الماء ،ولاغني لها عنه.

وقد عدت أيضا إلى مراجع كثيرة تتناول الحياة الاجتماعية على شكل ومضات ومقتطفات وإشارات طفيفة في سياق الحديث مركزة على الجانب السياسي والعسكري، والثقافي كما أن هناك جوانب من الحياة والاجتماعية لا تتناولها،أو تركز عليها مثلا العادات، والتقاليد.

ومن تلك المراجع نذكر:

–أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري الجزء الأول، والثاني، فبالرغم أن هذا العمل الموسوعي القيم يركز على الجانب الثقافي الذي استفدت منه في الفصل الخاص بالتعليم ،واللغات وخاصة لمناقشة مدى صحة ادعاءات المصادر الغربية بانعدام اهتمام سكان مدينة الجزائر بالعلوم العقلية في ظل الحكم العثماني كما يحوى هذا العمل الموسوعي على معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية كانت مفيدة لي في هذا البحث وهذا دليل على التكامل الموجود بين مختلف المجالات.

–كتاب وليام سبنسر" الجزائر في عهد رياس البحر" تعريب عبد القادر زبادية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980 لاعتماده على مضان هامة في الموضوع لم أتمكن من الحصول عليها.

وكذلك المرجع المتمثل في "مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830" لعبد القادر حيلمي بالرغم من تركيزه على الجانب الجغرافي للمدينة الذي أفدنا منه في الفصل الأول من الباب الأول إلا أنه يتناول إلى جانب ذلك ماضيها التاريخي مخصصا قسما لا بأس به للجوانب الاجتماعية في الفترة العثمانية.

ومن المراجع التي أفدت منها أيضا أذكر مؤلفات الأستاذ مصطفى بن حموش حول عمران مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وما يتصل به من هيئات إدارية أو ما يسمى بفقه العمران في التاريخ الإسلامي ؛حيث تم العودة إلى كتابيه وعنوانهما تباعا "فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 906 هـ-1146 هـ/1549م-1830م " و"المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني " ولاسيما أنه أشفع دراساته بملاحق تضم مجموعة

من النسخ المطابقة للأصل لعدة وثائق تعود لسلسلة المحاكم الشرعية مما يتيح الفرصة لغيره من الباحثين للاستفادة المباشرة منها.

وتمت العودة أيضا إلى بعض الدراسات التاريخية الأخرى الهامة والتي وإن لم تكن ذات صلة مباشرة به فإنها تخدمه بصورة غير مباشرة من منطلق أنها أتاحت لنا الفرصة لعقد المقارنات التاريخية التي تقرب المفاهيم وتسمح بالقيام باستنتاجات تاريخية مثل دراسات الباحث الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيود وبخاصة دراساته الهامة عن واقع الأسرى المسلمين في أوروبا وتحديدا بإيطاليا والتي نسجت معالمها ومضامينها على ضوء المادة الأرشيفية كمقاله بعنوان:"من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، ع01 ديسمبر 2006 التي سمحت بإبراز مدى التسامح الديني الذي تمتع به الأسري المسيحيون في مدينة الجزائر مقابل التعصب، والاضطهاد الديني الذي عانى منه نظرائهم من أسري مسلمين في أوروبا،وفي هذا الصدد أفدنا أيضا من دراسة الأستاذ الدكتور مولاي بلحميسي بعنوان:

Les Captifs algériens et l'Europe Chrétienne, Entreprise Nationale du Livre Alger, 1988

أما من حيث منهجية البحث فقد تم الاعتماد على أسلوب سرد المعلومات وتحليلها ونقدها أي المنهج الوصفي التحليلي النقدي للوصول إلى جملة من الاستنتاجات المرحلية وعلى ضوء دراستي لآثار الحكم العثماني بمدينة الجزائر في الميدان الاجتماعي خلال القرنين(10-11هـ/17- 16م) قسمت الموضوع إلى مقدمة وثلاثة أبواب و عشرون فصل وخاتمة؛حيث يحوى كل من البابين الأول والثالث سبعة فصول في حين يشتمل الباب الثاني على ستة فصول كما سيأتي بيانه فيما يلي :

الباب الأول جاء تحت عنوان :" **التركيبة السكانية وتعدد فعاليتها**"وقد تطرقت من خلاله في **الفصل الأول** إلى :**مدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا**؛وهذا الفصل كان بمثابة تمهيد للموضوع حيث تناولنا فيه موقع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، هذا الموقع الذي أهلها لأن تكون عاصمة للبلاد لأنه يتوفر على كل الشروط الجغرافية، والمناخية الملائمة للنشاط البشري.

ثم قدمت نبذة تاريخية مختصرة عن ماضي مدينة الجزائر، وأهم الحقب التاريخية التي مرت بها و التي توضح أن مدينة الجزائر عريقة بماضيها، و إن تعرضت عدة مرات للتخريب و التدمير

نتيجة الأحداث الكثيرة التي شهدها المغرب الإسلامي ولاسيما المغرب الأوسط الذي ارتبطت به ارتباطا وثيقا كونها كانت جزءا لا يتجزأ منه.

إلى غاية انضـــوائها تحت لواء الدولة العثمانية،أو الخلافة العثمانية –إن جاز التعبير–ومن ثم تطرقت في هذا الفصـل إلى أهم الظروف التي سـاعدت على هذا الانضـواء ،والارتباط بالدولة العثمانية .

أما **الفصـل الثاني** المعنون ب:"**السـكان المسـلمون الأصـليون**" ؛فقد تناولت من خلاله سكان مدينة الجزائر المسلمين الأصليين من أبناء البلاد، والذين تم تقسيمهم بدورهم من حيث نمط إقامتهم بالمدينة إلى دائمين ومؤقتين.

في حين تطرقت من خلال **الفصـــل الثالث** إلى **الســـكان المســـلمين الوافدين من عدتي الأندلس وبلاد المغرب– الأدنى والأقصـى– ومن بلاد السـوادن الغربي**؛أي الأندلسـيين وجماعة الجرابة وسكان المغرب الأقصى ،والزنوج الذين استقروا بمدينة الجزائر .

أما **الفصـل الرابع** فقد خصـصـته **للسـكان المسـلمين الوافدين –من الشـرق وأوروبا– والمولدين** أي الأتراك العثمانيين، و الأعلاج الذين استقروا بمدينة الجزائر وقد أدرجت الكراغلة في هذا الفصل كونهم نتيجة زواج الأتراك العثمانيون و الأعلاج بالعنصر النسوي المحلي .

وخصـصـت **الفصـل الخامس** لدراسـة أهل الذمة اليهود أما **الفصـل السـادس** ؛ فدرسـت من خلاله أهل الذمة من المسيحيين الأحرار منهم والأسرى العبيد .

في حين **كان الفصـــل الســـابع** والأخير من الباب الأول مخصـــصـــا للحديث عن: النمو السكاني والمستوى الصحي لمجتمع مدينة الجزائرخلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة .

ومن خلال هذا الباب تم التطرق إجمالا إلى التركيبة الســـكانية لمجتمع مدينة الجزائر من حيث عناصـرها الأصـيلة ، وعناصـرها السـكانية الجديدة التي برزت كأثر لقيام النظام العثماني فيها ومن تم التعريف بهذه العناصر، و المجموعات السكانية المختلفة التي كانت تشكل مجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني مبرزين في تمهيد صـــغير أنه يمكن إخضـــاع هذا الأخير إلى عدة تقسيمات، على أساس عرقي، أو عقائدي و حتى من حيث كون تلك الجماعة السكانية محليه أو وافدة دائمة أو مؤقتة.....الخ.

وفي كل مجموعة من هذه المجموعات السكانية تناولنا جملة من العناصر: إذ في البداية تم التطرق إلى أصلها، ثم تقديم إحصاءات عنها في القرن16م(10هـ)،17م(11هـ) إن وجدت ثم الحديث عن موارد رزقها والأنشطة الممارسة من طرفها وكذا الحديث عن بعض مميزاتها وتأثيرها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية مع محاولة إبراز علاقاتها مع بقية الجماعات السكانية، ومع النظام العثماني .

و ختمت الباب الأول بخاتمة تضمنت ما توصلت إليه من نتائج واستنتاجات.

أما **الباب الثاني** فقد جاء تحت عنوان **المرافق الحضارية في المدينة و فحصها"** وهذا الباب بفصوله الستة يجسد أثرا آخر هاما من آثار الحكم العثماني بمدينة الجزائر في الميدان الاجتماعي وهو أثر تجسد على مستوي المدينة من حيث النمو العمراني الذي شهدته والحرص على توفير مختلف المرافق الحضارية التي كانت تقدم خدمات متنوعة للمجتمع وتساهم في مختلف فعالياته سواء كانت منشآت معمارية خاصة أو عمومية ، أو منشآت ومرافق طبيعية كالحدائق حيث تم التطرق إلى فحوص مدينة الجزائر باعتبارها امتدادا طبيعيا لها، ولأهميتها بالنسبة لسكان مدينة الجزائر .

فتناولت في **الفصل الأول" المرافق العسكرية ،والأمنية** " للطابع العسكري الذي غلب على مدينة الجزائر ؛ولأنها من أولى المنشآت التي حظيت باهتمام النظام العثماني ؛ والتي جسدت أثار قيامه فيها ؛ فتمت الإشارة في البداية إلى الأسوار ،والأبراج والحصون ، والميناء بصورة مختصرة مع إبراز الحرص الكبير الذي أولاه حكام الجزائر العثمانيون في تزويد مدينة الجزائر بتجهيز دفاعي فعال و قد شاطرهم السلاطين العثمانيون هذا الحرص في حين تم التركيز من خلال مضمون الفصل على الثكنات، والبانيوات ؛أي سجون الأسري العبيد ،والتي لم تكن مجرد منشآت ومرافق ذات طابع عسكري ،وأمني بل كانت بمثابة مساكن تضم في ربوعها الحياة اليومية لساكنيها فالأولى كانت تضم حياة الجنود في حين أن الثانية كانت تضم حياة الأسري العبيد المسيحيين ؛فمن خلال هذا الفصل تمت محاولة الكشف عن بعض ملامح الحياة الاجتماعية فيهما.

فمثلا : سجون الأسرى العبيد الأوربيين المسيحيين تمكننا من أخذ صورة عن الوضعية المعيشية للأسرى المسيحيين ،وهل كانت بتلك المأساوية، والسوداوية التي وصفت بها من طرف الرحالة

ورجال الدين الأوربيين وبعض الأسرى أنفسهم علما أنه تم التطرق للكنائس والمستشفيات التي كانت تحويها هذه السجون ؛والتي يستخلص من وجودها الكثير.

وانتقلت بعدها للحديث في **الفصل الثاني** عن " **المرافق المائية والصحية**" التي اشتملت عليها مدينة الجزائر كنتيجة، وأثر جد هام لبروز النظام العثماني فيها ؛ حيث حاولنا إبراز دورها في الحياة الاجتماعية واليومية للسكان من قنوات لنقل الماء الصالح للشرب وقنوات صرف المياه و الآبار،و العيون التي كانت من مظاهر التنظيم المائي البارع ،ومن أبرز معالم مدينة الجزائر حينها إلى جانب الحمامات ،دون إغفال الحديث عن المستشفيات مع التركيز على الأهمية التي خصها كل من المجتمع ،والسلطة لعنصر الماء وهو العنصر الحيوي الذي لا غنى عنه لكل الكائنات الحية.

كما تطرقت في **الفصل الثالث** من هذا الباب إلى "**المرافق الدينية و العلمية**" فتم الحديث عن نماذج من المرافق الدينية والعلمية التي كانت تشتمل عليها مدينة الجزائر خلال هذه الفترة محل هذه الدراسة والمتمثلة بالدرجة الأولى في المساجد والجوامع،والزوايا فهي المرافق التي حظيت بالعناية ،والاهتمام خلال هذه المرحلة لدورها الديني ،والعلمي المتصل بشكل وثيق بالمجتمع والمؤثر في حياته الاجتماعية فالدين كان جزءا لا يتجزأ منحياته اليومية ،وكان يدخل في أدق تفاصيلها، دون نسيان الدور السياسي والإداري ،والقضائي الذي أدته بعض هذه المرافق الدينية كالجامع الأعظم الذي شكل مقر اجتماع المجلس العلمي ،أو جامع السيدة الذي كان مركزا للاجتماعات التي كانت تعقد بين أصحاب الحل والعقد للبت في انشغالات المجتمع لاسيما من حيث تنظيم الأنشطة الاقتصادية الحرفية،والتجارية في مدينة الجزائر لما كان لها من أثر مباشر على المجتمع وحياته الاجتماعية،وكذا الجامع الجديد الذي كان مقرا للمفتي والقاضي الحنفيين .

وتم أيضا من خلال هذا الباب في **الفصل الرابع** منه الحديث عن " **المرافق التجارية**" المتنوعة التي كانت تضمها مدينة الجزائر خلال القرنين 10 هـ(16م)11هـ (17م)والتي ساهم الحكام العثمانيون أنفسهم في إنشاءها كسوق الباديستان ،وتعد الفنادق ،والأسواق من أبرز معالمها لما كانت تقدمه من خدمات كانت لها انعكاساتها المباشرة على الحياة الاجتماعية كونها كانت تساهم في توفير كل احتياجات السكان اليومية من غداء ،ولباس ،وغيره.

و انتقلت في **الفصـــل الخامس** من هذا الباب للحديث عن "**المرافق الســـكنية داخل أسوار مدينة الجزائر** " حيث تم التطرق إلى مختلف العناصر العمرانية المشكلة لهذه الأخيرة،وما يمكن استخلاصه منها حول الحياة الاجتماعية لسكانها،وبعض عاداتهم ،وقيمهم الاجتماعية والأخلاقية هذا مع مراعاة تخصيص قسم في هذا الفصل للحديث عن الأثاث الذي كانت تحويه هذه المساكن ،و استعمالاته في الحياة اليومية.

أما **الفصـــل الســـادس** من هذا الباب فتمحور حول "**المرافق الترفيهية** "بداية با لمقاهي التي كانت متواجدة داخل المدينة أو تلك ؛التي انتشـرت في فحوصـها كونها من أبرز الأماكن التي كان يقصدها سكان المدينة للترفيه عن أنفسهم لما كانت توفره من خدمات وما توفره من فرص للاجتماع ولكونها كانت محطات اســـتراحة للوافدين على المدينة وبخاصـــة مقاهي الفحوص؛حيث تعد المقاهي تجســـيدا آخر لآثار الحكم العثماني على النســـيج العمراني لمدينة الجزائر وعادات وتقاليد مجتمعها .

كما تم الحديث في هذا الفصـــل عن الحدائق والبســـاتين ؛التي كانت منتشـــرة في فحوص المدينة،والتي تعد مرافق طبيعية وامتداد طبيعي لها ومن أبرز المعالم المميزة لمدينة الجزائر ،وإن كانت تقع خارج أســوار هذه الأخيرة ؛حيث لا يمكن التطرق للحياة الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر بمعزل عن الحدائق والبســـاتين التي كانت تشـــكل ما عرف بالفحص لما كانت توفره من فضاء للترفيه والراحة ،ولكونها مصدر الغلال المتنوعة ؛ التي ساهمت بقسط وفير في قضية تمويل سكان المدينة بحاجتهم من الغذاء .

كما تم الحديث في هذا الفصـــل عن الدور التي انتشـــرت في فحوص المدينة وكانت تتوســـط البســاتين، والحدائق ،واشـتهرت بالبيوت الريفية ، أو الدويرات والتي كان يقضـي فيها سـكان مدينة الجزائر الميسورين أوقات ممتعة في الراحة ،والاستجمام .

وختم هذا الباب بخاتمة تتضمن النتائج والاستنتاجات المتوصل إليها .

أما **الباب الثالث** فقد جاء معنونا بـ: "**مظاهر الحياة الاجتماعية** " وتطرقت من خلال الفصـــل الأول منه إلى **العادات ،والتقاليد والممارســات الاجتماعية** المتمثلة في الزواج والميلاد والختان والطلاق ومراسيم الوفاة"المآتم"مع محاولة تسليط الضوء على الإثراء الذي شـهدته هذه الجوانب كلما مكنتنا المادة التاريخية من اسـتخلاص ذلك وقد أضـفنا إلى هذا الفصـل مبحث

يتطرق إلى الأطعمة التي كانت متداولة في أوســـاط مجتمع مدينة الجزائر مع محاولة إبراز ذلك التنوع الذي شــهده هذا الميدان؛ الذي يعد كأفضــل شــاهد بعد الأزياء ،والملابس على تمازج التأثيرات المحلية بالتأثيرات الأندلســـية، والمشـــرقية العثمانية في ظل نظام الحكم العثماني لمدينة الجزائر .

و في **الفصـــل الثاني** من هذا الباب تناولت أبرز أزياء الرجال ،والنســـاء ســـواء تلك الخاصـــة بالبدن أو تلك المخصصة للرأس وكذا مختلف أنواع الأحذية والنعال التي سادت في مجتمع مدينة الجزائر وأشرنا إلى الإثراء والتنوع الذي شهدته في ظل الحكم العثماني.

كما تم التطرق في **الفصل الثالث** المعنون بـ"**المناسبـــــــات، المناسبات والأعياد الدينيـــة**" إلى ترسـيخ انتماء المدينة للفضـاء الإسـلامي في ظل الحكم العثماني من خلال الحرص الذي أبداه مجتمع مدينة الجزائر ســـلطة ورعية تجاه الاحتفالات المرافقة للمناســـبات ،والأعياد الدينيـــة :شهر رمضان و عيد الفطر،و عيد الأضحى،والمولد النبوي الشريف،ويوم الجمعة كيوم ذي بعد ديني وخصـــوصـــية،ولمواكب الحج أي إبراز المكانة الكبيرة للإســـلام في الحياة اليومية لســـكـان مـدينـة الجزائر المســـلمين في ظـل الحكم العثمـاني وكيف أن المعـاملات اليوميـة ،والاجتماعية،و العادات و التقاليد كانت في أغلبها مســـتمدة من تعاليمه، و موســـومة بطابعه.

في حين خصـصـت **الفصـل الرابع** للحديث عن **المذاهب الدينية والقضـاء** نظرا للارتباط الوثيق بين الممارسات الدينية في أوساط مجتمع مدينة الجزائر و ممارساته اليومية والاجتماعية التي كانت تستند جلها تقريبا إلى الناحية الدينية بما في ذلك ميدان القضاء والعدالة و الاحتكام إلى فتاوى المذاهب التي كانت سائدة في أوساطه والتسامح الديني فيما بين هذه المذاهب الإسلامية فإذا اختلفت الفروع فالأصـــل واحد ؛فتعايشـــت تلك المذاهب جنبا إلى جنب في إطار من الاحترام المتبادل،وبينت في هذا الفصـــل دور القضـــاء في توفير العدالة،والأمن في أوســـاط المجتمع والمحافظة على الروابط العائلية والاجتماعية ، وأهم الوســـائل المتوفرة لديه لإنجاز مهامه في ظل الحكم العثماني .

أما الفصل الخامس، فتطرقت فيه إلى **التعليم واللغات** بداية بالتعليم وصلته الوثيقة بالجانب الديني حيث كان الهدف من التعليم حينها هو اكتســـاب ثقافة إســـلامية يتم توظيفها في إطار

العبادات والمعاملات، والممارسات اليومية ومن خلال هذا الفصل تمت محاولة إبراز أن العناية والاهتمام بالتعليم في مدينة الجزائر كان ميدانا مفتوحا على المبادرات الفردية والجماعية لأفراد المجتمع وممثلي السلطة حيث اعتبر التعليم حينها قيمة اجتماعية، وأخلاقية من خلال نظرة المجتمع لطلبة العلم،والعلماء وللعلم في حد ذاته.

وتم الانتقال في المقام الثاني للحديث عن اللغات التي كانت مستعملة في أوساطه باعتبارها قناة للتواصل والتبادل بين مختلف العناصر السكانية المشكلة حينها لمجتمع مدينة الجزائر وتجسيدا للتنوع السكاني الذي عرفته مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وبخاصة لغة الفرنكا التي برزت كنتيجة للجهاد البحري وما نجم عنه من أسرى تعددت مشاربهم ولغاتهم فبرزت الحاجة للتواصل فيما بينهم ولتواصلهم مع بقية سكان المدينة فضلا عن المؤثرات اللغوية العثمانية التي تجسدت في تسرب العديد من المصطلحات إلى أوساط مجتمع مدينة الجزائر وإن كانت معظمها أوجلها تندرج في الإطار الإداري والعسكري إلا أنه وجدت أيضا بعض المصطلحات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي والتي حاولنا إبرازها.

أما الفصل السادس فخصصته للحديث عن **التكافل الاجتماعي** بمختلف مظاهره على المستوى الغير رسمي والرسمي وكانت بدايته بالتطرق إلى أبرز مظاهره ؛وهي الوقف بينما كان الفصل السابع والأخير من الباب الثالث مخصصا للحديث عن **المرأة واهتماماتها ومكانتها** في مجتمع المدينة في ظل الحكم العثماني حيث دعمت المكانة التي كفلها وحفظها لها الإسلام وأدت دورا هاما في تفعيل الحياة الاجتماعية و ما يتصل بها من خلال دورها كربة أسرة ومساهمة بارزة في تحقيق التكافل الاجتماعي والعناية بالجانب الديني والعلمي بما كانت تحبسه من أملاك وتقدمه من هبات وصدقات لصالح المؤسسات الدينية والتعليمية وصالح العلماء وطلبة العلم فضلا عن دورها في تنشيط الحياة الاقتصادية من خلال امتلاكها للمرافق التجارية والحرفية كالحوانيت و الورشات ...إلخ أو ممارستها لبعض الأنشطة الاقتصادية بصورة مباشرة.

و في الأخير حوصلة أو خلاصة مرحلية لأهم ما توصلت إليه من خلال هذا الباب الثالث.

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها والتي تعتبر في مجملها إجابة عن التساؤلات التي طرحتها في بداية البحث والتي تعد بمثابة إشكالية للموضوع.

وقد يلاحظ قراء هذا العمل وفي مقدمتهم أعضاء اللجنة الموقرة التي ستحرص على قراءته وتصحيحه ، وتقويمه، ومناقشته ،وإثراءه بما سيبدونه عليه من ملاحظات بعض التباين بين الفصول من حيث عدد صفحات كل فصل رغم حرصي على تحقيق تلك الغاية المنشودة ومرد ذلك وفرة المادة الخاصة بمضمون بعض الفصول وقلتها عند بعضها الآخر حيث أن المعلومات التاريخية التي توفرت لدي عن كل فصل من الفصول تحكمت في الأخير في محتويات الفصول بالقدر الذي يتطلبه كل فصل من توسع أو اختصار والعذر عند الكرام مقبول .

الباب الأول:"سكان مدينة الجزائر و فعالياتهم"

الفصل الأول: مدينة الجزائر جغرافيا و تاريخيا

الفصل الثاني: السكان المسلمون أهالي البلاد

الفصل الثالث: السكان المسلمون الوافدون من عدوتي بلاد الأندلس و المغرب -الأدنى والأقصى -وبلاد السودان الغربي

الفصل الرابع: السكان المسلمون الوافدون –من آسيا الصغرى والمشرق وأوروبا- و المولدون"الكراغلة"

الفصل الخامس: أهل الذمة من اليهود

الفصل السادس: أهل الذمة من المسيحيين

الفصل السابع : النمو السكاني و الوضع الصحي

مقدمة الباب الأول:

سيتم في الفصل الأول التمهيدي من هذا الباب التعريف بمدينة الجزائر جغرافيتها وتاريخها منذ نشأتها إلى القرن 10 هـ16/م.

أما الحديث عمن شكلها من السكان فسيكون من خلال 5 فصول يتناول الفصل الأول السكان الأصليون المسلمون باعتبارهم من أبناء البلاد،والذين قسموا بدورهم من حيث نمط إقامتهم بالمدينة إلى دائمين البلدية ،ومؤقتين البرانية .

أما الفصل الثاني فخصص للحديث عن السكان المسلمين الوافدين على المدينة من عدوتي بلاد الأندلس وبلاد المغرب الأدنى، والأقصى، وبلاد السودان الغربي .

في حين تضمن الفصل الثالث الحديث عن السكان المسلمين الوافدين على المدينة من آسيا الصغرى ،والمشرق وأوروبا والمولدين "الكراغلة" .

أما الفصل الرابع فخصص لأهل الذمة من اليهود في حين تم الحديث عن أهل الذمة من المسيحيين في الفصل الخامس.

و نشير هنا إلى أن تصنيف سكان مدينة الجزائر، وتقسيمهم في الفترة موضوع البحث يطرح على الدارسين والباحثين إشكالا نظرا لإمكانية إخضاعه لتقسيم وفق أسس ومعايير مختلفة كالعرق، وهو أساس حرصت الدراسات الغربية وبخاصة الفرنسية منها على إبرازه بهدف تطبيق سياسة فرق تسد لتحقيق أهداف الاحتلال الفرنسي ،وكذا لنفي وجود وحدة وانسجام في أوساط المجتمع الجزائري عامة في ظل الحكم العثماني و الحرص على تصوير المجتمع الجزائري على أنه مزيج من العناصر السكانية المتعددة الأعراق التي تسودها الصرعات ،والنزعات المستمرة ولا قواسم مشتركة بينها و إلى جانب العرق نجد أسس أخرى لتصنيف سكان مدينة الجزائر كالدين ،واللغة، ونمط الإقامة دائمة أو مؤقتة .....الخ، و نحن نعتقد أن التقسيم الأنسب؛ والذي يحافظ على مظهر الوحدة في مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني رغم تنوع تركيبته السكانية هو تقسيمه إلى مجموعتين المجموعة الأولى" سكان المدينة المسلمون و"المجموعة الثانية" أهل الذمة من يهود ومسيحيين"، و تتضمن كل مجموعة منهما تقسيمات

فرعية ؛وتم الحديث عن موارد الرزق، والأنشطة الاقتصادية الممارسة من طرف كل مجموعة سكانية متفرعة عن المجموعتين الرئيسيتين ، ومميزاتها، وتأثيرها في مختلف مناحي الحياة اليومية مع محاولة إبراز علاقاتها مع بقية الجماعات السكانية، ومع الحكم العثماني و في آخر فصل من هذا الباب تم تناول النمو والمستوى الصحي لسكان مدينة الجزائر .

الفصل الأول: مدينة الجزائر جغرافيا و تاريخيا

1- الموقع الجغرافي

2- نبذة تاريخية عن ماضي مدينة الجزائر

أ-مدينة الجزائر قبل العهد العثماني

ب-مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول: مدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا

1- موقع مدينة الجزائر:

تقع مدينة الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة بحرية بنيت على سفح بل مطل على البحر في موقع محصن طبيعيا على خط عرض46 ,37 ° شمالا[1]،وخط طول3,3 ° إلى الشرق من خط غرنيتش وتستند مدينة الجزائر في موقعها على الكتلة الجبلية الساحلية حيث تقع في الحجر الشرقي لجبل بوزريعة المشرف على البحر الأبيض المتوسط الذي شكل الحامي الطبيعي، والسور المنيع الذي وقى مدينة الجزائر من الجهات الغربية [2].

وجمعت مدينة الجزائر بالتالي بين البر، والبحر، والسهل، والجبل كما أشار إلى ذلك كل من كتبوا عنها من مؤرخين وجغرافيين من أمثال العبدري في كتابه الرحلة المغربية ؛حيث قال: "...و هي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر، ويقف على جمالها خاطر الخاطر قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل و الوعر..."[3].

فهي تتصل بسهل خصب للغاية وهو سهل متيجة الذي يقع إلى الجنوب من المدينة فهو ظهيرها الخصب الذي كانت تعتمد عليه اعتمادا كبيرا حيث كان يعد مصدرا للثروة الزراعية والحيوانية،و يربطها بالداخل عن طريق معابر طبيعية و تتمتع مدينة الجزائر بمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل المناسب للنشاط البشري[4].

فالموقع الجغرافي المذكور لمدينة الجزائر، ومناخها المعتدل قد ساعد على قيامها منذ أقدم العصور[5]، ونموها ،وبروزها في العهد العثماني الذي أصبحت فيه عاصمة للبلاد ،واحتلت بذلك مكانا حيويا من الناحية السياسية ،والادارية، والاقتصادية في بلاد الجزائر؛بل وفي بلاد

---

[1] Notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger Résumé des meilleurs documents anciens et récents sur ce pays. Paris, 1830, p.12

[2] عبد القادر حليمي،" مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830"، الطبعة الأولى ،المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي الجزائر1972 صص.33-35

[3] محمد العبدري البلنسي،الرحلة المغربية تقديم أد سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ،الجزائر 1428هـ/ 2007 م ،ص.49

[4] عبد القادر حليمي ،مرجع سابق، ص.35

[5] وزارة الإعلام والثقافة بمشاركة سيد احمد بغلي، الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974 ،ص.

المغرب الإسلامي بمجمله، و الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[1].

2-نبذة تاريخية عن ماضي مدينة الجزائر:

أ-مدينة الجزائر قبل العهد العثماني:

يعتبر بعض المؤرخين نشأة مدينة الجزائر إحدى الغرائب في حوليات حضارات البحر الأبيض المتوسط[2] وقد يكون مرد ذلك أن المعلومات التي تتعلق بنشأة المدينة ،وماضيها قبل القرن16م(10هـ)قليلة إلى حد الآن، ،وفيما يلي محاولة لإعطاء نبذة جد مختصرة عن ذلك الماضي منذ القدم إلى غاية الفترة التي هي محور هذه الدراسة أي مدينة الجزائر خلال القرنين16م(10هـ)-17م(11هـ).

لا تزال الأصول الأولى لمدينة الجزائر محل بحث من طرف علماء الآثار والمؤرخين [3]، لكن المرجح لحد الآن ،وبناء على المخلفات الأثرية المكتشفة فيها ،وتحديدا في حي البحرية سنة 1940، ولاسيما القطع النقدية ذات الأصول الفينيقية والتي تحمل رموزا بونيقية ،وعددها حوالي 158 قطعة نقدية منها 154 قطعة من الرصاص و 4 من البرونز تأسيس الفنيقيين محطة تجارية في القرن6ق.م في هذا المكان أطلقوا عليها اسم **إكوسيم** وهو الاسم الذي اكتشف من خلال شرح الكتابة المشكلة من 5 رموز التي وردت على القطع النقدية المكتشفة [4] و هي مشكلة من كلمتين الأولى لا خلاف فيها وهي تعني جزيرة أما الكلمة الثانية فوقع خلاف

---

[1] رابح بونار،" مدينة الجزائر: "تاريخها وحياتها الثقافية"، **في مجلة الأصالة**، العدد8 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ،السنة الثانية ربيع الثاني-جمادى الأولى 1392هـ ماي- جوان 1972ص.77 وأنظر عبد القادر حليمي ،مرجع سابق،صص.33-34

[2] وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر ترجمة زبادية عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،ص.7

[3] علما أن المعطيات التاريخية حول إكوسيم البونيقية ،و إكوزيوم الرومانية مصدرها الأساسي بشكل يكاد يكون شبه تام المكتشفات الأثرية أي المصادر المادية في ظل الندرة الشديدة للمصادر الكتابية أنظر:

Nacéra Benssedik, "chronique d'une cité antique ",In: **Alger lumières sur la ville**, comité Editorial Chabbi-Chemrouk Naima, Djelal-Assari Nadia, Safar Zeitoun Madani, Sidi Boumediene Rachid, réalise avec le soutien financier de la délégation de la commission européenne en Algérie, Editions Dalimen,2004,p.29

[4] Henri Jobin, Notice sur la Casbah d'Alger, Edition comite du vieil Alger, 1968, p.2 voir aussi Joseph Cantineau, Louis Leschi, "Monnaies puniques d'Alger ", In: **Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres**,85e année, Numero.4,1941,pp.263-266,référence numérique :http: //www.persee .fr/doc/crai_0065-0536_1941_num_85 _4_77434

حولها فإما أن المقصود بها الشوك ، أو البوم ،أو النوارس؛و حينها يصبح المعنى الإجمالي إما جزيرة الشوك، أو جزيرة البوم ،أو جزيرة النوارس ، و يبدو أن التسمية الأخيرة هي الأقرب إلى الصحة؛ حيث تم اعتمادها من طرف المؤرخين[1].

و بالإضافة إلى القطع النقدية المكتشفة والتي سمحت بالكشف عن أصول مدينة الجزائر الفينيقية- البونقية تم اكتشاف أخر زود علماء الآثار ،والمؤرخين ببعض المعلومات التكميلية عن الحياة في مدينة إكوسيم ،وعلاقاتها الخارجية ويتمثل هذا الاكتشاف في بئر في حي البحرية سنة 1952م عمقها يقدر ب19.75 مترا، ولم تصل عملية التنقيب إلى هذا العمق بل توقفت العملية عند 14.50 مترا من السطح علما أن أهمية اكتشاف هذه البئر تكمن في ما استخرج منها من أدوات فخارية وبقايا أواني فخارية مفتتة إلى عدة أجزاء تجمعت على شكل طبقات متتالية ،وتقدم هذه الفخاريات معلومات عن الحياة في إكوسيم الفينيقية البونقية ،وعن إكوزيوم الرومانية ،وعن علاقتها التجارية مع جنوب إيطاليا وإسبانيا وبلاد الغال ،وعن الحياة اليومية فيها وعن حياة الأجيال التي توالت ما بين القرن 3 قبل الميلاد والقرن 4 أو 5 ميلادي[2].

و كان تأسيسها بعد فترة من تأسيس قرطاجة [3]فقد كان تأسيسها يندرج ضمن استراتيجية هذه الأخيرة لمد نفوذها على طول السواحل الغربية للمتوسط ؛حيث كانت تعمد في سبيل ذلك إلى إنشاء محطات تجارية في كل المناطق الصالحة والآمنة لرسوا سفنها وللتزود بالمئونة والقيام بالمقايضات ،والمبادلات التجارية على طول الساحل المذكور آنفا من قرطاجة حتى مصبب وادي ملوية وسواحل المغرب الأقصى علما أنه كان يتم مراعاة مسافة معينة بين محطة وأخري حيث كانت هذه المسافة؛ التي تتراوح ما بين 25 ،و45 كلم منتظمة بما يكفي للسماح للسفن بالإبحار من محطة إلى أخري خلال يوم واحد من الملاحة[4].

---

[1] Ibid.,pp.266-268 voir aussi Marcel Le Glay, A la recherche d'Icosium, In: **Antiquités Africaines**, tome 2,1968, référence numérique: http://www.persee.fr/doc/antaf_0066-4871_1968_num_2_1_888, pp.13-14

[2] Camps(G.),Leglay (M.),Golvin(L.),Mantran(R.)Et Boyer(P),Alger ",In :**Encyclopédie berbère**, volume 4 Alger – Amzwar, ouvrage publié avec le concoures et sur la recommandation du conseil international de philosophie et des sciences humaines (UNESCO), publié par Edisud, Aix-en-Provence, France 1986, pp.453-454

[3] أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1989، ص.6

[4] Federico Cresti , "Notes sur l'histoire urbaine d'Alger dans la période précoloniale des origines au XVI e siècle" In :**Cahiers d'histoire critique de l'Architecture de l'école=**

و قد اختيرت للموقع الاستراتيجي الذي تربعت عليه، إذ كانت تمتلك ميناء طبيعيا صغيرا، و صالحا لإرساء السفن، تشكله أربع جزر صغيرة تبعد قليلا عن اليابسة، وإلى جانب ذلك كانت تقدم ميزة أخرى وهي أنها كانت تشكل موقعا يسهل حمايته فضلا عن خليجها المعرض للرياح الشمالية الغربية المساعدة على الملاحة ، وفي ومواجهة هذا الميناء الطبيعي على اليابسة وعلى بعد 250 متر أقيمت المحطة –المدينة (promontoire-acropole) إكوسيم حيث كان من السهل اللجوء إليها من الميناء للاحتماء بها[1].

و قد كانت مواد البناء متوفرة في جبل بوزريعة حيث الحجر الجيري–الكلسي–وكذا في ضواحي إكوسيم ؛ حيث كانت توجد التربة الصالحة لصنع الآجر، والماء بدوره كان متوفرا مما سمح بتطور هذه المحطة إلى مدينة ساحلية بسهولة [2].

و يمكن أن نستخلص أن هذه الميزة المتمثلة في توفر المواد الأولية للازمة للبناء في محيط مدينة الجزائر منذ القدم كان من العوامل الهامة التي ساهمت بشكل فعال في الحركة العمرانية التي ستشهدها المدينة في المراحل اللاحقة وفي العهد العثماني على وجه الخصوص.

و بعد سقوط قرطاجة، وتحطيم الرومان لها في القرن الثاني قبل الميلاد وبالضبط سنة 146 **ق.م** أصبحت مدينة إكوسيم تابعة لمملكة نوميديا، ثم موريطانيا التي كانت تشمل الجزء الغربي من إفريقيا الشمالية[3].

وفي القرن الأول **ميلادي** تحولت إلى مستعمرة رومانية بعد أن قتل سنة أربعين للميلاد آخر ملوك موريطانيا، وهو بطليموس(ptolémée)ابن يوبا الثاني (Juba II)،و كليوباترا سليني (cléopatre Séléné) على يد الإمبراطور الروماني كاليغولا (Caligula)[4] وحملت خلال هذه الفترة اسم **إكوسيوم– إكوزيوم** حسبما تقضيه اللهجة اللاتينية[5].

=**polytechnique d'Architecture et d'urbanisme d'Alger**, Numéro 2, Alger, mai1980 p.7 voir aussi Camps(G), Leglay (M), Golvin(L). Mantran(R.)et Boyer(P.) ,Op.cit., pp.450-451

[1] Camps (G), Leglay (M), Golding (L), Mantrand (R.)et Boyer(P),Op.cit.,p.451

[2] وزارة الإعلام والثقافة، المرجع سابق، ص.14 أنظر أيضا Nacéra Benssedik, Op.cit.,p.29

[3] Federico Cresti, Notes sur l'histoire …., p.9

[4] وزارة الإعلام والثقافة، المرجع سابق، ص.15

[5] مبارك بن محمد لميلي،" تاريخ الجزائر في القديم والحديث"،في 3 أجزاء ،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964،الجزء3، ص.41

وكانت خلال مدة الاحتلال الروماني قليلة الأهمية[1] ؛فالتاريخ الروماني لا يقدم عن مدينة الجزائر إلا معلومات نادرة جدا ومن بينها المعلومات التي أوردها أحد المؤرخين القلائل الذين تحدثوا عن مدينة إكزيوم وهو المؤرخ بلين(Pline) الذي ذكر أن الإمبراطور فيسباسين (Vespasien) منح الحق اللاتيني لمدينة إكزيوم كما اشتملت هذه المدينة خلال المرحلة المسيحية من الحكم الروماني على رجال دين، ورهبان، وقسيسين ولكن لا يمكن أن نعتبر ذلك دليلا على أهميتها حينها لأنه حتى القرى ذات الأهمية القليلة جدا في تلك الفترة القديمة حظيت بهذا الامتياز [2].

وقد استطاع ثائر من الأهالي اسمه **فيرموس**(firmus) في حوالي سنة 341م من اقتحام أسوار المدينة خلال حربه التي شنها ضد روما، ولكن سرعان ما انهزم ،وعادت المدينة إلى الاحتلال الروماني[3] ثم تعرضت المدينة إلى هجمات الوندال ابتداء من سنة 428م ،وتخريبهم لها لغيرها من المدن[4].

ونفتقر إلى معلومات تاريخية عن إكوزيوم خلال فترة الاحتلال الوندالي، ولا نملك تفاصيل عن انحطاطها واختفائها عن مسرح الأحداث حينها ؛حيث أن المصادر التاريخية شحيحة فيما يتعلق بالمعطيات التاريخية المتصلة بهذه المرحلة ،والشيء الوحيد الأكيد هو أن المدينة عانت من الإهمال ،وظلت أطلالا قرابة القرنين ونصف القرن من الزمن أي منذ نهاية القرن1هـ/ 7 م تاريخ أول الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي إلى غاية القرن4هـ/ 10م ، حيث لا نجد أثرا في النصوص التاريخية العربية المدونة في إطار "فن الفتوح" لمدينة إكوزيوم الرومانية، حيث لا تحدثنا هذه النصوص عن دور مدن الساحل في الفترة البيزنطية خصوصا جيجل ،وصلداي-بجاية- وشرشال[5].

وقد يستخلص مما سبق أنه كان للتدخل الوندالي دور حاسم في توقيف المسار التاريخي لهذه المدن وقد يكون تفسير غياب الإشارة إلى إكوزيوم و غيرها من المدن الساحلية وخاصة فيما

[1] أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.206

[2] Berbrugger (A), Notice sur les Antiquités Romaine D'Alger, avec Dessins de M.Buquet, de L'Imprimerie de A .Bourget, Alger, 1845, p.15

[3] وزارة الإعلام والثقافة، مرجع سابق، ص.16

[4] Hocine Mezali, Alger Trente- Deux Siècles d'histoire, Entreprise Nationale d'ART graphique (ENAG), Alger, 200 p.4 voir aussi Berbrugger (A), Notice sur…, p.15

[5] Sakina Missoum, Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003, p.19 voir aussi Federico Cresti, Notes sur l'histoire …, p.1

يتعلق بالمصادر الإسلامية المعاصرة لحركة الفتوحات الإسلامية انطلاقا من أقدمها التي وصلتنا وهي النصوص التي تعود إلى القرن الثالث الهجري خصوصا كتاب ابن عبد الحكم تحت عنوان "فتوح مصر والمغرب" هو الاستراتيجية التي اتبعها الفاتحون المسلمون ؛حيث تركزت الحملات العسكرية الإسلامية على مدن الداخل البعيدة عن الساحل وتفسير ذلك هو الافتقار لثقافة بحرية تمكنهم من مواجهة السفن البيزنطية وفي نفس الوقت التوجه نحو المناطق المفتوحة طبوغرافيا، ما يسهل من مهمة الجيوش في التوغل بعيدا عن كمائن الجبال[1].

وهذه الاستراتيجية المتبعة في الفتح أدت في النهاية إلى خلق مجال حيوي داخلي، ينطلق من أول قاعدة داخلية مستحدثة وهي القيروان ،ويسيطر على المناطق الداخلية الزراعية والرعوية ليصل في النهاية إلى مدينة فاس المستحدثة في نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي مما كان له الدور الفعال في نشر الإسلام سريعا في أوساط التجمعات القبلية المتواجدة بالمنطقة وفي نفس الوقت إعطاء دور جديد للمدن القديمة الواقعة فيه، بالإضافة إلى تأسيس مدن جديدة كتاهرت، وحمزة ثم بعد ذلك أشير، وبالتالي كان التركيز في إطار الفتح الإسلامي على المناطق الداخلية دون المناطق الساحلية مما جعل المناطق الأولى تشهد استعادة حيويتها في حين شهدت المناطق الثانية، و مدن ساحل المغرب الأوسط على وجه الخصوص التهميش بالإضافة إلى غياب ثقافة بحرية تجارية لدى القبائل العربية الوافدة ،ولدى التجمعات القبلية البربرية[2].

و من جراء ما سبق ذكره استمرت المدن الساحلية في تراجعها العمراني وفي فقدانها لدورها العسكري ،والاقتصادي لفائدة مدن الداخل المرتبطة خصوصا بالإنتاج الفلاحي وبتجارة الذهب والرقيق علما أنه لا توجد معطيات خبرية تاريخية وافية لتصوير حجم الخراب الذي أصاب هذه المدن في القرنين الأول والثاني الهجريين (7-8 م) بعد شبه انعدام للحضور

---

[1] زينب موساوي وعلاوة عمارة، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، في مجلة إنسانيات، العدد 44-45 تحت عنوان مدينة الجزائر متروبول في تحوّل/2009،ص.28

Référence électronique : زينب موساوي et علاوة عمارة, « مدينة الجزائر في العصر الوسيط », Insaniyat / إنسانيات *[En ligne], 44-45 | 2009, mis en ligne le 11 juin 2012, consulté le 27 août 2013. URL : http://insaniyat.revues.org/2110*

[2] نفسه،ص.28

العسكري والثقافي لسلطة الخلافة في المناطق الساحلية للمغرب الأوسط[1].

وعادت مدينة إكزيوم للواجهة التاريخية ،و ولدت من جديد من أطلالها تحت تسمية جديدة وهي جزائر بني مزغنة في القرن 4 هـ (10 م)[2] من خلال ما ورد في نصوص بعض الجغرافيين والمؤرخين وفي مقدمتهم الجغرافي ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض ؛حيث ذكر عنها عندما زارها [3]ما بين سنتي 947 م و948 م ما يلي :

"وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها، ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال، ولهم من العسل ما يجهز عنهم ،والسمن والتين ما يجهز ويجلب إلى القيروان وغيرها. ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجئوا إليها فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه"[4].

و يمكن أن نستخلص من النص السابق أن مدينة الجزائر استمرت في تأدية دورها التجاري ومن ثم استقرار بني مزغنة كتشكيلة قبلية بالمدينة الرومانية أو الأصح على أنقاضها السابقة لتسويق المنتجات الفلاحية القادمة من باديتها ،ويبدو أن المقصود بالبادية هو سهل متيجة وعليه استمرار الحياة البشرية في مدينة إكوزيوم بالرغم من القطيعة الواضحة مع ماضيها

---

[1] المرجع نفسه

[2] وقبل هذا التاريخ خضعت مدينة الجزائر لحكم العلويين الذين أقاموا إمارة لهم ويبدو أن هؤلاء استمروا حاكمين لها منذ القرن 3هـ/9م إلى غاية القرن 4هـ/10م وحسب ما ذكره الأستاذ الباحث حساني مختار فالمصادر التاريخية المتوفرة لم تذكر تعرضها لحمالات عسكرية من طرف الجيوش الفاطمية ،ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنها لم تكن ضمن مضارب قبائل زناتة التي عارضت الدولة الفاطمية بل كانت ضمن مضارب صنهاجة التي وقفت في البداية على الحياد ثم أيدت الفاطميين خلال ثورة صاحب الحمار.أنظر:حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،في أجزاء، دارالحكمة الجزائر ،2007 الجزء الأول "مدن الوسط"،صص.50 -51

[3] ولقد زار ابن حوقل المنطقة مرتين على الأقل الأولى في منتصف القرن الرابع الهجري والثانية في نهاية عهد الإمامة الشيعية الفاطمية؛ و لكن تأليف الرحلة كان مباشرة بعد تولية بلكين بن زيري ولاية بلاد المغرب لفائدة الإمامة الشيعية بالقاهرة و انتهى منه سنة 988 م. أنظر زينب موساوي وعلاوة عمارة، مرجع سابق،ص.30 وأنظر كذلك:

Federico Cresti, Notes sur l'histoire …, p.19

[4] أبي القاسم بن حوقل النصيبي ، كتاب صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،لبنان ،1992 ،صص.77 – 78

الروماني على الأقل من خلال اعتناق سكانها للإسلام[1].

و من خلال نص ابن حوقل نستدل على فكرة وجود مدينة القبيلة، وإن الأصح قرية القبيلة قبل مدينة الإمارة الصنهاجية التي تأسست علي يد بلكين بن زيري كما سيأتي ذكره وهذا ما نستدل عليه من الكتابات التاريخية التي جاءت في مرحلة لاحقة؛ حيث يشير أبو رأس الناصري إلى أن بلكين بن زيري وبناء على أوامر والده قام في أواسط القرن 4 هـ(10 م) ببناء مدينة الجزائر،و أن هذه المدينة لم تكن فيما سبق إلا تجمعا لأكواخ مسكونة من طرف أفراد من قبيلة بني مزغنة[2].وبالتالي تكون أسباب اختيار بلكين بن زيري لهذا الموقع لبناء مدينة متمثلة في وفرة المواد الأولية المتنوعة الضرورية للبناء ،و تواجد نواة لتجمع سكاني متمثلة في قبيلة بني مزغنة، و وفرة المياه أيضا[3].

و يعود تاريخ بناء المدينة على يد الأمير الصنهاجي بلكين بن زيري بن مناد إلى حوالي منتصف القرن 10م أي سنة 950 م الموافق لأواسط القرن 4 هـ بأمر من والده عاهل صنهاجة فقام ببناء مدينة على أنقاض **إكوزيوم** أطلق عليها اسم جزائر بني مزغنة نسبة إلى القبيلة البربرية التي كانت تنزل بجوارها ،وعلى أنقاضها،وهي قبيلة بني مزغنة[4] ،ونسبة إلى الجزر الصغيرة المواجهة لها، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله:" ثم اختط ابنه بلكين بأمره [زيري بن مناد] وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر...» [5].

---

[1] زينب موساوي وعلاوة عمارة،مرجع سابق ،ص.30 أنظر أيضا:

Camps (G.), Leglay (M.), Golvin (L). Mantran(R.)et Boyer(P.),op.cit.,p.460
Voir aussi Federico Cresti, Notes sur l'histoire …, p.20-21

[2] ARNAUD, Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abou Ras Ben Ahmed Ben Abd EL-Kader En-Nasri, Histoire de L'Afrique septentrionale In: **Revue Africaine** , Tome 23 Année 1879, A. Jourdan, Libraire-Éditeur,Alger,p.451

(**ملاحظة**: سترد المجلة الإفريقية في بقية الهوامش مختصرة بالشكل الآتي **Revue Africaine = R.A.**)

[3] Devoulx (Albert), EL Djazair, histoire d'une cité d'icosiume à Alger, Édition critique Présentée par Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouch, Entreprise Nationale d'ART graphique (ENAG) Editions Alger, 2003, p.35 voir aussi Federico Cresti, Notes sur l'histoire …, p.16

[4] عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1989 ، ،ص.225 وأنظر كذلك :أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص.206

[5] عبد الرحمن ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،القسم الأول ،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار=

وبدأت مدينة الجزائر تشتهر منذ ذلك العهد؛ حيث عمل بلكين بن زيري على تجميلها ببناء عدة مبان ذات هندسة جميلة، فاتسعت رقعتها ،وتوسعت نحو الجبل، وأعيد لمينائها قيمته البحرية فازدادت بذلك علاقة المدينة بالبر، والبحر[1] ،وهكذا أصبح لمدينة الجزائر بعد إعادة بنائها نوع من الأهمية مع أن الغموض يكتنف تاريخ مدينة الجزائر بعد إقدام بلكين على إلحاقها بالفضاء السياسي لإمارته القبلية، بل إن حضور عامل خاص بها لم تؤكده النصوص التاريخية التي اكتفت بالقول: "بخروج القائد يوسف بن أبي محمد عاملا على متيجة عام 385هـ/995م"[2].

وقد وصفها البكري بعد وصف ابن حوقل لها وبالضبط عام 460 هـ/1068م بقوله :

"ومنها إلى مدينة جزائر بني مزغنى وهي مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار للأول، و أزاج محكمة تدل أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء، فيها صور الحيوان بأحكم العمل وأبدع صناعة، لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون، ولها أسواق ومسجد جامع، وكانت بمدينة مزغنى كنيسة عظيمة، بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب، وهي اليوم قبلة الشريعة للعيدين مفصص كثير النقوش والصور ومرساها مأمون، له عين عذبة، يقصد إليه أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما"[3].

ومن خلال نص البكرى نستشف التواصل والاستمرارية التاريخية التي شاهدتها مدينة الجزائر بين تاريخها القديم والوسيط من خلال تعايش آثار إكوسيم وإكزيوم مع معالم جزائر بني مزغنة ، وكذا حيوية ودور ميناءها.

=طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ ومخطوطات ومذيلة بحواشي وشروح وتمتاز بفهارس للموضوعات والأعلام والأماكن الجغرافية، ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1431 هـ-2000 م ، الجزء السادس ص.204

[1] عبد القادر حليمي، مرجع سابق، صص.207 -208

[2] زينب موساوي وعلاوة عمارة،المرجع السابق،ص.33

[3] أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك ،حققه وقدم له أدريان فان ليوفن و أندري قيري، ترجمة سعد غراب ،في جزأين الدار العربية للكتاب ،المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ،بيت الحكمة، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان،1992،الجزء الثاني، ص. 732

وقد شهدت المدينة بعد إعادة بنائها العديد من الأحداث، والتطورات التي عرفها المغرب الأوسط[1] ؛فقد خضعت لحكم عدة دول ؛فكانت في البداية تابعة لمملكة بني زيري ثم لإمارة بني حماد من 405هـ - 1014م إلى 457هـ.1065 م التي استقلت بالجهة الغربية لمملكة بني زيري[2]؛ ففي الفترة الحمادية، وبالضبط عام 408هـ/1017م بدأت مكانة مدينة الجزائر التي تخلصت من الشق الثاني من اسمها "بني مزغنة" تتضح بعدما منحت في إطار الاتفاق بين أعضاء الأسرة الزيرية الصنهاجية، إلى حماد بن بلكين ، ولكن بعد هذا التاريخ لا تتوفر لدينا معلومات حول إدارة المدينة وناحيتها بما في ذلك سهول متيجة خلال فترات حكم الأمراء الحماديين الثلاثة الأوائل، ومع استيلاء الناصر بن علناس على عرش الإمارة الحمادية، وتأسيسه لبجاية الناصرية كعاصمة جديدة لدولته ، أعاد تنظيم ممتلكاته إداريا ،وجمع مدينة الجزائر مع مرسى الدجاج ،و متيجة في مقاطعة إدارية واحدة أسندها لابنه عبد الله ثم تداول عليها عدد من أعضاء الأسرة الحاكمة[3].

ثم دخلت جزائر بني مزغنة إلى حظيرة الدولة المرابطية حوالي عام 490هـ/1096م فقد ذكر ابن أبي زرع في هذا الشأن مايلي :

".....وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزاير {كذا}بنى مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان .....[4] و اعتبرت مدينة الجزائر أقصى منطقة امتد إليها النفوذ المرابطي في بلاد المغرب الأوسط[5]. و أصبحت في ظل هذا الحكم تحظي بنوع من الأهمية بفضل مينائها الطبيعي،و لأنها كانت تحرس الحدود الشرقية

---

[1] يفر، الجزائر في دراسات وأبحاث: تاريخ المدن الثلاث: الجزائر- المدية- مليانة بمناسبة عيدها الألفي، إعداد ودراسة وتمهيد وتعليق عبد الرحمان جيلالي، الطبعة الثانية ،دون ذكر دار نشر، الجزائر، 1972م، ص.110 أنظر أيضا :

Federico Cresti, Notes sur l'histoire …,p.26

[2] رابح بونار، المرجع السابق، ص.80

[3] زينب موساوي وعلاوة عمارة، المرجع السابق،ص34

[4] أبي الحسن علي بن عبد الله ابن زرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس قد عنى بتصحيحه وطبعه ،وترجمته العبد الضعيف المفتقر إلى رحمة ربه مدرس العربية في المدرسة الاوبسالية كارل يوحنا نورنبرغ،طبع بمدينة اوبسالة بدار الطباعة المدرسية ،سنة 1833 ،صص.87 -88

[5] Camps(G), Leglay (M.), Golvin(L.), Mantran(R.)et Boyer(P.), Op.cit., p.461

للدولة المرابطية[1].

وقد أسس يوسف بن تاشفين في نهاية القرن 5هـ(11م) الجامع الكبير الذي لا تجد له شبيها بالجزائر إلا في تلمسان ،و ندرومة إذ يعتبر تحفة فنية في الفن المعماري؛ و لكن الوجود المرابطي لم يطل طويلا بعد استرجاع الحماديين للمدينة قبل نهاية القرن 5هـ/11م، حيث منحت كمقاطعة إدارية واسعة لعبد العزيز ابن الأمير الحمادي المنصور بن الناصر ثم تولاها بعد ذلك القائد بن عبد العزيز[2].

إن هذا الاستقرار ،والهدوء النسبي الذي عرفته مدينة الجزائر طوال الفترة الحمادية جعل منها منطقة جذب لأمراء الحرب الأندلسيين–الذين عرفوا بملوك الطوائف – الفارين من السلطة المرابطية[3] ؛ومن بين الذين لجؤا إليها نجد خصوصا عائلة بني صمادح بالمرية ؛حيث أوصى أحد أمرائها وهو المعتصم بن صمادح أولاده بالفرار إليها بمجرد دخول الجيوش المرابطية إلى الأندلس وأوصى ولده وولي عهده معز الدولة أن يتمسك بقصبة المرية ما أقام ابن عباد متمسكا بإشبيلية فإذا أفضى أمره إلى خلعه، فليعبر البحر بأهله وولده إلى الجزائر[4]، جزائر بني مزغنة، كما أنه راسل صاحب الجزائر ووجه إليه أحمد بن عبد العزيز بن عيشون من أهل بلده، فوصل إلى المنصور بن الناصر بن علناس وهو يومئذ بالقلعة، يخطب إلى جواره ويتحول إليه، فتلقاه بالرحب والسعة وخيره في أقطار بلاده[5].

وبالفعل، فقد فر معز الدولة من قبضة الجيش المرابطي ونزل بمدينة الجزائر كما فعل أمير حرب أندلسي آخر، وهو أبو عمر حكم بن سعيد بن حكم الأموي– حاكم جزيرة منورقة في شرقي الأندلس قرب جزيرة ميورقة –الذي قصد تونس، لكن رياح البحر حملت مركبه إلى مدينة الجزائر:" ....وركب البحر هو وبنوه ذكورهم وإناثهم وحاشيتهم قاصدا تونس وقد بذر بها والده

[1] حساني مختار، المرجع السابق،الجزء الأول،ص.52

[2] زينب موساوي وعلاوة عمارة المرجع السابق،ص.35

[3] المرجع نفسه

[4] لسان الدين ابن الخطيب(أبي عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي)،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، في جزأين، تحقيق سيد كسروي حسن ،الطبعة الأولى ،منشورات علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان 1424 هـ-2002 م، الجزء الثاني ص.185

[5] المصدر نفسه،ص.185

ذماما وأثل له حظوة {أي كان له فيها من يساعده ويعينه على أمره}فعدا عليهم البحر بأهواز الجزائر بني مزغنة ....."[1].

كما لجأ إلى هذه الأخيرة صاحب المهدية الأمير الباديسي الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن باديس عام 543هـ/1148م بعدما سقطت ممتلكاته في يد النورمان الصقليين:"ولم تطل مدته حتى تغلب الروم على المهدية وخرج منها متوجها إلى ابن عمه يحي ببجاية فأنف يحي أن يقوم له إذا دخل عليه أو يترك القيام ولا يجمل ذلك فأمر بإجازته إلى الجزائر وإقامته بها والتوسعة عليه فيها ..."[2].

و بعد أن خرج عنها القائد ابن العزيز إلى بجاية وأسلمها قدم أهلها على أنفسهم الحسن بن علي المذكور؛ أي قاموا بتوليته عليهم واستمر حكمه الذي تميز فيه بكونه حاكما حسن السيرة ذا قريحة وفطرة سليمة ،وإدراك لطيف إلى أن برز الموحدون في المنطقة[3].

و بالتالي تحولت مدينة الجزائر في ظل الحكم الحمادي إلى ملجئ آمن للاجئين السياسيين و الفارين والناجين من الصراعات السياسية سواء كانت تلك الصراعات فيما بين المسلمين أو بينهم وبين المسيحيين وهذا الدور كملجأ ستستمر مدينة الجزائر في أدائه أيضا في ظل الحكم العثماني ولاسيما اتجاه من عانوا من الاضطهاد الديني في أوروبا وبخاصة من أهل الأندلس المسلمين وأهل الذمة من اليهود كما سنتطرق إليه لاحقا.

ولقد اكتسبت مدينة الجزائر مكانة مهمة على الساحة المغربية بسبب استقرار الأوضاع الأمنية بها ووقوعها على محورين تجاريين هامين هما الطريق البحري الرابط بين المرية و الإسكندرية والطريق البري الساحلي الرابط بين بلاد المغرب الأقصى والمشرق وساهمت الهجرة الهلالية أيضا في تحويل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية نحو الساحل ما كان له دورًا كبيرًا في ازدهار المدينة خصوصا وأن المدن الإيطالية نجحت في إقامة قواعد تجارية في معظم المدن البحرية المغربية بداية من منتصف القرن 6هـ/12م[4].

[1] المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص.245

[2] المصدر نفسه، ص.328

[3] المصدر نفسه ،ص.328

[4] زينب موساوي وعلاوة عمارة مرجع سابق،ص.36

و قد خصها الإدريسي في منتصف القرن 6هـ/12م بقوله-وتجدر الإشارة إلى أن الإدريسي على غرار البكري لم يشاهدها بنفسه ،و ذلك على عكس ابن حوقل التي وصفها بناء على ملاحظاته الشخصية كما مر بنا:" *مدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة، ومن آبار وهي عامرة أهلة وتجارتها مربحة و أسواقها قائمة و صناعتها نافقة ولها بادية كبيرة، وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتهم الحنطة، والشعير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر، والغنم، ويتخذون النحل كثيرا، فلذلك العسل، والسمن في بلدهم بما في سائر البلاد، والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم، وأهلها قبائل، ولهم حرمة مانعة*"[1].

ومن خلال وصف الإدريسي لمدينة الجزائر تظهر مكانتها في زمن اشتدت فيه الغارات المسيحية على سواحل بلاد المغرب الإسلامي، حيث كان للمدينة واجهتها البحرية مما سمح لها بإقامة علاقات مختلفة مع موانئ الأندلس كما كان لديها شبكتها البرية الاستراتيجية لوقوعها خصوصا على الطريق الساحلي الذي يربطها بالمدن البحرية والمرافئ بغرب ،وشرق المغرب كما نستخلص أيضا أنها كانت تتمتع بإنتاج فلاحي كبير خلال هذه المرحلة بفضل سهول متيجة التي كانت تشرف عليها و المعروفة بمنتجاتها الزراعية ،والحيوانية خصوصا البقر ،والغنم ،وتربية النحل، وهذا ما تشهد عليه النوازل الفقهية في القرنيين المواليين ؛أي نسجل من خلال ما ذكره الإدريسي ارتباط المدينة بريفها –باديتها –والتي كانت على علاقة بالحاضرة التي اشتهرت بحرفها وأسواقها ما جعلها بداية من الفترة الموحدية أحد الموانئ التي كان يتردد عليها التجار الأوروبيين[2].

ثم دخلت،أو انضوت المدينة تحت لواء الدولة الموحدية سنة 546هـ(1115م) في عهد عبد المؤمن بن علي ،وواصلت تطورها، إذ نعمت بالرفاهية، والازدهار الاقتصادي وتوسعت ضواحيها، وكثر عمرانها[3]؛لكن سرعان ما تعرضت مدينة جزائر بني مزغنة إلى التخريب

---

[1] Al-idrissi, Description De L'Afrique septentrionale Et Saharienne ,Texte arabe extrait du « kitab Nuzhat al-Muchtaq fi Ikhiraq al-Afaq" d'après l'Édition de Leyde (1866) par R. DOZY et J.de GOEJE , publié par Henri PERES ,La Maison Des Livres ,Alger,1957,p.64

[2] زينب موساوي وعلاوة عمارة المرجع السابق،ص.37 أنظر أيضا:

Camps(G), Leglay (M), Golvin(L), Mantran(R.) et Boyer(P.), Op.cit., p461 voir aussi Federico Cresti, Notes sur l'histoire …, p.25

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، صص.207- 208

في القرن 6هـ(12م) من جراء ثورة بني غانية- القادمين من جزيرة ميورقة الذين استهدفوا بعث حكم المرابطين من جديد ضد الحكم الموحدي- التي تسببت في تخريب المدينة المزدهرة و تدمير أكثر من ثلاثين مدينة أخري[1].كما أنهم قاموا بالاستيلاء على مقر الولاية الموحدية ببجاية ثم على سهول متيجة ومدينة الجزائر التي انتزعوها من يد العناصر الثعالبية واستمر تأثر مدينة الجزائر بالصراعات بين بنو غانية والموحدين بداية من سنة 580هـ/1185م وإلى غاية عام 600 هـ /1204م حيث تمكن الجيش الموحدي وانطلاقا من هذه المدينة من القضاء على حركات المعارضة المسلحة في المغرب الأوسط وإفريقية[2].

ومما سبق نسجل الدور الاستراتيجي الذي أدته مدينة الجزائر خلال هذه المرحلة كقاعدة سياسية وعسكرية فعالة في إطار الدولة الموحدية ولاسيما فيما يتصل بالقضاء على الحركات المعادية للموحدين ومن تم يمكن القول أنها ستواصل أداء هذا الدور الفعال بعد تحولها لعاصمة المغرب الأوسط-الجزائر- خلال العهد العثماني .

وبداية من الفترة الموحدية، وصفت عدة نصوص وردت في كتب الجغرافيين والرحالة مدينة الجزائر ونلاحظ من خلالها الاختفاء الكامل لاسم بني مزغنة الذي كان يرافق سابقا اسم مدينة الجزائر[3] ؛فقد كتب العبدري (ق7هـ/13م) في رحلته بأن الجزائر "هي مدينة تستوقف لحسنها ناظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حوت مزيتي البر والبحر، وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، ليسرح الطرف فيها حتى يمل..."[4].

ولما مالت الدولة الموحدية إلى الضعف، والتفكك أصبحت مدينة الجزائر في مد وجزر بين الدويلات التي نشأت على أنقاضها؛ أي بين الدولة الحفصية الزيانية، و المرينية تارة تخضع لهذه وتارة للأخرى، وأحيانا أخرى كانت تنجح في الاستقلال بشؤونها كما حدث سنة 664هـ /1265م التي شكل فيها سكان المدينة إمارة مستقلة صغيرة هي إمارة ملكيش؛ ولكنها عادت

[1] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.226

[2] زينب موساوي وعلاوة عمارة،المرجع السابق،ص.38

[3] المرجع نفسه

[4] محمد العبدري البلنسي ،المرجع السابق،ص.49

للخضوع إلى حكم الحفصيين عام 676هـ الموافق لـ1277م.

و استقلت مرة أخرى تحت إمرة رجل يدعى ابن علان ،وقد ذكر ابن خلدون أنه بعد وفاة ابن اكمازير الذي كان على رأس مشيخة مدينة الجزائر، والذي أقره على ولايتها الأمير أبو زكريا الأوسط الحفصي- بعد أن استقل هذا الأخير بملك الثغور الغربية من بجاية ،و قسنطينة - وزحف المرينيين على بجاية قرر محمد بن علان الذي كان من مشيخة الجزائر الاستبداد بحكم مدينة الجزائر؛ حيث ضرب أعناق من يمكنهم منافسته من نظرائه واستبد بالحكم، وأضاف ابن خلدون أن مدينة الجزائر بقيت في انتفاضها ومستقلة بنفسها[1].إلى أن تملكها بنو عبد الواد [2]؛أي أنها صارت تابعة لمملكة الزيانيين في الفترة (712هـ /1313م إلى غاية 737هـ/ 1337 م)خلال مدة حكم السلطانين أبو حموا موسى الأول وأبو تاشفين الأول هذا الأخير الذي ترك آثار عمرانية بمدينة الجزائر لاهتمامه بفن العمارة ومن نماذج ذلك بناءه لصومعة أو مئذنة الجامع المرابطي[3] المعروف بالجامع الكبير ، أو الأعظم ؛ثم أصبحت مدينة الجزائر تابعة للدولة المرينية على يد أبي الحسن المريني حيث جعلها تحت ولاية عيسى بن العسري[4].

لتعود إلى فلك الدولة الزيانية في عهد السلطانين أبي سعيد وأبي ثابث اللذان عملا على السيطرة مجددا على المدن التي كانت تابعة للدولة الزيانية قبل المد المريني عليها ومنها مدينة الجزائر فستولى عليها أبوا ثابث سنة 752 هـ/1351م وعين عليها سعيد بن موسى الكردي[5].

و في الأخير ونتيجة لضعف دولة بني زيان ظهرت إمارة الثعالبة [6]بمدينة جزائر بني مزغنة

---

[1] وحاول الحفصيين استعادتها ؛حيث أرسل والي بجاية جيشا للاستيلاء على المدينة إلا أنه فشل في السيطرة عليها وهذا يرجع إلى سببين وهما: أولا-لأن المدينة كانت شديدة التحصين لا يمكن السيطرة عليها إلا بمحاصرتها برا وبحرا ،وثانيا-تحالف القبائل العربية المجاورة للمدينة مع ابن علان الذي انفرد بالحكم فيها .أنظر: حساني مختار، المرجع السابق،ص.55

[2] ابن خلدون، المرجع السابق، الجزء6 ، صص.460-461

[3] حساني مختار، المرجع السابق، ص.56

[4] رابح بونار، المرجع السابق، ص.80 وأنظر أيضا: حساني مختار ،مرجع سابق ،ص.56

[5] المرجع نفسه

[6] لقد نزح الثعالبة وهم فرقة من عرب المعاقل كجماعات بشرية وردت من المشرق مع الهلاليين والسليمين-وكلها عناصر عربية - تدريجيا إلى المغرب الأوسط واستقروا بمنطقة التيطري التي تركتها الجماعات الصنهاجية منذ زمن بعيد بعدما أسست كيانات صبرة وقلعة بنى حماد وغرناطة حيث تمكن الثعالبة المنتسبين إلى نفس الجد حسب ادعائهم وهو ثعلب بن علي =

و متيجة[1] . وقد ظهرت هذه الإمارة بعد مقتل السلطان الزياني أبو زيان محمد[2]؛والتي استمرت إلى غاية العقد الثاني من القرن 10هـ(16م).وقد وصف ليون الإفريقي مدينة الجزائر تحت حكم الثعالبة وبداية بروز أمر العثمانيين بها بقوله:

"....وهي كبيرة جدا وتضم حوالي أربعة ألاف أسرة وأسوارها رائعة وقوية للغاية ومشيدة بالحجر الضخم فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب لكل حرفة مكانها الخاص وفيها كذلك عدد كبير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناءاتها جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر أمامه ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه ،ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر نصبت عليه طواحين ويزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى في الضواحي سهول جميلة جدا لاسيما سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثين ميلا حيث ينبت القمح الجيد بكثرة"[3].

و إذ استندنا إلى هذا الوصف يمكن القول أن مدينة الجزائر تميزت وتحلت بالعديد من الميزات التي أهلتها لتكون عاصمة للبلاد في ظل الحكم العثماني وبالتالي يمكن القول أيضا أن

=بن بكر بن صغير من الاستحواذ على سهول متيجة والوصول إلى مدينة الجزائر وتمكنت من إدارتها بعد أن شكلت فيها ما يشبه المدينة الدولة المستقلة عن الكيانات السياسية المتواجدة حينها في بلاد المغرب في نهاية الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة حيث مكنهم من ذلك تراجع المشاريع التوسعية لهذه الكيانات السياسية المتجسدة في المرينيين ،والحفصيين والزيانيين فضلا عن ضمان الثعالبة لوحدة وتماسك جماعتهم على يد عائلة سباع بن ثعلب ومن أبرز العناصر الثعالبية الشيخ والولي عبد الرحمن الثعالبي، "القطب الرباني" كما وصفته الكتابات المنقبية ،والذي لم يرتبط اسمه فقط بالقرن 9هـ/12م فقط، وإنما بالذاكرة الجماعية للمدينة في القرون الموالية،وتعاقب على إمارتها عدد من أعضاء الأسرة الحاكمة كان من أهمهم سالم التومي الذي وطد حكمهم ونشط حركة المبادلات مع القوى المسيحية خصوصا فلورنسا والبندقية ،وهي المرحلة التي تتسم بالغموض نظرا لقلة المادة الخبرية المحلية في حين نجدها أكثر أهمية في النصوص الأوروبية، الإسبانية منها على وجه الخصوص، وقد استمر حكم الثعالبة للمدينة إلى غاية بداية القرن 10 هـ/16م عندما تعرضت للغارات الإسبانية. أنظر: زينب موساوي وعلاوة عمارة المرجع السابق،ص.39 و أنظر أيضا :

Camps(G.), Leglay (M.), Golvin(L.), Mantran(R.)et Boyer(P.),Op.cit.,p.462
Fedrico Cresti , "Notes sur l'histoire urbaine…",pp.26-27

[1] يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر، في جزأين، الطبعة الأولى ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1999،الجزءالثاني" الجزائر الحديثة، ص.253

[2] عبد الحميد أبي زيان بن أشنهوا ،دخول الأتراك العثمانيين للجزائر ،مطبعة الجزائر ،1972 ،ص.71

[3] الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف باليون الإفريقي،وصف إفريقيا، في جزأين، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر،الطبعة الثانية ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان1983 ،الجزء الثاني ،ص.37

الحكام العثمانين استثمروا في هذه الميزات التي وجدت في مرحلة سابقة لقدومهم وعززوها بتطوير عمران مدينة الجزائر وجعلها إحدى أهم القواعد العسكرية الحصون الدفاعية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مما انعكس إيجابيا على دورها وواقعها الاجتماعي والاقتصادي.

ب –مدينة الجزائر خلال العهد العثماني :

كانت مدينة الجزائر حتى مطلع القرن 10 هـ(16م) خاضعة لحكم الثعالبة برئاسة شيخها سالم التومي الثعالبي[1]،ثم خضعت لعروج وخير الدين وفي عهد هذا الأخير انضوت رسميا تحت لواء الدولة العثمانية فما هي يا تري الظروف التي أدت إلى ارتباط مدينة الجزائر بالدولة العثمانية و قيام حكم العثمانيين بها ؟ يمكن تلخيص أهم هذه الظروف في ما يلي:

1 – التجزؤ، والتفكك الداخلي لمملكتي بني زيان، وبني أبي حفص[2] اللتين كانتا تتقاسمان النفوذ في بلاد المغرب الأوسط – الجزائر لاحقا–قبل أن يشتد ضعفهما نتيجة الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة في كل منهما ،والصراع الإقليمي الذي كانت تشهده هذه المملكتان وهو صراع كانت تشاركهم فيه الدولة المرينية في المغرب الأقصى ،وكان من أجل توسيع النفوذ ليشمل كل ما كان بيد الدولة الموحدية علما أن الدولة الزيانية كانت الحلقة الأضعف في ذلك الصراع الذي أدى لضعف الدويلات الثلاث ،وشجع العديد من المناطق سواء

[1] Watbled(E), établissement de la domination Turque en Algérie, In : **R.A.,** T.17, 1873, p.293

[2] حيث كان المغرب الإسلامي حينها يجتاز حالة عامة من الضعف بدأت على المستوى السياسي لتنتقل آثارها إلى بقية الميادين ويمكن أن نصف الوضع بالأزمة العامة ؛والتي يمكن تلخيص مظاهرها في العبارة الآتية "ضعف وتفكك داخلي احتلال خارجي،وانهيار وتردى للأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ،وبروز القوي الدينية –الطرق الصوفية –على الساحة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي " حول أوضاع المغرب الإسلامي عامة ،والجزائر– المعروفة حينها بالمغرب الأوسط– س خاصة قبيل قيام الحكم العثماني فيها .وللتوسع في الموضوع أنظر الدراسات التاريخية الآتية على سبيل المثال لاالحصر:

عائشة غطاس، ظهور الدولة الجزائرية الحديثة ، **في الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، رئيسة المشروع الأستاذة عائشة غطاس الأعضاء الأستاذة زكية زهرة ،الأستاذة سعدية سرقين، الأستاذة نعيمة بوحمشوش،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،طبعة خاصة وزارة المجاهدين ،الجزائر 2007 ،و يحي جلال،تاريخ المغرب الكبير ،في 4أجزاء،دار النهضة العربية ،بيروت1981 ،الجزء الثالث " العصور الحديثة وهجوم الاستعمار" ،والعروى تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت1977،وأنظر أيضا محمد العربي الزبيري ،مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1985

في إطار الدولة الحفصية، أو الزيانية ،أو المرينية على شق عصا الطاعة ،وإنشاء كيانات سياسية منفصلة صغيرة وكثيرة فاستحقت تشبيه بعض المؤرخين لها بالفسيفساء السياسية[1].

و قد أدى الضعف والعجز العسكري لدى بني زيان إلى خضوعهم للإسبان سنة 1512م ثم خضع لهم أيضا بنو حفص سنة 1535م،ومال بنو وطاس إلى مهادنتهم للبرتغاليين في عهد السلطان أحمد الوطاسي و في مذكرات خير الدين إشارة إلى مسألة مهادنة الحكام المحليين في بلاد المغرب الإسلامي للإسباني إذ وصف خير الدين سلطان تلمسان أبوحمو موسى الثالث الملك البائس الخاضع لكفار إسبانيا ؛وذكر أيضا معاناة الأهالي من ظلمه ومن ظلم الإسبان أيضا[2].

2-رغبة الإسبان في ملاحقة المسلمين الأندلسيين إلى بلاد المغرب الإسلامي، لتحقيق أهدافهم الدينية المتمثلة في القضاء على الدين الإسلامي فيه ، وجعله يدين بالمسيحية واسترجاع أمجاد الإمبراطورية الرومانية دون نسيان الأهداف الأخرى من رغبة في التوسع ونهب الثروات وإحكام قبضتهم على الطرق التجارية البرية ،والبحرية المؤدية إلى العالم الجديد ،وكذا الشرق الأقصى الصين،و الهند والتحكم في التجارة الدولية حين ذاك ؛ أي الدوافع والأهداف الاقتصادية؛ والتي ينبغي إدراجها في مقدمة الدوافع رغم أنها جاءت مستترة بستار الدوافع والأهداف الدينية بالإضافة إلى الدوافع ،والأهداف الاستراتيجية والسياسية[3].

3 – الخوف من مصير مماثل لما تعرضت له المدن؛التي احتلها الاسبان كالمرسى الكبير 1505 م ووهران 1509 م، وبجاية 1510 م من قتل وتشريد، وتخريب ....إلخ

4 –عدم توفر المدينة على السلاح، والجيش لمقاومة غزو الإسبان المحتمل

---

[1] Charle –André Julien,histoire de L'Afrique du Nord Tunis-Algérie-Maroc De la conquéte Arabe A1830, deuxième édition revue et mise à jour par Roger le Tourneau,Avec 27 Croquis et carte,payot,paris,1961,pp.250-251

[2] خير الدين، مذكرات خير الدين، ترجمة د. محمد دراج ،الطبعة الثانية منقحة ومزيدة،شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر 1434 هـ-2013 م،ص.81

[3] حول الدوافع والأهداف التي كان يرمى لتحقيقها الإسبان من خلال احتلاهم لسواحل بلاد المغرب الإسلامي والأثار المترتبة عن ذلك أنظر على سبيل المثال لا الحصر: دراسة الأستاذ الباحث فكاير عبد القادر ،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 -1206هـ/1505-1792م)،دار هومة، 2012 وأنظر أيضا أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا1492-1792 ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984وكذا:

Braudel (F.), les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577,In :**R.A.**,T69, 1928

5-نشاط الإخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط وأصداء انتصاراتهم على العدو الإسباني المسيحي ،ودورهم البارز في مساعدة ،ومساندة المسلمين الأندلسيين ،و اتخاذهم جربة وحلق الوادى وغيرها من موانئ الساحل التونسي منطلقا لجهادهم في البداية مع محاولات تحرير بجاية منذ 1512م وكذا نجاحهم في تحرير جيجل ،واتخذها قاعدة جديدة لهم بعد نجاحهم في تحريرها سنة 1513م[1].

ونتيجة لضعف سكان مدينة الجزائر،و عجزهم عن مواجهة الخطر الإسباني توجه وفد من أعيانها ، وعلى رأسهم سليم التومي سنة 1510م إلى بجاية ليعلنوا ولائهم للإسبان، وإظهار رغبتهم في الأمن، والسلام ،وهناك أشار عليهم بيدروا نافروا -عامل قوات الاحتلال الإسباني في بجاية، ومفوضهم- بإرسال سفارة إلى إسبانيا لإعلان ولائهم لملكها[2]وإبرام الصلح وهذا ما تم ؛حيث وجه سكان مدينة الجزائر وفدا برئاسة شيخها سالم التومي الثعالبي إلى إسبانيا ؛قام بالاتصال بالملك الإسباني فرديناد الخامس بمدينة بورجوس (Burgos)، وتم عقد صلح لمدة 10 سنوات ،وعدوا من خلاله بالاعتراف بسلطان الملك الكاثوليك عليهم ومساعدة القوات الإسبانية في البحر ودفع جزية؛ أي إتاوة مالية سنوية للإسبان في بجاية كما تعهدوا بإعادة كل الأسري المسيحيين و أن لا يكون لهم عدو أو صديق إلا أعداء ،وأصدقاء الملك الإسباني و كان ذلك في 31 جانفي 1510[3].

وقد تطرق سكان مدينة الجزائر إلى ذكر مسألة اضطرارهم لمهادنة الإسبان حينها و مولاتهم في رسالتهم إلى السلطان العثماني سليم الأول ليطلبوا الحماية والنجدة من الدولة العثمانية-كما سيأتي ذكره لاحقا- من خلال العبارات الآتية :"*لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة .....ومفادها أن طائفة الطاغية{ أتباع الملك الإسباني فرديناد} لما*

---

[1] للتوسع أكثر أنظر ماورد عن ذلك في المصادر الآتية : خير الدين ،مصدر سابق، و أيضا: مجهول ،غزوات عروج و خير الدين، تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934 وكذلك:

Haedo (le Bénédictin Fray Diégo de), Histoire des rois d'Alger, Par H.D. de Grammont, éditeur A. Jourdan, Alger, 1881

[2] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،مطبعة الجيش،الجزائر،1972 ،ص.98

أنظر أيضا: Watbled(E), Op.cit., p.294

[3] حسن الوزان،المصدر السابق ،الجزء 2، ص.409 أنظر أيضا يحي بوعزيز، المرجع السابق، الجزء 2، ص.254 وكذلك:
Watbled(E), Op.cit.,p.294

استولت على بلاد الأندلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد غير انه بعد استيلائهم على بجاية و طرابلس بقيت الجزائر بين الكفار{الإسبان} كالنقطة وسط الدائرة وبقينا لذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمته وقد نظرنا في الأمر ورأينا المحن والشدائد تشتد وان الضرورة تقضي بحقن الدماء أنفسنا وخوفا على حريمنا وأموالنا و أولادنا من السبي والتفريق تصالحنا مع أهل التثليث{الإسبان المسيحيين الكاثوليك} وأنا لله وإنا إليه راجعون" [1].

و ما سبق دليل على مدى عجز سكان مدينة الجزائر عن مواجهة الخطر الإسباني لوحدهم وبإمكانياتهم الذاتية مما يوضح حاجتهم الماسة لطلب المساعدة من العثمانيين ويندرج ذلك ضمن الظروف التاريخية التي رشحت مدينة الجزائر لتؤدي دور العاصمة في ظل الحكم العثماني للجزائر إلى جانب العامل الجغرافي، و الاستراتيجي ولاسيما موقعها الحساس الذي تنبه إليه العثمانيين منذ البداية كما سيأتي ذكره .

و لكن أخطر ما ورد في الاتفاق الذي تم بين ممثلي سكان مدينة الجزائر ،والملك الإسباني هو قبولهم التنازل للإسبان عن إحدى الجزر المواجهة لمدينة الجزائر، فقاموا ببناء حصن عليها سمي بحصن الصخرة "البينون"(penon) الذي نصبت به المدافع الموجهة أفواهها إلى المدينة التي كان تبعد عنها بـ ثلاثمائة متر فقط.[2] و كثيرا ما كانت تحصل منه الأذية لأهل المدينة حيث أن النصارى كانوا يرمون على أهل المدينة بالمدافع و المكاحل فكان هذا شجي معترضا في صدور أهل الجزائر"[3] .

فقد شكل هذا الحصن تهديدا مستمرا للمدينة، و أهلها لأنه كان بإمكان الحامية الإسبانية مراقبة من يدخل إلى المدينة، و يخرج منها، و في مقدورها أيضا قصف المدينة بالمدفعية

---

[1] "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة1519" ، ترجمة وتقديم عبد الجليل التميمي في **المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)**،العدد 6 ، تونس، السنة جويلية 1976 ،صص.119-120

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، الجزء3 ، ص.43 **وأنظر أيضا** Watbled(E), Op.cit., p.294 وأنظر أيضا:

BERBRUGGER Adrien, le Pégnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie, Alger, 1860, pp.15-16

[3] مجهول، المصدر السابق، ص.28

في أي وقت[1]، و ذكر حسن الوزان- ليون الإفريقي -أن هذا الحصن كان قريبا من المدينة لدرجة أن طلقات الأسلحة النارية كانت تصل للأرض، والأكثر من ذلك أن رمية المدفعية كانت تمر فوق المدينة من سور إلى آخر[2] أي أنه كان بمثابة شوكة في حلق المدينة يهدد أمنها وسلامتها باستمرار[3].

ولما مات الملك فرديناد الكاثوليكي في 22 جانفي 1516م نقض سكان مدينة الجزائر صلحهم مع الإسبان، وقرروا الاستنجاد بالإخوة بربروس عروج، وخير الدين ليخلصوهم نهائيا من الإسبان، وحصنهم[4].

ومما جاء في كتاب غزوات عروج وخير الدين بهذا الصدد «*...وكان في مدة إقامته في جيجل كتب إليه [إلى عروج] أهل الجزائر كتابا يرغبونه في القدوم عليهم وجهاد عدوهم المجاور لهم في الحصن الكائن في الجزيرة، وكان قد أضر بهم غاية الضرر وضيق عليهم غاية التضييق...*"[5]

ونفس الأمر ورد في مذكرات خير الدين حيث ذكر هذا الأخير أنه عندما كان في جيجل رفقة أخيه وصل وفود عديدة من المدن الجزائرية كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد كان أهالي الجزائر يشكون ظلم الإسبان ،ويترجون تدخلهم لإنقاذهم[6] .وهنا لابد من التسطير على هذا الوصف حيث نلاحظ نظرة خير الدين لمدينة الجزائر وإدراكه للموقع الاستراتيجي الذي تحتله مدينة الجزائر في البلاد ،وقد يكون هذا الإدراك من العوامل التي دفعت العثمانيين لإتخادها عاصمة للبلاد في وقت لاحق.

فاستجاب عروج لدعوتهم، وخرج من جيجل وقصد مدينة الجزائر برا، في حين قصدها أخوه خير الدين بحرا، لنجدة أهلها على رأس قوة بعضها من العثمانيين و لكن أغلبها مشكل

---

[1] Yamile BOUABLA, Les turcs au Maghreb central du 16ème au 19ème siècle, Société nationale d'Édition et diffusion (S.N.E.D), Alger, 1972 p.10.voir aussi Delphin, chronique des pachas d'Alger de 1515à 1745 In: **journal Asiatique**, tome XIX,onzième Série,Imprimerie National, édition Ernest Leroux,paris,1922,p.219

[2] Jean-Léon l'Africain, Description de l'Afrique, Tierce partie du monde,nouvelle edition Annotée par Ch.Schefer , en Trois volumes, Ernest leroux éditeur, Paris, 1896, volume 3 , p.61

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، الجزء 2، ص.254

[4] Jean-Léon l'Africain, Op.cit., volume 3 ,p .62 voir aussi:
عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص.68

[5] مجهول، المصدر السابق، ص.27

[6] خير الدين، المصدر السابق ، ص.74

من الأهالي[1] وهناك استقبله سكان المدينة بحفاوة، إذ استقبلوه استقبال المنقذ لحريتهم في حين يذكر خير الدين في مذكراته أن أخاه استجاب لنداء أهل مدينة الجزائر؛ فخرج في خمسمائة بحار متجها في طريقه لفتح مدينة الجزائر ،واستخلفه على مدينة جيجل[2].

وشرع عروج حال وصوله لمدينة الجزائر في قذف الحصن بالمدفعية إلا أن ضعف مدفعيته لم تمكنه من تحقيق الانتصار المنتظر، فبدأ سالم التومي يتآمر مع الإسبان للتخلص منه، ولكن عروج تمكن من القضاء عليه –حيث قيل أنه خنقه وهو في الحمام–،[3] فبايعه جنده أميرا على مدينة الجزائر[4] وتمكن من القضاء على كل معارضة من آل التومي ،وأنصارهم .

وانطلاقا من مدينة الجزائر شرع عروج في توسيع نفوذه، ومحاربة الإسبان والمتآمرين معهم ضده في آن واحد وقد قاد الإسبان حملة ضمت 30000 رجلا متحالفين مع آل سالم التومي وعلى رأسهم ابنه يحي، ولكنها فشلت فشلا ذريعا[5].

وجاء في كتاب غزوات عروج وخير الدين أنه "... لم يبق [من تلك الحملة]إلا ألف والباقون قتلوا عن أخرهم، ثم إن هذه الباقية ركبوا في أجفانهم وذهبوا..."[6].

وهنا إشارة إلى الخسارة المعتبرة التي أصابت الاسبان ،وقد شارك في هزيمة هذه الحملة إلى جانب القوات التي كان يقودها عروج عدد كبير من المجاهدين من العرب والبربر والأندلسيين كان عددهم يتراوح بين خمسة وستة آلاف مجاهد[7].

وهذا دليل على الاتحاد الذي حدث بين العثمانيين وأهالي البلاد منذ البداية في إطار الجهاد ضد العدو المشترك الأمر الذي يشكل أحد العوامل البارزة في إيجاد لحمة اجتماعية بين الطرفين ستتجسد في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ، وكانت تلك الحملة بقيادة **دييقوا دوفيرا**(Diego deVera)سنة 922هـ الموافق لـ1516م،وعمت السعادة والسرور سكان مدينة

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق الجزء 2، ص.256

[2] خير الدين، المصدر السابق، ص.74

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق الجزء 2، ص.257

[4] Jean-Léon l'Africain, , Op.cit., volume 3 ,p. 62

[5] Yamile BOUABLA, Op.cit., p.13

[6] مجهول، المصدر السابق، ص.29

[7] خير الدين، المصدر السابق، ص.72

الجزائر حيث انهزمت اسبانيا التي كانت تعد أكبر ،وأقوى دولة كافرة { مسيحية} حينها على حد تعبير خير الدين أمام أخيه عروج فضلا عن الغنائم وفي مقدمتها ألفين وسبعمائة أسير في حين تم دفن الشهداء الذين بلغ عددهم ثلاثمائة شهيد في مراسيم رسمية[1] فكان لهذا الانتصار صدى قوي مما دفع بسكان البليدة، و مليانة والمدية ودلس إلى مبايعة عروج وإعلان الطاعة له فامتد نفوذه بالتالي إلى المتيجة[2].

وهذا ما ذكره ليون الإفريقي –حسن الوزان–حين قال أن كل السكان ،والقبائل المجاورة بايعوه على الطاعة وأرسلوا إليه إتاوة دليلا على اعترافهم بسلطته.[3] ثم أقدم عروج على توسيع نفوذه غربا إلى تنس، و مستغانم، وقلعة بني راشد حيث ترك فيها أخوه إسحاق مع حامية صغيرة من الجنود ووصل سيره إلى تلمسان، و لكن الإسبان تمكنوا من القضاء عليه هناك بالتحالف مع السلطان الزياني أبي حمو الثالث في سنة 1518م، وبالتحديد بعد أن قاموا بملاحقته بعد خروجه من قلعة المشور بتلمسان وتوجهه نحو الحدود الجزائرية المغربية في موقع يقال له وادي المالح [4] حيث ذكر خير الدين أن عروج تمكن من قتل مائة جندي إسباني تقريبا بعد أن تمت محاصرته من قبل أن يسقط شهيدا ثم قطعوا رأسه المبارك ،وأرسلوه إلى ملكهم كارلوس –شرلكان –في حين كان أخوه الكبير إسحاق أستشهد قبله ببضعة أشهر في قلعة بني راشد ،ويسميها خير الدين بقلعة القلاع[5].

أما أخوه خير الدين– الذي خلفه، وتزعم حركة الجهاد ضد الإسبان ،و المتآمرين معهم[6] فتمكن من مواجهة حملة قادها الإسبان عليه بقيادة هوقو دي مونكاد(Don Hugo de Moncade) الجزائر[7] و غنم أموالا طائلة ، وأسلحة، و مدافع، و مؤن ،وخيل ،وتكبد الإسبان خسائر بشرية من قتلى، و ثلاثة ألاف وستة وثلاثون أسير من بينهم قادة عسكريين إسبان مهمين ،وتحطيم العديد من سفن الأسطول.[8]

---

[1] المصدر نفسه ،ص.74

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق الجزء 2 ، ص.258 . أنظر أيضا :Yamile BOUABLA, Op.cit.,p.16

[3] Jean-Léon l'Africain, Op.cit.,T.3,pp.62-63

[4] BERBBRUGER (A.), "la mort du fondateur de la Régence D'Alger", In:**R.A.,**T4, 1860, p. 32

[5] خير الدين،المصدر السابق، ص.87

[6] Yamile BOUABLA Op.cit., p.16

[7] Jean-Léon l'Africain Op.cit.,T.3, p. 350

[8] مجهول، المصدر السابق، ص.

و في أعقاب تلك الحملة قرر خير الدين مغادرة مدينة الجزائر إلى إقليم الروم لأجل الغزو و مواصلة الجهاد، فجمع أهل مدينة الجزائر من العلماء و الصالحين-أصحاب الرأي- و أعرب لهم عن قراره؛ حيث قال:

"... إني عزمت على السفر إلى حضرة السلطان و قد آمنت الآن على بلادكم لما أخلفه عندكم من العسكر المجاهدين و قد وصل إليكم من أهل الأندلس عدد كثير و عندكم من السلاح و العدة ما تقومون به بأمر الجهاد...و إني لما قدمت إليكم لم يكن عندكم مدفع واحد الآن قد تحصل بأيديكم مما خلفه العدو أكثر من أربعمائة مدفع فاختاروا واحدا منكم يكون من خياركم تقدمونه أميرا عليكم...."[1].

و لكن عقلاء وحكماء مدينة الجزائر من علماءها وكبار أعيانها ألحوا عليه بأن يبقى في المدينة لحمايتها لان الله نصرهم على العدو به و أنه يتوجب عليه البقاء فيها من أجل حراستها و الذود عن ضعفاء أهلها، و أن لا رخصة له في تركها عرضة للعدو[2].

و نتيجة لإلحاحهم عليه قبل خير الدين الفكرة ،و لكنه عرض عليهم فكرة ربط الجزائر بالدولة العثمانية حتى تمدها هذه الأخيرة بالمال، و الرجال، و ما يحتاج إليه من دعم في العدة والعتاد للانتصار على العدو، لان خير الدين أدرك أن الجزائر بدون سند لن تستطيع الوقوف في وجه الإسبان وبعض القوى المحلية المتخاذلة التي مالت لمهادنة الإسبان والتحالف معهم حيث قال لأهل المدينة:

"...قد ظهر لي من الرأي أن نعتمد في حماية هذه المدينة على الله سبحانه و تعالى و نصل يدنا بطاعة السلطان العظيم سليم الأول فيمدنا بالمال و الرجال و جميع ما نحتاج إليه من آلات الجهاد و لا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه و ضرب السكة[باسمه]"[3].

و استحسن كبار المدينة الرأي فأرسل خير الدين وفدا إلى السلطان سليم محملا برسالتين إحداهما على لسان أهل المدينة و ممثليهم من علماء وفقهاء حيث جاء في معرض الرسالة إشارة لذلك "....رسالة القاضي، والخطيب والفقهاء، والأئمة والتجار و الأمناء وكافة سكان

[1] مجهول، المصدر السابق، ص.41 أنظر أيضا:

Alphonse Rousseau, Chroniques de la Régence d'Alger, traduites D'un manuscrit Arabe intitulé El-Zohrat-El-Nayerat, Imprimerie du Gouvernement ,Alger ,1841,p .84

[2] مجهول، المصدر السابق، ص.41

[3] نفسه

مدينة الجزائر العامرة....."[1].

يخبرونه فيها بصرف طاعتهم إليه؛أي أنهم يودون أن يكونوا من رعايا السلطان،و من جملة من تنفذ فيهم أحكامه ونستدل على ذلك من مقدمة الرسالة:

"إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، دعاء يبلغها أقصى الأماني....بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال و التعظيم أبد.....وان سعادة أيامكم هي فرحتنا ونحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا فظاهرنا كباطننا مخلص لكم أولا وأخرا فقد اطعنا أمركم ....."[2].

و بناء على ما جاء في فحوى الرسالة أيضا فإنه يفهم أن إعلان الولاء هذا لم يكن من طرف سكان مدينة الجزائر وحدهم، ولكن من طرف بقية سكان البلاد أيضا، وهذا ما نستدل عليه من خلال العبارة الآتية:*" .....ونحن وأميرنا {المقصود خير الدين} خدام أعتابكم العلية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي ....."*[3]. و يفهم من هذا أن أهالي مدينة الجزائر وفي مقدمتهم علمائهم ،وأعيانهم تحدثوا باسمهم وباسم بقية سكان البلاد أي بالنيابة عنهم وكممثلين لهم .

و جاءهم رد السلطان العثماني سليم الأول بالإيجاب ؛حيث أرسل إلى خير الدين مرسوم ، أو فرمان تعيينه كأول حاكم عثماني على الجزائر بلقب "**بايلرباي**" مع ألفين من الجنود الانكشاريين و عدد من المدافع، و الذخائر الحربية[4]، فاستقر خير الدين أميرا بالجزائر من قبل السلطان الأعظم سليم خان ،وصرف دعوتها إليه ؛أي ذكر اسمه على منابر المساجد و ضرب السكة باسمه[5].

---

[1] "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر..."، ص.119

[2] المصدر نفسه،ص.199

[3] المصدر نفسه،ص.120

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، الجزء 2، ص.260

[5] مجهول، المصدر السابق، ص.صص44

و هكذا دخلت الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية [1]سنة 1519 م،و أصبحت من ولايتها و كسبت بذلك نوعا من الحماية ضد الأخطار المتربصة بها وعلى وجه الخصوص الأطماع الإسبانية ،و اتخذ خير الدين من مدينة الجزائر قاعدة له ينطلق منها لتوسيع نفوذه في البلاد ومركزا تنطلق منه عمليات الغزو والجهاد البحري، و أطلق اسم الجزائر حينها على كل المغرب الأوسط.

و تحولت مدينة الجزائر من مدينة صغيرة أشبه بقرية ذات سوق تجارية متوسطة الحجم إلى عاصمة للبلاد ذائعة الصيت تحمل اسم جزائر الغرب ، اسم أطلقه عليها العثمانيون وقد أضحت عاصمة البلاد التي حملت نفس الاسم ،وفيها تركزت روح كل الإدارة ،والسلطة[2]. في ظل نظام الحكم العثماني ، وسيمر هذا الأخير خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة أي القرنين 10 هـ(16 م)-11 هـ(17م) بمراحل سياسية اصطلح المؤرخون على تقسيمها إلى أربع مراحل أو عهود ، وتتمثل في:

مرحلة البايلربايات (1519-1587م)،ومرحلة الباشاوات(1587-1659م) ومرحلة الآغاوات (1659 -1671 م)ومرحلة الدايات (1671-1830 م) وقد اختلفت أسباب الانتقال من مرحلة إلى أخرى كما أنه كان لكل مرحلة منها خصوصيتها، ومميزاتها مع أن القاسم المشترك لهذه المراحل هو أن حاكم الجزائر العثماني كان حاكما للبلاد وفي نفس الوقت ممثلا للسلطان العثماني ونستثنى من ذلك مرحلة الأغوات؛و التي شهدت إن صح التعبير ازدواجية في السلطة حيث وجد الأغا المعين محليا من طرف ديوان الإنكشارية كحاكم فعلى للبلاد إلى جانب الباشا ممثل السلطان العثماني ،علما أن وجوده أضحى حينها شرفيا بعد أن سحبت منه كل الصلاحيات ومنحت للأغا علما أن هذه العملية؛أي سحب صلاحيات الباشا من طرف ديوان الجند قد بدأت منذ مرحلة الباشاوات؛ حيث تزايد نفوذ الجيش الإنكشاري وفرضوا أنفسهم بقوة على الباشاوات ،وشرعوا في إشراك أنفسهم في الحكم من خلال العمل

[1] عن بدايات الإخوة بربروس وجهودهم في الجزائر إل غاية ارتباطها بالدولة العثمانية وتنصيب خير الدين أول بايلرباي على الجزائر أنظر على سبيل المثال الدراسة المتخصصة الآتية: محمد دراج ،الدخول العثماني إلى الجزائر1512-1543 من سلسلة المنشورات التاريخية 4،الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر،2012

[2] LE ROY (Mr), Etat Général et particulier du royaume et de la ville D'Alger, aux dépends de l'auteur et se vend chez Antoine Vandole et compagnie à l'enseigne de Hugo-Grotius, à LA HAYE, 1750, p.14

على تقليص صلاحيات الباشا بالتدريج[1].

ولم يتم القضاء على هذه الازدواجية إلا سنة 1123هـ/1710م على يد الداي علي شاوش حين اتخذ هذا الأخير قرار الجمع بين المنصبين؛ أي الديلكية والباشاوية وأعاد الجمع بين كونه حاكما للبلاد، وممثلا للسلطان العثماني في نفس الوقت كما كان الحال عليه في المراحل السابقة لمرحلة الآغاوات[2].

علما أن هذا لم يمنع بأن يتمتع الدايات بقدر كبير من الحرية ،والاستقلالية فيما يتعلق بقراراتهم السياسية فيما يتصل بالسياسة الداخلية ،والخارجية للبلاد مع إبقاء صلتهم الدائمة مع الدولة العثمانية[3]. وهو الأمر الذي تجسد في عدة مظاهر نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

لم يكن يتم تنصيب الداي إلا بعد إرسال فرمان التعيين، والخلعة السلطانية المتمثلة في السيف والقفطان فضلا عن الإبقاء على ذكر السلطان العثماني في خطبة الجمعة ،الهدايا والمساعدات العسكرية المتبادلة بين الطرفين استمرار تجنيد أفراد الجيش الإنكشاري من الدولة العثمانية ،واتخاذ مواقف مشتركة أمام الخطر المسيحي ،و ركب الحج ،وسرة أوقاف الحرميين الشريفين ،والمبادلات التجارية.....الخ.

---

[1] Delphin , Op.cit., pp.209-210

[2] LE ROY(Mr.),Op.cit.,pp.24-25 Voir aussi Watbled(Ernest),Pachas-Pachas-Deys ,In **R.A.**, tome17 année 1873,p.438-443 et aussi Delphin , Op.cit.,p.207, et Pierre Boyer la révolution dite des Agas dans la régence d'Alger (1659-1671) In: **Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée** ,Numéro 13-14 ,1973,pp.159-170 et Pierre Boyer ,Des pachas triennaux à la révolte d'Ali Kodja Dey(1571-1817) In: **Revue Historique** Numéro 495 Juillet-Septembre, 1970, pp.99 -124 voir aussi A.Maitrot de la Motte-Capron ,le sens Géographique et les sens politique chez les Deys d'Alger, sans Date, p.170

[3] حول هذا الموضوع أنظر الدراسات الآتية على سبيل المثال لا الحصر: أحمد توفيق المدني ، الداي محمد عثمان باشا داي الجزائر1766-1791 سيرته، حروبه ،أعماله ،نظام الدولة والحياة العامة في عهده ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 و أنظر أيضا :عائشة غطاس ونعيمة بوحمشوش،النظم السياسية، في الدولة الجزائرية الحديثة...،ص.57 وأنظر أيضا:

Garrot (Henri) : Histoire Générale de l'Algérie**,** Imprimerie Crescenzo Pierre, Alger, 1910 voir aussi Grammont (H.D.DE), Histoire d'Alger Sous la Domination Turque Deroux éditeur, Paris, 1887

ويرى الأستاذ الباحث أرزقي شويتام أنه مهما كانت نوعية الحكم[1] المتبع في الجزائر طوال القرون الثلاثة؛ فإنه بقى محصورا في أيدي الأتراك العثمانيين الذين حرصوا منذ بداية عهدهم على تعزيز وجودهم في الجزائر، وضمان استمرار حكمهم فيها ،وكان ذلك بإقصائهم للعنصر المحلى من المناصب العليا في الدولة واعتمادهم سياسة التجنيد من الولايات العثمانية المشرقية[2].

في حين نعتقد أنه في البداية على الأقل كان هناك نوع من الإشراك للسكان المحليين في الحكم؛ فخير الدين لم يعين كأول بايلرباي للجزائر –ومن تم بداية الحكم العثماني رسميا في الجزائر–إلا بعد أن تم ترشيحه من طرف أهالي الجزائر، وعلى رأسهم أعيان وعلماء مدينة الجزائر وحدوث إجماع بينهم حول شخصه ومن ثم طلبهم الارتباط رسميا بالدولة العثمانية كما مر بنا، ويتبين لنا ذلك أيضا من خلال تولية خير الدين لولاة من العنصر المحلى على كل من الناحية الشرقية "ابن القاضي" ،و"ابن علي" على الناحية الغربية من البلاد ونعتقد أنها تعد من المناصب العليا بالدولة حينها ،ولكن سرعان ما أعلنوا التمرد بتحريض من السلطان الحفصي بل وتحلفوا مع العدو الإسباني المسيحي كما هو شأن ابن القاضي الذي انقلب على خير الدين وأجبره على الانسحاب من مدينة الجزائر من سنة 1520 م إلى سنة 1526 م[3].

مع العلم أنه هناك اختلاف بشأن ابن القاضي بين ما ورد في غزوات عروج وخير الدين وما ورد في مذكرات خير الدين ؛ففي حين يفهم من غزوات عروج وخير الدين أنه نفس الشخص الذي استنجد بالإخوة بربروس والذي أرسل ضمن سفارة أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول لاعلان ولائهم له، وطلب الاستنجاد رسميا بالدولة العثمانية كما مر بنا يفهم من مذكرات خير الدين أن المعني بالتمرد ابنه وليس هو ؛حيث ورد فيها مايلي: ".....لقد كان ابن القاضي أحد عظماء العرب بالجزائر كما كان يكن لي قدارا كبيرا

[1] أنظر: أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 -1830)،مداخلة ألقيت في إطار ندوة تاريخية تحت عنوان "الجزائر خلال الفترة العثمانية :العلاقات السياسية والاقتصادية ،والثقافية " ،مركز الأرشيف الوطني الجزائر12، 13 14 أكتوبر2009،نسخة مخطوطة

[2] أرزقي شويتام،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ-1519-1830م، الطبعة الأولى،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2009 ،ص.41

[3] خير الدين ،المصدر السابق،صص.108-118

من الصدق ،والمودة حاول سلطان تونس أن يحرضه للخروج علي إلا أنه لم يوافقه على ذلك ودعاه إلى لزوم الطاعة للأتراك والتبعية لهم الآن توفي هذا الرجل العاقل وحل محله ولد طائش يدعى ابن القاضي أيضا فكان أول ما فعله أن اتفق مع سلطان تونس على أن يكونا يدا واحدة ضدي....." [1].

وإذ أخدنا بذلك نجد أن هذا الأخير ولي أيضا على الناحية الشرقية كوالده ويمكن اعتبار هذا الأمر تأكيدا على رغبة العثمانيين في إشراك العنصر المحلي بالحكم .

وهذا الميل لإشراك العنصر المحلي[2] نتلمسه كذلك من خلال محاولة الإبقاء على الحكم الزياني الذي كانت تمثله عناصر محلية ،وعدم القضاء عليه بالرغم من الولاء المتذبذب للحكام الزيانيين و بالرغم من المؤامرات التي كان يقوم بها ممثلي هذا الحكم مع أعداء العثمانيين والبلاد من الإسبان المسيحيين من ناحية ،ومع الحفصيين من ناحية أخرى[3]؛ حيث لم يتم وضع حد لسلطتهم بضم تلمسان لبايلك الغرب إلا سنة 1554م[4]؛ومن تم يمكن أن نورد احتمال استبعاد

---

[1] المصدر نفسه، ص.103

[2] ونستخلص ذلك أيضا من خلال ما أورده حمدان بن خوجة في كتابه المرآة :"...عندما قام الأتراك العثمانيين بتنظيم إدارة إيالة الجزائر أردوا أن يشارك سكان مدينة الجزائر في الديوان –أنظر تعريفه في الباب الثالث من هذا العمل –ولكن سكانها وبخاصة أعيانها رفضوا ذلك حتى لا يتحملوا المسؤولية تجاه الحكومة أو السلطات وقد أعلنوا أنهم لا يطمحون إلا في أن يكونوا وسطاء بين السلطات وسكان المناطق الداخلية ومراقبين لأعمال الحاكم، أو بمثابة مستشارين له على أمل أن يؤدي سلوكهم هذا إلى أن يرتبط الأتراك العثمانيين أكثر فأكثر بإيالة الجزائر وأن يشعروا بالاعتزاز والفخر للثقة التي منحت لهم من طرف سكانها..."أنظر:

Hamdan Khodja, le Miroir, introduction d'A.Djeghloul, éditions Sindbad, Paris, 1985 p.109

[3] و قد أشار خير الدين نفسه في مذكراته إلى هذه المؤامرات بقوله:".... وأمراء تونس وتلمسان في التحالف مع كفار إسبانيا وحبك المؤامرات ضدنا سرا وعلانية ...." أنظر : خير الدين ،المصدر السابق ،ص.94

[4] وتحوي وثائق الأرشيف الإسباني مراسلات من الأمراء الزيانيين تتثبت سعيهم للتآمر مع لإسبان حتى بعد استبعادهم عن حكم تلمسان ؛حيث يعرضون فيها الولاء لملوك إسبانيا وتنازلات كثيرة كدفع ضريبة الولاء ،والقبول بالتواجد، والاحتلال الاسباني ومناصرته مقابل مساعدتهم في استعادة حكمهم بتلمسان، والقضاء على العثمانيين؛ وكمثال نذكر ما جاء في مراسلة الناصر بن عبد الله الزياني للملك الإسباني: ".....ما انا {كذا}مولاي الناصر بن مولاي عبد الله نوعد نعمل في خدمة المولى الانبردور{الإمبرطور}سلطان قشطيلة {قشتالة }ان ادا عاوني مقامه العلي باش نقدر نملك هذا الوطن الدي{كذا} تلمسان الذي يجب لي وهو الان منزول{كذا}مني وبيد الترك الدي{كذا} هم اعدأ{كذا} الكل ....."للتوسع أكثر أنظر:

Les sources inédites de l'histoire du Maroc, publiées par Robert Ricard et Chantal de la Véronne, première série-Dynastie Sa'dinne, Archives et bibliothèques D'Espagne, Tome II, bibliographie et index Alphabétique des tomes I et II par Chantal de la Véronne=

العنصر المحلى من تولى المناصب العليا في البداية على الأقل بسبب التجارب الفاشلة التي شاهدتها محاولات إشراكهم وما ترتب عنها من مخاطر ليس على العثمانيين فحسب؛ ولكن على أهالي البلاد ،ولاسيما الخطر الإسباني المسيحي .

و لعل في لجوء السكان إلى خير الدين ،والتفافهم حول شخصه دليلا على أنه غابت خلال تلك المرحلة الحرجة من تاريخ مدينة الجزائر، والجزائر عامة قيادة سياسية ،وعسكرية محلية تحقق الإجماع[1]و يعول عليها لتوحيد الصفوف وتولى الحكم ،والأهم قيادة الحركة الجهادية ضد العدو المسيحي الإسباني بالدرجة الأولى.

علما أن ما يهم هذه الدراسة من نظام الحكم العثماني لمدينة الجزائر هي آثاره في الميدان الاجتماعي، والمميزات التي ميزت ،وطبعت الحياة الاجتماعية في ظل هذا الحكم خلال القرنين 10هـ (16 م)-11 هـ(17م) وهو ما سيتم محاولة إبرازه في بقية فصول هذا الباب وبقية فصول البابين الثاني والثالث.

=publications de section historique du Maroc, Paul Geuthner, Paris, 1956, pp.191-202

و للمزيد من الشواهد التاريخية عن تآمر أمراء بني زيان مع الإسبان ،والنتائج السلبية لذلك أنظر أيضا :

Alphonse Rousseau,Op.cit.,pp.29-31

[1] وما يؤكد ذلك أنه عندما غادر خير الدين مدينة الجزائر متوجها إلى جيجل بعد تآمر بعض أعيان مدينة الجزائر مع ابن القاضي الذي تمرد عليه لم يرضى أهلها بذلك بل حثوه على البقاء وعندما غادرها بالرغم من رجائهم له بالبقاء ودخلها ابن القاضي وصار يحكمها تذمر سكانها منه لأنه تسبب في اختلال نظام الأمن ،وتدهور الأوضاع في المدينة وطالبوه باستدعاء خير الدين قولهم له :"نعتقد أن استدعاء خير الدين باشا فيه خير لنا جميعا ؛فقد بلغ من الكمال أنه غادر المدينة من أجل أن يعيش أهلها في أمن وسلام فهل يوجد أحد فعل مثل هذا من قبل ؟لقد جئناك راجين أن تسمح لنا بدعوة خير الدين من جيجل وتنصرف أنت إلى قبيلتك" ،وعندما لم يجدوا لديه آذان صاغية أخدوا زمام المبادرة وأرسلوا عدة وفود إلى خيرالدين ترجوه العودة، وتسلم زمام الأمور فيها من جديد وهو الأمر الذي نستخلصه من العبارة التي أوردها خير الدين في مذكراته: ...ومضت ثلاثة أعوام على مغادرتنا لمدينة الجزائر تضاعفت خلالها الوفود التي كانت جميعها تطلب منا العودة إلى الجزائر..." أنظر: خير الدين،المصدر السابق،صص.115 -116

الفصل الثاني: سكان المدينة المسلمون من أهالي البلاد

1- البلدية

2-جماعة البرانية

الفصل الثاني: سكان المدينة المسلمون من أهالي البلاد

سيبحث في هذا الفصل عن سكان المدينة المسلمون من أهالي البلاد والذين قسموا بدورهم من حيث نمط إقامتهم بالمدينة إلى دائمين البلدية[1]؛أي العناصر المحلية الأصيلة بالمدينة ومؤقتين البرانية أو النازحين إلى المدينة وهم سكان المدينة المؤقتين؛ الذين كانوا يقصدون المدينة

[1] وشكل البلدية عنصرا هاما من الحضر وهم سكان المدينة الدائمون بالإضافة إلى الأندلسيين والأتراك العثمانيين بما فيهم الأعلاج وكذا الكراغلة ويضاف إليهم الوافدون على المدينة من حضر المدن الأخرى كقسنطينة ،والمدية ومليانة وعنابة وتلمسان والبليدة ،والقليعة....إلخ الذين وفدوا إلى مدينة الجزائر واستقروا بها ولابد أن نشير هنا إلى تواجد عدد من الأشراف في مجتمع مدينة الجزائر ولاسيما ضمن جماعة البلدية فجماعة الأشراف كانت قليلة العدد، وكانت من الفئات المتميزة في مجتمع مدينة الجزائر، و ظهور هذه الفئة فيها حسب الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله يعود إلى أوائل القرن الحادي عشر 11 هـ(17م) ولكن بالعودة إلى مصدر طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام لهايدو والذي يعود لأواخر القرن 11هـ(16م) نستخلص وجود الأشراف حينها؛ حيث ذكرهم بقوله لا أحد يجرء على إغضاب آل محمد {صلى الله عليه وسلم} الذين يطلق عليم اسم الأشراف وكان يتم تميزهم بفضل عمامة، أو عصابة خضراء اللون وكانت نساء الأشراف تعرفن بنفس الطريقة أيضا. أنظر:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16 -20 م)،الطبعة الثانية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1045 هـ/1985 م، الجزء الأول، ص.238 وأنظر أيضا:

Haedo (le Bénédictin Frayn Diégo de) topographie et Histoire Générale d'Alger**,** traduit de l'Espagnol par MM. Le Dr Monnereau et A. Berbrugger, In: **R.A.,** T.15, 1871, p.222

و تميزت جماعة الأشراف عن باقي السكان بانتسابها إلى آل البيت حسب التقاليد المتعارف عليها؛ فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى، ومن تم اكتسبوا احتراما و تقديرا لدى الحكام، وباقي السكان ولقد كان لهؤلاء الأشراف في مدينة الجزائر نقابة خاصة بهم تعرف بنقابة الأشراف، وكان على رأسها نقيب يعرف بنقيب الأشراف، كان يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة ،والمجتمع ؛حيث أظهر لهم السكان احتراما كبيرا ، و كانوا ينادونهم باسم سيدي، وكانوا يتمتعون بامتيازات و صلاحيات معنوية أكثر منها مادية وإن تأثيرهم الفعلي لا يجب أن يقاس بالتشريفات والاحترامات التي كانت تعطي لهم؛ وقد كانوا بدورهم يتولون عدة وظائف ؛فكان منهم الفقهاء ،والعلماء، وحتى التجار ولابد من الإشارة إلى أن هؤلاء الأشراف كانوا موزعين عبر مختلف المجموعات السكانية والمستويات الاجتماعية. أنظر : أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول ص.238 وأنظر أيضا الدراسة المتخصصة الآتية:الشريف كمال دحومان التهامي،أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، طبعة مزيدة ومنقحة ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،القبة القديمة الجزائر،1434 هـ-2013 م وأنظر كذلك:

ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.238

Devoulx (Albert), Corporations Religieuses D'Alger, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur Libraire –Editeur, Alger, 1912, p.75 voir aussi =

من المناطق المجاورة لها، ومن داخل البلاد ليقيموا فيها بصورة مؤقتة بغرض العمل في مختلف أنواع الأعمال لكسب لقمة العيش بمثابة عمال فصليين، والذين انتظموا في شكل جماعات منظمة تبعا لجهات البلاد المختلفة التي جاؤوا منها، والتي نسبوا إليها ،وكان انتظامهم في إطار جماعات دليلا على أن هجرتهم كانت مستن همرة فحين كان يغادر بعض الأفراد هذه الجماعة كان يأتي أخرون ليأخذوا مكانهم وهكذا دواليك وسيبحث كل ذلك في المبحثين الآتي ذكرهما.

أ- **البلدية:**

وبصفة عامة فإن من يبحث في بنية السكان في مدينة الجزائر يجد أن سكانها كانوا يتشكلون أساسا من عناصر محلية أصيلة عربية، وأمازيغية وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال هذا المبحث.

و العناصر السكانية الأصيلة في مدينة الجزائر هم حسب هايدو في القرن 10هـ(16م) أولئك الذين ولدوا في المدينة أي أبناؤها الأصيلون والذين يطلق عليهم في لغتهم اسم البلديون أو البلدية (Baldis) [1].

ويذهب غرماي في القرن 11 هـ(17م) إلى نفس التفسير حيث كان يطلق لفظ البلدية على سكان البلاد الأصليين ،و بصورة أكثر دقة على سكان مدينة الجزائر، وأطلق عليهم تسمية المور بمعنى المسلمين الأصليين[2].

وقد وردت هذه الصفة في قانون مدينة الجزائر عند تحديد سعر الخبز فيها؛حيث تم الإشارة إليهم كونهم من بين الذين حضروا من أهل المدينة لهذا الاتفاق مع الكواشين :

"*.....و البلديا {كذا} الحاج على{كذا} والحاج*

=Gramaye (Jean-Baptiste) « Journal de jean Baptiste Gramaye » Traduit et commenté par Abdel Hadi ben Mansour dans « Alger 16-17 siècle », les éditions du cerf, paris, 1998 p.87

ومن خلال الوثائق الأرشيفية وتحديدا في سلسلة لمحاكم الشرعية نجد وثائق متعلقة بالأشراف وبخاصة شهادات تثبت نسبهم الشريف مثلا:" شهادة تثبت نسب الشريف أبو السعيد السيد محمد الوالي نقيب الأشراف....."أنظر الوثائق من الرقم 2 إلى الرقم 5 "حول النسب الشريف و إثباته في العلبة 153،من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائري

[1] Haedo (F.D) topographie…, In:**R.A.**,T.14,1870, p.491

[2] Gramaye (J.B), Op.cit., p.87

احمد الهبحيط {كذا} والحاج على {كذا} كلاطى و سي على {كذا} العداد امين الخياطين ....." [1].

وهم خليط من عرب قبيلة المعاقيل وبخاصة فرع قبيلة الثعالبة التي كانت متواجدة في سهل المتيجة، وتوطنت مدينة الجزائر، ومن المحليين المنحدرين من قبيلة بني مزغنة الأمازيغية أحفاد سلالة بني مزغنة الصنهاجية التي أقامت في موقع مدينة الجزائر قبل اختططها من طرف زيري بن مناد.[2] أي مزيج من العنصرين الأمازيغي والعربي.

وقد قدرهم هايدو في القرن 10 هـ(16م)بـ 2500 منزل؛ أي أن عددهم كان يقدر بحوالي 12500.[3]وهو نفس الإحصاء الذي أشار إليه غرماي في القرن11 هـ(17م) وتبقي إحصاءاتهما تقريبية.

وكان البلدية بحسب وصف هايدو لهم على خلقة وشكل حسن؛ فالبعض منهم كانت لديه بشرة بيضاء أما الآخرون فقد كانوا يميلون قليلا إلى السمرة ،ولكن نساءهم كن في معظم الأحيان شديدات البياض، والكثيرات منهن كن ذوات قوام جميل[4].

و غالبية هؤلاء البلدية كانوا يتعاطون مختلف أنواع التجارة؛ فكانت لدى الكثير منهم دكاكين يبيعون فيها مختلف الأدوات ،والأشياء كالفحم وغيره من المواد المستعملة لإشعال النار للطبخ والتدفئة والمواد الغذائية ومنتجات، ومواد أخرى ،وكان من بينهم أيضا الحرفيون والبناؤون ،والنجارون ،وصانعوا الأسلحة ،والإساكفيون، والفخارون الذين يصنعون الأدوات والأواني الفخارية والفرارية– وهم صناع الأقفال –...الخ[5].

و لكن الأكثر حظا ومكانة منهم، والأكثر غنى، وثروة كانوا يعيشون من خلال استغلال أملاكهم، وما تنتجه أراضيهم التي كانت موجودة غالبا عند أبواب المدينة في الفحوص وكان

[1] مخطوط قانون مدينة الجزائر، النسخة الأولى تحت رقم 2311 و النسخة الثانية تحت رقم 1378 ،في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر ، ورقة 24،من النسخة الثانية

[2] Corinne Chevalier, Les trente Premières Années de l'Etat d'Alger (1510-1541), Office des Publication Universitaire (OPU) Alger,1988, p.17

[3] « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p 491

[4] Ibid.,p.491

[5] Ibid.,p.491

يساعدهم على خدمتها عدد كبير من اليد العاملة وكانوا يستخرجون منها الكثير من الحبوب- خاصة القمح، والشعير-و الخضر، والفواكه[1].

وكانوا ينتجون كذلك كميات كبيرة من الحرير منذ قدوم الأندلسيين إضافة إلى أنهم كانوا في نفس الوقت يربون في ممتلكاتهم الزراعية أعداد كبيرة من الأبقار ،والأغنام المخصصة للاستهلاك[2] ،وكان إنتاج هذه القطعان موجها أساسا لتموين مدينة الجزائر بالحليب ومشتقاته وبالصوف ،واللحم[3].

و تلك هي أهم الأنشطة التي كان يمارسها البلدية ،والتي كانت تشكل أهم موارد رزقهم يضاف إلى ذلك استثمارهم لأموالهم في النشاط البحري؛ فمدينة الجزائر كانت المركز الذي ينبعث منه هذا النشاط الذي كان يدر عليهم أرباح على شكل حصص من الغنائم البحرية[4]،ولابد من الإشارة إلى أن هؤلاء البلدية كانوا معفيين من دفع الضرائب بناء على امتياز منحهم إياه عروج حتى يرضيهم ويسهل عملية قبوله كقائد، أو سيد في الفترة التي كان يستولي فيها على مدينتهم وهذا ما ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م)[5]، وذهب إليه أيضا غرماي في القرن11هـ(17م)[6].

وشكلت جماعة البلدية أقلية بالمقارنة مع بقية السكان المشكلين لمجتمع مدينة الجزائر ولكن أقلية ذات وزن بحضورها الاجتماعي من حيث أسلوبها المتميز في العيش وتقاليدها التي تجعل منها مجموعة عاصمية صميمة، وحضورها الاقتصادي إذ كانت من هذه الناحية تعبيرا حيا عن التكامل بين شكلين من أشكال الإنتاج الأول المتمثل في الزراعة ،وتربية المواشي والثاني المتمثل في النمط التجاري والحرفي.

---

[1] Gramaye,Op.cit.,p.88

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p.491

[3] Gramaye (J.B), Op.cit.,p.88

[4] Dapper **(**Olfert**),** Description de l'Afrique : contenant les noms, la situation et les confins de toutes ses parties, leur Rivières ,leur Villes et leurs Habitation ,leurs Plants et leurs Animaux ;les Meurs ,les Coutumes la Langue ,les Richesse ,la Religion et le Gouvernement ses Peuple Avec Des Cartes des Etats des Province et des Villes, et des Figures en taille-douce, qui représente les habits et les principales Cérémonies des Habitants, les Plants et leurs Animaux les moins connus ,traduit Du flamand D'O. Dapper D.M. ,Ches Wolfgan ,Waesberge, Boom et Van Someren, Amsterdam,1686 p.175

[5] « Topographie….. »,In:**R.A.,** T.14, 1870,p.491

[6] Op.cit.,p.88

ومن ثم فقد كانت هذه الأقلية محل حسد،ومهابة في آن واحد للمكانة التي كانت تشغلها في الهيكلة الاقتصادية، وللقوة المالية التي كانت تمتلكها، وإمكاناتها التنظيمية؛وقد كانت متعددة الانشغالات والاهتمامات؛ فمنها كان القضاة ،والمعلمون، والصناع المهرة والتجار ،وخبراء الفلاحة، إضافة إلى العلماء ،والفقهاء ، وكذا الملاحون الخبراء بشؤون البحر كما أنهم ساهموا في إدارة المدينة ؛فمنهم كان يختار شيخ البلد[1] إذ كان يتم اختيار هذا الأخير من بين الأشخاص ذوي المكانة، والنفوذ من العنصر المحلي"البلدي"، أو الأندلسي أيضا و نظرا لأهمية هذا المنصب في ظل الحكم العثماني؛ فإن اختيار ،وتعين شيخ البلد كان يقع على عاتق الباشا؛ وخلال أداءه لمهامه يظل شيخ البلد على تواصل واتصال مباشر مع حاكم البلاد [2]. و بالتالي يمكن القول أنه كان يؤدي دوره كوسيط أو همزة وصل بينه وبين سكان مدينة الجزائر .

وقد كان شيخ البلد بمثابة رئيس البلدية[3] وكانت لديه مهام كثيرة ؛فقد كانت مهامه تمتد لتشمل الإشراف على أعمال الشرطة لتوفير الأمن في المدينة، وتسير المصالح العامة المحلية [4] ؛فقد كانت مختلف المصالح المدنية من نظافة وصيانة الطرقات ،وتوفير المياه وما إلى ذلك تحت إشرافه حيث خضع لسلطته جميع الموظفين القائمين على تلك المصالح والذين عرفوا عادة بالقياد أو الخواجات كقائد الزبل وقائد الشوارع ؛فقد كان يعمل على توفير كل ما من شأنه أن ينفع المدينة[5].

---

[1] ويبدو أن هذه الوظيفة كانت سابقة لقيام الحكم العثماني بمدينة الجزائر وهذا ما نستخلصه من دراسة مصطفى أحمد بن حموش حيث ذكر أن البحث عن جدور كلمة "شيخ البلد "يقود إلى القول إنها ترجع في الأصل إلى تقاليد السياسية الاجتماعية للمنطقة المؤسسة على القبلية ،والرئاسة الهرمية التي تبدأ بالعائلة ؛فالقبيلة ؛فالعرش وقد كرست السلطات العثمانية هذا النظام وتبنته كليا في إدارتها. إذ كانت كلمة الشيخ تستعمل خصوصا في بلدان المغرب لتعنى الشخص المسن والحكيم الذي تعود إليه الكلمة الأخيرة والقرارات النافذة وهذا من الناحية الإدارية في حين أن كلمة البلد فيقصد بها كل تجمع حضري. أنظر: مصطفى أحمد بن حموش،المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع دمشق،1420ه/1999م،صص.133-134

[2] عائشة غطاس ،النظم الإدارية المركزية ،في الدولة الجزائرية...،ص.124

[3] Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Trois Tome, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888, troisième Tome ,p.135

[4] Mercier Ernest, Op.cit.,p.135

[5] عائشة غطاس، النظم الإدارية المركزية...،ص.125 وأنظر حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1975 ،ص.109

و كان يشرف أيضا على الجماعات المهنية ،والجماعات السكانية وبخاصة –جماعات البرانية –كما كان يحرص على تسلم الضرائب وحقوق الرسوم من أمناء الحرف وتسليمها لخزينة الدولة،وقد يحتفظ بجزء منها لتصريف حاجاته ،والقيام بأداء مختلف المهام المنوطة به والالتزام بواجباته.[1] و كان يعينه في مهامه مجلس مشكل من أعيان المدينة، وعدد كبير من الموظفين الذين يعينون من طرفه[2].

ومن هنا يمكن القول أنه وإن كانت الوظائف السامية على مستوى الإدارة المركزية حكرا على العثمانيين؛ فإنه بالمقابل فسح المجال للعنصر المحلى للإسهام في تسير المؤسسات الحضرية وفي مقدمتها مشيخة البلد[3]. وقد ذكر أحد الملاحظين الأجانب أن الإدارة المحلية الحضرية لمدينة الجزائر تستحق الثناء ،فموظفوها الحضريون يتميزون بوضوح عن موظفي الدولة ويختارون عادة من صفوف الأهالي من سكانها القدماء ،ويفهم من هنا البلدية ويمكن أن يضاف إليهم الأندلسيون[4].

و اكتفى البلدية بما كانوا يمتلكونه من إمكانيات مالية ،واقتصادية،ولم يتدخلوا في الشؤون السياسية ولم يصبوا إلى ارتقاء المناصب السياسية[5]،وهذا ما جعلهم لا يدخلون في خلافات مع العثمانيين ولاسيما أن مصالحهم لم تكن مهددة ،وأنه كانت تربطهم علاقات مصاهرة مع العثمانيين منذ وجودهم في الجزائر[6].

---

[1] عبد الله بن محمد الشويهد ،قانون أسواق مدينة الجزائر 1107 -1117 ه/1695 -1705م ،تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي 1427 ه-2006 ،ص.77 -تعليق المحقق في الهامش- ،وأنظر حمدان خوجة،مرجع سابق ص.109 أنظر أيضا :

Albert Devoulx, tachrifate Recueil de Notes Historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p.23

[2] Mercier Ernest, Op.cit., p.135

[3] عائشة غطاس، النظم الإدارية المركزية.، مرجع سابق، ص.128

[4] William Shaler, Esquisse De l'état D'Alger, considéré sous les rapports politique historique et civil ,par William Shaler consul-général des états –Unis à Alger, Traduit de L'anglais ,et Enrichi de Notes par M.X .Bianchi ,Librairie Ladvocat, palais –royal ,paris Camoin Librairie ,Marseille, Laurent, Librairie, Toulon,1830,p.72

[5] و ما يدعم ذلك أيضا ما ذهب إليه الأستاذ الباحث أرزقي شويتام حين قال :"أنه كان بإمكانهم أن يرجحوا الكفة لصالحهم ويستولواعلى السلطة إلا أنهم لم يستغلوا الفرص العديدة التي أتيحت لهم مثل المحاولات الانقلابية التي قام بها أحمد بن القاضي في مطلع القرن 10ه/16م و الكراغلة في مطلع القرن11ه/17م .....ولكنهم فضلوا الوقوف إلى جانب السلطة حفاظا على امتيازاتهم المادية كما أنه لم يحاولوا الاستفادة من ذلك التنافس الذي نشب بين الإنكشاريين و الرياس بل اكتفوا بدور المتفرج " أرزقي شويتام، المجتمع الحزائري ... ،صص.132-133

[6] المرجع نفسه، ص.134

و قد كان لهذه المصاهرات أثار إيجابية على البلدية ونستدل على ذلك بما ذكره وليام شالر: "...إن الازدهار والرخاء الذي شاهدته مدينة الجزائر والذي استمر على مدى سنوات عديدة دون انقطاع كان من نتائجه تركيز ثروات معتبرة وضخمة في عائلات من السكان المحليين التي دخلها الأتراك عن طريق الزواج والمصاهرة ،وهكذا وبالرغم من أن السلطة كانت بيد الأتراك دون غيرهم؛ فإن أملاكهم ،و ثرواتهم كانت تنتقل لتستقر بين أيدي العائلات الجزائرية وكان من النادر جدا أن يستعمل العنف ،والقوة لانتزاع هذه الثروات من هذه العائلات وثروة التركي أمر غير مضمون خلال حياته؛والسبب أن حياته محل تهديد بسبب انشغاله بالأمور السياسية ،والعسكرية ولكن الأهلي، أو الساكن المحلي لا يمكنه أن يطمح في الوصول إلى أي وظيفة عليا وهذا في الميدان السياسي، والعسكري ،وفي كل التمردات ،والثورات دوره سلبي حيث لا يشارك في أي عمل معارض للسلطة وممتلكاته هنا في مدينة الجزائر تحظى بالأمان"[1] .

وما يؤكد ذلك ما جاء في عريضة موجهة من طرف أعيان مدينة الجزائر إلى سلطات الاحتلال الفرنسي سنة 1833م ومما جاء فيها في هذا الشأن:

"..... تحت سلطة الدايات في الجزائر كان سكان مدينة الجزائر المسلمين من العنصر المحلى وبخاصة من البلدية مقصين ومبعدين من الوظائف الكبرى، أو العليا في الإيالة ، وكان الكراغلة على غرارهم أيضا مستبعدين منها ؛فكل السلطات كانت متمركزة في أيدي الأتراك العثمانيين ،وفي المقابل تمتع سكان مدينة الجزائر بحرية كبيرة ولم يكونوا يدفعون أي ضريبة ووفر لهم القانون نفس الحماية التي كانت توفر للأتراك العثمانيين وكل فرد كان يعامل حسب مكانته ،وكانوا مدينين بهذه المعاملة الحسنة والحماية إلى سلوكهم الحسن وحبهم للنظام، وعدم اهتمامهم إلا بالأمور التجارية ،ولم يتخوف الأتراك منهم لأنهم لم يبادروا أبدا بالقيام بما يوقظ هذا الشعور لديهم...."[2].

[1] William Shaler, Op.cit.,p.72

[2] Note Traduite de l'arabe adressée par les principaux habitants d'Alger, précédée d'un avant-propos par le D^R BARRACHIN, ex sous-intendant civil D'Oran ,Paulin ,Libraire-éditeur, Garnier libraire ,Paris 1833,p.13

فكانوا يعيشون في وئام مع النظام العثماني[1]؛حيث ذكر أحد الملاحظين الأوروبيين أن سكان مدينة الجزائر ،وبخاصة البلدية كانوا يخضعون بإرادتهم لحكم الأتراك –العثمانيين–[2] ويساهمون بقدر معتبر في إثراء الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر، ونظرة سكان مدينة الجزائر وفي مقدمتهم البلدية للحكام العثمانيين لم تكن نظرة سلبية؛ فلم ينظروا إليهم كمستبدين ومستغلين ومستعبدين على عكس ما حاولت بعض الدراسات التاريخية وخاصة الاستعمارية الترويج له وهو ما نستخلصه من شهادة الضابط الفرنسي روزيت (Rozet) الذي تميز بنوع من الموضوعية في تناوله لتاريخ الجزائر حين قال:

"...عدد الأتراك العثمانيين في العاصمة أكبر من عددهم في أي منطقة أخري في الايالة وبها كانت سلطتهم أكثر حضورا وتمثيلا ،و فيها كانت عجرفتهم تجاه بقية عناصر المجتمع أشد وطاءة وبالرغم من ذلك لم يتحدث سكانها عن الأتراك بالسوء مطلقا بل بالعكس؛ فكل الذين سنحت لي الفرصة بمحادثتهم كان يبدو عليهم أنهم يكونون لهم كل الاعتبار والإعجاب ..."[3].

2 – جماعة البرانية :

شكلت جماعة البرانية بمختلف عناصرها جزءا هاما من التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني بالنظر إلى تعدد فعاليتها، وقد خضعت هذه الجماعة لتنظيم اجتماعي خاص بها ،وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال هذا المبحث .

وجماعة البرانية كانت تمثل المجموعة السكانية، التي ألفت، أو اعتادت الهجرة إلى مدينة الجزائر من أنحاء البلاد أي أنهم كانوا من سكان البلاد الأصلين لقضاء فترة من الوقت قد لا

---

[1] لم يقم البلدية الحضر طوال العهد العثماني بمحاولة منافسة الأتراك العثمانيين على الحكم ماعدا المحاولة الوحيدة التي قاموا بها بعد مقتل سالم التومي في مطلع القرن 10 هـ (16م) ولكن تم اكتشاف مؤامرتهم وإعدام زعمائها أو قادتها للتوسع حول الموضوع أنظر مجهول ،المصدر السابق ،ص.56 و أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري ...، ص.132

[2] HEBNSTREIT (J.E.), Voyage à Alger ; Tunis et Tripoli entrepris aux frais et par ordre de Frédéric Auguste ,roi de Pologne ,etc. …., en 1732 In : **Nouvelle Annales des voyages et des sciences géographique**, publiés par MM.Eyrlés, de Larenaudiére et Klaproth, tome second ,de l'année 1830,Librairie de Gide fils ,paris 1830 ,p.13

[3] Rozet(M), Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, en trois tomes, Arthus Bertrand, libraire éditeur, paris, 1833, troisième tome, pp.70-71

تزيد في الغالب عن الستة أشهر[1] ويمكن أن نستدل على هذه الفترة الزمنية مما أورده وليام شالر حين تطرق لجماعة القبائل :

"يرتبط القبائل ارتباطا شديدا بالمناطق التي شهدت مولدهم والتي قدموا منها للعمل في مدينة الجزائر كخدم وسعاة في دور القناصل الأوربيين ،وهذا الارتباط القوي بمسقط رأسهم يجعل من الصعب الإبقاء عليهم في عملهم لمدة ستة أشهر دون أن يذهبوا لرؤية جبالهم مرة أخري ، ولا يردعهم عن ذلك حتى خوفهم من المخاطرة بفقدانهم لوظائفهم لدى عائلات يحبونها، وتعاملهم بإحسان "[2].

فجماعة البرانية[3] كانوا يمثلون السكان الغير الأصلين بالمدينة من سكان البلاد ذو الأحوال الاقتصادية المتواضعة الذين كانوا يقصدون المدينة للإقامة، والعمل في أنشطة وأعمال مختلفة[4] ،ويمكثون فيها الوقت الذي يسمح لهم بأن يجمعوا مبلغا من المال بمشقة قبل الرجوع إلى حضن أسرهم ليستفيدوا من تلك الأموال[5]؛ فمنهم من كان يستثمرها في ابتياع بساتين النخيل كالبساكرة والمزابيون ،و الأغواطيون، أو في اقتناء أشجار الزيتون مثلما كان الحال بالنسبة للزواوة، ونحو ذلك بعد عودتهم إلى أهلهم[6] ،وكانوا يعودون إلى المدينة عند شعورهم بالحاجة ويعيشون في الفنادق ،أو الأكواخ خارج باب الواد، وباب عزون مدة إقامتهم في مدينة الجزائر؛ أي أن هذه الجماعة كانت تأتي من داخل البلاد إلى مدينة الجزائر للعمل فيها مؤقتا.

وكان مجموع أفراد جماعة البرانية يخضعون من حيث تعدادهم في مدينة الجزائر إلى عامل الرخاء، وتوفر فرص العمل و كسب لقمة العيش؛ وهكذا نلاحظ أنه خلال الفترة المدروسة

---

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.258

[2] William Shaler , Op.cit.,1830,pp.122 - 123

[3] مصطلح البرانية هنا يحمل دلالة جغرافية فالمقصود منه، الوافدون من خارج حدود المدينة أي من داخل البلاد، و يمكن اعتباره نوعا من النزوح الريفي.

[4] Mouloud Gaïd, L'Algérie sous les turcs, Société National Edition et Diffusion(SNED), Alger, sans date, p.198

[5] Gramaye (J.B), Op.cit., p. 90

[6] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول، ص.151

ارتفع عددهم إلى أكثر من اثني عشر ألفا.[1] ولابد أن مرد ذلك الازدهار الاقتصادي و التطور العمراني الذي شاهدته مدينة الجزائر حينها.

وقد انتظم أفراد هذه المجموعة وفق أصولهم الجهوية، ومواطنهم الأولى في شكل جماعات كان على رأس كل منها أمين مكلف بالرعاية، والسهر على مصالح هذه الجماعات ،وتأدية دور الوسيط بينها، وبين السلطات[2].

وتولى شؤونها فيما يختص بأمور الشرطة، والقضايا العدلية، وكان يساعده في ذلك أعوان و شاوش ،وكتاب، وكانت السلطات تعترف بسلطة هذا الأمين[3] وهذا ما يظهر بشكل جلي في جماعة بني ميزاب التي كان أمينها في مدينة الجزائر المسؤول الوحيد على أخد العادة الضريبة البشماق سواء كان ذلك عن حانوت،أو حمام أو غيره – من أفراد الجماعة الموجدين في مدينة الجزائر ،و في عنابة ،و في وهران ولا يعترض أحد على حكمه، ولا يدخل أحد لدار السلطان من غير إذنه ،والذي كان يفعلها كانت تجب عليه عقوبة شديدة[4].

وهذا على غرار التنظيم الحرفي في مدينة الجزائر الذي كان قائما على أساس الجماعات الحرفية ؛حيث وجد على رأس كل جماعة حرفية أمين[5] يشرف على شؤونها ويتمتع بسلطة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، مرجع سابق ،ص.99

[2] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant la période ottomane, office des publications universitaire(OPU), Alger, 1998, p.91

[3] ولم يقتصر دور الأمين في الإشراف على الجانب الأمني في جماعته وحل النزعات التي قد تقوم بين أفرادها إذ نجده يؤدي دورا فعالا في تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي من خلال الحرص، والعمل على تقديم الإعانات، والمساعدات للمعوزين وذوي الحاجة من أفراد جماعته مما كان يتحصل عليه من عوائد أنظر:عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700 - 1830 مقاربة اجتماعية –اقتصادية، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار(ANEP)،الجزائر 2007 ص.40.

[4] Archive d'autre Mer ,Dossier Concernant les Corporations des berranis : Béni –Mezab, Kabail, Négres et biskris 1832- 1841 Rapport au Conseil d'Administration(A.O.M) F80-557 copier de :

عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700 -1830 مقاربة اجتماعية –اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، الجزء الأول، إشراف الدكتور مولاي بلحميسي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000 - 2001، ملحق رقم 4 ،ص.477

[5] Pananti Pilippo, Relation d'un séjour à Alger, traduit de L'anglais, chez le Normant imprimeur-libraire,à Paris, 1820,p.359

واسعة على أهل جماعته[1] حيث كان يعد بمثابة المسؤول الأول عن كل أفراد جماعته وحينما يتعلق الأمر بتنفيذ عمل، أو مشروع للصالح العام ويطلب منه إشراك جماعته في تنفيذه فإن أفرادها يمتثلون له ويستجيبون لما يطلبه منهم أمينهم بصورة كاملة وفورية[2] و كان يشرف على كل هؤلاء الأمناء موظف يعرف بأمين الأمناء[3].

و اختصت كل جماعة من مجموعات البرانية في مدينة الجزائر بأداء مهام، والقيام بأعمال معينة، وفيما يلي ذكر لأهم ،وأبرز تلك الجماعات السكانية التي كانت تشكل جزءا هاما وجد نشيط من المجتمع، ساهم مساهمة فعالة في عدة جوانب كانت تخدم الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر. ويذكر ريني ليسابس (Lespés) أنه قبل1830م بوقت طويل اتخذ الأتراك –العثمانيون–جانب الحيطة بتنظيم البرانية ؛والذين عرفهم بكونهم مجموعات من السكان المحليين المسلمين المتواجدين بالمدن ،وتعود أصولهم إلى المناطق الداخلية في جماعات مسيرة من طرف أمناء مسؤولين أمام البايلك ،و كانت تلك طريقة أو وسيلة تهدف لمراقبتهم والاستفادة منهم في نفس الوقت "[4].

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن تبنى هذا التنظيم وتطبيقه في مدينة الجزائر من طرف الحكام العثمانيين يعد من الآثار التي ترتبت عن قيام نظام الحكم العثماني فيها ،والذي تجسد في ميدان التنظيم الاجتماعي ،ومن تم نسجل تدخل السلطات في هذا الجانب لما له من تأثير على بقية الجوانب ،ولاسيما تأثيره على الجانبين الأمني، والاقتصادي، ونظرا لفاعلية هذا النظام فقد أبقى عليه المحتل الفرنسي خلال السنوات الأولى للاحتلال مع إدخال بعض التعديلات عليه[5].

---

[1] Miriam Hoexter, Taxation Des Corporations Professionnelles D'Alger à L'époque Turque ; IN: **Revue de L'occident Musulman Et de La Méditerrané**, 2 Emme Semestre Numéro 36, imprimerie louis –jean, Aix -en- Provence ,1983, p.20 voir aussi William Shaler, Op.cit., p.91

[2] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون ..."،ص.40

[3] حول هذه الوظيفة أنظر الفصل الثاني من هذا الباب

[4] René Lespés, quelques documents sur la corporation des mozabites d'Alger dans les premiers temps de la conquête (1830-1838),In : **Revue Africaine**, tom 66 Année 1925 p.197

[5] وذكرت الأستاذة الباحثة عائشة غطاس أنه وبالرغم من مساعي الاحتلال الفرنسي الهادفة إلى تحطيم وتفكيك البنية الاجتماعية بأكملها ؛فقد ظلت المبادئ التي كانت سارية في العهد العثماني فيما يتعلق بتنظيم جماعة البرانية سارية أيضا=

1-جماعة بني ميزاب:

و المقصود بهم أتباع المذهب الإباضي ،وكانوا أصلا من سكان قرى ووادي ميزاب و ورقلة والقرارة[1]،و كان لديهم حق التقاضي إلى قاضيهم المقيم في غرداية والاعتراف لهم بمذهبهم الإباضي.[2]، وكان للمزابيين مساجدهم الخاصة[3]، وفي هذا الصدد ذكر وليام شالر أنهم كانوا مسلمين ،ولكنهم يختلفون في بعض النقاط التي لا يمكنه شرحها ،وأضاف أنهم كانوا يرفضون إقامة الصلوات في المساجد العامة ،وكان لديهم خارج مدينة الجزائر طاحونة يجتمعون فيها لأداء صلواتهم ،وقد علل شالر عدم أدائهم للصلوات في مساجد مدينة الجزائر بنظرتهم إليها كأمكنة غير طاهرة لمرور قنوات تصريف المياه والنفيات تحتها [4]. و لكن التفسير الذي لم يدركه شالر هو أن ذلك الاختلاف مرده إتباعهم للمذهب الإيباضي[5].

=بعدسنوات من الاحتلال مستندة في ذلك إلى تقرير مجلس الإدارة الفرنسي في السنوات الأولى التي أعقبت الاحتلال يتضح منه أن التنظيمات الفرنسية جاءت لقلب كل التنظيمات السائدة مع الإقرار بعجز الإدارة عن تحقيق ذلك وأوردت نص هذا التقرير ؛الذي نورده بدورنا لأنه يؤكد حسب ما استخلصناه منه فعالية التنظيم الاجتماعي،والاقتصادي الذي خضعت له جماعة البرانية في ظل الحكم العثماني لدرجة تمسكها به حتى بعد تعرض مدينة الجزائر للاحتلال الفرنسي وهو دليل أيضا على أن هذا التنظيم لم يفرض عليهم فرضا من قبل الحكام العثمانيين بل استند في مبادئه ،وتطبيقه على جملة من العادات والأعراف والتقاليد المستمدة من المجتمع نفسه :"...لقد أسأنا التقدير عندما لم ندرك أن إخضاع الأفراد إلى عاداتنا وتنظيماتنا أعصر من الانتصار عليهم.....إن الشعب الجزائري أكثر الشعوب تمسكا بتنظيماته، وتقاليده وإني لعاجز على فرض، أو ممارسة نظام آخر عوض نظامهم الساري على الجماعات الموجودة بمدينة الجزائر، وبالفحص " أنظر:

A.O.M F80-557 Dossier Concernant copier de :

عائشة غطاس، الحرف والحرفيون..."، المرجع السابق، ص.48

للتوسع أكثر حول التعديلات التي أدخلتها سلطات الاحتلال الفرنسي على التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للبرانية أنظر:

Arrêté de M. le gouverneur général qui règle l'organisation des différentes corporation qui résident sur le territoire dont la France s'est réservé l'administration, Alger, le 31 janvier 1838 et voir aussi Arrêté de M. le gouverneur général la corporation des Kabaïls, In :**bulletin Officiel des Actes du gouvernement** , depuis le 1 octobre 1834 jusqu' a 1 janvier 1839, Numéro 1 a 16 du bulletin publie à Alger ,imprimerie Royal Paris ,1843

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.99

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.83

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.253

[4] William Shaler, Op.cit., p.116

[5] حيث نجدهم في الصلاة يختلفون مع أهل السنة من حيث عدم رفع اليدين في تكبيرة الإحرام ،والسدل في الصلاة وعدم تحريك السبابة في التشهد ،والسر في جميع صلواتهم حتى الجهرية ،وغيرها من مسائل الفروع في الصلاة للتعرف=

وكانت جماعة بني ميزاب شديدة الحيوية، و الأولى من بين الجماعات الأخرى المشكلة لمجموعة البرانية لأهميتها العددية ،والاقتصادية –فقد كانت من أغنى جماعات البرانية والدلل على ذلك أنها كانت تقدم في الكثير من الأحيان قروضا للباشاوات[1].

وتحكم أفراد جماعة بني ميزاب في إدارة الحمامات العمومية؛ أي كانوا يشرفون على تسيرها بل وكانوا يحتكرون هذا النشاط [2]،وخير ما يدعم ذلك مخطوط قانون مدينة الجزائر، أو قانون على أسواق مدينة الجزائر الذي جاء فيه ما يلي: *الحمد لله وقع الاتفاق من جماعة{كذا} أهل الحمامات بالجزاير{كذا} المحمية وبمحضر العلامة الشيخ الفهامة سيد مصطفى العنابي ابن رمضان وبمحضر امين {كذ} الامناء{كذا} السيد محمد بن المرحوم بكرم الله السيد يوسف الشويهد وبمحضر امين{كذا} الجماعة المذكورة وهو سعيد الشريف الحمامى{كذا} وكاتب الحروف الفقير الى {كذا} ربه احمد بن سعيد وفقه الله وأصلح شانه{كذا} في الدارين واتفق رايهم{كذا} ان {كذا} من خرج من الحمام من الجماعة المذكورة وتولى غيره كراء الحمام الذي خرج منه وكان المتولي من غير جماعة بنى مزاب فلا يخرجون الطيابين{كذا} الذى{كذا} به ولا يفسدونهم عليه ليبطل كراء الحمام الذي خرج منه ويكسد ويبخس فبذلك وقع اتفاقهم وامرهم{كذا} وانعقد{كذا} كراء الحمامات على ذلك سنة 1111 هـ*(1699م)" [3].

كما جاء أيضا في هذا الشأن:

" الحمد لله اتفقنا مع جماعة بني ميزاب المتوالين كراء الحمامات ببلد الجزاير *{كذا}* بين يدي الشيخ المفتي وعبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد و انهم*{كذا}* ضامنون بعضهم بعضا وان *{كذا}* من غاب منهم من البلد وبقي بذمته كراء لرب الحمام يؤدون عليه البقية في الجزاير*{كذا}* واتفقوا لرب الحمام ان*{كذا}* وجد من يزيد له في كراء الحمام يقبل الزيادة والمعاون الذي يكون في الحمام يناد على الجماع ويحضر الامين ويجعل له اوقية اذا ضارب المعاون يبع والا*{كذا}* يحمل ماعون ويبيع لمن اراد*{كذا}* ولا يخرج احد*{كذا}* من الطيابين*{كذا}* وغيرهم ليعطل الحمام الذي يتنزل.... كل ذلك وقع بين ايدينا *{كذا}* وكتبنا

=على خصوصيات المذهب الإياضي أنظر: صابر طعيمة،الاياضية عقيدة ومذهبا ،دار الجيل بيروت ،1406-1986

[1] Albert Devoulx, tachrifate..., p.23

[2] William Shale,Op.cit., p.116

[5] قانون مدينة الجزائر، مصدر سابق، ورقة 12 في النسخة الأولى /والورقتان 53 و 54 في النسخة 2

به كتابا بالعدد الا هو{كذا} تحت يد امين الجماعة في غرة محرم الحرام فاتح احدى عشر ومائة والف سنة 1111(1699)"[1].

ومما سبق نلاحظ قيام بني ميزاب[2]باكتراء الحمامات لتسيرها، وإدارتها وفق عملية مقننة كما نتبين مسألة أخري ألا وهي مسألة التعاون والتكافل بين أفراد الجماعة الواحدة من حيث نسجل تكفل كل أفراد الجماعة بدفع الديون والمستحقات التي تترتب على أحدهم إذ ما غاب دون أن يقوم بدفع ما يتوجب عليه .

وكان من بني ميزاب البقالون الذين يشتغلون في دكاكين الفواكه، و تجار الأقمشة و الطباخين و كان من بينهم أيضا كما ورد في دفتر التشريفات الوسطاء ،وبائعي الفحم والموزعين[3].

وكانوا يشرفون أيضا على تسير جل أفران الخبز في المدينة، و مطاحن الحبوب التي كانت تديرها البغال[4]، أو الجمال ،و في هذا الإطار نذكر الاتفاق الذي تم بين جماعة بني مزاب و جماعة الجيجلية سنة1018 هـ(1609م)؛ حيث جاء فيه:

" وقعت الموافقة مع الجيجليا وبنى{كذا} مزاب الفرانين على حق الرحا{كذا} للعسكر المنصور باربعة درهم للصاع ووزن الصاع سبع وثلاثون رطل ونصف جالى ربيعيا{كذا} خمسة وسبعون وكان الاتفاق بينهم عام 1018هـ (1609م)"[5]. وكذلك" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد ما وقع مع بنى {كذا} مزاب والكواشين{كذا} الذي{كذا} يعمل خبز العسكر الله ينصرهم على شان{كذا} الرح{كذا} يعطوا اربعة درهم لصاع ووزن الربيعا خمس وسبعون رطلا جال {كذا} كل صع سبع وثلاثين ونصف الرطل لكل صاع وكان

[1] المصدر نفسه، الورقة 12 من النسخة الأولى/ و ورقة55 من النسخة2

[2] وتجدر الإشارة إلى أنه يرد ذكر بني ميزاب في الوثائق المحلية مثلا في عقود المحاكم الشرعية بوضع الصاد موضع حرف ز"بني مصاب" أو"المصابي "ومن الأمثلة على ذلك :"....بعد أن تبث اشتراك المكرمين الأبر الحاج محمد وأخويه رابح ويحي أولاد الصاير إلى عفو الله وغفرانه الحاج علي بن سليمان المصابي نسبا ....."أنظر :الوثيقة رقم 91 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين "في العلبة 27-2 تاريخها 1162 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] Albert Devoulx, tachrifate…, p. 23

[4] Jean Monlaü, Les Etats barbaresques, 1erédition , imprimerie des presse universitaires France,Vendôme,1964, p.110 voir aussi William Shaler ,Op.cit.,p.116

[5] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 6في النسخة الأولى، / ورقة25 في النسخة 2

اتفاقهم {كذا} مع كهى{كذا} بلك و ياباشي و شاوش والحاج سليمان الشويهد بتاريخ 1018هـ (1609م)"[1].

وهو ما يؤكده ما جاء في وثيقة قضائية التزم فيها المدعو نوح المزابي إلى جانب دفعه لإجار الفرن الذي كان يستأجره بطحن كمية من الحبوب يتقاسمها الشريكين في ملكية الفرن [2]كجزء من الاتفاق الذي يخول له الاستفادة منه ونص ذلك :

"الحمد الله حضر بمحضر شهديه وبالمحكمة الحنفية من بلد الجزاير المحمية الناسك الأبر الحاج محمد ....ابن السيد سليمان الصباغ في حق نفسه والمكرم أوذباشي بن محمد التركي في حق زوجه الحرة فاطمة بنت السيد محمد الصباغ بحكم نيابته عنها وتوافق مع نوح المصابي {كذا} موافقة صفتها ان التزم لهما نوح المذكور بطحن ستة أصع قمحا .....انصافا بينهما سوية و اعتدالا في كل شهر من تاريخه لما يستقبل زيادة على ما نعقد به الكراء بينهم في الفرن المعد لطحن القمح الذي في اعتمار نوح المذكور ..... "[3].

وما سبق دليل ذكره على قيام بني ميزاب بطحن الحبوب التي كانت موجهة لصنع الخبز الذي كانت تتولى صنعه جماعة الجيجلية في مدينة الجزائر للعسكر ،وبقية السكان –كما سيذكر لاحقا – و منهم أيضا من اختص في أعمال الجزارة؛ حيث كان يوكل إليهم عادة ذبح بيع الحيوانات كالبقر ،والغنم ، وبيع لحومها ؛فقد كانوا جزارين ،وهذا ما يثبته ما جاء في مخطوط قانون مدينة الجزائر في هذا الشأن :" اذ جات رميا من دار الامارة غنم او {كذا}بقر فتكون على الجلابين وبني مزاب والوزاعين والذي {كذا} يخدم اللحم بينهم كل واحد يتبع {كذا} غرامت ثم ينقسم بنى {كذا}مزاب الجزارين النصف والجلاب الربع والوزاع الحصير الربع والسلام عليكم هذا ما وجدنا في زمام القديم بيان ما يأخذ {كذا} الذباح من الوازعين بباب عزون"[4].

---

[1] المصدر نفسه، ورقة 7 في النسخة الأولى /ورقة25 في النسخة 2

[2] ولابد من الإشارة إلى أن مصطلح الفرن في الوثائق الأرشيفية يقصد به المكان الذي تطحن فيه الحبوب أما الكوشة ؛فهي مخصصة لطهو، وبيع الخبز.

[3] الوثيقة رقم 24 "تعاقد حول كراء فرن"، في العلبة 22-2 ، من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] قانون مدينة الجزائر، مصدر سابق، ورقة 11في النسخة الأولى/ ورقة49 في النسخة 2

وفي محل آخر من المخطوط جاء ما نصه:

" جات رميا لدار الامارة وبعت للمعلمين بنى {كذا}مزاب {كذا}وقال لهم خذوه وحدكم عن باب {كذا}حسن واليهود ما يخدوش...»[1]. أي أنه وصلت لدار الأمارة إتاوة من البقر والغنم خصصت هذه المرة لجماعة بني ميزاب الجزارين دون غيرهم.

و كان من بين بني ميزاب من يعملون كموزعين للحوم على المذابح، والجزارات حيث ورد ذلك أيضا في مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر عند الحديث عن القانون الخاص بالوزاعين ونصه:

"قانون الوزاعين البقر اذا *{كذا} كان من خمس ريالات لفوق للوازعين الحصير واذ {كذا} كان من خمس لتحت فهو لبنى مزاب {كذا} باش {كذا} يعمر {كذا}السوق عام 1046هـ[2] ."-أي سنة 1601 م-.*

وما كان يميز هذه الجماعة هو تفانيها في العمل، ونزاهتها وحرصها على إتقان العمل الموكل إليها، كما عرفت بإخلاصها للحكام والوقوف إلى جانبهم ضد أعداءهم[3]؛حيث ساهموا في دحر حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541م[4] ؛فعندما وصلت الحملة الإسبانية إلى الجزائر، وأراد لإسبان الاستيلاء على مدينة الجزائر احتلوا الموقع المعروف بكدية الصابون المشرف على مدينة الجزائر الذي سيشيد فيه برج مولاي حسن والمعروف أيضا بحصن الإمبراطور ولم يقدر العثمانيين على إخراجهم منه؛ فتصدي لهذه المهمة بني ميزاب وباتفاق مع الحاكم

---

[1] المصدر نفسه

[2] المصدر نفسه ورقة 6 في النسخة الأولى/ ورقة 26 و 27 في النسخة 2

[3] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق،ص.100

[4] وقد أورد الباحث حمو محمد عيسى النوري عند حديثة عن دور بني ميزاب في ظل الحكم العثماني أن بني ميزاب لم يساهموا في دحر حملة شرلكان على مدينة الجزائر فقط؛ بل سبق لهم أن ساهموا في دحر حملة هيقوا ديمنكاد 1518م مستعملين الحيلة أيضا؛ حيث احتالوا أيضا على قوات الإسبان التي عسكرت بالقرب من الشاطئ والحيلة المذكورة هي تظاهرهم بالخروج في جنازة وإخفاءهم لأسلحتهم في نعش الميت المزعوم ثم قيامهم بتدمير المعسكر بعد نجاح أحدهم في تفجير مستودع بارود معسكر الإسبان مما تسبب في خسائر كبيرة للعدو في العتاد، والرجال ،و تمكن الباقين من فرقة بني ميزاب من إشعال النار في القوارب التي تصل الأسطول بالبحر ،وفي كل ما من شأنه أن يقطع الرجعة على العدو ...الخ للتوسع حول ذلك أنظر: دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا،في مجلدين ،دار الكروان ،باريس 1984 المجلد الأول صص.206-207

العثماني استعملوا الحيلة؛ حيث لبسوا لباس النساء ،وخبئوا أسلحتهم ،وتظاهروا أنهم يهربون من سكان مدينة الجزائر فاحتموا بالمعسكر الإسباني أين استقبلوا من طرف الإسبان؛ ولكن بمجرد أن دخلوه حتى أشهروا أسلحتهم ؛ فدار صراع بينهم، وبين الإسبان انتهي بخروج هؤلاء من المعسكر المحصن الذي أقاموه ،و بهذا تمكن بني ميزاب أن يسيطروا على هذا الموقع الاستراتيجي[1].

ولابد أن نشير إلى أنه منذ ذلك العهد أصبح بنو ميزاب يتمتعون بامتيازات عديدة حيث اقترح عليهم حاكم الجزائر حينها حسن آغا أخد المال كمكافأة لهم على نصرتهم لعسكر وحاكم الجزائر، ولكنهم رفضوا، وطلبوا عوضا عن ذلك بعض الامتيازات ،وفي مقدمتها الاحترام، والحرمة ،وأن لا يتم التدخل في جماعاتهم؛ حيث يكون أمينهم المسؤول الأول والأخير عنهم فلا يقتل أو يحبس، أو يعذب، منهم أحد ، وحتى إذ تم القبض على فرد من جماعتهم لابد أن يأتي به إلى أمينهم الذي يتصرف فيه وفق ما يراه مناسبا فضلا عن مسألة احتكارهم لبعض المهن؛ حيث تكون الحمامات كلها بيد بني ميزاب[2]. وتجارة بيع الفواكه وغير ذلك وأن يتلقى أمينهم هدايا من الحاكم ،والبايات وهذا ما توضحه رسالة من هذه الجماعة إلى الحاكم العام الفرنسي "دورون ديرلون" (Drouet D'erlon) أول حاكم عام للجزائر في إطار إعادة تنظيم جماعة البرانية[3].وأكد بنو ميزاب من خلالها أن كل سكان مدينة الجزائر يمكنهم أن يؤكدوا تلك الحقوق، والامتيازات التي كان يتمتع بها أمين بنو ميزاب وذكروا مسألة أخرى هامة، وهي أن السجلات التي هي بدون شك بين أيدي الحاكم العام تثبت وتؤكد ذلك[4].مما يعني أنه كانت توجد سجلات خاصة كانت تقيد فيها معلومات عن تنظيم المجموعات المشكلة لجماعة البرانية في ظل الحكم العثماني .

---

[1] René Lespés, "quelques documents ..." , p.199 voir aussi

حمو محمد عيسى النوري،المرجع السابق،صص.215-216

[2] حيث منحوا كمكافأة لهم بعد مساهمتهم الفعالة في دحر حملة شرلكان أربعة حمامات ليشرفوا على تسيرها و هي: حمام فويطة وحمام سيدنا وحمام سركاجي وحمام كتشاوة أنظر:حمو محمد عيسى النوري ،المرجع السابق ،ص.208

[3] Dossier Concernant les Corporations … , A.O.M F80-557 copier de :

عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة.، المرجع السابق ،ملحق 4، ص.477 أنظر أيضا:

René Leseps," quelques documents…", p.199

[4] Ibid., p.200

وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه وليام شالر في مرحلة سابقة لهذه الرسالة حين ذكر عن بني ميزاب أنهم مستقلون تماما في ظل الحكم العثماني ،و أن امتيازاتهم ،وتجارتهم كانت محمية بعهود وعقود موثقة منحت لهم من طرف سلطات الإيالة ،وأنهم في القضايا المدنية لا يعرفون إلا سلطة أمينهم الذي كان مقيما في مدينة الجزائر،؛ وأنهم يتمتعون في هذه الأخيرة بالكثير من الميزات والفوائد[1].

و هناك من يشير إلى أن مطالب بني ميزاب هذه قد قدمت من طرفهم قبل قيامهم بالعملية وكشرط لإقدامهم على ذلك وأنه آنذاك كان يوجد عدد وافر في مدينة الجزائر من التجار والحرفيين الميزابين؛ فعقد بعض رجال الفتوة منهم العزم على انقاذ مدينة الجزائر من هجوم الإسبان ؛فذهبوا الى الباشا حاكم المدينة وابلغوه مطلبا يقضي التصريح بموافقته على أن يمنحهم امتيازا على ممارسة المهن التالية:

1-استغلال حمامات المدينة

2 –أن تقتصر ممارسة حرفة الجزارة عليهم لمراقبة الذبح وفق الشرع الإسلامي وكذا تعيين أمين لهم تخول اليه وحده صلاحيات الشرطة والتقاضي لديه عن كل دعوى بالترافع أمام هيئة اتحاد حرفهم-أي جماعتهم- مقابل تخليص المدينة من تدمير مدفعية العدو فما كان على الباشا– الواقع حينها أن المقصود بالباشا هو حسن آغا أمام الوضع الصعب إلا القبول[2].

وسواء قدمت هذه المطالب قبل أو بعد المشاركة في دحر الحملة فالمهم أنه تم تحقيقها والاستجابة لها وأصبحت بذلك مكسبا دائم لجماعة بني ميزاب بمدينة الجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي وهو ما نتلمسه من خلال ما أورده سيمون بفاير الألماني في مذكراته :

" الميزابين أو بنو ميزاب التي تمتد في الصحراء وتكون في بعض الأماكن جزءا منها يشتغلون في التجارة ورئيسهم هو أمين بني ميزاب أما في مدينة الجزائر نفسها فإن لهم مكافأة لهم على هجومهم على قلعة الإمبراطور وقتلهم للحامية التي وضعها شارل الخامس فيها امتيازات هامة تخول لهم دون غيرهم انشاء الحمامات العامة وغير ذلك وكذلك الاحتفاظ بما

[1] William Shaler Op.cit.,p.116

[2] حمو محمد عيسى النوري المرجع السابق ،ص.214

تدره عليهم المهن التي يمارسونها من أرباح "[1].

كما مارس المزابيون تجارة أخرى أكثر مداخيل ،وازدهار وهي تجارة العبيد السود وكانوا يشكلون المصدر، والممول الرئيسي لهم ؛فقد كانوا يؤدون دورا نشيطا في ت جارة القوافل بين تامبوكتو، ومدينة الجزائر[2].

وكانوا يسلكون في ذلك طريق غدامس بليبيا ، أو تافيلات بالمغرب الأقصى وكانت لهم عقود ،ومعاهدات أبرموها مع حكومة الجزائر التي أوكلت إليهم تصدير بضائع إفريقيا الزنجية من تبر–غبار الذهب –وجمال، وتمور ،وريش النعام[3] .

وأشار قانون مدينة الجزائر إلى ريش النعام الذي كان يحضره ،ويبيعه بنو ميزاب عند الحديث عن تحديد سعره ؛حيث جاء فيه: " *اتفق بني مزاب مع المحتسب على شان الريش بزوج سلطانية للقنطار ولا بقي بينهم خصام ...*" [4].

و لقد كانوا من أكثر الوافدين ،أو البرانية تعاونا ،وتضامنا فيما بينهم[5]، وتبلور ذلك بأشكال، وصور متنوعة كتقديم العون لمن يفلسون في تجارتهم ،وكذا التعاون لأداء ديون من يتوفون منهم ...الخ ،وهذا التعاون نلتمسه من خلال واقعة يقدمها لنا مخطوط قانون مدينة الجزائر نصها:" الحمد لله بيان ما وقع من الخصام مع جماعة بنى امزاب{كذا} من له

---

[1] سيمون بفايفر ،مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي ،تعريب أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر ،1974 ،ص.130.

[2] Gramaye (J.B), Op.cit., p.117 voir aussi William Shaler, Op.cit., p.116

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 266 أنظر أيضا:

Juchereau de Saint-Denys ,considération statistique, Historique, militaires et politiques sur la Régence D'Alger, Delaunay ,Libraire, palais-royal Galerie Valois,Paris,1831,p.51

[4] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة11 في النسخة الأولى

[5] ويبدو أن هذه الميزة التي ميزت جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر بقيت ملازمة لهم طيلة العهد العثماني؛ بل وحتى خلال المراحل الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر ؛فقد كان لديهم صندوق مخصص لتقديم المساعدات، والإعانات المالية للأفراد الجماعة المحتاجين ؛ ولهذا لم يكن يوجد فرد واحد من هذه الجماعة محتاج أو يعاني ضيق إلا وقدمت له المساعدة ، فجميع أفرادها كانوا يساندون بعضهم البعض؛ فالأكثر ثراء منهم كانوا ملاك حمامات وكانت أسطح هذه المرافق وأفنيتها الواسعة تستعمل كملاجئ خلال الليل لأعضاء هذه الجماعة ممنكانوا لا يملكون مسكن يلجؤون إليه .نظر :

BARBIER(J.) , Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, avec un vocabulaire français-arabe des mots les plus usités et un résume Historique des Guerres D'Afrique, Librairie DE L. Hachette Rue Plerre-Sarrazln 14, Paris, 1855, p.42

صنعة في الجزاير {كذا} من فرانين وجزارين وحمامجيا و حلواجيا ولبلبجيا {كذا} وهرفمجيا {كذا} وجميع من له صنعة فى الجزاير {كذا} فى شان {كذا} الخصارة الواقعة على الفرانين وترافعوا الى {كذا} حضرة السيد احمد باش {كذا}ايده الله وحضر الى ذلك السيد مهد {كذا} شيخ البلد والمكرم امين الامناء وكبراء بنى مزاب {كذا}وطال الخصام بينهما {كذا} فى شان {كذا}الخصارة المذكورة على ان يعينوهم الصنايع الاخرين فيها فاتفق راي {كذا} السيد احمد باشا مع المذكورين على ان كل صنعة وقعت فيها الخصارة من الصنايع لخدموها {كذا}بنى مزاب{كذا} فى البلد المذكورة {كذا} فتكون الخصارة على الاشخاص {كذا} بحيث كل صنعة تعطى ماينوبها من الخصارة الكاينة فى الصنعة الاخرى {كذا} وتوافقوا بذلك وترضوا....."[1] .

مما سبق نستخلص أنه في حالة حصول خسارة في إحدى الصنائع التي كانت تمارسها هذه الجماعة كانت تساهم الصنائع الأخرى الممارسة من طرف هذه الجماعة في دفعها وتعويضها كما يمكننا أيضا أن نستخرج مما سبق أهم المهن ،والصنائع التي كانت تمارس من طرف جماعة بني ميزاب ،والمتمثلة في الفرانين، والجزارين ،والحمامجيا ؛أي المشرفين على تسير وإدارة الحمامات، و لبلبجيا و قد ورد في رسم تقسيم تركة ضمن وثائق المحاكم الشرعية إشارة لامتهان بني ميزاب لهذه المهنة حيث ورد فيه ذكر الخربة التي كانت في اعتمار بني ميزاب اللابلاجية [2].أي بائعي الفاكهة الجافة، والحمص المطبوخ ،وهرفمجيا[؟] و حلواجيا أي صانعي الحلويات .

حيث برع بنو ميزاب في صنع الحلويات ومن بين الحلويات التي اشتهروا بصنعها وجدت الحلوى الشعبية ، والشهيرة بالزلابيا والتي لاتزال إلى يومنا هذا تلقى إقبالا؛ فقد جاء في مخطوط قانون مدينة الجزائر إشارة إلى ذلك عند تطرقه لعملية تحديد سعرها نصها:"الحمد دخلنا مع سي عبد الرحمن محتسب الدولاتلي على شان *{كذا}* الزلابيا امتع *{كذا}* النشا

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 13في النسخة الأولى/ ورقة 59 في النسخة 2

[2] الوثيقة رقم 30 "رسم تقسيم تركة "،في العلبة 19-1 تاريخها اواخر حجة الحرام متمم عام 1111 هـ (1705م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

وسرحها بأربع {كذا} درهم ثم بعد ايام {كذا} دخلوا اليه المعلمين بني ميزاب {كذا} وحللوه {كذا} وزاد لهم اربع {كذا} درهم....."[1].

وقد كانوا يتميزون بمميزات حسنة أخري في تعاملاتهم التجارية مع بقية سكان مدينة مثل الهدوء، والنشاط واشتهروا أيضا بأمانتهم ونزاهتهم ،وصدقهم[2]. وكانت صلتهم وثيقة بالحكام العثمانيين فإلى جانب مساندتهم لهم في التصدي للأخطار الخارجية نجدهم يساندونهم أيضا في إخماد التمردات التي كانت تقوم ضدهم على مستوى مدينة الجزائر وفي السهر على استتباب الأمن فيها ،ومثال ذلك دورهم في إخماد تمرد الكراغلة[3]؛ الذين ثاروا على سلطة العثمانيين وحاولوا التحكم في زمام الأمور سنة 1633م حيث تعاون بنو ميزاب مع العثمانيين لإخماد هذا التمرد معتمدين على نفس الحيلة التي اعتمدت من طرفهم سابقا في إطار دحر حملة شرلكان سنة 1541 م حيث كان الكراغلة المتمردين قد تجمعوا هم أيضا في أحد حصون المدينة [4]؛فكان بنو ميزاب سندا دائم للحكام العثمانيين.

2-جماعة البساكرة:

وكانوا يشكلون بدورهم مجموعة من المجموعات المشكلة للوافدين من داخل البلاد أو البرانية وكانت تتكون من حيث أصولها من أهالي مناطق الزيبان، وواد ريغ وسوف وتوغرت[5]،و يبدو أنه كان يدخل في هذا التصنيف كل من جاء من جهة الصحراء الشرقية وكان أسمر البشرة سواء جاء من تقرت ،أو واد سوف ،وغيرهم من أهل الزاب فعلا[6].

وكان البساكرة أناسا فقراء مكلفين بأكثر الأعمال صعوبة، ومشقة وأكثرها تواضعا وكانوا يشبهون في كثير من الأحيان من طرف المسافرين الفرنسيين بالسافويقار(Savayards) أو الأوفغقانت (Auvergntas)، وهم مجموعات سكانية في فرنسا كانت تقوم بنفس أعمال

[1] المصدر نفسه، ورقة 10في النسخة 1 /ورقة 46 في النسخة 2

[2] William Shaler ,Op.cit.,p.116

[3] أنظر الفصل الرابع من هذا الباب

[4] حمو محمد عيسى النوري المرجع السابق ، ص.240

[5] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 100

[6] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. 150

البساكرة[1].

و أوكلت إليهم مهام متعددة، ومتنوعة اتخذوا منها مصدرا للرزق، وكسب المعيشة فقد كانوا سقاءين، وبائعين للماء يجوبون كل أحياء المدينة في الساعات الأكثر حرارة في اليوم حاملين قربا من الماء، فيسقون المارة بماء منعش بارد مقابل بعض المال[2].كما كانوا يحملون المياه من العيون، و ينقلونها إلى البيوت مقابل أجرة معينة، وكان منهم الحمالين الذين كانوا يحملون السلع، والبضائع المختلفة، كالفحم، والحطب، والتين والحبوب[3].

و بسبب طبيعة البساكرة التي تميزت بالإخلاص والوفاء كان يتم استخدامهم في البيوت المهمة من بيوت الأغنياء كخدم موثوقين[4]. وقد كانوا السعاة الوحيدون في مدينة الجزائر و كان يتم استخدامهم دون غيرهم من طرف السلطات للعمل في الأشغال العامة[5].وهناك من اعتبر البساكرة من العناصر السكانية الأكثر ولاء ووفاء للحكام العثمانيين[6].

وعمل البعض منهم أيضا كبائعين متجولين و كعمال متخصصين في تفريغ الأوساخ وتنقية المجاري المائية، و خنادقية؛ أي أنهم كانوا يقومون بحفر الآبار وكذا تنظيفها، إلى جانب تنظيف المداخن[7].

ولعل أهم ما كان يمارسه أفراد هذه الجماعة هي الشرطة ،أو الحراسة الليلية، إذ كانوا يجوبون الشوارع المظلمة لمدينة الجزائر لحراسة الدكاكين، والأسواق، وكان منهم البوابين أيضا الذين يحرسون أبواب المدينة ويشرفون على غلقها بإحكام في ساعات الليل، وذلك قبل غروب الشمس بقليل[8].

---

[1] André Raymond, grande villes arabes à l'époque ottomane,édition sindbad, Paris, 1985 p.97

[2] Ibid., p. 97

[3] The Present State of Tangier in a letter to his Grace the lord chancellor of Ireland and one of the lords justices there, to which is added the present state of Algiers, Printed for H.Herringman, London,1676,p.91 voir aussie Jean Monlaü,Op.cit,p.110 et aussie Touati Houari, port Faix, chargeurs et debardeurs dans l'Alger du xvii[e] siècle, **dans Historie sociale de l'Algerie Etudes, Sources et Documents**, Numéro 1,Centre de documentation des sciences Humaien, Oran,1982, p.9

[4] Hebenstreit(J.E.),Op.cit.,p.13

[5] William Shaler, Op.cit.,p.114

[6] Ibid., p.113

[7] André Raymond, Op.cit., p.97

[8] Gramaye (J.B), Op.cit., p.117

و كانت مدينة الجزائر مقسمة إلى أحياء منفصلة تفصلها أبواب باب في بداية الحي أو الحومة وباب عند نهايته ،وأبواب الأحياء هذه كانت تترك مفتوحة خلال النهار لتغلق في الليل بعد صلاة العشاء و كان يقوم على حراستها أيضا أفراد من جماعة البساكرة والذين كانوا يسمحون بمرور من دعته الضرورة القصوى للخروج ليلا ،و كانوا يقومون بإيقاف الذين لا يحملون مصباحا مشتعلا في الليل تطبيقا لقانون المرور الذي يقضي بأن من واجب المسلم والمسيحي حمل مصباح ليلا، وعلى اليهودي حمل شمعة إن أرادا التنقل ليلا وللضرورة[1] لأن قوانين المدينة كانت تمنع التجوال ليلا ويستثنى من ذلك شهر رمضان، وليلة المولد النبوي الشريف[2].

وقد تحدث لوجي دوتاسي عن فاعلية نظام الحراسة– الشرطة – في مدينة الجزائر؛ فقد ذكر أن كل فرق الحراسة كانت مشكلة من الذين أصولهم من منطقة بسكرة، وكانوا مسؤولين عن أي سرقة تحدث، ويطالبون بدفع تعويض فوري عن الخسائر المسجلة عند حدوث أي سرقة هذه الحراسة كانت تجعل المدينة في أمان كبير لدرجة أن خلع الأبواب كان يعد تقريبا من قبل المعجزة [3].

و في الليل كان أفراد جماعة البساكرة ينامون في الشوارع أمام الأبواب، والمحلات والأسواق أو المنازل التي يتولون حراستها ومنهم من كان يعيش في أكواخ بضاحية باب عزون[4].

كما نجد منهم من كان يعمل في ورشات المرسى، وهذا ما عرضهم إلى الأخطار والأمراض التي كانوا ضحيتها الأولى كما عملوا على حراسة الغنائم بالميناء وتفريغ حمولات السفن وفي شحنها[5]، ومنهم من كان يعمل في مقالع الحجارة في ضواحي المدينة بمحاجر باب الوادي، وقد كان على رأس جماعة البساكرة بدورها أمين يتولى شؤون هذه الجماعة وكان يعرف عند العامة" بالبسكري سيدنا"[6].

---

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.267 أنظر أيضاWilliam Shaler, Op.cit., pp.97-98

[2] أنظر الفصل الثالث في الباب الثالث من هذا العمل

[3] Laugier (de Tassy) : Histoire des Etats Barbaresques qui Exercent la Piraterie, en deuxTomes Paris, 1757, T.2, pp.123-124 voir aussi Hebenstreit (J.E.) ,Op.cit.,pp.13-14

[4] Gramaye (J.B), Op.cit., p.117

[5] BOYER (Pierre), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention Française Librairie Hachette, 1963, p.42

[6] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.100

وفي دفتر التشريفات، وبالتحديد عند الحديث عن العدد الكبير من الموظفين الذين كانوا مكلفين بمختلف الأعمال، والوظائف في دار الباشا، جاء ذكر لموظف يعرف بالبسكري سيدنا، والذي عرف بكونه بسكريا كان مرتبطا بالباشا، ورسوله المفضل بالرغم من بساطة هندامه المشابه، والمماثل لهندام أفراد جماعته ،وقد كان شخصية مهمة بسبب هذا الامتياز والحظوة التي كان يتمتع بها ؛فكان يتلقى عدد كبير من القطع النقدية ، و حتى يعرف بنفسه خارج القصر كان يحمل على كتفه الأيمن فوطة مطوية بشكل طولي[1].

ويبدو أن دور أفراد جماعة البساكرة لم يقتصر على أداء الأعمال الشاقة بل برز منهم أيضا أصحاب الملكات العلمية الذين تمكنوا من تولى مناصب علمية في مدينة الجزائر لما تحلوا به من سعة علم من أمثال أبي الطيب البسكري الجزائري الذي تولى منصب المفتي في مدينة الجزائر وأشتهر بكونه شيخا عالما وخطيبا [2]وبلغت مكانته العلمية أن كلفه السلطان العثماني مراد الثالث بترأس سفارة وجهها إلى حاكم المغرب الأقصى أحمد المنصور الذهبي[3].

3-جماعة الأغواطيين[4]:

الذين شكلوا جماعة ضئيلة العدد بالمقارنة مع جماعة بني ميزاب ،وجماعة البساكرة وكانت أصولهم تعود إلى قبيلتي الزناجرة، وأولاد نائل، وكانوا يقومون تقريبا بنفس الأعمال التي كان يقوم بها البساكرة[5]؛أي أعمال متواضعة كانت متمثلة بالدرجة الأولى في عملية استخلاص الزيوت والمتاجرة فيها[6]. والتي كان يأتي بها القبائل إلى فندق الزيت .كما كان يشتغل عدد من أفراد هذه الجماعة في التنظيف، نقل البضائع، أعمال الوزن والكيل بأسواق مدينة الجزائر[7].

---

[1] Albert Devoulx ,tachrifate…,p.19

[2] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ،مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ،الرباط ،1972 ،ص.50

[3] عن موضوع هذه السفارة والهدف منها أنظر الفصل السادس "التعليم واللغات "في الباب الثالث من هذا العمل

[4] وتجدر هنا الإشارة إلى أن المعلومات التاريخية الواردة في المصادر عن هذه الجماعة شحيحة على حد اطلاعنا وقد يكون تفسير عزوف المصادر عن ذكر هذه الجماعة حجمها العددي الضئيل.

[5] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant… , p.208

[6] Gramaye (J.B), Op.cit, p.117 voir aussi BOYER (Pierre), la vie quotidienne…, p. 23

[7] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.101

4- جماعة القبائل أوالقبايل[1]:

كان أغلب أفرادها يرجعون من حيث أصولهم إلى المناطق الجبلية القريبة من مدينة الجزائر وكانوا أناسا فقراء دفعتهم الحاجة إلى العيش في المدينة في غرف للكراء ، أو خارجها في أكواخ ؛ وقد قدرهم هايدو في القرن 10 هـ(16م) بـ 3500[2].وغرماي في أوائل القرن 11 هـ (17م) بـ 600 منزل أي حوالي 30.00 شخص[3].

وقد عملوا ليكسبوا قوتهم، وقوت أسرهم في أعمال ومهن مختلفة؛ فمنهم من كانوا يعملون كخدم في منازل العثمانيين،وغيرهم من سكان المدينة الميسورين كالأندلسيين والبلدية حيث كانوا يقومون بمختلف المهام، والأعمال المنزلية، واقتناء المشتريات وإحضار الماء من العيون...الخ، ووجد منهم من كان يعمل في خدمة البيوت لدى القناصل الأوروبيين أو كسعاة لديهم [4].

كما عمل البعض منهم في العناية، والاهتمام بالحدائق، والحقول وأشجار الكروم المتواجدة بالفحوص[5]. وكان منهم من يمتهن بناء السفن، والمنازل، كما كان من بينهم من يتطوعون للعمل على ظهر الغيلوطات المتوسطة كمجدفين مقابل أجر معين[6]. أما الأكثر يسرا من هؤلاء القبائل؛ فكانوا التجار الصغار الذين يأتون لبيع منتجاتهم التي كانوا يحضرونها من جبالهم كبعض الأعشاب ،و الفواكه، والفحم، والزيت، والزبدة، والبيض[7] بالإضافة إلى الحليب ،والألبان والصابون...الخ[8].

و منهم أيضا من كانوا يعملون في تجارة الفحم في مدينة الجزائر في رحبة الفحم"سوق الفحم"[9]؛وقد ورد في مخطوط قانون مدينة الجزاير إشارة إلى امتهانهم لهذا النشاط عند الحديث

---

[1] The Present State.., p.91
[2] « Topgraphie….. »In: **R.A.**, T.14, 1870, p.492
[3] Gramaye (J.B),Op.cit.,p.90
[4] William Shaler, Op.cit.,p.123
[5] Haedo , « Topgraphie…»,In:**R.A.**,T.14, p.492 voir aussi Gramaye (J.B), Op.cit., p.90
[6] Haedo , « Topgraphie…»,In:**R.A.**,T.14, p.493
[7] Ibid.,p.492 voir aussi Gramaye (J.B), Op.cit., p.90
[8] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant…, p.209
[9] ونجد في الوثائق الأرشيفية إشارة إلى سوق عرفت بسوق القبايل نسبة إلى هذه الجماعة :".....ويقابل الحانوت التي في اعتمار ابن الحاج يخلف بسوق القبايل ....."أنظر: الوثيقة رقم37 "وثيقة تحوى رسمين أحدهما رسم بيع وشراء والثاني =

عن اتفاق وقع بينهم، وبين قايد رحبة الفحم جاء فيه :" الحمد لله على بركة الله امشاو {كذا} القبايل {كذا}الفحامين شاكين لباب حسن قرا على {كذا} ومشيت لعندو{كذا} وقلت له على العادة القديمة وامر الكاهي {كذا} وصلح بين بوند{كذا} قايد الرحب {كذا} والفحامين يعطيو {كذا}في الشهر البقل{كذا} ثمانية وعشرون لشبك{كذا} وحمل الحمار ستة عشر درهم في كل شهر ثم كتب عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد تاب الله عليه شعبان عام 1111 هـ "(1699 م)[1].

و كانت جماعة القبائل هذه تضم العديد من الأفراد المعروفين باسم " الزواوة " الذين كانوا من القبائل القادمة من مملكة كوكو التي كانت تقع على بعد 80 ميل إلى الشرق من مدينة الجزائر، ومن مملكة بني عباس التي كانت تبعد بدورها عن نفس المدينة بـ 130 ميل إلى الشرق منها[2].

وشكل هؤلاء الزواوة النسبة الأكبر من جماعة القبائل ؛حيث قدرهم هايدو بـ مئة منزل أو عائلة من الزواوة في القرن 10هـ(16م)[3] في حين قدرهم غرماي في القرن11 هـ (17م) بأقل من 500 فيما يتعلق بأولئك الذين كانوا يعيشون في إطار عائلي في مدينة الجزائر[4].

فمن جماعة القبايل، ولاسيما من عنصر الزواوة من كانوا يتمكنون بعد فترة من اقتناء بيت صغير في أعالي المدينة، فيتخذون زوجات إذا كانوا عزابا ،أو يحضرون زوجاتهم إذا كانوا أباء أسر[5] ،إذ كانت تقدر بيوت القبائل الأخرى حسب هايدو في القرن 10هـ(16م) بحوالي600 بيت، أو مسكن.

وعمل الزواوة في دكاكين بيع الزيت[6] إلى جانب قيامهم بالأعمال الأخرى التي كانت تقوم بها جماعة القبائل ،والتي سبق ذكرها؛ و لكن نلاحظ أن أكثرية الزواوة يشكلون فرق

= رسم تحبيس "،في العلبة 119- 120 تاريخ الرسم الأول شهر رمضان 1064 هـ وتاريخ الرسم الثاني غرة شعبان 1073 هـ، من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ورقة 16 في النسخة الأولى، ورقة 63 في النسخة 2

[2] Haedo(F.D),Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p.492

[3] Ibid., p.493

[4] Op.cit., p.90

[5] Mouloud Gaïd, Op. cit., p.200

[6] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.101

عسكرية مدعمة للجيش البري العثماني[1]؛ أي للإنكشارية وخاضعة إلى نفس ترتيباته من حيث التنظيم وكان على رأس فرق الزواوة الأغا الخاص بها، و كان يعتبر بمثابة القائد الأعلى لها مثلما كان الحال عند الإنكشارية إلا أن هذا الأخير كان يخضع لأغا الإنكشارية[2].

وقد ورد ذكره في دفتر التشريفات عند الحديث عن البشماق الضرائب المحصلة لخزينة الدولة في محرم من سنة 1103 هـ(1691م) حيث جاء فيه :"حسب العادة المعمول بها في أيامنا آغا الزواوة يدفع سنويا بشماق يقدر بـ2000 صايمة"-عملة نقدية-[3].

و كانوا عازبين، وعلى طريقة الإنكشارية يعيشون في الثكنات على شكل وحدات من 200إلى 300 جندي[4] ،واستخدموا في الحرب، لأنهم كانوا مقاتلين لا بأس بهم وهكذا فإنهم كانوا يوزعون على الحاميات المنتشرة في أنحاء البلاد مثلا في تلمسان،و مستغانم و قسنطينة...الخ.

وقد تكون عملية تجنيدهم سياسة اتبعها الحكام العثمانيون لمنع تمرداتهم ،والإفادة منهم في نفس الوقت [5] علما أنه وكسياسة ردعية عمد الحكام العثمانيون إلى معاقبة أفراد القبائل

---

[1] حيث وضعت الدولة تنظيما محكما سمح لها بأن تغطي النقص العددي الذي كانت تعاني منه القوات العسكرية النظامية إذ كان اعتماده يستند أساسا على القوات المحلية غير النظامية؛ فإلى جانب رجال قبائل المخزن الزمالة والدوايرة، والعبيد والمكحلية الذين كانوا يدعمون الجيش النظامي كلما دعت الحاجة والضرورة لذلك ؛ شكلت الدولة فرق الزواوة التي ينحدر أفرادها من قبائل جرجرة وبني عباس .أنظر :أرزقي شويتام،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519 -1830 ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2010،ص.35

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p. 493

[3] Devoulx (Albert),tachrifate…,pp.43

[4] Gramaye (J.B), Op.cit, p.90

[5] وهذا يندرج ضمن الوسائل السلمية لاستمالة هذه العناصر على غرار أسلوب آخر أعتمد من طرف الحكام العثمانيين لكسب ولاء الزواوة ومنع تمردهم ألاو هو أسلوب المصاهرة بداية من أول بايلربايات الجزائر خير الدين الذي تصاهر مع حكام إمارة كوكو وقد سار ابنه الحسن بن خير الدين الذي كان ثمرة هذا الزواج على نهجه وكذا صالح رايس ،وغيرهم من حكام الجزائر وباياتها علما أن هذا النهج لم يعتمد فقط مع القوى الممثلة لبلاد زواوة؛ ولكن مع كل القبائل والقوى المحلية المتنفذة وبخاصة في بايلك الشرق للتوسع حول المصاهرة كإستراتيجية سياسية خلال العهد العثماني يمكن العودة إلى: جميلة معاشي الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـ(16م)إلى 13 هـ(19م)،ديوان المطبوعات الجزائرية ،الجزائر 2015،وأنظر أيضا: أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...،مرجع سابق ،ص246 وأنظر كذلك: محمد سي يوسف،المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني ،في المجلة التاريخية العربية، العدد الخامس والعشرين، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان أوت /أب 2002 ،صص.65-88

المتواجدين في مدينة الجزائر بسبب تمرد القبائل التي كانوا ينتسبون إليها ومهاجمتها لمراكز وحميات العثمانيين في مناطقهم ؛أي استعمالهم كورقة ضغط على الأعراش والمناطق التي ينتسبون إليها والتي أعلنت التمرد من خلال التحفظ عليهم كرهائن[1].

وكانوا يزودون القوات المسلحة للجيش البري في مدينة الجزائر بحوالي ثلث قواته في بعض الأحيان،وفي أحيان أخرى بأكثر من ذلك، و كان يمكن الاعتماد على فرق الزواوة لاسيما في عملية تحصيل وجمع الضرائب من داخل البلاد في المناطق الريفية كما جرت العادة عدة مرات في السنة[2].

وهذا ما يؤكده مصدر آخر في القرن 11 هـ(17م) عند إحصاءه لقوات الجيش الإنكشاري المتواجدة في مدينة الجزائر في إطار التحضير لمشروع يستهدف احتلالها؛ حيث أشار هذا المصدر إلى العدد الإجمالي للإنكشارية بمدينة الجزائر و المقدر بسبعة ألاف و خمسة مائة مقاتل وهو العدد الذي توصل إليه بعد أن أقصى منه الأطفال ،والجنود الشيوخ العاجزين عن القتال مشيرا أيضا إلى أن هذا العدد يتقلص بدوره في بداية شهر ماي من كل سنة حيث تخرج من مدينة الجزائر فرقتين من المقاتلين في إطار المحلة لجباية الضرائب تتشكل كل منها من اثني عشر مائة جندي من المشاة وأربعة مائة فارس ،وأن هؤلاء الفرسان لم يكونوا مطلقا من الإنكشارية ولكن من سكان البلاد ،وأغلبيتهم كانوا يسكنون مدينة الجزائر [3] ولابد أن هذا الوصف ينطبق على فرق الزواوة.

وعند حديثه عن فرق الإنكشارية التي كانت تغادر مدينة الجزائر لجباية الضرائب في إطار المحلة ذكرهم جيو باتا سلفاقوا (J.B.Salvago)البندقي سنة 1625 م بقوله :أنه يجب أن نضيف إلى فرق الإنكشارية فرق الخيالة المسلمين من أهل البلاد ،وهذه الفرقة من المور المحليين أي الأهالي –تعرف تحت اسم الزواوة ،ويوجد منهم في مدينة الجزائر حوالي 4.000 مجند ،وكان أفراد هذه الفرقة

[1] أنظر في ذلك ما ورد من أمثلة وشواهد في :أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري .."،المرجع السابق ،ص.141 ودراسة فيروا عن بجاية:

FERAUD (L.), "Notes sur Bougie légendes et traditions", In :**R.A.,** T3, 1858,p.299

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »In:**R.A.** , T.14, 1870, p. 493

[3] Projet pour l'entreprise d'Alger, Recueil historique contenant Diverses pièces curieuses de ce temps, sur l'imprimé A Cologne, chez christophore Van Dyck, 1666, p.2

يتلقون رواتبا أيضا[1].

وأهم ما كان يميز الزواوة عن بقية القبائل ذلك الوشم الذي كانوا يحملونه على ظهر يدهم اليمنى، والذي كان يقبله بكل احترام الأهل، والأصدقاء عندما يلتقون ،وكان هذا الوشم يحمل من طرفهم رجالا ،ونساء، وأطفال[2].

5-جماعة الجيجلية:

لقد اعتاد أهالي جيجل الهجرة إلى مدينة الجزائر للعمل فيها، وذلك بناء على العلاقة المتميزة التي كانت تربطهم بالعثمانيين منذ أن اتخذ منها الأخوين عروج وخير الدين بربروس مركزا لهم تنطلق منها عمليات الجهاد ضد الإسبان سنة1513م،لتتعزز هذه العلاقة وتتعمق أكثر بعد إثبات أهالي جيجل لوفائهم وبقائهم على عهدهم مع العثمانيين عندما انقلب ابن القاضي على خير الدين فاضطر هذا الأخير للانسحاب إلى جيجل حيث رحب به أهلها[3] وساهموا إلى جانبه في تحرير عدة مواضع محتلة من طرف الإسبان في السواحل الشرقية للجزائر[4].

ولهذا تمتعت هذه الجماعة بامتيازات من بينها منح أفرادها حق حمل السلاح في المدينة وقد كان أفراد هذه الجماعة يقومون بالعمل في المخابز، والإشراف على كوشات البايلك المخصصة لتحضير الخبز للجيش الإنكشاري والأرقاء فضلا عن بقية السكان؛ فقد جاء في أحد عقود المحاكم الشرعية حول قضية تصفية تركة إشارة إلى هذه المسألة :

"...الحمد بعد أن استقر على ملك الحرة الأصيلة الفاضلة الجليلة الولية امنة ابنة المرحوم بكرم لله الحي القيوم مراد قرصو جميع الكوشة التي احدث بناءها بعلها المرحوم بكرم الله المجاهد في سبيل الله محمد جلبي بن الصاير إلى الله يوسف كتخية أسفل الجامع المعروف

[1] Pierre GRADCHAMP ,une mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle J.B. Salvago dorgman vénitien à Alger et à Tunis 1625,Extrait Alberto SACERDOTI Africa Overo Barbaria ,Relazione al Doge di venezia sulle Reggenze di Algeri e di Tunisi del Dragomanno Gio.Batta Salvago(1625),Imprimerie J.Aloccio,Tunis ,1938,p.36

[2] Gramaye (J.B), Op.cit, p.91

[3] وقد ذكر خير الدين في مذكراته عن ذلك ما يلي :"عندما علم أهالي جيجل بقدومنا للاستقرار بها أقاموا احتفالا كبيرا فرحا بقدومنا" أنظر :خير الدين ،المصدر السابق،ص.112

[4] عن هذه الأحداث التاريخية أنظر ما ورد في :مجهول ،مصدر سابق ومذكرات خير الدين ،مصدر سابق وأنظر كذلك:
Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois …, p.37

بالوالي سيدي رمضان سند الجبل التي هي الآن في اعتمار الجيجلية....."[1].

وهذا ما يوضحه لنا أيضا الصلح المبرم بين جماعة بني ميزاب وجماعة الجيجلية سنة 1610 م حول قضية طحن بني ميزاب للقمح الموجه لصنع الخبز للجيش من طرف جماعة الجيجلية الذي جاء فيه:

" الحمد لله ما وقع في زمن باب حسن قار بغلى اشتكوا {كذا}بنى مزاب من الجيجليا على شان {كذا}الرحا{كذا} و قالو بنى مزاب شرع الله نرحيو {كذا}للعسكر العدة المعلومة الذي يكفي والزيادة التي تخدموا للبيع او{كذا} بشماط شرع الله فأجابهم بابا حسن اما خبز الرضوم اثنين وثلاثين لتليا{كذا} رضوا بنى مزاب والزايد{كذا} عمل بينهم بابا حسن ضي {كذا} والباش {كذا} يعطوا اثنى عشر درهم لصاع وكان الصلح بينهم بدار الإمارة وكتب عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد تاب الله عليه امين بجاه سيد المرسلين في ربيع الاول سنة 1019هـ"[2].

و في محل آخر في نفس الشأن نجد: " وقع الاتفاق مع بنى ميزاب والججليا صلحهم بابا حسن ضي{كذا}والباش{كذا} أما خبز العسكر على العادة القديمة باربع درهم للصاع وإذ ايكون{كذا} عند الجيجليا زايد{كذا} للبيع يعطوا لبنى مزاب 12 لصاع هكذا أصلح الدولاتلى وكتب عنه محمد بن الحاج يوسف الشويهد تاب الله عليه عام 1109هـ (1622م)"[3].

و نجد إشارات أيضا في أحد سجلات البايلك إلى استغلال جماعة الجيجلية لكوشات الخبز ،ومن الأمثلة على ذلك :".....الحمد لله الجمعة الثانية من شوال ..... كوشة بباب عزون في اعتمار عيسى الجيجلي بما قدره مع السنة مائة دينار واحدة جزائرية بتاريخ قعدة الحرام 1087 هـ...."[4].

---

[1] الوثيقة رقم69 "رسم تحبيس كوشة من طرف إحدى نساء مدينة الجزائر "، بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1073 هـ(1662 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ،ورقة6 في النسخة الأولى و الورقتان 32 و33 في النسخة الثانية

[3] نفس المصدر ورقة 7 في النسخة الأولى، و ورقة26 و27 في النسخة الثانية

[4] السجل رقم 153 الرقم القديم 69 في العلبة 68 إلى 69 ،سجل يتضمن 3 أقسام وأعتمد في هذا العمل على الجزء الأول منه الذي يحوي بيان الواردات التي ترد عن طريق البحر من السفن وهي مواد استهلاكية غذائية وغيرها ومدخول هذه المواد من الرسوم=

كما كانوا يقومون بالعمل في المطابخ، وأعمال أخرى[1].ومن النشاطات التي استقطبتهم أيضا عمليات الغزو البحري وهو ما نستدل عليه من خلال الأسماء الواردة في سجل الغنائم البحرية، و وثائق سلسلة المحاكم الشرعية مثلا :الرايس يحي الجيجلي الدزيري والرايس سعيد بن رابح الجيجلي والرايس صالح الجيجلي....الخ[2].

وقد كان من بين أفراد هذه الجماعة من إستقر بصفة دائمة في المدينة وهذا ما نستدل عليه من خلال عقود المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك عقد تقسيم تركة :

"انتقلت إلى عفو الله .....فطومة بنت ابراهيم الجيجلي وخلفت موروثا عنها جميع نصف العلوي .....[3]. وفي رسم أخر:"...الحمد لله بعد وفاة المكرم مسعود الجيجلي بن عزوز.....عن زوجه الولية رحمونة....وولديه منها محمد وحسنى....."[4].

و هكذا يمكن القول أن جماعة البرانية بمختلف المجموعات المشكلة لها كانت ذات وضعية اجتماعية متواضعة على وجه العموم ، وبالرغم من اعتبار العديد من المصادر الغربية للأعمال التي كان يؤديها أفراد هذه المجموعة بالأعمال الوضيعة، إلا أنها كانت أعمال شريفة ،وضرورية لا غنى عنها وتصب في إطار الصالح العام لمجتمع مدينة الجزائر؛فمثلا جماعة البساكرة كانوا يشرفون على تنظيف القنوات والمجاري من الأوساخ؛ فأدوا بذلك دورا هاما في الحفاظ على محيط المدينة نظيفا وهو الأمر الذي انعكس إيجابيا على صحة السكان، وينطبق ذلك على مختلف المهن والأعمال التي كانت تمارسها هذه المجموعة.

كما أن بعض مجموعات هذه الجماعة تمكنت من تحسين وضعيتها بفضل الدور الذي كانت

=المستوفاة مرتبة حسب التاريخ عن السنة والشهور تاريخه1081(1670 – 1671م)/ 1090(679 -1680م) الورقة195 – الجهة اليسرى-

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.101

[2] عائشة غطاس،الوافدون "البرانية "على مدينة الجزائر1787-1830 بين التهميش والاندماج، في **المجلة التاريخية العربية** العدد الخامس والعشرين، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان أوت /أب 2002 ،ص.177

[3] الوثيقة رقم 5:" رسم تقسيم تركة امرأة "في العلبة 29 -30 تاريخها 1054هـ (1644م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] الوثيقة رقم37 "رسم يتضمن عقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 124 تاريخها أواخر رمضان المعظم 1085هـ (1674م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

تؤديه في المجال الاقتصادي ،أو العسكري، أو بفضل صلاتها التاريخية المتميزة مع الحكام العثمانيين ومن أبرزها جماعة بني ميزاب، و جماعة الجيجلية، وجماعة الزواوة ،والدليل استقرار عدة أفراد منهم في المدينة بصورة دائمة ،وتملكهم للأملاك كما سبق ذكره ، وكانت جماعة البرانية بمختلف تشكيلتها تقوم بأعمال شاقة تتطلب جهدا، وتعبا معتبرين ومن ثم يمكن اعتبارها من بين أنشط المجموعات السكانية التي كانت مشكلة لمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ؛والتي لم تبدي اهتماما، وتطلعا للتدخل في الشؤون السياسية ربما لاكتفاءها بالعمل على محاولة تحسين وضعها الاقتصادي ،والاجتماعي من خلال اقتناص فرص العمل التي كانت توفرها لهم مدينة الجزائر ،ولأن إقامة أغلب أفرادها فيها كان لأجل مسمى ولحصول بعض المجموعات من هذه الجماعة على امتيازات من طرف السلطة ؛فما سبق ذكره لم يسمح لهم بتشكيل قوة مؤثرة في الميدان السياسي[1]،ويضاف إلى ذلك التنظيم الاجتماعي والاقتصادي التي خضعت له جماعة البرانية؛ و الذي مكن الإدارة من التحكم بها، وفرض جو من الأمن والاستقرار في أوساطها و من حولها.

[1]وقد سبق للأستاذ الباحث أرزقي شويتام أن ذكر جملة من الأسباب التي حالت دون تشكيل البرانية لقوة سياسية وهي: "المكانة التي كانت تحتلها الجماعات البرانية في المدن لم تكن تسمح لأفرادها بالبروز على ساحة الأحداث والقيام بدور معين في المجال السياسي يضاف إلى ذلك اختلاف أصول الجماعات البرانية، وتنوعها وعدم تجانس أفردها ،وكان للسياسة التفضيلية التي نهجتها الإدارة العثمانية دور في عدم تلاحم وانصهارها في جماعة واحدة ؛فكانت كل جماعة ولاسيما الجيجلية، والميزابية تسعى إلى الحفاظ على امتيازاتها المادية أما الجماعة القبايلية القادم أفردها من قرى جرجرة وبني عباس وبجاية؛ والذين يمكن أن يشكلوا مصدر خطر للسلطة أخضعوا لرقابة مشددة وأدخل البعض منهم في فرق الزواوة العسكرية يضاف إلى ذلك دور أمناء النقابات المهنية الذين كانوا يتخذون إجراءات ردعية ضد كل من يخالف القوانين الإدارية يضاف إلى ذلك العامل الثقافي من لغة وعادات وتقاليد؛ فكانت كل جماعة تميز بخصائصها وكذا عدم ميل سكان الحضر للتحالف معهم".أنظر:أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري..." صص.142 -143

الفصل الثالث: السكان المسلمون الوافدون من عدوتي بلاد الأندلس والمغرب - الأدنى والأقصى- وبلاد السودان الغربي

1- الأندلسيون
2- الجماعات السكانية الأخرى الجربيون والمغربيون والزنوج

الفصل الثالث: السكان المسلمون الوافدون من عدوتي بلاد الأندلس والمغرب – الأدنى والأقصى– وبلاد السودان الغربي

من يبحث في بنية السكان في مدينة الجزائر يجد أن سكانها كانوا يتشكلون إلى جانب العناصر السكانية المحلية ؛ أي البلدية وجماعة البرانية التي تعرضنا إليها من جماعات سكانية أخري وفدت عليها من الأندلس[1]،ومن المغرب الأدنى ؛أي تونس وبخاصة عنصر الجرابة ،ومن المغرب الاقصى ومن بلاد السودان الغربي وعلى جه التحديد الزنوج، وهذه العناصر السكانية هي التي ستتم محاولة التفصيل فيها من خلال هذا الفصل .

1 –الأندلسيون:

كانوا يعتبرون من العناصر السكانية الهامة المشكلة لجماعة الحضر[2]، وقد كان الأندلسيون على صلة قديمة ومعروفة بالبلاد الجزائرية[3]؛حيث كانت الأندلس منذ فتحها على يدي المسلمن امتداد للمغرب الإسلامي إذ لم تعرف العلاقات بينهما انقطاعا منذ ذلك الحين فكان الأندلسيون بمختلف شرائحهم يتوافدون بصورة مستمرة على بلاد المغرب الإسلامي لأغراض علمية وتجارية كما اتخذوا من بلاد المغرب الإسلامي معبرا إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وطلب العلم ،والتجارة ،وهناك من الأندلسيين من فضلوا الاستقرار نهائيا في بلاد المغرب الإسلامي بل وساهموا في بعث، وتأسيس مدن جديدة مثل تنس ،و وهران ، وبالمقابل كان المغاربة يترددون على الأندلس لدعم ونصرة الأندلسيين ضد المسيحيين ومن تم تعززت العلاقات بين الطرفين عبر المراحل التاريخية المختلفة[4].

أ–أسباب هجرة الأندلسيين ودور حكام الجزائر في تسهيل هجرتهم إليها:

و حل بمعظم المدن الساحلية الجزائرية في المرحلة المعنية بهذه الدراسة عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الإسباني الذي مارسه ضدهم الإسبان

---

[1] علما أن الأندلسيين يتفرعون بالأساس عن العناصر العربية ،والأمازيغية التي استقرت بالأندلس منذ الفتح الإسلامي

[2] على غرار البلدية والعثمانيين بما فيهم الأعلاج، ويندرج في إطارهم أيضا الكراغلة والوافدين إليها من مدن أخرى من البلاد ،والذين استقروا بها بمعنى سكان المدينة المقيمون فيها بصفة دائمة بغض النظر عن أصولهم .

[3] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.97

[4] أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته ...،ص.31

في إطار حركة الاسترداد التي تعد امتداد للحروب الصليبية ؛حيث استولوا على أملاكهم وديارهم ،وهددوهم في عقيدتهم، ولغتهم[1].

وذلك بعد أن تنكروا للوعود، والعهود التي قطعوها لهم عند إبرام معاهدة تسليم غرناطة 1492م[2] والتي تنص على حفظ أمنهم وسلامتهم ،وأملاكهم ،وأموالهم ولاسيما أن يدعوا لهم حرية ممارسة دينهم الإسلامي ،والاحتكام إلى شرائعهم[3]،وهذا ما تعهدا به الملكان الكاثوليكيان فرديناد ،و إيزابيلا بعد استسلام غرناطة في وثيقة من56 بندا[4].

وهذا ما يوضحه بشكل جلي كتاب غزوات عروج، وخير الدين فتحت عنوان" *تعدي الإسبان* على الأندلسيين المسلمين ومهاجرتهم{كذا} إلى إفريقية نجد "... فقد رسم الطاغية "ملك إسبانيا بأن يحمل أبناء المسلمين وبناتهم إلى الكنائس لقراءة الإنجيل والدخول في دين النصرانية وأشاع النداء بأن من أظهر آذانا أو تلاوة أو ذكر أحرق بالنار...."[5].ويفهم مما سبق أنهم أجبروا على التنصير القسري[6].

فقد كانوا عرضة لملاحقة، ومراقبة مشددة، إذ كان يتم جرهم أمام محاكم التفتيش لأبسط الأمور التي توحي بانتمائهم الديني، وعدم تقيدهم بتعاليم الدين المسيحي المفروض عليهم فرضا كالجلوس على الأرض عوض الكرسي، أو أكل الكسكسى، أو النطق بأي كلمة عربية

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول، ص.42

[2] أنظر عن هذا الحدث التاريخي على سبيل المثال دراسة الأستاذ جمال يحياوي ،سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين1492-1610،الطبعة الأولى ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2004 ،

[3] حيث نصت المادة 4 من هذه المعاهدة على:"يسمح صاحبا السمو، وسلالتهما، للملك عبد الله الصغير، وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم دون المساس...وجوامعهم ،وأبراجهم ،وسيأمران بالحفاظ على مواردهم ،وسيحاكمون بموجب قوانينهم ،وقضاتهم حسبما جرت عليه العادة ،وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى كما عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين".أنظر محمد عبده حتامله ،التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين (1492 -1516) الطبعة الأولى ،ساعدت الجامعة الأردنية في نشره ،عمان الأردن 1340 هـ/1970م،ص.21

[4] ليلي الصباغ، "ثورة مسلمي غرناطة عام 976 هـ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية" ،في **مجلة الأصالة** العدد 27 وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر،السنة الرابعة محرم-صفر 1395جانفي –فيفري1975 ص.117

[5] مجهول، المصدر السابق، ص.81

[6] حول هذا الموضوع أنظر دراسة :محمد عبده حتامله ،المرجع السابق

و عدم وضع الصليب في غرفتي النوم، و الجلوس ،أو عدم أكل لحم الخنزير، و عدم شرب الخمر[1].

بل ووصل الحد بهم إلى مراقبة الأندلسيين في طريقة تكفين الموتى، و مكان حفر قبورهم ومراسيم دفنهم [2]،وغير ذلك مما يشي بانتمائهم الديني، ويبرر إخضاعهم حسب منظور ومفهوم أتباع الديانة المسيحية الكاثوليكية للظلم، والقهر الممارسان[3] من طرف محاكم التفتيش

[1] عبد الجليل التميمي، " الخلفية الدينية للصراع الإسباني –العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر" **في المجلة التاريخية المغربية** ،،العدد 10-11 ،مطبعة الاتحاد التونسي للشغل ، تونس ، جانفي /فبراير 1978ص.7
أنظر أيضا:
Louis Cardaillac, Morisques et Chrétiens, un affrontement polémique (1492-1640), paris 1977, pp.19-20

[2] عبد الجليل التميمي، الخلفية الدينية... ، ص7

[3] ونستخلص أيضا الأوضاع المزرية التي عاشها أهل الأندلس المسلمين من خلال القصيدة الشعرية التي أرسلها أهل غرناطة للسلطان العثماني بايزيد الثاني يصفون له أحوالهم المزرية بعد سقوط غرناطة ،وهي مصدر تاريخي مهم عن واقع الأندلسيين حينها على اعتبار ما احتوته من تقرير حي و مفصل لما تعرضوا له على يد محاكم التفتيش، وهي في نفس الوقت صرخة استنجاد وجهت للسلطان العثماني سنة 1502 م والقصيدة مطولة تحوى حوالي 106 أبيات شعرية نذكر منها: وقد بدلت أسماؤنا وتحولت بغير رضامنا وغير إرادة/وفي رمضان يفسدون صيامنا بأكل وشرب مرة بعد مرة/ وأحرق ما كانت لنا من مصاحف وخلطها بالزبل أو بالنجاسة /وكل كتاب كان في أمر ديننا ففي النار ألقوه بهزء وحقرة/ وآها على تلك المساجد سورت مزابل للكفار بعد الطهارة /وآها على تلك الصوامع علقت نواقيسهم فيها نظير الشهادة /وآها على تلك البلاد وحسنها لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة/وصارت لعباد الصليب معاقلا وقد أمنوا فيها وقوع الإغارة/وصرنا عبيدا لا أسارى فنفتدى و لا مسلمين نطقهم بالشهادة/فلو أبصرت عيناك ما صار حالنا إليه لجادت بالدموع الغزيرة/فياولينا يابؤس ما قد أصابنا من الضر والبلوى وثوب المذلة وللاطلاع على نص القصيدة كاملا أنظر : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ،أزاهير الرياض في أخبار عياض، في 5 أجزاء ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شبلي،المعهد الخليفي للأبحاث المغربية بيت المغرب،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة ،1357 هـ - 1939 م، الجزء الأول ،صص108-115وأنظر:رسالة أهالي الأندلس إلى السلطان بايزيد الثاني ، مخطوط عنوانه رسالة المسلمين الإسبان إلى السلطان العثماني تحت رقم 1620والنسخة المرقمة منه تحت رقم .cd-579 في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة ويمكن أيضا أن نتلمس الأوضاع المزرية التي عانى منها أهل الأندلس المسلمين من خلال حكم أرسله السلطان سليم الثاني إلى أهالي الأندلس :.....وصل إلى آستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم الدمار وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم أسلحتكم ،ومنعوكم من التحدث بالعربية وأنهم يتعرضون لنسائكم ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي عليكم....."أنظر: مهمة دفتري رقم 9 صحيفة رقم 89 حكم 231 بتاريخ 977 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

عبر إنزال أشد ،وأقسى العقوبات بهم[1].

وإن بدت هذه الذرائع للبعض تافهة إلا أن لها دلالة قوية؛فهي دليل على مدى الحصار الذي كان مفروضا على الأندلسيين المسلمين ومحاولة المسخ التي تعرضوا لها طيلة حركة الاسترداد، وما بعدها إلى غاية صدور قرارات الطرد النهائي ،وهذه السياسة التي أجبرتهم إما على إتباع أسلوب التقية[2] في محاولة منهم للإبقاء على دينهم ،وإن مارسوه في الخفاء والتظاهر بقبولهم للنصرانية في العلن كما يتضح لنا مما ورد في مخطوط غزوات عروج وخير الدين:"..... .....وقد كان الكافر عدو الدين لما استولى على مدينة غرناطة واحوازها بقي هناك من الأندلس طوائف كثيرة فصاروا يعبدون الله خفية ولا يجهرون بالآذان ولا بقراءة القرآن خوفا على أنفسهم من عدو الدين ....."[3]. أو اتخاذ الهجرة منفذا لإنقاذ أرواحهم وعقيدتهم.

ففر العديد منهم من وجه حركة الاسترداد الإسبانية، والتحقوا في كثير من الأحيان بفضل المجاهدين العثمانيين بموانئ، ومدن المغرب الإسلامي[4] ،إذ تركزت جهود البحارة العثمانين وفي مقدمتهم الأخوين بربروس عروج ،وخير الدين على تسهيل هجرة الأندلسيين والإسراع بنقل المضطهدين منهم إلى السواحل الجزائرية.

ويحوي كتاب غزوات عروج وخير الدين العديد من الإشارات إلى هذه المسألة ،فعلى سبيل المثال قضية مساعدة خير الدين للثوار الأندلسين بجبال باردوا سنة 1499 م-1502 م والمقصود ثورة جبال البشارات الأولى بالأندلس ،والذين ثاروا على ممارسات الإسبان المذكورة

[1] حول تعريف محاكم التفتيش وهيكلتها ومهامها أنظر على سبيل المثال لا الحصر: دراسة عبد الله حمادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش1492-1616،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989

[2] للتوسع حول ردود أفعال الأندلسيين الموريسكيين اتجاه سياسة الإسبان الإضطهادية والتعسفية التي اتبعوها ضدهم باسم الدين المسيحي الكاثوليكي ومصيرهم بعد صدور قرارات الطرد النهائي وواقع حياتهم في أرض المهجر ببلاد المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة أنظر الدارسة المتخصصة الآتية على سبيل المثال لا الحصر: حنفي هلايلي،أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي ،دار الهدى ،الجزائر،2010

[3] مخطوط غزوات عروج وخير الدين تحت رقم 1622والنسخة المرقمة منه تحت رقمcd-35 في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة،ورقة 8 يمين

[4] Mahfoud Kadadache, L'Algérie durant…, p. 207

آنفا فبعد أن دخلتهم الحمية لنصرة دينهم أخذوا السلاح ،وحملوا معهم نسائهم، وأبنائهم إلى جبل بتلك البلاد يقال له باردوا فتحصنوا به من الكفار و جاء حول ذلك ما نصه:

".....فكتب أهل الأندلس كتابا إلى خير الدين يعلمونه فيه بما وقع بهم من النصارى من هذه المحن ويتضرعون إليه إنقاذهم مما هم فيه فوصل إليه كتابهم فامتعض من أجلهم ودخلته حمية الإسلام والغيرة للدين المحمدي فعند ذلك جهز لهم ستة وثلاثين جفنا فلما رآهم الأندلسيون خرجوا إلى ذلك الجبل المتقدم، فتجرد في طلبهم النصارى فلما وصلوا إلى الجبل نزل إليهم أهل الأجفان من المسلمين، وأتوهم من ورائهم ووقع قتال عظيم فنصر الله المسلمين عليهم، فأخذ الكفار في الفرار تبعهم المسلمون في الأثر حتى أبدوا عن مكانهم، ثم إنهم رجعوا ولما رأى أهل الجبل من الأندلس ما منح الله عسكر خير الدين من النصر نزلوا إليهم من الجبل، وسلموا عليهم واستبشروا بقدومهم وذهبوا بهم إلى مدينتهم فرفعوا نسائهم و أبنائهم وما قدروا عليه من أموالهم وأثاثهم، فأتوا بها إلى الأجفان وسقوها بذلك وركب عدد كبير منهم ورجعوا إلى الجزائر، وخلفوا ألفي مقاتل من العسكر يحرسون جماعة بالأندلس خوفا عليهم من غائلة النصارى، فلما وصلت الأجفان إلى الجزائر ،وخلفوا ما حملوه من الأندلس بها ورجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين، فتكرر ذلك منهم سبع مرات، وكان من جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا، وبقيت عادة أجفان الجزائر أنهم في كل سفرة يسفرونها برسم الغنيمة يأتون إلى السواحل الأندلس برسم نقل جماعة المسلمين بها ....."[1].

وقام خير الدين عند استيلائه على مستغانم بتوجيه سفنه إلى سواحل الأندلس ؛حيث تمكنت من نقل عدد كبير من مسلمي الأندلس إلى الجزائر ،والمهم أنه في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1528 م و1534 م تمكن خير الدين من شن ثلاثة وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية أنقذا خلالها عددا كبيرا من الأندلسيين[2].

ومن نماذج الغارات التي كان يقوم بها أسطول الجزائر على السواحل الإسبانية لمد يد المساعدة لإنقاذ الأندلسيين ما ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م) حيث ذكر أنه خلال إحدى

[1] مجهول ،المصدر السابق ،ص.82

[2] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين الطبعة الثانية ، القاهرة1378هـ/1958،ص.284

الغارات التي قام بها الأسطول الجزائري الذي شكله خير الدين من 14 غيلوطة ووجهه للسباق البحري {الغزو والجهاد البحري} سنة 1529م في مياه جزر البليار ،وعلى السواحل الإسبانية تحت القيادة العامة لرايس تركي مقدام يدعى قاسي ديابلوا، والرياس الرئيسيين للأسطول أدوين باشا ،وصالح رايس، وشعبان رايس، و يوسف رايس، وبعد أن تمكن هذا الأسطول من الاستيلاء على عدد من السفن ،وبعض الأسري بالقرب من الجزر وعلى السواحل المذكورة استنجدت بهم جماعة من المورسكيين من مملكة فالنسيا، والذين كانوا أقنانا{عبيد أرض} للكونت دوليفا في بلنسية و فاوضوهم لكي ينقلوهم إلى شواطئ بربرية {المغرب الإسلامي} لرغبتهم في الهجرة إليها بعائلاتهم ليعيشوا فيها تحت لواء الدين الإسلامي، فوافقوا على نجدتهم ؛حيث رست السفن المغيرة ليلا عند أوليفا أمام نهر ألتيا على مقربة من دانية ؛حيث تمكنوا من تحميل أكثر من مائتين من هؤلاء المورسكيين-الأندلسيين – الراغبين في الهجرة[1].

ولكن فوجئت السفن المغيرة في طريق العودة من طرف عدة سفن إسبانية كبيرة والتي طردتها حتى مياه الجزائر الشرقية "جزر البليار" في محاولة منها لاسترجاع المورسكيين الأندلسيين الفارين، ولكن السفن المقلة لهؤلاء انقلبت فجأة من الدفاع إلى الهجوم، وهاجمت السفن الإسبانية بعد أن أنزلت الأندلسيين الفارين في الجزيرة المعروفة بفوغمنترا (Formentera) حتى لا يعرقلونهم في مناوراتهم ،ولا يصابوا بضرر ،فأسرت سبعة غيلوطات ،وعدد كبير من الأسري المسيحيين وتمكنت غيلوطة {نوع من السفن}[2] واحدة فقط من الفرار منهم وسارت سفن الأسطول الجزائري سالمة ،ومنتصرة إلى الجزائر بعد أن عادت لحمل المورسكيين الأندلسيين من الجزيرة ؛التي تركوا فيها قبل خوض غمار المعركة والمواجهة البحرية[3].

و مما سبق ذكره نستخلص أن المصادر المحلية ،والغربية أجمعتا على ذكر الجهود التي بدلها حكام الجزائر في ظل الحكم العثماني لنجدة المسلمين الأندلسيين ومد يد المساعدة لهم .

---

[1] Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois…, p.80

[2] حول أنواع سفن الأسطول الجزائري في ظل الحكم العثماني وتجهيزاتها وكل ما يتصل بالنشاط البحري أنظر:

Moulay BELHAMISSI, histoire de la marine Algérien (1516-1830),2e Edition, Enterprise Nationale du Livre(ENAL), Alger 1986, pp.59-61

[3] Haedo (F.D), Histoire des…, p.80

و توالت بعوث خير الدين،وغارته على الشواطئ الإسبانية، وتتابعت الفرص لدي المورسكيين للفرار بدينهم، و الهجرة على متن السفن المغيرة حتى بلغ ما نقلته سفن خير الدين منهم إلى شواطئ المغرب الإسلامي نحو سبعين ألفا كما أشرنا أنفا.

وكخير دليل على مجهودات الإخوة بربروس، ولاسيما خير الدين شهادة سكان أهالي غرناطة من المسلمين وذلك من خلال رسالة وجهوها إلى السلطان العثماني سليمان القانوني لطلب النجدة ،و الإغاثة من الدولة العثمانية سنة 948هـ(1541م)جاء فيها في هذا الشأن:

" وقد كان بجوارنا الوزير المكرم المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين علم بأحوالنا وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان بالجزاير، واجتمع أهل الإسلام على إطاعة مولانا وحيته بالخواطر والظماير {كذا} وانتظم العدل والشرع والأمان في البادي والحاضر فاستغثنا به فأغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين، من أيدي الكفرة المتمردين و نقلهم إلى أرض الإسلام، وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان...."[1].

و أبرزوا في هذه الرسالة أيضا نظرتهم إلى الجزائر كحصن للإسلام وقلعة لنصرة المسلمين تجب مساندتها و بثوا فيها أيضا رجائهم في إغاثتهم بعودة خير الدين إلى الجزائر؛ حيث قالوا: «.....يا مولانا سلطان البريين والبحرين نصركم المدد المدد لنصرة الجزائر لأنها سياج لأهل الإسلام وعذاب وشغل لأهل الكفر والطغيان وهي موسومة باسمكم الشريف وتحت إيالة مقامكم الأنيف،وقد أصبحت القلوب المنكسرة بها عزيزة ،والرعية المختلفة بها مؤتلفة أليفة ..... وقد اتفق جمعنا من المسلمين المذكورين على رفع الشكوا {كذا} إلى مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام لازال بالعز موصوف {كذا} بأن يغيثنا بإرسال المجاهد خير الدين باشة {كذا} إلى الجزائر فإنه لهذا الوطن نعم ناصر وجميع أهل الشرك منه خايف وحاير {كذا}، السلام على المقام الشريف العالي ورحمة الله بتاريخ أوائل شهر شعبان أحد شهور سنة ثمانية أربعين وتسعمائة"[2].

---

[1] عبد الجليل التميمي،"رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"،**في مجلة الأصالة** ، العدد23 وزارةالتعليم الأصلي و الشؤون الدينية،الجزائر ،السنة الرابعة محرم- صفر 1395 جانفي- فيفري 1975،ص.74.

[2] نفسه،ص.75.

وهكذا استمرت هذه الجهود لدعم ،ومساعدة الأندلسين بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية رسميا كما أشرنا إليه أنفا فعلى سبيل المثال في سنة 1584م سار أسطول الجزائر إلى ثغر بلنسية وحمل ألفين، وثلاثمائة أندلسي وفي العام الموالي تمكنت السفن المغيرة من أن تحمل جميع سكان مدينة كالوسا كما أنه في سنة 1602م وقعت غارة كبيرة بقيادة البحار الكبير مراد رايس على سواحل إسبانيا تمكن خلالها من حمل عدد كبير من الأسري المسيحيين ومن المهاجرين الأندلسيين. [1]

ب- المهاجرون الأندلسيون في مدينة الجزائر "فعالياتهم ومدى صلتهم بحكامها":

نتيجة للجهود السابق ذكرها تكاثر عدد الأندلسيين في مدينة الجزائر ؛ حيث قدرهم هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16 م) بحوالي ألف عائلة[2] ،وبعد ذلك في أوائل القرن11 هـ (17م) وبالضبط في 1619م قدرهم غرماي بألفين عائلة ويعني ذلك أن أكثر من 10.000 شخص تقريبا كانوا يعيشون في العاصمة وكان معظمهم من الثغرين والغرناطيين.[3] وعموما فقد ارتفع عددهم في تلك الفترة بعد صدور قرارات الطرد الجماعية [4]التي أصدرها الملك الإسباني فليب الثالث عام 1018هـ /1609م[5].

و مخطوط قانون مدينة الجزائر الذي يحوي إلى جانب أهم القوانين، والعادات المعمول بها في أسواق مدينة الجزائر والتعاملات الاقتصادية عامة مجموعة تواريخ وما تمثله من أحداث تحت مسمى "زمام تاريخ بالجزاير"، والذي يعد بمثابة كرنولوجيا للأهم الأحداث التي شاهدتها مدينة الجزائر بداية من قدوم عروج يشير للهجرة الأندلسية حيث سجل فيه ما يلي:" جاؤ لندلس {كذا}992هـ (1583م)و جاؤ لندلس {كذا} 1018هـ (1609م)".[6]

---

[1] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس...،ص.284

[2] « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p.495

[3] Gramaye (J.B),Op.cit.,p.100

[4] وقد تطرق المقري إلى وصف الهجرة الكبيرة التي أعقبت صدور قرار الطرد النهائي أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها ابن الخطيب ،حققه الدكتور احسان عباس ،دار صادر بيروت 1388هـ -1968م، المجلد الرابع ص.527

[5] ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص.132

[6] قانون مدينة الجزائر،المصدر السابق ، ورقة 105من النسخة الثانية/وورقة23 من النسخة الأولى

و تميزت سنوات 1610، 1611، 1612، 1613، 1614 بوصول عدد كبير منهم إلى مدينة الجزائر حيث أصبح عددهم يفوق 25 ألف نسمة[1].

و كانوا قادمين من ممالك أرغون ،و قشتالة، وكتالونيا ،و فالنسيا، واشبيلية ،وقرطبة،ومالقة وغرناطة ، وقد كانوا ينقسمون إلى قسمين تبعا للمناطق التي قدموا منها :

1 –**المودجار**« **Mudegar** » :

وهم القادمين من غرناطة، والأندلس؛حيث كانت لفظ الأندلس يطلق على الجنوب الإسباني، ومن ثم المقصود بهم كان القادمين من اشبيلية ،وقرطبة ،وغرناطة و مالقة،و فالنسيا وضواحيها ،وغيرهم من سكان الجنوب الإسباني من الناحية الجغرافية.

2 –الثغريون[2]« **Tagrins** » :

وكان يطلق على القادمين من برشلونة وما دونها ،وبخاصة من مملكة أرغون، و قشتالة إذ سموا بالثغرين لأنهم كانوا قريبين من الثغور، أو المناطق الموجودة في الحدود المجاورة لبلاد المسيحيين[3] وقد احتفظوا عند قدومهم إلى مدينة الجزائر بهذه التسمية،و كانوا آخر القادمين إلى مدينة الجزائر وأشار الأب دان خلال القرن 11 هـ(17م) إلى هذه التسميات التي كانت تعطى للمهاجرين الأندلسيين بحسب أصولهم الجغرافية عند تطرقه للحديث عن التركيبة السكانية لمدينة الجزائر بقوله :

"ونرى بها خاصة عدد كبير من اليهود، والموريسكين من الذين طردوا من إسبانيا منذ بضع سنين والذين أخرجوا منهم من مملكة غرناطة، والأندلس يعرفون بالأندلسيين "المودجار" في حين يعرف القادمين من مملكتي أرغون وقشتالة بالثغريين"[4].

وقد وصفهم هايدو في القرن 10هـ (16م) قائلا بأنهم كانوا ذوي بشرة بيضاء، وقامة معتدلة ومن أكبر أعداء المسيحية في بلاد المغرب[5] وأكبر دليل على ذلك اشتراكهم في تجهيز وتسليح

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.98

[2] وقد ورد هذا المصطلح في المصادر المحلية، وخاصة وثائق المحاكم الشرعية مثلا ما ورد في عقد بيع وشراء:".....الحمد لله اشترى بيمن الله و توفيقه الشاب الأجل الناصح.....محمد ابن الحاج قاسم عبيد الأندلسي من الشاب محمد الحرار المالك امر نفسه ابن محمد الثغري المذكور في النسخة أمامه .....الحانوت....."أنظر: الوثيقة رقم37 "، في العلبة 119- 120

[3] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص.31

[4] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit, p.82 voir aussi The Present State, Op.cit, p.89

[5] « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p.495

السفن المخصصة للجهاد البحري بواسطة أموالهم [1] وهذا ما ذهب إليه روكفيل (Rocqueville) حين ذكر أن موريسك إسبانيا الذين يعرف البعض منهم بالأندلسيين والبعض الآخر بالثغرين كانوا يعطون المال لصنع السلاح، والقيام ببناء السفن[2].

وأدخل الأندلسيين المطرودين من إسبانيا ،وغرناطة إلى مدينة الجزائر ،وبلاد الجزائر عموما حسب ما ذكره جيتو ماتا سلفاقو البندقي في القرن 11 هـ(17م) مهارة وفن صهر المعادن وعرفوا أيضا بحسب ما ذكره أيضا بصنع البارود[3].وبمساهمتهم في ميدان صناعة الأسلحة التي كانت تستعمل في الجهاد البحري، والبري ،ونستخلص أنهم شاركوا مشاركة فعالة في تحرير المواقع المحتلة من طرف الإسبان في الجزائر.

و كذلك عن طريق وضع خبراتهم، ومعرفتهم باللغة، والسواحل الإسبانية لصالح البحرية الجزائرية فضلا عن مساهمتهم الفعالة بخبرتهم في فن صناعة السفن المتنوعة، ومن ثم دورهم الفعال في تطوير البحرية الجزائرية[4].

حيث شهدت الفترة المعنية بهذه الدراسة بفضل جهود الأندلسيين ،وكذا الأعلاج وبعض الأسري المسيحيين أصحاب الخبرة، و الكفاءة تطورا في فن صناعة السفن كان له انعكاسه البارز على ازدهار النشاط البحري وبلوغه ذروته؛ فقد كانت غيلوطاتهم –سفنهم– (espalmées)بشكل جيد وخفيفة جدا في مواجهة غيلوطات المسيحيين الثقيلة ،و العاجزة عن المناورة مما كان يجعلهم عاجزين عن متابعة ومجارات سفن طائفة رياس بحر الجزائر ويذكر هايدو أنه بفضل جودة سفنهم، وتفوقها على سفن المسيحيين فضلا عن مهارة البحارة وتمرسهم بالكاد كانوا يمضون بضعة أيام خارج مدينة الجزائر إذ سرعان ما كانوا يعودون إليها مكللين بالنصر ،ومحملين بغنائم معتبرة ،وبالعديد من الأسري وكان يمكنهم بالتالي أن يقوموا خلال السنة بثلاث، أو أربع سفرات ؛بل وأكثر إذ ارغبوا في ذلك[5] .

---

[1] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص.88

[2] Rocqueville (Sieur de), Relation des mœurs et du gouvernement des Turcs d'Alger chez Oliver varenne, Paris, 1675, pp.19-20

[3] Pierre Gradchamp Op.cit., p.42

[4] Gramaye (J.B), Op.cit.,p.98

[5] Haedo ,« Topographie….. »,In:**R.A.**, T.15,1871, p .45

وقد يكون في ذلك نوع من المبالغة لكن نستدل مما ذكره هايدو على تفوق القوة البحرية لمدينة الجزائر على القوى البحرية المسيحية تفوق من حيث العدة والعتاد ،وبخاصة السفن، ومن حيث مهارة وخبرة بحارتها الذين تميزوا بالانضباط وعنايتهم الكبيرة بالمحافظة على نظافة سفنهم ،وترتيبها ،ونظامها حتى يتمكنوا من الإبحار ،والمناورة بشكل جيد لأن إهمالهم لذلك قد يؤثر سلبا على ملاحتهم ولهذا السبب كانوا يمنعون تعليق السيوف ،وغيرها من الأسلحة على ظهر السفينة؛ ولكن كان ينبغي وضعها أسفل السفينة أي في قاع السفينة (cale)،ونفس الأمر فيما يتعلق ببراميل الزيت، والخل ،والزبدة ،والمؤن الأخرى إذ كانت تخزن بطريقة لا تؤثر على سير السفينة وحركتها بحيث لا تتجاوز أي منها المكان الذي خصص لها ببوصة واحدة ،و قد بلغ الحرص ببعضهم إلى وضع المرساة في قاع السفينة حتى لا يؤثر بقاءها ويؤدي إلى ميل أحد جوانب السفينة مما يخل بتوازنها ويؤثر سلبا على حركتها[1].

وكان العمال الذين يقومون ببناء هذه السفن المتطورة والفعالة من المهاجرين الأندلسيين الذين تعود أصولهم إلى غرناطة، وفالنسيا ،وأرغون، وكان أغلب هؤلاء الرجال ملاك و رياسا للسفن لأنهم ولدوا في إسبانيا مما جعلهم خبراء بسواحلها، وموانئها[2].

و مارس الأندلسيون العديد من الحرف، والمهن الأخرى؛ فقد كان منهم صانعي الأقفال –فرارية – والبناءين والخياطين، و الحذاءين، و صانعي الفخار ،والكثير منهم كانوا يربون دود القز لإنتاج الحرير وكان من بينهم أيضا التجار الذين كانوا يمتلكون متاجرا يبيعون فيها كل مستلزمات الخياطة والطرز، والأشغال اليدوية من خيوط، وإبر، وشرائط...الخ[3].

و مسألة امتلاك الأندلسيين للدكاكين لممارسة الحرف ,أو التجارة يتضح أيضا من خلال عقود المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عنها ما ورد في رسم تقسيم تركة :

".....يليه جميع الحانوت الكاينة{كذا} بداخل البديستان التي في اعتمار الحاج عمار الأندلسي ...."[4].

---

[1] Ibid., p.47

[2] Ibid., T.14 , p.495

[3] Ibid., T.14, p.495

[4] الوثيقة رقم49 "رسم إقرار بملكية و تقسيم تركة "،في العلبة 23تاريخها اواسط ربيع الثاني عام 1080 هـ (1669م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

إذ كانوا أسيادا في كل الحرف، والفنون ولهذا ساهموا بجزء كبير في التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته الجزائر حينها ، ففي مدينة الجزائر في القرن 11 هـ(17م) وجد 600 حرفي يشتغلون في الحرف المتعلقة بالحرير، و200 في صناعة النسيج، و46 في النجارة وصنع الأثاث، و180 حرفي في صناعة السكاكين ،والخناجر، و كلهم كانوا قد قدموا حديثا من مملكة فالنسيا وحدها حسب غرماي(Gramaye)[1].

وقد ذكر بيار دافتي في هذا الصدد في القرن 11هـ(17م) أنه دخل إلى مدينة الجزائر العديد من الغرناطيين، و الفالنسيين المطرودين من إسبانيا، ومن بينهم اللاجئون الأوائل الذين كانوا يسمون المودجار« Mudegar »أما الآخرين، فكانوا يعرفون بالثغرين « Tagrins » وكانوا يهتمون، ويشتغلون بكل شيء، فكانوا يمارسون كل أنواع الفنون ،والحرف التي كانوا فيها أسياد ومعلمين جيدين، ولاسيما عملهم في صناعة الحرير[2].وهذا ما ذهب إليه أيضا دابر أوليفر(Dapper Olfert) في القرن 11هـ(17م) ؛حيث ذكر أن الثغريين كانوا يتعاطوا مهنا و حرفا عديدة ، وعلى وجه الخصوص حرفة صنع المنسوجات الحريرية[3].كما أنهم اشتهروا بتحضير القرميد، و الزليج، والجصات ذات الزخارف، والأشكال الجميلة[4].

وكانت لهم أنشطة ،وإسهامات فعالة أخرى في جوانب شتى يصب مجملها في إطار تنشيط الحياة الاجتماعية ،والاقتصادية، والدينية العلمية، وخدمة مجتمع مدينة الجزائر؛ حيث تولى العديد من الأندلسيين المناصب العلمية، والدينية كالقضاء والإفتاء ،ومنهم كان يختار وكلاء الأوقاف، ولاسيما أوقاف الحرمين الشريفين وهذا ما نستشفه من خلال عقود الأوقاف التي تعود لسلسلة المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك :".....ووكيلا الحرمين الشريفين وهما المكرمان السيد الحاج محمد بن ابراهيم والسيد الحاج محمد بن فاضل

[1] Gramaye (J.B) Op.cit., p. 98

[2] Avity (Pierre. D'), Description Générale De L'Afrique Seconde partie Du Monde Avec tous Ses Empires, Royaumes ,Etats, Et Républiques, Chez Claude Sonnius, Paris 1637 p.174

[3] Dapper,Op.cit.,p.175

[4] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.98

الأندلسيان في حق الفقراء المذكورين بحكم نظرهم عليهم ....."[1]. وبطبيعة الحال من صفوقهم كان يعين أيضا وكلاء أوقاف فقراء الأندلسيين.

و كانوا يساهمون أيضا مساهمة فعالة في إدارة المدينة ؛إذ ساعد وجودهم مساعدة كبيرة على تنظيم الحكومة ،والإدارة ، وهكذا نشأت ثلاث سلطات احدهما مدنية ،والثانية قضائية، والثالثة هي سلطة السيادة التنفيذية[2]. ومن أبرز المناصب التي تولاها الأندلسيين في الإدارة الحضرية –المدنية إلى جانب مشيخة البلد التي تقاسموها مع عنصر البلدية كما سبق الإشارة إليه توليهم لمنصب أمين الأمناء الذي كان يختاره الحكام من بين أقدم الأمناء ،وأكثرهم جدية وأحسنهم معاملة[3] ،وكان بمثابة موظف رسمي و من بين صلاحياته مراقبة الأوزان ،والأطوال والأسواق[4]، وتحديد سعر المواد المختلفة في أسواق مدينة الجزائر كما كان يرجع إليه أمناء الحرف والطوائف للبث في مختلف القضايا التي كانت تشغلهم وقد كان بمثابة صلة وصل بينهم وبين السلطة [5]؛ويمكن عده من ضمن الموظفين المساعدين لشيخ البلد .

علما أن تنظيم الجماعات الحرفية تنظيم سابق للفترة العثمانية في البلاد العربية الإسلامية وهذا ما يتأكد بالنسبة لمدينة الجزائر من خلال ورود ذكر الأمناء في الرسالة التي أرسلها سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول ؛حيث جاء في معرض الرسالة إشارة لذلك "....رسالة القاضي، والخطيب والفقهاء، والأئمة والتجار و الأمناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة ....."[6].

وقد أبقى نظام الحكم العثماني على هذا التنظيم كوسيلة إدارية فعالة سهلت عليهم مهمة التحكم، و الإشراف الفعال على الجانب الاقتصادي ،والاجتماعي ليس في مدينة الجزائر فحسب ،ولكن في كل المدن التي اندرجت تحت سلطتهم ،والتي شهدت هذا التنظيم في مرحلة سابقة؛ فقد كانت التنظيمات الحرفية أو الأصناف الحرفية كما كانت تعرف في المشرق

[1] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19 –1، المصدر السابق

[2] حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق ،ص .109

[3] عبد الله بن محمد الشويهد ،،المصدر السابق ص . 44 في الهامش

[4] Delphin, Op.cit., p.219

[5] عبد الله بن محمد الشويهد ،،المصدر السابق ص.17(تقديم المحقق)

[6] "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر ،المصدر السابق ،ص.119

الإسلامي ذات أهمية كبيرة باعتبارها تنظيمات اقتصادية –اجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة كانت تحمي صاحب كل حرفة من التعرض للظلم وهضم حقوقه ،وتضمن مستوى مقبولا للحرفة ،وتحدد أسعار منتجاتها ،وتنظم العلاقة بين الدولة ،وأصحاب الحرف ،ومن الطبيعي أن تضم هذه الجماعات الحرفية أكثر فئات المجتمع نشاطا ،وإنتاجا وتؤدي بذلك دورها في تماسك المجتمع الذي تنتمي إليه[1].

فمن أبرز خصائص الدولة العثمانية تبنيها للمؤسسات ،و التنظيمات المتعلقة بالاقتصاد والمجتمع من الأنظمة الإسلامية السابقة في المناطق التي أصبحت تحت سلطتها ،فكانت تحتفظ بمعظم القوانين التي كانت موضع التطبيق في الدول السابقة ،ومن جملة ذلك قد انتقلت قوانين كثيرة بأسمائها السابقة[2] ،ومن جهة أخري عملت على إدخال بعض التعديلات والإضافات عليها لتتماشي مع المستجدات ؛ففي ميدان التنظيمات الحرفية يبدو أن الرقابة عليها ازدادت خلال العهد العثماني؛ فخضعت الجماعات الحرفية إلى إشراف موحد[3] ؛وهذا من خلال إيجاد منصب أمين الأمناء الذي كان يتم اختياره من العنصر الأندلسي خاصة كما سبق الإشارة إليه ،ويندرج ذلك ضمن الآثار المترتبة عن بروز نظام الحكم العثماني في مدينة الجزائر فيما يتعلق بإدارتهم للميدان الاقتصادي، والاجتماعي .

و بالعودة للحديث عن دور الأندلسيين نجدهم إلى جانب ما سبق ذكره قد أثروا إيجابيا في تطوير الاقتصاد بقيامهم بمختلف الصنائع، والحرف والأنشطة التجارية كما سبق الإشارة إليه – التي أبدعوا فيها، وقد ساهموا بشكل كبير أيضا في مجال الزراعة عن طريق تطوير وتعميم نظام سقي ،وري فعال لري الفحوص المحيطة بالمدينة[4] ؛فقد كانوا يقتنون، و يمتلكون

[1] عبد السلام رؤوف ،الملامح الاجتماعية لنظام الأصناف في العراق إبان العهد العثماني ،في الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ،جمع وتقديم د. عبد الجليل التميمي ،منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ،زغوان 1986 ،الجزء الأول والثاني ،صص.446 -447

[2] ضياء قازيجي،خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، في الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ،جمع وتقديم د.عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ،زغوان1986، الجزء الأول والثاني، صص.583–584

[3] عبد السلام رؤوف ،المرجع السابق ،ص.452

[4] Gramaye (J.B),Op.cit., p. 98

بساتين في فحوص مدينة الجزائر ،وهذا ما يوضحه لنا أحد عقود بيع جنان ببيرطريلية ؛حيث يشير إلى تملك الأندلسيين للأراضي جاء فيه " ... وباعا صفقة واحدة من الولية عائشة بنت سعد الأندلسي {كذا} جميع الجنة المذكورة..... وولت لهما في باقي العدد الذي قدره ثمانمائة دينار من الوصف جميع الجنة الكائنة بفحص ترونت المبيعة بيدها بيع ثنيا تولية تامة فتسلمها {كذا}وملكها{كذا} دونها....."[1].

و يفهم مماسبق أن عائشة الأندلسية بنت سعد الأندلسي قامت باقتناء جنة في بيرطرايلية في حين كانت تملك من قبل جنة أضافتها لاستكمال ثمن الجنة الجديدة التي ابتعتها.

كما أنهم ساهموا في الميدان الفلاحي أيضا من خلال تحسين مردود بعض المحاصيل وتنويعها إذ ينسب إليهم مثلا إدخال عدة مزروعات كالأرز، والذرة ،والطماطم، وبعض الأنواع من اللوبيا الخضراء، والفلفل[2]،وأنواع أخرى من الراجح أنها لم تكن معروفة أو شائعة قبل مجيئهم كالبطاطس ،و الباذجان الذي استمد تسميته من مقاطعة أندلسية هي بتانجال ،والزعفران والسبانخ ،و القرنون ،و الكراث و الجلبانة –البزلاء–،والملفوف ،والكرنب[3].ويبدو لنا أنهم ساهموا بالتعريف بمحاصيل العالم الجديد في الجزائر، ولاسيما بعد صدور قرارات الطرد النهائي 1609م.

وأصبحت سهول المتيجة ومرتفعات الساحل القريبة من مدينة الجزائر ؛أي الفحوص بفضل نشاطهم الفلاحي المتميز تشتهر بزراعة الأشجار المثمرة كحب الملوك، والأجاص والتفاح وخاصة البرتقال، و العنب[4]، والمشمش ،والرمان ،والتين ،والزيتون واللوز ،والجوز ؛حيث ساهم الأندلسيون في تطوير إنتاجها وتحسين أنواعها عن طريق التقليم والتطعيم [5]،بهدف توفير الغذاء

[1] Saadeddin Bencheneb," Un Acte de vente dressé à Alger en 1648 ",In: **R.A.,**T. 89 ,1945 ,p.288

[2] Mahfoud Kadadache, L'Algérie durant…, p.208

[3] ناصر الدين سعيدوني ،الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان "أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر ،في مجلة حوليات ،العدد7، جامعة الجزائر،1997،ص.112 أنظر أيضا:

Guichard Pierre. Alimentation et cuisine en al-Andalus In: **Pratiques et discours alimentaires en Méditerranée de l'Antiquité à la Renaissance**. Actes du 18ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 4, 5 & 6 octobre 2007. Paris: Académie des Inscriptions et Belles-Lettres 2008. pp. 337-357 (Cahiers de la Villa Kérylos, 19) referanse noumerique : http://www.persee.fr/ doc/ keryl_ 1275-6229_2008_act_19_1_1168,p.350

[4] ناصر الدين سعيدوني،" دراسات وأبحاث في..."، ص.139 - 140

[5] ناصر الدين سعيدوني ،الأندلسيون ...،ص.122

لسكان المدينة ،و اشتهروا بغرس الزهور ،والعناية بها، وعلى وجه الخصوص الورد وزهور اللارنج والبرتقال بغرض تقطيرها ،و استخلاص الماء المقطر منها ، و ما كان يعرف حينها ولايزال بماء الزهر والذي كان يستخدم في صناعة العطور، والمستحضرات العطرية وصناعة الصابون التي برع فيها الأندلسيين كما كان يستخدم في الطبخ[1] ،ولاسيما في إطار إعداد الحلويات المتنوعة ولعل أهم ما أتوا به كما سبق ذكره هو تربية دود القز لإنتاج الحرير؛ إذ كانت لهم طرق خاصة في دباغة الجلود ،وصناعة الحرير ،و غزل ونسج الصوف[2].

و هذا دون الإغفال عن تأثيراتهم، ومساهمتهم الفعالة في نواحي أخرى كالجانب العمراني والميراث الموسيقي الأندلسي الذي استقدموه معهم إلى مدينة الجزائر، والذي لا يزال باقيا ومتذوقا إلى يومنا هذا حيث أدخلوا إليها نوعا من الحياة الحضرية المتميزة بالشغف بالفنون الجميلة[3].و نفس الأمر فيما يتعلق بالعديد من التقاليد الأخرى في اللباس و حتى في مجال المأكولات[4].

و لا يمكن إهمال دورهم الفعال في تزويد مدينة الجزائر بشبكة منظمة لنقل المياه من الضواحي إلى داخل المدينة لتزويد العيون، والصهاريج بها، ومن الدلائل، والبراهين على اهتمام الأندلسيين ودورهم الكبير في تعمير مدينة الجزائر بالمباني المختلفة إشارة في احدي وثائق سلسلة بيت البايلك إلى مجموعة من الأندلسيين الذين قاموا بعقد شراكة للبناء حيث أن الوثيقة معنونة بـ:

"**شركة الأندلس**"، وهذا بتاريخ سنة 1032 هـ(1622م) ،وتتضمن هذه الوثيقة تقيد للمصاريف التي صرفت لإنجاز مباني ،ومنشآت مختلفة من شراء المواد الأولية كالجير، والآجر وألواح الخشب، و القفاف؛ أي السلال لتحميل مواد البناء ،والحبال ودفع مستحقات البناءين والنجارين، والحدادين، وغيرها ،وكذا الأجور المدفوعة مقابل بناء وترميم هذه المنشآت المتنوعة

[1] المرجع نفسه ،صص.112-114

[2] محمد زروق ،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16م-17م،مطابع إفريقيا الشرق،الدار البيضاء ،1998 ص.266

[3] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق ،الجزء 3، ص.122

[4] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant…, p.208

من دور، وسواقي –العيون – ،و الكوشات[1]،وغير ذلك.

ولابد من التنويه بمساهمتهم أيضا في تحصين المدينة من خلال المشاركة في بناء الحصون والقلاع مثلا نسب لجماعة من الثغرين إقامتهم لحصن خارج باب الواد للدفاع عن المدينة[2].

وقد أشار إليه روكفيل(Rocqueville) في القرن11هـ(17م)؛حيث قال:

" بالقرب من باب الواد نري حصن آخر بني من طرف الثغريين ويعرف"بحصن الثغرين"وهم والأندلسيين شعب طردوا من إسبانيا "[3].

وكذلك ينسب إليهم الحصن، أو الباستيون الذي كان موجودا فوق باب الجزيرة؛ والذي وصفه هايدو في القرن 10هـ(16م) قائلا :"فوق باب الجزيرة التي تؤدي إلى رصيف الميناء يوجد باستيون – حصن- جميل وهو أفضل، وأكبر من بقية الحصون المتواجدة في مدينة الجزائر[4].

وكان هذا الحصن متواجدا داخل الميناء على بعد120متر من الحصن الصغير القريب من الجامع الأعظم أو الكبير و كان معروفا من طرف السكان تحت اسم توبانة الأندلس أي حصن الأندلسيين إحياء لذكرى العمال الأندلسيين الذين قاموا ببنائه، كما عرف أيضا تحت اسم توبانة الجمرك ،أو حصن الديوان لأنه كان يطل على بناء المخزن الذي كان يوجد على رصيف الميناء أين كانت تدفع حقوق دخول السلع القادمة من البلاد الإسلامية ،وفيما مضى كانت توبانة الأندلس تعلم بإطلاق ضربة، أو طلقة مدفع تجاه عرض البحر، حصون وأبراج الميناء الأخرى ببداية عملية القذف المتوالية لطلقات المدفعية التي كانت تقوم بها هذه المنشآت نصف ساعة بعد شروق الشمس بمناسبة الاحتفالات المقامة احتفالا بالعيد الأضحى أو الكبير، وعيد الفطر، أو العيد الصغير[5].

وقد استخدم الأندلسيين أيضا في الدفاع عن مدينة الجزائر لاسيما خلال عهد البايلربايات بفضل ذكائهم الحربي، وشجاعتهم، ولاسيما القوة التي كان يمدهم بها الأمل

[1] السجل 262 ،من سلسلة بيت البايلك ،ورقة 1 في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] ناصر الدين سعيدوني،" دراسات وأبحاث ...، ص.139

[3] Op.cit., p.9

[4] « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p. 495

[5] Devoulx (Albert),Batterie des Andalous à Alger, In-**R. A**, T.16, 1872, p.342

في استعادة أرضهم، و الرجوع يوم ما لبلاد الأندلس، وكان هذا الرجاء في العودة حيا وقويا لدرجة أن آباء العائلات الأندلسية الكبيرة المطرودة كانوا يحتفظون بمفاتيح منازلهم التي تركوها في الأندلس بحرص كبير ،ولم يكونوا يشكون لحظة واحدة في أن اليوم الذي سوف يتمكنون فيه من العودة ،والدخول لدورهم القديمة آتي ،ولاشك في ذلك[1].

وتوجد إشارات إلى كثرة الأندلسيين المودجار« Mudegar » ،و الثغرين« Tagrins » في جيش مدينة الجزائر، ففي احدي الرسائل المصنفة ما بين سنتي1510 م- 1534م –والتي لا يمكن أن تكون سابقة لتاريخ 1516م تاريخ قدوم العثمانين إلى مدينة الجزائر- جاء ما يدل على ذلك "في فرق الحراسة[في مدينة الجزائر] يوجد أتراك البقية مشكلة من جواسيس و مودجار «Mudegar» ....." [2].

وشارك الأندلسيون في الحمالات التي كان يقودها حكام الجزائر من بايلربايات لتحرير المواقع التي احتلها الإسبان داخل البلاد وخارجها ؛ فشاركوا في حملة قادها حسن بن خير الدين لتحرير وهران خلال عهدة حكمه الثانية دائما حسبما سجله هايدو في القرن 10 هـ(16م):

"... في البداية أمر{الحسن بن خير الدين} أن تحضر بسرعة مئون كثيرة من البسكويت والذخيرة من رصاص، وبارود، وعتاد حربي آخر دون أن يترك الشك يراود أحد حول نيته في السير إلى وهران، والمرسى الكبير، و في5 فيفري 1563م سار إليهما بجيش كبير لم يشكله ويحركه من قبل أي حاكم للجزائر من حيث عدد الإنكشارية الأتراك-العثمانيين-والأعلاج والأندلسيين أو مور إسبانيا {مسلمي إسبانيا}..."[3].

وشاركوا أيضا في حمالات وجهت من الجزائر إلى تونس لمحاولة تحريرها من الإسبان حيث نجد احدي المراسلات الإسبانية المؤرخة في 12 نوفمبر 1536م تطلب ذخائر ومساعدات من إسبانيا انطلاقا من قولطا—حصن حلق الوادي- تونس، وتحذر في نفس الوقت من اقتراب 1700 تركي و مور- مسلم-من مملكة غرناطة، و فالنسيا[4].

[1] Devoulx (Albert), Corporations Religieuses…, p.71
[2] Sakina Missoum, Op.cit.,p.159
[3] Haedo (F.D) , Histoire des rois...,p.128
[4] Sakina Missoum,Op.cit., p.159

وتبرز مساهمة الأندلسيين العسكرية أيضا في حماية مدينة الجزائر من خطر الغزوات الخارجية من خلال دورهم في تحصين المدينة تأهبا ،واستعدادا لمواجهة حملة شرلكان سنة 1541م [1] إذ أن الحاكم جون جيل الإسباني ذكر في رسالة وجهها لقادة محاكم التفتيش في موريس الأخبار التي وصلته من مدينة الجزائر ؛حيث كتب:

" توجد رسالتين أحضرتا من مدينة الجزائر تحذرنا وتعلمنا بما كان يحدث هناك، وقد كانوا يقولون أن [.....] الشارع الرئيسي[المقصود به شارع السوق الكبير] الذي يوجد في مدينة الجزائر، ومن أين كانوا يفترضون وجوب أن يمر منه الأعداء ملغم، و محفور كله ،ومليء ببراميل البرود وسيتركون الكثير من الناس يدخلون الشارع الكبير المذكور [أي من الغزاة الإسبان إن حدث، ودخلوا المدينة]،وأنهم سيشعلون النار به بعد ذلك بحيث لا يتمكن أحد ممن يتواجدون به من الفرار ،ويقولون أن من قام بذلك هم المورسكيين الذين مروا أو عبروا من إسبانيا إلى مدينة الجزائر، وأنهم أحسنوا عملا، و كلفوهم{ أي العثمانيين} بحراسة هذا الشارع وأنهم يرسلون [أي العثمانيين] هنا[أي موريس بإسبانيا] لكي يخبروا كل المورسكيين الذين يريدون الذهاب إلى الجزائر أنهم سيأخذونهم دون أي تكاليف ودون أن يأخذوا منهم أي شيء وأنهم سيعطونهم دورا ،ومزارع؛وبساتينا، وجنائن ذات قيمة "[2].

ونسجل هنا أن هذه المراسلة الإسبانية إلى جانب إبرازها للمشاركة الفعالة للمهاجرين الأندلسيين في حماية مدينة الجزائر، فهي تمدنا بمعلومات هامة أخري من بينها مساهمة حكام الجزائر في نجدة الأندلسيين ؛وكذا مسألة أخري لا تقل أهمية ألا وهي علاقة التعاون، والمصلحة المتبادلة بين العثمانيين، والمهاجرين الأندلسيين التي برزت منذ البدايات الأولى لقيام النظام العثماني في الجزائر؛ حيث أن ما سبق ذكره يبين لنا مدي حرص حكام الجزائر على استقدام أكبر عدد ممكن من الأندلسيين مع تقديم عدة تسهيلات لهم قصد السماح لهم بالاستقرار بدافع الواجب الذي تفرضه الرابطة الدينية أولا، و ثانيا لمحاولة الاعتماد على هؤلاء الأندلسيين

[1] كما أشار هايدو في القرن 10هـ(16م) بدوره إلى هذه المشاركة، والمساهمة في الدفاع عن مدينة الجزائر أمام حملة شرلكان سنة 1541م ؛حين ذكر أنه كان يوجد تحت إمرة حاكم الجزائر حينها حسن آغا ثلاثة ألاف تركي بالكاد وبينهم عدد معتبر من الأندلسيين. أنظر:

Haedo ((F.D) , Histoire des rois..., p.63

[2] Sakina Missoum,Op.cit.,p.159

في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر.

وفي هذا الصدد يرى الأستاذ الباحث أرزقي شويتام أن التطورات التي عرفتها الجزائر في أواخر القرن 9هـ/15 م ومطلع القرن 11هـ /16 م جعلت الأندلسيين يربطون مصيرهم بمصير الأتراك العثمانيين وكان هدفهم البحث عن قوة تحميهم من الأخطار ،والتقلبات الداخلية والخارجية[1].

وهذا التحالف الذي قام بين العثمانيين والأندلسيين أشار إليه حمدان بن عثمان خوجة ضمنيا بقوله أنه بعد حين من قدوم العثمانيين إلى مدينة الجزائر تكونت فيها حكومة قائمة على مبادئ معتدلة ،و تدعو إلى التفاهم لربط مصالح الأهالي بمصالح الأندلسيين[2].

و يدعم ذلك ما جاء في تقريران ما بين سنتي1544 م- 1545 م عن مدينة الجزائر أحداهما لجاسوس ،والثاني لأسير فار مفادهما أن كثير من المودجار«Mudegar» مدجين في الجيش التركي دون تحديد للعدد [3]؛أي أن العثمانيين وجدوا في الأندلسيين الممتنين لنجدتهم وللأمان الذي أصبحوا ينعمون به خير حليف يمكنهم الاعتماد عليه لمساعدتهم في إيجاد استقرار سياسي للبلاد ؛حيث عمل حكام الجزائر العثمانيين على إدماج الأندلسيين بالتدريج في المناطق المجاورة للحصون التي أصبحت تحت سلطتهم ،إذ كان يتم إدماجهم عن طريق عقد مصاهرات مع القبائل المجاورة لتلك الحصون.

ومن أمثلة ذلك حالة سيدي أحمد الكبير الأندلسي الذي استقر بالبليدة، وتزوج من ابنة زعيم قبيلة أولاد سلطان التي يقال أن اسمها كان حنة ، وتزامن ذلك مع استقرار العثمانيين في مدينة الجزائر ،ولما استدعى السلطان العثماني خير الدين لتولى منصب قبودان باشا ؛أي القائد الأعلى للأسطول العثماني؛ فإنه زار الشيخ محمد الكبير وطلب منه أن يعين مجاوريه فأجابه، بالقبول وبني له مسجدا ،وهو المعروف بجامع الترك، وحماما عرف بحمام سيدي الكبير وفرنا لم يبقى له أثر[4]؛أي أننا نلاحظ تماشي توطن الأندلسيين في الجزائر مع تثبيت سلطة

[1] أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري ...،ص.148

[2] حمدان بن عثمان خوجة،المرجع سابق ،ص.109

[3] Sakina Missoum,Op.cit., p.159

[4] نور الدين عبد القادر،المرجع السابق ،ص.266

العثمانيين فيها.

وقد ساهم الأندلسيين أيضا في مجابهة التمردات الداخلية، وعلى سبيل المثال تمكن عروج بربروس من التغلب على حاكم تنس، وأتباعه بتشتيت قوتهم في معركة جمعته بهم في سهول شلف بمساعدة 500 فارس أندلسي من أهالي غرناطة، وأرغون، وبلنسية للقوة العثمانية التي كانت مشكلة من ألف جندي من المشاة[1].

فضلا على الاعتماد على حاميات أندلسية من طرف الحكام العثمانيين في المدن التي أخضعوها بهدف حراستها، والحفاظ على أمنها ،وفي هذا الإطار دائما وتسهيلا لعملية إدماج الأندلسيين في مدينة الجزائر وغيرها من المناطق في البلاد نسجل الإعفاء الضريبي الذي منح لهم[2].

و تجدر الإشارة إلى أن سياسة حكام الجزائر العثمانيين في إدماج الأندلسيين تندرج في إطار سياسة الدولة العثمانية اتجاههم؛ حيث ساهمت الأحكام ،والمراسيم السلطانية الموجهة لحكام الجزائر في ذلك ،ومن نماذجها نذكر حكم إلى أمير أمراء الجزائر يقضي بتحسين معاملة المهاجرين الأندلسيين ومنحهم أراضي مخصصة، وهي أراضي ميرية يختص بالانتفاع بها أفراد من الرعية بعد إذن السلطان ويبدو أن هذا الأمر قد جاء بعد مراسلة عرض فيها الأندلسيين حاجتهم الماسة لتلك الأراضي نظرا لأن أغلبيتهم من الفقراء[3].

كما ورد حكم آخر إلى أمير أمراء الجزائر يأمره بالتحري في شكوى من مهاجرين أندلسيين حيث تقدم هؤلاء بشكوى مفادها أن القواد والمباشرين،وهم المشرفين على الإدارة طالبوهم برسوم وحقوق كسائر الرعايا على حين أنهم فقراء ،ولا يملكون شيئا ومع هذا فهم

---

[1] ناصر الدين سعيدوني،" دراسات وأبحاث في تاريخ ..." ،ص.138.

[2] HAEDO, (F.D), « Topographie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p.491

[3] حيث ورد في نص الحكم ما يلي:"...تقدم فقراء الأندلس ومدجل {كذا}بعرض حال جاء فيه أن غالبيتهم من الفقراء وأهل العلم وأنهم غير قادرين على الكسب والعمل وليس لهم حرفة يشتغلون بها وأنهم يعانون من ضيق العيش نتيجة لذلك وذكر بأنه يوجد مخصصات في جهات كثيرة .....في الجزائر إلا أن القضاة والمباشرين يعطون تلك المخصصات في حالة شغورها إلى أهالي البلاد ويدعون أنها ليست من حق الأندلسيين....."أنظر: حكم إلى أمير أمراء الجزائر "أمر بتحسين معاملة المهاجرين الأندلسيين ومنحهم أراض مخصصة"مهمة دفتري رقم23 صحيفة121 حكم رقم 244بتاريخ 981/05/17 هـ (1573 م)في الأرشيف الوطني الجزائري

يطالبون بتكاليف لا قبل لهم بها مما أثقل كاهلهم، ولم يتوقف الأمر هنا بل تطرق هؤلاء الأندلسيين لقضية تعرضهم للنهب والسلب؛ فذكروا في معرض شكواهم للسلطان العثماني أن بعضهم أخد يعمل كعمال ،و مزارعين إلا أن ما حصلوا عليه أخد منهم عنوة ،وأن البحارة سلبوهم ألبستهم ،ومتاعهم، وأموالهم، ومارسوا أنواع التعدي عليهم[1].

ومن خلال الأمر بالتحري في هذه الشكوى جاء استفسار السلطان العثماني عن السبب في نزع ألبسة واغتصاب أجور المزارعين من فقراء المسلمين الذين وفدوا من ديار الحرب إلى ممالكه المحروسة ،و إصداره أوامره بالتحري عن هوية من ارتكبوا هذه التجاوزات في حق المهاجرين الأندلسيين وبعد التحقق من ذلك الحرص على رد وتسليم تلك الأموال كاملة لأصحابها وعدم السماح مطلقا لأي كان بأن يسلبهم مجددا أجورهم ،ولباسهم ،وأشياءهم.

كما نص الأمر أيضا على مسألة هامة سبق وأن أشرنا إليها وهي اعفائهم من دفع الضرائب وهذا إلى حين تحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ونص ذلك كالآتي :"ويجب أيضا إعفاء الفقراء من كافة التكاليف لمدة ثلاث سنوات ،وعليك بإسكانهم وحمايتهم طيلة هذه الفترة حتى يستردوا قواهم ،ويصبحوا قادرين على دفع الرسوم المترتبة عليهم كسائر الرعايا وذلك بموجب القوانين الجارية في تلك المناطق ،و لا يسمح مطلقا بالتعدي على الفقراء خلافا للشرع والقانون ،والأمر الهمايوني وبعد الإطلاع على هذا الحكم يجب إبقاء ما في يديهم..."[2].

و التحالف الأندلسي العثماني لم يتجسد على مستوى الجزائر فقط بل حتى على المستوى الخارجي وهذا ما يتضح بشكل جلي في ثورة المورسكيين المعروفة بثورة جبال البشارات الثانية سنة 1569 -1570م في عهد البايلرباي الأخير علج علي ؛فقد كانت مساندة الجزائر لهذه الثورة من منطلق الواجب الديني، أي نجدة، ونصرة الإخوة المسلمين أولا وإشغال الإسبان عن الحملة التي كان يعدها لتحرير وهران منهم ؛والتي حولت عن غايتها الأولى لتوجه لتحرير تونس من لإسبان ، ومن أتباعهم من الحكام الحفصيين المتخاذلين ثانيا بسبب تفطن الإسبان لنوايا علج علي ،وقيامهم بتعزيز دفعاتهم في وهران ،والمرسى الكبير.

---

[1] حكم إلى أمير أمراء الجزائر"أمر بتحري في شكوى من مهاجرين أندلسيين "مهمة دفتري رقم23 صحيفة139-140حكم رقم 284 بتاريخ 981/7/28 هـ(1573 م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] المصدر نفسه

و كان من المفترض أن تنطلق الثورة الموريسكية في غرة نوفمبر 1568م وذلك باتفاق تم بين الأندلسيين ،و البايلرباي علج علي؛ حيث جهز هذا الأخير أربعين سفينة محملة بالرجال والسلاح وقفت في الموعد المحدد أمام ميناء المرية لإنزال القوات التي تحملها لكن انكشاف أمر أحد رجال الثورة الأندلسية أدى إلى تفطن الإسبان للأمر ،وفشل هذه المحاولة،و لكن لايعنى ذلك عدم تواصل مساندة ودعم الجزائر لهذه الثورة ؛ فاستجابة لأوامر بايلرباي الجزائر علج علي القاضية بالسماح لكل من يمتلك سلاحين من نفس النوع أن يقدم أحدهما لتدعيم الأندلسيين في غرناطة ،ولكن فقط حبا في الله ورسوله؛ أي أن يتم منحهم هذه الأسلحة لا أن تباع لهم مقابل المال ، والسبب في ذلك حسبما أورده هايدو أنه قبل عهد علج علي كان يتم شحن عدد كبير من السيوف ،والبنادق، وأسلحة أخري لنقلها إلى غرناطة ،وبيعها للأندلسيين ،و كان المهاجرون الأندلسيون الذين استقروا في مدينة الجزائر الوسطاء الرئيسيين في هذه التجارة[1].

كما أمر علج علي أن يتم تجميع كل الأسلحة التي يتم التبرع بها في جامع صغير كان متواجدا في سوق الخضرة ؛حيث كان يحضر كل متبرع سلاحه إلى هذا المسجد؛ وقد تجمعت كمية كبيرة من الأسلحة[2] لدرجة تثير الدهشة والتعجب على حد تعبير هايدو ،وقد كان ذلك تعبيرا عن مدى كرم سكان مدينة الجزائر ،وتضامنهم مع قضية إخوانهم الأندلسيين كواجب ديني مقدس وتم إرسال هذه الأسلحة لدعم المسلمين الأندلسيين[3].

و مسألة تزويد الجزائر لأهالي الأندلس بالسلاح نستخلصه من الحكم الذي أرسله السلطان العثماني سليم الثاني إليهم:

".....وتعلمون أنه يوجد حاليا لديكم عشرين ألف رجل مسلح كما أن هناك مئة

---

[1] Haedo ,histoire des rois …, pp.139-140

[2] ونستخلص مما سبق إلى جانب ما ذكر مسألة هامة أخري ؛وهي احتفاظ سكان مدينة الجزائر بأسلحة في مساكنهم ومن تم يمكن طرح السؤال الآتي :هل منعوا فعلا من طرف الحكام العثمانيين من حمل الأسلحة كما تشير إليه المصادر الغربية؟ أم أن ذلك كان تعبيرا عن اختيار حر من طرفهم، و الدليل امتلاكهم للأسلحة،أو أنه سمح لهم بامتلاكها ومنعوا من حملها في الأوقات العادية لأسباب ،ودواعي أمنية في حين كان يسمح لهم بذلك عندما تدعو الحاجة إلى ذلك كالمشاركة في الدفاع عن المدينة من خطر الحمالات الخارجية أي في حالة النفير العام.

[3] Haedo ,Histoire des rois …, p.140

ألف رجل قادر على حمل السلاح وعلمنا باستلامكم مقدار من السلاح من الجزائر وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر فالحمد لله ولينصر أهل الإسلام....."[1].

و استمرت الثورة الموريسكية طيلة سنة 1570م، أو على الأقل إلى غاية 30 نوفمبر منها فطالت دون أن تتوقف عن كونها ثورة صعبة ،وكثيرة التكاليف علما أن الثوار حينها كانوا يبلغون 25000[2] منهم 4000 عثماني من رماة البنادق المركزة الذين تمكن علج علي من إنزالهم على الساحل الأندلسي في شهر أكتوبر من سنة 1570 م بعد محاولة فاشلة قام بها أسطول أرسله علج علي كان يشتمل على ثمان وثلاثين سفينة حربية مليئة بالرجال والأسلحة في سنة 1569م لإمداد الثورة بالمحاربين ،والعتاد ؛وأسباب فشل هذه المحاولة ترجع إلى عدم إيجاد مواقع صالحة لإنزالهم ،بسبب الحراسة المشددة التي فرضها الإسبان على السواحل ،فضلا عن العواصف التي تسببت في تحطيم ثلاثين سفينة، وضياع ما كانت تحمله من إمدادات[3].

و أرسل البيلرباي علج علي القمح أيضا من الجزائر في سنة 1570م إلى الثوار في الأندلس و كانوا يملكون مئونة وفيرة؛ حيث كان لديهم التين، والزيت، وكان يمكنهم الاعتماد في التموين على إمدادات عدد من السفن القادمة من مدينة الجزائر[4].

و نستخلص من خلال الحكم الذي أرسله السلطان سليم الثاني للأندلسيين الدور الفعال الذي أدته الجزائر في دعمهم ،ومساندتهم من خلال تسخير كل الطاقات ،والامكانات المتوفرة خاصة من طرف البايلرباي علج علي[5] :"..... وقد أرسل امرى الهمايوني المؤكد إلى أمير أمراء

---

[1] مهمة دفتري رقم 9 صحيفة89 حكم 231 بتاريخ 10/24 /997هـ(1589 م)

[2] Fernand BRAUDEL, La Méditerranée et le Monde Méditerranéen, époque de Philippe II, Colin, Paris, 1966, Deuxième Edition, Tome2, p.366

[3] محمد عبد الله عنان، "الأندلس وآخر مسلميها أمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما **"في مجلة الأصالة**، العدد 27 (عدد خاص بالملتقى التاسع للفكر الإسلامي)،وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية،الجزائر، السنة الرابعة رمضان –شوال 1395 هـ سبتمبر –أكتوبر 1975م ،ص .187

[4] Fernand BRAUDEL, Op.cit.,tome2, p.366

[5] وهو الأمر الذي نستخلصه أيضا من حكم آخر أرسله السلطان سليم الثاني إلى البايلرباي علج علي ردا على خطابه إليه جاء فيه :"وصل إلى بابنا المعلا خطابك الذي أعلمنا ... وأن الهلع قد حل بالكفار أصابهم الدمار منذ بدأ أهل الإسلام في الأندلس برفع هاماتهم وتمكنهم من صد هجماتهم و الانتصار عليهم وأنك عاونتهم عليهم بإرسالك العتاد=

الجزائر[1] الذي تتجه أنظاره وأفئدته نحوكم للإرسال النجدة والمعونة لكم بإرسال العساكر المظفرة وبإرسال العدة والعتاد وبموجب امري الشريف فان أمير الأمراء المشار إليه سيكون خير معين وظهير لكم...."[2].

كما نستخلص اهتمام الدولة العثمانية الكبير بالقضية الأندلسية ،وإطلاع سلاطينها على أحوالهم[3] من خلال ما ورد من مراسلات إلى أهالي الأندلس، و محاولات مد يد المساعدة إليهم في ثورتهم مع إبراز الأسباب التي تؤخر تدخلها العسكري المباشر[4] : "وقد عرض بالتفصيل

=والرجال وعلمنا بأن الإغارة على ولايات الكفار أصابهم الدمار غير منقطعة....."أنظر : مهمة دفتري رقم 9 صحيفة 77حكم 264 بتاريخ 977/10/23 ه(1570م) بالأرشيف الوطني الجزائري وفي حكم آخر نستدل على حرص البايلرباي علج علي على نقل أخبار الاندلسيين وثورتهم إلى السلطان العثماني كما نستشف منها بعض الصعوبات التي واجهها الثوار:".....لقد استلمنا خطابا من المشار إليه علي دام إقباله كما وأخبرنا أن أهالي الأندلس لايزالون على القتال والجدال ضد زمرة المشركين إلا أنهم أصبحوا منهكي القوة لذلك فإن سكان السواحل منهم لجؤا لطلب الأمان خشية المجاعة على حين أن قلة من سكان الجبال منهم لايزالون على الحرب والقتال..... أنظر : مهمة دفتري رقم14 صحيفة40 - 41حكم 48 بتاريخ 979 ه(1572م) بالأرشيف الوطني الجزائري، والصعوبات التي واجهها الثوار الأندلسيون نستخلصها من حكم آخر جاء جوابا على خطاب أرسله الأندلسيون إلى السلطان العثماني سليم الثاني :".....أرسلتم خطابا إلى سدة سعادتنا تعربون فيه عن عدم وصول الأسلحة المرسلة .....وأنكم بذلك أصبحتم تواجهون ضائقة في الذخيرة .....وجاء في خطابكم أن الكفار تمكنوا من السيطرة على تلك الجوانب ولهذا السبب تعلمون حاجتكم لإرسال المعونة....."أنظر : مهمة دفتري رقم14صحيفة 199حكم 283،بتاريخ979/2/3ه (1572م) بالأرشيف الوطني الجزائري

[1] حيث ورد في حكم أرسله السلطان العثماني سليم الثاني للبايلرباي علج علي ما يبرز الاهتمام الكبير الذي كانت توليه الدولة العثمانية لنصرتهم ،ومد يد المساعدة إليهم :".....أرسل أعيان مندجل –المودجار الأندلسيون –بخطاب إلى سدة سعادتنا معربين فيه عن.....والأن ينبغي أن نظل عينا ساهرة وأذنا صاغية تجاه ذلك الجانب حيث أن معاونتهم ومظاهرتهم بما يمكن تقديمه وحسبما يقتضيه الوضع أصبح أمرا هاما لنا.....»أنظر: مهمة دفتري رقم14 صحيفة 200حكم 284بتاريخ979/2/3ه(1572م) في العلبة بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] مهمة دفتري رقم 9 حكم 231 ،مصدر سابق

[3] ونتلمس هذا الاهتمام من خلال الأحكام الواردة إلى حكام الجزائر ونخص بالذكر علج علي والتي تتضمن أوامر ببذل كل الجهود الممكنة لمساعدة ودعم، ونصرة أهالي الأندلس بالإضافة إلى التأكيد على ضرورة اطلاعه بشكل مستمر على تطورات الوضع في بلاد الأندلس:" .....لذلك أمرك بمعاونتهم ومظاهرتهم بما اوتيت من قوة سواء كان ذلك بإرسال الجند أو بإرسال العتاد.....وأمرت عليك التقيد بما جاء في هذا الحكم حال وصوله وأن تعاون وتظاهر أهل الإسلام المذكورين بكل ما تيسر تقديمه لهم ..... ولا تتوانى في إعلامنا بأحوال و أوضاع تلك الديار....." أنظر :مهمة دفتري رقم 9 حكم 264،مصدرسابق

[4] ونجد أن نفس هذه الأسباب قد ذكرها السلطان سليم الثاني في حكم أرسله إلى بيلرباي الجزائر علج علي مبينا أن نيته كانت نصرة ومساعدة الأندلسيين ودعمهم بالأسطول ولكن تعديات كفار قبرص على المسلمين من حجاج وتجار حالت دون ذلك، وانشغاله إذا بفتح الجزيرة :".....ولقد كان بنيتي ارسال أسطولي الهمايوني لتلك الأطراف لإعانة=

كل ما جاء في عرض حالكم.....وأن أنظاري منصرفة دائما نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة والتي كانت على العهد والامان منذ زمان أجدادي .....نقضوا تلك العهود وأخذوا بالتعدي على التجار وأهل الإسلام المسافرين بحرا لطواف بيت الله الحرام .....فقد استقرت نيتي الملوكية على فتح وتسخير تلك الجزيرة.....حتى تأهل بأهل الإسلام كما كانت عليه.....وبما أن الوضع على هذا المنوال فان ارسال الأسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر .....وسيتم ذلك اثر انهاء الأسطول لمهمته ....."[1].

ونسجل أيضا الحرص على تشجيعهم ودعوتهم للتحلي بالصبر ،والتزام الجهاد في انتظار وصول النجدة إليهم[2] :

"كما أننا .....من خلال حميتكم الإسلامية المتأصلة في جبيلتكم عدم التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين فلتظهروا أنواع إقدامكم وأصناف اهتمامكم في الحرب والقتال والجدال ضد الكفار الأذلاء.....ولا تتوانوا عن اعلامنا عن أحوال وأوضاع تلك الديار "[3].

=ومظاهرة أهل الإسلام لكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي نقضوا العهد وبدأوا بالتعدي على التجار وأهل الإسلام المسافرين بحرا قاصدين طواف بيت الله..... بما أن الوضع على هذا المنوال فإن إرسال الجند إلى تلك الديار سيتأخر بعض الشيء لذلك أمرك بمعاونتهم ومظاهرتهم بما اوتيت من قوة سواء كان ذلك بإرسال الجند أو بإرسال العتاد..... ".أنظر :المصدر نفسه

وأبرز حكم آخر إلى جانب تأكيده للسبب السابق ذكره سببا آخر كان يؤخر إرسال الأسطول العثماني لدعمهم كما لمح إلى مسألة احتمال تدخل علج علي شخصيا لمساندة الأندلسيين إذا سنحت الظروف بذلك ".....واننا نلاحظ أهمية إرسال الأسطول الهمايوني لنجدتكم غير أن ذلك لم يتيسر نظرا لتوقع غزو أسطول البنادقة اللعناء لممالكنا المحروسة في هذه السنة المباركة إلى جانب مهمة فتح جزيرة قبرص .....وقد أرسل حكم همايوني إلى علي دام إقباله أمير جزائر الغرب بشأن توجهه إلى طرفكم على رأس بضعة قطع من أسطولي الهمايوني لمعاونتكم إن سنحت الظروف المذكورة بذلك في هذا العام المبارك..... " أنظر: مهمة دفتري رقم14 حكم 283، المصدر السابق

[1] مهمة دفتري رقم 9 حكم 231، المصدر السابق

[2] وهذ ما تأكد لنا في حكم آخر ورد فيه ما يلي :".....عليكم بالاتفاق وتوحيد كلمتكم ووجهتكم لصد غارات الكفار أصابهم الدمار عن تلك الديار وعليكم بالتعاون والتظافر لدفع ضررهم مظهرين في ذلك كل أنواع السعي والقوة والإقدام متجنبين الغفلة وان شاء الله الأعز إذا واتت الظروف فسيصل المشار إليه-علج علي –على رأس القوة المذكورة وسيعمل ما في وسعه لمعاونتكم ومظاهرتكم....."أنظر: مهمة دفتري رقم 14 حكم 283،المصدر السابق

[3] مهمة دفتري رقم 9 حكم 231، المصدر السابق

وفي الأخير يمكن القول أن الأندلسيين أدوا دورا جد فعال في الحياة الاجتماعية ، واليومية لمجتمع مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ (16 م)-11هـ(17 م) من خلال نشاطاتهم المتنوعة وتأثيرهم في مختلف مجالات الحياة، والتي تصب مجملها في إطار الصالح العام؛ فقد ساهموا في النمو السكاني، والازدهار الاقتصادي ،والاجتماعي، والتطور العمراني لمدينة الجزائر؛ وقد ساهموا أيضا في مضاعفة روح العداوة ضد الإسبان ومن ثم تنشيط عملية الجهاد البحري كما أن تحالفهم مع العثمانيين تجاوز الميدان السياسي ،والعسكري إلى الميدان الاجتماعي ،وهذا ما نستخلصه من خلال المصاهرات التي كانت تجمع بين الطرفين وهو ما تبرزه عقود المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك نذكر:

".....الحمد لله بعد أن استقر على ملك الولية فاطمة بنت عبد الكريم الأندلسي .....جميع النصف الواحد من العلوي .....وتوفيت فاطمة المذكورة عن بعلها محمد آغا....."[1].

[1] الوثيقة رقم 5:" رسم تقسيم تركة امرأة "في العلبة 29 -30 تاريخها 1090هـ (1679م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

– الجماعات السكانية الأخرى الجربيون والمغربيون والزنوج:

أ-جماعة الجرابة :

لقد كانت جماعة الجرابة الوافدة من جزيرة جربة الممثلة للعنصر التونسي [1]مهيكلة ضمن جماعة على غرار جماعة البرانية [2]وربما يعود ذلك إلى عاملين هما أولا انتمائهم للمذهب الإيباضي و نظرا لأهميتهم العددية[3] ثانيا وقد تولى أمانة جماعة الجرابة أواخر القرن 11هـ. (17 م)وتحديدا سنة 1697م بوعزيز بن سليمان ثم خلفه محمد بن شوش عام 1703م[4].

وقد أشار مصدر إنجليزي خلال القرن 11 هـ(17م) إلى جماعة الجرابة ؛فذكر أنه كان يتواجد عدد كبير من أسر التجار الجرابة بمدينة الجزائر كان يمكن أن تصل بحسب إحصاءاته إلى قرابة ثلاثمئة عائلة بالإضافة لمن كان يرد منهم للمدينة بصفة مؤقتة للمتاجرة فيها ،و امتلك التجار الجرابة في مدينة الجزائر ستة ،أو ثمانية قوارب أوسفن كانوا يمارسون بواسطتها التجارة بين الموانئ وخاصة بين موانئ جربة ،والإسكندرية ،وتونس،وطرابلس الغرب، والجزائر[5].

ويشير دفتر التشريفات إلى هذه الجماعة عند الحديث عن الضريبة التي دفعها أمينها لخزينة الدولة سنة 1691م؛والتي قدرت بـ 500 صايمة [6]ونجد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية؛و هي عبارة

---

[1] فسواد التجار التونسيون القادمون إلى مدينة الجزائر كانوا من جزيرة جربة وإن نشاطهم التجاري المتميز الذي عرفوا به في مدينة الجزائر عرفوا به أيضا في أماكن أخري كعنابة التي شكلوا فيها أيضا جماعة على رأسها أمين ؛ وارتبط ذلك بدور جزيرة جربة في النشاط التجاري وعلى وجه الخصوص في مجال تصدير الزيت والشمع أنظر :عائشة غطاس الحرف ...،المرجع السابق ص.34 ،ونضيف إلى ما ذكر أن استقرار الجرابة بمدينة الجزائر يمكن إرجاعه أيضا لعلاقتهم المتميزة مع العثمانيين منذ أن اتخذ منها الإخوة عروج ،وخير الدين بربروس أول مركز لهما في المغرب الإسلامي للانطلاق في عملياتهم الجهادية ضد المسيحيين، ولاسيما الإسبان ؛وذلك في سنة 1504م؛ وللحرية المذهبية التي احترمها الحكام العثمانيون ؛فالجرابة كانوا أتباع للمذهب الإيباضي على غرار جماعة بني ميزاب ؛التي وفدت إلى مدينة الجزائر- كما سبق الذكر-،وللدور البارز للعثمانيين في تحرير الجزيرة بعد احتلالها من طرف الإسبان.

[2] وتعد الجماعة المغاربية الوحيدة التي خضعت لهذا التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي ؛حيث لم تخضع له بقية العناصر المغاربية كالفاسيين، والتيطوانين، والسلاويين ،والطربلسيين والتوانسة الذين تبث تواجدهم بمدينة الجزائر من خلال الوثائق الأرشيفية أنظر :المرجع نفسه ،ص.44

[3] عائشة غطاس، الوافدون "البرانية "...،ص.171 (في الهامش)

[4] عائشة غطاس الحرف والحرفيون...، ص.45

[5] The Present State,Op.cit.,p.90

[6] Albert Devoulx , tachrifate...,p. 45

عن عقد بيع دار ما يشير إلى وجود الجرابة ،واستقرارهم في مدينة الجزائر؛حيث جاء فيها:" *الحمد لله بعد ان ملك المعظم الأجل الزكي الأفضل الناسك الابر السيد الحاج عمر ابن المرحوم الحاج قاسم بن زكري الجربي المذكور هو مبتاعا في الرسوم الثلاثة المحوق {كذا} كل منها من رسوم القسمة التي يلصق بعضها ببعض ان شاء الله تعلى و اءاخرها {كذا} يلصق بأول هذا جميع الدار الكاينة بحومة جامع المرحوم خضر باشا .....*"[1].

ومن خلال ماسبق نلاحظ أن البائع في الوثيقة من الجرابة، وموضوع البيع الدار التي كان يملكها، ومن ثم فتملكه للدور دليل على تواجد هذا العنصر السكاني واستقراره بمدينة الجزائر.

وما يدعم ذلك أيضا وجود نهج في مدينة الجزائر عرف "بزنقة الجرابة" ،وهذا ما يطلعنا عليه أحد عقود التحبيس ؛الذي يشير إلى قيام السيد حسن وكيل الحرج بباب الجزيرة ابن السيد حسن بوقف وتحبيس بعض أملاكه على أوجاقه الذي قدره 138 بدار الإنكشارية بباب عزون المعروفة ببيت الدالي في الطبقة العليا ، وقد تبين لنا ذلك من خلال المعلومات الواردة في عقد التحبيس هذا عند تحديد مكان الدار التي كان لوكيل الحرج حصص فيها،والتي حبسها لصالح أوجاقه -كما سلف ذكره -:

" بعد أن استقرا على ملك المعظم المحترم السيد حسن تملك جميع نصف الثمن وجزء واحد من اثني عشر جزء الثمن من جميع الدار الكائنة بزنقة الجرابة المعروفة بدار يلداش الكبيرة..."[2]. كما ورد ذكر" زنقة الجرابة" في وثائق أخرى بعبارة "السكة المعروفة للجرابة"[3] .

و وجود زنقة الجرابة يمكن اعتباره كدليل على أهمية تواجدهم العددي في مدينة الجزائر في ظل

---

[1] الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن عقد بيع و تحبيس بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة10-1 تاريخها 1093هـ (1681م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر وقد ورد ذكر للجرابة، و زنقتهم في وثيقة أخري نستخلص منها أيضا بناء على الممتلكات المتنوعة؛ التي ورد ذكرها من دور ،وحوانيت مدى ثراء المدعو السيد الحاج عمر ابن المرحوم الحاج قاسم بن زكري الجربي أنظر: الوثيقة رقم20"رسم يتضمن عقد إثبات ملكية و تحبيس بإشراف القاضي بالجزائر " في العلبة10-2 تاريخها 1086 هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم 54"رسم تحبيس و وقف لصالح أوجاق 138 « من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني تاريخها أواخر حجة االحرم 1200 هـ / 1785 م ، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

[3] الوثيقة رقم37 في العلبة119- 120،مصدر سابق

ظل الحكم العثماني.

كما نسب إليهم سوق عرف بسوق الجرابة، و وجد فندق عرف أيضا بفندق الجرابة –و هذا ما يدل على أهمية تواجدهم العددي في مدينة الجزائر ،وكذا دورهم الفعال في الميدان الاقتصادي التجاري على وجه الخصوص– و من ثم مساهماتهم في الحياة الاجتماعية ،وهو الشيء الذي تؤكده مساهمتهم في تسيير، وإدارة المدينة؛ حيث كان مجلس المدينة يضم من بين أعضائه الحاج زكري–والد المذكور أنفا في عقد البيع– ،وكان من بين الذين شاركوا في تعيين أمين العساسين{الحراس} بالسوق الكبير 1057 هـ/1647 – 1648[1]. كما تولى بعضهم وظائف إدارية كوظيفة المزوار ؛فقد كان حمدان الجربي مزوار في فترة سابقة لعام 1793م[2].

2– المغربيون:

و يقصد بهم سكان المغرب الأقصى؛ حيث وجدت بمدينة الجزائر أيضا عناصر سكانية تعود أصولها إلى المغرب الأقصى ؛الذين حلوا بمدينة الجزائر لأسباب متنوعة منها الأسباب السياسية كلاجئين وطالبين للمساعدة كما هو حال الوطاسين ،والسعديين ومن بعدهم الدلائين[3]بعد انهزامهم أمام الحاكم العلوي الذي يعده المؤرخين المؤسس الحقيقي للأسرة العلوية بالمغرب الأقصى وهو مولاي الرشيد بن علي الشريف؛ فكانت هجرة العناصر المذكورة آنفا بمثابة هجرة قسرية[4].

---

[1] عائشة غطاس،" الوافدون البرانية..."،ص.171

[2] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر....،ص.45

[3] لاسيما بعد أن لجئ أبو حسون الوطاسي البادسي لطلب المساعدة من بايلرباي الجزائر صالح رايس ومن ثم من الدولة العثمانية لاستعادة عرشه من محمد الشيخ السعدي ولجوء الإخوة السعديين إلى الجزائر ،وهم عبد المالك وعبد المؤمن ،وأحمد الذي سيعرف بعد توليه عرش الدولة السعدية بأحمد المنصور الذهبي والذين فروا من بطش أخيهم عبد الله الغالب لمزيد من التوسع والمعلومات عن هذا الموضوع أنظر الدراسة المتخصصة الآتية: عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي،طبعة ثانية مزيدتو منقحة، دار الأمل ،الجزائر 2016 ، الجزء الأول ،صص177-186 وصص144- 145 وأنظر المصدرين الآتيين:

Les sources inédites de l'histoire..., Tome II, p.60

Les sources inédites de l'histoire du Maroc, publiées par Chantal de la Véronne, première série-Dynastie Sa'dinne, Archives et bibliothèques D'Espagne,Tome III 1560-21 aoÛt 1578, publications de section historique du Maroc, Paul Geuthner, Paris 1961 , pp.266-269

[4] عن الزاوية الدلائية في المغرب الأقصى، وعن هجرة شيخها " محمد الحاج الدلائي "إلى الجزائر وتحديدا إلى تلمسان بعد طرده من المغرب الأقصى على يد السلطان العلوى الرشيد بن علي الشريف الذي هزمه ،وخرب مقر زاويته ،وعن هجرة العديد من أقاربه و أتباعه معه إلى الجزائر أيضا أنظر الدراسة المتخصصة الأتية : محمد حجي ،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي سلسلة من تاريخ المغرب في القرن 17 م، طبعة ثانية موسعة ومنقحة،مطبعةالنجاح الجديدة ،الرباط ،1409 هـ/1988 م ،صص 248 -257

ومن سكان المغرب الأقصى من هاجر إلى الجزائر لأسباب علمية ودينية؛ حيث قصدها العلماءوطلبة العلم والحجاج المغربيون؛ أي بمثابة هجرة اختيارية أو إرادية، وهناك من قصدها أيضا إطار أداء مهام ديبلوماسية كسفراء ،ومبعوثين مثل أبو الحسن علي التمكْورتي الذي توقف في مدينة الجزائر لما كان في طريقه إلى اسطنبول سنة 998هـ/1589م مبعوثا من طرف السلطان السعدي أحمد المنصور إلى السلطان العثماني مراد الثالث وقد تحدث عن ذلك في رحلته المشهورة بالنفحة المسكية في السفارة التركية[1]. كما استقطبت مدينة الجزائر تجار المغرب الأقصى الذين قصدوها لأسباب اقتصادية في إطار المبادلات التجارية[2].

وما يدل على تواجد هذه العناصر واستقرارهم بالمدينة بعض الأسماء الواردة في الوثائق الأرشيفية التي تشي بانتمائها إلى إحدى المناطق المغرب الأقصى كالسلاوي مثلا نسبة إلى سلا، أو الفاسي نسبة إلى فاس ؛أو التيطواني نسبة لتيطوان [3]أسماء نجدها حتى في إطار النسيج العمراني لمدينة الجزائر مثلا "وخلف الهالك المذكور رحمه الله جميع دار سكناه الكاينة بحارة السلاوي داخل محروسة الجزاير"[4].

ولكن لاحظنا أنه وعلى خلاف جماعة الجرابة القادمين من تونس لا نجد إشارة في المصادر التي اطلعنا عليها إلى انتظام سكان المغرب الأقصى في إطار جماعة واحدة في مدينة الجزائر وقد يرجع سبب ذلك حسبما نظنه إلى أن عددهم لم يكن كبيرا ؛فضلا عن عدم تميزهم بانتمائهم

---

[1] أنظر في ذلك: التمكْورتي(علي بن محمد)،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي المطبعة الملكية الرباط 1423هـ -2002م

[2] و قد ورد في حكم من الأحكام إشارة إلى أمر السلطان العثماني إلى حاكم الجزائر بحسن معاملة التجار الوافدين من بلاد المغرب الأقصى:".....ومن ناحية أخرى يجب عدم السماح لأحد ما{كذا}بالحاق الضرر والخسارة بالتجار القادمين من ولايتي فاس ومراكش ....."أنظر: ومهمة دفتري 30 صحيفة 128 حكم 427،بتاريخ 985/3/5 هـ (1577م)

[3] ونجد في أحد عقود الوقف إشارة إلى استقرار هذه العناصر السكانية في مدينة الجزائر وتصاهرهم مع العائلات المحلية:"...أنها حبست على نفسها جميع الربع الواجد من الدار.....التي باقيها على ملك ابنتها أمنة وزوجها المعظم الحاج أحمد التطواني المنشأ والنجار الجزائري السكنى والدار ....."أنظر: الوثيقة 83 "رسم تحبيس ذري لامرأة بمدينة الجزائر مرجعه الحرمين الشريفين " في العلبة 119-120 تاريخها غرة شهر ربيع الأول 1101هـ (1690م)في سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] الوثيقة 3 ،رسم تقسيم تركة أمين الصبانين بمدينة الجزائر "، في العلبة 18-2 تاريخها أواسط شهر ربيع الأول 1101هـ (1690م)في سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائري

المذهبي على عكس ما كان عليه حال جماعة الجرابة ؛وقد يكون السبب أيضا أن معظم من كان يقصدها منهم كان لا يطيل البقاء فيها؛ أي أن هجرتهم إليها واستقرارهم بها كان أمرا مؤقتا ويبدو أنهم كانوا يفضلون الاستقرار بمدن ،ومناطق الغرب الجزائري وبخاصة مدينة تلمسان بحكم قربها من بلاد المغرب الأقصى.

وكانت إقامتهم بالجزائر ترتبط بالظروف السائدة[1] وكذا بطبيعة العلاقة بين البلدين؛ فمثلا خلال لجوء الأخوة السعديين عبد المالك ،وأحمد الذي سيعرف لاحقا بالمنصور الذهبي وعبد المؤمن أبناء محمد الشيخ السعدي إلى الجزائر في إطار خلافهم مع أخيهم عبد الله الغالب بن محمد الشيخ ثم مع خليفة هذا الأخير أي ابن أخيهم محمد المتوكل الملقب بالمسلوخ[2].

حيث اتبع حكام الجزائر العثمانيون سياسة تقوم على حسن معاملتهم والعمل على استمالتهم ومنحوهم أراضي وأملاك مما جعلهم يمكثون عدة سنين فيها ؛إذ عينوا عبد المؤمن

---

[1] فمثلا شهدت الجزائر توافد سكان المغرب الأقصى، وبخاصة فاس، ومكناس بعد أن تمكن محمد الشيخ السعدي من الدخول إلى فاس للمرة الثانية 1554 م بعد قتله لأبو حسون الوطاسي و تعسفه في استخدام سلطته على أهل فاس وخاصة العلماء منهم لأنهم ناصروا الوطاسيين عليه من ناحية، و من ناحية أخرى ليتخلص نهائيا من الجماعة المناصرة للوطاسيين الذين كانوا يميلون أيضا للتعامل مع أعدائه من الأتراك العثمانيين ولتصفى له الأجواء في فاس فلجئت فلول الأسرة الوطاسية إلى الجزائر، واستقر بهم المطاف بها كما لجئ إليها شيوخ فاس، ومكناس، وقادة الغرب في مملكة فاس حقنا لدمائهم ؛فكان تواجدهم إذا بالجزائر نتيجة هجرة قصرية فرضتها عليهم الظروف السياسية ؛التي كان يشهدها المغرب الأقصى حينها ومما يدل على استقرارهم بالجزائر أن المصادر الإسبانية أشارت إلى حملة محتملة على المغرب الأقصى عزم عليها البايلرباي صالح رايس ليضع على عرشه صهره ابن مولاي أحمد الوطاسي ؛أي أن صالح رايس زوج ابنته لأحد الأمراء الوطاسيين الذين لجؤا إلى الجزائر لمزيد من التوسع ،والمعلومات عن هذا الموضوع أنظر: محمد الصغير الإفراني،نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي ،الطبعة الأولى ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، المغرب الأقصى،1419هـ -1998 م صص.75 -77

وأنظر:مجهول،تاريخ الدولة السعديةالتدمكية،تقديم وتحقيق عبد الرحمن بنحادة ،،الطبعة الأولى، الناشر عيون لمقالات مطبعة تينمل نشر طباعة وتوزيع ،مراكش1994،صص.27-28 وأنظر أيضا:

-les sources inédites de l'histoire du Maroc …,Tome II, pp .202-203

و أنظر كذلك عمار بن خروف ،العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008، الجزء الثاني ؛ص.112

[2] لمزيد من التوسع والمعلومات عن هذا الموضوع أنظر:محمد الصغير الإفراني،المصدر السابق، صص.120 -146 وأنظر أيضا :عمار بن خروف ،المرجع السابق،الطبعة الاولى2006 ،الجزء الأول،صص141 -154وصص.193-207

واليا على تلمسان من قبلهم وقاموا بتزويج عبد المالك لإحدى نساء مدينة الجزائر التي أنجبت له ابنه إسماعيل مما أدى إلى استقرار عناصر مغربية مؤيدة للإخوة السعديين في الجزائر واستمرت هذه السياسة بعد تولى عبد المالك الحكم في المغرب الأقصى بعد مساعدة ودعم من الدولة العثمانية، وحكام الجزائر العثمانيين ،ونتبين هذه السياسة المنتهجة من طرف الدولة العثمانية اتجاه سكان المغرب الأقصى من خلال المراسلات التي كانت تجمع بين السلاطين العثمانيين وولاة الجزائر ،أو تلك التي كانت تجمعهم بحكام وسلاطين المغرب الأقصى[1].

و من علماء المغرب الأقصى الذين قصدوا الجزائر، و مدينة الجزائر تحديدا واستقروا بها نذكر:

1- **أبي عبد الله محمد السوسي الفاسي** الذي هاجر من فاس إلى الجزائر ونزل أول الأمر في قسنطينة على الأرجح في مطلع القرن 11 هـ(17م)حيث أن تاريخ مقدمه على وجه الدقة غير معلوم ثم انتقل إلى مدينة الجزائر ،وتولى التدريس بها وفيها توفي سنة 1023هـ/1612 م ؛حيث أنه هاجر للجزائر في أول الأمر تحدوه الرغبة في النهل من علم علمائها ثم رغب في تولى المناصب العلمية السامية، ومدح في سبيل ذلك الباشا ،ومن دونه من المسؤولين ؛ولكنه لم يحظى إلا بخطة التدريس[2].

2- علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي أو الفيلالي الجزائري حسب ما أطلق عليه المحبي في كتابه خلاصة الأثر ولد هذا الفقيه المالكي بتافيلات ونشأ بسجلماسة ثم رحل إلى فاس؛ حيث أخذ العلم عن خيرة العلماء كما زار مصر بعد رحلة الحج ،وأقام مدة فيها ينهل من علم علمائها قبل أن يستقر بفاس التي تولى التدريس فيها، وتخرج على يده الكثيرون وكانت وفاته سنة 1057 هـ/1647 م،كما نصب مفتيا للجبل الأخضر ،ومن مؤلفاته

---

[1] أنظر على سبيل المثال الأحكام الآتية: مهمة دفتري رقم 42 حكم 83 تاريخ989 هـ(1581م) ومهمة دفتري رقم 7 صحيفة 906 حكم رقم 2481 بتاريخ5/22 /976 هـ(1569 م)ومهمة دفتري رقم42 حكم 86 تاريخ989هـ (1581م) ومهمة دفتري رقم6 صحيفة451 حكم 972 تاريخ972/9/7 هـ(1565 م)ومهمة دفتري 30 صحيفة 128 حكم 427 ،المصدر السابق

[2] أنظر : عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية ... ،ص.161 وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، الجزء 1 صص.449-450 وكذا محمد المنوني،ملامح تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة ،في **مجلة مجمع اللغة العربية**،الجزء **4** ، المجلد51 ،دمشق 1976م،ص.874

"المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية "،و"أرجوزة اليواقيت الثمينة في العقائد والأشباه والنظائر في فقه عالم المدينة "، ومن العلوم التي كان يدرسها أصول الدين ،والمنطق والنحو ومصطلح الحديث ،والفقه، والسير، والتصوف وكان يدرس كل هذه العلوم لطلبته مستعينا بكتب متقدمة في المستوى وقد وصفه المحبي بكونه "آية باهرة في جميع العلوم وجميع أحواله كلها مرضية وله مؤلفات كثيرة ....."؛ وقد استوطن مدينة الجزائر خلال أربعينات القرن 11 هـ(17م)؛ حيث رحب به الباشا يوسف وقربه منه ،ولم يأتي هذا العالم المغربي لوحده بل جلب معه عائلته ،والدليل على ذلك أنه زوج احدى بناته لتلميذه عيسى الثعالبي[1].

3- عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد اللمطي الميموني المكناسي أبو المالك الذي هاجر من فاس إلى مدينة الجزائر واستقر بها إلى أن مات فيها سنة 988 هـ/1580 م وكان فقيها ونحويا ؛حيث قال عنه ابن القاضي في مؤلفه درة الحجال أنه:"كان يستظهر مختصر ابن الحاجب الفرعي وله معرفة بالنحو والفرائض وانتقل من فاس إلى الجزائر–جزائر مزغنة وتوفي هنالك سنة 988 هـ"[2]؛ ولكنه لم يبين دوافعه للهجرة ،ولا تاريخ هجرته للجزائر ولم يتحدث عن طبيعة نشاطه العلمي فيها.

3–جماعة الزنوج أو الوصفان:

في البداية نشير إلى أن مجموعة الزنوج يمكن إدراجها في إطار جماعة البرانية لأن أفرادها كانوا يجلبون من خارج مدينة الجزائر للعمل فيها في مختلف الأعمال، وقد كانت الوضعية الاجتماعية للمعتقين منهم شبيهة في كثير من الأحيان ببقية الجماعات؛ التي كانت مشكلة

[1] للتوسع أنظر :عبد الله بن محمد العياشي ،الرحلة العياشية 1661–1663 ،في مجلدين، حققها وقدم لها د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي ، الطبعة الأولى ،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي ،الإمارات المتحدة العربية 2006 ، المجلد الثاني ،ص.183 وأنظر: أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي ابراهيم الغول، تعريف الخلف برجال السلف القسم الثاني، طبع في مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر،1906،صص .69 –72 وأنظر أيضا: المحبي ،خلاصة الآثر في أعيان القرن الحادي عشر ، في 4 أجزاء، المطبعة الوهيبة ،مصر 1284 هـ، الجزء 3،صص.173 –174.....وأنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،الجزء الأول،صص.377–383 وأنظر : محمد المنوني،المرجع السابق،ص.861

[2] أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي ،درة الحجال في أسماء الرجال،في 3 مجلدات،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،الناشر دار التراث ،القاهرة والمكتبة العتيقة تونس ،1390هـ / 1970م،المجلد 3،ص.140 وأنظر عمار بن خروف مرجع سابق،الجزء 2 ،ص.160

للبرانية ،مع العلم أنهم من جانب آخر لا يندرجون ضمن العنصر المحلي مثل بقية الجماعات المشكلة لجماعة البرانية ،وأن ديانتهم لم تكن الإسلام بالأساس ؛فتصنيفهم هنا ضمن سكان مدينة الجزائر المسلمين من منطلق أن العديد منهم اعتنقوا الإسلام.

و كان يتم احضارهم بصفة عامة من الجنوب؛ فكانوا يجلبون من السودان الغربي عن طريق الواحات الصحراوية، والأغلبية كانوا قادمين من السينغال، و تافيلات ،أو من تومبوكتو و البعض الآخر كان يستقدم من طرف بني ميزاب ساكني الصحراء الكبرى[1].

وقد كان يتم خطف هؤلاء الزنوج أثناء قدومهم لبيع، أو مبادلة الملح الذي كان يجمع على شطوط بحيرات سوماتراك إفريقيا الداخلية، وكانوا يبيعونهم بعدها للقبائل البربرية الأكثر قربا من السواحل للتواتيين –سكان إقليم توات بالجنوب الجزائري –،أو غيرهم الذين كانوا يشترونهم بمتوسط قيمة حمولة من التمر على أربعة جمال، أي حوالي قنطار ؛ثم كان يتم بيعهم في الأسواق بأثمان مختلفة ولكن وحدهن النساء الشابات اللواتي كن يعرفن الخياطة، والقيام بالأعمال المنزلية كن يصلن إلى أسعار مرتفعة[2].

كما أن حملة البايلرباي صالح رايس(1552-1556م) إلى الجنوب قد ساهمت في تزويد مدينة الجزائر بالزنوج ؛إذ أنه بمقتضي اتفاق قديم مبرم بين صالح رايس و شيوخ ورقلة، وتوقرت سنة 1552 م كان هؤلاء يزودون مدينة الجزائر بثلاثين عبدا كل سنة؛ حيث كان يصلها من ورقلة 15 عبدا، ومن توقرت15 عبدا آخر وكان هذا بمثابة ضريبة سنوية[3].

و كان عددهم يزداد، وينخفض تبعا لحجم التجارة بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء وتحديدا بلاد السودان السودان الغربي[4]. وأغلبيتهم كانوا يخدمون في بيوت الأسر الميسورة في مدينة الجزائر بعد فترة من التدريب بورقلة ووادي ميزاب[5] ؛أي كانوا عبارة عن خدم، وعبيد يقومون بمختلف الأعمال المنزلية كالتنظيف و الغسيل[6].

---

[1] LEYNADIER & CLAUSEL , Histoire de l'Algérie française, précédée d'une introduction sur les dominations carthaginoise, romaine, arabe et turque suivie d'un Précis historique sur l'Empire du Maroc en 3 Tomes,illustrée par MM.T.Guérin, Ramus, H.Morel Editure ,Paris,1846,Tome1,p.155

[2] Ibid.,p.155

[3] Gramaye (J.B), Op.cit., p.120

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق الجزء1، ص.151

[5] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.100

[6] Gramaye (J.B), Op.cit., p. 120

ولم تكن تستطيع أي عائلة ميسورة، وغنية في مدينة الجزائر أن تدعي ذلك إلا إذا امتلكت عدد معين من الخدم الزنوج العبيد ، فالشابات اللواتي يتزوجن كن يحملن معهن إلى بيت الزوجية خادمة ،أو عدد من الخادمات الزنجيات واللواتي كن يبقين في خدمتهن هن، وأبناؤهن إذا ما تعلق الأمر بأزواج من الخدم الزنوج، وقد كانوا يعيشون مع تلك الأسر، ويشكلون جزءا منها فكن يرتبطن بعلاقة ود مع سيداتهن[1].

وأشارت بعض الدراسات إلى أنه لطالما تمت معاملة العبيد المستخدمين في خدمة البيوت في مدينة الجزائر بكثير من الود واللطف؛ فلعبودية في الجزائر لا تشبه في شيء العبودية في المستوطنات المسيحية ،فالعبد لدى المسلمين يعد عضوا من أعضاء العائلة ، و يندمج فيها في كثير من الأحيان بروابط الدم[2].

وكانت الخادمات الزنجيات من العبيد تشكلن في الكثير من الأحيان جزءا من الصداق الذي كان يطلب عند الاتفاق على مسألة الزواج، و كنموذج على ذلك ما جاء في أحد عقود الزواج بتاريخ1676 م حول ما يجب أن يتضمنه الصداق:".... وأمتان اثنتان من رقيق السودان وأربعة قناطير من الصوف....."[3] و ورد في عقد زواج آخر :" وامتان اثنتان من وسط الرقيق الصالح للخدمة ....."[4].

أما الأحرار[5] منهم الذين تم عتقهم [6]؛فقد كانوا ينتظمون في جماعة يرأسها أمين ،أو مقدم يعرف بقائد الوصفان الذي كان يشرف عليهم كما هو الشأن بالنسبة لكل الجماعات

---

[1] Mouloud Gaid, Op.cit.,p.201

[2] Rozet et Carette, Algérie,par MM. Les capitaines du génie Rozet et Carette. États tripolitains par M. le Dr Ferd.Hoefer Tunis par le Dr Louis Frank,Firmin Didot frères , revu et accompagnée D'un précis historique par M.J.Marcel,éditeurs,Paris,1850, p.108

[3] عبد الرزاق ابن حمدوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتورأبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1983، ص.339

[4] الوثيقة رقم 23، عقد زواج وإيفاء زوج بدينه لزوجته " في العلبة74-75 تاريخها غرة جمادى 1010 هـ(1661 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] وقد كانت تمنح لهم حريتهم بسهولة عندما كانوا يريدون اعتناق الإسلام، وهو ما كانوا يقومون به بالفعل أنظر:
William Shaler ,Op.cit.,p.91

[6] وقد حظيت هذه الفئة بدراسات تاريخية ليس خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة؛ ولكن في المرحلة اللاحقة خلال القرنين12هـ(18م)-13هـ(19م) أنظر :فتيحة لواليش،فئة المعتقين بمدينة الجزائر نهاية القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر من خلال وثائق المحاكم الشرعية ، في **المجلة التاريخية العربية**، العدد الخامس والعشرين، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان أوت /أب 2002

التي كانت مشكلة لمجموعة البرانية، و التي كان يوجد على رأسها أمين[1]، وكان في استطاعة قائد الوصفان أن يدافع عن مصالح الزنوج العبيد أيضا ،و لقد قدر عدد الزنوج خلال القرن11 هـ(17م)بحوالي 3000 زنجيا[2].

و قام الزنوج المعتقين بأداء عدة أعمال في مدينة الجزائر إذ منهم من عمل في أشغال البناء، ومنهم من عمل كحمالين؛ حيث كانوا يحملون على ظهور الحمير البضائع، ومواد البناء كالرمال، و الحجر ،و الجير، و الخشب[3].

كما احتكروا مهنة تلبيس الجدران، وأسطح الدور بالجير، وكذا قبب المساجد وكل المرافق العمرانية في مدينة الجزائر[4] ،ومنهم من كان يحترف صنع الحصائر ،والسلال من القصب والحلفاء ليعيشوا من بيعها، كما عمل بعضهم في المخابز "الكوشات "وفي بيع الخبز[5].

وهذا ما يوضحه لنا الاتفاق الذي وقع سنة 1111 هـ(1699م) وجاء فيه ما نصه:

" الحمد لله وقعت الموافقة مع ..... على الخبز يكون ثلاثة عشر أوقية بموافقة امين{كذا} الجيجلية وقايد الوصفان والمحتسب سليمان وعبد الله محمد الشويهد بامر{كذا} سيدنا الدولاتلى باب{كذا} حسن اصلح الله حاله والكعكة بخمسة اواق سوم{كذا}الزرع بزياني بتاريخ صفر سنة الف ومائة واحد عشر[6]."

وكان من الزنجيات من كن تبعن الخبز في الشوارع ؛فكن يأتين إلى سوق كان يعقد كل صباح في ممر يعرف بممر جيني ؛حيث كن يجلبن أرغفة خبز صغيرة من طحين القمح أو الذرة في سلال من الحلفاء ،وكن يحضرن أيضا حلويات لبيعها هناك [7].

---

[1] Gramaye (J.B), Op.cit., p.120

[2] Jean Monlaü, Op.cit., p.109

[3] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.138

[4] Rozet et Carette , Op.cit.,p.110

[5] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.101 أنظر أيضا:

BOYER (Pierre) ,la vie quotidienne ... ,p.24

[6] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ،ورقة 31 من النسخة الثانية

[7] LESSORE (E), WYLD (W) : Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger, 1833, Deuxièmes éditions ,Imprimé et Publié par Charles Motte Lithographe du Roi, Paris, 1835 ,Traduites par Dar El Oumma, Alger, 2002.planche XXVI

وقد ورد في قانون على مدينة الجزائر إشارة لبائعات الخبز في الشوارع عند تحديد سعر الخبز:".....و الخبازات امتع {كذا} الشوارع يتهاود{كذا} في الجملا{كذا} و يترضوا{كذا} في نصف عشورا ...."[1].

ومنهم من عمل كطابخين، وامتهن البعض الآخر بعض الفنون كالرقص ،والغناء والموسيقى ويندرج هذا النشاط ضمن أبرز الأنشطة التي تميزوا بها ؛حيث كانوا يعزفون موسيقاهم في مختلف المناسبات ،والاحتفالات التي كانت تقام في مدينة الجزائر ،حيث جلبوا معهم آلاتهم الموسيقية من دواخل إفريقيا وهي عبارة عن آلة إيقاعية مصنوعة من الحديد مشكلة من قطعتين يبلغ طولهما قدم وتزنان رطلين وتسمى هذه الآلة بآلة القرقابو نسبة للصوت الذي تحدثه ،بالإضافة إلى طبول مصنوعة من جلود خراف مدبوغة يتم إلصاقها على أسطوانة مصنوعة من الطين "الفخار"، أو من الخشب والتي كانوا يعزفون عليها باستعمال قطعتين من الخشب ،أو العصي نهايتهما مستديرة.[2]كما وجد قلة منهم ممن كانوا يتعاطون التجارة[3].

و قد وجدت العديد من الأسر من الزنوج الذين كانوا من قبل عبيد تم عتقهم من طرف أسيادهم وعاش أفراد هذه الأسر وسط بقية السكان، وتمتعوا بنفس حقوقهم لأنهم اعتنقوا الإسلام[4]،وهذا ما جعلهم يندمجون في مجتمع مدينة الجزائر المسلم ويساهمون فيه ببعض العادات والتقاليد التي نقلوها معهم من مواطنهم الأصلية [5]ولاسيما في الميدان الفني الموسيقي .

---

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 24 و 25 من النسخة الثانية

[2] Rozet(M),Op.cit., Tome 2,p.144

[3] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durend… , p. 209

[4] Rozet et Carette , Op.cit.,p.112

[5]والى جانب تأثيرهم الإيجابي في إثراء التراث الفني الموسيقي لمدينة الجزائر لابد أن نذكر أنه كان لهم نوع من التأثير السلبي من حيث نقلهم لبعض المعتقدات، والممارسات المرتبطة بأعمال السحر ،والشعوذة وعوالم الجن والتي ناشروها في أوساط مجتمع مدينة الجزائر المسلم ،فمثلا كانت النساء الزنجيات يقدمن كل يوم أربعاء أضحية تتمثل في عدد من الدجاج كانت تذبح وتقدم دمائها قربانا لما أسموه بجن المياه العذبة ،وهو الجن الكبير المعروف لديهم ببابا موسى والملقب بالبحري والذي قدم من بلاد السودان الغربي ؛و استقر بحسب زعمهم في احدى عيون فحص مدينة الجزائر التي عرفت باسم عين "سبعة عيون " للتوسع والتعرف أكثر على هذه الممارسات ومدى تأثر سكان مدينة الجزائر بها وخاصة النساء منهم أنظر:

Klein (H),feuillets d'el-djazair,L.CHAIX editeur Alger,1937, p.187-188 voir aussi Rozet(M),Op.Cit.,Tome 2 ,p.145

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أن مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني لم تصبح محطة استقطاب لسكان المناطق الريفية، والداخلية من البلاد؛ أي قبلة للهجرة الداخلية فحسب ولكنها وللازدهار الاقتصادي، والعمراني الذي شهدته، ونظرا للمكانة السياسية ،والعسكرية التي أصبحت تحتلها كإحدى أهم قواعد الدولة العثمانية في بلاد المغرب الإسلامي، والحوض الغربي للمتوسط، وكجزء هام في استراتيجيتها التي كانت تستهدف وضح حد للمد المسيحي الأوروبي، وحماية أراضي، وبلاد المسلمين أضحت تجذب هجرة خارجية إقليمية متمثلة في المقام الأول بهجرة سكان بلاد المغرب الأدنى "تونس، وطرابلس"المغرب الأقصى ،وبلاد الأندلس إليها بحكم الجوار ،والعلاقات السياسية، والديبلوماسية ،و التجارية ،والعلمية ،ونصرة الدين الإسلامي.

وبدرجة ثانية هجرة مصدرها بلاد السودان الغربي بحكم المبادلات التجارية أساسا ؛مما كان له انعكاس على التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر وإن تباين تأثير هذه العناصر السكانية وأثرها بحسب أهميتها العددية، وظروف هجرتها ،وطبيعة تواجدها في مدينة الجزائر أي استقرارها بصورة دائمة ، أو بصورة مؤقتة ،و مدى مساهمتها في مختلف فعاليات الحياة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر؛ حيث نسجل مثلا الأثر القوي للهجرة الأندلسية إلى مدينة الجزائر بالمقارنة مثلا مع تأثير هجرة سكان المغرب الأقصى كما سبق توضيحه.

الفصل الرابع: السكان المسلمون الوافدون -من آسيا الصغرى و المشرق وأوروبا- والمولدون

1-الأتراك العثمـانيون:

أ-الأتراك العثمانيون بالمولد

ب- الأعلاج

2 -الكراغلة

الفصل الرابع:السكان المسلمون الوافدون من آسيا الصغرى والمشرق وأوروبا والمولدون

شهدت مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني خلال القرنين 10هـ (16م)-11هـ(17م)توافد أعداد من المهاجرين إليها من آسيا الصغرى وعلى وجه الخصوص من إقليم الأناضول و من شرق أوروبا و بخاصة ماعرف بإقليم الروميلي؛ الذي يمثل الامتداد الجغرافي والسياسي للدولة العثمانية في القارة الأوروبية ومن المشرق الإسلامي ومن أوروبا الغربية وعرف هؤولاء الوافدين من هذه المناطق بالأتراك العثمانيين ،وقد نتج عن زواجهم ،وتصاهرهم مع النساء الأهليات عنصر من المولدين عرف بالكراغلة، وكلهم كانوا على الدين الإسلامي .

ولقد صنف الأتراك العثمانيون إلى صنفين بالنظر إلى أصولهم الأولى بحسب مصادر القرنين 10 (16م)،و11 هـ(17 م) وهما : الأتراك العثمانيين بالمولد ،و الأتراك العثمانيين بالدين والولاء، أو الأعلاج و كانوا يعتبرون في مجملهم عثمانيين؛ فما هو وجه الاختلاف بين هذين الصنفين ؟وما هو وجه التشابه بينهما وفيما تكمن فاعلياتهما؟ وما طبيعة علاقتهم مع أبناءهم الكراغلة ؟ وفي هذا الفصل سنفصل في ذلك من خلال مبحثين يشمل المبحث الأول الحديث عن الأتراك العثمانيين بفرعيهما : أ-الأتراك العثمانيون بالمولد ب- الأعلاج في حين خصص المبحث الثاني للمولدين الكراغلة.

1-الأتراك بالمولد :

وهم الذين كانوا من أصول تركية قحة، و كان الكثير منهم يأتون إلى مدينة الجزائر فوق غيلوطات، أو سفن أخرى تجذبهم إليها شهرتها وصيتها الذائع، والثروات، والغنائم الكثيرة التي كانت توفرها عمليات الجهاد البحري. علما أن البعض من هؤلاء كانوا يأتون من أناضوليا أي أسيا الصغرى، في حين أن البعض الآخر كانوا يأتون من الروميلي؛أي الشق الأوروبي من الدولة العثمانية، و نتج عن ذلك اختلافهم الجسماني، والروحي و العقلي ؛فأتراك الروميلي كانوا أنشط من غيرهم أما أتراك الأناضول، فكانوا أكثر خشونة ،و ذوي بشرة سمراء على عكس أتراك الروميلي ذوي البشرة البيضاء[1].

وهذا ما يذهب إليه غرماي في القرن 11هـ(17م)؛حيث يميز بين نوعين من الأتراك العثمانيين، ويضيف بأن أتراك المولد المسمين بالأتراك الأصليين، كانوا يعرفون أيضا بالحنفيين

[1] « Topographie…… », In:**R.A.**, T.14, 1870,p.496

نسبة للمذهب الحنفي الذي كانوا من أتباعه مؤكدا بدوره على أصولهم التي كانت تعود إلى أناضوليا،و روميليا، و وصفهم بالأقوياء،و ذوي القامة الطويلة ،والأصحاء الأبدان[1].

وكانت أغلبية هذه الجماعة مشكلة للإنكشارية ؛أي قوات الأوجاق الجيش البري النظامي[2] الذين كانوا يستقرون، و يقيمون في ثكنات بالمدينة، و أول دفعة منهم وصلت إلى مدينة الجزائر ترافقت مع فرمان السلطان العثماني سليم الأول إلى أهالى الجزائر القاضي بتعيين خيرالدين بيلربايا على البلاد –وهذا بعد أن تلقى السلطان مبايعة سكان الجزائر وفي مقدمتهم سكان مدينة الجزائر كما سبق توضيحه– وتشكلت هذه الدفعة الأولى من جيش قوامه 2000 جندي من الإنكشارية ؛أي ياني شيري بالتركية بمعنى الجيش الجديد و 4000 متطوع تركي جاؤوا سندا لتلك القوات العسكرية[3].

و قد بلغ عددهم في أواخر القرن 16م (10هـ) حوالي 10.000 مجندا، و كان من بين هؤلاء الإنكشارية من تزوج بنساء من أهل المدينة[4]؛فنتج عن ذلك ميلاد أطفال عرفوا بالكراغلة ومن أمثلة ذلك عقد تحبيس في سجل بيان كراء الأملاك الموقوفة على فقراء الحرمين الشريفين جاء فيه:

"حبست الولية عايشة{كذا}بنت مصطفي الأندلسي.....وأشهدت على نفسها أنها حبست وأوقفت لله تعالى جميع دارين وما استخرج منهما، على بنتها نفوسة{كذا} بنت المرحوم السيد عبد الباقي خوجة ثم على ذريتها فان{كذا} انقرضوا رجع الحبس

---

[1] Gramaye ,Op.cit., p.202

[2] وهذا ما نستخلصه من الفرمان الذي وجهه السلطان العثماني محمد الرابع عام1091هـ/1680 م إلى سلطات الأناضول والأمراء والقضاة ونوابهم ولحكام ومسؤولي بيت المال ورؤساء الانكشارية ومما ورد فيه :"إن سكان دار الجهاد الجزائر كانوا في الأصل عربا{كذا} أما حاليا فإن جزءا كبيرا منهم من الأناضول و الروميلي الذين فضلوا الاستقرار بالجزائر ولازالوا يعتبرون أنفسهم رعايا الباب العالي وهم يواصلون الحرب المقدسة ضد الكفار ،وقد توجهت سفنهم إلينا في عدة مناسبات لتجنيد الأجناد وللمشاركة في معركنا فإنهم يستحقون كل عطفنا وفتح أبوابنا لهم للأبد....." أنظر :الوثيقة رقم18 "فرمان السلطان محمد الرابع إلى سلطات الأناضول ،تاريخها 1091 هـ/1680 م في المجموعة 3207 نقلا عن: أرزقي شويتام المجتمع الجزائري ...،ص.86

[3] Corinne Chevallier, Op.cit., p.62

[4] علما أن القانون الأساسي للإنكشارية عند تأسيسها كان يمنع الإنكشاري من الزواج ويلزمه بعدم الإقدام عليه وفقا للمادة 11 من هذا القانون المشكل من 14 بندا أنظر :سونيا محمد سعيد البنا ،فرقة الإنكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ،إيتراك للطباعة والنشر ،والتوزيع ،القاهرة ،مصر ،2006 ،ص.39

لاوليد{كذا} شقيقتها خديجة السيد مصطفي وعبد الرحمن وفاطمة وقامير{كذا}سنة 1093 هـ[1]" ؛فالابنة نفوسة كما يبدو كرغلية لأن والدتها أندلسية ووالدها عثماني حسب ما نستشعره من اسمه .

كما نستدل من أحد عقود تقسيم التركات على وجود أسر كان العديد من أفرادها ينتسبون إلى الجيش الإنكشاري؛ حيث ورد فيه ما يلي : "وتوفي الحاج محمد بلكباشي عن زوجه الحرة اير التركية بنت صفر وعصبه حينذاك أولاد أخته وهما عمار يولداش الاصبايحي هو الآن وشقيقه الشاب مصطفى يولداش ابني محمد التركي....."[2].

وكان بإمكانهم بعد مرور بعض الوقت أن يتخذوا متاجرا في المدينة، أو إقامة ورشات لممارسة حرف يدوية دون أن يفقدوا امتيازات الإنكشارية، وهذا ما أشار إليه هايدو في القرن 10هـ(16م) عند حديثه عن حرفي مدينة الجزائر حين قال أن الإنكشارية كانوا يندرجون ضمن جماعة الحرفين من الأهالي مبينا أن هؤلاء الرجال الذين كانوا تارة جنودا يبقون لحراسة المدينة أو يساهمون في السباق البحري على الغيلوطات، وتارة أخري حرفين، وعمالا لم يكونوا يتقاسمون أفكار المسيحيين فيما يتعلق بالكرامة ،والشرف المتصلين بالخدمة العسكرية فالمسيحيون كانوا يعتبرون الخدمة العسكرية لأسباب وجيهة كعمل نبيل، وشريف وكانوا ليحسوا بالخجل، والعار لكونهم جنودا، وحرفين في نفس الوقت[3].

وهذا إن دل على اختلاف وجهات النظر ما بين الأوروبيين المسيحيين، والعثمانيين المسلمين كما هو واضح فيما يتعلق بمفهوم الجندية[4]، وما تتطلبه ؛فإنه يمدنا بمعلومة هامة وهي

---

[1] السجل رقم 218 "سجل يتضمن بيان كراء الأملاك الموقوفة على فقراء الحرمين الشريفين في مدينة الجزائر المدن الأخرى على يد الأمناء محمد آغا ومصطفي آغا..."، من سلسلة بسجلات البايلك ،علبة 29-ب ،الرقم القديم 313 ،الورقة 18 الجهة اليسري الرقم 30 في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم 3،" عقد تقسيم تركة أحد البلكباشية بمدينة الجزائر في العلبة 27 -2، في سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] « Topgraphie….. »,In:**R.A.,** T.15, 1871, p.56

[4] علما أنه في البداية منع الجنود الإنكشارية من ممارسة أي عمل آخر من غير عملهم كجنود وفق ما جاء في القانون الأساسي للإنكشارية؛حيث جاءت المادة 13 منه كالآتي:"على الإنكشاري أن لا يعمل في أي مهنة أخري"أنظر:سونيا محمد سعيد البنا،مرجع سابق،ص.39، ويبدوأن الهدف من وراء هذه المادة ضمان تفرغهم التام للعمل العسكري وعدم انشغالهم=

أن الإنكشارية كانوا يحتكون بسكان مدينة الجزائر من خلال ممارستهم للأنشطة الحرفية المتنوعة احتكاكا مباشرا، وهذا ما يجعلنا ندقق النظر أكثر عن ما قيل في المصادر المختلفة عن تكبر وتعالى جند الإنكشارية، وسوء معاملتهم للسكان، و يمكن أن نستشف مما سبق أيضا مساهمتهم، ومشاركتهم في الحياة الاقتصادية، ،والاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر.

و ما يدعم ذلك أن العديد منهم كانوا يمارسون التجارة، و يمتلكون متاجرا؛ حيث كانوا يبيعون الأقمشة و المجوهرات، و كماليات أخرى، ومنهم من كان يحترف أنشطة حرفية مثل صناعة الأزرار، والشرائط ،أو الأشرطة(passementerie)و الخياطون ،وصانعوا الأواني الفخارية ،وغيرها من الأدوات الفخارية، و الإسكافيين ومهن أخري من نفس النوع [1] ،وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن الكثير من التجار في مدينة الجزائر كانوا في أول الأمر إنكشارية ، أو بحارة ورياس بحر ،ولكنهم فضلوا أن يمارسوا التجارة لأن نمط المعيشة هذا بدا لهم أكثر هدوء ،وغير محفوف بالمخاطر[2]. أي نستخلص مما سبق أنه إلى جانب الجنود الذين كانوا يزاوجون بين عملهم العسكري، وعملهم كحرفيين ،وتجار وجد وجنود أخرون فضلوا في الأخير التخلي عن الحياة العسكرية للاندماج في الحياة المدنية .

و في عقود التحبيس نجد أمثلة عن هؤلاء العسكريين الذين اندمجوا في مجتمع مدينة الجزائر من خلال مزاولة الأنشطة الحرفية ،والتجارية ؛فمثلا نجد:

"تحبيس محمود خياط بلكباشي ابن حسين المذكور جميع المخزن المذكور مدة حياته ثم بعد وفاته ينتقل لاوليده{كذا} الموجدين وهم محمد وعمر و باكير{كذا} وحسن و ما يتزايد له بقيت عمره من ذكور واناث ثم على اوليدهم الموجدين دون الاناث وذرية ذريتهم فان{كذا} انقرضوا اوليد{كذا} الذكور رجع الى اوليد{كذا} الاناث فان{كذا} انقرضوا عن اخرهم {كذا} ولم يبق من ذريته احد{كذا} رجع إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة"[3].

= بأمور أخرى قد تشغلهم عن هذه المهام ،وليس من منطلق تقاسمهم لوجهة النظر الأوروبية تجاه الخدمة العسكرية ونظام الجندية.

[1]"Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p.515

[2] Ibid, T.15, 1871, p53

[3] السجل رقم 218 " مصدر سابق"، الورقة 30 الجهة اليسرى الرقم 46 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

و كذلك نجد تحبيس :

"*احمد يولداش الفزاز* ابن محمد المذكور أنه حبس جميع الدار مدة حياته وبعد وفاته ترجع على بناته الموجودات وهن فطيطمة*{كذا}* ونفسة*{كذا}* ورقية وقامير*{كذا}* وعزيزة وام {كذا}الحسن وما يتزايد له ثم على أعقابهم ثم للحرمين[1].

كما أن البعض منهم كانوا يمتلكون حدائق في الفحوص، ويستخدمون للعناية بها و رعايتها عددا من الأسرى العبيد، أومن البرانية لاسيما من الزواوة مقابل مبلغ من المال[2].

و هذا ما نستخلصه من عقد بيع بستان ببيرطريلية ؛ حيث جاء فيه :"بعد أن تقرر الاشتراك*{كذا}* السواي{كذا} بين المكرمين عثمان أوذباشي ابن عبد الله وبين المعلم الحوكي المذكورين في الرسم المخيط آخر رقه بأول هذا ان*{كذا}* في جميع الجنة الكائنة بفحص بيرطريلية المذكورة في المشار إليه حضر الان{ كذا}بمحضر شهيديه الشريكان المذكوران وبصفقة واحدة وعقد واحد.....»[3].

وتسمية بيرطريلية توحي بأن العثمانيين الذين سكنوا هذه المنطقة أطلقوا عليها هذه التسمية إحياء لذكري موطنهم الأصلي؛ حيث أعطوا لهذا المكان اسم القرية الصغيرة **طريلية** الواقعة على بعد بعض الكيلومترات إلى غرب مودنية على ساحل بحر مرمرة، أما بئر فنسبة لبئر كانت موجودة هناك، ومن ثم فإن هذا المكان قد سكن من دون شك من طرف قدماء الجنود العثمانيين المنتمين لحامية حصن الإمبراطور المجاور؛ فاسم أحد ملاك الجنان موضوع صفقة البيع والشراء هو عثمان أوذاباشي بن عبد الله _ أي أنه كان قائدا، أو ضابطا لاحدى الفرق المقيمة في الأوضة ،أو الغرفة في الثكنة- و ربما تبني مهنة أبيه الذي يبدو من خلال تسميته أنه كان علجا إنكشاريا، والذي استقر عندما أحيل على التقاعد وسط المتقاعدين ببيرطريلية ؛فتملك هذا البستان الذي ورثه عنه ابنه ؛حيث جاء في هذه الوثيقة أن العقد الحالي كان مسبوقا بعقد ملكية أكثر قدما ،ومما جاء فيه أيضا أن الملكية تؤول إلى البائعين عن طريق الوراثة ،وأنه ملك للأتراك[4].- أي ملكية مشاعة -

[1] المصدرنفسه، الورقة 22 الجهة اليسرى الرقم 26

[2] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant ...,p.206

[3] Saadeddin Bencheneb, " Acte de vent...",p.288

[4] Ibid.,pp.287 -288

فعقود البيع والشراء، والوقف، والتحبيس ،وتقسيم التركات توضح لنا تملك العثمانيين للدور والمتاجر؛ أي ممارستهم للأنشطة التجارية، والحرفية في مدينة الجزائر كما تشير أيضا إلى مسألة هامة و هي تكوينهم لأسر في أوساط مجتمع مدينة الجزائر، و من تم نستخلص اندماجهم فيه من خلال المساهمة في الممارسات، والمعاملات التي كان يهتم بها بقية السكان في حياتهم اليومية؛ فهم كانوا جزأ لا يتجزأ منه ، ومن بين هذه الوثائق على سبيل المثال لا الحصر نجد أحد سجلات بيان كراء الأملاك الموقوفة على فقراء الحرمين الشريفين في سلسلة بيت البايلك؛ الذي وردت فيه إشارة إلى:"تحبيس مصطفي الإنكشاري ابن محمد.....جميع ثلاثة ارباع من الدار والحانوتان المستخرجين منها ابتداء على نفسه وبعد وفاته على اوليده{كذا} محمد واحمد واعمر وامينة وخديجة.....ثم على وليدهم{كذا} المذكورين ما تناسلو وامتدت فروعهم فان {كذا} انقرض الجميع رجع للحرمين"[1].

ودائما في نفس السجل ورد: " تحبيس حمود الانجشاري ابن الحاج علي المذكور على بناته عزيزة وفاطمة وامنة{كذا} وعايشة{كذا} وما يتزايد له.....ثم على وليد{كذا} المذكورين وعلى اعقابهم{كذا} فان انقرض الجميع رجع إلى الحرمين الشريفين "[2].ونجد أيضا تحت عنوان تحبيس النساء " تحبيس الولية فاطمة بنت محمد.... ثم بعد وفاتها ترجع الدويرة لزوجها محمد أوذ باشي ابن مصطفي التركي....."[3] ونسجل أيضا إشارة أخري في عقد تحبيس جاء فيه: «حبست لله تعالى الولية عايشة بنت محمد اغا بن مراد التركي....ثم بعد وفاتها ترجع الدويرة على اختها{كذا} للاب{كذا} خديجة بنت محمد بن مراد وعلى الولد محمد بن محمد بن علي انصافا{كذا} بينهما سوية سنة 1092هـ"[4].

---

[1] السجل رقم 218 مصدر سابق، الورقة 23 الجهة اليسرى الرقم 15 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] المصدر نفسه، الورقة 23 الجهة اليسرى الرقم 21من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] المصدر نفسه « تحت عنوان تحبيس النساء « مصدر سابق، الورقة 18 الجهة اليسرى الرقم 31 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] المصدر نفسه،"تحت عنوان تحبيس النساء"، الورقة 18 الجهة اليمنى الرقم 28 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

وكذلك نجد:" تحبيس الزوجين وهما حسن يلداش ابن علي وزوجته خديجة رحمونة بنت عبد الله المذكورة حبسا جميعا نصف دار الكاينة{كذا} بحارت{كذا} السلاوي على نفسهما{كذا} ثم بعد وفاتهما على ابنتهما عزيزة وما يتزايد لهما ان{كذا} قدر الله بذلك رجع لاعقابهما فان {كذا} انقرضوا.."[1].

كما نسجل أيضا تحبيس كبار الموظفين ،وأصحاب الرتب العسكرية في الدولة مثل: " الحاج مصطفي بلكباشي ابن محمد إذ أنه حبس جميع ما في ملكه من الدار القريبة من كوشة بن ساكوا {كذا} وحضه اربعة اتساع على نفسه مدة حياته وبعد وفاته على زوجه الولية عويشة {كذا}..... وعلى ابنتيه {كذا} منها وهي خديجة للزوج {كذا}المذكور في عامة الحبس الثمن وللبنت المذكورة سبعة اثمان{كذا} الباقين وما يتزايد له في بقيت عمره ثم على اعقابهم{كذا} واعقاب{كذا} اعقابهم فان {كذا} انقرضوا رجع الى{كذا}الحرمين الشريفين مكة والمدينة" [2].

و نلاحظ أيضا في هذا السياق إشارة أخرى إلى ذلك:"تحبيس الحاج ابراهيم{كذا} ءاغا {كذا} ابن محمد اءغا {كذا}.....وسبعة أثمان التسع وثلاثة اخماس{كذا} ثمن التسع من جميع الدار قرب سيد المرياشي {كذا} ابتداء على نفسه مدة حياته وبعده على اوليده{كذا} واوليد{كذا} اوليده{كذا} فان {كذا} انقرضوا عن ءاخرهم {كذا}فيرجع الى{كذا} شقيقته شريكته الحرة فاطمة وبعد وافاتها{كذا} يرجع على اوليدها{كذا} الموجودين وهم السيد علي بن ناجي.....وزهرة بنت يوسف دون اوليدهم {كذا} وبعد انقراظ {كذا} الجميع يكون للحرمين الشريفين"[3].

كما يطلعنا أحد عقود الشراء من سلسلة المحاكم الشرعية على ابتياع "المعظم المرعى حسن بلك باشي بن خضر التركي لدار كاينة*{كذا}* بحومة القادوس" وتظهر لنا الوثيقة أيضا أنه لم يتع ذلك لنفسه، ولكن لربيبه ابن زوجته المدعو"حمودة بن الحاج حموده"؛و الذي كما يبدو

[1] المصدر نفسه ،الورقة 22 الرقم 25 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] المصدر نفسه الورقة 17 الجهة اليسرى الرقم 20

[3] المصدر نفسه الورقة 17 الجهة اليسرى الرقم 13

أوكله للقيام بهذه المهمة[1].

في حين تطلعنا وثيقة أخري على شراء أحد العثمانيين لدار؛ كالآتي:

".....اشتري الان{كذا} على بركة الله تعلى {كذا} وحسن عونه المعظم الرضي الزكي{كذا} المرتضي الناسك الابر{كذا} أبو عبد الله السيد الحاج محمد خوجة{كذا} ابن مصطفي التركي من السيد عمر المذكور جميع الدار المذكورة باصطبلها{كذا} المستخرج منها بمالها من الحدود والحقوق و الحرم و المنافع الداخلة فيها والخارجة منها....."[2].

كما تشير نفس الوثيقة إلى تحبيسه الدار المبتاعة ؛ حيث جعلها حبسا، ووقفا ذريا [3]؛إذ جاء فيها عن ذلك مانصه:" .....بعد ان{كذا} ملك المعظم المفخم المرعى {كذا} المحترم الناسك البر السالك الاضفي{كذا} أبو عبد الله السيد الحاج محمد خوجة{كذا} ابن مصطفي التركي المذكور هو مشتري في الرسم الملحق هذا به جميع الدار الكاينة{كذا} حومة جامع خيضر باشا باصطبلها{كذا}المستخرج منها المذكور ذلك معه حيث اشير{كذا} بمضمن ماسطر {كذا} الملك التام رام السيد الحاج محمد المذكور عقد الحبس في جميع الدار واصطبلها{كذا} المذكورين مبدا {كذا} في ذلك على نفسه وبعده على ما يتزايد له من الاولاد {كذا} بقية عمره.....ان{كذا} شاء الله تعلى وان يكون المرجع فيما ذكر بعد انقراض نسله وعقبه لفقراء مكة والمدينة....."[4].

ومن الإنكشارية الذين اندمجوا في أوساط مجتمع مدينة الجزائر كما تم الاستدلال عليه على ضوء الأمثلة التي وردت آنفا، والمستمدة من الوثائق الأرشيفية من تولى الوظائف الإدارية في الدولة،و المناصب العليا في السلطة ،و خضعوا لنظام عسكري دقيق مضبوط يعتمد على الأقدمية كأساس للترقية في الرتب العسكرية، و نفس الأمر فيما يتعلق بالراتب الذي كان يتقاضاه

[1] الوثيقة رقم31 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 6-1 تاريخها 1043 (1634م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم9، في العلبة10-1، المصدر السابق

[3] حول مفهوم الوقف الذري أنظر الفصل الخامس من الباب الثالث من هذا العمل

[4] الوثيقة رقم9 في العلبة 10-1، المصدر السابق على حاشية الوثيقة الجهة اليمنى

أعضاء الإنكشارية[1]–و قد كان المنخرط فيها يرتقي من رتبة جندي بسيط يولداش{وتعني رفيق الطريق}، إلى أن يصل في نهاية المطاف إلى رتبة أغا، التي تمثل أعلى رتبة في السلم العسكري للإنكشارية و بعدها كان يحال على التقاعد، و قد كان للإنكشارية جهاز يشرف عليهم متمثلا [2] في الديوان[3].

و تجدر الإشارة إلى أن الجيش الإنكشاري في الجزائر شكل تنظيما أسريا متميزا فقد شكل أسرة واحدة متماسكة ،تعيش حياة اجتماعية لا تختلف عن حياة الأسر التي تجمعها رابطة الدم

[1] حول موضوع الجيش الإنكشاري في الجزائر من حيث طريقة تجنيده ،و تركيبته البشرية ،ورتبه العسكرية وطريقة التدرج في السلم العسكري ،والرواتب ،و تنظيماته الداخلية و أدواره ومهامه، خلال المرحلة المعنية بالدراسة يمكن العودة إلى المصادر والدراسات المتخصصة الآتيةّ على سبيل المثال لا الحصر :أرزقي شويتام،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519 –1830 ،دار الكتاب العربي ،الجزائر 2010 ،وحنفي هلايلي ،بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، الطبعة الأولى ،دار الهدى، للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر1428هـ/2007 م. زهرة زكية الجيش الإنكشاري ،في الدولة الجزائرية ومؤسساتها ، وكل المصادر الغربية بداية من هايدو في كتابه طبوغرافيا وتاريخ مدينة الجزائر العام تناولت موضوع الجيش الإنكشاري لأهميته ودوره في الميدان العسكري، والسياسي؛ فتناولت تركيبته البشرية والعسكرية من حيث الرتب ،والفرق المشكلة له ،وصلاحياتها ومهامها وسبل الترقية من أول رتبة في السلم العسكري إلى آخر رتبة وكذلك رواتبه ،وتسليحه ،وعلاقته ببقية عناصر المجتمع، وبخاصة صلتهم بطائفة رياس البحر ،وبالحكام خاصة خلال مرحلة الباشاوات. أنظر على سبيل المثال:

Knight (Francis),A relation of Saven years slavery under the Turks of Algiers suffered by an English captive Merchant ,second Book, Prined byT.Cotes for M.Sparke Junior ,London,1640 ,pp.36-43

وعن الجيش الإنكشاري وطبيعة علاقته بالمجتمع في الجزائر أنظر :جميلة معاشي،الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ،رسالة دكتوراة في التاريخ الحديث إشراف أد .كمال فيلالي ،جامعة منتوري قسنطينة ،2007–2008 ص.30- 33 أنظر أيضا :فهيمة عمريوي،الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12 هـ/18 م دراسة اجتماعية –اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف أد.عائشة غطاس قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،2009

[2]Mascarenhas, (Joao de),Esclave à Alger Récit de captivité de 1621à 1662, Traduit du Portugais et annoté par Paul Teyssier, Editions Chandeigne ,Paris 1998, p.98 voir aussi: وليم سبنسر، مرجع سابق، ص.56

[3] حول الديوان أنظر الباب الثالث من هذا العمل فصل المذاهب الدينية والقضاء

والنسب وهو ما سعي لتحقيقه مؤسسوه[1]،ويمكن تلمس هذا الطابع الأسري من خلال:

1- التسميات التي أطلقت على أجهزته العسكرية والمستمدة من أدوات المطبخ منها: **القزان** بمعنى"القدر"الذي يحضر فيه الطعام والذي كان يعبر عن التماسك الأسرى من منطلق أن الأكل الجماعي الذي يعد طابع مميز للأسرة الواحدة يعزز روابط أفرادها بعضهم ببعض، و يمنع الخيانة، ويفرض وفاء الفرد للجماعة التي ينتمى اليها؛ والتي يتقاسم معها الطعام كعهد مقدس واجب التنفيذ ؛فكل فرقة من فرق الإنكشارية كانت تملك القزان"قزان شريف" الخاص بها كرمز مقدس لوحدتهم وتكاتفهم كالأسرة الواحدة ا ،و **الأودة، أو الأوضة** وهي الغرف التي كانت تقيم فيها فرق الإنكشارية بالثكنات ،و**الصفرة**؛ والتي تعنى مائدة الطعام التي كان يجتمع الانكشارية حولها لتناول طعامهم أو مناقشة قضايا الدولة كما أطلقت على فرق ،أو وحدات من الجيش الإنكشاري تتكون في الغالب من 16 إلى 21 جندى ومصطلح **الأوجاق**؛ الذي يعنى لغويا الموقد أما من ناحية الدلالة ؛ فهو يرمز إلى ملتقى الأسرة ومركز تجمعها ،ومصدر دفئها كما يحمل معنى البيت ،أو الأسرة كذلك وكان يطلق على الوحدات، أو الفرق العسكرية الكبيرة منها والصغيرة وبالتالي تشبيه الجيش الإنكشاري بأسرة موحدة،ومجتمعة حول كانون واحد ،وينطبق ذلك أيضا على الألقاب العسكرية والسياسية مثل لقب **الداي** الذي يعني الخال، وهو بالتالي يعد فرد من أفراد الأسرة الموسعة للإنكشارية، وكذا لقب **الآغا**"،الذي يعني الأخ الأكبر[2].

2 -من خلال الأوقاف التي كان يوقفها كبار الموظفين على فرق الجيش التي كانوا ينتسبون إليها ومن الأمثلة عن ذلك ما ورد في أحد عقود التحبيس حيث قام السيد محمد باشا الدولاتلي بإشهاد شاهديه على نفسه أنه حبس و وقف لله تعالي بنية سنية جميع القطعة الأرضية التي استجد بنائها مقبرة لدفن الأموات المسيرة له {أي التي سارت ملكه } بالهبة الصحيحة على أهل أوجاقه الذي هو أوجاق 314 المعروف بأوجاق داغ دوران بدار الخراطين على يسار الداخل لها ينتفع أهل الأوجاق المذكور بدفن أمواتهم بها[3]. وكذا قيام السيد مصطفى وكيل الحرج بدار الإمارة بوقف ،و تحبيس جميع شطر جلسة حانوت مخصصة ،و مجهزة لحرفة صنع وبيع حلي الذهب كان يملكها ع قرب دار الإمارة ومعدة لحلي الذهب وحبس ذلك على أهل بيته الكائنة بدار الإنكشارية الجديدة في الطبقة السفلى الأولى على

---

[1] جميلة معاشي ،المرجع السابق ،ص6

[2] المرجع نفسه، صص.7-9 وأنظر أيضا:

Marie-Hélène Sauner-Leroy, La Cuisine Ottomane ou la transmission d'un art de vivre, In: **La pensée de midi 2000 /3**)(N° 3), Actes sud, Article disponible en ligne à l'adresse : http://www.cairn.info/revue-la-pensee-de-midi-2000-3-page-45.htm

[3] الوثيقة رقم16"رسم تحبيس ووقف مقبرة لصالح أوجاق314 "تاريخها أواسط شوال المبارك1131هـ / 1718 م من الرصيد العثماني قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية

اليمين المعروفة ببيت مصطفى شاوش ينتفع بغلتها سكان البيت المذكورة في شراء ما يحتجون إليه من زيت و حصور- الحصيرة -..الخ[1]. ومن خلال عقود الوقف هذه نتلمس وجود روح التضامن والتعاهد بين أهل الأوجاق وهي تماثل تلك التي الأواصر التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة .

كما نجد وقف المدعو يحي آغا الصبايحية الذي جعل من جلسة بحيرة يملكها والواقعة بفحص خنيس خارج باب عزون وقفا على نفسه ثم على ابنه مصطفى الإنكشاري وما يتزايد له من الأبناء بقية حياته وذرية ذريتهم و المهم في هذه الوثيقة هو أن الواقف جعل المرجع بعد انقراضهم ،وانقطاع نسلهم كالآتي :".... وعند انقراضهم عن آخرهم وأتى الحمام على جميعهم رفيعهم ،و وضيعهم فيرجع الحبس شطر حبسا ووقفا لأهل بيته الكاينة بدار الانكشارية بباب عزون بالطبقة العليا على الشمال والذين أوجاقهم مايتان{كذا} وسبعة وخمسون والشطر الآخر على بيته الكاينة بدار الانكشارية المعروفة بأوسطا موسى في الطبقة العليا الذي أوجاقهم مايتان وخمسة و ثلاثون ينتفعان بغلته إنصافا سوية ....."[2]. و من خلال الأمثلة السابقة نلاحظ اعتماد عبارة "أهل بيته" للدلالة على أعضاء الفرقة العسكرية التي كان ينتسب إليها المحبس، أو الواقف مما يوحى بالطابع الأسري الذي كان يطبع هذه الصلة[3].

ولابد من التنبيه إلى أن الأتراك بالمولد الذين تواجدوا بمدينة الجزائر لم يكونوا كلهم بالضرورة يشكلون جزءا من جهاز الإنكشارية؛ فقد أحصى هايدو في القرن 10هـ(16م) 1,600 منزل سكنه أتراك بالمولد لم يكونوا جنودا ،وكانوا يسترزقون من عملهم ،و صناعتهم[4].

---

[1] الوثيقة رقم 19 " رسم تحبيس ووقف لجلسة حانوت "تاريخها أواسط شعبان 1222 هـ/ 1806م من الرصيد العثماني في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية

[2] وثيقة رقم 52 "رسم تحبيس جلسة بحيرة بخنيس خارج باب عزون «في العلبة 18-1 تاريخها .1240 من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] ووجود مثل هذه الأواصر العائلية بين أفراد جهاز الإنكشارية لا يعني بأي حال من الأحوال غياب أي خلافات بينهم ؛فقد عرف الإنكشارية صراعات ،وخلافات ذات صلة وثيقة بالميدان السياسي ولاسيما في مرحلة الآغاوات {1659 -1671 }حيث اشتد التنافس على السلطة بين الجنود الإنكشاريين وكانت النتيجة اغتيال كل الآغاوات الذين تداولوا على السلطة خلال هذه المرحلة وفي هذا الصدد نورد ما ذكره وليام شالر؛ لأنه يعبر تماما عن ذلك :" إن الأتراك رجال بسطاء وحذرون ومنطقيون .....وهم أصحاب كلمة {بمعنى التزامهم بما يقولون} وفي معاملات الحياة اليومية العادية نجدهم مهذبين، وصادقين لكنهم في الأمور السياسية برابرة بكل ما للكلمة من معنى..." أنظر:William Shaler,Op.cit.p.42

و للتوسع حول هذا الموضوع أنظر : أرزقي شويتام ، دراسات ووثائق...،مرجع سابق، و محرز أمين ،عهد الآغاوات(1659-1671)،دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013 و زهرة زكية ، الجيش الإنكشاري،في الدولة الجزائرية ومؤسساتها...،و أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره1800-1830م

2-الأعلاج:

و إلى جانب الأتراك العثمانيين الأصليين، أو أتراك الأصالة بالمولد نجد الأتراك العثمانين بالمهنة(turcs de profession) [1]كما يطلق عليهم مؤلفي ذلك العصر،و كان المقصود بهم الأعلاج، أو المهتدون من وجهة نظر المسلمين،و المرتدون (Les renégats)من منظور المسيحيين و بمعنى أولئك الذين تنكروا لدينهم؛ أي لأنهم تخلو عن المسيحية ليعتنقوا الإسلام إذ يعرفهم هايدو في القرن 10هـ(16م) بأنهم الأسرى العبيد المسيحيين بالدم، و الأصل و الذين جعلوا من أنفسهم عثمانيين بإرادتهم محتقرين بذلك دينهم[2]، و حسب غرماي في القرن 11هـ(17م)هم الذين لم يصبحوا عثمانيين إلا بعد أن اعتنقوا الإسلام[3].

و قد ذكرت في المصادر جملة من الأسباب، و العوامل التي كانت تؤدي إلى اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام، وجعل أنفسهم أتراكا عثمانيين، وتتلخص هذه الأخيرة فيما يلي:

- فقدانهم الأمل في أن تدفع فديتهم يوما، و فرارا من الأعمال الشاقة التي كلفوا بها وأساليب التعذيب، و التنكيل التي كانوا عرضة لها[4].

=الطبعة الأولى ،دار الكتاب العربي،الجزائر 2011 كما عرف هذا الجهاز محاولة لإعادة ضبطه ،وتركيز مهامه على الجانب العسكري للحد من تدخلاته في الميدان السياسي للخفيف من الآثار السلبية الناجمة عن ذلك من خلال ما عرف بعهد الأمان ذلك بمثابة قانون داخلي للمؤسسة العسكرية للجيش الإنكشاري في الجزائر أنظر نص الوثيقة وما تضمنته في :

DEVOULX (A), "AHAD AMAN, ou Règlement politique et militaire, Texte turc", traduit en arabe par Mohammed ben Mustafa, et reproduit en français, par M. Devoulx fis, In: **R.A**., T.4 ,1859-1860,pp211-219

{و اهتم الباحثون بدراسة هذا القانون وتحليل بنوده ومن بين هذه الدراسات نذكر: دحماني توفيق،القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العهد العثماني :وثائق تنشر لأول مرة :دراسة في عهد الأمان،الدار العثمانية ،الجزائر 2009 } ويحوى رصيد الوثائق العثمانية بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنيةبالحامة وثائق موضوعها القوانين التي تنظم حقوق الجنود في المحلات، وواجباتهم وعلاقتهم فيما بينهم وطريقة عملهم لتفادي حدوث اختلال وخلافات في صفوفهم وتحديدا الملف الأول من المجموعة 3190 :الوثيقة 42 عهد أمان خاص بمحلة تيطري تاريخها أواسط رجب 1095هـ (1684م) ،و الوثيقة 43 عهد أمان خاص بمحلة الشرق تاريخها أواسط رجب 1095 هـ(1684م)،و الوثيقة 45 عهد أمان خاص بمحلة الغرب تاريخها أواسط رجب 1007 هـ(1599م)

[4] « Topographie…… », In:**R.A.**, T.14,1870, p.496

[1] في حين نميل إلى أن نطلق عليهم إلى جانب تسميتهم بالأعلاج، أوالمهتدين اسم الأتراك العثمانيين بالدين والولاء

[2] « Topographie…… », In:**R.A.**, T.14, 1870,p.496

[3] Op.cit.,p.102

[4] Jean Monlaü,,Op.cit.,p.100

كما أن عدد آخر من الأسرى العبيد الأوروبيين قد أصبحوا أعلاجا بسبب الضغوط المسلطة عليهم من طرف ملاكهم الذين كانوا يستغلون أقل حجة، وتبرير لجعلهم مسلمين و من تلك التبريرات التي أوردها مؤلفو تلك الفترة نجد أن دخول الأسير العبد المسيحي إلى المسجد كان سببا في دخوله إلى الإسلام ؛فقد كان يتم إجباره على الإسلام بإخضاعه لعملية الختان بالقوة، وإن رفض الأمر، فقد كان يحرق حيا[1]،و غيرها من التبريرات التي لا تخرج عن هذا الإطار.

وهنا نشير إلى أن لوجي دوتاسي قدم صورة مغايرة لهذا ؛حيث قال:"إننا نصف الجزائريين بسوء المعاملة، والإساءة لعبيدهم، وباستعمال كل الضغوطات لجعلهم يعتنقون الإسلام، ولكن في هذا خطأ جد شائع[2] ؛ففي ما يتعلق بالدين الأكثر حماسة، وغيرة في المسلمين لا يستعملون إلا اللين، والإقناع لإدخال الناس في دينهم ؛ولكن هذا الحماس جد نادر فيما بينهم، وينحصر أو يتلخص عادة في التربية الإسلامية لأولئك الذين يصبحون عبيدا منذ نعومة أظافرهم ؛حيث أن النظام العام للبلاد هو التسامح ،وهو مؤسس على عدة مقاطع –والمقصود آيات وسور كريمة –من القرآن التي تقول أن كل شخص يهودي كان ،أو مسيحي يعبد الله الحق ،ويعيش حياة طاهرة سيكون بالتأكيد مباركا من الله "؛ بل ويضيف ملاحظة هامة ألا وهي أن كل المجهودات التي قام بها المسيحيون للقضاء على الإسلام لم تجر المسلمين، أو تدفعهم مطلقا للتخلي عن تسامحهم؛ فهم كانوا يعتقدون أنه من المستحيل لمسيحي أجبر على اعتناق الإسلام أن يصبح مسلما صالحا[3].

وهذا ما يدل على أن التسامح، وانعدام التعصب لدي سكان مدينة الجزائر والمسلمين عامة في ظل الحكم العثماني لم يكن أمرا شكليا يهتز أمام ظروف، و أوضاع معينة، ولكن ثقافة راسخة مصدرها الأول ،والأخير الإسلام خاتم الأديان السماوية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الموافق للفطرة الإنسانية.

و من الأسباب الأخرى المذكورة حول ظهور جماعة الأعلاج الرغبة في التمتع بالامتيازات التي كان يحظى بها الإنكشارية، و تشريفات الجنود، و الثروات، و الأرباح المحققة في عمليات

[1] ولابد هنا من مناقشة مدى صحة هذا المبرر من منطلق أن الدخول في الإسلام كما هو معلوم يكون أساسا بنطق الشهادتين، وليس بالقيام بعملية الختان والتي لاينفرد بها أهل الإسلام ؛فهي عملية تتم لدى اليهود أيضا -أنظر عن الختان الفصل الأول في الباب الثالث من هذا العمل.

[2] Op.cit, tome 2, p.97- 98

[3] Ibid., tome 2, p.102 voir aussi HEBNSTREIT (J.E.), Op.cit., p.24

الجهاد البحري[1]؛ أي أن الكثير من المسيحيين من مختلف الأمم كانوا يتخلون عن ديانتهم و يحضرون إلى مدينة الجزائر لتحسين مستواهم الاقتصادي،والاجتماعي؛حيث لم تكن تتواجد بها تلك العراقيل،و الحواجز الاجتماعية،المتواجدة في بلادهم،و لعدم تواجد الإقصاء،والامتياز الاجتماعي تبعا للأصل النبيل؛ فقد كان إسلامهم يتيح لهم فرصة الارتقاء في الميدان الاجتماعي، و حتى السياسي، و تبوء مناصب المسؤولية العليا. وهذه حقيقة مرادها الدين الإسلامي الذي يجعل من التقوى ،والعمل الصالح معيارين أساسيين لتقييم المرء.

و كان من بين هؤلاء أيضا بعض الأوروبيين ممن كانت لديهم مشاكل قضائية في بلادهم؛ فكان ذلك بمثابة فرصة لبدء صفحة جديدة في سجل حياتهم، فاعتناقهم للإسلام كان يسمح لهم بتبني شخصية جديدة، والتي كانوا يطمحون بفضلها إلى بلوغ مكانة مرموقة، و من بينهم أيضا من جعلهم حب المغامرة يأتون إلى مدينة الجزائر، ويسلمون[2].

و كان من بين الأعلاج مسيحيون آخرو اعتنقوا الإسلام بإرادتهم، و لكنهم كانوا قلة حسب ما ذكرته المصادر الغربية التي وصفتهم بالأناس البسطاء ،والجهلاء حتى لا يقال عنهم حمقى إضافة إلى عدد من الأطفال الذين كانوا يأسرون في الغارات؛ التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون على الشواطئ المسيحية[3]؛و الذين بيعوا في الغالب إلى أحد السادة الذي كان يربيهم في منزله الخاص كما لو كانوا من أولاده[4]، و كان من السهل عليهم التخلي عن دين آبائهم

---

[1] Gramaye (J.B), Op.cit., p.103

[2] Albertni (E.), .marcais (G), Yever (G.), L'Afrique du nord Française dans l'histoire, Edition Archat, Lyon- paris, 1955, p.217

[3] Gramaye (J.B), Op.cit.,p.104

[4] ومنهم من وجدوا العناية، والاهتمام من طرف أسيادهم مما أهلهم في المستقبل لتبوء أعلى المناصب ومن أمثلتهم نذكر رمضان باشا الذي تم القبض عليه وهو صغير السن في إحدى الغارات على سواحل جزيرة سردينيا حيث كان يرعى قطيع صغير من الماعز يملكه والده ،ونقل لمدينة الجزائر ؛حيث اشتراه تاجر تركي عثماني ،وقد تنبه هذا التاجر إلى أن الطفل الذي اشتراه جد موهوب ،وذكي؛ فأرسله للمدرسة ؛حيث تعلم اللغتين التركية، والعربية ،والقراءة والكتابة بهاتين اللغتين ،وقد عاش طويلا مع سيده، وعندما كبر تزوج بعلجية كورسكية ،واشتغل بالتجارة وبعدها ونظرا لكفاءته عين قائدا في عدة بلدان ،وخلال السنوات الطويلة التي شغل فيها هذه المهام كسب عدة ثروات ،والمصداقية والسمعة الذائعة الصيت، وعرف لدى الجميع بكونه رجلا عادلا ،ومستقيما ،وعطوفا ،ومباركا وهو ما كان عليه فعلا على حد وصف هايدو له وهذه هي الصفات التي حملت البايلرباي علج علي ليأخذه معه سنة 1596م عندما قام بحملته على تونس وتنصيبه كحاكم عليها معتقدا أن صفاته من حلم وعدالة ،وعطف ،وحكم صائب ستمكنه من التحكم زمام=

واعتناق الإسلام دين أسيادهم الذي كان يجعلهم في كثير من الأحيان ورثة له[1] ويذكر هايدو في هذا الصدد أنه وجد في مدينة الجزائر من العثمانيين من كان يمتلك حتى عشرين فردا من هؤلاء الأعلاج ،وأن الكثير منهم كانوا ينادون أعلاجهم بأبنائي ،ويعتبرونهم فعلا كذلك وأنهم بمجرد إسلامهم كانوا يحررون لهم مباشرة وثيقة عتقهم ،وكانوا يعطونهم عبيدا ،وأموالا وقد كانوا يدعمونهم ويساعدونهم حتى فيما بعد إذ تطلب الأمر ذلك؛أي إذ ما احتاجوا إلى الدعم[2].

و كل الأسباب [3]،و الدوافع السابقة التي كانت وراء إسلام عدد معتبر من المسيحيين لاسيما الأسرى العبيد منهم في مدينة الجزائر تصب في مجملها كما رأينا في إطار أن الإسلام كان مفروضا على هؤلاء، أو من منطلق تحقيق أهداف مادية عن طريق اعتناق هؤلاء للإسلام أما السبب المتمثل في أن عددا كبيرا منهم اعتنقوا الإسلام بكل إيمان ديني

=الأمور ،وهذا ما تم إلى غاية حملة دون خوان النمساوي على تونس1573 م ،وبعدها عين رمضان باشا حاكما على الجزائر سنة 1574 .أنظر :Haedo,histoire des rois…, pp.163-164

وما ذهب إليه هايدو حول مزايا وخصال رمضان باشا يؤكده ما ورد أيضا في مراسلات سلسلة دفاتر مهمة ومن نماذج ذلك نورد حكم ورد إلى رمضان باشا من السلطان العثماني لتثبيته كقائم مقام –نائب–القبودان على باشا في ولاية تونس بناء على شهادة أعيانها وأهلها بخصاله وكفاءته ومما ورد في ذلك نذكر :"لقد أرسل أعيان ولاية تونس وعلى رأسهم أبي الطيب برسائل أشادوا فيها بحسن استقامتك فيها وحسن معاشرتك لأهالي الولاية وشهدوا بقدراتك وكفاءتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الخادمات الهمايونية وصيانة عرض الدين وبناء عليه فقد التمسوا الاحتفاظ بمنصبك كقائم مقام....." أنظر : مهمة دفتري رقم 18 الحكم 287 بتاريخ 19 /10 /979 هـ ،وأنظر أيضا: مهمة دفتري رقم 25صحيفة97 الحكم 1071بتاريخ 4 /12 /981 هـ و مهمة دفتري رقم 23 صحيفة 294الحكم 634 بتاريخ 23 /10 /981 هـ وكذلك الحكم الوارد إليه لأعلامه بتعينه حاكما على ولاية جزائر الغرب أنظر: مهمة دفتري رقم 24 صحيفة 24الحكم 199 بتاريخ 5 /2 /981 هـ و مهمة دفتري رقم 12 صحيفة 563لحكم 1074 بتاريخ 4 /11 /979 هـ و يمكن القول إذا أن ماحققه رمضان باشا كان بفضل الصفات التي تميز بها ؛ولكن أيضا بفضل الرعاية التي أولاها له سيده ،وتقديره لمواهبه .

[1] جون.ب.وولف الجزائر و اروبا (1500-1830)، ترجمة و تعليق د.ابو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009،ص.226

[2] HAEDO "Topographie…".In:**R.A.**, T.14, 1870, p. 497

[3] لمن يريد التوسع في الأسباب والدوافع التي أوردتها المصادر ،والدراسات الغربية لتفسير ظاهرة الأعلاج العودة للقائمة المفصلة ،والنموذجية التي وردت في المصدر الذي ألفه الأب دان خلال القرن 11 هـ(17م)حيث قام بترقيم هذه الأسباب وترتيبها على شكل فقرات أرفقها بشروح،وتوضيحات، وتفسيرات وتضم القائمة 8 دوافع ذكرنا بعضها آنفا في المتن أنظر: DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., pp.341-344

واقتناع ،و باختيار حر وبعد تفكير مطول حول حقيقة، وماهية الإسلام، و بناء على معرفة بنتائج قرارهم باعتناقه؛ فقد كان أمرا مستبعدا تماما من طرف أغلب من كتبوا عن هذا الموضوع خلال هذه الفترة ، فلما لا تكون المعاملة الحسنة التي تلقاها معظم الأسرى العبيد في مدينة الجزائر من طرف سكانها من المسلمين، وإعجابهم بتمسك هؤلاء بدينهم، و مدى التزامهم بتعاليمه ،و التسامح السائد في أوساطهم ،و الذي كان مستمدا من الشريعة الإسلامية سببا في اعتناقهم الإسلام.

و قد يكون استبعاد هذا السبب، و الدافع في اعتناق الإسلام من طرف من كتبوا عن الموضوع، وما أكثرهم هو الخلفيات التي كانت تتحكم فيهم؛ فقد كان معظمهم رجال دين مسيحيين يمقتون الإسلام، و المسلمين، و العدد الكبير من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ(16م) و11هـ(17م) ،وأصبحوا أعلاجا كان يجب تفسيره عند هؤلاء بما يتناسب ،وموقفهم من الإسلام،والمسلمين،و ما كان يمليه عليهم تعصبهم للمسيحية.

ولكن التاريخ يظهر لنا حقائق تغاظي هؤلاء عنها ،فالمتصفح لسجل تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة يجد أن من بين أبرز رياس البحر ،وحكام البلاد يرد ذكر الأعلاج الذين حققوا العديد من المكاسب، والانتصارات باسم الإسلام مخاطرين بحياتهم،ومتقدمين الصفوف من أمثال البايلرباي علج علي،وكذا حسن آغا نائب البايلرباي خير الدين الذي أعطى مثالا للحاكم الواعي الذي يحتذى به عند مواجهته لحملة شرلكان ؛حيث ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16 م) عن ذلك :"لم يظهر أبدا أي ملك في أي وضع من الأوضاع المماثلة لا شجاعة لا حذرا ولا خبرة أكثر من التي أظهرها في هذا الظرف وهو[حسن آغا] يري نفسه محاصرا من طرف أمير قوي وجد محظوظ في حمالاته كما كان الإمبراطور شرلكان بأسطول مخيف وجيش كثير العدد، ومقدام مشكل من جنود من كل الأمم المسيحية في حين لم يكن له تحت إمرته إلا 3 ألاف تركي بالكاد بل وفي واقع الأمر كان يتخلل هذا العدد عدد كبير من الأندلسيين؛ ولكن زيادة على أنه لم يرتعب، أو يخاف ؛فإنه الوحيد الذي شجع وطمأن سكان المدينة المرعوبة ،وهو يمر عبر أزقتها على ظهر حصانه"[1].

[1] Haedo (F.D), Histoire des rois …, Op.cit, p.62

والأهم فيما ذكره هايدو عن حسن آغا هي رفضه القاطع لما اقترحه عليه شرلكان من تقديم مكافأة كبيرة له، ولمن معه من الأتراك العثمانيين مقابل تسليمه مدينة الجزائر، حيث أجاب بأسلوب ساخر على مبعوث الإمبراطور إليه بهذا الاقتراح المدعو دون لورنزوا إمانويل بقوله له أنه من قبل الغباء الكبير أخد النصيحة من عدوه ، وأنه يرجوا لله أن تعود عليه هذه القضية بسمعة ذائعة الصيت إلى الأبد[1].

وبصورة عامة يؤكد هايدو أنه خلال الست سنوات التي حكم فيها حسن آغا بالنيابة عن البيلرباي خير الدين- الذي كان قد غادر مدينة الجزائر سنة 1535م لتولى القيادة العليا للأسطول العثماني- حكم بسلام تام دون حدوث اضطرابات ،وطبق العدالة على أكمل وجه والكثيرين ممن عرفوه وعاصروه يقولون أنه لم يعرفوا باشا آخر أكثر عدلا منه[2].

يضاف إلى ماذكر آنفا أعمال البر، والإحسان، والخير التي قام بها الأعلاج في مدينة الجزائر، ولاسيما ما يتعلق منها ببناء المساجد، وتخصيص الأوقاف لها، وغيرها من الأعمال التي تصب في هذا الإطار ، ولا تزال العديد من معالم مدينة الجزائر الدينية تشهد بذلك كمسجد علي بتشين ،وحسن فينزيانو[3] وغيرهما.

كما أن دراسة الباحثان برتولمي بن ناصر، ولوسيال بن ناصر التي انطلاقا فيها من الوثائق الأرشيفة المتواجدة بالأرشيفات الأوروبية كأرشيف سيموند كاسد، بإسبانيا ،وبالضبط أرشيف محاكم التفتيش تشير إلى وثائق تحمل أحيانا إشارة هرب إراديا إلى الإسلام، وأعطيا عدة أمثلة عن ذلك،وعلى سبيل المثال نذكر نموذجان وهما:الكلابري المدعو ماركو انطونيو دو ستويسا الذي فر إلى بربرية{بلاد المغرب الإسلامي} في سنة 1586م وهو يبلغ 35 سنة و الفرنسي لويس كديار الذي ذهب إلى مدينة الجزائر صغيرا في السن والدليل أنه عندما ألقي عليه القبض ،وتم استرجاعه من طرف المسيحيين في خلال نشاط بحري سنة 1588 م لم يكن إلا ابن 18 سنة[4].

---

[1] Ibid.,p.62

[2] Ibid.,pp.62-63

[3] حول هذه المساجد ارجع للفصل الثالث الخاص بالمرافق الدينية في للباب الثاني من هذا العمل

[4] Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar, Les Chrétiens D'Allah"l'histoire des renégats XVI et XVII siècles, Perrin, Paris 1989, p.254

ولعل ما تجدر الإشارة إليه أنه كان يوجد من بين الذين يعتنقون الإسلام رجال دين مسيحيين مما يدل على تأثرهم بالإسلام، واقتناعهم به، وهذا ما يجعلنا نعيد النظر في الأسباب التي تركز عليها المصادر الغربية لتعليل ظاهرة "الأعلاج"وفي مقدمتها الأسباب التي أوردها الأب دان،و غرماي المشار إليها أنفا، فقد ورد في الدراسة –المشار إليها سابقا – مثال 3 رجال دين من عينة تضم 71 فردا من بين الذين افتدوا، وحرروا من الأسر، و عادوا إراديا إلى مدينة الجزائر ليشهروا إسلامهم مما يدل على أن الأمر تم نتيجة قناعة ،وحرية اختيار بعيدا عن أي ضغوطات.

كما أن مناسبات الفداء كانت تقدم فرص للفرار إلى رحاب الإسلام فالأب الكتالوني مولقاني شارك في إحداها في مدينة الجزائر ؛حيث راءه ستة من زملائه عند إرساء السفينة بكثير من الاستعجاب، وهو ينزع ملابسه المسيحية، ويلبس على الطريقة التركية وقد كان قراره نهائيا حيث أصدرت محكمة تفتيش برشلونة حكما غيابيا على هذا العلج سنة 1602م[1].

و من بينهم أيضا وجد راهبين أغسطيين هما الأخ كسبار فيسكو، والأخ جون دو بيفا اللذين عادا إلى مدينة الجزائر بعد أن قضيا مدة فيها كأسيرين ؛حيث أعلن إسلامهما وتزوج الأخ كسبار بنت مالكه القديم، وتحصل على وظيفة إنكشاري، وذكر الشهود الذين سئلوا عنه من طرف محكمة تفتيش جزر الكناري سنة 1671 مأنهم رأوا المدفعي مصطفي –كسبار سابقا – مرتديا ملابس خضراء، وسوداء، وعلى رأسه عمامة، ومسيحيو مدينة الجزائر كانوا يتدافعون بمرافقهم وهم يضحكون عليه قائلين بسخرية:" أنظروا ها هو الراهب الصغير الذي ارتد"، وقد توفي خلال صراع أو مواجهة بحرية بين المسلمين، والمسيحيين[2].

و ما يشير إلى الاقتناع الذي كان يسبق عملية اعتناق الإسلام قصة الراهب نيكولاي بوتان التي جاء فيها :"كل أسري مدينة الجزائر الذين حضروا إشهاره للإسلام في 13 ديسمبر 1657م يوم سانت لوسي{من القديسات المسيحيات} احتفظوا بالمشهد في ذاكراتهم؛ فقد رأوه يدخل إلى دار المفتي بملابس راهب أغسطيني في يوم أحد بعد أن سمعوا القداس، ويخرج منها بعد يومين لابسا على الطريقة التركية وهو يمتطي حصانا أبيض، و يضع عمامة مستعدا

[1] Bartholome Bennassar et Lucile Bennassar Op.cit.,p.255
[2] Ibid., p.262

وجاهزا لمراسيم الاحتفالات بمناسبة اعتناقه للإسلام[1].

ويبدو أنه يمكن أن نعتبر مكوث الراهب نيكولاي في دار المفتي يومين قبل اعتناقه الإسلام دليلا على أن اعتناقه لهذا الدين لم يكن أمرا سطحيا ، أو شكليا بل كان يتم بناء على معرفة مسبقة وقناعة.

وما يزيد من تأكيد استخلاصنا السابق أن أصدقاء الراهب من الأسري قد حاولوا إقناعه بالعدول عن الردة —في منظورهم — وهم يسألونه ألا يجب أن يكون رجل الدين المثال والنموذج الذي يحتذي به؛ فكيف يعقل أن يتصرف هكذا ؟وذكر الشهود أن أب من أباء الفداء من تنظيم التثليث أرسل إليه أحد الشهود ليعده بفداء قريب، ولكن بلا جدوى ؛ فقد أعلن الأخ نيكولاس على الجميع أنه كان يريد أن يكون حرا، وقانون محمد ،والمقصود به الإسلام قد أصبح في منظوره أفضل من ذلك الخاص بالمسيحيين، و بعد أن أصبح تركيا عثمانيا تزوج ببنت أحد الأعلاج ،وأصبح جنديا في جهاز الصبايحية[2] .

ومما سبق ذكره نلاحظ أن اعتناق الإسلام لم يكن يقتصر كما تؤكد المصادر على كون كل من أصبحوا أعلاجا كانوا مغامرين، وباحثين عن الثراء، وتحسين مستوي معيشتهم والفرار من مشاكل قضائية، ولعل أصدق دليل على ذلك اعتناق رجال دين مسيحيين للإسلام.

و من ثم فانجذاب العديد من المسيحيين تجاه نمط المعيشة الإسلامية أمر لا مفر منه ولا يمكن تجاهله، ولعل أبرز حجة على ذلك أن العديد من الذين أسلموا، وقبض عليهم من طرف المسيحيين كانوا يحاولون ويجربون العودة، والمرور مجددا إلى حاضرة الإسلام مهما كلفهم الثمن من بين هؤلاء نماذج استقيناها من العينات التي ورد ذكرها في الدارسة المذكورة آنفا كقصة الفرنسي بيار فبريل (PierreFabriel)الذي كان أصيلا من منطقة سانت جون دونجيلي–(Saint Jean-d'Angély) و فرمن السجن الذي حكم عليه به من طرف محكمة سفيل، ولكن أعيد القبض عليه في ألكانت(Alicante)،وقدم للمحاكمة سنة 1654 م أمام قضاة محكمة تفتيش جزيرة موريس (Maurice)،فادعى في البداية أنه كان يستعد للإبحار للالتحاق بوالديه،ثم اعترف بأنه أراد الذهاب لمدينة الجزائر حتى يعيش فيها كعلج بحرية ،وفي نسيان للديانة المسيحية[3].

[1] Ibid.,p.262
[2] Ibid.,p.262
[3] Ibid.,p.258

ومن بين هؤلاء من لم يكونوا يترددون في إعلان قناعتهم بالإسلام بعد إلقاء القبض عليهم من طرف البحارة المسيحيين ومن الأمثلة على ذلك المدعو " قيوم المونتوبرليان" (GuillaumeVergnes Montpelliérain) والذي بقي في مدينة الجزائر بعد خصام شب بين بحارة وأصبح بعد إسلامه قائد سفينة سباق بحري"قرصنة" ، والتي أسرت من طرف البحرية الجنوية وخلال مجريات محاكمته وصفه الشهود بالقرصان الكبير،واعتبروه من أشد أعداء المسيحيين وقد تمكن من كسر باب زنزانته في برشلونة في ماي 1613م بعد خمسة عشر يوما من الحبس وفر عند الفجر ؛ولكن عثر عليه في المساء متخفيا بالمدينة ،وقد اعترف تحت التعذيب أنه يعتبر الدين الإسلامي دينا جيدا.

و كمثال آخر الجنوي جان بتيست الذي أصبح بعد إسلامه يعرف ببيرام، والذي أسر في طفولته خلال غارة بحرية على الشواطئ الجنوية التي مست قريته بورتو مورسو، ووجد نفسه في سوق العبيد بمدينة الجزائر، وبعد إسلامه صار بحارا، و ألقي القبض عليه سنة1579 م من طرف الإسبان الذين استعملوه كمجدف، ولكنه تمكن من الفرار؛ فخطط للعودة مجددا إلى مدينة الجزائر، ولنشاطه السابق[1].

و كان عدد الأعلاج كبيرا في مدينة الجزائر، إلى درجة أن قدرهم هايدو في أواخر القرن 10هـ (16م) بأكثر من نصف سكان مدينة الجزائر هم، و أبناؤهم[2] فقدر عدد المنازل المسكونة من طرفهم بحوالي 5000 منزلا، و قد يكون عددا مبالغ فيه في حين قدرهم غرماي في أوائل القرن 17م(11هـ) في العشرينات منه بـ 6000 عائلة ،و هذا ما كان يعطي مجموع حوالي 18.000 شخص، و قد قدر عدد الأعلاج في مطلع القرن 17 بـ 8000 و عدد نسائهم بـ 1.200.

فقد كان عدد الأعلاج خلال هذين القرنين في تزايد مستمر ؛حيث قدرت نسبة زيادتهم ما بين عامي 1580م ، و1600 م بحوالي 80% و هذا ما كان يثير حقد المسيحيين ولاسيما رجال الدين منهم، و كان الأعلاج من جنسيات مختلفة، و لاسيما الكورسيكين والصقليين و الايطاليين، وحتى الإسبانيين،و الإنجليزيين، و الألمانيين، و الهولنديين، والفرنسيين

[1] Ibid.,p.259
[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870,p 499

و غيرهم من الجنسيات وكانت مدينة الجزائر تمتلك الأعلاج الأكثر شهرة، وتدينا ،وهم الذين كانوا يقومون بتنفيذ غارات بحرية على السواحل المسيحية[1].

و كانت تقام بمناسبة اعتناق المسيحيين للإسلام في مدينة الجزائر احتفالات كان يلبس العلج خلالها أبهي حلة، وكانت توضع على رأسه عصابة جميلة، و يطاف به عبر أرجاء المدينة و هو يمتطي حصانا، و يحمل بين إصبعيه سهاما ليعلم أنه يجب عليه الجهاد في سبيل الإسلام منذ لحظة اسلامه، و كان يرافقه خلال جولته كل حراس، و شاوش الباشا ،وكان يوجد من بين هؤلاء من يحمل أطباقا كبيرة، يقربونها من الحاضرين طالبين منهم الصدقات لهذا المسلم الجديد عندما يكون فقيرا ،و كانت الأموال المجمعة بهذه الطريقة معتبرة؛ لأن كل سكان مدينة الجزائر من المسلمين كانوا يقدمون الصدقات تطوعا،و برحابة صدر لاسيما في مسألة كهذه[2]. وإلى جانب الأموال كانت تقدم إليه أشياء متنوعة؛فكل شخص حاضر في ذلك الاحتفال كان يقدم ما يريده حسب ذوقه ،ومن بين هذه الأشياء نذكر أغطية رأس قلنسوات، وأحذية أو جزم ،وخناجر، وعمائم ،وقمصان ، و مناديل صغيرة للجيب ،والبعض الآخر كان يقدم شموعا خضراء ....إلخ ،[3]و كان يقدم له الباشا بدوره قفطانا[4].

و قد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن الطواف بالأعلاج كان يتم فقط بالنسبة للمسيحيين المهمين الذين أسلموا كقبطان سفينة، وكانت تنظم أيضا مأدبات في الليلة التي كانت تتم فيها عملية الختان، ومباشرة بعد إسلامهم كانت تحرر لهم وثيقة العتق[5].

و كان من بين الأعلاج نساء مسيحيات أسلمن، و كانت عملية إسلامهن تتم كالآتي :جعل المرأة تغتسل في البداية، ثم جعلها تصلي في غرفة، و بعدها كانت تقص بعض الخصلات من شعرها من الناصية، و كان يعطى لها فيما بعد اسم عربي، أو تركي و هذه هي كل المراسيم التي كانت متبعة عند إشهار بعض النساء المسيحيات لإسلامهن[6].

[1] Achille RIGGIO, Esclaves et missionnaires en barbarie (1672-1682),In: **R.A.**, T.93 , 1943, p.40
[2] DAN (R.Père François Pierre) , Op.cit, p.352
[3] Haedo(F.D), Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14, 1870, p.498
[4] DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit, p.352
[5] Haedo(F.D) ,« Topgraphie….. »,In:**R. A.**, T.14, 1870, p.498
[6] Ibid., p.499

و تشير إحدى وثائق المحاكم الشرعية إلى احدى النساء العلجيات جاء فيها :"...بعد أن تصدقت الزهرا بنت عبد الله عتيقة مصطفي بن قارا علي على بعلها مامي بلك باشي بن عبد الله..."[1].

وهنا نلاحظ أن المعنية أصبح اسمها بعد إسلامها الزهرا بنت عبد الله، ونفس ما يقال عنها يقال عن زوجها مامي بلك باشي، وتفسير ذلك كما يبدو أن أباء هؤلاء الأعلاج لم يكونوا من المسلمين ؛فكان يقال لهم فلان أو فلانة بن أو بنت عبد الله ".

واندمجت النساء العلجيات في المجتمع عن طريق إسلامهن أولا ،وزاوجهن ثانيا وتشكيل أسر لهن كما نستدل عليه من وثائق المحاكم الشرعية وبخاصة ما يتعلق منها بتقسيم التركات ومن نماذجها نذكر :

"بعد أن صار إلى عفو الله وغفرانه الحاج عبدي آغا بن { } التركي عن زوجه الولية صفية بنت عبد الله وولديه منها محمد وصالحة ...."[2]. وفي رسم عقد ذري:".....أشهد الأن السيد الدولاتلي{السيد الحاج محمد التريكي }أنه حبس جميع الدار والعلوى.....ثم بعد وفاته على زوجه الحرة خديجة بنت عبد الله معتقته ...."[3].

و ورد في أحد المصادر الغربية أنه وبحسب العادات، و التقاليد المتبعة في مدينة الجزائر فإن العلاقة كانت تبقى قائمة بين الأعلاج ،و أسيادهم رغم إسلامهم، و عتقهم أي تحررهم و لاسيما من ناحية الوراثة ؛فالعلج الذي يتوفى دون أبناء، و ورثة كانت أملاكه تعود للمالك الأول له بالرغم من منحه الحرية من طرف هذا الأخير، وإن لم يكن حيا فإن ابنه أو حفيده كان من حقه أن يرث أملاك علج أبيه ،أو جده[4]، و هذا ما يعرف بالوراثة

[1] الوثيقة رقم70 "رسم بيان صدقة وهي دار مع بيان مواصفتها لمستحق بإشراف القاضي الموثق"، في العلبة 76 -1 تاريخها 1013 ه(1605 م) من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم35 "رسم بيان تقسيم تركة ورسم وقف بإشراف القاضي الموثق"، في العلبة 27-2تاريخها اوائل حجة الحرام 1067 هـ (1657 م) سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] الوثيقة رقم60 "رسم وقف ذري "، في العلبة 119–120 تاريخها اوائل حجة الحرام 1088 هـ (1677 م) سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. », In :**R.A.,** T.14, 1870,p. 497 voir aussi Cornelis Pijnacker, Description historique des villes de Tunis d'Alger et d'autres se trouvant en=

بالولاء[1] وهو ما تأكده بعض عقود تأكيد الملكية، و تقسيم التركات التي تعود لسلسلة المحاكم الشرعية ومن نماذجها نذكر:

"....الصاير إلى عفو الله وغفرانه الحاج جعفر بن عبد الله عتيق المرحوم بكرم الله السيد فتح الله بن خوجة بيري.....إلى أن توفي في السالف عن التاريخ بأعوام وورثه بالولاء ولدا ابن أخ معتقه المذكور وهما المعظمان الخيران السيد حمودة والسيد علي ولدا المرحوم بكرم الله السيد محمد ابن خوجا بيري"[2].

كما نسجل بنفس الوثيقة و ما يلى :"الحمد لله بعد أن استقر على ملك جعفر ابن عبد الله معتق خوجة بيري المذكور مالكا في الرسم .....جميع الحانوت الكاينة في الباديستان .....وانتقلت الحانوت المذكورة لورثة خوجا بيري المذكور وهم فرحات وحمودة ومحمد وعبد الرحمن ويوسف واللونة وأمهم الحرة نفسة بنت فرحات للإحاطة والدهم السيد أحمد بن خوجة بيري بإرثه لجعفر المذكور بالولاء لا غير في علم ....."[3].

و في المقابل كان يوجد من الملاك من يقسم ميراثه من ثروات، وأملاك بين من اعتقهم من الأعلاج إن لم يكن له ورثته[4].ومن الأعلاج من كان يستمر في العيش في بيت سيده السابق بعد عتقه للسهر على خدمته، ومرافقته ؛حيث كان يحظى العلج هناك بحسن الاستقبال، و المعاملة عند عودته من مهامه العسكرية ،وفي أوقات راحته عندما كان ينتمي لطائفة الرياس –كما كان عليه الحال في أغلب الأحيان –أو إلى الجيش الإنكشاري[5].

=Barbarie 1626, introduction et annotation Gérard Van krieken, Entreprise Nationale d'ART graphique (ENAG Editions), Alger 2015, p.113

[1] ويذكر الأستاذ الباحث خليفة حماش عن هذا الموضوع انطلاقا من وثائق المحاكم الشرعية أن علاقة الولاء التي كانت تبقى قائمة بين السيد، ومعتقه بعد عتقه ينص عليها في رسم العتق الذي يحرر بالمحكمة الشرعية ، ويسلم للعبد دليلا على عتقه ،وتأتي تلك الصيغة بأسلوب يفيد بأن السيد قد رفع يد الملكية على عبده في كل جزء من شخصه ، وملكه إلا الحق المترتب له عليه بالعتق و هو الولاء .أنظر :خليفة حماش ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،إشراف أد فاطمة الزهراء قشي ،قسم التاريخ ، جامعة منتوري ،قسنطينة 1427هـ/ 2006 م ،ص 824

[2] الوثيقة رقم49، في العلبة 23، المصدر السابق

[3] المصدر نفسه

[4] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In :**R.A.**, T.14, 1870,p.497

[5] Ibid., p.513

وأصبح هؤلاء المسيحيين بإسلامهم أتراكا عثمانيين؛ فكانوا يزودون البحرية بالمهندسين والعمال البناءين للسفن،و معلمي النجارة، و السباكين، وقادة السفن ،والمهندسين ،و الحرفين من كل الاختصاصات[1].

وشكلوا غالبية عناصر طائفة الرياس ،وهذا ما ذهب إليه هايدو عند ذكره للتركيبة البشرية لطائفة رياس البحر ؛فذكر الأتراك العثمانيين والمسلمين من غير الأتراك العثمانيين من العنصر المحلي، والأندلسيين في حين أن الأغلبية كانوا من الأعلاج [2]؛ فكل الأعلاج تقريبا كانوا يجيدون عملا في أوساط البحرية الجزائرية[3].

و كانوا يشكلون قوة فعالة لدورهم في عمليات الجهاد البحري[4]؛ فقد كانت عودة هؤلاء إلى المدينة بالنصر المعنوي، والمادي على أعداء الإسلام يستدعي ابتهاج كل السكان فعودة السفن الجزائرية منتصرة، ومحملة بالغنائم كان السبب في اقامة الاحتفالات، و الأفراح و الولائم، وكانت مناسبة للتجار لشراء السلع، والأسرى الذين أحضروا ضمن الغنائم ؛فقد

[1] Ibid.,T15, p.42 voir aussi Corinne Chevalier, Op.cit., p.61

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In :**R.A.**, T.14, 1870, p.518

[3] E.Albertni et autres, Op.cit., p.217

[4] كما شكل رياس بحر الجزائر دعما قويا للأسطول العثماني في عملياته الجهادية وهذا ما يتضح من خلال مراسلات سلاطين الدولة العثمانية إلى حكام الجزائر لطلب إرسال أسطول الجزائر :"ان الأسطول الشهاني سوف يخرج بإذن الله تعالى إلى البحر في اوائل الربيع للتجول في مياه بحر الابيض المتوسط قصد الأمن ،والحماية ،وقصد ملاقاة أسطول الكفار الذي يقال عنه بانه سوف يخرج أيضا ولذا أمرت بما يلى عند الوصول بادروا الى تجهيز وتهيئة السفن التي سوف تغادر ميناء الجزائر للالتحاق بالأسطول الشاهاني الذي سيخرج الى البحر لتبقى معه حتى تقضى مهمته "أنظر: مهمة دفتري 44 حكم 112 بتاريخ 990 هـ وأنظر أيضا :مهمة دفتري 21 حكم 503 بتاريخ 21 /11 /980 هـ ، و مهمة دفتري 10 صحيفة 14حكم 16 بتاريخ 2 /1 /979 هـ ،و مهمة دفتري 24 صحيفة 5حكم13بتاريخ 16 /11 /981 هـ و أنظر أيضا: مهمة دفتري24 صحيفة 72حكم 198 بتاريخ 5 /981/12 هـ ،و نسجل أيضا من خلال هذه المراسلات طلب السلاطين العثمانيين من حكام الجزائر ايفاد أصحاب القدرات في مجال الإبحار من الجزائر للإفادة منهم في دار صناعة السفن بعاصمة الدولة العثمانية : " .....وإن كانت الفرصة مهيئة لإرسالهم فعليك بإرسال القدر الكافي من ذوي الكفاءات وأصحاب المهارات في علم البحار مع قائمة بأسمائهم كي يتم تسجيلهم في ترسخاتنا العامرة وإعطائهم علوفاتهم بمشيئة الله الأعز حال وصولهم....."أنظر:مهمة دفتري رقم16 حكم رقم 150بتاريخ 6/4 /979هـ في الأرشيف الوطني الجزائري ،وأنظر أيضا: مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 526بتاريخ 980/11/21هـ في الأرشيف الوطني =

كان الجميع يحظى بحصته من الغنائم[1]، و المكاسب من الحاكم، و إلى غاية عمال الميناء وفي نفس الوقت كانت فرصة لتجار مدينة الجزائر لبيع ما لديهم من سلع في متاجرهم من ملابس، وأطعمة للبحارة الذين يعودون من حملاتهم البحرية[2].

ولهذا نعم وتمتع رياس البحر من الأعلاج، وأعضاء الطائفة عامة بمكانة اجتماعية معتبرة فقد كانوا محبوبين لدى سكان مدينة الجزائر[3]؛إذ كان نشاطهم عاملا هاما من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية في المدينة ،ومنهم من تبوء السلطة في إيالة الجزائر،وبخاصة في فترة البايلربايات من أمثال علج علي (1568-1587م) [4]؛وقد اعتبر هايدو الأعلاج في أواخر القرن 16(10هـ) أكبر الأعداء الذين يمكن أن تبلى بهم الأمم المسيحية وفيهم تكمن تقريباكل السلطة والتأثير في إدارة الدولة، وثروة مدينة الجزائر، وكل إيالة الجزائر[5].

وقد وجدت في مدينة الجزائر عائلات كان جل أفرادها ينتسبون إلى طائفة الرياس وهو الأمر

=الجزائري و مهمة دفتري رقم14 صحيفة رقم 41حكم رقم 49بتاريخ غرة صفر979 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري علما أن هناك دراسات أكاديمية سعت لإبراز الدور الفعال لبحرية الجزائر في دعم الأسطول العثماني و من أبرز الأمثلة: دراسة الأستاذة الباحثة نعيمة بوحمشوش؛ و التي تتميز باستنادها إلى المصادر الغربية ،وكذا إلى وثائق الأرشيف العثماني مما سمح للباحثة بالوصول إلى نتائج هامة أنظر:نعيمة بوحمشوش مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف أد.ناصر الدين سعيدوني معهد التاريخ جامعة الجزائر،السنة الجامعية 1998-1999م

[1] حيث كان يقوم سكان مدينة الجزائر باستثمار أموالهم في عمليات الغزو البحري مقابل الحصول على أسهم من الغنائم المحصلة ،وهذا ما نستخلصه مما ورد في العديد من عقود المحاكم الشرعية ،ومن نماذج ذلك ما ورد في رسم تقسيم تركة:".....وحضوضا بسفن سيأتي ذكرها .....خروبتان اثنتان بسفينة محمد الصغير وخروبة واحدة بسفينة أوسطا يوسف....."أنظر: الوثيقة رقم 5 "تقسيم تركة الحاج قاسم عبيد الأندلسي من أثرياء مدينة الجزائر "،في العلبة 18 -1 تاريخها 1073هـ(1663م)،من سلسلة المحاكم الشرعية بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In :**R.A.,** T15,1871, p. 49

[3] Mercier,Op.cit.,tome 3 ,p.135

[4] والذي تمكن بفضل كفاءته ،وقدراته وتميزه أن يصل لتولى القيادة العليا للأسطول العثماني بعد دوره البارز في معركة ليبانت 1571م وقد أشاد السلطان العثماني سليم الثاني بجهوده، وكفاءته في حكم وجهه إلى إنكشارية جزائر الغرب ،وقادتهم: "بناء على شاهدتنا بما بذله قليج –علج علي لقب بالسيف علي-دام إقباله أمير أمراء جزائر الغرب السابق من بسالة ومشاركة حقة في أداء خدماتنا المبرورة في سبيل الغزو والجهاد في سبيل الله تعالي فقد استجلب بذلك مزيد من عنايتنا الملوكية واستحق بذلك تقليده قيادة الأسطول لدى بابنا المعلا إلى جانب إمرة ولاية الجزائر (البحر الأبيض المتوسط) كما فوضت إليه أيضا ولاية تونس....."أنظر: مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 571حكم رقم 1088بتاريخ 979/11/7هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[5] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In :**R.A.**, T.14, 1870, p.499

الذي نستدل عليه من عقود المحاكم الشرعية ومن النماذج على ذلك ما ورد في عقد شراكة وتقسيم تركة ؛حيث نستشف منه أن عائلات الرياس كانت تتصاهر فيما بينها بالإضافة إلى الثراء الذي حققه رياس البحر[1]؛وهو الأمر الذي يتضح من خلال طبيعة المخلفات فنجد إشارة في هذه الوثيقة إلى الأختين الشقيقتين وهما قامير ،وفاطمة بنتا القبطان سليمان رءيس وزوج الإبنة قامير علج من رياس البحر ،وهو المدعو علي رءيس بن عبد الله ،وزوج الابنة فاطمة كان أيضا من الرياس ؛وهو المدعو حسن رءيس عرف بالبشكيين،كما أن قادن وهي ابنة فاطمة وحسن رءيس المذكوران تزوجت بدورها رجلا من صفوف رياس البحر وقد ورد في إطار تركة القبطان سليمان رءيس التي اشتركت فيها ابنتيه ؛ثم في تركة الابنة فاطمة التي توفيت بدورها عن زوجها ،وابنتها وأختها المذكورين آنفا ذكر العديد من الأملاك العقارية والمنقولة من دور، وملحقاتها من إسطبل وعلوى وأسباب ،و حلي،وأواني النحاس[2] فضلا عن باقي الصداق المترتب على زوج فاطمة؛والذي تضمن العديد من الأمور من ملابس ومجوهرات غالية[3].

و هذه المكانة المتميزة التي كان تتمتع بها طائفة رياس البحر[4] أدت إلى بروز تنافس بينها وبين الجيش البري ؛أي الإنكشارية هذا التنافس الذي عملت بعض الدراسات الغربية ولاسيما الدراسات التاريخية الفرنسية خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر على تهويله وجعله صراعا دمويا طاحنا دون إعطاءها ،ولا مثال واحد عن مواجهة مباشرة ، أو اشتباك مسلح بين الطرفين حيث لا ننكر أن التنافس كان شديدا بين الطرفين ،وهو تنافس على السلطة؛ ومن تم السعي

[1] أنظر: نستدل عليه أيضا من خلال حكم صدر إلى أمير أمراء جزائر الغرب يأمره فيه بعدم تعرض، أو ممانعة أي شخص مسألة بيع الرئيس علي أحد الرؤساء الخاصة –خاصة رئيسلر– لأملاكه: بيته مع مشتملاته ،وكرمه، وحديقته، وأسراه وكل ما يتعلق به في الجزائر ....."أنظر : مهمة دفتري 7 صحيفة 481 حكم رقم 1389 بتاريخ 13 /11 /975 هـ (1568م)

[2] الوثيقة رقم19 "رسم شراكة و تقسيم تركة "،في العلبة 119–120تاريخها اواسط صفر الخير عام 1088هـ (1677م)من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] أنظر تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع في الفصل الأول من الباب الثالث

[4] حول طائفة رياس البحر،و تركيبتها البشرية ،والعسكرية تنظيماتها أدوارها ومهامها، وحول النشاط البحري للجزائر بصفة عامة خلال المرحلة المعنية بالدراسة يمكن العودة إلى :أرزقي شويتام ،دراسات ...،صص.41–62 نعيمة بوحمشوش ،الجيش البحري ،في الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها... ،صص.95–106 وأنظر أيضا الدراسة الأكاديمية الهامة الآتية :

Moulay Belhamissi,Marine et marins D'Alger (1518-1830),en trois tome, Bibliotheque Nationale D'Alger , Alger 1996

للإبقاء على امتيازاتهم ؛ولكنه لم يرقى للصدام العسكري بينهما والدليل تداولهم على السلطة وأبرز مثال على ذلك أنه عندما حدث فراغ سياسي في الحكم في نهاية عهد الأغاوات وعجز الإنكشارية عن إيجاد حل لذلك ؛فكل من رشحوه من صفوفهم لمنصب الآغا رفض خوفا من تعرضه للاغتيال [1]على غرار من سبقه تقدمت طائفة رياس البحر وحلت المشكلة بترشيح أحد رياس البحر من صفوفها ليتولى الحكم بلقب داي[2]؛وهو أول من دشن مرحلة الدايات وهو الداي الحاج محمد التريكي وبعد تداول 3 دايات من صفوف رياس البحر عاد الحاكم أي الداي ليختار من صفوف الجيش الإنكشاري مجددا ؛ ولم يكن ذلك أيضا نتيجة لمواجهة بين الطرفين كما نستخلصه من دراسة الأستاذة الباحثة عائشة غطاس ؛ولكن نتيجة الضغوط الخارجية التي واجهها الدايات الأوائل والتي أضعفت طائفة رياس البحر وسمحت للجند بالتدخل ثانية في الحياة السياسية[3].

و نستخلص من ذلك أن تداولهما على السلطة في واقع الأمر كان نتاج الظروف السائدة والوضعية الداخلية لكل منهما أكثر مما هو نتاج صراع، وتنافس بينهما على السلطة.

وتجدر الإشارة إلى أن أمارات هذا التنافس على السلطة قد برزت بوادره منذ عهد البايلربايات وتجسد في عدة مسائل نذكر من بينها :

1-رغبة الإنكشارية في حصص من الغنائم البحرية على غرار طائفة رياس البحر فحاول البايلرباي محمد بن صالح رايس حل الإشكال بدمج فرق من الجيش الإنكشاري في النشاط البحري

---

[1] Boyer, la révolution dite des Agas..., p.68

[2] في حين تذهب الأستاذة الباحثة عائشة غطاس في دراستها للنظم السياسية في ظل الحكم العثماني للجزائر للقول بأن ظروف انتقال السلطة من قادة الجيش البري إلى قادة الجيش البحري غير واضحة وأن تفسيرها محل خلاف بين المؤرخين؛ حيث ذهب فريق منهم إلى القول أن قادة الجيش الإنكشاري حينما أدركوا خطورة تأزم الوضع السياسي انسحبوا من الحكم لصالح طائفة رياس البحر في حين يذهب الفريق الثاني للقول أن طائفة رياس البحر اغتنمت اضطراب الأوضاع واستولت على السلطة أنظر: عائشة غطاس،النظم السياسية ...،صص.54-55 وأنظر أيضا: وليم سبنسر،رياس البحر،تعريب وتقديم عبد القادر زيادية ،د ار القصبة للنشر،الجزائر،2006 ،ص.89 ونعتقد أنه في كلا التفسيرين نتلمس الفراغ السياسي الذي حصل نتيجة اضطراب الوضع بعد اغتيال الحاج علي آغا آخر ممثلي حكم الأغاوات فراغ شغله مرشحوا طائفة رياس البحر ؛مما يمكن عده انتصارا لهم في إطار تنافسهم مع الجناح البري من الجيش وفي نفس الوقت دليلا على التكامل الذي كانا يشكلانه ولاسيما إذا أخذنا بما أورده الأستاذ الباحث محرز أمين في دراسته التي خصصها لمرحلة حكم الآغاوات في الجزائر؛ حيث أبرز أن اختيار الحاج محمد التريكي كأول داي يحكم الجزائر؛ قد تم بإتفاق بين طائفة رياس البحر والإنكشارية و إستند في ذلك إلى ما ورد في وثيقة من وثائق المحاكم الشرعية وهو كالآتي :" المنتصب بالبلد المذكور بأمر العسكر المنصور في مصالح البلاد والعباد وهو المعظم المرعي المفخم الناسك الآبر أبو عبد الله السيد الحاج محمد الدولاتلي بالبلد المسطور وقت التاريخ شهر التريكي" الوثيقة رقم 14 في العلبة 45-1 انظر :الجزائر في عهد الآغاوات(1659 -1671)،دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013،ص.136

[3] المرجع نفسه ،ص.54

لكن هذا الحل لم يضع حد نهائيا للتنافس بينهما[1].

2-موقف الجيش الإنكشاري من بعض الحكام البايلربايات الذين كانوا يختارون من صفوف طائفة الرياس وإثارتهم لمخاوف السلطان العثماني حول نوايا هؤلاء البايلربايات بالتمرد على سلطته ونخص بالذكر موقفهم من البايلرباي حسن بن خير الدين خلال عهدة حكمه الثانية والذي أرسلوه مكبلا بالأغلال إلى حضرة السلطان العثماني [2] وكذا موقفهم من البايلرباي علج علي[3].

3-محاولتهم الاستيلاء على مقاليد السلطة بعد وفاة البايلرباي صالح رايس سنة 963هـ-1556 م حيث قام الإنكشارية باختيار حسن قورصو خليفة له وعندما أرسل السلطان العثماني محمد تاكرلي البيلرباي الجديد الذي عين لخلافة صالح رايس لم يرغب حسن قورصو في استقباله ومنحه السلطة ؛ولكن تمكن محمد تاكرلي بالاستناد إلى طائفة رياس البحر من دخول مدينة الجزائر ،واستلام السلطة بعد قضاءه على حسن قورصو وأتباعه أو أنصاره ،وقتلهم ولكن سرعان ما انتقم بقية أنصاره لمقتله حيث تمكن المدعو يوسف قائد تلمسان من قتله ،وأنتخب هذا الأخير حاكما من طرف الإنكشارية لكن سرعان مات من جراء وباء الطاعون، وحينها اختير القائد يحي ليخلفه، وليحاول إعادة الأمن للمدينة قبل أن يتدارك السلطان العثماني الأمر ويرسل الحسن بن خير الدين بيلرباي على الجزائر للمرة الثانية[4].

وسوف يستمر هذا التنافس خلال المراحل اللاحقة ولكن لابد من أن نذكر أن هذا التنافس لم يمنع من وجود نوع من التكامل بين طائفة رياس البحر والجيش الإنكشاري[5]؛ ففي الوقت الذي كان دور الجيش البري يكمن في الدفاع عن البلاد ،وتأمين حدوده والعمل على الحفاظ على الأمن،و الاستقرار الداخلي من خلال إخماد التمردات ،والمساهمة في جباية الضرائب؛ فإن

---

[1] HAEDO, (F.D), Historie des rois .., p.133-134

[2] Ibid., pp.122-123

[3] Ibid., p.145

[4] Ibid.,pp.99 voir aussi عمار بن خروف، العلاقات السياسية...،الطبعة الثانية 2016 ،الجزء الأول ص.122 114- 103 .

[5] حول هذه الرأي أنظر:

أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته...، 165 ،وأنظر أيضا محمد خير فارس تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ،مطابع ألف باء الأديب ،دمشق1969 ص.96

طائفة رياس البحر كانت توفر جزءا من مرتبات الجنود بفضل مردود الغنائم البحرية التي كانت تساهم في تزويد خزينة الدولة بالأموال ،ونضيف مساهمتها الفعالة في توفير الحماية؛ وكذا الدفاع عن المناطق الساحلية ،وعن فعالية الحمالات البحرية التي كانت تقوم بها طائفة رياس البحر في إطار الغزو البحري ذكر هايدو أنهم كانوا يبحرون خلال فصل الشتاء والربيع دون أي خوف وكأنهم ذاهبون بكل بساطة لاصطياد الأرانب ،وكانوا يقطعون المتوسط من شروق الشمس إلى غروبها وهم يسخرون من غيلوطتنا {سفننا} التي كان بحارتها في هذه الأثناء يمرحون ويلهون ويتلهون بالطعام في الموانئ المسيحية[1].

وهذا ما يؤكده مصدر آخر في القرن 11 هـ(17 م) عند إحصاءه للقوات العسكرية وعدد المقاتلين الفعليين المتواجدين في مدينة الجزائر في إطار التحضير لمشروع يستهدف احتلالها ؛حيث ذكر أنه كان يوجد بالمدينة ضمن قواتها أربعة ألاف رياس بحر[2] والذين وصفهم بالرجال الشجعان ذوي البأس والإقدام ومن القوات التي يعول عليها كثيرا للدفاع عن المدينة في حالة تعرضها للخطر[3].

وجنود فرق إنكشارية الجزائر بما فيهم المجندين من صفوف الأعلاج كانوا يعتبرون بدورهم من أفضل الجنود شجاعة، وتنظيما في ميدان الحرب[4]،وهذا ما ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م) عند حديثه عن مشاركتهم في حرب مالطة؛ حيث قال:" ....في شهر مارس 1565م وصلت البايلرباي الحسن بن خير الدين رسائل جديدة من السلطان العثماني الذي دعاه إلى أن ينطلق إلى مالطة في شهر ماي وبالنتيجة انطلق في وسط هذا الشهر ب 28 غيلوطة، وسفينة مزودة تزويدا جيدا بالجنود والأسلحة والذخيرة، وترك بقية الأسطول في ميناء مدينة الجزائر وكان أسطول السفن المغادرة يحمل ثلاثة ألاف رجل، وهي فرق مختارة من الجنود

[1] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871,p.45

[2] المصدر ذكر مصطلح قرصان وسيتم مناقشة هذا المصطلح فيما يلي من هذا الفصل

[3] Projet pour l'entreprise, Op.cit., p.2

[4] ويبرز حكم سلطاني ورد ضمن مجموعة مراسلات دفاتر مهمة الدور الفعال الذي أداه جند الجزائر وعساكرها في تحرير تونس ودورهم في المرابطة في حلق الوادي وحرص أعلى السلطات على تزويدهم بما يحتاجون إليه من خيم وغيرها ليتمكنوا من أداء مهامهم على أكمل وجه أنظر : مهمة دفتري24 صحيفة107 حكم 293 بتاريخ981/12/20 هـ(1574م) بالأرشيف الوطني الجزائري

القدماء أصحاب الخبرة، والتجربة، فلم يعد نصف الثلاثة ألاف من الإنكشارية إلى مدينة الجزائر؛ حيث ظلوا مرابطين في حصار حصن سانت ايلما؛ لأن أتراك، و أعلاج مدينة الجزائر كانوا يمثلون فرق الجيش الأكثر شجاعة و إقداما وبسالة، و الأفضل تنظيما التي يملكها السلطان العثماني في كل إمبراطوريته وقد استخدمهم مصطفي باشا القائد الأعلى للجيش العثماني البري بشكل كبير في هذه الحرب ،وخاصة في المناسبات الأكثر خطورة[1].

و ما ورد في مراسلات السلاطين العثمانيين لولاة الجزائر يؤكد ما ذكره هايدو حيث أشادت هذه المراسلات بالجهود التي يبدلها جيش الجزائر النظامي[2]في الحفاظ على الأمن الداخلي، وإخماد التمردات ،ورد الأخطار الخارجية ،والمساهمة الفعالة في دعم ونصرة الدولة العثمانية[3]،وقوله بأن جنود الجزائر يعتبرون قدوة لبقية جنود الدولة العثمانية ،وضرورة مكافئتهم على هذه الجهود ،و من نماذج هذه المراسلات نذكر :

".....رسالة إلى حضرتي الشاهانية يقول فيها أن الجند المظفر الموجود في ولاية الجزائر .....الذين هم عبيدي قدموا جميعا أحسن الخدمات وأخلص الجندية سواء كانت خدمات في الحروب الواقعة مع العدو وفي إصلاح المتمردين من الأعراب، أو في الحروب الواقعة مع العدو الكافر في البحار ونالوا الإحسانات الشاهانية مقابل ذلك وبما أن المطلوب والمرغوب

---

[1] HAEDO, (F.D), Histoire des rois..., p.130

[2] وقد ذكرنا هنا النظاميين والمقصود بهم الجيش الإنكشاري؛ حيث نستدل من خلال ما ورد في عدة مراسلات من مجموعة دفاتر مهمة وجود قوات مساعدة للجيش الإنكشاري والمجندة من صفوف القبائل المحلية وعلى وجه التحديد ما عرف بالقبائل المخزنية، وفرسان الصبايحية بالإضافة إلى فرق الزواوة المشار إليها آنفا؛ والتي لم يقتصر دورها على دعم الجيش على المستوى الداخلي؛ فساهمت إلى جانب الجيش النظامي في مساندة الدولة العثمانية في حمالاتها كتحرير تونس على سبيل المثال ؛حيث وردت مراسلة تؤكد أهمية إعداد وتواجد عساكر جزائر الغرب في هذه المهمة وبناء عليه تأمر بتجهيز عدد من الفرسان، والمشاة مع ذكر المناطق ،والعدد الواجب تجنيده منها ومن خلال القائمة نستدل على وجود مجندين نظاميين مثلا:"مائة فارس من آغاوات المتفرقة {كذا} ومن قادة البلوكباشتيري....وألف من الإنكشارية الأكفاء المسلحين ببنادقهم "وجنود مساعدين :"....وثمانين فارس من بسكرة وستين فارس من بلد عباس ....."أنظر: مهمة دفتري 24 حكم 246 بتاريخ 981/12/14 هـ(1574م) في العلبة بالأرشيف الوطني الجزائري

[3] ويذهب الأستاذ الباحث أرزقي شويتام إلى محاولة تفسير نجاعة، وفاعلية الجيش الإنكشاري في الجزائر في العهود الأولى من الحكم العثماني ،وهي محل دراستنا ومقارنتها مع الفترات اللاحقة ؛حيث ذكر أن مهمة الجنود الأساسية في هذه العهود من الحكم العثماني كانت تتمثل في الدفاع عن البلد بوازع ديني بحت مما مكنهم من تحقيق عدة انتصارات والتصدي لجميع الغارات الخارجية إلا أنه مع مرور الوقت انحرف الجنود عن مهامهم الجوهرية وحل محل الدافع الديني الدافع المادي=

في هذا الميدان أن يكون هؤلاء اسوة لغيرهم من الجنود والعساكر ....."[1].

وهذا ما نستخلصه من حكم آخر أشار إلى إشادة البايلرباي علج علي بإنكشارية الجزائر، وجندها مما دفع بالسلطان العثماني سليم الثاني لمكافئتهم :

".....وحيث أن المشار إليه{علج علي } قدم إلى بابنا المعلا وأعرب عن حسن اتفاقكم واتحادكم وتظافركم مع قائدكم وبذل قدارتكم في خدمة الدين المبين ودولتي الأبدية الملوكية نظرا لإشادته بكفاءاتكم العالية فقد تم الإنعام من جانب بابنا المعلا على غلمان الجزائر .....كما وأثنى المشار إليه على بسالتكم وكفاءتكم أيضا وهذا هو المأمول....."[2].

و من جانب أخر كان الباب العالي لا يتوانى في التدخل لصالح سكان مدينة الجزائر في حالة وصول شكاوي تصف تجاوزات قام بها الإنكشارية تجاه أهالي المدينة وذلك ما يتضح لنا من خلال حكم وجه إلى أمير أمراء جزائر الغرب ،وإلى قاضيها يقضي بإجراء تحقيق في اعتداء العسكر على سكان الجزائر ومما جاء فيه:

"وردتنا أنباء عن العداء القائم بين سكان المدن وبين طائفة الإنكشاريين ومن ذلك أن الطرفين يتهجمون ويشتمون بعضهم البعض ،حتى أن الإنكشاريين يهددون بقتل أو قطع يد كل من يحتك بهم أثناء مشيهم وأن تلك الأوضاع والأطوار مناقضة للشرع الشريف ،ولقد سمعنا بقتل وتشتيت شمل العديد من الرعايا دون ذنب مقترف من خلال مثل هذه العصبيات .....وإن ممارسة الظلم والتعدي على أي فرد خلافا للشرع والقانون في ظل عدالتنا لن يقابل برضانا....."[3].

=إذ أصبحوا يولون هذا الجانب اهتماما متزايد، والدليل إقدامهم على عزل أو اغتيال الدايات إن تأخروا عن دفع رواتبهم أو المساس بمصالحهم ،وامتيازاتهم فضلا عن اهتمامهم بالحياة السياسية . أنظر أرزقي شويتام ،دراسات..."، ص.35

[1] مهمة دفتري 46 حكم 326 بتاريخ990 هـ(1582م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] مهمة دفتري 12 حكم 1088 ،المصدر السابق

[3] حكم إلى أمير أمراء وإلى قاضي جزائر الغرب مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 228 حكم رقم 532 بتاريخ 3/13/ 985 هـ (1577 م)في مركز الأرشيف الوطني الجزائري ،ونجد نسخة من هذا الحكم منشورة ضمن ملاحق دراسة مصطفى أحمد بن حموش المدينة والسلطة ..."،ضمن قائمة الملاحق

و ما سبق دليل على أنه وجدت تجاوزات من طرف الإنكشارية في حق سكان مدينة الجزائر وهو الأمر الذي حرصت المصادر الغربية [1]على إبرازه بشدة بل وتهويله –كما سبق ذكره– ولكنها في المقابل لم تشر لمسألة حرص السلطات العليا العثمانية على محاسبة، ومعاقبة مرتكبي هذه التجاوزات من الإنكشارية كما ورد في نص هذا الحكم؛ حيث تم التشديد فيه على ضرورة الامتثال للشرع ،والعمل على تطبيقه من خلال إنصاف كل من تعرض للاعتداء والتهجم سابقا–أي قبل صدور هذا الحكم "الأثر الرجعي"–وعدم التسامح في المستقبل مع أي أحد يتصرف خلافا للشرع ،والقانون[2].

كما نص حكم آخر وجه إلى أمير أمراء جزائر الغرب وإلى قاضيها[3] على ضرورة إلقاء القبض على المفسدين، و المتسببين في الاضطراب سواء كانوا من أهل الديوان–ديوان الجند– أو من طائفة أخري[4] ؛وإذ تبين فسادهم ، وضلالهم فيجب إرسالهم مكبلين بالقيود ،وقد جاء هذا الحكم بعد وصول أخبار حدوث تجاوزات[5] إلى مسامع السلطان العثماني، وهذا ما

---

[1] و يذكر هايدو في هذا الصدد أنه إذ قام أي شخص من غير الإنكشارية بلكم إنكشاري –في إطار خلاف – و بدفعه فقط، أو بإبعاده قليلا عنه بوضع يده على صدر الإنكشاري، أو على ذراعه ؛فإن عقوبته قطع يده أما في حالة قتله للإنكشاري؛ فإن عقوبته الحرق، أو تحطيم عظامه بضربات المطرقة .....إلخ .أنظر :

HAEDO, (F.D)« Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.14,1870, pp.516-517

[2] حكم إلى أمير أمراء وإلى قاضي جزائر الغرب مهمة دفتري رقم ،30 حكم رقم 532 ،المصدر سابق

[3] مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 180 حكم 422، بتاريخ 3/5/ 985 هـ(1577 م)، في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] ويبدو أن هدف السلاطين من التدخل بحزم لوضع حد لتجاوزات الإنكشارية عند حدوثها هو الحفاظ على وحدة الجبهة الداخلية، واستقرار أوضاع المجتمع وإخماد فتيل أي نزاعات بين أفراده، وهذا ما نستخلصه أيضا مما ورد في أحد الأحكام:....."أن بعض الإنكشاريين قد أحدثوا فساد في ولاية الجزائر .....بالتعاون مع بعض المفسدين عند وصول أمري اليك اعمل لقمع الفساد ومعاقبة المفسدين حتى لا يتجرء أحد على مخالفة القوانين وإثارة الفتن بين الرعية ولاتتهاون أمام مثلى هذه الحوادث والأعمال "أنظر : مهمة دفتري 48 حكم 44 بتاريخ 990 هـ(1582 م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[5] ويبدو أن حرص السلطات العليا العثمانية على عدم قيام الانكشارية بتجاوزات تمس بالنظام العام أو تهدد الأمن الداخلي وضبط سيرتهم لم يقتصر على الجزائر كما نتلمس أيضا حرصهم على تعين قادة الجيش بناء على معيار الكفاءة والاستحقاق لتجنب أي تجاوزات :"حكم إلى أمير أمراء طرابلس الغرب .....وأن أمير الأمراء المشار اليه لا يعين الآغاوات والكتخداوية على الانكشارية بموجب كفاءتهم واستحقاقهم وقد ترتب عن ذلك اختلال صفوفهم .....ومن بعد يجب تعيين آغاوات و كتخداوية الانكشاريين من بين صفوفهم وعن جدارة واستحقاق.....فيجب عليك إعادة تنظيم العساكر ووضع نظام جديد متوخيا في ذلك الابتعاد عن كل ما يبعث على الاختلال وبعد ذلك كله=

نستخلصه من فحوى هذا الأخير؛ حيث ورد فيه عن ذلك ما يلي :

".... بلغتنا أنباء عن ظهور فئة من المفسدين في جزائر الغرب وعلمنا بأنهم يحاولون التصدي لتنفيذ الأحكام الشرعية بالإضافة إلى محاولة إضلال وإغراء العساكر هناك.....حال وصول الحكم ينبغي إلقاء القبض على هذه الشرذمة سواء كانت من بين أهل الديوان ومن أي طائفة أخرى وفيما إذ تبين لكم فسادهم وضلالهم فيجب إرسالهم مكبلين بالأصفاد....."[1].

وقد عمد السلاطين العثمانيين إلى محاولات إجاد حلول لتجاوزات الإنكشارية في الجزائر ،وضمان استقرار الجيش لما له من انعكاسات على أمن السكان ،وصيرورة حياتهم اليومية الاجتماعية وهذا ما نتلمسه، ونستخلصه من خلال مراسلات وجهت من السلاطين العثمانيين إلى حكام الجزائر ،والتي تضمنت اتخاذ عدة إجراءات ومن أبرزها:

1-تمديد فترة تولى منصب الأغاوية وربط هذه المدة بمدى التزام وكفاءة الأغا:

" علمنا من انكشاري جزائر الغرب الذين جاءوا إلى سدة سعادتنا بتبديل البلوكباشي والاوذاباشي الذين هم تحت امرتهم وكذلك بتبديل سائر الانكشاريين كل ثلاث أو أربع أشهر واعربوا عن الاختلال الذي دب بين صفوفهم من جراء ذلك وعليه فقد أمرنا بعدم تغير الأغاوات طالما ظلوا مراعين للآداب ولم يبدوا من الأطوار ما يبعث على عزلهم ويمكن إبقاءهم في مناصبهم -في الخدمة - عشرة أعوام دون ابدالهم ....."[12].

2-إصدار الأوامر بعزل،و معاقبة كل من يتسبب في إحداث الفوضى والإضطراب واستغلال نفوذه[3]، و لا يلتزم بمتطلبات رتبته ؛وإن كان من الآغاوات:".....كما أشاروا إلى وجود عدد من المفسدين من تبتث إدانتهم وقطعت رواتبهم فيجب عدم إجراء رواتب هذه

---

[2] =كله.....ذاكرا أيضا الطريقة التي أرسيت بها قواعد نظام الجيش."أنظر: مهمة دفتري 18 صحيفة 146 حكم 306 بتاريخ 21/ 979/10هـ(1572 م)

[1] مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 180 حكم 422

[2] مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 228 حكم رقم 532 بتاريخ 985/3/13 هـ(1577 م)، في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] وكذلك من خلال التدخل لوضع حد لأي خلاف، أو نزاع يقوم بين طوائف ووحدات الجيش المختلفة مما يهدد باختلال النظام العسكري أنظر: مهمة دفتري 18 صحيفة 146 حكم 306 بتاريخ 21/ 979/10هـ(1572م)أنظر أيضا مهمة دفتري رقم 43الحكم 125 بتاريخ 988 هـ(1580م) في الأرشيف الوطني الجزائري

الفئة وعدم الحاقها بزمرة الانكشاريين[1] لاسيما أنهم يدعون بحضورهم إلى بابنا المعلى والعودة بأوامر شريفة للإعادة رواتبهم ....."[2].

3 –وجوب امتثال الإنكشارية إلى أصحاب الخبرة، والمشورة من شيوخهم،ووجوب تحليهم بالأخلاق والأدب في تعاملاتهم:

".....بلغتنا أنباء عن عدم إصغاء بعض الإنكشاريين إلى أقوال آغواتهم وشيوخهم لدى مناقشة بعض الأمور المهمة في تلك الديار كما أنهم يتفوهون بكلمات تخرج عن حدود الأدب وعليه فقد أمرنا .....إذا وقع ثمة أمر خطير فينبغي على كل منهم القيام بالتدابير والاحتياطات اللازمة [3]كما ينبغي لهم الإصغاء إلى شيوخهم المدبرين والا يتفوهوا بأي كلمة نابية في الديوان ويجب عليهم التحلي باللياقة والأدب"[4].

4 –منح علاوات ومكافآت للإنكشارية [5]ولكن نظير الجهود ،والخدمات التي يقدمونها في فتح المناطق وتحريرها ،وتأمين البلاد :".....وبصفتك أمير أمراء جزائر الغرب فإذا جاء عبيدنا الانكشاريون يطلبون منحهم علاوات لهم اثر دخولك إلى هناك فعليك استدعاء اغواتهم

---

[1] وقد ورد حكم آخر حول نفس هذا الموضوع بصيغة أخرى مشابهة مع بعض الاختلافات كما يلي:"....كما علمنا بوجود فئة من الآغاوات ممن ثبتت إدانتهم بالفساد والضلال قطعت رواتبهم يدعون بأنهم حضروا إلى بابنا المعلا ورجعوا بأوامر شريفة تنص على اعادة رواتبهم فلا يجب اجراء رواتب هذه الفئة كما يجب الحاقها بزمرة الانكشاريين ....."أي يفهم هنا أن عقوبتهم تتمثل في حرمانهم من رواتبهم ،وتجريدهم من رتبهم مع إبقائهم كجنود وهو عكس ما ذكر في الحكم أعلاه من استبعادهم كلية من الجيش....." مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 199 حكم رقم 471 بتاريخ 985/3/5 ونميل إلى الصيغة أعلاه لأن قطع رواتبهم يتماشى مع استبعادهم نهائيا من الجيش.

[2] مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 183 حكم رقم 430 بتاريخ 985/3/5 (1577م) في الأرشيف السوطني الجزائري

[3] وقد ورد حكم آخر حول نفس هذا الموضوع بصيغة أخرى مشابهة مع بعض الاختلافات ما يلي :" كما يجب على الإنكشاريين الإصغاء إلى شيوخهم القادرين و المدبرين والامتثال إلى أوامرهم فيما إذا وقع حدث خطير كما يجب عدم السماح بالتصرف الفردي ويجب عليهم أيضا التحلي بالأدب وعدم التفوه بكلمات نابية في الديوان ....."،أنظر المصدر نفسه ،ونستخلص مما ورد بهذه الصيغة حرص السلطات العثمانية العليا على وحدة صف الجيش ،واعتماد مبدأ المشورة والأخذ برأي أصحاب الخبرة، والحكمة من القادة ،والشيوخ .

[4] مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 223 حكم رقم 517 بتاريخ 985/3/13 هـ(1577م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[5] وهذا ما نستخلصه من حكم أخر مفاده العمل على إكرام الجنود والعساكر التابعة للولاية والإحسان إليهم وتوزيع العطاءات بالعدل عليهم على أساس الترقية والأقدمية أنظر : مهمة دفتري رقم 46 حكم رقم 326 بتاريخ 990 هـ (1582 م) في الأرشيف الوطني الجزائري

وابلاغهم أنه فيما إذا تيسر فتح ولاية ما بعناية الحق إنشاء الله تعالى فإن كل من سيبلى ويقدم جهوده في سبيل الخدمات الهاميونية سيكافئ بمنح علاوات[1] بناء على ذلك حسب استحقاقه ...."[2].

و ربط السلاطين العثمانيين حسن أداء الجيش الإنكشاري بمدى تمكن الحاكم من استمالتهم وكسب ولاءهم وودهم [3]كما نسجل أن دورهم الجوهري كان يكمن في الدفاع عن الدين والبلاد، وحماية، وتأمين سكانها مما ينعكس إيجابيا على حياتهم الاجتماعية وهو الدور ؛الذي ركزت عليه معظم مراسلاتهم- التي تتطرق إلى موضوع الجيش الإنكشاري -إلى ولاة الجزائر إلى جانب لفت انتباههم إلى ضرورة سهرهم على منع الإنكشارية من ارتكاب المخالفات، والتجاوزات ".....عند وصول أمري إليك بادر الى إكرام كل واحد منهم فردا فردا والاحسان اليه واجلبهم نحوك حتى يطيعوك وينقادوا لأوامرك[4] في الدفاع عن الدين والبلاد والحراسة عن مصلحة{كذا} العباد

---

[1]وقد ورد حكم آخر حول نفس هذا الموضوع بصيغة أخرى مشابهة مع بعض الاختلافات الآتية:".....لقد دأبنا على مكافئة عبيدنا الإنكشاريين المرابطين في تلك الديار الجليلة الإعتبار واثر مشاركتهم في الخدمات الهمايونية وكنا نمنحهم عوطفنا العلية الكراونية علاوات حسب إستحقاقهم ..... فإذا جاء بعض عبيدنا الانكشاريون يطلبون.منحهم علاوات فعليك إستدعاء اغواتهم وابلاغهم أنه فيما إذا تيسر فتح ولاية مابعناية الحق جلا وعلا فإنه سيتم الإنعام بعلاوات على المستحقين ممن أبلوا وشاركوا في الخدمات الهاميونية ،المقرونه بالنصر انشاء الله وذلك من أجل تسلية ومواساة طائفة الجند...."أنظر: مهمة دفتري رقم 30 حكم رقم 517 ،المصدر السابق

[2] مهمة دفتري رقم 30 حكم رقم 430،المصدر السابق

[3]ويؤكد ذلك أيضا ماورد في حكم وجه إلى حسن بن خير الدين لإعلامه بتعينه أمير أمراء جزائر الغرب :"حال وصوله عليك بعدم التأخر والتباطؤ ساعة أولحظة للوصول للولاية المذكورة وتوحيد كلمتك ووجهتك مع أمرائها وعساكرها الموجودين من أجل حفظها وحراستها فأظهر أنواع إقدامك وإهتمامك في سبيل ذلك وإن كافة امور تلك الولاية منوطة برأيك الصائب .....أنظر : مهمة دفتري رقم 16 صحيفة 313حكم 555 بتاريخ 979/6/11هـ(1572م) في الأرشيف الوطني الجزائري ومن جانب آخر نجد أحكام وردت إلى الجيش الإنكشاري في الجزائر تحثهم على الالتفاف حول الحاكم ونصرته وإعانته ؛وأن من يشهد له الحاكم بالكفاءة من الجنود ستتم مكافأته :"حكم .....و إنكشارية جزائر الغرب .....كما ونعرفكم بأنه تم تفويض ولاية الجزائر إلى أحمد باشا.....و أمرت حال وصول المشار إليه طرفكم عليكم بحسن الاتفاق والاتحاد معه والعمل بأوامره والاجتهاد في تعظيمه وتكريمه كما تعودتم دائما وعليكم بالجد والسعي للمحافظة على الولاية المذكورة وصيانة عرض وناموس الدين المحمدي المبين.....كل من سيشهد له من طرف المشار إليه ببسالته وكفاءته منكم لدى سعادتنا فسيكون محط رعايتنا.....وستجزون حسب مراتبكم وبموجب ذلك عليكم ببذل مقدوركم في سبيل حفظ وحراسة تلك الديار الجليلة الاعتبار....."أنظر: مهمة دفتري رقم 12 حكم رقم 1088، المصدر السابق

[4] و هو نفس الأمر الذي نستخلصه من حكم آخر:".....والعمل على الإتحاد مع الأمراء والمشايخ والعساكر وإحسان معاشرتهم ومودتهم ...."أنظر:مهمة دفتري رقم 21 صحيفة 627حكم رقم 640 بتاريخ 980/12/16 هـ

والبلاد ورعاية وحفظ الثغور والدور ولا تدعهم يرتكبون أخطاء قد تكون مخالفة لقواعد الدين الحنيف وأوامري الشاهانية ثم حاول ان توزع العطاءات بينهم بالقسط والعدل وكل على أساس رتبته واقدميته في الخدمة....."[1].

و نستخلص في ختام هذا الفصل مما سبق ذكره أن العثمانيين في مدينة الجزائر كانوا من أصول، وأجناس مختلفة اللسان والعرف، والجغرافية، ولكنها كانت تتفق في الولاء للإسلام و السلطان العثماني أي رابطة الخلافة العثمانية[2]؛فمنهم من كان ذو أصول تركية قحة و منهم من كان ذو أصول بلغاريا، والبانية، وتشيكية وايطالية، وكورسكية ،وكريتية[3] و حتى عربية مثل أحمد أعراب باشا ،و صالح رايس وهما من أصول مصرية، وغيرها.

و تواجد الأتراك العثمانيون في كل القطاعات النشيطة،وكانوا معفيين من كل إتاوة أو ضريبة وهنا نخص بالذكر أفراد الجيش الانكشاري[4] متمتعين بامتيازات شرفية، وعلى وجه العموم فقد كانوا يمارسون ،و يتولون وظائف هامة في الجيش وطائفة الرياس، وكانوا يشكلون عمليا مجمل الموظفين في الوظائف المدنية الإدارية[5]؛فكانت السلطة، والسيادة منحصرة لدى هذه الجماعة الموحدة والمنسجمة،والشديدة الارتباط الممثلة للقوة العسكرية ،والسلطة السياسية والإدارية ؛فمنهم الباشاوات ،والبايات ،و أعضاء الديوان.

و قد وصفتهم العديد من المصادر وبخاصة الغربية منها بأنهم كانوا متعالين مزهوين بأنفسهم

---

[1] مهمة دفتري 46 حكم 326،المصدر السابق

[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،الجزء الأول، ص.133

[3] Mouloud Gaïd, Op.cit., p.198

[4] الإعفاء من الضرائب إعفاء تاما ،وحق شراء المواد الغذائية بسعر أقل بنسبة 3/1 السعر الرسمي أنظر جميلة معاشي،مرجع سابق،ص.33 في حين أنه نجد من خلال مجموعة الدفاتر المهمة مراسلة تنص على ضرورة أن يقوم القياد وأتباعهم بشراء ما يحتاجونه من زاد ومؤنة بأموالهم الخاصة ولا يأخذوه بالمجان من الأهالي وكذلك فرض دفع ضريبة العشور على المنتسبين للجيش الإنكشاري كغيرهم من ملاك المزارع:"..... ولا تسمح للقياد.....وكذلك الا يأخذوا زادهم وزوادتهم مجانا من أهاليها وأن يشتروا ما يحتاجونه من أموالهم الخاصة ورضى البائعين ولا يجوز إعفاء العساكر الذين يتصرفون بمزارع ويحصلون رواتب في نفس الوقت من دفع أعشار مزارعهم.....و يجب عليك بحساب الأعشار المترتبة على كل من يحوز مزرعة سواء كان من العساكر أو من الآغاوات أو من المحليين كما يجب القيام بحساب رواتبهم وفيما إذا كانت أعشارهم لا تزيد على رواتبهم وفي حالة رضاهم يمكنك أن تتقاضى أعشارهم من رواتبهم وفي هذه الحالة ينبغي تسجيل ذلك في الدفتر وبعدتحصيل أعشارهم فلا يجوز مطالبتهم بشيء زيادة على ذلك خلافا للشرع والقانون....."أنظر: مهمة دفتري 24 صحيفة 87 حكم 233 بتاريخ 14/ 12 /981هـ(1574م) بالأرشيف الوطني الجزائري

[5] Gramaye,Op.cit., p.107

ويحتقرون بقية سكان مدينة الجزائر من الأهالي، ولكن الفترة المعنية بالدراسة هنا قد شهدت زواج عدد من أعضاء هذه المجموعة، ودخولهم في مصاهرات مع سكان مدينة الجزائر لاسيما من البلدية ،والأندلسيين؛ فكانت جماعة الكراغلة نتاجا لهذه الزيجات ،ودليلا على احتكاكهم بالسكان فضلا عن مساهماتهم في الحياة الاقتصادية من خلال ممارستهم لأنشطة حرفية وتجارية كما سبق ذكره ومن ثم تواصلهم مع بقية العناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر.

كما أنهم ساهموا في إثراء الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر من خلال نشر بعض عاداتهم وتقاليدهم لاسيما في مجال الملابس، والمأكولات،والفن المعماري[1]، وكذا في مجال الموسيقى،والخط كما أنهم أثروا أيضا في الحياة الدينية التي لم يكن في الإمكان فصلها عن الحياة الاجتماعية لكونهاكانت مصدرا لعادات،وتقاليد المجتمع،و لتنظيم المعاملات في أوساطه؛فأدخلوا المذهب الحنفي إلى الجزائر[2].كما جاءوا معهم بطرق صوفية لم تكن معروفة من قبل أو لم تكن منتشرة في أوساط السكان[3].

و شارك العثمانيون أيضا بتطوير الروابط الثقافية، والاجتماعية بين مدينة الجزائر والأجزاء الشرقية للدولة العثمانية؛ أي أدوا دورا لا يستهان به في ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع

[1] ويبدو أن تأثير العثمانيين في المجتمع كان يمكن أن يكتسي أشكالا أكثر تنوعا وبصورة أقوى،و أكثر ديمومة في حالة تسجيل تواجد معتبر للنساء التركيات العثمانيات بمدينة الجزائر ؛حيث تشكل المرأة أهم واسطة لنقل العادات والتقاليد وضمان رسوخها و استمراريتها و هذا لا يعني الغياب التام للمرأة التركية العثمانية ،حيث نستدل على وجودها من المصادر الغربية فهايدو مثلا يستعمل عبارة" المرأة التركية"، ومن خلال الوثائق المحلية كسلسلة المحاكم الشرعية ومن نماذج ذلك عقد تقسيم تركة يشير إلى زوجة المتوفي "إير التركية "ومن خلال نفس العقد نستدل على زواج هذه النساء التركيات بالأتراك العثمانيين؛ أي لا نجد إشارة لزواجهن مع العنصر المحلي الأمر الذي جعل تأثيرهن على الجانب الاجتماعي ينحصر في دائرة ضيقة بالإضافة طبعا لقلة عددهن. أنظر : الوثيقة رقم 3 في العلبة 27 -2 مصدر سابق وفي هذا الصدد نجد أن الأستاذ الباحث أرزقي شويتام كان سباقا في استخلاص ذلك في دراسته المعنونة بـ: المؤثرات اللغوية الأجنبية في اللغة العربية في الجزائر: العثمانية والفرنسية أنموذجا، **في أهمية العمل الجواري لترقية استعمال اللغة العربية**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010 ؛حيث يرجع ضعف التأثير العثماني وعدم ديمومته في الميدان الاجتماعي عموما، ومجال اللغة خصوصا إلى ضعف تواجد العنصر النسوي التركي العثماني في مدينة الجزائر.

[2] للتوسع حول ذلك راجع الفصل الثالث من الباب الثالث في هذه الدراسة.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول، ص.143

الشرقي[1].بفضل ما جاءوا به كما سبق القول من عادات ،و تقاليد في ميادين شتى، كما أنهم بدورهم تأثروا بالعادات ،والتقاليد المحلية لاسيما في مجال الملابس و المأكولات[2]، وغيرها من الميادين.

كما أنهم ساهموا في تعزيز العلاقات الاجتماعية في مدينة الجزائر بين مختلف الفئات من خلال العمل على إرساء أسس اجتماعية قائمة على قاعدة الرابطة الإسلامية وبخاصة في إطار الجهاد ضد الأعداء المسيحيين ،و المصلحة المشتركة، و المنفعة المتبادلة بين العثمانيين و بقية عناصر المجتمع و مهما قيل عن سوء سلوك العثمانيين ،و خشونتهم، وإساءتهم[3] إلى الأهالي؛ فإنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن تواجدهم في مدينة الجزائر قد ساعدها في المحافظة على هويتها الإسلامية ، ومقومات شخصيتها ،و تراثها الحضاري من الزوال أمام تربص الأعداء المسيحيين من الأمم الأوروبية.

وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذكره الضابط الفرنسي بليسي دو رينو (Pellissier de Reynaud) في كتابه" حوليات الجزائر" الجزء الأول حول استقرار العثمانيين في الجزائر عامة ،ومدينة الجزائر خاصة [4]:

" السهولة التي استقر بها العثمانيون في شمال إفريقيا لا ينبغي أن تدهشنا في شيء إذ ما عدنا إلى العهد الذي تمت فيه ؛فقد كان زمنا أوصلت فيه مآسي مسلمي الأندلس[5] الضغينة ضد المسيحيين إلى ذروتها ؛فتقدم الأتراك العثمانيين كمنتقمين للإسلام ،وهذا الشيء مضافا للمجد الذي كان يضيء إمبراطورية العصمانيين {الدولة العثمانية } جعل استقبالهم والترحيب بهم من طرف أهالي البلاد يتم بصفتهم حماة بدل صفة أسياد غير مرغوب فيهم

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.82

[2] للتوسع حول ذلك راجع الفصل الأول ،والثاني من الباب الثالث في هذه الدراسة

[3] كتابات الأب هايدو، و دان، و غالبية من كتبوا عن العثمانيين خلال هذه الفترة.

[4] Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes ,Nouvelle édition ,revue ,corrigée et continuée jusqu'à la chute D'Abd-el-Kader ,Tome premier ,Librairie militaire j.Dumaine ,Libraire-Editeur de L'Empereur, Paris / Libraire Bastide,Alger ,Octobre1854,p12

[5] ولابد أن نشير إلى أن هذا التفسير ذهب إليه أيضا حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة،المرجع السابق صص.108-109

وانتصاراتهم الأولى ضد المسيحيين ،ونظام لصوصية البحر[1]–piraterie{كذا }الذي قاموا بتنظيمه مع قدر من الجرأة و النجاح يبرر الرأي الإيجابي الذي شكله الأهالي عنهم و تأسس حكمهم و استقر على أساس القاعدة المزدوجة المتمثلة في الاعتراف بالجميل

[1] فالمصادر الغربية كانت تطلق على نشاط بحارة الجزائر لصوصية البحر(piraterie)،وحتى عند اعتماد مصطلح القرصنة ؛فقد كان هناك اختلاف في معناها بحسب من كان يمارسها؛ فإذ كان المعني بممارستها من المسلمين؛ فهي بمعنى اللصوصية ،والنهب والسلب وعمل غير مشروع أما إذا مورست من طرف المسحيين؛ فهي عمل مشروع هدفه حسب ما ذكره الأب دان في القرن 11هـ (17 م)الدفاع ،والحماية، وجعل التجارة البحرية أكثر حرية مما كانت عليه وكان القراصنة المسيحيون يضحون بحياتهم من أجل تطهير البحر من أمثال هؤلاء اللصوص الذين يتمرسون يوميا على تعكير السكينة العامة ،و باللصوص يقصد دان البرابرة {سكان بلاد المغرب الإسلامي}،والأتراك وغيرهم من الكفار أعداء المسيحيين بمعنى كل المسلمين على حد قوله مضيفا أن المسيحيين الذين كانوا يمتهنون القرصنة لا يجب مطلقا إدراجهم مع أمثالهم من المسلمين لأنهم كانوا يمارسون القرصنة للمصلحة العامة، وليس على أساس النهب، والسلب أنظر:
DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., pp.9-10علما أنه بالعودة إلى القاموس باللغة الأجنبية نجد أن كلمة قرصنة لا تساوي كلمة لصوصية بحر على أساس أن الأولى عبارة عن نظام مقنن؛ حيث يخضع القراصنة لسلطة دولة معينة ويمارسون نشاطهم تحت رايتها ،ولخزينة الدولة التي يتبعون لها حصة من الغنائم التي يحصلونها كما أن القراصنة لا يهاجمون إلا السفن التي تكون في حالة حرب مع دولتهم ،وبالمقابل هم ملزمون باحترام سفن البلدان التي لها اتفاقيات ومعاهدات سلم مع دولتهم وهذا ما حرص السلاطين العثمانيين على التأكيد عليه من خلال مراسلاتهم إلى حكام الجزائر ،وكمثال على ذلك نورد ما يلي :".....وبناء عليه فقد أمرنا بالتنبيه والتأكيد على الرؤساء في تلك الديار بعدم التعرض لسفن الكفار الذين يحملون أوراق الأمان القادمين بقصد التجارة وفيما إذ لم يراع الرؤساء ما نص عليه الأمر الشريف واستمروا بمصادرة سفن الكفار واسر رجالهم واحضارهم إلى الجزائر فيجب إطلاق سراحهم وإعادتهم مع سفنهم ومتعاهم حتى يمارسوا نشاطهم التجاري ويجب حبس الرؤساء المخالفين وعرضهم علينا ....." أنظر :مهمة دفتري 30 صحيفة 182 حكم 427 تاريخها 985/3/5هـ ،وفي حكم آخر ورد من السلطان سليمان القانوني إلى أمير أمراء جزائر الغرب حسن بن خير الدين أمر يقضي بالتحقيق في قضية استيلاء رياس البحر على سفينة فرنسية والتأكد من هوية السفينة ؛فإذا كانت غير حربية وتم أخدها أثناء قيامها بأسفارها التجارية كالمعتاد سلميا وبطريقة لا تتنافى مع روابط الصداقة والعهد الهمايوني والأمان القائم بين الدولة العثمانية وفرنسا فينبغي تخليص كل رجالها من الأسر والمتاع دون تسجيل أي نقص وإعادتهم للفرنسيين وينطبق ذلك أيضا على حمولة السفينة من متاع وسلع بمقتضى المعاهدة الهاميونية وتأديب من خالف العهد والأمان أنظر: مهمة دفتري 6 صحيفة 618 حكم 1361 تاريخها 972/12/9هـ أنظر أيضا في الموضوع ذاته مهمة دفتري7صحيفة 138 حكم 355تاريخها975/4/17هـ و مهمة دفتري12 حكم 579تاريخها 979 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري أنظر أيضا:

Relation succinete de ce qui s'est passe en la rade de la ville d'Alger en Afrique depuis l'arrivée du sieur Marquis de Martel lieutenant Générale armée Navales de sa Majesté avec l'escadre des Vaisseaux qu'il commandait, Sébastien Mabre-Cramoisy, Imprimeur du Roy,A Paris,1670,pp.3-8 Voire aussi : جمال قنان ،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث1500 -1830،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، صص119- 122

والتقدير، وتصرفاتهم الشريفة واستقامة سلوكهم طبعت في كل العقول إحساسا بتفوقهم والمدى الكبير لعمق هذا الإحساس هو الذي دفع الجميع ليعتبروا أن الأتراك العثمانيين ولدوا ليحكموا".

3-المولدين الكراغلة:

سيتم من خلال هذا المبحث الحديث عن مجموعة سكانية برزت في ظل الحكم العثماني، وكانت نتاج الزواج بين الجنود العثمانيين من الجيش الانكشاري، ورياس البحر والنساء من أهالي البلاد؛ أي من أباء عثمانيين ،و أمهات جزائريات ،وعرفت هذه الفئة السكانية الجديدة من المولدين بالكراغلة ، وظهر الكراغلة لأول مرة في المدن التي كانت تقيم بها الحاميات العثمانية ،و في مقدمتها مدينة الجزائر[1].

وقد ناهز عددهم في نهاية القرن 10 هـ(16م)ألف نسمة في حين قدرهم غرماي في أوائل

=في حين أن لصوص البحر لا يخضعون لأي سلطة غير سلطة زعيمهم ولا هم لهم إلا مصلحتهم الخاصة والنهب والسلب دون أي تمييز ومن تم نستخلص ضرورة مراجعة استعمال العديد من المصطلحات للتخلص من مدلولاتها المغلوطة التي اقتبسناها من الدراسات الغربية التي أصبغت عليها مفاهيم تخدم توجهاتها الإيديولوجية ،وتعكس وجهة نظرها ،ومن الدراسات القيمة ،والهامة التي نهت لهذا الموضوع أنظر: أرزقي شويتام ، المصطلحات ،والمفاهيم الواردة في المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر الفترة العثمانية 1519-1830 مداخلة غير منشورة نسخة مخطوطة، ألقيت في إطار الملتقى الدولي **الأواصر الثقافية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة –مقاربة في التراث المادي واللامادي** -،جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية يومي10-11نوفمبر 2015 ،وأنظر حول موضوع القرصنة الأوروبية ابراهيم سعيود،القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا،في **مجلة الواحات للبحوث والدراسات** العدد 11 ،الصادرة عن المركز الجامعي غرداية، الجزائر،2011 حيث عاد الأستاذ الباحث في دراسته إلى الأصول الأولى للقرصنة الأوروبية وقارنها مع النشاط البحرى الذي كان يقوم به بحارة الجزائر خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة } ؛ مع العلم أن سكان مدينة الجزائر كانوا يطلقون على ممارسي الغزو البحري في ظل الحكم العثماني مصطلح المجاهدين ،وهذا ما يثبته ما جاء في أحد عقود التحبيس" .....جميع الكوشة التي احدث بناءها بعلها المرحوم بكرم الله المجاهد في سبيل الله محمد جلبي بن الصاير إلى الله يوسف كتخية .. أنظر الوثيقة رقم69 "رسم تحبيس كوشة من طرف إحدى نساء مدينة الجزائر "، بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1073 هـ (16م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر،و في الأخير و من منطلق ماعرضناه سابقا؛ فإن المصطلح االأصح لوصف نشاط الجزائر البحري في ظل الحكم العثماني قد يكون مصطلح "**الجهاد البحري**" لأنه بالأساس تم تبنى هذا النشاط في المنطلق كدرع واقى من الاعتداءات والهجومات التي كانت تشنها أساطيل القوى الأوروبية المسيحية على سواحل بلاد المغرب الاسلامي، وكرد فعل دفاعي مشروع ؛وبالتالى فالغنائم المحققة من جراء هذا النشاط لاتعنى في أي حال من الأحوال استبعاد الدافع الديني كمحرك قوي،وأساسي لهذا النشاط ؛فالغنائم البحرية لاتعدو أن تكون إلا نتيجة حتمية له وليست دافعه الجوهري، والدليل على ذلك أن هذا النشاط لم يكن يوجه بالأساس إلا اتجاه القوى المعادية للجزائر؛و التي لم تكن تتوانى عن جعل حالاتها ضد الجزائر تحت رعاية ،ومباركة البابا و بالتالى صبغ حالاتها البحرية بالصبغة الدينية الصليبية المعادية للإسلام والمسلمين،فلابد حينها أن يكون رد فعل بحارة الجزائر أي نشاطهم البحري بهدف نصرة الإسلام ،والدفاع عن المسلمين ،وضمان أمنهم وسلامتهم وحماية عقيدتهم ؛فيكون بالتالى جهادا بحريا.

[1] أنظر أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول،ص.149 ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي،المرجع السابق ص.94

القرن 11 هـ(17م) بحوالي 10.000 نسمة، وكان يقصد بكلمة كرغلي(Koüloughli) "كر" بمعنى عبد و "غلي" بمعنى ابن، و كرغلي ككل كانت تعني ابن العبد[1] وذلك نسبة إلى آبائهم باعتبارهم جنودا، وعبيدا للسلطان العثماني ،و ليس بالنظر إلى أن أمهاتهم من العنصر المحلي وفي هذا المقام لابد من الإشارة إلى ما ذكره الأسير دو شستال دي بويس(le sieur du des boys chastelt) في كتابه المعنون بـ :الأوديسة(l'odyssée) الذي أسر بمدينة الجزائر لمدة 6 سنوات في شأن مدلول كلمة كرغلي؛ حيث ذكر أنها تعني في لغتهم مزيج ،أو خليط"[2].

وكانت لهم وضعية اجتماعية متميزة، و خاصة بالنظر إلى أصلهم؛ فقد كانوا يحتلون المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي نظرا لصلتهم بالعثمانيين من جهة ،وعلاقتهم بالأهالي من جهة أخرى وكانوا يحسنون اللغة التركية العثمانية غالبا، ويذهبون إلى المساجد الحنفية[3].

وكان هؤلاء يطمحون انطلاقا من الميلاد، و اللغة، و الانتماء العائلي إلى تبوء مكانة معتبرة في المجتمع، و إلى انتزاع نفس امتيازات آبائهم[4] ؛وقد انتهوا إلى ممارسة العديد من الوظائف دون أن يستطيعوا الارتقاء والوصول إلى المناصب الهامة، و الحصول على نفس حظوة وامتيازات العثمانيين[5]، و ذلك يعود إلى معارضة العثمانيين أصلا لذلك بالرغم من كون الكراغلة من أصلابهم فعمل الذين ولدوا أتراكا بالأصالة، و كذلك الأعلاج ؛أي العثمانيين بصفة عامة على عدم السماح لهم بالعضوية الكاملة في جماعتهم[6].

ويبدو أن السبب في إقصائهم من الوظائف العامة الهامة، والمناصب العليا في الجيش كان يرجع إلى تخوف العثمانيين منهم؛ فقد كان حرصهم على إبقاء الكراغلة بعيدين عن تولي المناصب، و الوظائف السامية في الجيش، و الإدارة هو خشيتهم أن يكون ذلك سبيلا يمهد لهم الانفراد بالحكم،والسلطة اعتمادا على رابطة القرابة التي كانت تربطهم بالأهالي أي التخوف من اعتمادهم على أخوالهم للاستيلاء على مقاليد الحكم، واقصاء العثمانيين

[1] Gramaye(J.B), Op.cit., p.116
[2] Sieur du chastelet des boys," l'odyssée ou Diversite d'aventures rencontres et voyages en Europe Asie et Afrique" , In: **Revue Africaine**, T12,1868, p.357
[3] Mouloud kaddache, L'Algérie durant …. , p.206
[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،الجزء الأول ،ص.149
[5] Mouloud Gaïd, Op.cit., p.199
[6] جون.ب وولف، المرجع السابق، ص.163

ومن ثم لم يكن استبعادهم من منطلق عنصري ،أو لنظرة استعلاء لدى العثمانيين، فالهدف الحقيقي تمثل في سعى العثمانيين للاحتفاظ بمكانتهم، وامتيازاتهم، ولاسيما بمقاليد الحكم من خطر؛ و أطماع الكراغلة ولاسيما في حالة استناد هؤلاء إلى القاعدة الشعبية التي يشكلها أهلهم من جهة أمهاتهم، مما يعنى تشكيل حلف قوي قد يعصف بسلطة العثمانيين في الجزائر.

ولهذا نجد أن الكراغلة اشتغلوا في بعض الوظائف، و المهن الصغيرة عموما كما أن البعض منهم تولى وظائف إدارية ذات أهمية قليلة؛ أي لا تؤثر على سير السياسية، والسلطة وعلى العموم فقد كانوا ميسورين ،وكان عدد كبير منهم أصحاب ملكيات زراعية في الفحوص المحيطة بمدينة الجزائر ومارس بعضهم الآخر التجارة أيضا[1].

و كان الكراغلة محل مراقبة دقيقة ودائمة من طرف العثمانيين، ،ومع ذلك؛ فقد كانوا يميلون إلى المصاهرة، والارتباط، والتحالف مع العثمانيين أكثر من ميلهم لمصاهرتهم الأهالي[2].

ووجد الكراغلة أنفسهم بحكم مولدهم بين العثمانيين، والأهالي لهذا لم يتمكنوا من تشكيل فئة اجتماعية محددة، ومنظمة فعلا، وقد سمح لهم في البداية بالانضمام إلى صفوف الجيش أي الخدمة في القوات المسلحة الإنكشارية في عهد خير الدين[3] على عكس بقية السكان الذين كانوا مبعدين تماما عن الانخراط في صفوف الانكشارية خوفا من استحواذهم على زمام الأمور – مع العلم أنه سمح لقبائل الزواوة بتشكيل قوة مسلحة في الجيش العثماني- و مع ذلك لم يسمح لهم بالارتقاء في الرتب، ومع تزايد عددهم مع نهاية القرن10هـ (16م)،ومحاولات العثمانيين الحد من نفوذهم قام هؤلاء بمحاولات تمرد ضد العثمانيين في سنوات 1596م ، 1629م.

و كان تتويج محاولات الكراغلة،و مواجهة العثمانيين لهم محاولة فاشلة من طرفهم في أوائل القرن11هـ(17م) ،حوالي سنة 1633م[4] عندما حاولوا الاستيلاء على مقاليد الحكم، والحد من نفوذ العثمانيين مما أدى إلى صدام مسلح بين الطرفين ؛حيث حاول عدد من الكراغلة المؤيدين

---

[1] ناصر الدين سعيدوني،الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.95

[2] Mouloud Gaïd, Op.cit., p.200

[3] Grammont (H.D.De), Histoire d'Alger …, p.180

[4] ولابد من الإشارة إلى أنه هناك دراسات ترجح تواريخ أخري لهذه الحادثة : فنجد من يشير إلى سنة 1629 في حين يحدد آخرون هذا التاريخ بحوالي 1630 مثل حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق،ص.154

تأييد ضعيفا من طرف بعض عناصر فرق الزواوة العاملة في الجيش التمرد على العثمانيين في حين بقي بقية السكان محايدين، وقد تم القضاء في النهاية على هذا التمرد بعد أن أحبط مشروعه بسبب تفطن العثمانيين له،ويقال أنهم تفطنوا للأمر بفضل الأخبار التي وصلتهم حول الموضوع من طرف أفراد من جماعة بني ميزاب ،ثم إن انفجارا في مخزن البارود الموجود بقلعة القصبة ؛التي كانت في أيدي الكراغلة المتمردين وضع حدا للتمرد بعد أن لقي الكثير منهم مصرعه[1].

ونتج عن محاولة تمردهم الفاشلة عدم السماح لهم[2] بأن يشغلوا أي وظيفة في الإدارة ومن كان يشغلها فقد عزل عنها في حينه بعد تلك الحادثة[3] كما استبعدوا،وحرموا لمدة من الزمن من حق العضوية في الإنكشارية ؛أي بصورة عامة أبعدوا عن أي وظيفة في جهاز الدولة لمدة حوالي أزيد من نصف قرن[4].

وفي سنة 1693م سمح لهم الداي شعبان بالتجنيد مرة أخري ضمن قوات الإنكشارية حيث جاء في دفتر التشريفات حول هذا الموضوع أنه :"سنة 1104 هـ(1693م) في بداية ربيع الثاني حاكمنا الحاج شعبان داي جمع فرق جيشه أمام شخصه الكريم لتنظيمهم،وإعطائهم التعليمات التي تنص على أن الأتراك، وأبناء الأتراك سيعاملون على قدم المساواة دون تفضيل البعض على حساب الآخرين"[5].

و ربما اتخذ هذا الإجراء بسبب حاجة هذه الأخير إلى أعداد إضافية من الجند؛ فتاريخ هذا المرسوم يتوسط الحملة ضد ابن مولاي إسماعيل الذي اجتاح الغرب الجزائري، والحملة ضد تونس؛ أي بسبب حالة الحرب المعلنة في الوقت ذاته على تونس، والمغرب الأقصى، والتي يبدو

---

[1] جون.ب وولف، المرجع السابق، ص.163

[2] ووردت في أحد المصادر المحلية إشارة إلى تعرض الكراغلة للنفي من مدينة الجزائر كعقاب لهم على محاولة التمرد بالعبارة الآتية: "انتفاوا الكراغلة من الجزائر عام 1038 هـ"أنظر:مخطوط قائمة تاريخية بشاوات الجزائر، تحت رقم 1639 والنسخة المرقمة منه تحت رقمcd-466BKY ،في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة

[3] حمدان خوجة ،مرجع سابق ،ص 155و أنظر عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، طبعة 7 منقحة و مزيدة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1915هـ-1994م، الجزء3، ص.129

[4] ناصر الدين سعيدوني،الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.96

[5] Albert Devoulx ,Op.cit., p.78

أن الداي شعبان قد واجه بسببها صعوبات في جمع قوات كافية، وما يدعم ذلك قرار الداي باستدعاء الصبايحية-فرق الفرسان- الأتراك العثمانيين المتقاعدين، وقد أشار بواي في دراسته عن الكراغلة إلى أنه فيما يتعلق بالإجراء المرتكز على المساواة لصالح الكراغلة يمكن الاعتقاد بأنه لم يكن إلا لتدعيم الجيش مؤقتا، ففي الحقيقة لم يطبق هذا القانون على الأقل في مجمله، ولكن ترتب عنه نوع من التسهيل في الوصول إلى التشريفات بالنسبة للكراغلة[1].

ونجد أن الأسيرا "دو شستال دو بويس (sieur du chastelt des boys) في القرن 11 هـ(17م) تحدث عن الكراغلة ؛حيث ذكر أنه رافق سيده في إحدى الغزوات البحرية ،وأشار إلى أنه بعد أن تم تحميل السفينة، وشحنها بالمئونة من زيت ،وزيتون وخل، وكعك صعد رفقة سيده إلى المركب ، والمهم فيما ذكره هنا أنه عندما وصف طاقم السفينة ذكر وجود 12 كرغلي من بين أفراد طاقمها من البحارة ،وعرفهم بكونهم أبناء الأتراك الأصلين ،أو الأعلاج المتزوجين في البلاد.

كما ذكر أن الكراغلة لم يكونوا مسجلين في سجلات الجند إلا من قبل الامتياز، وذكر أن مرتب الجيش لم يكن مخصصا إلا للأتراك الذين كان يجلبهم الباشا، ويحضرهم من المشرق عندما كان يأتي لحكم البلاد، أو الأعلاج الذين كانوا يسلمون مع هذا فأبنائهم الذين كانوا نتاج زواجهم، ومصاهرتهم مع أهل المدينة كانوا في العادة مستبعدين، وأشار إلى أن الكراغلة استولوا منذ 30 سنة –وفي الواقع 9 سنوات هو العدد الصحيح للسنوات التي مرت منذ محاولة الكراغلة الاستيلاء على القصبة في 1633م إلى السنة التي تحدث فيها دوشستال عن هذا الحدث ؛أي سنة 1642 م– على القصبة ،وأرادوا أن يجعلوا أنفسهم أسيادا للمدينة والدولة ولكن تمكن حصار الأتراك ، و الأعلاج أباء، وأعمام الأغلبية منهم من إحباط هذه المحاولة فضلا عن انفجار مخزن البارود في القصبة الذي وضع حدا نهائيا لهذه المحاولة[2].

وتحدث دو بويس أيضا عن نتيجة هذه المحاولة الفاشلة قائلا:

".... منذ ذلك الحين لم يعد للكراغلة أي صوت في الديوان، ولا يتلقون أجرة عمومية، وهم

[1]Pierre Boyer, Le Problème Kouloughli Dans La Régence D'Alger, In:**Revue de L'occident Musulman Et de La Méditerrané**, Numéro Spécial, Actes Du IIème Congrès international d'études Nord –Africanes ,Imprimerie louis –jean, Aix en Provence 1970, pp.84-85

[2] Sieur René du chastelet des boys,Op.cit.,In: **R.A.**,T.12,1868 pp.357-358 voir aussi DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,pp.125-128voir aussi The Present State,Op.cit.,pp.87-88

مقبولين فقط في سفن القراصنة{كذا} مشاركين في الفوائد، والغنائم المشتركة، والقيادة مثل الأخريين دون أن يستطيعوا، أو حتى يجرؤا على ادعاء شيء فيما يتعلق برواتب حملات البحر و تسليحات البر يوسف رايس قبطان طاقمنا كان من هؤلاء[أي من الكراغلة]باعتباره ابن إنكشاري شاب جاء من المشرق، وتزوج بأندلسية، ويذكر أن سيده الأوذاباشي قد سلم ليوسف رايس الكرغلي قيادة السفينة التي سلحها،وجهزها بسبب سلوكه، ووفائه ،وخبرته[1].

ومما سبق أكد لنا دوشستال تعريف الكراغلة المتعارف عليه ،و تحدث عن وضعيتهم وعلاقتهم مع آبائهم من العثمانيين، وتناول كذلك محاولة تمرد الكراغلة المشار إليها آنفا، وما انجر عنها، وبين لنا مشاركة هؤلاء في النشاط البحري لمدينة الجزائر؛حيث كانوا يعملون كبحارة وأن من بينهم من أصبحوا رياس بحر بفضل ما يتمتعون به من قدرات،ومهارات.

ولابد من الإشارة هنا إلى تبوء بعض الكراغلة لمناصب هامة في الدولة وذلك قبل محاولاتهم للانفراد بمقاليد السلطة ،ولعل أبرزهم الحسن بن خير الدين الذي تولى حكم إيالة الجزائر ثلاثة مرات خلال مرحلة البايلربايات[2].

والذي كان بحسب ما أورده هايدو- في كتابه تاريخ ملوك الجزائر- محبوبا من طرف سكان مدينة الجزائر، والدليل على ذلك أن قدومه إليها في إطار ولايته الثالثة في بداية شهر سبتمبر سنة1562 م؛ وهو مقدم لم يكن سكانها يأملون فيه تسبب في سرور كبير للجميع لدرجة أن النساء أنفسهن اللواتي جرت العادة في البلاد ببقائهن في البيوت صعدن إلى أسطح مساكنهن ليرحبن به من خلال إطلاقهن لصرخات الفرح [3]؛ولعل المقصود هنا إطلاقهن للزغاريد.

وكان الحسن بن خير الدين يحظى بثقة السلطان الذي أشاد بكفاءته وقدراته، وخبرته مبرزا أن تعينه أمير أمراء جزائر الغرب كان نتيجة لهذه الصفات التي كان يتحلى بها بالإضافة إلى الجهود التي كان قد بذلها والده خير الدين في خدمة الجزائر والدولة العثمانية[4] : "....نظرا

---

[1] Ibid, In **R. A,**1868 T12, p,357-358

[2] ومن الكراغلة الذين تولوا منصب البايلرباي نجد محمد بن صالح رايس(974- 975 هـ/1567 -1568)

[3] Haedo, Histoire des rois…Op.cit.p.127

[4] وتم تأكيد ذلك من خلال حكم آخر يقضي بتجديد الثقة في الحسن بن خير الدين ،وتعينه مجددا أمير أمراء جزائر الغرب :"إلى حسن باشا بن خير الدين لقد تم سابقا فتح ،وتسخير ولاية جزائر الغرب بحد السيف وكان أباك المتوفى قد أظهر أنواع سعيه=

لكمال شجاعتك وحسن فراستك واعتمادي الهمايوني تجاهك فقد سبق ارسال حكمي... .....بشأن توجهك ووصولك في الوقت المناسب إلى ولاية جزائر الغرب خاصة وأن تلك الولاية فتحت على يد والدك الذي سبقت خدماته الجليلة فيها فقد رؤي من المناسب تفويضك أمر تلك الولاية وشؤن حفظها وحراستها ....."[1].

=و إقدامه وكان أيضا هو الأساس في ذلك .....ولقد سبقت خدماتك وجهودك وأظهرت أنواع اقدامك وحسن اهتمامك وبذلت مقدورك في سبيل حفظ وحراسة الولاية المذكورة واستجلبت بذلك عواطفي الملوكية الوافرة .....ونظرا لكونك من رجالي الأكفاء فقد تم تفويضك وتقليدك إمرة تلك الولاية لأنك أليق وأولى وأحرى بها ....."أنظر : مهمة دفتري رقم 16 حكم 555 بتاريخ 11 /979/6هـ(1571م) في الأرشيف الوطني الجزائري وهنا لابد أن نشير أنه من خلال ما ورد في نص المراسلة نفهم دون أدنى شك أن المقصود بهذا الحكم الحسن بن خير الدين ولكن نجد أن هناك خلل من حيث التاريخ فالمتعارف عليه أن الحسن بن خير الدين تولى حكم الجزائر ثلاثة مرات الولاية الأولى (951 -958 هـ/1544 -1551م)وولايته الثانية(964 -961 هـ/1557 -1561م)أما الثالثة والأخيرة(969 -974 هـ/1562 -1567م)؛حيث تولى بتاريخ1567م القيادة العليا للأسطول العثماني مما يعنى أن التاريخ الوارد بهذه المراسلة يحتاج للمراجعة والتدقيق لأنه لا يتفق مع ما هو معتمد عليه من معلومات وتواريخ مصدرها الأساسي هايدو في كتابه تاريخ ملوك الجزائر والذي ذكر "أنه سنة 1567م غادر الحسن بن خير الدين الجزائر وترك الحمام الكبير الذي بناه ليستفيد خلفاءه في الحكم من مداخيله حمل معه كل ممتلكاته لأنه لهذه المرة لم يكن يأمل بالعودة مجددا إلى الجزائر....." أنظر :histoire des rois...,p131 علما أنه ضمن هذه المراسلة أشار السلطان إلى المراسلة التي بعث بها لأهالي الجزائر لإعلامهم بتعين الحسن بن خير الدين حاكما عليهم وقد عثرنا على نص مراسلة تنص على ذلك في نفس الرصيد وتاريخها 976/9/7 هـ(1569م) وتاريخ المراسلة هذه يندرج زمنيا بعد نهاية الولاية الثالثة بسنتين وبالتالي هذا التاريخ بدوره لا يتماشى مع المتعارف عليه ولا مع تاريخ المراسلة الأولى ؛حيث ينبغي أن يكون تاريخهما متقارب لأن احداهما مراسلة لأهالي البلاد بتعيين حاكم جديد عليهم، والثانية ابلاغ لذلك الحاكم بقرار تعيينه .ونضيف أنه من975 - 995 هـ/1568 -1587 م كانت الجزائر تحت حكم أمير الأمراء علج علي الذي كان ينوبه على حكمها نواب من أمثال أعراب أحمد باشا وتاريخي المراسلتين السابق ذكرهما يعودان إلى المرحلة .

[1] مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 102 -103 حكم 164 بتاريخ979/8/27 هـ (1572 م) في الأرشيف الوطني الجزائري نفس الملاحظة التي أبديناها فيما يتصل بالحكمين الوارد ذكرهما أعلاه نوردها هنا وهي عدم تطابق التاريخ مع ما هو متعارف عليه فهو موضوع يحتاج للتدقيق و يدفعنا للتسأل هل فعلا تقرر تعيين أو الأصح ترشيح الحسن بن خير الدين لتولى ولاية الجزائر للمرة الرابعة من منطلق أن هذا يناقض المعلومات المتوفرة لدينا لحد الآن أي توليه الحكم فيها خلال 3 ولايات أو عهدات فقط؛ وقد يكون ذلك أمرا واقعا ولاسيما وأنه يتزامن مع تولى علج علي لمهام القيادة العليا للأسطول العثماني بعد معركة ليبانت 1571 م وإذا أخذنا بما جاء بنص المراسلات حق لنا أن نتساءل ماهي الظروف التي حالت بين الحسن بن خير الدين وتنفيذه حكم التعيين لولاية رابعة؟ وما يؤكد ما ذهبنا إليه من وجود ظروف حالت بين الحسن بن خير الدين وتوليه للعهدة الرابعة أمرين وهما: ورد في نص الحكم 164 المذكور أعلاه والذي يعد تأكيدا وتذكيرا بالحكم 555 ، بتاريخ 11 /979/6هـ(1571م) المذكور آنفا{والحاجة لإصدار حكم آخر في نفس السياق يؤكد أن الحكم الأول لم ينفذ}العبارة=

كما راسل السلطان العثماني أهالي مدينة الجزائر يعلمهم بتعينه الحسن بن خير الدين حاكما عليهم ،ويأمرهم بالتعاون معه ،وطاعته مبينا لهم كفاءته، و مكانته عنده: "إلى مفاخر العلماء والفضلاء مراجع الشرفاء والأتقياء علماء وسادات ولاية الجزائر وسائر أهاليها نظرا لاعتمادي تجاه أمير الأمراء الكرام حسن باشا .....فقد أحيل إلى رأيه الصائب كافة أمور تلك الديار نظرا لكمال فراسته ،وشجاعته وحسن ديانته وعدالته.....ولتعلموا أن شكره وشكايته مسموعة ومعتبرة لدينا وبناء على ذلك فعليكم أن تكونوا على غاية الاتفاق والوفاق معه .....".[1]

وتم الإشادة أيضا بدور الحسن بن خير الدين في دعم أسطول الدولة العثمانية في حمالاتها ومن نماذج ذلك حكم يشيد بدوره في حصار جزيرة مالطة كما يأمره بمواصلة جهوده في حماية أهل الجزائر :".....لقد سبق إعلام استانة .....بمعاونتك ومظاهرتك بانضمامك

=الآتية :".....تفويض امر تلك الولاية .....وحراستها لك وان أمري الشريف السابق ولايزال مقرا كما كان عليه إلا أنك حتى الأن لم تحط علمي الشريف بكيفية استعدادك لذلك ولم تعلن عن الوقت الذي ستتجه فيه إلى هناك لذا فقد أمرت حال وصول الحكم أن تبعث بأخبارك بالتفصيل معلما سدة سعادتناعن خطتك للاستعداد لهذه المهمة وعن الوقت المناسب لسفرك....."ونستخلص مما سبق ذكره أن الحسن بن خير الدين أمر من طرف السلطان العثماني بتقديم توضيحات فيما يتصل بتأخره عن توليه إمارة الجزائر، وهذا ماتؤكده مراسلة أخرى وجهها السلطان العثماني إلى القبودان علج علي يستفسره فيها عن سبب تأخر الحسن بن خير الدين في تنفيذ قرار توليه حكم الجزائر ويطالبه بالتحقيق في الأمر لأهميته وضرورة المحافظة على ولاية الجزائر:"لقد سبق ارسال حكم همايوني الى حسن دام اقباله أمير أمراء جزائر الغرب بشأن توجهه إلى الجزائر..... .....ولكن حتى الآن لم ترد أخباره.....فقد امرت أن تهتم بهذا الأمر وأن تتحرى عن أخبار المذكور وابعث لنا بأخباره وبالشغل الذي يشغله الآن وهل جهز نفسه للذهاب إلى الجزائر بموجب أمري أم لا....."أنظر: مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 99 حكم 157 بتاريخ 979/8/23 هـ(1572 م) ولابد من أن نأخذ بعين الاعتبار عند القيام بالتحرى في هذه المسألة ماذكره هايدو عن تاريخ وفاة الحسن بن خير الدين ؛حيث ذكر أنه توفي سنة 1570 م وهو يبلغ من العمر 55 سنة وأنه عندما غادر الجزائر في نهاية عهدته الثالثة كان يبلغ 51 سنة ودفن بالقبة التي كانت تحوى قبر ورفاة والده خير الدين والتي تبعد خمسين ميلا عن القسطنطينية{اسطنبول} مما يعني أن وفاته كانت قبل المراسلات المذكورة آنفا بإستثناء مراسلة السلطان العثماني لأهالي الجزائر ليبلغهم بتعيين الحسن بن خير الدين حاكما عليهم كونها مؤرخة بسنة 1569م أي قبل وفاته بسنة واحدة ومن تم ضرورة مراجعة تاريخ وفاته والتأكد من صحة التاريخ الذي أورده هايدو لأنه لايعقل أن يتوفى سنة 1570 م ولايعلم السلطان العثماني بذلك ، ويبقى يراسله مطالبا إياه بتنفيذ قرار توليته حكم الجزائر للمرة الرابعة ولاسيما أنه دفن في ضريح والده الذي لا يبعد كثيرا عن مقر السلطنة العثمانية و من تم لابد من محاولة ظبط تاريخ وفاة الحسن بن خير الدين بدقة ،وحينها قد تتأكد فرضية أنه تم توليته حكم الجزائر للمرة الرابعة لكن وفاته حالت دون تحقيق ذلك.

[1] مهمة دفتري رقم 6صحيفة رقم 451حكم رقم 973 بتاريخ 976/9/7 هـ(1569م) في الأرشيف الوطني الجزائري

بسفن الجزائر إلى العساكر المنصورة في جزيرة مالطة، ولقد اظهرت خصالك الحميدة وشهامتك وحميتك في ذلك كما هو معروف عنك ومأمول منك أمرت أن تبدل كل أنواع الإقدام والاهتمام في سبيل ضبط وحراسة البلاد، وضبط وربط الرعية وأن تستمر على ماكنت عليه من الكفاءة واللياقة المتأصلة في نفسك ....."[1].

و حظي الكراغلة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر بمكانة اجتماعية متميزة، وكانوا يتمتعون بوضعية اجتماعية يغلب عليها اليسر؛ حيث كان معظم الكراغلة يملكون ثروات يستثمرونها في اقتناء الأراضي الزراعية، والبساتين، وغيرها من الأملاك التي كانت تشكل مصدرا لعيشهم وهذا ما يمكن استخلاصه مما أورده توماس هس[2](Thomas HESS) في إطار روايته للأحداث التي شهدها أثناء سفارته إلى الجزائر؛ حيث ذكر أنه من بين من استضافوه أثناء إقامته في مدينة الجزائر شخص يدعى إبراهيم كرغلي أميرال الغيلوطات بمعنى أنه كان من رياس البحر الذين تولوا قيادة سفن الأسطول ؛حيث قصد توماس هس الريف للاستمتاع بالطبيعة وأقام في حوش أو مزرعة هذا الكرغلي، الذي كان يعتبر كشخصية من الشخصيات الأكثر ثراء في مدينة الجزائر إذ كان يمتلك 280 أسيرا كانوا يوظفون خلال الصيف للعمل على متن السفن ،و للعمل أيضا في مزرعتيه المشتملتين على 300 رأس من الماشية ،و10 جمال ،والكثير من البغال ،والغنم والعديد من الأحصنة الجميلة[3].

كما كان يمتلك جنانا رائعا بكروم مثمرة ،ومراعي أي أنه كان يمتلك عدة أملاك في فحص المدينة وفي الريف القريب منها بخاصة ناحية سهل متيجة بالإضافة إلى عدة أملاك في المدينة

[1] مهمة دفتري رقم 5 صحيفة 313 حكم 817 بتاريخ23 /6 /973 هـ (1566م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] ولد في وبس(WEEPS)بالقرب من أمستردام سنة 1634م وقد كان دكتورا في الطب من جامعة أنجار (ANGERS) وكلف من طرف حكومة الأراضي المنخفضة بالتفاوض مع حكومة الجزائر حول مشروع اتفاقية سلام وصداقة بين الطرفين وتوفي سنة 1693م وقد استمرت مهمته في الجزائر فترة طويلة نسبيا من 1675م إلى 1680 م علما أن مهمته كللت بالنجاح حيث أبرمت الاتفاقية في 29 أفريل 1679م وقد بدأت مذكراته بتاريخ 2جويلية 1675 م لتنتهي بتاريخ 29 فيفري 1680م ولم يتم نشر إلا بدايات هذه المذكرات حيث يتوقف الجزء المنشور بتاريخ 5فيفري 1676 م أنظر:

THOMAS HEES ,journal d'un voyage,journal d'un voyage à Alger (1675-1676), traduit par C.H.Bousquet et G.W. Bousquet-Mirandolle,In: **R.A.**,T.101, 1957 ,pp.85-86 voir aussi Géraard Van Krieken,Corsaires et marchandes,les relations entre Alger et les Pays-Bas1604-1830 ,Editions Bouchene,2002,pp.68-76

[3] THOMAS HEES, Op.cit,pp , In: **R.A.** , T.101, 1957 ,p.103

حيث كان يمتلك عددا من الدور ،والحوانيت ،و الدكاكين، وسجن خاص للأسرى العبيد المسيحيين كان يقوم بكرائه ؛فضلا عن امتلاكه أيضا كمية كبيرة من الأموال النقدية ومن المجوهرات ،وولد هذا الكرغلي من أب تركي عثماني وأم سوداء– قد تكون من الزنوج – وكان يلقب بقارة–بمعنى أسود اللون باللغة العثمانية– إبراهيم وكان يتجاوز 90 سنة من عمره ولكن لم يكن يبدو عليه ذلك، كما أنه كسب كل ثرواته بجهده واعتماده على نفسه[1].

و في الختام يمكن القول أنه كان يمكن للكراغلة أن يقوموا بأداء دور فعال في توطيد العلاقات الاجتماعية بين العثمانيين،وبقية السكان المشكلين لمجتمع مدينة الجزائر إلا أن إمكانية إقحامهم في النزعات السياسية[2] وتطلعهم إلى الانفراد بالسلطة[3]،وتبوء المناصب القيادية جعلهم يعيشون في جو من التوتر ،و عدم الاستقرار ؛ولكن هذا لم يمنع السلطات العليا العثمانية من الاعتراف بأصحاب الكفاءة، والقدرة منهم لاسيما في الميدان الإداري

---

[1] Ibid.,pp.103-104

[2] وأدل دليل على ذلك محاولة خضر باشا في ولايته الثانية(1559 -1596) ؛فنتيجة توتر العلاقة بينه وبين رجال الطائفة و الجند في أواخر ولايته الأولى (1587 -1592) لدرجة تقديمهما شكاوي بشأنه إلى السلطان العثماني قام خضر باشا في بداية ولايته الثانية بتحريض،وإثارة الكراغلة على الطائفة ،والجند انتقاما منهم. أنظر عمار بن خروف العلاقات السياسية ...،الطبعة الأولى2006، الجزء1،ص.112

[3] ويعتبر الأستاذ الباحث أرزقي شويتام الكراغلة بمثابة العنصر السكاني الوحيد الذي كان يمثل للمعارضة السياسية الحقيقية في المدن ويعلل فشلهم في تحقيق أهدافهم وطموحاتهم السياسية بالعزلة التي فرضوها على أنفسهم ؛حيث يطرح سؤالا هاما حاول الإجابة عنه وهو: مامدى اندماج الكراغلة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ومرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر ؟كما أبرز مسألة تراجعهم عن مشاريعهم الرامية إلى الاستيلاء على السلطة؛ فأصبحوا يشكلون دعما أساسيا للأتراك العثمانيين مقابل حصولهم على الامتيازات أنظر: أرزقي شويتام،طبيعة الحكم العثماني ...،ص8 و أنظر أيضا: أرزقي شويتام ، دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية 1519 –1830 م ،في **مجلة أفكار وآفاق**، المجلد 3 ،العدد 4، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله،الجزائر2013 ،صص175 –189

في حين نعتقد أن تراجع الكراغلة عن مشاريعهم بهدف الاستيلاء على السلطة لا تعني بأي حال من الأحوال موت هذه الرغبة لديهم هذه الرغبة التي حاول الاحتلال الفرنسي الاستفادة منها في اطار مشروعه لاحتلال الجزائر ،والدليل على ذلك أنه إلى جانب البيان الفرنسي الذي وزع على سكان مدينة الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي لضمان حيادهم ،وعدم مواجهتهم للجيش الفرنسي بحجة أن حملتهم ماهي إلا حملة تأديبية تستهدف الداي حسين وزعوا بيانا آخر خصوا به طائفة الكراغلة يأكدون فيه أن غرضهم الوحيد هو طرد الأتراك وتوفير الحماية ،والرعاية للكراغلة حتى يتمكنوا من حكم البلاد مما يدل على إدراك الفرنسيين للطموح السياسي الذي ظل فتيله مشتعلا دوما في نفوس الكراغلة؛ فحرصوا على استغلالهم ليضربوا بهم العثمانيين وللاستناد إليهم كأعوان، ومساعدين لهم في إخضاع البلاد لسلطتهم ؛فمن الكراغلة من ساروا في هذا النهج كأحمد بوضربة ،ومنهم من سار على عكس ذلك وحرصوا على فضح ممارسات الاحتلال الفرنسي اللاإنسانية في الجزائر كحمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة.أنظر نص البيان الذي وجته السلطات الفرنسية إلى الكراغلة بمدينة الجزائر بعنوان"نداء موجه من طرف الجيش الفرنسي الى الكراغلة اولاد الأتراك العرب القاطنين بايالة الجزائر " في:عبد الحميد زوزو،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830 – 1919، طبعة منقحة ومزيدة ،تصدير أد/أبوالقاسم سعد الله ، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009،ص.30

والمالي، والسعي للاستفادة من خبراتهم مع توخي الحذر منهم لأنهم يميلون لإحداث الفتن ومن تم ضرورة مراقبتهم ؛وهذا ما يتضح لنا من خلال مراسلات السلاطين العثمانيين مع ولاة الجزائر،ومن نماذج ذلك مراسلة حول تعيين أحد الكراغلة لتولى منصب الدفترادرية في الجزائر:

"كان النظام المالي المتوقف على منصب الدفترداريةفي الأوجاقات الثلاث طرابلس وتونس والجزائر نظاما واحد ومشتركا .....ولكن فيما بعد قرر فصل هذه الأوجاقات عن بعضها البعض في النظام المالي بتنصيب دفتردار مستقل على كل أوجاق الثلاث .....وقد صدر فرمان شاهاني بهذا الخصوص .....عند وصول أمري إليكم بادروا إلى إقامة نظام محاسبة مستقل لولايتكم .....وعينوا على منصب الدفترداريةلولايتكم واحد من طائفة –قول اغلو–{الكراغلة}[1]ولكن المختار لهذا المنصب يجب أن تكون له كفاءة وقابلية في تمشية نظام التحرير ،والمالية وتنظيم الشؤن الادارية واحذروا في أن يكون من تختارونه لهذا المنصب ممن يحب اثارة الشغب والفتن لأن المعروف عن هذه الطائفة ميلها الى اثارة الشغب والفتن ...."[2].

كما نسجل من ناحية أخرى حرص السلاطين العثمانيين على منع أي تجاوزات ترتكب ضد جماعة الكراغة والتدخل لوضع حد له،والهدف المرجو تحقيقه من هذا الاجراء هو إزالة أسباب الفتن والنزعات بين الرعايا ،ومختلف الطوائف والجماعات المشكلة للمجتمع بهدف حفظ الأمن والاستقرار في أوساط هذا الأخير[3].

ومن نماذج ذلك نذكر حكم أرسل إلى أمير أمراء جزائر الغرب لحل خلاف حول توزيع الغنائم وقد كان الكراغلة طرفا فيه :".....لقد تبين من الرسالة التي

---

[1] وتجدر الإشارة إلى أن الوثائق المحلية كعقود المحاكم الشرعية على حد علمنا لا يرد فيها ذكر الكراغلة بصريح العبارة بل يتم استخلاص ذلك إذ ذكر اسم والديه لاسيما في عقود الوقف الذري، أو تقسيم التركات، أو عند استعمال عبارة "خوجة ".

[2] مهمة دفتري رقم43 حكم 148رقم 284 بتاريخ988 (1580 م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] ونتلمس أيضا من خلال إحدى المراسلات إدرك السلاطين العثمانيين لأهمية تحقيق ذلك لما له من انعكاس على النشاط الاقتصادي الذي يؤثر بدوره على الميدان الاجتماعي :".....كما ينبغي ضبط وصيانة الرعايا والبرايا وسائر الطوائف للحيلولة دون وقوع ما يبعث على الاختلال؛ فينبغي استمالتهم كي ينصرفوا لعملهم وكسبهم....."أنظر: مهمة دفتري رقم16 صحيفة رقم 368حكم رقم 347 بتاريخ979/6/17 هـ(1572 م) في الأرشيف الوطني الجزائري

وصلتني منك بأن هناك خلافا بين بعض المسؤولين وبين طائفة قول أغلوا بخصوص توزيع الغنائم .....عند وصول أمري اليك اعمل على أساس اخراج الخمس من الغنائم للميري – أي خزينة الدولة–ثم وزع الباقي على التساوي بين المجاهدين وبذلك تكون قد حليت المشكل ...."[1].

و في مراسلة أخرى أمر السلطان العثماني حاكم الجزائر بالتحقيق في شكوى حول تعرض الكراغلة للظلم والتجاوزات: "لقد جاء إلى سدة سعادتنا البعض من سكان إيالة الجزائر لتقديم الشكوى .....في حق الآغا المختص بصرف العلوفات {الرواتب }بسبب الظلم والتعدى الواقعين منه على طائفة قول اوغلوا لعدم صرفه لهم مايستحقونه من العلوفات.....عالج الأمر بحكمة ودراية، و لاتترك أحد من الرعية يشكو أو يتظلم بسبب حق قد هضم من طرف الآخرين بلا سبب ولا مبرر واصرف العلوفة التي كانت تدفع لهم عن استحقاق .....حتى يسود العدل وتزول الخلافات بين طوائف الرعية "[2].

ومن خلال ما سبق يمكن أن نستخلص مسألة هامة أخرى متمثلة في حرص السلطات العثمانية العليا على أن يسود المجتمع في مدينة الجزائر خاصة، والجزائر عامة نوع من العدالة الاجتماعية بهدف الحفاظ على وحدة المجتمع ،و مناعته تجاه الأخطار الخارجية ،وهو عكس ما ذهبت إليه العديد من المصادر، و الدراسات التاريخية ، وبخاصة الغربية منها التي تجعل من خلق النعرات والخلافات في أوساط السكان أحد أهم مبادئ، ومرتكزات سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر لتسهيل عملية التحكم فيهم، واخضاعهم لسلطتهم.

[1] مهمة دفتري رقم48 حكم رقم 140 بتاريخ990 هـ (1582 م)في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] مهمة دفتري رقم48 حكم رقم 47 بتاريخ990 هـ (1582 م)،في الأرشيف الوطني الجزائري

الفصل الخامس أهل الذمة من اليهود

1-أصول يهود مدينة الجزائر
2-فعالياتهم وأنشطتهم
3- أوضاع اليهود في مدينة الجزائر

الفصل الخامس أهل الذمة من اليهود

مثل اليهود في مدينة الجزائر ما يعرف تاريخيا، وحضريا، ودينيا بأهل الذمة وكان تواجدهم ملحوظا بشدة في أوساط المجتمع الجزائري عامة في ظل الحكم العثماني وإن يعود تواجدهم بها إلى فترات سابقة ؛فإنه شهد خلال المرحلة محل هذه الدراسة تزايد أعدادهم ،وتنوع أصولهم الجغرافية وكانوا يمثلون جماعة متميزة عن مجموع السكان المسلمين بمدينة الجزائر لأسباب دينية وحضارية و مع هذا ؛فقد كانوا يشكلون قسما منه وكانت لهم روابط وصلات متنوعة بالسكان المسلمين من جراء التعاملات اليومية؛ التي كانت تجمع بين الطرفين في جو يغلب عليه التسامح الديني وفي هذا الفصل مزيد من البحث والتفصيل عن اليهود بمختلف مجموعاتهم، وفعاليتهم وصلاتهم بحكام البلاد وأهاليها.

1-أصولهم يهود مدينة الجزائر:

كانوا يشكلون إحدى العناصر البشرية المهمة بالمدن الكبرى[1]، وبخاصة في مدينة الجزائر وقد كانت تتكون من ثلاثة أقسام، أو فئات تبعا لأصولها الجغرفية ؛حيث وجد اليهود الأهالي ،وهم الذين كانوا يعرفون بـ **التوشابيم**(tochabim)[2] ،ومفردها توشاب بالعبرية ويلقبهم آخرون باليهود الشيكليين نسبة إلى الشكيلة وهي صحيفة معدنية كانوا يعلقونها حول أعناقهم يعرفون بها في أوساط المجتمع[3]؛ وهم اليهود المقيمين بالبلاد منذ زمن بعيد ؛فهم كانوا يشكلون العنصر اليهودي القديم في مدينة الجزائر، استقروا بها منذ العهد الروماني كما اشتملوا على بعض يهود شبه الجزيرة العربية الذين استقروا بمدينة الجزائر بعد الفتح الإسلامي لها إضافة إلى قلة من يهود بني دريد الهلاليين[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.23

[2] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص.88

[3] جورج مينيي،تاريخ اليهود في الجزائر،ترجمة أ.لبنى مسعودي مراجعة د.جمال بن عمار الأحمر، الطبعة الأولى، مكتبة عراس،سطيف ،الجزائر ،1437 هـ-2016 صص.28-29

[4] فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996 ص. 120 أنظر أيضا: جورج مينيي،المرجع السابق،صص.34-36 وأنظر أيضا:

Atalla Dhina,les Etats de l'occident muslman aux III-XIV et XV siècles Institution gouvermentales et administratives, office des publications universitaires(OPU), Alger 1984, p.259

وقد انسجم هؤلاء مع المحيط الثقافي، والحضاري، والاجتماعي لمدينة الجزائر، بالرغم من تميزهم، واختلافهم في الدين، والطقوس وهذا الانسجام هو الذي أدى إلى تسميتهم من طرف المسلمين بمدينة الجزائر باليهود الأصليين ، أو اليهود العرب لتميزهم عن غيرهم من اليهود[1].

ثم نجد اليهود الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى منذ القرن 9هـ (15م)، وحتى منتصف11هـ (17م)[2] فارين من محاكم التفتيش[3]،أي اليهود الذين وجدوا في مدينة الجزائر نتيجة الهجرات الأكثر حداثة؛ التي كانت تأتي من إسبانيا وجزر البليار وخصوصا في ســـنوات 1390 ،1391، 1462، 1492، 1608،1497 م وأخـــيرا في 1609/19/08م علما أنه كان قد صدر قرار بطردهم من إسبانيا في 1492/03/31م وهو نفس ما حدث للمسلمين بالأندلس قبل الطرد النهائي سنة 1609/1608 م وقد عرفوا باليهود الإسبان أو اليهود الأندلسيين، أما في الأوساط العبرية؛ فقد عرفوا بـ **الميغورشيم** [4](Megorachim) ومفردها الميغوراش؛ ومعناه بالعبرية المطارد ،وعرفوا كذلك بالكبوسيين نسبة إلى الكبوسة الحمراء –طاقية حمراء–التي كانوا يضعونها على رؤوسهم[5].

وبالإضافة إلى هاتين المجموعتين؛ فقد وجد يهود جاؤوا من البلدان الأوروبية الرئيسية خاصة إيطاليا، **كيهود ليفون** في القرن11هـ(17م)، وكانوا يلقبون باليهود المسيحيين **يهود النصارى** ،أو اليهود الفرنجة أو الإفرنج (Juifs Franes)[6].

و هم بالأساس تجار أجانب لم ينووا الانتماء للجزائر؛ وهم كانوا يتمون عرقيا إلى أوروبا حيث حافظوا حتى على لباسهم على النمط الأوروبي، وعدتهم العائلات اليهودية المنتسبة إلى التوشابيم

---

[1] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص.120

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.102

[3] Mouloud Gaïd, Op.cit., p.202

[4] وهذه الفئة نوعان سفارديم مفردها سفارد بالعبرية، ولها معنيان هما إسباني وافرنجي واشكيناز وهم يهود ألمانيا ،وفرنسا للتوسع أكثر أنظر:جورج مينيي،المرجع السابق،صص.39 -47

[5] فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص.120 وأنظر أيضا : جورج مينيي،مرجع سابق،صص.38- 39

[6] Assia Chenouf, les juifs d'Algérie…2000 ans d'existence, éditions El Maarifa, Bab el Oued, Alger, 1999,p.

والميغورشيم أجانب[1].

و تجدر الإشارة إلى أنه كان هناك اختلاف كبير بين اليهود الأهالي، أو العرب واليهود القادمين من أوروبا من حيث اللغة، والمؤسسات والطقوس الدينية، و العادات، والتقاليد وبالخصوص من حيث المستوى الثقافي[2].

و قدرهم هايدو في أواخر القرن10 هـ(16 م)وتحديدا سنة 1580م بـ 150 منزلا؛ أي حوالي 1500 يهوديا في حين قدرهم الأب دان خلال القرن11 هـ(17م)بحوالي 9.000 إلى 10.000 نسمة وأحيانا كان يصل عددهم إلى تقريبا 12.000 نسمة خلال القرن 11هـ (17م) خاصة سنة حسب ماذكره الفارس دارفيوا.[3]

2-أنشطتهم وفعالياتهم:

ومن أجل كسب رزقهم أقدم اليهود في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني على مزاولة عدة أنواع من التجارة كما كانت عادتهم في كل مكان يستقرون به ؛حيث كان للأغلبية منهم متاجر أين كانوا يبيعون الخردوات، أو غيرها من البضائع و كان يوجد منهم من يبيع نفس هذه المواد، والأدوات عبر الشوارع التي كانوا يجوبونها حاملين في أيديهم سلالا، أو علبا، وهم يصيحون"من يريد أن يشتري"؛ أي كانوا باعة متجولين[4].

كما أدى الكثير منهم دورا هاما في عملية بيع، وشراء الغنائم[5]،وحققوا أرباحا كثيرة من وراء ذلك ؛فقد كانوا يعيدون بيع الأدوات، أو الأشياء المتحصل عليها في إطار الغنائم البحرية بربح وبفائدة كبيرة للتجار المسيحيين، وخصوصا تلك المتمثلة في الذهب، والفضة والأحجار الكريمة،و أنواع الخمور، والكحول ،واللحوم المتعددة المحجوزة على ظهر السفن المسيحية وهي البضائع التي كان المسلمون يحرمون على أنفسهم الخوض فيها؛ لأنها محرمة دينيا[6].

---

[1] جورج مينيي ،المرجع السابق،ص.47

[2] Gramaye (J.B), Op.cit., p. 11

[3] عن التطور الديمغرافي لليهود في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني إنطلاقا من المصادر الغربية أنظر :

EISENBETH (M) : Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'Epoque Turque 1516-1830, In: **R.A.,**T. 96, 1952. p.147-155

[4] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871,p. 91

[5] Corinne Chevalier, Op.cit., p. 65

[6] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، المرجع السابق، ص. 90

حيث تكفل اليهود، ولاسيما يهود ليفورن ببيع تلك الغنائم التي لا يمكن بيعها في مدينة الجزائر في كل من إيطاليا، وإنجلترا، والنمسا، وغيرها من المدن الأوروبية، وذلك عن طريق عملائهم أو بواسطة أبناء جلدتهم من اليهود[1]، وقد كان هناك عدد منهم يسافرون حاملين معهم سلعا متجهين إلى تونس،و جربة ،وليبيا، و عنابة، و قسنطينة،و وهران، وتلمسان و تيطوان، و فاس وحتى إلى القسطنطينية للمتاجرة بها[2].

إذ ابتداء من القرن 11هـ(17م)بدأ يهود مدينة الجزائر بإرسال قوافل إلى القسطنطينية وفي كل امتداد الأراضي الواقعة تحت سلطة الدايات وكانوا يقومون بتجارة الحرائر ،و الأقمشة القادمة من بلدان أوروبا [3]،كما أنهم كانوا يؤدون دور الوسطاء في عملية افتداء الأسرى العبيد المسيحيين، فالدور اليهودية الرئيسية في مدينة الجزائر كانت تقوم بعمليات،وصفقات فداء الأسري، وكانت بالنسبة لهم تجارة مربحة، وهذا من خلال: أولا دورهم كوسطاء فيها ،و ثانيا القروض المقدمة من طرفهم لإتمام هذه الصفقات[4].

وأبدع اليهود، وتفوقوا في بعض المهن، والحرف كصناعة المجوهرات[5] فقد كانوا صائغين وبائعي مجوهرات ،وحلي ،ولاسيما المصنوعة من المرجان[6] ومن الفضة والذهب [7]وكانوا تحت رقابة أمين السكة الذي كان يراقب جماعة الصاغة ،والجواهرجية المشكلين أساسا حتى لا نقول كلية من اليهود[8].وكان منهم أيضا البقالون، والخياطون، بالإضافة إلى بروزهم في صناعة الزجاج ومقابض البنادق.[9]

ولعل أهم ما تميزوا به أيضا هو اختصاصهم في صك العملة الذهبية ،والفضية، والنحاسية؛ فقد كانوا وحدهم مكلفين بذلك، ولا ينازعهم فيه أحد والأرباح التي كانوا يحققونها في هذا الصدد كانت معتبرة،و يضاف إليها أرباح عمليات الغش وتزوير العملة التي كانوا يقومون بها ؛والتي كانت

[1] عبد العزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.146

[2] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.,** T.15, 1871,p.9

[3] EISENBETH (M) :Op.cit, In: **R.A.,**T. 96, 1952. p.358

[4] Ibid,p.357

[5] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant…, p.206

[6] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A**, T.15, 1871, p.52

[7] William Shaler,Op.cit,p.87

[8] Devoulx (Albert),tachrifate…, p.43

[9] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص.132

تعود عليهم بالفائدة والمكاسب[1].

كما برزوا في بيع الذهب، وتصنيعه، وبرز منهم الطرازين الذين يستخدمون الخيوط الذهبية والفضية، وكان منهم أيضا الصرافين الذين كانوا يشرفون على استبدال العملات بفوائد كبيرة في الشارع ؛حيث كانوا يجلسون على مقاعد صغيرة ينتظرون زبائنهم، والكثير منهم كانوا حرفيين يشتغلون بالجلود، والحديد، والخشب، وآخرين كانوا جزارين، أو يديرون دكاكين كانت توجد بها مختلف الأدوات، والمواد[2].

ويذكر دابر في القرن 11 هـ(17 م) أنه كان يمكن للتجار المسيحيين الإقامة لدى اليهود في حيهم الخاص ؛حيث كانوا يوفرون غرفا يقومون بكرائها للمسافرين[3] ؛أي أن هذه الوسيلة كانت تشكل موردا أخر للدخل لدى يهود مدينة الجزائر.

ولابد من الإشارة إلى أنه خلال المرحلة المعنية بالدراسة وخصوصا خلال القرن 11 هـ (17م) بدأ دور اليهود وبخاصة يهود ليفورن[4] يبرز على المستوى السياسي،وإن كان دورهم هذا وتأثيرهم على السياسة الداخلية، والخارجية وتحكمهم في الاقتصاد ،وبخاصة التجارة الخارجية سيعرف ذروته في القرن 12هـ (18م) و مطلع القرن 13 هـ(19 م) إلا أن جذور هذه الوضعية برزت في المرحلة السابقة وهذا ما يتضح من خلال ما أورده توماس هس في القرن 11 هـ (17م)؛ حيث تحدث عن نموذج من هؤلاء اليهود ،وهو المدعو "دافيد كوهان" ووصفه بأنه يهودي من يهود مدينة الجزائر،و صاحب مكانة، وحظوة كبيرة لدى صهر الداي المدعو بابا حسن وعند عائلة الداي لدرجة أنهم لم يكونوا يقدمون على عمل أي شيء مهم قبل الحصول على نصائحه،وموافقته وقد كان يتاجر كثيرا مع الأشخاص الأكثر ثراء في مدينة الجزائر ،وكان يهتم أيضا ببيع الأسري العبيد ،وبأسعار مرتفعة بالنسبة للأغلبية منهم ،وقد أكد له رفيقه

[1] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871, p.492
[2] Gramaye (J.B), Op.cit., p. 113
[3] Dapper ,Op.cit.,p.171

[4] وهؤلاء اليهود انتشروا في كل مدن الجزائر واستولوا على مراكز القرار ومختلف الشؤون الحيوية والحساسة كما انتزعوا رئاسة طائفة اليهود في الجزائر من اليهود الأندلسيين" المغوريشيم" ومن أعلامهم وأسرهم التي اشتهرت حينها بمدينة الجزائر نذكر: عائلات بوشناق، وبكري ،وبوشعرة ،وكان لهؤلاء اليهود إلى جانب الروح الانتفاعية المصلحية الشائعة لديهم توجه نحو الهوية والثقافة الغربية الأوروبية ؛مما سيؤدي إلى تراجع إحساس اليهود بانتمائهم للجزائر و تآمرهم عليها مع أعدائها وفي مقدمتهم فرنسا مما سيسهل عليها احتلال الجزائر. أنظر: جورج مينيي المرجع السابق،ص.47

وصديقه دوباس(De Pas) أن الاستعانة بهذا اليهودي أمر ضروري لتسهيل نجاح مهمته ؛فهم بحاجة إلى شخص خبير يحسن التكلم باللغة التركية العثمانية ،وباللغة العربية ويجب الوثوق فيه حيث أن كل القضايا تعالج وتحضر بصورة خاصة ،و أخبره أن ذلك اليهودي سيستغل الفرصة لعرض قضيتهم على مسامع الداي، و صهره بابا حسن عندما سيحدثهما عن يهود ليفورن خلال الاحتفال الذي سيقام على شرف صهر الداي ،والذي سيتخلله تقديم قفطان ثمين له كهدية ترحيب به بعد عودته متنصرا من مدينة تلمسان ؛حيث نجح في إخماد تمرد قام فيها وفي الجنوب الغربي لوهران[1].

3-أوضاع اليهود في مدينة الجزائر:

لقد كانت ظروف اليهود في مدينة الجزائر ظروفهم في البلاد الإسلامية عامة تلك التي يوفرها الإسلام شرعا لأهل الكتاب سواء كانوا مسيحيين، أو يهود؛ أي وضعية أهل الذمة فقد وجد اليهود في مدينة الجزائر الأمان، والسكينة، والسلام، وحسن الضيافة ،ونخص بالذكر اليهود الذين قدموا من الأندلس فرارا من الاضطهاد بعد أن صودرت أملاكهم.

ونجد لدى اليهود اعتقاد أشبه بالأسطورة حول هذا الموضوع يصور حياتهم الآمنة في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس، ثم الاضطهاد الذي تعرضوا له في إسبانيا على يد المسيحيين والملجأ الآمن الذي وجدوه في مدينة الجزائر ،وجاء في معتقدهم هذا مايلى:

" مسلمين الأندلس سمحوا لأبناء إسرائيل أن يعيشوا بينهم ،وأن يتاجروا وأن يمارسوا ديانتهم بحرية ،ثم طرد المسيحيون المسلمين، واستردوا هذا البلد الجميل، وقد تركوا أبناء إسرائيل مدة في حالهم ،ولكن لطمعهم في الثروات التي جمعها اليهود من جهدهم ،وعملهم لم يتأخروا في التعرض لهم، واستعبداهم[2].

وفي سنة 1390 م وضع في الأغلال سيمون بن سمير الذي كان الحبر الأكبر لمدينة سفيل-بإسبانيا-وألقي به في السجن مع ستين فردا من أباء العائلات اليهودية الكبيرة هذا التصرف المشين كان الإشارة لوحشية أكبر من كل تلك التي مروا بها إلى حد الآن، فموت الحبر و رفاقه المساكين قد أمر به واعدامهم كان سينفذ ،وعندها أنقدتهم السماء بمعجزة

[1] THOMAS HEES ,Op.cit.,pp.109-110
[2] LEYNADIER & CLAUSEL, Tome1 ,Op.cit.,p.152

من المعجزات التي تعطي عنها كتابات أبناء إسرائيل أمثلة كثيرة؛ حيث يذكر أن كل الذين كانوا مع سيمون كانوا يعتصرون من الألم تاركين أنفسهم لليأس عندما أدركوا أن ساعتهم قد دنت، ولكن الحبر الأكبر هذا الرجل الكبير بقي هادئا، وبدا مستسلما بشجاعة لمصيبته ومصيره، وفجأة امتلأت عيونه "وهجا ونارا، و أضاء وجهه، و لمع شعاع من الضوء حول رأسه {ولعل المقصود بها هالة الضوء التي نلاحظها في الرسوم المعروفة بالأيقونات الممثلة للقديسين في الفن المسيحي }[1].

وفي هذا الوقت أخذ قطعة من الفحم، ورسم سفينة على الجدار، واستدار بعدها اتجاه من كانوا يبكون، وقال لهم بصوت جوهري من منكم يؤمن بقدرة الله، ويريد الخروج من هنا ليضع إصبعه على هذه السفينة؛ فقاموا كلهم بذلك و في تلك اللحظة أصبح القارب حقيقيا وبدء في الحركة من تلقاء نفسه قاطعا شوارع مدينة سفيل أمام التعجب الكبير للسكان دون الدوس على أي منهم، واتجه مباشرة للبحر بعد أن التقط كل إخوانهم المتنهدين من جراء الاضطهاد[2].

ثم اقتيدت السفينة، أو المركب المعجزة من طرف الرياح إلى سواحل مدينة الجزائر من مدن المسلمين، وبناء على الطلب الذي قدمه اليهود بالسماح لهم بالإقامة بينهم، وبعد أن استمعوا لقصتهم، وسرد الطريقة التي نجي فيها بني إسرائيل من وحشية المسيحيين استشار الجزائريون مرابطا مشهورا يعيش في مليانة، و بناء على جوابه الذي كان ينص على استقبال أبناء إسرائيل حصل هؤلاء على الإذن بالنزول من مركبهم، و قد ذهب السكان، وعلى رأسهم رجال الدين الإسلامي { يقصد هنا الأئمة، والمفتين، والعلماء ،والقضاة ،والمتصوفين...الخ} في جمع غفير لاستقبالهم[3].

ولا تهمنا في هذا المحل هذه المعجزة بحد ذاتها ؛التي هي اعتقاد كان سائدا بين يهود مدينة الجزائر بقدر ما يهمنا منها ذلك الوصف للاستقبال الذي حظي به هؤلاء اليهود المضطهدين من قبل سكان مدينة الجزائر وهو موقف ينم عن تعاطف إنساني ،وتسامح ديني كان يتمتع ،ويتحلى به سكان مدينة الجزائر من منطلق دينهم الاسلامي ،واعتراف من اليهود أنفسهم

[1] Ibid.,p.153
[2] Ibid.,p.153
[3] Ibid.,p.153

بأن مدينة الجزائر خاصة وكل سواحل المغرب الإسلامي عامة كانت ملجأ آمن لهم كما أن أنها تؤكد مسألة هجرة يهود إسبانيا نحو مدينة الجزائر، وبقية سواحل المغرب الإسلامي بدء من القرن 14م تزمنا مع اشتداد وطأة حركة الاسترداد ،وسياسة محاكم التفتيش.

و تمتع اليهود في مدينة الجزائر بحرية المعتقد، والحق في أن يكون لهم مدارس عبرية ؛ومن ثم كان بإمكانهم العناية بتعليم أبنائهم؛ حيث كان بعض المعلمين اليهود يهتمون بتعليم الأطفال اليهود القراءة بالحروف العبرية، وكتابة العربية بالحروف العبرية؛ ولكن لا أحد منهم كان مثقفا حسب ما ذكره هايدو في القرن 10هـ (16م)[1].

و توزع هؤلاء اليهود في مدينة الجزائر على حيين من أحياءها، وكان لكل حي منهما معبده اليهودي،حيث كان يجتمع فيهما اليهود كل يوم سبت لإقامة احتفالاتهم، وأعيادهم بدقة متناهية بغناء، وترتيل أشعار يهودية عبرية بأصوات مرتفعة والكثير منهم كانوا يذهبون إلى هذه المعابد للقيام بأداء صلواتهم كل يوم ، وكانت لديهم أيضا مقبرة خاصة بهم خارج باب الواد لدفن موتاهم [2]. وهذا دليل على الحرية والتسامح اللذين تمتعا بهما في مدينة الجزائر.

و وجود أحياء خاصة باليهود عرفت في بلاد المغرب الإسلامي "بالحارات " لا يعنى بأي حال من الأحوال أنه فرضت عليهم العزلة ،أو أنها دليل على التميز الذي مارسته السلطة ،أو المجتمع المسلم عليهم ،والدليل على ذلك هو أن اليهود توزعوا في النسيج العمراني للمدينة خارج الأحياء المخصصة لهم ، ولم ينحصر وجودهم في الأحياء الخاصة بهم؛ فقد كانوا يتوزعون في عدة أحياء من القسم السفلي من المدينة عند طرفي شارع السوق الكبير الذي كان يمثل القلب النابض للنشاط الحرفي والتجاري في المدينة[3]. مما يشي بتأثيرهم ،وبنشاطهم الاقتصادي في نفس الوقت[4].

و كانت ملكيات اليهود تتوزع في مدينة الجزائر انطلاقا من دراسة لوثائق سلسلة المحاكم الشرعية على ثلاث مناطق المنطقة الأولى حول قصر الحاكم –قصر الجنينة – فالحماية التي كانت توفرها السلطة لهذه الطائفة ،وفي نفس الوقت نفوذها الاقتصادي، والمالي من الأسباب

[1] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871,p.492
[2]Ibid.,p.492

[3] أنظر الفصل الخامس من الباب الثاني من هذا العمل

[4]André Raymond,Op.cit.,p.113

الهامة لتمركزهم في هذه المنطقة؛ أما المنطقة الثانية ؛فقد كانت قريبة من باب الوادي أين كانت توجد بيعة اليهود الكبرى، فمعابد اليهود كانت كلها مبنية في القسم السفلى من المدينة[1] أما المنطقة الثالثة ؛ فهي التي كانت تقع على طول شارع البوزة ،أو السوق الكبير[2].

و مما يدل أيضا على عدم انغلاق طائفة اليهود على نفسها، و انعزالها عن بقية السكان المسلمين تلك المعاملات؛ التي كانت تجمع الطرفين من بيع وشراء للعقارات، ونزعات حول حقوق الجيرة، والتي تثبت تجاور اليهود في السكن مع المسلمين.

ومن الأمثلة عن ذلك قضية نزاع قام بين جارين أحدهما مسلم والأخر يهودي وذلك بناحية باب الواد وملخص الخلاف هو حول استخدام حائط فاصل بينهما كان على ملك المسلم الذي أراد أن يهدمه وهذا ما لم يرضى به اليهودي بسبب أنه أسند درج بيته العلوي إليه منذ فترة طويلة بلغت 12 سنة ،وبعلم من جاره المسلم فقضي القاضي بأن الحق مع اليهودي لأن درجه مسند إليه من ناحية ،ومن ناحية ثانية لعدم وجود سبب ضروري يستدعى هدمه، وفي نفس هذا الصدد نسجل قضية أخرى مفادها تقديم أحد العثمانيين طلبا إلى القاضي الحنفي يطالبه بالتدخل وتطبيق حق الشفعة للجار لشراء بيت جاره اليهودي الذي أراد بيعه ليهودي آخر[3].

و انقسمت الطائفة اليهودية بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني إلى ثلاث مجموعات على أساس الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لكل واحدة منها ؛فوجدت مجموعة تجارية غنية كانت تتشكل أساسا من يهود ليفون، وجماعة متوسطة تضم الحرفيين التجار الصغار وكانت تتكون أساسا من يهود الأندلس الميغورشيم وأخيرا جماعة اليهود الأهالي الذين كانوا يمارسون مهن متواضعة شبيهة بالتي كان يمارسها البرانية خاصة البساكرة[4]؛وهذا التقسيم يتماشى مع تقسيم يهود مدينة الجزائر إلى ثلاث مجموعات من منطلق أصولهم الجغرافية كما سبق شرحه وتوضيحه.

---

[1] Rozet(M), Voyage dans ..., T.3, p.53

[2] مصطفى بن حموش،،المدينة والسلطة ..."، صص.160 -161

[3] المرجع نفسه ،ص.163

[4] فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص.132

و قد سمح البايلرباي خير الدين لليهود بالإقامة في المدينة، والمكوث بها مقابل دفع ضريبة الجزية كما حدد لهم عدد الحوانيت التي يفتحونها في كل سوق من الأسواق[1].

حيث كان مسموحا للجالية اليهودية بأن تسير شؤونها الخاصة، وأن تنظم قضاءها ومحاكمها باستثناء الحالات التي يكون للمسلمين دخل فيها[2]. و كان مقدم الطائفة اليهودية يتولى دفع الجزية إلى الباشا نيابة عن باقي أفراد جماعته ؛حيث ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م)أن طائفة اليهود في مدينة الجزائر كانوا يدفعون ضريبة سنوية تقدر بـ 500 **رادوبل**-عملة نقدية- أي ما كان يعادل600 إيكون ذهبي-عملة نقدية -،وكان اليهود يقسمون ،ويوزعون فيما بينهم الضرائب السنوية؛ إذ كان يدفع كل منهم ما يقدر عليه حسب إمكاناته[3].

وتحفل المصادر الغربية بوصف المعاملة السيئة التي كان يلقاها اليهود في مدينة الجزائر حيث ذكر جوؤا مسكغناس(Joao Mascarenhas)خلال القرن11هـ (17م) أن اليهود كانوا مضطرين أن يدفعوا في كل يوم مبلغا معتبرا من المال بسبب أدنى شكوى ضدهم ،أو خطاء مرتكب من طرفهم أي أنهم كانوا يتعرضون للنهب،والسلب من طرف سلطات البلاد لأتفه الأسباب[4].

ومما يذكر أيضا عن سوء معاملة اليهود من طرف بقية سكان مدينة الجزائر أنه كان يمكن لطفل صغير من المسلمين أن يجعل أي يهودي يلتقي به في الطريق ينزع غطاء رأسه-كالعمامة- و سنداله -نوع من النعال -، و إن كان هذا اليهودي صاحب منزلة مرموقة وثراء، وكان الطفل المسلم يستعمل غطاء رأس اليهودي ونعليه ليوجه لهذا الأخير مئة صفعة على وجهه ، وهو لا يجرؤ على أن يدافع عن نفسه، أو قول كلمة واحدة بل يكتفي بالفرار عندما تتاح له الفرصة[5].

و يمكن التشكيك بواقعية وصحة هذه المعلومات إذ طرحنا على أنفسنا السؤال الآتي: كيف كان يمكن لطفل صغير التوصل لصفع رجل كبير،وهو يفوته طولا حتى وإن استعمل للقيام بذلك نعلي اليهودي ،وغطاء رأسه،ولما لم لا يلجيء اليهودي إلى الفرار أصلا بمجرد محاولة الطفل الصغير صفعه؛ بل وبمجرد أن يطلب منه نزع غطاء رأسه ونعليه ؟!

ثم السؤال الأهم:ماهو الأمر،أو السبب الذي كان يجبر اليهود على الإقامة بمدينة الجزائر ماداموا

---

[1] Grammont (H. D. De), Op.cit., p. 233
[2] Gramaye (J.B), Op.cit, p.110
[3] « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871, p. 92
[4] Op.cit, p.75
[5] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.,** T.15, 1871,p. 94

عرضة للإمتهان،والإحتقار، والسخرية،والنهب من طرف جميع سكانها كبارا، وصغارا ، وبصورة مستمرة؟ ولاسيما وقد سبق لهم أن هاجروا من إسبانيا بحثا عن الأمن والاستقرار بعدما تعرضوا للتعذيب، والإضطهاد على يد محاكم التفتيش.

و في المقابل فإن الإطلاع على المصادر المحلية يتيح للباحث فرصة للخروج بتصور مغاير تماما لما ورد في جل المصادر الغربية عن واقع اليهود بمدينة الجزائر ؛والتي أبرزنا عينة منها آنفا حيث يشير قانون مدينة الجزائر، أو قانون أسواق مدينة الجزائر من بين ما يتضمنه إلى مسألة مزاولة اليهود للتجارة بل والأهم في هذا المقام مشاركتهم للسكان المسلمين في الأنشطة التجارية ،وهذا إن دل على شيء ،فإنما يدل على مدي الحرية الممنوحة لهم ،والمعاملة الحسنة التي كانوا يحضون بها كأهل ذمة؛ حيث كانت تحفظ لهم حقوقهم ،ولا تهان إذ ورد في هذا الشأن ما نصه :

"الحمد لله شهادة عنده على مبارك اشد بلوطي امتع {كذا} الحرير مع حييم بن عشور شرك بينهم وادراهم الحمالا {كذا} شرك {كذا}ثلاثة مائة وست وعشرون ريال ميا واحد وعشرون امتع {كذا} امبارك مايتين {كذا} وخمس امتع حييم وهما شرك{كذا} وكتب عبد الله بن الحاج يوسف الشويهد تاب الله عليه والحرير في دار مبارك الدلال بتاريخ غرة صفر سنة1112هـ (1700م) "[1].

وقد تم تسجيل هذه الشراكة –كما ذكر أنفا– على ما يبدو لضمان حق كل طرف و ما يؤكد ذلك أنه عندما أراد أحد الشريكين السفر، وابتاع الشريك الثاني بعض الأشياء بحصته من الشراكة تم تسجيل ذلك، وهذا نص ما سجل:"

بمحضر مبارك والذمي حييم بن عشور الحمد لله جاءني للحانوت مع حييم اليهودي مبارك وحب {كذا} يسافر لبسكرا واتفق مع حييم وكتب شهادة عند في الزمام ادراهم حييم ثلاثة مائة واحدى وثلاثين ريال اشراهم{كذا} دخان وزوج{كذا} حياك احمر فرمز{كذا} وكل واحد يتبع راص {كذا} مال بمحضر محمد الكاتب عبد الله عليه بتاريخ اواخر ربيع من عام 1112 هـ(1700م) الف ومائة واثنى عشر شرك {كذا}..... بين مبارك الدلال وحييم الذمي شريكان "[2].

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ورقة 14 في النسخة الأولى/ ورقة60في النسخة 2

[2] المصدر نفسه،ورقة 14 في النسخة الأولى /ورقة 60 و61في النسخة 2

وهذا التسجيل لتفادي أي مشكل أو خصومة في المستقبل،وضمان حق كل طرف أي أن التعامل مع أهل الذمة من اليهود في التجارة كان لا يختلف عن تعامل المسلمين في بينهم تعامل أساسه الأمانة، والصدق وهو أساس ينص عليه الإسلام شرعا لأنه دين عبادة ،ومعاملة و يدعوا للتعامل بالحسنى مع الغير، و إن كانوا أهل ذمة ما لم يتعرضوا للمسلمين بالسوء سواء كان ذلك في دينهم، أو أنفسهم، أو مالهم ،أو أرضهم ،وهذا ما يجعلنا نطرح سؤال عن مدي صحة ما قيل عن سوء المعاملة التي كان يلقها اليهود في مدينة الجزائر.

ومن الأمثلة الأخرى عن ذلك عقد يعود لسلسلة المحاكم الشرعية وهو عقد بيع وشراء ينص على شراء التاجر الحاج محمد بن السيد أحمد الأندلسي من الذمية حنة بنت الفقيه عمار {بمعنى أن والدها كان من رجال الدين اليهود ،ونلاحظ أنه تم إبراز ذلك باعتماد المصطلح الإسلامي "فقيه" } جميع الربع الواحد الخاص بها من جميع الحانوت الكاينة بالملاحين داخل محروسة الجزائر ؛والذي انتقل إليها بالإرث من أمها مريم ليهودية {اليهودية}وتم الاتفاق على ثمن قدرهماية ريال واحدة وخمسة وعشرون ريالا كلها كبيرة الضرب فضية ،ولكن وعوض قبض المبلغ المتفق عليه قبضت عوض عنه ،و بالاتفاق بينهما اثني عشر رطلا من القرمز { مادة صبغية كانت تستعمل في صبغ الأقمشة}ونصف الرطل {وهذا دليل على أن الأندلسيين تخصصوا في صباغة الأقمشة كما سبق ذكره} وقد حضر إبرام هذا العقد زوج البائعة الذمي عمار ابن الفقيه شمعون ووافق على جميع ما جاء فيه[1].

علما أن البائع المسلم منح للبائعة اليهودية فرصة استعادة ،أو استرداد المبيع إن أتته بمثل الثمن المذكور في عقد البيع عند تمام عشرة أعوام من تاريخه[2] {أي من تاريخ عقد البيع} وهذا ما يعرف بالبيع بالثنايا[3].

---

[1] الوثيقة رقم 19 :عقد بيع وشراء بين التاجر الحاج محمد بن السيد أحمد الأندلسي والذمية حنة بنت الفقيه عمار" في العلبة 41-2 من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها أواخر محرم الحرام فاتح عام 1051 هـ/1641 م في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] المصدر نفسه

[3] ويقصد به البيع بشرط أن البائع متى رد الثمن يرد المشتري المبيع إليه ،وفي أثناء ذلك يحق للمشتري الاستفادة من المبيع ولكن لا يحق له التصرف فيه ببيع أو هبة ..الخ طيلة الفترة المتفق عليها لرد الثمن من طرف البائع و استعادته المبيع؛ ولكن إذا انقضت الفترة المتفق عليها ولم يحدث ذلك يصبح المبيع ملكا فعليا للمشتري يتصرف فيه كما يشاء=

وقد يفهم من هذا أن لجوء الذمية حنة إلى بيع حصتها من الحانوت نتيجة حاجة ماسة ومن تم أتاح لها المشتري إمكانية استعادة ما بعته على المدى الطويل ،وإبرام هذا النوع من البيع بين طرف مسلم وطرف يهودي يمكن أن نستدل من خلاله على الثقة المتبادلة بين الطرفين التي كانت أساس المعاملة والتعامل بينهما .

ولعل أدل دليل على التسامح و المعاملة الحسنة التي كان يحظى بها اليهود في مدينة الجزائر القضية التي تحويها إحدى الوثائق العائدة لهذه الفترة، والمتمثلة في قضية بث فيها المجلس العلمي حول مسألة استبدال وقف من أوقاف الجامع الأعظم بوقف آخر بطلب من اليهود المقيمين بالمدينة بهدف توسيع مقبرتهم بعد أن ضاق الحال عليهم ،ولم يجدوا موضعا يشترونه ليجعلوه مقبرة سوي وقف الجامع الأعظم المتمثل في البحيرة ،والرقعة اللاصقة بها الواقعتين خارج باب الواد بجوار مقابر جماعة اليهود، وقد قبلت المعاوضة ،والمبادلة بعد أن تبين للمجلس العلمي عدم الإضرار بالجامع الأعظم؛ حيث تبين لهم أن حصيلة كراء الدار التي عرضها اليهود للمبادلة أكثر نفعا، وفائدة للجامع الأعظم[1].

ومن تم تمكن اليهود من توسعة مقبرتهم، و هذه الوثيقة تدل على وجود مقبرة خاصة بهم بمدينة الجزائر، كما تبين حسن المعاملة التي كانوا يتلقونها، إذ سمح لهم بتوسعة مقبرتهم بل منحت لهم أرض كانت من أوقاف الجامع الأعظم بالمعاوضة مع دار لهم.

ومن خلال هذه الوثيقة نسجل أن جماعة اليهود بمدينة الجزائر استندوا في طلبهم من الدولاتلي{ الداي} الحاج شعبان إلى رسم حكم يحوى أمر من السلطان العثماني وتاريخه سابق لتاريخ هذه القضية. ونص الحكم على أنه إذا أراد اليهود المقمين بالجزائر أن يشتروا

=ويعرف هذا النوع من البيع بالبيع بالوفاء ؛لأنه ينبغي على المشتري الوفاء بالشرط ،ويسميه المالكية بيع الثنايا والشافعية بيع العهدة ،والحنابلة بيع الأمانة وسمى في بعض كتب الحنفية بيع المعاملة، وذهب بعض هؤلاء إلى أن بيع الوفاء رهن ،ويثبت له جميع أحكامه ، علما أن الفقهاء اختلفوا في الحكم الشرعي لهذا النوع من البيوع . حول هذا الموضوع أنظر :وزارة الأوقاف و الشئون الدينية، الموسوعة الفقهية، الجزء التاسع البيع –البينة، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، الطبعة الثانية 1407هـ-1987م، ص47-48

[1] الوثيقة رقم: 53" "تنازل عن وقف من أوقاف جامع الأعظم وتعويضه بوقف آخر" من الملف الثاني للمجموعة 3205 من الرصيد العثماني تاريخها أواخر ذو الحجة 1102هـ / 1690 م ، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -

موقعا يجعلونه مقبرة لدفن موتاهم أن يمكنهم حكام إيالة الجزائر، وعسكرها المنصور من ذلك ولا يمنعونهم عنه، ونستخلص مما سبق بعض التساؤلات من بينها :

-كيف تحصل هؤلاء اليهود على هذا الأمر السلطاني ؟ وهل طالب اليهود من السلطان العثماني منحهم هذا المرسوم في فترة سابقة لأنهم وجدوا صعوبة في إقناع السلطات العثمانية بمدينة الجزائر بحقهم في الحصول على مقبرة خاصة بهم ؟ و هل كان هذا بمثابة امتياز خاص منح لهم من طرف السلطان العثماني، ولماذا؟ وهل تم ذلك في إطار نظام الملل المتبع من طرف الدولة العثمانية؟ ولايمكن الاجابة عن هذه الأسئلة إلا بعد العثور على نص هذا المرسوم والتوسع بالبحث في هذا الموضوع.

ولكن يمكن القول مبدئيا أن هذه المعاملة المتسمة بالتسامح اتجاه اليهود في مدينة الجزائر من طرف السلطات العثمانية كانت سياسية معمولا بها في كل أنحاء الدولة العثمانية وما يدعم ذلك ما جاء في مراسلة أحد اليهود المقيمين في أراضي الدولة العثمانية لصديقه اليهودي المقيم في أوروبا ومما جاء فيها :" الدولة العثمانية بلد حيث يعيش كل فرد في سلام في ظل شجرتي التين و الكرم الخاصتين به ...إنها فضاء واسع أو محيط فتحه الله لنا برحمته وعفوه هنا أبواب الحرية مفتوحة على مصراعيها ،واتساعها ،وتستطيع تطبيق، وممارسة كل قوانين، و تعاليم الديانة اليهودية "[1].

كما أننا نلاحظ مما ذكر آنفا أن الدولاتلي-الداي-قد قام بمراعاة أمر السلطان ولكنه لم يتخذ قرار بمنح اليهود البحيرة، والرقعة اللصيقة بها ؛والتي كانت عبارة عن وقف من جملة أوقاف الجامع الأعظم لأن هذه المسألة قضية شرعية دقيقة فأحالها على المجلس العلمي للبث فيها – كما سبق الإشارة إليه- وليمنح لجماعة اليهود ما يسمح لهم بالتوصل إلى مرادهم بموجب شرعي ؛أي الحرص دائما ،وقبل كل شيء أن لا تتعارض هذه المسألة مع الشرع الإسلامي فذلك أسبق من تطبيق قرار السلطان ؛فمسألة الوقف كانت من المسائل الهامة والحساسة[2] في ظل الحكم العثماني من حيث الحرص على تطبيق شروطه، والمحافظة عليه، والحرص على أن لاتتعارض الاحكام والقرارت السياسية مع الأحكام الشرعية.

---

[1] Haim Zafrzni, juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larose, Langers-Saints-Geosmes, 2002, p.215

[2] للتوسع أنظر الفصل الخامس في الباب الثالث من هذا العمل

ونسجل في هذا الصدد أن القاعدة الفقهية لا ضرر ولا ضرار كانت تطبق في مدينة الجزائر ليس ما بين المسلمين فحسب ،ولكن بين المسلمين و أهل الذمة من اليهود ،و من ثم ليس من المستغرب توصل اليهود ،والمسلمين في إطار مجتمع مدينة الجزائر إلى إبرام اتفاقيات تحقق مصلحة الطرفين ومن نماذج ذلك نذكر ما ورد في أحد عقود المحاكم الشرعية حول تأجير قطعة أرض تابعة للمسجد لذميين مجاورين له ،وملخص القضية أنه كان هناك دار يملكها أشخاص من أهل الذمة وهم موشي بن معطي ،و ياسف بن شاول بن معطي ويعقوب ابن معطي وغيرهم .

وكانت هذه الدار مجاورة ومسامية للمسجد الكائن بسوق الخياطين في مدينة الجزائر الذي حول محرابه لناحية أخري لانحرافه عن القبلة ،وبقى المحراب الأول على هيئته ،وعقد الذميون المذكرون العزم على القيام بتجديد بناء حائط دارهم الملصق بحائط المسجد المذكور مما يلي المحراب الأول من الأساس ولهذا طالبوا من إمام المسجد أن يمكنهم من الاستفادة من موضع المحراب القديم بأخذ مساحة القدر المخرج من المحراب المذكور لناحية دارهم الزائد ذلك عن حائط المسجد ليكون الحائط الذي سيبنونه مستويا لا اعوجاج فيه ،وتعهدوا مقابل ذلك بأن يعطوا للمسجد المعني ثمانية عشر دينار زيانية كل سنة انطلاقا من تاريخ الاتفاق وبصورة دائمة وقد تم الموافقة على ذلك وقد جاءت الصيغة كالآتي :" فأجابهم لما سألوا لما ظهر له ذلك من المصلحة العايدة{كذا} على المسجد المذكور .....و لا ضرر فيه"[1].

وتمت العملية بعد استشارة أهل الفضل من خيار الحرفيين التجار في سوق الخياطين ومن ثم رفع إمام المسجد رفقة هؤلاء المسألة للقضاء ،ولم يبث القاضي في المسألة إلا بعد إرساله لخبراء لتعيين الموضع وهم من جماعة البنائيين "...فأشار عليهم{القاضي} أعزه الله أنه لا بد من وصول أرباب البصر والمعرفة للمحل المذكور وإمعان نظرهم فيما ذكر وما اقتضاه{كذا} نظرهم في ذلك يعول عليه فوصل المعظمان الخيران وهما الحاج سليمان البنا ابن محمد اليعلاوي

[1] الوثيقة رقم 8 " تأجير قطعة أرض تابعة للمسجد لذميين مجاورين له " في العلبة96 -97 من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها ربيع الأول 1084 هـ(1673م) في الأرشيف الوطني الجزائري ،ببئر خادم ملاحظة تمت العودة لنص الوثيقة المصور بكامله ضمن الملاحق الواردة في دراسة مصطفي أحمد بن حموش،فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 906 هـ-1146 هـ/1549م-1830م، الطبعة الأولى،دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث،دبي ،دولة الإمارات المتحدة 1421 هـ /2000 م ،صص.231-233

ورفيقه المعلم بلقاسم ابن ثابت....."[1].

و استنادا لتقريرهما وشاهدتهما الإيجابية حيث ذكرا أن في ذلك "سداد وصلاح "مكن القاضي أهل الذمة من طلبهم مقابل التزامهم بأداء ما تعهدوا به[2].

ومن خلال ما سبق نؤكد مجددا مسألة عدم إجبار يهود مدينة الجزائر على الانزواء في أحياء خاصة ،وعدم منعهم من مجاورة المسلمين[3] ؛فمن خلال الوثيقة يتبين لنا أنه سمح لهم بالسكن حتى بجوار المرافق الدينية الإسلامية[4]؛ وهذا ما كان ليحدث في جو يسوده التعصب و الاضطهاد الديني اتجاه أهل الذمة من اليهود مما يشي بجو التسامح الديني الذي كانوا يعيشون فيه في ظل الحكم العثماني بمدينة الجزائر .

والواقع هو أن اليهود بمختلف أصنافهم كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي في أمورهم الدينية وإدارة شؤونهم حسب شعائرهم الخاصة، ودليل ذلك احتواء مدينة الجزائر على معابد خاصة باليهود ؛أي حرية العبادة في حد ذاتها تعتبر صورة من صور الاحترام والتسامح، وفي هذا الصدد يذكر وليام شالر :

".....اليهود يتمتعون بحرية ممارسة دينهم ،و هم يتبعون قوانينهم الخاصة فيما يتعلق بالقضايا المدنية ،ويخضعون لسلطة زعيم من ملتهم أو طائفتهم يعينه الباشا {المقصود به مقدم الطائفة اليهودية}وعلى اعتبارهم رعايا جزائريين ؛فهم أحرار في أن يذهبوا ،ويستقروا حيث

---

[1] المصدر نفسه

[2] المصدر نفسه

[3] وهذا ما نستخلصه من عقد تحبيس ورد فيه ذكر اسم دار ملك لأحد الجرابة تقع بزنقة الجرابة كانت في الأصل ملكا أحد اليهود؛حيث ظلت مشهورة ومعروفة باسمه:".....كما ملك جميع الدار بزنقة الجرابة داخل البلد المذكور المعروفة بمحلها بدار ابن كرشيش اليهودي....."أنظر:الوثيقة رقم 20 في العلبة 10-2 ،المصدر السابق

[4] يشير عقد بيع وشراء عقد بالمحكمة الحنفية إلى تعامل أحد علماء مدينة الجزائر مع أحد سكانها من اليهود مما يدل على عدم وجود حواجز تمنع التعامل بين الطرفين وبخاصة في التعاملات التجارية ،وعمليات البيع ،والشراء بما يحقق مصلحة الطرفين كما نستدل من خلاله أيضا على عدم انزواء اليهود عن المسلمين فيما يتصل بالسكن، والدليل وجود ذكر للدور ضمن معاملاتهم:".....الحمد لله إبتاع المعظم الأجل العالم الأشمل السيد الحاج محمد بن ونيس من الذمي يعقوب اليهودي.....من جميع الدار الكاينة قرب سوق التماقين....."أنظر: الوثيقة رقم 9" عقد بيع وشراء لحصة من دار ملك لأحد أهل الذمة اليهود" في العلبة10 -2 من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها أواخر شهر رجب 1160هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

يريدون وأن يمارسوا كل أنواع المهن المشروعة في البلاد ولا يمكن أن يتم استعبادهم وهم يدفعون ضريبة عن كل واحد منهم {المقصود الجزية}"[1].

وهذا ما ذهب إليه حمدان بن عثمان خوجة عند تطرقه إلى الجزية المفروضة على اليهود حيث ذكر: "وضبطت غرامة على اليهود ....لحماية أشخاصهم وضمان معتقداتهم ،وهي غرامة تتناسب مع ثرواتهم وتتماشى مع قانون البلاد ،ومن بين الأسر التي كانت تفر من إسبانيا عدد كبير من اليهود الذين فضلوا مدينة الجزائر على غيرها لما رأوا فيها من حكم معتدل وأمن على أشخاصهم"[2].

وهذه الإشارة إلى التسامح الديني الذي كان يمارس اتجاه اليهود في مدينة الجزائر لفت انتباه ضباط الاحتلال الفرنسي في بداياته ؛فكتبوا عن ذلك ومن هذه الكتابات التي تميزت بنوع من الموضوعية ما كتبه الضابط روزيت الذي قال :

"ممارسة كل الأديان كان أمرا مسموحا به في مدينة الجزائر ،وحتى الاحتفالات الدينية الخارجية {يعنى التي كانت تقام خارج البيعات أو الكنائس }كان مسموحا بها على اعتبار أن اليهود كانوا يحتفلون باحتفالاتهم الدينية بصورة علنية.....وقد حافظ اليهود على حقهم في بناء معابدهم ،والاحتفال فيها بكل احتفالاتهم الدينية بحرية....."[3] ؛فقد كان يهود الجزائر أكثر حرصا وتمسكا بالمناسبات الدينية من بقية اليهود في أي بلد آخر من العالم[4].

وهذا دليل أخر على التسامح الديني الذي تمتع به اليهود في مدينة الجزائر مما جعلهم من أشد اليهود تمسكا بممارسة طقوسهم ،ومناسباتهم الدينية بالمقارنة بغيرهم من اليهود مادام توفر لهم الجو المناسب لذلك .

كما يقدم الضابط الفرنسي روزيت وصفا دقيقا لمعابد اليهود التي تعود للفترة العثمانية حيث ذكر أنها كانت مبنية على النمط الأندلسي الموريسكي، وفي كل معبد وجدت سقيفة

[1] William Shaler, Op.cit.,p.87

[2] المرجع السابق ،ص.109

[3] Rozet(M), Op.cit, T.3, pp.51-52 voir aussi Lucien Chaillou, l'Algérie en 1781mémoire du consul C.-ph Valliére, chez l'auteur villa beau site valbertrand, Toulon, sans date, p.30

[4] جيمس لندر كاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب ،ترجمة إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجزائرية ،الجزائر ،1982 ص.183

كانت في كثير من الأحيان عبارة عن قاعة كبيرة في حين كان المعبد نفسه عبارة عن قاعة مربعة أو مستطيلة أرضيتها مفروشة بحصائر من الحلفاء ،وجدرانها مغطاة بالمربعات الخزفية{الزليج } و في الوسط توجد منصة من الخشب ملونة بمختلف الألوان، ويصعد على هذه المنصة المنشدين والراهب خلال المراسيم ،و الاحتفالات الدينية وحول القاعة توجد خزائن مزينة من الداخل بالحرير ومقفلة بواسطة ستائر من نفس القماش، وكانت تحفظ فيها اللفافات الجلدية التي تحوى العهد القديم ؛أي الثوراة كما اشتملت معابد اليهود العديد من الفوانيس والمصابيح المشعة بالأضواء[1].

و يمكن القول مما سبق أن سوء معاملة اليهود ،واتخاذ إجراءات صرامة ضدهم من طرف الحكام العثمانيين إن حدثت ؛فلابد أن ذلك كان راجعا إلى سلوكهم، وأخلاقهم وتصرفاتهم تجاه السكان، وليس بناء على انتمائهم الديني ؛حيث كان يتم إنصافهم إذ تبث تعرضهم لتجاوزات مهما كان الشخص الذي أوقع عليهم هذا الظلم؛ والدليل على ذلك حادثة كان غرماي شاهدا عليها في القرن 11هـ(17م) مفادها أنه تم الحكم بالموت على أحد العثمانيين لقتله يهوديا[2].

وهذا ما ذهب إليه الأسير "دو شستال دو بويس (le sieur du chastelt des boys) في كتابه " l'odyisseé" حين كان بقصر الجنينة كأسير في انتظار عرضه على الباشا ،ومن ثم بيعه في سوق البديستان –كما سيأتي ذكره لاحقا – حيث قال:

"..... رأينا في صباح اليوم الموالي جزأ من قدماء الضباط الإنكشارية يصطفون بانضباط بالديوان و رأيت حتى اليهود و المسلمين يدخلون في الصالون بالقاعة الأولى.....و لكن بهدوء لطلب العدالة ويخرجون منها سعداء دون أن يتشاجروا، أو أن يتخاصموا...."[3].

و نستخلص هذا التسامح والشعور بالعدالة ،والانصاف الذي تمتع به اليهود في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني من خلال مثال آخر أورده توماس هس في القرن 11 هـ (17 م) فعندما تحدث عن اليهودي الذي استخدمه كوسيط له لدى الداي لإنهاء المهمة التي جاء لأجلها إلى مدينة الجزائر ؛ ذكر أن أخ هذا الوسيط اليهودي قتل رميا بالرصاص من طرف

[1] Rozet(M), Op.cit., T. 3, p.53
[2] Op.cit., p.101
[3] Sieur René du Chastelet des Boys, Op.cit.,In :**R.A ,** T.12, 1868,p.15

القنصل البريطاني في محضر الداي والعديد من الحضور بقصر الجنينة، والسبب في ذلك أنه ترتبت العديد من الديون على كاهل هذا القنصل لصالح اليهودي وحكم على القنصل بالتعويض ؛لكنه سحب مسدسه ،وأطلق النار على اليهودي وهو يقول:" إذا سوف أدفع لك" وكانت النتيجة أن تم قتل القنصل على الفور من جراء جريمته التي ارتكبها في حق اليهودي[1].

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: إذ كان اليهود في مدينة الجزائر عرضةحقا للنهب والتجاوزات، و الاضطهاد المستمر ،والدائم لما تم الحرص على إرجاع حق ذلك اليهودي من الأموال أولا ، ثم القصاص له ثانيا عند تعرضه للقتل دون وجه حق و إن أدى ذلك لإحداث مشكل دبلوماسي مدام القاتل هنا القنصل البريطاني ؟

وهذا دليل على العدالة التي كانت سائدة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ودليل بشكل خاص على المبالغة الكبيرة لبعض المصادر الغربية خاصة في ذكر المعاملة العنصرية، والسيئة التي كان اليهود عرضة لها في حين يتبين لنا مما أوردناه أنهم كانوا يعتبرون من طرف نظام الحكم العثماني في الجزائر كجزء من الرعايا الذين يسهر على أمنهم واستقرارهم، واحلال العدالة في أوساطهم .

وما يؤكد هذه العدالة أيضا ما جاء في وثيقة تتضمن"حل نزاع قديم بين أهل الذمة اليهود والمسلمين ببلد المدية"[2] ؛وهي تتعرض بشكل عام لخلاف بين أهل الذمة اليهود والمسلمين ببلد المدية حول الموضع الشهير بالمصلى وقد دام هذا الخلاف نحو الخمسين سنة 1667م من سنة إلى سنة 1727م حيث طال النزاع والخصام بين الطرفين والتردد على مجالس الحكام ؛فقد كانت دعوى أهل الإسلام أن الموضع محل النزاع عبارة عن وقف وحبس في حين أن أهل الذمة ادعوا ملكية الأرض المعدة لمقبرتهم ومن ثم توضح لنا الوثيقة جذور القضية وكيف أن غياب وثيقة تتضمن دعوى المسلمين لم يساعد على حسم الخلاف إلى أن ظهرت وثيقة التحبيس فرفعت القضية إلى المجلس العلمي للنظر فيها ؛فكان الحكم لصالح المسلمين لامتلاكهم البرهان والدليل

[1] THOMAS HEES ,Op.cit.,p.109

[2] ذكرنا هذه الوثيقة وإن كانت لا تتعلق بمدينة الجزائر لأنها مثال لا يمكن تجاهله عن التسامح والعدالة التي مورست تجاه اليهود؛ فالتطرق إليها يسمح لنا بأخذ صورة أشمل عن المعاملة التي كان يحظى بها اليهود في الجزائر ككل، ،فهي يمكن أن تعد دليلا على أن التسامح الممارس اتجاههم في مدينة الجزائر لم يكن إستثناء بل سياسة وقاعدة عامة تجاه اليهود في ظل الحكم العثماني في كل المناطق التي استقروا بها في الجزائر، وأنه إذا ما حدثت تجاوزات في حقهم؛ فتلك هي الاستثناءات فعلا. كما أن عقد المقارنات يساعد في توضيح الأفكار، وتقريب المفاهيم و استيعابها.

على دعواهم كما نسجل أنه لم يتم الاكتفاء بوثيقة التحبيس والوقف في تأكيد حق المسلمين ولكن تم الاعتماد على الدليل الميداني ؛حيث جاء في الوثيقة أنه بعد الاطلاع على محتوى وثيقة التحبيس والوقف قام أهل المجلس جميعهم إلى المقبرة المذكورة" مقبرة اليهود" وبالقرب منها وجدوا مقبرة قديمة كبيرة كانت في الماضي مقبرة للمسلمين حيث وجدوا العلامات المميزة لقبور وبناء المسلمين كالشاهدين ومن ثم قطعوا الشك باليقين نهائيا وتم إعادة الحق لأصحابه حيث عادت الأرض موضوع النزاع تحبيسا على عامة المسلمين منتفعا لهم ومرعا لمواشيهم وبطلت دعوى أهل الذمة[1].

و هنا يحق لنا طرح التساؤلات الآتية : إذا سلمنا بأن ادعاءات المصادر الغربية وحديثهم الدائم عن ظلم واضطهاد المسلمين وتعصبهم الشديد اتجاه أهل الذمة من اليهود صحيحة فعلا فلما لم يحكم القضاء الإسلامي لصالح المسلمين بالأحقية في الموضع الشهير بالمصلي دون أن يحتاجوا إلى إثبات صحة دعواهم برسم، أو وثيقة التحبيس ،ولما طال النزاع بين الطرفين خمسين سنة ولما استندوا ،ولجؤا تأكيدا على إحلال العدالة بين المسلمين ،واليهود إلى المعاينة الميدانية؟ولماذا لم تتخذ اجراءات عقابية اتجاه اليهود بعد أن تبث بالدليل ،والبرهان بطلان ادعائهم؟

ونظرا لجو التسامح والعدالة الذي نعم به اليهود في مدينة الجزائر،اكتسب هؤولاء ونخص بالذكر اليهود الأهالي، واليهود القادمين من الأندلس العديد من العادات، والتقاليد التي كانت سائدة لدى بقية أفراد مجتمع المدينة المسلمين، ومن جملة ذلك اتخاذهم للغة العربية أداة للتعبير في معاملاتهم اليومية.[2]حيث ذكر أحد الملاحظين الأمريكيين عن يهود مدينة الجزائر أن عاداتهم وتقاليدهم وطريقة عيشهم لم تكن تختلف إلا قليلا عن تلك الخاصة ببقية السكان[3] ولابد أن مكمن الاختلاف القليل بحسب اعتقدنا يتمثل في الممارسات التي كان ينفرد بها اليهود من منطلق تطبيقهم لتعاليم دينهم وما ترتبط به من عادات، وتقاليد خاصة .

[1] الوثيقة رقم 42 ،من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أوائل رمضان 1140هـ/ 1727 م بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.103

[3] William Shaler, Op.cit., p.89 voir aussi Rozet (M), Op.cit., T.3, p.70

و أكبر دليل على أن اليهود قد وجدوا في مدينة الجزائر جوا مضيافا، آمنا لهم أنهم كانوا أسعد الناس،وأبهجهم بمناسبة الانتصار المحقق ضد حملة شرلكان سنة1541 م من طرف العثمانيين بقيادة حسن آغا و بمشاركة بقية سكان المدينة[1]،وكانت سعادتهم تلك تعبيرا عن حقدهم وعداوتهم للإسبان الذين اضطهدوهم وسقوهم من كأس الذل، و تعبيرا عن فرحتهم بنجاة مدينة الجزائر التي وجدوا فيها الأمن، والاستقرار، وحتى سبل الحياة الرغيدة الهنيئة ،و حرية العبادة، وهذا ما لم يجدوه في أوروبا.

و اتخذوا من تاريخ انهزام شرلكان أمام مدينة الجزائر عيدا لهم عرف "**ببورم الأول**" و مناسبة للاحتفال ؛حيث تم إقرار صيام الثالث من حيزران في حين كان يتم الاحتفال في اليوم الموالي له؛أي في الرابع من حيزران ببورم الأول الذي كان –كما ذكر أنفا – في مذكرة يهود مدينة الجزائر يعد عيدا يخلد ذكري هزيمة، وفشل حملة شرلكان على مدينة الجزائر في 23 أكتوبر 1541 م، و خلال الاحتفلات بهذا العيد كانوا ينشدون القصائد من نظم رجال دينهم بمدينة الجزائر، والتي كانت منظمة خصيصا من طرف أحبارهم وهم أبرهم ذو جاكوب وموسي مشيش ،وأبراهم ذو سلومون حسغفتي والتي كانت تدمج في صلوات يوم السبت التي كانت تسبق هذه الاحتفالات وتتم تلاوتها أيضا خلال يوم الاحتفال [2]،وكانت قصائد في مدح الجزائريين وبطولتهم، وتمجيد شجاعتهم ،وقدرتهم على رد هجمات الأعداء الذين سولت لهم أنفسهم غزو المحروسة دار الجهاد[3].

كما نجد أحد الملاحظين الأمريكيين عند التطرق إلى وصف سكان مدينة الجزائر المسلمين في تعاملهم اتجاه أهل الذمة يتطرق إلى عدم تحاملهم عليهم وعدم تعصبهم الديني حيث يقول:"... سكان الجزائر بعدين كل البعد عن كونهم أولئك البرابرة ذلك المعنى الذي يوقظه في أذهننا لفظ جزائري ؛إذ لديهم شيء من اللياقة في تصرفاتهم ،وفي علاقاتهم وممارساتهم لشؤون حياتهم اليومية ،و وجدتهم دوما متمدنين ،ومهذبين ،وإنسانيين ،ولم أرى

[1] راجع في ذلك الفصل الرابع من هذا الباب

[2] EISENBETH (M), Op.cit., pp.170-171

[3] مولاي بلحميسي،"غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 984هـ -1541م ،**في مجلة الأصالة**، العدد 8، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الجزائر،السنة الثانية، ربيع الثاني– جمادى الأولى 1392/ماي جوان 1972، ص.109 -110

لديهم حتى أعراض التعصب والتشدد الديني ،أو الكراهية اتجاه من يتبعون ديانة مغايرة لديانتهم...."[1].

و لعل فيما كتبه أحد الرحالة الأوروبيين أيضا في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر عن نظرة اليهود لواقع وضعيتهم في ظل الحكم العثماني دليلا على ذلك التسامح الديني الذي نعموا به ؛حيث ذكر بعد أن أشار إلى الاضطهاد الذي كان اليهود عرضة له حسب ما تتداوله المصادر الغربية :

".....ومع هذا من يصدق أن يهود مدينة الجزائر لا يلعنون الأتراك ،و لا يعتبرون الفرنسيين كمحررين ،ويبدو أنهم يستبعدون بسبب كبريائهم كل تلميح لاضطهادهم تحت حكم الأتراك ،ويدعون أنهم لم يكونوا تعساء كما يمكن تصوره وقد قال له حاخام محترم وهو يبتسم دون شك تحت حكم الأتراك كان التعرض للرجم ـ،أو الحرق أحياء { ويبدو أن تعرضهم لذلك كان بسبب ارتكابهم لتجاوزات خطيرة ، وعدم تقيدهم بالقوانين } من المخاطر المحتملة ولكن كان لدينا حاكم أو ملك كما مازلنا نسميه لإصلاح كل خلافتنا فيما بيننا ،وقبل قدوم الفرنسيين كل التجارة كانت تمر من بين أيدينا ولم يعد الحال كذلك وكل يهودي ثري كان ينعم مقابل ضريبة عنه وعن زبائنه الأكثر فقرا بالحماية" وقد يقصد هنا بالضريبة الجزية[2].

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أن التسامح الديني الذي مورس اتجاه أهل الذمة من اليهود قد يكون من الأسباب التي جعلتهم يعتنقون الإسلام بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وقد أشار هايدو في القرن 10 هـ (16 م) إلى وجود هؤلاء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام وأطلق عليهم عبارة سلامي أو اليهود الأعلاج (Salmi ou juif renégat [3])وهذا ما ذهب إليه أيضا الأب دان في القرن 11هـ(17 م) وقد حاول شرح طريقة اعتناقهم للإسلام

[1] William Shaler ,Op.cit,p.75

[2] THOMAS CAMPBELL A ALGER, In : **Revue Britannique ou choix ,D'articles ,Traduits des meilleurs écrits périodiques de la Grande-Bretagne**, par MM. SAULNIER Fils, Directeur; Berton; Philaréte CHASLES; Léon GALIBERT; Amédée PICHOT; E. GÉRUZEZ; LARENAUDIÈRE; LESOURD ;H. COQUEREL ; J. COHEN ; GENEST, D.-M, , ETC, Collecion Décennale, Tome Trentiéme, au bureau de la revue briannique, Imprimerie de Boulé,paris 1846,pp.464-465

[3] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15,1871, p.93

كالآتي :" عندما يريد يهودي في مدينة الجزائر أن يعتنق الإسلام فهو لا يخضع لعملية الختان التي خضع لها من قبل في طفولته حسب تعاليم دينه ؛ولكن وقبل أن يعتنق الإسلام لابد له في المقام الأول أن يجعل نفسه مسيحيا وهو ماكان يفعله بأكل لحم الخنزير وباعترافه أن المسيح هو نبي الله وبعدها في المقام الثاني يرفع سبابته اتجاه السماء وينطق بالشهادتين أمام الجميع [1]معلنا بذلك إسلامه "[2].

و للأسف تبقى المعلومات المتوفرة لدينا عن اليهود الذين اعتنقوا الإسلام قليلة بالمقارنة بالمعلومات المتوفرة عن المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام أي الأعلاج؛حيث لا نملك معلومات –على حد علمنا – عن نظرة سكان مدينة الجزائر المسلمين إليهم ولا عن نظرة بقية اليهود إليهم و لاسيما أفراد أسرهم،و إلى أي مدى كانوا ينسجمون؛ ويندمجون في مجتمع المدينة المسلم .

[1] و يمكن أن نتسأل عن مدى صحة اعتماد هذا الإجراء ؛ولاسيما إذا علمنا أن اعتناق الإسلام يتم بنطق الشهادتين فما فائدة أن يعتنق اليهودي المسيحية ليعتنق بعدها الإسلام إذا كان هدفه الأساسي اعتناق الإسلام ؛فما مغزى هذا اللف والدوران، ثم هل تنحصر المسيحية في أكل لحم الخنزير ؟ثم بالعودة إلى تراثنا التاريخي الإسلامي نجد أن اليهود الذين اعتنقوا الإسلام بداية من عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم –أعلنوا إسلامهم بنطق الشهادتين وبالتالي؛ فهذه المسألة بحاجة للمزيد من البحث،والتوضيح.

[2] DAN (R.Père François Pierre),Op.cit.,p.327

الفصل السادس أهل الذمة من المسيحيين

1- المسيحيون الأحرار

2 - الأسرى العبيد المسيحيون

الفصل السادس أهل الذمة من المسيحيين

وكانوا يمثلون عناصر أجنبية عن المجتمع الجزائري، و متميزة عن مجموع السكان لأسباب دينية وحضارية و مع هذا ؛فقد كانوا يشكلون جزءا منه لأسباب فرضتها الظروف، و كانوا عبارة عن أقليات أجنبية عديدة، لكن بقطع النظر عن تباين جنسياتها كانت معظمها ذات أصول أوروبية وتعتنق المسيحية ،و كان يمكن التميز بين نوعين منهم المسيحيين الأحرار و الأسرى العبيد وفي هذا الفصل مزيد من البحث والتفصيل عنهما.

1- المسيحيون الأحرار:

كان يندرج في هذا الإطار التجار كما ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) و أشار إلى كثرة عدد المسيحيين بمدينة الجزائر، و أنهم كانوا من كل البلدان، و أن نسبة الأحرار منهم كانت قليلة ومعظمهم كانوا تجار،ومن هؤلاء من كان يقيم في المدينة مؤقتا، ثم يرجع إلى بلاده فور ما ينتهي من بيع سلعه كما كان من بينهم السماسرة[1]. وكان لهؤلاء التجار محاكمهم ومستشفياتهم وكنائسهم و فنادقهم، وعملات يتعاملون بها و بضائع يتاجرون فيها[2]؛أي أنهم كانوا يعيشون أحرار[3] تحت سلطة قوانين خاصة بهم ،ويتمتعون بحرية العبادة ؛حيث وفرت لهم أماكن للعبادة يشرف عليها رجال دين من ملتهم[4].

و الدليل على ذلك أنه عند حديث غرماي في القرن 11هـ(17م) عن الكنائس المخصصة للأسرى العبيد الأوروبيين في مدينة الجزائر ذكر وجود كنيستين كانتا مخصصتين للمسيحيين الأحرار تواجدت إحداهما في مقر إقامة القنصل الفرنسي، أما الأخرى؛ففي مقر الإقامة الخاص بآباء الفداء ،وذكر أيضا أنهما كانتا مزودتين بصور،و زرابي، وبكل الزينة المناسبة، وكان يحتفل

---

[1] « Topgraphie….. »,In:**R.A.**, T.15, 1871, p.490

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول، ص.144

[3] ونشير هنا إلى أن إدراجنا العنصر المسيحي ضمن أهل الذمة يمكن أن يعتبر تعبيرا مجازيا من منطلق أن المسيحيين لم يكونوا يدفعون جزية للسلطات الحاكمة في الجزائر على غرار اليهود ؛ فجلهم كانوا أسرى عبيد، و الأقلية منهم المتواجدة بصفة أحرار كانت إقامتهم في مدينة الجزائر إقامة مؤقتة .

[4] Gramaye (J.B), Op.cit.,p.125

فيهما بالقداس بصورة منتظمة[1].

حيث نسجل أن كل التجار الأوروبيين باستثناء المسيحيين من أتباع المذهب الأرثوذكسي ومن أتباع المذهب البروتستانتي من إنجليز، وهولنديين كانوا يجتمعون في إحدى الكنائس المتواجدة في مباني القنصلية الفرنسية ،لمناقشة الوضعية المادية ، والروحية للمسيحيين المتواجدين بمدينة الجزائر؛فكان دورهم في الاهتمام بشؤون المسيحيين في مدينة الجزائر بارزا وهاما، إذ كانوا يقدمون عدة مساعدات لصالح أبناء جلدتهم، و لاسيما الأسرى منهم فبفضل مجهوداتهم خلال القرن11 هـ(17 م)تم إحاطة مقبرة المسيحيين بجدار قوى، و تم تجديد المستشفى القديم بسجن الباشا لخدمة المسيحيين ؛كما أنهم كانوا يساهمون في فداء بعض الأسرى؛ و لكن ذلك لم يكن يمنعهم من الاستفادة من تلك العمليات، كما أنهم كانوا يقدمون قروضا للبعض منهم ،و لكن بفوائد[2].

و كان يتقدم اثنين من رجال الدين مرتين في الأسبوع، وبانتظام إلى الفنادق التي كان يقيم بها التجار المسيحيين، ويقومان بمنجاة طيبتهم ،وعطفهم؛ فيقدمون لهما أموالا كانت تستخدم في سبيل العناية بالكنائس، والعاملين بها من رجال الدين، أو الرهبان[3].

و إلى جانب هؤلاء التجار الذين كانوا يشكلون قسما هاما من الأوروبيين الأحرار بمدينة الجزائر نضيف رجال البعثات الدينية[4]؛فقد عرفت مدينة الجزائر الكثير منهم ،و من مختلف الجنسيات، و لاسيما القساوسة الذين تحملوا مسؤولية عمليات الفداء[5] ، وسهروا على صون ديانة الأسرى المسيحيين من خلال إشرافهم على تسيير الكنائس المتواجدة بالسجون (Les Bagnes)وظهرت عدة تنظيمات دينية تحت رعاية الكنيسة للقيام بعمليات فداء

[1] Ibid., p.125
[2] Gramaye ,Op cit.,p.123
[3] Ibid.,p.124

[4] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.104

[5] حول الأساليب والطرق المعتمدة في فداء الأسرى العبيد ومدة أسرهم وجنسياتهم أنظر على سبيل المثال لا الحصر الدراسة الآتية: Wipertus H.Rudt de Collenberg, esclavage et rançons des chrétiens en méditerranée (1570-1600), préface de Jean Richard, édition le Léopard D'or, Paris 1987

و رعاية المسيحيين بمدينة الجزائر؛ من أبرزها نذكر "التنظيم التثليثي المقدس" [1]،و "تنظيم سيدة الرحمة" أو "أباء الرحمة" الأول تأسس سنة1198 م، و الثاني 1232م وقد كان الأول تنظيما فرنسيا بالدرجة الأولى، و الثاني تنظيما إيطاليا-إسبانيا بالدرجة الأولى وهنا نقصد من حيث النشأة إذ سرعان ما انتشر هذين التنظيمين فيما بعد ؛فوجد آباء الرحمة كتنظيم في فرنسا كما وجد"التنظيم التثليثي المقدس" كتنظيم في إيطاليا ،وإسبانيا و أدى رجال الدين هؤلاء من القساوسة دور الوسيط في عملية افتداء الأسرى بين أهل الأسير،و مالكه في مدينة الجزائر[2].

ونتلمس نشاط التنظيمين المذكورين من خلال المراسلات والمذكرات ،والتقارير التي خلفوها وراءهما ،ومن الأمثلة على ذلك قائمة أعدت بالأسرى العبيد الذين تم فدائهم في شهر أكتوبر من سنة 1662 م من طرف تنظيم آباء الرحمة من مملكة فرنسا ؛حيث تضمنت القائمة اسم كل أسير ومسقط رأسه ،وعمره والفترة التي قضاها في الأسر ،ومن خلال القائمة يمكن أن نستخلص أن بعد الأسرى تم فداءهم بعد فترة قصيرة، واقصرها سنة من تاريخ أسرهم في حين أن أسرى آخرين تم فداءهم بعد فترة طويلة نسبيا من الأسر ،وصلت إلى حد 18 سنة[3].

و إلى جانب جمعهم للأموال، والهبات والصدقات في كافة أرجاء أوروبا لفداء الأسرى في مدينة الجزائر خاصة؛ فقد كان أعضاء هذين التنظيمين ينتقلون من مدينة إلى أخرى ومن قرية أخري لجمع أموال الفداء[4] ،وكانوا ينجحون في ذلك والدليل أن العديد من الأثرياء في أوروبا كانوا يخصصون جزء من أموالهم لفداء هؤلاء الأسرى ومن نماذجهم أحد الأشخاص الإسبان من أصحاب الثراء ،والمكانة المدعو دون لويس بيدرولا(don louis de pedrola d'andouesia)

---

[1] أنظر حول هذا التنظيم تاريخه وهيكلته ومهامه وأدواره أنظر:

DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., p.452 voir aussi les Victoire de la charité ou la relation des voyages de Barbarie faits en Alger par le R.P Lucien Hérault pour le rachat des français esclaves ,aux années1643 et 1645,ches Loui Boulanger paris,1646

[2] جون ب.وولف، مرجع سابق، ص.215 أنظر أيضا Achille Riggio, Op.cit.,p.41

[3] Catalogue des esclaves chrétiens rachetés ,l'année 1662 au mois d'octobre en la ville d'Alger en Barbarie ,par les Pères de la Mercy du royaume de France partis pour s'acquitter de leur quatrième vœu solennel de leurs convents des villes de paris et de bordeaux ,chez Guillaume Sassier ,Imprimeur et Libraire ordinaire du Roy et de M[r] le Mareschal d'Aumont ,gouverneur de la ville de Paris ,rue des cordiers proche Sorbonne aux deux tourterelles,1663 pp.3-6

[4] Henri Garrot, Histoire générale de l'Algérie, imprimerie Pierre Crescenzo, voutes ration nord, Alger, 1910, p.30

الذي كان من قاطعة أندلسيا قام بتخصيص أملاكه ذات المداخيل المعتبرة لثلاثة أغراض خيرية للغاية وهي :الغرض الأول إعالة الفقراء واليتامى ،والغرض الثاني العمل على تعليم الفتيات على الفضيلةجزءا وبخاصة اللواتي يخشى عليهن من الضياع دون توجيه، وأخيرا الغرض الثالث المهم في هذا المقام وهو فداء الأسري العبيد وتحقيقا لهذا الغرض قدم بنفسه من إسبانيا إلى الجزائر أين صرف ستة عشرة ليرة لفداء وشراء عدة أسرى من بينهم عدة عائلات، ونساء، وأطفال[1].

وكانوا يشرفون أيضا على تدبير، وتسيير شؤون الكنائس، والمستشفيات المتواجدة بسجون الأسرى العبيد حيث كانوا من بين القساوسة الذين يؤدون القداس في تلك الكنائس وقد كان هؤلاء ينالون الاحترام من طرف العثمانيين مرد ذلك عملهم الخيري من جهة، وكذلك تأثيرهم الإيجابي على سلوك، وسيرة الأسرى الأرقاء؛ حيث كانوا يعاملون بالحسنى خلال أدائهم لعملهم[2].

وكان من المألوف، والشائع أن يطوف رجال الدين من القساوسة، والرهبان بمتاجر مدينة الجزائر طالبي العون من التجار المسلمين لجمع الأموال لفداء الأسري؛فكان يدفع لهم التجار بعض الأموال عن رضي، وطيبة نفس[3] ؛فقد كان هذا بمثابة تعاطف إنساني من طرف سكان مدينة الجزائر مع هؤلاء الأسري ،ومع ذلك نجد أن الكثير من آباء الفداء قد بالغوا في تصوير الاضطهاد، والمهانة التي كان يتعرض لها الأسرى، والأرقاء الأوروبيين في مدينة الجزائر وأساليب العذاب الوحشية التي كانوا عرضة لها ؛وإلى جانب التجار، ورجال الدين الأوروبيين المتواجدين بمدينة الجزائر، وجد فيها القناصل ومبعوثي الدول الأوروبية.

فالعديد من الدول الأوروبية البحرية كانت تسعى منذ وقت مبكر لإقامة علاقات قنصلية مع إيالة الجزائر، كفرنسا، وإنجلترا، والسويد،سردينيا، وهولندا، وكان لهذه الدول في وقت أو أخر

[1] Relation véritable contenant le rachat de plusieurs Captifs qui était détenus a rançon dans la ville d'Alger avec une lettre envoyée par l'ambassadeur de France ,touchant les grandes persécutions que les turc font souffrir aux chrétiens ,de l'imprimerie de la Veuve du Pont ,rue d'Escosse proche S .Hilaire A Paris, fait le 19 janvier 1672,p.2

[2] Henri Garrot, Op.cit., p.30

[3] الطاهر المكي ،"سرفانتس قمة الأدب الإسباني كان أسيرا في مدينة الجزائر" ،في **مجلة الأصالة** ، العدد 8 وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، السنة الثانية، " ربيع الثاني . جمادى الأولى 1392/ماي جوان1972 ص.57

من يمثلها في مدينة الجزائر[1].

و أول دولة أوروبية سمح لها بإرسال ممثلين عنها إلى مدينة الجزائر هي فرنسا ،وذلك خلال القرن10هـ (16م)وبالضبط سنة 1578 م؛ حيث ابتداء من هذا التاريخ تقلد أول قنصل فرنسي مهمته في مدينة الجزائر رسميا وفعليا باسم القبطان موريس سغون(Sauron Maurice) ممثلا للملك هنري الثالث بناء على فرمان سلطاني[2].

و عاش هؤلاء الممثلين اليبلوماسيين بمدينة الجزائر في معزل عن باقي السكان، و لم يخضعوا للمعاملات المالية، و لأحكام القوانين المعمول بها في البلاد.[3] فكانوا يتمتعون بحقوق و صلاحيات خاصة و كانت علاقاتهم مع حكام الجزائر محصورة في الميدان السياسي الديبلوماسي والإداري بالدرجة الأولى.

و كان دورهم أيضا متمثلا في السهر على مصالح الأوروبيين المقيمين في مدينة الجزائر من حيث القضاء، و غيره فضلا عن أدائهم دورا هاما في عملية افتداء الأسرى؛ حيث كانوا يقضون في القضايا المدنية ،وحتى الإجرامية التي تتعلق بالأوروبيين المنتمين للبلد الذي كانوا يمثلونه في مدينة الجزائر باستثناء القضايا التي كان للمسلمين دخل فيها[4]. وأقام هؤلاء الأوروبيون الأجانب من تجار، ورجال دين، وقناصلة في فنادق أو منازل خاصة بهم بضاحية باب الواد، أو خارج باب عزون[5].

ب- الأسرى العبيد:

و كانوا يتشكلون من عناصر أصولها من مختلف الجنسيات، والأمم المسيحية وخاصة البحرية منها ؛حيث قدموا من مختلف الأفاق، والأقطار؛ فكان منهم الإسبان ،والإيطاليون والإنجليز، والايرلنديون، والبرتغاليين، والهنغاريون ،والسلاف الهولنديين، بل واندرج ضمن هؤلاء الأسرى العبيد من هم من غير الأصول الأوروبية المسيحية مثل اليابانيين...الخ[6].

---

[1] Moulay Belhamissi, Alger, l'Europe et la guerre secrète (1518 – 1830), Edition Dahlab Alger, 2000, p.17

[2] Eugene Pcontet , Les Consuls De France a Alger avant la conquête 1579 -1830 ,Extrait des Etudes En aux messageries ,Hachet,paris 1930,p.10

[3] ناصر الدين السعيدوني, الشيخ المهدي بوعيدلي, المرجع السابق،ص.105

[4] Gramaye. Op.cit., p.132 voir aussi DAN (R.Père François Pierre),Op.cit.,p.93

[5] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.105

[6] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p.74

وقد قدرهم هايدو في أواخر القرن 10هـ (16م) بـ 25 ألفا، وقدر عددهم خلال القرن 11هـ (17 م)بحوالي 25.000 وأحيانا بـ 30.000 أسيرا.

وما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن عدد الأسرى كان مرتبطا بنشاط الجهاد البحري فازدهاره كان يؤدي إلى ارتفاع عددهم، والعكس صحيح ،ولهذا كان عددهم مرتفعا خلال القرن10هـ(16م) ،ولاسيما القرن11 هـ(17 م)؛الذي كان بمثابة العصر الذهبي بالنسبة لعمليات الجهاد البحري، بعد أن أدخلت عدة تحسينات على السفن[1].

وكان مصدر هؤلاء الأسرى إذا متمثلا أساسا في عمليات الجهاد البحري سواء نتيجة للمعارك البحرية بين السفن الجزائرية، والسفن الأوروبية ،أو عن طريق الغارات البحرية التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون على السواحل المسيحية[2]؛حيث كانوا عبارة عن لقطاء جمعوا من هنا ،وهناك وأغلبهم جيء بهم من شواطئ ،وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[3].

فقد كانوا يندرجون في إطار الغنائم المختلفة التي كانت تخلفها المعارك البحرية و التي كان يتم بيعها في مدينة الجزائر في سوق يعرف بسوق الباديستان[4]،والذي كان عبارة عن ميدان متسع مسقف مركب من أروقة، ويختص كل رواق فيه بنوع من البضاعة[5]. وكان يقع في وسط المدينة بالقرب من قصر الجنينة، و تجدر الإشارة إلى أن أول شيء كان يقام به بعد وقوع السفينة في الأسر هو إجراء إحصاء، وتقدير لقيمة حمولتها، وكذا وضع قائمة بطاقمها و مسافريها[6].

و عند وصول الأسرى إلى مدينة الجزائر كان الباشا يختار من يريد منهم ؛فحصته من الغنائم والأسرى كانت تقدر بالخمس؛ وكان اختياره ينصب على الأسرى الأكثر أهمية منهم[1]،والأكثر شبابا

---

[1] موسوعة تاريخ الحضارات العام ،في 7 مجلدات ،إشراف موريس كوزيه ، الطبعة الثانية، منشورات عويدات بيروت-باريس 1987، المجلد 4 "القرنان السادس عشر، والسابع عشر"تأليف رولان موسينه، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م.داغر ص.562

[2] Garrot(HENRI),Op.cit.,p.460

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.260

[4] حول سوق الباديستان أنظر الفصل الخاص بالمرافق التجارية في الباب الثاني من هذا العمل

[5] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،المرجع السابق، ص.90

[6] Garrot(HENRI), Op.Cit., p.460

[1] فقد كان يمكن مبادلة الأسرى أصحاب المكانة والحظوة، أو المهارات الحرفية الهامة بمبالغ فداء مرتفعة، أو كان يمكن الإفادة منهم في اطار مبادلات الأسرى لفداء عدد من الأسرى المسلمين ،أو في تحقيق مكاسب سياسية ،وديبلوماسية ونستخلص ذلك من خلال ما ورد في مراسلات السلاطين العثمانيين إلى حكام الجزائر من بينها حكم يفهم منه أن أمير أمراء جزائر=

ليستخدمهم كبوابين، و كان يتم إطعامهم ،و إلباسهم بشكل جيد، وكانوا يتلقون في كثير من الأحيان هدايا معتبرة من طرف الناس الذين يقصدون الحاكم لقضاء حوائجهم كما كان الباشا يقوم بكراء خدمات الأسري العبيد من صانعي السفن، و الفرارية صانعي الأقفال لملاك السفن[1].

و لابد أن نشير إلى أنه كان يمكن للباشا كذلك أن يأخذ ما يريده من الأسري العبيد بالثمن المحدد لهم بعد عرضهم في المزاد العلني حسب ما ذكره الأسير مسكغناس (Mascarenhas) في القرن 11هـ(17م) وأضاف أنه لهذا السبب كان الدلال يقود كل عبد يتم شراءه لعرضه مجددا على الباشا ؛حيث كان يذكر له الثمن الذي تم شراءه به فإما أن يأخذه الباشا ، ويدفع الثمن الذي بيع به ،أو يتركه يذهب للمشتري الذي اشتراه[2].

وهذا في الوقت الذي كان يباع فيه بقية الأسري في السوق الأمر الذي كان يستغرق عادة عدة أيام ؛وخلال تلك الأيام كما ذكر مسكغناس (Mascarenhas) فإن الكثير من العبيد القدماء كانوا يأتون لزيارتهم، ويحضرون لهم الطعام، والبعض منهم الأكثر كرما كان يقدم لهم بعض المال ؛وقد كانت تلك عادة في مدينة الجزائر؛ فبمجرد أن يأتي أسرى جدد، وفي انتظار أن يكون لهم مالك يقدم لهم الأسرى القدماء –الذين أصبحوا عبيدا بعد بيعهم– كل ما يحتاجون إليه إلى غاية أن تتم عملية بيعهم؛ فتلقى حينها هذه المسؤولية على عاتق ملاكهم[1].

و ما نستخلصه من تلك العادة أن الأسرى العبيد الأوروبيين كانوا يلقون معاملة حسنة إلى درجة تمكنهم من تقديم الطعام، وبعض المال إلى الأسرى الجدد، و لو لم تكن وضعيتهم مقبولة

= الغرب علج علي وهو في طريقه للالتحاق بالأسطول العثماني استولى على 3 سفن من سفن الأعداء وتبين وجود أحد أقرباء ملك إسبانيا بين الأسرى ؛فطلب منه السلطان العثماني سليم الثاني بالتحقق ،والتأكد من هويته ومدى صلة قرابته ن الملك ،وتشديد الحراسة عليه أنظر : مهمة دفتري رقم 14 صحيفة 274حكم رقم 390 بتاريخ 3/17 /978 هـ ا (1571 م) ونص حكم آخر على استبدال الجندي الإنكشاري المدعو علي الذي سبق له أن قدم خدمات جليلة للدولة والذي وقع في الأخير أسيرا في أيدي الكفار ؛ولذا فهو أرسل رسله برسالة يرجو فيها استبداله بالأسير الإسباني المسمى سويولان الذي يوجد في الترسانة العامرة.....أتموا الاستبدال وأنقذوا المشار إليه من قبضة الكفار ....."أنظر : مهمة دفتري رقم43 صحيفة رقم 41حكم رقم 257 بتاريخ 988 هـ العلبة في الأرشيف الوطني الجزائري ؛ونسجل هنا أن هذا الإجراء كاان بمثابة تقليد؛ حيث نجد أن خير الدين اتخده مع أحد القادة المشاركين في حملة هيقو دي منكاد الإسبانية سنة 1519م "....وأما جلنارهم الأعظم فإنه أنزله معه ي قصر الإمارة وكان اللعين جريحا فأمر بمراعاته في المأكل والمشرب .....إلى أن استقل من مرضه وعوفى من جراحاته و فعل به خير الدين ذلك لأن اللعين كان عظيما من عظماء النصارى ظهر لخير الدين أن يحصل منه مالا برسم إعانته على الغزو أويفادى به جماعة من المسلمين الذين ظفرت بهم يد العلو ....."أنظر: مجهول، المصدر السابق، ص.37

[1] Laugier (de Tassy) Op.cit., T.2, pp.23-24

[2] Op.cit., p.56 voir aussi Aranda (Emmanuel- D), « Relation de la captivité et liberté du sieur Emanuel…, », ches jean Nommart, à l'en de l'imprimerie, Bruxelles, 1662, p.15

[1] Ibid., p.55

لما تمكنوا من ذلك، كما أنه يبرز صورة من صور التضامن بين أفراد هذه الجماعة.

وهذا ما ذهب إليه الأسير"دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys) في كتابه " l'odyssée" في القرن 11هـ(17م)حين وصف المعاملة التي تلقاها مع رفاقه الذين أسروا معه في قصر الباشا- أي قصر" الجنينة "-، فذكر أن أحد عبيد الباشا ،وهو عبد شيخ يدعي إستفان من سيراقوسا(Siracusa) قام بمحاولة مواساة الأسري بقدر ما يستطيع محضرا لهم الماء ،وفاكهة مشكلة من حبات من البرتقال ،والليمون[1].

ومن خلال ما ذكره دو بويس نلاحظ أيضا كيف أن المعاملة التي تعرض لها الأسري في قصر الباشا" الجنينة" في انتظار عرضهم عليه-كما أسلف ذكره- ،ومن ثم اقتيادهم إلى سوق البديستان- كما سيذكر لاحقا- كانت على عكس ما هو سائد، ورائج عن تقييد الأسرى بالأغلال ،وعدم تقديم الطعام لهم، وما إلى ذلك بل الواقع أنهم كانوا يتمتعون بحرية التجوال في أنحاء قصر الجنينة بشرط عدم محاولة الفرار؛ حيث قال الأسير "دو شستال دو بويس : *«....أحد العبيد القدماء لدي الباشا –وهو إستفان المذكور أنفا – سأل من أجلنا البكال {ضابط المطبخ الملكي} إذ كان في مقدورنا الخروج من غرفتنا للتجوال في ساحات و رواقات القصر، والبحث في نفس الوقت عن تقديم بعض الخدمات الصغيرة للأتراك وضباط الحراسة الذين لم يكن لهم عبيد يقومون على خدمتهم دون أن نخشى سوء المعاملة فأجاب على هذا الرجاء بأنه لا يوجد ما يقال، أو يخشى منه بشرط أن لا نذهب حتى الباب الأول للساحة خشية أن يعتقدنا البولكباشية، وقادة آخرين مغامرين جريئين، وملاحظين دقيقين للمداخل والمخارج للتفكير، والتخطيط فيما بعد للهروب وبعد رأي كهذا ،والرخصة بالتجوال لم يبقي منا أحد لم يخرج سوي 3مرضي..... ولقد استخدمت بقية وقتي إلى غاية ظهور النجمة الأولى في كبد سماء القصر أين كنت أتجول بحرية تامة ودون حدوث أي لقاء سيء، أو مزعج"*[1].

و إلى جانب ذلك فإن دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys) يذكر أنه خلال تجواله في قصر الجنينة التقى أتراكا ذاهبين إلى الديوان ؛حيث قال"... وأعطني واحد

[1] Op.cit, In:**R.A.,**T.11,1867,p.160
[1] Ibid., pp.162-163

من بينهم لا أعلم كم من إسبرة مغلفة في مخروط من الورق ، وكانت تلك عملة البلاد وآخرين كانوا يتمنون لي سيدا طيبا ،وحتى الحرية..." وهذه التصرفات، والمعاملة جعلته يردف قائلا:" لاحظنا أن هؤلاء الغير المخلصين[من منظور المسيحيين]كانوا يملكون كرما، ورحمة ورأفة كبيرة، والتي لا يملكها حتى الذين يجعلونها أحد الأسس الرئيسية لدينهم {ويقصد بهم المسيحيين }..."[1].

وإلى جانب استخلاصنا مما سبق للمعاملة الطيبة التي كان يجدها الأسري منذ وصولهم إلى مدينة الجزائر نستشف أمرا آخر لا يقل أهمية عنه ،وهو أن تصرفات العثمانيين مع الأسري العبيد دليل على تأثرهم الكبير بالإسلام الذي أحي بهم المشاعر الإنسانية ؛التي يعني بها عناية كبيرة ،وهذا دليل على اقتناعهم به هذه القناعة التي انعكست على تصرفاتهم ،ومعاملاتهم.

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة هامة ،وهي أن المعاملة الحسنة للأسري كانت تبدأ منذ اللحظة الأولى لأسرهم ،وقد قدم مسكغناس (Mascarenhas) في القرن 11هـ(17م) صورة واضحة عن ذلك؛ حيث ذكر أنه وبعد معركة جمعتهم مع العثمانيين ،وانتصار هؤلاء تم أسر كل من كان على السفينة القادمة من الهند باتجاه البرتغال ، ونقلهم إلى سفن الأتراك {على حد تعبيره }بما فيهم هو فقال واصفا ذلك:

" معاملة الأتراك التي خصصوها للأشخاص الموزعين على سفنهم كانت جيدة،و ليست كما كنا ننتظر من طرف قراصنة برابرة لقد شرعوا في إنزالنا جميعا تحت في قعر السفينة (cale).....وبعد أن أصبحنا في الأسفل كانوا يأتون ليقولوا لنا أن لا نترك أحدا يفتشنا ،و يسلبنا أي شيء ،وإذ ما حاول بعض المور{المقصود بهم المسلمين من غير العثمانيين} فعل ذلك ؛فإنه علينا أن نصرخ ،وسيعاقب السارق مباشرة.....

.....وقد قدموا لنا طعاما مما يأكلونه ؛حيث حضروا للجميع قدرا كبيرا من الأرز، أو القمح المغلي{البرغل } مع بسكويت وفير ،وزيتون، وجبن وهذه هي المؤن التي كانوا يحملونها معهم في البحر، وبما أنهم لم يغادروا مدينة الجزائر إلا منذ أيام قليلة فالماء كان متوفرا والكثيرين أشفقوا على ما مر بنا من محن، ودهشوا عندما علموا أننا كنا نبحر منذ شهور عديدة، وأحضروا لنا عنبا مجففا "زبيب" ،و حمصا، و هم يعتبرونهما بمثابة مأدبة حقيقية

[1] Ibid.,p.164

وأفضل طعام لديهم"[1].

ونلاحظ من خلال ما سبق كيف كان يعامل الأسري منذ أن يتم أسرهم إذ نسجل الإحسان الكبير الذي عملوا به كما نسجل التعاطف الإنساني الذي حظوا به بغض النظر عن وضعيتهم كأسري.

و نعود لقضية عملية بيع الأسري فنقول أنه كان يتم بيعهم في سوق البديستان بعد صلاة الظهر؛ إذ كان يعرض الأسرى الواحد إثر الآخر على المنصة؛ حيث كان يعطي الدلال فكرة عن القيمة الحقيقية ،أو المحتملة في الفداء لكل أسير، وكان البيع يتم على شكل مزاد علني؛ حيث كان يباع الأسير لمن يعرض أعلى سعر.[2]وكان يتم خلاله التأكد من صحتهم العامة، وأسنانهم وأيديهم[3] .ومثل هؤلاء الأسرى فئات اجتماعية مختلفة؛ فقد كان من بينهم النبيل والطبيب،و العالم، والأديب ،والحرفي، ورجل الدين، والمزارع، والبحار ،أو الملاح...الخ.

وكان يتم التعرف على مكانة، وثراء الأسير عن طريق يديه فإذا كانتا قويتين، وخشنتين وبهما بعض الخدوش والندوب؛ فذلك كان يوحى بأن صاحبها معتاد على العمل اليدوي ومن ثم يعتبر ذو وضعية متوسطة، أو على العكس إذا كانت بيضاء، و ناعمتين ؛فذلك كان يوحي بأن صاحبها ذو منزلة رفيعة، ومن ثم يعتبر غنيا[4] بالإضافة إلى طرح بعض الأسئلة على الأسير، وطريقة كلام هذا الأخير إلى غيرها من الأساليب التي تمكن من معرفة مكانة الأسير والسبب في ذلك هو أن الفدية كانت تحدد بحسب مكانة الأسير ،والإمكانات المادية لأهله[5].

ولابد هنا من الإشارة إلى أنه بجانب حصول الأسري، والعبيد الأوروبيين على حريتهم عن طريق افتدائهم بالمال؛ فقد كانت هناك فرص، وإمكانيات أخري مختلفة تتاح أمامهم للحصول على الحرية مثلا عن طريق تبادل الأسري بين إيالة الجزائر ،والدول المسيحية ،أو عند إبرام معاهدة عند نهاية حروب ،وعداوات ؛فقد كانت القاعدة السارية المفعول عبر أنحاء الدولة العثمانية ؛أنه يجب اغتنام أي فرصة تسنح ،وتتاح لاستبدال أسير مسيحي بجندي

[1] Op.cit.,pp.52-53

[2] Sieur René du Chastelet des boys, Op.cit., In:**R.A.,**T.12, 1868, p. 23

[3] جون ب.وولف، المرجع السابق، ص.210

[4] Corinne Chevallier, Op.cit.,p.53

[5] جون ب.وولف، المرجع السابق، ص.210

عثماني.[1]

وقد وصف الأسير دراندا في القرن 11هـ(17م) عملية بيعه ؛حيث ذكر أنه عندما تم اقتياده ليباع في الباديستان أخذه الدلال من يده، وطاف به السوق عدة مرات، وهو ينادي عليه وكان الذين يريدون شرائه يسألونه عن بلده،و عن اسمه، وحرفته، ثم كانوا يتحسسون يديه لمعرفة هل كانتا خشنتين ، ومليئتين بالكنب من جراء العمل اليدوي المستمر أم أنهما على العكس من ذلك مما يشي بمكانة مرموقة وعلاوة كما كانوا يجعلونه يفتح فمه لرؤية أسنانه ومدى سلامتها لمعرفة هل في إمكانه قضم البسكويت إذ وجه للعمل على الغيلوطات وهي نوع من أنواع السفن.[2]

وهكذا كان يتم بيع الأسرى، الذين يتحولون ببيعهم إلى عبيد لمن يقومون بشرائهم [3]وقد عرف الأسرى العبيد الذين كان يتم شراءهم من طرف الدولة بعبيد المخزن ليستخدموا في الأشغال العامة[4] ،وقد ذكر أحد الأعلاج أن الورشة العمومية الأكبر التي كان يشتغل فيها هؤلاء العبيد عندما جلب إلى مدينة الجزائر أول مرة كأسير، وهو لا يزال صبيا صغيرا حين وضع في البانيو في عهد خير الدين بربروس كانت تلك التي أطلقها خير الدين بربروس بعد الاستيلاء على حصن البينون وتحطيمه والمتمثلة في بناء رصيف كبير ضخم كان يربط ،ويصل موقع البنيون القديم بالمدينة ،و الذي أستعمل في بنائه بقايا ،وركام الحصن المهدم ،وحسن هذا الرصيف بشكل محسوس ،ومعتبر الحماية التي كان يوفرها الميناء للسفن[1].

و كان يطبق على هؤلاء العبيد المستعملين في الأشغال العمومية نظام النوبة حيث كانوا يستبدلون كل يومين بأخرين وكان هذا الإجراء يهدف كما يبدو إلى المحافظة على حيويتهم وصحتهم من خلال توفير قسط من الراحة لهم ،ومن عبيد المخزن من كانوا يتقنون بعض المهن

---

[1] Sir Godfrey Fisher, Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1415 a1830 Traduit et Annoté par Farida Hellal, office des publications Universitaire, Alger, 2000, p.156

[2] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.13

[3] ومن وجهة نظرنا فإن التسمية المناسبة هي" الأسير العبد"؛فهو أسير على أساس استمرارية إمكانية فداءه حتى بعد أن تتم عملية بيعه ؛وهو عبد من حيث حريته المقيدة ،وتعرضه للبيع ،والشراء ،ووجوب طاعة أوامر سيده ؛أي أن عبوديته كانت رهنا بحالته كأسير؛ فإن دفع ثمن فداءه تحرر من أسره، وعبوديته ونفس الأمر يحدث في حالة اعلانه إسلامه.

[4] Corinne Chevallier, Op.cit., p.54

[1] Paul Mombelli, Autobiographie du dernier roi d'Alger. Site internet: http:// www. Google .Fr dernier roi Alger .caloucaero .net, chapitre 7 " le vieux corsaire"

فيتحصلون على رخصة ممارستها مقابل دفع ضريبة معينة للحارس باشي[1].

كما وجد أسرى أخرين كان يتم شرائهم من طرف الخواص؛ فيكلفون بأعمال متنوعة في انتظار فديتهم المرتقبة، وقد صنفهم لوجي دوتاسي إلى صنفين الأسري عبيد الخواص الذين كانوا يشترون لخدمة المشترين أي الملاك[2] أما الصنف الآخر منهم، فالإعادة بيعهم أي للمتاجرة[3] بهم ومن الصنف الأول من كانوا يعملون في خدمة بيت أسيادهم[4]؛ فكانوا مثلا يقومون بالطهي،وحراسة الأطفال،و أعمال الصيانة ،والتنظيف، وجلب المياه ، واقتناء حوائج الدار،و تبييض البيوت بالجير...الخ[5].وهذا ما ذكره دراندا في القرن 11هـ(17م)حين قال أنه كان يوجد عبيد يخدمون في الدور يحملون إليها الماء يوميا، ويحملون منها الأوساخ والفضلات، ويتقضون أجرا على ذلك[1].

ومن نماذجهم الأسير روكفيل الذي عمل خلال مدة أسره في القرن 11هـ(17م)المقدرة بتسعة أشهر في حمل الماء، وبيعه لصالح مالكه، ولضمان لقمة عيشه؛ والذي ذكر أنه بعد أن أخذه سيده إلى بيته أعطاه لباسا مصنوعا من قماش شراع قديم، وطاقية أو قلنسوة حمراء

---

[1] Laugier (de Tassy) ,Op.cit., T.2, p.24

[2] ونستدل على عبيد الخواص من خلال المصادر المحلية وبخاصة من خلال الوثائق التي تتناول مسألة تقسيم التركات ومن نماذج ذلك نذكر ما جاء في فريضة أحد الأندلسيين الأثرياء؛ و التي يتضح من خلالها أن بعض الأسري العبيد المسيحيين الذي خلفهم المتوفى كان يتقاسم ويشترك في ملكيتهم مع غيره على أساس أنه يملك نصف الأسير العبد المسيحي في حين يمتلك مالك أخر النصف الثاني من الأسير: "ومماليك نصارى.....وجميع النصف الواحد من النصراني المسمى قريغو بأربعة وستين ريالا.....وجميع النصف الواحد من النصراني المسمى جاقوا الكبير بسبعة وثمانين ريالا بموحدة وجميع النصف الواحد من النصراني المسمى ورديان بخمسين ريالا وجميع النصف الواحد من النصراني المسمى مارقول بأحد وأربعين ريالا وجميع النصف الواحد من النصراني المسمى جاقو الصغير { يفهم أن اسمه كان جاك}بثمانية وثلاثين ريالا....."أنظر :الوثيقة رقم 5 في العلبة 18 -1 مصدرسابق

[3] وهناك من كان يبتاعهم لمبادلاتهم بأسرى مسلمين ؛أي كوسيلة لفك أسرهم، وهذا ما نستخلصه من المصادر المحلية :"...ترتب مثلها له بذمة الأسير أيضا من ثمن نصراني كان ابتاعه له لفداء رقبته من قيد الأسر....."أنظر :الوثيقة رقم79 "رسم تصفية أملاك للإيفاء بديون مستحقة بإشراف ناظر المواريث المخزنية بالجزائر "، في العلبة 119-120،تاريخها أواخر شوال 1096هـ (1553م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] Grammont, Op.cit., p.133

[5] Corinne Chevallier, Op.cit., p.54

[1] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit.,p.238

وبرميل كان يحوى حوالي 13 بانت (pinte) [1]وفي اليوم الموالي قال له سيده بالغة الفرنكا – أنظر الباب الثالث فصل التعليم و اللغات المستعملة في مدينة الجزائر –أنه يجب عليه أن يعطيه المال و حدد له المبلغ بسبعة سول–عملة نقدية– يوميا ؛أي أنه كان عليه أن يحضر كل ليلة سبعة سول بالإضافة إلى ما يقيم عوده، وأرسله للعين لجلب الماء ،وبيعه ،وتحصيل ما حدده له وعند وصوله للعين ذكر أن العبيد الأخرين سألوه عن اسمه؛فأخبرهم به فأصبحوا ينادوه بالسيد فرنسوا [2].

و ما يهم هنا هو أنهم دلوه على الشوارع حيث كان ينبغي له الذهاب لبيع الماء، والطريقة التي كان ينبغي أن يتبعها في ذلك؛ فعندما كان يصل إلى الأمكنة التي يعتقد بحاجتهم فيها إلى الماء كان يصرخ" شكون حب الماء "لتي تعني من يريد الماء مبينا أنه في البداية كابد الكثير من المشقة لكونه لم يكن معتادا لا على المشي حافيا،و لا على تعب حمل الماء باستمرار؛ إذ كان يجب أن يحمل في كل يوم أكثر من مئة برميل لدفع ما عليه خلال اليوم، وللعيش ولكنه في نهاية المطاف كان راضيا لأنه أصبح لديه عدد من الزبائن الدائمين؛ حيث كانت له دور معينة يزودها بالماء لدفع ما عليه لسيده، ولإطعام نفسه[3].

ومن بين الذين كانوا يخدمون في الدور نذكر الأسير إيمانويل دراندا في القرن 11هـ(17م) الذي قال عن ذلك: « في الصباح كنت أذهب مع سيدي إلى الجزار، و من هناك كان يرسلني لأحمل اللحم الذي اشتراه للدار، ومن جانب آخر كانت تكلفني سيدتي بشراء الفاكهة والأعشاب الضرورية لتحضير الطعام"[1].

و في كثير من الأحيان كان هؤلاء الأسرى العبيد قريبين من أسيادهم، لدرجة أنهم كانوا يصادقونهم ، و يتلقون من طرفهم معاملة حسنة، ومن أمثلة ذلك ما قاله الأسير دراندا في القرن 11هـ(17م) عن أحد أسياده في مدينة الجزائر، وهو المدعو كتبرون مصطفي:" لقد كنت أقضي معه وقتا طيبا بالرغم من كونه جندي إنكشاري فقير، فكنت أكل معه من نفس الطبق، وأنا جالس متربع على الطريقة التركية بجانبه "،و أضاف بأن سيده هذا كان يقول له

[1] والبانت هو مكيال قديم للسوائل والذي كان يساوي 0,93 لتر(litre) في مدينة باريس.

[2] Rocqueville (S. de), Op.cit., pp.34 -37

[3] Ibid., pp.34 -37

[1] Aranda (Emmanuel- D),Op.cit.,p.56

في كثير من الأحيان" إيمانويل لا تكون مكتئب، وتخيل في قرارة نفسك بأنك سيدي وأنا عبدك"[1].

وعندما انتقل دراندا للإقامة عند سيده الجديد ،وهو المدعو محمد شلبي وقا –الذي سيذكر لاحقا –قال له سيده كتبرون مصطفي :

" من اليوم فصاعدا ستذهب للإقامة عند محمد شلبي وقا وأرجو بعون الله أنك ستكون حرا قبل عودتي، وإذ كان لدي المال لاقتسمناه معا" ،فأجابه دراندا بما يوحي بالامتنان:" سيدي أعرف إرادتك الطيبة وأنك فقير، و أقبل يديك شاكرا إياك بقدر ما هو ممكن عن حسن المعاملة التي تلقيتها في دارك "[2] .كما بعث كتبرون مصطفى بتحياته وسلامه لكل أقارب وأهل دراندا حيث قال له :"لا تنسى أن توصل سلامي وتحياتي إلى كل أهلك بعد عودتك إلى فلندة "[3].وهذا دليل على المودة التي كانت تنشأ في مدينة الجزائر بين الأسري العبيد وأسيادهم، والتي كان مردها المعاملة الحسنة التي كانوا يتلقونها.

وذكر درندا أيضا أنه كان يتبادل الحديث مع سيده الثاني محمد شلبي وقا الذي كان شغوفا وفضوليا لمعرفة أخبار بلدان بعيدة ؛حيث كان يسأله عن طرق، وأنماط معيشة الإسبان و الفلامندرين، و هل أن الفلامندرين(flamande) كانوا مسيحيين "باتيست"، وكان يقصد بهذه الكلمة كاثوليك مرتبطين بالبابا،وذكر دراندا أن سيده هذا كان يعرف بعض الشيء عن الكزمورافيا (cosmographie)[1].

و نستخلص مما سبق إلى جانب استخلاصنا لطريقة تعامل سكان مدينة الجزائر مع الأسري العبيد المسيحيين المتسمة بالتسامح، والإنسانية ؛ أمرا لا يقل أهمية عنه وهو اهتمام سكان مدينة الجزائر، وفضولهم للاستكتشاف، ومعرفة ما يتعلق بالتاريخ والحضارة، والثقافة الأوروبية أي حضارة غيرهم من المجتمعات، وهذا ينفي ما ساد وراج عنهم من تعصب وانغلاق ،وعدم حب التثقف، وإهمال للمعرفة، و عدم المبالاة بها.

و هذه المعاملة الطيبة للعبيد الأسري أدت إلى وجود أسرى عبيد كانوا سعداء بوضعيتهم وبثمرة عملهم لدرجة أنهم لم يكونوا يرغبون مطلقا في فداء أنفسهم، وإن كان في مقدورهم

[1] Ibid.,pp.52-53
[2] Ibid.,p.54
[3] Ibid.,p.54
[1] Ibid.,p.57

ذلك في حين ذهب غيرهم إلى حد اتخاذ إجراءات لكي لا يعادوا للحرية أبدا[1] إلى درجة شرائهم لحق البقاء في العبودية لبعض الوقت، أو مدى الحياة ؛حيث كانوا يتفقون أولا مع سيدهم حول ثمن الفدية، ويدفعون له القسم الأكبر منها ،ويضمنون بذلك امتياز عدم المرور مطلقا إلى مالك جديد ،ولكنهم كانوا يحرصون على عدم دفع بقية ثمن الفدية حتى ينظر إليهم دائما كعبيد وينعمون على هذا الأساس ،والصفة بالحماية[2].

وفي المقابل وجد الكثير من الأسري العبيد الذين كانوا يغادرون مدينة الجزائر بعد فداءهم وهم يشعرون بالكثير من الندم، والحسرة ويجب أن نعتقد حسب ما ذكره أحد الملاحظين الأمريكيين أنهم كانوا يغادرون الجزائر، وهم يحملون معهم مبالغ مالية معتبرة[3].

ومن بين الشهادات التي تظهر، وتبرز المعاملة الحسنة، والمقبولة للأسري، والعبيد المسيحيين من طرف سكان مدينة الجزائر من الملاك ما أورده "دو شستال دو بويس (le sieur du chastelt des boys) حين ذكر الحديث الذي جمعه مع رفيقين له في الأسر حول وضعهم؛ فذكر أحدهما، وهو السور دو مونولفيل الذي كان من أعيان مدينة أرليون (Orléans) –بفرنسا– أنه سقط بأيدي بولكباشي ،وأن هذا الأخير رجل جد مهذب، ولطيف إذ لم يكن يطلب منه ويكلفه إلا بإحضار شرابه، وطعامه في الثكنة ؛أي أنه كان يعمل على السهر على طعام وشراب سيده فحسب، كما ذكر أن هذا الأخير وعده بمنحه حريته مكتفيا منه كقيمة لفديته بنفس الثمن الذي اشتراه به من سوق البديستان، ونستخلص مما سبق حسن المعاملة التي كان يحظى بها هذا الأسير من خلال بساطة العمل الموكل إليه من طرف سيده، وكذا حرص هذا الأخير على طمأنته على مصيره.

أما الرفيق الثاني المدعو ولني و الذي كان مغامرا ؛ فقد كان سيده رجلا موريسكيا أي أندلسيا من إسبانيا، وقد قيل الكثير عن سوء معاملة الأندلسيين للأسري المسيحيين وانتقامهم منهم جراء ما حصل لهم من اضطهاد في إسبانيا، ولكن هذه الشهادة تقدم لنا صورة مغايرة لما قيل ؛حيث ذكر ذلك الأسير أن سيده الأندلسي كلفه ببيع التبغ وأوجب عليه إعطائه كل مساء من الأسبوع 20 إسبرة–عملة نقدية–، وإذ ما نقص المبلغ كما حدث له

[1] Laugier (de Tassy) ,Op. cit.,T.2, p.109
[2] Ibid., T2, p.31
[3] William Shaler ,Op.cit.,p101

في بعض الأحيان كان يعنفه بالكلام فقط، وأن سيده مع هذا كان معقولا، وكان يميزه الذكاء الإسباني وكان يتحدث باللغة الإسبانية[1].

وقد وجد العديد من الأسياد الجزائريين الذين تأثروا بوفاء عبيدهم، و أعجبوا بصفاتهم الطيبة،والحسنة ؛فلم يكتفوا بمنحهم حريتهم فحسب،بل و أرجعوهم إلى بلادهم وهم يتمعون بوضعية ميسورة، وحافظوا على صلتهم بهم من خلال تبادل المراسلات معهم[2].

والدليل على ذلك ماحدث مع الأسير دراندا عند مغادرته مدينة الجزائر للعودة إلى بلاده بعد فداءه؛حيث قدم له سيده هدايا بل ،وقدمت له زوجة سيده مؤن لاستكمال نقص الأطعمة على متن السفينة متمثلة في نصف قطعة جبن و12أو 15 رطلا من البسكويت الأبيض ،وعند مغادرته ودع دراندا سيده ،وسيدته اللذين تمنيا له ألف أمنية طيبة[3].

وكان هذا الإعجاب متبادلا ،والدليل على ذلك الإعجاب الكبير الذي كان يكنه دوبويس(le sieur du chastelt des boys) لسيده الأوضاباشي المدعو بيرام ،والذي أظهر تجاهه حنوا، وعطفا منذ البداية –على حد قوله– بل وضمن له الحرية منذ اللحظة التي يتمكن فيها من إرجاع ما كلفه شراءه من مال؛ أي أنه لم يرد أن يربح شيء على ثمن فديته الضئيلة مكتفيا بتلقي الثمن الذي صرفه عندما اشتراه في سوق الباديستان دون أي زيادة[1].

فقد كان كما قال عنه:"..المذكور بيرم كان على كل حال رجلا طيبا وشريفا يود أن يكون معروفا بصورة مباشرة لدى عبيد كل الأمم على أن يكون مخدوما من طرفهم غير محقق إلى غاية الآن أي ربح معتبر على مبالغ الفداء، والصحيح أنه كان رجلا لطيف ،وسهل العشرة..."[2].كما قال:« ربي ..... واسمح لي بأن أقر دون أن أثير فضيحة أن بيرم سيدي جعلني أري في كلماته وأفعاله إحسانا روحيا، ودينيا أكثر مما لدي أي مسيحي من أوروبا من الذين تعاملت معهم منذ عشرة سنوات..."[3].

[1] Sieur René du Chastelet des boys,", Op.cit, In :**R.A**.,T.12, 1868, p.353
[2] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.2, pp. 99-100
[3] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.69
[1] Sieur René du Chastelet des boys, Op.cit, In: **R.A**., T12, 1868, p.449
[2] Ibid.,p.449
[3] Ibid.,pp.449-450

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن الأسري الذين كان يتم شرائهم من طرف الإنكشارية كانوا يعاملون معاملة طيبة؛ فقد كان الجندي الإنكشاري يتآلف مع عبده بسهولة، وطيبته الفطرية كانت كبيرة لدرجة أن عبده سرعان ما كان يصبح السيد الفعلي داخل الدار كما أن العمل الذي كان يكلف به كان صغيرا، وسهلا؛ فكان يجب عليه االمحافظة على نظافة الغرفة التي يشغلها اليولداش في الثكنة، وشراء المؤن، وإحضار الماء ،و تنظيف الأسلحة ،والملابس وتحضير الطعام الذي كان يتم تناوله جماعيا؛ أي بكلمة واحدة القيام بما كان يقوم به الإنكشاري عندما لم يكن يمتلك عبدا ،وذكر جواؤا مسكغناس في القرن 11هـ(17م)أن هؤلاء الأرقاء الذين كانوا يعملون في الثكنات غالبا ما كانوا يعاملون معاملة الزملاء، أو الإخوة الصغار أكثر مما يعاملون كخدم[1].كما أنه في زمن الحرب كان الأسير العبد يحمل قسما من عتاد سيده الإنكشاري، وبعض المؤن ،ويساعده عند وصولهما إلى ميدان المعركة[2].

وكما نرى فكل ما سبق ذكره لم يكن بالأمر الشاق، والصعب، ولابد أن الأشخاص ذوي وضعية متواضعة كانوا أقل إثقالا، وإجهادا بالعمل من العهد الذي كانوا يتمتعون فيه بحريتهم الشيء الوحيد في واقع الأمر الذي يتحسرون عليه.

و البعض من هؤلاء الأسرى العبيد كانوا يعملون في الحدائق، و البساتين التي كانت تحيط بأحواش الطبقة الغنية، و الواقعة خارج مدينة الجزائر في الفحوص،و قد كان هؤلاء كما يبدو يحيون حياة طيبة نوعا ما[1]،وعلى سبيل المثال ذكر"دو شستال دو بويس(le sieur du boys chastelt des) في القرن11هـ(17م) أن المالك الأول له في مدينة الجزائر المدعو خوجة علي الكاتب العام سكريتار الديوان كلفه بخدمة بستانه ؛و أمره بالذهاب مع غيره من الأسري العبيد لفلاحة، وخدمة ،وزراعة جنانه[2].

و ذكر هايدو بدوره في أواخر القرن10 هـ(16م)عند حديثه عن حدائق، و فحوص مدينة الجزائر أنه لم تكن توجد واحدة منها لا تتوفر على عبد، أو عبدين مسيحيين للعناية والاهتمام بها ،وبالمنازل الريفية المبنية عليها بل، والكثير من هذه الحدائق كانت تشتمل على 4، أو5

[1] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p.70
[2] Grammont (H-D.DE), La Course L'esclavage et La Rédemption à Alger, paris, 1885, p.59
[1] Joâo Mascarenhas, Op.cit.,p. 202
[2] Sieur René du Chastelet des boy ,Op.cit., In **R.A.,**1868, T.12, p.27

أو حتى 6 أسرى عبيد، أو ربما أكثر للقيام على شؤونها [1]،وهذا ما ذهب إليه أيضا الأب دان خلال القرن11 هـ(17م).

و من العبيد أيضا من كانوا يعملون في المحاجر في حمل الحجارة إلى الرصيف البحري المول-كما أشير إليه أنفا- وغيره من مشاريع البناء بالإضافة إلى ورشات بناء السفن ؛فقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أنه كان يستخدم في بناء السفن بمدينة الجزائر بعض العمال المسيحيين من عبيد "**المخزن** " -الدولة -كما كان يسميهم الأتراك العثمانيين؛ فقد كان أسيادهم من جنود الإنكشارية ،وكان هؤلاء العبيد يخضعون لأوامرهم ،ويخدمونهم ،والعدد القليل من بين هؤلاء الذين كانوا قادة مسؤولين عن العمال في مختلف ورشات صنع السفن كانوا يتلقون من الباشا،أو البايلك من ستة إلى عشرة دوبل (doubles) -عملة نقدية-شهريا في حين كان العمال البسطاء منهم.....يمنحون ثلاثة أرغفة خبز بأمر من آغا الإنكشارية[2] .

و منهم من كانوا يخدمون في المقاهي أيضا، و سمح للبعض منهم بفتح ،و تسيير حانات حيث كانت الخمور المأخوذة من السفن المسيحية تخصص لهم[1] لكونها محرمة على المسلمين تبعا للشريعة الإسلامية.

وذكر دراندا في القرن 11هـ(17م) أن الأسري العبيد الإسبان الذين كان في إمكانهم تسير أو إدارة مخمرة كانوا يعيشون كأمراء في أوساط العبيد، و كانوا يكسبون في وقت قصير ثمن فدائهم ؛فالذين كانوا يملكون بيب{برميل} من الخمر في شهر سبتمبر والذي كانوا يشترونه ببتقوا-عملة نقدية- واحد كانوا عند بيعه بالتجزئة يحققون أربعين ،أو خمسين باتقون[2].

وقدم دراندا مثلا عن ذلك في شخص المدعو ألفاراز الميروقي الذي أصبح مسيرا لثلاثة حانات ،و لم يرد العودة لبلاده مع أنه دفع مبلغ فداءه ،و من جراء هذه التجارة صار غنيا جدا مما سمح له بأن يقوم بالكثير من الخير اتجاه أبناء بلده لدرجة أنه دفع للبعض منهم الثمن الضروري لفدائهم؛ فقد كان في مقدور هؤلاء الأسري في أغلب الأحيان تحصيل ثمن فداءهم

[1] « Topgraphie….. »,in:**R.A.,** 1871, T.15, p.463
[2] Ibid.,T.14,1870,p.519

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.269

[2] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit.,pp.236-237

في غضون السنة نظرا للأرباح المعتبرة التي كانوا يحققونها من هذا العمل[1].

و وجدت في مدينة الجزائر العديد من المهن ،والوظائف الأخرى المربحة التي كان يشغلها دائما الأسري العبيد المسيحيين ؛والتي كانت تصبح بالنسبة إليهم مصدرا للثراء مثلا أولئك الذين كانوا يخدمون في قصر الإمارة "قصر الجنينة "، أو الذين كانوا في خدمة كبار الضباط فقد كانوا يعاملون بعطف كبير ،وبصورة عامة كان يكفي للأسير العبد أن يكون نشيطا ليتمكن من أن يجد سبلا وطرقا تجعله سعيدا[2].

كما أنه كان هناك من الأرقاء أصحاب الحرف الذين كانوا يعملون مع مالك هو نفسه حرفي، أو كانوا يعملون في ورشات يصنعون فيها الثياب، و الأحذية، والبراميل حسب اختصاصهم، و في هذه الحالة كان يأخذ ملاكهم منهم نسبة من أرباحهم، وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) ذلك حين قال أن المهن المتنوعة في مدينة الجزائر كالخياطين، والحذاءين والسراجين صانعي السروج ، والبناءين ،وغيرها كانت ممارسة كذلك من طرف أسري مسيحيين منتمين لمعلم الورشة؛ فكانوا يعملون تحت إمرة الحرفي صاحب الورشة ، أو كانوا يكترون ورشات لممارسة حرفتهم مقابل أجرة كانت تدفع لأصحابها تبعا لاتفاق، و شروط متبادلة بين الطرفين[1].

كما أن العديد من المالكين كانوا يشترون الأرقاء للاستثمار؛ حيث كانوا يؤجرونهم كعمال لأي شخص يحتاج للعمال، أو يتركونهم يعملون بأنفسهم مقابل أن يدفعوا لهم نسبة من دخلهم أسبوعيا ،فكانوا يعملون مثلا كعمال لتفريغ السلع من السفن،أو كمجدافين على متن هذه الأخيرة[2].

وهذا ما أشار إليه هايدو في القرن 10هـ(16م) حين سجل بأن كل الرياس أو مالكي السفن تقريبا كانوا يأخذون ثلاثة حتى أربعة أسرى عبيد كمجدفين لكل مجداف، و الرايس أو مالك السفنية الذي لم يكن يملك عددا كافيا من العبيد المسيحيين للتجديف في سفينته كان يستأجر ما يحتاجه منهم من عند تجار كانوا يملكون عددا من الأسري العبيد المسيحيين

[1] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.2, p.25
[2] William Shaler ,Op.cit.,p.101
[1] Op.cit.,T.15, p.463

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص.230

يقومون بإيجارهم لهذا الغرض؛ فكانوا يختارون الأكثر قوة من هؤلاء المجدفين؛ فيأخذون عشرة أو خمسة عشر مجدفين من عند أحد هؤلاء التجار، و عشرين من عند آخر،وهكذا ،وكانوا يدفعون 12 إيكو ذهبي –عملة نقدية–للشخص عن كل سفرة[1].

وما تجدر الإشارة إليه أن حتى العبيد الأسري الذين تعرضوا لحوادث مؤسفة أدت لفقدانهم عضوا من أعضائهم كانوا يجدون في مدينة الجزائر ما يقومون به ؛فقد ذكر درندا في القرن 11هـ(17م) أنه تعرف في بانيوا علي بتشين على أسير فتي فقد ذراعه أثناء المواجهة البحرية التي سبقت أسره فأعطاه أحد أبناء بلده نصف باتكون–عملة نقدية–، وبهذا المبلغ اشتري لعبتين اللعبة الأولى منهما كانت مكونة من قطع خشب أسطوانية الشكل، وكرة حيث كانت هذه اللعبة تنص على محاولة إسقاط هذه القطع بواسطة الكرة من مسافة معينة ؛وهي كما يبدو من خلال وصفها لعبة شبيهة إلى حد كبير بما يعرف اليوم بالعبة البولينق (quilles de debowling) أما اللعبة الثانية فهي لعبة ترومدام و التي تتلخص في محاولة إدخال كريات صغيرة في أقواس مرقمة ؛ وكان يذهب بهما إلى خارج المدينة بالقرب من الباب فيكري، أو يأجر هاتين اللعبتين للأطفال الذين كانوا يلعبون هناك؛ فيكسب رزقه بشكل جيد من جراء ممارسته هذه التجارة[1].

وهذه كانت حالة الأسرى العبيد في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ؛حيث سمح لهم بالإستفادة من نتاج عملهم في حين أنه في الضفة الأخرى للمتوسط كان أمثاهم من أسرى عبيد مسلمين عرضة للاضطهاد ، والظلم ،و سلب ثمرة جهدهم، وعملهم، وهذا ما يبرز لنا بشكل جلي من خلال خطاب صارم أرسله الداي شعبان للملك الفرنسي لويس الرابع عشر:" إنهم يشتكون{ الأسري} كذلك من المسؤولين عن الأشرعة الذين يسلبون بالقوة المال من أيدي الذين يعملون لكسبه{ يقصد الأسري العبيد المسلمين} مسيري الدفة يأخذون سول–عملة نقدية– من كل عبد يخرج من الغيلوطات...حتى الجنود ينهبونهم و يضربونهم ..."[2].

و كان الأسرى العبيد الذين يمكن مبادلتهم بفدية كبيرة يتمتعون في مدينة الجزائر بالراحة والأمن إلى غاية عملية فدائهم؛ فلم يكونوا يقومون بالأعمال الشاقة، والصعبة، وكانت هذه

[1] HAEDO « Topographie… », In: **R.A.**, T.15, 1871, p.42
[1] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.236
[2] Eugéne Palantet , correspondance des deys D'Alger avec la coure de France 1579-1833, en deux tomes,Ancienne librairie Germer Bailiére et C[ie] Félix Alcan ,éditeur ,Saint –Germain France ,1889, Tome premier (1570-1700),p.314 Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens et l'Europe Chrétienne, Entreprise Nationale du Livre(ENL),Alger, 1988, p.63

حالة عبيد الباشا؛ أو حاكم الجزائر حسب الأسير الإسباني سرفنتاس الذين كانوا لا يذهبون للعمل كبقية العبيد إلا عندما تتأخر فديتهم[1].

و ذوي المكانة الرفيعة منهم كانوا معفيين من عملية التجديف التي كان الأسرى العبيد الآخرين يخضعون لها مرة، أو مرتين في السنة على ظهر إحدى السفن، ولم يكونوا عرضة لذلك إلا في حالات تأخر فديتهم، وذلك من أجل دفعهم للضغط على أسرهم بالتعجيل بدفع هذه الأخيرة[2].

وهذا عكس ما كان سائدا في البلاد المسيحية؛ حيث كان الأسري المسلمين مجبرين على التجديف باستمرار، وكانوا خلالها عرضة لأعمال في قمة العنف، والوحشية؛ فعلى سبيل المثال نسجل إقدام ربان كتالوني على تثبيت أفخاذ مجدافيه المسلمين بالمسامير على مقاعد التجديف نظرا لعدم رضاءه عن الجهد الذي بذلوه خلال عملية ملاحقة إحدى السفن وكانوا عرضة أيضا لضربات موجعة تنهمر على ظهرهم العاري لأتفه سبب[1].

كما أن الطعام المقدم للأسرى العبيد المسلمين كان ذو رداءة لا مثيل لها ،وهذا ما يبرز لنا بشكل جلي من خلال خطاب صارم أرسله الداي شعبان للمالك الفرنسي لويس الرابع عشر جاء فيه حول هذا الموضوع :"... جلبت لمدينة الجزائر أرغفة الخبز التي تعطي للعبيد لطعامهم اليومي ليحفظنا الله منها !من المستحيل حتى على الحيوانات أكلها فما بالكم بالرجال..لقد وصلتنا شكاوى لا حد لها بأن الضباط الصغار يشتركون في نصيب الطعام التي يخصصها الملك للعبيد. فارحموا فرقة من المساكين التعساء الغارقين في هم شديد، والذين يقتلهم التجديف والجوع ألف مرة في اليوم..... "[2].

في حين كان يتم فحص المجدافين من الأسرى المسيحيين في السفن الجزائرية بدقة وعناية كبيرة للتأكد من عدم إصابة أي منهم بأمراض معدية كما كان يحرص على اغتسالهم جيدا وحلق شعرهم[3]. و ذكر دراندا في القرن 11 هـ(17م) أنه كان يوزع على كل عبد موجه للتجديف خمسة أمتار من قماش الكتان ليصنع قميصا، وسروالا لنفسه ،وذلك بأمر من الباشا مبينا أنه

[1] Emanuel Roblés,"L'Algérie de Cervantes" ,In: **revue Algéria**,Numéro 57, Edition de l'office D'action Economique et Touristique(OFALAC) Alger, XXVII Année, Avril, 1959, p.30
[2] Corinne Chevallier, Op.cit, p.55
[1] Moulay Belhamissi, Les Captifs algériens..., p.40
[2] Eugéne Palantet ,Op.cit., Tome 1,p.314 Voir aussi Moulay Belhamissi , Les Captifs algériens...,p.63
[3] Grammont(H-D.DE) , La Course L'esclavage.., p.64

تلقى حصته كالآخرين وهو الشيء الذي أسعده نظرا لأنه لم يكن يملك إلا قميصا وسخا وممزقا[1].

ولابد أن نشير في هذا المحل إلى ممارسة عمل التجديف من طرف بعض الأفراد من جماعة البرانية [2]من القبائل تحديدا—كما ذكر سابقا- فقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن رياس السفن كانوا يقدمون أجرة تقدر بـ 12 إيكو ذهبي لمجدفين مسلمين من أبناء البلد عن كل سفرة كانوا يقومون بها؛ فكانوا يكسبون رزقهم بالتجديف كمجدافين متطوعين[3].

وهذا دليل على أن مهمة التجديف في مدينة الجزائر كانت كما هو معلوم تتطلب جهدا كبيرا ؛ولكنها لم تكن مرفقة بالأعمال الوحشية الممارسة في أوروباكالجلد بالسوط، والدليل ممارسة بعض أفراد جماعة البرانية لهذه المهمة كمهنة.

وتمتع الأسرى العبيد بحرية نسبية في الحركة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني لا يحدها سوى قضائهم الليل في دور خاصة [1]عرفت بسجون الرقيق« Bagnes » والتي انقسمت إلى نوعين سجون عمومية تابعة للدولة ،وسجون خاصة يمتلكها الأغنياء من أمثال رياس البحر ومن أشهرهم بانيو الرايس علي بتشين[2].

و خلال النهار كان الأسرى العبيد يتجولون بحرية في المدينة، وضواحيها ،و كانوا لا يعملون يوم الجمعة، ويمنحون ثلاثة ساعات للراحة خلال الأيام الأخرى؛ فكانوا يستفيدون منها ليجمعوا بعض المال إما لشراء أطعمة إضافية ، أو للترويح عن النفس[3] وكانوا يحققون ذلك عن طريق العمل أو الشحاتة، وطلب الصدقات ، أو ببساطة بالسرقة وكانت تلك الحالة الأكثر شيوعا [4]، وكان بإمكانهم ارتياد الحمامات، كما أن البعض منهم مارسوا التجارة وحققوا بفضل ذلك بعض الثروات[5].وهنا نشير إلى إحسان العثمانيين ،و رحمتهم اتجاه الأسرى

---

[1] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., pp.15- 16

[2] في حين كان الأسرى المسلمين ولاسيما الذين تعود أصولهم إلى سواحل بلاد المغرب الإسلامي هم وحدهم الذين كانوا يستخدمون في التجديف في الأساطيل الأوروبية وكان مصدرهم الأساسي الغنائم البحرية وكذا أسواق العبيد التي كانت تتوزع أساسا في المدن الإيطالية .أنظر:

Octave Teissier , Visite à l'Arsenal de Toulon ,Librairie de L.Hachete et C^{ie} ,Paris 1861,p.126

[3] « Topographie… » In: **R.A.**, T.15, 1871, pp.42-43

[1] جون ب .وولف، المرجع السابق،ص.230

[2] أنظر في ذلك الفصل الأول من الباب الثاني من هذا العمل

[3] Sir Godfrey Fisher , Op.cit.,p156

[4] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit. p 67

[5] Joâo Mascarenhas, Op.cit.,p. 202

العبيد فلم يكن من النادر أن ترى منهم من يأتي إلى البانيو متبوعا بخادم محمل ببعض المؤن، والصدقات الموجهة إليهم[1].

ونفس الأمر يقال عن عبيد الخواص ؛فقد ذكر دوشستال دي بويس(chastelt des boys) أنه خلال أسره، أو عبوديته كان بطريقة ما مشمولا بحرية ظاهرية،و بترخيص غير منتقد أو معترض عليه بالدخول، والخروج عند سيده المدعو قارة إبراهيم في كل ساعات اليوم، و متى أرد كما أنه يذكر في محل آخر كيف أن يوم الجمعة كان مناسبة له ليلتقي برفقائه في الأسر فيتبدلون الحديث فيما بينهم، ويكون الموضوع الأساسي مغامرات العبيد،ومجريات حياتهم[2]. بل وإن ساعات الفراغ، والراحة التي كان يتمتع بها الأسير العبد المسيحي قد سمحت لأصحاب الملكات الفنية، والأدبية بتنميتها، ومن هؤلاء الأديب الإسباني الشهير سرفنتاس الذي كان يتسلى في خلوته ،ووحدته بنظم الشعر، أو كتابة القصة، ويبدو أنه كتب بعض مسرحياته القصيرة خلال إقامته في الجزائر ،وعلى وجه الخصوص مسرحيته الشهيرة بالمعركة البحرية " la batalla naval" ،وكذا مسرحيته معاملة الجزائر" El trato de argel "،و التركية العظيمة "ومسرحيته السلطانة العظيمة" LA GRAN SULTANA" [1] التي تجري مجرياتها في القسطنطينية أي اسطنبول ،و كذا الإسباني الشجاع " l'espagnol courageux" التي استلهمها من الحصار الرهيب لمرسي الكبير من طرف البيلرباي الحسن باشا بن خير الدين سنة 1563م إلى جانب أقصوصته بانيوات الجزائر، و خبر الأسير، وكذا الإسباني الإنجليزي l'Espagnole anglaise "[2].

وربما أن قمة الأدب الإسباني واحدي جواهر الأدب العالمي الذي ألفها ،وأبدعها سرفانتيس شهدت مولد فكرتها في مدينة الجزائر، ونقصد هنا رواية دون كيشوت الشهيرة وهذا ما نتلمسه من خلال الفصل 39، و،40،و41 منها والتي تتناول مغامرات أسير إسباني و تقدم في نفس الوقت لوحة حية عن حياة الأسري المسيحيين في مدينة الجزائر[3].

---

[1] Grammont(H-D.DE), La Course L'esclavage… , p. 69

[2] Op.cit,In **:R**.A., T.12,1868, p.352

[1] طاهر المكي ،المرجع السابق، ص.57

[2] Emmanuel Roblés, Op.cit., p.30

[3] Ibid., p.30

وبمناسبة الحديث عن سرفانتيس؛ فإنه على غرار بقية الأسري المسيحيين حاول أن يستفيد من مدة أسره في العمل مستغلا مواهبه، وبما أن ذلك كان أمرا ممكنا في مدينة الجزائر للأسري فقد استطاع أن يعطي بعض الدروس في اللغات ،والرياضيات، وبعض العلوم الأخرى لعدد كبير من الأندلسيين، وقد مكنه ذلك من كسب المال، ورفع مستوي معيشته، ومساعدة ومعاونة رفاقه في الأسر[1].

و كان العديد من الأسري المسيحيين الذين أقاموا بمدينة الجزائر، وسجونها أدباء، ورجال فكر وقلم؛ فعلى غرار سرفانتيس نجد على سبيل المثال لا الحصر" بطرس جيلس"، والذي كان من رجال الأدب، وأستاذا متمكنا في اللغتين اللاتينية، والإغريقية وفي الفلسفة أيضا ألقي عليه القبض من طرف البحارة الجزائريين في سنة 1546م ، وهو عائد من رحلته من إلى اليونان وأسيا في اطار مهمة كلفه بها الملك الفرنسي فرنسوا الأول لجمع المخطوطات والكتب بصفته المشرف على مكتبة الملك، وقد أقام هذا الأخير مدة طويلة بمدينة الجزائرإذ تأخر افتداؤه بسبب مبلغ الفدية الكبير[1].

ولعل فيما قاله روكفيل في القرن 11هـ(17م) أكبر دليل على حرية الحركة التي كان يحظى بها الأسري العبيد في مدينة الجزائر مما سمح لهم بالاستفادة من مواهبهم وخبراتهم لجنى المال حين قال: "إذا اتفق الأسرى المسيحيون بشكل جيد، وأردوا الفرار؛ فيستطيعون فعل ذلك بسهولة أكبر هنا[مدينة الجزائر]من أي بلد آخر في بربرية"[2]{ والمقصود بها بلاد المغرب الإسلامي}.

ومن هذا المنطلق يتوجب علينا طرح السؤال الآتي :كيف يعقل تمكنهم من الفرار بسهولة إذ كانوا مكبلين حقا بالقيود، والأصفاد الثقيلة ،و ما لم يكونوا يتمتعون بحرية التجوال في المدينة خلال النهار في الأوقات العادية ،وحتى ليلا في المناسبات الدينية كشهر رمضان[3].

---

[1] الطاهر المكي، المرجع السابق، ص.57

[1] عائشة غطاس، سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر (1516- 1830م)، مذكرة سنة أولى ماجستير، إشراف أد.مولاي بلحميسي ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 1981 -1982 ،ص.32

[2] Rocqueville (S.de), Op.cit., p.96

[3] عن عادات سكان مدينة الجزائر خلال شهر رمضان أنظر الفصل الثالث ضمن الباب الثالث من هذا العمل

ونتلمس هذه الحرية دائما من خلال ما سجله روكفيل من ذكريات عن فترة أسره في مدينة الجزائر حين قال: " خلال عبوديتي تعرفت على رجل إنجليزي طيب ونزيه وحصيف جدا يدعى سيد غيس، الذي اطعمني ،واصطحبني معه عدة مرات إلى عند القنصل الإنجليزي وقد خططنا معا لتسليح سفينة ،والحضور لإحراق كل السفن في مدينة الجزائر وهذا ما كان يمكننا تحقيقه بسهولة ،وبمساعدة قليلة ،وقد تجولنا عدة مرات على شاطئ البحر ،وكنا نأخذ القياسات لتنفيذ مشروعنا هذا في يوم ما ،ولكن عندما حررت غادرت مدينة الجزائر في أسرع وقت ممكن ،و عدلت في نفس الوقت عن مشاريعي كعبد..."[1].

وهنا يجدر بنا طرح السؤال الآتي: كيف يعقل أن يتمكن روكفيل ،والذي من المفترض أن يكون عبدا أسيرا مكبلا بالقيود والأغلال الثقيلة،ومكلفا بالعمل الشاق الدائم كما تدعي جل المصادر الغربية خلال هذه الفترة من أمثال كتابات الأب دان ،أن يتمكن من التجوال في أرجاء المدينة ،لدرجة أن يقصد مقر القنصل الإنجليزي عدة مرات ،ويتناول الطعام هناك بل ويتجول على شاطئ مدينة الجزائر لرسم خطة مشروع يرمي لتدمير الأسطول الجزائري؟! والإجابة عن هذا السؤال تكمن بالدرجة الأولى في ضرورة إعادة النظر في اللوحة السوداوية التي رسمتها المصادر الغربية عن واقع الأسرى بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني.

ولابد أن نذكر أيضا أنه كان من بين الأسرى، ومن ثم العبيد نساء، وحتى أطفال و كان الأطفال يعاملون معاملة حسنة من طرف مالكيهم بل و كانوا يعاملون كأحد أبنائهم وكثيرا ما كان هؤلاء الأطفال يدخلون في الإسلام، ويصبحون ورثة مالكيهم[1].بل و ذهب لوجي دو تاسي إلى أن العديد من هؤلاء الأسرى العبيد كان لديهم في العائلات التي قامت بشرائهم سلطة تعادل سلطة أسيادهم، ويعاملون كأبناء الدار[2]،وكان يتم معاملة الأسيرات دائما باحترام من منطلق الاحترام الواجب إظهاره للنساء سواء كن حرات ،أو أسيرات [3]وعادة ما يصبحن خادمات في البيوت ؛حيث كن يتلقين بدورهن معاملة حسنة ؛كمرافقات ،ورفيقات لسيداتهن عند الخروج من البيت، ومساعدات لهن في شؤون البيت ،والأعمال المنزلية[4].

[1] Rocqueville (S.de), Op.cit., p.111-112

[1] جون ب وولف،المرجع السابق،ص.227

[2] Laugier (de Tassy), Op.cit.,T.2, p.26

[3] William Shaler ,Op.cit.,p.100

[4] Jean Louis Belachemi, Nous les frères Barbarouses corsaires et rois d'Alger, premier Edition,Libraire Artheme Fayard, Paris 1984, p.186

ووجدت الكثير من الرقيقات اللواتي أسلمن، و تزوجن مالكيهن، و كان هذا الوضع بالنسبة لهن أفضل من وضع الخادمة[1] ؛أي كن يصبحن علجيات، و في إحدى الوثائق في سلسلة المحاكم الشرعية نجد إشارة إلى أسيرة أسلمت ،وهي معتوقة تزوجت بأحد العثمانيين بحسب ما نستخلصه منها :« بعد أن تصدقت الزهرا بنت عبد الله عتيقة مصطفي بن قارا علي على بعلها مامي بلك باشي بن عبد الله....." [2].

وتشير هذه الوثيقة أيضا إلى تصدقها على زوجها بأجزاء من دار كانت تملكها في حين أوقفت، وحبست عليه ما تبقي من الدار، وعلى ذريته، وذرية ذريته إلى أن ينقرضوا فيكون المرجع حينها للحرمين الشريفين، وما يهمنا هنا أن الزهرا على ما يبدوا كانت تملك عقارات ربما تحصلت عليها من طرف سيدها الذي أعتقها كصدقة، أو هبة عندما أعتقها ليساعدها في معاشها كما نستشف اندماجها في المجتمع من خلال إسلامها أولا، ومن خلال زواجها وتكوينها لأسرة في أوساطه ثانيا.

كما أنه لم يكن في الإمكان فداء كل الأسرى؛ فأصحاب الخبرات ككبار النجارين الخبراء في بناء السفن، والخبراء في صهارة الحديد، و كل من كان مفيد في أحواض بناء السفن خاصة و بعض البحارة الماهرين كل هؤولاء كان يحتفظ بهم في مدينة الجزائر للاستفادة من خدمتهم[1] فإما أن يسلموا و يصبحوا أعلاجا، و ينالوا مكانة مشرفة، و حياة هنيئة، أو يعملون في متاجرهم كأرقاء ،و لكن يعاملون معاملة حسنة[2]،ويتمتعون بقدر كبير من الحرية، وكانوا يتلقون

---

[1] جون ب وولف، المرجع السابق،ص.228

[2] الوثيقة رقم 70 "رسم بيان صدقة...."، في العلبة 76 -1 تاريخها 1013 هـ(1605 م) ،مصدر سابق

[1] وكانت الدولة العثمانية تعمد إلى الاستفادة منهم حيث كانت تطالب حكام الجزائر بإرسال عدد منهم إلى مقر السلطنة للإفادة منهم في دار صناعة السفن، ومن النماذج على ذلك ما ورد في إحدى مراسلات السلطان سليم الثاني إلى أمير الأمراء علج علي :".....سماعنا بأن الذمي المدعو ماستورو ولبرو الموجود طرفكم حاليا هو معلم في فن الحدادة فإنني أمر.....أن تقطع علاقات المزبور من جانبكم وأن ترسله إلى سدة سعادتنا مع ألاته اللزمة بصحبة الرجال كي يتم استخدامه في ترسخانتنا العامرة....."أنظر: مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 547حكم رقم 1048بتاريخ10/27 /979 هـ

[2] المرجع نفسه،ص.230

أجرة يومية كانت تكفيهم لتلبية كل حاجياتهم ويتلقون أيضا هدية جميلة في كل مرة كانت تعود فيها إحدى السفن التي قاموا ببنائها بغنيمة[1].

علما أنه جرت العادة أن يقدم الرياس إليهم هدايا تشجيعية في اليوم الذي يثبت فيه ساري سفينتهم؛ فقد كان يشترك في القيام بهذه الالتفاتة الكريمة كل الرياس المتواجدين في مدينة الجزائر عامة فالبعض منهم كان يقدم المال ،والبعض الآخر كان يقدم بعض المجوهرات أو بعض الملابس التي يمكن بيعها، أو حتى بعض الأمتار من القماش القرمزي اللون من الصوف ،أو الحرير أومن المخمل ،وهذه العملية كانت تحقق لمعلمي بناء السفن من 200 إلى 300 إيكو{عملة نقدية} ،وكانوا يبقون القسم الأكبر منه لأنفسهم في حين كانوا يرضون العمال ببقية هذا المبلغ[1].

وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م)أنه يوم إطلاق سفينة جديدة في البحر كان يقدم مالكها هدية لمعلمي بناء السفن ،وكان ينظم غداء للعمال ،وللعبيد المسيحيين الآخرين الذين حضروا للمساعدة في إنزال السفينة إلى البحر[2]. وهذا دليل آخر عن حسن المعاملة التي كان يلقاها الأسرى العبيد في مدينة الجزائر.

و بصورة عامة يمكن القول بناء على ما سبق توضيحه أن الأسرى العبيد المسيحيين كانوا يتلقون معاملة لا بأس بها في مدينة الجزائر بالرغم من الكتابات العديدة حول الموضوع و التي تكاد تجمع على تصوير معاملة الأسرى العبيد في مدينة الجزائر بصورة تجسد قمة الوحشية و عدم الإنسانية بجعلهم عرضة للتعذيب المستمر و التفنن في التنكيل بهم مثل كتابات الأب دان في القرن 11هـ(17م) الذي يذكر مثلا أن الأسير كان يربط من رجليه و من يديه في أربعة سفن بواسطة الحبال وعندما كانت تنطلق كل منها في اتجاه كان جسده يتمزق، ويصير أشلاء و غيرها من أساليب التعذيب.

و يذكر سرفانتيس في القرن 10هـ(16م) كذلك في كتاباته المعاملة السيئة التي كان يلقاها الأسرى العبيد ؛فيذكر أن أحد العبيد المرضى لم يستطيع الذهاب للعمل بسبب الحمى؛فلم يجد حارس

[1] Grammont (H-D.DE), La Course L'esclavage..., p.59
[1] HAEDO « Topographie… » In**: R.A.**, T.14, 1871,pp. 518- 519
[2] Ibid.,T.15, p.42

السجن أمامه إلا أن يضربه بالعصي ليجبره على الذهاب للعمل[1].

و الواقع يفند هذه الرواية؛ فقد سمح للأسرى العبيد بأن تكون لهم مستشفيات خاصة بهم للعلاج ،والتداوي ؛فقد ذكر لوجي دو تاسي أنه في حالة مرضهم كان يعني بصحتهم[2] كما سمح لهم بأداء شعائرهم الدينية، و الاحتفال بأعيادهم ، و كانت لهم مقبرة خاصة بهم خارج باب الواد[3]. و في مقابل هذه المعاملة الانسانية التي كان يتلقاها الأسرى العبيد المسيحيين في مدينة الجزائر كان الأسري المسلمين بالبلاد الأوروبية يعاملون معاملة لاإنسانية ؛حيث حرموا من أبسط الحقوق فمثلا : لم تمنح لهم مقبرة في مرسيليا لدفن موتاهم إلا بعد حادثة جد أليمة كانت الأصل في نشوب خلاف بين فرنسا، والجزائر، وكانت نتيجة هذا الخلاف أن خصصت لهم أخيرا مقبرة سنة 1691 م بفضل رسالة بعث بها الداي شعبان إلى لملك الفرنسي لويس الرابع عشر ذكره فيها ببعض الحقائق مما جاء فيها:

"يوجد في هذا البلد (الجزائر) مقابر للأجانب وللعبيد المسيحيين، ولكن في مرسيليا لا توجد على الإطلاق مقابر للمسلمين ،ومن المستحيل حفر خنادق على الشاطئ بين الصخور... توفي تركي من حاشية سفيرنا الموجود في تولون، و خصص حاكم المدينة مكانا لدفنه وهذا ما تم وفي نفس الليلة فتح سكان من المدينة القبر، وسحبوا منه الجثة ثم أضرموا النار في جثة الميت وفي اليوم الموالي انتشر خبر هذا الأمر في كل تولون حتى الضباط رأوا هذه الجثة المحروقة... يموت هنا 20 عبدا يوميا ؛فندفنهم في مقبرتهم حسب طقوسهم الدينية ،وبقراءة كتبهم وصلواتهم.. الشعوب التي تخاف الله لا تقوم بمثل هذه الأفعال. جلالتكم ستعلم أن حكام تولون لم يقوموا بتوقيف الذين قاموا بحرق هذه الجثة فحسب؛ بل ولم يتكلفوا حتى عناء الاستعلام عنهم "[1].

ولكن هذه المقبرة التي منحت أخيرا لدفن الأسري المسلمين في مرسيليا، تعرضت للتخريب عدة مرات كتحطيم أحد أسوارها رغم التدخلات العديدة للداي ،وخلفائه ؛حيث لم تكن تحترم

[1] Emmanuel Roblés, Op.cit., p.32

[2] للتوسع في موضوع الرعاية الصحية التي كانت تقدم للأسري العبيد المسحيين العودة للباب الثاني من هذا العمل فصل المرافق الأمنية والعسكرية.

[3] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.2, p.44

[1] Eugéne Palantet ,Op.cit., Tome 1,p.313 Moulay Belhamissi Les Captifs .., p.60

المراسيم والاتفاقيات المبرمة حول هذا الموضوع ،وهذا رغم تدخلات السلطات العليا في فرنسا إذ أن الحزب المعادي للمسلمين في مرسيليا كان يستعمل كل الذرائع لجعل هذا المعلم يختفي كالحديث عن فوضي وجرائم ،وتجاوزات يكون المسلمين مسؤولين عنها[1] ،ولكن تدخلات السلطة الجزائرية كانت تمنع حدوث ذلك[2].

و في هذا الصدد ومن بين الشهادات النادرة التي وردت في المصادر الغربية حول هذا الاختلاف في المعاملة التي كان يلقاها الأسرى المسحيين في مدينة الجزائر ،ومعاملة الأسري المسلمين في أوروبا نجد الرحالة وعالم النباتات الألماني هابنسترايت يعقد مقارنة حول ذلك فيقول:" عادات وتقاليد الجزائريين تحددها شريعة القرآن المسلم الصالح يتحتم عليه أن يكون مراعيا مع أصدقائه ،ممتنا للخير أو المعروف الذي يقدم إليه شديدا مع أعداءه ورحيما اتجاه المهزومين وقارنت بين الحالة المزرية للمجدفين المسلمين في مرسيليا مع حالة العبيد {كذا} في بربرية {بلاد المغرب الإسلامي} الأوائل بالكاد يتحملون ثقل الأغلال التي كبلوا بها في المقابل الأخرين {أي الأسري العبيد المسحيين }أحرار في التنقل خلال النهار مقابل دفع مبلغ معين كل شهر كما يجب عليهم خلال الليل الالتحاق بمساكنهم[1] ؛التي لم تكن غير مريحة على الإطلاق....."[2].

ومما سبق نلاحظ الفرق الشاسع بين ما كان يحظى به الأسرى العبيد المسيحيون في الجزائر من احترام لخصوصياتهم الدينية، وقبل كل شيء كرامتهم الإنسانية في حين كانت هذه الثوابت تنتهك في حق الأسري المسلمين بالبلاد الأوروبية، وحتى ما تعلق بأبسط الحقوق، فلم تكن تراعى حتى حرمة الموتى منهم[3].

---

[1] للإطلاع أكثر على التجاوزات التي كانت تتعرض لها المقابر المخصصة لدفن الأسري المسلمين في فرنسا أنظر:

Régis Bertrand, « Les cimetières des esclaves turcs des arsenaux de Marseille et de Toulon au XVIII[e] siècle », In : ***Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*** ,Numéro 99-100 "La tradition manuscrite en écriture arabe " ,novembre 2002,pp205-217 Référence électronique la *REMMM*: 99-100 | novembre 2002 mis en ligne le 12 mai 2009, URL : http://journals .openedition .org/remmm/1185

ويبدو ذلك شبيها إلى حد يعيد بأعمال التخريب التي تتعرض إليها المعالم الإسلامية بما فيها المقابر في بعض بلدان أوروبا حاليا بين الفينة والأخرى،ومن منطلق نفس الذرائع ؛ومن ثم يمكن القول أن هذه الممارسات الحالية التي تجسد التعصب الديني ،وتعبر عن النظرة العنصرية اتجاه المسلمين لديها امتدادتها التاريخية.

[2] Ibid.,p.61

[1] حول موضوع سجون الأسرى العبيد المسيحيين أنظر فصل المرافق العسكرية و الأمنية في الباب الثاني من هذا العمل

[2] HEBNSTREIT (J.E.), Op.cit.,p.24

[3] لابد هنا من الإشارة إلى أنه خلال بحثنا في هذا الموضوع لاحظنا الفرق الشاسع بين ما تم كتابته سواء من مصادر أو مراجع ودراسات تاريخية حول واقع الأسري المسيحيين في بلاد المغرب الإسلامي عامة-،والجزائر على وجه الخصوص - خلال الفترة الحديثة من حيث كثرتها وبين قلة بل وندرة ما كتب بالمقابل حول واقع الأسرى للمسلمين عامة والأسري=

و سجل سرفانتيس بدوره في القرن 10هـ(16م) ذلك في كتاباته ما يبرز لنا ذلك؛ حيث أورد محادثة جرت في سجن من سجون مدينة الجزائر بين أسيرين حين كان الأسري يستعدون للاحتفال بأحد أعيادهم مع التجهيز لتقديم مسرحية سيحضرها سيدهم التركي وهذه المحادثة مقتطفة من الفصل الثالث من إحدى مؤلفاته ؛حيث قال أحد الأسيرين :

الجزائر كما أري تشبه قوس القزح نجد فيها جميع أنواع العبقريات، والمهن ذات الحسنات الكامنة، فأجابه رفيقه: حتى أنك تستطيع أن تلاحظ ما يدهشك تلك الكلاب الخالية من الإيمان تتركنا كما تري محافظين على ديننا، و تلاوة قدسنا بحرية[1].

ونستخلص من الحوار السابق إقرارا بحرية ممارسة الشعائر الدينية التي كان يتمتع بها الأسري

=الجزائريين على وجه الخصوص في البلاد المسيحية؛ فمن الدراسات التاريخية المحلية الجادة المعاصرة؛ التي اهتمت بهذا الموضوع نجد أولى الدراسات دراسة الأستاذ الباحث مولاي بلحميسي تحت عنوان الأسري الجزائريين وأوروبا المسيحية التي أشفعها بالعديد من الوثائق الأرشيفية ،والمراسلات القيمة عن الموضوع كما نجد كتابات الأستاذ الباحث سعيود ابراهيم الذي تخصص في البحث في موضوع واقع الأسري المسلمين المغاربة وعلى وجه الخصوص الجزائريين في البلاد المسيحية ،وتحديدا بإيطاليا –ليفورن ،وروما الفاتيكان .....الخ- والتي تكتسي أهمية كبيرة لانطلاقها مما يتضمنه الأرشيف الإيطالي من وثائق تخدم هذا الموضوع؛ حيث عمد إلى استنطاقه مستعينا ومتسلحا بملكة اللغة الايطالية فتمكن من رسم لوحة تاريخية مفعمة بالحياة عن المأساة التي عاشها الأسرى المسلمين وبخاصة الجزائريين، ومن مؤلفاته في هذا الصدد نذكر: من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات،مجلة أكاديمية دورية محكمة ،العدد الأول، المركز الجامعي غرداية ،ديسمبر 2006 وأيضا الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث إشراف أد.عائشة غطاس ،جامعة الجزائر2 السنة الجامعية 2009-2010 كما نجد دراسته التاريخية الأدبية بعنوان " البابا يجلد ...ليعمد علي وأحمد!"في الحياة دورية فكرية محكمة ،العدد الثامن عشر ،يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث –القرارة الجزائر ،رمضان 1453 هـ /جويلية 2014 م ،صص295-303 التي تتناول واقع الأسرى والعبيد المسلمين، وتصور معاناتهم مع عمليات التنصير الإجباري في إيطاليا في ثوب أدبي قشيب يجمع بين الواقع التاريخي وجمالية الخطاب ويصدح بالإسقاطات التاريخية مما يثير اهتمام القراء ويدفعهم للاطلاع على هذا الموضوع التاريخي الهام؛ويبدو أن المؤرخين الأجانب قد شرعوا في إعطاء أهمية للبحث في هذا الموضوع لأهميته التاريخية انطلاقا من المصادر الأرشيفية التي تحتفظ بها أرشيفات البلدان الأوروبية التي شهدت ظاهرة الأسرى المسلمين و من نماذجها نذكر مجموع دراسات حول هذا الموضوع نشرت في جزأين تحت عنوان :

Les musulmans dans l'histoire de l'Europe, tome 1 et 2 ,sous la direction de Jocelyne Dakhila et Bornard Vincent, ouvrage publie avec le concours du centre national du livre, de l'école des hautes études en sciences sociales, de la fondation des treilles, de l'agence nationale de la recherche, Edition Albin Michel, paris 2011

[1] بيار غينون، سرفانتيس، سلسلة أعلام الفكر، ترجمة المحامي حسيب نمر، الطبعة 1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت فبراير1979، ص.66

العبيد في مدينة الجزائر إلى جانب أنها تشير إلى أنه إذا وجد من كان يتعصب لديانته لحد يحتقر فيه حضارة، ودين الآخرين لحد الاستهانة بهم، وشتمهم ؛فهم المسيحيون من رجال الدين ،ولاسيما المكلفين منهم بعمليات الفداء ،وحتى بعض الأسري العبيد وهذا بالرغم من المعاملة الحسنة التي كانوا يلقونها من قبل أهل مدينة الجزائر ؛والتي أقروا بها إلا أنهم ظلوا مع هذا محتفظين بحقدهم ،وتعصبهم الغير مبرر.

كما ذكر الأسير العبد دراندا في القرن 11هـ(17م) أن سيدته كانت تسمح له حين كان يطلب منها بالذهاب كل صباح للاستماع إلى القداس في سجن (Bagne) **علي بتشين** بعد قيامه بتمشيط الحصان،وجلب الماء، و الذهاب إلى السوق ،و غيرها من المهام والواجبات[1].

وهذا ما نلاحظه في أقوال أحد رجال الدين الإنجليز المدعو دي فروا سبارت (le révérend Devereux Spratt) الذي أسر في مدينة الجزائر من 1641م إلى 1645م، والذي ذكر أن أسره وهو في طريقه إلى بلاده من طرف قرصان جزائري –على حد قوله–كان بالنسبة له حدثا رهيبا لدرجة شعوره باليأس، والقنوط من رحمة الله ،وبالظلم إلا أنه أقر بعدها بخطئه بقوله *" أتبث الله لي خطئي من خلال النعم التي تتابعت؛ فقد حماني من خلال وضعي تحت سلطة أسياد طيبين، والذين أعطونا[والمقصود هو ورفاقه في الأسر] حرية أكثر مما هو معتاد خاصة لي ؛حيث كنت أقرأ القداس لأبناء بلدي "* [1].

وما سبق دليل على حرية العبادة التي كان يحظى بها الأسري المسيحيين كما أن الأسير دي فروا سبارت (le révérend Devereux Spratt) أورد كذلك ما يدل على حسن المعاملة التي كان يحظى بها هؤلاء حين ذكر أنه كان على وشك الحصول على حريته بعد وقت قليل من تواجده في مدينة الجزائر بواسطة مسيحي خير هو القبطان ويلد(wylde)؛ ولكن تم بيعه وتسليمه لمسلم يقيم مع عائلته في المدينة فأصابه حزن شديد من هذا التغير، والخيبة لعدم تحقق رغبته في نيل الحرية؛ فسأله سيده عن السبب في حزنه، وقال له مخففا، و مشجعا "الله أكبر " الأمر الذي أثر فيه بعمق، وقوي إيمانه، وجعله يفكر في قراره نفسه، ويتسأل قائلا هل كان يجب عليه تعلم الإيمان، والثقة من تركي مسلم؟! ...[2].

[1] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit, p. p.56,57

[1] Playfair,« Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques », In:R.A.,T.22 ,1878,A.jaurdan libraire–Editeur, Alger, p.309

[2] Ibid.,p.309

و إن بدا في هذا التساؤل نوع من الاستخفاف بالمسلمين، وتحيز واضح للمسيحيين و اعتقاد بتفوق الدين المسيحي إلا أننا نتلمس مما سبق الإحسان، والتعاطف الذي كان يطبع معاملة سكان مدينة الجزائر اتجاه الأسري العبيد ؛حيث نلاحظ الاهتمام بمشاعرهم ،و الحرص على التخفيف عنهم من منطلق إنساني زاده الإسلام قوة، وبروزا.

وهذا ما يجرنا إلى القول بأن وضعية الأسير العبد كانت متعلقة بمالك هذا الأخير الذي أصبح ملكيته بالمعني، والمفهوم الأكثر شمولية للكلمة، فلم يكن يوجد في مدينة الجزائر أي قانون ولا حتى أي نوع من أنواع التنظيم للعبودية، فالعبد الذي كان يباع لم يكن أكثر من شيء يمكن للمشتري التصرف فيه كما يشاء؛ فكان يمكنه إعادة بيعه وإثقال كاهله بالعمل، وسجنه وضربه، وقتله دون أن يتدخل أحد[1] .

ولكن يمكن القول أنه كانت توجد كوابح، وحدود لهذه السلطة المطلقة، و كانت تتمثل في الدين ،والرأي العام بغض النظر عن المصلحة الخاصة للمالك، فالإسلام يحث على الصبر والإحسان تجاه العبيد كما أن العادات، والأخلاق كانت عموما متوافقة مع هذا القانون الديني عند أغلبية الشعوب الإسلامية، فالعبد نادرا ما كان يساء معاملته .

وهذا ما ذهب إليه لوجي دو تاسي حين أكد مسألة هامة وهي أن الأسرى العبيد كانوا يحترمون بصفة عامة في مدينة الجزائر أكثر من المسيحيين الأحرار؛ إذ لم تكن توجه إليهم أي شتيمة،أو سباب على وجه الاطلاق[2] .

كما أن عتق، وتحرير عبد- عتق رقبة -يعتبر عملا خيريا بل ويعد في الإسلام بمثابة كفارة لبعض الذنوب والمؤكد أن وضعية، و شروط حياة الأسرى العبيد الأوروبيين في مدينة الجزائر كانت أحسن بكثير إذ ما قورنت بوضعية الأسرى العبيد المسلمين بالبلاد الأوروبية؛ حيث كانوا يجبرون على التخلي عن دينهم حسبما ذكره بعض المؤرخين كادوشان (Duchéne)الذي ذكر أنه كان على الرجال، والنساء التخلي عن أسمائهم الإسلامية، واتخاذ آخر مسيحي كما كان يتم إجبارهم على التعميد[3].

[1] Grammont (H-D.DE), La Course L'esclavage …, p.53

[2] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.2, pp.29-30

[3] Duchene (r.), Marseille au passé, Roanne, 1982, p.10 copié de Moulay Belhamissi, Les Captifs .., p.35

فضلا على تكبيلهم بقيود من الحديد ،و تعريضهم للكي بالنار فضلا عن استخدامهم في الأعمال الأكثر صعوبة وشاقة جدا[1].

ولابد أن سوء المعاملة، أو التعذيب الذي كان يتلقاه الأسير، و العبد في مدينة الجزائر يعود إلى سلوكه، و تصرفاته، فعادة ما كان لاستعمال العنف ،و القسوة ضد العبيد الأسري تبريراته كمحاولات الفرار، التي كانت حسب سرفانتيس من أسوء الأفعال التي يقدم عليها العبد الأسير، و التي لا تغتفر[1] ومع هذا نعلم جيدا أن سرفانتيس قد حاول الفرار عدة مرات و مع هذا فقد عفي عنه[2]، و قد كانت سوء المعاملة أيضا ناتجة عن أعمال العنف التي كان يقوم بها العبد ضد سيده، أو لإساءته إلى الإسلام، و المسلمين[3].

وليس أفضل من شهادة شاهد من أهلها؛ فقد ذكر لوجي دوتاسي في هذا الشأن أنه كان يمكن حصر العبيد في صنفين عبيد الحكومة ،وعبيد الخواص –كما أشير إليه أنفا- لا هؤلاء ولا أولئك كانوا معرضين في مدينة الجزائر للإساءات ،و المضرات المروعة، والمفزعة التي يريد أن يقنعنا بها حتى الأسري أنفسهم ،كما أن المعاملة ،والوضعية الطيبة، والحسنة للأسري العبيد كانت مرتبطة بسلوكهم ،وتصرفاتهم،وعقلية ،أو طبع سيدهم؛ ولكن كان من النادر أن يتشددوا اتجاههم ،أو أن يثقلوا كاهلهم بالعمل بما لا طاقة لهم به؛ فقد كانوا يخشون أن يلقوا بهم من جراء هذه المعاملة بين براثن بعض الأمراض التي كان يمكنها أن تأخذهم منهم [أي أن تتسبب الأمراض في هلاكهم]بل كان من الممكن مشاهدة معاناة الأسياد الذين كانوا في انتظار مبلغ الفدية المحتملة يتحملون أخطاء عبيدهم ،وطبعهم السيئ بكثير من الصبر ما لم يكن يفعل في أوروبا تجاه الخدم الأحرار"[4].

ومن الأسياد من كانوا يعمدون إلى تحرير، وعتق أسراهم العبيد دون مقابل مالي و هذا تعبيرا منهم عن كرمهم اتجاهم ،وفي نفس الوقت كوسيلة للاستفادة من خدماتهم حسبما ذكره كورنيلس دوبنجاكر في القرن 11 هـ(17 م)حيث كانت العملية تتم كالآتي :"كان السيد

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 269

[1] Emmanuel Roblés, Op.cit., p.32
[2] François Moureau, Captifs en méditerranée (XVI[e]-XVIII[e] siècles), Histoire, récits et légendes, Presses de l'université, Paris-Sorbonne,2008, p.216
[3] Corinre Chevallier, Op.cit., p.55
[4] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.2, pp.98-99

يمنح الحرية لعبده {يعتقه} في الديوان الذي كان يجتمع كل يوم والذي كان يعرف بالديوان الصغير لتميزه عن الديوان[1] الكبير الذي كان يجتمع كل يوم سبت ؛حيث يتقدم السيد أو المالك إلى الديوان برفقة عبده أمام الآغا ليعلن أنه حرر العبد الحاضر معه وأنه يطالب بمنحه صك العتق و قدم مثالا عن مضمون أحد صكوك العتق كالآتي :"قلفاط بولكباشي انكشاري بمدينة الجزائر تقدم أمامنا{الآغا هو المتحدث} وصرح بأنه أعتق العبد الذي في رفقته المدعو خوان بيدرو توديسكو وأنه يريد الصك الذي يثبت ذلك و منحناه إياه في شهر شوال سنة 1031 هـ أوت –سبتمر1622م "ووضع الآغا إمضاءه كختم لشهادة العتق؛ حيث يقرء اسمه حسن آغا إنكشاري في جزائر الغرب؛وكان ملاك الأسرى العبيد يلجؤون إلى هذا الإجراء في كثير من الأحيان إذا أرادوا أن يحثوا عبيدهم على مزيد من الأمانة، والطاعة، والاخلاص،حيث كان الملاك يحتفظون بصكوك العتق لديهم، و كانوا يعدون عبيدهم بالحرية من خلال منحهم صكوك العتق بشرط أن يخدموهم بوفاء ،وولاء ،وإخلاص خلال سنتين ،أو ثلاثة سنوات وكانوا يلتزمون فعلا بوعدهم بعتقهم بعد انقضاء الآجال المقررة[1].

ونلاحظ أن هذا الاتفاق كان يضمن تحقيق مصلحة الطرفين؛ مما يعني أيضا الابتعاد عن اعتماد القسوة ،والعنف اتجاه الأسرى العبيد للاستفادة من خدماتهم.

وإذ ما شعر البعض من هؤلاء الأسري العبيد بصرامة أسيادهم؛ فهذا بسبب تصرفهم وسلوكهم السيئ لكن حتى في هذه الحالة كانوا يحرصون حرصا كبيرا على تجنب المبالغة في العقاب، ولم يكونوا يستعملون الصرامة، والشدة تجاه عبيدهم ولا يعاقبونهم إلا في حالات وظروف خطيرة جدا كجريمة قتل، أو التمرد، أو حدوث سرقة معتبرة، وما شابه ذلك –علما أن لوجي دوتاسي يشير في محل آخر أن أسيادهم كانوا يعاملونهم بكثير من التسامح في بعض الأحيان لدرجة أن الأخطاء التي كانت تستحق أقسي، وأكبر العقوبات كان العقاب فيها خفيفا[2].– و انتهى لوجي دوتاسي إلى تسأل مفاده هل يمكن لعقوبات مستحقة فعلا أن تصور، وتمرر على أنها معاملات وحشية؟[3].

وهذا التساؤل يجعل المرء يعيد التفكير في مدى صحة ادعاءات رجال الدين من أمثال الأب

[1]عن مؤسسة الديوان الصغير والكبير أنظر الفصل الرابع في الباب الثالث من هذا العمل

[1] Cornilis Pijnacker, Op.cit.,p.115

[2] Laugier (de Tassy) ,Op.cit., T.2 , p.30

[3] Ibid., T.2, p.98

دان الذي تفنن في وصف العقوبات ،والتعذيب الوحشي الذي كان العبيد الأسري عرضة له – كما سبق ،وأن أشرنا إليه-.

و بناء عليه يمكن القول أن حياة العبيد الأسرى في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني لم تكن بتلك المأسوية،و السواد التي وصفت به؛حيث نجد أن الكثير من الأعمال التي كانوا يقومون بها كانت تمارس أيضا من طرف المجموعات السكانية المشكلة لجماعة البرانية كحمل المياه،و العمل في ورش صناعة السفن ،و ربما أن أعمال هؤلاء كانت في بعض الأحيان أكثر صعوبة من الأعمال التي كان يقوم بها الأسري العبيد.

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أن مدينة الجزائر استقبلت خلال المرحلة المدروسة أعددا كبيرة من الأوروبيين شكلوا نسبة من سكانها، بعضهم أقاموا فيها طواعية، وبشكل حر لمدد مختلفة قد تطول لبضع سنوات، أو تقصر عن ذلك، وقد وفدوا إليها لأغراض مختلفة سياسية واقتصادية، ودينية.

أما بعضهم الآخر؛ فأجبروا على الإقامة فيها وهؤلاء هم الأسري الذين كانوا يقعون في قبضة البحارة الجزائريين، ويبقون في الأسر طالما لم يحصلوا على حريتهم ،إما عن طريق دفع الفدية ، أو تبادل الأسري، أو الدخول في الإسلام ليصبحوا أعلاجا ،وهؤلاء الوافدون على مدينة الجزائر من مختلف المدن، والجهات الأوروبية كانوا في أغلبيتهم على الديانة المسيحية وسواء كانوا أحرار، أو أسرى؛ فقد تمتعوا في مدينة الجزائر بجو من التسامح الديني والاحترام لخصوصياتهم الدينية ،والحضارية ،وهذه المعاملة هي التي سمحت بالإفادة من معارف، وخبرات هذه العناصر في مختلف المجالات التي كانت تصب في مصلحة ،و منفعة المدينة ،ومجتمعها ،و ضمان أمنه ،وسلامته ،واستقراره .

الفصل السابع النمو السكاني و الوضع الصحي

1- النمو السكاني

2- الوضع الصحي لسكان مدينة الجزائر

الفصل السابع النمو السكاني و الوضع الصحي

1- النمو السكاني:

عرفت مدينة الجزائر بداية من القرن 10هـ(16 م) نموا معتبرا من حيث تعداد السكان فقد تطورت بشكل سريع، و تحولها من مدينة صغيرة إلى عاصمة نشطة قد أدى إلى ارتفاع محسوس في عدد سكانها[1].

حيث سينضم إلى تعداد سكان المدينة الأصليين من بلدية عدد من أهل المناطق المجاورة لمدينة الجزائر ،أو القادمين من داخل البلاد، و المقصود بهم جماعة البرانية من قبائل الزواوة ، و البساكرة وبني ميزاب ،و غيرهم إلى جانب عدد معتبر من المهاجرين الأندلسيين إلى مدينة الجزائر خاصة ما بين 1609م –1612 م بعد صدور قرارات الطرد النهائي إضافة إلى العثمانيين بما فيهم من الأتراك العثمانيين ،و الأعلاج ذوي الأصول المختلفة ،وعدد من المولدين ؛ أي الكراغلة إلى جانب سكان المدينة من يهود سواء القدماء منهم ، أو القادمين من إسبانيا أو مناطق أخرى من أوروبا ،و خاصة من ايطاليا وتحديدا مدينة ليفورن إضافة إلى الأسرى العبيد ، و رجال الدين والقناصلة ،والتجار الأوروبيين المسيحيين ،و غيرهم.

وكانوا يشكلون مجتمع مدينة الجزائر الكثير التعداد، و المتنوع "كزموبوليت "مما كان يعطي مدينة الجزائر طابعا خاصا مميزا في البحر الأبيض المتوسط[2]. و نعلم أن دراسة نمو السكان تعتمد أساسا على الإحصاءات،و لكنه في الفترة المعنية بالدراسة لم يكن لعلم الإحصاء المعروف اليوم بدقة الحسابات وجود بل كانت الإحصاءات تتم وفق ملاحظات عينية، وتخمينات من طرف من عاصروا هذه الفترة من رحالة ،و أسرى ، و رجال دين كتبوا في هذا الموضوع وعدم عثورنا على سجلات محلية كانت تهتم بتدوين إحصائيات السكان –وعدم وعثورنا عليها لا يعني بالضرورة أنها لم توجد من الأصل –جعل من الاعتماد على تلك المصادر أمرا لا مفر منه ،و تبقى تلك الإحصائيات عامة ،وتقريبية و من خلال تلك

[1] Moulay Belhamissi,Histoire d'Alger par ses Eaux (16e- 19e siècle), Enterprise Nationale du Livre(ENAL), Alger, 1994 ,p.13
[2] Ibid., p.13

الإحصاءات يتبين أن الفترة المعنية بهذه الدراسة أي القرنين 10هـ(16م) 11هـ (17م) كانت مرحلة نمو سكاني سريع في مدينة الجزائر[1].

فقد قدر ليون الإفريقي "حسن الوزان" سنة 1516م؛ أي أوائل القرن10هـ(16م) عدد سكان مدينة الجزائر بنحو أربعة ألاف موقد؛أي حوالي 20.000 نسمة [2]، و ذلك قبل اتخاذها عاصمة، و بعد أن أصبحت عاصمة للبلاد توسع عمرانها بسبب تزايد تعداد سكانها بشكل محسوس، و معتبر للأسباب السابق ذكرها من توافد عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين ،و اليهود إليها ،واستقرار مجموعة من الأتراك العثمانيين بها ،وعدد كبير من الأعلاج أو العثمانين بالولاء،و يضاف إليهم الكثير من الأسرى العبيد الأوروبيين، إلى جانب مجموعة المولدين "الكراغلة" نتاج مصاهرة العثمانيين للأهالي ،فضلا عن العناصر السكانية الوافدة للمدينة من بقية مناطق البلاد ،والمقصود بهم جماعة البرانية –المشار إليهم آنفا– وللقادمين إليها من بقية مناطق المغرب الإسلامي كالجرابة من تونس وعناصر من المغرب الأقصى دون نسيان الزنوج الذي كان يتم استقدامهم من بلاد السودان الغربي، وكذا سكان المدن الأخرى مثل قسنطينة والمدية ،وغيرها الذين كانوا يستقرون فيها أيضا ،و ربما وصل عدد السكان في مدينة الجزائر أواخر عهد خير الدين باشا سنة 1535م إلى 25 ألف نسمة[3].

---

[1] مع العلم أن الإحصائيات المتعلقة بسكان مدينة الجزائر خاصة ،والجزائر عامة قليلة ونادرة بالنسبة للقرنين 10هـ(16م) 11هـ (17م) ،و قد سبق وأن أشار الأستاذ الباحث أرزقي شويتام إلى هذه القضية في دراسته عن المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني ،وتحديدا عند تناوله موضوع النمو السكاني للجزائر ككل من 1519 إلى 1830 م مضيفا أن المصادر قد ركزت بصفة خاصة على القرنيين 12 هـ(18م)-13 هـ(19 م)؛إذ وردت فيها جملة من الإحصائيات وبالرغم من وفرتها؛ فإنها تختلف اختلافا كبير في تحديد العدد الإجمالي للسكان فضلا عن تميزها بالتضارب، والتناقض والتركيز على سكان المدن دون الأرياف أنظر:أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري ...،ص. 111 و أنظر أيضا: دراسة الباحث الإيطالي فديركو سريستي الذي حاول وضع فرضيات ، وإبداء ملاحظات عن التعداد، والنمو السكاني بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني بالاستناد إلى ما أوردته المصادر الغربية من إحصائيات وأرقام:

Cresti Federico. Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale. In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, numéro 44, 1987 pp. 125-133, référence numérique : http://www. persee.fr /doc/ remmm_0035-1474_ 1987_num_44_1_2162

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص.37

[3] عبد القادرحليمي، المرجع السابق، ص.252

و قد قدرهم هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م) بحوالي 75.000 ألف نسمة من بينهم 25 ألف من الأسري العبيد المسيحيين وقد قدر هايدو مساكن مدينة الجزائر بحوالي 12.200 دار[1].

و ما نسجله أن زيادة السكان هذه كانت نتيجة الهجرات،وعمليات الجهاد البحري و في سنة 1620م قدر قراماي سكان مدينة الجزائر بحوالي 120 ألف نسمة ،و قدر عدد منازلهم بـ 13.000[2]، و في سنة 1639 قدرهم الأب دان بـ 15.000 دار كان يسكنها حوالي ما لا يقل عن 10.000 ألف نسمة[3].

و ارتفع عدد سكان مدينة الجزائر مرة أخرى في منتصف القرن 11هـ (17م) إلى أكثر من 125 ألف نسمة ،و ربما تجاوز عددهم المئة و الخمسين ألف نسمة في نهاية القرن 11هـ (17م)[4]إذ أنه خلال هذه الفترة بلغت مدينة الجزائر أوج نموها العمراني[5]،و الناجم عن بلوغها أوج نموها السكاني ؛فقد اعتبر القرن 17م (11هـ) الفترة التي بلغ نشاطها البحري ذروته إذ كثرت الغنائم، و ارتفع مستوى المعيشة لدى سكان مدينة الجزائر كما توفرت الخضر و الفواكه في الأسواق بأسعار معقولة[6]،ويبدو أن السبب الكامن وراء ذلك هو ازدهار النشاط الفلاحي في فحوص مدينة الجزائر ،و السهول المحيطة بها ولاسيما بفضل التحسينات التي أدخلها عليه العنصر الأندلسي.

و لعل العامل الأهم وراء هذا النمو السكاني الذي شهدته مدينة الجزائر كان ازدهار عمليات الجهاد البحري التي سمحت بجلب أعداد كبيرة من الأسرى المسيحيين إلى مدينة الجزائر، و هذا ما كان يؤدي إلى ارتفاع العدد الإجمالي للسكان باستمرار خلال هذه الفترة و ذكر الأسير مسكغناس (Mascarenhas) في القرن11هـ (17م) أنه في مقابل كل أسير كان

[1] "Topographie…", In: **R.A.**, T.14, 1870, p.431
[2] Gramaye. Op.cit., p.86
[3] Op.cit.,p.89

[4] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.252

[5] ناصر الدين سعيدوني، " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988،الجزء 2، ص 133

[6] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق،ص.88

يتم فداءه، و تحريره كان يصل إلى مدينة الجزائر 20 أسيرا جديدا، و لولا الطاعون لكان عددهم أكبر بكثير مما كان عليه؛ فقد قدر الأسرى العبيد الأوروبيون من الكاثوليك فقط بحولي 8 ألاف[1].

وهذا ما يتضح لنا من مصدر يعود للقرن 11 هـ(17م) وتحديدا سنة 1625 م؛ حيث حاول من خلاله المدعو جيو بتا سلفاقوا (Gio Batta Salvago)الذي كلف من طرف سلطات بلاده البندقية بأداء مهمة دبلوماسية في الجزائر، وتونس أن يقدم إحصائيات عن سكان مدينة الجزائر ؛حيث ذكر ما يلي :

" يبدو أن محيط المدينة يبلغ أربعة أميال (milles) وفي داخل أسوار المدينة عدد المساكن كبير جدا ،ويسكنها عدد كبير من السكان، و لا تمتلك المدينة مساحات فارغة إلا الشارع الرئيسي أين يتواجد السوق ،وكل الشوارع الأخرى ضيقة جدا لدرجة استحالة مرور رجلين متجاورين،وحسب الرأي المتعارف عليه ؛فإنه يوجد في مدينة الجزائر 300.000 شخص ولكن إذ أخدنا بعين الاعتبار عدد الدور المقدر 15.000 و أنه يسكن في كل منها 10 أشخاص أي ما يعني 150 ألف شخص ،وإذ أخدنا في الحسبان الزيادة فيما يتعلق بالدور التي تحوي 15 أو20ساكنا ،وإذ أضفنا سكان المزارع المجاورة –الفحوص –ومنها 8.000 مزرعة مسجلة نصل بالتأكيد إلى 200.000 شخص ،ونقدر وجود 25.000 عبد في غالبيتهم إسبانيين وبرتغاليين البعض منهم كان يعيش في المدينة ،والآخرون كانوا موزعين في المزارع..."[2].

و ماسبق ذكره يبرز النمو السكاني لمجتمع مدينة الجزائر من خلال بعض الإحصائيات التي يمكن أن نستخلص منها أنه طيلة القرنين 10هـ (16م)- 11هـ (17م) شهد مجتمع مدينة الجزائر نموا سكانيا معتبرا،و سريعا ،ولاسيما في القرن 11هـ (17م) كما أن الأسرى،والعبيد الأوروبيين كانوا يشكلون نسبة معتبرة من تعداد السكان حسب المصادر المتوفرة لدينا مما يصعب علينا عملية الاطلاع على الزيادة الطبيعة للسكان لأن الهجرة ،وعمليات الجهاد البحري كانت من أبرز العوامل المؤدية ،والمتحكمة في ارتفاع عدد سكان مدينة الجزائر، وهذه الهجرة المتواصلة، ولاسيما إلى غاية مطلع القرن 11هـ (17م) ونشاط البحرية الجزائرية المزدهر

[1] Mascarenhas, (Joao de), Op.cit., p.74
[2] Pierre Gradchamp, Op.cit., p.49

يفسر تزايد عدد سكان مدينة الجزائر بالرغم من الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها كالمجاعات مثل مجاعة عامي 1579م – 1580م التي أدت إلى هلاك عدد كبير من الضحايا في مدينة الجزائر في فترة قصيرة لا تتعدى الشهر ما بين 17 جانفي إلى 17 فيفري 1580م، وقد كان هايدو معاصرا لها في أواخر القرن 16م(10هـ)[1].

وبالإضافة إلى الزلازل التي كانت تسبب خسائر في الأرواح، والأملاك مثل زلزال 1632م الذي قيل عنه من شدته أنه أهلك جل سكان مدينة الجزائر، وزلزال عام 1665م وكذا زلزال1639 ؛ الذي ضرب مدينة الجزائر، وضواحيها ،وزلزال 1676م ؛وهذا الأخير دام عدة شهور وأضر بأغلب منازل مدينة الجزائر، وقد أدت هذه الزلازل بدورها إلى تناقص عدد السكان،وهذا بالإضافة إلى كوارث طبيعية أخرى كالفيضانات، والعواصف البحرية المدمرة مثل عاصفة سنة 1690م،و 1691م،و 1697م؛ والتي كانت تتسبب بدورها في خسائر مادية وبشرية وغيرها من الكوارث الطبيعية المختلفة[2].

ولابد أن نذكر إلي جانب التأثير السلبي الذي كانت تمارسه الكوارث الطبيعية على النمو السكاني لسكان مدينة الجزائر أثر التخريب الذي كان سببه العامل البشري إما من جراء تمردات داخلية، أو الهجمات البحرية التي كانت تشنها القوى الأوروبية المسيحية على مدينة الجزائر وعلى سبيل المثال نذكر:

أنه خلال القرن 11هـ(17م) انفجر مخزن البارود في مدينة الجزائر أربعة مرات على الأقل متسببا في خسائر بشرية؛ ففي سنة 1633م خلال انقلاب أو تمرد الكراغلة انفجرت دار البارود في القصبة ؛حيث أدى الانفجار إلى تدمير القلعة و خمسمائة دار، ولعل الخسائر الأكثر خطورة التي أصابت مدينة الجزائر وسكانها هي على الأرجح تلك التي تسببت فيها قذائف مدفعية البحرية الفرنسية في نهاية القرن 11 هـ(17 م) من خلال حملات دوكين (Duquesne)ففي صيف 1682 حطم قصفه للمدينة 50 بيتا، وفي السنة الموالية 1683م دمر 100 دار وثلاثة مساجد، وخلف أكثر من 150 قتيلا كما كانت حملة ديستري(D'Estrées)سنة 1687م أشد أثرا وضررا ،ولاسيما على حي البحرية الأكثر قربا

[1]"Topographie…" In: **R.A.**, T.14, 1870,p.415

[2] ناصر الدين سعيدوني " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة..." الجزء2، صص.127- 129

من الميناء[1].

وكان للأمراض المختلفة تأثير على الناحية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر ،ومنها مرض الجدري، و السل، والحصبة، ولكن أكثرها خطورة وفتكا بالأرواح، وتأثيرا على السكان ونموهم كان الطاعون الذي عرف بالوباء الأسود ؛فخلال القرن 10هـ (16م)عرفت المدينة انتشار الوباء خلال عدة سنوات:1530 م ،و1541 م و1543م و1547م و1550م،و1552م و 1554م،ومع منتصف القرن10هـ (16م) حوالي1555-1556م اشتدت ضربات الطاعون على سكان الجزائر إذ عانت منه مدينة الجزائر بشدة ؛حيث كان عدد الموتى يزداد من يوم لآخر وتوفى على إثره البايلرباي صالح رايس عن عمر يناهز السبعين سنة ،ولم يكن الحاكم الوحيد الذي ذهب ضحية هذا الوباء ؛حيث عمت الخسائر البشرية التي تسبب بها كل بلاد المغرب الإسلامي ؛فتوفى أيضا إثر هذا الوباء الخطير يوسف باشا خلال اليوم السادس من حكمه للجزائر وعمره لا يتجاوز 26 سنة، ومولاي حسن الزياني الحاكم السابق لتلمسان ،والأمير الوطاسي أبو بكر ابن السطان المخلوع أبو حسون الوطاسي[2] كما ذهب يحي باشا ضحية طاعون سنة1557[3].

وتجدد الطاعون خلال القرن 10هـ (16م) في سنوات: 1559، و1561 و1584م، وخلال القرن11هـ(17م)[4] شهدت الجزائر أيضا انتشار الوباء خلال السنوات الآتية:1601و1605 1620،و1639و1643،و1649،و1650،و1654،و1661،و1663، و1664،و1667،و1676،و1678 1689و1691 و1693 1693، و1695، و1697، 1698، 1699م.[5]

ومن خلال هذه التواريخ يتبين لنا أن الجزائر شهدت عدة مراحل كان يستفحل فيها وباء

[1] Federico Cresti, Alger au XVII siècle, préservation et mise en valeur des monuments et sites historique, cours de post-graduation de l'école polytechnique d'architecture et d'urbanisation, EPAU, Alger, Edition Centro Analisi Sosiale Progettis .R.L ROM .1996, p.14

[2] Jean-Louis-Geneviéve Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique : depuis les temps les plus reculé jusqu'à Nos jours, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1855, p.209

[3] فلة موساوي القشاعي ،الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م منشورات بن سنان،وزارة الثقافة ،الجزائر ،2010 ص.84

[4] للتوسع حول مراحل اجتياح الطاعون للجزائر ككل خلال القرن 11هـ(17 م) وطابعه التكراري أنظر:المرجع نفسه، صص.231-234

[5] ناصر سعيدوني ،" دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة..." الجزء2،ص.126

الطاعون[1] ،و يمتد زمنيا ، وفي مراحل أخرى كانت تشهد على خموده ليعود مجددا ،وهو ما نستخلصه أيضا من دراسة الأستاذة فلة القشاعي ؛حيث أشارت إلى غياب وثائق تدل على اجتياح الطاعون للجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين سنة1517م إلى غاية سنة 1530م ؛وهي السنة التي شهدت اجتياح الوباء لمدينة الجزائر من جديد[2].

و من أكثر هجمات الطاعون خطورة و هدرا للأرواح وباء عام 1654م إلى 1657م المعروف بالكونية ؛والذي قضى على ثلث سكان مدينة الجزائر[3]، ووباء 1664م الذي أدى بدوره إلى تناقص سكان مدينة الجزائر إلى أقل من النصف؛ أي لم يعودوا يتجاوزون الثلاثين ألف نسمة ،أو خمسة وعشرين ألف نسمة ،وقد هلك من الأسرى الأوربيين وحدهم أي دون احتساب غيرهم من ضحايا هذا الوباء من بقية سكان المدينة حوالي 10000 أسير وفي سنة 1639م تزامن وباء الطاعون مع المجاعة ،وسلسلة من الزلازل[4].

وقد تحدث هايدو عن وباء الطاعون في القرن 10هـ(16م) عند حديثه عن الوضع الصحي السائد بمدينة الجزائر ؛حيث ذكر أنها كانت تتمتع بمناخ جد معتدل، ومناسب لحياة الإنسان وصحي بالرغم من بعض الحرارة الشديدة في الصيف التي كانت تنسيها متعة قضاء الأمسيات داخل مساكن أو دويرات الفحص ؛ حيث كان البحر يرسل نسيمه العليل المنعش النقي الصحي في الصيف ؛فيتم الاستمتاع به من طرف سكان المدينة وضواحيها ولم يكن فصل الشتاء في أي حال من الأحوال باردا بردا قارصا إلى درجة تدفع المرء إلى اشعال النار للتدفئة إلا إذا لم يغطي نفسه ويدثرها جيدا بالثياب، والثلج كان تقريبا غير معروف بمدينة الجزائر، والبرد لم يكن يسقط بها إلا نادرا[5] .

ومن ثم فقد كانت البلاد عامة خالية من الأمراض باستثناء مرض كان يصيب العيون"الرمد"

---

[1] وقد أشارت المصادر المحلية إلى هجمات الطاعون على سبيل المثال ما ورد في مخطوط قائمة تاريخية لباشوات الجزائر،المصدر السابق ؛حيث ذكر الطاعون بعبارة الوباء مع تحديد في عهد أي حاكم كانت هجمته مثلا :" وقع الوباء في جزاير في مدة صالح باشة".

[2] فلة موساوي القشاعي،المرجع السابق ،ص.79

[3] Ismet Touati, la peste et le commerce extérieure de l'Algérie à L'époque ottomane In : **Revue d'histoire maghrébin** (époque moderne et contemporaine), Nouméro 154-155, 41éme Année février, 2014,publication de la fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information, Tunise, p.288

[4] ناصر الدين سعيدوني ،" دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة..." ،الجزء 2،ص.126

[5] HAEDO, "Topographie…", In, **R.A.**, T.14, 1870,p. 461

وكان يبدأ في بداية فصلي الربيع،والخريف، ويصيب الأطفال[1]ومرض أخر بالغ الخطورة ، وهو وباء الطاعون الذي كان يظهر كل عشر سنوات، أوخمسة عشر سنة[2]، وعادة ما كانت تأتي العدوى من الخارج، ولم يكن ذلك بالأمر الغريب لأنه كانت تتوافد على ميناء مدينة الجزائر سفن محملة بالسلع القادمة من كل حدب ،وصوب بصفة مستمرة[3]ومن جانب آخر فإن سكان مدينة الجزائر لاسيما الحكام لم يتخذوا إجراءات وقائية اتجاه هذا الوباء،و ذكر الأمراض ولاسيما مرض، أو وباء الطاعون[4]؛الذي كان يفتك بعدد كبير من سكان مدينة الجزائر يجرنا إلى الحديث عن الوضع الصحي لسكان مدينة الجزائر.

2- الوضع الصحي لسكان مدينة الجزائر:

إن سوء الحالة الصحية كان مصدرها الأساسي في مدينة الجزائر التأثيرات والمؤثرات الخارجية؛ فقد كانت مفتوحة على العديد من البلدان، والمناطق مما كان يسهل عملية انتقال عدوى تلك الأمراض إليها عن طريق التجار،والسفن المحملة بالبضائع ،وبحارتها، والأسرى و ركب الحجاج...الخ. ويمكن اعتبار كل التجمعات، ووسائل الاتصال عوامل مساعدة على انتشار مرض الطاعون في الجزائر خلال العهد العثماني[5].

وما كان يسهل عملية انتشار العدوى بسرعة في أوساط السكان حسب ما ورد في جل المصادر الغربية عدم إتباع سياسة محكمة في مجال العناية ،والوقاية الصحية، إذ أن العثمانيين

---

[1] Ibid.,p.461

[2] حيث ذكر حسن الوزان أن وباء الطاعون كان يصيب بلاد المغرب الإسلامي كل 10 سنوات، أو 15سنة ،أو 25 سنة وأنه كان يتسبب في وفاة عدد كبير جدا من الأشخاص لأنه لم ينشغل أو يهتم أحد بهذا المرض ولم يكن يتم استخدام أي علاج لمواجهته بإستثناء نوع من التربة"تعرف بالتراب الأرمني"حول الحبوب ،أوالدمل التي تظهر على جلد المصاب وذكر أن وباء الطاعون لم يصب دواخل إفريقيا "بلاد الزنوج"مطلقا.أنظر :حسن الوزان،المصدر السابق ،الجزء 2ص.85

[3] HAEDO, "Topographie…" In: **R.A.** T.14, 1870, pp.461-462

[4] للتوسع أكثر في موضوع وباء الطاعون خلال العهد العثماني في الجزائر بصورة شاملة من حيث مصادره، أو أسبابه والعوامل المتحكمة فيه وطرق انتقاله ،وأنواعه وشدته ،و دوراته العودة للدراسة المتخصصة للأستاذة الباحثة فلة موساوي قشاعي،مرجع سابق ،الفصل الأول الوضع الصحي بالجزائر في الفترة العثمانية الأولى 1515 -1711 صص.75 - 101

[5] المرجع نفسه،ص.243

لم يعتنوا بهذا الميدان، ولم يعطوه حقه، ولاسيما عدم الاهتمام بتشجيع تعليم الطب والتخصص في دراسته، وكذا الصيدلة، وصنع الأدوية ،والعقاقير الطبية؛ والأخطر من ذلك عدم اتخاذهم الإجراءات الوقائية التي كان من شأنها أن تحول دون استفحال الداء كإجراء الحجر الصحي[1]، حيث اعتبروا أنه من غير المفيد، والضروري الفرار من قضاء الله، وقدره على حد تعبير هايدو، ولولا هذه القناعة السائدة حسبه لما كان المرء يستطيع أن يفهم كيف كان

[1] علما أن هذا الإجراء الوقائي والاحترازي عرف لدى المسلمين في المراحل التاريخية السابقة وأستمد من حديث الرسول صلى عليه وسلم الذي ورد بعدة روايات منها : "حدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن عامر بن سعد أخبره أن رجلا سأل سعد بن أبي وقاص عن الطاعون فقال أسامة بن زيد:أنا أخبرك عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"هو عذاب أو رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل أو ناس كانوا قبلكم فإذسمعتم به بأرض فلاتدخلو عليه وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فرارا "وفي رواية أخرى "إذا كنت بأرض فوقع بها فلا تخرج منها وإذا بلغك أنه بأرض فلا تدخلها "أنظر هذا الحديث ورواياته المختلفة في :موسى شاهين لاشين،فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،تابع كتاب الصيد والذبائح–كتاب الأضاحي–كتاب الأشربة –كتاب اللباس والزينة –كتاب الآداب–كتاب السلام –كتاب الطب والمرض، ،الطبعة الأولى ،دار الشروق،القاهرة ،1463 هـ–2002 م ،الجزء الثامن ،باب الطاعون (597) صص.593 –594

ومن خلال بعض المصادر المحلية نسجل مراعاة سكان الجزائر لهذه الإجراءات الاحترازية خلال العهد العثماني عكس ما ذهبت إليه المصادر الغربية مثلا ما ذكره العياشي في رحلته ماء الموائد في القرن 11هـ(17م) عن سكان منطقة الزيبان :".....وفي ذلك اليوم خرجنا إلى أرض صحيحة وجئنا إلى زريبة حامد ووجدنا عليها عرب نميلة وأولاد سيدي المبارك بن ناجي.....ومن جملة ماسألونا عنه انا وجدناهم متحيرين في أمرهم لطروق الوباء في نواحيهم وتخوفوا أن يداهمهم في بلدهم و هم عزموا على الفرار منه ولو لم يطرق البلد..... " أنظر: عبد الله بن محمد العياشي الرحلة العياشية 1661–1663 ، في مجلدين، حققها وقدم لها د.سعيد الفاضلي ود.سليمان القرشي،الطبعة الأولى ،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي ،الإمارات المتحدة العربية ،2006 ،المجلد الأول ،ص.538 أنظر أيضا :مولاي بلحميسي الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1979 ،صص.97–98 وفي محطة أخرى من محطات رحلته بين العياشي عدم سماح سكان الأغواط لإحدى القوافل التجارية بالدخول إليها بسبب خبر انتشار الوباء وخشيتهم من انتقال العدوى إلى أهلها، ومع هذا تمت المبادلات التجارية بين الطرفين بطريقة غير مباشرة:

" .....ونزلنا بالأغواط .....وكان في الركب أعراب سعاة من دمر يتكففون الناس فقالوا لأهل البلد أن في الركب وباء فلم يتركوا أحد يدخل إليهم ووجدنا الغلاء كثيرا عندهم .....فلم يخرج أحد منهم إلى الركب وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل....."أنظر: عبد الله بن محمد العياشي ،المصدر السابق ،ص 546 وأنظر أيضا:مولاي بلحميسي ،الجزائر من خلال رحالات ..."،صص.107–108

كما أن المصادر والدراسات الغربية نفسها لا تخلوا من إشارات إلى إجراءات احترازية اتخذها حكام الجزائر العثمانيون وحكام بيالكها من بايات ؛وإن كانت أغلب الشواهد التي اطلعنا عليها تخص مرحلة لاحقة بالنسبة للإطار الزمني لدرستنا ومن أمثلتها ما ذكره الطبيب الفرنسي قيون في كتابه عن التاريخ الكرنولوجي للأوبئة في شمال إفريقيا عن البايلرباي صالح رايس=

يمكن لمدينة الجزائر أن تستوعب سكانا يتضاعفون باستمرار أي أن هذه القناعة [1]كانت تساعد على منع مدينة الجزائر من الازدحام بالسكان إلى حد الاختناق. [2]ولكن هذا لا يبرر عدم اتخاذ إجراءات وقائية لمكافحة هذا الداء قبل استفحاله لاسيما مع إدراكهم لمصادره.[3]

و ما ذهب إليه هايدو ذهب إليه أيضا أن كرنيليس بجناكر (Comilis PIJNACKER) في القرن 11 هـ (17م) بقوله : "إن السبب الكامن وراء الخسائر البشرية المعتبرة التي يتسبب فيها وباء الطاعون يعود إلى عدم مبادرة المسلمين لمعالجة الأمر فمن وجهة نظرهم وباء الطاعون عقوبة

=ومحاولته منع القوات العثمانية ؛التي أرسلها السلطان العثماني إليه في اطار مشروعه لتحرير وهران من النزول إلى سواحل الجزائر لتجنب اصابتهم بوباء الطاعون الذي انتشر فيها والتي ذهب هو نفسه ضحية له للتوسع أنظر: Guyon, Op.cit .,pp.208-209

كما نسجل قيام حاكم الجزائر سنة 1720م حسب ما ذكره لوجي دوتاسي بمنع رسو السفن القادمة من مرسيليا في ميناء مدينة الجزائر لاطلاعه على وباء الطاعون الخطير الذي ضرب أطنابه بمرسيليا كما رفض حتى استقبال الرسائل التي حملتها إليه هذه السفن انظر : Laugier (de Tassy) Op.cit.,T. ,1,p.99

=وكمثال آخر منع باي قسنطينة سنة 1785م القبائل الحدودية من التواصل مع التونسيين لتفادي انتقال عدوى وباء الطاعون الذي ظهر حينها في تونس وأوجد الباي حين هدد الوباء فيما بعد مدينة قسنطينة حزاما صحيا أمنيا مشكل من فرسان الباي الذين اتخذوا مواقعا لهم عند كل المنافذ المؤدية إلى المدينة لمنع انتقال عدوى الوباء إليها أي تطبيق إجراء الحجر الصحي .أنظر :

Mostéfa Khiati, La medcine en Algérie au cours de la période ottomane (XVI-XIX), Edition HOUMA, Alger, 2013, p.47

[1] حول هذه القناعة أو لنظرة للمرض التي كانت سائدة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر بين سكانه وحكامه ولدى المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، وحتى المسيحية حينها أنظر فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق،صص.425-429

[2] Haedo ,"Topographie…" In: **R.A.**,T.14, 1870, p.462

[3] و يبدو أن هذا الاعتقاد وإن كان مسيطرا على العقول إلا أنه لم يمنع من وجود من اهتم بالجانب الطبي ومحاولة إيجاد علاجات وعقاقير طبية ؛وهو ما نستخلصه من دراسة الباحث الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله عن تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني وبخاصة ما توصل إليه عن واقع علوم الطب، والجراحة ،والصيدلة في تلك المرحلة ؛حيث ذكر:"...حقا إن الإيمان بالقضاء والقدر في هذا الميدان كان مسيطرا على العقول بصفة عامة ولكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة وهم أولئك المؤمنون بالحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان "ولذلك وجدنا بعض التآليف والرسائل والأراجيز في علم الطب وفروعه ووجدنا عددا من المتطببين أيضا ومع ذلك؛ فإن الخرافة قد اختلطت بالطب في معظم الأحيان". أنظر :أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ،الجزء 2،ص.429 والدليل أيضا وجود تآليف حول الطاعون ومضاره وأضراره وعرض طرق لمحاولة الإحتراز منه مثلا ما ألفه أبو الراس الناصري بعنوان:" مارواه الواعون في أخبار الطاعون"ومن الذين ألفوا عن وباء الطاعون الذي أصاب مدينة الجزائر على وجه الخصوص محمد بن رجب الجزائري الذي جمع سنة 1200هـ رسالة سماها: " الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون"أنظر في ذلك : المرجع نفسه،الجزء2،صص.436-437

إلهية لا يجب على المرء تجنبها أو الفرار منها فالطفل المطيع يقبل عقاب والده والولد العاصي يفر منه وبالتالي على الرجل الصالح أن يقبل عقوبة ربه بقلب راضي وهم يستخدمون أيضا مثلا يعبر عن ذلك مفاده الكتابة تقع على رأس كل واحد ؛{ولعل المقصود بالكتابة القدر وهذا الأقرب من المثل الشعبي القائل: "المكتوب على الجبين لازم تشوفوا العين" ،و"المكتوب على الجبين ما تمحيه اليدين "}فقدر كل واحد مكتوب على جبينه، ولامفر له منه وهم مقتنعين بذلك إلى درجة أنهم ينامون في دور الأشخاص المصابين بالوباء، وأنهم يرتدون حتى ملابس المتوفى بهذا الداء وهذا ما جعلني أعتقد أن الإصابة بالوباء بالنسبة إليهم بركة من الله وعندما يلاحظون تخوف المسحيين من الوباء يقولون عنا أننا لا نثق بالله وأن ضمائرنا مثقلة بالذنوب وأننا نبتعد عن بركته ....."[1].

وقدم كرنيليس بجناكر (Cornilis PIJNACKER) أيضا إحصاءات عن ضحايا الطاعون في المرحلة التي أقام فيها في مدينة الجزائر حيث قال : "ورد فعل سكان مدينة الجزائر تجاه الطاعون يفسر أنه خلال الصائفة التي أقمت فيها بمدينة الجزائر سقط حوالي 50 ألف شخص ضحية للوباء، وقد استمدت هذا العدد من الكتاب الخوجات الذين كانوا مكلفين بتسجيل أعداد الموتى[2] عند إخراجهم من باب الواد إلى المدافن، وإنه لمن الصعب تحديد عدد الموتى في الفحوص المحيطة بالمدينة ، ولكن ومن منطلق وجود 20 ألف دار ريفية ومعظمها تحوى سكانا يمكن إحصاء عدد الموتى بحوالي 30 ألف، وقد فقد باشا الجزائر حينها 170 فردا من أفراد عائلته حتى أضحى بلا عائلة تقريبا[3].

= وكذلك نجد أن بعض المصادر الغربية التي جاءت في فترة لاحقة أشارت إلى بعض العقاقير التي كان يتناولها سكان مدينة الجزائر للوقاية من وباء الطاعون في ظل الحكم العثماني وكمثال على ذلك توماس شو الذي ذكر أن سكان مدينة الجزائر كانوا يأخذون في كل صباح خلال الفترة التي يسود فيها الوباء حبة دواء أواثنتين مشكلة من :mirrheحصتين ،وحصتين من الزعفران، وحصة من الألوفيرا ؛ولكنه لم يتطرق إلى مدى فعالية هذا العقار أنظر :

SHAW (Thomas),Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description Géographique, Traduit de l'Anglais et augmenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830, p.87

[1] Cornilis PIJNACKER Op.cit.,pp.181-182

[2] و يبدو أن هذه العملية كانت تندرج ضمن دور مؤسسة بيت المال وعلى رأسها البيت مالجي أنظر في ذلك الفصل الأول مبحث مراسيم الوفاة "المآتم"من الباب الثالث من هذا العمل .

[3] Cornilis PIJNACKER ,Op.cit.,p.182

وكان يلجئ سكان مدينة الجزائر إلى الطرق التقليدية في معالجة[1] مختلف الأمراض؛ أي استعمال الطب التقليدي؛حيث ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أنه لم يكن يوجد في مدينة الجزائر أي مختص، أو جراح لمعالجة الجروح، أو حالات النزيف لا من العثمانيين، ولا من بقية سكان مدينة الجزائر؛ فكل الجراحين كانوا مسيحيين باستثناء اثنين فقط أحدهما كان علجا يدعى شعبان والأخر أندلسيا أصله من فالنسيا.[2] في حين ذكر دراندا في القرن 11هـ(17م) أنه وجد في بانيوا علي بتشين 6 جراحين من الأسري العبيد الذين كانوا يكسبون الكثير من المال من خلال ذهابهم لمعالجة البرجوازيين من سكان مدينة الجزائر{ أي الأغنياء}[3].

وذهب لوجي دوتاسي من ناحيته للقول أنه لم يكن يرى في مدينة الجزائر طبيبا واحد[4] ولا في بقية المملكة و لكن كل عائلة كانت مزودة بأنواع من الأدوية ،والعلاجات الخاصة بمعالجة الإصابات الخارجية في حالة تعرضهم للحوادث وكذا اللجوء أحيانا إلى بعض البدع كالتمائم

---

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.273

[2] Haedo , Topographie…" In: **R.A.**, T.15, 1871,p.225

[3] Op.cit., p.237

[4] في حين نجد أن توماس شو حاول تفسير ذلك بقوله:" إنهم كانوا يعانون نقصا فعليا في الأطباء الجيدين لأنه كان يوجد القليل بل ويكاد لا يوجد تقريبا في البلاد كلها أمراض خطيرة تتطور لتؤدي إلى الموت ،أو على الأقل تستمر لفترة طويلة {ولعل شو يقصد في الحالات العادية أي خارج الفترات التي ينتشر فيها وباء الطاعون} والصحيح أنه يوجد الكثير من المسلمين الذين يخضعون بصورة كبيرة للاعتقاد بالقضاء والقدر لدرجة أنهم يرفضون الاستماع لأي نوع من النصائح الطبية ويصرون على عدم أخذ أي علاج أو دواء في حين يسخر آخرون من الحلول العلاجية التي يقدمها الطب وينتظرون شفاءهم من الطبيعة وحدها ،أو أنهم يعتمدون في ذلك على أعمال السحر ،والشعوذة ويؤكد شو أن الطب لديهم كان مختصرا في بعض العمليات ،والممارسات والوصفات العلاجية كاستعمال الكي لمعالجة آلام الروماتيزم الذي كان يطبق على الأماكن المصابة، وكانت هذه العملية تكرر عدة مرات بحسب شدة الألم ،وقوة ،وقدرة المريض على تحمل العلاج و استخدام الأعشاب والنباتات الطبية لعلاج أمراض المعدة كالإمساك، والإسهال ،والغازات ،والالتواءات والالتهابات و الاعتماد على الزبدة المذابة الساخنة لعلاج مختلف الجروح الناتجة عن الأسلحة البيضاء .....إلخ {حيث ذكر شو العديد من الأمراض وما كان يقابلها من علاجات أساسها الأعشاب ،والنباتات الطبية حيث يذكر اسمها العلمي باللغة اللاتينية ويرفقه بذكر الاسم المتداول حينها في أوساط سكان الجزائر وكذلك طريقة استعمالها مثلا :كمشروب، أو كمرهم يدهن به الجزء المصاب مصدر الألم....الخ مبينا أنه كان شاهدا عيان على فعالية العديد من العلاجات التي ذكرها في حين استند إلى شهادات غيره فيما يتعلق بنجاعة علاجات أخرى، وذكر أن اللجوء إلى الاستحمام بالحمامات بخاصة حمامات المياه المعدنية كان إجراء يمارس لعلاج كل أنواع الأمراض ،و هذا دون وجود أي تمييز،أو اختلاف بين مريض وأخر لا من حيث السن ،و لا من حيث درجة حرارة الحمام. أنظر:

SHAW (Thomas), Op.cit., pp.81-87

وأحجبة المشعوذين[1] ، وهذا الإجراء الأخير كان له أثره السلبي على الناحية الصحية للمجتمع فضلا عن إساءته إلى الدين الاسلامي.

في حين يذكر الباحث مصطفى خياطي في دراسته المعنونة بالطب في الجزائر خلال العهد العثماني أن ممارسة الطب كانت حرة في الجزائر في ظل النظام العثماني مما سمح للعديد من الأطباء الأجانب بالاستقرار في الجزائر قادمين من مناطق أخري من بلاد المغرب الإسلامي أو من أوروبا ،و مارس الأطباء مهنتهم بصفة حرة ؛ وذلك بغض النظر عن جنسياتهم ،وكانوا معفيين من بعض الرسوم من طرف الباشا أو الباي في المدن كما ذكر أن ممارسي مهنة الطب كانوا ينضوون على غرار الطوائف، والجماعات المهنية ،والحرفية الأخرى في إطار جماعات يرأسها أمين يخضع لشيخ البلد ، وذكر جماعة الأطباء، وجماعة الجراحيين وجماعة الجبارين –وهم الذي كانوا يشرفون على تجبير الكسور –والعطارين أو العشابيين الذين كانوا يعتمدون على الأعشاب الطبية في معالجة مختلف الأمراض.[2]وبناء عليه وجد في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني أمناء مثل : أمين الأطباء ،وأمين الجراحين الباش جراح، وأمين الجبارين ،وأمين العطارين وأمين الكحالين الذين كانوا يشرفون على تطبيب العيون[3].

و نستخلص مما سبق ذكره أن مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة اشتملت على مهن مهيكلة ،ومنظمة ساهمت في تقديم خدمات صحية ،وعلاجية للسكان.

---

[1] Laugier(de Tassy) Op.cit., T.1, p199

[2] وذكر الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله أن معظم الأدوية التي كانت شائعة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تتناول الجانب الخارجي للجسم ؛فالجراحة ونحوها كانت شبه معدومة، وكان بعض العلماء، وأشباههم يركبون الأدوية من النباتات المتوفرة في البلاد ويصنعون المعاجين ،والأشربة ويستعملون وسائل الكي والحجامة ونحو ذلك كما تمكنوا من وضع العديد من الوصفات الطبية والعلاجية لعدة أمراض شائعة منها :وجع الرأس والمعدة ،والحروق والإصابات الجلدية ووجع المفاصل،و الإصابة من جراء حرارة الشمس ووضعوا أدوية وترياقات لمعالجة حالات التسمم وقد فصل ابن حمادوش في معجمه الطبي كشف الرموز القول في أنواع النباتات والعقاقير وكمياتها وطريقة استعمالها. أنظر :أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ج2،صص357-362 ومن ثم نستخلص أن الطب التقليدي، أو ما يعرف حاليا بالطب البديل هو الذي ساد خلال العهد العثماني في الجزائر ولاسيما على المستوى الشعبي؛ أي على مستوى السكان ويبدو أن هذا الطب تميز بناجعته والدليل على ذلك الاهتمام الذي أثاره لدى الأوروبيين من أهل الاختصاص مما جعلهم يدونون بدقة مختلف العلاجات المتبعة من طرف المعالجين في الجزائر سواء على مستوى المدن، أو الأرياف ويحرصون على التجوال في مختلف أنحاء البلاد ومن أمثالهم توماس شو(SHAW (Thomas .والرحالة الألماني هابنسترايت (J. E. HEBENSTREIT).

[3] Mostéfa Khiati ,Op.cit.,pp.62-63

ورغم عدم إشارة المصادر الغربية التي اطلعنا عليها إلى ذلك باستثناء توماس شو الذي أشار إلى أن طبيب الداي كان هو في نفس الوقت أمين ،أو رئيس بقية الأطباء[1] إلا أننا نميل إلى ما ذكره الباحث مصطفى خياطي حول انتظام ممارسي المهن المتصلة بالطب ضمن جماعة وما يؤكد ذلك ما ورد في أحد عقود المحاكم الشرعية الذي يتناول رسميين أحدهما رسم تقسيم تركة والآخر رسم وقف "من سلسلة المحاكم الشرعية ؛حيث جاء فيه ذكر أمين الأطباء الذي اشترى دارا بإصطبلها عرضها البيت مالجي للبيع في المزاد العلني "....إلى أن انتهى ثمنها على آخر مزايد فيها وهو المكرم الحاج أحمد أمين الأطباء ابن عبيد {كذا}..... "[2]. وقد يكون هذا الأخير من الأندلسيين ،وهذا التصور تشكل لدينا من منطلقين:

أ- أولا عثورنا على وثيقة تقسيم تركة أندلسي ثري من سكان مدينة الجزائر يحمل اسم "الناسك الابر الحاج قاسم عبيد الأندلوسي "، و رد في سياقها ذكر اسم أحمد ضمن الورثة من أبناءه الذين خلفهم ؛وبناء عليه يمكن أن نقدم فرضية أن أمين الأطباء أحمد بين عبيد قد يكون الابن المقصود في رسم تقسيم التركة ،وبالتالي فهو من العنصر الأندلسي[3].

ب-ثانيا أن شراءه للدار المذكورة كان لصالح المكرم الحاج أحمد بن مصطفى الأندلسي الذي قام بتوكيله في هذه المسألة.

ووجود أمين للأطباء في مدينة الجزائر يعني وجود أطباء فيها على عكس ما ورد في المصادر الغربية وما يدعم ذلك أيضا ما جاء في أحد عقود المحاكم الشرعية ؛حيث ورد ذكر عبارة :".....خلفت الهالكة المذكورة رحمها الله موروثا عنها جميع النصف الواحد على الاشاعة من الحانوت الكاينة .....ومكتنفة بين حانوت اوسطا محمد كرنبيطه الطبيب....." [4].مما يعني وجود محلات في مدينة الجزائر كان يمارس فيها الأطباء مهنتهم.

---

[1] SHAW (Thomas), Op.cit., p. 80

[2] الوثيقة رقم 17 "رسم تقسيم تركة ورسم وقف "، في العلبة 119-120 تاريخها أوائل حجة الحرام من عام 1056 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] الوثيقة رقم 5 ،في العلبة 18 -1،المصدر السابق

[4] الوثيقة رقم 30، في العلبة 19-1، المصدر السابق

وكان للعثمانيين من حكام وموظفي دولة أطباء أجانب وعادة ما كانوا من الأسرى المسيحيين[1]. حيث كان يمكنهم ممارسة عملهم والكثير منهم تحصلوا على الحرية بفضل الحرص الكبير الذي أبدوه خلال ممارستهم لمهنتهم وكان للجنود العثمانيين أطباء عسكريون يشرفون على علاجهم ،وتطبيبهم على رأسهم طبيب مسؤول يعرف بالباش جراح وكانت مكاتبه أي مقره مجاورا لقصر الجنينة مقر السلطة وكانت خدماته تستجيب لمختلف الاحتياجات الصحية التي كان يبديها كل من المسؤولين وممثلي السلطة وأفراد الجيش الإنكشاري كما كان مسؤولا أيضا عن الصيدلية المركزية الواقعة بالقرب من قصر الجنينة؛ والتي كانت تزود بقيت المرافق الصحية بحاجتها من أدوية وعقاقير ونباتات طبية ،وجبائر وأدوات طبية وكان يشرف على الأطباء العسكريين القادمين من مصر والأناضول لضمان التغطية الصحية لجنود الجيش الإنكشاري كما كانت السفن العسكرية تشتمل على طبيبها الخاص[2].

ولابد أن نذكر هنا أن ممتهني حرفة الحلاقة كانوا يقدمون بعض الخدمات العلاجية للسكان كالحجامة وقلع الأضراس ،والإشراف على عمليات الختان..إلخ في حين كانت القابلات يقدمن خدمات ونصائح صحية للنساء، والأطفال الصغار.

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أنه بالرغم من الأحكام الصادرة عن المصادر الغربية والتي تعتبر عدم عناية الحكام العثمانيين بالجانب الصحي للسكان من حيث الإجراءات الوقائية خاصة ضد وباء الطاعون ولاسيما العمل على تطبيق الحجر الصحي إحدى سلبيات، النظام العثماني خلال هذه الفترة ليس فقط في مدينة الجزائر العاصمة ولكن في كامل البلاد؛والتي ترى أنه كان من الأجدر بهم أن يخصصوا لهذا الجانب قسطا من العناية والاهتمام لعلاقته، وتأثيره الكبير على حياة المجتمع.

إلا أنها من ناحية أخرى تكاد تجمع على أن الوضع الصحي لسكان مدينة الجزائر كان حسنا بصورة عامة في الفترات العادية؛ أي بعيدا عن الفترات التي كان يسود فيها وباء الطاعون ؛فقد ذكر لوجي دوتاسي أن سكان مدينة الجزائر كانوا نشطين وحيويين جدا وقلما

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1 ص.162

[2] Mostéfa Khiati ,Op.cit., p.79

يمرضون ،ويصلون إلى سن متقدمة مرجعا ذلك أساسا إلى طبيعتهم ،ولبساطة طعامهم وتوازنه –أي عدم الإفراط فيه ،والاعتدال ،والقناعة –،وللتمرين الذي كانوا يعودونهم عليه منذ الطفولة[1].

وهذا ليس غريبا، والإسلام يحث على الرياضة المفيدة كركوب الخيل ،والسباحة وهذا ما يجرنا إلى القول أن سكان مدينة الجزائر كانوا يدركون أهمية الحركة في المحافظة على الصحة ونلاحظ أن شعار في" الحركة بركة "من بين الشعارات التي نادت بها منظمة الصحة الدولية .

[1] Laugier (de Tassy) Op.cit.,T.1, p.200

خاتمة الباب الأول :

1- كان لمدينة الجزائر وجودا تاريخيا قبل قيام الحكم العثماني فيها ؛يمتد إلى ما أصطلح على تسميته بالتاريخ القديم ؛ولكنها كانت ذات أهمية قليلة بالمقارنة مع المدن الأخرى كتلمسان وبجاية،وقسنطينة ،لتتحول مع بداية العهد العثماني إلى عاصمة للبلاد ،والمركز الذي ينبعث منه الجهاد البحري الشيء الذي انعكس على بنيتها السكانية و عمرانها وجعلها تحتل موقعا متميزا.

2-إن التواجد العثماني في مدينة الجزائر ضرورة فرضتها الظروف السائدة حينها بالمغرب الإسلامي من ضعف ،ووهن داخلي ،وتفكك القوى السياسية وتطاحنها فيما بينها ،بالإضافة إلى الخطر الخارجي المسيحي المتمثل في الاحتلال الإسباني.

3-كان مجتمع مدينة الجزائر كما مر بنا عبارة عن فسيفساء متعددة الألوان؛ فقد كان مثالا للتنوع من حيث العناصر السكانية ؛التي تعددت، و اختلفت أصولها ووضعيتها ومكانتها في المجتمع وصلتها بنظام الحكم العثماني ، وهذا لم يمنع أن تتعايش فيما بينها، وتتكامل في جو من النظام الاجتماعي؛فقد كان لكل منها دور يؤديه و يصب غالبا في إطار الصالح العام، و إن لاحظنا عدم توازن في توزيع الثروات، و الامتيازات ، و وجود نوع من التقسيم الطبقي إن صح التعبير ولكنه لم يكن قاعدة ثابتة تماما كما لم يمنع ذلك من وجود تأثيرات متبادلة بين مختلف هذه المجموعات السكانية.

فإذا استثنينا أهل الذمة من اليهود،و الأوروبيين المسحيين الأحرار ،و الأسرى العبيد منهم ؛ فإن بقية العناصر السكانية كانت و إن اختلفت في أصولها تجمعها الرابطة الدينية أي الإسلام فضلا عن الرابطة التي خلقتها عملية الجهاد البحري المشترك و هي رابطة زادتها قوة التهديدات ،و الأخطار المتربصة بالمدينة وأهلها ،وحتى الأسرى و العبيد الأوروبيين المسيحيين وجدوا في هذا الوسط جوا فيه الكثير من المزايا التي جعلت العديد منهم يعتنقون الإسلام لينعموا بها، كما أن اليهود تفاعلوا مع بقية سكان مدينة الجزائر من مسلمين حيث وجدوا الأمان ،و حرية العبادة التي حرموا منها بعد أن عانوا طويلا من الاضطهاد في أوروبا فنجدهم قد تأثروا بالكثير من العادات و التقاليد الإسلامية فضلا على أنهم كانوا يسعدون لانتصارات البحرية الجزائرية كبقية سكانها المسلمين.

4-ساد الاحترام والتسامح في أوساط مجتمع مدينة الجزائر بين مختلف عناصره السكانية بغض النظر عن أصولهم، ومكانتهم الاجتماعية ،وديانتهم، وكان هذا الاحترام سائدا حتى اتجاه اليهود ،و المسيحيين بأوضاعهم المختلفة؛ أي الأحرار منهم والأسرى العبيد ؛فقد تركت لهم حرية المعتقد ،وتسيير شؤونهم الخاصة بأنفسهم.

5-ضمنت مدينة الجزائر، ومجتمعها الأمن، والاستقرار للجماعات السكانية الوافدة على المدينة فرارا من الاضطهاد، والظلم الذي تعرضوا له في أوروبا، ولاسيما الأندلسيين، واليهود المطرودين من الأندلس، وإسبانيا عامة ،والذين وجدوا في مدينة الجزائر الملجأ، وإمكانية العيش عيشة كريمة فانسجموا مع الحياة الاجتماعية السائدة فيها ،وساهموا فيها بما حملوه معهم من خبرات، ونخص بالذكر هنا الأندلسيين.

6- مارس سكان مدينة الجزائر أنشطة متنوعة كان من شأنها توفير الرخاء والازدهار للمدينة والمجتمع ،وتنشيط العلاقات الاجتماعية من خلال تبادل المنافع ؛و كانت هذه الأنشطة المتنوعة مصدرا لكسب القوت ،والرزق من طرف المجموعات السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر ؛حيث تخصصت كل منها في ممارسة أنشطة معينة تبعا لإمكاناتها، ومهارتها واحتياجات السكان ؛ويبدو أن ملاك الأراضي، والبساتين في فحوص مدينة الجزائر وأصحاب المتاجر،وممارسي الأنشطة التجارية أفضل مستوى معيشة من بقية السكان.

7-إن تطلع بعض العناصر السكانية إلى أداء أدوار هامة في الحياة السياسية أدى إلى حدوث توترات في العلاقات الاجتماعية ، والمقصود بذلك الكراغلة ، ومحاولاتهم المستمرة للحصول على امتيازات آباءهم العثمانيين فيما يتعلق بالوظائف الهامة، والفعالة في الميدان السياسي والإداري ، والعسكري ولما لا الاستحواذ على مقاليد الحكم.

8-كان النمو السكاني لمجتمع مدينة الجزائر من الآثار الهامة المترتبة عن قيام نظام الحكم العثماني فيها؛ و هذا النمو السكاني أدى بدوره إلى نمو عمران المدينة ،وتزويدها بالعديد من المرافق المتنوعة التي كان الهدف منها توفير العديد من الخدمات للمجتمع ،وتلبية احتياجاته المختلفة كما سنحاول إبرازه في الباب الموالي الخاص "بالمرافق الحضارية في مدينة الجزائر وفحصها ".

الباب الثاني "المرافق الحضارية في المدينة وفحصها"

الفصل الأول :المرافق العسكرية والأمنية

الفصل الثاني:المرافق المائية والصحية

الفصل الثالث: المرافق الدينية والعلمية

الفصل الرابع:المرافق التجارية

الفصل الخامس:المرافق السكنية

الفصل السادس: المرافق الترفيهية

مقدمة الباب:

من خلال هذا الباب سوف يتم تناول مختلف المنشآت، والمرافق الحضارية بمدينة الجزائر في القرنين16م(10هـ)و17م(11هـ)، والتي تجسد بوضوح الآثار التي أفرزها الحكم العثماني في الميدان الاجتماعي وهو أثر تجسد على مستوى المدينة من حيث النمو العمراني الذي شهدته والحرص على توفير مختلف المرافق الحضارية ،و تسخيرها لخدمة المجتمع سواء تعلق الأمر بمرافق عامة كالمرافق العسكرية والمرافق المائية والصحية ،وكذا المرافق الاقتصادية من أسواق ،وفنادق والمرافق الخاصة من دور ومساكن داخل أسوار المدينة وفي فحوصها والمرافق الترفيهية من حدائق وبساتين، ومقاهي.

والتي أدت دورا لا يستهان به في توفير الأمن، والاستقرار في أوساط سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كما ساهمت في تنشيط العلاقات الاجتماعية، وخلق جو من التواصل بين أفراد المجتمع، ولعل أصدق مقياس لمدى تحضر أي مدينة من المدن هو مدى تمكنها من توفير منشآت، ومرافق عمومية وخاصة تخدم المجتمع الذي يعيش بين أحضانها.

الفصل الأول المرافق العسكرية والأمنية

1- دور الحكام العثمانيون في تزويد مدينة الجزائر بجهاز دفاعي أمني فعال

2- دور الأوامر والأحكام السلطانية في تحصين و تأمين مدينة الجزائر

3- ثكنـات الإنكشاريـة

4- سجون الأسرى العبيد المسيحيين(Les Bagnes)

الفصل الأول المرافق العسكرية والأمنية

المرافق والمنشآت العسكرية ،والأمنية ضرورة فرضتها حاجة المجتمع للإحساس بالأمن الذي يعد عاملا هاما لاستقرار الحياة الاجتماعية ،وتفرغ المجتمع للإنتاج ،والإبداع في المجال الاقتصادي ،والثقافي وفي كل مجالات الحياة ،وكذلك حاجته إلى الانضباط ،والنظام ،ومدينة الجزائر خلال القرنيين 10هـ(16م) -11هـ(17م) كانت تحوي جملة من المرافق العسكرية والأمنية كالحصون، والأبراج العديدة ،وتعد الثكنات والبانيوات –سجون الأسري المسيحيين – من أبرزها كونها لم تكن مجرد مرافق عسكرية ،وأمنية بل كانت بمثابة مساكن تضم الأولى بين ربوعها الحياة اليومية للجنود في حين أن الثانية كانت مسرح حياة الأسري العبيد المسيحيين .

1-دور الحكام العثمانيون في تزويد مدينة الجزائر بجهاز دفاعي أمني فعال:

أصبحت مدينة الجزائر من جراء قيام الحكم العثماني فيها مركزا ينطلق منه الجهاد البحري، وهذا ما فرض على العثمانيين الاهتمام بتحصين هذه المدينة مما أدي إلى توسعها نحو مرتفعات الجبل تماشيا مع طبيعة التطور العمراني الدفاعي الذي اعتمده العثمانيون[1].

وقد بدأ عروج بمشروع توسيع المدينة سنة 1516م وهو المشروع الذي استمر وتواصل في الفترات اللاحقة فامتدت فيها المباني نحو الجهات العليا للمدينة فبداية التحصينات التي شاهدتها مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت مع قدوم الإخوة بربروس وبخاصة خير الدين بعد تعيينه أول بايلرباي على الجزائر ،وأول تدخل من طرفهم تمثل في تقوية ،وتدعيم ما وجدوه تحصينات كالأسوار، حيث شرعوا في توسعة هذه الأخيرة وتجديدها،وبناء المركزين الاستراتيجيين والحيويين في الجهاز الدفاعي للمدينة ،و المتمثلين في الميناء ،و القصبة وازدادت ضرورة تحصين المدينة كونها أضحت قبلة للاعتداءات، والحملات الأوروبية المسيحية المتكررة؛ فنجد أن خلفاء خير الدين في الحكم قاموا بمزيد من الإجراءات والأعمال لتقوية تحصينات ودفاعات المدينة مركزين جهودهم على الجبهة البحرية ما بين باب الواد ،وباب عزون ؛حيث كان يتواجد أكبر عدد من التحصينات لحماية المدينة ،وميناءها[2].

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.219

[2] Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.78 voir aussi Sakina Missoum Op.cit., p.130 voir aussi

فأهم ،وأبرز تحصينات مدينة الجزائر بنيت خلال القرنيين 10 هـ(16 م)-11هـ(17م) ولم تكن هذه الأخيرة حصيلة أعمال رجل واحد ،وفترة زمنية واحدة ؛ففي الحقيقة كل حاكم كان يتولى الحكم في ظل الحكم العثماني في الجزائر كان يساهم في تحصين العاصمة ؛فقد كانت التحصينات التي وجدها المحتل الفرنسي في الجزائر سنة 1830م نتاج تغييرات ،وإضافات متوالية[1].و للأسف لا يمكن إعادة تسطير وكتابة تاريخ هذه التحصينات بالكامل نظرا لتعرض أغلبها للهدم على يد الاحتلال الفرنسي ؛إلا أنه يمكن أخد تصور عنها من خلال المعلومات الوصفية التي وردت في المصادر، ومن خلال الدراسات الأثرية لتلك المعالم الناجية من معول الهدم الفرنسي،والتي بقيت قائمة إلى حد الآن.

ومن أبرز هذه التحصينات الأسوار المرتفعة التي كانت تحيط بمدينة الجزائر وأبراج الحراسة والحصون التي كانت تتخللها في نهاية القرن 10 هـ (16م) والتي بلغ طولها حوالي كيلومترين ونصف تقريبا ،وعلوها من10 إلى12 متر وعرضها متران[2] ؛وقد دام بناؤها حوالي75سنة[3].

وقد ذكر الأب دان في القرن 11 هـ(17م) أنه أستخدم في بناء هذه الأسوار التي كانت بمثابة حصن قوي الآجر، و الحجارة، وأشار إلى أنه كان يتخللها أبراج للحراسة، وأحسن تلك الأبراج حسب قوله كانت تلك المتواجدة في ناحية باب عزون[5].

في حين ذكر دابر (Dappert) في القرن 11 هـ(17م) أن أسوار المدينة كانت مصنوعة من الأجر، و من الحجارة المصقولة ويبلغ امتدادها في الأسفل 3400 خطوة ، ومن الأعلى 1800 (pas de circuit) أو حسب الأب دان 54 ميل ويبلغ عرضها 12 قدم وارتفاعها يبلغ 30 قدم في الأماكن الأكثر ارتفاعا في المدينة؛ ولكن على طول الميناء يزداد ارتفاع هذه الأسوار إلى 40 قدم حتى تتمكن من التصدي لأمواج البحر ؛وهذه الأسوار محصنة بأبراج مربعة وبعض الحصون وخندق واسع يمتد على طول الأسوار وخاصة من ناحية باب عزون؛ وفيما مضى

[1] Devoulx (Albert), EL Djazair, histoire d'une cité d'icosiume à Alger, Edition critique Présentée par Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouch, Entreprise Nationale d'ART Graphique (ENAG) Editions , Alger, 2003 p.63

[2] أحمد تلمساني، المرجع السابق، ص.23

[3] وزارة الإعلام والثقافة، المرجع السابق، ص.25

[5] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.88

لم يكن عرض الخندق يتجاوز 6 أقدام ،وكانت عدة جهات منه مليئة بالطمي أو الطين الحشاشش ولكن أعراب أحمد أمر بحفر وتعميق الخندق وتوسيعه من القصر{يبدو أن المقصود به حصن القصبة }إلى غاية البحر فأصبح يبلغ 20 قدما عرضا و 7 أقدام عمقا[1].

ومما أورده دابر نستخلص أن الجهاز الدفاعي المتمثل في الأسوار وما يتخللها من حصون وأبراج كان مدعما بوجود خندق كبير، وعريض في أسفلها دوره عرقلة تقدم هجوم العدو وقد كان حاكم الجزائر أعراب أحمد باشا وراء حفره و هذا ما يتضح من خلال حكم ورد في سلسلة مهمة دفتري؛ حيث جاء فيه ما يلى :

" ....وصل خطابك الذي جاء فيه أنه نظرا لكون الجزائر دار الجهاد في حالة حرب فانك قمت بحفر خندق عميق وعريض ابتداء من باب عزون الى باب الجديد وأنك أقمت حائطا عاليا ومتينا على جانبيه جمعت التراب على ضفتيه كي يصلح للاستحكام وأنك أنشات جسرا ذا أربعة قناطر ووضعت بابا عاليا ومتينا على رأسه وأقمت برجا محكما مملوء .....بقرب الباب لحفظ وحراسة الخندق وأنك بذلك أبعدت الخطر....."[2].

و إلى جانب ما سبق ذكره وجدت عدة استحكامات أخرى للدفاع عن المدينة وضواحيها و يبدو أن الهدف من خلال تلك التحصينات الدفاعية كان توفير الحماية، والأمن للسكان وإحباط محاولات الأعداء لغزوها ومن أهم تلك الاستحكامات الدفاعية نجد :

أ-**القصبة أو القلعة الداخلية** التي شيدها العثمانيون فوق تل يشرف على المدينة وكان بها برجا استحكام، ومن هذه القلعة كانت ترصد حركة السفن القادمة و المغادرة، وتنبعث منها إشارة الإنذار إلى الميناء عند رصدها لأي خطر[3].

وكانت تعرف بالقصبة الجديدة حسب ما نستخلصه من وثائق سلسلة المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك :

"بعد أن استقر على ملك علي يلداش ..... تملك جميع الغرفة الواحدة الراكبة على الحانوت المستخرجة من الدار الكاينة بحومة القصبة

[1] Dapper, Op.cit., pp.168-169 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.78

[2] مهمة دفتري رقم22 حكم رقم 273بتاريخ16 /04/ 981 هـ(1574م)في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] عزيز سامح الترا، المرجع السابق، ص.226

الجديدة....."[1].

وسميت بالقصبة الجديدة تميزا لها عن القصبة الصنهاجية التي كانت تعرف بالقصبة القديمة كما نستخلصه من ما ورد من إشارات في المصادر المحلية :"....في جميع العلوي والاصطبل أسفله القريب من ضريح .....سند الجبل داخل محروسة الجزائر أمنها الله من سوء الدوابر ومن القصبة القديمة ....."[2].

ب–الميناء:

ولعل من أبرز المنشآت في مدينة الجزائر؛ والتي حرص العثمانيون على تطويرها ميناء[3] المدينة الذي كان من أهم المنشآت المميزة فيها، وبمثابة عصبها الحيوي ،والذي تم بناؤه من طرف خير الدين خلال القرن 10 هـ(16م)، مع العلم أن مدينة الجزائر كانت تمتلك منذ القدم مرفأ طبيعيا مكونا من مجموعة من الجزر الصغيرة في عرض الجزائر[4] –كما سبق الذكر– ولكن بعد استيلاء خير الدين على حصن البنيون في 1529م قام ببناء رصيف صخري يصل بين الجزر الصغيرة القائمة عند مرسى السفن في الميناء مستعملا في ذلك حجارة حصن البنيون الذي تم تهديمه سنة 1529 م عن طريق القصف المدفعي، وقد ساعد هذا الرصيف المعروف أيضا بكاسرة الأمواج على حماية الحوض الذي كان يشكل القسم الداخلي من المرسى[5].

وقد كان يساهم بشكل فعال في حماية السفن الراسية في الميناء، وكان عريضا إلى درجة أنه كان يسمح لكل سفينة راسية به أن تبقى بجانبها أسلحتها كالمدافع، والبضائع وبراميل المياه

[1] الوثيقة رقم2 «رسم تقسيم تركة وفق المذهب الحنفي "، في العلبة 10–2 تاريخها 1173هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم 65 عقد بيع وشراء بين شركيين في ملكية علوي واصطبل"، في العلبة 27–2 تاريخها1104هـ /1693م من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] ومن الدارسات التاريخية الأكاديمية التي خصصت لميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي مع التنويه أيضا بدوره العسكري خلال القرنين 10 –11هـ/16 –17م الدراسة الآتية :لقوارة فهيم ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق10–11هـ/16 –17م)،ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أد .فلة موساوي القشاعي،قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية الاجتماعية ،جامعة الجزائر2 السنة الجامعية 2011–2012

[4] وزارة الإعلام والثقافة، المرجع السابق، ص61

[5] BERBRUGGER Adrien, le Pégnon…, p.99

وبالرغم من هذا ؛ كانت تبقى مساحة كافية لمرور الأفراد[1].

وكان هذا الرصيف الصخري على شكل نصف دائرة تقريبا، وكان عرضه يقدر بـ 6 أو7 خطوات، وطوله أكثر من 3000 خطوة؛ ومن هذا الرصيف كان يتشكل الميناء الذي كان يحوي عادة أكثر من مائة سفينة سواء كانت سفن خاصة بعمليات الجهاد البحري أو سفن تجارية وغيرها ؛وكان باب الجزيرة يطل على هذا الرصيف [2].

و كانت تلك السفن في مأمن من الظروف المناخية السيئة ،و أي خطر آخر بفضل الرصيف الجديد الذي كان محل عناية مستمرة قصد المحافظة عليه ،وحمايته من الأثر السلبي للظروف المناخية، وخاصة عوامل التعرية التي كانت تؤدي لتأكل الحجارة المشكلة له ؛ فكان يتم تدعيمه بأحجار جديدة كانت تجلب من محجره باب الواد وكان الأسرى العبيد المسيحيون التابعون للدولة هم الذين يكلفون بأداء هذه العملية[3].

و هذه التحصينات، وغيرها [4]هي التي تفسر تسمية مدينة الجزائر بالمحروسة، ودار الجهاد حيث كانت تعتبر في نظر كل البلاد المسيحية مدينة من الصعب جدا قهرها ،وإخضاعها والاستيلاء عليها على حد وصف أحد مصادر القرن11 هـ (17 م) [5]حيث جعلت منها تلك

[1] Joao Mascarembas, « esclave à Alger » récit de captivité de Joao Mascarembas , Traduit du portugais Annoté par Paul Teyssier, Edition chandeigne, Paris, 1988, p.80

[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.91voir aussi Dapper, Op.cit., p.170

[3] Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.81

[4] كما وجدت تحصينات في ضواحي المدينة تشرف عليها كحصن الإمبراطور المعروف أيضا بحصن حسن باشا الذي يعتبر من أبرز الحصون الواقعة عل مشارف مدينة الجزائر ويقع إلى الجنوب الشرقي من حصن النجمة (برج النجمة في الجهات العليا من القصبة برج الثغرين 1567م وقد تم تشييده فوق كدية(ربوة) الصابون التي خيم بها شارل الخامس في حملته المشهورة على مدينة الجزائر سنة 1541م والحصن لا يبعد كثيرا على حافة الطريق الغربي بحيث يشرف على كل الداخلين من باب الجديد ويعرف أيضا بحصن بوليلة لأن شرلكان خيم في الموقع الذي شيد عليه الالحصن ليلة واحدة هي ليلة ليلة الأربعاء 26 أكتوبر سنة 1541م ويعرف أيضا بحصن السلطان قالاصي،أو مولاي حسن نسبة لبانيه حسن باشا الذي شرع في بنائه على بعد 1700 متر من القصبة العليا ثم زاد في تقويته، وتشديده حسن فينزيانو سنة 1580م وهو الحصن الوحيد لحماية المدينة من الجهات الجنوبية والجهات البرية بصفة عامة، وما يزال بنائه قائما إلى يومنا هذا. أنظر: حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، الطبعة 2، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، سبتمبر1982، ص.245 و أنظر أيضا:الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام ،في 4 أجزاء،الطبعة7، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1415 هـ- م 1994 الجزء3، صص.67

[5] Projet pour l'entreprise..., p.1

التحصينات قلعة حقيقية مرهوبة الجانب ومحترمة [1]من طرف الجميع خلال القرنيين10 هـ(16م) 11 هـ (17 م) وهذا ما تؤكده المصادر المحلية المغربية حيث وصف التمكْورتي مدينة الجزائر في القرن 10 هـ(16م) بقوله :"جزائر بنى مزغنة وهي مدينة آهلة مانعة كثيرة الخصب"[2].وقوله أيضا:"كثيرة الجنود ومحصنة....."[3].

و كان يتم الدخول إلى المدينة المحصنة عن طريق خمسة أبواب كانت تعتبر بدورها كجزء هام من الاستحكامات الدفاعية للمدينة والتي كانت تتوزع عبر أسوارها في مواقع استراتيجية فيما يلي ذكر لها:

1-باب الواد :

وكان يقع غربا نسبة إلى الوادي الذي كان يمر بجانبه وهو وادي المغاسل ، وكان ينفتح نحو الشمال الغربي نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة[4]، وكان يربط المدينة بالخارج والمقبرة و عرف

[1] و لأخذ صورة مفصلة عن التنظيم الدفاعي لمدينة الجزائر من حيث مختلف الأبراج، والحصون التي كانت تتخلل أسوارها و تلك التي كانت تقع في ضواحي المدينة، أو تشرف عليها خلال القرنين 10هـ(16م)، و11 هـ(17م) العودة إلى المصادر والدراسات المتخصصة الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

Haëdo (F.D) ,Topographie..., In **R. A.**, T.14 ,1870,pp.417 - 431 Cornelis Pijnacker, Op.cit., pp.78-82Dapper, Op.cit., pp.168-171 DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,pp.91-92 Aranda (Emmanuel- D) Op.cit.,pp.150 -152 Rocqueville (S de) ,Op.cit.,pp6-9 voir aussi Joao Mascarembas ,Op.cit.,pp.78-87 Ben Mansour A.-H, forts et fortins d'Alger la Bien – gardée au début du XVII[e] siècle ,In:**IKOSIM** ,Numéro 3,Association Algérienne pour la sauvegarde et la promotion du patrimoine Archéologique ,Alger ,2014,pp.119-128- Federico Cersti, Alger au XVII [e] siècle..., p.30

[2] علي بن محمد التمكْورتي ،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي،المطبعة الملكية ،الرباط 1423 -2002 ،ص.30

[3] المصدر نفسه، ص.128

Moulay BELHAMISSI, Alger la ville aux mille canons, Entreprise Nationale du Livre (ENAL), pp.19-39 et BOYER (Pierre), la vie quotidienne …, pp.24-37

علي خلاصي ،العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر،وزارة الدفاع الوطني المتحف الوطني للجيش ،سلسلة الفرسان الجزائريون الجزائر، 1985م وكتاب آخر لنفس هذا المؤلف بعنوان :قصبة مدينة الجزائر في جزأين، الطبعة الأولى، منشورات دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،2007 م وأنظر أيضا الدراسة التاريخية الهامة التي أبرزت بالتفصيل الجهاز الدفاعي لمدينة الجزائر انطلاقا من التقارير الفرنسية التي وضعها قناصل، وجواسيس فرنسا في إطار مشاريعها لاحتلال الجزائر للأستاذ الباحث بنور فريد ،المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر1782-1830،مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع الجزائر،2008م

[4] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.232

كورنيليس بجناكر في القرن 11 هـ(17 م) بباب الموتى لأنه كان يتم تمرير جنائز أغلب الموتى عبر هذا الباب للوصول للمدافن ؛حيث كان الأتراك العثمانيون يدفنون أمواتهم خارج أسوار المدينة[1].

2- باب عزون:

و كان يقع في شرق **المدينة** وكان من أهم أبواب المدينة، وأكثرها استعمالا في كل أوقات النهار؛ فقد كان يعتبر ممرا لكل من يريد التوجه إلى الحقول، والبساتين في الفحوص أو إلى داخل البلاد[2].

فكان باب عزون من أهم الأبواب الرابطة بين المدينة ،وجنوب ،وشرق البلاد لكونه مطلا على سهل متيجة، ويسهل النشاطات التجارية[3].

3-باب الجزيرة:

الذي كان يشرف على الميناء، ويؤدى دورا استراتيجيا هاما وسمي أيضا "بباب الجهاد" لأنه كان يؤدي إلى المرسى، ومنه كان يدخل المجاهدون للمدينة ويخرجون للغزو البحري[4]؛ وهناك كان يتم تنزيل الحمولات ،والبضائع وتسجيلها قبل ادخالها المدينة، وهي البضائع التي كان يجلبها التجار المسيحيين[5] ؛ومن ثم كان يشهد حركة مستمرة من الصباح إلى المساء ومن الآثار الدالة عليه نقيشة رخامية كانت تعلوا الباب وجاء فيها:

" بمحمده هذا باب بديد سعيد بهازها فيه لنا نعم المجد من الاله الحميد في ايام السلطان مراد صان علاه المجيد فقلت أهلا يابابه لافارقك السعود مفتوحا فانت بابه جود ونصر بديد حذالك ولقربك ديار فيها جنود في يوم عيد مسرور تهنزه اسود نصر لهم وفتح قريب وفضل وجود تمه المعلم موسى الاندلسي الفريد فلله يجزيه جمع مجامع الرشد وذلك في دولة مولانا حسين باشا ايده الله عام 1039 هـ"[6].

---

[1] Cornelis Pijnacker,Op.cit.,p.81

[2] Haëdo (F.D) , " Topographie..." , In: **R.A.**, T.14, 1870,p.420

[3] وزارة الإعلام والثقافة، المرجع السابق، ص.25

[4] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.233

[5] Haedo (F. D) , " Topographie… " ,In :**R. A.**, T.14, 1870,p.421

[6] Gabriel Colin, Corpus des inscriptions Arabes et Turques De l'Algérie"1- département D'Alger", Ernest Leroux Editeur, Paris, 1901, pp.37-38

4-باب السردين أو باب الديوانة:

وكان هذا الباب منفذا للصيادين الذين كانوا يتجهون إلى البحر للصيد، أو ليبيعوا صيدهم من الأسماك في المدينة[1]. و كان يفضي إلى دار الصناعة؛حيث كانت تبنى السفن الشراعية الصغيرة، وكان مخصصا للتجارة البحرية[2].

5-باب الجديد:

وكان هذا الباب يشهد حركة كبيرة من طرف السكان[3] و كان ينفتح على قلعة القصبة الضخمة الواقعة في قمة المدينة[4]؛ فقد كان يقع في الجهة الجنوبية الغربية من السور، وكان مدخلا للقادمين من الغرب ،والبليدة ؛حيث يربطها طريق رئيسي بغرب البلاد[5].و نجد إشارة إلى هذا الباب في وثائق المحاكم الشرعية مثلا ما ورد في رسم تقسيم تركة:".....الحمد لله بعدأن تقرر الاشتراك السوي .....في جميع الجنة الكاينة بفحص .....خارج باب الجديد أحد أبواب محروسة الجزائر...."[6].

و إلى جانب هذه الأبواب الخمسة الرئيسية التي كانت تربط المدينة بالخارج وبالميناء كانت توجد أبواب ثانوية داخل المدينة مثل البابين الداخليين بالقصبة العليا؛ حيث كان يبعد الواحد عن الآخر بحوالي 20 خطوة[7].

وكانت هذه الأبواب تغلق وتفتح حسب توقيت محدد فتغلق قبل غروب الشمس بقليل[8]

---

[1] Haedo (F. D) ," Topographie…" , In :**R. A.**, 1870, T.14, p.421

[2] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.234

[3] Haedo (F .D) ," Topographie… ", In :**R. A.**, 1870, T.14 p.419

[4] وزارة الإعلام والثقافة،المرجع السابق، ص.26

[5] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.232

[6] الوثيقة رقم 7 "رسم شراكة وتقسيم تركة "،في العلبة 109-110 ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[7] Haedo (F. D) , "Topographie… " In :**R. A.**, 1870, T.14, p.419

[8] حيث ذكر في مصدر مجهول المؤلف يعود للقرن 11 هـ (17 م)أن أبواب مدينة الجزائر كانت تغلق عند غروب الشمس من طرف ضباط الإنكشارية المتواجدين بالثكنات، وكانت تغلق خلال فصل الصيف عند تمام التاسعة وأبكر من ذلك بكثير خلال فصل الشتاء كما كان يتم إغلاق أبواب الأحياء أو الأزقة الرئيسية .أنظر:

Mémoire sur le Royaume D'Alger ,De son étendue et Gouvernement ,manuscrit dans Mélange Colbert N°55Année1666, *feuille* 39 à 45,Bibliothèque Nationale de France (BNF) pressante et annote par Marcel Emerit ,un Document inédit sur Alger au XVII^{e} siècle=

و تفتح بعد طلوع الشمس بقليل[1]،وكانت كبيرة الحجم متقنة الصنع و في هذا الصدد ذكر روكفيل أن أبواب المدينة كانت تقفل على الساعة الثامنة مساء في الصيف ،و على السادسة مساء في الشتاء.[2] ونشير إلى أن البابين الداخليين بالقصبة العليا كانا متواجدين في السور الذي يفصل القصبة عن باقي المدينة أي عبارة عن سور داخلي.

و كانت المدينة في داخل الأسوار المحصنة وبفضل تمتعها بحماية جهاز دفاعي فعال تحوى العديد من المرافق الحضارية المتنوعة إذ كانت تتفرع إلى شبكة من الأنهج، و الحومات[3] والأزقة الضيقة النافذة، و الغير نافذة، وكانت ضيقة إلى درجة أنه لم يكن من الممكن أن يمر من خلالها رجلان متجاوران و في مستوى واحد[4] وكانت تعلوها في الغالب سقوف من الخشب مشكلة ما يعرف **بالساباط** ؛أي الزقاق المغطى[5] وقد كان لهذا الأخير مميزات مفيدة للسكان خاصة في أوقات الحر في الصيف الرطب ،إذ كانت هذه الأزقة المغطاة تحتفظ طوال اليوم ببرودة الصباح الباكر[6]، وكانت دليلا أيضا على الاستغلال الأمثل لكل المساحات المتوفرة للسكن وشاهدا على ارتفاع عدد سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني.

و النهجان الكبيران ،والرئيسيان في مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة كانا متواجدين في المدينة السفلى والتي عرفت بالوطء وهما: النهج الكبير الذي كان يمتد من باب عزون إلى باب الواد وكان يعرف أيضا بنهج السوق الكبير ؛حيث شكل سوقا حقيقية بجوانبه المحفوفة بعدد كبير من الدكاكين والحوانيت التي كانت تباع فيها مختلف السلع، والبضائع[7].

=extrait des Annales de l'institut études des orientales ,Tome XVII Année1959,Edition laTypo-Lit Jules Carbonal Alger,sans date,p.241

[1] William Shaler, Op.cit.,p.98

[2] Rocqueville (S de), Op.cit., pp.44-45

[3] عن أزقة وأحياء وحومات مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ،وتطورها وأدورها أنظر على سبيل المثال الدراسات الآتية:

Zine-Eddine SEFFADJ,les quartiers D'Alger pendant la période ottomane(XVI-XIX)organisation urbaine et Architecturale du quartier hwanat sidi Abd Allah, tome 1(texte),Doctorat de troisième Cycle Histoire de l'Art et Archéologie islamiques ,préparée sous la direction de Madame le Professeur Marianne BARRUCAND,Université de Paris Sorbonne (Paris v),Mars 1995 voir aussi PASQUALI(E),l'évolution de la rue musulmane D'el-Djezair, In : **Algériens** ,série culturelle ,N°75, avril 1955

[4] Haedo (F. D) ," Topographie… ",In :**R. A.**, 1870, T.14, p.431

[5] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant…, p.194

[6] وليم سبنسر،المرجع السابق، ص.48

[7] Haedo (F .D) ," Topographie…" ,In :**R. A.**, 1870, T.14, p.431

وكان نهج السوق الكبير الشارع الأكثر عرضا، ومساحة في المدينة ،وقد كان يضيق قليلا في بعض الأماكن ليتسع مجددا في جهات أخري[1].

والنهج الثاني المهم، وإن كان أقل أهمية من الأول هو النهج الذي كان يربط شارع السوق الكبير مع باب الجزيرة، كما وجد نهج آخر له أهميته كذلك كان يربط باب الجديد وشارع السوق الكبير؛ووجدت أيضا أنهج أخرى ثانوية كنهج الزياتين بالقرب من باب عزون ونهج الصياغين إلى الغرب من دار السلطان...الخ، والملاحظ أن أسماء الأنهج كانت في كثير من الأحيان تشتق من الحرف السائدة فيها[2].وقد ذكر في هذا الصدد نيكولا دو نيكولاي في القرن 10 هـ/16 م أن أزقة وشوارع مدينة الجزائر كانت منظمة بشكل جيد لدرجة أن كل واحدة منها كانت تنفرد بتجارها[3].

و كانت تتوزع عبر هذه الأزقة، والأنهج منشآت، ومباني، ومعالم حضارية متنوعة ؛وكانت تزدحم فيها المساكن المتراصة على شكل مدرجات، وهو ما كان يشكل منظرا جميلا[4].إلى جانب وجود المساجد وكتاتيب ،و مدارس تعليم القرآن، و الحمامات،و المنازل الفاخرة الشبيهة بالقصور،و الفنادق و ثكنات الإنكشارية، والأسواق، وسجون الأسرى العبيد (Bagnes) والعيون العمومية،و معابد اليهود...الخ و لم تكن مدينة الجزائر تشتمل داخل أسوارها على ساحات عمومية ،و حدائق أما خارج أسوار المدينة أي في فحوصها كانت الحدائق الغناء والديار الريفية "الدويرات" المبعثرة هنا وهناك ،والمقابر ،والآبار ،والعيون والصهاريج، والمطاحن التي تديرها القوة المائية كتلك الواقعة على وادي مغاسل...الخ[5].

[1] Dapper, Op.cit.,p.169

[2] عبد القادر حليمي، المرجع السابق ، ص.29

[3] Nicolas de Nicolay, Les navigations, pérégrinations et voyages faits en la Turquie par Nicolas de Nicolay, par Guillaume Silvius ,Imprimeur du Roy, 1576, p.27

[4] Marmol (luis. De carvajal.), L'Afrique de Marmol, Traduction de Nicolas Perrot sieur D'Ablancourt, Paris, 1667, Tome 2, p.400

[5] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.261

دور الأوامر والأحكام السلطانية في تحصين وتأمين مدينة الجزائر:

ولم تكن قضية تحصين مدينة الجزائر خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة محل اهتمام وحرص حكام الجزائر العثمانيين فحسب، بل كانت ضمن انشغالات السلاطين العثمانيين ؛حيث كانوا يطلعون على مختلف الأعمال التي كانت تقام لتحصين المدينة وتأمينها ،بل و يؤيدون مبادرات حكامها بإصدار أوامر للقيام بأعمال معينة من شأنها إكساب المدينة مزيدا من المناعة ومن الأمن وهو الأمر الذي نستدل عليه من خلال المراسلات التي كانت تتم بين الطرفين في هذا الشأن.

ونذكر على سبيل المثال المراسلات التي تمت في عهد حاكم الجزائر أعراب أحمد باشا[1] الذي يعتبر من الحكام الذين اهتموا كثيرا بتحصين مدينة الجزائر، ولاسيما مع التخوف حينها من حملة محتملة على المدينة يقودها دون خوان النمساوي- بعد هزيمة الدولة العثمانية في معركة ليبانت 1571 م حيث وردت إليه في هذا الشأن مراسلة أرسلها السلطان العثماني سليم الثاني(1566-1574م) إلى الأمراء والقواد ،والرجال قوللر ،وأغوات الإنكشارية وإلى الإنكشارية في الجزائر وهو كرد على خطاب أورده إليه الحاكم أعراب أحمد باشا بين له فيه الجهد الذي بدله هؤلاء في تحصين المدينة ،فأرسل إليهم يمتدحهم بقوله ما يلي:

"*بعث أمير الأمراء الجزائر أحمد –دام إقباله- بخطاب أشار فيه إلى سعيكم واهتمامكم بتعمير قلعة الجزائر ،وبتطهير الخنادق ،كذلك في سبيل الخدمات الهمايونية المتعلقة بحفظ ،وحراسة الولاية ،وأكد على بذلكم النفس ،والنفيس في سبيل الدين و الدولة جزآكم الله خيرا مكان يرجي منكم.....*"[2].

و في نفس الوقت يأمرهم السلطان من خلال هذه المراسلة بمواصلة جهودهم مبينا لهم ما

---

[1] وهو ثاني حاكم عربي تولى الحكم بالجزائر سنة 979 هـ/1572م إلى 981 هـ/1574م إشتهر في مدة ولايته كلها بالاجتهاد في نشر الأمن ،وتنظيم الإدارة فقام بالسهر على إنشاء عدة منشآت بهدف تحصين مدينة الجزائر كإنشائه لثكنة سنة 1573 م ،وفي عهده وقع تجديد قصر القصبة –دار السلطان – ومن أهم أعماله أيضا الإشراف على تزويد مدينة الجزائر بتجهيز مائي فعال ،والمشاركة في الدفاع عن تونس رفقة علج علي .أنظر :

Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois…, pp .154-157

[2] مهمة دفتري رقم 22 صحيفة 186- 187حكم رقم 360 بتاريخ981/04/28هـ(1574م)

ينبغي أن يقوموا به، وهو هدم المباني والبساتين المحيطة بسور مدينة الجزائر للضرورة الدفاعية والأمنية ومما جاء في نص الرسالة في هذا الشأن:

" *وأننا نأمر بأن تعملوا جاهدين بعد الآن لحفظ وحراسة الولاية على الوجه الذي يراه المشار إليه {أعراب أحمد باشا} لصيانة عرض سلطتنا المقرونة بسعادتنا فلا تضيعوا دقيقة واحدة في سبيل ذلك ،ولقد علمنا بوجود بعض الحدائق ،والبساتين بجوار قلعة الجزائر وقد أرسل حكم إلى أمير أمراء الجزائر لإزالة تلك الحدائق والبساتين والأبنية على مرمى المدافع حيث أن حفظ وحراسة... تلك الديار الجليلة الاعتبار وتأمين أمن وأمان الأهالي والرجال....هو غاية مقصودنا فعليكم بموجب أمرنا القيام بتطهير ،وتنظيف أطراف القلعة من المباني ،وعلى بعد مرمى المدافع كيلا تصبح متاريس للأعداء فيما إن قدر لهم –والعياذ بالله –الاستيلاء على المدينة*"[1].

ومن خلال ما سبق نستخلص عدة أمور إلى جانب ما ذكرناه آنفا من بينها أن مدينة الجزائر عرفت امتدادا خارج أسوارها ببروز حي سكني في ضاحية باب عزون مما يشهد على ارتفاع كثافتها السكانية خلال تلك المرحلة ،وهو ما ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م) عند تطرقه للإنجازات التي قام بها أعراب أحمد باشا ؛حيث ذكر أنه في سبيل تأمين المدينة قام بتحطيم ضاحية غنية مشكلة من منازل كثيرة خارج باب عزون[2]،بل وحطم باب عزون بأكمله وأعاد بناءه ،وذكر هايدو أن أطلال الضاحية كانت لاتزال بادية للعيان في عهده[3].

وكان لهذه المسألة انعكاسها على مدينة الجزائر ،حيث لجأ سكان هذه الضاحية إلى داخل المدينة مما أدى إلى ازدياد الكثافة السكانية داخل أسوار المدينة؛ فانعكس بدوره على نموها العمراني، ونستخلص مسألة أخري وهي مساهمة أفراد الجيش في التحصينات

---

[1] المصدر نفسه

[2] وقد أشار دابر في القرن 11هـ(17م) إلى ذلك حيث ذكر أن:" ضواحي مدينة الجزائر كانت فيما سبق كبيرة جدا على اعتبار أنه كانت توجد سنة 1573م حوالي 2000 دار خارج المدينة ولكن ونتيجة وصول أنباء عن اقتراب حملة إسبانية تم تحطيم وحرق هذه الأخيرة لأسباب دفاعية واستراتجية ولم يتم محاولة إعادة بناءها بعد ذلك ولكن لاتزال توجد خارج باب عزون ضاحية سكنية صغيرة من 30 أو 40 بيت والتي تستعمل كإسطبلات من طرف العرب ،والبربر أي سكان الريف والمناطق الداخلية الذين كانوا يحضرون المؤن إلى المدينة على ظهور الجمال أنظر:

Dapper ,Op.cit.,p.171

[3] Haedo(le père Diégo de), Histoire des rois…, p.155

التي كانت تقام في مدينة الجزائر كجزء لا يتجزأ من عملهم العسكري[1] ،وهذا دليل على أنه وعلى عكس ما تذهب إليه المصادر الغربية لم يكلف الأسرى العبيد المسيحيين لوحدهم بأداء كل الأعمال الخاصة بتحصين وتأمين مدينة الجزائر ،كما نسجل أن الهدف الأساسي من هذه التحصينات كان تأمين أمن المدينة ،وأمان الأهالي كإحدى أولويات الحكام العثمانيين .

وقد ورد حكم أخر في هذه القضية ذاتها وجه إلى أمير أمراء جزائر الغرب أعراب أحمد باشا ولقاضيها نستخلص منه عدة مسائل أيضا وهي :

1-التأكيد على أن مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة عرفت توسعا عمرانيا ،وتزايد سكانها بشكل كبير لدرجة أن ضواحيها أضحت مأهولة بالسكان وانتشرت فيها المباني السكنية: "علمنا بوجود حدائق مكتظة وأبنية عالية محيطة بدار الجهاد الجزائر وبقلعتها ".[2]

2 -إطلاع السلاطين العثمانيين على أوضاع الجزائر من خلال المراسلات التي كانت تردهم منها والمرسلة سواء من ولاة الأمور فيها أو من أهالي البلاد وبخاصة من الأعيان والعلماء وكذا المكانة المتميزة و الاستراتيجية [3] التي كانت تحتلها الجزائر في الحركة الجهادية التي كانت تتزعمها الدولة العثمانية ضد اعتداءات وهجومات القوى المسيحية :"ونعوذ بالله ففيما اذا استولى الأعداء .....على المدينة فإن تلك المباني ستشكل متارس محصنة لهم وإن تلك الولاية

---

[1] و نظير لجهودهم هذه في تحصين المدينة، والبلاد كانت تصدر أوامر لولاة الجزائر بحسن تقدير مجهودات الجيش :"ولقد سبق وأعربت عن الجهود التي بذلها رجالنا وآغا الانكشارية ورجالنا من الإنكشارية التابعين لتلك الولاية في سبيل الدين والدولة وذكرت بأنهم بذلوا النفس والنفيس لتطهير القلعة والخنادق وأشدت بجهودهم .....جزاهم الله خيرا هذا ما كان يرجى منهم فقدموه فينبغي أن تعمل ما بوسعك لإسعادهم....." أنظر :مهمة دفتري رقم 22 صحيفة 176حكم رقم 359 بتاريخ04/28 /981 هـ

[2] المصدر نفسه

[3] وهذه المكانة المتميزة نستخلصها من حكم آخر وجه إلى عامة أمراء وأعيان وقواد ولاية جزائر الغرب :.....وإن نظرنا لكم بعين الاعتبار لا يقل ابدا عن نظرنا إلى الممالك الجليلة الاعتبار الواقعة داخل حيطة خلافتنا الواسعة الأقطار بل إنها تزيد على ذلك حيث أن ولايتكم هي دار الجهاد وإن أمراء وأغوات وسائر عساكر وأعيان تلك الديار بمثابة رجال ولاية سدة سعادتنا....." أنظر :مهمة دفتري رقم 18 صحيفة 135 -136حكم رقم 288 بتاريخ10/19 /979 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري ،وهذه المكانة المتميزة مرتبطة ارتباطا وثيقا بدور مدينة الجزائر، والجزائر عامة في الحركة الجهادية كما نستدل عليه من حكم آخر جاء فيه :"ان الولاية المذكورة هي احدى دور الجهاد منذ القديم وان كل واحد منكم يعتبر من رجالي الأكفاء وقد بذلتم جهودكم في سبيل الدين .....وبما أن جزائر الغرب هي من مواطن أهل الإسلام ونظرا لكونها احدى=

من أحب ممالكنا المحروسة ومن أهم دور الجهاد فيها لذا فإن حفظها وحراستها هو غاية مقصودنا الشريف ....."[1].

3-حرصهم الشديد على تأمينها من خلال إبرازهم للإجراءات التي يجب اتخاذها في سبيل ذلك ونستخلص أيضا مما سبق مسألة جواز مصادرة الأملاك الخاصة لتحقيق المصلحة العامة وبما أن تحقيق ذلك ينبغي أن يستند إلى أحكام الشريعة، وأن يتم وفق الشرع لضمان تعويض أصحاب تلك الأملاك ؛ فقد كلف القاضي أيضا من طرف السلطان العثماني بالإشراف بدوره على هذه العملية :"حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب وإلى قاضي نفس الجزائر .....حال وصوله عليكما بتطهير وتنظيف الأماكن المحيطة بالقلعة المذكورة والتي تقع ضمن مرمى المدافع فيجب إزالة الحدائق والبساتين المحيطة بالقلعة أيا كان أصحابها وبذلك عدم الإبقاء على شيء يمكن أن يصبح متراسا للأعداء.....فطهرا تلك الأماكن كما يجب....."[2].

و كانت جهود حكام الجزائر في تأمين أهالي مدينة الجزائر من خلال حرصهم على تزويدها بجهاز دفاعي فعال سببا في حصولهم على المكافآت وتجديد الثقة فيهم مما يدل على الأهمية التي كان يوليها السلاطين العثمانيون لهذه القضية ومن الأمثلة على ذلك حكم ورد إل أمير أمراء جزائر الغرب أحمد أعراب باشا يشيد فيه السلطان العثماني بجهوده في تحصين المدينة ويكافئه بخلعة سنية :

"....وأنك استملت العسكر والرعايا وأن الولاية غدت بأمن وأمان والحق يقال أنك قدمت كل الخير فقد أظهرت ما كان يرجى منه من آثار حميدة وقد أرسلنا لك خلعة فاخرة من خلعنا الهاميونية ،وأمرنا حال وصوله عليك بارتداء الخلعة الهمايونية المرسلة ومن تم يجب بذل المقدور في سبيل جمهور الأمور المتعلقة بتلك الديار الجليلة سواء كان بتعمير القلاع وبناء الاستحكامات ...."[3].

= دور الجهاد من قديم الزمان فإن أنظرنا..... مشدودة إليها دائما....." أنظر :مهمة دفتري رقم16 حكم رقم 347

[3] مهمة دفتري رقم 22 حكم رقم359،المصدر السابق

[2] المصدر نفسه

[3] مهمة دفتري رقم22 حكم رقم 273 ،المصدر السابق

كما نستخلص مما ورد في نص هذا الحكم أن تأمين المدينة والبلاد لضمان أمن وسلامة السكان لم يكن يقتصر على إقامة التحصينات، ولكن كان يقوم أيضا على الاستقرار الداخلي[1] ولاسيما بضمان علاقة وطيدة بين الحاكم والجيش بالإضافة إلى المراقبة المستمرة

[1] و نستخلص من الأحكام العديدة الواردة إلى حكام الجزائر العثمانيين أن أمن مدينة الجزائر ومجتمعها كان مرتبطا أيضا بمدى هدوء و استقرار الأوضاع الداخلية في البلاد وبخاصة بالأرياف ومدى تمكن الحاكم من استمالة ممثلي السكان مما يسمح بالمقابل بمواجهة الأخطار الخارجية وعلى سبيل المثال نورد ما ورد في أحد الأحكام مما يؤكد ما ذكرناه:" سبق وأن بعثت برسائل إلى سدة سعادتنا أعربت فيها عن مداراتك وحسن معاملتك للأكابر والأعيان .....من الأمراء ومشايخ الأعراب في ولايتك .....وتشير إلى أن مشايخ العرب قدموا لك رهائن من أولادهم وأحفادهم {ولعل المراد من ذلك إبراز حسن نواياهم تجاه السلطة }وأعلنوا طاعتهم وانقيادهم وأنه تم بذلك صيانة أمن وأمان الولاية والبلاد وتأمين رفاهية واطمئنان الرعايا والعباد "أنظر :مهمة دفتري رقم 21 حكم رقم 645 بتاريخ 12/22 /980 هـ وفي حكم آخر :" .....كما يجب بقدر الإمكان وبحسب الظروف إحسان معاملة واستمالة مشايخ الأعراب العصاة الطغاة في مختلف الأماكن....." أنظر: مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 526بتاريخ21 /980/11هـ،في الأرشيف الوطني الجزائري أي محاولة استمالتهم بالطرق السلمية بالمقام الأول كلما سنحت الفرصة للحفاظ على الاستقرار الداخلي في الميدان الاجتماعي والاقتصادي، وتقوية المناعة الخارجية للبلاد. وفي حكم آخر: ".....وصل إلى سدة سعادتنا خطابك الذي تعلن فيه عن أمن واستقرار ولاية الجزائر وعن انقياد وطاعة كل من عباس....وسويد وبقية الشيوخ الذين تمردوا سابقا .....والآن فقد تم استتاب الأمور....."أنظر: مهمة دفتري رقم 21 حكم رقم 640،المصدر السابق أنظر أيضا:مهمة دفتري رقم 24 صحيفة 72حكم رقم221 بتاريخ12/14 /981 هـ ونظرا لمدى أهمية استمالة الأعيان لتحقيق الأمن ،و الاستقرار الداخلي والمناعة الخارجية ؛فقد بلغ هذا الحرص أن يأمر السلطان الحاكم المعين لحكم الجزائر بالالتحاق في أقصر الآجال بولايته وفي حالة تأخره عن ذلك لعذر ؛فعليه إرسال رجاله تمهيدا لحضوره والأهم إرساله رسائل لأعيان البلاد بقصد استمالتهم وكسب ودهم حتى يبدو حرصهم على مصالح البلاد قبل وبعد وصوله إليهم مما يعني أيضا إشراك الأعيان في تحقيق الأهداف السابق ذكرها،ودورهم الفعال في ذلك ومن النماذج عن ذلك ما ورد في حكم إلى أمير الأمراء حسن بن خير الدين :"حال وصوله عليك بعدم التأخر والتباطؤ ساعة أو لحظة للوصول للولاية .....فعليك بإتباع أفضل السبل للوصول إلى منصبك إما بسفرك مباشرة أو بإرسال رجالك إلى هنالك مسبقا.....وفي هذه الحالة ينبغي إرسال كتب استمالة إلى الولاية والأعيان كي يعملوا على حفظ وحراسة البلاد وإظهار سعيهم و إقدامهم حال وصولك إلى هناك كما كانوا عليه سابقا كي لا يغفلوا عن التصدي لدفع ضرر وأذى العدو اللئيم عن كل بقعة....."أنظر: مهمة دفتري رقم 16 حكم 555 ،المصدر السابق ونسجل وجود مراسلات كانت توجه مباشرة من السلاطين العثمانيين إلى القوى المحلية قصد حثها على مساندة الحكام ودعمهم وبخاصة في رد الأخطار الخارجية ومجابهتها مثلا حكم أرسل إلى أمير إمارة كوكو في ولاية جزائر الغرب:".....سبق أن أصدرنا أمرنا الشريف لك بشأن معاونتك وظاهرتك لأمير أمراء دار الجهاد جزائر الغرب فيما يتعلق بالحفاظ على الولاية.....وكذلك في كافة الأمور الخاصة بالدين....."أنظر: مهمة دفتري رقم23 صحيفة 349حكم رقم783 بتاريخ 12/18 /981 هـ،في الأرشيف الوطني الجزائري

لتحركات الأعداء الخارجيين وبخاصة القوى الأوروبية المسيحية[1] :".....وبالعمل على حسن معاملة واستمالة العساكر المظفرة للقيام بالمحافظة على أمن وأمان الرعايا والبرايا والمملكة أو الولاية وكذلك بتنفيذ الأمور المتعلقة بالدين المبين ولا يغفل عن جانب الأعداء اللئام فيجب تتبع وتجسس أحوالهم وأطوارهم ولا تتوانى عن اعلامنا بما يردك من أخبار صحيحة عن أحوال وأطوار تلك الديار...." [2].

و قد سبق هذا الحكم حكم آخر في نفس الشأن بتاريخ 980 هـ(1572م) حيث نص هذا الحكم أيضا على منح أعراب باشا خلعة همايونية مكافأة له على جهوده في تحصين وتأمين الولاية وما يجلب الاهتمام في هذا الحكم أن السلطان قد بادر إلى ذلك بناء على شهادة أهالي البلاد من خلال أعيانهم وشيوخهم مما يدل على تواصلهم مع السلطات العليا لإبداء آرائهم حول سياسة الحكام ،وإدراكهم أن توفير الأمن ،والحماية للبلاد و أهلها بالعمل على تحصينها ،ورد الأخطار والتهديدات الخارجية[3] عنهم كان ينبغي أن يحتل سلم أوليات الحكام

---

[1] وكان يتم الربط بين الحرص على مراقبة تحركات الأعداء والتصدي للأخطار الخارجية وبين تحقيق الأمن وتعمير البلاد وهذا ما نستخلصه من حكم ورد إلى رمضان أمير أمراء جزائر الغرب :".....ولا تتوانى عن تتبع وتجسس أحوال وأطوار الأعداء.....حتى تتمكن من بذل جهدك وسعيك لدفع ضررهم ومداراتهم ومن ناحية أخرى كي تتمكن من إرساء قواعد الأمن والأمان والازدهار والعمران فلتبدل أنواع مساعيك الجميلة لتأمين رفاهية واطمئنان الرعايا والبرايا وكن عينا ساهرة وأذنا صاغية اتجاه الأعداء ....."أنظر : مهمة دفتري رقم30 صحيفة 347حكم رقم 348 تاريخ18 /985/2 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] مهمة دفتري رقم 16 حكم 555 ،المصدر السابق

[3] حظيت قضية تأمين البلاد من الأخطار الخارجية ،وبالتالي ضمان استقرار سكانها باهتمام كبير من طرف السلاطين العثمانيين وهو ما نستخلصه من خلال الأحكام المرسلة إلى حكام الجزائر لمطالبتهم بتدعيم الأسطول العثماني بالسفن والرجال ؛حيث يصر السلاطين من خلالها على حكام الجزائر بضرورة تأمينها وترك قوات كافية بها لرد الأخطار المحتملة عليها قبل الإقدام على تدعيم الأسطول العثماني." بمشيئة الله الملك المتعال فقد تقرر إرسال أسطولنا الهمايوني المنصور بعساكرها المظفرة إلى تلك الأطراف في هذا العام الخير للغزو والجهاد في سبيل الله.....وأمرنا أن تستعد للوصول إلى تونس أولا لانتظار أسطولنا.....وإمداد تلك السفن بالعدة والرجال والعتاد والذخيرة والمواد.....و ذلك بعد تعيين عدد كافي من الرجال الأكفاء على أطراف البلاد لحفظ وحراسة ولايتك من البر والبحر....." أنظر :مهمة دفتري رقم21 حكم رقم526،المصدر السابق ، وفي حكم آخر :"....لقد صدر أمري إلى وزيري .....بالإبحار بأسطولي الهمايوني.....ونظرا لأهمية مرافقتك للمشار إليه.....عليك تعيين ذوي الكفاءة من رجالك على القلاع والبقاع وسائر المناطق الجزائرية الواجب حفظها وحراستها ضد أخطار البر والبحر وبعد إجراء=

وأن مقياس كفاءتهم وأهليتهم لتولى الحكم ترتبط بمدى المساعي التي يبدلونها في هذا الميدان[1] ومدى حسن معاشرتهم وتعاملهم مع الأهالي وعلى رأسهم أعيانهم[2]. واستناد السلطان على شهادتهم في تجديد ثقته بولاة الجزائر دليل على مساهمتهم الغير مباشرة في اختيار ولاة أمورهم

=التحصينات اللازمة عليك بالإبحار فورا....." أنظر :مهمة دفتري رقم14 صحيفة رقم 920 حكم رقم 1361 بتاريخ 9/17 /978 هـ و أنظر أيضا في نفس الشأن مهمة دفتري رقم 12 صحيفة رقم 8 حكم رقم 15 بتاريخ 5/17 /978 هـ ومهمة دفتري رقم16 صحيفة رقم 24 حكم رقم 40بتاريخ979/5/20هـ و وفي حكم آخر يحذر السلطان العثماني حاكم الجزائر من هجوم إسباني محتمل بعد أن وردته أنباء عن خروج قطع بحرية إسبانية كثيرة العدد وأمره له بالاستعداد لمواجهة الخطر المحتمل ، والتأكد في نفس الوقت من صحة تلك الأخبار و التحقق من نوايا الإسبان عن طريق إرسال الجواسيس :".....أمري إليكم بادروا إلى الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الكفرة في كل وقت من الأوقات ولا تغفلوا لحظة واحدة عن حراسة القلاع وحماية الثغور وصيانة المملكة والبلاد من شر وتجاوز العدو باذلين في ذلك كل ما يمكن بذله من جهد وتضحية....."أنظر : مهمة دفتري رقم11 صحيفة رقم 55 حكم رقم 158بتاريخ993هـ في الأرشيف الوطني الجزائري أنظر أيضا : مهمة دفتري رقم7صحيفة رقم 113 حكم رقم51بتايخ/975/2/5 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري وفي حكم آخر تأكيد على مسألة الاستعداد الدائم لمواجهة أي تهديد وخطر خارجي لما لذلك من أثر كبير على أمن السكان واستقرار حياتهم اليومية :"من أجل حفظ هذه الولاية .....ومن أجل الحرص على امن وسلامة الرعايا .....يجب الاستمرار دائما في حالة الحذر واليقظة أمام المخاطر التي يمكن أن تأتي من الكفار.....فبادروا إلى اتخاذ جميع الإجراءات لتكون ولايتكم جاهزة .....لملاقاة أي خطر يمكن أن يأتي من طرف الكفار حتى تبقى الولاية دائما في الحفظ والسلامة وعبادها في الصون والحماية تحت ظل الرعاية...والعدالة الهاميونية ليسودهم الأمن والاستقرار بصفة دائمة ومستمرة " أنظر : مهمة دفتري رقم44 حكم رقم 150 بتاريخ 991 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[1] وهو ما كان يؤكد عليه أيضا السلاطين العثمانيين في مراسلاتهم لحكام الجزائر:.....حال وصوله عليك بكمال البصيرة والانتباه وبذل الجهود لحفظ وحراسة البلاد والولاية وضبط وصيانة الرعايا بعناية الله ومن ثم بحسن تدبيرك أيضا كما ينبغي بناء الأبراج والقلاع في الأماكن الخطرة.....وتعمير وترقيم القلاع التي يجب تعميرها وكذلك تطهير مواقع المدافع.....وعليك ببذل المقدور والسعي اللامحصور{كذا} لتأديب أعداء الدين وفي سبيل الأمور المتعلقة بالدين المبين .....ويجب إظهار كافة المساعي الجميلة وأصناف الآثار الجليلة لإرساء أمن وأمان الولاية والبلاد ولتأمين استراحة واطمئنان العباد....."،أنظر: مهمة دفتري 11 حكم رقم 158 ،المصدر السابق

[2] وهذا ما نستخلصه أيضا من فحوى حكم آخر تضمن إشارة إلى إشادة أهالي الجزائر بجهود علج علي ونائبه في تسير أمور الحكم في الجزائر:" أرسلتم كتبا تعربون فيها عن كمال رضاء وشكران الرعايا والبرايا والعساكر والأعيان عن أوضاع وأفعال قبوداني علي باشا.....كما أشدتم بالأعمال التي قام بها كتخدا الذي عينه قائما مقام وعن بذله للمقدور وسعيه المشكور في أداء خدماته وإحسان معاشرته لأعيان البلاد وتأديبه بعناية الله تعالى لأعداء الدين والدولة اثر محاولاتهم الإغارة على البلاد والولاية بقصد الحاق الضرر بها ....."أنظر :مهمة دفتري رقم 18حكم رقم 288=

وفي تقييم سيرتهم وسياستهم:

" أرسل أمراء ولاية الجزائر وكذلك أعيانها ومشايخها بكتب أشادوا فيها بمساعيك الجميلة في سبيل المصالح الهمايونية وصيانة عرض الدين المبين وشهدوا بما قمت به من تعمير وإحياء القلاع وكذلك بما بذلته لدفع ورفع ضرر وفساد الأعداء عن تلك الديار فاستجلبت بذلك مزيد من عنايتي الكراونية وعليه فقد أرسل إليك خلعة فاخرة ....."[1].

3-ثكنات الإنكشارية:

لقد كانت هذه الأخيرة بمثابة مساكن لفرق الإنكشارية، ومن المعالم البارزة في مدينة الجزائر في تلك الفترة، ويشير هايدو في أنه أواخر القرن 10 هـ(16 م) كانت هناك خمس ثكنات كبيرة، واثنتان صغيرتان؛ أي أن المجموع سبعة ثكنات.[2] ويذكر دافتي في القرن11 هـ(17 م) أنه كان يوجد بمدينة الجزائر خمس مساكن لإقامة الإنكشارية التي كانت تسمى بالغة الفرنكا[3] "أبرجا دو كريزي"،وكان يتم إسكان حوالي 600جندي في كل منها، وكان هؤلاء الجنود يعيشون فيها كرفقاء[4].

في حين ذكر درندا سنة 1650م أن جزءا من فرق الجيش كانت تسكن في خمس بيوت كبيرة عمومية مبنية كلها بشكل مربع مع ساحة كبيرة كانت تتوسطها والتي كان يمكن أن تستعمل كساحة ،أو فناء للتدرب على السلاح ؛فكبر حجم واتساع كل واحدة منها كان يسمح بأن تضم حوالي ستة مئة وستين جندي لكل منهم سكنه الخاص دون أن يدفعوا أي ثمن[5].

=مصدر سابق والملاحظ أن هذه المعايير لم تكن تطبق فقط على حكام الجزائر بل وعلى حكام تونس كما نستخلصه من حكم أرسل إلى قائم مقام تونس القائد رمضان –نائب علج علي فيها-:".....كما ينبغي أن تظل حسن المعاشرة رضاء وشكران لحفظ الولاية والرعايا والبرايا وليكن بعلمك أنه فيما عرض قبوداني المشار إليه عن آثار حميتك وخصالك الحميدة وتمكنك من جلب أهالي الولاية .....ستكون محط أنواع عنايتنا ومن المؤكد أنك ستكافئ وتجزى بذلك تماما وبناء عليه فلتظهر غيرتك وحميتك بما ما أوتيت من قوة "أنظر : مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 541-543 حكم رقم 1037بتاريخ 979/10/25 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[1] مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 639بتاريخ16 /980/12 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] HAEDO (Fray Diego de), " Topographie… ",In :**R. A.**, 1871, T.15, p.394

[3] عن لغة الفرنكا أنظر الفصل السادس "التعليم واللغات "في الباب الثالث من هذا العمل

[4] Op.cit., p.171

[5] Op.cit., p.151

وكانت الثكنات بشكل عام عبارة عن مباني واسعة تتشكل من أرضية ،وطابق يحيط بساحة واسعة مفتوحة [1] إذ يذكر دوبرفي في القرن 11هـ (17م)أنه كان يوجد داخل الثكنات ساحات واسعة ؛حيث كان يمكن للجنود أن يصطفوا فيها على شكل طابور عسكري [2] وكانت توجد بها دائما عين ،أو نافورة ماء عذب مرفقة بحوض وكانت تلك المياه مخصصة للاستعمالات اليومية للإنكشارية، بما فيها عملية الوضوء [3].

وكانت الثكنات شبيهة بالبيوت السكنية إلى حد كبير؛ فقد كانت تحوي أيضا أروقة تحيط بالساحة المركزية ، وكانت هذه المباني مقسمة إلى عدد من الغرف المنخفضة و العالية والثكنات الخمسة الكبيرة كان يمكن أن تحوي من 400 إلى 600 رجل والأصغر كان يمكن أن تحوي من 200 إلى 300 رجل [4].

وفي كل غرفة من الغرف المشكلة للثكنات، والتي كانت تعرف بالأوضة كان يمكن أن يقيم من 12 إلى 15 إنكشاري، مع قائدهم الذي كان يعرف بأوضاباشي [5]. وقد ذكر بيتي دولاكروا (Pétis de la crois) في القرن 11هـ(17م) أن الثكنات كثكنة باب عزون كانت تحتوي على 424 أوضة وفي كل أوضة كانت توجد فرقة من الإنكشارية ورئيسهم في الغرفة كان الأوذاباشي أو الأوضاباشي؛ والذي كان يعاقب من طرف ديوان الجند إذ ما حدثت فوضى في الغرفة [6] .والهدف من ذلك كما يبدو هو الحفاظ على الانضباط والنظام في الثكنات .

ولم يكن في إمكان أي جندي من هؤلاء الجنود أن يحتفظ في الغرفة التي يقطن ويأكل، وينام فيها إلا بأسلحته؛ والتي كانت تتمثل في مسدسه، وقوسه، وسهامه، و أكياس البارود، وسيفه وكان هذا الأخير يتميز بنظافته، ولمعانه أكثر من سيوف جنود أي أمة أخرى وكانت سيوف الجنود الإنكشاريين تعلق على جدارن الغرفة لتشكل بذلك زينة جميلة، أما بقية متاع الغرفة

---

[1] Gramaye, Op.cit., p. 198

[2] BREVES, « Relation des Voyages De Monsieur De Brèves Tant en Gerce, Terre Sainte Et Egypte Qu'aux Royaumes de Tunis et Alger .Ensemble Un Traité Fait L'un1604 entre le Roy Henry le Grand et L'empereur des Turcs Et Trois Discours Dudit Sieur, chez Nicolas Gasse, Paris, 1604, pp.359

[3] Gramaye, Op.cit, p.198 voir aussi ARVIEUX (Chevalier d') Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli, & autres Echelles du Levant ,en 6 tomes, Contenant ses voyages à Constantinople, dans l'Asie, la Syrie, la Palestine, l'Egypte, et le Barbarie la description de ces païs, les religions, les mœurs, les coutumes, le négoce de ces peuples, leurs gouvernements, l'histoire naturelle et les événements les plus considérables recueillis de ses mémoires originaux, & mis en ordre avec des réflexions Par Jean Baptiste Labat Labat de l'Ordre des Frères Prêcheurs, chez Charles- Jean Baptiste Delespine, le fils libraire, Paris 1735 ,Tome 5, p.229-230

[4] Haëdo, (F.D), " Topographie… ",In :**R.A.**, T.15, 1871, p.394

[5] Joao mascrenhas, Op.cit., p.69

[6] Pétis de la croix, mémoire sur Alger 1695 , pressante et annote par Marcel Emerit extrait des annales de l'institut études des orientales tome XI, année 1953, édition la Typo-Litho et Jules Carbonel, Alger, p.16

الأخر فقد كان يتمثل في بعض الحصائر، والزرابي المشرقية ،والأسرة، والمطارح، والوسائد والموائد[1] ولم يكن الإنكشاريون يملكون من متاع آخر في غرفهم سوى بعض الملابس المتمثلة في سروالين أبيضين، وغطاء، وكما سبق الذكر حصيرة، ومعطف يعرف بالكبوط (capote)[2]. كانت ملابسهم تلك توضع داخل صندوق صغير[3].

وكانت هذه الغرف تثير الإعجاب لحسن النظام الذي كان يسودها، ونظافتها؛فقد ذكر الأب دان في القرن 11 هـ(17 م) أيضا أن هذه الثكنات كانت نظيفة إلى درجة أنه لم يكن يرى أي وسخ في كل غرفها[4]. في حين أن درافيو وهو من أهل القرن 11 هـ(17م) ذكر أن العدد الكبير من الرجال الذين كانوا يسكنون في نفس المكان لم يكن يمنع من أن تكون كل هذه الغرف نظيفة جدا[5].

وهذا إن دل على شيء ؛فإنما يدل على انضباط الإنكشارية ،ونظامهم الذي كان ينعكس في حسن ترتيب، وتنظيم الغرف في الثكنات التي كانت بمثابة مساكن لهم، والحرص على النظافة من طرفهم لم يكن غريبا لكونه يستمد أصوله من الدين الإسلامي، وفطرة المرء السليمة.

وقد كان هذا التنظيم متبعا أيضا في مجال الغذاء، والطعام؛ فقد كان هؤلاء الإنكشارية 12 أو 15 المقيمين في إحدى الغرف يشكلون جماعة واحدة شبيهة بأفراد عائلة واحدة ؛حيث كانوا ينظمون شؤونهم فيما بينهم؛ فكل واحد منهم كان يدفع حصته من المال للمشاركة في شراء الأرز، و الكسكس، و الزبدة، والخشب لطهي الطعام ،وذلك في أول كل شهر وقد كانوا يرشحون من بينهم طباخ يطلق عليه اسم **أتاشي** (**atachi**) والذي كان يساهم في المهام العسكرية من خلال أداء هذه المهمة، وإلى جانب ما سبق؛ فقد كانوا يتناولون بعض اللحم، وأربعة أرغفة خبز كان يتلقاها كل منهم بصفة دائمة كجزء من رواتبهم ،و كانوا يأكلون وينامون جماعة في غرفة واحدة كما سبق الذكر، ولم يكن الطعام ينقصهم بفضل أجرتهم أو رواتبهم[6]؛وبفضل ما كانوا يكسبونه من أموال من جراء ممارستهم للأنشطة الحرفية أوالتجارية

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.58.

[2] Joao mascrenhas, Op.cit., p.69 أنظر الباب الثالث الفصل الثاني مبحث ملابس الرجال من هذا العمل

[3] Haëdo, (F.D), " Topographie… ",In :**R. A.**, 1870, T.14, p.513

[4] Op.cit., p .88

[5] Op.cit., T.5, p.230

[6] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p. 69

في فترات السلم كما سبق توضيحه. وعلى ذكر الراتب ؛فقد كان في السنة الأولى زهيدا وكان يرتفع تدريجيا في كل سنة بصورة أنه كان يصل بعد خمس سنوات إلى أعلى نسبة له وهو الراتب الذي كان يطلق عليه اسم **ساكسون** (**sakson**)[1].

وقد كانت كل ثكنة من هذه الثكنات تشتمل على مسجد ، وكان يوجد كذلك في كل منها مسيحيان من الأسرى من عبيد الديوان، كانا يقومان بكنس الغرف، وإشعال المصابيح وغيرها من الأعمال لصالح الإنكشارية الذين كانوا يقيمون في تلك الثكنات، وكان هؤلاء الأسرى العبيد الذين يعملون في الثكنات غالبا ما يعاملون معاملة الزملاء، أو الإخوة الصغار أكثر مما يعاملون كخدم[2].

ومن بين الأعمال الأخرى لهؤلاء الأسري المسيحيين ما ذكره شستال دو بويس (le sieur du chastelt des boys) في القرن 11 هـ(17 م)إذ سجل أنه عمل لدي سيده الثالث الذي كان أوذاباشي يدعى بيرام كطباخ في الثكنة؛ حيث ذكر أن هذا الأخير، وبعدما اشتراه أخذه معه إلى ثكنته، وجعله يراقب كيفية اعداد الطعام التي كانت تتم كل مساء جماعيا بين الجنود الموزعين في بعض الغرف التي عرفها بكونها مساكن مربعة متجاورة، و مسندة بعضها لبعض شبيهة بغرف رجال الدين في مراقدهم التي يرى في وسطها ساحة كبيرة تشبه فناء الأديرة وهذا وصف لتكوين الثكنة المعماري ،وإن كان هذا يهم موضوعنا فإن الذي يعنينا في هذا المقام قوله أنه لم يتأخر طويلا في تنصيب نفسه طباخا في غرفة ، أو أوضة سيده بيرام ،وقد تعلم في أيام قليلة كيف يمزج الفلفل الحار، والبرتقال مع الكرنب- الملفوف - والكسكس مع الدجاج، و العسل ،والزيت مع الخبز الساخن وتحضير السمك الذي لم يكن تعلمه أقل سهولة فقليه ،وتحضيره بالمرق كانت تلك طرق تحضيره الوحيدة ،و ذكر أيضا أن الأتراك العثمانيين لم يكونوا لا نهمين ،ولا محبين للطعام بشراهة على عكس ما كان عليه الناس في أوروبا[3].كما كان يوجد بالثكنات أسري يقومون ببيع التبغ، واللحم المطبوخ، و كانوا يدفعون للديوان ضريبة للسماح لهم بهذا النشاط[4].

[1] Grammont (H. D. De), Op.cit., p.46
[2] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p.70
[3] Sieur René du Chastelet des boys, In: **R.A.**, T.13, 1869, p.355
[4] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T5, p.230

وكانت هذه الثكنات مخصصة لمعظم الإنكشارية الذين كانوا عزابا، ومن ثم كانوا يعيشون عيشة جماعية فيها ، في حين كان على أعضاء الإنكشارية المتزوجين أن يجدوا سكنا لهم في المدينة[1] ،ولكنهم مع هذا كانوا يحصلون على نفس كمية الخبز اليومية مثلهم في ذلك مثل الإنكشارية الآخرين في الثكنات في حين هناك من يذكر أنهم كانوا يفقدون حصتهم من الخبز في حال زواجهم[2].وقد ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16 م) أنه وجد من الإنكشارية من كانوا يقمون بإكتراء محل يستعملونه للإقامة فيه،ولكن بقية الجنود الذين كانوا يشكلون الأغلبية كانوا يقيمون في الثكنات[3] كما سبق الإشارة إليه.

وهكذا كانت الحياة الاجتماعية للإنكشارية، في أوساط الثكنات ميزتها الانضباط والاستعداد الدائم لأداء مختلف المهام، وكانوا يشغلون أوقات فراغهم بلعب الشطرنج ، أو لعبة شبيهة به. و فيما يلي إشارة لأهم الثكنات خلال القرنين 10هـ (16م)و11هـ (17 م):

1-ثكنة باب عزون :

لقد كانت الثكنة الأكثر أهمية، ولهذا كانت تسمي بالكبيرة، و قد كانت تسمي أيضا باللبنجية ؛أي شاربين اللبن لأن الإنكشارية الذين كانوا يسكنون فيها اعتادوا عندما كانت تقل المؤونة بسبب سوء الأحوال الجوية أن يذهبوا لانتظار العرب في مكان يقال له عين ربط اليوم قرب قرية الأغا للحصول على هذا الطعام بسعر بني ميزاب الذين كانوا يحتكرون تجارته ولقد بنيت هذه الثكنة سنة 955 هـ/ 1548م من طرف محمد بن مصطفي، ومن بين جدرانها خرج عدة دايات أو موظفين سامين في الدولة[4].

2-ثكنة أو دار إنكشارية الخراطين:

و كانت تقع في شارع باب عزون و حملت اسم الخراطين بسبب كثرة الخراطين الذين اكتروا دكاكين، وحوانيت في هذا المكان من شارع باب عزون المسمى حومة سوق الخراطين ويقال أنها الأكثر قدما في مدينة الجزائر، وأنه تم بناؤها من طرف خير الدين، وكانت تتكون

[1] Gramaye (J. B), Op.cit., p.198

[2] جون ب. وولف، المرجع السابق، ص.162

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" ,In: **R.A.**, T.14, 1870,p.513

[4] Albert Devoulx, « Les casernes de janissaires à Alger », préambule de BERBBRUGER (A) ,In:**R.A.**,T.3,1858-1859,p.133

من بنائين ، عرفا بالأيمن ،والأيسر بحسب موقعاهما للداخل إلى ثكنة[1] وأقدم إشارة إليها في الوثائق حسب ألبير ديفوا هي سنة 1008هـ/1599-1600م[2].

3-ثكنة أو دار إنكشارية مكارون (مقارون) :

قد كانت تسمي هكذا كما كان يقال بالخطأ لأنها كانت مسكونة من طرف أتراك مسنين فقدوا أسنانهم ويقتاتون بالمقرونة فقط لعدم قدرتهم على مضغ مواد غذائية أكثر صلابة [3]فلاسم الأصلي لهذه الثكنة قبل تحريفه هو ثكنة المقرئين أو المكررين[4]،ويذكر ألبير يفوا أن عقد متعلق بأحد المباني العائد إلى هذه الثكنة مؤرخ في أوائل شوال 1011 هـ (من14 إلى 13 مارس 1603) يصفها ،أو يعرفها كالآتي" علوي بأكمله في داخل الثكنة التي قام ببنائها المرحوم على باشا بالقرب من قاع الصور ،وتظل على البحر وهو محدد من جهة ببيت المرحوم صالح باشا.

ويشير دائما ديفوا أنه عند الاطلاع على كرنولوجيا حكام إيالة الجزائر نجد أنفسنا محمولين على أن نعترف بأن الباشا الذي يتحدث عنه العقد المعني لا يمكن أن يكون إلا علج علي الذي حكم من 976 هـ (1568م-1569م) إلى997 هـ(1571 م-1572 م)؛إذا فبناء هذه الثكنة يعود إلى هذه الفترة[5].

4-ثكنة الكودارين أو دار الإنكشارية متاع الخضاريين :

وهي في واقع الأمر ثكنتين اثنتين إحداهما تدعى **القديمة ،أو الفوقانية** لأنها كانت الأقدم و العلوية، أو الفوقانية بسبب موقعها بالنسبة للأخرى ومن الآثار الدالة عليها نقيشة جاء فيها : "**تم بناء دار من حسن الديار باليمين واليسار للعسكر الحرار اياام تبليغ المراد دولة مولانا مراد في زمان الباشا حسين لازال مبسوط اليدين على يدى موسى اليسرى الأندلسي الحميري عام ثلاثين والف وسبعة بحسن وصف من هجرة المختار صلى عليه البار مادامت الجزائر تعمرها العساكر**"[6].

---

[1] Ibid., (préambule de BERBBRUGER (A) p.135
[2] Ibid., (Albert Devoulx) ,p.142
[3] Ibid., (préambule de BERBBRUGER (A) p.135
[4] أرزقي شويتام ،دراسات ووثائق... ،ص.29
[5] Albert Devoulx," Les casernes …", p.139
[6] Gabriel Colin ,Op.cit.,p.35

ومن خلال هذه النقيشة نستخلص أن بناء الثكنة القديمة قد تم في عهد الباشا حسين (1624-1629م)،و في عهد السلطان العثماني مراد الرابع (1623- 1649م) وقد بنيت على يد المعلم أوسطا موسى الأندلسي وذلك سنة1627م[1].

وقد أطلق على إنكشارية هذه الثكنة دايلم ؛أي ناس الخير، و كانت هناك حبال وسلاسل متدلية أمام بابها فإذ وجد مجرم باحث عن الملجأ، والجيرة ،ولم يستطع الدخول في الثكنة كان يمسك واحدة من هذه السلاسل ،وهو يصرخ شريعة الله يا سلطان، وكان يتم انقاذه وتقديمه للمحاكمة، وأقدم إشارة إليها في الوثائق حسب ديفوا هي سنة 1106هـ/1694-1695م[2]. وفي وثيقة بيان العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارة إليها في: *"عقد الدار لكاينة تحت دار يكجيري{كذا} قديمة بزنقت{كذا} غير نافذة تحبيس الحاج ابراهيم الأندلوسي1103 هـ* [3] *وفي "رسم الحنوتين{كذا} الكاينين فوق دار يكجيري قديمة تحبيس سلمان ريس 1053هـ "*[4]وفي عقد تحبيس في سلسلة المحاكم الشرعية :"....جميع الدار الكاينة أعلا دار الإنكشارية القديمة بناحية باب عزون ...."[5].

أما الثكنة الثانية؛ **فهي الثكنة الجديدة، أو التحتانية** كانت تسمي كذلك لكونها أحدث بناءا من الأولى ،والسفلى ،أو التحتانية بسبب موقعها بالنسبة للأخرى ومن الآثار الدالة عليها نقيشة جاء فيها :

"كمل هذا البناء المعمور عن اذن العسكر المنصور في ولاية المولى الكبير ابي الحسن باشا الشهير خليفة الباديشاح خلد الله لنا ملكه في الأفراح على يد الأمين السيد علي ابن السيد موسى صاحب المباني في أوايل شهر ربيع الأول عام سبعة و أربعين وألف الأكمل "[6].

---

[1] Ibid.,pp.36-37

[2] Albert Devoulx, " Les casernes de ...", (préambule de BERBBRUGER (A) ,p 135

[3] عبد الجليل التميمي ، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية تونس ،1980، ص.58.

[4] المصدر نفسه، ص.61

[5] الوثيقة رقم78 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"، في العلبة84 -85 -86،تاريخها أواسط شوال 1112هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[6] Gabriel Colin, Op.cit., p. 42

ومن هذه النقيشة نستخلص أن بناء هذه الثكنة تم في عهد الباشا أبو الحسن علي (1637-1639م)،و في عهد السلطان العثماني مراد الرابع وقد بنيت على يد ابن المعلم أوسطا موسى الأندلسي وهو الأمين سيدي علي[1]؛ وذلك سنة 1637 م.

و وردت إشارة إلى مسألة بناء هذه الثكنة ،وذكر المشرف على العملية في أحد عقود المحاكم الشرعية:" ..... ورام الآن المعظم الأجل الزكي الأفضل الأحضى الأرضى الخلاصة المرتضى أبو إسحاق السيد إبراهيم ابن المرحوم بكرم الله الحي القيوم السيد موسى الشريف الحسني الأندلوسي الناظر الآن على العيون بالبلد المذكور من ولاة الأمر معاوضة الكوشة المذكورة بالحانوتين.....بقصد جعل الكوشة المذكورة بابا بدار الإنكشارية التي أحدث الأن بناءها الناظر المذكور باذن أهل الحل والعقد من ولاة البلد ....."[2].

وقد أطلق على إنكشارية هذه الثكنة إنكشارية رصاص الفضة لأنهم كانوا يتدربون على الرماية في رحبة الفحامين –سوق الفحم– التي كانت متواجدة فوق مرتفع وكانت مهارتهم المميزة، والخاصة في الرماية تجلب لهم المكفآت[3].

و نجد إشارة لدار الإنكشارية الجديدة، ولدار الإنكشارية القديمة في عقد من عقود المحاكم الشرعية عند تحديد موقع دار اشتركت في ملكيتها شقيقتين :".....وجميع الدار الكاينة اسفل دار الانكشارية القديمة اللصيقة بالكوشة الكاينة هناك مسامية مصامتة {كذا} لدار الانكشارية الجديدة .....[4].

5– دار إنكشارية أوسطا موسى :

التي كانت تقع في شارع البحرية، و قد كانت تسمي كذلك كما يقال نسبة إلى السيد أو المعلم – الأوسطا–موسي لأن هذا الأندلسي الذي تنسب إليه بناء قناة الحامة والعديد من المباني الأخرى في مدينة الجزائر كان يقيم بها بصفة إنكشاري[5].ويذكر ديفوا أنه لا توجد

[1] أنظر الفصل الخاص بالمرافق المائية والصحية من هذا الباب

[2] الوثيقة رقم 13 « رسم معاوضة أوقاف لصالح فقراء الحرمين الشريفين "في العلبة 10-2،تاريخها غرة شهر صفر الخير المبارك1088هـ(1677 م) ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3]Albert Devoulx, « Les casernes...", (préambule de BERBBRUGER (A) p. 136

[4] الوثيقة رقم19 في العلبة 119-120، المصدر السابق

[5] Albert Devoulx, " Les casernes...", (préambule de BERBBRUGER (A) p.136

في الأرشيف أي إشارة إلى هذه الثكنة قبل تاريخ 1085 هـ(1674 م-1675 م)؛وهو تاريخ وثيقة أرشيفية ورد فيها اسم هذه الثكنة وتعين موقعها كالآتي: ثكنة أو دار إنكشارية أوسطا موسى القريبة من باب البحر بعض الوثائق تضيف والمعروفة بكونها مجاورة للباب المسمى باب الجزيرة ولهذا عرفت أيضا بثكنة باب الجزيرة[1].

6-ثكنة الدروج:

و سميت كذلك لأنه كان يتوجب للوصول إليها صعود درج ،وكان يعطي لها اسم ثكنة الدواميس في بعض الأحيان بسبب الحي القريب منها، والذي كان يحمل نفس الاسم وكانت تقع بالقرب من باب الجهاد ؛أي باب الجزيرة.[2] والدليل على ذلك الإشارة إليها في نقيشة كانت تعلو باب الجزيرة أو باب الجهاد" .....**فقلت أهلا يا باب لا فارقك السعود مفتوحا فانت باب الجهاد.....حداك ولقربك ديار فيها جنود** ....."[3]، وقد عرفت في البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي بثكنة القناصل لكونها كانت مقابلة لشارع القناصل[4] قبل أن يتم تدميرها من طرف الاحتلال الفرنسي، ويذكر ألبير ديفوا أنه لا توجد في الأرشيف أي إشارة إليها سابقة لتاريخ 1106هـ (1694 م-1695 م)[5].

4-سجون الأسرى العبيد المسيحيين(Les Bagnes) :

أ-التعريف بسجون الأسري العبيد المسيحيين وحياتهم فيها :

إن كلمة سجن جاءت من الكلمة الإسبانية بانو(bano)وتعني الحمام [6] في حين هناك من يذكر أن أصل الكلمة إيطالي(bagno)؛والذي معناها بالدرجة الأولى "حمام"أيضا[7]. إذ في البداية كان الأسرى العبيد يسجنون في الحمامات خلال فترات الليل ،و فيما بعد تزايد

---

[1] Ibid., p. 145
[2] Ibid., (préambule de BERBBRUGER (A) p. 136
[3] Gabriel Colin, Op.cit., p.37
[4] أرزقي شويتام ،دراسات ووثائق...، ص.29
[5] Albert Devoulx, Les casernes..., p.147
[6] و إلى جانب الفرضية المذكورة أعلاه قدمت عدة روايات، ووضعت عدة فرضيات لمحاولة تفسير سبب اعتماد هذا المصطلح ،وإطلاقه على سجون الأسري المسيحيين علما أن هذا المصطلح أستخدم أيضا من طرف الأوروبيين كبانيو ليفورن المعروف منذ سنة 1540 م والذي خصص للأسرى المسلمين حول هذا الموضوع أنظر :
Gabriel Audisio, recherche sur l'origine et la signification du mot Bagne, In: **R.A.**,T.101, 1957, pp.363-379
[7] Ibid., p.365

عددهم؛ فأقيمت مباني خاصة لهم، والتي احتفظت بهذا الاسم،وقد كانت شبيهة في حسن تجهيزها بالثكنات المخصصة للأوجاق[1].

في حين يصفها هايدو في القرن 10 هـ(16 م) بأنها كانت شبيهة بالاسطبلات، وهذا طبعا يعكس مدى عداوته للمسلمين حينها، و في الواقع كان سجن الأسرى من الداخل يشبه كل المنازل في مدينة الجزائر، إذ كان يحوي ساحة داخلية محاطة برواق يرتفع من فوقه طابق هذه المباني كانت مجهزة بحيث قسمت إلى غرف ،وبيوت كان بإمكانها استيعاب ،أو احتواء من 15 إلى 20 شخصا، ولم تكن تحتوي على أثاث باستثناء حصائر منسوجة من القصب، أو الحلفاء وفي بعض الأحيان كانوا ينامون على أسرة شبيهة بأسرة التخييم؛ والتي كانوا يصنعونها بأنفسهم والأواني الوحيدة المتواجدة بها كانت عبارة عن بعض الأواني من الفخار المخصصة لاحتواء الماء أو الطهي[2].

وهذا ما ذهب إليه أحد أعلاج مدينة الجزائر حين ذكر أن سجن البانيو لم يكن سجنا تقليديا بزنازين يسجن فيها السجناء الأيام بطولها ،ولكنه كان عبارة عن مجموعة مباني تشبه الثكنات ،وساحات ملحق بها فضاء سجن مفتوح أين كان يأتي معظم العبيد للأكل والنوم عندما لم يكونوا مشغولين بإنجاز أشغال ،وأعمال في المدينة كل هذه المميزات تجعل من بانيو الجزائر أحد السجون الأكثر انفتاحا في العالم، والدليل أن العديد من السجناء تمكنوا من الفرار منه[3].

ويبرز لنا ذلك أيضا من خلال قيام أحد القناصلة الفرنسيين بالمقارنة بين سجون الأسري المسيحيين في مدينة الجزائر ونظيرتها في بقية مناطق بلاد المغرب الإسلامي؛ حيث يذكر أنه على عكس الأسرى العبيد في سجون مدينة الجزائر؛ فالأسرى العبيد في تونس ،وسلا و تيطوان كانوا يسجنون في سراديب تحت الأرض ولم تكن لهم الحرية مطلقا في الخروج منها[4].

و قدر هايدو عدد هذه السجون في أواخر القرن 16م(10هـ) بثلاثة سجون[5] في حين قدرها

[1] Grammont (H-D.DE), La Course…, p.63 Voir aussi Corinne Chevallier, Op.cit., p.56
[2] Ibid.,,pp.64-65 voir aussi Corinne Chevallier, Op.cit., p.56
[3] Paul mombelli, op.cit., chapitre 5" Bange d'Alger "
[4] Relation véritable contenant le rachat...,p4
[5] "Topographie …" , In :**R.A.**, T.15 , 1871, p.394

جواؤ مسكغناس (Mascarenhas)بأربعة سجون وذلك خلال القرن11 هـ (17م)[1].

أما الأب دان وهو من أهل القرن 11 هـ (17م) أيضا؛ فقد ذكر أن مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت تشتمل على 6 سجون رئيسية، وهامة هي: **سجن الملك** «domas regis » الذي كان الأكبر والأوسع، **وسجن علي مامي** الذي كان يقع بالقرب من باب الواد و **سجن الكراغلة** ،و **سجن سيدي حسن**، أو **البسطارد** ،و **سجن سانت كترينا**[2]. و ما سبق ذكره لا يعد جردا دقيقا، وشاملا لسجون الأسرى العبيد ،ولكن ذكر لأبرزها التي ورد اسمها في المصادر؛ وفيما يلي ذكر لأهم هذه السجون ،أو البانيوات :

1- السجن الكبير:

كان يقع في الشارع التجاري المعروف بالسوق الكبير على بعد 400 خطوة انطلاقا من باب عزون للذهاب إلى الشرق ،وكان شكله عبارة عن مستطيل ؛حيث قدر طوله بـ 70 قدما وعرضه بـ 40قدما وكان يقال له أيضا بانيو الملك (بانيوا دل راي banno del rey) الذي بني من طرف خير الدين وكان ينقسم إلى أرضية، وطبقة عليا مقسمة بدورها إلى العديد من الغرف الصغيرة كانت تحوى كل منها 10 إلى 15 أسيرا؛ فقد كان يمكن لهذا البانيو أن يستوعب لوحده في العادة 500 عبد أسير ،وأحيانا كان يصل عددهم إلى 2000 عبد أسير وفي وسط ساحة هذا السجن كان يوجد خزان للمياه كما كانت تسيل عين ذو ماء صاف ،وطيب ووجدت نافورة ماء جميلة[3]أيضا. وبالإضافة إلى السجن الكبير، أو سجن الملك كان يوجد بانيو آخر معروف بسجن البسطارد ،« bastard » أو سجن الديوانة.

2- سجن البسطارد ،« bastard » أو سجن الديوان

وقد تم بناءه من طرف الحسن بن خير الدين بعد انتصاره على الكونت دلكودات بالقرب من مستغانم سنة 1558م[4].ولم يكن كبيرا مثل سجن الملك ؛ لكنه لم يكن أقل منه من حيث الفن المعماري و كان بدوره ينقسم إلى الكثير من الغرف ؛و كان يوضع فيه على وجه الخصوص الأسرى الذين يعرفون" بعبيد المخزن" لأنهم كانوا ملكا للمدينة؛ أي لكل المجتمع ؛حيث كانوا يستعملون من طرف الآغا، والإنكشارية للقيام بأعمال تهدف للخدمة العمومية ،و ذات المنفعة

[1] Op.cit., p.71
[2] Op.cit., p.412
[3] Gramaye,Op.cit., p.155
[4] Ibid., p.55

العامة بعد أن كانوا في البداية يوظفون في التجديف ،وكان الباشا يستجيب دوما لما يحتاجون إليه في كل يوم ، والأسرى العبيد الذين كانوا يسكنونه كانوا يتمتعون بحرية كبيرة إذ كانوا يستطيعون الذهاب والرجوع كما يحلو لهم، طالما لم يكلفهم الأغا، أو الإنكشاريون بأي عمل،وقد كان هذا السجن لا يحوى إلا من 40 إلى 500 شخص، وليس أكثر من ذلك[1].

وكذلك **بانيو أو سجن الرايس علي بتشين** الذي كان يحوي حتى550 أسير ولاسيما بعد توسعته المعتبرة ، وقد كان يوجد إلى جانب السجون ،أو البانيوات السابق ذكرها سجون أخري مثل :**سجن فرحات باي،** و **سجن الكراغلة** [2]،وكل منهما كان يحوي في الحالات العادية 120 مسيحي مع حراسهم الذين كانوا عادة من الأعلاج.

ولابد من الإشارة إلى أن بعض هذه السجون، كانت تحوي بعض الأسرى الذين تعود ملكيتهم إلى الخواص[3]؛الذين لم يكونوا يملكون أمكنة تكفي لإسكانهم لديهم ،أو عندما كانوا يريدون معاقبتهم؛لأنهم لم يطعوا أوامرهم ،وكان يمكن القيام بذلك مقابل مبلغ صغير من المال[4].

كما أن كثير من الخواص كانوا يقودون أسراهم العبيد إلى هذه السجون خاصة عندما كان سيتم تحريرهم بدفع الفدية المحددة لهم، لأن هذه السجون كان يمكن أن تستوعبهم، و توفر لهم الراحة والأمان إلى أن يأتي موعد فدائهم[5].

و كانت هذه السجون " البانيوات" بمثابة مسكن فعلي للأسرى؛ إذ كانوا ينظمون جلسات في ساحاتها الواسعة؛حيث كانوا يقومون بإعداد الطعام كالدجاج،و الأرانب على نار هادئة، والبعض منهم كان يقضي أوقات فراغه في لعب الورق، والمناقشات؛ فقد كانت القصص،و الحكايات الطويلة مصدرا للترفيه، و المسامرات؛ إذ كانت قصصا ملفقة حول العالم الموجود خارج مدينة الجزائر ؛فقد كان أكثر الأسرى بحارة،و بالتالي كانوا ينسجون القصص عن الأماكن،والعادات الغريبة التي شهدوها على شواطئ الهند ،و أسيا عموما، و في العالم

[1] Haëdo, (F.D), "Topographie …", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.395

[2] في حين يذكر الأب دان في القرن11هـ(17م) أنه كان يوجد بمدينة الجزائر العديد من البانيوات لكن أهمها ستة وهي:بانيو الملك وهو الأكبر، والأكثر اتساعا فيها وبانيو علي مامي من رياس البحر ،و بانيو الكراغلة ،وبانيو سيدي حسن، وبانيو يعرف بعرباجي ،وبانيو سانت كترينا.أنظر:Dan (Père Pierre François) , Op.cit.,p.412

[3] Mascarenhas, Op.cit, p.74

[4] Grammon(H-D.DE), "La Course …. ", p.63

[5] Corinne Chevallier, Op.cit.,p.57

الإفريقي الأوروبي ،و كانت لغة الفرنكا هي التي تستعمل في قص تلك القصص ليفهمها جميع الأسرى العبيد؛ فقد قال دراندا في هذا الشأن خلال القرن 11ه (17م):

"كنت أجد متعة كبيرة في الاستماع إلى ما كان يحدث في أوساط عبيد البانيو لدرجة أنه عندما كنت أقيم عند سيدي محمد شلبي وغا كنت أذهب للبانيو-بانيو علي بتشين – للتسلي و للترويح عن نفسي بالتحدث مع فرنسوا الطالب ، والذي كان يوجد دائما من حوله عبيد دونكركوا (Dunkerquois) كانوا يقصون مغامراتهم، و المواجهات البحرية التي كانت تحدث لهم في البحر ،أما الهولنديين؛ فكانوا يحكون عما كان يحدث في الهند الشرقية،وفي اليابان والصين في حين أن الدنوة أي الدنماركيين، و الهمبورغوا كانوا يتحدثون عن صيد الحيتان في غريلند ، وفي أي وقت من السنة كانت الشمس تسطع في أيسلندا، ومتى كانت لياليهم ذات الستة أشهر تنتهي، وعندماكان يفتر إقبالي واهتمامي بالاستماع إلى هذه المناقشات و الحوارات كنت أذهب إلى عند العبيد الإسبان الذين كانوا يحكون عن ممالك ملكهم وطريقتهم في حكمها ،فيروون عن ملذات مكسيكو أو ثروات البيرو، وفي حالة ذهابي إلى حيث كان يتجمع العبيد الفرنسيين؛ كنت أستمع إليهم يتحدثون عن الأرض الجديدة وكندا وفرجينيا ؛فكل العبيد تقريبا كانوا أناس بحر"بحارة "[1].

كما كان يوجد بداخل هذه البانيوات محلات لبيع الخمر ؛أي خمارات يديرها الأرقاء والتي كان يباع فيها عادة الخمر، والخبز، واللحوم من كل الأنواع، وأطعمة أخري سهلة التحضير كالكسكس[2].

وكانت هذه الأخيرة بمثابة ملتقى عام كان يسرع إليه كل عبيد المدينة عندما كانت لديهم ساعة، أو اثنتين من الراحة، والفراغ؛ حيث كان يتم فيها تبادل الأخبار عن مدينة الجزائر و عن أخبار الأمم المسيحية التي أحضرها آخر القادمين إلى مدينة الجزائر من العبيد الأسرى كما كان يخطط فيها للمشاريع المستقبلية كمشاريع الفرار[3].

و مارس بعض الأسرى في هذه السجون تجارة تعتمد أساسا على المسروقات؛ أي أقاموا بها أسوق لبيع حصيلة سرقاتهم؛إذ فور إغلاق الحارس للأبواب عند حلول الظلام كانت تتم

[1] ARANDA (Emmanuel d') ,Op.cit., pp. 238-239
[2] DAN (R.Père François Pierre) Op.cit., p.89
[3] Grammont (H-D.DE), La Course …, pp.66-67

عملية شراء و مقايضة الأشياء المسروقة خلال اليوم من طرف الأسرى العبيد ،وهذا ما أشار إليه الأسير دراند حين قال :" بمجرد أن أغلق الباب رأيت عجوزا صاحب دهاء ومكر مثل الثعلب وهو عبد إيطالي الأصل يحمل الكثير من الملابس من الصوف والقمصان ،.....،و إناء من نحاس وأدوات أخري مشابهة ،وبدأ ينادي قائلا : بكم؟ فسألت عبدا كان فارسا–قبل أسره– ماذا يعني هذا؟ فأجابني بما أن سيدنا لا يعطي الطعام لعبيده؛ فإن القسم الأكبر منهم يعيشون مما يسرقون وفي كل ليلة تباع غنيمة ذلك اليوم[1]–من المسروقات –.

ولتبرير هذه الظاهرة يذهب البعض ممن كتبوا عنها إلى القول بأن الضرورة هي التي فرضت عليهم ذلك أي الحاجة ،و الجوع، أو بتحريض من أسيادهم من المسلمين، وما ذكرناه سابقا في الباب الأول من هذا العمل ينفي ذلك، و من ثم يبدو أن هذه الأعمال ارتبطت بسلوكيات شخصية. و لابد هنا أن نشير إلى أن العثمانيين كانوا رحماء، ومحسنين اتجاه الأسرى العبيد، ولم يكن من النادر أن ترى منهم من يأتي إلى البانيو متبوعا بخادم محمل ببعض المؤن، والصدقات الموجهة للأسري العبيد[2].

وكان يشرف على هذه السجون حراس كان دورهم يتمثل أساسا في الحفاظ على نوع من النظام داخل السجن، ومراقبة توزيع المؤن؛ أو الطعام بالإضافة إلى التأكد من خروج الأسرى العبيد المخصصين للعمل، وكان يحرص أيضا على أن تنظف الممرات والغرف بعناية وأن تبيض بالجير مرة في الأسبوع، بالإضافة إلى مراقبته، وتفقده وتأكده من أن كل الأسرى قد عادوا قبل حضر التجوال، وإطفاء الأنوار[3].

ب–الممارسات الدينية داخل البانيوات:

و لابد أن نشير إلى أنه كان يوجد بهذه السجون "البانيوات " كنائس كانت تتيح للأسرى العبيد أداء طقوسهم الدينية بكل حرية.

ففوق ربوة، أو مرتفع داخل سجن الملك« domas regis »**أو السجن الكبير** وجدت كنيسة كان يؤدي فيها المسيحيون صلاتهم، وكان يقام فيها القداس طوال السنة، وخاصة الاحتفالات

[1] ARANDA (Emmanuel d'), Op.cit., p.20
[2] Grammont,(H-D.DE) , La Course ..., Op.cit .,p.69
[3] Ibid, p.69 voir aussi Corinne Chevallier, Op.cit., pp.56- 57 voir aussi DAN (R.Père François Pierre) Op.cit., pp.411-412

الدينية **كعيد المسيح**، وفيها كانت تنشد الأدعية الدينية في انسجام وحسب ما ذكره هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16م) ؛فقد كانت هذه الكنيسة مقصدا لعدد كبير من الأسرى المسيحيين الأوفياء على حد قوله الذين كانوا يحضرون قداس أيام الأحد ،والاحتفالات الدينية وأيام العطل؛ ففي أيام الآحاد كان يوجد عدد كبير من الحاضرين لدرجة أن لا يتسع لهم المكان؛ فكان الراهب يضطر إلى قول القداس في الخارج ؛أي في ساحة البانيو[1].

و كان يتولى الإشراف على هذه الكنيسة رجال دين كانوا هم أنفسهم أسرى ببانيو الملك وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن عددهم كان يقدر بـ 40 رجل دين من كل الأمم المسيحية، وكان منهم رجال مثقفين متعلمين، ومعلمين، وأطباء[2].و من ثم فإن القيام بالواجبات الدينية المختلفة بالنسبة للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كان أمرا ممكنا وميسرا بالنظر إلى العدد الكبير من الرهبان الذين كانوا يشرفون على هذه الكنائس.

و نال هؤلاء الرهبان الاحترام من طرف العثمانيين ؛حيث كانوا يعاملون بالحسنى خلال أدائهم لعملهم و مرد ذلك عملهم الخيري من ناحية،و تأثيرهم الإيجابي على سلوك، وسيرة الأسرى الأرقاء من ناحية ثانية[3].

وقد ذكر دراندا في القرن 11هـ(17م) مثالا لأحد هؤلاء وهو المدعو "الأب أنجال "الذي كان يقيم في بانيو علي بتشين؛ حيث كان يقول القداس يوميا في كنيسة هذا البانيو؛وقد فضل تقديم مبلغ فدائه الذي جمعه أصحابه في جنوة كصدقات على الأسري العبيد[4].

و تمكن المدعو "الأب أنجال " من كسب ود واحترام كل الأسري العبيد بغض النظر عن جنسياتهم ،ومذاهبهم بما في ذلك الروسيين الأرثودوكس،وكان لأخلاقه،وسلوكه محترما ،ومقدرا حتى من طرف الأتراك العثمانيين أنفسهم،وبالنظرا أيضا إلى عمل الخير الذي كان يقوم به؛فقد كان يصلح ويحسن العلاقات ما بين الأسري العبيد في البانيو عند حدوث خصومات ،ومشدات وصراعات في أوساطهم كما كان يهتم بالمرضي من الأسري العبيد؛ فيتدبر لهم بعض اللحوم اللذيذة وكان يوزع الصدقات على المحتاجين منهم ؛إذ لم يكن ينقصه المال أبدا بفضل بعض العبيد الأتقياء–حسب تعبير دراندا– الذين كانوا يزودونه بالصدقات لتوزيعها على الفقراء[5].وهذا دليل

[1] Haedo, (F.D), "Topographie …" , In: **R.A.**, T.15, 1871, p.394
[2] Ibid., p.394
[3] Garrot (Henri) ,Op.ci.,p.30
[4] ARANDA (Emmanuel d'),Op.cit., p.240
[5] Ibid., p.241

على أن وضعية الأسري العبيد لم تكن سيئة، وبائسة كما تصفها المصادر الغربية.

كما كان **سجن البسطارد** ،« **bastard** » **أو سجن الديوانة** يحوى بدوره كنيسة كانت تعرف "بسانت مريا "،وكانت تتميز بكونها تشتمل على مذبحين، أو هيكلين واحد مخصص للعذراء والآخر لسانت لوسيان و لجماعة إخوان دو غوزاغ–وهي تنظيمات دينية– و كانت هذه الكنيسة ببساطة بارزة ،ومثيرة للاهتمام ،والإعجاب بزينتها ،وكذا بأثاثها المقدس على حد تعبير غرماي في القرن 11 هـ (17 م)،والذي سجل أيضا أنه كان يقصدها الكثير من الأسرى العبيد وكان يشرف عليها قس أو كاهن يقيم بالبانيو المذكور مثلما كان الحال في كنيسة التنظيم التثليثي في بانيو الملك[1].في حين يذكر جواؤ مسكغناس (Mascarenhas) في القرن11 هـ(17م) أنه :"في كل يوم كان يذكر في كنائس البانيوات أكثر من 15صلاة أو ترتيل بأبواب مفتوحة بفضل الله ورعايته، وكثيرا ما كان يدخل إليها بعض العثمانيين، والمور[2]{يقصد بهم بقية سكان مدينة الجزائر المسلمين} للتفرج وأضاف أنه في أيام الاحتفالات الدينية كان يقام قداس وعظة دينية مرفقة بموسيقي جيدة، و كان يصرف في كنيستي السجنين السابق ذكرهما في كل عام عشرين **خروبة** (arrobes) من الشمع"[3].والخروبة نوع من العملات النقدية.

كما كان يحوي سجن سانت كترينا، أو بانيو السيدة – المذكور آنفا– بدوره كنيسة كانت تعرف باسم البانيو الذي تقع به ،وقد كانت أقل أهمية من الكنيستين السابقتين ؛فقد كانت صغيرة فعلا؛ ولكن مع ذلك كان لديها مذبح منعزل بشكل كافي، وكانت توجد كنيسة أيضا في كل من **سجن فرحات باي** و **سجن الكراغلة**.

وقد سجل جواؤ مسكغناس (Mascarenhas)في القرن11 هـ(17 م) أن كل الكنائس المتواجدة في البانيوات المشار إليها آنفا كانت مجهزة بشكل جيد من حيث الأقمشة الحريرية الجميلة التي كان يسلفها العثمانيون أنفسهم لعبيدهم–وهذا دليل على التسامح الديني الذي كان يتمتع به الأسري العبيد في مدينة الجزائر–بالإضافة إلى الألواح، والرسوم الغالية –الأيقونات – الثمينة التي كانت ملك للكنيسة، والزينة التي كانت بها[4].

[1] Op.cit., p.159
[2] Joao Mascarenhas,Op.cit., p.74
[3] Ibid., p.74
[4] Ibid., p.71

وكان يعتمد أيضا في تجهيز هذه الكنائس على ما كان يتم تجميعه في مدينة الجزائر من أموال وغيرها كان يساهم فيها كل المسيحيين الذين يملكون ما يمكن تقديمه من خلال عملية جمع التبرعات [1] منهم التي كانت تقام مرة في كل أسبوع ،وكان لكل كنيسة يوم محدد من الأسبوع للقيام بهذه العملية؛ وبهذه الطريقة كانت هذه الكنائس تتزود بالشمع والزينة وتتمكن بفضل ذلك من الاحتفال بكثير من الخشوع (SOLENNITE)بكل الاحتفالات الدينية التي كانت تقام خلال السنة وفي وسط الكثير من الأنوار والزينة[2].

و في مقابل التسامح الديني الذي تمتع به الأسرى العبيد المسيحيون نجد بأن الأسري المسلمين بما فيهم الذين تعود أصولهم إلى الجزائر عانوا في أوروبا من الاضطهاد الديني من خلال عمليات التنصير الإجباري [3]؛التي تعرضوا لها بغض النظر عن أعمارهم أو أجناسهم ؛وهي عملية قننتها الكنيسة وعلى رأسها أعلى سلطة؛ وهي سلطة البابوات و هي مسألة شرحها ووضحها الأستاذ الباحث إبراهيم سعيود من خلال دراسته لتراث الأسري الجزائريين في إيطاليا حيث ذكر أن الكنيسة البابوية كرست وفق براءة بابوية صدرت بتاريخ 8 نوفمبر1548 م عن البابا باولو فارنيز عملية المتاجرة بالأسرى وتحويلهم إلى عبيد وبيعهم في الأسواق الإيطالية كروما ،وليفورن، والبندقية وجنوة ...إلخ [4].

كما نصت على إرسالهم إلى بيت التعميد بروما لتنصيرهم وتدعم هذا القرار البابوي ببراءة بابوية ثانية في 12 جانفي سنة 1549 م كان الهدف منها تعميم القرار السابق على كل

---

[1] في حين يؤكد الأب دان ما ذكره مسكغناس ولكن يفسر الهدف من عملية جمع التبرعات بالضريبة التي كانت تلتزم كل كنيسة بدفعها للمزوار في كل شهر أنظر: DAN (R.Père François Pierre) Op.cit.,p.430

[2] Joao Mascarenhas,Op.cit., p.63

[3] و لاسيما أن قضايا فداء الأسرى المسلمين في إسبانيا وإيطاليا كانت أمرا صعبا حسبما نستخلصه مما أورده جون .ب ولف في كتابه الجزائر وأوروبا؛ فإن القليل من الأسرى العبيد المسلمين من تم فداءه أو مبادلته بأسير عبد مسيحي، وفسر ذلك بغياب منظمة اسلامية تشرف على عمليات الفداء كما هو الحال بالنسبة للطرف المسيحي وغياب قناصل من بلاد المغرب الاسلامي في أراضي ملك إسبانية وعدم وجود وسائل منظمة لتسهيل عملية الفداء ،والمبادلة و بين أيضا أنه من حين إلى آخر كان يطلق سراح أسير مسلم من خلال مبادلته بأسير مسيحي؛حين تتوصل العائلتان إلى اتفاق بواسطة مساعي القنصل الفرنسي أو أحد التجار اليهود الذين كانوا يحققون مكاسب من وراء ذلك؛ لكن هذا الأمر كان يظل غير شائع و لا إعتيادي.أنظر :جون.ب ولف،المرجع السابق،ص.237

[4] إبراهيم سعيود ،من تراث الأسرى الجزائريين ..."،ص. 72

المقاطعات الخاضعة لسلطة البابا وكدليل على مدى التعصب الديني المسيحي الكاثولكي نجد أن هذا القرر طبق على من أسروا قبل صدوره ؛أي تطبيق مفعول الأثر الرجعي وبما أن التنصير الإجباري لم يكن يميز بين الأسرى لا من حيث السن ،أو الجنس صدرت براءة أخرى على يد البابا بيوس الرابع بإنشاء بيت تعميد جديد تحت إسم "بيت الدير "لتنصير الأسرى المسلمين مجاور للسابق خصص لإيواء الأسيرات المسلمات اللواتي نصرن وتوالت قرارت أخرى في عهود أخرى تصب بنفس الإطار ،و تستهدف الأسرى من الأطفال المسلمين مثل تأسيس مدرسة سميت بمدرسة المعمدين الجدد في عهد البابا غريغوار الثالث وكان الغرض منها إيواء وتعليم الأطفال المسلمين المنصرين لإعدادهم لخدمة الكنسية والبحرية البابوية مستقبلا[1].

علما أن التنصير الإجباري لم يكن يعني التحرر ، والانعتاق من قيود العبودية ولا إمكانية الارتقاء في السلم الاجتماعي ،والسياسي، والعسكري ،وتحسين وضعهم الاقتصادي بل على العكس فقد كان ذلك مرادفا لمزيد من العذاب الروحي والجسدي[2].وهذا يعاكس تماما ماكان يحدث في الجزائر وعلى وجه التحديد مدينة الجزائر ؛حيث نعم وتمتع الأسرى العبيد المسيحيين كما سبق وتم توضيحه بالحرية الدينية ولم يجبروا على اعتناق الإسلام ؛فضلا على أن اعتناقهم للإسلام بإرادتهم الحرةكان يفتح لهم أفاق التحرر ،والانعتاق، والارتقاء الاجتماعي ،والسياسي والعسكري ،وتحسين مستواهم الاقتصادي والنموذج الحي عن ذلك عنصر الأعلاج[3].

---

[1] المرجع نفسه،صص.72-73

[2] والدليل على ذلك الوثائق المتواجدة بالأرشيفات الأوروبية التي شهدت ظاهرة الأسرى العبيد المسلمين وبخاصة الأرشيف الإيطالي ونخص بالذكر الرسائل التي كتبها الأسرى المسلمين؛ والتي تحوى وصفا للآلام والعذاب الذي عاشوه قبل وبعد التنصير الإجباري ،وللاطلاع على نماذج منها راجع :المرجع نفسه،صص.74-76

[3] ويذكر بربروجر عن ذلك في دراسته عن أصول حكومة الجزائر خلال العهد العثماني ما يلي :"... الكثير من هؤلاء الأسرى يصبحون أعلاجا ،و يصلون إلى أعلى المراتب والمناصب بما في ذلك منصب الباشا ؛وهم يحضرون معهم إلى هذه البلدان المعارف، والمهارات الأوروبية التي يطبقونها في مجال تطوير ،وتحسين النشاط البحري...."أنظر:

Berbrugger Adrien, le Pégnon..., p.107

و للمزيد من المعلومات عن الأعلاج راجع الباب الأول من هذا العمل

ج–الخدمات الصحية في البانيوات:

و لا يمكن تجاهل المستشفيات ،و الصيدليات التي أسست في البانيوات من طرف رجال الدين "القساوسة" الذين كانوا مكلفين بعمليات فداء الأسرى؛ فقد كانوا يساعدون الأسرى و يعالجونهم، و يدفنونهم عند وفاتهم.

و كان أول مستشفى للأسرى العبيد، قد بني سنة 1551م في أحد البانيوات – حيث يعتقد أن موقعه ربما كان وراء بانيوا الكراغلة ،أو في بانيو الملك – بفضل تعاون السلطات الجزائرية مع مؤسسه المدعو الأب سيبستيان دوبور(Sépbastien Duport) من الدير الإسباني دوبرقوس الذي شارك في إرسالية لفداء الأسري في مدينة الجزائر في سنة 1546م والذي عمل على تطوير تنظيمه وخدماته بكل تفان[1].

و قد وصف مستشفى السجن الكبير، أو سجن الملك خلال القرن 11 هـ(17م) من طرف أحد أفراد التنظيم لتثليثي المقدس وهو بيرنارد دو مونرو في رسالة بعث بها إلى رئيسه بتاريخ 20جوان " 1612م"مستشفي النظام التثليثي الذي أسسناه وقمنا ببنائه في غرفة ملحقة بتلك التي نستعملها ككنيسة، وبعد أن قمنا بتحضيره وتجهيزه بشكل أولي برخصة، وتصريح من الباشا ،و البلكباشي نحتكم هنا على ثمانية أسرة مثبتة في الجدران على ارتفاع قدم ونصف أربعة أسرة من كل جانب ،والجدران مغطاة بالحصير،أما المطارح، والأفرشة؛ فمن القماش ومحشوة بالصوف والأغطية ،والإزار من نفس الأقمشة أما بقية الزينة؛ فهي مشكلة من الملابس والخرق التي يحضرها المريض، و التي تتمثل في قمصان ، وبعض السراويل.ووضعنا وسط المستشفى مذبحا مع أيقونات – صور أو لوحات دينية– وصليب من النظام الأحمر والأزرق فإذ جاء المريض إليها يتم معالجة روحه بجعله يعترف بخطاياه ،ويطلب الغفران، ثم بالعمل على معالجة جسده متوفرين من أجل ذلك على حلاق بمثابة طبيب تم فداءه لديه كل مهدئاته– مخدراته أو الأصح مسكناته– وأدواته للمعالجة ،وللعناية بالمرضي لدينا مسيحي آخر مفتدي أصله من مدريد ابن السيدة كاترين ذو ميراندا{وقد يكون المقصود به تنظيما دينيا} وهما يخدمان المرضي المساكين بكثير من النشاط والرحمة "[2].

[1] Berbrugger Adrien," Charte des Hôpitaux Chrétiens D'Alger", In: **R.A.,** T.8 , 1864, pp.234-235

[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., pp.508-509

و نستخلص مما سبق أن المستشفى المذكور كان يحتوي على أسرة مصطفة على جانبي الغرفة ذات أغطية نظيفة إلى جانب هيكل ديني صغير عند الحائط ،وسط صفي الأسرة و كان يشتمل على طبيب، و ممرض مساعد، و نضيف أنه عادة ما كان يخدم في المستشفى مسيحيين كانوا يعتنون بالمرضى، و يدفنون الموتى ليس فقط من يموتون في السجن أو المستشفى، ولكن الأسرى العبيد الذين كانوا يموتون عند أسيادهم[1]، و كانت مصاريفه تدفع ،وتسدد عادة عن طريق صدقات الأسرى العبيد أنفسهم، و هذا دليل على أن هؤلاء لم يكونوا بؤساء بالقدر الذي تذكره المصادر.

كما أن بيرنارد دو مونرو أشار إلى مسألة أخري هامة من خلال الرسالة المشار إليها آنفا تتمثل في أن الكثير من المرضي كانت تتم زيارتهم من طرف رجال الدين "القساوسة"و حتى من طرف بعض سكان مدينة الجزائر المسلمين الذين كانوا يقدمون إليهم الصدقات، ويتعجبون بأنه لا توجد مؤسسة كهذه، أو أي شيء شبيه بها في مدينة الجزائر لمرضاهم [2].

وما سبق دليل على تعاطف سكان مدينة الجزائر مع هؤلاء الأسرى المرضي، والتسامح الكبير الذي كانوا يحظون به؛ وكذا تنبه أهالي مدينة الجزائر إلى أهمية المستشفى كمكان لتلقي العلاج كما نستخلص أيضا ادراكهم أنهم كانوا محرومين من خدمات مثل هذه المؤسسات الاستشفائية.

و حرص غرماي سنة 1619م على اتخاذ إجراءات هادفة لتطوير، وتدعيم هذه المستشفى حيث فكر في منحه تنظيما يكفل له الاستمرارية؛ فتحصل من السلطات الجزائرية على الحق والمساعدة في إعادة ترميمه ،وأن يلحق به كما بمستشفى عنابة هبة ثابتة من سنة1619م فصاعدا مقدرة ب20 ريو من الذهب محصلة من هبة أوصى بها التثليثي بيار بينو نائب قنصل سابق لفرنسا في مدينة الجزائر من1585-1587م[3].

و إلى جانب هذا المورد كان يجب إضافة حصيلة ،أو نتاج جمع التبرعات المقامة بصفة منتظمة كل أيام الثلاثاء من عند التجار المسيحيين المقيمين في مدينة الجزائر؛ حيث حرص الإسبتالي غرماي(Gramaye) على إرجاع هذه العادة القديمة، واستمرارها بانتظام أكبر

[1] Joao mascrenhas, Op.cit., p.63
[2] DAN(R.Père François Pierre), Op.cit., p.509
[3] Gramaye, Op.cit., p.157

والتي كانت مستحبة حتى من طرف العثمانيين ،وقد حرص على إيجاد جهاز إداري لهذا المستشفى لضمان السير الحسن لها؛ إذ كان يرى ضرورة تأسيس مجلس يكون على رأس هذه المستشفى يتكون من أعضاء دائمين، و من قنصل فرنسا الذي سيتكفل بأداء مهام التسيير الإداري ،والمالي للمستشفى، وتعيين جراح ،وطبيب...إلخ[1].

ومن خلال تزويد المستشفى بدخل ثابت ،وبتنظيم ،وإدارة لتسيره كان غرماي يطمح إلى تأسيس مستشفى غير مؤقت ؛ولكن مستشفى دائم مبني على أساس صلب في بانيو الباشا نفسه، ولكن مستقل عن كنيسة التنظيم التثليثي.[2] ومما سبق نستخلص مسألة هامة وهي الحرية التي كانت تمنح لرجال الدين المسيحيين من طرف السلطات العثمانية في مدينة الجزائر لتحسين، وضعية الأسري ولاسيما في الميدان الصحي.

كما أنه في سنة 1662 م قام رجل الدين المدعو الأخ بيدروا دو كنسيسيون –بيدرو كريدو و بمجرد وصوله إلى مدينة الجزائر بترميم مستشفى بانيو سانت كتالينا، ثم قام على التوالي بترميم المستشفيات الأخرى والمتمثلة في :المستشفيين في بانيو الملك ،و مستشفى كل من بانيوا البسطارد، و بانيوا شلبي، أو علي بتشين مزودا كلا منها بقس يقوم بالقداس للمرضي، وطبيب وجراح لمعالجتهم فضلا عن ممرضين ،وطباخين تاركا للتنظيم التثليثي و خاصة من مقاطعة قشتالة ،ولمسير دير هذا التنظيم في مدريد إدارة وتسير المداخيل التي خصصها لها حتى تستمر بعد وفاته العناية،والمحافظة على هذه المستشفيات العزيزة عليه ؛وهو ما كان يحرص على القيام به بنفسه خلال حياته[3].

ولابد أن نشير إلى أن إيالة الجزائر اهتمت بتحسين الخدمات الصحية المقدمة للأسري العبيد المسيحيين في هذه المستشفيات من خلال إصدار قوانين ،ومراسيم كانت تتضمن بنودا من شأنها تحقيق هذا الهدف ،وهذا ما يتجلى لنا بوضوح تام من خلال مرسوم الداي شعبان المؤرخ في 1694م الخاص بأقدم المستشفيات التي أقيمت في مدينة الجزائر للأسري العبيد المسيحيين وقد كان بمثابة اتفاق بين الداي ممثل الدولة الجزائرية ،والأب المسير، والمدير حينها لمستشفيات التنظيم التثليثي ،وهو الأب جوزيف كيرالت من مقاطعة قشتالة؛ حيث منح الداي

[1] Ibid.,pp.157-158
[2] Ibid., p.158
[3] Berbrugger Adrien , Charte des Hôpitaux…, p.236

ممثل السلطة الجزائرية بموجبه جملة من الامتيازات للقائمين على تسيير، وإدارة تلك المستشفيات وفي مقدمتها مستشفى بانيو الملك[1]؛حيث تم من خلاله التأكيد على كل الامتيازات الممنوحة من طرف الأجداد، والتي بسبب بعض الحوادث يمكن أن تكون قد وقعت في طي النسيان وبعيدا عن الذاكرة .

كما عمل **البند الثاني** على توفير دخل دائم لصالح المستشفى؛ حيث نص على أمر صادر عن الداي يقضي بأن كل سفينة من أي جنسية كانت تأتي إلى ميناء مدينة الجزائر حاملة شحنة تكون مجبرة على أن تدفع للأب المسير ، أو المدير ،وللمستشفى أربعة بتاك عملة البلاد إسبرة ،وكل بحار من هذه السفن عليه أن يعطي 2 ريو-عملة نقدية- ،و كل مسيحي يذهب حرا عليه أن يعطي 2 ريو من إسبرة ،و كل مسيحي سيذهب حرا ،ومعه مال أو صدقة عليه أن يعطي 2 ريو قطعتان من الفضة ،وإذا اعترض أي كان ،أو تجاوز هذا الأمر والإجراء الصادر عن الداي سيعاقب بشدة، وصرامة[2].

ونتلمس دائما من خلال هذا المرسوم تسامحا كبيرا من طرف السلطات الجزائرية مع المشرفين على المستشفيات، والقائمين على شؤونها لصالح الأسري العبيد المسيحيين ،فمثلا نص البند السادس من هذا المرسوم على منح الأب المذكور للمدير المسير للمستشفى و لخلفائه الحق في أن يدخلوا إلى المدينة المال من أي نوع كان، و كل الأشياء المتنوعة الأخرى كالملابس والأدوية ،وكل أنواع المؤن الضرورية لإنقاذ أو نجدة المستشفى، والمحافظة عليه وذلك بكل حرية حيث يتم إدخال كل هذه المواد بمختلف أنواعها إلى مدينة الجزائر دون أن تدفع من أجل ذلك أي ضريبة لقصر الملك –المقصود به الداي-" قصر الجنينة "، ولا عند مدخل الأبواب ولا في أي مكان آخر- إذ تكون معفية تماما من ذلك-[3].

كما نتلمس دائما من خلال بنود هذا المرسوم مسألة هامة ألا وهي الاحترام الذي كان يحظى به رجال الدين المسيحيون، والحرية، والثقة الممنوحة لهم من طرف السلطات الجزائرية والتي تصب في إطار المعاملة التي يقرها الإسلام لأهل الذمة، وإن كانت في صراع، ونزاع وحرب مع الدول التي ينتمي إليها هؤلاء ؛فقد نص **البند السابع** على السماح للأب المسير حينها

[1] Ibid., p. 237
[2] Ibid., p. 237
[3] Ibid., p.238

ولخلفائه ،وكل رجال الدين، والأشخاص الآخرين الأحرار من المستشفى بالخروج والذهاب إلى إسبانيا، والعودة إلى مدينة الجزائر بحرية دون أي عواقب، أو موانع مهما كانت[1].و هذا بالرغم من أن إسبانيا كانت العدو التاريخي اللدود للجزائر ،وكانت لا تزال محتلة حينها لوهران والمرسى الكبير.

كما أننا نلاحظ من خلال هذا المرسوم مساهمة سلطة البلاد في توفير من يقوم بخدمة المرضي في المستشفيات دون أن يكلف ذلك شيئا للقائمين على شؤون المستشفى؛ حيث جاء **البند الثامن** على شكل أمر يقضي بأن تعطي كل البانيوات- السجون- التي توجد في المدينة أي سجون البايلك كما تلك الموجودة في سفن الغيلوطات مسيحي لخدمة المستشفى دون أن يكون على الأب المسير للمستشفى أن يدفع عن المسيحيين المذكورين الذين سيخدمون في المستشفى أي قمر؛ أي أجرة شهرية، ودون أن تترتب عليه من جراء ذلك أي مسؤولية[2].

كما أن الحكومة أمرت كذلك كل الأسياد بإرسال إسبرة-عملة نقدية- مع كل عبد مريض فإذ مات العبد فإنها كانت تستعمل في تغطية تكاليف الدفن، ولكن في حالة تعافيه من مرضه كانت تعاد إلى سيده[3].

و إلى جانب المستشفيات الموجودة في البانيوات كانت توجد صيدلية مركزية جيدة في قصر الجنينة تعمل على توفير الأدوية للمستشفيات ،والتي أنشأها بيدرو دولكنسبسيون -المشار له آنفا –كما أن العبيد المرضي الذين كانوا يعالجون أنفسهم خارج هذه المنشآت كانوا يقصدون هذه الصيدلية للحصول على الأدوية[4].

وبالإضافة إلى المستشفيات المتواجدة في البانيوات كان يوجد خارجها مستشفى معروف بمستشفى إسبانيا، و كان مقصدا للأسرى الإسبان خاصة الذين كانوا دوما أكثر عددا و تم إنشاؤه سنة 1575م من طرف رجل دين كان مؤدب دون جوان ذو تريش، والذي أسر من طرف الجزائريين، وقد أرسل دون جوان ذو تريش-دون خوان النمساوي- بمبلغ معتبر من المال لفداء مؤدبه، ولكن هذا الراهب الكريم كما يبدو فضل الصالح العام على حريته

[1] Berbrugger Adrien, "Charte des Hôpitaux…", pp .238-239
[2] Ibid., p. 239
[3] Laugier de Tassy, Op.cit, Tome 2,p.44
[4] Berbrugger Adrien ," Charte des Hôpitaux …", p. 236

الشخصية فاشتري مبني كبيرا مع مقبرة للمسحيين خارج باب الواد وجعل من هذا المبني المستشفى المذكور، وترك مبلغا كبيرا من المال للعناية به ،والمحافظة عليه، وقد أوصي بأن يكون تحت إدارة رجال دين الفداء الإسبان، وأن يقبل فيه كل المسيحيين المرضي دون استثناء وقد كان أباء الفداء الإسبان في مستوي ثقة مؤسس المستشفى بهم من خلال سيرتهم الجيدة والإضافات التي قاموا بها في مستشفاهم[1].

و ما سبق لا يعدو أن يكون إلا صورة تقريبية لما كانت عليه حياة الأسرى العبيد في أوساط السجون مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني تلك الحياة اليومية التي كان يقضيها هؤلاء بين العمل في مختلف الأنشطة، والأشغال ، و الترفيه عن النفس في أوقات الفراغ معتمدين في ذلك وسائلا مختلفة بالإضافة إلى ممارستهم لشعائرهم الدينية، و إحيائهم للمناسبات ،والاحتفالات الدينية بكل حرية، و انتظام على مختلف مستوياتهم ، و مذاهبهم، وإلى جانب ذلك نسجل أيضا العناية الصحية التي كانوا يحظون بها في إطار السجون التي كانت تتوفر على مستشفيات وصيدليات مخصصة لهم.

و يكفي أن الأسير دراندا قال خلال القرن 11هـ(17 م) بعد حديثه عن الحياة في البانيو :" أعزائي القراء لقد بينت لكم ما كان يجري في أوساط العبيد ،والسبل التي كان يكسب بواسطتها العديد منهم حريته .....وأنه لا توجد جامعة أحسن من بانيو الجزائر لتعلم طريقة العيش ".[2]

[1] Laugier de Tassy, Op.cit., Tome2, pp.34- 44
[2] Op.cit., p.239

الفصل الثاني المرافق المائية والصحية

1- الشبكة المائية والجهاز الإدري المشرف عليها
2-الحمامات
3-المستشفيات

الفصل الثاني المرافق المائية والصحية

تعتبر المنشآت ،والمرافق المائية ،والصحية من المنشآت ،والمرافق الهامة في المدن منذ القديم لما تؤديه من دور في الحياة اليومية للمجتمع فعنصر الماء كان ولايزال وسيبقي مادام للحياة بقاء عنصرا حيويا لا يمكن الاستغناء عنه لأن فقدانه يعني فقدان الحياة نفسها كما نستخلصه من الآية القرآنية" *وَجَعَلْنَامِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ*"- الآية رقم 30سورة الأنبياء - ومن هنا يستمد الماء أهميته كمورد لا غنى عنه لاستمرارية حياة الإنسان ،وكل الكائنات الحية الأخرى وهذا ما يجعل منه سلاحا خطيرا والتاريخ ملئ بالشواهد ،والأمثلة على ذلك –فكم من حصار نجح لنقص الماء لدى المحاصرين ألم يكن يتم تسميم مياه الآبار في بعض الحروب لضمان هلاك العدو- منذ أقدم العصور، و لهذا عملت المجتمعات الواعية لأهمية هذا العنصر الحيوي و خطورته في آن واحد على تأمين مصادره قدر المستطاع والعناية به لاسيما في المدن. ثم إنه الوسيلة الوحيدة للتنظيف والتطهير وغير ذلك ،وأبرز تمثيل للمنشآت المائية قنوات نقل المياه ،وصرف المياه ،وكذا العيون ،والآبار إلى جانب مرافق ،ومنشآت يشكل الماء محركها الأساسي والسبب في وجودها ،ونقصد هنا الحمامات في حين أن المستشفيات تعتبر من أبرز المرافق الصحية التي يمكن أن تحويها أي مدينة من المدن لما تقدمه من خدمات للمجتمع باعتبارها أماكن للوقاية، والعلاج الصحي.فما كان حظ مدينة الجزائر من هذه المنشآت، والمرافق في ظل الحكم العثماني وما كان دورها وأثرها على الجانب الاجتماعي؟

أ-الشبكة المائية والجهاز الإدري المشرف عليها :

عند دخول العثمانيين إلى مدينة الجزائر كمنقذين لها من خطر الغزو الإسباني واجهتهم مشكلة المياه؛ فلم تكن مدينة الجزائر قبل مجيئهم مجهزة بشبكة مائية محكمة التنظيم على عكس مدن عربية أخرى كتونس، وحلب التي وجد فيها العثمانيون عندما حلوا بها قنوات وشبكة مائية تعود لفترات تاريخية سابقة حيث تمكنوا من الاستفادة في هذا المجال من الأشغال، و الأعمال المنجزة من طرف من سبقهم؛ ففيما يخص مدينة حلب نجد أن المماليك قاموا بأعمال كبيرة في مجال تزويد المدينة بالماء وفي مدينة تونس وجدوا الأعمال التي قام بها حكام الدولة الحفصية[1].

[1] André Raymond, Op.cit., p.163

في حين أن مدينة الجزائر كانت محرومة من تنظيم، وتجهيز مائي محكم قبل مجيء العثمانيين[1] إذ يعود الفضل إليهم في وضع تجهيز مائي لمدينة الجزائر يضمن توفير احتياجات السكان لاسيما بعد أن تزايد عددهم بشكل معتبر، وتحسن مستوى المعيشة[2]، وتنوع الأنشطة المختلفة التي لا غنى لها عن الماء، وهذا ما دفع بهم إلى البحث عن منابع جديدة للمياه، وبناء قنوات لنقلها إلى المدينة؛ حيث أقام الحكام،ومنذ القرن 10 هـ (16 م)شبكة كثيفة للقنوات قصد جمع المياه من الأودية، والينابيع القريبة من مدينة الجزائر لتزويدها بهذا العنصر الحيوي بقدر حاجاتها.

فمدينة الجزائر في بداية القرن 10هـ (16م) كانت تعتمد للحصول على الماء الصالح للشرب ،وللاستعمالات الأخرى على مياه نهر قريب منها وهو ما أجمعت عليه المصادر والدراسات التي تطرقت للموضوع وإن اختلفت في تحديد موقع هذا النهر بدقة؛ فحسب ما ذكره حسن الوزان –ليون الإفريقي – فالنهر المعنى كان متواجدا شرق المدينة [3] ويبدو أن المقصود به هو "وادي خنيس" في حين يذكر هايدو أن النهر والأصح الوادي الذي كان بقصده سكان مدينة الجزائر للتزود بحاجتهم من الماء لم يكن يقع شرق المدينة بل كان يوجد على بعد حوالي ألف خطوة غرب مدينة الجزائر ويعرف بوادي المغاسل [4] ؛وعلى ضفافه كانت توجد الطواحين المائية التي كان يقصدها السكان لطحن حبوبهم[5].

و كان يعتمد أيضا على مياه الآبار الموجودة في دور مدينة الجزائر؛ فكل دار كان لديها في العادة بئرها ولكن مياهها كانت مالحة، وهذا ما ذكره هايدو في القرن 10 هـ(16م)[6]،ونفس الأمر ذكره بيار دافتي في القرن11هـ (17 م)حين سجل أنه كان يوجد في وسط ساحات دور مدينة التي تعرف بوسط الدار بئر ولكن ذو مياه مالحة ،وغير صالحة للشرب،ولم يكن يمكن استخدامها للشرب ،والطبخ؛ ولكنها كانت تستعمل لكل أعمال الغسل، والتنظيف وغيرها من الأعمال التي

[1] ونعتقد أن افتقار مدينة الجزائر لهذا التجهيز قد يعود إلى كونها قبل دخول العثمانيين إليها لم تكن إلا مدينة ثانوية صغيرة على عكس حلب، وتونس اللتين كانتا قبل حلول العثمانيين فيهما عاصمتان الأولى للدولة المملوكية في بلاد الشام، والثانية عاصمة للدولة الحفصية في تونس وهذا ما يؤكد التحولات الهامة التي شهدتها مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني.

[2] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p.35

[3] Jean-Léon l'Africain, Op.cit,p.348

[4] HAEDO (père Diégo de), "Topographie …" In:**R.A.** T.15, 1871,p.461

[5] MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del), L'Afrique de Marmol,en 2 Tomes, Traduction de Nicolas Sieur d'Ablancourt,Paris,1667,Tome 2,p.400

[6] HAEDO (père Diégo de) "Topographie …"In:**R.A.** T.14, 1870, p.432

تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء[1].

و من ثم نسجل تمكن الحكام العثمانيين من تزويد مدينة الجزائر بعد وقت قليل من تواجدهم بها بشبكة من القنوات ناقلين المياه الوفيرة إلى كل الأحياء والمؤسسات الاقتصادية ومن ثم تمكنوا من تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي فيما يتصل بهذا المورد الحيوي الهام جدا [2].

و فيما يلي ذكر للقنوات الأربع الرئيسية[3] ؛التي كانت تزود مدينة الجزائر بالمياه والتي كانت تشكل جزءا هاما من المنشآت المائية في مدينة الجزائر قبل الحديث عن العيون، والآبار ،وغيرها.

1-قناة تليملي: وكانت من أقدم القنوات، ويعود تاريخ بنائها إلى حوالي سنة 1550 م من طرف حسن باشا، وكان طولها يبلغ حوالي 3.800مترا[4].

وكان الهدف منها هو إحضار المياه من المرتفعات المشرفة على خليج الجزائر،والواقعة على نصف مرحلة لأعالي ضاحية مصطفى باشا[5]. وكانت تدخل إلى مدينة الجزائر عن طريق باب الجديد، وكان معدل مردودها 6 إلى 7 لترات في الثانية ؛أي ما يعادل 561.000 لترا يوميا[6]. موزعة على 29 عين في ثكنة الجديدة، أو التحتانية -السفلية - التي تأسست قبل منتصف القرن10 هـ (16 م)[7].

2-قناة بئرطرارية: يعود إنشاؤها هي الأخرى إلى القرن10 هـ(16م) وكانت قد أنشئت حوالي 1573 م من طرف حاكم الجزائر حينها عرابي أو أعراب أحمد باشا، وقد كانت تأتي بمياه منبع مكتشف على بعد ميل ونصف غرب باب الواد ، وكانت تدخل إلى مدينة الجزائر عن طريق باب الواد بعد أن قطعت 1.700**مترا**[8]. أما عن مردودها ،أو سعتها ؛فقد كانت تقدر

---

[1] Avity (Pierre. D'), Op.cit., p.174

[2] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par.., p. 35

[3] وقد ورد ذكر هذه القنوات في المصادر المحلية كسجلات بيت البايلك الخاصة بمصلحة المياه "في ثمن قواديس للحامة وتالاواملي-كذا-وبيرطرارية ،أنظر: السجل رقم 170سجل يتضمن بيان الخارج من أجرة معلمي الساقية التابعة لمصلحة المياه العلبة 70 من سلسلة سجلات البايلك تاريخه 1079 -1090هـ/1668-1669 م/1679-1680م في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] André Raymond, Op.cit,p.163

[5] Ibid ,p.163

[6] Moulay Belhamissi, , Histoire d'Alger par…, p.36

[7] André Raymond , Op.cit,p.164

[8] Moulay Belhamissi, , Histoire d'Alger par…, p.36

بـ 1.44**لترا** في الثانية أي أقل مردود من القناة الأولى ولكنه مردود معتبر بالنسبة لتلك الفترة ما يعادل 144. 126**لترا** في اليوم[1].

3-قناة الحامة: وكانت من أهم السواقي ،والقنوات، وكان ينسب بناؤها إلى أحد المهندسين الأندلسيين الذي كان يعرف **بأوسطا موسى** والذي أنهى العمل فيها عام 1611م في عهد ولاية قوصة مصطفى ،وقد أشار إليها دان في القرن 11 هـ(17 م) حين قال: قام موريسكي مسمي أوسطا-المعلم -من أولئك الذين طردوا من إسبانيا 1610 -1612 م بنقل الماء للمدينة عن طريق قناة كانت تأتي من على بعد ميلين خارج المدينة [2]؛وقد كانت تنقل الماء من المنبع الرئيسي المتمثل في عين الحامة الطبيعية،وأعتبرت من أهم السواقي،وكانت تدخل إلى المدينة عن طريق باب عزون،وكان طولها يبلغ 4.300م،وهي المسافة بين منبع هذه القناة ومدينة الجزائر[3].وكان مردودها ،وقدرة استيعابها تقدر بـ9 **لترات** في **الثانية**؛أي ما يقدر بـ 777.600 لترا يوميا ،وكانت تمول 29 عينا عمومية موزعة داخل مدينة الجزائر، وكذا عدة ثكنات، ومجمع المباني المشكلة لقصر الجنينة[4].

وكانت هذه القنوات الأكثر قدما خلال القرن17م (11هـ) وتوفر في مجموعها حوالي 000 1500 لترا يوميا؛ أي أنه لـ000 30 ساكن كان متوسط حصته من الماء 50 لترا يوميا وقد كان متوسطا ،أو معدلا مرتفعا جدا بالنسبة لتلك الفترة[5].

وبالإضافة إلى هذه القنوات نجد قناة رابعة أحدث منها وهي:4-**قناة عين الزبوجة** بمعنى عين الزيتون المر ؛وقد تم تشيدها حسب ما أورده كلاين خلال القرن 12 هـ(18 م)[6] في حين يذهب الباحث الإيطالي سيرستي إلى أن تاريخ تشيدها سابق لذلك ويرجعه للقرن 11هـ (17م)حوالي سنة 1619 م[7].

و هي أطول القنوات التي كانت تزود المدينة بالماء؛حيث كانت تحمل إليها المياه الملتقطة من مصادر

[1] André Raymond, Op.cit., p.164
[2] Op.cit.,p.91
[3] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par … ,p36
[4] André Raymond, Op.cit., p.164
[5] Ibid.,p.164
[6] Klein (H), Op.cit.,p.190
[7] Federico Cresti, les Aqueducs D'Alger à l'époque Ottomane, In: **Histoire(s) d'eau en Tunisie et ailleurs**, Actes de la Rencontre de Diraset Usages profanes, Usages sacrés de L'eau au Maghreb, Faculté des Sciences Humaines et Sociales Université de Tunis=

المياه المتواجدة بأعالي بن عكنون؛ أي على بعد أكثر من 10 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر[1] وهي القناة التي كانت تصل إلى تزويد أعلى نقطة في مدينة الجزائر وهي حصن القصبة وقد تطلب تشيدها إذا إمكانات مادية كبيرة ،والكثير من المعارف، والخبرة في الميدان ،وقد كانت تمر عن طريق حيدرة وصولا إلى القصبة؛ أي إلى داخل المدينة عن طريق حي الثغريين–الذي كان يستفيد من ماء هذه القناة عن طريق قناة فرعية – وبالتالي كانت هذه القناة تزود القسم الأعلى من المدينة بحاجته من الماء من خلال تمويلها 14 عينا[2] وكان مردودها وقدرة استيعابها تقدر بـ 8 إلى 9 لترات في الثانية؛ أي ما يقدر بـ 734.400 لتر يوميا، ولكن في مرحلة الجفاف كان مردودها ينخفض ليقدر بـ86.400 لترا يوميا[3].

ولم يكتف العثمانيون بذلك بل أشرفوا على عملية استغلال المياه الجارية التي كانت تنزل من أعالي جبل بوزريعة، والقصبة باتجاه البحر، وبخاصة الينابيع الموجودة داخل المدينة نفسها ،وذلك لضمان تمويل المدينة بالمياه في حالة خضوعها للحصار[4].

وهنا نشير إلى لوجي دوتاسي الذي تحدث بدوره عن الماء في مدينة الجزائر و لم يكتف بالحديث عن الفترة التي شهدها، ولكنه عاد للوراء، حيث ذكر أنه في سنة 1611م اكتشف أحد الأندلسيين المطرودين من إسبانيا ينبوع ماء بالقرب من حصن الإمبراطور على بعد حوالي ثلاثة أرباع الميل من المدينة، فقام باطلاع الحاكم في تلك الفترة على محاسن نقل هذه الماء

=Texte réunis et édités sous la direction de Mustapha Tlili et Jamel Ben Tahar ,Préface de Abdelhamid Hénia,Afemam,Lyon,juillet 2004 ,et coédition Laboratoire de recherche Diraset,Arabesques éditions,Tuinis 2012 p.112

[1] Ibid ,p.111 voir aussi Sakina Missoum, Op.cit., p.104

[2] Moulay Belhamissi, Op.cit., p.37 et Sakina Missoum, Op.cit.,p.104

[3] André Raymond, Op.cit., p.164 et Moulay Belhamissi, Op.cit.,p.37

[4] وفي هذا الإطار ذكر مرمول في القرن10هـ (16م) أن حصن الإمبراطور أو حصن حسن باشا زود بخزان كبير للماء لم يكن في وسع السكان استخدامه إلا في حالات الحاجة القصوى؛ ففي الحالات العادية كان الناس يستخدمون ماء البئر الموجودة على بعد 125، أو 150 خطوة من باب الحصن ؛أي أن هذا الخزان كان بمثابة احتياطي للماء ،وهذا دليل على بعد نظر السلطة، واهتمامها بتوفير هذا العنصر الحيوي للسكان وفي كل الأوقات أنظر :

MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del) ,Op.cit .,Tome2 , p.400

ومما سبق نستخلص أن مسألة توفير المياه ارتبطت في مدينة الجزائر إلى جانب تلبية احتياجات سكانها المتزايدين نتيجة الوجود العثماني، وما أفرزه من ظروف مساعدة على النمو السكاني لمدينة الجزائر– كالجهاد البحري، وما جلبه للمدينة من أسرى مسيحيين، وكذلك الأعلاج الذين كانوا جلهم أسرى مسيحيين اعتنقوا الإسلام، والمهاجرين الأندلسيين،و الكراغلة الذين كانوا نتاج زواج العثمانيين مع النساء المحليات الجزائريات– بمسألة تأمين مدينة الجزائر من خطر حصار يتسبب في نقص الماء.

إلى مدينة الجزائر ،وتمت مكافأة الأندلسي[1]على فكرته، ونفد مشروعه عن طريق قناة رئيسة تتفرع منها قنوات ثانوية توزع الماء في أنحاء المدينة كما في فحوصها[2].

وهنا نتلمس أمران مهمان وهما :أولا مساهمة الأندلسيين في تزويد مدينة الجزائر بالماء –كما سبق وأن أشرنا إليه–،وثانيا نسجل أيضا عناية السلطة خلال العهد العثماني بهذه القضية الهامة، وهذا نتلمسه من خلال تشجيع المبادرات الهادفة إلى تزويد مدينة الجزائر، وسكانها بكفايتهم من الماء، ومن ثم الحرص على الصالح العام .

وكانت كل قنوات المياه تتجمع في قناة واحدة بالقرب من باب البحرية؛ حيث أن بقية المياه كانت تحمل إلى الميناء أين كانت السفن مثل الغيلوطات تأتي لأخذ حصتها ، ومؤونتها الضرورية من المياه العذبة[3].

وكانت هذه القناة تمتد إلى غاية الرصيف الحجري الذي أقيم بعد تحطيم حصن صخرة البينون حيث كانت مياه القناة تصب في خزان كبير، وكانت السفن تأخذ حصتها من الماء عند الرصيف نفسه، وفي نفس مكان رسو السفن كانت تعتمد طريقة مبتكرة في ملئ البراميل بالمياه؛ إذ كان يستخدم خرطوم مصنوع من الجلد كان يثبت في الصنبور المتصل بالخزان والطرف الثاني منه كان يوضع في فتحة البراميل فكانت المياه تنتقل هكذا من الخزان وصولا إلى البراميل دون الحاجة إلى تقريبها من الخزان[4] .وقد كان في ذلك كسب للوقت، وللجهد في آن واحد ؛فقد كانت هذه العملية تدوم يوما فقط، و كانت البراميل تحمل على ظهر السفينة مباشرة بعد ملئها بالمياه.–كما سبق ذكره–.

وكانت قنوات نقل المياه تبنى وفق دراسات مسبقة، وتتم وفق أعمال هندسية ابتكارية و منتشرة في جميع أنحاء الفحص لتزويد مدينة الجزائر بالمياه وكانت هذه القنوات في معظم الأحيان تمر عبر أنفاق أرضية، أو مثبتة في الاسمنت لمنع تحطيمها، أو كسرها بسهولة، وقد

[1] ويمكن القول إذا أن المنشآت ،والمرافق المائية تعد تعبيرا حيا عن المكسب الحضاري المترتب عن الهجرة الأندلسية إلى مدينة الجزائر التي تعد أحد المراكز الهامة التي استقبلتهم، ووفرت لهم الملجأ،و الأمان، والاستقرار؛ فكانت النتيجة ازدهار مختلف جوانب الحياة فيها نظرا لخبرتهم، والتقنيات التي جلبوها معهم لاسيما في مجال التجهيز المائي.

[2] Laugier de Tassy, Op.cit., Tome 1, p.25

[3] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.112

[4] joâo Mascarenhas, Op.cit., p.81

كانت أحيانا أخرى مكشوفة على سطح الأرض وكانت مصنوعة من الفخار، وذات شكل أسطواني شبيه إلى حد كبير بقرميد السقف وكانت تجمع الواحدة في الأخرى ، وفي مكان التقائها كانت تثبت وتربط بعضها ببعض بواسطة ملاط مكون من خليط من مشاقة القنب (étoup battu)والجير، والزيت دون إضافة الماء ،وكان هذا الملاط يكتسب بعد وقت قصير من استعماله صلابة الحجارة، وكان بالإضافة لذلك مقاوما لتسرب المياه[1].

وفي الروابي المرتفعة ،حيث كانت تمر هذه القنوات كانت هناك جسور مشكلة من أقواس أعدت خصيصا لمرور القنوات من فوقها ،وكانت مصنوعة من الآجر(brique) ، وكان لبعض هذه الجسور طابقان مترادفان مثلما هو الشأن بالنسبة لقناة الحامة[2].

وهذا دليل على توفر روح الابتكار في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ومسايرتهم لطبيعة محيطهم، وفي نفس الوقت تسخيرهم لهذه الطبيعة في سد احتياجاتهم لاسيما فيما يتعلق بالعنصر الحيوي المتمثل في الماء ، وهو قمة التكيف مع المحيط و نسجل أيضا من خلال المنشآت ،والمرافق المائية ، ولاسيما قنوات نقل الماء المذكورة آنفا أنه كان يعتمد في صنعها على مواد أولية طبيعية مصدرها الطبيعة، ومن ثم تصنيعها محليا ؛أي توفير نشاطات حرفية ،ومهنية لخدمة مجالات هامة في حياة المجتمع كمجال توفير المياه.

وشكلت العيون بدورها أهم مظهر من مظاهر الشبكة المائية ،و معلما من المعالم والمرافق البارزة في مدينة الجزائر، والتي تجدر الإشادة بها لكونها ساهمت في انتعاش الحياة الاجتماعية، والاقتصادية في الفترة المدروسة فضلا عن دورها في تجميل المدينة، وتزيينها،وتحدث هايدو في أواخر القرن 10هـ(16 م) عن هذه العيون التي شدته إليها بجمالها وبنائها المتقن فكانت العيون بحسب رأيه تبنى بناء يسر الناظرين.

حيث استعمل في بنائها الزليج أوالمربعات الخزفية الملونة–الفاينس– والمرمر، وهي مواد كانت تسمح بالحفاظ على النظافة المطلوبة، وكانت هذه العيون متواجدة عادة في إطار داخل الحائط أو الجدار وكانت خلفيته مزينة بفسيفساء جد جميلة ،فالقطع الصغيرة المجمعة بواسطة الملاط كانت تشكل أشكالا بديعة رائعة الجمال[3] ،وفي كثير من الأحيان كان يعلوها سقف

[1] SHAW (Thomas), Op.cit., p.105
[2] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par.., p.35
[3] Ibid.,p.46

صغير على شكل قوس من القرميد الأخضر الجميل وقد وردت عدة إشارات إلى مسألة تزيين العيون وتجميلها من خلال المصادر المحلية ،وتحديدا سجلات البايلك؛فذكر ذلك ضمن المصاريف التي أخرجت لصيانة وبناء العيون، وكل ما يرتبط بالتجهيز المائي بما في ذلك أجور القائمين على بناءها وتزيينها ؛حيث نسجل العبارة الآتية: "....في تزويق –تجميل–دربوز العين بدار الإنكشارية شارع باب عزون على يد الزواق "[1].

وقد تحدث هايدو عن وجود ست عيون في مدينة الجزائر أواخر القرن16 م(10هـ) وذكر أيضا القنوات التي كانت تزودها بالمياه، وكانت العيون الستة تلك وفيرة المياه إلى درجة أنها كانت تكفي لتلبية احتياجات عدد كبير من الأشخاص، وذكر أنها كانت تزود كلها عن طريق منبع غزير بالمياه، والذي كان ينبع على بعد نصف ميل جنوب مدينة الجزائر في وسط بعض الجبال، وعن طريق قنوات مغطاة حينا، وعرضة للهواء تارة أخرى، وبعد المرور أسفل الجبل الذي يرتفع فوقه برج الإمبراطور، أو حصن حسن باشا كانت هذه القناة تدخل إلى المدينة من باب الجديد، وهناك كانت تتفرع إلى ستة فروع تمول ستة عيون[2]. وهو بلا شك يقصد قناة تليملي السابق ذكرها.

وكانت العيون الستة متمثلة في تلك العين التي كانت متواجدة في دار السلطان–قصر الجنينة –،وكان ماؤها يحتويه حوض من الرخام ليستعمل في تلبية احتياجات القصر ،والمنازل المحيطة به، وفي الساحة المتواجدة أمام ذلك القصر كانت هناك عين أخرى، والتي أمر**صفر باشا** ببنائها في سنة 1560م وتم الانتهاء من بنائها في 20 أفريل من تلك السنة هذه العين كانت تتوفر على خزان مصنوع بشكل جميل جدا، و كان ماؤها يتدفق في حوض من الرخام مصنوع بدقة وعين أخرى كانت تتواجد خارج باب البحرية بالقرب من البحر استعملت في تموين السفن والمسافرين بما يحتاجون إليه من المياه، وكانت تتواجد داخل منزل رمضان باشا عين أخرى[3].

وأخيرا في ساحة كل من الثكنات الثلاثة المخصصة لسكن الإنكشارية كانت توجد عين تستخدم لاستعمالاتهم اليومية، واستعمال الأشخاص القادمين من خارجها. كما أنشئت عينين من

[1] السجل رقم 170 ،مصدرسابق

[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.,** T.15, 1871, p.459

[3] Ibid., p.459

طرفأ**عراب أحمد باشا** الأولى كانت تحوي مياه طيبة جدا و وفيرة، وكانت تقع على بعد 100 خطوة من باب الواد؛ أما افعند الخروج من هذا الباب وقد ذكر هايدو أن **أعراب أحمد باشا** كان دائما حاضرا في وسط العمال المشرفين على بناء العيون وغيرها من المرافق العامة والعسكرية،وهو يوجههم بواسطة عصى كانت بيده[1].

وقد شهد القرن17 (11هـ) بناء عدد كبير من العيون؛ حيث بلغت أكثر من 100 عين في المدينة فقط في حين أنه فيما سبق لم يكن هناك إلا خزانات؛ فقد كان يتم إنشاء العيون باستمرار لتلبية احتياجات السكان المتزايدة حتى بلغت حوالي 1674- 1675م مائة وخمسة وعشرين عينا كما ذكر ذلك الفارس درافيو (ARVIEUX)،والذي أضاف أن قناة قديمة هي التي كانت تزودها بالماء، و تأتي من على بعد ميلين من المدينة ،وقد أكد على أن الماء جد طيب ،وجد ضروري في بلد شديد الحرارة كهذا[2].

ونذكر من العيون التي شيدت خلال هذه الفترة، عين مسجد علي بتشين التي أنشئت في الربع الأول من القرن السابع عشر 1032هـ/ 1622م ،وعين مسجد سيدي محمد شريف المعروفة عند العامة **بعين بير الدروج** ؛التي يعود بناؤها إلى أواخر القرن 11 هـ(17م) حوالي1674[3].

وكانت هذه العيون ترفق في العادة بالوحات رخامية نقش عليها عبارات تخلد ذكرى مؤسسيها و تتضمن أطيب وأزكى عبارات الدعاء لهم ؛ حيث تسجل عليها أدعية مثل هذه " ليتلقى الذي قام بعون الحق بجعل هذه العين جارية عن كل قطرة ماء مائة ألف حسنة "[2].

و إلى جانب هذه العيون المتواجدة في مدينة الجزائر؛ فقد كان يوجد على بعد ميل أو ثلاثة أميال منها عدد كبير من العيون، وعدد من الآبار التي كانت تعطي مياها عذبة وصافية ووفيرة ولم يكن يوجد بستان أو حديقة في فحوص المدينة لا يملك عينا، أو بئرا[3].

---

[1] Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois..., p155

[2] Op.cit., T.5, p.222

[3] ناصر الدين سعيدوني،"من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني" ،في **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر، 1415هـ- 1995م ، ص.74.

[2] Fatiha Loualich, Alger au XVIIe le regard d'un captif porteur d'eaux (le sieur de Rocquevillle,In **L'Afrique au XVIIe siècle mythes et réalités**, actes du VII[eme] colloque du Centre international de rencontres sur le XVIIe siècle, Tunis,14-16 mars 2002, p.187

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In:**R.A.,** T.15, 1871,p.947

فقد كانت الآبار مثل العيون تحفر وتبنى جيدا ليستقي منها سكان مدينة الجزائر وعابرو السبيل والقوافل، مثلا بئر مراد رايس في ضواحي مدينة الجزائر[1] ،وقد كانت الإنجازات والتحقيقات في مجال المنشآت العمومية ،والمعالم الحضارية المتعلقة بالمياه تتم بفضل تظافر جهود العديد من الجهات، وفي مقدمتها حكام مدينة الجزائر العثمانيون؛ الذين أحسوا بضرورة تزويدها بما تحتاج إليه من المياه.

إلى جانب الإمكانات البشرية المتمثلة في مهارات الأندلسيين الذين كان من بينهم المهندسين، وأصحاب الدراية، والخبرة فيما يتعلق بالمياه، وأمثل الطرق للإفادة منها ؛ فوضعوا خبرتهم ،ومهارتهم في خدمة الصالح العام لمجتمع مدينة الجزائر، ونجد إشارة في احدي وثائق سلسلة بيت البايلك إلى مجموعة من الأندلسيين الذين قاموا بتأسيس شركة للبناء؛حيث أن الوثيقة معنونة بـ: "**شركة الأندلس**"، وهذا بتاريخ سنة 1032 هـ(1622م) ،وتتضمن هذه الوثيقة تقييد للمصاريف التي صرفت لإنجاز مباني، ومنشآت مختلفة من شراء المواد الأولية كالجير ،والآجر ،وألواح الخشب،و القفاف –السلال لتحميل مواد البناء–،والحبال، ودفع مستحقات البنائين والنجارين، والحدادين وغيرها ،وكذا الأجور المدفوعة مقابل بناء وترميم هذه المنشآت المتنوعة من دور،وسواقي،وعيون وكوشات[2]،وغير ذلك.

كما شارك في هذه الإنجازات عدد من الأسرى العبيد المسيحيين[3] ؛الذين كان من بينهم التجار، والحدادين، والعمال البسطاء، وأصحاب الخبرات[4] في الميدان، ودون أن ننسى مجهودات سكان مدينة الجزائر الأخرين من أغنياء ،وحرفيين بسطاء على حد سواء الذين شاركوا بأموالهم ومهارتهم في هذه الإنجازات.

---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.13

[2] السجل 262 ، العلبة 30،من سلسلة بيت البايلك ،ورقة 1 في الأرشيف الوطني الجزائر،وقد وردت نسخة طبق الأصل و كاملة لهذه الوثيقة في قائمة ملاحق دراسة الباحثة سكينة ميسوم عن المسكن التقليدي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنظر:,Sakina Missoum, Op.cit

[3] وهذه المشاركة تؤكدها المصادر المحلية وعلى وجه الخصوص سجلات البيالك الخاصة بمصلحة المياه بمدينة الجزائر؛ حيث يرد ذكرهم في إطار قوائم العاملين في بناء العيون مع تحديد أجورهم مما يعني أنه لم يكن يتم تسخيرهم للعمل مجانا بل كانوا يعملون مقابل جزاء مادي :"في عوايد النصاري "في عوايد النصارى الذي يخدم العيون ...."أنظر :السجل 170 ،المصدر السابق

[4] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par…, p.35voir aussi Rozet(M), Op.cit., T.3, p96

وهو ما أشار إليه دان في القرن 11 هـ(17م) حين تحدث عن مختلف الأعمال الخيرية والصدقات الطوعية التي كان يقوم بها سكان مدينة الجزائرّ؛ فمن جملة ما ذكر أنهم كانوا يحفرون الآبار ،ويبنون العيون في الأماكن التي تحتاج للماء بما في ذلك الفحوص لنجدة المسافرين ،مبينا أن هذا العمل لم يكن يمارس من طرف الأغنياء فحسب ؛فحتى الفقراء على الرغم من حاجتهم كانوا يساهمون فيه بكل طواعية إلى حد أنهم كانوا في بعض الأحيان يعملون في حفر الآبار وبناء العيون وذلك مجانا ؛دون أن يطمحوا في تحصيل أي أجرة من جراء هذا العمل الخيري سوي التقدير[1].

كما أن العديد من سكان مدينة الجزائر، المحسنين كانوا يحبسون على العيون،و الآبار العديد من الأوقاف بقصد المساهمة في صيانتها، والعناية بها وتوفير كل ما تحتاجه من لوازم[2] وقد كان من بين هؤلاء المحسنين الباشاوات، و الرياس ،وغيرهم؛ حيث نجد في أحد رسوم التحبيس ما يثبت ذلك ومفاده :

"قيام محمد باشا بتوقيف ،أو تحبيس جلسة حانوت يملكها كانت تقع بسوق الخراطين وكانت معدة لبيع الحصائر ،و كانت لصيقة بحانوت المدعو السيد بوشلاغم الخراط أسفل مسجد خيضر باشا، وقد جعل من كراء جلسة الحانوت المذكور في مصاريف البئر الذي كان قد أحدثه قرب رأس تافورة بقرب من العسكر المنصور، وقد تم توزيع هذه العوائد لتغطي مختلف المتعلقة بالبئر من دفع أجرة الساقي القائم على سقاية الناس من البئر المذكورة في حين أن المال المتبقي من عوائد الكراء يصرف على مصالح البئر الأخرى لشراء ما يحتاج إليه من تجهيزات كالدلو، والحبل..."[3].

وقد سبق أن ذكرنا بعضهم ممن ساهموا بإشرافهم على وضع تنظيم مائي محكم في مدينة الجزائر، كما ساهموا بأموالهم، ولم يكتفوا بذلك بل بلغت درجة رعايتهم، واهتمامهم بهذه العيون و الآبار ،والمنشآت المائية عامة بأن يبادروا إلى وضع جهاز إداري لصيانتها[4].

---

[1] DAN (Pierre), Op.cit., pp.287,288

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.132

[3] الوثيقة رقم 39 « رسم وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر"، من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أوائل ربيع الثاني 1219 هـ ، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية

[4] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par..., p.67

حيث كان يتولى هذه المهمة ؛أي الإشراف على إدارة المياه موظف يعرف بقائد العيون أو خوجة العيون[1]؛فكان بمثابة الحارس الأمين الذي يسهر على عدم تبذير المياه وكان يساعده في أداء مهامه مجموعة من الموظفين.

وكان يحرص أيضا على تلبية احتياجات السكان من المياه، ويشرف على ترميم، وصيانة وإصلاح العيون، وقنوات نقل المياه ،والمرافق الأخرى المتعلقة بها كالصهاريج ،وغيرها[2] التي كانت عرضة للتلف،وتتطلب التدخل السريع، وفي هذا الصدد نجد ضمن سجلات البايلك سجل يتضمن بيان الخارج من أجرة معلمي الساقية[3] –أي المكلفين بصيانتها –التابعة لمصلحة المياه وغير ذلك كالجير والآجر؛ أي المواد الأولية المعتمدة في صيانة ،وإصلاح التجهيزات المائية.[4] وجميع الضروريات ويشمل أيضا عائدات ، وأجور مرتب حسب السنين والشهور والأسابيع[5] خاصة بمدينة الجزائر[6].

---

[1] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص.131

[2] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par…, p.67

[3] وهذا ما نستخلصه من مضمون السجل ومن ديباجته والتي نستخلص منها أيضا أن تسيير مصلحة المياه بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت تحت إشراف السلطات ونصها :"الحمد لله هذا دفتر مبارك ميمون ان شاء الله تعالى يشتمل على بيان الخارج من أجرة معلمي الساقية وغير ذلك مما هو لازم كالجير والآجر، وجميع الضروريات حسبما ذكر انشاء الله مبين على يد المرعى المحترم ابي اسحاق السيد ابراهيم ابن المرحوم بكرم الحي القيوم ابي عمران السيد موسى القلعي –والمقصود أسطا موسى –على ما ذكر من قبل عسكر بلاد الجزاير المعمور الآن لواء الإسلام فيه منشور إنشاء الله أمين بمحضر من عين من عسكر البلد المسطور من الآغاوات لحضور ما ذكر وهم المعظم حماد آغا ومصطفى آغا والمعظم السيد على خوجة بتاريخ غرة محرم الحرام فاتح عام تسعة وتسعين والف 1099 هـ من هجرته عليه الصلاة والسلام.أنظر: السجل رقم 170 المصدر السابق

[4] وهذا ما نستخلصه مما ورد من تفاصيل في سجل البايلك المخصص لمصلحة المياه ؛فقد ورد فيه ما يلي على سبيل المثال –وهو مقتبس من صفحات مختلفة من هذا السجل –:

"في ثمن حجرات لدار الوضوء بباب الواد ،في عوايد الجير والآجر من ميمون بن مالك ،في حمالة الآجر والتراب ،في ترقيع عينين على يد حمودة ، في ثمن عين جديدة ،في ثمن ثلاثة عيون صغار ،في عوايد جير والآجور من فرن الحاج محمد ،في ثمن قوادس ،في بناء دار للوضوء ،في أجرة البنائين للصهاريج بباب عزون، في ثمن حجر لساقية عين باب الواد ،في إصلاح عين بدار الباشا "، وكانت هذه المصلحة تشرف أيضا على ترميم وصيانة الحمامات؛ حيث نجد في السجل إشارة إلى ذلك:" فيما خرج على حمام كتشاوة من اصلاح برمة وغيرها "و في ثمن الذي خرج من حمام من دلو وحبل "،المصدر نفسه

[5] حيث نجد قوائم للعاملين على بناء وصيانة العيون وغيرها من المرافق المائية والصحية مذكورين بالاسم وكل اسم يرافقه تحديد للأجرة التي تلقاها مثلا :في أجرة رمضان كذا في أجرة حمودة كذا في أجرة قاسم كذا والملاحظ أنه كان يتم البدء بعوايد المعلمين ثم بقية الحرفيين ،المصدر نفسه

[6] المصدر نفسه

وكمثال على دور خوجة العيون في صيانة واصلاح العيون الاشارة التي وردت في وثيقة تحبيس والمتمثلة في قيام الحاج إسماعيل خوجة الناظر على أوقاف العيون بمدينة الجزائر بإصلاح و تجديد بناء خزنة عين الماء الكائنة بقاع الصور بناحية باب الوادي من ناحية البحر[1]. و كان يدخل في إطار صلاحيات، واهتمامات قايد العيون أيضا إدارة وتسيير المباني ،وغيرها التي حبسها أصحاب الإحسان ووجهوا مداخيلها للعناية بالعيون لهذا كان يعرف أيضا بالناظر على أوقاف العيون[2].

ومن أبرز من تولى هذا المنصب خلال المرحلة المدروسة أسطا موسى معلم البناء الأندلسي ومن بعده ابنه أبوا إسحاق السيد ابراهيم والذي ورد ذكره في إحدى وثائق المحاكم الشرعية :"ورام الآن المعظم الأجل الزكي الأفضل الأحضى الأرضى الخلاصة المرتضى أبو إسحاق السيد إبراهيم ابن المرحوم بكرم الله الحي القيوم السيد موسى الشريف الحسني الأندلوسي الناظر الآن على العيون بالبلد المذكور من ولاة الأمر ....."[3].

والذي كلف إلى جانب أداءه لهذه المهام بحكم أنه معلم بارز في فن البناء،والعمارة بالإشراف على إنجاز وبناء العديد من المرافق العسكرية والعمومية وبخاصة ما يتعلق منها بالتجهيز المائي من قنوات، وغيرها وبتكليف من حكام البلاد ،وهذا ما يتضح من خلال أحد عقود المحاكم الشرعية الذي يتناول قضية معاوضة كوشة كان شطر منها وقفا على مؤسسة الحرمين الشريفين بحانوتين كان من أملاك أوقاف العيون، وسبب المعاوضة هو حاجة السلطات لهذه الكوشة لجعلها بابا لدار الإنكشارية الجديدة التي كان يشرف على بناءها الناظر على العيون أبوا إسحاق السيد ابراهيم وقد كلفه الداي وهو السيد الحاج محمد الدولاتلي حينها بأداء هذه المهمة وحل المشكل وهو الأمر الذي تم [4].

و كان هذا الجهاز يعتمد في تموين مختلف تلك المشاريع ، والمهمات إلى جانب مساهمة الحكام الذين أوقفوا العديد من الأملاك لتصرف عوائدها على إدارة التجهيز المائي بمدينة الجزائر

[1] الوثيقة رقم 40 « رسم وقف وتحبيس لصالح عيون مدينة الجزائر"، من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر شعبان 1177 ه ، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر

[2] Devoulx (Albert), Corporations Religieuses …, pp.77- 78

[3] الوثيقة رقم13 في العلبة 10-2،المصدر السابق

[4] المصدر نفسه

و في الفحوص[1]،على عدد من المحسنين من الخواص ،والمتطوعين الذين كانوا يساهمون بأموالهم أي بالهبات والإعانات الفردية ،وبمعارفهم في مجال البناء ،والتجهيز المائي في السير الحسن لهذا الجهاز الحيوي[2].

ونجد في هذا الإطار عقد تحبيس مرجعه عيون مدينة الجزائر جاء فيه:" قام السيد مصطفي خوجة علي بتحبيس ووقف جميع العلوي الكائن أعلا ضريح الشيخ البركة سيدي محمد الشريف بعد أن اشتراه وابتاعه ابتياعا صحيحا ،وقد قام بتحبيسه على نفسه لينتفع بغلته مدة حياته –أي غلة كرائه –، وبعد وفاته يرجع وقفا وحبسا على عيون مدينة الجزائر حيث تصرف غلة ذلك على مصالحها، وإصلاح ما تهدم منها إذ تضاف غلة الحبس المذكور إلى ساير- جميع- الأوقاف المحبسة على العيون داخل وخارج مدينة الجزائر"[3].

كما احتوى أحد عقود البيع ،والشراء عند تحديده موقع الدار موضوع البيع على إشارة لعقار حبس لصالح أوقاف العيون ؛حيث جاء فيه:

" الحمد لله بعد أن ملك المعظم الأجل الزكي الأفضل النسك الابر السيد الحاج عمر بن المرحوم الحاج قاسم بن زكريا الجريبي المذكور هو مبتاعا في الرسوم الثلاثة الملحق كل منها برسم من رسوم القسمة التي يلصق بأول هذا جميع الدار الكاينة بحومة جامع المرحوم خيضر باشا بناحية باب عزون داخل محروسة الجزاير المسامة {كذا}بانحراف لباب الجامع المذكور الشهيرة بمحلها بدار جاورش المجاورة لدار كانت على ملك خليفة بن محية وهي الآن من أوقاف الساقية "[4].

و لابد من الإشارة إلى أنه لم يكن لأحد أن يدخل الماء إلى داره و أملاكه الخاصة إلا نادرا فيدفع لذلك أجرة مرتفعة [5] مهما كانت مكانته أو سلطته ، والسبب في ذلك منطقي؛ فقد كان ذلك بمثابة احتياط لضمان كفاية السكان؛ حيث كانت معظم العيون عمومية، ومن ثم وجدت

---

[1] ناصر الدين سعيدوني" من المظاهر الأثرية المندثرة بمدينة الجزائر..."المرجع السابق، ص75

[2] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par…, p.67

[3] الوثيقة رقم45 « رسم وقف مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر "، من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر صفر1103 هـ/ 1691 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -

[4] الوثيقة رقم9 في العلبة10-1،المصدر السابق

[5] حيث يطلعنا رسم أحد حكام الجزائر العثمانيين بإشهاد شاهدين على نفسه في مسألة دفعه لمبلغ مالي لدار الإمارة ألف =

مهنة حاملي المياه السقاءين الذين كانوا يعملون في كل ساعات اليوم، قائمين بنفس الحركات؛ فقد كانوا يحملون المياه من العيون إلى المساكن مقابل أجرة معينة بالنسبة للذين لم يكونوا يملكون خدما، أو عبيدا يؤدون هذه المهمة وكان من يشتغل في هذه المهنة بالدرجة الأولى البساكرة، وكذا بعض الأسرى العبيد لصالح أسيادهم كما احترفت هذه المهنة بعض النساء المسنّات[1].

وإلى جانب هؤلاء كان يوجد بائع الماء المتجول الذي كان معروفا بحامل القربة؛ فقد كان يحمل قربة ماء، ويجوب شوارع المدينة في الساعات الأكثر حرارة، عارضا على المارة مياها منعشة، وكان يقدم الماء في كأس من النحاس،وكان يكتفي بما يقدمه له الزبون[2]،وكان الطلب عليه يزداد بازدياد الحرارة. ونعود لنشير إلى مهمة حمل المياه من العيون التي كانت تؤدى من طرف بعض الأسرى العبيد من بينهم الأسير الفرنسي روكفيل(Rocqueville)[3].

وقد ذكر "دو شستال دو بويس "(le sieur du chastelt des boys) أن المالك الأول له في مدينة الجزائر المدعو خوجة علي –وهو يعني الكاتب العام سكريتار الديوان– الذي اشتراه من سوق البديستان أمره بحمل الماء عبر المدينة من العيون العمومية إلى عند الخواص ،وبيعها بكمية تجعله يتمكن من أن يحضر له في كل ليلة 20 إسبرة ؛حيث قال عن أول يوم له في هذا العمل :«....في اليوم المولي لتحديد عملي لم ينسوا أن يقدموا لي جرتين كبيرتين من الفخار.....صرخت إذا بصوت مرتفع كالآخرين على طول الأزقة من يريد الماء "شكون حب الماء".[4]واعتمد سكان مدينة الجزائر الذين كانوا لا يملكون أسرى عبيد للقيام بهذه المهمة على البساكرة كما سبق الذكر الذين كانوا يستحوذون على هذه الحرفة، ويكادون يحتكرونها[5].

و إلى جانب الدور الكبير الذي كانت تؤديه العيون العمومية في تزويد سكان مدينة الجزائر بما يحتاجونه من مياه؛ فقد كانت ملتقى لمختلف العناصر المشكلة للمجتمع، وقد كانت تشهد حركية من الصباح إلى غاية المساء؛ فقد كانت ملتقى للحديث، وتبادل السلام حيث كان يقصدهاالحضر، والخدم،و العبيد،و النساء المسنات لاسيما الزنجيات ،والبرانية الوافدين ،و الأطفال[6].

=وثلاثون دينار كلها ذهبا، وذلك مقابل كمية الماء التي أخذها من فحص حيدرة ليدخلها إلى جنانه الواقع بفحص تلاوملي-تليملي حاليا-خارج باب عزون.أنظر: الوثيقة رقم4 « رسم بدفع مبلغ من المال مقابل إدخال الماء إلى أحد البساتين "، من الملف الثاني في للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر صفر 1216 هـ / 1801 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -

[1] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par…, p. 75

[2] Ibid.,pp.75- 76

[3] لمزيد من التفصيل العودة إلى الباب الأول الفصل السادس أهل الذمة من المسيحيين

[4] Sieur René du chastelet des boys, Op.cit, In : R.A., T12,1868, p.26

[5] أنظر الفصل الثاني في الباب الأول من هذا العمل

[6] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par…, p.77

ولكن الجميع كان يحترم من قبله، و ينتظر أن يحين دوره في صبر ولم تكن هناك أفضلية لأحد على أحد؛ فقد كان الجميع يتساوى في حق الحصول على حصته من المياه[1]. ومن ثم كان للعيون العمومية دورا هاما في تنشيط العلاقات الاجتماعية، ولابد أن نضيف بأن العناية بتوفير الماء بصفة دائمة للسكان قد بلغت درجة أن تثبت في جدران الأزقة جرار فخارية كبيرة الحجم كانت تملأ بصفة منتظمة بالمياه لتؤمن هي الأخرى للمارين الارتواء بالماء العذب[2].

ويذكر هايدو خلال القرن 10هـ(16م) أنه في بعض الأزقة تم تثبيت هذه الجرار على جدران المساكن من طرف أصحاب هذه الدور أنفسهم باعتباره عملا من أعمال الخير ،وكان يتطوع لملييء هذه الجرار رجال صالحون مرابطون على حد وصفه لهم ؛فيقومون بإحضار المياه من العيون وصبها في هذه الجرار التي أعدت خصيصا لهذا الغرض ، وخلال فصل الصيف كان هؤلاء المرابطين يجلسون بالقرب من هذه الجرار ،ويهدون الماء للمارة في أنيات شبيهة بالجرار ولكن ذو حجم أصغر منها ،وكانوا يقومون بذلك مجانا محبة في الله ،ودون تمييز سواء كان المار من الأتراك أو من بقية العناصر السكانية المسلمة أو من المسحيين وفي بعض الأحيان كان المارة ونذير عملهم ذاك يقدمون لهم المال و الملاحظ أنهم لم يكونوا يمتنعون عن أخد ذلك المال وإن لم يطالبوا هم به؛ لأنهم كانوا يعتبرون عملهم ذاك عملا خيريا[3].

و لابد من الإشارة إلى قنوات صرف المياه التي كانت تشكل بدورها جزءا هاما من الشبكة المائية التي زودت بها مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، و لقد أنشأ أحمد أعراب باشا في مدينة الجزائر سنة 980هـ (1572-1573م) قناة لتصريف المياه الوسخة أو المستعملة تنتهي إلى البحر ؛وقد أشار دراندا في القرن 11 هـ(17 م)إلى ذلك حين ذكر أن الماء الذي كان يتدفق على الأرض كان يدخل في الحفر الموجودة بالقرب من العيون، ويذهب بعدها في بعض القنوات ،والمجاري تحت الأرض ؛التي كانت تحمل وتجرف معها كل أوساخ، وفضلات سكان المدينة الذين كانوا يصبون كل شيء في هذه القنوات المنتشرة عبر المدينة ،والتي كانت تتجمع في واحدة بالقرب من أبواب ثلاث حوانيت ومن هناك كانت كل الأوساخ تتدحرج إلى البحر

[1] Mahfoud Kaddache," la Casbah Mémoire " 1950, Suivi de **Documents algériens Série culturelle** Numéro 55 et 56 septembre 1951 ,polycopie par les soins de la bibliothèque du Centre d'études diocésain Les Glycines,p.87

[2] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.153

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15,1871,p.63

بصورة مستمرة[1] ،وقد كانت السلطات حريصة على تعهد هذه القنوات بالرعاية والتعهد بإصلاح ما تعرض منها للعطب على غرار رعايتها لقنوات المياه الصالحة للشرب –كما سبق الإشارة إليه – بل وإشراك سكان المدينة في هذا الأمر من خلال دفعهم مساهمة مالية لهذا الغرض تحدد قيمتها بحسب موقع دورهم في الدرب المعنى بإصلاح مجاريه ، وهذا ما ورد في مخطوط قانون مدينة الجزائر[2]؛حيث جاء فيه :

"الحمد لله بيان ما وقع على شان الحفر امتع {كذا}الزنق{كذا} امتع{كذا} المجاري يحكم فيه الخلاص من الدرب الى{كذا} الدرب والذي من الدرب الى{كذا} الفوق{كذا} يعطى حق زوج ديار في دار لأنه الضرر متاعهم ينزل على المسلمين بامر {كذا} سيد محمود قاضي الحنفية وبامر{كذا} سيد الحاج مصطفى كاهية العسكر نصرهم الله على أعدائهم وكاتب مصطفى بن شويحت{شويهد} امين {كذا} الأمناء ....."[3].

وابتداء من سنة1634 م وضع نظام مهم لتصريف المياه القذرة؛حيث تم تجهيز قنوات لتصريف المياه التي كانت إما قنوات قديمة مغطاة بالآجر، أو قنوات تم إنشاؤها من تحت قنوات نقل المياه الصالحة للشرب، وكانت المياه القذرة تنقل بفضل قوة الدفع، والجاذبية باتجاه البحر[4].

كما أنه تم مراعاة عدم التقاء التجهيزان المائيين أي التجهيز الخاص بنقل المياه الصالحة للشرب، والتجهيز المتعلق بنقل المياه القذرة؛ فقد كان التجهيز الأول متواجدا على ارتفاع حوالي متر على الأقل من الثاني، وهذا ما شد انتباه الضابط الفرنسي روزيت فأشاد به[5] ،وهذا دليل آخر على حسن الإدراك، والتقنية التي كانت سائدة حينها ،وسهر السلطات على تعهد صحة السكان بالرعاية من خلال الحرص على عدم اختلاط المياه الصالحة للشرب، مع المياه القذرة لما قد يسببه ذلك من أمراض خطيرة .

ولابد من الإشارة إلى أنه كما وجد موظف قائم على شؤون الماء الصالح للشرب قايد العيون المذكور أنفا كان يوجد موظف آخر مكلف بالعناية، والمحافظة والاهتمام بقنوات تصريف المياه

[1] Aranda (Emmanuel- D), Op.cit., p.153

[2] أنظر عن هذا المخطوط ما ورد في المقدمة وما سيرد في الفصل الرابع من هذا الباب

[3] مخطوط قانون مدينة الجزائر، نسخة 1 تحت رقم 2311 والنسخة 2تحت رقم 1378 ،في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر ، ورقة 28 و29،من النسخة الثانية

[4] Moulay Belahimissi, Histoire d'Alger …, p.77

[5] Rozet(M), Op.cit.,T.3, p.96

القذرة، وهو قايد الشوارع إلى جانب اهتمامه بتجديد تبليط، وتعبيد أزقة،وأنهج المدينة[1].

وفي الأخير لا بأس من الإشارة إلى أنه كان يندرج في إطار الأعمال الخيرية لسكان مدينة الجزائر توفير ماء الشرب حتى للحيوانات كالقطط ،والكلاب ...؛حيث كان سكان الأحياء يتفقون على حمل الماء في مزاود إلى زوايا الشوارع لتشرب هذه الأخيرة منه عندما كانت تعجز عن إيجاده بسهولة لاسيما خلال فصول الحر[2].

ب–الحمامات:

إن الحمامات في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت من المرافق، والمنشآت الهامة لما كانت تؤديه من أدوار في الحياة الاجتماعية، فضلا عن كونها من المظاهر البارزة المميزة للمدينة ،ولنسيجها العمراني .

فقد كانت تؤدي دورا بارزا في المحافظة على النظافة ،والصحة إلى جانب كونها كانت تؤدي دورا اجتماعيا لا يستهان به؛ إذ كانت بمثابة نوادي اجتماعية وملتقى للتفاعلات والتبادلات الاجتماعية في شتى الميادين التي تمس بجوهر الحياة الاجتماعية كمسائل الزواج حيث يتفق فيها على الزواج؛ أي مبادرته الأولى، وكان يتم الوصول فيها إلى اتفاق حول بعض الأعمال التجارية بالإضافة إلى تبادل الأحاديث حول بعض المسائل العائلية بين الأصدقاء والأقارب[3].

وكانت الحمامات من بين الأملاك التي يتم تحبيسها أو وقفها ومن ثم؛ فمداخيل الحمامات الموقوفة كانت تساهم في تمويل الجانب العلمي ،والثقافي الديني ،وضمان التكافل الاجتماعي في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ،وهذا ما يتضح لنا من خلال عقود الوقف الواردة في سجلات المحاكم الشرعية مثلا ما ورد في عقد تحبيس قام به المدعو البيتمالجي صاري مصطفى:

"..... حبس جميع السدس الواحد الشايع{كذا} من جميع الحمام المذكور على المسجد القريب من دار الامارة{كذا} العلية المعروف بجامع السيدة....."[4] كما أن

---

[1] Albert DEVOULX, tachrifate…. " , p.22

[2] DAN (R.Père François Pierre) , Op.cit , p.288

[3] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.95

[4] الوثيقة رقم 41 " نسخة ثلاثة رسوم تحبيس قام بها البيتمالجي صاري مصطفى "،في العلبة 141 تاريخها أواخر شهر ربيع الثاني 1015 ه (1703م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

العديد من الحمامات المحبسة كانت تحبس عليها العديد من الأملاك بهدف صيانتها والمحافظة عليها ،وساهم الاستغلال الأمثل لمصادر المياه في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني في إجاد شبكة مائية نشطة ،وهامة [1]كانت قادرة على توفير ،وتزويد الحمامات بالمياه المستمرة الجريان ولعلنا نستدل على ذلك من خلال ما ذكره كورنيلس بنجاكر في القرن 11 هـ(17م) عن الحمامات في مدينة الجزائر :"المدينة مليئة بحمامات عمومية جميلة و لا يوجد شارع واحد دون حمام ؛فالمسافة بين حمامين لا تتجاوز رمية حجر ومعظم هذه الحمامات تعلوها قبة في الخارج مبنية بمادة صلبة تقاوم الأمطار رغم ندرة هذه الأخيرة كما تقاوم الحرارة "[2].

و من ثم لابد من إعطاء ولو نظرة مختصرة عن هذه المنشآت في مدينة الجزائر التي كان لها دور معتبر في تنشيط العلاقات الاجتماعية في ظل الحكم العثماني بين مختلف السكان الذين كانوا يترددون عليها ولاسيما بالنسبة للنساء.

وقد قدرها هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16م)بحوالي الخمسين أو الستين حماما وأحسنها تنظيما و تجهيزا حمامان أحدهما هو **حمام حسن باشا**[3]،والمعروف بحمام سيدنا[4]،وهو أقدم حمام بمدينة الجزائر ،وقد احتفظت زخارفه بطابعها القديم، وهو يذكر بأهمية ودور الحمامات في حياة المجتمعات المغربية[5]ولايزال هذا الحمام قائما إلى يومنا هذا في العاصمة ،ويقع تحديدا في رقم 2 شارع مشري أحمد ومحمد[6] وذكر هايدو أن هذا المعلم كان ذا جمال كبير وأنه تم الانتهاء

---

[1] وهذه الشبكة المائية الفاعلة جدا ساهمت في إيجاد مرافق كان لها أثرها على الجانب الصحي والمحافظة على نظافة المحيط بمدينة الجزائر و هي المراحيض العمومية التي كانت منشرة عبر النسيج العمراني ، وفي غالب الأحيان كانت ترفق بها قاعة خاصة للوضوء أنظر الشواهد على ذلك في :

Albert Devoulx, Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger (extrait de la Revue Africaine), Typographie Bastide, Alger, 1870

[2] Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.87

[3] Topographie …", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.385

[4] و نجد إشارة إلى هذا الحمام في وثائق المحاكم الشرعية مثلا ما ورد في رسم بيع وشراء:".....بعد أن تقرر الاشتراك السوي.....في جميع الدار الكاينة بحومة كجاوة داخل محروسة الجزائر المجاورة لحمام المرحوم حسن باشا ....."أنظر :الوثيقة رقم 11 "عقد شركة وبيع وشراء"،في العلبة 29-30 تاريخها أواسط رجب 1072 هـ(1662 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص.91

[6] Nabila Chérif-Seffadj,les Bains d'Alger Durant la période ottomane(XVI[e]- XVII[e] siècle) Préface de Marianne Barrucand ,Ouvrage publié avec le concoure de l'ambassade de France à Alger ,Presses de l 'université Paris –Sorbonne ,2008,p.148

من بنائه سنة 1550 م، وأنه كان مزخرفا بالرخام، وكان لايزال إلى وقته يسمي بحمام حسن باشا الذي قلد في تشييده لهذا الحمام والده خير الدين الذي بني حماما مشابها له في القسطنطينية – إسطنبول–[1].وهو الحمام الوحيد من جملة حمامات مدينة الجزائر الذي يعرف تاريخ تأسيسه على وجه التحديد[2] ؛ وتجدر الإشارة إلى أنه عندما غادر حسن بن خير الدين مدينة الجزائر ترك هذا الحمام لخلفائه في الحكم الذين استفدوا من المداخيل التي كان يحققها[3].

و كان القائمين على استغلال هذه الحمامات يدفعون ضريبة مقابل نشاطهم كما يوضحه ما جاء في قانون مدينة الجزائر:

"قانون اتفق امين الأمناء مع امين الحمامات بأمر شعبان ضي {داي }على الغرامة على القوى ابقوت والضعيف بضعف{ضعفه} بحيث لا ينضر احد عام1101 هـ(1690م)"[4].ويبدو أنه عند تحديد قيمة الضريبة على القائمين على تسيير هذه الحمامات كان يتم مراعاة قدرة كل واحد منهم وربما ارتبطت تلك القدرة بمدى الأرباح التي كان يحققها الحمام الذي يشرف على تسييره بحسب ما تم استخلاصه من قول "على القوي بقوته وعلى الضعيف بضعفه" مع الحرص على أن لا يتضرر أحد من هذا الإجراء .

وبالعودة إلى وصف الحمام و تحديدا حمام سيدنا أو الحسن بن خير الدين؛ الذي يعد أحسن نموذج للحمامات بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني نجده يتشكل من أقواس ، أو قبب شديدة الصلابة، ومغطاة كلها بالرخام المصقول و كان ينقسم إلى قاعتين مربعتين طويلتين، وعريضتين و واسعتين؛ ففي القاعة الأولى منهما كان ينزع المرء، أو المستحم ملابسه و يعطى له ثوب من أجل أن يغطي نفسه[5]؛ أي ستر عورته ،والمقصود بالثوب الفوطة، و تحفظ ملابسه بهذه الغرفة بكل أمانة وكان المستحم ينتعل نوعا من النعال الخشبية المعروفة بالقبقاب[6]. وقد كانت هذه القاعة تعرف بالقاعة الباردة، أو بيت القعدة ،أو الاستراحة وكانت تؤدي دورا مزدوجا كغرفة لتغيير الملابس ،وكمكان للاستراحة والاسترخاء بعد الانتهاء من عملية الاستحمام وكان يوجد

[1] Haedo (le père Diégo de), histoire des rois…,p.80
[2] Nabila Chérif-Seffadj,Op.cit.,p.150
[3] Ibid,p81
[4] مخطوط قانون مدينة الجزائر،المصدر السابق ،الورقة 37 و38 من النسخة الثانية
[5] Joao Mascarenhas, Op.cit., p77 voir aussi Rozet(M), Op.cit.,T.3, p.55
[6] Baghli wahiba, Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, société nationale d'Édition et diffusion(SNED) ,Alger, 1977, p.46

في الطابق العلوي الذي كان يتم الوصول إليه عن طريق سقيفة الحمام غرفة، أو علوي صغير كان مخصص لمسير الحمام "الحمماجي"،أو لنائبته النظارة التي كانت تشرف على تسيير الحمام في الأوقات الخاصة بالنساء كما كانت تشتمل احدى أروقة القاعة الباردة على غرفة مستطيلة كانت تستعمل كغرفة للاستراحة كان يمكن أن ينعزل فيها بعض الزبائن المهمين عن بقية رواد الحمام،ولكن هذه الغرفة كانت تستعمل بالأساس في مناسبة الأعراس؛حيث كانت تخصص للعروس ومرافقاتها[1].

وبعد تجهزه للاستحمام كان المستحم يمر مباشرة إلى قاعة ثانية ؛ تعرف **بالبيت السخونة** [2] والتي كانت توجد حولها عدة غرف صغيرة **"بويتات"**تصغير بيت يمكنها احتواء من 10 إلى 12 شخصا، وهكذا كان المستحم يمر مباشرة إلى غرفة من هذه الغرف الساخنة أين يبدأ بالتعرق بشدة علما أنه كان لكل غرفة من الغرف عينها المنبثقة من جدران الحمام ؛حيث كان الماء الساخن يصل إليها عن طريق شبكة من أنابيب برونزية كانت مثبتة في الحيطان المشكلة للغرفة و التي كانت إلى جانب توفيرها للماء الساخن معممة لسحابات البخار[3].

وكانت تصل عبر تلك الأنابيب كمية كبيرة من المياه الساخنة القادمة من قاعة ثانية موجودة في مؤخرة الحمام-تعرف باليبوكست (L'hpocauste) –التي كان يتم تسخينها باستمرار [4]،و كان الفرن المسؤول عن تسخين هذه المياه ،وبلاط قاعة الاستحمام ،والمحافظة على درجة الحرارة في الحمام بصورة عامة يعرف "بالفورناق" وهو نظام بديع يستحق الإشادة به فهو تعبير حي عن روح الابتكار، وتسخير المعارف، والتقنيات،والخبرات البشرية لخدمة الصالح العام للمجتمع.

وكانت المياه الساخنة تصب في حوض معد لاستقبالها مصنوع من الرخام وموجود تحت العين الموجودة في كل غرفة [5] ؛فكان المستحم يأتي ليأخذ منه ما يحتاجه للاستحمام بواسطة

---

[1] Nabila Chérif-Seffadj, Op.cit, pp151-152

[2] ويبدو أنه في حمام سيدنا كان يتوسط الغرفتين غرفة ثالثة صغيرة تعتبر غرفة انتقالية بين الغرفة الأولى؛ أي غرفة استبدال الملابس والاستراحة ،وغرفة الاستحمام كانت تعرف بالبيت الوسطى المعتدلة الحرارة (tiède) ؛أي كانت تعتبر كممر بينهما وكانت تتوزع على أحد جوانب هذه الغرفة عدد من المراحيض ،وكذا مصطبة غائرة في الجدار كان يستعملها زبائن الحمام للجلوس.أنظر: Ibid.,p.153

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A**, T.15, 1871,p.385

[4] Ibid.,p385

[5] Ibid.,p385

إناء من النحاس معروف"**بطاس أو طاسة الحمام**"[1]، و بالقرب منه يوجد حوض آخر يستقبل المياه الفاترة التي تستقدم بنفس الطريقة ؛أي بواسطة الأنابيب، و كان يخيم على غرفة الاستحمام درجة حرارة مرتفعة إلى درجة التعرق بصورة كبيرة إضافة إلى البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية التي تجعل المرء يتدبر في عجائب الحياة الدنيا[2].بمعنى أن هذا الجو كان يساعد المستحم على الاسترخاء؛ فيأتي إليه رجل يرتدي قفازا من الوبر (crin) والذي لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا في الحمامات، والمعروف في اللغة العامية "**بالكاسة** " فيقوم بتدليكه جيدا ،وغسله دون أن يسبب له أي ألم[3].

وعرف الذين مارسوا هذا العمل بالطيابين بالنسبة للرجال، و الطيابات بالنسبة للنساء والذين ورد ذكرهم في قانون مدينة الجزائر عند تحديد شروط كراء الحمامات من طرف جماعة بني ميزاب ،وغيرهم؛ حيث جاء فيه عن هذا ما يلي:"... *وتولى غيره كراء الحمام الذي خرج منه وكان المتولى من غير جماعة بنى مزاب فلا يخرجون الطيابين{كذا} الذى{كذا} به ولا يفسدونهم{كذا} عليه ليبطل كراء الحمام*[4]".

وعند الانتهاء من الاستحمام كان يتم إعطاء المستحم ثوبين ساخنين يغطي بهما جسمه ثم كان يتوجه إلى الغرفة التي ترك فيها ملابسه؛ حيث يرتديها بعد أن يرش بواسطة قنينة من الماء المعطر، أو ماء الزهر[5]،وبعد أن يتناول كوب من الشربات، أو من القهوة ذلك المشروب الممتع والرائع في نظر سكان مدينة الجزائر[6].حيث كان حمام الحسن بن خير الدين يشتمل في إحدى زواياه على مكان معد خصيصا لتحضير القهوة، وتحديدا إلى يسار الداخل إلى قاعة تغيير الملابس[7].

وهذا وصف لأهم مراحل الاستحمام التي كان يمر بها المستحم في الحمام ،ووصف لتجهيز حمام حسن باشا الذي كان يقع في وسط المدينة تقريبا؛ والذي كان يتردد عليه الناس بكثرة ليلا ونهارا ،وهو ما ذهب إليه هايدو في أواخر القرن 10هـ (16 م)حين قال أنه كان مقصدا للأتراك

---

[1] Joao Mascarenhas,Op.cit.,p.77

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.96

[3] Joao Mascarenhas,Op.cit., p.77

[4] قانون مدينة الجزائر، مصدر سابق، ورقة 12 في النسخة الأولى /والورقتان 53 و 54 في النسخة 2

[5] Joao Mascarenhas,Op.cit.,p.77

[6] عن القهوة و المقاهي في مدينة الجزائر أنظر الفصل السادس من هذا الباب

[7] Rozet(M), Op.cit., p, T.3, p.54

وغيرهم من سكان مدينة الجزائر المسلمين في كل الأوقات، والساعات لأخذ حمامات ساخنة حسبما جرت العادة لديهم[1].

ويبدو أن حمام سيدنا هذا احتفظ بمكانته خلال فترة بداية الاحتلال الفرنسي ،ولابد أن أهميته ازدادت بعد أن حطمت سلطات الاحتلال الفرنسي جل حمامات مدينة الجزائر ولاسيما تلك التي كانت تتوزع على أحياء القسم السفلي منها- حيث نجده يشد انتباه الضابط الفرنسي روزيت الذي وصفه بأنه الأجمل فيها بقوله :"الجزائريون يستحمون كثيرا في الحمامات وتوجد العديد من هذه المرافق في كل أحياء المدينة تقريبا.....وسوف أقوم بوصف أجمل هذه الحمامات{حمام سيدنا} ....."[2].

أما أهم حمام بعد حمام سيدنا ؛فإنه كان يحمل اسم البيلرباي محمد باشا بن صالح رايس الذي أمر ببنائه؛ وكان موقعه قريبا من الحمام الأول، وكان مبنيا على نفس طرازه، وهو طراز حمامات تلك الفترة؛ ولكنه كان أصغر ،ويسع عدد مستحمين أقل من الأول [3]وقد ورد ذكر أسماء العديد من الحمامات من خلال المصادر المحلية الأرشيفية ولاسيما وثائق المحاكم الشرعية مثل حمام طاق طاق الذي ورد ذكره في رسم تقسيم تركة :".... وخلفت أيضا حظا بالحمام الكاين بالصفارين بناحية باب عزون أحد أبواب البلد المسطور المعروف بحمام طاق طاق ....."[4]. كما نجد إشارة في وثيقة أخري- تحوى أيضا رسم تقسيم تركة -إلى حمام المالح : "وجميع السبعة أثمان من الدار الكاينة بحومة الحمام المالح بناحية باب الوادي أحد أبواب البلد المذكور ....."[5].

كما وصف بيار دافتي في القرن 11 هـ(17 م) هذه الحمامات ؛حيث ذكر الحمامين السابق ذكرهما كالأهم من بين 62 حمام مع غرفهم المبلطة جدرانها وأرضيتها بالرخام وقنواتها التي تنقل الماء البارد ،والحار بطريقة اصطناعية ليغتسل سكان مدينة الجزائر المسلمين الذين كانوا يستحمون تقريبا كل يوم[6]؛ فقد كانت هذه الحمامات مبنية على نفس الطراز المعماري

[1] Histoire des rois ..., p.80
[2] Rozet(M), Op.cit., T.3,p.54
[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15,1871, p.386
[4] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1، المصدر السابق
[5] الوثيقة رقم 19 في العلبة 119-120، المصدر السابق
[6] Op.cit., p.171

والمخطط والنمط العمراني[1]غرفة أولى لاستبدال الملابس، ثم قاعات صغيرة بأحواض مياه معتدلة وماء بارد ،وماء ساخن وقد كانت الحمامات تسير وفق نظام دقيق ؛حيث كانت تخصص ساعات محددة للنساء وأخرى للرجال؛ فقد كان الحمام من الصباح إلى منتصف النهار مكانا مخصصا لاستحمام الرجال، ومن منتصف النهار إلى غاية المساء كان مخصصا للنساء تتولى فيه الخدمة خادمات زنجيات تشرفن على خدمة الزبونات.

ويذكر جواو مسكغناس « Joâo Mascarenhas » خلال القرن 11 هـ(17 م) أنه إذا ما وضع رجل أقدامه في الحمام بعد منتصف النهار ،فإنه يحرق حيا مباشرة[2]، وهو ما ذهب إليه دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys) بدوره حين ذكر أنه كان يمنع منعا باتا ذهاب الرجال إلى الحمام بعد منتصف النهار، و إلا كانت العقوبة فقدان الحياة فالحمامات وإن كانت تستقبل الرجال ،والنساء فإن هذا كان يتم دائما في ساعات مختلفة، وأبدا في نفس الوقت[3].

كما سبق الذكر ؛فإن الحمامات كانت تؤدي دورا اجتماعيا هاما ولاسيما بالنسبة للنساء في مدينة الجزائر؛ حيث كان خروجهن للحمام من الأنشطة الهامة بالنسبة إليهن، و بمثابة ممارسة اجتماعية متميزة ؛ فقد كانت مناسبة لهن للاجتماع، وتبادل الأخبار، والأحاديث، وما إلى ذلك. فضلا عن كونها كانت مناسبة للتباهي بأزيائهن، وحليهن إذ أنه في مثل هذه المناسبات تعرض الثروة العائلية[4].

---

[1] للتوسع حول التصاميم الهندسية لحمامات مدينة الجزائر، وهيكلتها ،وتوزعها عبر النسيج العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ارجع إلى الدارسة المتخصصة للباحثة نبيلة شريفي-سفاجي بعنوان حمامات مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (16 م-17 م)

Nabila Chérif-Seffadj les Bains d'Alger Durant la period ottomane(XVI^{e}- XVII^{e} siècle)

وأنظر أيضا :موساوي عربية سليمة،الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، دراسة أثارية معمارية،رسالة ماجستير في علم الآثار ،إشراف أد.لعرج عبد العزيز، دائرة الآثار الإسلامية ،معهد الآثار،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 1990-1991

[2] Op.cit., p.77

[3] Op.cit, **In R.A.**, T.13, 1869, p.350

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.91

وفي هـذا الصـدد ذكـر روكفيـل(Rocqueville) في القـرن 11 هـ(17 م) "أن كـل النسـاء كـن يـذهبن للاسـتحمام أيـام الجمعـة في المسـاء، وعنـدها كـن يتـزين ويتحلـين بأجمـل وأغـني ملابسهن..."[1]؛ ومن بين أبرز ما كانت تحمله النساء معهن للحمام نجد "البنيقة "[2].

و نعـود للقـول بـأن النسـاء في مدينـة الجزائـر في ظـل الحكـم العثمـاني كـن يقصـدن الحمـام على الأقل مرتين في الأسبوع بعد منتصف النهار ؛حيث كن تأخذن معهن فضلا عن الملابس والصـابون، ونوعـا مـن التربـة أو الصلصـال المعـروف "بـ**الطفـل**" والـتي كـان يـؤتي بهـا مـن فـاس و كانت مفيدة جدا في تبييض، وتلطيف البشرة[3].

وكانـت تـرافقهن خادمـة ،أو عـدة خادمـات،أو عبيـد لحمـل هـذه الأغـراض وقـد ذكـر روكفيل(Rocqueville) في القرن 11 هـ(17 م) أن النساء عندما كن يقصدن الحمام كن يكلفن عبدا بحمل حوائجهن، ومستلزمات الحمام في إناء نحاسي صغير، و كان هذا الأخير يتبع سيدته إلى مـدخل الحمـام فقـط ؛حيـث كانـت تقـوم زنجيـة بأخـذ الإنـاء مـن أيـدي العبـد[4]. ولابـد أن المقصود به ما يعرف في لغتنا العامية "**بمحبس الحمام**" والذي لايزال محل استعمال إلى الأن ولاسيما من طرف العروس.وكان ذهابهن إلى الحمام لقضاء أمسية جميلة من الطرب والأنس فقد كان الوقت المخصص لهن أطول من الوقت المخصص للرجال[5].

ولهـذا الغـرض كـن يحملـن معهـن بعـض المـأكولات المتنوعـة،وهو مـا ذكـره دو شسـتال دو بويس (le sieur chastelte des boys)حين قال :"جعلتني سيدتي في المرتين اللتين تبعتها فيهما إلى الحمـام أحمـل كميـة كبـيرة مـن الأطبـاق الـتي خبأتهـا هـي بنفسـها في ركـن مـن أركـان السـلة مع الملابس، والمواد ،والمركبات الأخرى الضرورية للحمام التي كانت توضع فيها أيضا "[6].

وبعد انتهائهن من مراحل الاستحمام؛ أي بعد المرور بمختلف مراحل البخار وقيام خادمات الحمام بغسلهن من الرأس إلى القدمين، ورشهن بمختلف العطور؛ التي كن تستعملنها بكثرة

---

[1] Op.cit., p.87
[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15 ,1871, p. 108
[3] Ibid., p.203
[4] Op.cit.,p.87
[5] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.96
[6] Op.cit, In:**R.A.**, T.12, 1868,p.351

والمشكلة أساسا من المسك،وماء الورد ، وماء ورد البرتقال[1]كن يتوجهن إلى غرفة الملابس حيث كن يجدن ملابسهن التي علقت من قبل في معالق تحتوي على عطر العنبر المشتعل فيلبسن ملابسهن ،ويزين حواجبهن بالكحل[2] .

و بعد قيامهن بذلك كن يمضين بقية يومهن في جو من البهجة و السرور؛حيث كانت هذه الحمامات تخصص مجالس للنساء، وبالضبط في غرفة الملابس ،فكما سبق الذكر كانت النساء اللواتي يقصدن الحمامات يجدن في انتظارهن ما لذ ،وطاب من جوز، وحلويات متنوعة تشتمل على الحلوى المفضلة لدى العثمانيين ،وهي "**الحلقومة**" إلىجانب لا نوع آخر من الحلوى عرف "**بأصابع العروس**"[3]. والحلوى المعروفة **بحلوى الترك** الشهيرة إلى يومنا هذا.

وكانت تشرف على خدمتهن ،و تقديم الشاي ،والقهوة ،والشربات بعض الوصيفات الزنجيات[4] ،و لتنويع هذه الجلسات، ولإضفاء جو من البهجة، والسرور كان يتم تهيئة جو موسيقي، وتحضير فتيات للرقص على أنغام أندلسية عذبة، فتقضين أمسيات كاملة في جو من الراحة والإسترخاء،وتجديد النشاط،والطاقة .

و مما سبق يمكن أن نقول أن الحمامات بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت تمثل نظاما ممتازا في مجال الحفاظ على النظافة؛ فهو يعكس مدى عناية المسلمين، واهتمامهم بهذه الناحية، وهو نظام مدحه كل من كتبوا عنه من كتاب سواء كانوا أسرى، أو رحالة، أو رجال دين...فقد ذكر أحد الأعلاج خلال القرن10هـ (16م) وذلك قبل أن يعتنق الإسلام أن أول شيء جلب اهتمامه عندما كان يتجول في أنحاء مدينة الجزائر، ويكتشف بنفسه عادات وتقاليد سكانها المسلمين هو الميل الكبير الذي كان يبديه سكان مدينة الجزائر لارتياد الحمامات العمومية ؛حيث قال:

«..... وهذا ما أثار تعجبي لاسيما، و أنا قادم من بلاد لم يكن فيها الاغتسال من ضمن الأولويات والكنيسة نفسها كانت تشكك في كل ما يمكن أن يكون مبررا للاهتمام بالجسد في حين أنه عند المسلمين مفهومهم الديني يأمرهم بتطهير أجسادهم ،ونفوسهم بصفة مستمرة

[1] Haëdo, (F.D), "Topographie …". In:**R.A.**, T.15, 1871, p.203

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.96

[3] المرجع نفسه ،ص.96

[4] جون. ب وولف، المرجع السابق، ص.152

فالفعلين مترابطين جدا بما أن غسل الجسد مشابه ،ومماثل لتطهير النفس من كل الآثام التي دنستها هذه الفكرة التي تنص على أننا نستطيع أن نغسل أرواحنا بالماء جعلتني في البداية أضحك في سريرتي قبل أن أكتشف بنفسي كل فائدة، وأهمية هذه الممارسة، وأن أصل بمرور الوقت إلى ملاحظة وقناعة مفادها أنه بعد حمام جيد يمكن أن نشعر بأننا شخص آخر وأن يراودنا الانطباع والشعور بأننا تخلصنا بالفعل من كل الأدران سواء كانت جسدية ،أو معنوية وعادة المسلمين هذه أدت إلى ظهور حمامات عمومية في كل أرجاء المدينة تقريبا ،والتي كانت تعرف بالقبب التي تعلوها[1]".

كما نستخلص مما سبق الدور الصحي الذي كانت تؤديه تلك الحمامات ؛فقد كانت شديدة النظافة، وصحية جدا ؛حيث ذكر جواؤ مسكغناس(Mascarenhas) أنه لم يكن يوجد بها أي رجل، أو امرأة مصابين بأمراض جلدية، أو أي أمراض أو أوجاع من هذا الصنف فالاستحمام في الحمام كان يساعد على تنشيط الدورة الدموية ؛للمستحم ،و يشعره بالحيوية و بشعور عام من النشاط يسري في كل جسمه[2].

ولعل الشيء المثير للاهتمام في هذا الصدد هو إقدام بعض الحكام العثمانين على إنشاء الحمامات العمومية في مدينة الجزائر لعامة الناس مثل ما قام به كل من حسن باشا بن خير الدين ،و محمد باشا بن صالح رايس كما سلف ذكره ؛والذي يمكن اعتباره كمساهمة منهم في توفير نوع من الوقاية الصحية للسكان .

ونسجل أيضا الدور الاجتماعي المتميز الذي كانت تؤديه الحمامات من خلال دورها في تنشيط الحياة الاجتماعية ؛حيث كانت ملتقى للتحدث، والنقاش، وتبادل الآراء حول مواضيع شتى كانت تصب أغلبها في اطار اهتمامات سكان مدينة الجزائر اليومية ،والاجتماعية.

و كان يمكن لمن يشاء أن يدخل إلى هذه الحمامات على أن يدفع كل شخص اسبرتين –عملة نقدية– لفائدة الحمامجي الذي كان يشرف على تسيير الحمام والذي كان في العادة من العنصر المزابي ،وهذا على عكس الحمامات العمومية في اسطنبول والتي كانت مجانية ومسيرة من طرف مؤسسات خيرية" الأوقاف" مع العلم أن حمامات مدينة الجزائر الكثيرة

[1] Paul mombelli, Autobiographie du dernier roi d'Alger. Site internet: htt p:// www. Google .fr dernierroialger .caloucaero .net, chapitre 7 " le vieux corsaire

[2] Op.cit.,p.77

والمسيرة بشكل حسن؛ و التي كان يتردد عليها سكان مدينة الجزائر بصورة دائمة كانت لا تختلف في شيء عن حمامات إسطنبول[1].

و عند وصفه لحمام الحسن بن خير الدين أشار أحد الملاحظين في بداية الاحتلال الفرنسي لمسألة وجوب دفع مقابل لقاء الاستحمام ؛حيث ذكر:" أنه بعد الدخول إلى الحمام من باب كبيرة كما هو الحال في كل الحمامات العمومية كان يتم الولوج من خلالها إلى قاعة مربعة بعد أن نقوم بنزول بعض الدرجات وفي الجهة اليمنى من الدرج وقبل النزول إلى القاعة كان يوجد مكتب صرافة (comptoir) حيث ينبغي دفع المبلغ المستحق للاستحمام"[2]. علما أنه كانت تتم مراقبة الحمامات ،ومدى مراعاتها لشروط النظافة ،والمواد المستخدمة فيها كالصابون وغيره [3].

و كان يقبل دخول المسيحيين إلى هذه الحمامات مثل المسلمين شريطة الدفع، في حين لم يكن يقبل اليهود في هذه الأماكن، كما أنهم كانوا لا يرغبون في دخولها نظرا لمعتقدات خاصة لديهم[4].في حين يذكر وليام شالر أن اليهود في مدينة الجزائر كانوا يمتلكون حمامات خاصة بهم[5] ؛وهذا ما تؤكده سجلات البايلك ؛حيث ورد فيها ذكر اسم حمام اليهود كما ورد أيضا تحت اسم حمام البوزة بالاستناد إلى زنقة البوزة؛ التي كانت عبارة عن حي يسكنه اليهود فقط والذي كان يقع في الطرف الشمالي الشرقي لباب عزون ،غير بعيد عن القيصرية[6].

و نستخلص مما سبق أن الحمامات كانت مراكز للراحة، و تجديد النشاط، و قضاء أوقات ممتعة في جو بهيج بالنسبة للنساء؛ و منشآت، و مرافق للحفاظ على النظافة الصحية والدينية فضلا عن دورها في تنشيط العلاقات الاجتماعية، والتقارب بين مختلف الجماعات المشكلة للمجتمع؛ فكانت بصدق الأماكن الضرورية ،والممتعة في آن واحد كما ذهب إليه دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys)خلال القرن 11هـ (17 م)[7].

وما تجدر الإشارة إليه أيضا أن العناية بالماء، والمنشآت، والمرافق المتعلقة به تواصلت طيلة

[1] William Shaler ,Op.cit,p.86
[2] Rozet(M), Op.cit,T.3, p.55
[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …",In:**R.A.**, T.15, 1871, p.469
[4] Ibid.,p.385
[5] William Shaler,Op.cit.,p.99
[6] Nabila Chérif-Seffadj, Op.cit,p.88
[7] Op.cit, In:**R.A.**, T.12,1868, p.351

العهد العثماني،والدليل على ذلك أن المحتلين الفرنسيين الأوائل الذين دخلوا إلى مدينة الجزائر في سنة 1830م لاحظوا أنها كانت تتمتع بموارد مائية تحسد عليها ،وأن تسيير هذه الموارد كان من أكثر طرق التسيير فعالية، ولعل أدل دليل على ذلك أن مدينة الجزائر المحتلة بقيت معتمدة في التزود بالماء إلى غاية 1880 م على الجهاز المائي الذي نظمته السلطة العثمانية وهذا بالرغم من الزيادة المسجلة في السكان و بالتالي ارتفاع احتياجاتهم من الماء[1].

ويبدو أن التجهيز المائي الذي زودت به مدينة الجزائر والذي يعد من الآثار البارزة لقيام نظام الحكم العثماني فيها قد أبهر الفرنسيين [2]أنفسهم مع بداية الاحتلال الفرنسي وهذا ما نستخلصه مما قاله الضابط روزيت عندما كان يتحدث عن معالم المدينة وفحوصها حيث قال عنه :".....ولكن الشيء الذي أجده غير اعتيادي ،أو مألوف هو العدد الكبير من قنوات المياه التي أنشئت لجلب المياه إلى المدينة والعديد من هذه القنوات كانت تستمد مياهها من مسافات بعيدة تمتد إلى حوالي ميلين ..... وربما يوجد أكثر من مائتين قناة لنقل المياه كانت تزود مدينة الجزائر وفحوصها بالماء..... وهذا الإنجاز، أو العمل الكبير والجميل أنجز وحقق تحت حكم العديد من الدايات {والأصح من حكام الجزائر بداية من مرحلة البايلربايات}....."[3].

ج-المستشفيات :

نسجل خلال هذه الفترة غياب منشآت هامة لا غنى عنها في أي مجتمع من المجتمعات لما لها من دور في توفير العناية، والعلاج الطبي،والصحي الضروري للمرضى، ألا وهي المستشفيات وهو ما أجمعت عليه جل المصادر الغربية المعاصرة للعهد العثماني ،أو تلك التي كتبت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ؛ فلم يكن يتواجد في مدينة الجزائر حسب هايدو أواخر القرن10هـ(16م) مستشفيات باستثناء واحد ، إذ كان يتواجد بها بيت واحد باسم مستشفى

[1] André Raymond, Op.cit.,p.166

[2] وللأسف فقد تعرضت هذا التجهيز المائي المحكم والفعال بخاصة في الفحوص إلى التخريب على يد جنود الاحتلال الفرنسي حسب ما ذكره الضابط الفرنسي روزيت حين قال:"عندما كانت قواتنا تعسكر في الفحوص ،والريف قامت بتحطيم جزء كبير من القنوات المشكلة للشبكة المائية وهو ما سيتسبب في إحداث ضرر كبير بالمستعمرة ويكلف الكثير من الأموال إذ أردنا تصليحها....." أنظر: Rozet(M),Op.Cit.,T.3, p.96

[3] Ibid.,T.3, pp.956-96

وقد تم بناءه من طرف حسن باشا ابن خير الدين بربروس سنة 1549م عندما أصبح بايلربايا على الجزائر هذا المنزل كان مشكلا من خمسة غرف اثنتين في الطابق السفلي، وثلاثة في الطابق العلوي، ولم يكن يحوي لا أسرة، ولا أدوات طبية،ولا أدوية لتطبيب المرضى فضلا على أنه كان مخصصا للعثمانيين فقط الذين كانوا يأتون للمعالجة ،وكان عليهم تدبر كل ما يحتاجون إليه من سرير وغطاء، وطعام، وحتى الطبيب، والأدوية، ولم يكن ذلك المستشفى يقدم للمريض إلا الغرفة، وخدمات أسير مسيحي كان يحرس البيت المستشفى[1] علما أنه كان مخصصا لاستقبال فقراء الإنكشارية والعاجزين منهم[2].

و يمكن هنا أن نطرح التساؤل الآتي: أي مستشفى هذا ؟الذي لا يقدم للمريض إلا غرفة ألا يكون من الأفضل للمريض حينها المكوث في بيته ،وتدبر ما كان يجب عليه تدبره لو ذهب لتلك المستشفى، وقد ذكر هذا المستشفى في القرن 11 هـ (17م) من طرف غرماي أيضا ولم يشر إلى غيره.

ومن خلال دراسة الباحث خايطي مصطفي المشار إليها سابقا عند الحديث عن الوضع الصحي لمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني نستخلص وجود العديد من الزوايا التي كانت تقدم خدمات صحية وتؤدى دور المرافق الصحية ؛حيث كانت تستقبل المرضى وتقدم لهم العلاج كعمل تطوعي ،ومجاني ،و يندرج ذلك كما يبدو ضمن مختلف الإعانات التي كانت تقدمها الزوايا كنوع من التضامن الاجتماعي والديني الإنساني وبخاصة للمحتاجين في مدينة الجزائر ونذكر منها :

-**زاوية سيدي علي أتيكة** :كانت مشفى للمرضى ،وملجئ للفقراء والعجزة و**ملجئ بوتولي** الذي كان يقع خارج أسوار باب الواد وكان ملجأ للفقراء الذين كانوا يجدون فيه حاجتهم من الخبز ؛إذ كانت مداخيل أوقافه تخصص كل يوم جمعة لشراء الخبز للتصدق به على الفقراء الذين كانوا يقصدونه[3].

-**ملجئ زاوية سيدي ولد دادة** الذي كان يقع في زنقة الديوان ويستقبل أصحاب الاحتياجات الخاصة ،والعجزة ،والمرضى و**مشفى شارع زما** هكذا عرف خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي

[1] HAEDO, (F.D) "Topographie…", In:**R.A.**, T.14, 1870, p.310
[2] HAEDO, (F.D), Histoire des rois… , p.80
[3] Mostafa Khiati ,Op.cit.,p.86

وكان يستقبل المرضى العاجزين ،والملاحظ أن كلاهما واصل أداء دوره الذي تميز به خلال العهد العثماني حتى بعد تعرض الجزائر للاستدمار الفرنسي[1].

و تواجدت أيضا في مدينة الجزائر المارستانات، أو المستشفيات التي أقامها رجال الدين المسيحيين لصالح الأسرى الأوروبيين، وقد كانت تتوفر على كل اللوازم الطبية المتوفرة في تلك الفترة و فيها كان يلقى الأسرى العبيد العناية الطبية اللازمة[2].

وكانت تلك صورة من صور التسامح الديني، ودليلا على أن وضعية الأسرى الصحية من حيث احتكامهم على مرافق صحية كانت أفضل بكثير من وضعية بقية سكان مدينة الجزائر من المسلمين الذين كانوا محرومين من خدمات مؤسسات صحية بمعنى الكلمة تخفف عنهم معاناة المرض ؛وإن حاولت بعض الزوايا ،والملاجئ السابق ذكرها أداء هذا الدور.

[1] Ibid.,p.87

[2] لمزيد من المعلومات العودة للفصل الخاص بالمرافق العسكرية، والأمنية "من هذا الباب

الفصل الثالث: المرافق الدينية والعلمية

ع1- المساجد والجوامع

2 - الزوايا

3- المصليات

الفصل الثالث:المرافق الدينية والعلمية

تعتبر المرافق الدينية ،والتعليمية من أبرز المعالم في المدن الإسلامية ،وفي مقدمة هذه المرافق نجد الجوامع ،والمساجد ،والزوايا، والكتاتيب التي كانت تشتمل عليها المدن الإسلامية إذ كان المسجد والجامع يشكل قلب المدينة ،وأول ما يخط فيها ،وحوله كانت تتوزع بقية المرافق المختلفة من دار إمارة و أسواق ودور سكنية ،وغيرها.

وأدت هذه المرافق عدة أدوار هامة في المجتمع ؛ففي الحياة الاجتماعية كان لها دور هام من خلال مساهمتها في توطيد أواصر الأخوة بين جموع المصليين الذين كانوا يقصدونها من أجل أداء الصلوات جماعة ،وكذا من خلال دعوات الأئمة في خطبهم للتعاون ،والتآزر ،ولفت الأنظار إلى جملة من القيم الدينية ،والأخلاقية التي لا غنى للمجتمع عنها في إطار الحياة الاجتماعية هذا إلى جانب الدور الجوهري الذي أدته المساجد ،والجوامع إلى جانب الزوايا ،والكتاتيب ،والمدارس كمراكز للإشعاع العلمي والثقافي الديني التي كان من شأنها خدمة المجتمع .

فما كان حظ مدينة الجزائر من هذه المرافق الدينية ،والعلمية خلال القرنيين 10هـ(16م) 11هـ(17م) ،وفيما تمثل دورها ؟

أ–المساجد والجوامع :

تعد المساجد من المظاهر، و المنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلوا منها أي مدينة من المدن الإسلامية؛ فهي تعتبر روح، وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، و من السمات البارزة الدالة عليها؛ فالمساجد كانت من أبرز ميزات مدينة الجزائر التي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية ،و التأثيرات العثمانية ،و الأندلسية التي تزاوجت مع الأنماط المحلية.

و قد كان لهذه المساجد دور كبير في حياة المجتمع؛ فقد كانت مركزا للعبادة، إلى جانب كونها مؤسسة للوعظ ،و الإرشاد الاجتماعي من خلال ما كان يلقى فيها من خطب كانت تدخل في إطار التعاملات ،و العبادات و هذا ما لاحظه حتى الرحالة الغربيون الذين كتبوا عن المساجد حيث ذكر في أحد المصادر أن الإمام كان يصعد على المنبر كل يوم جمعة يوم اجتماعهم الديني لشرح بعض الآيات من القرآن الكريم ،أو لحث المصلين على الرحمة ،والشفقة والقيام بالأعمال الخيرة،[1] فضلا على أن المساجد كانت تساهم في خلق جو من التعارف

[1] SHAW (Thomas),Op.cit., p.101

و التقارب ،و الأخوة بين جموع المصليين الذين يقصدونها؛ إذا كانت المساجد تقوم بدور مزدوج دور ديني، و اجتماعي وهذا بغض النظر عن دورها الهام في تنشيط الجانب العلمي، و الثقافي للمجتمع[1]. –نشير إليه في مبحث آخر– .

وقد ذكر هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16 م) أنه كان يوجد في مدينة الجزائر على الأقل 100 مسجد كبير، أو صغير لكل منها أئمة لإدارتها ،و إلقاء الخطب، و إمامة الصلاة مع جمهور المصليين في ساعات الصلاة الشرعية المضبوطة ،و لقد بنيت تلك المساجد من طرف العثمانيين بما فيهم الأعلاج ، و كذا بعض سكان مدينة الجزائر الخيرين من الميسورين[2]،وقد ذكر الفارس درافيو في القرن 11 هـ(17 م)أن الأتراك كانوا يملكون عددا كبيرا من المساجد الجميلة جدا بمآذنها الرائعة[3].

واستفادت هذه المساجد من مداخيل أقل ما يقال عنها أنها معتبرة، و مصدرها الأوقاف الموقوفة عليها،و بفضلها كان في الإمكان صيانتها، وصيانة أثاثها ،و تجهيزاتها من زرابي و مصابيح ضرورية للإنارة ،و دفع أجور القائمين عليها من أئمة ،و غيرهم. و قد وصفها مسكغناس (Mascarenhas)خلال القرن11 هـ(17 م)بأنها كانت كلها متقنة البناء حسنة ،و نظيفة بزرابيها و مصابيحها[4].و من أهم مساجد،وجوامع مدينة الجزائر خلال القرنين10هـ- 11هـ(16م و17 م):

1–الجامع الأعظم[5]:

وكان يسمى بالجامع الكبير، و كان أعظم جامع بالعاصمة؛ فقدكان شديد الاتساع، و يقع بالقرب من الميناء[6].وقد وصفه حسن الوزان بقوله:".....ويشاهد من جملة بناءاتها جامع

[1] عن دورها في ميدان التعليم والثقافة أنظر الفصل السادس في الباب الثالث من هذا العمل

[2] "Topographie …"In-**R.A**,T.15,1871,p.382

[3] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T.5, p.231

[4] Op.cit, p.70

[5] و من الدراسات التاريخية الهامة التي ركزت على دراسة هذا المعلم الديني الحضاري الدراسة الأكاديمية التي أنجزتها الأستاذة الباحثة نعيمة بوحمشوش والتي رسمت من خلالها صورة تاريخية متكاملة المعالم لهذا المعلم خلال العهد العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر على ضوء المعلومات الواردة عنه في عقود الأوقاف التي حبست عليه:نعيمةبوحمشوش،الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف ،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف د.فتيحة الواليش ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 بوزريعة،السنةالجامعية2013-2014

[6] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15 , 1871, p.383

ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر أمامه ساحة جميلة جدا اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر....."[1].و قد شيد هذا المسجد الجامع في أول رجب 490هـ الموافق لـ 14 جوان 1097 مممن طرف يوسف بن تاشفين المرابطي[2] ؛ لذا اعتبر من أقدم المباني الدينية في مدينة الجزائر،و أكثرها صيتا، و شهرة[3].

وقد اعتبر نيكولاي دو نيكولاي في القرن 10 هـ (16 م) الجامع الأعظم الواقع في أسفل المدينة من أجمل مبانيها ،وأكثرها إثارة للاهتمام بعمرانه المتميز[4]. وقد أشار التمكورتي بدوره إلى الجامع الأعظم في القرن10 هـ (16 م) أيضا بقوله:".....وفيها المسجد الجامع واسع إمامه مالكي المذهب وفيها ثلاثة خطب أحدها للترك امامهم حنفي المذهب ....."[5].

وكانت مساحته تقدر بنحو مائتي متر مربع، و أهم ما يميزه أنه كان يحوي أقدم منبر في العالم الإسلامي[6]،و هو المنبر الشريف الذي يحمل نقش يعود تاريخه إلى أوائل القرن 1هـ حسب ما هو منقوش عليه، فهو بذلك من أقدم المنابر في المغرب الإسلامي باستثناء منبر جامع القيروان؛ فقد كان يعتبر أحد أقدم ،و أنفس حلية من التراث العقاري الديني[7]، و مئذنة المسجد الكبير يعود تاريخها إلى بداية القرن 14م وتحديدا سنة 1323م، و قد شيدت من طرف أبو تاشفين سلطان تلمسان الزياني[8].

وما يدل على ذلك النقيشة الرخامية العربية الموضوعة عند مدخل المنارة في داخل المسجد والتي جاء فيها :"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد لما تمم أمير المسلمين أبو

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف باليون الإفريقي المصدر السابق، الجزء الثاني ،ص37

[2] وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، المساجد في الجزائر، سلسلة الفن و الثقافة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر بدون تاريخ، ص.14

[3] وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر، المرجع السابق، ص.71

[4] Nicolas de Nicolay, Op.cit.,p .17

[5] علي بن محمد التمكورتي،المصدر السابق،ص.129

[6] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.152

[7] عبد الرحمان الجيلالي،"الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا"، في **مجلة الأصالة**،العدد الثامن، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر، السنة الثانية ربيع الثاني جمادى الأولى 1392 ماي – جوان 1972، ص.126.

[8] وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر، المرجع السابق، ص.72 أنظر أيضا :

Federico Cresti, Notes sur l'histoire urbaine…, p.23

تاشفين أيده الله وناصره منار الجزاير في مدة أولها يوم الأحد السابع عشر من ذي قعده عام اثنين وعشرين و سبعماية وكان تمامه وكماله في غرة رجب من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة نادا المنار المذكور بلسان حاله الحالي أي منار حاله في الحسن كحالي أقام أمير المسلمين تفافحا كساني بها حسنا وتمم بنياني وقابلني بدر السماء وقال لي عليك سلامي أيها القمر الثاني فلا منظر يسبي النفوس كمنظري الا فانظروا حسنى وبهجة تيجاني فزاد الهى رفعة لمتمي كما زاد شأني ورفع أركاني و لازال نصر الله حول لوائه رفيقا له تال وجيشا له ثاني ....."[1].

و يكمن جماله ،و دقة بنائه في جمال قاعة الصلاة من خلال الترتيب البديع للأقواس المصقولة ،و تعاقبها مع الأقواس الحادة مما يعطي للممرات إشعاعا هندسيا بديعا، و كانت صومعته ترتفع على مستوى الأرض إلى علو 05 متر وكان سقف المسجد يرتكز على 62 عمود، و كان هذا المسجد الجامع تابعا للمذهب المالكي ، فقبل نزول العثمانيين بالجزائر، لم تك هناك مساجد حنفية. و ما كان يميزه أيضا وجود فسيقتين؛ أي نافورتين من المرمر–الرخام –شكلت مع حوضيها من قطعة واحدة من خالص الرخام أضافها العثمانيون في الساحة المخصصة للوضوء[2]، و هذا دليل على مكانة هذا الجامع لدى كل سكان مدينة الجزائر[3] بما فيهم أتباع

[1] Gabriel colin, Op.cit, p.6 voir aussi Klein (H), Op.cit, p151 et Albert Devoulx, Les Edifices Religieux..Op.cit, 94

[2] حيث ازدانت قاعة الصلاة في الجامع الأعظم في ظل الحكم العثماني عند جانبي مدخلها الرئيسي بجانحين مستطيلي الشكل وهما يتضمنان وقد انفتحا على جوانبها الثلاثة من خلال أقواس بارزة على أعمدة صغيرة جرنين أو حوضيين كبيرين من الرخام الأبيض المرتفع المرتكز إلى جدار مزين بالخزف الملون وبالنقوش المنحوتة بأشكال نباتية ؛حيث كان يوفر هذا الموقع المثالي للمصلين فرصة القيام بالوضوء قبل الدخول لقاعة الصلاة ولايزال الأمر كذلك إلى اليوم .أنظر :معهد العالم العربي قنطرة "qantara التراث المتوسطي تقاطع الشرق والغرب ،كتاب تم إنجازه بمعونة الاتحاد الأوروبي ضمن إطار برنامج التراث الأوروبي المتوسطي،طبع هذا الكتاب على مطابع مام في مدينة تور،فرنسا ،سبتمبر/أيلول 2008،ص.60

[3] ويبدو أن رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519 م ؛ والتي تمخض عنها ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية قد حررت في الجامع الأعظم كما أن أحد علمائه حينها وهو المدعو محمد بن منصور الحلبي {ويبدو أنه كان عالما مهاجرا قدم إلى مدينة الجزائر من مدينة حلب وهذا ما يتضح من الإشارة الواردة في نص رسالة أهالي مدينة الجزائر المشار إليها آنفا:".....المنزوي والمعتكف بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر عبيد الله وخادم أهل السنة محمد بن منصور الحلبي..... في أرض غربته...."أنظر: نص أول رسالة...، المصدر السابق} وهو أرسل بدوره رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول في نفس السياق وقد يكون ذلك من ضمن الأسباب التي جعلت الجامع الأعظم يحظى بمكانة متميزة لدى الحكام العثمانيين طيلة فترة الحكم العثماني للجزائر.أنظرعن ذلك : عبد الجليل التميمي ، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم،مصدرسابق ص.157 ونعيمة بوحمشوش ،الجامع الاعظم بمدينةالجزائر...،المرجع السابق ،ص.274

المذهب الحنفي ،وهو دليل غياب ؛أي خلاف جوهري بين المذهبين السائدين في أوساطهم[1].
كما وجدت بهذه الأخيرة شجرة زعرور، وبرتقال بري، و في الماضي ألحقت بالجامع حديقة صغيرة ومصلى معد لخدمات الدفن وأخيرا ساحة كبيرة.

و كل المساجد كانت مرتبطة، أو متعلقة بالجامع الأعظم أو الجامع الكبير فيما يتعلق بالآذان ،أو الدعوة إلى الصلاة؛ فمدام لم ينطلق الأذان منه ،ولم يرفع العلم لإعلام الأشخاص البعيدين ،و الذين قد لا يصلهم صوت الأذان ،فإن المساجد الأخرى كانت لا تبادر إلى الإعلان عن حلول وقت الصلاة[2].

والسبب في هذا الامتياز الذي كان يحظى به الجامع الكبير يكمن في أنه كانت تتواجد على سطحه أو منارته مزولة؛ أي ساعة شمسية من رخام أبيض مرتفعة الشكل كانت تعرف بها الأوقات الزمنية، و تضبط بفضلها أوقات الصلاة، عن طريق الظل[3].

و من ثم فإن وجود هذه الأداة؛ أي الساعة الشمسية أعطت للجامع الكبير ذلك الامتياز ؛حيث كان يعول عليه لضبط الأوقات الشرعية للصلاة، إلى جانب وجود نبراس- فخم جميل كان موضوعا في مكان جميل بسطح المئذنة، والذي كان يستعمل للإشهار بدخول أوقات الصلاة الليلية، ولاسيما في ليالي رمضان حتى يراه المؤذنون ببقية مساجد العاصمة من أعلى الصوامع، فيشرعوا في الأذان[4]. وقد كان نظام بديعا يعبر عن روح الإبداع لدى مجتمع مدينة الجزائر الذي كان مسخرا لخدمة مختلف النواحي التي تمس بحياته اليومية.

ولابد أن نشير إلى أن الجزء المجاور للمحراب من المسجد قد أتلف سنة 1683 م من طرف القصف المدفعي لمدينة الجزائر من قبل حملة دوكسان الفرنسية ويوجد نص قديم يعلمنا أنه خلال القصف وضعت الكتب المقدسة{الدينية} الموجودة في الجامع في حصن الإمبراطور لتكون في أمان. وقد أعيد بناؤه بالاستعانة بعمال من الأسري العبيد المسيحيين مع العلم أن

---

[1] و الدليل على ذلك أيضا الأوقاف التي كانت تخصص لصالحه والتي كان يشترك فيها كل من أتباع المذهب المالكي والحنفي أنظر مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بالفصل الخامس في الباب الثالث من هذا العمل وأيضا :عبد الجليل التميمي ، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم...، و نعيمة بوحمشوش،الجامع الأعظم بمدينة الجزائر...،

[2] Joao Mascarenhas, Op.cit., p.71

[3] عبد الرحمان الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر...، ص.122

[4] نفسه

الجامع الكبير كان قد تعرض في مرحلة سابقة سنة 1529م إلى الضرر بسبب قصف الحامية الإسبانية في قلعة البينون لمدينة الجزائر كرد فعل إزاء محاصرة خير الدين للحامية تمهيدا لاستيلائه على الحصن وهو الأمر الذي تم فعلا –كما سبق الإشارة إليه –؛فحرص خير الدين حينها على ترميم وإصلاح ما تضرر من الجامع الأعظم[1].

وهذا الأمر دليل على عناية سكان مدينة الجزائر بالكتب، ومن ثم العلم ،وكذا دليل على احتواء الجامع الأعظم على كتب دينية قيمة ؛أي امتلاكه لمكتبة .كما كان الجامع الأعظم المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الأعلى ،أو ماكان يعرف بالمجلس العلمي[2] الذي كان بمثابة محكمة استئناف[3].

وكان الجامع الأعظم أيضا بمثابة مدرسة عليا؛ حيث كانت تقام فيه حلقات العلم وكان القائمين على الناحية الدينة والعلمية فيه يتمثلون في إمامين، ومفتي، و19 أستاذا، و18 مؤذنا و18 قارئ قرآن ،و87 وكيل يشرفون على تسير أوقافه أما المشرفين على نظافته وصيانته؛فكانوا يتشكون من 8 كناسين يقومون على نظافة الجامع، و3 قائمين على إنارة مصابيح الجامع[4]. كما كان الجامع الأعظم مقرا للمفتي المالكي؛ فمجلس فتواه كان يعقد في محل تابع للجامع حيث كان يأتيه كل من يطلب فتوى شرعية لقضية ما[5].

وكانت تقام في الجامع الأعظم الاحتفالات بالمناسبات الدينية مثل :قراءة صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان وكان يحضرها جمع غفير من الناس كما كان يتم إحياء ليلة القدر فيه بقراءة القرآن إلى غاية أن ينبلج الفجر؛فيرش الحاضرين حينها بماء الزهر[6] ،وكان الجامع الأعظم يشهد أيضا انطلاق موكب إحياء ليلة المولد النبوي الشريف منه وعودته إليه بعد القيام بجولة عبر أزقة وأحياء المدينة[7]. كما أن الجامع الأعظم كان أول مكان يقصده الحجاج بعد عودتهم من مناسك الحج ؛حيث يأتي الناس لتقبيل أيدي الحجاج ،وثيابهم ترحيبا،وتيمنا بهم[8].

---

[1] Klein (H), Op.cit., p.151

[2] أنظر الفصل الرابع في الباب الثالث من هذا العمل

[3] Klein (H), Op.cit., p.152

[4] Ibid.,p.152

[5] Albert Devoulx , Les Edifices Religieux.., p.99

[6] نعيمة بوحمشوش ،الجامع الاعظم بمدينةالجزائر...،المرجع السابق ،ص.275

[7] لمزيد من التوسع أنظر الفصل الثالث في الباب الثالث من هذا العمل

[8] Haedo, (F.D) "Topographie…" , In:**R.A.** , T.15, 1871,p.273 voir aussi :
عبد الجليل التميمي ، وثيقة عن الأملاك المحبسة ...، في تقديم الوثيقة،ص.159

2- مسجد الجامع الجديد :

وهو المسجد الجامع الثاني الهام بعد الجامع الكبير،وكان هذا الأخير تابعا للمذهب الحنفي وعرف أيضا "بمسجد الصيادة" ،وقد شيد فوق موقع مدرسة أبو عنان أو المدرسة العنانية وحمام مجهول الاسم مجاور للمدرسة ،وملاصق لها وكلاهما كان ينتصب فوق باب البحر ،وقد بني هذا المسجد بناء على إرادة، ورغبة الإنكشارية[1] – وقد وجد على أحد أبواب هذا المسجد كتابة تشير إلى ذلك نصها: " وإنه بعون الله تبارك وتعالى....بناء هذا المسجد والله يسدد خطي جندنا المنتصرين، ويجازي كل واحد منهم بألف جزاء ".

وفي حقيقة الأمر بني هذا المسجد بفضل أموال سبل الخيرات [2]؛أي مؤسسة الأوقاف التي أسسها العثمانيون لصالح المذهب الحنفي، و أتباعه، وعمل الخير، وقد ورد ذلك في احدي وثائق مجموعة سجلات البايلك في وثيقة تتناول المصاريف التي صرفت لبناء هذا المسجد والتي نستخلص منها أيضا تاريخ بداية تشيده وهي سنة 1066هـ/ 1656م مما جاء فيها:

" بيان المنفق من المتحصل من وقفية أوقاف سبل الخيرات في بناء المسجد الجامع الذي وقع الأمر ببنائه بالمدرسة العنانية داخل محروسة الجزاير وأجرة الخدمة والجير وآجر وساري الضروريات بتاريخ المية الحادي عشر من شهر ذي القعدة الحرام من عام ستة وستين وألف على يد من عين لذلك وهم السادة الكرام شعبان أغا بن عمر ورجب آغا بن .....والناسك الابر {كذا} الحاج قاسم عبيد والناسك الابر{كذا} الحاج عبد الله ابن أحمد عرف تاريخه الأندلسيان والكاتب السيد باقي خوجة والسيد مامي خوجة ....."[3].

وتسميته بالجديد كانت بالنسبة إلى الجامع الكبير، أو الأعظم،و كانت مساحته تبلغ نحو 1572 مترا مربعا، وكان على شكل مساجد اسطنبول، وتجلت فيه بذلك التأثيرات العثمانية في مجال العمران، وتعود أصالة هذا البناء إلى كونه بني من أموال الأوقاف" أوقاف سبل الخيرات"– التي ستشرف لاحقا أيضا على إدارة الأوقاف التي ستحبس عليه– ،وعلى عكس العادة التي كانت

---

[1] Mouloud Gaïd,Op.cit.,p.231

[2] لمزيد من التوسع أنظر الفصل الخامس في الباب الثالث من هذا العمل

[3] سلسلة البيالك فهرس عددي مفصل رقم 33 –ب علبة 310 إلى 382 رقم السجل 423 –الرقم القديم 325 السنة 1066 -1098 هـ/1655 م -1656 م/ 1671 م – 1672 م،ص.1

سائدة، والمتمثلة في كون تلك المبادرات كانت تصدر عن الحكام، و بعض الأثرياء الخواص[1].

كما أنه وجدت مبادرات فردية لتدعيم هذا المشروع كمبادرة ؛المدعو القايد محمد الحداد بن عبد الله ؛والذي يبدو من خلال تسميته أنه كان من فئة الأعلاج؛حيث قام بالتنازل عن الزندانة أي القبو الذي كان يملكه ،والذي كان يقع في سوق السمك بالقرب من باب البحر إحدى أبواب مدينة الجزائر ؛وأشهد على نفسه أنه تصدق بها لصالح المسلمين حتى يدرج هذا المبنى في المساحة المعدة لبناء المسجد المزمع بناؤه بالمدرسة العنانية الملاصقة للقهوة الكبيرة في داخل مدينة الجزائر المحروسة وذلك بناء على عقد مؤرخ في أواسط صفر 1067 هـ/1656م[2]. كما نجد عقد تحبيس قام به الحاج حسن آغا لصالح الجامع الذي كان يتم الانشغال ببنائه حينها في المدرسة العنانية تحت إشراف ومراقبة الحاج باكير آغا بن الحاج إبراهيم وهو عقد مؤرخ في بداية رجب 1070هـ/1660م[3].

وقد تمت مراعاة عدة مسائل عند بنائه من أهمها اختيار موقع قريب من الجامع الأعظم ومن جامع السيدة ،وكان الهدف من وراء اختيار هذا الموقع هو إدماج الجامع الجديد في المركز الروحي الديني والسياسي- الاقتصادي لمدينة الجزائر في القسم السفلي منها المعروف بالوطاء ففي مواجهة الأرضية المخصصة لبنائه كان ينتصب من ناحية الشمال سوق الباديستان وفي الغرب سوق المقياسية والقيصرية ،وسوق الصاغة [4]كما خصص الجامع الجديد منذ تأسيسه ليؤدي دورا هاما في الجهاز القضائي في مدينة الجزائر من حيث احتضانه لمقر المحكمة الحنفية[5] فقد كان الجامع الجديد بمثابة جامع كبير للأحناف؛ حيث كان المفتي الحنفي أيضا يعقد جلسات الإفتاء فيه ،ويقدم فتاويه التي كانت تخدم القضاء[6].

---

[1] وزارة الأخبار بمشاركة السيد رشيد بوروبة، المرجع السابق، ص .53

[2] Albert Devoulx , Les Edifices Religieux...,p.140

[3] Ibid., p.141

[4] حول سوق الباديستان وسوق المقياسية ،وسوق القيسارية،وسوق الصاغة أنظر الفصل الموالي من هذا الباب الخاص بالمرافق التجارية

[5] Samia Chergui, La Nouvelle Mosquée d'Alger."Le déroulement d'une procédure constructive au XVIIe siècle",In:**Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée**[En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 05 janvier 2012, consulté le 17 décembre 2013. URL : http://remmm.revues.org/6267, paragraphe 6 et7

[6] Albert Devoulx : Les Edifices Religieux...,p.142

وتجدر الإشارة إلى أن تسمية الجامع الجديد بقيت ترد في الوثائق مقرونة بالمدرسة العنانية التي بني على موقعها؛ و من النماذج على ذلك عقد تحبيس ذري ورد فيه اسم الجامع الجديد عند تحديد موقع الدار التي حبست أجزاء منها:"..... جميع العشرين الاثنين وخمسون اثمان العشر و اربعة اسداس ثمن العشر من جميع الدار الكاينة بقاع السور قرب القهوة المجاورة للمسجد المحدث الآن بالمدرسة العنانية حسبما ذلك مبين في عقد التحبيس ...."[1].

و استمر ذلك إلى غاية حوالي سنة 1669 م فابتداء من هذا التاريخ أصبح اسم الجامع الجديد يرد وحده في الوثائق، وتم إسقاط اسم المدرسة العنانية، واسم الجامع الجديد هو الذي بقي محفوظا في الذاكرة الجماعية في حين أن تسميته بجامع الصيادة فتعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي لقربه من سوق الحوت[2].

وصمم هذا المسجد الذي بلغ علو قبته 24 مترا ،وارتفاع منارته 29.5 مترا على شكل صليب لاتيني[3] مذكرا بذلك تصميم كنيسة آل صوفيا بإسطنبول ؛حيث اعتمد تصميمها بعد تحويلها إلى جامع رئيسي في إسطنبول كنموذج رسمي لبناء المساجد الأخرى في الدولة العثمانية ومن ثم فمن الطبيعي أن يكون شكل المسجد الجديد الذي بني برعاية العثمانيين، ومن أجل المذهب الحنفي متميزا عن بقية المساجد في مدينة الجزائر[4]؛ التي تجسد مميزات الفن المعماري المحلي المرابطي، والأندلسي، الذي كان يميز المساجد المالكية، إذ أن مخطط الجامع الجديد شبيه بمخطط مساجد بورصا بتركيا، ويعد هذا المسجد بحق أحسن نموذج يعكس ويجسد الهندسة المعمارية

[1] الوثيقة رقم 31 " رسم معاوضة وقف بآخر تحت إشراف قاضي مدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها تحوي تاريخين أواخر صفر من عام 1087 هـ(1676م) و تاريخ ربيع الثاني 1101 هـ (1690م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] Albert Devoulx , Les Edifices Religieux...,p.142

[3] و ارتبط شكل تصميم هذا الجامع برواية ، أو أسطورة مفادها أن السبب في تخطيط الجامع الجديد على شكل صليب هو أن المهندس الذي أشرف على وضع المخطط كان أسيرا مسيحيا ماهرا جدا في فن البناء وقد اتخذ لذلك شكل الصليب في تصميم سقف الجامع ،ولكن فكرته هذه أدت إلى أن يلقى حتفه، حيث تم الوشاية به للباشا؛ الذي اشتد غضبه لظهور رمز من رموز المسيحية في بناية إسلامية ؛ فأمر بقتل المهندس. وقد أورد ألبير دفوا هذه الرواية في دراسته عن المعالم الدينية في مدينة الجزائر كما أنه عمل على مناقشة مدى صحة هذه الرواية وأبرز ميله إلى عدم تصديقها مبرزا حججه في ذلك أنظر:
Albert Devoulx, Les Edifices Religieux...., p.133

[4] Rachid Dokali, les mosquées de la période turque a Alger, société Nationale d'Édition et Diffusion(SNED), Alger ,1974 ,p. 39

المعمارية الدينية العثمانية في مدينة الجزائر خاصة [1] وفي الجزائر عامة، وكان منبره من الرخام الرقيق المصقول، والمزخرف في حين كان محراب هذا المسجد مبلطا بالزليج –المربعات الخزفية –الثمين وله إطار من أطرزه رقيقة من الجص[2] ؛ويعتبر الجامع الجديد من المعالم الدينية القليلة التي تعود للفترة العثمانية ،والتي نجت من معول الهدم؛ الذي عمل المحتل الفرنسي على توظيفه منذ استيلائه على مدينة الجزائر كما أنه نجا أيضا من تحويله إلى اسطبل، أو كنيسة ،أو ثكنة على يد الاحتلال الفرنسي، وهو مصير جل المرافق الدينية في مدينة الجزائر ؛حيث تم الإبقاء عليه كمعلم ديني إسلامي.

3 –مسجد جامع حسين ميزومورطو:

ومن المساجد الجوامع الأخرى؛التي ميزت الفترة المدروسة المسجد الجامع الذي شيده العلج الحاج حسين ميزومورطو ؛الذي حكم الجزائر (من 1094هـ إلى 1100هـ الموافق 1683م إلى 1689م) ،وقد أمر ببناء المسجد حوالي سنة 1097 هـ(1685-1686 م) وما يميزه منارته وقبته العريضة قليلة العلو، و أنه بني فوق عدة حوانيت، وحمام، وكان يحوي قاعة، وضوء عمومية بعيون، وقاعة استحمام بالماء البارد ،وهي غرفة كان الفقراء يأتون إليها ليغتسلوا من أعلى رؤسهم إلى أخمص أقدامهم بالماء البارد ؛الذي كان يجلب إليهم في جرار نحاسية، و كان هذا المسجد يقع بشارع باب عزون داخل المدينة بإزاء رحبة الزرع[3].

وكان يشرف على تسير الناحية الدينية والعلمية فيه إمام خطيب، وإمام للصلوات، وفقيه للفقه المالكي ،و نشير هنا إلى أنه بالرغم من اندراج المسجد في إطار مساجد المذهب الحنفي إلا أنه كان يشتمل على أستاذ، أو مدرس للفقه المالكي- وهذا دليل آخر على غياب؛ أي تعصب مذهبي في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في الحكم العثماني- ، وشيخ للفقه الحنفي ومحدثين للأحاديث النبوية مع رواة؛ أي بمعني من يروي، أو يقرأ الحديث للشيخ ليشرحه هذا الأخير للحاضرين من الطلبة وغيرهم ، وقارئ للمديح الديني، وقراء تنبيه الأنام وقد خصصت العديد من الأوقاف لتصرف إيراداتها على هذا المسجد من طرف الحاج حسين ميزومورط[4].

[1] وزارة الأخبار والثقافة، الجزائر،المرجع السابق، ص.80

[2] Mouloud Gaïd, Op.cit., p. 231

[3] Albert Devoulx, "Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger", **In** :**R. A.**, T.13, 1869, société historique Algérienne, chez bastide libraire –éditeur Alger , p.29

[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.110

4-مسجد علي بتشين:

ومن أهم مساجد تلك الفترة أيضا مسجد علي بتشين الذي كان يعتبر من أشهر، و أثرى رياس البحر بمدينة الجزائر خلال القرن 11هـ (17م) وقد قام ببناء هذا المسجد الجامع من ماله الخاص والذي حمل اسمه و لايزال وقد شيد حوالي سنة 1032هـ1622م، ويقع في نهج باب الوادى[1].

و كانت قاعة الصلاة فيه ذات شكل مربع، ولم تكن تؤدي مباشرة إلى الشارع لأنها بنيت فوق حوانيت نظرا لعدم استواء الأرض، ومحراب المسجد كان لا يقدم أي زينة وكانت توجد به حديقة، ونافورة ماء، وهو أسبق في بنائه من المسجد الجديد؛ وفيه تجسدت التأثيرات الأولى للفن الأناضولي، في حين يلاحظ فيه بقاء مئذنته على الطراز المغربي الرباعي[2]. ومن تم تعد مئذنة هذا المسجد نموذجا حيا لتمازج الفن المعماري المحلى مع الفن الأناضولي و شاهدا على ظاهرة التأثير، والتأثر الحضاري التي برزت في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ،والتي تجسدت هنا في الميدان العمراني.

كما نستخلص من خلال هذا المعلم الديني دور الأعلاج وسعيهم في خدمة الإسلام والمسلمين بتشييد المؤسسات الدينية والتعليمية، وفي مقدمتها المساجد وتخصيص الأوقاف لها ولاسيما منهم الذين تولوا مراكز المسؤولية ؛ومن ثم نلاحظ مشاركة السلطة حينها في الحياة الدينية لسكان مدينة الجزائر التي كانت تشكل جزءا لا يتجزأ من حياتهم الاجتماعية ،واليومية وإن كان ذلك على شكل مبادرات فردية.

5-مسجد سيدي رمضان:

ونذكر أيضا من المساجد، مسجد سيدي رمضان الذي كان يقع في أعلى المدينة بالقرب من القصبة القديمة[3] وكان من أقدم مساجد مدينة الجزائر، وقد يكون أسبق في نشأته من نشأة الجامع الكبير ،و نفترض ذلك من منطلق ارتباطه بالقصبة القديمة ؛وهي القصبة التي أقيمت على يد بلكين بن زيري ؛أي قبل أن تخضع مدينة الجزائر للحكم المرابطي الذي يرجع إليه بناء الجامع الأعظم ، وكان جامع سيدي رمضان يسمى أيضا بمسجد القصبة ،وذلك لقربه من القصبة القديمة التي عرفت بذلك بعد أن قام العثمانيين بتشييد القصبة الجديدة في موقع أعلى

[1] المرجع نفسه ،ص.82.

[2] وزارة الأخبار والثقافة، الجزائر ،المرجع السابق، ص.79.

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In :**R.A.,** T.15, 1871, p.384

منها وهذا ما يتضح من أحد عقود البيع والشراء :" .....بعد أن تقرر الاشتراك السوى بين .....في جميع العلوي و الاسطبل اسفله القريب من ضريح الشيخ المتبرك به سيدي رمضان نفعنا الله به سند الجبل داخل محروسة الجزائر امنها الله من سوء الدوابر ومن القصبة القديمة ....."[1].

وقد ورد ذكره في العديد من الوثائق المحلية ،ولاسيما من خلال الاستناد إليه لتحديد مواقع الملكيات القريبة منه المعنية بالبيع والشراء ،وتقسيم التركات ،وغيرها من المعاملات ونذكر على سيل المثال لا الحصر :

".....وخلف الهالك المذكور الحاج عبدي المذكور موروثا عنه جميع دار سكناه القريبة من جامع سيدي رمضان بالجبل من محروسة الجزائر ..."[2] وأيضا: "جميع الحانوت الكاينة اسفل مسجد الوالي الصالح سيدى رمضان نفعنا الله ببركاته امين سند الجبل اللصيقة بكوشة هناك معدة لطبخ الخبز ....."[3].

وخصص هذا المسجد الجامع للمذهب المالكي ،ومن خاصيته المميزة أنه كان مغطى بالقرميد الأحمر الموضوع على أضلاع سقفه التسعة ذوات الجانبين المتقابلين كما هو الحال في الجامع الأعظم[4]. وهو أسلوب فني معماري يمثل الفن العمراني المحلي.

وقد كان جامع مسجد سيدي رمضان من حيث هيئته العمرانية بسيطا جدا ليس فيه أدنى زخرفة ،ولا نقش، وكان يحوي 18 عامودا ،أو أسطوانة من الحجارة على صفين كانت ترتكز عليها سدة من الخشب ،وهي سدة كانت مخصصة للنساء ،وكانت الأعمدة 18 المذكورة تحدد وتعين ثلاثة أروقة طويلة و يبلغ عرضها حوالي 3 أمتار ،وعلى واجهة المسجد نلاحظ وجود باب وعين، ومبنى كان يستخدم كمرحاض.

كما وجد به بيت صغير مظلم دون أي اتصال مع الداخل ،له نافذتين صغيرتين مسيجتين وهنا كان يوجد قبر الولي الصالح سيدي رمضان. كما كان يحوي المسجد مصلى خصص لإقامة صلاة الجنازة على المتوفين،وكان لهذا المسجد منارة قليلة الارتفاع وجد ضيقة ومربعة الشكل

[1] وثيقة 65 " في العلبة 27-2 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 35 في العلبة27-2 المصدر السابق

[3] الوثيقة 69 "عقد بيع وشراء بإشراف القاضي بمدينة الجزائر " في العلبة 27 -2 ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] Albert Devoulx ,Les Edifices Religieux… ,In : **R.A.**, T.14,1870 ,p.173

و ثقيلة، وتحتوى على سلم يتشكل من45 درجة منخفضة، و5 مرتفعة [1]، وكانت تلقى فيه دروس في التوحيد والحساب، والتوقيت ،وغيره[2]. وكان القائمون على شؤونه يتشكلون من وكيل وإمام يقوم بمهام الخطيب، ومن مؤذنين عادين ،ومن 3 مؤذنين ليوم الجمعة ،وستة حزابين أو قارئين القرآن ،وخمسة قارئين لتنبيه الأنام ،وقارئ لصحيح البخاري ،وقارئ للتوحيد ومن عدة قراء إضافيين للقرآن الكريم خلال شهر رمضان بالإضافة إلى عدد من العمال كانوا يسهرون على صيانة ونظافة الجامع مثل الكناس، والقائم على إنارة مصابيح الجامع ،والمكلف بتنظيف المراحيض وأماكن الوضوء[3].

6-مسجد جامع صفر أو سافير[4] باشا:

ومن المساجد الجوامع الهامة خلال المرحلة المدروسة نذكر جامع القائد صفر بن عبد الله الذي كان من أصل مسيحي ،ويخدم لدى خير الدين أول بيلربايات الجزائر ،ثم اعتنق الإسلام فأصبح من أعلاج مدينة الجزائر، و من أعيانها، ومن أعماله تشييد هذا المسجد الجامع الذي يعتبر تحفة في الفن المعماري الديني بقبته البيضاوية ،وأعمدته القديمة ومحرابه المغطى بزليج فارسي جميل، وما يميزه أيضا أنه بني خلال مدة تسعة أشهر فقط[5].

حيث شرع في بنائه في شهر رجب من عام 940هـ الموافق لشهر جانفي 1534 م وانتهي بناؤه في 2 ربيع الأول من عام 941هـ الموافق لشهر 11سبتمبر 1535 م على الباب الرئيسي للمسجد نجد نقيشة أو تسجيلا يحدد تاريخ بنائه ،و هذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و سلم الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الأرض وفضل بقاعها بعضا على بعض وجعل أفضلها بقاعا تودي فيه النفل والفرض والصلاة والسلام على محمد الشفيع يوم العرض وسلم تسليما وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس على التقوى بناؤه وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه

---

[1] Ibid.,p.173

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.162

[3] Albert Devoulx ,Les Edifices Religieux ..., In : **R.A.**, T.14,1870 ,p.174

[4] حيث يشير رسم تحبيس إلى هذا الجامع باسم سافير عند تحديد موقع الحانوت المراد تحبيسها :" ..... .مع جميع النصف الواحد شائعا من جميع الحانوت الكاينة*(كذا)* بالمحل المذكور التي نصفها الاخر حبس على جامع المرحوم بكرم الله سافير الكاين*(كذا)* بالمحل المذكور ....."أنظر:الوثيقة رقم 16" رسم تحبيس ذري لامرأة من نساء مدينة الجزائر مرجعه فقراء الحرمين الشريفين"، في العلبة 20 -1 ،تاريخها أوايل صفر الخير عام1094 هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.159

و أركانه أمر ببنائه الفقير إلى مولاه مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه وكان ابتدأوه في شهر رجب الفرد من العام الفارط عن عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الأول عام احد وأربعين وتسعمائة جعل الله ذلك خالصا إلى وجهه الكريم "[1].

وهذا المسجد الذي لايزال قائما إلى يومنا هذا كان يقع في الحومة التي كان يوجد فيها ضريح المرابط سيدي بوقدور؛ أي بالجهة العليا لمدينة الجزائر، وحضي بإهتمام ورعاية أول حكام الجزائر البايلربايات ؛حيث أوقف عليه البايلرباي خير الدين باشا مزرعة كان يملكها ؛وهذا مانستدل عليه من خلال ما جاء في عقد التحبيس الذي أورده ألبير دوفوا في دراسته عن المعالم الدينية في مدينة الجزائر:" ....أنه حبس ووقف عشرة زويجة أرض ؛أي حوالي مائة هكتار مع أحراشها الموجودة، أو الواقعة في حي سيدي يخلف غرب مدينة الجزائر بالقرب –من اسطاوالى الحالية – التابعة لمدينة الجزائر المحروسة لصالح المسجد الذي قام ببنائه القايد الأكمل التقي والي الثقة....القايد صفر باشا بن عبد الله الكائن في القسم الأعلى لمدينة الجزائر المحروسة، و أوصي بأن هذا العقار لا تجري عليه الضريبة، وأن ما يتعلق بها ويخرج منها من فوائد على شكل غلة أو عشور تضاف لمصروف المسجد المذكور ،ولكل حاجياته...."[2].

7 – مسجد جامع السيدة:

ومن المساجد الهامة أيضا خلال هذه الفترة مسجد جامع السيدة الذي كان يقع بالقرب من دار الإمارة أو قصر الملك"قصر الجنينة" على حد وصف هايدو له ؛فموقعه على وجه التحديد كان قبالة المدخل الرئيسي لقصر الباشوات، والمقصود به قصر الجنينية ،وذكر هذا الأخير أن حكام الجزائر العثمانين اعتادوا على أداء صلاة الجمعة في هذا الجامع لموقعه القريب من مقر حكمهم[3].

و كان هذا المسجد بحسب ما ذكره" ألبير دفوا "في دراسته عن المعالم الدينية في مدينة الجزائر يحتل المراتب الأولى من منطلق موقعه الاستراتيجي بالقرب من دار الإمارة مما جعل حكام

[1] Albert Devoulx , Les Edifices Religieux ..., In : **R.A.**, T.14, 1870, p.187 voir aussi Gabriel Colin, Op.cit , p.16 voir aussi Rachid Dokali, Op.cit ., p.35

[2] Albert Dévolu, Les Edifices Religieux ..., In : **R.A.,** T.14,1870,p.189

أنظر أيضا نور الدين عبد القادر، نفس المرجع السابق، ص159

[3] Haedo, Topographi et histoire ... In: **R.A.,** T.14 ,1871, p.383

البلاد، وكبار الموظفين يقصدونه لأداء صلواتهم، وفيما يتعلق بتسمية هذا الجامع؛ فإن كل العقود التي اطلع عليها ؛والتي يعود أقدمها إلى سنة 1564 م تتفق على تسميته بمسجد السيدة ويبدو دائما حسب "ألبير دفوا" أن هذه التسمية كان من شأنها التذكير بأن الفضل في بنائه الأول يعود إلى امرأة متدينة؛ ولكنه يشير إلى أنه لم يتمكن من إيجاد تفسير دقيق، وواضح حول أصل هذه التسمية [1] ولاسيما من هي المرأة المحسنة المقصودة[2].

و أجمع كل من كتب عن هذا المعلم الديني على وصفه بالتحفة المعمارية بحق ومن روائع الفن المعماري فيما يتعلق بالمساجد ؛فقد كان الأكثر أناقة في كل المعالم الدينية في مدينة الجزائر فمن الداخل كان مغطي من الأسفل إلى الأعلى بالزليج المصقول؛ الذي كان يعطي للدور المورسكية الغنية هيئة جميلة جدا ؛وبفضل هذا لم يكن هذا المسجد خاضعا للتبيض الدوري بالجير الذي كانت تخضع له كل المعالم والمباني الأخرى في المدينة؛فالجير لم يكن يدخل عليه مطقا[3]. وقد كان يمتلك أعمدة من الرخام الأبيض يبلغ عددها 20 عمودا[4] تعلوها أقواس منقوشة، و منحوتة على شكل كرمة من العنب التي كان يمكن للمصلين ملاحظتها ،وفي نفس الوقت الاحتماء بها ؛و ذكر ألبير دفوا أن هذا المسجد لم يكن له من الخارج أي شيء يثير الاهتمام، أو يجعله متميزا ،ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لداخل المسجد ؛ حيث كانت توجد قبة أنيقة ،وذات زخارف ونقوش متنوعة ،وجميلة كانت تشكل وسط هذا المعلم وقلبه[5].

وفي نهاية القرن 12هـ (18 م) تمت إعادة بنائه،و في واقع الأمر تمت عملية توسعته على حساب الدكاكين التي كانت مجاورة له من طرف الداي محمد باشا(1179 هـ/1765 م إلى1205هـ/ 1790 م) الذي حكم مدة 25 سنة ولكن لم يتسبب ذلك في تغيير تسميته كما جرت

[1] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., p.152-153

[2] و يذكر الأستاذ الباحث ناصر الدين سعيدوني أن بعض الروايات تذهب إلى أن هذا المسجد بني مكان مسجد قديم كان من بناء بنت الناصر الحمادي صاحب بجاية، ومنه أخذت تسمية المسجد الذي أسس مكانه؛ فعرف بمسجد السيدة الذي أرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 1027 هـ/1561 م أنظر : عبدالله محمد الشويهد، المصدر السابق ، ماذكره المحقق بالهامش، ص.93

[3] Marcel Emerit, les Quartiers Commerçants D'Alger à L'époque Turque, In : **Revue Algeria ,**Nouvelle série, Numéro 25, Edition Baconnier, Alger, XX Année, Janvier-Février, 1952, p.10

[4] Albert Devoulx , Les Edifices Religieux ...., p .154

[5] EUDEL (Paul), L'Orfèvrerie Algérienne et tunisienne**,** Jaurdan Edition, Alger 1902 pp.83-84

العادة[1] وكانت مؤسسة سبل الخيرات هي التي تشرف على هذا الجامع والذي بالرغم من أهميته وكونه الجامع الذي كان يرتاده الحكام إلا أنه لم يحظ بالكثير من الأوقاف بحسب ما أورده ألبير دفوا ؛حيث لم يعثر إلا على ثلاثة وقفيات قام بها الباشاوات ؛والمتمثلة في وقفية قام بها الداي محمد بن محمود سنة 1088 هـ /1677 م ووقفية حسن باشا سنة 1092 هـ/1692 م وأخيرا الوقفية التي قام بها الداي الذي قام بتجديد بناءه وتوسعته الداي محمد باشا[2].

وهنا نطرح السؤال الآتي هل يعنى هذا غياب وقفيات أخري على هذا الجامع قام بها سكان مدينة الجزائر من غير الحكام وكبار الموظفين ؟علما أنه عثرنا على عقد وقف آخر قام به أيضا أحد كبار الموظفين وهو البيتمالجي صاري مصطفى لصالح جامع السيدة، و مما جاء فيه:" هذه نسخة رسوم تنقل للحاجة إليه والتوثق بها نص أولها الحمد لله بعد أن استقر على ملك المعظم المفخم المرعي المحترم السيد صاري مصطفى ناظر المواريث المخزنية بمحروسة الجزاير وقت بالتاريخ ابن الحاج محمد التركي المذكور مالكا .....جميع السدس الواحد شايع من جميع الحمام .....المعروف بحمام ابن القرعي .....الاستقرار التام اشهد الآن السيد مصطفى شهيديه على نفسه الكريمة أنه حبس جميع السدس الواحد الشايع{كذا} من جميع الحمام المذكور على المسجد القريب من دار الامارة {كذا} العلية المعروف جامع السيدة ....."[3] كما أنه قام بتحبيس أملاك أخرى له على هذا المسجد.

ولم يعد لهذا الجامع أي أثر نتيجة عداء الاحتلال الفرنسي لكل ما هو حضارة ؛حيث قام بتدمير هذا المعلم الديني ،والتحفة العمرانية ؛وتجدر الإشارة إلى أنه أول معلم في مدينة الجزائر تم هدمه بالمعول ،والمطرقة بيد الفرنسيين ،وإحدى خصائص هدمه تمثلت في منارته التي هدمت ككتلة واحدة بعد صمودها؛ وكأنها تتحدى المحتل الفرنسي حيث بقيت قائمة وسليمة طويلا بالرغم من انهيار واجهة المسجد وقبته على اعتبار أن هدم المسجد بدء سنة 1830 م وأنه لم يتم التوصل لهدم المنارة ، وإسقاطها إلا بعد بدل جهود كبيرة من طرف المحتل الفرنسي إلا في نوفمبر

[1] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., p.153
[2] Ibid., p.155
[3] الوثيقة رقم 41 " نسخة ثلاثة رسوم تحبيس قام بها البيتمالجي صاري مصطفى "،في العلبة 141 تاريخها أواخر شهر ربيع الثاني 1015 ه (1703م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

1832م بعد لجوئهم إلى طريقة اعتمدها الأتراك العثمانيين في فتحهم لجزيرة رودس والتمكن من أسوارها المنيعة[1].

وبحسب ما ورد في قانون أسواق مدينة الجزائر استخلصنا أن جامع السيدة كان المقر الذي يجتمع فيه أهل الحل ،والعقد من أمين الأمناء ،وشيخ البلد ،وأمناء الحرف ،والمحتسب وغيرهم من ممثلي السلطة في مدينة الجزائر للنظر في قضايا متنوعة كانت تمس بالدرجة الأولى بالميدان الاقتصادي ،والتجاري؛ والتي كانت تؤثر على الميدان الاجتماعي كالتشاور حول تحديد أسعار المواد الغذائية وغيرها من السلع،و حل النزعات بين مختلف الجماعات الحرفية ،و تحديد المكوس، والضرائب الواجب فرضها على كل نشاط حرفي، وتجاري وتحصيل هذه الضرائب[2] ....الخ ومن الأمثلة عن ذلك :

" .....الحمد لله تقييد ما وقع بأمر صاحب السعادة بابا أحمد ضي على شان ماية وثلاثة واربعين ريال يبقوا طايحين لشيوخ البلد يعدوهم كل عام عيط لنا بابا أحمد على عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويحت {كذا}وسليمان شيخ البلد وسي أحمد بن الفاسيا ولمين وقال انجمع في الجماع وافرضوهم على الصنايع وحد المر {كذا}ثم انجمعنا الجماع في جامع السيد {كذا} الكبير والصغير وكان اتفاقهم عام 1108هـ .....الدباغ ثمانية عشر ريال ....الحداد سبع ريالات ....."[3].

و نستخلص مما سبق أنه تم الاجتماع في جامع السيدة بهدف تحصيل الديون المترتبة على مختلف الصنائع، وتم تحديد ما ينبغي لكل جماعة دفعه من المبلغ الإجمالي.و في موضع آخر من المخطوط : "الحمد لله زمام الجماع في جامع السيدة الأمناء صغير وكبير واتفقوا مع شيوخ البلد بن لحرش وسي أحمد بن الفاسيا وأمين الخياطين وعبدالله محمد بن الحاج الشويحت {كذا}وفرضوا ثلاثة غرايم {كذا}ونصف....."[4].

8 - مسجد جامع خضر باشا:

و من المساجد البارزة أيضا خلال هذه الفترة مسجد جامع خضر باشا الذي كان يقع بشارع باب عزون ،وقد كان ينتمي للنمط العمراني العربي القديم المتميز في الخارج بسقف من

[1] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., p.156

[2] Delphin, Op.cit., p.172 voir aussi Samia chergui, la nouvelle mosquée …, paragraphe 7 voir aussi : عبدالله محمد الشويهد ،مصدر سابق ، تعليق المحقق في الهامش، ص.93

[3] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 56 من النسخة الثانية

[4] المصدر نفسه ،ورقة 82 و 83 من النسخة الثانية

القرميد ومن الداخل بأعمدة ضيقة من الحجر الجيري، وقد بني حوالي 1596- 1597 م على موقع مسجد أصغر منه؛ وقد وردت الإشارة إليه من خلال أحد عقود المحاكم الشرعية:"..... ....الحمد لله بعد أن استقر على ملك الولية أمنة بنت المرحوم مراد جاوش جميع الدار الكاينة بحومة جامع المرحوم خضر باشا ناحية باب عزون أحد أبواب مدينة لجزائر....."[1].

وقد سجل ألبير دفوا عقد تحبيس لصالح مسجد خضر باشا يمدنا بالعديد من المعلومات فهو عبارة عن تحبيس خيضر باشا لعدة أملاك ،ومباني من بينها حمام لصالح المسجد الذي رفع بنيانه، والذي هو مسجد جامع واقع في حي الخراطين داخل مدينة الجزائر المحروسة، وفي جوار ثكنة الجيش المنصور، وقد حدد في عقد التحبيس أوجه صرف مداخيل هذه الأملاك المحبسة على مصالح المسجد ،حيث جاء فيه:

" أنه يدفع من هذه المداخيل خمسون دينار جزائرية خمسينية للإمام الخطيب المسجد المذكور شهريا ،وكذا دينارين شهريا للمحمدية، وهي صلوات على النبي–صلى الله عليه وسلم – والتي ستقرأ كل أيام اثنين وخميس بصورة دائمة، و لثلاثة مؤذنين حنفيين دينارين؛ أي ستة دنانير شهريا وللذي سيخرج الكتب يوم الجمعة ..... دينارين شهريا، و للحزابين التسعة الذين سيقرأ كل منهم حزب كل يوم بعد صلاة العصر تسعة دنانير كل شهر؛ أي دينار لكل منهم و للذي سيكلف بتنظيف قاعة الوضوء، والمرحاض دينارين شهريا، و للمؤذن الذي سيكلف بالأذان للصلاة ،وإشعال المصابيح، والكنس ثلاثة دنانير شهريا، ولشراء الزرابي عشرون دينارا سنويا، و للزيت للإنارة أربعة وعشرون دينارا سنويا ،وللأستاذ المالكي ،وللأستاذ الذي سيقرأ صحيح البخاري ،وصحيح ابن حزم ستون دينارا سنويا ؛أي ثلاثين دينار لكل منهم،ولمسير أي وكيل الحبس المذكور وهو القايد الأجل الأفضل الأزكي سليمان معتوق الباشا المذكور خمسة دنانير شهريا"[2].

ومما تم ذكره يمكن أن نتعرف على القائمين على شؤون المسجد من مؤذنين ومدرسين وغيرهم كما نطلع على مسألة هامة ألا وهي أن المسجد رغم إدراجه في إطار مساجد المذهب

[1] الوثيقة رقم 6 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر"، في العلبة 109–110 تاريخها أوائل شهر حجة الحرام1067 هـ (1657م)من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., In :**R.A.**, T.13, 1869,pp. 23-24

الحنفي إلا أنه كان يشتمل على أستاذ، أو مدرس للفقه المالكي، وهذا دليل آخر على غياب أي تعصب مذهبي؛ وما سبق ذكره دليل أيضا على مساهمة الحكام العثمانيين في إقامة المساجد وتخصيص أوقاف وأحباس لها أي مساهماتهم في الحياة الدينية ومن تم الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر.

وفي الأخير يمكن القول أن دور الحكام وكبار الموظفين العثمانيين بمدينة الجزائر في تشيد المساجد ،وتخصيص الأوقاف لصالحها قد برز منذ قيام النظام أو الحكم العثماني فيها ليصبح تقليدا راسخا حرص على تجسيده جل الحكام ؛وقد دشن خير الدين أول بايلربايات الجزائر وأول حكامها العثمانيين هذه السيرة من خلال الجامع الذي قام بإنشائه بالقرب من المدخل الرئيسي لقصر الجنينة ؛حيث كان يشكل امتددا لواجهة هذا القصر، وعرف بمسجد خير الدين نسبة لمؤسسه ؛ولكنه أصبح يعرف في الفترات المتأخرة بجامع الشواش حيث كان يتم ارتياده من طرف الشواش المكلفين بمهام الشرطة؛والذين كان لهم دور دائم في قصر الجنينة[1].

وما كان يميز هذا المسجد سقفه الذي كان عبارة عن سطح، ولم يكن له منارة وقد كان ومن الآثار الدالة على هذا المسجد –الذي لم يبق له أثر بعد تعرضه على غرار قصر الجنينة للهدم على يد سلطات الاحتلال الفرنسي- نقيشة كانت فيما سبق تعلو الباب الأساسي للمسجد [2].وقد جاء فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد{السطر الأول }في بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له{السطر الثاني} فيها بالغدو والآصال أمر ببناء هذا المسجد المبارك السلطان المجاهد في {السطر الثالث }سبيل رب العالمين مولانا خير الدين ابن الأمير الشهير المجاهد ابي يوسف يعقوب{السطر الرابع} التركي بلغه الله أقصى صوله وأعانه على جهاد عدو الله{السطر الخامس} وعدو رسوله بتاريخ أوائل جمادى الأولى من عام ستة وعشرين وتسعمائة{السطر السادس}"[3]؛ أي أن تاريخ تشييده يوافق بالميلادي الفترة المحصورة ما بين 19،و28 أفريل 1520 م[4].

---

[1] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ...,p.157

[2] Ibid. , p.157

[3] Gabriel Colin, Op.cit.p13 voir aussi Albert Devoulx, Les Edifices Religieux …, p .157

[4] أي قبل تحطيم حصن البينون سنة 1529م ،وفي نفس السنة التي أضطر فيها خير الدين لمغادرة المدينة واللجوء إلى جيجل بعد انقلاب ابن القاضي عليه للتوسع حول هذا الموضوع أنظر:خير الدين ،المصدر السابق،صص.108 -112

كما وجدت خلال القرنين 10 هـ(16م)و11 هـ(17م)في مدينة الجزائر مساجد ،وجوامع أخرى كثيرة بالإضافة إلى المصليات؛ التي لم تكن تمتلك مئذنة ؛حيث كان يؤذن للصلاة أمام باب المصلى[1].

و اتفق معظم من كتبوا عن المرافق الدينية في مدينة الجزائر، وفي مقدمتهم هايدو القرن10هـ (16 م) على الإشادة بجمال تلك المساجد ،وبنائها المتقن؛ فقد كانت مبنية برقة وبراعة فائقة بالآجر، و الجص، وغيرها من مواد البناء، وكانت كلها خالية من أي صور أو رسومات وكانت معظم هذه المساجد تمتلك عينا، ذات أربع، أو 3 صنابير أو حنفيات مخصصة للوضوء[2].وكان معظم سكان مدينة الجزائر يحرصون على أداء الصلوات الخمسة في المساجد الجوامع لاسيما في يوم الجمعة.

ب–الزوايا :

وما سبق لا يعدو أن يكون إلا إشارة إلى بعض أبرز نماذج المساجد و الجوامع التي تميزت بها مدينة الجزائر خلال الفترة المعنية بهذه الدراسة، وتواجدت إلى جانب هذه الأخيرة عدد من الزوايا، مثل **زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي** [3]التي كانت تشتمل على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة ،وهو الشكل الذي استورده العثمانين إلى الجزائر أما المحراب فإنه مزين أنيق بأجور الخزف المستورد من آسيا الصغرى وبجناحيه سريتان صغيرتان

[1] Joao Mascarenhas, Op.cit., p.70

[2] Ibid., p.71

[3] ينتسب أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (786-875هـ/1384-1470م) إلى الجماعة العربية الثعالبية التي تمكنت من السيطرة على مدينة الجزائر في نهاية الفترة الوسيطة. فقد ولد ونشأ على الأرجح بوادي يسر قبل أن يبدأ رحلة علمية قادته مع مطلع القرن 9هـ/15م إلى بجاية وتونس ومصر والحجاز وبلاد الأتراك، أين تتلمذ على يد عدد كبير من العلماء كان أبرزهم ولي الدين العراقي، وأبي القاسم البرزلي التونسي لقد صورت النصوص المنقبية الشيخ الثعالبي كالمتقلد لمنصب قضاء الجزائر مرغما، وكالمستقيل منه بحجة عدم جواز التعامل مع سلطة سياسية قامعة للسكان عن طريق فرض ضرائب غير شرعية يعتبر الثعالبي من بين الأسماء القليلة المنتسبة لمدينة الجزائر ممن عرفت بتآليف متعددة منها على وجه الخصوص كتاب "الجواهر الحسان" الذي اختصر به تفسير ابن عطية، و"شرح ابن الحاجب" في الفروع الفقهية، وكتاب "الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة، وكل هذه المؤلفات غلب عليها العقل الفقهي المقلد من خلال "الشروح" و"التعاليق" ،و"المختصرات" أنظر : زينب موساوي وعلاوة عمارة، مرجع سابق،الفقرة 35 و للتوسع حول هذه الشخصية أنظر على سبيل المثال لا الحصر : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،في 12جزء ،دار الجيل،بيروت1412هـ-1992م الجزء الرابع، ص.152 و عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت ،لبنان 1400 هـ -1980 م ص.90 والدراسات الأكاديمية الآتية: سليمة أمينة صاري ،تراجم فقهاء مالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للشيخ عبد الرحمن الثعالبي(ت875 هـ-1447 م) ،دار الزواوي للدراسات، بيروت ،لبنان دار ابن حزم 1436 هـ-2015،و عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1978

من رخام، وقبر الشيخ العلامة، وعدة بيوت، ومرافق ،و سكنى للوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي تحوي عدة قبور دفنت فيها عدة شخصيات تاريخية مثل قبر الحاج أحمد باي قسنطينة، وقبر خضر باشا[1] ،و شيدت حوالي سنة 1696م[2] .

وقد ورد ذكر مسجد الزاوية في عقود المحاكم الشرعية ومن نماذجها عقد تقسيم تركة عند تحديد موقع الدار التي تندرج ضمن التركة :".....وجميع شطر الدار بحومة الجامع الأعظم الملاصقة لمسجد الوالي الصالح القطب الناصح الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي افاض الله علينا من أنواره ونفعنا الله ببركاته .....[3].

و ورد ذكره أيضا بالعبارات الآتية التي تدل على مكانته الكبيرة لدى سكان مدينة الجزائر وحكامها:".....لاصقة لمسجد الشيخ البركة العارف بالله تعالى ابي زيد سيدي عبد الرحمان الثعالبي نفعنا لله بمنه .....[4]".

وكذلك وجدت **زاوية الجامع الكبير** التي كانت تقع بجوار هذا الجامع بنهج باب الجزيرة واشتملت على مسجد بدون منارة ،ومدرسة للصغار ،و كانت تضم طابقين يضمان عدد من البيوت مخصصة للعلماء من عابري السبيل أو الفقراء الذين لا مأوى لهم .كما كانت تشتمل على طابق أرضي يتواجد به الماء الضروري للوضوء ،والشرب، وعدة محلات للذين يعملون بالجامع الأعظم ،و قد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة مما بقي بيده من دخل حبوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف المتعلقة بهذا الأخير، وقد تم بناؤها سنة 1039 هـ(1630م)[5].

و نجد أيضا من الزوايا التي اشتهرت بها مدينة الجزائر **زاوية سيدي محمد الشريف** ،والذي كان واليا من الأولياء الصالحين المكرمين جدا في مدينة الجزائر، والذي توفي سنة 948هـ(1542-1543 م) كما يعلمنا بذلك التسجيل الموجودة بالقرب من ضريحه " توفي الشيخ المبارك محمد الإمام الشريف العفيف سنة 948هـ اربعين مع ثمانية وتسعماية .....[6]".

---

[1] وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، المرجع السابق، ص62 أنظر أيضا:Klein (H), Op.cit.,p.158

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.166

[3] الوثيقة رقم 1 "رسم تقسيم تركة أسرة علمية بمدينة الجزائر،في العلبة 123 من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] المصدر نفسه

[5] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص166

[6] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., In: **R.A.**, T.14, 1870, pp.183-184

وقد ورد ذكرها في أحد عقود التحبيس عند تحديد موقع الحانوت مراد تحبيسه:"..... وان جميع الحانوت الكاينة بمقربة من زاوية الشيخ الصالح البركة الناصع القطب الرباني سيد محمد الشريف...." .[1]

و هذه الزاوية التي أقيمت تكريما له كانت تشتمل على حجرة مأتمية مربعة عارية من أي زخرفة باستثناء بعض الأعلام تحوي ضريح الوالي الصالح سيدي محمد الشريف، وتعلوها قبة بسيطة ،ويوسعها فناء توجد فيه قبور، وقاعة للوضوء ومرحاض ،وتحوي الزاوية أيضا مسجدا صغير تعبر سقفه قبة ترتكز على ثلاث سرايا من حجر .أما صومعة المسجد فإنها مثمنة الشكل وقليلة العلو[2].

كما تحوي غرفتان تشتمل إحداهما على قبر ابن المرابط وأخيرا ثلاثة غرف مستعملة كمسكن وكان القائمون على هذه الزاوية يتشكلون من وكيل كان يختار دائما من أحفاد ونسل المرابط وإمام، أو خطيب، ومؤذن مكلف برفع الأذان للصلاة ،ومن حزابين أو قارئين للقرآن وشاوش و مكلف بالإنارة ؛أي إشعال المصابيح والشموع ،و منظف كناس، و رجل مكلف بتنظيف المراحيض[3].

و يشير عقد قديم إلى مصاريف هذه الزاوية كتبييض الضريح بالجير، والمسجد مرتين في السنة وشراء 60 لتر من الزيت شهريا للإضاءة وعدد معين من الحصائر ،والزرابي وكذلك 25 رطل من السكر للشراب الذي يهدى للعلماء – ولعل المقصود هنا بالشراب مشروبي القهوة ،والشاي أو مشروب العصير"الشربات" المصنوع من عصير الليمون، والماء ،والسكر – الذين يأتون إليها للتدريس[3].

وكانت هذه الزاوية تقدم الإعانات ،والصدقات للفقراء خلال الاحتفالات الدينية إذ تشير احدى الوثائق الأرشيفية إلى أن الزاوية كانت تطعم كل الفقراء الذين كانوا يأتون إليها خلال يوم

---

[1] الوثيقة رقم16 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة20-1 تاريخها 1094 (1682م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر أنظر أيضا الوثيقة رقم 5 في العلبة29-30، المصدر السابق

[2] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., In : **R. A.,**1870 , T.14, pp.183-184
أنظر أيضا وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، مرجع سابق، ص.64

[3] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., In: **R. A.,**1870 , T.14, p.185
[3] Klein (H), Op.cit.,p. 26

الاحتفال الديني بالمولد النبوي الشريف ،وبهذه المناسبة كان يتم شراء ثورين، و18 مكيالا من القمح و 30 رطلا من الزبدة ،و 10 حزمات من الحطب، و6 مكايل من الزيت، والخضر،وكذا الفحم...الخ[1].

كما وجدت في مدينة الجزائر مصليات من أشهرها **مصلى سيدي هلال** الذي أقيم حول ضريحه، و تشتمل القاعة الرئيسة لهذا المصلى على محراب، وتعلوها قبة مثمنة الزوايا[2]. وقد تم الإشارة إليه في عقود المحاكم الشرعية في عقد شراكة وتقسيم تركة :".....كما تقرر الشركة بينهما أيضا في جميع الدار الكاينة بحومة سيدي هلال نفعنا الله ببركاته أمين....."[3].

ج- التأثيرات المحلية و الأندلسية والمشرقية العثمانية في فن العمارة الدينية والمدنية في مدينة الجزائر :

وكانت هذه المساجد الجوامع، والزوايا تحظى بالعناية والاهتمام من طرف كل مجتمع مدينة الجزائر بما في ذلك ممثلي السلطة ،وقد تجسد ذلك في الحرص على المساهمة في بنائها والمحافظة عليها من خلال تحبيس الحبوس عليها ، وهذا دليل على مكانة الدين الإسلامي في حياة اليومية لهؤلاء، والتزامهم بأداء الفرائض التي تجب عليهم على أحسن صورة ومنه نستخلص أنه يندرج ضمن أثار قيام النظام العثماني بمدينة الجزائر تعميق انتمائها للفضاء الإسلامي من خلال تشييد العديد من المنشآت، والمرافق الدينية للصلة الوطيدة حينها بين الميدان الاجتماعي ،والديني ،على أساس أن الدين كان مصدر للعديد من الممارسات الاجتماعية، والأخلاقية ولأن الوجود السياسي للعثمانيين في الجزائر كان يستند ويرتكز على الجانب الديني ،ويستمد منه شرعيته .

كما أنها تعكس براعة ،وإتقانا في مجال البناء المعماري ؛وتعتبر بمثابة تحف فنية من حيث بنائها البديع،و تعد تعبيرا عن المستوى الحضاري للمجتمع آنذاك وكذلك تجسيدا لمختلف الأطرزة، والأنماط المعمارية التي كانت سائدة حينها؛ حيث يذكر جورج مارسي في دراسته عن الفن الجزائري أنه خلال العهد العثماني يمكن القول أن الطراز ،أو النمط الفني الذي شاهدته كان نتاج تأثيرات متنوعة تجاورت ،وتعايشت جنبا إلى جنب ،عوض أن تنصهر معا [4]؛ حيث نجد في هذه المؤثرات آثار العلاقات السياسية المتنوعة التي كانت لحكام الجزائر العثمانين

[1] Albert Devoulx, Les Edifices Religieux ..., T.14, p.185

[2] وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، المرجع السابق، ص.64

[3] الوثيقة رقم 19 ،في العلبة119 – 120 ،المصدر السابق

[4] Marçais(G), L'Art en Algerie, Imprimerie Algerienne, Alger, 1906, p.121

ومن اليسير بناء على ذلك فرز هذه المؤثرات ؛حيث نسجل استمرارية للفن المحلى[1] بالإضافة إلى التأثيرات العثمانية التي استقدمها العثمانيون معهم[2] ،ويضاف إليها بعض العناصر العمرانية الفارسية، والمصرية التي وصلت إلى الجزائر عن طريق إسطنبول ؛أي ضمن التأثيرات العثمانية أو تسللت إليها عن طريق تونس بالإضافة إلى التأثيرات الأوروبية الفرنسية،و الإسبانية ،والهولندية والإيطالية من حيث المواد الأولية المستوردة منها؛ والتي كانت تعتمد في أعمال العمران كالرخام والزليج ،أو البلاطات الخزفية "الفاينس"، أو من حيث الطراز الفني...الخ[3].

و الملاحظ أن تمازج هذه التأثيرات المتنوعة تجسدت في العمارة الدينية بوضوح؛ فقد كانت المساجد الجوامع المخصصة للمذهب الحنفي تعكس الفن العثماني المتأثر بمختلف التأثيرات الحضارية ،والذي كان يتميز بحب الزخرفة، والنقش وكانت مساجد مدينة الجزائر الحنفية مزخرفة باستعمال ألوان مختلفة ؛حيث كان يستعمل في تزينها الزليج البديع وغيره من الوسائل الزخرفية

[1] التيار الفني والمعماري المحلى يقصد به نتاج التقاليد الفنية المغربية الأندلسية الإسلامية ،وبخاصة فترات الازدهار التي مرت بها وقد بدأ تشكل هذا التيار منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وتأسيس أول جامع بالقيروان بتونس على يد عقبة بن نافع حيث توالى تأسيس المساجد ،وتشيد المدن ،وتعميرها عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر بعهد الولاة ،وعصر الإمارات والعصر الزيري، والحمادي ،والعصر المرابطي والموحدي، ثم العصر الزياني؛ فتبلور الطراز المعماري ،والفني المغربي بقوالبه ومظاهره المميزة .للتوسع أنظر: عبد العزيز لعرج ،مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر ،مؤتمر جمعية الآثريين العرب الرابع، الندوة العلمية الثالثة " دراسات في آثار الوطن العربي" ،13 - 14شعبان1423 هـ/19 - 20أكتوبر2002 منشورات الاتحاد العام للآثاريين العرب القاهرة ،مصر،ص.527

[2] وقد تغلغلت المؤثرات الفنية ،والمعمارية العثمانية إلى الجزائر بقيام الصلة السياسية ،والاقتصادية ،والثقافية ،والدينية بينها وبين الدولة العثمانية عبر طريقين أحدهما مباشر يتمثل في اسطنبول ،أو مدن عثمانية أخري بواسطة المبادلات التجارية والزيارات المتبادلة للمعماريين والفنانين؛ إذ نسجل زيارة الفنانين، والحرفين الجزائريين لإسطنبول باعتبارها حينها عاصمة العالم الإسلامي فكانوا ينقلون معهم مؤثرات فنية اقتبسوها مما شاهدوه من أعمال عمرانية وفنية كما وجد عدد من الفنانين والحرفيين بين الأتراك العثمانيين الذين كانوا يفدون إلى الجزائر ،والكثير منهم كانوا يستقرون بها ،ويمارسون إلى جانب مهامهم العسكرية الأعمال الحرفية والصنائع – كما سبق ذكره- وكانوا يقومون بأداء أعمال فنية، وحرفية كل حسب مجاله ،و محاولين بذلك تكييف المؤثرات الفنية الواردة مع المؤثرات الفنية المحلية في العمران ،وغيره من الفنون أما الطريق غير المباشر؛ فهو طريق المشرق حيث كان ينتقل سكان الجزائر، ومن بينهم الحرفيين ،والبنائيين ،والمعماريين إلى المشرق ونخص بالذكر مصر، وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية لأغراض متعددة وعلى رأسها أداء فريضة الحج؛ حيث كان يمكنهم القيام بالمعاينة المادية والمباشرة للعمائر والفنون المستحدثة فيها بتأثير عثماني مما كان يسمح لهم باقتباس الأساليب، والطرز المعمارية،والفنية العثمانية .

أنظر :المرجع نفسه،صص.526-527

[3] Marçais(G), L'Art..., p.121

في حين كانت المساجد ،و الجوامع المالكية عادية، وعادة خالية من الزخرفة الكثيرة.

حيث شهدت العمارة الدينية في ظل الحكم العثماني تجديدا ،وفي نفس الوقت حفاظا على الموروث الحضاري المتمثل في الفن المغربي الأندلسي بل وحدوث تمازج بين هذه الأطرزة العمرانية القديمة ،والحديثة تجسد بوضوح في عدة مرافق دينية بمدينة الجزائر ، وقد تجسد التجديد الأكثر أهمية في مجال العمارة الدينية في بروز نماذج جديدة لقاعات الصلاة ؛ فإلى جانب طراز القاعة المحلي التي عرف ،و اعتمد في بناء مساجد المراحل السابقة كمساجد قلعة بني حماد أو مساجد تلمسان ،أو المسجد الكبير في مدينة الجزائر؛ والذي يقوم على قاعة صلاة ذات أعمدة متقابلة [1]–تطبيقا لمبدأ التناظر سواء في قاعات الصلاة أو في الصحون و تعرف أيضا بالبلاطات المتعامدة ؛ والتي تشكل أروقة عرضية موازية لجدار القبلة تعلوها أقواس ،ومغطاة بسقوف من القرميد ذات جانبين متقابلين أو سقف مسطح ،ومعظم المساجد من هذا النوع متوسطة أو صغيرة الحجم وتبنى في غالب الأحيان في الأحياء السكنية، أو على مشارفها وهي لهذا السبب لاتعد مساجد رسمية إذ تختص بالصلوات الخمس وهي قليلة الزخرفة أو تخلوا منها تماما واعتمد هذا النوع من قاعات الصلاة في بعض مساجد العهد العثماني مثلا في مسجد القشاش في مدينة الجزائر–برز طراز جديد في ظل الحكم العثماني تمثل في قاعات صلاة مربعة ،أو مستطيلة الشكل تعلوها قبة مركزية تساندها هي نفسها قبب أصغر موزعة على جانبيها ،وهذا التوزيع ،هو الذي يميز المسجد العثماني الذي يعد مسجد(l'Ulu çami) في بورصا نموذجا له[2] .

علما أن تجسيدها في العمارة الدينية في مدينة الجزائر عرف تنوعا من حيث بروز أطرزة فرعية، وإن تميزت كلها بوجود القبب[3]– مثل جامع علي بتشين التي يتميز بقاعة صلاته المربعة

[1] Rachid Dokali, Op.cit.,p.73

[2] Ibid.,p.73

[3] وقد تعددت الأنماط المعمارية للمساجد وبخاصة أشكال تخطيط قاعة الصلاة في إطار التأثيرات العثمانية نجد مساجد بيوت صلاتها مربعة وتغطيها قبة مركزية ترتكز على حنايا ركنية مثل جامع سفير ،ومسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي وكذا مساجد نمط تخطيط قاعة صلاتها على هيئة صليب أحد أضلعه أكثر امتدادا من الأضلاع الأخرى وفراغه الكبير المربع مغطى بقبة مركزية تحيطها قبيبات صغيرة في حين تم تغطية أضلاعه الأخرى الصغرى بأقبية أسطوانية وضلعه الكبير بمجموعة من الأقباء المتتابعة مثل الجامع الجديد، وهو تأثير بيزنطي تبناه العثمانيون ،وانتقل تأثيره إلى الجزائر عبرهم –راجع المبحث الخاص بالجامع الجديد من هذا الفصل– و للتوسع أكثر حول هذا الموضوع أنظر:عبد العزيز لعرج ،مظاهر التأثير..."،صص. ،صص.530-531

المغطاة بقبة مركزية قاعدتها مثمنة، ويحيطها رواق من كل جهاتها مقسم إلى فرغات مربعة وكل فراغ مغطى بقبة صغيرة –،وحضور قوي أيضا للموروث الحضاري المحلي الذي ظل العنصر الأبرز في هذه العمارة الدينية ، والذي تجسد أولا في مظهر أو شكل منارات، أو مآذن المساجد حيث نسجل التشابه الكبير بين منارتي الجامع الجديد ،وجامع سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمنارات جوامع تلمسان نفس الهيئة العامة نفس القاعدة المربعة ،ونفس تصميم الزخرفة وتعد مئذنة جامع القيروان النموذج الأصيل لهذه المآذن[1].

كما يبرز هذا الموروث أيضا في الدعائم ،والأعمدة ،والتيجان التي تعلوا الأعمدة والتي حافظت على مؤثرات الفن المحلي ،وشهدت في نفس الوقت إثراء وتطورا ؛فقد شهدت هذه المرحلة بروز أشكال تيجان أعمدة مبتكرة عرفت بالجزيرية –أي العاصمية –،والتي وجدت تقريبا في كل العمائر التي تعود إلى العهد العثماني في مدينة الجزائر[2].

و كانت الأعمدة التي تحمل هذه التيجان تصنع محليا من الحجارة إما أسطوانية أو مثمنة الشكل في حين تمثلت زينة ،و زخرفة التيجان في أربعة أوراق عريضة تفترق لتلتقي في قمتها في حين نجد أن الأقواس لم تعرف تغييرات، أو أنواع جديدة ؛فالأنواع العمرانية الفنية المختلفة للأقواس التي كانت مستخدمة بالمغرب الإسلامي في المراحل السابقة هي نفسها التي نجدها في المعالم الدينية التي شيدت خلال العهد العثماني ، وأخيرا العناصر الزخرفية ،و التزينية تحمل بصمة الفن المحلي الذي طبع المراحل السابقة ؛حيث تم توظيف كل التقنيات السابقة في تزيين معالم مدينة الجزائر الدينية من جص منقوش ،وخشب ، و حديد، يضاف إليها الرخام الذي كان يستعمل أكثر في أطر الأبواب والنوافذ ،والأعمدة وتيجانها –باستثناء جامع السيدة كما مر بنا حيث أعتمد الرخام في عدة مواضع فيه، وليس فقط في أطر الأبواب ،والنوافذ والأعمدة ، و تيجانها بل حتى في منبره–ويبدو أن زينة المداخل، و النوافذ من الرخام والأعمدة وتيجانها كانت تأتي من الورشات الإيطالية بناء على طلبات كان يوجهها إليهم

[1] و بنفس الوقت نسجل بروز نوع من التجديد في شكل المآذن،وتخطيطها ،وتركيبها ،وزخرفتها نتيجة التأثر بالمؤثرات العثمانية وبروز أطرزة مآذن جديدة كالطراز القلمي، أو البدن المثمن؛ والذي تجسد خاصة في مساجد المدن الكبرى والهامة مثلا مئذنة جامع صفر –سفير–للتوسع أنظر:Rachid Dokali, Op.cit ,pp.40-43 وأنظر: عبد العزيز لعرج،مظاهر التأثير..." المرجع السابق،صص.531 -533

[2] Rachid Dokali, Op.cit.,pp.73-74

حكام الجزائر العثمانيين خصيصا لتستخدم في المباني الدينية ،وما يدل على ذلك أن التيجان الرخامية الإيطالية الصنع كانت تحمل في وسطها أو قلبها شكل هلال[1].

وهذا دليل على الأهمية التي أولها الحكام العثمانيين للمرافق الدينة ومساهمتهم الفعالة في زيادة أعددها بما يتماشى ،و احتياجات السكان للأثر الكبير للدين حينها على الناحية الاجتماعية ،وكونه ركيزة هامة من ركائز الحكم العثماني ودعائمه.

وقد شملت المؤثرات العثمانية إلى جانب نظام المساجد ،وتخطيطها وعناصرها المعمارية ما يتصل بها من أثاث ديني مثل المنابر فالمنابر المحلية كانت مصنوعة من مادة الخشب وأهم ما يميزها أنها كانت غير ثابتة؛ أي يمكن تحريكها "منابر متحركة"حيث توضع قاعدتها السفلية على عجلات حديدية تصنع لها سكة تمتد إلى الأمام حيث يتحرك عليها المنبر فيخرج من حنيته الغائرة في الجدار ويكون ذلك لإلقاء الخطب أيام الجمعة، والأعياد وفي غيرها من المواسم الدينية ثم يعاد إلى محله وهذه الطريقة من شأنها أن تحافظ على المنبر ولكن ضمن التأثيرات العثمانية تم إدخال نوع جديد من المنابر ؛والتي تشبه من حيث شكلها وتركيبتها المنابر المحلية ولكنها تختلف عنها في مسألتين وهما :

1 – المادة التي صنعت منها ؛وهي مادة الرخام عوض الخشب.

2– أنها منابر ثابتة وليست متحركة ؛حيث كانت تتواجد يمين المحراب وأبرز نموذج عنها منبر الجامع الجديد[2].

ولعل من أبرز العناصر التزينية التي شهدت رواجا كبيرا في مدينة الجزائر سواء في العمارة الدينية أو المدنية بقدوم العثمانيين هو استعمال البلاطات الخزفية؛ ففي العمارة الدينية استخدمت في زخرفة المآذن ،والقباب، والمحاريب ،والجدران الداخلية بأقسامها وأجزائها المسطحة والغائرة ،وكما استخدمت كإطارات حول الأبواب والشبابيك أو في سمكها ،أو في قوائم الدروج – خاصة في العمائر السكنية –ويعتبر مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي وملاحقه نموذج بارز لتمازج الأطرزة الفنية المحلية ،والعثمانية حيث حول ضريحه إلى مسجد مأتمي في عهد الداي أحمد (1695 -1698م) إذ شرع حينها في بناء مئذنة وقبة للضريح في عام 1108 هـ/1696-1697م واستكملت العملية في عهد كرد عبدي باشا (1724 -1735 م)

[1] Ibid.,p.74

[2] عبد العزيز لعرج ،مظاهر التأثير...، ص.534

وقد تمت تكسية الجدران الداخلية للضريح بلاطات من الزليج التركي ،وتحديدا الذي كان يصنع في مدينة أزنيك بآسيا الصغرى منذ النصف الأول من القرن 10 هـ/ 16م إلى منتصف القرن 11هـ/ 17 م الذي تميزه الألوان الآتية الأحمر الطماطمي، واللون الأزرق التركوازي ، و الأخضر الزرعي وكذا في الجامع الكبير؛ حيث تتضمن واجهة المحراب الذي أقيم على طراز المحاريب العثمانية بلاطات الزليج[1]. و يمكن اعتبار التعديلات والتحسينات التي شهدها الجامع الأعظم في ظل الحكم العثماني دليلا على أهميته الدينية والروحية لدى سكان مدينة الجزائر وحكامها وهي في نفس الوقت دليل على غياب أي مظهر من مظاهر التعصب المذهبي لديهم مادام الجامع الأعظم ممثلا للمذهب المالكي في حين أن مذهب السلطة حينها كان المذهب الحنفي.

و من العناصر التزينية الرموز التي ميزت فن العمارة في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني والتي تندرج ضمن التأثيرات العثمانية؛ حيث اتخذ العثمانيين عدة عناصر طبيعية رمزا للدولة العثمانية كما اتخذوا رموزا أخرى للتبرك بها أطلقوا عليها اسم تشارك الفلك أو عجلة الحظ ، أو الأمل[2].

فمن الرموز المتخذة كشعار للدولة الهلال الذي كان يعد من أهم الزخارف الرمزية التي ميزت المباني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وقد تعددت أشكاله؛ فبعضها وجد منفصلا والبعض الآخر متصلا من قاعدته مع أشكال هندسية متنوعة وفي بعض الأحيان كان يوجد في الزخرفة ثلاثة أهلة تكون وحدة وترمز إلى عبارة

[1] وكان مصدر البلاطات الخزفية أو بلاطات الزليج المستخدمة في مباني مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني متنوعة ؛حيث استخدمت البلاطات الخزفية المستوردة من تركيا ،وتونس ،ومن الدول الأوروبية وبخاصة هولندا ،و إيطاليا وتحديدا من مدينة نابولي ،ومن إسبانيا ،و تميزت كل منها بأشكال وألوان خاصة بها ؛فبدخول العثمانيين إلى الجزائر رسميا سنة 1519م وقع تغير جذري في الذوق الفني لمجتمع الجزائر شمل الأسلوب الحرفي وكذا الاستخدام الزخرفي للخزف المعماري ؛حيث تم اعتماد الزليج المربع، أو البلاطات الخزفية بدل الزليج المفصص المشكل من زخارف هندسية تمثل أطباق نجمية والمضلعة الذي كان الأسلوب السائد في زخرفة مختلف أجزاء المباني الدينية منها ،والمدنية خلال القرنين7 و8 هـ / 13 و14م حيث أصبحت جدران أو حيطان المباني تكسى وأرضياتها تبلط بشكل كامل ومتكرر من الداخل بالزليج المربع الشكل أو ما يعرف بالبلاطات الزخرفية الخزفية ؛حيث لا يكاد يخلو مبنى من المباني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من كمية من بلاطات الزليج سواء تزخرفه بالكامل أو جزءا منه فقط. وحول البلاطات الخزفية ،وبلاطات الزليج في مدينة الجزائر والتطور و الإثراء ،والتنوع الذي شهدته خلال العهد العثماني من حيث أساليبها الصناعية والزخرفية ،ومن حيث مصادرها وقيمتها الفنية أنظر :عبد العزيز محمود لعرج ،الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ،الطبعة الأولى ،منشورات عويدات ،بيروت لبنان،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990و أنظر أيضا:

Zohra Aissaoui, Carreaux de faïencée à l'époque Ottomane en Algérie, éditions barzekh Alger, décembre 2011, pp.15-27voir aussi Rachid Dokali, Op.cit., pp.68-71

[2] علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية...،ص.143

"كلكم شركاء في ثلاثة الماء والنار والكلا " وكان الهلال يستعمل كثيرا على التيجان كما سبق ذكره وبعض الأعمدة المسطحة وكذا على أقواس الأبواب سواء كان ذلك على فقرات هذه الأقواس أو على جانبي هذه الأقواس[1].

و استعملوا أيضا النجوم حيث أن الأشكال النجمية في الزخرفة الاسلامية تؤكد على العلاقة الوثيقة بين السماء والأرض ؛ويرى البعض أن جميع الأشكال النجمية ناجمة عن اندماج شكلين يمثلان السماء والأرض؛ فلنجمة السداسية ناجمة عن تداخل مثلثين والخماسية من تداخل زوايا المثلث ،والثمانية من تداخل مربعين وهكذا الحال بالنسبة لجميع النجوم الموجودة في الزخارف؛ فاستخدام المثلث كما هو الحال مثلا في النجمة السداسية المكونة من مثلثين أحدهما يمثل الأرض ورأسه إلى أعلى تعبيرا عن الإيمان والآخر يمثل السماء ورأسه إلى أسفل تعبيرا عن عناية الله [2].

و كذا الاعتماد زهرة التوليب أو الخزامى[3] ؛والتي تعرف عند العثمانيين باسم زهرة اللاله (lale) وسر اهتمام العثمانيين بها يعود إلى أن حروفها الأربعة هي نفس حروف اسم الجلالة الله وهي نفس حروف كلمة هلال[4].

و استخدموا أيضا زهرة القرنفل[5] ؛والتي كانت تستخدم في مدينة الجزائر على قطع الزليج والوجهات الرخامية للمباني[6].ومن العناصر الهامة في الزخارف النباتية كذلك رسوم ونقوش الأشجار والتي كانت ترتكز على ثلاثة أجزاء رئيسية وهي :الساق والفروع والأوراق ومن الأشجار التي استعملت بكثرة في الزخارف العثمانية شجرة السرو واعتبرها العثمانيون شجرة الحياة علما أن

---

[1] المرجع نفسه ،ص.143

[2] هنادي سمير نامق كنعان، الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس "دراسة تحليلية، إشراف د. هيثم الرطروط، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في هندسة العمارة بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين2010 .م ،ص.179

[3] فيليب سبرنج ،الرموز في الفن –الأديان –الحياة ،ترجمة عبد الهادي عباس ،دار دمشق للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى دمشق ،سوريا،1992 ،ص.309

[4] علما أن بعض الدراسات المتخصصة تشير إلى أن المقصود بزهرة اللاله أزهار شقائق النعمان أنظر : سعاد ماهر الخزف التركي ،حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة،مطابع مدكور وأولاده ،القاهرة ،1960،ص121وأنظر أيضا ربيع حامد خليفة الفنون الإسلامية في العصر العثماني ،الطبعة الأولى ،مكبة زهراء الشرق ،القاهرة ،2001،ص.38

[5] ولا يعرف بالتحديد موطنها الأصلي ومن المحتمل أن يكون الصين أو إيران والمهم أن الأتراك العثمانيين عشقوا هذه الزهرة لدرجة جعلتهم يهتمون بزراعة أنواع متعددة منها ،و يرسمونها على كل منتجاتهم الفنية .أنظر: سعاد ماهرة، المرجع السابق ص.118

[6] علي خلاصي ، العمارة العسكرية العثمانية ...، ص145

رمزيتها لديهم لا علاقة لها بالقدسية التي عرفتها هذه الشجرة في الأديان السابقة للإسلام إلا أن العثمانيين اعتمدوا في زخارفهم النباتية على عدة أنواع من الأشجار في مقدمتها شجرة السرو كونها تحافظ على اخضرارها طوال السنة رغم تغير الفصول وهي بذلك تعبر عن الحياة المتجددة الخالدة،وكذا لرائحتها وشكلها الجميل ،وصمودها في وجه الطبيعة لمدة تزيد عن عمر الإنسان ولهذا أكثر الفنانون من رسم هذه الشجرة في زخرفة الأجزاء الهامة من المباني والعمائر الدينية وما يتصل بها من محاريب ،والميضات كما رسموها على سجاجيد الصلاة وكانت ترسم دائما في وضع رأسي[1].

أما أشجار النخيل فقد كان لها معنى ديني خاص لدى العثمانيين ؛حيث كانوا يعتبرونها من أشجار الجنة وهي رمز الكفاف من منطلق أن سكان الصحراء يمكنهم أن يعيشوا على ثمارها وحدها ولذلك وجدت رسومها في المعالم الدينية كالمساجد وما يرتبط بها مثل المحاريب وسجاجيد الصلاة[2].

ومن الثمار عناقيد العنب والكمثري ،والخوخ، والتفاح،والتين،وبصفة خاصة البلح[3] وفاكهة الرمان التي تمثل ثمار الجنة التي ترمز هي الأخرى إلى الخلود والخصوبة [4]والتي استخدمت لتزيين السقوف كما هو الحال في قصر رياس البحر علما أن الثمار لم تكن ترسم كموضوع قائم بذاته ولكن كعنصر ثانوي ؛حيث كانت ترافق في غالب الأحيان أطباق الفاكهة بدون أوراق أو فروع أو أواني الزهور[5]؛حيث استخدمت أشكال الأواني للزخرفة وبخاصة تلك التي لها علاقةبالطبيعة[6]

[1] سعاد ماهر ،المرجع السابق ،صص.120-121 وأنظر أيضا علي خلاصي ،مرجع سابق ،ص.147

[2] سعاد ماهر، المرجع السابق، ص.120

[3] حامد خليفة، المرجع السابق، ص.37 وأنظر أيضا سعاد ماهر، مرجع سابق،ص.121

[4] فيليب سبرنج،المرجع السابق ،ص.317

[5] سعاد ماهر ،المرجع السابق ،ص.120 -121

[6] علما أن الرموز والعناصر الزخرفية ولاسيما التي لها صلة وثيقة بالطبيعة وبخاصة الزخارف النباتية؛ والتي كانت تشتمل على الأوراق والفروع أي الأغصان الصغيرة ،والأشجار والفواكه ،والأزهار المختلفة تفرعت بدورها ؛فوجدت أنواع من الأوراق المنفرد والمضاعف ،ومنها الثلاثي علما أن اعتماد الأوراق في الزخرفة عرف تمازج عدة تأثيرات منها التأثيرات الفارسية و المرابطية ،و الحمادية مع بعض التحوير أي تمازج التأثيرات المحلية السابقة والتأثيرات المشرقية التي وجدت بزخارف=

مثل المزهريات[1] للدلالة على الأهمية التي كان يوليها العثمانيون للزهور العطرية[2].

وفي الحقيقة أن الثروة المعتبرة من الرموز النباتية التي استخدمت ترجع بصفة جوهرية إلى تعلق الأتراك وعشقهم الشديد للزهور ؛حيث عملوا في مقر السلطنة العثمانية على استيراد العديد من شتلات الزهور المختلفة واهتموا بزراعتها ،و تلاقحها للحصول على سلالات جديدة منها حيث يذكر الرحالة الذين زاروا مدينة أدرنة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (16م-17 م) أنه يمكن رؤية حقول لانهاية لها من زهرة الزئبق، والنرجس ،وشقائق النعمان ،واللاله حول المدينة و كانوا يضعون نفس هذه الزهور وبخاصة زهرة اللاله في زهريات جميلة داخل حجرات منازلهم[3].

أما الرموز الأخرى التي عرفت باسم تشارك الفلك أو عجلة الحظ أو الأمل والتي كانت تلاحظ بخاصة على المباني العسكرية والمدنية فالمقصود بها الكورة أو الكور الثلاثة التي كانت توضع على الأبواب ؛وكذا راحة يد الإنسان المعروفة بالخامسة والتي وحسب المعتقدات ؛فقد كانت تقى المكان من العين أو الحسد .

و إلى جانب ما سبق فقد وجدت رموز تعتمد على أشكال حيوانية وهذه الأخيرة اعتمدت خاصة في المرافق العسكرية علما أن اعتماد هذه الأشكال لم يكن للعبادة ،ولا للتبرك بها؛ وإنما للدلالة الرمزية التي توحى أو تشير إليها ومن هذه الرموز الأسد الذي عرف لدى العثمانيين

=المباني المدنية و المباني الدينية ،وحتى العسكرية ؛حيث تلاحظ عليها تشعبات لفروع الأشجار والأزهار.أنظر :علي خلاصي ، العمارة العسكرية العثمانية ...،ص.147

[1] فكان للأتراك حس فني وجمالي انعكس على فنونهم المختلفة- التي أثرت بدورها على فن العمارة، والزخرفة في مدينة الجزائر -فالأتراك العثمانيين هم الذين زخرفوا جدران مبانيهم بالبلاطات الخزفية التي اشتملت زخارفها على أنواع الزهور المختلفة ولم يقتصر الأمر على فن العمارة بل شمل أيضا حرفة صناعة الأواني والأدوات النحاسية التي ازدهرت في مدينة الجزائر بفعل استفادتها من المؤثرات الفنية العثمانية ؛ حيث وجد الفنانون العثمانيون في نباتات وزهور بلادهم مصدرا غنيا يأخذون منه أسلوبهم الفني ومن الزهور التي فضلوها وأكثروا من استعمالها زهرة القرنفل ،والورد، وكرز الصنوبر ،واللاله،وزهر الرمان والسوسن وزهرة النسرين؛حيث كان يمكن للفنان العثماني ومن ثم للفنانين في مدينة الجزائر الذين تأثروا بهذا الفن أن يشكلوا موضوعا زخرفيا كاملا قائما على زهرة واحدة بأقسامها الخمسة :الفروع الكبيرة ،والفروع الصغيرة ،والأوراق والبراعم ،وأخيرا الزهور .للتوسع في هذا الموضوع أنظر: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص.116

[2] المرجع نفسه،ص.145

[3] ربيع حامد خليفة ،المرجع السابق ،صص.37-38

بأرسلان وكان يرمز للقوة ،والشجاعة والعظمة كما أنه غالبا ما كان يكرس الحيوية ،والسلطة الحامية من منطلق أنه كرس وبالإجماع ملكا للحيوانات[1] ؛وتواجد شكل الأسد على القطع الرخامية التي كانت تزين مدخل باب الجهاد، وهو شكل أسدين متقابلان وبينهما تاج ملك حيث يقفان على قوائمهما الخلفية، ويمسكان بالتاج بالقوائم الأمامية؛ فالتاج بدوره من الرموز الزخرفية التي اعتمدت أيضا من طرف العثمانيين[2].

كما تم الاعتماد أيضا على رموز حيوانية أخرى من أبرزها الحمام كرمز للسلام ،والأمن والصداقة ،و كان يتم الدمج بين هذا الرمز ،ورموز طبيعية كالأشجار ،والأزهار مثلا حمامتا عين البحرية التي صورتا ،وهما تقفان على زهرتين من أزهار عباد الشمس ،وأعتمد أيضا شكل السمك الذي يرمز لدى العثمانيين إلى الطهر[3].

[1] فيليب سبرنج،المرجع السابق ،ص.86

[2] علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية...،ص.147

[3] المرجع نفسه،ص.147

الفصل الخامس : المرافق التجارية

1-الفنادق

2-الأسواق

الفصل الخامس المرافق التجارية

تعد المنشآت ،والمرافق التجارية في المدن ضرورية ،ومن البني القاعدية فيها كونها تحوي مختلف الأنشطة الحرفية ،والتجارية التي يمارسها أفراد المجتمع كجزء هام من حياتهم اليومية ،كما أنها تشي بازدهار هذه الأنشطة من خلال وفرة البضائع ،وتنوعها وتعد الفنادق ،والأسواق من أبرز معالمها لما كانت تقدمه من خدمات لها انعكاساتها المباشرة على الحياة الاجتماعية كونها تساهم في توفير كل احتياجات السكان اليومية من غداء، ولباس، وغيره .

فما هو حظ مدينة الجزائر خلال القرنيين 10هـ(16م) -11هـ(17م) من هذه المنشآت والمرافق التجارية ؟

أ- الفنادق:

كانت الفنادق من المعالم البارزة في مدينة الجزائر ، والتي كانت تؤدي دورا هاما في الحياة الاقتصادية ومن ثم في الحياة الاجتماعية للمجتمع.

و كلمة فندق ذات أصل إغريقي كانت مستعملة في المغرب الإسلامي لتعين النزل أين كان يمكن أن يقيم الناس مع حيواناتهم المتعلقة بالقوافل، والفندق في المشرق الإسلامي يعرف بالخان وهو المكان الذي كان ينزل فيه المسافرين، والتجار للإقامة؛ والمتاجرة؛ حيث كان يمكنهم القيام ببيع سلعهم فيه[1].

وقد ذكر لوجي دوتاسي أنه كان يوجد بمدينة الجزائر خمس فنادق كما كانت تسمى بافنداكس في لغة الفرنكا ،و كانت عبارة عن مبان كبيرة ملك للخواص تتشكل من عدة ساحات وعدد من الغرف، والمخازن للكراء ،ومن ثم كانت الفنادق جد ملائمة لإسكان الرجال وتخزين البضائع ،و كان يشغلها أساسا لفورنيون ،وتجار آخرون[2].

ولم يتغير الشكل العام لهذه الفنادق من حيث هيكلتها العمرانية خلال العهد العثماني فقد كانت موحدة في كل مناطق الدولة العثمانية؛حيث كانت عبارة عن منشآت كبيرة تمتلك أبواب أحجامها، وقياساتها كافية للسماح بمرور الحيوانات، وحمولتها من سلع[3].

---

[1] Roger le Tourneau, Funduk, In **Encyclopédie de l'islam,** nouvelle éditions, Leyde-Paris 1965, p.967

[2] Op.cit., T.1, p.250

[3] André Raymond, Op.cit., p.149

و كان الفندق يشتمل على طابقين الطابق الأرضي الذي تواجدت فيه إسطبلات تستعمل لإيواء حيوانات القوافل من أحصنة وجمال،وبغال،وحمير؛ أي مختلف مطايا البدو، أو سكان الريف الذين كانوا يقصدون المدينة أو يمرون بها[1].و اشتمل أيضا على غرف من بينها ما كان يستعمل كمخزن،ومستودع لتخزين البضائع في انتظار أن يأخذها، أو يتسلمها من أرسلت إليه، أو في انتظار تصريفها.

كما كان يحدث في كثير من الأحيان أن تكتري جماعة من الحرفيين غالبا من نفس المهنة والحرفة غرفا مختلفة في الطابق الأرضي ،ويجعلون منها ورشة جماعية ،ولكن ميزتها أن كل مالك وصاحب حرفة كان يحافظ على استقلاليته وما يقال عن الحرفيين ينطبق على التجار الذين كانوا يتخذون دكاكينا في هذه الفنادق[2].

أما بيوت الطابق العلوي من الفندق التي كان يتم الوصول إليها عن طريق درج داخلي فقد كان يتم كراؤها ليقيم فيها الأشخاص من مسافرين، و تجار؛ فكانوا يجدون في الداخل كل المرافق الضرورية لتجارتهم .ولم يكن من النادر أن نري فيها حتى جنودا كانوا يفضلون السكن والاقامة فيها على نفقتهم الخاصة عوض الإقامة بالثكنة؛ إذ ذكر دراندا في القرن 11هـ (17 م) أن الجنود الأكثر يسرا كانوا يكترون مسكنا، أو غرفة في بيوت ،ودور كبيرة بنائها حديث ،وجيد يسمونها فندكس و هي ملك للخواص[3].

أما درافيو وهو من أهل القرن 11هـ(17م) أيضا ؛فذهب إلى القول بأن الفنادق كانت مباني كبيرة مربعة أين كان يقيم التجار الأجانب ،وبالرغم من وجود عدة فنادق إلا أنه لا نرتاح فيها أبدا بسبب العدد الكبير من الناس الذين يتواجدون بها ،وكمية البضائع التي تحضر إليها باستمرار[4].

وهذا ما ذهب إليه شو بتفصيل أكثر حين قال أن الفنادق كانت مبان كبيرة ملك للخواص كانت تضم عدة ساحات، ودكاكين، وغرف للكراء ؛حيث كان يأتي التجار الأتراك من المشرق ومن غيره، وكانوا يصلون إلى مدينة الجزائر بسلعهم ،وبضائعهم ؛فيجدون بهذه الفنادق كل التسهيلات الضرورية لتجارتهم، ولم يكن من النادر أن يرى في هذه الفنادق جنود يفضلون السكن

[1] Albert Devoulx, EL Djazair…, p . 160
[2] Roger le Tourneau, Op.cit, p. 967
[3] Op.cit ., p.151
[4] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit ., T . 5, p.230

فيها على نفقتهم الخاصة عن المكوث بالثكنة[1] .

ونستخلص مما سبق أن الفنادق في مدينة الجزائر كانت تؤدي ،وتقوم بوظائف أساسية كمرافق حضارية تتمثل في توفير السكن للأجانب؛ فكانت محطة للإقامة المؤقتة للمسافرين وكذا مخزنا لحراسة، وحفظ البضائع القيمة بالإضافة إلى أنها اشتملت على محلات للإنتاج الحرفي المختص ، والتجارة، والتسويق غالبا بالجملة، ومن ثم تأديتها لدور اقتصادي ،و اجتماعي هام في المدينة.

وعادة ما كانت الفنادق معينة، ومحددة، ومعروفة باسم مؤسسها ، أو بالسلعة الرئيسية التي كانت تباع فيها ،أو أسماء التجار الذين يقصدونها مثل فندق الجرابة، أو باسم بناية مشهورة مثل فندق القهوة الكبيرة ،أو اسم سوق يقع بالقرب منه ،و قد كانت الفنادق المشتملة على الورشات ،والمخازن تتواجد غالبا في الأحياء الحرفية أو التجارية، وبالقرب من الأبواب الرئيسية للمدينة،و فيما يلي عرض لبعض أهم فنادق مدينة الجزائر خلال القرن 10هـ (16م) – 11 هـ(17م):

1– فندق الزرع (المزروعات):

الذي كان بشارع باب عزون ،ولقد كان فندقا كبير جدا ينطوي طابقه الأرضي على إسطبلات كما كان يتم به بيع زرابي، وأحزمة ،ومواد أخري مصنعة قادمة من تلمسان[2].

2– فندق الزيت:

كان مشكلا من ثلاثة طوابق، وقد ورد ذكره في مخطوط قانون على مدينة الجزائر عند الحديث عن تحديد مهام، وصلاحيات من يمتهنون مهنة الحمال وبالضبط المكلفين بحمل، ونقل البضائع المخزنة في الفنادق؛ فقد جاء في شأنه ما نصه «...**فندق الزيت الحمال مايتجرشي {كذا}**..."[3]؛أي أنه لا يحق لمن يعمل حمالا أن يتاجر ،وفي هذا إشارة إلى التخصص في المهن وعدم تداخل الأنشطة بعضها ببعض.

كما أنه في حالة عدم احترام هذه العادة التي كانت بمثابة قانون وعادة معمول بها كان يقع الحكم على المخالف ،والذي كان يتمثل في إبطاله من مهنة الحمالة إن تبث اشتغاله أيضا بالتجارة ،ونفس الأمر بالنسبة للدلال الذي وتبعا للعادة المعمول بها لم يكن يمكن له أن يكون تاجرا

[1] SHAW (Thomas) , Op.cit ,p .295
[2] Albert Devoulx, EL Djazair …, p .207
[3] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 34

والسبب حسب ما جاء دائما فيه:

"..**هـذه العـادة بـاش ماينغر{كـذا} حـد والسـلام**.." [1] ؛أي لتجنـب أن يخـدع ،أو يتضـرر من جراء ذلك أحد وعدم تداخل المصالح والصلاحيات. وورد ذكر هذا الفندق أيضا في وثيقة من وثائق المحاكم الشرعية عند تحديد موقع الحانوت المراد تحبيسها:"هذا عقد تحبيس الحانوت الثانية .....من ناحية فندق الزيت ....."[2].

3-فندق القهوة الكبيرة:

كان يقع في شارع ،أو طريق باب الجزيرة بالقرب من القهوة الكبيرة التي استمد منها اسمه وكان يسميه الأوروبيون "فندق البورصا" ،وكان يشتمل على صفين من الأقواس المركبة ،وكان يتم الوصول إليه من خلال ممر مقبب ذو أقواس[3] ؛وقد كان طابقه الأرضي مزدانا بدكاكين مخصصة لأنشطة تجارية مختلفة ،وطابقيه العلويين كانت بيوتهما تستعمل كمساكن للعزاب من سكان المدينة لاسيما من البرانية ،و الأجانب والمسافرين[4].و يعتقد أن هذا الفندق كان يقع فيما ماضي بالقرب من البحر، وقريبا بما فيه الكفاية من المكان الذي كانت تنزل فيه السفن سلعها ،وحمولتها[5].

4- فندق الدقيق:

وقد ورد ذكر هذا الفندق في مخطوط قانون على مدينة الجزائر عند الإشارة إلى القانون المعمول به في تسيير شؤون هذا الفندق؛ حيث جاء ما نصه:" *الحمد لله قانون فندق الدقيق عادة قديمة عام 1038هـ/1629 م متفق مع الميار وصاحب الفندق عشرة درهم لزايل{كذا}ا حق الدقيق للوزان أما الفندق ياخد درهمين في النهار ودرهمين في الليل اما الشاري ما يعطي الا حق الحمال عشر درهم للقنطار البايع يعطي حق الميزان والشاري يعطي حق الحمال والسلام واما الحمال مايتجرشي {كذا} واذ ايتجر{كذا} يحكم فيه ويبطل والسلام ووقفوا عندنا الميارين{كذا} موالين الرزق ورضوا بالعادة القديمة و اتفقوا بأمر صاحب السعادة باب*

[1] المصدر نفسه،ورقة 33

[2] الوثيقة 91 في العلبة 27-2 ،المصدر السابق

[3] Marcel EMERIT , Op.cit., p. 9

[4] Albert Devoulx, EL Djazair…, p.229

[5] Marcel EMERIT, Op.cit., p. 9

احمد ضاي {كذا} وكتب عبد الله بن الشويحت عام 1106هـ[1] أي سنة 1695م، والقانون المشار إليه كان ينظم العلاقة بين أصحاب الفنادق ،والمستفيدين من الخدمات المتوفرة ،والتي يقدمها الفندق الذي كان مختصا حسب تسميته في تجارة الدقيق.

5- فندق الروز:

كان يقع في شارع باب عزون ،وسمي كذلك لأنه كان يباع فيه الأرز في الماضي،وكان الطابق الأرضي لهذا الفندق مشغولا من طرف دكاكين، وحوانيت مخصصة لبيع مختلف السلع في حين كانت توجد في الطابق الأول منه غرف مسكونة من طرف مسافرين، أو عزاب وحسب ألبير دفوا فإنه في عقد يعود لتاريخ1303هـ(1621 -1622م) يلاحظ أن هذا الفندق قد بني من طرف العلج الإيطالي الشهير علي بتشين[2]،وفي وثيقة بيان العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارة إليه بالصيغة الآتية:"عقد نصف البيت بفندق الروز قرب قهوة كبيرة ملاصقة بفندق الزيت تحبيس السيد علي بتشين"[5].

6-فندق الديوان:

و عرف أيضا بفندق يني مسلمان باللغة العثمانية ،والمقصود به فندق المسلمين الجدد ، وكان يسكنه الأتراك العثمانيين العازبين فقط، و كان يحوي 6 غرف في الطابق السفلي ،و7 بيوت في الطابق العلوي ،و محل ذو أربعة غرف مخزن ، وحانوت ملحقة، ومخصصة لحرفة الحلاق[3] وفي وثيقة بيان العقود، والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارة إليه في:" عقد جميع جلسة الحانوت الكائنة قرب يكي مسلمان تحبيس يوسف خوجة"[4].

7-فندق الدروج:

المعلومات التي توفرت لدينا قليلة ،وتتلخص في أن هذا الفندق كان تابعا لأملاك مؤسسة سبل الخيرات[5]، وكان يستعمل كمسكن للأتراك[6].

---

[1] قانون مدينة الجزائر، مصدر سابق،ورقة 70 -71 في النسخة الثانية

[2] Albert Devoulx , EL Djazair..., p.205

[5] عبد الجليل التميمي ، وثيقة لأملاك..."،ص.68

[3] Albert Devoulx , EL Djazair…, p.218

[4] عبد الجليل التميمي، وثيقة لأملاك..."،ص.68

[5] أنظر الفصل الخامس في الباب الثالث من هذا العمل

[6] Albert Devoulx ,EL Djazair…, p.229

ب–الأسواق:

لابد من الإشارة في البداية إلى أن تناولنا لموضوع الأسواق في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ (16 م) -11 هـ(17 م) ليس بهدف وضع دراسة دقيقة لطبوغرافيا، وتوزيع الأسواق لأن هذا يتطلب إفراد دراسة متخصصة للموضوع[1]، ولكن الهدف هو محاولة إظهار ،وتبيان كيف أن الأسواق والنشاطات التجارية ،والحرفية في مدينة الجزائر كانت متنوعة ،وكيف أنها كانت تتماشى مع تلبية احتياجات مجتمع المدينة لكونها لم تكن إلا تعبيرا عنها.

وكانت الأسواق بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني من المعالم البارزة المسخرة لخدمة المجتمع والتطرق إليها بالدراسة يتيح فرصة لتكوين فكرة تقريبية عن مستوي معيشة السكان من خلال ما كانت تحويه من سلع وبضائع متنوعة، و وفرة هذه الأخيرة ،أو نقصها وأسعارها.

1- التعريف بالأسواق وهيكلتها:

لقد كانت أسواق مدينة الجزائر تتخذ صورا ، وأشكالا مختلفة، ومتعددة فكلمة سوق كانت تطلق على ممر مزدان بالحوانيت ،والدكاكين كما كانت تطلق أيضا على قسم من الزنقة–الزقاق– التي كان يجتمع فيها تجار يتعاطون نفس التجارة أو حرفيين يمارسون نفس الحرفة أو الصنعة في حين كانت تعرف الأسواق في فراغات غير مبنية بالرحبة[2]. كما كانت كلمة سوق تطلق على الأسواق الموسمية التي كانت تقام في الهواء الطلق ،وكذلك على الأماكن المغطاة كسوق الباديستان.

كما وجد ما يعرف بالسويقة التي كانت عبارة عن سوق صغيرة تتخلل الأحياء السكنية لاسيما في المدينة العليا ؛إذ اختصت بتوفير الحاجات اليومية للسكان، وتوزيعها داخل الأحياء السكنية، وكانت تتكون من عدد محدود من الدكاكين أين يتمكن السكان من إيجاد حاجياتهم دون أن يضطروا إلى الخروج إلى السوق العام؛فكانت توجد بها بالدرجة الأولى بعض السلع، و المواد

[1] وقد أثار هذا الموضوع إهتمام الباحثين ولاسيما من الناحية الأثرية ومن الدراسات التي تمخضت عن هذا الإهتمام نذكر على سبيل المثال لا الحصر : بن كردة, زهية،أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر- دراسة تحليلية، ماجستير في الأثار الإسلامية، تحت إشراف داناصر الدين سعيدوني،قسم الآثار ،كلية العلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر،السنةالجامعية1999-2000

[2] و وردت إشارة إلى هذا المصطلح وللقائم والمشرف عليها في عقد وقف:".....الحمد لله بعد أن ملك المعظم الأحظى الخلاصة المرتضى الناسك أبو الثنا السيد محمد خوجة الرحبة ....."أنظر: الوثيقة رقم44 "رسم يتضمن عقد وقف بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1152هـ (1739 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

الغذائية[1]، ومن نماذجها سويقة سيدي محمد شريف . [2]

و كانت أسواق مدينة الجزائر مشكلة، ومتكونة من مجموعة من الحوانيت ،و الدكاكين إذ استثنينا الرحبات، والأسواق المقامة خارج المدينة مثل السوق الذي كان يقام خارج باب عزون. فكانت هذه الحوانيت، والدكاكين مبنية على طول الشارع كما كانت حالة السوق الكبير، أوفي ملتقي طرق ،أو حول ساحة مثل ساحة الديوان[3]، وكانت هذه الأخيرة متشابهة من حيث هندستها ،وتصميمها المعماري ؛فلم تكن الدكاكين في نفس مستوى الأرض أو الشارع ؛حيث لم يكن الزبائن يدخلون إليها باستثناء تلك التي كانت تقدم خدمات كالمقاهي ،والحلاقين.

وكان الدكان عبارة عن محل صغير مربع مرتفع بستة، أو سبعة أقدام وعرضه ثلاثة، أو أربعة أقدام ، وفي بعض الأحيان كان يتم توسيع مساحته ومضاعفتها بإضافة غرفة أخرى كانت تستعمل في غالب الأحيان كمخزن ، وغالبا ما كانت هذه الغرفة تقع في الطبقة ؛أي في العلوي كما كان يقال له في مدينة الجزائر .

أما أرضية الحانوت فكانت عادة مرتفعة باثنين أو ثلاثة أقدام فوق مستوي الشارع مما كان يتيح الفرصة للتاجر الجالس داخل حانوته أن يكون في نفس الارتفاع مع زبائنه من المارة ويسهل له الحديث معهم، وفي كثير من الأحيان كان تمدد، وتطال أرضية الحانوت بمقعد من الحجارة، والآجر مبني أمام الواجهة ؛أي كان عبارة عن مصطبة للدكان، أو للحانوت و كان هذا الأخير يغلق في الليل عن طريق كوات من الخشب الجزء العلوي كان يرفع في حين أن الكوة الثانية كانت تنزل لتشكل مكتب صرافة[4] في بعض الدكاكين –حيث كانت معظم الدكاكين لا تحوي مكتب صرافة – وهو جهاز ونظام ذكي، وبديع .

واعتماد التاجر في غلق دكانه على مجرد كلة يسدلها فقط ،وغياب أبواب ،وأقفال للدكاكين

---

[1] Office Riad el feth, Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger 10 décembre 1984- 10 mars 1985, p.26

[2] وفي إحدى وثائق تقسيم التركات إشارة إلى "سويقة باب الواد" أنظر : الوثيقة رقم14 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر"،في العلبة 141 الثاني من جمادى الأولى عام 1027 هـ (1618م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري ،وفي وثيقة أخرى من نفس السلسلة إشارة إلى "سويقة عمور داخل محروسة الجزائر "أنظر الوثيقة رقم 19 عقد بيع وشراء وعقد وقف ذري" في العلبة 35 تاريخها أوائل ربيع الأولى عام 1101 هـ (1690 م)

[3] Albert Devoulx , EL Djazair …, p.160

[4] Andre Raymond, Op.cit., p.149

دليل على الأمان الذي كان سائدا في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ،وتعبير أيضا عن كفاءة نظام الحراسة حينها التي كان يتولى القيام بها أفراد من جماعة البساكرة.

ووجدت أيضا في مدينة الجزائر حوانيت دون واجهة؛ حيث كان يعرض التاجر بضاعته على المصطبة مباشرة أو على الأرض أمام الدكان[1] .كما أن بعض الدكاكين كدكاكين الجزارين كانت تتكون من واجهة بها كنتان جدارها مبني من مداميك قرميدية أو الآجر موضوعة طوليا وعرضيا وكان يفصل بين الكنتين عامود مستطيل من نفس مادة بناء المحل مثبت فيه عارضة خشبية تعلق فيها اللحوم عن طريق حبال سميكة ؛حيث كان يتخذ من منضدتها مصطبة يجلس عليها القصاب في احدى زواياها وفي نفس الوقت كانت تستعمل زاويتها الأخرى لعرض قطع اللحم ،وتقطيعه كما كان يعرض هذا الأخير على جدار العامود الداخلي بعض اللحوم، وكان يعلو الكنة إفريز خشبي كان بمثابة الظلة التي كانت تحمي اللحوم من أشعة الشمس، والأمطار وكان يسدل على الواجهة حصير من الحلفاء لتوفير مزيد من الحماية للحم لتجنب فساده وحفظه في جو بارد[2] .

ولابد من الإشارة إلى أنه لم يكن هناك في العادة أي اتصال ما بين الحانوت، وبقية المبنى الذي كان يستند إليه عادة[3] .كما أن التاجر لم يكن يسكن في متجره بل كان يمضي لداره بعد أن ينتهي من عمله اليومي[4] أما فيما يخص تأثيث الحانوت ؛فكان بسيطا جدا؛ يقتصر على رفوف خشبية متمثلة في ألواح تحيط بجدرانها ،و بعض الصناديق لحفظ البضاعة وزربية ،أو حصير[5]كان بمثابة أرضية للحانوت ،وكان التاجر يجلس على دكة أو مصطبة –كما سبق الإشارة إليه– وهنا أيضا كان يمكن لزبائنه المفترضين الجلوس للتحدث، والنقاش الذي كان يسبق عملية عقد صفقة البيع، والشراء، والذي كان يتخلله لحظات يرتشفون فيها القهوة[6].

ومن ثم يمكن القول أن حوانيت، ودكاكين مدينة الجزائر كانت متشابهة مع بعض الاختلافات التي كان يفرضها طبيعة النشاط التجاري ،والحرفي الممارس فيها.

---

[1] LESSORE (E),WYLD (W),Op.cit., Planche VII
[2] Office Riade el feth, Op. cit., p.82
[3] Ibid .,p.26
[4] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**,T.15 ,1871, p.56
[5] LESSORE (E),WYLD (W) , Op.cit., Planche VII
[6] Andre Raymond, Op.cit.,p.149

ولقد قدر هايدو عدد حوانيت ودكاكين مدينة الجزائر بحوالي 2000 دكان وكان ذلك في أواخر القرن 10 هـ(16م)[1] .في حين أن فاري ملشور في القرن 11 هـ(17م) حدد أنواع المواد التي كانت تباع في أكثر من 1000 حانوت التي ذكرها؛ حيث قال :

"*عدد الدكاكين، أو الحوانيت الخاصة بالثياب، و الأشياء القطنية تتجاوز الخمسمائة دكان وتلك الخاصة بالألبسة من القماش الصوفي يتجاوز عددها أكثر من مائتين دكانا،وكل الخياطين، أو أغلبيتهم تجار أقمشة،وأهم دكاكين الحرير هي تلك المتواجدة في البديستان و التي يبلغ عددها اثنين وعشرين دكانا كما يوجد أكثر من مئة دكان حرير خارجه ؛ ولكنها ليست في نفس غنى تلك المتواجدة به أما تلك الخاصة بالتوابل، والمواد الغذائية؛ فكثيرة إلى حد أنه لا يكاد يوجد شارع لا يملك أربعة، أو ستة دكاكين منها دون الحديث عن الأماكن العامة التي يسمونها سوق، أو ساحة في حين أن الحوانيت، أو الدكاكين الخاصة بالشمع تتجاوز الأربعة والثمانين ،وتلك الخاصة بالتبغ أكثر من مئة دكان دون أن نعد المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يبيعون التبغ في أكياس صغيرة عبر طرقات المدينة، و أركانها*"[2].

2–مصادر تزويد الأسواق بالسلع :

أ–الواردات [3]:

كانت السلع المتواجدة في أسواق مدينة الجزائر متنوعة، وكثيرة بضائع محلية ،وأخري مستوردة وهذا ما يدفعنا إلى القول أن مدينة الجزائر كانت لها علاقات اقتصادية ،وتجارية مزدهرة مع العديد من الدول ،والبلدان المجاورة لها،والبعيدة عنها وأن نشاطها البحري وماكان ينجم عنه من غنائم ساهم بدوره مساهمة فعالة في تزويدها بمختلف السلع ،فضلا عن تجارتها الداخلية مع بقية مدن ومناطق الجزائر ؛ ففيما تمثلت وارداتها من سلع وبضائع؟ وهذا ماسنحاول إبرازه فيما

[1] Topographie …" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.56

[2] Sakina Missoum, Op.cit, p .60

[3] ولابد أن نذكر في هذا الصدد أن مدينة الجزائر كانت بدورها تصدر العديد من المواد ،والسلع المختلفة؛ فقد كانت تصدر الفاكهة من عنب مجفف "الزبيب"و التين، والتمر، والصوف، والزيت، وقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16 م) أن مدينة الجزائر كانت تصدر الصوف ،والجلد ،والشمع ،وهنا لابد من الإشارة إلى أنه لم يكن يمكن المتاجرة، أو التعامل بهاتين المادتين إلا إذ تم التحصل على رخصة من الباشا لابتياعيهما من السكان ،وإعادة بيعهما للمسيحيين ؛حيث كانت تجارة الجلود والشمع محتكرة من طرف حكام مدينة الجزائر، وقد كان للإنجليز امتياز يسمح لهم بالشراء منها مقابل الأسلحة والذخيرة والبرود وذلك ابتداء من نهاية القرن 11هـ(17م).كما كانت أيضا تصدر بعض الأقمشة التي لم تكن أقل جودة من تلك =

يأتي:

1-الوردات من الداخل:

كان يرد إلى مدينة الجزائر من **قسنطينة**، و**القل** كمية كبيرة من جلود المعز المجهزة والمصبوغة بألوان متنوعة كانت تستعمل في صنع مختلف النعال كالتيماك، والبابوش والشربلية[1] والسروج ،و حافظات النقود وغيرها ،والتي كان لها أسواق خاصة بها بمدينة الجزائر و أقمشة من الصوف الخشن.[2] ومن **عنابة** كانت تتلقي لحوم الثيران، والغنم المجففة المسماة بالقديد وكذلك اللحم المحفوظ المعروف بالخليع[3] وكذا الزبدة المالحة "السمن" ،ومن **شرشال** كان يرد إلى مدينة الجزائر العسل؛الذي كان يستخدم في صنع مختلف الحلويات كالسفنج ،والزلابيا التي كان لديها سوق خاص بها ،والعنب المجفف "الزبيب" ،والتين في حين كان يأتيها من **تلمسان** برانيس كثيرة منسوجة بإتقان،ومن **وهران** كانت تصلها أقمشة من إسبانيا وقبعات رأس حمراء " شاشيات"[4]. وكانت ترد عليها من **بلاد الزواوة** وبخاصة من إمارة كوكو، و قلعة بني عباس أكياس الزيتون والتين[5].

= القادمة من إسبانيا رغم أنه لم تكن في رقتها، وكذا الحرير، والجبن، والجمال، والثيران؛ أي بعض الحيوانات المستأنسة ،ولكن بأعداد قليلة جدا ومحولات من ريش النعام. كما كان تجار مدينة الجزائر يرسلون إلى **فاس** سيوفا،و خناجرا، وأقمشة من الهند ،و اسطنبول –القسطنطينية– وذلك عن طريق تيطوان بواسطة مراكب صغيرة بمجاديف كانت تبحر في كل فصول السنة أما إلى المناطق الأخرى من بربرية –بلاد المغرب الاسلامي–فكانوا يرسلون أقمشة ،وحرائر من إسبانيا، و كانت تبعث إلى **الأناضول** أحجارا رقيقة ثمينة ،و اللؤلؤ، و المرجان، وكذا مصبرات من فالنسيا .وبالأساس قطعا نقدية إسبانية ريو التي كان يحقق من وراء المتاجرة بها أرباح كبيرة، و كان يرسل إلى الأناضول أيضا كمية معينة من الأسرى العبيد المسيحيين؛ ولكن خاصة على شكل هدايا. أنظر:

Haëdo, (F.D), "Topographie …", In:**R.A.**, T.15, 1871,pp.53-55 voir aussi Leseps(R) Alger Esquisse de Géographie Urbaine introduction au plans D'agrandissement et d'embellissement de la ville d'Alger , Ancienne maison Bastide –jourdan Imprimeur Libraire–Editeur ,Alger 1925, pp.61-62

[1] حول أنواع هذه الأحذية أنظر الفصل الخاص باللباس والأزياء في الباب الثالث من هذا العمل

[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In:**R.A.**, T.15, 1871, p.54

[3] لمعرفة أنواع اللحوم المحفوظة، و الطرق المعتمدة في حفظها بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني أنظر الفصل الأول في الباب الثالث من هذا العمل.

[4] Ibid., p.54

[5] Leseps(R), Alger Esquisse ..., p.70

وأنظر أيضا: عبد القادر حليمي ، المرجع السابق ،ص.316

و كان يوجد بباب عزون سوق، وبالضبط في المنطقة المعروفة **بتافورة** ؛حيث كان يجتمع فيه سكان الريف بسكان المدينة للتبادل التجاري ،وأهم السلع المتبادلة كانت المنتجات الحيوانية من أصواف، ولحوم وجلود، وحليب، وسمن ،وعسل[1]. حيث كانت تصل إلى هذه السوق الخضر والفواكه، أو المواد الغذائية بصفة عامة الواردة من ضواحي، وفحوص مدينة الجزائر ،وكذا من **سهل متيجة** ؛فهذه الجهات كانت غنية بمختلف أنواع الفواكه والخضر .

وبالتالى كانت سوق باب عزون من الأسواق الرئيسية التي يأتي إليها سكان الريف ،والقبائل المجاورة بالمؤن المخصصة لاستهلاك سكان المدينة ،وقد ذكر الفارس درافيو في القرن 11هـ (17م) أنه كان يوجد خارج باب عزون التي اعتبرها من أشهر ،وأهم أبواب المدينة فضاء واسع أين كان يباع اللحم ،والمؤن الأخرى من الجزارة التي كان يتم جلبها من الريف ،وأن الذين كانوا يأتون لبيع منتجاتهم به كانوا يقيمون بهذا الحي[2]؛ فقد كان يوجد إلى جانب السوق فنادق لإيواء هؤلاء التجار ،وأصحاب القوافل التجارية ؛فمثلا نجد في قائمة تقيد الأحباس المحبسة على الجامع الأعظم إشارة إلى:"عقد حانوتين خارج باب عزون قرب الكوشة المقابلة لمسجد خضر باشا تحبيس سيد سعيد بن حاج ؟إبراهيم كان مفتي1051 هـ- 1648 م"[3].

وقد كانت أرض هذه السوق غير مستوية بل ترتفع في شكل دكاك مدرجة، وانعطافات إلى أن تصل إلى عين الماء التي كانت تشرف على موقع السوق، و التي بناها سكان مدينة الجزائر وأعدوها إعدادا بارعا كما هو شأن معظم العيون التي كانت توجد في الفحوص ،ففي وسط واجهة العين كان يتواجد نتوء صغير يسقط منه الماء في صهريج، أو حوض ثم كان يصب من جانبيه في صهريجين، أو حوضين أكبر منه حجما يستعملان كمورد للحيوانات[4].

2 –الواردات من الخارج:

وكان لمدينة الجزائر أيضا علاقات تجارية مع البلدان، والدول المجاورة، والغير مجاورة لها أتاحت لها فرصة تزويد أسواقها بمختلف أنواع السلع ،والمنتجات ؛فقد كانت تستقبل من **طبرقة**

[1] عبد القادر حليمي، مرجع سابق،ص.316

[2] Op.cit ,T.5, pp.219-220

[3] عبد الجليل التميمي، وثيقة ..."، ص.61

[4] LESSORE (E), WYLD (W) , Op.cit.,Planche XXI

بتونس الأقمشة [1]؛التي كانت تستعمل في خياطة الملابس المتنوعة بوجود حرفيين مهرة وأسواق الخياطين والطرازين... الخ.

ومن **فاس** كان يأتيها العسل، والصابون ،ونوع من التربة الجيدة للغسل ،والاستحمام مثل الصابون، والتي كانت تستعمل في الحمامات خاصة من طرف النساء والتي عرفت واشتهرت باسم "الطفل" وهي نوع من الصلصال ،و السكر ،و الذهب الذي كان يصنع في مدينة الجزائر في سوق الصياغة -كما سيأتي ذكره لاحقا- ومن **برقة-بطرابلس الغرب- وباستيون فرنسا بالقالة** بالجزائر كان يرد عليها الكثير من المرجان، والذي كان يعاد بيعه في كل البلاد بعد تصنيعه بأشكال مختلفة من بينها القلائد و السبحات التي كانت تصنع عادة من المرجان وهوما ذكره دوشستال دو بويس في القرن 11 هـ(17 م)[2].

ومن **طرابلس الغرب** كانت تردها أطباق، ومزهريات متقنة الصنع، والزخرفة ومن **تونس** الزيتون ،وزيت الزيتون من النوع الجيد والرفيع ،والصابون الأبيض-وإن كانت مدينة الجزائر تصنع الصابون محليا والذي عرف ولايزال بصابون الجزاير- ومن **جربة** كان التجار المسلمون يحضرون التوابل وأقمشة من الموصلين، وأقمشة رقيقة جدا لصنع معاطف ،أوسترات النساء كالحايك الجربي نسبة إلى جزيرة جربة[3].

كما كانت تصل مدينة الجزائر العديد من السلع من البلدان المشرقية ؛فقد كان يرد عليها من **اسطنبول** (**القسطنطينية**) سلع، ومواد متنوعة مثل مجاديف السفن –الغيلوطات- و الأقمشة من القطن الأناضولي،والحرير من بورصة لصنع العصابات،وفوط صالونيك، والأحزمة الحريرية[4] وهذا مع العلم أن مدينة الجزائر بدورها كانت تنتج مادة الحرير محليا وتصنعه بصور مختلفة من بينها الأحزمة لوجود حرفة الحرار بها التي اشتهر بممارستها أهل الأندلس - وقفاطين مبطنة بالفرو وكذا مناديل مطرزة ،وملاعق منقوشة وأواني من البرسولان—الخزف- كانت ترد عليها عن طريق تجار أتراك عثمانيين ، ودائما عن طريق اسطنبول كان يصلها من **بلاد الشام** الخناجر الدمشقية، و الزرابي وكانت مدينة الجزائر تستورد أيضا من **جزيرة رودس، ومن الإسكندرية** أواني للطبخ من النحاس و أواني فخارية مزينة ، و أطباق ومزهريات متقنة الصنع والزخرفة...الخ [5].

[1] Haëdo, (F.D), "Topographie …", In:**R.A.**,T.15,1871,p.54
[2] Ibid.,p.54
[3] Ibid., p.54
[4] Leseps(R), Alger Esquisse ...,p.63
[5] Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In:**R.A.**, T.15,1871, p.54

ومن **بلاد السودان الغربي** والمناطق الصحراوية التمور ،و" تبر الذهب " أي غبار الذهب،والملح والعاج وريش النعام، و العبيد الزنوج وغيرها من السلع والبضائع.

ولم تكن أسواق مدينة الجزائر تخلو من السلع، والبضائع القادمة من الموانئ الرئيسية لأوروبا وإن كانت المواد المستعملة في صنع السفن ،وكل ما يتعلق بالبحرية هي التي كانت تحتل الصدارة في قائمة هذه الواردات؛ حيث كان التزود بها أمرا هاما لا غنى عنه؛ أي كل مكان له صلة وعلاقة ببناء ،وتسليح السفن، والملاحة، والحرب كالأخشاب التي كان يزودهم بها الإنجليز والهولنديون ،والسويديون ؛أي حطب الشمال–وإن كانت تأتي به أيضا من غابات البلاد الموجودة بنواحي شرشال ،وخاصة تلك المتواجدة بنواحي ،وجبال بجاية- ، وكذا المعادن كالحديد والفولاذ ؛أي الصلب[1].

وإلى جانب ذلك كانت تستورد مواد أخري البعض منها يعتبر من الكماليات؛فكانت سفن **مرسيليا** ،وموانئ أخري من **فرنسا** تحضر لمدينة الجزائر كل أنواع، وأدوات الخياطة والأقمشة القطنية إلى جانب حمولات من ملح البارود ،و الحديد، والصلب –الفولاذ- والمسامير، والخشب لاسيما لصنع السفن، و الأقفال ،والأمواس ،وحتى الزيت عندما كان يفتقد هذا الأخير، أو يقل في الجزائر كما كانوا يحضرون أيضا أقمشة رقيقة، و الملح ،والكبريت والشب، و الصمغ ،و حتى حمولات من البندق ،والقسطل، والمشروبات الطبية، والمعاجين والمربيات[2].

أما السفن القادمة من **إنجلترا** ؛فقد كانت تحضر كميات من المعادن المختلفة من الحديد والرصاص، والقصدير، والنحاس، و الزنك إلى جانب كميات من البارود للمدافع وكذا جلود وأقمشة من مختلف الأنواع[3]كالأقمشة المذهبة ،والفضية[4].

كما كانت مختلف **مدن إيطاليا** وجزرها التجارية تصدر سلعها ،وبضائعها إلى مدينة الجزائر فمن **جنوة** ، و**نابولي**، و**صقلية** كان يؤتى بالحرير المنسوج من كل الأنواع ،ومنسوجات،وأقمشة دمشقية و بالساتان ،و الفلور –المخمل–من كل الأنواع في حين كانت **البندقية** تزودها بقدور

[1] Leseps(R) , Alger Esquisse ...,Op.cit , p 62
[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In-**R.A**, T15, 1871,pp 53-54
[3] Ibid,p 53 voir aussi Davity , Op.cit ,p 179
[4] Leseps(R) , Alger Esquisse ...,Op.cit, p 63

للطبخ من النحاس[1]،وكؤوس، وأكواب ،و أجبان[2]،وأحيانا أقمشة من الدمشقي ،والفلور – المخمل–، والصناديق الخشبية، و كذا الصابون الأبيض، ولاسيما المرايا[3]،و المزهريات والأواني الزجاجية[4] في حين أن جزيرتي **ميروقة** ،و **مينروقة** جارتيها كانتا ترسلان إليها الأجبان وكذلك الملح[5].

وحتى من **إسبانيا** كانت ترد إلى مدينة الجزائر سلع سواء عن طريق الغنائم البحرية أوعن طريق السفن التجارية الإسبانية ،ولاسيما تلك القادمة من **كتالونيا** ،و**فالنسيا** التي كانت تجلب إليها الخل، والملح، والروائح ،والعطور ،والأقمشة الحريرية ،و قماش الحايك الأحمر[6].والمسدسات، و اللؤلؤ، وخاصة الذهب ،والفضة المسكوكة؛ أي العملات الذهبية والفضية، وأساسا الريالات من البسيطة إلى غاية الريال ثمانية ،والذين كانوا يخوضون في بيعها كانوا يحققون فوائد ،وأرباح كثيرة من وراء المتاجرة بها[7] .كما كان الهولنديون يأتون بفاينس دلف إلى مدينة الجزائر ،والذي لا يزال ماثلا للعيان على جدران بعض الدور البديعة التي ترجع للفترة المدروسة[8].

كما كان يصل إلى مدينة الجزائر سلع ،وبضائع من **أسيا**، وذلك عن طريق اسطنبول فقد كان تصل إليها بضائع من بلاد **فارس–إيران–** ،و**الهند** كالتوابل ،والأقمشة، ففي قانون مدينة الجزائر تحت عنوان قانون ما يأخذه الكمرك –الجمرك – من التجار على القماش في مدينة السلام الجزائر ذكر" **قماش هند امتع اسطنبول لكل قنطار صيم 21** [9].كما كانت تصلها من هذا الطريق التجاري أواني خزفية "البرسولان" من الصين، واليابان ولاسيما فناجين صغيرة لشرب القهوة والشاي[10].

---

[1] Haedo, (F.D), "Topographie …" ,In:**R.A.**, T.15, 1871, p.53
[2] Davity (pierre),Op.cit 179
[3] Haedo, (F.D), "Topographie …", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.54
[4] Leseps(R) , Alger Esquisse ..., p.64
[5] Davity (pierre) ,Op.cit.,p.179
[6] Haedo , (F.D), "Topographie …", In:**R.A.**, T.15, 1871,p.53

[7] Davity (pierre),Op.cit., p.179
[8] Lesseps(R), Alger Esquisse ..., p.63

[9] قانون مدينة الجزائر،المصدر سابق، ورقة 7 في النسخة الثانية

[10] Mahfoud Kaddache, la casbah, mémoire... ,p.58

ب- الغنائم البحرية كمصدر للبضائع والسلع :

و كان يباع أيضا في أسواق مدينة الجزائر حصيلة الغنائم البحرية[1] كالسيوف ،والصناديق و قد ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16م) أنه لدي عودة البحارة من غارة بحرية كانت تعم الفرحة كل مدينة الجزائر ،وكان التجار ،والباعة يشترون الأسرى ،والسلع التي كان يحضرها البحارة[2]؛ فقد كان يتم الاحتفاظ بخشب البناء، و الأسلحة، والبرود، و الأقمشة، والقطن والحرير، والتوابل وكانوا يبيعون السلع التي لايمكن تصريفها في مدينة الجزائر بسبب حرمتها دينيا بالنسبة للمسلمين مثل الخمر، واللحوم ، والزيت المستخلص من الخنازير ،والأسماك المجففة للتجار اليهود الفرنكا خاصة ،و بأسعار بخسة ؛فكانوا يبعون بدروهم هذه البضائع الغذائية للأوروبيين في مدينة الجزائر، أو يصدرونها إلى ليفورن لبيعها هناك وتحقيق مكاسب معتبرة [3].

وقد أشار التمكورتي بدوره في كتابه عن رحلته" النفحة المسكية في السفارة التركية " أواخر القرن 16م (1003هـ/ 1594- 1595 م) إلى دور الجهاد البحري في ازدهار التجارة والحياة الاقتصادية، وبالتالي الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر لتوفيره مختلف السلع والبضائع « *ثم دخلنا الجزائر.....وهي عامرة كثيرة الأسواق.....ومرساها عامر بالسفن و رياسها موصفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية، وأعظم هيئة، وأكثر رعبا في قلوب العدو فبلادهم لذلك أفضل من جميع*

---

[1] ويبدو لنا أنه لا يجب المبالغة في أهمية دور الغنائم البحرية في تزويد مدينة الجزائر بالسلع ،والبضائع المتنوعة والذهاب إلى ما ذهبت إليه الدراسات الغربية وخاصة تلك التي تعود لمرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر والتي جعلت من الغنائم البحرية وما يتصل بها من أموال فداء الأسرى المسيحيين المورد الوحيد والأساسي لاقتصاد الجزائر في ظل الحكم العثماني ؛ولقد توصل الأستاذ الباحث أرزقي شويتام انطلاقا من دراسته للوثائق الأرشيفية ،والمصادر الأولية إلى استخلاص مفاده أن الغنائم البحرية الجزائرية مهما كانت قيمتها ؛فإنها قليلة الأهمية بالنسبة للاقتصاد الجزائري معللا ذلك بجملة من الأسباب منها : 1-عدم ثبات الموارد البحرية التي كانت في تذبذب مستمر لارتباطها بحالة الأسطول والنشاط البحري وعلاقات الجزائر الخارجية {ويمكن أن نضيف أثر الأحوال المناخية فلم تكن كل الفصول مناسبة للإبحار والنشاط البحري كما أن الحملات البحرية كانت تستمر أحيانا لعدة أشهر ومن تم يمكن التساؤل عن موارد الدولة حينها }2 –في الوقت الذي بلغت فيه البحرية الجزائرية ذروتها وعصرها الذهبي في القرن 11 هـ(17 م) فإن مداخيل البحرية لم تكن تغطى إلا أجرة واحدة من الأجور التي كانت تدفع للجنود مرة كل شهرين {وبالتالي نستخلص أن أهم مورد لتغطية هذه الأجور هي الموارد التي كانت تأتي من داخل البلاد} 3 –أن موارد البحرية لم يكن يدخل منها إلى خزينة الدولة إلا جزء قليل حيث كان نصيب الدولة يتراوح ما بين 1/5 و8 /1 و12 /1وذلك حسب أهمية الغنائم فضلا عن تعدد الأطراف المستفيدة من هذه الموارد البحرية .أنظر :أرزقي شويتام، ، المجتمع الجزائري ...، صص.226 -227

[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …",In :**R.A.**, T.15, 1871,p.49

[3] Leseps(R), Alger Esquisse ..., p.60

بلاد افريقيا، وأعمر، وأكثر تجارا، وفضلا، وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اصطنبول الصغرى" [1].

وهذا ما يتضح لنا عند العودة إلى المصادر المحلية الأرشيفية وتحديدا سجلات بيت البايلك حيث نجد سجلا يطلعنا على كل ما كان يرد على ميناء مدينة الجزائر من غنائم بحرية وسلع وبضائع متنوعة[2].

3-عدد الأسواق في مدينة الجزائر وتوزعها:

كانت مدينة الجزائر بناء على ما سبق ذكره ، تتوفر على سلع ،وبضائع متنوعة بفضل المبادلات التجارية ،و الغنائم البحرية فضلا عن النشاط الحرفي المتنوع الممارس فيها الذي لفت انتباه الاسباني فراي ملشور في أوائل القرن 11 هـ(17 م) ؛حيث قال :"*لديهم كل المهن والأنشطة لكل ما هو ضروري للملابس، والأحذية كما للمنشآت الدفاعية، ولما يتلف ويتضرر،..... ولا ينقصهم إلا الذي يصنع بالزجوا-الزليج- الذي كانوا يحضرونه من المشرق مع أن المورسكيين بدأوا في صناعته* –[3] ".

---

[1] التمكّورتي(علي بن محمد)، ،مصدر سابق،صص. 128-129 وأنظر أيضا مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحالات...،،ص.57

[2] السجل رقم 153 الرقم القديم 69 في العلبة 68 إلى 69 ،سجل يتضمن 3 أقسام يهمنا منه الجزء الأول الذي يحوي بيان الواردات التي ترد عن طريق البحر من السفن؛ وهي مواد استهلاكية غذائية وغيرها ومدخول هذه المواد من الرسوم المستوفاة مرتبة حسب التاريخ عن السنة والشهور تاريخه1081هـ(1670 – 1671م)/ 1090هـ(1679 -1680م)حيث يسبق عرض السلع الداخلة إلى المرسى وتحديد الرسوم الواجب دفعها بعد ذكر المشرفين على العلمية وهم معينين من طرف السلطات وديوان الجند حينها حيث ورد فيه على سبيل المثال :"الحمد لله بيان الداخل من المرسى على يد خصر يلداش بن عيسى واسماعيل يلداش بن عبد الله ورجب خوجة المتوالين من قبل العسكر المنصور بالله بتاريخ أوائل حجة عام 1083 هـ وفي محل آخر من السجل الحمد الله بيان الداخل على يد علي يلداش ابن محمد التركي والشاب يوسف بن محمد من مرسى محروسة الجزائر المتولين من قبل العسكر المنصور بالله بتاريخ أواخر جمادى الأول عام 1084هـ ومن أمثلة ما ورد بالسجل مأخوذ من صفحات مختلفة منه :من غنيمة سبطة رجب ،من قارب مرجان رايس ،من قارب بن دحوا،من عوايد المرسى من مركب عبد الرحمن،تسجيل الداخل من باب الجزيرة من سكر ومن حايك ،ومن كحل،ومن قرمز .....إلخ.كما يستخلص من هذا السجل وجود مخازن بالقرب من باب الجزيرة لتخزين السلع والبضائع الواردة للمرسى"...من كراء مخزن بباب الجزيرة".

[3] Sakina Missoum, Op.cit, p.62

وما سبق ذكره دليل على أن مدينة الجزائر كانت تتوفر على كل الأنشطة، والمهن الحرفية والتجارية الضرورية للمجتمع كصناعة الملابس، والأحذية،والأواني؛ بل وكانت توفر حتى وسائل صيانة وإصلاح مختلف هذه الأدوات، والسلع وهو ما نعتبره بمثابة خدمات مابعد البيع.

وبالنظرا إلى ما سبق ذكره فإن مدينة الجزائر كانت تشتمل على العديد من الأسواق ؛فقد كان مركز مدينة الجزائر التجاري يمتد إلى 11 **هكتار** ،ويشتمل على حوالي 40 **سوقا**[1]، وقد كانت هذه الأسواق ،والحرف المتنوعة الهادفة لتوفير عدة خدمات متنوعة للسكان منتشرة عبر المدينة من خلال شبكة من الأنهج، والأزقة الضيقة، والتي كان عرضها لا يزيد في بعض الأحيان عن عشرة أقدام تعلوها في الغالب سقوف من الخشب ،وأهم الأنهج، و الطرقات التي كانت تتمركز فيها الأسواق، ومن ثم الأنشطة التجارية ،والحرفية تلك التي كانت تحيط بداخل سور المدينة، و الأنهج التي كانت تربط بين الأبواب الرئيسة وقد كانت الأنشطة الاقتصادية الهامة تتمركز في القسم السفلي للمدينة في حين كان يغلب على القسم العلوي منها الأحياء السكنية[2].

ولعل من أهم الشوارع ،أو المراكز التجارية، والحرفية في مدينة الجزائر الشارع الذي كان معروفا بشارع السوق الكبير، أو النهج الكبير الذي كان يمتد من باب عزون إلى باب الوادي والذي كان في واقع الأمر يحوي العديد من الأسواق؛ فقد ذكر هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16م) أن كل الأزقة في مدينة الجزائر كانت ضيقة باستثناء شارع واحد، و هو نهج الكبير، أو نهج السوق الكبير؛ الذي كان يعبر المدينة في خط مستقيم من باب الواد إلى باب عزون وكان يعرف بنهج السوق الكبير؛ لأنه كان يشكل سوقا محاطا، ومحفوفا من كل جانب بعدد كبير من الدكاكين والحوانيت التي كانت تباع فيها مختلف السلع، والبضائع[3].

أما غرماي فقد وصف السوق الكبير في القرن 11 هـ(17 م) بقوله: "... في داخل مدينة الجزائر يبدو تقريبا أن كل المدينة تعطي لنفسها موعدا في الشارع المحصور ما بين باب الواد وباب عزون هنا بالفعل أين ننزل للقيام بالمشتريات ،وإجراء، وإبرام مختلف أنواع الصفقات والأعمال مع توفيره فرصا للاسترخاء؛فهذا الشارع ذو ثمانية إلى عشرة أمتار عرضا هو الممر

[1] Andre Raymond, Op.cit., p.149
[2] Office Riad el feth , Op.cit., p.26
[3] "Topographie… " , In**: R.A.**, T.14, 1870,p.431

الرئيسي في المدينة و بمثابة الرئة ،والقلب النابض لها شارع السوق أو" السوكو"-كما كان يقال في لغة الفرنكا في عهد غرماي-"[1].

فشارع السوق الكبير كان يعج، ويضج بكل التجارات، وكل النشطات الحرفية ،و كان يقسم مدينة الجزائر إلى قسمين المدينة العليا "الجبل "،والمدينة السفلى" الوطاء " البحر ،و يمر ما بين الجنينة ،والجامع الكبير، ويتفرع إلى عدد لا يحصى من الزنقات، والطرق الثانوية، والساباط أين كان لكل نوع من التجارة ،والحرف مكانها الخاص ،والتي كانت تشكل أحياء كاملة ؛حيث كانت كل مجموعة، أو فئة مهنية ممثلة ،وكل الأسواق موجودة أسواق: الجلود، والخشب والنحاس والسردين،والحبوب، واللحوم ،والفحم ،والصوف و غيرها، وسوق أخري للمواد المستوردة ،وبشكل منفرد سوق العبيد ،والغنائم البحرية المعروف بسوق الباديستان[2].

وقد ذكره دافتي وهو من أهل القرن 11 هـ(17م) بدوره حين قال لقد كان للمدينة شارع عريض جدا في بعض الأمكنة، ليضيق في أماكن أخرى ،وكان يؤدي من باب إلى أخري{المقصود من باب الوادى إلى باب عزون }وكانت تقام به كل يوم سوق منتظمة لدرجة أنه كان لكل من بائعي الحليب ،و الزبدة، واللحوم والخشب، والتين، وأشياء مماثلة شارعه وحيه الخاص الذي يمارس فيه تجارته، وكان هذا الشارع المزين بكل أنواع الدكاكين ،والحوانيت يرش بالماء صيفا في كل صباح، ويغطي في بعض الأمكنة بالقصب للاحتماء من موجات الحر الشديدة[3].

وهو نفس ما ذهب إليه الفارس درافيو دائما في القرن 11هـ(17م) حين قال:"الشارع الأكبر، والأكثر عرضا من كل الشوارع هو الشارع الذي يمتد من باب الواد إلى باب عزون وهو المكان الأنسب، والأجمل في كل المدينة ،وتلك التي تتصل به هي أزقة الأسواق أين كانت توجد دكاكين التجار البائعين لمختلف السلع"[4].

في حين ذكر لوجي دو تاسي أنه لم يكن يوجد في مدينة الجزائر إلا شارع واحد عرضه معقول كان يمتد من طرف المدينة الغربي إلى طرفها الشرقي ،و قد كان يتسع أيضا في بعض الجهات، ويضيق في أخري، وكان القمح يعرض فيه للبيع يوميا بالإضافة إلى مؤن

[1] Gramaye (J.B) ,Op.cit. , pp.74-75
[2] Ibid.,p.75
[3] Op.cit,. p.170
[4] Op.cit.,T.5, p.224

أخري ،وهو الشارع حيث كان التجار الرئيسيون يملكون متاجرهم ،ويديرون محلاتهم[1].وهذا نفس ما ذهب إليه كورنيليس بنجاكر في القرن 11هـ (17م) مضيفا أنه عبر بوابتي باب عزون وباب الواد المشكلتين لطرفي شارع السوق الكبير كان تصل الجمال ،والحمير المحملة بالحبوب والجلود، والفواكه وبكل ما كانت تحتاج إليه المدينة[2].

وقد ورد ذكره أيضا في الوثائق المحلية ومن نماذج ذلك عقد من عقود الوقف:"جميع الربع الواحد شائعا من جميع الدار بالعلوي الكاين بالسوق الكبير داخل الجزائر....."[3].

ومن ثم يمكن القول أن الأسواق بمدينة الجزائر في ظل اللحكم العثماني إلى جانب كونها أماكن تلبي احتياجات السكان في مختلف الميادين كالغداء، والملابس شكلت محطات تجمع،وتواصل بين أفراد المجتمع في مدينة الجزائر ، ومن أهم الأسواق، والنشاطات الحرفية والتجارية التي كانت توجد، وتنتشر عبر أحياء مدينة الجزائر نذكر:

1-سوق المقياسية:

وكانت سوقا خاصة بصانعي الأساور من العاج، وقرون الثيران وكانت تقع في قسم من شارع باب عزون ، و كانت هذه الحرفة احدى الصناعات الحرفية الرئيسية في مدينة الجزائر، وكانت الأدوات المصنوعة في معظمها، أو أغلبها تصدر باتجاه **تونس**، و**ليبيا**، و**مصر**. كما كانت تقوم فيها بتجارة معتبرة مع داخل البلاد، واللواتي كن يتزين بهذه الأسوار هن نساء البدو، والقبائل الفقير لحد لا يسمح لهن بشراء مجوهرات من المعادن الغالية الثمينة كالذهب والفضة[4] ،والمادة الأساسية لهذه الحرفة كانت القرون ،وكانت شحنات هذه المادة تصل إلى الورشات الحرفية عن طريق القوافل التجارية ، وكانت هذه الوراشات تعين مندوبين؛ أي أشخاص كانوا يقومون بشراء المادة الأولية ،وتوزيعها على كل حرفي بحسب أهمية متجره ،ومحله[5].

ونجد إشارة إلى هذه السوق في أحد عقود التحبيس عند تحديد موقع الدكان موضوع الحبس حيث ذكر فيه أن السيد عمر باشا قد قام بتحبيس جميع جلسة الحانوت التي يملكها الكاينة

[1] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.1, p.247
[2] Cornelis Pijnacker,Op.cit.,p.86
[3] الوثيقة رقم 1 ،عقد وقف ذري ،في العلية 10-1 من من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها 1208 هـ، في الأرشيف الوطني الجزائر
[4] Marcel EMERIT ,Op.cit.,p.10
[5] Hamdan Khodja, Op.cit.,p. 238

بسوق المقياسة لصالح أهل أوجاقه الذي قدره 2323[1].

كما نجد إشارة إلى هذه الحرفة في عقد تحبيس نصه :" *تحبيس الولية خديجة ابنة المرحوم الحاج محمد المقياسي جميع الدار قرب جامع صفر على نفسها وبعدها على بعلها الفقيه السيد محمد عرف رأس لعين وأخيها للأب الشاب احمد المقياسي وأعقابهم ثم للحرم الشريف*"،[2]وقد ورد ذكر هذه الحرفة في قانون مدينة الجزائر في مواقع عدة.

2- سوق الخراطين:

والمقصود به حرفة خراطة الخشب، وكانت حرفة تنم عن البراعة؛ فقد كان الخراط يحرك مخراطه بواسطة قوس يمسكه بيده اليمنى، وفي نفس الوقت يضغط بقدمه اليمني على الأداة التي يوجهها بيده اليسرى ،فيصنع بدقة كبيرة لعب للأطفال- مثل اللعبة الشعبية المعروفة بالزربوط[3] وكراسي ،وأنابيب الغلايين ،وملاعق وعلبا ،وشرفات معروفة بالدربوز وجمعها درابيز وكذا ألآت للنسيج ،وكبات لوضع الخيط[4]. وأدوات أخري لا تعد، ولا تحصي والعجب كله في تمكن هؤلاء الحرفين من تخريط أشياء في هذه الدرجة من اللطافة، والرقة معتمدين في ذلك على مجرد الروتين دون معرفة للنسب ،ولمقاييس الهندسية حسب وصف المصادر الغربية [5].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مهارة حرفي مدينة الجزائر في ذلك العهد ونجد إشارة إلى هذه السوق في أحد عقود التحبيس عند تحديد موقع الدكان موضوع الحبس ؛حيث جاء فيه أن محمد باشا قام بوقف، وتحبيس جلسة حانوت يملكها كائنة بسوق الخراطين ،وكانت معدة لبيع الحصائر وكانت لاصقة بحانوت السيد بوشلاغم الخراط أسفل المسجد خيضر باشا[6].

وكذلك في عقد تحبيس آخر نجد إشارة للسوق المذكور ؛حيث جاء فيه "*تحبيس السيد بن يوسف بن احمد جميع السدسين الاثنين من الدار الكاينة سوق الخراطين على نفسه ثم على*

---

[1] الوثيقة رقم55"رسم تحبيس ووقف لجلسة حانوت"من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني تاريخها رجب 1230هـ/ 1814 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر –

[2] السجل رقم 218 مصدر سابق " تحت عنوان تحبيس النساء، الورقة 30 الجهة اليسرى الرقم 46 من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] LESSORE (E), WYLD (W), Op.cit., Planche XXII.

[4] Mahfoud Kaddache, « L'Algérie durant … », p.213

[5] LESSORE (E), WYLD (W), Op.cit., Planche XXII.

[6] الوثيقة رقم 39 ،في الملف الثاني من المجموعة 3205، المصدر السابق

أولاده العربي ومحمد وعمر واسيا وحسيبة ونفسه وأعقابهم ثم للحرمين الشريفين" [1].

3 –سوق الدباغين:

وقد كانت تعرف أيضا بدار الدباغين، وقد ورد ذكرها في أحد عقود التحبيس؛ حيث جاء فيه في هذا الشأن :"بعد أن استقر على ملك المكرم الحاج سعيد الدباغ صناعة بن محمد المذكور مبتاع في الرسم الملحق بهذا به جميع الحانوت الكاينة بدار الدباغ داخل محروسة الجزائر..."[2]. ؛فقد كان عبارة عن فندق للدباغين العرب ؛حيث كان يتم فيه دبغ الجلود باللون الأسود ،والأحمر و البنفسجي، وكان هذا الفندق يقع في ساحة صغيرة داخلية في داخل ممر ساباط بشارع باب عزون ،وخارج هذا الباب كان يوجد فندق للدباغين الأتراك العثمانيون أين كانت تصبغ الجلود بالقرمز[3]،و كان لهذه الصناعة رواج كبير؛حيث كانت الجلود المصبوغة تستعمل في صنع الأحذية ونعال الرجال والنساء، ومحافظ النقود المحكمة الصنع المطرزة بالخيوط الذهبية ،والفضية[4].

و في أحد عقود التحبيس عند تحديد صاحب الوقف نجد إشارة إلى هذه الصناعة ؛حيث جاء فيه «*...بعد أن استقر على ملك المكرم الحاج سعيد الدباغ صناعة...*"[5]–كما سبق وأشرنا إليها–. وقد كان يشرف على توزيع الجلود موظف يعرف بخوجة الجلد كان مكلفا بتسيير احتكار تجارة الجلود وكان يساعده في أداء مهامه عدة موظفين كانوا تحت امرته و هم وكيل حرج و مصرفي، و أعوان ،وكانت مفاتيح الفندق المعروف بفندق الجلد التابع للبايلك تحمل كل مساء للقصر "قصر الجنينة" مقر السلطة[6].

4– سوق أو زنقة الصباغين:

وقد كانت هذه الزنقة عبارة عن سوق يقصده البدو الذين كانوا يأتون إلى مدينة الجزائر ليصبغوا فيها ما لديهم من قماش، وكانت هذه الصناعة هامة تستهلك كمية كبيرة من القرمز

---

[1] السجل رقم 218 مصدر سابق، الورقة15 الجهة اليسرى الرقم 58 من سلسلة بيت البايالك في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الوثيقة رقم75 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"،في العلبة 10-11 تاريخها 1109 هـ (1697 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] Albert Devoulx, EL Djazair …, p.219

[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص140

[5] الوثيقة رقم75 في العلبة 10 –11، المصدر السابق

[6] Albert Devoulx, tachrifate…,p.21

و النيلة،و النوة، وغيرها من المواد الطبيعية التي كانت تستخلص منها الألوان الصالحة للتلوين و الصبغ،وقد برع الصباغين في مدينة الجزائر في صبغ الأقمشة ،والحرائر بألوان جميلة[1].

فقد ذكر في ذلك أ.ليسور ،وويلد مايلى:" المسلمون يصنعون ألوانا تضاهي ألواننا زهاء ولكنها أكثر منها ديمومة بل يملكون بعض الألوان الزاهية ،والتي لم تصل لدينا لنفس المستوي فمثلا اللون الأحمر الأرجواني براق أكثر من ذلك الذي نصنعه في ورشانا ،وهم يولون في تحضير ألوانهم اهتماما يعطيها أكثر متانة ،ودرجة تلون أكثر رقة ،ومن خلال علاقتهم المباشرة مع الشرق يتحصلون على مواد أكثر نقاء من موادنا فضلا على أنهم أكثر إتقانا في استخدامها وبما أنهم يظهرون ترفهم أساسا في ملابسهم ،و فرش دورهم ؛فليس من العجيب أن حافظ المسلمين بعناية فائقة على فن يحظى بشهرة في بلادهم منذ القدم "[2].

و كانت هذه السوق تقع بشارع باب عزون،و قد ورد ذكر الصباغين في قانون مدينة الجزائر عند الحديث عن الصلح بين جماعة التبانين،والصباغين نتيجة صراع وقع بينهم جاء فيه: " صلحنا بين امين{كذا} التبانين *والسباغين{كذا} باب عزون على أن يعطي السباغ{كذا} نصف غرام ويبيع الحطب كيف يبيعه التبانين بمحضر شيوخ البلد محمد الفقير والحاج محمد بن النيا و عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويهد بغرت {كذا} رجب عام سبع وميا{كذا} والف 1106»*[3].

وكذلك في اتفاق مع الداي حول ثمن الحرير:" *الحمد وقع الاتفاق امين السباغين{كذا} مع الدولاتلى باب{كذا} مصطفي اصلح الله حاله على الحرير الذي يبيع عمل لهم يبيع ثمانية وعشرون وللوزان ثلاثين...."* [4]. كما نجد إشارة إليه في بيان عقود الأملاك المحبسة على المسجد الأعظم *"جميع جلسة الحانوت الكائنة قرب سباغين تحبيس عبد الرحمن بن حاجي زروق 1101هـ"*[5].

---

[1] Hamdan khodja , Op.cit., p.283

[2] LESSORE (E), WYLD (W) , Op.cit, Planche XXII.

[3] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق،ورقة 21 -22

[4] نفسه، ورقة 23

[5] عبد الجليل التميمي،وثيقة..."،ص.61

5- سوق الحراريين:

وتواجدت هذه السوق بطريق باب الجزيرة؛ أي زنقة الجهاد مقابل المسجد الكبير تماما يسار المار من باب البحر ،ونجد في أحد عقود التحبيس إشارة إلى حرفة الحرار حيث جاء فيها ما نصه :"*تحبيس الولية عزيزة المذكورة زوجة الأكحل الحرار ابن اليكوش إنها حبست جميع العلوي ابتداء على نفسها وعلى بعلها السيد الأكحل الحرار...*" [5].

وكانت هذه الحرفة ممارسة خاصة من طرف الأندلسيين؛فهم الذين كانوا يمتهنونها بالدرجة الأولى ؛حيث كانوا يصنعون بمهارة كبيرة عدة أصناف من المنسوجات الحريرية كالمحارم، وحايك الحرير للنساء ؛ و الأحزمة الحريرية فكانت صناعة الحرير من أهم الصناعات في مدينة الجزائر؛ فقد كانت تصلها حمولات المراكب من الحرير الآتية من بيروت وأزمير،فضلا عن الحرير الذي كانت توفره ضواحي، وفحوص مدينة الجزائر؛ حيث كان الأندلسيون يقومون بتربية دود القز المنتج للحرير؛ وكانت مادة الحرير تستخدم في صنع الأقمشة وغيرها من المواد الأخرى كالحبالة الحيرية والفتائل، والأزرار ثم كانت تصدر إلى مملكة المغرب،وتونس ،وطرابلس واسطنبول، ومصر، وحتى إلى سوريا[1].

ويمكن أن نستخلص مما ذكر آنفا أن حرفة صناعة الحرير بمدينة الجزائر عرفت في ظل الحكم العثماني إزدهارا وتطورا وجودة في التصنيع تشهد بذلك صادراتها الحريرية المتنوعة التي لقيت رواجا واقبالا على اقتناءها في العديد من مناطق بلاد المغرب والمشرق الاسلاميين.

6-سوق اللحميين:

كان عبارة عن ساحة صغيرة يشكلها إلتقاء ثلاثة أزقة في هذه الساحة الصغيرة المحاطة بالمتاجر، والحوانيت كان المزابيون يبيعون اللحم، والخفاف المسمى بالسفنج ،و في وسط الساحة كان يوجد بئر.[2]

7-سوق القزدارية (القصدرية):

و كان مشكلا من صانعي القزدير الذين كانوا يصنعونه بأشكال مختلفة أهمها الأواني ،و الأباريق والدلاء القصديرية.

---

[5] السجل رقم 216 سجل يتضمن ضبط الأوقاف المحبسة على فقراء الحرمين الشريفين وفقراء الأندلس بمدينة الجزائر تحت عنوان الاعلياء الورقة 11 الجهة اليمني الرقم50، من سلسلة بيت البايالك في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] Hamdan khodja , Op.cit, p 238

[2] Albert Devoulx, EL Djazair…, Op.cit, p218

8-سوق الصفارين:

والصفارين هم الذين كانوا يصنعون النحاس؛ حيث كانوا يصنعون الصواني،والإبر الفناجين والأواني، وأشياء مختلفة، ومتنوعة لتقديم الأطعمة ،واحتواء السوائل[1].

وقد ورد ذكر هاتين الحرفتين في قانون مدينة الجزائر ؛حيث من جملة ما ذكر أنه "*وقع نزاع بين جماعة الصفارين وجماعة القزدارية وأنهم رفعوا أمرهم إلى المكرم سيد احمد شيخ البلد الذي صالح بينهم على أن الترقيع إذ كان ثلاثة أو أربع مسامير يرقعها وأما الرقعة الكبيرة هي للصفارين لا يرقعها القزدارية*" [2].

كما ورد ذكر سوق الصفارين أيضا *في أحد عقود تقسيم* تركة عند تحديد موقع الحمام الذي كانت تملك فيه المتوفية حصة :"وخلفت أيضا حظا من الحمام الكاين بالصفارين بناحية باب عزون....."[3].

وهنا نلاحظ أن النزاع الحاصل بينهما كان حول صلاحيات إصلاح الأواني، وتوصل الطرفين في آخر الأمر إلى حل يتمثل في تقسيم مهام الإصلاح حسب الرقعة المراد إصلاحها ومن ثم لم يكن الصفارين، و القزدارية يكتفون بصنع الأواني المختلفة بل كانوا يقومون أيضا بإصلاحها عند تعرضها لبعض التلف مما ساهم في المحافظة عليها لأطول مدة ممكنة ؛كما تبين لنا أهمية الأواني النحاسية، و القزدرية في الاستعمالات اليومية لأفراد المجتمع في مدينة الجزائر.

و تجدر الإشارة إلى أن دفتر التشريفات قد أشار إلى جماعة الصفارين-النحاسين – حيث ذكر أنه:"في كل سنة بمناسبة شهر رمضان كل أواني الحكومة النحاسية كالأطباق، و الصحون والقدور، و الصواني ،وغيرها المستعملة من طرف الباشا، و القصر،و حرس حامية القصبة و دار آغا الفرق،و رئيس طباخين الباشا تسلم بعناية وكيل الحرج لأمين الصفارين الذي كان يقوم بإصلاحها، والمحافظة عليها بوضعية جيدة، وما إن كان ينتهي من هذه العملية حتى كان يتسلم الأموال التالية التي كان يوزعها للعمال في ورشته ،فعن أطباق، وأواني الباشا كان يتلقي22 صايمة-عملة نقدية-،وعن تلك الخاصة بحامية القصر 22 صايمة ،وعن أواني دار الأغا

[1] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant …. , p.212

[2] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة من10 من النسخة الأولى/ورقة 47 - 48من النسخة 2

[3] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1، المصدر السابق

أيضا 22 صايمة ونفس الثمن كان يدفع عن إصلاح أواني القصر ،وحامية القصبة، وأتباع الباشا[1].

9-دار اللحم -دار اللحم الجزارين:

وهو اسم كان يطلق على دار كبيرة يسكنها اليهود، و كانت أرضيتها تستخدم من طرف اليهود كجزارة-مذبح للغنم، و البقر وبيع لحومها- وقد أشار ألبير دفوا إلى أنها ذكرت في عقد مؤرخ بسنة1038هـ(1628- 1629م) تحت اسم دار اللحم وفي عقد آخر مؤرخ بتاريخ 1111هـ (1699م) تحت اسم جزارة اليهود ،وكانت تقع بشارع باب عزون[2].

10-سوق الفرارية:

وقد كان خاص بجميع الأدوات الحديدية المصقولة مثل الأقفال وصفائحها ،وأنابيب البنادق، و حلقات حديدية، والمسامير،والعقالات - حبل تشد به قوائم الدابة-[3].وفي وثيقة بيان العقود، والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارة إليه "**عقد جميع الحانوت الكائنة قرب فرارية تحبيس جعفر بن عبد الله سنة 1036 هـ(1626م)**[4]".

11-رحبة القمح:

وقد كانت توجد مباشرة عند مدخل باب عزون، وكانت رحبة القمح بمثابة سوق يباع فيه القمح[5] ،ويشير دفتر التشريفات إلى موظف كان يعرف بخوجة الرحبة ،والذي كان مكلفا بتحصيل حقوق البايلك؛ أي الضرائب على الحبوب التي كان يتم إحضارها إلى السوق ،وفي كل مساء عند ساعة العصر خوجة الرحبة كان يترك السوق بعد أن يأمر بإغلاق أبواب الرحبة ويرسل المفاتيح إلى قصر الجنينة ؛حيث كانت تبقي إلى غاية اليوم الموالي ،وكان تحت رئاسة الخوجة وكيل حرج و خزناجي، و وزان[6].

12-رحبة الشعير:

والتي كانت تسمي بالرحبة القديمة ،والتي كانت توجد في قلب المدينة السفلى وقد كانت

---

[1] Tachrifate..., p.49
[2] Albert Devoulx, EL Djazair, p.204
[3] Ibid., p.225 voir aussi Hamdan khodja , Op.cit., p.238
[4] عبد الجليل التميمي ، الوثيقة ..."،المصدر السابق،ص 60
[5] Albert Devoulx, EL Djazair, p.201
[6] Albert Devoulx, tachrifate , p.21

مخصصة لبيع الشعير[1].

13-رحبة الفحم:

وكانت تقع خارج باب عزون -مع أنها قبل ذلك كانت واقعة في داخل المدينة في شارع باب عزون -وكان يشرف على هذه السوق خوجة يعرف بخوجة الفحم، و كان يتلقى حقوق الدخول التي كان يتوجب دفعها عن كل حمولة فحم تدخل إلى المدينة، وقد كان محله بسوق الفحم خارج باب عزون، وكان له تحت إمرته خزان، وعون واحد، وكان يودع المال كل شهرين في خزينة الدولة [2].

14-سوق الديوان:

على يسار الداخل إلى باب عزون كانت توجد باب تنفتح على ساحة داخلية أو ساحة كبيرة كان لديها منفذ آخر على شارع باب عزون، ومشكلة في قسم كبير منها من حائط أو جدار القصر ،والجدران الأخيرة لحوانيت ،ودكاكين باب عزون، و كان البدو يأتون إليها لبيع الزيتون، والبطيخ، و الدلاع، والبصل، والبرتقال، والليمون، وفواكه ،وخضر أخرى، و عرف هذا السوق بسوق الديوانة –الاجتماع- ،والمراد به هو سوق **باعة الخضرة**؛ والذي سيعرف فيما بعد بديوان الكرموس[3].

15-القيصرية أو القيسارية:

وكانت تلتقي بزنقة الصاغة، والمقصود بها في العهود السابقة مكان معين مخصص للتجار المسيحيين ليتاجروا فيه .أما خلال هذه الفترة؛ فكانت مشغولة من طرف المسلمين حيث كان يوجد بها نساجي ،وصانعي البرانيس ؛كما كانت تعتبر بمثابة حي للمثقفين ،وطالبي العلم ؛فقد كان يوجد فيها ناسخي الكتب، ومجلديها، والوراقين، وبائعي الأقلام والذين كانوا يجتمعون في حوانيت ،ودكاكين كان يقف أمامها الطلبة [4]؛ولاسيما أنه كانت تتواجد هاهنا مدرسة كانت تعرف بمدرسة القيصرية ملحقة بمسجد صغير يحمل ذات الاسم وهكذا لم تكن القيصرية سوقا ولكن شارعا بالفعل؛ فقد كان لديها عند كل منفذ من منافذها باب وفي وثيقة بيان

[1] Albert Devoulx, EL Djazair, p.
[2] Albert Devoulx, tachrifate, p.21
[3] Albert Devoulx, EL Djazair, p.216
[4] Marcel EMERIT , Op.cit., p.10

العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارة إليها :".....*عقد جلست الحانوت في القيسرية تحبيس الدولاتلي 1075 هـ(1664م)* "[1].

16-زنقة الصاغة:

وكانت فيما مضى جزءا من القيصرية لم تكن مشغولة إلا من طرف اليهود الممارسين لحرفة صنع المجوهرات ،والصيغة الذهبية ؛حيث كان يباع بها حلي النساء من الذهب والفضة[2].

17- سوق الحوت أو الحواتين:

و كان عبارة عن ساحة صغيرة عند باب البحر أين كان يتم بيع حصيلة الصيادين من السمك المختلف الأنواع، وبعض الأصداف، وغيرها من خيرات البحر[3].وقد ورد ذكره في وثائق المحاكم الشرعية ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في رسم تحبيس :".....حانوتين اثنتين احدهما على مقربة سوق الحوت....."[4].

18-سوق السمارين:

وقد كان هؤلاء التجار يقومون بتسمير، وتثبيت صفائح من حديد على كعب الأحذية بهدف منع تلفها بسرعة؛ حيث ذكر دان في القرن 11هـ(17 م)أنه كان يتم تزويد الأحذية في الكعب بقطعة من الحديد على شكل نصف دائرة مثبتة بواسطة المسامير[5]. وبين هايدو في القرن 10هـ(16م)أن الهدف من وراء ذلك كان الحفاظ عليها لأطول مدة ممكنة ،و كان يقوم بهذه العملية كل سكان مدينة الجزائر صغارا، وكبارا[6].

كما أن السمارين كانوا يثبتون حدوات لحوافر الأحصنة، والحمير، والبغال ، و كانوا يعالجون أيضا الحيوانات المريضة؛ أي يقدمون نوعا من الخدمات البيطرية ،فكانوا يقومون بكي الأعضاء الضعيفة [7].

---

[1] عبد الجليل التميمي ،وثيقة ...،ص.60

[2] Marcel EMERIT ,Op.cit ,p.10

[3] Albert Devoulx, EL Djazair… , p. 225

[4] الوثيقة 56 "نسخة ثلاثة رسوم متعلقة بتحبيس عقارات "،في العلبة 10- تاريخها شهر ربيع الأول1098 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] Op.cit., p. 280

[6] Topographi…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.58

[7] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant …, p.212

وقد ورد ذكر السمارين في قانون مدينة الجزائر عند الاتفاق حول قيمة الحذوات الحديدية المستعملة من طرفهم، والتي كان يصنعها الحدادين؛ حيث جاء فيه:

" ما وقع بأمر باب احمد اصلح الله حاله على شان الصفيح امتاع الزوايل{كذا } عيط{كذا} لعبد الله الشويهد وقرا احمد لمين {كذا } السمارين والحاج اعمر امين{كذا } الحدادين وتعاملنا مع قرا احمد قدام الدولاتلى العمار الخيالى {كذا }تكون من رطل حديد تنباع{كذا } دينارين واربع درهم البغالى {كذا} يكون وزنها اثني عشر أوقية تسعون درهم والسلام وكان الاتفاق مع قرا احمد الحاج عمر وعبد الله الشويهد تاب اصلح حاله والسلام عليكم عام 1106 هـ-1694 -[1]".

19-سوق الحدادين:

كان يحوي منتجات الحدادين المتنوعة ؛حيث كانت تصنع به وتباع الفؤوس والسكاكين و المناجل ،و حذوات الأحصنة، والبغال[2]، وكذا الصفائح الحديدية المستعملة من طرف السمارين في الأحذية، وقد ورد ذكرهم في قانون مدينة الجزائر عند الاتفاق حول قيمة الصفائح الحديدية المصنعة من طرفهم ،والتي كان يستخدمها السمارين في الأحذية-كما سبق الإشارة إليه - ؛ حيث جاء فيه :"*عن اذن من له الولاية السنية بدار الإمارة العلية ببلد الجزاير المحمية وهو المعظم الحاج احمد ضاي اصلح الله حاله على شان {كذا} الصفيح امتع {كذا} الصباط وامر{كذا } محمد بن الحج يوسف الشويهد وبعث للمين {كذا} الحدادين وجاء امين الصنع {كذا}وقدر قيمة خمس بران لحمص باربع وعشرين درهم خمس بران بتسعة عشر درهم بابوج باربعة عشر درهم كوتاتا{كذا}بستة درهم والسلام عليهم والرحمة والبركة عام 1106 هـ -1694 م*"[3].

وكان الحديد المستعمل من طرف الحدادين يسلم لهم من طرف البايلك ،فيصنعون أدوات مختلفة كالمسامير الموجهة للميناء لصناعة السفن ،وكان يعهد للحدادين أيضا بإصلاح الأسلحة وخاصة السيوف والرماح ،والخناجر مقابل ثمن محدد[4].و منه يمكن القول أن حرفة الحدادة وكانت

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 11من النسخة الأولى/ورقة 50 -51 من النسخة 2

[2] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant …. , p.212

[3] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ورقة 11من النسخة الأولى، ورقة 5 من النسخة 2

[4] Hoexter Miriam,Op.cit.,p. 27

ن الحرف الهامة والحساسة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني.

20-سوق الفخارين:

وقد ورد الحديث عن ممارسي هذه الحرفة في قانون مدينة الجزائر عند الحديث عن ثمن الأواني الفخارية المصنعة في مدينة الجزائر،والتي كانت رائجة الاستعمال في أوساط مجتمع مدينة الجزائر[1].

21-سوق الباديستان:

و قد بني من طرف الحاكم حسن باشا على موقع فندق صغير ، وكان يسمي في الوثائق حسب ألبير دفوا بالبديستان الجديد[2] ؛و بقى يحمل هذا الاسم إلى غاية النصف الأول من القرن 11 هـ (17 م) وهذا ما يتبين لنا من خلال أحد عقود البيع والشراء:

"الحمد لله أشهد الباشا المعظم الشهير الكامل المعظم الفاضل ذو الأيادي والمن المتوكل على الله في البر.....الباشا أبو محمد حسن ...وطيبت المسرات أوقاته و ايده بالتوفيق والسداد أشهد شهوده على نفسه أنه باع من القايد المكرم الأجل الأكرم علي قايد بونة المحمية بالله تعلى .....جميع السوق الجديد المسمى باديستان الكاين على مقربة من مدرسة المولى بوعنان داخل الجزائر المحمية ...."[3].وخلال السنوات اللاحقة هذا الوصف، أو هذه التسمية اختفت، وبقيت تسمية باديستان فقط [4].و كان سوق الباديستان يحتل قلب منطقة، أو قطاع الأسواق[5].

أما من حيث شكله المعماري؛ فقد كان يتكون من أربعة أروقة أو ممرات[6] مشكلة مربعا كبيرا محفوفا بالحوانيت، و دكاكين، وكانت هذه الأخيرة تحيط بمبني مشكل هو كذلك من دكاكين وحوانيت[7] وقد تمت الإشارة إلى حوانيت ودكاكين سوق الباديستان في وثائق المحاكم الشرعية ومن

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق ورقة من11 من النسخة الأولى/ورقة52 - 53 من النسخة 2

[2] مما يعني أنه وجد باديستان قديم ،ولكننا لم نجد إشارة إلى ذلك في المصادر أو الوثائق التي اطلعنا عليها.

[3] الوثيقة رقم47"رسم يحوى وصية وتقسيم تركة "في العلبة 23 تاريخها 1040 (1630م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] Albert Devoulx, EL Djazair .., p.226
[5] Andre Raymond, Op.cit.,p.149
[6] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p377
[7] Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.86

نماذجها ما ورد في رسم إثبات ملكية وتقسيم تركة :"...وبان له مالا من ماله وملكا صحيحا من جملة أملاكه جميع الحانوتين الكاينتين بداخل الباديستان من محروسة الجزائر احداهما غربية المكان .....و الأخرى شرقية الباب وهي الان في اعتمار المكرم محمد الرشوا الخياط وظهر احد الحانوتين المذكورتين بظهر الأخرى....."[1].

ومن خلال عقد مؤرخ في 1583م نجد أن عدد دكاكين الباديستان كان 36دكانا ووجد به أيضا مخزن كما احتوى الباديستان على مبنى آخر حول إلى مسجد قبل سنة 1025هـ (1616 -1617 م) ،و كان سقف هذه السوق جد منخفض ،فباستثناء المسجد فإنها لم تكن تتشكل إلا من طابق أرضي، وكان للسوق هذه بابين باب ينفتح على الجنوب؛ حيث سوق الرصاصية وباب ينفتح على الغرب حيث سوق البشماقجية ،و كان الباديستان بمثابة السوق المركزي للمدينة وبالدرجة الأولى مكانا لبيع الأسرى، وتصريف كل الغنائم البحرية المحققة على البحر[2] ؛و لهذا وجد به مقر خوجة الغنيمة، أو خوجة البندجك الذي كان مستقرا به مع موظفيه ؛و كان يشرف على تقسيم ،وتوزيع حصص الغنائم المحصلة في إطار الجهاد البحري ضد المسيحيين على مستحقيها[3]. ونجد في وثيقة بيان العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم إشارة لها كالآتي: *" عقد جلسة الحانوت في البديستان تحبيس الولية دوم بنت محمد "*[4].

وما سبق ذكره لا يعد ذكرا و عرضا شاملا لكل أسواق مدينة الجزائر، أو جردا و حصرا لها ولكن نموذجا لبعض أهم الأسواق، والأنشطة الاقتصادية التي كانت تخدم، وتلبي احتياجات المجتمع؛ فقد وجدت أسواق أخري عديدة كسوق الطرازين، وسوق الشبرلية صانعي الشبرلية أحذية النساء، وسوق التيماك صانعي نوع من الجزم الجلدية، وسوق الخياطين، وسوق العطارين –ولاسيما ماء الزهر المقطر سواء كان ماء زهر البرتقال، أو الورد التي كان يحضرها تجار فالنسيا و يبيعونها في مدينة الجزائر بشكل جيد فضلا على أن سكان مدينة الجزائر كانوا مولعين بالأزهار، و يقطرونها في الأنابيب المصنوعة من النحاس الأحمر و قد ورد ذكر لهذه الحرفة

[1] الوثيقة رقم49،في العلبة23،المصدر السابق

[2] Rocqueville (S de),Op.cit.,pp.3-4 voir aussi DAN (R.Père François Pierre),Op.cit.,p.377 voir aussi Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p. 84

[3] Albert Devoulx, EL Djazair…, p. 22

[4] عبد الجليل التميمي ، وثيقة...، ص61

في وثائق المحاكم الشرعية ومن النماذج على ذلك ما ورد في أحد عقود البيع والشراء :"الحمد الله باع الزوجان السيد محمد حرفة ابن السيد احمد العطار حرفة ابن السيد احمد زروق ...."[1].

وغيرها من الأسواق.

ولابد أن نشير إلى مسألة هامة في مدينة الجزائر ألا وهي ظاهرة تقسيم ،وتوزيع العمل[2] ومن ثم فقد كانت هناك تخصصات حرفية، وتجارية كثيرة ،وساد أيضا مفهوم التخصص في الحرفة والنشاط الواحد كصناعة الأحذية؛ حيث وجد من تخصص في صنع نعل البابوش في حين تخصص غيرهم في صنع الشبرلية ؛وهي نوع من أنواع أحذية النساء، وهناك من اختص أيضا في صناعة الصباط وغير ذلك .

وهذه الظاهرة أشار إليها في الربع الثاني من القرن11هـ-(17م) فراي ملشور فيما يتعلق بحرفة الخياط ،والإسكافي ،والحداد حين قال:

"*يوجد* خياطين لا يصنعون إلا السترات على طريقتهم، و آخرون لا يصنعون إلا القفاطين و الفرجيات التي هي عبارة *عن معاطف في حين يصنع غيرهم الشال التي هي عبارة عن عباءات والبعض الآخر كان يصنع الشاشيات التي هي عبارة عن قبعات –عرقيات –تلف حولها العمامة. أما الحذاءين- الإسكافيين –فالبعض منهم يصنعون أحذية تركية في حين يتخصص آخرون في صنع التيماك التي هي عبارة عن جزم صغيرة، وغيرهم يصنعون أحذية أندلسية –مثل الشبرلية*[3] *–أخيرا هناك من يصنع أحذية نعال للمسيحيين –البلغجية –كما يوجد سمارين للرجال، والأحصنة لأن الأتراك الذين يشترون حذاء في بيت الاسكافيين يذهبون فيما بعد لدار السمار ،ليضع لها صفائح من الحديد ..."*[4].

---

[1] الوثيقة رقم35 "رسم بيع وشراء ، "في العلبة124 ،تاريخها اواسط شعبان عام1089 هـ-(1678م)من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] و كان يتم المحافظة على جودة الإنتاج من خلال الحرص على أن يتكون الصانع جيدا في الحرفة قبل أن يصبح بدوره معلما ويستقل بعمله بالإضافة إلى توارث تقاليد الحرفة في العائلات الحرفية أب عن جد، ونجد في قانون مدينة الجزائر إشارة إلى ذلك :".....و المتعلم إذا دخل للحانوت حتى يتعلم فيها على العادة القديمة كيف هو القانون حتى يخرج معلم..... ....."أنظر:قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق،ورقة 65 من النسخة الثانية

[3] وقد ورد ذكر سوق الشبرلية في عقود المحاكم الشرعية أنظر الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1،المصدر السابق

[4] Sakina Missoum, Op.cit., p. 62

ولابد من الإشارة إلى أن كل هذه الأسواق، والأنشطة الحرفية[1]، والتجارية كانت خاضعة لقوانين تضبطها، وتحكمها متفق عليها ،وبمثابة عادات "عوايد" وأعراف معمول بها كانت تضمن السير الحسن لها، وصيانة حقوق الباعة ،والمشترين على حد سواء، وهذا ما يبرزه لنا مخطوط على مدينة الجزائر الذي يمكن اعتباره جملة من القوانين المتعارف عليها لتسيير الأسواق و الأنشطة الحرفية والتجارية؛ فقد كانت هذه الأخيرة بصفة عامة نوعا من التنظيم والسياسة الاقتصادية؛التي كانت تساهم السلطة في وضعها[2] كتحديد أسعار مختلف المواد، و المنتجات ولاسيما الضرورية منها كالمواد الغذائية [3].

كما أننا نسجل وفرة السلع، والبضائع المتنوعة التي كان يحتاج إليها المجتمع لضمان صيرورته، ولاسيما المواد الغذائية التي أجمعت العديد من المصادر على أنها كانت ذو أسعار معقولة جدا بل ورخيصة جدا[4]؛فقد ذكر دان في القرن 11 هـ(17 م) من بين عدة أشياء أخري فإن مدينة الجزائر بلاد حيث الدواجن، واللحوم الأخرى متواجدة بوفرة ،و بالنتيجة فهي

[1] حول الأنشطة و التنظيمات الحرفية في مدينة الجزائر وهيكلتها وأدورها ومختلف الجوانب المتصلة بها بخاصة الاقتصادية والاجتماعية أنظر عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...،

[2] ويشير ابن المفتي في تقاييده إلى الازدهار الاقتصادي الذي شاهدته مدينة الجزائر في عهد علي آغا (1665-1671م) بفضل التنظيمات والقوانين التي وضعها هذا الأخير لتنظيم الأنشطة الاقتصادية من حرف ،وتجارة ،وفلاحة وبروز صنائع وحرف جديدة لم تعرف من قبل بفضل تشجيع هذا الحاكم وانعكاس ذلك على الجانب الإجتماعي ،والعمراني:".....الحاج علي آغا أصدر قوانين وتنظيمات وقواعد بالغة الحكمة فاغتنى التجار وعاش الجميع في الرخاء وتم تسليح السفن الحربية بكل حماسة وتجهيز سفن للغزو البحري وتم تحصيل العديد من الغنائم، واستمد منها السكان ثروات كثيرة من ذهب وفضة، والعديد من الأشياء الأخرى التي استخدموها وقاموا ببناء الدور و زينوها بطريقة رائعة وتعهدوا الحدائق، والبساتين التي كانت تتوسطها قصور حقيقية وعلى مرمى البصر، ومن كل الاتجاهات كانت البساتين وجنائن الزهور الشيء الوحيد الذي يمكن رؤيته وتم بدر الحقول وكانوا يمتطون خيولا وبغالا قيمة وكانت الرفاهية تعم في كل مكان ؛فتوفرت المجوهرات ،و الأحجار الكريمة ذات البريق الأخاذ وبدأ الناس يبحثون عن ملابس متعددة الألوان من .....وعن القمصان الغامقة الألوان، والعمائم المختلفة الألوان ونشأت وتأسست مهن وحرف جديدة لإنتاج سلع ومواد رائعة مختلفة فعلا عن ما كان موجودا إلى ذلك الحين ...".

أنظر: Delphin, Op.cit, p.210

[3] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق،ورقة 14 في النسخة الثانية

[4] أشار ابن المفتي في تقاييده إلى ذلك عند وصفة لحالة مدينة الجزائر بعد تحقيق الانتصار على حملة شرلكان 1541 م :"..وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الأسعار ....."أنظر :

Delphin, Op.cit., p.195

بأسعار منخفضة حيث أن رطل من لحم الغنم لا يساوي بها عادة إلا خمسة إسبرة ،والتي تعادل حوالي سول واحد من عملتنا ،ورطل من اللحم البقري ثمانية دينار ،والدجاجة باثنين سول والحجلة، والتي كانت تتواجد بأعداد كبيرة بستة بانك –عملة نقدية– على الأكثر والأرنب البري بثلاثة ،أو أربع سول أما الخبز ؛فكان يتواجد فيها بثمن جد معقول ،ورخيص[1].

و يشير دان أيضا إلى أنه لا يجب التعجب من هذه الوفرة الكبيرة من الدجاج، والحجل لكونها تبيض ،و تحضن بيضها سبعة، أو ثمانية مرات في السنة. كما أنها تربي، وترعى أفراخها بسهولة بسبب ندرة البرد.[2] في حين ذهب دافتي وهو من أهل القرن 11هـ(17م) إلى أن قناعة العثمانيين في الأكل ،واعتدالهم جعلت المسيحيين يجدون في مدينة الجزائر سوقا رائجة ورخيصة بالنظر إلى أن الشاة لا تساوي إلا 30سول –عملة نقدية–وزوج من الحجل، أو السمان 4 سول ،ومائة حبة تين سول واحد،و بطيختان أو 12 رمانة سول واحد ،و 12 حبة ليمون 2سول ،ورطل خبز نصف سول وهكذا بالنسبة للبقية[3].

كما ذكر شو أن كل المواد الغذائية الضرورية لاحتياجات الحياة متوفرة بمدينة الجزائر و أنها كانت بأثمان جد منخفضة، فمثلا كان يمكن الحصول بأقل من سنتيم على خبز كبير و حزمة من لفت، وسلة صغيرة من الفاكهة ،وقد سجل خاصة الثمن المنخفض للقمح والذي اعتبره أمرا طيبا ،ومفيدا لسكان البلاد الذين ،وككل المشارقة يأكلون الكثير من الخبز؛ فقد ذكر أنه من بين أربعة أشخاص في مدينة الجزائر ثلاثة كانوا يأكلون ، أو يتغذون بالخبز فقط ،أو على الأقل بالعجائن المصنوعة من دقيق ،وطحين الشعير،أو القمح[4].

وقد ذكر روكفيل في القرن 11 هـ(17 م) أن المواد الغذائية بمدينة الجزائر كانت ذو أسعار جد معقولة، و منخفضة؛ فقد أشار إلى ذلك عند حديثه عن أجرته من بيع الماء "...ولكن في النهاية كنت راضيا، وكانت عندي دور معينة أزودها بالماء لدفع ما ألزمني به سيدي، ولتغذية نفسي؛ حيث أن الأغذية توجد فيها –أي في مدينة الجزائر – بأسعار معقولة، و بوفرة ،فبأربعة

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., pp. 82-83
[2] Ibid., p.83
[3] Op.cit.,p.174
[4] Op.cit pp120-121 voir aussi Farid Khiari,vivre et mourir en Alger (l'Algérie ottomane aux XVI^{e} -XVII^{e} siècles un destin confisqué),L'Harmattan,Paris,Frances,2002,p.177

عشر سول –عملة نقدية– تتحصل على خمر، و خبز، ولحم أكثر مما يمكن لرجلين أكله"[1]. وذكر أيضا أنه كان يوجد بها كميات معتبرة من الفواكه ذو نواة كالخوخ والمشمش، وغيرهما وبأسعار معقولة[2].

كما أننا نسجل أنه خلال تلك الفترة كان لكل ما كان يباع في الأسواق من سلع وبضائع ومنتجات حرفية مختلفة، ومتنوعة سعرها المعين، والمحدد ،وهذا ما نلاحظه في قانون مدينة الجزائر الذي يتضمن تحديد لأسعار البضائع المتنوعة، والرسوم الجمركية المستحقة على الصادرات، وكذا أسعار المنتجات الحرفية كالأواني الفخارية ،وغيرها ولاسيما ما يتعلق بالمواد الغذائية من خبز وخضر، وفواكه؛ ففيما يتعلق بأسعار المواد الغذائية في مدينة الجزائر ورد فيه ما نصه :"تقيد السمن والعسل والتمر والزبيب والكرموس{كذا} وجميع الفاكية {كذا} والطعام تعين الرطل[3] باش ينباع{كذا}في مدينة الجزائر ادمها{كذا} الله للاسلام{كذا} جاه النبي عليه السلام عام 1041 هـ/1632م لكل مسأل{كذا} وما تستحق كل حاج {كذا} "[4].

و قد ذكرت أنواع مختلفة من الخضر ،والفاكهة ،والأغذية ؛حيث ضبط ثمن العسل والسمن، و الخبز ، والزبيب ،والكرموس ،والتمر، والقسطل اليابس والقسطل الأخضر البطروش والبلوط الأخضر، والبندق ،واللحم، و الشحم بلا مذوب ،والشحم مذوب و الملح، والزيتون والخل، والزيت، والدقيق، والجبن، والمقرون،و الكسكس،والحمص،و الدلاع ،و البطيخ و اللفت، و السردين [5]وغيرها .

ومن خلال ما سبق نلاحظ مدي تنوع المواد الغذائية التي كانت تشتمل عليها أسواق مدينة الجزائر، وكذا الحرص على تحديد أسعار، وأثمان هذه المواد بدقة. كما نلاحظ مسألة هامة

---

[1] Op.cit.,pp.38 -39

[2] Ibid.,p.39

[3] حول الأوزان والمكاييل العملة المستعملة في مدينة الجزائر، وأنواعها، وقيمتها، وتطورها خلال العهد العثماني أنظر الدارسات المفصلة الآتية:

Eit Tocchi, Notice sur les poids et mesures et sur les monnaies D'Alger, imprimerie militaire de fort cadet, Marseille 1830 Voir aussi : Merouche Menouar, Recherche sure l'Algérie a l'époque ottoman, monnaies prix et revenus 1520-1830, Bouchène, paris ,2002

[4] قانون مدينة الجزائر، المصدر سابق ورقة 14 في النسخة الثانية

[3] المصدر نفسه، الأوراق14 -15 -16 -17 -18 في النسخة الثانية

أخري ألا وهي مراعاة الظروف، والأحوال الجوية، والمناخية، وتأثيرها على المنتجات الغذائية وهذا ما نلتمسه في الحليب الذي كان يختلف سعره باختلاف الفصول؛ففي فصل الخريف كان بـ 6 أواق ،وفي الربيع بـ 8 بقالي[1].

كما نتلمس من خلال القوانين التي يتضمنها قانون أسواق مدينة الجزائر ،والتي كانت تصاغ تحت إشراف سلطات البلاد حرص هذه الأخيرة على ضمان جودة، وسلامة السلع التي كانت تباع في أسواق المدينة ،ولاسيما المواد الغذائية لما لها من أثر على السكان وصحتهم ومن أدلة ذلك ما ورد في القانون حول اقتناء الفكاي للفاكهة ؛حيث نص القانون :

"الحمد لله صبنا مقيدا على الفاكية "المؤرخ في 1086هـ (1675م) ضرورة حرص الفكاي على اقتناء أفضل الفاكهة من مزودي المدينة بالفاكهة وفي حالة عدم التزامه بذلك يتم معاقبته بفرض غرامة عليه"[2].

وقد كان المحتسب، وأعوانه يتفقدون هذه الأسعار ويعاقبون كل من لا يراعيها، ولا يلتزم بها فضلا عن المراقبة المستمرة ،والمنتظمة بهدف منع وقوع تدليس في البضائع ككتمان عيب في البضاعة، وإخفائه عن المشتري، وكشف محاولات الغش إن وجدت كخلط اللبن مع الماء أو التطفيف في الميزان، والمكيال ،وكل هذا حفاظا على حقوق المشتري؛ فالتجار الذين يتأكد استعمالهم لموازين ،ومكاييل خاطئة ،ومغشوشة –تطفيف المكاييل – أو الذين يفرضون على سلعهم أسعار تفوق السعر المتفق عليه ،والمحدد لها يتعرضون لضرب شديد بالعصي بل ويعاقبون حتى بالموت في حالة إذ ما أعادوا الكرة وهذا ما يجعل من أعمال الغش، والخداع والاحتيال نادرة ،واللصوص قليلون في مدن الجزائر ،وخاصة في العاصمة ؛أي في مدينة الجزائر[3].

[1] المصدر نفسه ،ورقة 18 في النسخة الثانية

[2] المصدر نفسه، ورقة 22 في النسخة الثانية

[3] Laugier de Tassy,Op.cit.,T.2, pp.111- 112

الفصل الخامس المرافق السكنية داخل المدينة

1-وصف المرافق السكنية من الخارج

2-وصف المرافق السكنية من الداخل

3 –أثاث المرافق السكنية

الفصل الخامس المرافق السكنية داخل المدينة

لا يخفى علينا الدور الكبير الذي أداه، ويؤديه المسكن في الحياة الاجتماعية؛ فهو بمثابة الخلية التي تضم في ربوعها الحياة العائلية، بل وهو شرط من شروط الحياة الكريمة.كما وأن المسكن يمكن أن يمدنا بجملة من المعلومات الهامة ،والمفيدة حول طبيعة المجتمع واحتياجاته، ونمط معيشته وذوقه الفني من خلال بنائه أولا، ومن خلال تزيينه وتأثيثه ثانيا؛فالكثير من المميزات المعمارية في هذه المساكن تكشف لنا عن بعض الصفات ،والأخلاق التي كانت تميز سكانها ؛بل و تعطي صورة تقريبية للمستوى الحضاري الذي بلغوه ، ومدى عنايتهم بجوانب حيوية في الحياة اليومية كتوفير الماء،و إيجاد فضاءات للتواصل مع الطبيعة،وإجتماع أفراد الأسرة.

ولعل المساكن في مدينة الجزائر في الفترة المدروسة أدل دليل على ذلك، إذ تعطينا صورة واضحة المعالم لما كانت عليه حياة سكانها من جد، و تنظيم،وحرص وجمال ،وبساطة في آن واحد فضلا عن الجو الأسري الدافئ الذي كان يخيم عليها، بل الاستغلال الأمثل لكل ركن من أركان البيت في صالح حياة هادئة هنيئة؛ ولهذا فإن تناول الميزات العامة لهذه المساكن الحضرية التقليدية، والتي أدت دورا فعالا في تنشيط الحياة الاجتماعية في ظل الحكم العثماني يسمح لنا باستخلاص طبيعتها و أبرز مميزاتها .

1-وصف المساكن من الخارج :

كانت الهندسة المعمارية لدور، و منازل مدينة الجزائر داخل الأسوار متشابهة ؛إذ كان يتم تعميرها على شكل واحد، ؛حيث كانت تبنى وفق تخطيط موحد ثابت وتختلف في الحجم والاتساع بالإضافة إلى الاختلاف بعض الشيء في الزينة ،والزخرفة الداخلية فكل الدور كانت تبنى وفق النمط العربي الإسلامي الذي يتلاءم مع الحياة الاجتماعية لمجتمع يدين بالإسلام ويحرص على تطبيقه في أدق تفاصيل حياته، ومن ثم فإن تلك الديار كانت متشابهة؛ حيث أن الواحدة منها تعطي صورة صادقة، وعينة عن غيرها من حيث الشكل[1].

فكانت كل هذه المساكن مبنية من الآجر، والتراب ومطلية بالجير الأبيض أو الجبس[2] وهذا ما ذهب إليه الفارس درافيو وهو من أهل القرن 11 هـ (17 م) حيث ذكر أن دور مدينة

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.224

[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.88

الجزائر ومساكنها كانت كلها مبنية من الآجر، والصلصال مع ملاط من التربة البسيطة.[1] ولوجي دوتاسي (LAUGIER de Tassy) ذكر بدوره أن دور مدينة الجزائر كانت مبنية من الآجر والحجارة[2].

ولابد من الإشارة إلى أن المواد المستعملة في البناء كانت متوفرة حول مدينة الجزائر كالحجارة المصقولة التي كانت تشكل الأساس؛ أي قاعدة البناء وكان يؤتى بها من محاجر باب الواد في حين كانت الجدران من الآجر المجفف في أشعة الشمس، أو المطبوخ، والمصنع في ضواحي مدينة الجزائر أما الملاط المستعمل في تثبيت الآجر، والبناء ؛فكان مصنوعا من مزيج من التربة الحمراء والرمل والجير السميك، وحتى الأخشاب المستخدمة في بناء السقف، و دعامات الجدران[3] ،وغير ذلك كانت تستقدم من أقرب الغابات إلى مدينة الجزائر،و الواقعة في مجال دار السلطان لاسيما من غابات ضواحي شرشال ،والغابات الواقعة عند الشمال الغربي من زكارة،و مليانة[4].

وما سبق ذكره إن دل على شيء إنما يدل على استغلال أمثل للموارد الطبيعية من طرف سكان مدينة الجزائر، ومن ثم فهو دليل على التآلف ،والتكيف مع المحيط.

و كان يعاد تبييض الدور بالجير كل خمسة عشر يوما[5] للحفاظ على بياضها، ونظافتها وقد تحدث أغلب من كتبوا عن مدينة الجزائر خلال هذه الفترة عن بياض دورها الناصع ،وعناية السكان بذلك ؛فقد ذكر بريفي (BREVES) في مطلع القرن 11هـ (17 م) أن الدور كانت مطلية بالجير من الداخل، والخارج بكثرة إلى درجة أن المدينة كانت ترى من بعيد جدا كلطخة أو نقطة بيضاء في الجبل[6].

وذكر كورنيلس بجناكر بدوره في القرن 11هـ (17 م) أن دور مدينة الجزائر كانت مطلية بطبقة سميكة من الجير المتوفر في البلاد –أي أنه على غرار بقية المواد المستعملة المحلية في بناء الدور بمدينة الجزائر– كل الدور والمباني فيها بيضاء كالطباشير من الخارج وبما أن الأمطار قليلة فإن الجدران كانت تبقى شديدة البياض لدرجة أن بياضها كان يؤثر على إبصار المرء عندما يتجول

[1] ARVIEUX (Chevalier d') Op.cit., T.5, p.226
[2] Op.cit. ,T.1, p.260 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.83
[3] Leseps(R), Alger Esquisse…, p.70
[4] Mahfoud Kaddach ,la casbah ,mémoire…,p.1
[5] Rocqueville (Sieur de), Op.cit., p.5
[6] BREVES,Op.cit., p.358

في الشارع أو على أسطح المنازل[1].

أما غرماي و هو من أهل القرن 11 هـ(17م) فذكر أنه كانت تنحصر داخل أسوار هذه المدينة الضخمة 13500 دار كلها ساطعة بالبياض؛فعند حلول أي احتفال أو مناسبة دينية كشهر رمضان أو الأعياد ، أو أيام فرح، ومتعة كالاحتفالات بالأعراس ،أوختان الأطفال كان يعاد تبيضها بالجير بصورة منتظمة ،وهو منظر ممتع تنفتح عليه العيون[2].

وهذا ما ذهب إليه بيار دافتي دائما في القرن 11 هـ(17 م) حين ذكر أن سكان مدينة الجزائر يبيضون جدران دورهم الخارجية بالجير ،وعندما تكون لديهم بعض الاحتفالات الدينية أو المناسبات السعيدة كزواج، وغيره كانوا يعيدون تبييض دورهم ،وهو شيء كان يفرح ،ويبهج كثيرا الناظرين إليها[3]. وقد أبرز الفارس درافيو من أهل القرن 11هـ (17 م) أن تبيضهم للدور بالجير في الخارج، و الداخل كان يعني نظافة ،ومنظرا بديعا للدور يثير الإعجاب[4].

ومما سبق يمكننا القول أن مدينة الجزائر استحقت أن تلقب بالبيضاء هذا البياض الذي سحر، وخلب لب كل من رآها ويعبر أيضا عن تفان كبير في المحافظة على نظافة الدور ومن ثم جمالها .وكانت هذه الأخيرة خالية من أي زخرفة في الخارج؛ فقد اهتم سكان مدينة الجزائر بتجميل منازلهم من الداخل ،وهذا ما أثار تعجب ،وانبهار كل من كتبوا عنها إذ أن مظهرها الخارجي لم يكن يعكس حقيقة المسكن من الداخل ،وهذا ما قاله ووصفه دان خلال القرن 11 هـ(17م) بدقة حين قال:"بالرغم أنهن –أي الدور– لا تملكن أي جمال من الخارج أو أي نظام معماري فإنهن ذات جمال من الداخل"[5].

و هذا دليل على أن سكان مدينة الجزائر خلال الفترة المدروسة كانوا يهتمون براحتهم وسعادتهم داخل بيوتهم، بدل التباهي، والتفاخر بالمظاهر الخارجية، وهي ميزة تتماشى وتعاليم الإسلام وهذا على عكس ما يلاحظ حاليا ؛حيث يحرص الكثير من الناس اليوم على تزين الوجهات الخارجية لدورهم بقصد التفاخر ،والتباهي ،وقد يكون ذلك على حساب الجو الداخلي للدار الذي قد يتم اهماله.

[1] Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.83
[2] Op.cit., p.132
[3] Op.cit., p.174
[4] Op.cit.,T.5, p.226
[5] Op.cit., p.88

و كل بيت من هذه البيوت كان مزودا بأحواض مبينة في سمك الجدران الخارجية ومغطاة بألواح خشبية كانت شبيهة بحفر مخصصة لوضع الأوساخ والقاذورات المنزلية[1] ؛التي كان يتوجب على السكان وضعها في هذه الأماكن؛ لأنه في كل صباح كان يمر أشخاص رفقة حمير محملة بالسلال؛ فيقومون بتفريغ تلك الأحواض، ونقل القاذورات إلى خارج المدينة[2].

و هذا ما يجرنا إلى القول أن التنظيف في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كان منظما فيها بطريقة تكاد تكون مثالية ؛ فقد كان يوجد بها قائد الزبل، والذي كان مكلفا من طرف إدارة المدينة بالسهر على نظافتها حيث كان يكلف عددا من العمال يطلق عليهم القولجية بتنظيفها بصورة دائمة ليلا، ونهارا [3]،وكان أكثر من يمتهن مهنة التنظيف من البساكرة[4]،و من شدة الحرص على النظافة كان السكان المهملون لقواعد النظافة هذه مضطرين لدفع غرامة، أو تلقي عدد من الضربات بالعصا[5] لردعهم.

وتنظيف الشوارع المنتظم لم يكن ضرورة لضمان نظافتها فحسب بل أمرا ضروريا لا غنى عنه لمنع تراكم الأوساخ، والقاذورات التي قد تتسبب في أمراض خطيرة للسكان ،وتخصيص أماكن في خارج البيوت لتجميع الأوساخ المنزلية دليل على وعي سكان مدينة الجزائر ومراعاتهم لكل الأمور التي تمس بحياتهم بشكل مباشر، أو غير مباشر.

ونعود للحديث عن الواجهة الخارجية للبيوت التقليدية في مدينة الجزائر، فإلى جانب تلك الأحواض المميزة ،فإن ما كان يميز هذه المساكن هو غياب النوافذ؛ إذ كانت جدرانها عمياء صماء إلا أنه كان يمكن للمرء أن يلاحظ إذا صعد إلى طابق المنزل وجود نوافذ ،ولكن جد ضيقة، وصغيرة تم تصميمها بطريقة محكمة لإرضاء الفضول المستتر أحيانا على شكل منحرف تماما لتمكين ساكن الدار من رؤية النهج بأكمله، وقسما من السماء وجزءا من البحر[6] وهذا ما أشار إليه هايدو في القرن 10 هـ(16 م)بقوله :

"المور- ويقصد بهذا المصطلح المسلمين من أهل البلاد- لا يريدون أن ترى نسائهم وبناتهم

---

[1] Albert Devoulx, tachrifate…, p. 21

[2] Ibid.,p. 21

[3] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.143

[5] Andre Raymond, Op.cit.,p.150

[6] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،جوان 1870 ص.42

ولهذا كانوا لا يفتحون نوافذ مطلة على الشارع"[1].

وهذا ما ذهب إليه الفارس درافيو في القرن 11 هـ(17 م) حين قال عن دور مدينة الجزائر " ليس لديها –الدور–من ناحية الشارع فتحات إلا فتحة الباب، ولا تملك نوافذ ،وإن وجدت فلم تكن تعدو عن كونها فتحات قليلة جد ضيقة ،و مقفلة، و كان يمكن للنساء الفضوليات كما في أي مكان آخر أن ترين من خلالها ما يحدث في الشارع دون أن تتم رؤيتهن"[2].

في حين ذكر كورنليس بجناكر في القرن 11هـ (17 م):"كل دور مدينة الجزائر لا تمتلك فتحات في واجهتها الخارجية ؛فمن بين الألف دار لا توجد واحدة بنافذة ،ولكن في بعض الأحيان نلمح فتحة مربعة ضيقة جدا لدرجة أنه بالكاد يمكن لرجل أن يمرر رأسه عبرها "[3].

وقد كانت هذه النوافذ مسيجة بمشبك من حديد، أو نحاس[4] ،وهكذا لم تكن تمكن من في الخارج من الاطلاع عل داخل البيت، وهذا ما يعكس حرص سكان مدينة الجزائر على صون الحرمات، فنادرا ما كانت هذه النوافذ تفتح على الطريق.

وهذا الحرص في الستر قد ضمنه الفقه، والقضاء المالكي المستمد من القرآن والسنة الذي نظم ووضع قواعد خاصة بهذا الموضوع، وهذا ما نجده في مخطوط القضاء في المباني والدير والذي يحوي مجموعة من النوازل، والأحكام من الفقه المالكي حول هذا الموضوع ،وغيره مما يصب في آداب الجيرة، وتطبيق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم" لا ضرر ولا ضرار" حيث جاء فيه تحت عنوان" القضاء في فتح الأبواب والكوى–النوافذ– في الدور والرجل يعلى بنيانه فيمنع جاره الريح والشمس" أنه من اللحظة التي تضر فيه فتحة يقيمها المرء في داره سواء كانت بابا، أو نافذة بجاره؛ فإنه يجب أن تختفي إذ سمحت له بالاطلاع على ما يجري في دار جاره ؛حيث يجبر حينها على غلقها في حين يسمح بالإبقاء على منافذ الدور التي لا تسمح بذلك ،ومن هذه النوازل نذكر مايلي:

".....قال سحنون قلت لابن القاسم أرأيت لو أن رجلا بني... إلى جنب{كذا} داري رفعها

---

[1] Haedo (F. D) « Topographie… », In: **R.A.**, T.14 ,1871,p.432

[2] Op.cit.,T.5, p.226

[3] Op.cit, p.83

[4] Golvin Lucien, Palais et Demeures d'Alger à la période ottoman, publie avec le concoure du centre national des lettres, Edisud, Aix -en -provence, France,1988, p.79

وفتح فيها أبوابا وكوى يشرف منها على عيالي وعلى داري أيجوز لي أن أمنعه من ذلك في قول مالك قال نعم إنه يمنعه من ذلك كله كذلك قال مالك.....قال مالك أنه ما كان من ذلك ضررا منع وما كان من ذلك لا يتناول النظر إليه لم يمنع من ذلك وأما إذ أحدث كوى أو أبوابا يشرف منها فهذا الذي يمنع ويقال له سدها....."[1].

ومن مما سبق ذكره نستخلص حرص سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني على صون حرمة، وحمى وستر حياة الأسر في ظل دورهم، وكذا الحفاظ على علاقة جيرة طيبة.

وهذا عن أهم ميزات المساكن في مدينة الجزائر من الناحية الخارجية في القرنين 10 هـ (16 م)و11هـ (17 م).

2-وصف المساكن من الداخل:

أما من الداخل ؛فقد كانت مساكن مدينة الجزائر مختلفة عن الخارج، إذ كانت مزينة ومزخرفة (وقد يعود ذلك إلى أن المنزل كان بمثابة المكان الذي تقضي فيه المرأة معظم وقتها ومن ثم كان لابد من تجميله بمختلف النقوش ،ولاسيما الفسيفساء من الزخارف، وغيرها من بلاطات الزليج[2] ذو الألوان الزاهية والمبهجة وذو دلالات لإضفاء جو بهيج، ومفرح في أعين من كان أكبر قسم من حياتهن يجري في الدار؛ فقد كان هذا الجو يساعد المرأة على أداء مختلف أشغالها المنزلية[3].

وقد ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16 م) هذه الزينة التي كانت تتحلى بها الدور حين ذكر أن سقيفات الدور ،وساحتها، و أروقتها مزينة على جدرانها بمربعات من الزليج ذو ألوان مختلفة

[1] مخطوط القضاء بالمرفق في المباني والدير ونفى الضرر" مجموعة من النوازل المالكية المتعلقة بالملكية العقارية"القسم الأول من المخطوط من الورقة 1 إلى الورقة 49 ، ويحمل ترقيم 1292، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر الورقة 12

[2] ترجع أهمية استخدام بلاطات الزليج في تكسية حيطان المباني، وبخاصة السكنية منها إلى سهولة تنظيفها دون أن تتغلغل فيها المياه، ومن ثم صيانتها والمحافظة عليها بكل يسر ،وهو الأمر الذي لا يتحقق باستعمال الألواح الخشبية حيث يصعب الحفاظ عليها وصيانتها لمدة طويلة لتعرضها للتآكل بفعل تعرضها للمياه وكذا لتوغل الحشرات الضارة فيها .أنظر :عبد العزيز محمود لعرج ،الزليج ..، المرجع السابق، ص.18 وأنظر:

Philbert Marcel, notions sur les carreaux de faience peintes en Algérie, comité du vieil Alger,Alger 1970

[3] André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville, Editions sinbad , Paris, 1989 p.128

ووصف هذه الأخيرة بالتحف الفنية التي كان يهتم ،ويعني بالمحافظة عليها غاية العناية ؛فقد كانت تنظف، وتغسل كل أسبوع من طرف أهل الدار[1].

وهو نفس الأمر الذي ذكره الأب دان في القرن 11 هـ(17م) حين قال" *...تبلط الدور عادة بمربعات صغيرة من التراب من ألوان مختلفة مشكلة فسيفساء...*"[2]، وكانت كل هذه الدور تشتمل على سقيفة، وصحن مكشوف ،وأروقة ، وغرف، وبيوت للمعيشة وسطح وأحيانا منزه.

و كان لكل قسم من هذه الأقسام دور يؤديه في إطار الحياة اليومية للسكان و في إحدى الوثائق الموجودة في الرصيد العثماني، وبالضبط في سلسلة المحاكم الشرعية نجد إشارة إلى العناصر الأساسية المشكلة لإحدى دور تلك الفترة ؛حيث تصدقت زوجة على زوجها بأجزاء من دار تملكها في حين أوقفت بقيتها على زوجها ،وعقبه ،وعقب عقبه والمرجع هو فقراء الحرمين الشريفين المهم هنا ما جاء حول عناصر الدار: « بعد أن تصدقت الزهرا بنت عبد الله عتيقة مصطفي بن قارا علي على بعلها مامي بلك باشي بن عبد الله بجميع الغرفتين الكائن أسفل الدار المذكورة ذلك كله مبينا في الملحق هذا بجميع حقوق ذلك كله وحدوده وحرمه ومنافعه ومرافقه وما في الصدقة المذكورة من مدخل ومخرج ومرحاض و ماء جب..... ....وأبقت لنفسها من الدار المذكورة السفلي منها وذلك بيتان ومطبخه ودهليز وعلو بسقيفة الدار المحدودة....."[3].

و كان الدخول إلى كل هذه المساكن يتم عن طريق مدخل جد بسيط به باب متين مقوس في الجزء الأعلى، ومستطيل في الجزء الأسفل، وفي وسط الباب كانت هناك حلقة حديدية دائرية لدق الباب ،وطرقه من طرف المشاة ،وأخري في أعلى الباب كانت تستعمل من طرف الفرسان، و الراكبين على الجياد ،أو غيرها من المطايا[4].

كما كانت توجد في أعلى الباب فتحة مسيجة تساعد على إدخال الضوء والهواء، و على الرؤية نحو الخارج، وكان يعلو هذا الباب أحيانا مقدمة على شكل مظلة ؛أي سقف صغير بارز

[1] Haedo (F. D) « Topographie… », In :**R.A.**, T.14, 1871, p.432
[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.88
[3] الوثيقة رقم70 في العلبة 76 -1، المصدر السابق
[4] Mahfoud Kaddache, la casbah, mémoire…, p.52

إلى الأمام ،وعادة ماكان من القرميد الأخضر[1].

وكانت هذه الأبواب تنفح في إطار منقوش مزخرف بدقة [2]، وعادة ما كانت الأبواب نفسها منقوشة، ومدهونة بذوق سليم جدا[3]. وأما مصرع الباب ،فكان مرصعا بالمسامير لتزيده متانة كما أن داخل الباب كان مزودا بأقفال، ومغاليق، و مصدم لتوقيف حركة الباب السريعة[4]. وهذا كان يشكل نوعا من التقنية في فن البناء ،والمعمار بالنسبة لتلك الفترة .

والملاحظ أنه تم تصميم مساكن مدينة جزائر بطريقة لا تسمح بأن يكون باب احدى هذه الدور في قبالة باب دار أخرى ، وهذا تعبيرا عن مدى الحرص في المحافظة على على حرمة كل دار حرمة رعاها الفقه الإسلامي –كما ذكر أنفا –حيث جاء في مخطوط القضاء في المباني والدير الذي يحوي مجموعة من النوازل، والأحكام حول هذا الموضوع تحت عنوان "**القضاء في فتح الأبواب والحوانيت في الأزقة النافذة وغير النافذة** "؛ والتي تنص على أن لا تفتح باب دارك قبالة باب جارك في حالة ما إذ ترتب عن القيام بذلك الإضرار بمصالح ذلك الجار ،ونجد فيها إشارة إلى المحافظة على الستر من خلال منع ذلك ومن هذه النوازل نجد:

" **قال سحنون** قلت لابن القاسم أرأيت لو أن زقاقا نافذا أو غير نافذ فيه دور لقوم شتى فأراد أحدهم أن يجعل لداره بابين يفتح ذلك في الزقاق أو أراد أن يحول باب داره إلى موضع من السكة فمنعه أهل السكة أيكون ذلك لهم قال ليس له أن يحدث بابا عند باب جاره أو قرب ذلك إذا كانت السكة غير نافذة لأن جاره يقول بعد كان هذا الموضع من السكة الذي هو حيال بابي الذي تريد أن تفتح فيه بابا لدارك لي فيه مرفق افتح فيه بابي وأنا في سترة واقرب لحمولتي إلى داري فلا أوذي أحد فلا أتركك تفتح حيال بابي أو قرب ذلك فتتخذ علي فيه المجالس و ما أشبهه هذا فإذ كان هذا هكذا ضررا فلا يجوز أن يحدث على جاره ما يضره....."[5] .

---

[1] Leseps(R) , Alger Esquisse ..., p.150
[2] Henri Jobin, Op.cit., p. 5
[3] LESSORE (E),WYLD (W) Op.cit ,Planche XXVI
[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.222
[5] مخطوط القضاء بالمرفق..."، الورقة 13

و كان باب المسكن ينفتح على حجرة مربعة صغيرة ، أو شبه مربعة تعرف باسم السقيفة و شكلت هذه الأخيرة غرفة استقبال فخمة في القصور، والمنازل الكبيرة[1] ؛وقد تحدث الرحالة والأسري ،وكل من وصف دور مدينة الجزائر عن هذا العنصر المعماري الهام فيها، و على سبيل المثال ذكرها هايدو في القرن 10 هـ(16 م)بقوله:"قلة هي الدور التي لا تملك قاعة انتظار سقيفة "[2].

و أدت السقيفة دورا هاما في الحياة الاجتماعية ،فتواجدها في دور مدينة الجزائر يعكس صفات حميمة في مجتمع مدينة الجزائر منبعها الشريعة الإسلامية؛ حيث شكلت السقيفة الحد الفاصل بين خصوصيات الأسرة ،والخارج ،وتطبيقا للتقاليد الإسلامية، وصفات أخلاقية تتمثل في الحفاظ على حرمات البيوت؛ فقد كانت السقيفة بمثابة قاعة انتظار للضيوف الذين كانوا يعلنون عن تواجدهم قبل الدخول إلى البيت[3] ؛حيث كان يتم الاعلان عن الضيف قبل دخوله إلى المنزل حتى تختفي النساء ،و يتوارين في غرفهن؛ إذ لم يكن يمكن لأحد من الزوار من الرجال خاصة أن يدخل المنزل قبل أن يعلن أب الأسرة أو أحد سكانها من الرجال عن ذلك بقوله بصوت عال: استعدوا اجعلوا الطريق فارغة[4].

و ذكر لوجي دو تاسي ما يدعم ذلك بقوله: أنه عند ذهاب رجال مدينة الجزائر في زيارة كانوا يبدؤون بالإعلان عن أنفسهم بأن يقولوا اسمهم بصوت عالي، ويدخلون فيما بعد ساحة أو قاعة منخفضة – يقصد بها السقيفة- فإذ كان سيد الدار مستعدا لاستقبالهم يظهر أولا حاملا التبغ، والغلايين، والقهوة، وأشار إلى أن هذه العادة ممارسة بدقة متناهية لدرجة أنه إذ ما أكتشف أحد في وسط الدار،أو في أي مكان آخر من الدار،فإنه سيقبض عليه باعتباره لصا ويقتل[5].

وكان صاحب الدار نفسه يعلن عن وصوله في السقيفة قبل ولوجه إلى داخل الدار وكان يولى ذلك عناية كبيرة ؛فيقوم بإصدار صوت كالسعال ليسمعه من في الدار ،ثم ينتظر برهة قبل الدخول وإن هذه الممارسة في حد ذاتها تعبير عن صفة كانت سائدة في المجتمع ألا وهي احترام صاحب الدار لزوجته ،ونساء داره بصفة عامة في حياتهن الاجتماعية الخاصة واحترامه لحرمات الغير ؛حيث أن

[1] Lucien. Golvin , Op.cit., p.79
[2] « Topographie… », In: **R.A.**, T.15, 1871,p.96
[3] Lucien. Golvin, Op.cit., p.79
[4] Haedo (F.D) « Topographie… », In: **R.A.**, T.15, 1871,p.96
[5] Op.cit., T.1, pp.180 -181

هذا التصرف كان يسمح لزائرات زوجته إن وجدن بالدار بتغطية أنفسهن وربما الانسحاب أو المغادرة عن طريق السطح أو دخول غرف الدار إن كن في الصحن،كما يسمح هذا الوقت للزوجة بتعديل هندامها إذ كانت منشغلة بالأعمال المنزلية لاستقبال زوجها في أحسن هيئة و من ثم كانت هذه الممارسة تجنب الجميع أي إحراج ،أو انزعاج قد يحصل بحدوث لقاء غير ملائم[1].

وفي السقيفة كان صاحب البيت يستقبل ضيوفه، وجيرانه، أو أصدقاءه لإتمام بعض الأحاديث دون الحاجة إلى الدخول إلى بقية أجزاء المسكن للحفاظ على خصوصيات الحياة الأسرية،وحرمتها، إذ لم يكن يدخل الدار حتى الأقرباء، و بعض الأصدقاء المقربين جدا إلا في المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج، والختان..الخ.

وكانت السقيفة من حيث تركيبتها العمرانية تتشكل من مصطبتين قليلتي الارتفاع بمثابة مقعدين مجوفين في الجدار السميك للسقيفة من كل جانب منها ،وكان المقعد المتواجد في السقيفة يعرف بالدوكانة، وغالبا ما كان هذا المقعد مكسوا، ومزينا بمربعات من الزليج والرخام وكان متوجا بقوس جميل محمول على عامودين يوجدان على جانبي المقعد ،و كان صاحب البيت يجلس متربعا على إحدى هذه المصاطب التي كانت تغطى عادة بزربية، أو غيرها فيستقبل ضيوفه، ويقضي بعد أشغاله ومصالحه[2].

و كان للسقيفة إلى جانب دورها كقاعة استقبال للضيوف والزوار دورا هاما في تلطيف الجو، والمناخ في الدار، وذلك خلال أيام الحر الشديد حينما تكون الشمس في كبد السماء وتكون أشعتها عمودية على وسط الدار ،ولا وجود لهواء بارد منعش؛فهي كانت تؤدى دور المعدل الحراري لبقية أجزاء الدار كونها كانت المكان الأكثر برودة في البيت خلال فصل الصيف[3] ؛فترك باب المدخل المؤدي للسقيفة مفتوحا كان يساهم في إيجاد هبة نسيم ،أو تيار هواء منعش للدار ،حيث كان يمكن لصاحب الدار أن يقوم بقيلولة أو تدخين غليون متمتعا بهذا الهواء المنعش ،وهو جالس على أحد مقاعد السقيفة[4].

و كان من الممكن ترك باب المدخل مفتوحا لأنه كان معلوما لدي الجميع أن أطفال الدار وحدهم كان يمكنهم الدخول بحرية إلى السقيفة، وكذا أطفال الجيران حتى سن معينة والخدم

[1] André Ravérau, Op.cit.,p.103
[2] Mouloud Gaïd, Op.cit., p.197
[3] Henri jobin, Op.cit., p.5
[4] André Ravérau, Op.cit., p.104

إن وجدوا، وحامل الماء ،وصاحب الدار طبعا.

وقد كانت جدران هذه السقيفة عادة مبلطة، أو مغطاة بالزليج ،حيث ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16 م) أن هذه السقيفات المبنية عادة بالآجر مع كثير من الذوق هي بالنسبة للأغلبية مزينة على جدرانها بمربعات من الزليج–الفاينس– ذو ألوان مختلفة "[1].

وكانت السقيفة تحوي أيضا رفوف جدارية، وهو مكان كان مخصصا للمصابيح الزيتية لتزويد السقيفة بالنور خلال السهرات الصيفية الطويلة[2] ،و لتوفير المزيد من النور نظرا لكونها كانت مظلمة لا تستمد النور إلا من الفتحة الموجودة بأعلى الباب[3].

وهكذا يمكننا القول أن السقيفة كانت تحقق مفهوم الستر، والمحافظة على حميمية الحياة العائلية ،وكانت تضمن للنساء حرية الحركة، والقيام بالأشغال المنزلية في قلب الدار "وسط الدار" ؛حيث كان المكان الأنسب لذلك كما سيذكر لاحقا ،وهن مطمئنات بأن خصوصيتهن وحركتهن مستورة عن الأنظار الخارجية ،وفي هذا الصدد نجد هابنسترايت يذكر أنه كان يتم الحرص حرصا كبيرا على فصل مدخل الدار عن بقية أجزائه وخاصة الداخلية منها حتى لا يتمكن أحد من النظر إلى نساء الدار[4].

وكانت السقيفة تؤدي بعدها إلى ممر منكسر، أو منحرف– وكان في بعض الأحيان طويلا كنوع من السراديب الأرضية ،وقد وصل طوله في إحدى دور شارع باب الجديد إلى10 أمتار طولا– كان يؤدي دورا لا يختلف كثيرا عن دور السقيفة في حجب النظر والرؤية إلى داخل المسكن، وخصوصية الحياة به ،ولاسيما بالنسبة للأجانب، وكان مبلطا بالرخام يخيم عليه ظلام جزئي يساهم في منح الإحساس بالولوج إلى دار غامضة، و توليد الإحساس بأن المرء في مواجهة عالم مغلق[5].

و كان على من يريد الوصول إلى صحن البيت أن يصعد في العادة عدة درجات تفصل

[1] Haedo (F. D) « Topographie… », In**:R.A.**, T.14 ,1871, p.432
[2] Henri jobin, Op.cit.,p.5
[3] حورية شريد، المسكن التقليدي بمدينة الجزائر في العهد العثماني، دراسة ميدانية لغرفة نموذجية، مذكرة تخرج في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، جوان 1986،ص.25
[4] HEBNSTREIT (J.E.) , Op.cit.,p.16
[5] Mahfoud Kaddache , la casbah, mémoire…, p.52

بين السقيفة، والممر السابق ذكره، وقد كان يتم الدخول إلى صحن البيت عن طريق باب يدعى باب الفصيل[1] ،ونستخلص من اسمه الكثير ؛فكأنما هو الباب الذي كان يفصل بين العالم الخارجي، والعالم الداخلي؛حيث خصوصية الحياة الأسرية بكل تفصيلها،وحميميتها و حرمتها.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن باب الفصيل الفاصل بين السقيفة، ووسط الدار كان مصمما مع باب المدخل بطريقة لا تسمح بكشف داخل الدار؛ حيث كان يبقي مختفيا عن أنظار الزوار ،والأنظار الفضولية لبعض المارة؛ إذ أنه حتى إذ فتح البابين معا يبقي داخل الدار مخفيا ومستورا أيضا.

وبدخول باب الفصيل يجد المرء نفسه في الصحن، أو وسط الدار الذي كان مربع الشكل في الغالب ،وكان حجمه يختلف، ويتنوع تبعا لأهمية المسكن[2]،و كانت أرضيته مرصعة أو مغطاة ، أو مبلطة بالحجارة ، أو بالرخام[3].

وقد كان يعتبر عنصرا هاما، وأساسيا في هذه المساكن لما كان يؤديه، من دور في الحياة الاجتماعية اليومية لسكانه؛إذ أنه كان بمثابة القلب النابض بالحياة للبيت لما كان يشهده من حركة نشطة؛ فقد كان مكشوفا على الهواء، و كان يعتبر مصدرا داخليا للنور، والتهوية[4]. وهذا ما أشار إليه هايدو في القرن 10 هـ(16 م) حين قال :"قلة هي الدور التي لا تملك قاعة انتظار "سقيفة "،وساحة واسعة "وسط دار" الهدف منها توفير الإضاءة داخل الدار – أي في الغرف والبيوت– بشكل كبير..." [5].

فقد كانت التهوية العامة للدار تتم بفضل دور وسط الدار الذي كان بمثابة معدل حراري لاسيما في ظل غياب النوافذ المطلة على الشارع كما سبق الإشارة إليه خاصة في الطابق الأرضي.

---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق،ص.130

[2] André Rymond, Op.cit., p.307

[3] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق،ص.130

[4] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري،ص.43

[5] « Topographie… », In:**R.A.**, T.14, 1871, p.432 voir aussi Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.83

و كان يوجد في هذا الصحن بئر ،أو خزان للمياه، وفي كثير من الأحيان كان يوجد الاثنان معا[1]، وقد تحدث هايدو عن ذلك في القرن 10 هـ(16 م) ؛حيث أشار إلى أن كل أعمال الغسيل ،والتنظيف، وغيرها من الأعمال المنزلية تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء؛فكل دار كان لديها عادة بئرها، والكثير منها كان لديها أيضا في نفس الوقت خزان ماء ،وأشار إلى أن ماء الآبار كان مالحا ،ولهذا كان يعتمد للشرب والطبخ على مياه العيون العمومية[2] . -كما سيأتي ذكره لاحقا -،ونفس الأمر ذكره بيار دافتي في القرن11هـ (17 م)حين سجل أنه كان في وسط ساحات دور مدينة الجزائر بئر، ولكن ذو ماء مالح ،وغير صالح للشرب[3].

و كان خزان الماء متواجدا في العادة تحت أرضية وسط الدار في ما يشبه القبو ؛حيث ذكر في هذا الشأن دوبروفي« de bereves »في أوائل القرن 11 هـ(17 م) أن دور مدينة الجزائر كانت متلاصقة ، ولا تمتلك حدائق ،وكانت لديها فقط ساحاتها الصغيرة -و يقصد وسط الدار- وتحت هذه الأخيرة كانت توجد خزانات تتلقى مياه الأمطار لاستعمالها عند الحاجة لأنه لم يكن يوجد منبع مياه بالمدينة،؛وكان الماء يجلب إليها من الخارج عن طريق قنوات[4].

وكانت هذه الخزانات تزود بمياه الأمطار التي كانت تنحدر إليها بعد أن تتجمع في السطوح[5] عن طريق قنوات أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت عبارة عن أنابيب مصنوعة من الفخار، ومحتواة في سمك الجدران[6] الداخلية للدار ؛ولكنها كانت مدمجة فيها بطريقة تسمح بالتدخل بسهولة في حالة حدوث أي تسرب للماء، وكان يتم تجنب إقامة هذه القنوات في الجدران الخارجية المحيطة بالدار التي يمكن أن تطل على الشارع، أو أن تكون مجاورة مع دور أو مباني أخري لصعوبة التدخل لإصلاحها ،وعدم الضرر بالآخرين في حالة حدوث تسرب للماء[7].

و عندما لم تكن هذه القناة تنتهي إلى الخزانات لتزويدها بالماء كانت تتصل ،أو تلتقي بقناة صرف المياه التي كانت تصرف المياه المتجمعة في وسط الدار نفسها ،ولا يجب أن ننسى

[1] Lucien Golvin, Op.cit., p.79
[2] « Topographie… », In: **R.A.**,T.14, 1871, p.432
[3] Op.cit., p.174
[4] Op.cit.,p.358
[5] SHAW (Thomas), Op.cit., p.97
[6] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par.., p.27
[7] André Ravérau, Op.cit.,p.147

أنه كان تم تصميم هذه القنوات لتشق طريقها عبر مستويين بعبور أرضيات الدار للوصول إلى السطح.

وهذا النظام يدل على التحكم الكبير من طرف البناءين حينها في قواعد البناء؛ حيث كان الاعتماد الأكبر على الذكاء، والفطنة ،والخبرة ،وقوة الملاحظة في حين أن انجاز ذلك الأمر في الوقت الحالى يتطلب اجراء حسابات،و اعداد مخططات ،وغير ذلك ،ولا يكون بنفس الإتقان ،والفاعلية ،والجودة ؛ فقد كان هذا النظام يؤدي وظيفتين هامتين ،وهما:أولا لاسترجاع مياه الأمطار لداخل الخزان المخصص لتجميعها للإستفادة منها ، وثانيا تفادي تدفقها في الشوارع تطبيقا للأحكام التي اعتمدها الفقه المالكي في هذا الشأن من خلال عدد من النوازل التي احتواها مخطوط القضاء في المباني والدير –المشار إليه أنفا – و التي تمنع من تصريف مياه الأمطار ،أو غير ذلك على الطرق والعامة في الشوارع، وكذا على الدور المجاورة لما يسببه ذلك من ضرر؛ وقد جاءت هذه الأحكام، والنوازل تحت عنوان **"القضاء في مهارق السقوف، ومخارج الدور"**[1] ؛ونظام استرجاع مياه الامطار بالفعل نظام بديع ينم عن مدى الحرص ،والعناية بمورد هام لا غنى عنه في الحياة اليومية للسكان ،للدور الفعال الذي يؤديه في أنشطتهم المتنوعة.

ولم تكن مياه البئر في الغالب تخصص للشرب لكونها كانت مالحة –كما أشرنا إليه أنفا – وإنما للقيام بالأشغال المنزلية من تنظيف ،وغسل، ومسح،وهذا ما ساهم في الحفاظ على الماء الصالح للشرب الذي كان يؤتى به من العيون العمومية، ويخزن في خزان خاص.

وقد كان الصحن ينفتح كما سبق الذكر على السماء الزرقاء ،فينعم سكان المنزل بمنظر جميل يبعث الانتعاش ،والطمأنينة في النفوس ؛فقد كان وسط الدار يشكل "قلب الدار" و العنصر الرئيسي في المسكن الذي تنتظم بقية أجزائه حوله[2].

و كان يؤدي دورا اجتماعيا فعالا ؛إذ أنه كان مقرا للنسوة خاصة في فصل الصيف حيث كن يقمن بقضاء جل وقتهن فيه ؛حيث ينشغلن بالأعمال المنزلية كالحياكة، والخياطة، وكل الأعمال المنزلية المتعلقة بالماء كغسل الملابس، والأواني ،وغيرها ؛فقد كانت فرصة للاستمتاع بأشعة الشمس ،والعمل في آن واحد. كما أنه كان بمثابة الملتقى للجلسات العائلية في مختلف أوقات اليوم، وما كان يزيد وسط الدار جمالا، و من ثم سكان الدار بهجة النباتات المتسلقة التي

[1] مخطوط القضاء بالمرفق في المباني والدير ونفى الضرر"،المصدر السابق ،الورقة 8

[2] Mouloud Gaïd, Op.cit.,p.197

كانت تغرس فيه لتجعل منه حديقة عطرة ،و التي كانت تتسلق بحثا عن الشمس باتجاه الطابق العلوي، وأحيانا إلى غاية السطح[1]. كما كان مكانا ملائما للأطفال الصغار ليلعبوا على الأرض في محيط نظيف لا سيما أنه كان من السهل تنظيف أرضيته المبلطة عادة ، الزليج ،أو أحيانا بالرخام.

وكان الصحن أيضا المكان الأنسب لعزف الموسيقي ،ولإقامة الحفلات لاسيما حفلات الأعراس، وختان الأطفال ،وغيرها من المناسبات المشابهة؛ حيث لم يكن يتم إدخال الحاضرين أو المدعوين من الرجال إلى داخل غرف ،وبيوت الدار ،وإذ حدث ذلك ؛فنادرا جدا إذ كان يسمح لهم في هذه الحالات الاستثنائية بالدخول إلى وسط الدار الذي كانت تفرش أرضيته بالزرابي، والحصائر المتنوعة لاستقبال الضيوف، ولتوفير الراحة لمن يريدون تبادل أطراف الحديث كما أنه جرت العادة في الصيف، وفي كل مرة كان ينتظر فيها أهل الدار ضيوفا كثر أن يغطوا وسط الدار بقطعة من القماش العريض التي يمكن طيها ،وبسطها حسب الرغبة ،والحاجة و كان يتم ربط كل طرف منها في عمود من الأعمدة المحيطة بالصحن لتشكل سقفا ،وكانت توضع بهدف حفظ الحاضرين من لفح أشعة الشمس أما النساء؛ فكان اجتماعهن خلال الأعراس وغيرها من المناسبات يتم في الغرف[2].

وكان وسط الدار بحق الفضاء الحقيقي لحياة العائلة ؛حيث كانت تتواصل،و تتكيف فيه مع محيطها لاسيما بوجود طقس ممتع ،وطيب على الأقل خلال ثلاثة أرباع السنة لدرجة أن الكثير من النشاطات، والأعمال كان يحبذ ممارستها في الهواء الطلق ،وهو ما كان يوفره وسط الدار ،وكان يحيط بهذا الصحن من جهاته الأربع أروقة مغطاة في الطابق الأرضي،و السفلي وكذا في الطابق العلوي؛حيث كانت هذه الدور لا تتشكل عادة إلا من طابق أرضي ،وطابق علوي واحد فقط[3].

وكانت هذه الأروقة ذات أقواس، ومحمولة بواسطة أعمدة[4]، ومصنوعة من الحجر الجيري أو الآجر في الدور الكبيرة ،ومن الخشب، وحتى من الرخام في بعض الدور التي نراها كالقصور[5].

وتجدر الإشارة إلى أن أعداد الأقواس التي كانت تشكل الأروقة حول الدار عادة ما كانت موزعة بطريقة تسمح بأن يكون وسط الدار مرئيا دائما من الفضاء المركزي للغرفة دون أن

[1] André Ravérau, Op.cit., p.60
[2] SHAW (Thomas),Op.cit , pp.94 -95
[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit, p. 88
[4] Loucien Colvin, Op.cit., p.79
[5] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T.5, p.227

يزعج، أو يعرقل أي عمود الرؤية ،ولهذا عادة ما كان الرواق المشكل من ثلاثة أقواس هو الأفضل لأنه يسمح بتمركز قوس في وسط كل جهة من وسط الدار[1].وأرضية الأروقة كانت مبلطة بدورها ببلاطات رخامية ،وكانت ترتفع قليلا عن الصحن إذ كانت موضوعة على شريط من الجبس، أو الجير.

وكانت أورقة الطابق الأرضي تتطابق مع أورقة الطابق الأعلى التي كانت تقع مباشرة فوقها وتماثلها ،وبعد هذه الأروقة كانت توجد الحجرات السكنية التي كانت تنفتح على الرواق حيث ذكر الفارس درافيو في القرن 11 هـ(17م) أن أبواب، ونوافذ البيوت ،و الغرف كانت تنفتح على الرواق[2]، ومن ثم الصحن، وكانت تتوزع على الطابقين الأرضي، والعلوي، وتختلف أسماؤها تبعا للطابق الذي تتواجد به، فالموجودة في الطابق الأرضي كانت تحمل اسم بيت أما حجرات الطابق العلوي؛ فكانت تحمل اسم غرفة[3].

وكانت لديها نفس الشكل؛ فقد كانت مستطيلة طولها أكثر من عرضها ،حيث كان يتراوح طولها مابين7 إلى10 **أمتار**، وعرضها من 1.50 إلى 3 **أمتار**، وذلك تبعا لمخطط البيت وربما يعود ذلك إلى سمك، وطول الأعمدة التي كانت تحمل ثقل السقف[4].وهذا ما أشار إليه الفارس درافيو في القرن 11 هـ(17 م) حين سجل بأن الفضاء الداخلي للدور الأكبر، والأجمل كان يتمثل في ساحة محاطة بغرف، وبيوت ضيقة، وطويلة ،والتي كانت تشكل أربعة أقسام من الدار[5].

وبالإضافة إلى الشكل الذي كانت تشترك فيه جميع هذه الغرف، والبيوت؛ فإن جميعها كن يطلن على الرواق، ومن ثم على الصحن عن طريق الأبواب، والنوافذ المفتوحة عليهما فكانت أبواب الغرف ،والبيوت مزودة في الأعلى بفتحتين ،أو ثلاثة مستطيلة من فوقها قوس[6] كانت تسمح بتهوية الحجرات عندما تكون أبوابها مقفلة، ومن ثم فإن هذه الأخيرة كانت تستمد النور من داخل المنزل، وبالضبط من الرواق، والصحن بالإضافة إلى عامل التهوية.

إلا أن نوافذ البيوت كان لها دور آخر إلى جانب توفير النور ،والتهوية؛ فقد كانت تؤدي دورا هاما، وفعالا في ربط وسط الدار، والغرفة ؛حيث كانت النافذة تبتدئ على ارتفاع 35 سم

[1] Sakina Missoum , Op.cit., p.217
[2] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.227
[3] Mahfoud Kaddache,'Algérie durant…", p.198
[4] Ibid, p.198
[5] Op.cit,T.5,p.226
[6] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant… ", p.198

من الأرض ،ولهذا كانت تفسح المجال للرؤية من داخل الغرفة إلى خارج الصحن، ومن ثم كان يمكن للطفل الصغير اللعب في وسط الدار عندما تكون أمه مشغولة بترتيب الغرف؛ حيث كان يمكنها مراقبته ؛أي أن النافذة كانت تضمن عدم وجود أي عازل ،أو قطيعة بينهما[1].

وكانت بيوت الطابق الأرضي خاصة في البيوت الكبيرة ،والقصور تستعمل إحداها عادة كمخزن للمواد الغذائية كالزيت واللحم المجفف"القديد ،وأكياس الحبوب، وبخاصة القمح، وكذا لإسكان الخدم[2].

أما في الطابق الأعلى ؛فقد كانت الغرف تستعمل لإقامة العائلة ،حيث كانت مخصصة للمعيشة فكانت بها غرف للنوم، إلى جانب وجود مطبخ، وهنا نشير إلى أن بعض المصادر تسجل غياب المطابخ في دور مدينة الجزائر ،حيث ذكر دافتي في القرن 11هـ(17 م) أنه لم يكن للدور مداخن؛ ولكن كان لديها جرار كبيرة من الصلصال الفخار أين كان الناس يقدون نار الحطب، والفحم للطبخ[3]،وهذا ما ذهب إليه كورنيلس بنجاكر في القرن11هـ(17م) مضيفا أنه كان يتم إحضار فحم الخشب المستخدم في الطبخ بكميات كبيرة إلى مدينة الجزائر كل يوم باستخدام الدواب من حمير،وجمال[4].

ولكن هذه الملاحظة لا تنطبق على كل دور مدينة الجزائر؛ فقد كان للدور الكبيرة خاصة في العادة فضاء مخصص لتحضير،وطبخ المواد الغذائية ،والدليل على ذلك قنوات تصريف الدخان التي كانت تتوفر عليها الدور ؛حيث كانت مزودة بفتحة في السقف تسمح للدخان بالخروج مرورا عبر قناة تنتهي وتنفتح على الجدران الرفيعة للأسطح ،وما يشد الانتباه هو أن قنوات صرف الدخان كانت تستخدم فيها نفس المواد،والطريقة المعتمدة في قنوات صرف مياه الأمطار المتجمعة في الأسطح[5] .باستثناء أن القوالب المشكلة لهذه القناة كانت تركب بطريقة معاكسة أي إلى الأعلى ،وهذا أمر منطقي نظرا لاختلاف اتجاه المادتين دخان صاعد ،وماء نازل، وإلى جانب المطبخ نجد الحمام، و نشير هنا إلى أنه في بعض البيوت كان الحمام يدفئ بواسطة فرن صغير يستعمل لطبخ الخبز أيضا كان يوجد بالطابق الأرضي[6]، وقد كان يوجد بجانب الحمام أيضا

[1] André Ravérau , Op.cit., p.172
[2] Lucien colvin, Op.cit., p.79
[3] Op. cit., p.174
[4] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p. 83
[5] André Ravérau, Op.cit., p.147
[6] وذلك بناء على ملاحظة عينية بقصر خداوج العمياء الذي يحوى حاليا متحف الفنون والتقاليد الشعبية بمدينة الجزائر كما سمحت زيارة أخرى لقصر رياس البحر باستيون 23 بمعاينة الأفران التي كانت متواجدة بالمطبخ والمخصصة لتسخين حمام الدار المتواجد بالطابق الأعلى؛ حيث كان يتم تسخين المياه في قدور كبيرة كانت توضع على هذه الأفران؛ فيتصاعد بخار الماء الحا ر لتدفئة ،وتسخين أرضية الحمام وجدرانه عبر فوهة أعدت خصيصا لهذا الغرض.

مراحيض[1]. كما كانت بالطابق الأعلى بيوت كانت تستعمل كقاعة لاستقبال الأهل والأقارب وأخرى لإقامة الضيوف من العائلة.

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد في الطابق الأعلى للدور شرفة كانت تعرف "بالدربوز"،وكانت مصنوعة من الخشب المزخرف بزخارف نباتية جميلة، وهندسية وكانت تطل على الصحن؛ أي أنها كانت تحمي المرء من السقوط إلى أسفل ،وتزين البيت ،ولاسيما أنه عادة ما كان يوجد في الزوايا الأربع منها مسطحات صغيرة؛ حيث كانت توضع أحواض كثيرة من الزهور ؛فكان الياسمين يجاور الريحان، ومسك الليل[2].

و في الأخير نتطرق إلى السطح الذي يعد بمثابة تاج المنزل ؛لأنه كان يشكل آخر عنصر معماري للبيت التقليدي في مدينة الجزائر، وقد كان يتم الوصول إليه عن طريق الطابق الثاني ،حيث تتصاعد منه درجات سلم كانت كما ذكر الفارس درافيو في القرن11 هـ (17 م)ملائمة ،ومصنوعة من الحجارة ،والآجر في الدور الكبيرة ومن الخشب في غيرها[3]. كما أنها في بعض الدور الكبيرة كانت من الرخام[4] تبعا لغنى وإمكانات صاحب البيت.

وكان السطح شبيها في تخطيطه العام بتخطيط الطابق الثاني، وكان بمثابة سقف البيت وكانت توجد على جوانب السطح جدران مرتفعة بالقدر التي تحمي المرء فيه من السقوط[5]. فقد كان هذا السطح محاطا بجدارين جدار خارجي ،وجدار داخلي، أو جدار ارتكاز الأول كان يطل على الشارع ،وكان بمثابة حد فاصل، ومحدد للسطح بالنسبة للأسطح المجاورة ،وكان في غالب الأحيان منخفض لدرجة كانت تسمح بتجاوزه ،أما الثاني فقد كان يقع من جهة وسط الدار ،وكان مرتفعا بمثابة شرفة ،وفي بعض الأسطح كان هذا الجدار يعوض بشرفات من الخشب ،أو من الحجارة[6].

و كان للسطح دور هام في الحياة الاجتماعية اليومية لأهل البيت لا تقل أهمية عن بقية الأجزاء المشكلة للمنزل؛ فقد كان يخدم العديد من الأغراض، إذ كان يستعمل لتجميع مياه

[1] Lucien colvin, Op.cit., p.79
[2] Mahfoud Kaddache ,la casbah ,mémoire, Op.cit., p53
[3] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p. 227
[4] عبد القادر حيلمي، المرجع السابق، ص.223
[5] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.227 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit, p 84
[6] SHAW (Thomas) ,Op.cit., p.99

الأمطار لغسل الملابس، والاستعمالات المنزلية الأخرى، ولهذا كانت تقام في السطح انحدارات خفيفة لتسهيل انحدار المياه باتجاه قنوات تجميع المياه[1] ،وكانت أكثر المياه المتجمعة تنحدر من السطح لتمويل الخزان الموجود في الصحن- كما سبق شرحه-.

و كانت توجد على الأسطح أيضا مداخن كانت تسمح بإخراج الغازات، والدخان المنبعث عند الطبخ، وكذا للتهوية[2] ؛فقد كانت مبنية بطريقة تشكل معها ما يشبه كتل ،أو كثبان صغيرة في كل زاويا الأسطح[3].

و كان السطح يعوض غياب الحديقة التي لم يكن من الممكن أن تكون حول المنزل نظرا لازدحام المساكن، وضيق المساحة داخل أسوار المدينة، وكان المكان المفضل للنساء؛ فقد كان بمثابة عالمهم الخاص والمعتاد ؛فكن يقمن فيه بعدة أعمال منها تجفيف الملابس المغسولة[4] بتعليقها على حبال أعدت خصيصا لهذا الغرض[5].

كما كن يستخدمن السطح لفرش، وتهوية بعض المؤن المخزونة كالقمح المدشش وأكياس الشعير المغربل، وتجفيف بعض المحاصيل الزراعية كالفلفل الأحمر الذي كان يجمع على شكل حلقات واسعة بواسطة الخيط ،والإبرة، ويوضع في السطح تحت أشعة الشمس لتجفيفه وبعض الثمار الأخرى كالتين ،والعنب[6].

والبعض من النساء كن يهتمن في السطح ببعض النباتات، والأزهار التي غرسنها في المحابس، من أجل المنظر الجميل، و الرائحة العطرة، ولاسيما شجيرات الياسمين وفي هذا الإطار أبدى غرماي في القرن 11هـ(17م) إعجابه بعدم سماح الأسطح بتسرب الماء إلى الدار[7] مما كان يسمح بأن تكون الأسطح في أغلب الأحيان بمثابة حدائق معلقة ، وهو ما ذهب إليه

---

[1] André Ravérau , Op.cit., p147 voir aussi وليم سبنسر، المرجع السابق، ص49

[2] Loucien Colvin, Op.cit., p.79

[3] Laugier deTassy, Op.cit,T.1,p. 261

[4] تجدر الإشارة إلى أن الملابس لم تكن تغسل في السطح، أو في الصحن أي وسط الدار بل في غرفة خاصة قريبة من خزان الماء ،أو بئر الدار" تعرف ببيت الصابون" بناء على ملاحظة ميدانية ،ومن خلال الشروحات الأثرية المقدمة أثناء زيارة قصر رياس البحر ،وقصر خدواج العمياء الذي يحتضن حاليا متحف الفنون والتقاليد الشعبية.

[5] Haedo (F. D) « Topographie… », In :**R. A.**, T 14, 1871,p 432 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.84 voir aussi p.313

[6] SHAW (Thomas) , Op.ci.t, p.100

[7] Gramaye (J.B),Op.cit.,p.77

لوجي دو تاسي حين ذكر أن العديد من السكان كانوا يشكلون حديقة صغيرة على هذه الأسطح[1].في حين ذكر أحد الرحالة الأوربيين أن سقف المنازل كان مسطحا ومناسبا للتنزه حيث ترى فيه الأزهار، والنباتات[2].

لقد كان السطح بالإضافة إلى هذه الاستخدامات العديدة الضرورية مكانا للراحة و الترفيه عن النفس بعد يوم حافل بالعمل، والأشغال المنزلية المتعددة بالنسبة للمرأة؛ فكانت النساء تقضين المساء به بمجرد أن يخفت النور الساطع ،وتنخفض درجة الحرارة ،حيث كن يتسامرن وذلك عادة حول صينية من الشاي، أو القهوة المرفقة بطبق من الحلويات[3]؛ ويقمن في نفس الوقت برعاية أبنائهن ؛حيث ذكر كورنيلس بنجاكر في القرن11هـ(17م) أن السطح كان فضاء للعب الأطفال[4].

ونظرا لازدحام الديار، وضيق المساحة ؛فإن سطوح الكثير من الدور كانت متقاربة إلى درجة أنها كانت ترى من بعيد كأنها سطح واحد، إذ كان يمكن التنقل عن طريق هذه السطوح من دار إلى أخرى[5] بسهولة ،وعبور كل المدينة تقريبا هكذا وكانت هذه الطريقة معتمدة من طرف النساء لتبادل الزيارات مع الجارات ،والقريبات اللواتي يسكن قريبا عوض الاضطرار إلى الخروج إلى الأزقة ،وفي الأماكن أين كان ارتفاع الدور غير متساوي كان يوجد دائما سلم لمرور من سطح إلى آخر عندما تكون الجارات مستعدات للتمتع معا ببرودة الجو المنعش للسهرة ،وما يشد الانتباه أنه مهما كانت سهولة الدخول إلى الدور عبر الأسطح إلا أنه لم يكن يسمع أبدا عن حدوث سرقات لأنه في حالة إذ ما وجد أجنبي داخل الدار دون أن يعلن عن نفسه ويؤذن له من طرف أهل الدار بالدخول؛ فإنه كان يتعرض للعقاب[6].

و هذا ما ساعد الجارات على تبادل الحديث فيما بينهن دون أن تغادرن بيوتهن؛ فقد كانت الأسطح أنسب الأمكنة ولاسيما خلال فصل الصيف لقضاء الأمسيات، في المسامرات وتبادل

[1] Laugier de Tassy, Op.cit., T.1, p.261
[2] HEBNSTREIT (J.E.),Op.cit.,p.16

[3] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري، المرجع السابق ، ص43

[4] Cornelis Pijnacker ,Op.cit,p 84
[5] Haedo (F. D) « Topographie… », In **:R.A.**, T.14, 1871,p. 432 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit., p. 84
[6] Laugier de Tassy, Op.cit., T.1, p.263

الأخبار، والأحاديث المتنوعة[1]، وإلى جانب دورها في تدعيم العلاقات الاجتماعية ؛فقد كانت الأسطح بمثابة نقطة التقاء مع أشعة الشمس ،وزرقة السماء، ونسمات البحر العليلة وعبق الأزهار، والهواء النقي.

وفي بعض البيوت الكبيرة كان يبنى في الأسطح طابق حقيقي، حيث كانت توجد غرف مخصصة للراحة، أو استقبال الأهل ،وللتمتع بمنظر البحر؛ وهي متعة كان يحبذها سكان مدينة كثيرا ،وكانت البيوت المقامة في السطح تعرف بالمنزه[2]؛و قد أشار إليها بيار دافتي في القرن 11هـ(17 م)[3].

وقد ساعد على ذلك الشكل المدرج لمدينة الجزائر ؛حيث ترتفع دورها على شكل درجات مرتفعة الواحدة على الأخرى بشكل يسمح لكل الدور بأن تتمتعن بمنظر البحر دون أن تضر من هي في الصفوف الأولى تلك الموجودة في الصفوف الأخيرة[4].

وهذا ما نجده في النوازل التي احتواها مخطوط القضاء في المباني والدير تحت عنوان **القضاء في فتح الأبواب والكوى–النوافذ– في الدور والرجل يعلى بنيانه فيمنع جاره الريح والشمس"**؛ حيث يتضمن نوازل تبيح للمرء إعلاء بناء داره ،ولكن مع الحرص على عدم الإضرار بجاره، حيث يمنع من ذلك إذ كان رفعه لجدار داره يضر بجاره في شمس يمنعه منفعتها أو لضرر يدخله على جاره ،وليس له في رفعه منفعة، فإنه يمنع من الضر بجاره[5].ومن خلال ماسبق ذكره أن أسطح مدينة الجزائر ضمنت كسب المساحة ؛ففيها كان يتم الطبخ، و تجفيف الملابس ،والتجوال ،والاستراحة ،واستنشاق بعض الهواء المنعش، وجمع، و تبادل الأخبار.

أما فيما يخص القصور، والدور الفاخرة التي كانت تقع معظمها في القسم الأسفل من المدينة "الوطاء" بالقرب من البحر؛ فإن الكثير منها كان يحتوي على نفورة من الماء تنبجس أو تدفق منها المياه العذبة لتلطيف حرارة الجو في فصل الصيف، ولتجميل الصحن، أو الساحة

---

[1] Roqueville (Sieur de…), Op.cit,p.2

[2] Laugier de Tassy, Op.cit,T.1,p.261

[3] Op.cit.,p.174

[4] BREVES, Op.cit, p. 358 voire aussi ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p227 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.84

[5] مخطوط القضاء بالمرفق في المباني والدير ونفى الضرر"،المصدر السابق، الورقة 13

في فصل الشتاء[1].

وقد وصف هايدو هذه الدور الجميلة التي أثارت إعجابه، وفي مقدمتها دار السلطان "**الجنينة**" التي كانت محل إقامة حكام الجزائر العثمانيين منذ القرن 10 هـ(16م) والتي كانت تشتمل على ساحتين كبيرتين ،وكل واحدة منهما تبلغ مساحتها 36 قدما ،وكلتيهما كانتا مبلطتين بالآجر، ومحاطتين بأروقة من الأعمدة المصنوعة من الآجر بشكل متقن، وكانت توجد الكثير من القاعات التي يسميها الأهالي بالغرف، ويضيف أن هذا القصر هو المبنى الوحيد في المدينة الذي كان يحوي حديقة صغيرة بين جدرانه[2].

كما أنه كانت توجد بمدينة الجزائر دور أخرى خاصة، وجميلة جدا شبيهة بدار السلطان فقد كانت كلها مبنية على الشكل السابق ذكره باستثناء عدم وجود حديقة بها، وكانت ملكا لرياس البحر، وبعض الأغنياء مثل منزل مامي باشا إلى جانب دار عزيزة، ودار حسن باشا[3] ودار خداوج العمياء الذي تعود إلى تلك الفترة ؛أي القرن 10 هـ(16م) وغيرها من الدور ،والتي لا تقل جمالا عن بيوت الأمراء الأوروبيين.

ومن ثم يمكن القول أن الدور، أو المنازل في مدينة الجزائر داخل الأسوار كانت متشابهة جدا ، وإن اختلفت في حجمها ،واتساعها تبعا لإمكانات أصاحبها ،والمساحة المتوفرة، إلا أنها كانت تشتمل على نفس الأقسام ، وتعكس واقع الحياة الاجتماعية الأسرية لمجتمع مدينة الجزائر في أحضان هذه المساكن المصممة لتتماشى مع روح هذا المجتمع، ومعتقداته، ومقدساته المستمدة من جوهر الدين الإسلامي.

و كانت هذه البيوت مزينة من الداخل كما سبق الإشارة إليه بواسطة مربعات من الزليج والجس المنقوش ،وغيرها من العناصر ،والمواد التجميلية الزخرفية المصفوفة بدقة ،وإتقان وكانت هذه الأخيرة تغطي الجدران إلى غاية مستوى اتكاء شخص جالس على الأرض ،و كانت بمثابة العنصر التزييني المسيطر في دور مدينة الجزائر ؛فقد كانت توجد على طول جدران الغرف والبيوت كما في الرواق، و الدروج ،ووسط الدار، و السقيفة ،و كانت تضفي رونقا ،وجمالا

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.222

[2] Haedo (F. D) « Topographie… » ,In: **R. A.**, 1871, T.15, p.386

[3] Ibid, pp 391- 392

على تلك الدور ، وعلى سبيل المثال ذكر درافيو في القرن 11هـ(17م) أن جدران دور مدينة الجزائر كانت مغطاة إلى غاية ارتفاع ستة أقدام بمربعات براقة من الزليج التي كانت تولد أثرا طيبا في النفس، وتمنح إحساسا بالبرودة، والانتعاش ،وتعكس اهتماما ملحوظا بالنظافة[1].

ج-أثاث المرافق السكنية:

و لابد من الحديث الأن عن أهم، وأبرز قطع الأثاث التي كانت تحويها هذه المساكن والتي كانت تشكل جزأ من الحياة اليومية للسكان في أحضان دورهم، ومساكنهم.

لقد تحدث هايدو في القرن 10هـ (16 م) عن هذا الجانب واصفا أثاث المنزل الجزائري ولاسيما في بيوت الأغنياء بأنه كان قليلا ،و بسيطا وتحليل ذلك حسب رأيه هو كسل المسلمات الجزائريات، وعدم عملهن على إثراء أفرشة ،وأثاث منازلهن من خلال القيام بالأشغال اليدوية وهذا بعكس المسيحيات اللواتي كن يتقن الأعمال اليدوية ويضيف هايدو سببا آخر إلى جانب الكسل وهو بخل أزاوجهن ونتيجة لذلك لم يكن يوجد في المنازل الكبيرة والكثيرة الحجرات سوى حجرة واحدة مؤثثة كما يجب؛ وهذه هي حالة التأثيث في بيوت مدينة الجزائر مهما بلغت ثروات ،وأموال مالكي هذه البيوت[2].

وعلى غرار ما ذكره هايدو يذكر دابر في القرن 11هـ (17 م) أن كل فرشهم ،وأثاثهم كان يتمثل في بعض الأكواب،والأطباق ،ومغارف-ملاعق- كبيرة ،وصناديق خشبية ،وفي حصيرة ،و زربية، مطارح و غطاءين يتم فرشهم على لوحتين ،أو ثلاث لوحات خشبية ليستعملوها كسرير لهم ،وأغلبيتهم ينمون في الليل على حصيرة تستعمل في النهار كغطاء للمائدة[3].

و ذكر لوجي دوتاسي بدوره أن الأثاث في مدينة الجزائر يقتصر على أشياء قليلة جدا حتى عند الأشخاص الأكثر ثراء فلا يعرف فيها لا .....،ولا كراسي ،ولا خزائن ،ولا أشياء مماثلة [4].

و الحقيقة أن البيت في مدينة الجزائر كان يحتوي على أثاث متنوع، وإن كان قليلا على حد تعبير هايدو، وغيره من الملاحظين الغربيين ؛فقد كان كافيا لتلبية احتياجات سكان الدار، وكان يتناسب

[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T.5, pp. 227-208
[2] « Topographie… In**: R.A**, 1871, T.15,p.207
[3] Dapper, Op.cit.p175
[4] Laugier de Tassy , histoire du Royaume D'Alger avec l'Eta présent de son Gouvernement de ses forces de terre et mer de ses revenus, police, justice politique et commerce, chez Henri du Sauzet,à Amsterdam,1725,p.118

والتقاليد الإسلامية، ومع العادات الاجتماعية السائدة في المجتمع آنذاك؛ حيث يبدو أن سكان مدينة الزائر إلتزموا في هذا الموضوع بالحكمة التي تنص على أن العبرة ليست في الكم، ولكن في النوعية، والفائدة التي يجنيها المرء من أثاث بيته؛ فقد كان البيت يحوي كل ما من شأنه جلب الفائدة،والاطمئنان، والراحة لأهل الدار.

وكان تأثيث المساكن يختلف بحسب حجم هذه الأخيرة، وامكانات أصحابها وأذواقهم ومن خلال قراءة المصادر المحلية المتمثلة في وثائق سلسلة المحاكم الشرعية وبخاصة الوثائق المتعلقة بتقسيم التركات يمكن استخراج أسماء بعد الأواني، والأثاث الذي كان يستعمل من طرف سكان مدينة الجزائر ومن بينها نذكر :كؤوس من النحاس، وأواني أخرى وردت في احدي الوثائق بالعبارة الآتية: "كيسانان اثنان نحاس وابريق فضة ،وبرمة نحاس .....طنجرة و طورة ومهراز من النحاس ،وطاجين،وصندوقين وشبوخ {وعاء} عسل"[1].

وفي وثيقة تقسيم تركة أخرى وردت العبارة الآتية:"وخلف الهالك الأول السيد أحمد المذكور رحمه الله موروثا عنه.....وأثاث بيته من غطاء و وطاء ،وأواني نحاس "ثم جاء تفصيل جميع أواني النحاس كالآتي: صحفة أو صحيفة واحدة نحاس وكسكاس واحد منه وليان كبير ،وآخر صغير منه وليان آخر أصغر منه ،و طنجرة كبيرة ،و أخرى صغيرة و مقلى{كذا}وبرمة صغيرة ومهراس وسيني ،ومبخرة ،وحسكة ،وقلة صغيرة ،وطاسة...."[2]. ،وفي عقد آخر:".....وزربية صغيرة وزربية كبيرة ،وإبريق نحاس....."[3]. وفي وثيقة أخرى:".....وأواني نحاس أيضا بمائة دينار واحدة.....و لحافا ،وثلاثة من الزرابي ستة واربعين دينار ....."[4]. ومن خلال ماسبق ذكره نستخص أنه من خلال القيام بإجراء جرد شامل لأسماء الأواني ،والأفرشة الواردة في جميع الوثائق الأرشيفية بخاصة وثائق تصفية التركات يمكن التوصل إلى وضع قائمة مفصلة تبين مدى تنوعها، وتعدد استعمالاتها.

[1] الوثيقة رقم 6 "رسم تقسيم تركة أحد الفقهاء بمدينة الجزائر "في العلبة124 ،تاريخها صفر 1019 هـ-(1610م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] الوثيقة رقم 1 في العلبة 123،المصدر السابق

[3] الوثيقة 39 "رسم تقسيم تركة الحاج منصور بن علي البلبلي"، تاريخها أوائل رجب عام 1008 هـ-(1600م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] الوثيقة رقم 82 " رسم تقسيم تركة بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 27-2 تاريخها اوائل حجة الحرام 1067هـ (1657م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

ويذكر هايدو في القرن 10هـ (16 م) أنه لم تكن هناك خزائن، أو أدراج في مساكن مدينة الجزائر؛ إذ أنهم كانوا يملكون **علبا**، أو **صناديق صغيرة** للاحتفاظ ببعض الأدوات والأشياء الخاصة بالنساء وآخر أكبر منه تحفظ فيه عدة أشياء كالملابس ، وغيرها[1].

والحقيقة أن هايدو لم يدرك مدى أهمية الصناديق لدى سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ومكانتها الهامة في المسكن ؛فقد كانت تشكل قطعة من الأثاث الضروري الذي لا غنى عنه في إطار الحياة اليومية؛ولهذا فقد كانت متواجدة في كل المساكن في مدينة الجزائر وإن كانت تختلف من حيث الزينة ،والنقش والتلوين بحسب ثراء، وأذواق ملاكها؛ فقد وجدت الصناديق الصغيرة المطعمة بالصدف التي كانت تخصص لحفظ الحلي الثمينة[2].

كما وجدت صناديق أخرى مزخرفة بخطوط عربية، وبعض الآيات القرآنية، وصناديق مصبوغة بألوان حية براقة ،ومزينة بأشكال متنوعة تمثل زهورا، ونباتات. وكانت هذه الصناديق متنوعة ومختلفة من حيث الأحجام أيضا نظرا لاستعمالاتها العديدة ؛فمنها الصغير الحجم – كما سبق الإشارة إليه –والذي كان يستخدم في حفظ أدوات الزينة ،والحلي ؛ والذي كان يعرف **بالفنيق**؛ ومنها الكبير الحجم الذي كان بمثابة خزانة لحفظ الملابس[3].

و كان **الصندوق** من أهم المتاع الذي كانت تحمله العروس معها من بيت والدها إلى بيت زوجها؛ فقد كانت تحتفظ فيه بملابسها، ومجوهراتها، وأدوات الخياطة، وكل جهازها، وما تحتاج إليه المرأة.

ولم يكن غياب الخزائن إذا بسبب عجز سكان مدينة الجزائر على صنعها، ولكن لأن الصناديق كانت تفي بالغرض الذي تؤديه الخزائن ؛فضلا على أنها كانت لا تحتل حيزا كبيرا من الغرفة، وبالتالي لا تعوق حركة المرور بها ،كما يسهل نقلها من مكان إلى آخر.

وإلى جانب اعتماد الصناديق عوض الخزائن؛ فقد كان يتم استغلال جزء من الغرف كخزائن على اعتبار أن الغرف كانت طويلة —كما سبق الإشارة إليه —ففي أحد أطراف الغرفة كان يتم إحداث فاصل بواسطة ستار من القماش يثبت من جدار إلى آخر بواسطة حبل ،وهكذا يتم عزل

---

[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T 15, p.208

[2] صفية بوزغران، أثاث المنزل الجزائري بمتحف الباردو،مذكرة تخرج في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1988- 1989، ص.21

[3] Laugier de Tassy, histoire du…, p.118

عزل جزء من الغرفة لاستعماله كخزائن تحفظ ،وترتب فيها المطارح ،والوسائد ،والأغطية التي لا تستعمل خلال النهار[1].

كما يذكر هايدو في القرن 10هـ (16 م) أنه لم تكن لدى سكان مدينة الجزائر طاولات لتناول الطعام بل إن الأغنياء منهم كانوا يأكلون أرضا فوق **جلد ثور** كان يجلب من تركيا والبعض من هذه الجلود كانت مصبوغة، ومزينة بحواشي من ألوان مختلفة والبعض الآخر كان يأكل فوق طاولة صغيرة قليلة الارتفاع أي منخفضة ،ومستديرة ، والمقصود بها "**المائدة**" التقليدية ؛ولكن الأغلبية كانوا يأكلون فوق الزرابي والحصائر[2].

والحقيقة أن **الموائد** كانت تشكل مثلها مثل الصناديق أثاث ضروري في الحياة اليومية حيث كانت العائلات الجزائرية ملزمة في تأثيث بيتها باستعمال المناضد و**الموائد** التي كانت متنوعة الأشكال مربعة ودائرية أو مثمنة الأضلاع ذات أرجل قصيرة ،ومصنوعة من أنواع مختلفة من الخشب ،وأساسا من خشب السرو.

و اعتمادهم على الموائد لا يعود إلى بخلهم أو عدم قدرتهم على امتلاك الطاولات والكراسي على النمط الأوروبي أي الطاولات ،والكراسي العالية ، ولكن السبب في الاعتماد على الموائد لتناول الطعام عليها ،أو اعتماد **الزرابي**، و**الحصائر** لوضع أطباق الطعام عليها هو أن تلك الموائد كانت تعكس تقاليد صميمة لدى العائلات في مدينة الجزائر لها علاقة وطيدة بالنظافة فالبيت كان نظيفا غير مدنس بما تحمله الأحذية الخفيفة التي يسهل نزعها عند الدخول إلى البيت ؛فقد كان سكان مدينة الجزائر محبين للنظافة ومرعين لها إلى درجة أنهم عند دخولهم إلى منازلهم كانوا يضعون أحذيتهم عند الباب أو المدخل، ويمشون حفاة ،أو بأحذية خفيفة مخصصة للبيت[3].

وهذا تصرف حضاري كونه ينم عن عناية، واهتمام، وإدراك بأهمية المحافظة على نظافة الدور .كما أن أرضية الدور كانت سهلة التنظيف لكونها مبلطة بالزليج فضلا على أنها كانت تنظف حسب روكفيل في القرن 11 هـ(17 م) كل أسبوع والسبب في قيام سكان مدينة الجزائر بهذا الإجراء اعتقادهم بأن هذا التصرف يحميهم ،ويقيهم من الهواء الضار[4].وهذه النظافة كانت تمتد لأثاث

[1] Ibid.,p.118
[2] Haedo (F. D) « Topographie… » In: **R. A.**, T.15, 1871, p.208
[3] Roqueville (Sieur de), Op.cit., p.5 voire aussi DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 280 et Laugier de Tassy, histoire du.., p.118 voir aussi Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.83 et Hebenstreit ,Op.cit., p.16
[4] Roqueville (Sieur de),Op.cit., p.5

البيت حيث ذكر هابنسترايت(EBNSTREIT (J.E.) أن أثاث دور مدينة الجزائر كان جميلا و يتم الاعتناء به وصيانته بطريقة حسنة مما يشي بنظافة سكان هذه البيوت[1].

وهذا ما كان يسهل عملية فرش **الزرابي** ،و**الحصائر** ،و**المخدات** ،و**الأرائك** المخصصة للجلوس عليها بطريقة توفر الراحة لصاحبها لكونها طريقة صحية في الجلوس؛ حيث يكون الكعبين في نفس مستوي الفخذين مما يسهل عملية الارتخاء على عكس المقاعد المرتفعة الصلبة التي كانت تعتمد لدى المسيحيين الأوروبيين، والتي كانت تضر بالأجساد[2]. كما أن المناخ الحار يتطلب الجلوس في مكان بارد ؛إذا بالقرب من الأرض، و هذا دليل على التكيف مع المناخ ومتتطلباته.

أضف إلى ذلك تقليد آخر شاع في أوساط الحياة الأسرية بمدينة الجزائر، والذي يكاد يفتقد إليه اليوم لدى الكثير من الأسر، وهو تقليد، وعادة تجمع العائلات على الطعام، وشرب القهوة، وهذا ما كانت تضمنه **المائدة؛** حيث تخلق جوا حميميا، وجوا أسريا دافئا؛ فقد كان يتربع أفراد الأسرة حولها ويغرفون من الطبق بأيديهم دون أي تكلف[3].

ونستخلص مما سبق أن **الموائد** كانت من الأثاث الكثير الاستعمال، والمتوفر في كل المنازل ولدى كل سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ؛ فكانت متواجدة بالمطبخ، وغرفة النوم، وفي غرفة الاستقبال ؛حيث كانت تستخدم كأداة للزينة، ترتب عليها المزهريات، والأواني المعدنية ذات أهداف تزينية[4].

وكما سبق الذكر فإن **الموائد كالصناديق** كانت تختلف من حيث الزخرفة، والزينة؛ كما أن المائدة كغيرها من أثاث مدينة الجزائر لم تكن تشغل حيزا كبيرا ؛إذ كان يمكن إسنادها إلى الحائط خارج أوقات استعمالها ،فلا تشغل حينها إلا حيزا صغيرا جدا من مساحة الغرفة فضلا عن سهولة تحريكها أو نقلها من مكان إلى آخر،والحركة حتى من طرف الأطفال[5].

وتحدث هايدو في القرن 10 هـ(16 م) أيضا عن **الأسرة–مثل بنك القبة –** ،وقد ذكر أنها كانت متواجدة بمنازل الأغنياء، وكان على هذه الأسرة فراش، أو اثنين، أو أكثر، وغالبا ما كان

[1] Hebenstreit,Op.cit., p.16

[2] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري ،المرجع السابق ،ص.55

[3] LESSORE (E), WYLD (W), Op.cit .Planche. XX

[4] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري، المرجع السابق، ص.52

[5] André Ravérau, Op.cit., p.175

فراشا واحدا بالإضافة إلى زوج ،أو زوجين من **الإزار** وهذه الأخيرة كانت تدخل ضمن أثاث البيت ومتاعه و كانت توجد على هذه الأسرة **بطانيتان، ومخدتان** [1].

وعادة ما كانوا ينامون بسرير يشكلونه بوضع قطعة خشبية في أحد أطراف الغرفة تذهب من جدار إلى آخر مرتفعة بخمسة، أو6 بالم (palmes)[2]فوق الأرض ،ويضعون عليها بعض الألواح و من فوقها الأفرشة التي ينامون عليها[3] ،أو كانوا ينامون أرضا فوق حصائر أو زرابي و أفرشة متنوعة في حين ذكر لوجي دوتاسي أنه في وسط الغرفة و بالاستناد إلى أحد الجدران يوجد مكان غائر في الجدار عل شكل مصطبة ، أو دوكانة مرتفعة بنحو قدم وتفرش عليها زربية وتوضع عليها الوسائد وقد كانت تستخدم خلال النهار للجلوس وفي الليل كسرير للنوم؛ حيث كان يفرش عليها مطارح صغيرة تنزع عند الصباح[4].

ومن أفرشة البيت التي كانت شائعة في بيوت مدينة الجزائر في تلك الفترة نذكر **المطارح والوسائد، و الزرابي**[5]؛التي كانت متنوعة من حيث أشكالها وتقنيات صنعها وكان يمكن أن تفرش في أي لحظة للتدفئة خلال الفصول الباردة ،أو لجعل الغرف والبيوت جميلة ومبهجة خلال الفصول الدافئة ؛حيث كان يمكن فرشها خلال الطقس الجميل ؛حتى في السطح ووسط الدار وقد ذكر كورنيلس بنجاكر في القرن 11هـ (17 م) أنه في بيوت الميسورين كان يتم فرش زرابي تركية في حين أن البقية كانوا يكتفون بفرش الحصائر[6]،ومن الأثاث الذي لم يكن يقل أهمية عن **الصناديق،والموائد،والأسرة** كانت **الرفوف الجدارية الخشبية القائمة والمعلقة** التي كانت مصنوعة من الخشب المنقوش، والمزخرف وأحيانا تزين بقطع من النحاس. وتواجدت هذه الأخيرة في كل الغرف، والأماكن في البيت حيث كانت تؤدي عدة أدوار حسب مكان تواجدها والحاجة إليها ؛ففي الصحون "وسط الدار"كانت تستعمل لوضع **الأواني المعدنية والزجاجية،والخزفية** أما في غرف النوم ؛فكانت تستعمل كمعالق للثياب[7].،وفي المطابخ لتعليق أدوات الطبخ المتنوعة **كالقدور**،و**الصحون**،و**المهراز**،وما شابه ذلك فضلا

[1]« Topographie… » In- **R. A**, 1871, T. 15, p 207

[2] بالم(palem ou palmus) يمثل وحدة مقياس قديمة للطول كانت مستعملة في روما=0,073 متر .

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p .279

[4] Laugier de Tassy, histoire du.. , Op.cit., p.118

[5] Roqueville (Sieur de…), Op.cit., p. 4

[6] Cornelis Pijnacker, Op.cit, p 84

[7] Laugier de Tassy, histoire du…, p 118

عن آنيات التوابل[1].

و من ضمن أثاث المنزل، و أفرشته كانت توجد **الستائر** التي كانت تستعمل في الممرات الداخلية عوضا عن الأبواب ؛واستعملت الستائر أيضا على النوافذ والأبواب [2]،حيث كانت تتركب من ثلاث أشرطة أفقية، وصنع العثمانيون الستائر من الحرير ذات اللون الوردي، والأبيض والأصفر[3] التي كانت تعلق في كل ركن من أركان الحجرة لتعطي إحساسا بوجود نوافذ من ورائها فضلا على أنها كانت تسر الناظرين إليها بألوانها، وأشكالها المطرزة ،وتضفي بعض النور على الغرف و اسخدمت أيضا ستائر من القماش الرقيق للنوافذ[4].

و من أثاث المنازل السكنية في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت توجد **المرايا** المختلفة الأحجام والأشكال؛ حيث كانت تزين البيوت، ومنها ما كان مصنوعا بمدينة الجزائر حيث تفنن الحرفيون في زخرفة إطاراتها بمختلف الزخارف الهندسية، والنباتية. ومنها ما استورد من البندقية بإيطاليا، وكانت توضع مثلا في غرف الاستقبال وغيرها من الغرف،و إلى جانب المرايا اندرج أيضا ضمن الأثاث الذي كانت تحويه المنازل في مدينة الجزائر **الشمعدانات** ؛التي كانت تؤدي دورا تزينيا؛ فكانت تزين و تزخرف الجدران ، و مداخل أبواب الغرف إلا أن دورها الأساسي كان الإضاءة والإنارة و كانت متنوعة الصنع والزخرفة[5].

و إلى جانب الأثاث، و الأفرشة السابق ذكرها شكلت **الأدوات النحاسية** عنصرا هاما في بيوت مدينة الجزائر ، وتعددت استعمالاتها ،ولاسيما **أواني المطبخ النحاسية** ،وهذا ما ذكره هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م)؛حيث أشار إلى أن سكان مدينة الجزائر كانوا يستعملون أواني من النحاس من أجل الطهي، والطبخ لأنها كانت أكثر عمرا من تلك المصنوعة من الطين "الفخار"[6].

---

[1] صفية بوزغران، المرجع السابق، ص.30

[2] Laugier de Tassy , histoire du..., p.118

[3] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.92 أنظر أيضا :Laugier de Tassy , histoire du…, p.118

[4] Laugier de Tassy, Op.cit., T.1, p.189

[5] صفية بوزغران، المرجع السابق، ص.34

[6] « Topographie… » In :**R.A.**, T.15, 1871,p. 208

و نجد في أحد عقود تقسيم التركات – الفريضة- من جملة ما تركه المتوفى ،وشمل في عملية حصر الإرث إشارة إلى أواني نحاسية؛ فقد جاء عن ذلك ما نصه:"..... وأحضرت الزوجة المذكورة بين يدي من ذكر وبمحضر اول {كذا}شهيديه ما وجد وقتئذ{كذا} من الأسباب والأثاث و أواني النحاس عن بعلها المذكور...."[1].في حين ذكر دان في القرن 11هـ(17م) وجود ،واستخدام سكان مدينة الجزائر للأواني الفخارية بل وأكد أن أواني سكان مدينة الجزائر لم تكن إلا من الصلصال، أو الطين ،وأن الملاعق كانت كلها من الخشب ،وبطول قدم واحدة[2].

و كانت الأواني النحاسية مصنوعة من النحاس الأحمر الذي أصله مقصدر تطرق و تنقش وكانت **الأوعية** ،و **الصواني** المنقوشة، و المزخرفة بأشكال هندسية متنوعة متقنة الإنجاز.كما كان يمكن أن ينقش عليها آيات قرآنية، وأدعية...الخ تصلح في مناسبات الحفلات و الولائم، وكذلك **أواني الكسكسي** ،وهي عبارة عن أطباق عميقة ذات أغطية مخروطية الشكل واسعة الفوهة ،و مزركشة بنقوش بارزة على شكل تضاليع، ومزينة بحبات صغيرة ومستديرة[3].

وكانت الأيدي تغسل قبل الأكل، و بعده في صحاف، بينما كان الماء يصب من أباريق جميلة الصنع .كما كانت توجد صواني مترفة ،ورائعة من النحاس المنقوش، والمزخرف ذات اللون الأحمر المخضر التي كانت توضع على المائدة لتزينها[4] ؛وهذا ما أشار إليه لوجي دو تاسي حين ذكر أن الأشخاص ذوي مقام أعلى كانوا يستعملون طاولة دائرية ومنخفضة-المائدة – مغطاة بطبق من النحاس المنقوش[5].

---

[1] الوثيقة رقم 31: " تقسيم تركة احد المتوفين على يد ناظر بيت المال"،تاريخها أوائل شهر ربيع الأول 1101 هـ/ 1688 م من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر أنظر أيضا : الوثيقة رقم14في العلبة 141،المصدر السابق

[2] DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., p.282

[3] وزارة الإعلام و الثقافة، متاحف الجزائر صور من الماضي، سلسلة الفن و الثقافة، الشركة القومية للنشر و الإذاعة، يناير 1976 ،ص.116.

[4] André Ravérau, Op.cit., p.175

[5] Laugier de Tassy, Op.cit., T.1, p.190

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حرفة تصنيع النحاس كانت من بين أهم الحرف التي ازدهرت في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني والتي استفادت من التأثيرات العثمانية والمشرقية التي تمازجت مع التقنيات المحلية لتعطى لهذه الحرفة طابعا خاصا ومميزا[1].

و حسب ما ذكره هايدو في القرن 10 هـ(16 م) كان سكان مدينة الجزائر لا يستعملون في بيوتهم أي نوع من شراشف الموائد المصنوعة من الكتان ،أو القماش المذهب، و إذ كانت ترد ضمن غنائم عمليات الجهاد البحري فإنهم كانوا يعيدون بيعها للتجار المسيحيين،-، وكانوا يكتفون بإحاطة المائدة بمنشفة كبيرة من القماش كانت تستعمل من طرف كل الجالسين حولها ، و هذه الممارسة تندرج ضمن التأثيرث العثمانية وذكر أنه أيضا أنهم لم يكونوا يستخدمون مزهريات من الذهب، و الفضة ،و تبرير ذلك بحسب رأيه هو أنهم يعتبرون القيام بذلك بمثابة إثم لأن دينهم يحرمه و فيما عدا ذلك فإنهم لم يكونوا يعرفون ما معنى الرفاهية من هذا المنظار ؛أي امتلاك مزهريات، و أواني من الذهب، و الفضة[2].

و هذا ما ذهب إليه لوجي دوتاسي حين قال :*" لست تري هنا [أي في مدينة الجزائر] إلا القليل جدا من الأواني الفضية ،وأحيانا لا توجد مطلقا ،ولا تستعمل الشوك مطلقا والملاعق من الخشب، و ليس لديهم إلا مزهريات من الطين " الفخار" مع بعض الأطباق الكبيرة"* [3]. وكان الأغنياء من سكان مدينة الجزائر يستخدمون **مزهريات** ،و **أباريق** مصنوعة بدقة و إتقان ذات زخرفة جميلة ،و ملونة و التي كانت تستورد من تركيا ،إلى جانب

[1] وتذهب الباحثة لوسيان قولفين في مقالها عن الإرث العثماني في الميدان الفني في شمال إفريقيا إلى القول أن جل الأدوات النحاسية المختلفة التي كانت تصنع في مدينة الجزائر ،وقسنطينة ،وتلمسان مثل : القدور ،ومحابس الحمام ،والصواني ،وأنية تحضير القهوة: "الأباريق "تم استوحائها بوضوح من النماذج المشرقية ؛التي يبدو أنه تم جلبها من طرف الإنكشارية إلى الجزائر ؛حيث لانجد في هذه النماذج إلا إختلافات قليلة مع تلك المعروفة حينها في الأناضول و في البلدان ؛التي كان يحكمها العثمانين مثل: بلاد الشام ومصر ،وطربلس الغرب ،وتونس إلخ فالزخارف التي تزينها عثمانية مثل زهرة التوليب "الاله " وكانت تتواجد على كل النحاسيات.
Golvin Lucien, Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord. In: **Revue de** Les Ottomans en Méditerranée - Navigation, "**et de la Méditerranée**, **l'Occident musulman** Numéro 39, 1985., p.214 référence numérique : doi :ttps://doi. org/ 10.3406 ,"diplomatie,commerce /remmm. 1985.2075 https://www.persee.fr/doc/remmm_0035-1474_1985_num_39_1_2075
وقد خصصت عدة دراسات أكاديمية لهذا الموضوع وبخاصة الأثرية منها والتي وانطلاقا من دراستها للخصائص التقنية،و الفنية التي تميز التحف المعدنية، والنحاسية بالدرجة الأولى المتواجدة بالمتاحف والعائدة للفترة العثمانية تمكنت من استخلاص مختلف التأثيرات العثمانية في مجال حرفة وصناعة النحاس من حيث التقنيات المعتمدة فيها،والمؤثرات الرمزية أنظر على سبيل المثال الدارسة الآتية:آيت سعيد نبيلة ،التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة دراسة أثرية فنية ، ماجستير في الآثار الإسلامية إشراف د.بوبحياوي عز الدين ،معهد الآثار،جامعة الجزائر السنة الجامعية 2008 -2009

[2] Haëdo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15, 1871,p.208
[3] Op.cit., T.1,p.190

استخدام أواني خزفية [1]. و إلى جانب ما ذكر سابقا كانت تتواجد **مباخر** ، و **أباريق القهوة**، و**الشاي** و غيرها من الأواني والآنيات المتعددة الاستعمالات؛ و في الختام يمكن أن نستخلص أن الأثاث ،و الفرش في مدينة الجزائر متنوعا يخدم الحياة اليومية لسكان المنزل صغارا و كبارا ؛فقد كان يتماشى إلى جانب ذلك مع العادات و التقاليد الصميمة للعائلة و التي تستمد أصولها من الحضارة الإسلامية إلى جانب مراعاة الاستغلال الأمثل لكل ركن من أركان البيت.

ولابد من ذكر صفة ،أو خاصية معمارية عمرآنية ميزت منازل مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني في تلك الفترة و هي ظاهرة **الرفوف الجدارية**؛ التي كانت عبارة عن أماكن غائرة جميلة الشكل في الجدار ،و كانت ميزة معمارية من شأنها الاقتصاد في مساحة الغرف، و تسهيل عملية ترتيب الأدوات المختلفة من **أطباق** ،و**صواني** من النحاس ،و**فناجين خزفية** و**مزهريات** براقة مصنوعة من الزجاج بكل اتقان ،وعدة أشياء أخري ،ويضاف إلى ذلك دورها التجميلي والتزييني فقد كانت بمثابة واجهة لعرض الأواني ،والأدوات الأجمل في الدار وقد أشار إليها لوجي دو تاسي بوصفها عبارة عن حفر مصقولة في الجدار كانت توجد بالقرب من النافذة حيث كانت توضع أدوات المائدة كالصحون والملاعق[2].

و مما سبق ذكره نستخلص أيضا أن جميع الفرش،و الأثاث في مساكن مدينة الجزائر كان موزعا بتنظيم على مختلف الغرف كل حسب دورها بالإضافة إلى مراعاة عدة شروط كسهولة الحركة والتنقل في أرجائها؛أي الحرص على عدم وضع أثاث يعرقل الحركة، و توفير الراحة لأهل المنزل و خدمة بعض النواحي الشكلية، فمثلا، استخدام الرفوف الجدارية كان يضفي إحساسا بعلو و ارتفاع سقف الحجرة.

[1] Haëdo, (F.D), "Topographie …", In:**R.A.**, T.15,1871, p.208
[2] Laugier (de Tassy), Op.cit., T.1, p.190

الفصل السادس المرافق الترفيهية

1-المقاهي

2-الحدائق

3- المساكن الريفية "الدويرات

الفصل السادس المرافق الترفيهية

يعد الترفيه ،والتسلية تعبيرا عن حاجة الإنسان للترويح عن نفسه، والتخفيف من عناء الأعباء والأشغال اليومية، وما تتطلبه من المرء من تركيز، وجهد ،ويسمح للمرء بتجديد طاقته للخوض مجددا في غمار العمل ،والانشغالات اليومية ،ولتحقيق هذه الغاية المنشودة لابد من توفر مرافق ومنشآت ،و فضاء يتوفر على وسائل تسمح بتحقيق ذلك كالمقاهي،والحدائق ،و الدويرات في الفحوص.

فما كان حظ مدينة الجزائر من هذه الأخيرة، و فيما تمثل دورها في الحياة الاجتماعية؟

1-المقاهي :

كانت المقاهي من المعالم البارزة في مدينة الجزائر،ولاسيما في ظل غياب الساحات عمومية و الحدائق؛فقد كان من الضروري إيجاد فضاء ليجتمع فيه السكان خارج إطار الاجتماعات الدينية، والعلمية في المساجد.

فحققت المقاهي هذه الغاية المنشودة ؛إذ كانت بمثابة محطة للاجتماع لتبادل الأحاديث ومناقشة الأعمال،وإبرام الصفقات ،والاستماع إلى الأخبار، والاسترخاء لبعض الوقت و كانت هذه المقاهي في أغلبها عبارة عن دكاكين، أو حوانيت شبيهة بالأخرى محاطة بمقاعد، ومفروشة بزرابي،وحصائر،مزودة في أقصاها بفرن صغير "كانون" كان يحضر فوقه القهواجي أباريق القهوة على الجمر في حضرة الزبائن[1].

وتواجدت في مدينة الجزائر إلى جانب المقاهي التي كانت تقام في الحوانيت ثلاث مقاهي بنيت خصيصا لهذا الغرض إذ كانت عبارة عن قاعات كبيرة مبلطة بالرخام[2]،ومبردة باستمرار بعين أو نافورة موجودة في وسطها، وكان مدخلها مزينا بآنيات الزهور،والنباتات العطرية مثل مسك الليل، والياسمين.

و كانت المقاهي منتشرة بكثرة في داخل أسوار المدينة ،وتحتل أماكن جيدة كملتقى طرق أو نوع من الأسطح التي كانت تطل على البحر؛ حيث يستمتع المترددون عليها بمنظر البحر البديع وهم يرتشفون القهوة [3].

---

[1] Albert Devoulx, EL Djazair…, p.159

[2] Stéphen Déstry, Histoire D'Alger Depuis les tempes les plus recules jusqu' à nos jours, Edition mamae , Tours ,1843,p.25

[3] Mahfoud Kaddache, la casbah ,mémoire…, p.87

كما كانت المقاهي مبعثرة في فحوص المدينة ؛فقد كانت مقاهي المدينة تجلب الزبائن والمستهلكين خاصة في فصل الشتاء في حين أنه في الفصول الجميلة المشمسة ؛أي في الربيع والصيف كانت تلك الموجودة في الريف هي التي تجلب ،وتجذب الرواد[1].

وقاعات مقاهي الفحوص كانت مبلطة بالرخام، ومصطبتها مظللة بالقصب، و النباتات وكانت أرضيتها ترش باستمرار بالماء ؛الذي كانت توفره عين دائمة الخرير، والجريان موجودة بالقرب من المقهى قصد المحافظة على جو لطيف وبرودة محببة.و كان هدوء الريف، والفحوص من الميزات، والحوافز الهامة التي كانت تجعل من المقاهي ركنا لا يمكن تجاهله، وعدم قصده؛ فقد كان محطة للمسافرين القادمين من داخل البلاد، وملجأ للحضري المتعب المنهك الباحث عن الراحة، والسكون[2].

وشكلت المقاهي الفضاء الأمثل للاجتماع ضمن نسيج مدينة الجزائر كان يرد إليها السكان من كل الفئات، ومختلف المراتب ثلاثة مرات ،أو أربع مرات في اليوم ليرتشفوا القهوة، ويدخنوا الغليون أو النرقيلا أو النرجيلة جالسين على مقاعد، أو بكل بساطة ،وعفوية على الحصائر و الزرابي بطريقة مريحة ؛حيث كان يقضي المرء وقته بكل سرور في جو من الاسترخاء وسط جمع من الأصدقاء بعد تعب العمل كما كانت المقاهي بمثابة ملاجئ يسمح للزبون بنسيان مشاكله و انشغالاته المهنية،والعائلية لبعض الوقت، وذلك في كل أوقات الصباح ،والمساء[3].

وإلى جانب استمتاع رواد المقاهي حينها باحتساء القهوة، والاسترخاء في جو من الهدوء،والسكينة، فإنهم كانوا يحضون بفرصة للترفيه عن أنفسهم عن طريق لعبة الضامة ،والشطرنج التي كانت معروفة وشائعة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر، ولم تكن تلعب بهدف الرغبة في الربح ،ولكن لقضاء وقت ممتع ؛حيث أن نتيجة، أو حصيلة عدة انتصارات كثيرا ما كانت تقتصر على بعض التبغ أو فناجين قهوة ،أو الشربات[4].

لأن الرهان محرم شرعا في الاسلام، وفي بعض الأحيان أثناء اللعبة، وكدليل على الهزيمة كانوا يثبتون ويعلقون على عمامة المنهزم غصين شجرة عكس ماكان يجري في أوروبا ؛حيث لم يكن

[1] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …,p.119
[2] Ibid.,p.119
[3] Ibid.,p.119
[4] Laugier de Tassy , Op.cit.,T.2 , p.125

اللعب ،والمقصود به المراهنة، والقمار عيب ،أو آفة مجموعة، أو فئة معينة من الأمة، أو الكبار فيها على وجه الخصوص دون الصغار ،ولكنه كان ينتشر في كل الأوساط الاجتماعية محدثا بذلك فوضي لانهاية لها في المجتمع[1].

ونستخلص مما سبق أن هذه الآفة التي يعاني منها بعض أفراد مجتمعنا اليوم ليس لها سند تاريخي فضلا عن حرمتها دينيا ؛فهي إذا داء دخيل عليه يمكن اعتباره من مخلفات الاحتلال الفرنسي.

كما كان رواد المقاهي يتمتعون بألحان الموسيقي الهادئة التي كانت تستخدم فيها الآلات الموسيقية المختلفة كالكمان، والمندولينة الإيطالية،ومزمار به ثماني ثقب، والدربوكة التي كانت عبارة عن آنية من الفخار المغلفة بالجلد ؛حيث كان الحاضرون ينصتون في إعجاب كبير وهدوء تام لأغاني المغني[2] ؛الذي كان يتغنى فيها بالأشعار الأندلسية التي يتم التغني فيها بجمال الأندلس وطيب مناخها ولذة عيشها ،وكان يطبع الأنغام البهجة، والسرور، بالإضافة إلى أنه كان يتم التأسف في بعضها على الأندلس، وسالف أيامها الخوالي من خلال أنغام شجية مؤثرة[3].

وكل ذلك على ألحان الموسيقي الأندلسية ،ونوباتها العديدة –ففي مدينة الجزائر كانت هناك أربع وعشرون نوبة أندلسية أصلها من غرناطة، و مالقة ،و اشبيلية منها7 **أصلية** هي: **الجاركة والصيكة،والموال،والعراق،والرمل الماية،والزيدان،و المزموم** وهي الباقية إلى اليوم، و في هذه الفترة كانت فرق الأندلسيات المركبة من عشرين، أو ثلاثين شخصا كثيرا ما تسمع في المقاهي الجزائرية[4].

فقد كان الغناء الأندلسي ذو نغمات لذيذة،وعذبة تدغدغ المشاعر الحساسة المرهفة إذ كانت معظم أنغامها حية، وكان العزف فيها يتم اعتمادا على الذاكرة ،وليس نوتة يتعلمها العازفون،وكان المستمعون إليها يستمعون ساعات طوال دون إحداث أي ضجيج[5].

---

[1] Ibid., T.2,p.125

[2] LESSORE (E),WYLD(W),Op.cit., planche V voir aussi Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p.119

[3] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ..."، صص.364-365

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.102

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء2، ص.457

و كانت المقاهي تتيح لروادها أيضا فرصة الاستمتاع بسماع القاص الذي كان يروي لهم بين الحين والأخر قصة من التراث العربي الإسلامي ،و في غالب الأحيان كانت القصة ممزوجة بنكت ،ونوادر ترسم البسمة على شفاه المستمعين فضلا عن أشعار من الشعر الملحون،وكل ذلك كان يساهم في جعل الوقت يمر بسرعة[1].

وإلى جانب العروض الموسيقية كانت تقدم في المقاهي أيضا عروض ترفيهية، ومفيدة في آن واحد "للقراقوز"التي تعتبر نوعا من التشخيص المسرحي يعرف بالقراقوز الذي يعني العيون السوداء في اللغة التركية، وكان يشكل الوجه الرئيسي في مسرح الظل أو مايعرف أيضا بحبال الظل،وربما يعود أصله إلى الصين،أو السند، وشق طريقه باتجاه الغرب من طرف القبائل التركمانية ويفترض أنه ظهر في بورسا خلال عهد أورخان ثاني سلاطين بني عثمان[2].

والقراقوز كان عبارة عن صور لعرائس كبيرة مصنوعة من الجلد الشفاف كانت تحمل عن طريق العصافير الورقية ،وتلصق بها الخيوط ،وتوضع خلف شاشة من الورق تكون مضاءة وكان موضوع العروض يتنوع بين النكتة البالغة الإضحاك،و الانتقاد السياسي اللاذع من خلال تقليد الرسميين الكبار...الخ[3].

كما يعد القراقوز في نفس الوقت شكل موسيقى متميز يعبر عن انفعالات النفس،وقد كان بمثابة موسيقى ترفيهية للعثمانيين[4]،و سرعان ما أصبحت تشكل بدورها وسيلة من وسائل تسلية الناس في مدينة الجزائر،ودفع الضجر عنهم[5].

وظلت عروض القراقوز تقام حتى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال شهر رمضان ولكن سرعان ما عمدت سلطات الاحتلال على منعها وتحديدا سنة 1843م بحجة أن هذا النوع من العروض لم يكن الهدف منها سوى السخرية من جنودها ، والاستهزاء بها والحقيقة

[1] LESSORE (E), WYLD (W) ,Op.cit, Planche V voire aussi Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p.119

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.102

[3] المرجع نفسه، ص.103

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 102

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ، الطبعة الثانية 1985 م، الجزء1 ، ص.156

أنها أدركت أن مصارعة القراقوز للجنود الفرنسيين لم تكن إلا محاكاة للحقيقة المتمثلة في مقاومة الأرياف للوجود الأجنبي[1]. وهكذا تحول القراقوز الذي يعد من المؤثرات الفنية العثمانية في مجتمع مدينة الجزائر إلى وسيلة من وسائل المقاومة على غرار البراح خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي.

ونعود لنقول أن القهوة كانت من أحب ،وأهم المشروبات في مدينة الجزائر ؛حيث ذكر دان في القرن 11 هـ (17م)ولع سكان مدينة الجزائر بشرب القهوة؛ وأن أهم تسلية لديهم تمثلت في عادة الاجتماع بدءا من الصباح في الشوارع الكبيرة أين كان يوجد التجار ،والباعة وفي الساحات ؛حيث كان يتم نصب البازارات ،والأسواق هناك على حافة مدخل الدكاكين كانوا يتبادلون الحديث، وهم يرتشفون القهوة في فناجين صغيرة من البرسولان أي من الخزف الصيني ،وكانوا يقضون في ذلك ثلاثة ساعات في اليوم[2].

وعرف دان القهوة بكونها نوع من المشروبات سوداء اللون مثل الحبر ،وأشار إلى أن البعض كان يسمي القهوة بالعشبة المقدسة بسبب ميزاتها النادرة، وعن طريقة تحضيرها ذكر أنه كان يتم تجفيفها-وفي الواقع كان يتم تحميص حبات القهوة، وليس النبتة في حد ذاتها - ثم تحويلها إلى غبرة، أو مسحوق كان يترك لينقع في الماء الساخن، ثم كان يتم تناولها بجرعات صغيرة، موزعة على عدة مرات- أي ارتشاف القهوة-، وكان يحرص على تناولها ساخنة قدر المستطاع وأضاف أنه كان لهذا المشروب عدة محاسن لدرجة أنه يدخل البهجة للنفس، ويطرد الغازات التي تظهر بعد الشرب ،والأكل ،أي أن القهوة مفيدة جدا في الهضم ،وتقوي الجسم والعقل- ويبدو أن الأب دان قد أدرك مفعول القهوة التنشيطي- و أضاف أن المقاهي كانت توفر هذا المشروب المحبب[3].

ووصف دان للقهوة بهذا الشكل دليل على أن هذا المشروب الذائع الصيت في مدينة الجزائر،وبلاد المشرق، والمغرب ككل لم يكن معروفا ،ومنتشرا بعد في أوروبا بما في ذلك فرنسا

[1] أبوالعيد دودو ،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 -1855)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1975 ص.35

[2] Op.cit., pp.282-283

[3] Ibid.,p.283

التي أدخلت القهوة إليها حوالي سنة 1643م في حين بدأ استهلاكها بصورة فعلية بعد بضع سنين من هذا التاريخ ،و أول مقهى ظهر بها كان في مرسيليا حوالي 1654م[1] ؛ثم في باريس حوالي سنة 1672م ؛حيث تطور استهلاكها في باريس.

وفي النهج الذي يمتد من باب الوادي إلى باب عزون؛ أي نهج السوق الكبير كانت تتواجد أكثر مقاهي مدينة الجزائر الغاصة بالرواد؛حيث ذكر روكفيل في القرن11هـ(17 م) أن الأغلبية من المصلين بعد خروجهم من المسجد كانوا يذهبون لشرب القهوة التي كانت عبارة عن مشروب أسود كالحبر،و الذي كانوا يشربونه مغليا،وساخنا في فناجين صغيرة من البرسولان –الخزف وكثيرا ما كانت هذه الأخيرة محاطة بحامل من المعدن النحاس- جالسين على حصائر من الحلفاء[3].

و إلى جانب القهوة كانت المقاهي تقدم الشاي الأخضر المعطر بالنعناع، وإن كان هذا المشروب قليل الرواج بالمقارنة بالقهوة التي أدخلها العثمانيون إلى مدينة الجزائر فكسبت قلوب سكان مدينة الجزائر، وصارت أحب مشروب لديهم كما أن بعض الزبائن كانوا يرشون قهوتهم أحيانا ببعض القرفة لإعطائها نكهة خاصة.

و كانت المقاهي منتشرة في كل أرجاء المدينة ،ولكن أهم المقاهي كانت تتركز بشكل أكبر على جانبي الطريق المؤدي إلى الميناء لدرجة الحديث أحيانا عن حي المقاهي، في حين أن الكثير من المقاهي خاصة في الواقعة منها في القسم الأعلى للمدينة لم تكن إلا فتحات ضيقة في سمك الجدران لا تتجاوز ستة أقدام مربعة. وفيما يلي إشارة إلى نماذج عن أهم مقاهي تلك الفترة:

1-قهوة الدروج وقهوة لعريش:

كانت قهوة الدروج تقع أعلى جامع كتشاوة بقليل، وكانت توجد مقهي أخرى بالقرب من حصن الإمبراطور ؛ أي في ضواحي المدينة عرفت **بقهوة لعريش** وسميت كذلك نظرا لأشجار الصفصاف المحيطة بها -على طريق قسنطينة –وتميزت هذا المقهى أيضا بالعين التي الحقت بها ويعد هذا المقهى نموذجا للمقاهي التي كانت متواجدة في الفحوص[2].

[1] café, Collection Microsoft ® Encarta ® 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation disque n°2
[3] ROQUEVILLE (S. de),Op.cit.,pp.67-68
[2] Office Riad el feth,Op.cit.,p

2-القهوة الكبيرة:

وكانت هذه التسمية تطلق على المقهيين اللذين تواجدا في شارع باب الجزيرة ،واللذين كانا بمثابة معلمين عمرانيين فنيين متميزين؛ إذ لم يكونا مثل بقيت المقاهي في المدينة التي كانت عبارة عن مجرد دكاكين، أوحوانيت لم تعد خصيصا لتكون مقهي في حين أن المقهيين المعروفين بالقهوة الكبيرة كانا مبنيين خصيصا ليؤديا هذا الدور؛فقد كانا مبلطين بالرخام،و مزينين بأعمدة من نفس المادة،و كانا يمتلكان سحرا خاصا يجذب الزبائن، ولاسيما الأقدم منهما[1].

فقد كان الأشهر في مقاهي مدينة الجزائر ليس لجودة قهوته ،وأفضليتها التي كانت نفسها في كل المقاهي ،ولكن لشكله؛حيث كان الزبون يلج مدخل المقهى ليجد نفسه في قاعة مربعة،و مزينة في قلبها بنافورة ماء رائعة التصميم والزخرفة،وآنيات من الياسمين كانت تخفي قاعدة الأعمدة التي كانت تحمل رواق الطابق العلوي هذه الساحة الداخلية كانت تستطال برواق مزدوج محمول بأعمدة صغيرة وجميلة من الرخام تتخللها مقاعد، أو مصطبات مغطاة بحصائر من الحلفاء ،وطاولات منخفضة ؛أي موائد دائرية، أو بيضاوية ،وصواني نحاسية كانت موزعة هنا ،وهناك[2].

وكانت القهوة تحضر في فرن كان عبارة عن فوهة في سمك الجدار عريضة بحوالي متر وخمسين ومسودة بسبب الدخان ، و فوق رف مرتفع كان يتم الوصول إليه عن طريق درج صغير مغطى بقطع من الزليج اللامع كانت توضع عدة أباريق من الحديد الأبيض ذات مقبض طويل وأخري أصغر منها، وأكثر أناقة، حيث كانت في أغلب الأحيان من الخزف المطعم بالنحاس،و كانت هذه الأخيرة تستعمل لسكب القهوة للزبائن في القاعة في حين كان مخزون الوقود من فحم وخشب موضوعا على الأرض[3].

2- الحدائق :

كانت الحدائق، والبساتين في فحوص مدينة الجزائر من معالمها البارزة و تحيط بها فتزيدها جمالا، ورونقا بخضرتها، وقد أشاد جميع من كتبوا عن هذه الفترة سواء كانوا أسرى أو رجال دين، أو رحالة بهذه البساتين.

[1] Albert Devoulx, EL Djazair..., p.229
[2] BOYER (Pierre), la vie quotidienne …, p.212
[3] Ibid.,p.213

وشكلت البساتين أيضا مصدرا هاما للغذاء بالنسبة لسكان مدينة الجزائر ؛ فقد كانت منبعا للخضر، و الفواكه، و اللحوم المتنوعة أيضا ؛حيث كانت تربى عليها قطعان من البقر،والغنم وحتى بعض الدواجن[1]؛ التي كانت ترد إلى المدينة يوميا على ظهور الدواب لتباع في أسواق باب عزون والباب الجديد بأثمان زهيدة لتوفرها[2].

ونجد إشارات إلى هذه الفحوص ،والبساتين في الوثائق العائدة إلى الرصيد العثماني وبالضبط في سلسلة المحاكم الشرعية ،وعلى سبيل المثال ما ورد في العديد من الوثائق التي تتناول تقسيم التركات والوقف ومن نماذجها نذكر :

1-"بعد أن استقر على ملك المعظم الحاج علي البحار ابن سليمان المذكور في الرسم الملحق بالرسمين ... جميع أشجار الجنة والبحيرة الكاينتين بالحامة خارج باب عزون واحد أبواب [كذا]محروسة الجزاير [كذا] "[3].

2- ".....الجنة الكاينة بفحص بئر الطريلية خارج باب الجديد احد أبواب الجزائر المحروسة أمنها الله المجاورة لجنة الفاسي الشهيرة بمالكها السيد محمد القوجيلي خلف أيضا موروثا عنه أرضا للحراثة على مقربة من وادي أم زفران{يعرف حاليا بوادي مزفران} معظمها بالابتياع وبعضها بالهبة من أمه الولية فاطمة ....."[4].

3-".....خلف جميع الجنة الكاينة بتاجورات خارج باب عزون احد ابواب مدينة الجزائر جميع السبعة أزواج ونصف الترابية المعدة للحراثة {أي حوش}....."[5].

4- "..... وجميع الجنة الكاينة بفحص زغارة خارج باب الواد ..."[6].

---

[1] HAEDO, (F.D), « Topgraphie….. », In:**R.A.**, T.14, 1870, p.491 voir aussi Gramaye, Op.cit., p.88

[2] عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص.297

[3] الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن رسم فريضة ارث و بينات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر "في العلبة18-1 تاريخها 1101 (1689م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] الوثيقة 1 في العلبة 123 ،المصدر السابق

[5] الوثيقة رقم 6 في العلبة124،المصدر السابق

[6] الوثيقة رقم 4 "رسم استبدال وقف بآخر "في العلبة10-2 ،تاريخها اواخر شهر صفر الخير من عام1105 هـ-(1694م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

5- "..... جميع عناء الجنة الكاينة بفحص خنيس خارج باب عزون أحد أبواب مدينة الجزاير {كذا}....."[1].

6-"..... وقد ترك جميع الجنة الكاينة بفحص حيدرة ....."[2].

وكانت الفحوص امتدادا ضروريا لا غنى عنه لمدينة بلا حدائق ،وبساتين مختنقة في أسوارها.[3]وقد تحدث مرمول في القرن 10 هـ(16 م) عن تلك الحدائق ،والبساتين الغناء التي كانت تحيط بأسوار مدينة الجزائر، و التي وصفها بالرحبة، والفسيحة[4].

وذكرها هايدو بدوره في أواخر القرن 10هـ (16 م) بقوله أنه مباشرة بعد الخروج إلى الريف "الفحص"كانت تقابل المرء المناظر الممتعة، والجميلة التي تثير إعجاب الناظرين، وتدخل السرور إلى النفوس؛حيث كان يتبادر إلى الأعين جمال منظر العدد الكبير من أشجار الكروم، والحدائق البديعة التي كانت تحيط بالمدينة ؛حيث لم يكن يرى من كل جانب إلا أشجار البرتقال والليمون والأترج، وأشجار من كل نوع، وصنف، فضلا عن كمية كبيرة من الأزهار خاصة الورود التي كانت تزهر خلال كل أيام السنة، وسط نباتات خضراء، والخضر، والبقول[5].

وأضاف هايدو أيضا أنه لم تكن توجد حديقة واحدة من هذه الحدائق ، والبساتين التي كانت تحيط بأحواش الطبقة الغنية خارج مدينة الجزائر في الفحوص ،لا تتوفر على عبد، أو عبدين مسيحيين للعناية و الاهتمام بها، و بالمنازل الريفية المبنية عليها بل والكثير من هذه الحدائق كانت تشتمل على 4، أو 5،أو حتى6 عبيد، أو ربما أكثر للقيام على شؤونها [3].وهذا ما ذهب إليه الأب دان خلال القرن 11 هـ(17م)[6].

---

[1] الوثيقة رقم35 ،في العلبة124 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم37 " في العلبة 124، المصدر السابق

[3] Corinne chevallier, Op.cit., p76

[4] MARMOL (Luis Del CARVAJAL) Op.cit.,Tome 2 ,p.401

[5] Haedo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.462

[3] Ibid., p.463

[6] وتجدر الإشارة إلى عمل بعض الأفراد من جماعة القبائل في العناية، والاهتمام بالحدائق، والحقول، وأشجار الكروم المتواجدة بالفحوص. أنظر:

Haedo, (F.D),« Topographie….. »,In **:R.A.,** T.14,1870, p .492 voir aussi Gramaye (J.B) Op.cit., p.90

ومن أمثلتهم الأسير دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys) في القرن11هـ (17م) الذي ذكر أن مالكه ،أو سيده الأول في مدينة الجزائر المدعو خوجة علي الكاتب العام –سكريتار- الديوان قد كلفه بخدمة بستانه ؛حيث قال أنه أمره بالذهاب مع غيره من الأسري العبيد لفلاحة وخدمة ،وزراعة جنانه[1]؛ أي أن هذه البساتين كانت تتمتع بالعناية والاهتمام من طرف ملاكها ،وهو ما نستدل عليه من خلال ماورد في رسم تركة عند تعرضها بالحديث إلى ما ينبغي إخراجه من تركة المتوفى من مصاريف،ذكر أجرة من خدم واعتنى ببستانه و أشجاره :"... ...وخرج منها .....وفي زبر وخدمة في الجنان ....."[2].

و من سكان مدينة الجزائر الزواوة ،والأندلسيين من تخصصوا في العمل في هذه البساتين، والحدائق وتحديدا في البحاير ،وهي الأراضي المخصصة لزراعة الخضر، والحبوب [3] ؛وعرفوا بالبحارين، ومفرده بحار نسبة للبحيرة وهي الأرضي المخصصة لزراعة الخضروات؛ وقد وردت إشارات إليهم في وثائق المحاكم الشرعية ومن نماذج ذلك ما ورد في أحد عقود البيع، والشراء :".....حضر الأن بمحضر شهديه الحاج محمد بن بنون المذكور وباع من صهره المعظم الحاج محمد البحار ابن ابراهيم عرف بوشمايم جميع النصف شايعا من عناء الجنة المذكورة بما لها من حد وحق ....."[4].

و كانوا يدفعون ضريبة على نشاطهم ،وهذا ما تبين لنا من خلال قانون أسواق مدينة الجزائر وأنهم كانوا موزعين على بحاير على حسب موقعها بالنسبة لكل من فحوص باب الواد،وباب عزون، فوجد بحار باب الواد، وبحار باب عزون[5].

و كانوا يتقاسمون العمل فيها وفق تقسيم محدد وقد يكون معيار تقاسم العمل هو عدد البحاير التي كان يستغلها كل منهم حسب ما نتبينه من الخلاف الذي شب بينهم حول هذه المسألة ؛وقد ورد في ذلك الخلاف ما يلي :".... شهادة على بابا أحمد ضاي {داي }امشاوا

---

[1] Op.cit, In:**R.A.,** T.12, 1868, p.27

[2] الوثيقة رقم 6 في العلبة 124، المصدر السابق

[3] وهذا ما تبرزه إحدى وثائق المحاكم الشرعية وتحديدا عقد تقسيم تركة :"ولأولاد المدجن – المودجار-{الأندلسي}البحار وزوجته اربع سلطانية .....أنظر: الوثيقة رقم14في العلبة 141، المصدر سابق

[4] الوثيقة رقم35 في العلبة124 ،المصدر السابق

[5] مخطوط قانون مدينة الجزائر ،المصدر السابق ،الورقة 76 من النسخة الثانية

البحارين شاكيين امتع باب عزون وباب الواد وامر عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويحت وشيخ البلد ابن النيا وسي محمد الفقير وامرنا نمشوا{كذا} للبحاير باب الواد وشهود من دار القاضي والجماع{الجماعة}صبنا اربعة عشر ابحيرا عند باب الواد عامرين وقال جماعة باب الواد اذا عمرنا {زرعنا }فوق اربعة عشر يأخدهم متاع باب عزون {أي يتنازلون عنها لصالح بحاري باب عزون ليشرفوا هم على فلاحتها وتعهدها}بوفق الأمناء والحساب مولود 1106{كذا} وصلحنا بينهم مع شيوخ البلد يعطيو اهل باب الواد خمس وخمسون { لم يتم تحديد العملة }واهل الحام {يقصد بها فحص الحامة ناحية باب عزون}ميا وخمسة عشر"[1].

وقد تحدث جواؤ مسكغناس(Joâo Mascarenhas) خلال القرن11 هـ (17 م)بدوره عن جمال الحدائق والبساتين المنتشرة عبر فحوص مدينة الجزائر التي كانت على حد وصفه لها أجمل ما رأى خضرة، ونضارة ووفرة من حيث الفواكه، والخضر إلى جانب العيون ،والينابيع ؛حيث كان يمتد حول المدينة على عمق ميلين أكثر من 10 ألاف بستان، ومن شدة تأثره بجمال الحدائق المحيطة بمدينة الجزائر فإنه عقد مقارنة بينها وبين مثيلاتها في مختلف مناطق العالم التي زارها إلى غاية سن الثامنة والثلاثين وهو سنه عندما كان أسيرا في مدينة الجزائر ؛إذ يذكر أنه رأى قسما معتبرا من العالم، وشرع في تعداد وذكر مختلف المناطق التي زارها كالبرازيل،و الموزنبيق عند مدخل البحر الأحمر- على حد قوله- وذكر أنه أقام في كل مدن الهند، واجتاز كل مضيق هرمز، وقصد بلاد الفرس" إيران" في مهام أرسله فيها ملك البرتغال ؛حيث سنحت له الفرصة بالاطلاع على أجمل المدن الإيرانية[2].

كما أنه شاهد بعض مدن منغوليا ،وزار شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن، كما زار جزيرة سان هيلانة، والعديد من مدن لفيورن بإيطاليا،وجزر سردينيا، وكورسيكا ،وميورقة، ومينورقة كما زار مملكة نابولي بإطاليا،ونيس،و السافوا بفرنسا،وبعد أن تم فداءه زار العديد من المناطق الأخرى كمملكة أرغون،و كتالونيا، ومملكة قشتالة بإسبانيا، ومملكة البرتغال أيضا، ويذكر العديد من المناطق الأخرى في مختلف بقاع العالم... ليصل في النهاية إلى الإقرار بأنه لم يرى في حياته أي بلد أكثر ثراء بالحدائق، والبساتين،والعيون،وأكثر إنعاشا،ووفرة بالفواكه،ومختلف المحاصيل الغذائية ذات الأسعار البخسة،وأكثر اعتدالا في جوه،وغنى بالمال،والثروات من مدينة

[1] المصدر نفسه،الورقة 62 و63 من النسخة الثانية

[2] Joâo Mascarenhas,Op.cit.,p. 89

الجزائر[1]،وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية مدينة الجزائر،وفحوصها،ومستوى المعيشة فيها الذي كانت تساهم البساتين،والحدائق في رفعه بما كانت توفره من أرزاق مما أثار إعجاب ودهشة كل من رآها من الأوروبيين.

وقد صاحب هذا الإقرار تعبير عن الروح العدائية تجاه مجتمع مدينة الجزائر مفاده أن سكانها لم يكونوا يستحقون هذه الخيرات ،وهذا الجمال، والدعاء بأن تجعل السماء من هذه المدينة في يوم من الأيام ملكا للتاج البرتغالي[2].

ولاشك أن هذه الأوصاف لجمال مدينة الجزائر ،ولاسيما فحوصها، و تنوع خيراتها الفلاحية التي تكررت في كتابات هذه الفترة ؛أي خلال القرنين10هـ (16م)- 11هـ (17م) قد ساهمت في تغذية الأطماع والرغبة في احتلالها من طرف القوى الأوروبية المسيحية.

و أعجب الأب دان أيضا خلال القرن17م (11هـ) بهذه الحدائق والأراضي الخصبة التي كانت تحيط بمدينة الجزائر، وأشجار الكروم التي غرسها الأندلسيين، وقد كانت هذه الحدائق المحيطة بالمدينة تقدر بـ 18 ألف حديقة حسب إحصاءاته[3]. وهذا ما أكده بيار دافتي دائما في نفس الفترة حين ذكر أن مدينة الجزائر كانت محاطة من كل الجهات بتلال ممتعة وجميلة،وبجبال خصبة كانت مغطاة بحدائق،وجنائن جميلة قدرها بـ 14ألف بستان،وكان لأغلبيتها عين قريبة مع دار مبيضة ينسحب إليها أصحابها من الإنكشارية، ومن بقية سكان مدينة الجزائر المسلمين من الحضر خاصة خلال فصول الفاكهة[4].

و كانت أراضي الفحوص فعلا خصبة ،وطيبة جدا، ومحظوظة بما كانت تتمتع به من ميزات ، إذ أنه وسط أكثر درجات الحرارة ارتفاعا كانت النباتات تبقي على خضرتها،ونضارتها، ويرجع الفضل في ذلك إلى نظام الري، والسقي الفعال الذي زودت به الفحوص؛ فقد كانت الحدائق مروية ومسقية بانتظام، وبغزارة بعدد كبير من العيون والآبار التي كانت تحوي المياه العذبة والصافية كالكريستال، والتي كانت تتدفق من كل جانب[5].

---

[1] Ibid., p.91
[2] Ibid., p.87
[3] DAN (R.Père François Pierre) Op.cit.,p.172
[4] Op.cit.,p.172
[5] Haedo, (F.D), "Topographie …" In;**R.A.**, T15, 1871, p.462

فقد كانت فحوص مدينة الجزائر من بين الأجمل؛إذ كانت جد خصبة ،وغنية بالقمح والخضر،و الفاكهة،والأزهار، فسهولها، وتلالها المزروعة جيدا كانت تمتع الناظر إليها وتسليه فقد كانت تتمتع بخضرة دائمة لأن رطوبة الأرض المروية جيدا، وبشكل دائم كانت تحمي الأوراق من آثار الحرارة في حين كانت رقة الشتاء (اعتداله) تحافظ عليها على الأشجار[1].

وهذا ما ذهب إليه بيار دافتي في القرن 11 هـ(17 م)حين ذكر أن هواء ضواحي مدينة الجزائر كان معتدلا لدرجة أن موجات الحر الكبير لم تكن تؤثر على أوراق الأشجار فلم تكن تذبل أبدا في حين أن البرد لم يكن يجعلها تسقط أبدا كما ذكر أن الماء لم يكن ينقص خارج المدينة ؛حيث كان لكل حديقة بئرها ،ولا بين السهول ،والتلال ،ومنحدرات الجبال؛ حيث كانت الينابيع[2].

وهكذا ارتبطت زراعة الخضر، و الفواكه بنظام الري، والسقي المحكم والمتطور بالمقارنة مع المعارف ،والتقنيات السائدة في تلك الفترة، والذي مكن من إقامة زراعة كثيفة للأشجار المثمرة والخضر، والحبوب،وذلك بفضل مهارة عمال الأرض،وفي مقدمتهم الأندلسيين الذين كانوا يسهرون على فعالية نظام الري المشكل العيون،والآبار،والقنوات،والسواقي،والنوريات والصهاريج كانت أساليب الري ،والسقي المتبعة في الفحوص تتنوع بتنوع طبيعة الأرض ففي الأماكن المنحدرة كانت العيون المصدر الأساسي لسقي الأراضي من بساتين ،وحدائق أما الجهات المرتفعة؛ فكانت تسقى بواسطة السواقي التي كانت ترفع المياه التي كانت تتوزع بعدها عن طريق الأحواض، والصهاريج، أما الجهات السهلية ،فكانت ترفع مياه الآبار لسقي تلك السهول[3].

وقد كان نظام ري، وسقي بديع، وتجسيد للاستغلال الأمثل لمورد طبيعي متمثل في الماء هذا المورد الثمين، في مجال الزراعة، والفلاحة ومن ثم استغلال كل المساحات الصالحة للفلاحة بإيجاد نظام ري يتماشى مع طبيعة التضاريس، ومصادر المياه المتوفرة، وهكذا توفر نظام ري متكامل تتجسد فيه التقنيات السائدة في تلك الفترة، والتي كانت بحق رغم بساطتها فعالة جدا ودليل تكيف سكان مدينة الجزائر الأمثل مع الطبيعة باستعمال تقنيات، ومعارف مناسبة لذلك، تضمن

[1] Laugier de Tassy , Op.cit.,T.1,pp.304-305

[2] Op.cit.,p.172

[3] ناصر الدين سعيدوني " من المظاهر الأثرية المندثرة..." ،صص.76- 77

تحقيق الاكتفاء الذاتي من حيث المحاصيل الزراعية- وهذا ما نفتقده اليوم-.

و إلى جانب العيون ،والسواقي ،والآبار كانت توجد عدة ينابيع تنزل مياهها من أعلى الجبال، والتلال لتتجمع على شكل سيل صغير كان يطلق عليه اسم واد المغاسل ،والذي كان يوجد على بعد حوالي ألف خطوة غرب مدينة الجزائر[1]،وعلى ضفافه كانت توجد الطواحين المائية التي كان يقصدها السكان لطحن حبوبهم[2].

ويشير أحد عقود المحاكم الشرعية ،والذي هو عبارة عن وثيقة تقسيم تركة إلى مسألة استغلال مياه الوديان الصغيرة المتواجدة في فحوص مدينة الجزائر لسقي المزروعات، والأشجار حيث جاءت فيه إشارة إلى واد خنيس الذي كان متواجدا خارج باب عزون؛ أي شرق المدينة في الفحوص والجنائن الواقعة بالحامة:

«..... جميع أشجار الجنة والبحيرة {البحاير كانت خاصة بزراعة الخضر }الكاينتين بالحامة خارج باب عزون واحد أبواب [كذا]محروسة الجزاير [كذا] امنها الله تعلى الشهيرتين بالميور [كذا] في سهم نوبة ونصف النوبة من الماء الهابط من وادي خنيس المبين ذلك في الرسوم.....»[3].

وقد كانت جوانبه محفوفة بعدد كبير من التلال الكثيرة الأشجار المتنوعة، التي كانت تلقي بظلالها، وتلطف الجو لتجعل من تلك الأماكن؛ أي الفحوص مكانا ممتعا للإقامة يزيده جمالا وإمتاعا أنغام العصافير، وتغريدها الساحر[4].

ومن الدلائل على كثرة الخيرات التي كانت توفرها بساتين، وحدائق الفحوص نذكر الدلاع والبطيخ هذه الفاكهة التي كانت متواجدة بفحوص مدينة الجزائر، وأثارت تعجب وإعجاب نيكولا دو نيكولاي سنة 1550م ؛حيث لم يكن يعرف هذه الفاكهة من قبل، ولم يتذوقها فوصفها بأنها فاكهة مدعوة بالباستيك؛أي البطيخ ،والتي كان يأكلها أهالي مدينة الجزائر نيئة دون خبز، أو ملح ،وطعمها حلو، وهي خفيفة بحيث تذوب في الفم مفرزة سائلا

[1] Haedo, (F.D), "Topographie …" In:**R.A.,** T.15, 1871,p.462

[2] MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del) , Op.cit.,T.2,p. 401

[3] الوثيقة رقم9 في العلبة18-1 ،المصدر السابق

[4] Haedo, (F.D), "Topographie …" In**:R.A.,** T.15, 1871, p.463

حلو المذاق مفيدة في تحقيق الانتعاش ،ومحاربة العطش[1].

كما أن دافتي في القرن 11 هـ(17 م) تحدث بدوره عن غني وتنوع محاصيل الفحوص و البساتين المحيطة بمدينة الجزائر حين ذكر أن نهاية فيفري كانت في أغلب الأحيان نهاية الشتاء ،وعندها الهواء الطيب اللطيف كان يجعل الأشجار تزهر ،وفي شهر أفريل تقريبا كانت تنضج كل الفاكهة بحيث أنه خلال شهر ماي كان يؤكل في مدينة الجزائر الكرز ،والعين وفي نهايته التفاح والأجاص،وفي شهر جوان العنب أما التين ،والتفاح ،والجوز، فكان يؤكل في فصل الخريف مع الزيتون الذي كان يسقط من على الأشجار بل ،وعلى حد تعبيره كانت جذوع أشجار الكروم سميكة،وعريضة لدرجة أنه لم يكن في استطاعة رجلين إحاطتها ،وقطفة العنب كانت تبلغ من الطول مرفق {كوع}[2].

و ذكر أيضا أن فحوص مدينة الجزائر كانت تشتمل على أنواع مختلفة من البطيخ والدلاع ؛حيث سجل أنه كان لدى سكان مدينة الجزائر بطيخ شبيه بالذي في بلاده ،ولكنه أطيب مذاقا، وألذ، و الذي كان ينضج بعضه في الصيف، و في حين أن النوع الأخر الذي كانوا يسمونه بطيخ الشتاء كان يؤكل طوال السنة أما بطيخ النوع الثالث؛ فقد كان يذوب في الفم ،ويتحول كله إلى ماء يبرد ،وينعش الجسم بصورة رائعة ،وبطيخ النوع الرابع المسمى روايو(Royaux) فعرفه بكونه كتفاح كبير،وكله مسك حلو المذاق،وأنه ربما الفاكهة المسماة بستيك (الدلاع) الشبيه بقرعهم في اللون، والحجم ،وكل هذه الأنواع كانت تتواجد في التلال، والهضاب والسهول القريبة من مدينة الجزائر أين كانت توجد البساتين والحدائق[3].

ولابد من الإشادة بدور الأندلسيين، وفضلهم الكبير في مجال الزراعة عن طريق تطوير وتعميم نظام سقي،وري فعال لري الفحوص المحيطة بالمدينة[4] –كما تمت الإشارة اليه أنفا– فقد كانوا يقتنون ،و يمتلكون بساتين في فحوص مدينة الجزائر،وهذا ما يوضحه لنا أحد عقود البيع والشراء موضوعه صفة بيع جنان بيرطريلية ؛ حيث يشير إلى تملك الأندلسيين للأراضي جاء فيه :" ... *وباعا صفقة واحدة من الولية عائشة بنت سعد الاندلسي {كذا} جميع الجنة*

[1] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p116
[2] D'AVITY (Pierre), Op.cit., p 172
[3] Ibid., p172
[4] Gramaye (J.B), Op.cit., p.98

المذكورة..... وولت لهما في باقي العدد الذي قدره ثمانمائة دينار من الوصف جميع الجنة الكائنة بفحص ترونت المبيعة بيدها بيع ثنيا تولية تامة فتسلمها {كذا} وملكها {كذا} دونها....."[1].

ونستخلص مما ذكر سابقا أن عائشة الأندلسية بنت سعد الأندلسي قامت باقتناء جنة في بيرطريلية في حين كانت تملك من قبل جنة أخرى أضافتها لاستكمال ثمن الجنة الجديدة التي ابتعتها.

و تبرز مساهمتهم في تطوير النشاط الفلاحي أيضا من خلال تحسين مردود بعض المحاصيل،وتنويعها إذ ينسب إليهم مثلا إدخال عدة مزروعات كالأرز، والذرة، والطماطم وبعض الأنواع من اللوبيا الخضراء، والفلفل[1]؛ فضلا على أن سهول المتيجة،ومرتفعات الساحل القريبة من مدينة الجزائر؛ أي الفحوص أصبحت تشتهر بزراعة الأشجار المثمرة كحب الملوك والأجاص، والتفاح ،وخاصة البرتقال،والعنب[2] بهدف توفير الغذاء لسكان المدينة، واشتهروا أيضا بغرس الزهور، والعناية بها ،وعلى وجه الخصوص الورد ولعل أهم ما أتوا به كما سبق ذكره هو تربية دود القز لإنتاج الحرير.

ودائما في هذا الإطار ذكر لوجي دوتاسي أن أشجار الكروم في فحوص مدينة الجزائر التي وصفها بالجمال، و القدرة الإنتاجية المدهشة يعود الفضل في بداية غرسها إلى الأندلسيين الذين طردوا من غرناطة، فقبل طردهم من هذه المملكة لم يكن سكان مدينة الجزائر يغرسون هذه الشجيرات، بل وكانوا ينتزعون الشتلات المغروسة من طرف المسحيين لتحويل الأرض لاستعمالات أخري[3].

وقد أجمع من كتب عن فحوص ،وضواحي مدينة الجزائر على الحديث عن سهل متيجة فقد ذكر هايدو في القرن10هـ(16م) أن سهل متيجة كان واسعا، وخصبا،و كان يخترقه في الوسط نهر كبير، وكان يوجد على ضفافه عدد كبير من المطاحن التي كانت تستعملها مدينة الجزائر طيلة السنة، و أشار هايدو أيضا إلى أن الكثير من الأتراك العثمانيين، ومن سكان

[1] Saadeddin Bencheneb,"Un Acte de vente…, p. 288

[1] Mahfoud Kadadache, L'Algérie durant…, p.208

[2] ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...،الجزء2 ،صص.139-140

[3] Laugier de Tassy, Op.cit, T.1, pp.307-308

مدينة الجزائر الآخرين كانوا يملكون فيه ملكيات زراعية، و أرضي جميلة كانت تزودهم بكميات وفيرة من القمح، والشعير، والفول، والبطيخ، والخيار، ومختلف أنواع الخضر الأخرى ووتشكية متنوعة أيضا من الفواكه، وكانوا يربون فيها العديد من قطعان الأبقار، والأغنام، وعدد كبير من الدواجن.[1] وقد كان إنتاج هذه القطعان موجها أساسا لتموين مدينة الجزائر بالحليب،ومشتقاته وبالصوف،واللحم[2].

كما كانوا يستخرجون منها في كل سنة مؤن وفيرة من الزبدة، والعسل بالإضافة إلى تربية دود القز في تلك الملكيات لإنتاج الخيوط الحريرية الضرورية لصنع الأنسجة والأقمشة الحريرية وهو الميدان الحرفي الذي برع فيه الأندلسيين في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كما كان سهل متيجة خزانا للطرائد المتنوعة كالحجل ،والأرانب البرية[3].

في حين ذكر دافتي في القرن 11 هـ(17 م) أن سهل متيجة كان لديه نهره الصغير الذي يسقيه ،وأن هذا السهل خصب لدرجة أنه يعطي في أكثر الأحيان مائة لواحد، وينتج مرتان أو ثلاثة مرات في السنة القمح ، والشعير، والحنطة، والعلف فضلا عن الأعشاب، والحشائش التي يقدمها طوال السنة بكمية كبيرة جدا[4].

وقد أشار توماس هس بدوره خلال القرن 11 هـ(17 م) إلى سهل متيجة عند تطرقه لوصف جنان- أقام فيه لبعض الوقت كضيف- كان ملكا لأحد كراغلة مدينة الجزائر ؛فوصفه بأنه جنان جد جميل ، و به دار كبيرة كانت أشغال البناء لاتزال جارية فيها وكان بالجنان الكثير من أشجار الليمون ،والبرتقال الجميلة جدا من حيث جدعها و جزئها العلوي –يقصد كسوتها من أورق وثمار- ،وأشجار لوز، وأشجار السدر ،والرومان ،والتين والتفاح ،والكرز ،والخوخ والتوت الأبيض ،والأحمر ،والبرقوق ، وأشجار السرو بالإضافة إلى العديد من الأزهار وخاصة شجيرات الياسمين ،وشجيرات الورد والكثير منها كان مزهرا وقد ذكر أن هذا المكان كان يقع على الجهة الأخرى من الجبل أي خلف مدينة الجزائر، وأنه يمكن منه التمتع بمنظر جد رائع لسهل جميل كان يمتد هناك، و المؤكد أن المقصود بهذا السهل هو سهل متيجة ،وأضاف توماس هس أنه ذهب بصحبة رفاقه على ظهور الأحصنة إلى المزرعة الصغيرة –التي تعرف في الوثائق

[1] Topographie …" In:**R.A.**, T.15,1871, pp.463-464
[2] Gramaye (J.B), Op.cit, p 88
[3] Topographie …" In:**R.A.**, T.15,1871, p.464
[4] Op.cit.,p.172

المحلية بالأحواش –التي كان يمتلكها صاحب الجنان الكرغلي في السهل ؛حيث تسلوا بمنظر الفلاحين وهم يقومون بأعمالهم وما يؤكد أيضا أن المقصود سهل متيجة أنه شاهد عملية استخلاص الأرز بالاستعانة بالبغال ، وكان الأرز ينمو جيدا في هذه المناطق الرطبة[1] على حد تعبيره؛ حيث اشتهر سهل متيجة بإنتاجه للأرز.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحدائق ،والملكيات الزراعية لم تكن محاطة بأسوار من الأجر أو الحجارة بل بسياج من نباتات الصبار" التين الهندي"،فأوراق هذه الشجرة كانت تكون جذورا فور غرسها في الأرض وتنمو بطريقة مذهلة، نظرا لأن الأرض كانت طيبة، وخصبة لدرجة أنها في بضعة أسابيع تمتد، وتتضاعف بصورة مدهشة ،وكانت تشكل هذه الأخيرة عند تمام نموها ،وتكاثرها حواجز طبيعية لا يمكن اختراقها لسمك أوراقها ،وللأشواك التي تغطي هذه الأخيرة ،وتنمو حولها فاكهة ذات قشرة مخضرة، وسميكة جدا ،وسيئة الطعم، في حين أن لب هذه الثمرة غالبا ذو لون أحمر قاني ،وطعم حلو ،و شكلت هذه النباتات زينة معتبرة للبلاد إلى جانب كونها حواجز توفر حماية أفضل من الأسوار للحدائق ،والبساتين ،و مصدرا للفاكهة المتنوعة[2].

ومما سبق نسجل مثالا حيا لتآلف سكان مدينة الجزائر مع الطبيعة، واستغلالهم الأمثل لها و الدليل على ذلك أنه في الوقت الحالي وفي إطار محاربة التصحر ينصح بغرس هذه النبتة في المناطق السهبية لأنها تضمن تماسك التربة ،وتقف كحاجز في وجه الرمال الزاحفة فضلا عن امكانية استعمال أوراقها كعلف للمواشي ،وكذا الانتفاع من ثمارها .

و كانت الحدائق ،والبساتين المحيطة بمدينة الجزائر مسرة للناظرين؛ حيث ذكر هايدو في القرن 10 هـ(16 م)أنه لا يمكن لخيال المرء أن يحلم بشيء أكثر أناقة، وجمالا من تلك الحدائق والبساتين،وما أثار إعجابه وتعجبه في آن واحد تواجدها في المرتفعات وفي مناطق جبلية، وهذا بالطبع بفضل نظام الري المحكم السابق الإشارة إليه[3].

وقد كانت هذه البساتين الشبيهة بالدرر السينية مقصدا كل مساء لعدد كبير من الأشخاص رجالا، ونساء ، وأطفالا، كانوا يأتون إليها للاستمتاع بجمال المكان في ظل الخضرة، وخرير

[1] HESS Thomas ,Op.cit., pp.104-105
[2] Laugier de Tassy, Op.cit., T.1, pp.307-308
[3] Topographie …" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.462

المياه،وزقزقة العصافير بعد يوم من الجد، والكد، ؛قد كان سكان مدينة الجزائر متمسكين بأملاكهم المتواجدة في الفحوص لأنها كانت تمثل لهم ،ولعائلاتهم مكانا للراحة ،والاستجمام فضلا على أنها كانت تزودهم بكمية كبيرة من الفواكه.

كما أن الفحوص كانت تشتمل على بعض المساحات المخصصة للألعاب التي كانت تقام خلال الاحتفالات بالأعياد الدينية؛ فقد كانت تمتد خارج باب الوادي، وبالقرب منها ساحة واسعة مفتوحة أين كانت تجرى الاحتفالات، و التسلية، والأفراح بمناسبة الأعياد، وخاصة عيد الفطر[1].

3-المساكن الريفية "الدويرات "[2]:

وقد كانت بدورها من المعالم البارزة، في الفحوص المحيطة بمدينة الجزائر ؛إذ لم يكن يوجد ساكن واحد من سكان مدينة الجزائر، ميسورا إلى حد ما إلا و بنى منزلا صغيرا في الفحص وكانت دور الفحوص ذات بياض ناصع[3] حسب هايدو في أواخر القرن 10هـ (16 م) ،وسور دو برفي الذي ذكر في القرن 11هـ (17 م) أن مدينة الجزائر كانت محاطة على أكثر من ميلين بحدائق ودور للراحة، والمتعة[4].

و لابد من أن نذكر أننا نجد إشارات إلى هذه الدور في الوثائق العائدة إلى الرصيد العثماني وبالضبط في سلسلة المحاكم الشرعية، وعلى سبيل المثال وثيقة حول تقسيم تركة تمثلت في جنان وبحيرة حيث جاء فيها ما نصه:

".....وبنسبة ما لكل منهم بفريضة المرقومة تقررت شركتهم في عناء البحيرة والجنة والماء والبناء القايم{كذا}بها على قدر انصبيهم{كذا} المرقومة من الفريضة المسطورة....."[5]

وكانت الديار الفاخرة، والكبيرة الواقعة في الفحوص تعرف بالفيلات؛ التي كانت ملكا

---

[1] أنظر الباب الثالث من هذا العمل الفصل الخاص بالمناسبات والأعياد الدينية

[2] وتطرقت الدراسات الأكاديمية وبخاصة الآثرية منها إلى دراسة نماذج من هذه الدور في ظل الحكم العثماني ومنها نذكر:زكية راجعي،منازل فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،دار بصمات،الطبعة الأولى،الجزائر 2015 وأنظر أيضا:
Farid HIRECHE,L'art des jardins petit paradis D'Alger,édition les Alternatives Urbaines, Imprimerie Ed'Diwan,Alger,2015

[3] "Topographie …" In:**R.A.**, T.15,1871, p. 203

[4] Op cit.,p.362

[5] الوثيقة رقم9 " في العلبة18-1 المصدر السابق

في أغلبها لأصحاب الديوان ، أو للرياس الذين حققوا ثروات معتبرة من نشاطهم في البحر و بصفة عامة كان من عادة الناس الميسورين[1]-كما سبق الذكر- أن يكون لهم منازل في الفحوص الريف أين كانوا يقضون عادة وقتهم منذ أفريل إلى نهاية أكتوبر[2]. وهذا ما أكده بيار دافتي حين تطرق للحديث عن البساتين المحيطة بمدينة الجزائر حيث ذكر أنه كان لأغلبيتها عين قريبة مع دار بيضاء ينسحب إليها أصحابها من الإنكشارية، والمور-المسلمون - خلال فصول الفاكهة[3].

و كانت هذه الدور- والفيلات- الواقعة في ضواحي، وفحوص مدينة الجزائر شبيهة إلى حد بعيد بالدور الواقعة داخل الأسوار؛ فقد كان مخططها يحوي سقيفة، وساحة داخلية (وسط دار) محاطة بأورقة كانت تظل عليها الغرف ،والبيوت لتأخذ منها الهواء والضوء غير أنه على خلاف الدور الواقعة داخل أسوار المدينة ، والتي تكاد واجهتها تكون بدون نوافذ تفاديا للأنظار الفضولية فإن هذه الأخيرة كانت لها نوافذ، وإن كانت تشتمل أيضا على فناء أيضا وكانت تلك النوافذ مربعة الشكل، وكان يوجد في أعلاها فتحات صغيرة، وإضافة إلى دورها التجميلي -الذي كان يجعل هذه الدور أكثر ترحيبا – وكونها مصدرا للنور، كانت هذه النوافذ تؤدي دورا آخر لا يقل أهمية ؛فقد كانت بمثابة مقعد بفضل سمك الحائط، كان يمكن الجلوس فيها، وهكذا كانت تتيح فرصة الاستمتاع بالمناظر الخارجية لاسيما بالنسبة للنساء والأطفال دون الخوف من الوقوع لوجود قضبان فيها.

و هكذا شكلت النوافذ في هذه المساكن أثاثا حقيقيا فضلا على كونها كانت أنسب مكان لمن أراد أن يتمتع بمنظر رائع لخليج مدينة الجزائر، والراغبين في التمتع بالهواء العليل ،والميالين للتأمل[4]. و كانت تلك النوافذ محاطة تماما بمربعات الزليج الذي كان يسهل عملية تنظيفها وغسلها، وبالتالي كان عامل من عوامل النظافة فيها كما أنه كان يشكل قسما من الزخرفة التي تزين الغرف الداخلية، والتي تقع حول الجدار.

---

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص.235

[2] Moulay Belhamissi , Histoire d'Alger par …, p.107

[3] D'AVITY (Pierre), Op.cit., p.172

[4] وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر..."، ص.119

وكانت تلك النوافذ تقع بالقرب من باحة الغرفة، وقد كان ذلك مرتبطا مع تقاليد صميمة في مجتمع مدينة الجزائر، والبلاد الإسلامية عامة ،وهي عادة جلوس المرء تقليديا على أرائك أو زرابي متربعا[1] ،ومن ثم فإن كل ركن من أركان هذا المنازل كان يراعى فيه تماشيه مع عادات وتقاليد سكانها بحيث يستطيع المرء الجالس أن يتأمل المناظر البديعة من خلال النوافذ كما أن طريقة الجلوس على الأرائك المعتمدة كانت توفر الراحة للجسد على عكس المقاعد الصلبة.

وقد كانت ساحات هذه المنازل غنية بالزليج الذي كان مستوردا من ايطاليا وغيرها من الدول ، وكان يزين هذه الساحات عادة نافورة مياه جد جميلة كانت تلطف الجو عندما يجتمع سكان هذه الدور في الساحة كبارا، وأطفالا حول سنية القهوة ،أو الشاي[2] ؛وكانت هذه الساحة تضم أيضا بين ربوعها حديقة بمعني الكلمة ،وهي خاصية أخري تميز الدور عن تلك الموجودة داخل المدينة .

أما عن الأثاث؛ فقد كان متنوعا، ولاسيما في الدور ،والفيلات الفخمة التي كانت ملكا لرياس البحر، وأغنياء مدينة الجزائر، فإلى جانب الأثاث المستعمل يوميا–الذي سنتطرق إليه في المبحث الموالي–،كان يتواجد بتلك المنازل أفرشة في وسط غرفها من حرائر ليون وجنوة ومرايا من البندقية، وزجاج بوهمية وساعات من بريطانيا ،وقد كانت هذه الفيلات الفخمة مزينة في جدرانها عن طريق نقوش بديعة تجسد صور متنوعة للقنص ومظاهر طبيعية خلابة[3].

و ميل سكان مدينة الجزائر لحياة أفضل، ولراحة صحية ،وللسعادة كان يدفعهم إلى قصد تلك المنازل الريفية عند قدوم الفصول الجميلة، فكانت كل العائلة تقصدها في خفة فالنساء كن يجدن في تلك البيوت الراحة، وفرصة لاستجمام ،والأطفال من جهتهم كانوا يجدون في الحدائق والبساتين الساحرة المحيطة بتلك الدور، والحيوانات الأليفة المتواجدة بها فرصة للمرح ،واللعب في وسط جو صحي منعش، في حين أن أب الأسرة وصاحب الدار كان ينسى بدوره مشاكل العمل كلها، ولا يعود إلى داره في المدينة إلا عند اقتراب الفصول الباردة، أو عندما تجبره ظروفه واهتماماته المهنية على العودة، فالدور في الفحوص كانت تشكل تكملة ، وملحقا ضروريا

[1] وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري..."، ص.52

[2] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p.108

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص.337

للدور السكنية داخل أسوار المدينة حيث يسجل غياب الحدائق ،والخضرة ؛أي بمثابة امتداد لا غنى عنه لمدينة مكتظة بالمساكن .

فالجميع صغارا، وكبارا كانوا يحتسون السعادة، والسكينة في وسط الخضرة والآبار والعيون،و الينابيع[1] .لقد كانت هذه الدور، والمساكن الريفية رائعة الجمال من خلال بياضها الناصع، ونمط بنائها كانت بمثابة شعلات من الفضة، أو اللؤلؤ المكنون وسط طبيعة خضراء يانعة بديعة كبساط من الزمرد كانت تمثله الحدائق، والبساتين المشكلة للفحوص.

و لابد من الإشارة إلى أنه كان يحرص على توفير الأمن فيها " قايد الفحوص " الذي كان مكلفا بأعمال الشرطة ،والحراسة في فحوص مدينة الجزائر، وأعوانه كانوا مسلحين ،ويحملون من جملة ما يحملونه عصي من الحديد ، و جولات حراسته كانت تقام على وجه الخصوص في الليل ،وقد كان مسئولا أيضا ،عن شرطة ،وأمن الاحتفالات التي كانت تقام في الفحوص[2].

[1] Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par …, p.107
[2] Albert Devoulx, tachrifate …, Op.cit., p22

خاتمة الباب الثاني :

1-مما سبق نستخلص أن مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني أضحت تحوي العديد من المنشآت العمرانية، والمعالم الحضارية استطاعت أن توفر جملة من الخدمات النافعة للسكان سواء كانت خاصة أو عمومية ،وساهمت بما لا يدع مجالا للشك في تنشيط العلاقات الاجتماعية.

2-لقد كانت مختلف المنشآت، والمرافق المذكورة دليلا على مدى تمكن مجتمع مدينة الجزائر من التكيف مع محيطه لتلبية احتياجاته، وأدل دليل على ذلك كما مر بنا المنشآت المائية التي كانت ثمرة مجهودات جماعية وبرعاية وإشراف من السلطة .

3- كانت المرافق، والمعالم الحضارية تبنى ،أو تقام لتتماشى مع عادات، وتقاليد صميمة لدى سكان مدينة الجزائر مصدرها الأساسي كان الشريعة الإسلامية مما جعل منها مصدرا لا ينضب للمعلومات حول الحياة الاجتماعية.

4- الثكنات ،و البانيوات ؛أي سجون الأسري كانت من الناحية العمرانية لا تختلف عن بقية مساكن مدينة الجزائر باستثناء أنها كانت أكبر حجما كما أنها تشبهها في كونها تضم بين ربوعها حياة الجنود "الثكنات"،وحياة الأسري العبيد اليومية "البانيوات".

5–جنود الإنكشارية في حياتهم داخل الثكنة كانوا يمتازون بالانضباط ،والجدية وبجملة من القيم كحب النظافة المتجلية في حفاظهم على نظافة محيطهم وسلاحهم، وبروح التعاون التي كانت تنشأ بين الجنود المقيمين في كل غرفة من غرف الثكنات نظرا لتقاسمهم وتشاركهم في المصاريف الضرورية لاقتناء الغداء اللازم ،وكذا نومهم ،وأكلهم معا فالإحساس بالعيش في إطار جماعة ساهم في إيجاد جو شبيه بالجو الأسري في الثكنات .

6 –جنود الإنكشارية كانوا يتحلون بالأخلاق الطيبة ،وهذا ما يتضح من خلال حسن معاملة الأسرى العبيد المكلفين بالخدمة في الثكنات سواء كانوا من عبيد المخزن الدولة أو كانوا من عبيدهم الخاصين بهم .

7-البانيوات بما تحويه من كنائس،ومستشفيات تقدم معلومات هامة عن حياة الأسري المسيحيين بمدينة الجزائر في ظل الكم العثماني وتجعلنا نطرح السؤال الآتي :هل الأوصاف السوداوية، والمأساوية التي تحفل بها المصادر الغربية تنطبق فعلا على حياة الأسرى العبيد

بمدينة الجزائر ،فكما يبدو كانت البانيوات مساكنا أكثر من كونها سجونا ؛إذ كان يقضي فيها الأسرى العبيد لياليهم ،بينما كانوا يقضون نهارهم يتنقلون في المدينة للقيام بمختلف الأعمال الموكلة إليهم ،أو يستغلون أوقات راحتهم في القيام بما يعود بالنفع عليهم، أو في الترفيه عن أنفسهم ،ولعل أدل دليل على ذلك السماح لهم بإيجاد مساحات للترويح عن أنفسهم متمثلة في الحانات التي كانت بغض النظر عن كونها أماكن لشرب الخمر، أماكن للاجتماع ونسج العلاقات الاجتماعية بين الأسرى العبيد.

8-الاهتمام بتوفير أماكن ،ومساكن خاصة للمسافرين ،والوافدين على المدينة من تجار وغيرهم متمثلة في الفنادق وما كانت تقدمه من خدمات متنوعة كما أن تواجدها يشي بنشاط حركة المبادلات التجارية في مدينة الجزائر خلال المرحلة محل هذه الدراسة.

9-تنوع المنشآت والمرافق التجارية المتمثلة أساسا في الأسواق المختلفة التي كانت تهدف لتوفير كل احتياجات السكان الغذائية، وغيرها من لباس ،و أثاث.....الخ فضلا على كونها كانت فضاءات للتواصل، والتبادلات الاجتماعية.

10-الأنشطة الحرفية ،والتجارية في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت عديدة ومتنوعة بهدف تلبية كل احتياجات المجتمع في مختلف الميادين ،ولقد كانت الغنائم البحرية مصدرا هاما لتزويد أسواق مدينة الجزائر بالسلع ،والبضائع المتنوعة ،كما كانت التبادلات التجارية الداخلية والخارجية لمدينة الجزائر مصدرا آخر لا يستهان به للسلع ،والبضائع الضرورية منها والكمالية والشئ المميز ؛أنه توفرت أيضا خدمات صيانة ،وإصلاح بعض المنتجات والسلع الحرفية كالأواني النحاسية ،وغيرها وفي ذلك ضمانة للاستفادة منها لأطول مدة ممكنة واقتصاد في المصاريف.

11- نسجل خضوع النشاطات الاقتصادية في مدينة الجزائر إلى شروط ،وقواعد عديدة من شأنها المحافظة على مصلحة المشترين ،والبائعين سواء كانوا حرفيين أو تجار على حد سواء لمنع حدوث الغش ،والتدليس من أي نوع كان ،والحرص على الاعتماد على خدمات المحتسب كمفتش ،ومراقب للأسواق .

12–ساهمت السلطة في المحافظة على ثروات البلاد لصالح العباد ،و شاركت أيضا في تفعيل الحياة الاقتصادية لمالها من أثر في الحياة اليومية والاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر، كالمشاركة في تحديد الأسعار ولاسيما أسعار المواد الأساسية كالمواد الغذائية ،وفي مقدمتها الخبز .

13–النمط العمراني للدكاكين ،والحوانيت كان يتماشى مع طبيعة النشاط الاقتصادي الممارس فيها، والسلع ،والبضائع المعروضة فيها .

14- عادة تمركز التجار، والحرفيين المتخصصين في حرفة ،وتجارة معينة في مكان واحد كان من شأنه توفير الوقت على المشترين لإيجاد ما يحتاجون إليه بسهولة أكبر ،كما أن التخصص في العمل الذي كان يمس مختلف الأنشطة الحرفية كان من شأنه تحقيق قيمة دينية واجتماعية وأخلاقية كانت سائدة على ما يبدو في مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وتطبع حياته اليومية ألا وهي "إتقان العمل".

15- ظاهرة السويقات التي كانت متواجدة عبر الأحياء السكنية تعبر عن الاهتمام بتوفير احتياجات السكان اليومية دون حاجتهم إلى التنقل بشكل يومي إلى الأسواق العامة.

16- بنيت المساكن في مدينة الجزائر وفق مخطط من شأنه توفير كل احتياجات الأسرة التي تعيش في ربوعه مع احترام العادات ،والتقاليد السائدة في المجتمع كمراعاة الحرمات ،وتوفير مساحات لاجتماع أفراد الأسرة، وللمناسبات الاجتماعية كالأعراس ،وهذا مكان يوفره وسط الدار .

17-شيدت المباني السكنية داخل مدينة الجزائر وفق طريقة تحدد المنفعة الخاصة مع مراعاة المصلحة العامة من خلال تفادي الإضرار بالآخرين، واحترام حقوق الجيرة.

18-المساكن في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت عبارة عن وحدات قائمة بحد ذاتها إلا أنها كانت تتصل فيما بينها بفضل الأسطح التي كانت تؤدي دورا هاما في نسج العلاقات الاجتماعية ،ولاسيما بين نساء مدينة الجزائر ؛حيث كان هذا الفضاء يكاد يكون حكرا عليهن إذ كانت المرأة تستعمله كطريق لتبادل الأحاديث مع جاراتها ،وحتى كمعبر لزيارتهن .

19–كما نسجل ملاءمة النمط العمراني للمساكن داخل مدينة الجزائر مع طبيعة الأرض التي أقيمت عليها المدينة ،والتي من شأنها التوفير في المساحة كما أنه كان ملائما ،ومتماشيا مع

طبيعة المناخ السائد في المنطقة ،والذي سمح بوجود فضاء مفتوح ،ومن ثم استغلال أمثل للطبيعة في توفير عامل التهوية ،والإنارة .

20–بساطة النمط العمراني لواجهة لمساكن، وغياب الزخرفة ،والزينة عليها تشي وتدل على اهتمام سكان مجتمع مدينة الجزائر بجوهر الأشياء ،وحقيقتها عوض العناية بالظاهر ؛أي إدراكهم للدور الذي ينبغي للمسكن أن يؤديه كخلية للحياة الأسرية ،وليس كمصدر للتباهي ،والتفاخر .

21–الحدائق ،والبساتين في فحوص مدينة الجزائر لم تكن مجرد مرافق طبيعية بل كانت تؤدي دورا لا يستهان به كمصدر للغلال المتنوعة ،والقوت لسكان مدينة الجزائر ؛فأدت دورا مزدوجا من حيث تحقيقها للمنفعة الاقتصادية مع توفيرها عامل التمتع بجمال الطبيعة. كما كانت الحدائق بمثابة امتداد طبيعي، وضروري للمدينة ،نظرا لغياب المساحات الخضراء داخلها بسبب كثرة العمران وازدحام المساكن .

22–أدى الأندلسيون دورا كبيرا في المحافظة على جمال الحدائق ،والبساتين في فحوص مدينة الجزائر من خلال وضع نظام ري فعال للأرضي ،وكذا الاهتمام بتطوير الفلاحة من خلال إدخال محاصيل جديدة، والعناية بغرس الأشجار المثمرة .

23 –جمال ،وروعة البساتين ،والحدائق التي اتفق على الإشادة بها معظم من كتبوا عن مدينة الجزائر من رحالة،وأسرى ،وغيرهم دليل على خصوبة الأرض التي كانت تنعم بها ضواحي مدينة الجزائر،ووفرة الماء ،وحسن استغلالها ،وكذا العناية التي كان يوليها السكان لممتلكاتهم الزراعية وأهمية الأنشطة الفلاحية بالفحوص خلال القرنين 10 هـ(16 م)-11 هـ(17 م) .

24–ساهمت المرافق الحضارية المتنوعة التي زودت بها مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني في تفعيل الحياة الاجتماعية لأفراد مجتمعها ،و تجسد هذا التفاعل الاجتماعي، والآثار التي أفرزها في عدة مظاهر سيتم التطرق إليها في الباب الموالي.

الباب الثالث مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر

الفصل الأول :العادات والتقاليد

الفصل الثاني :الأزياء

الفصل الثالث :الأعياد والمناسبات الدينية

الفصل الرابع : المذاهب الدينية والقضاء

الفصل الخامس: الأوقاف والتضامن الاجتماعي

الفصل السادس:التعليم واللغات

الفصل السابع:المرأة في مجتمع المدينة

مقدمة الباب الثالث:

تعددت ،وتنوعت انشغالات سكان مدينة الجزائر ،واهتماماتهم الاجتماعية خلال القرنين 10 هـ (16 م)-11هـ (17 م)،واتخذت عدة مظاهر كانت أبرز تجسيد لها العادات، والتقاليد المتنوعة التي كانت سائدة في أوساط المجتمع ؛والتي كانت تشكل جوهر الحياة الاجتماعية وأساسها لكونها كانت تعكس حقيقة احتياجات الإنسان من الناحية الاجتماعية، والإنسانية ؛فقد كانت مرافقة لممارسات اجتماعية هامة كالزواج،والاحتفال بميلاد الأطفال، والختان و كان من شأنها ضمان استمرارية المجتمع كما كان بعضها تذكيرا بحقيقة رهافة هذه الحياة ،وفرصة للاعتبار كما هو الشأن بالنسبة لمراسيم الوفاة أو الطلاق.

هذا إلى جانب اهتمامهم بالأطعمة والأزياء لتلبية احتياجات أساسية وإبراز ذوقهم الفني،وباللغات كقناة للتواصل ،والتبادل دون نسيان دور المرأة في تفعيل حركية الحياة الاجتماعية ومايتصل بها، وكذا العادات والتقاليد المصاحبة لأداء الفرائض والسنن دينية ،ونقصد بذلك المناسبات ،والأعياد الدينية والتي تعد في حد ذاتها مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي، وتكريسا لانتماء مجتمع مدينة الجزائر للفضاء الإسلامي فضلا عن جملة من القيم، والمثل الاجتماعية والأخلاقية كحب عمل الخير والتضامن والتكافل الاجتماعي الذي تعد الأوقاف الإسلامية خير تعبير عنه بالإضافة إلى التعليم الإسلامي، و المذاهب الدينية ،والقضاء الإسلامي ،وكلها تعكس بدورها هذا الانتماء وتؤكده وتعززه.

وما سيتم التطرق إليه إذا من خلال هذا الباب يعد تعبيرا عن التفاعل الاجتماعي الإيجابي و البناء وما يرمز إليه من تراث حضاري كان سائدا في أوساط مجتمع مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ(16م)-11هـ(17 م) ومحاولة لإبراز مساهمة الحكم العثماني حينها في المحافظة على هذا التفاعل وضمان استمراريته واثراءه في آن واحد.

الفصل الأول: العادات و التقاليد

1-الزواج

2-الميلاد

3- الختان

4- الطلاق

5- مراسيم الوفاة " المآتم"

6–الأطعمة

الفصل الأول:العادات والتقاليد

1-الزاوج:

يندرج الزواج في إطار العادات، والتقاليد التي كانت سائدة في مجتمع مدينة الجزائر فضلا عن كونه ضرورة من ضروريات الحياة التي تضمن الاستمرارية، والبقاء للمجتمع كما أنه تطبيق لحكمة إلهية، فالزواج كان يعتبر من الممارسات الاجتماعية البارزة والهامة في مجتمع المدينة، و كان يستمد القواعد التي تنظمه من الشرع الإسلامي ،ولا يزال الأمر كذلك.

و كان الزواج أيضا مناسبة هامة لاجتماع العائلات، والأقارب، وتوطيد أواصر المودة بين الأهل، وخلق علاقات أسرية جديدة، وكذا فرصة للتسلية، والاحتفال في جو بهيج يجسد مختلف التقاليد التي كانت سائدة في مثل تلك المناسبة،وكان الزواج بالنسبة لسكان مدينة في ظل الحكم العثماني دليلا على أنهم مسلمون صالحون ودليل القدرة على تحمل المسؤولية، ورمزا للشرف[1].

و بما أن الفتيات، والنساء عامة في مدينة الجزائر تبعا للعادات المستمدة من الإسلام كن متحجبات، ولا يخرجن من بيوتهن إلا ملتحفات بالحايك، ومرتديات للعجار[2].فلا يظهر منهن إلا العينين، فجرت العادة أنه لم يكن بإمكان الزوج أن يرى زوجته إلا يوم الزفاف[3].

ولهذا كان يعتمد في مدينة الجزائر لتحقيق الخطوة الأولى في الزواج وهو اختيار العروس المستقبلية على ظاهرة شائعة متمثلة في التوسط، وعادة ما كانت تقوم بهذه المهمة امرأة مسنة قد تكون صديقة للعائلة التي تود تزويج ابنها[4].

و كانت الوسيطة ،أو" الخطابة " تذهب من منزل إلى آخر لرصد الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج ؛وتقدم المعلومات التي تجمعها حول أهل العروس، والصفات التي تتحلى بها من حيث الأخلاق، والآداب، و الجمال إلى العائلات التي تود تزويج أبنائها، فيقع الاختيار على إحداهن وقد كانت هذه المهمة تتم أيضا عن طريق الأمهات ،أو الجدات اللواتي كن يقمن باختيار زوجة المستقبل لأبنائهن وأحفادهن[5]؛ أي أن الزواج كان قضية يتم ترتيبها بين العائلات، وكان يتم وفق

---

[1] ARANDA (Emanuel. D) ,Op.cit., p.225

[2] عن لباس الحايك و لعجار أنظر فصل الأزياء في مجتمع مدينة الجزائر من هذا الباب

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.274

[4] DAPPER, Op.cit., p176 voir aussi Shaler(William), Op.cit., p.84

[5] ARANDA (Emanuel. D) ,Op.cit., p.225

تقليد دقيق، وبغرض الدوام[1].

كما أن الوسيطات كن مفيدات في تزويد الآباء بالمعلومات الاقتصادية المتعلقة بأصهار المستقبل[2]؛ أي عن وضعيتهم المالية، وهكذا كانت الوسيطة، أو الخطابة تؤدي دورا هاما في مشروع الزواج لاسيما مع التقاليد التي كانت سائدة في مجتمع مدينة الجزائر حينها والتي كان أساسها الحشمة، وبعد ذلك كان يتقدم أهل الشاب المرشح للزواج لخطبة الفتاة التي تم اختيارها وبعد قبول الخطبة، وحصول الاتفاق بين عائلتي زوجي المستقبل كان يتم تحديد موعد الزفاف[3].

و من جملة ما كان يتم الاتفاق عليه الصداق الذي يجب أن يقدمه الخطيب لخطيبته والذي يشكل في الإسلام ركنا من أركان الزواج ؛وقد لفت ذلك انتباه الكتاب الغربيين المعاصرين وأثار تعجبهم و في مقدمتهم هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م)، وقد يكون مرد تعجبهم أن المرأة في أوروبا في تلك الفترة هي التي كانت تقدم الصداق(dot) إلى زوجها وليس العكس؛ فتقديم الزوج للمهر ، أو الصداق للزوجة[4] في مدينة الجزائر كما كان جار في البلاد الإسلامية هو الذي جعل روكفيل (Rocqueville) في القرن 11هـ(17 م) يقول بأن الأزواج يشترون زوجاتهم من آبائهن مقابل سعر محدد بينهم[5] وهذا ينم عن جهلهم بالإسلام والغاية المنشودة من وراء تقديم الصداق.

و كان الصداق يتكون في مدينة الجزائر في الفترة موضوع البحث عادة من مبلغ نقدي بالدينار الخمسيني فضلا عن مكونات مادية أخري كالصوف، والقفطان، والغليلة و الحايك، و الحزام و الجوهر بالإضافة إلى لخدم من العبيد والإيماء الزنوج ...الخ.أما من حيث تسديد الصداق، فقد كان يعتمد في دفعه إما على قسطين" صداق قدره بين نقد ومحضر، وحال منظر" الجزء الأول من الصداق يتوجب دفعه "نقدا محضرا" قبل إتمام الزواج، وهو يمثل عادة نصف المبلغ (الصداق) والقسط الثاني" حال منظر" وهو يقدم أيضا قبل إتمام الزواج ،ولكن يدفع على مدى قريب على عكس القسط الأول الذي يدفع فورا ،و عرفت هذه الطريقة في دفع الصداق بالدفوع التركي[6].

---

[1] وليم سبنسر، مرجع سابق، ص.97

[2] المرجع نفسه، ص.98

[3] "Topographie…", In **R. A.**, T.15, 1871, p.98

[4] Ibid., p. 98

[5] Op .cit., p.10

[6] Kaddour M'hamsadji, el Qaçba zeman la Casbha d'Alger autrefois, en deux tomes, 2éme Edition, Office des Publication Universitaires, , Alger juin 2009,tome 2 "tradition le Mariage" p.145

وهو اسم بقي متداولا في أوساط الأسر في مدينة الجزائر المعروفة "بالأسر العاصمية" حتى بعد العهد العثماني وقد يدفع الصداق[1] على ثلاثة أقساط الأول نقدا محضرا، و الثاني حال منظر ويعرف القسط الثالث "بالكالي أو المؤجل"، و هو الذي كان يقدم بعد إتمام الزواج[2].

ومن نماذج عقود الزواج [3]التي تبرز لنا مسألة الصداق عقد مؤرخ في1087هـ 1676م:

"..... فانتدب لهذا الداعي المتمثل أمره، الرفيع مكانه وقدره، الفقيه النبيه، الفاضل النزيه أبو زيد /السيد عبد الرحمن ابن المرحوم المنغمس في رحمة الحي القيوم أبي العباس السيد أحمد المرتضى فخطب في بيت المروءة لا تنكر، وحضرة الكريمة المصونة، الدرة المكنونة ،رقية بنت الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام سليل العلماء الأعلام ، أبي عبد الله السيد محمد المقري ،البكر في حجر والدها المذكور[4] على صداق مبارك ميمون قدره بين نقد محضر وحال منظر وكال مؤخر ألف دينار واحد ومائتا دينار ،ثنتان ،كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة التاريخ و قفطانان اثنان أحدهما

---

[1] ومن الدراسات التي خصصت لموضوع الصداق انطلاقا من الوثائق المحلية وبخاصة عقود الزواج أنظر: عائشة غطاس الصداق بمدينة الجزائر خلال القرنين 18 و19 **م** "،في **مجلة إنسانيات**، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية العدد4،مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعيةو الثقافية،وهران ، جانفي-أفريل 1998

[2] عائشة غطاس " سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر"- العهد العثماني في **مجلة إنسانيات**،المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ،العدد 3 ،مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران،شتاء 1997 ،ص.77

[3]ولابد من الإشارة إلى أن المرحلة المعنية بهذه الدراسة تفتقر وتعاني بشدة من ندرة عقود الزواج ؛التي تسمح من خلال دراستها بمحاولة رسم صورة لطبيعة المصاهرات في تلك الفترة –وإن يمكن استخلاص ذلك من إشارات قد ترد في عقود التحبيس، أو البيع والشراء ،أو تقسيم التركات وهو ما حاولنا القيام به في إطار الباب الأول–كما ينبغي الإشارة إلى وجود دراسة تتطرق إلى هذا الموضوع خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن 12 هـ 18 م إلى 13هـ-19 م أنظر:نجوى طوبال الزواج وواقع المصاهرات بمدينة الجزائر(1710-1830) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف أد.أرزقي شويتام ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ،الجزائر ،2014

[4] حيث كان يحرص في عقد الزواج على ذكر وضعية الزوجة هل هي بكر كما العقد المشار إليه أعلاه أو ثيب كما تم الإشارة إليه في عقد زواج آخر بالصيغة الآتية:".....مخطوبته الحرة المصونة المباركة الميمونة فاطمة بنت العالم الأصل النبيه السيد أيوب اسبغ الله عليه رضاه وبلغه منواله وغاية مناه الثيب المالكة أمر نفسها تحل للنكاح المخلوص من موانعه على صداق ....."أنظر الوثيقة رقم 23، في العلبة74-75، المصدر السابق وفي عقد زواج أخر:".....عقد نكاحها إياه بما سمي فيه والدها السيد عبد الرحمن المذكور لحجره عليها ولما ملكه الله العظيم من أمرها اذ هي بكر عذراء...سالمة الروح والبدن....."أنظر:=

موبر ،والآخر أطلس ، وأربع أواق جواهر ،وأربعة أفراد ستيني ، وأمتان اثنتان من رقيق السودان وأربعة قناطير صوف النقد لها من ذلك قبل البناء بها و إرخاء الستر عليها شطر الدنانير المذكورة مع القفطان الموبر مع فردين اثنين ،مع أوقيتين اثنتين جواهر،من جميع الصوف الموصوف ، والحال لها عليها الأمتان اثنتان ،مع الفردين ،مع الأوقيتين اثنين ،مع قفطان الأطلس وباسم الكالى ،وحكمه شطر الدنانير المذكورة وقدره ستمائة دينار بمهلة فمثنات من الوصف يحل عليه لها لانقضاء ستة أعوام من تاريخه لا براءة له من الحال والكالى إلا بالواجب شرعا....."[1].

كما تشير احدي وثائق المحاكم الشرعية إلى مسألة الصداق، وبالضبط إلى المؤجل أو المعروف بالكالي وهي وثيقة تتناول قضية تسوية مسألة إرث زوجة تدعي أن لها دينا بذمة بعلها المرحوم من باقي صداقها أربعمائة دينار، واستظهرت لإثبات ذلك برسم شهادة من بعلها في حال مرضه المتصل بوفاته جاء فيها أنه أقر لها ببقية الصداق[2].

وإن اقتصر باقي الصداق على المبلغ المالي المعروف الكالي فإن باقي الصداق في تقسيم تركة امرأة كانت ابنة أحد رياس البحر وزوجها رايس بحر يبين أن قيمة الصداق، وقدره كان يختلف بحسب إمكانيات الزوج، ومكانته ،وطلبات أهل العروس ومكانتهم الاجتماعية ومستواهم الاقتصادي ، فقد ورد بالوثيقة تفاصيل لباقي الصداق المترتب على الزوج ومكوناته تدل على الثراء حيث ورد فيها ذكر ما يلي:

"ومما خلفته الهالكة فاطمة المذكورة.....باقي صدقها على بعلها المذكور وقدره الف دينار اثنان وثمانمائة دينار وثلاثة وثلاثون دينار منها أربعمائة دينار وعشرون دينار قيمة ثلاثة أواقي جواهر ،ومنها داية دينار واحدة وستون دينار بتأخير المثناة قيمة قفطان موبر ومنها مايتا{كذا}دينار ثنتان وخمسون دينار قيمة القفطان من الستان ومنها خمسة وتسعون دينار ثمن قفطان من اللاطلاس {كذا}ومنها داية دينار واحدة واربعة واربعون دينار قيمة ثلاثة أفراد ستيني

=Bncheneb Saadeddine,un contra de mariage algérois du début XVIII Siécle,extrait des Annales de l'institut d'études Orientales, Tome XIII,Année1955,Edition laTypo-Litho et Jules Carbonal ,Alger,p.177

[1] عبد الرزاق ابن حمدوش مصدر سابق ،ص 239 -240 وأنظر أيضا الوثيقة رقم 23 ،في العلبة74-75،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم41 "رسم توزيع إرث إلى مستحقيه بإشراف ناظر المواريث المخزنية بالجزائر"،في العلبة71-72 تاريخها1071هـ (1661 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

عمل محروسة تونس ومنها اربعماية دينار قيمة نصرانية واحدة ومنها خمسماية دينار قيمة أمتين تنثين من رقيق السودان والباقي لتمام العدد لتمام العدد المذكور وقدره ثمانمائة دينار كالى الصداق المذكور ....."[1].

و بعد اتفاق الزوج، وأهله مع أهل الزوجة، أو أقربائها المقربين في مسألة الصداق يتم تقديمه لهذه الأخيرة، بعد تثبيت قيمته في عقد الزواج الذي يتم كتابته أمام القاضي ممثل العدالة من طرف الزوج الذي يقر من خلاله بأنه يأخذ فلانة بنت فلان زوجة[2] ويدفع مهرا قدره كذا وكذا وكان يتم ذلك بحضور الشهود ووالي الزوجة[3].

علما أنه لم يكن يتم تحديد قيمة الصداق ومكوناته فقط في عقد الزواج ،ولكن كان يتم أيضا من خلاله تثبيت بقية شروط الزوجة ومن أمثلة الشروط التي كانت تفرضها الزوجة ويلتزم بها الزوج نذكر ما ورد في عقد الزواج المشار إليه آنفا :

".....ثم بعد انعقاد النكاح بينهما على الوجه المسطور طاع {وعد أو تعهد أو أطاعها في ما طلبته}الزوج المذكور للزوجة المذكورة بأن لا يتزوج عليها و لا يتسرى ..ولا يتخذ أم ولد إلا بإذنها ورضاها فمتى خالف ذلك فالداخلة عليها بنكاح طالق طلاقا بتا بنفس العقد عليها ،والسرية ،وأم الولد حرتان {أي يقوم بعتقهما} أو امرها بيدها في ذلك بطلقة بائنة تملك بها أمر...."[4].

---

[1] الوثيقة رقم 19، في العلبة 119-120، المصدر السابق

[2]DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.27

[3] ونجد أن أحد القناصل الأوروبيين توسع بشرح هذه المسألة في مذكراته ؛حيث يقول :"إذا أراد رجل الزواج يذهب أفراد أسرته ، أو أصدقائه لخطبة الفتاة المطلوبة من والدها وعندما يوافق هذا الأخير يبدأ بطلب الصداق الذي يريده فيقول ينبغي إعطاء ابنتي المقدار الفلاني من المال ،ومن الأملاك، ومن الملابس والمجوهرات، والجوهر أريد أن يعطيها زوجها هذا الشيء وذاك ،وأن يحتكم الزوج على هذا الشيء وذاك {أي أشياء يجب أن تتوفر في الزوج}،و أخيرا يتم تحديد يوم إبرام و تسجيل عقد الزواج أمام القاضي في المسجد {أي أن عقد الزواج كان يعقد في المسجد مراعاة للبعد الروحي، وتحقيقا للبركة المنشودة من خلال هذا الفعل كما يبدو }ويذهب لهذا الموعد أهل وأصدقاء العريس و والد وأهل العروس وبعد أداء بعض الصلوات والأدعية ،يكتب القاضي عقد الزواج ويضمنه مقدار الصداق وكل الشروط التي تم الاتفاق عليها مسبقا..." .أنظر :Lucien Chaillou,Op.cit.,p34

[4]عبد الرزاق ابن حمدوش،مرجع سابق ،ص.240

و لكن الملاحظ أن الزوجة لم تكن الوحيدة التي يجوز لها وضع شروط في عقد الزواج بل كان للزوج بدوره حقا في ذلك، والدليل على ذلك ما ورد في عقد من عقود تقسيم التركات، والذي من بين ماتضمنه الإشارة لهذه المسألة ؛حيث جاء فيه :

".....وفي صلح مع بعل البنت المذكورة{خديجة}وهو السيد محمد المذكور عن السكنى الذي كان التزم ،وتعهد له بها الهالك المذكور حين عقد على ابنته المذكورة مدة الزوجية بينهما حسبما هو مبين في رسم صداقها بالعلامة المرضية ...."[1].

أي اشتراط الزوج من والد زوجته أن يوفر له المسكن ،عند إبرام عقد الزواج وهذا ما تم لكن حين توفي هذا الأخير تمت عملية تقسيم التركة على يد البيتمالجي ،حيث كان بيت المال من الورثة بمثابة عاصب المتوفى [2]وكان من الضروري بيع الدار التي كان يسكنها الصهر وفق الاتفاق ولهذا تم تعويضه عن ذلك بالمال في إطار صلح جمعه بالبيتمالجي وبقية الورثة[3].

و في بعض الأحيان كان عقد الزواج يتضمن شروط وضعها كلا الزوجين ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في أحد عقود الزواج حيث جاء فيه ".....فبعد انعقاد النكاح بينهما و انبرامه التزم والد الزوجة المذكور للزوج المذكور بالسكنى مدة الزوجية بينهما من غير كراء يلزمه كما طاع{وعد أو تعهد أو أطاعها في ما طلبته}الزوج لزوجه بأن لا يتزوج عليها ولا يتسرى معها غيرها إلا بإذنها ورضاها فان فعل شيء من ذلك أو أكرهها عليه فقد جعل أمرها بيدها بطلقة بائنة تملك بها أمر نفسها إن شاءت ....."[4].

و قد ذكر ملاحظ أمريكي أن عقد الزواج المبرم في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كان يتضمن شروط تجعل الزوجة على مستوى معين من المساواة مع الزوج ،أو على الأقل كان عقد الزواج

---

[1] الوثيقة رقم 3 ، في العلبة 18-2 ،المصدر السابق

[2] يقصد بالعاصب لغة قرابة الرجل لأبيه واصطلاحا في علم المواريث كل من حاز جميع المال إذا انفرد أو حاز الفاضل بعد الفروض أي أن العاصب هوكل وارث ليس له سهم مقدر بل يأخد مايبقى بعد أصحاب الفروض لقوله صلى الله عليه وسلم "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر"مسند الإمام أحمد/مسند أبي يعلى وأما إذ إنفرد العاصب فإنه يأخد جميع المال والتعصيب ثلاثة أقسام العصبة بالنفس والعصبة بالغير والعصبة مع الغير للتوسع أنظر:المهندس مولود مخلص الراوي،علم الفرائض والمواريث إيضاح المنظومة الرحبية،الإصدار الأول، بغداد ،2009،صص.925 -929

[3] حول هذه الوظيفة أنظر مبحث المآتم من هذا الفصل

[4] عبد الرزاق ابن حمدوش مصدر سابق ،ص.242

الزواج بما يحتويه من شروط يحميها ضد سوء المعاملة المحتملة[1].

وبعد أن تنفذ هذه الخطوة؛ أي إبرام عقد الزواج ،كان الزوج يرسل إلى بيت زوجة المستقبل هدية متمثلة في بعض المأكولات [2]كالخفاف السفنج ،والشهدة أو المشهدة حلوى العسل والتي تعرف أيضا بالقطايف، وحلويات أخرى مصنوعة من العسل، والأكثر غنى يرسلون سلة، أو سلتين مليئتين بمواد التجميل كالحنة، والكحل ،ومواد أخرى، تأكيدا للمودة، والنية الحسنة[3]. وهناك من كان يرسل هدية من الفواكه، والمرطبات[4].

وذكر إيمانويل دراندا(Emanuel,d' ARANDA) في القرن 11هـ(17م)أنه بعد تحديد موعد الزفاف أرسل أحد أسياد زميل له في الأسر هدايا إلى بيت أهل عروسه متمثلة في شرائط ومواد أخرى، و وضعت تلك الهدايا في 20 طبقا مغطى بغطاء جميل وحمل تلك الأطباق 20 عبدا من الخدم كان من بينهم دارندا إلى غاية بيت العروس التي قدمت لها تلك الهدايا[5] وهي هدايا تندرج ضمن الصداق[6]، وقد يكون المقصود هنا طبق الدفوع[7]و كان تقديم الهدايا يتم من طرف الأغنياء خاصة أما متوسطي الحال فكانوا يكتفون بما سبقت الإشارة إليه أولا، أي بالحلويات.

---

[1] Shaler(William),Op.cit.,p.84

[2] Dapper,Op.cit.,p.176

[3] HAEDO (F. D) , "Topographie…",In **R. A**, T. 15, 1871, p.98 voir aussi DAVITY(pierre), Op.cit., p.177

[4] وكانت تتم أيضا دعوة الأقارب لتقاسم فرحة الخطبة وكانت تقدم إليهم أفضل الأطعمة ؛فخلال هذه المأدبة كان يتم الأكل بشهية ،والغناء ،والرقص بالطريقة الموريسكية.أنظر :Dapper,Op.cit.,p.176

[5] Op.cit., p.22

[6] Kaddour M'hamsadji,Op.cit.,p.143

[7] وطبق الدفوع الذي يحتوى على مكونات الصداق المتنوعة كان يتم عرض محتوياته من طرف إحدى قريبات العروس مع ذكر قيمة هذه المحتويات على جميع النساء المدعوات للاجتماع في بيت العروسة لهذا الغرض؛ فكن يطلعن على المحتويات المعلن عنها وهن ترتشفن العصائر وخاصة الشربات ،والقهوة،والشاي حيث كانت المشرفة على العملية خبيرة في استعمال وتوظيف عبارات تعبر عن القيمة المادية لكل عنصر يحتويه الطبق وكذا نوعيته وقيمته الجمالية واستعمالاته و كانت سلة طبق الدفوع مغلفة بقماش من الستان {المخمل}الأبيض ومزينة بطريقة متقنة بالعديد من الأشرطة الحريرية وبالدنتيلا الجميلة .

وكان يتم رده إلى عائلة العريس "يردوا طبق الدفوع "حيث تنص العادة على أنه بعد مرور بعض الأيام على دفع الصداق وقبل عدة أيام من ليلة الزفاف أهل العروسة يعيدون الطبق أو السلة التي حوت الصداق ولا يعاد فارغا ولكن دلالة على المودة المتبادلة كان يوضع فيه مباشرة أو في سلة أخري ترفق به بعض الهدايا و الأغلبية كانوا يفضلون إرسال طبق كبير من أطعمة حلوة المذاق مواتية للمناسبة تعرف بالمشلوش وهي عجينة رقيقة من السميد تقطع على شكل ورقات رقيقة جدا و تطبخ في إناء نحاسي مصقول أطرافه منخفضة يعرف بالقيروانية نسبة لمدينة قيروان بتونس ثم يتم دهنها بالزبدة وأخيرا رشها =

ثم كان يأتي موعد الزفاف، وكان يمكن أن تمر بعد عقد القران خمسة، أو ستة أيام[1] قبل أن تزف العروس ،وتخرج إلى بيت زوجها، بحسب رغبة أهلها؛ حيث كانت العروس تقضي تلك الأيام التي تسبق الزفاف، في الاستعداد لهذا الأخير؛ فكانت تؤخذ إلى الحمام فيتم غسلها وتدليكها، ثم تجميلها بصورة تجعل أقل العرائس جمالا تبدو جميلة بعد نهاية التجميل وقد كانت تؤدي هذا العمل بعض النساء ذوات الأصول الأندلسية خاصة و كن يكسبن لقمة العيش من خلال ممارسة هذا العمل[2]. وعرفن بالماشطات نسبة للمشط وعلاقته بالشعر[3].

وهن شبيهات اليوم بالحلاقات؛ فقد كن يحرسن على صبغ حواجب العرائس الجديدات بواسطة نوع من الحبر، أو الرماد المتنوع الألوان ،وكذا الكحل ؛حيث كان يوضع لهن على الوجه نقاط سوداء، وحمراء، وزرقاء وكان يتم استعمال نوع من الصمغ لتثبيت هذه الألوان، وكان يرش فوقها غبار مذهب و كانت أيديهن مخضبة بلون أسود مصفر –الحنة – كأنهن تلبسن قفازين، وما يمكن أن يظهر من أذرعهن كان مصبوغا، ومدهونا بأشكال متمثلة في عدة دوائر، أو حلقات من ألوان مختلفة كما كانت أظافرهم في القدمين كما في اليدين مصبوغة[4].

وخلال الأيام التي تسبق الزفاف؛ أي قبل ذهاب العروس إلى بيت الزوجية كانت عائلتها وصديقاتها يقمن الاحتفالات في بيتها، حيث كانت النسوة من الأقارب، والجارات، والصديقات تجتمعن في بيت العروس للاحتفال بها[5] في جو كانت تخيم عليه موسيقى مبهجة، وتنبعث منه أنغام الصونجا

= بالسكر وتسقى بماء زهر البرتقال في حين كان يختار آخرون إرسال سنية كبيرة من حلوى البقلاوة وردا على ذلك يرسل أهل العريس حلية ويرفقونها بسلة من السمك ،ويبدو أن إرسال السمك من التأثيرات العثمانية ؛حيث يعتبر هذا الأخير رمزا للخير ،والبركة ،والخصوبة لدى العثمانيين أنظر : Kaddour M'hamsadji,Op.cit.,T2,pp.144-162-163 وأنظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا العمل

[1] و هناك من قدر هذه المدة بخمسة عشر يوما أو عشرون يوما وبشهر على الأكثر حيث كانت تستغل هذه الفترة للتحضير للعرس، واستكمال تجهيز جهاز العروس المعروف أيضا بشورة العروسة أنظر :

Lucien Chaillou, Op.cit., p34 voir aussi Kaddour M'hamsadji, Op.cit,T2,p14

[2] HAEDO (F D), Topographie…", In: **R. A.**, T.15, 1871,p. 99

[3] Kaddour M'hamsadji, Op.cit., ,T2, p. 205

[4] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.287 voir aussi DAVITY (pierre),Op.cit., p.177

[5] وأيضا ليقدموا لها التهاني والدعاء لها بالخير والبركة ،وكذا تقديم النصائح والإرشادات لها فيما يتعلق بالواجبات و المسؤوليات التي تنتظرها في إطار حياتها الزوجية المقبلة عليها .أنظر:Lucien Chaillou,Op.cit.,p34

والقصبة، و دقات الطبول، و الدربوكة والدفوف، وآلة الطار، التي كانت تعزف عليها فرقة موسيقية معروفة بالمسمعات أو المدحات، وكن في غالب الأحيان أندلسيات يعشن من هذا العمل أي إحياء الأفراح، والمناسبات الملاح السعيدة عن طريق ما كانت تقدمه لهن المدعوات من مال[1].

فالمدعوة التي تنتهي من الرقص كانت تمر على بقية المدعوات، وهي تمد يدها لتتسلم منهن بعض المال الذي كانت تعطيه بدورها للعازفات على الآلات الموسيقية، اللواتي كن في الأخير تتمكن من جمع مبلغ مالي معتبر، لأنه كان يأتي لتلك الاحتفالات مدعوات كثيرات وكان الرقص فيها تقريبا طيلة اليوم، وجزء من الليل، وكانت المدعوات تعطين المال في أوقات مختلفة ومتكررة[2] .ويعد هذا تقليدا من التقاليد التي لا تزال سائدة في الكثير من أعراسنا ويعرف " بالرشقة".

ولقد أشار بيار دافتي (pierre DAVITY) في القرن 11 هـ(17م) إلى مسألة هامة ميزت هذه الاحتفالات ،والتي لاتزال إلى يومنا هذا، ونقصد بذلك "**التصديرة**"[3] ؛حيث ذكر أن "العروس كانت تجلس متربعة أرضا بين بعض النساء حيث أن المور{يقصد بهم المسلمين} لم يكن لديهم مقاعد، وحسب عدد الفساتين التي كانت تملكها تجعل الحضور يرونها على مصطبة أعدت خصيصا لهذا الغرض فترتدي فستانا وتجلس برهة ثم تنهض لتعود فيما بعد وهي مرتدية فستانا آخر "[4]؛أي أن العروس- كما هو الحال اليوم في حفلات الأعراس- كانت تتصدر المجلس وتقوم بعرض ما لديها من ثياب، وحلي لتبرز جمالها، وتنوع ما تملك منكسوة،وحلي لتتقاسم

---

[1] HAEDO (F D),"Topographie…" In **R.A.**, T.15, 1871,Op.cit.,p.98

[2] Ibid.,pp. 98- 99

[3] وبقيت تعرف بذلك في أوساط العائلات العاصمية كما كانت تعرف أيضا بيوم الخوارة التي تعني تسريحة الشعر الخاصة بالعروس والمتمثلة في ظفر شعر العروس في ظفرتين يتخللهما شريط أحمر اللون وهي التسمية التي تعطى لليوم الذي يبدأ بتزيين العروس من طرف الماشطة وينتهي بالتصديرة ؛أي عرض أثوابها المختلفة وكذا الحليات المرافقة لها ؛حيث تعرف أثواب العروس التي تقوم بعرضها بالقاطات أما الحلي والزينة المرافقة لها بالشريكات وبعدها تغادر العروس إلى بيت زوجها في موكب العرس. للاطلاع أكثر على الموضوع أنظر:

Kaddour M'hamsadji, Op.cit.,T2,pp.204-210voir aussi :

فوزية لرادي، صور من القصبة ، الطبعة الأولى ،منشورات جمعية المرأة في اتصال، الجزائر 2002، ص.34

[4] DAVITY (pierre), Op.cit., p. 177 voir aussi Dapper, Op.cit., p.176

فرحتها مع الحاضرات.

وجرت العادة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر أن تمتلك بعض العائلات الغنية جواهر وملابس فاخرة مخصصة ،أو موجهة لتتم إعارتها لليتيمات عند زواجهن. كما أنه خلال الاحتفال بالأعراس ، أو ببعض المناسبات العائلية كان يتم استعارة طواقم من الحلي، والجواهر الثمينة من الأقارب والجيران، أو الأصدقاء، والمعارف ،وفي هذه الحالات لم تكن تطلب أي ضمانات أو ما يمكن أن يكون دليلا، وإثباتا يدل على أنه تم إعارة شيء، فكانت النية الحسنة المتبادلة الأساس الدال على وقوع الإعارة، فلا يذكر حدوث أي مشكل في هذا الموضوع[1].

وهكذا يمكن القول أن احتفالات الزواج كانت مناسبة أخري لتبرز صفة التضامن والتعاون فضلا عن فعل الخير المميزة لمجتمع مدينة الجزائر، وحياته اليومية. وكذا التعامل على أساس الأمانة والنية الحسنة التي كانت سائدة في المعاملات اليومية حينها بغض النظر عن الغنى، والفقر فاحتفالات الزواج في مدينة الجزائر تختلف تبعا للظروف المادية للعائلات وإن كانت العادات واحدة فيها[2].

وعندما كان يأتي اليوم المحدد لنقل العروس إلى بيت الزوجية كانت تقام احتفالات كبيرة و ولائم رائعة، حيث كان يقام عشاء كبير في بيت أهل العريس للأصدقاء والأهل، ومن جانبهم كان أهل العروس يهتمون في بيتهم بالضيوف من عائلتهم ومعارفهم[3].

و كانت تخصص غرف خاصة بالنساء، وأخرى بالرجال خلال هذه الاحتفالات حيث كان يفصل بينهم بطريقة تجعلهم لا يتصلون، ولا يرى بعضهم بعض[4].وهذا ما ذهب إليه الاسكتلندي وليام ليثجو في القرن 11 هـ(17م) حين قال :" وفي كل هذه الاجتماعات يظل الرجال، والنساء منفصلين بعضهم عن بعض من حيث الموسيقي، والرقص ،والطرب[5].

و بعد الانتهاء من العشاء كان يتم ترتيب، وتجميل العروس مجددا بالجواهر واللآلئ،وتلوين عينيها

---

[1] Hamdan khodja, Op.cit., p.89
[2] DAN (R.Père François Pierre) Op.cit., pp.27
[3] HAEDO (F D), "Topographie…", In :**R.A.**, T.15, 1871, p. 99
[4] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.27
[5] آبار ميشال،" الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي"،ترجمة حنفي بن عيسي،**في مجلة الثقافة**، العدد 3،وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، السنة الأولى جمادي الأولى –يوليو 1971 ،ص.49

بالكحل، وربط الحنة في يديها إلى غاية المرفقين، وفي هذه الأثناء كان يتشكل موكب العروس لأخذها إلى بيت الزوجية؛ فقد كان الرجال يخرجون إلى الشارع، وكذا النساء مشكلين صفين، وكان الرجال يتقدمون الموكب، و يمشون على أصوات الطبول، و القصبة، و الغايطة ذات اللحن الطروب للغاية مشكلين ما يعرف بالزرنة أو الزرناجية[1].

ويبدو أن لفرقة الزرناجية صلة وطيدة بالموسيقى العسكرية العثمانية التي كانت تعزف من طرف فرق الأوجاق العسكرية المشكلة من سبع وعشرين قطعة، وقد كانت الآلات المستعملة فيها متمثلة في آلة الغايطة، والقصبة ،والطبل وكانت تعتمد في المناسبات السياسية، والحربية، وحتى الاجتماعية فقد كانت هذه الموسيقى ترفع من حماس الجنود وتشجعهم على القتال فضلا على أنها كانت تعزف بمناسبة الانتصارات المختلفة التي يحققها الأسطول الجزائري[2] ،ومن خلفهم كانت تمشي كل النساء ملتحفات بالحايك، وأسفل وجوههن مستتر بواسطة العجار، وفي وسطهن العروس المحمولة على ظهر حصان في هودج[3] ،ومغطاة ومحتجبة عن كل الأنظار ،وجميع من يشارك في ركب زف العروس لبيت زوجها يحمل في يده شمعة بيضاء مشتعلة ويجولون بالعروس عبر شوارع المدينة وخلال هذه الجولة التي يقوم بها موكب العروس عبر أحياء المدينة كان العريس يظل في بيته في انتظار قدوم العروس رفقة بعض المدعوين[4].

وعند وصول موكب العروس إلى بيت العريس، كان ينسحب هذا الموكب باستثناء قريبات وصديقات العروس اللواتي كن يرافقن هذه الأخيرة إلى غرفة الزوجية التي أعدت خصيصا لهذه المناسبة بقدر المستطاع، وسط قرع الطبول والمزامير ،وفي اليوم الموالي للزفاف كان يتم تحضير كمية كبيرة من الخفاف "السفنج" و التي كانت ترسل من بيت العريس كهدية إلى كل الأهل، وأصدقاء العائلة [5].

وكانت تقام مأدبة ثالثة في اليوم السابع من العرس، وكانت مصاريفها على حساب والد العروسة الذي كان يرسل المأكولات إلى منزل صهره الجديد، وفي صبيحة اليوم الثامن كان العريس

[1] HAEDO (F D), "Topographie…",In :**R.A.**, T.15, 1871,p.99

[2] وليم سبنسر، مرجع سابق، ص.101

[3] المرجع نفسه، ص.98

[4] HAEDO (F D), "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.100

[5] Ibid, p 100

يخرج من دار الزوجية، ويذهب إلى السوق، ويشتري سمكا، ويأتي به إلى داره متفائلا خيرا لأن السمك له دلالة الطهر، والخير لدى العثمانيين-كما سبق ذكره-،و ذكر الاسكتلندي وليام ليثجو في القرن 11هـ(17 م) بأنها كانت عادة قديمة في أغلب مناطق شمال إفريقيا[1]. - وتجدر الإشارة إلى أن هذه العادة لاتزال متبعة لدى العديد من سكان مدينة مستغانم الساحلية - وهكذا كانت تتم حفلات الزواج في مدينة الجزائر بشكل عام لدى المسلمين.

أما الزواج لدى اليهود بمدينة الجزائر فكان شبيها إلى حد كبير بحفلات الزفاف لدى المسلمين فطلب الزواج ،والخطبة كانت تتم من طرف والد الخاطب الذي كان يتحدث مباشرة لوالد الفتاة المطلوبة للزواج إذ كانت العائلتان تتعرفان ولكن في معظم الأحيان كانت هذه المهمة توكل لطرف ثالث اتخذ من ذلك مهنة والمقصود بذلك الخطابة.[2]كما كان عليه الأمر لدى المسلمين.

وبعد عقد الخطبة وخلال مرحلة الخطوبة يمنع التقاء الخطيبين ويمنعان من رؤية بعضهما ولا يجب للفتاة المخطوبة أن تخرج للشارع مهما كانت حجتها لفعل ذلك وفي هذه الأثناء كانت العائلة تنشغل بالإعداد لاحتفال الزفاف من حيث التحضير لجهاز العروس، وتحضير كميات من المعجون ، أو المربيات، و المصبرات (Conserve)التي كان يتم تخزينها في الجرار[3].

وعلى غرار مكان يتم عند سكان مدينة الجزائر المسلمين فقد كان يتم إبرام عقد الزواج الذي كان يحوي على جملة من الإجراءات التي كانت تهدف لحماية الحقوق المالية للزوجة على وجه الخصوص، وكان عقد الزواج يعرف بالكيتوبة (ketubba) وفيه كان يتم تحديد مقدار

---

[1] آبار ميشال،المرجع السابق،ص.49

[2] وأبرزت الأستاذة الباحثة فاطمة بوعمامة في دراستها عن الطائفة اليهودية خلال القرنين 14 و15ميلاديين التشريع اليهودي الذي حدد خطوات ومراحل إبرام الخطبة التي كانت تتم على مرحلتين تتمثل المرحلة الأولى في الاتفاق المبدئي على الزواج وتعرف بالعبرية بالشيدوخين(shiddukin) وظهرت وظيفة الوسيط لتحقيق مشروع الزواج في العصور الوسطى وقد لقيت اعترافا بها من قبل علماء الدين اليهود وكان لهذا الوسيط أجرة ثابتة تدفع مناصفة بين العائلتين المعنيتين بعقد الزواج أما المرحلة الثانية فكانت تتمثل في الإعلان عن الخطبة وتعرف بالعامية ملاك أو الرسيم وبالعبرية الإيروسيم(erussin) وهي مرحلة مهمة من مراحل الزواج فالرابطة بين الخطيبين تحتاج في فسخها إلى طلاق وإذا توفي الخاطب كان على خطيبته أن تعتد عدة المتوفي وهي ثلاثة أشهر. للتوسع أكثر أنظر : فاطمة بوعمامة ،اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15 ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر،2011 ،ص.115

[3] Haïm Zafrani,Op.cit.,p.118

الصداق [1]الذي كان يقدمه الزوج [2]؛والذي كان يضاف إليه إسهام الزوجة حيث ذكر هايدو أن الزوجة اليهودية كانت تحضر معها إلى بيت الزوجية مبلغا من المال تتحصل عليه من والدها أو من أهلها وكان هذا المبلغ يعرف بالندونيا والتي كان يمكن أن تتشكل أيضا من متاع[3].

و في حالة وفاة الزوج أو في حالة الطلاق مجموع المبالغ المسجلة في عقد الزواج الكتوباه [4]كان من المفروض أن ترجع للزوجة والتي كانت تملك بحسب قيمة هذا المبلغ رهن عقاري شرعي أو قانوني على أملاك زوجها ،وكان يمكن باتفاق مشترك بين الطرفين إضافة بنود إضافية في عقد الزواج [5] تهدف لحماية أفضل لمصالح الزوجة[6].

---

[1] وهو المبلغ الذي كان يقدمه الخطيب لوالد خطيبته عند عقد الخطبة وشرط أساسي لانعقاد عقد الزواج ويبدو أن التأثير الإسلامي كان واضح في عقود الزواج اليهودية من حيث تقسيم عملية دفع الصداق إلى جزئيين مقدم ومؤخر؛ حيث يذهب إلى القول بذلك القراؤون من اليهود وعندهم مقدم الصداق هو ما كان يدفع عند الخطبة في حين أن المؤخر فينص عليه في العقد و لايدفع إلا في حالة فسخ الزواج بالطلاق أو موت الزوج في حين تذهب فرقة الربانيون من اليهود للاعتقاد بأن الصداق (douari) مقدم فقط كما أن مقدار الصداق لدي اليهود يختلف تبعا إذ كانت المرأة بكرا أو أرملة أو مطلقة كما يجوز للزوج أن يضيف مبلغا على المبلغ المحدد في الصداق وتعرف هذه الإضافة بمبلغ الكتوباه الإضافي وبالمقابل لا يحق له أن ينقص من المبلغ المحدد للصداق وكان الصداق يقدم في جلسة تعرف بالتقديس (كدوشيم)والمقصود به تسمية المرأة على الرجل وهو إجراء ضروري وواجب يسبق ابرام الكتوباه حيث يقدم خلاله الصداق لوالد الزوجة أو وكيلها بحضور عدد من الشهود وهدية الكدوشيم التي يقدمها الخطيب لخطيبته لا تسترجع في حالة فسخ الخطبة خلاف الهدايا الأخرى التي يمكن استرجاعها. أنظر: فاطمة بوعمامة،المرجع السابق،صص.116- 117 أنظر أيضا:

André CHOURAQUI, histoire des Juifs en Afrique du Nord, en deux tomes , Edition Du Rocher Jean-Paul Bertrand, 1998, Tome 1"en exile au Maghreb", pp.184-185

[2] Haïm Zafrani, Op.cit., p.319

[3] HAEDO (F D), "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.105

[4] الكتوباه تعني كتابة عقد الزواج وهو العقد الذي يكتبه الزوج لزوجته وتتضمن الكوتباه تفاصيل الواجبات الزوجية سواء وجبات الزوج أو الزوجة أي وجبات كل منهما تجاه الأخر وتحديد الصداق وتتضمن أيضا أسماء المتعاقدين وتاريخ العقد وشروط العقد وكان اليهود يدققون في كتابة التفاصيل الدقيقة التي تحدد وضعية المرأة أي هل هي بكر أو أرملة أو مطلقة مع ذكر مهنة الزوج ومسقط رأسه وكان يتم مراعاة شروط لضمان صحة هذا العقد من بينها كتابته داخل المعبد –بيعة اليهود –وأن يتم التوقيع عليه أمام الحاخام وبمحضر شهود آخرون يشهدون على صحة التوقيعات ويبدو مدى الحرص على صحة هذا العقد في أنه لا يجب أن يحوي أي خطأ أو شطب وفي حالة وجود ذلك يتعين كتابة وثيقة أخرى كما حظيت وثيقة الكتوباه بالعناية من حيث الحرص على تزينها وزخرفتها بخاصة حواشيها أنظر : فاطمة بوعمامة،المرجع السابق،ص116 أنظر أيضا:

Haïm Zafrani, Op.cit., p. 448

[5] Ibid., p.319

[6] و حرص اليهود على حماية حقوق الزوجة وضمانها كما كان الحال عليه لدى المسلمين مسألة هامة حرص المشرعون بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني على إبرازها سواء تعلق الأمر باليهود، أو بالمسلمين كما سبق توضيحه مما يبرز نظرة مجتمع مدينة الجزائر إلى المرأة، ومكانتها فيه فضلا عن نظرتهم للعلاقة الزوجية كعلاقة تتحلى بنوع من القدسية وتكسي أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع .

و كما سبق وأشرنا بالنسبة للمسلمين فإنه بعد عقد الخطبة لدي اليهود كان الخطيب يرسل خطيبته ما يعرف بطبق الخطبة الذي كان يحوي مجوهرات متمثلة في أساور من ذهب وخاتم يعلوه حجر كريم ،و محرمة من الحرير،و خمس خبزات من السكر ،والحنة، و عطور، و حلوى ،وفاكهة مجففة من لوز، وجوز ،وتمر، وتين[1].

و كانت العروس اليهودية مثل العروس عند المسلمين تتزين لهذه المناسبة، و ترتدي حليا جميلة من قلائد، و لؤلؤ، وتضع المساحيق الحمراء للزينة باستثناء أنها لم تكن تستعمل الحناء ،وكان اليهود يقيمون حفلة عامة يوم الزفاف في ساحة مزينة بأقمشة، و شرائط من حرير ملونة و غيرها، حسب الإمكانات التي تملكها العائلات، وفي وسط الساحة كانت تجلس العروس على مصطبة بألبستها الجميلة،و زينتها، و حليها، و كان كل اليهود يجتمعون للرقص،و الغناء و العزف على الآلات الموسيقية، و قد كان بإمكان من يريد حضور حفل الزفاف أن يحضره على عكس عادة المسلمين التي تقضي بالفصل بين المدعوين ،و المدعوات[2].

و بالرغم من بعض الاختلافات ،فإن الأعراس اليهودية كانت تقام في جو بهيج مثل أعراس المسلمين؛فكانت تتخللها أغاني، و موسيقى عربية أندلسية،و الزغاريد الحميمة والرقص الجزائري الأصيل، و إضاءة الشموع -كما سبق ذكره-، وكانت أعراس اليهود تستمر من ثلاثة إلى أربعة أسابيع كحد أقصى، وثمانية أيام كحد أدنى وكانت هذه الاحتفالات تختلف من حيث مظاهر الترف والأبهة بحسب إمكانات العائلات[3].

فكانت تلك الأعراس تعكس التأثر الواضح لليهود بالعادات ،و التقاليد الإسلامية لسكان مدينة الجزائر ،و ما كان يميز العرس اليهودي إلى جانب كونه عاما ومختلطا إقامة مراسيم "العدوة و الهدوة" ،و المتمثلة في جلوس المدعوين زوجا زوجا إلى جانب العروس،وتقديم الهبات و الهدايا قبل الذهاب إلى المعبد، وبعد ذلك كانت تستمر طقوس العرس ومراسمه العادية[4].

---

[1] Ibid., p.118
[2] HAEDO (F. D), "Topographie…", In: **R. A.**, T.15, 1871, p.106
[3] Haïm Zafrani,Op.cit., p.319
[4] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص.170

2-الميلاد:

كانت ولادة الأطفال في مدينة الجزائر، مناسبة هامة، وسعيدة،و لهذا كانت المرأة الحامل تحاط بكل العناية، و الاهتمام الممكنين؛ فقد كانت تقوم على رعايتها وخدمتها بعض القريبات إضافة إلى الخادمات بالنسبة للميسورات منهن، و كانت تقدم إليها مختلف الأطعمة المغذية و لاسيما حساء معد من مختلف أنواع التوابل، و الثوم[1].

و كانت عادة سكان مدينة الجزائر، عندما تكون المرأة في فترة المخاض، والولادة أن تزورها قريباتها، و صديقاتها كثيرا لتشجيعها، و طمأنتها، و القيام على خدمتها، و لتذكرن أسماء الأولياء الصالحين، و حرق بعض الروائح لتسهيل عملية الولادة[2].

و عند قدوم المولود فإن النساء كن يطلقن الزغاريد ثلاث مرات، و بصوت مرتفع إذا كان المولود ذكرا، و مرة واحدة إذا كان المولود بنتا[3]،و في حالة الولادة الأولى كانت تقام احتفالات كبيرة حيث تدق الطبول، و الدفوف، و يتم دعوة العائلة ،و الأصدقاء إلى مأدبة تتشكل مما لذ و طاب من الخفاف، أو السفنج، و اللحوم ،والطعام "الكسكسي"، و أطعمة أخرى من الأطباق التقليدية[4].

وكانت كل العائلة تساهم في الاحتفال، والابتهاج بقدوم المولود الجديد فتعم البهجة و السرور الجميع؛فكان الأهل الميسورون يرسلون خروفا للزوجين اللذين رزقا بمولود-وقد يكون

---

[1] BELACHEMI (Jean-louis), Op,cit., p.187

[2] HAEDO "Topographie…", In **R.A.**, T.15, 1871,p.102

[3] في حين يذهب كورنليس دو بجناكر للقول :" بعد ولادة ولد فإن النساء العربيات تجتمعن في جماعة من عشرة أو عشرين امرأة وتصعدن إلى سطح البيت للغناء والقفز وأيديهن ممددة في الهواء أو إلى الأعلى وللعزف على آلات موسيقية مصنوعة من الخشب وللابتهاج لأن المرأة ولدت ولدا وهذا الاحتفال يستمر ساعة إلى ساعة ونصف وفي المقابل إذا كان المولود بنتا كن يبكين لأكثر من نصف ساعة واقفات ويخدشن وجوههن بأظافرهن إلى حد إدمائها ويعبرن عن حزن عميق وكانت والدة المولودة الجديدة تتواجد بينهن وكانت الأكثر تحسرا من بينهن والأكثر ندبا فيهن...." أنظر :
Cornelis Pijnacker, Op.cit, p.165 علما أن هذه الممارسات لا تتماشى مع تعاليم الإسلام ومع المكانة التي كانت تتمتع بها المرأة في مجتمع مدينة الجزائر، وإن لا ينفي ذلك الميل لإنجاب الذكور حينها من منطلق أنهم يضمنون استمرارية اسم العائلة كما يشكلون سندا ودعما لعائلتهم حينما يكبرون.

[4] HAEDO "Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15 , 1871,p.103

الهدف من ذلك هو آداء بالعقيقة- إضافة إلى السفنج؛ أي خفاف العسل،والطمينة الشهيرة[1] و أنواع من خبز التوابل ،والكل يرفق بالمباركات،والتهاني بسلامة الأم،ودوام الصحة للمولود،ولكن الزيارة كانت مقتصرة على النساء من قريباتها، و أهلها، و صديقاتها.وعند مغادرتهن كانت كل واحدة تعطي التاوسة لوالدة المولود والمقصودبها هدية إما عبارة عن مبلغ مالي أولباس للمولود وتكون الهدية على حسب ماتكون أهدته والدة الطفل لكل واحدة منهن من قبل في مناسبة مماثلة وبالزيادة على ذلك[2] وهي بادرة طيبة تبقى وتقوى الأواصر والصلات الإجتماعية وتؤكد على المودة المتبادلة تطبيق للقول :"تهادوا تحابوا".

و في اليوم السابع إزدياد المولود، أو ما كان يعرف "بالسبوع" كانت المرأة التي أنجبت تأخذ إلى الحمام رفقة المولود وسط أصوات،و أنغام الطبول التي كانت تتقدم الموكب،وكان المولود أو المولودة في أبهي لباس محمول من طرف بعض الرقيقات الزنجيات،أو المسيحيات اللواتي كن يمشين وسط الموكب[3]، و في الحمام كان يتم غسل المولود الجديد[4] بمزيج من البيض ،و بعض الأعشاب المسحوقة و النعناع ،و الزيت[5].

وبعد العودة إلى البيت كان يطاف بالطفل في أرجاء المنزل، و هو بين ذراعي أحد والديه وعندها يتم الإعلان عن اسمه،و تنظم مأدبة ثانية، و احتفالات بهذه المناسبة[6] دائما على أصوات وأنغام الطبول،و قد كانت من عادة بعض الأمهات أن تعلقن برقاب المولود بعض الأحجبة بغرض حمايته من العين،و الحسد،كخامسة من الفضة التي كانت عبارة عن كف مصنوع من الفضة ، أو معدن أخر، و صحيفة صغيرة من الفضة تحمل بعض كلمات من القرآن[7].

---

[1] وهي نوع من الحلويات مصنوعة بالدقيق الصافي، والسمن ،والعسل .للتوسع حول المأكولات التي كانت تقدم خلال هذه المناسبة أنظر :جوزيف ديسبارمي، الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد ،طبع بمطبعة السيد موقان بالبليدة ،الجزائر 1905 ص.7

[2] نفسه،ص.8

[3] HAEDO "Topographie…",In :**R.A.**, T.15,1871 ,p.103 voir aussi Davity, Op.cit., p.177

[4] وكان يتم ربط يديه ورجليه بالحنة وتكحل له عينيه بالكحل ،جوزيف ديسبارمي ،المرجع السابق ،ص.8

[5] BELACHEMI (Jean-Louis), Op.cit, p.187

[6] Ibid , p.187

[7] HAEDO "Topographie…", In:**R.A.**, T.15, 1871,p.104

و قد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن البعض منهن كن يبالغن في ذلك فتعلقن في أثواب المولود عظام بعض الحيوانات كالسلحفاة، أو القنفذ...الخ[1].

و لابد أن ذلك كان يندرج في إطار البدع المتبعة من طرف قلة من النساء، و أنها لم تكن بتلك المبالغة التي وصفت بها علما أن هذه الممارسات لاتزال ممارسة من طرف بعض النساء في مجتمعنا إلى يومنا هذا للأسف الشديد، ومن تم فهي ممارسات لديها امتداداتها التاريخية .

و كان اليهود أيضا يسعدون لازدياد مولود جديد عند العائلة؛ فكانت تقام بهذه المناسبة الأفراح، والطقوس المختلفة كقراءة مقاطع و أسفار من كتابهم المقدس، و يسهر أهل المولود إلى وقت متأخر من الليل يتسامرون وسط الأغاني أحيانا، والألغاز، والأحاجي أحيانا أخرى[2].

3-الختان:

لقد كان الختان بدوره من العادات، و التقاليد التي كانت سائدة في مدينة الجزائر و التي كان يخضع له الأطفال الذكور، و قد ذكر هايدو في أواخر القرن 10هـ(16 م) أن سن ختان الأطفال كان يختلف ،فمنهم من كان يتم ختانهم في سن مبكرة، ومنهم من كان يتأخر حتى سن الثانية عشر، أو الرابعة عشر[3].

و قد ذكر الأب دان(Dan) في القرن11هـ (17م) أن عملية الختان عند المسلمين كانت تتم بعد السماح للطفل بالتقوى أي حوالي سن الثامنة، أو حتى العاشرة، و في بعض الأحيان قبل ذلك، و كان ذلك غير مهم فالمهم كان القيام بهذه العملية[4].

و كانت عملية الختان التي تعرف أيضا بمصطلح الطهارة من العادات و السنن الدينية لدى المسلمين في مدينة الجزائر، و كانت تتم في بيت والدي الطفل؛ حيث كانت تقام بهذه المناسبة مآدب ،و ولائم ،واحتفالات موسيقية تنشد فيها المدائح الدينية إلى جانب الأشعار الأندلسية العذبة و كان يحضرها الأهل، و الأحباب فتوزع عليهم المشروبات، و الحلويات الشهية المتنوعة المتقنة الصنع ،و التحضير؛ حيث تكون المائدة مزينة بالمربيات والفاكهة اللذيذة[5].

---

[1] Ibid.,p.104

[2] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص.140

[3] HAEDO ,Topographie…" , In : **R.A.**, T.15, 1871,p.105

[4] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit, p.349

[5] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.166 voir aussi 16 جوزيف ديسبارمي،مرجع سابق،ص.

و لم تكن عملية الختان تتم لا في المسجد ولا في مكان خاص بذلك ولكن في البيت وغالبا ما كانت تتم في بيت الحلاق ،وكانت العملية تتم على يد هذا الأخير فإما كان يتم أخد الطفل إلى دار الحلاق أو يتم طلب حضور هذا الأخير إلى بيت الأسرة ؛حيث كانت تتم عملية الختان وبعد أن يضع ضمادة مكان الجرح ،وبعد أن يعطي البعض منها للأهل الطفل المختون أو المطهر كان يأخذ أجرته[1].

و كان اليهود بدورهم يقومون بعملية ختان أبنائهم، و لكن كانت هناك عدة اختلافات في الطقوس فالسن المحددة للعملية مثلا كانت ثابتة محددة بشكل لا يقبل التغيير و هي اليوم الثامن بعد ولادة الطفل[2]؛و كانت عملية الختان عندهم تتم في معابدهم عكس ماكان يتم لدى المسلمين فلم تكن العملية تتم في المسجد-كما سبق ذكره-كما كان الاختلاف في الأدوات المستعملة في العملية فاليهود كانوا يستعملون سكينا في حين استعمل المسلمين موس حلاقة و كانت هناك اختلافات في عملية الختان في حد ذاتها، و ماعدا ذلك؛ فقد كان اليهود يحتفلون بهذه المناسبة مثل المسلمين، و كان الأعلاج يخضعون بدورهم لهذه العملية مهما كانت سنهم[3].

4-الطلاق:

لقد كان من الممارسات الاجتماعية السائدة في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني رغم أنها كانت تعتبر أبغض الحلال عند الله إلا أنها كانت ضرورة فرضتها استحالة الحياة الزوجية بين الزوجين و فشل محاولات الصلح بينهما.

وقد ذكر هايدو في أواخر القرن 10هـ(16 م) جملة من الأسباب التي كانت وراء المطالبة بالطلاق سواء من طرف الزوج ،أو الزوجة فمن طرف الزوج كانت الأسباب متمثلة في صدور تصرف غير مشرف يمس بكرامة الزوج وعدم طاعته أما أسباب طلب الطلاق من طرف الزوجة فقد كانت متمثلة في المعاملات السيئة تجاهها من طرف الزوج،وعدم أدائه للصلوات أو شربه للخمر، والسكر أو عدم الإنفاق عليها ؛ فهذه كلها كانت أسبابا تدفع بها إلى المطالبة بالطلاق[4]، وهذه الأسباب ،ولاسيما عدم التزام الزوج بأداء صلاته ،وشرب الخمر إن دلت على شيء إنما تدل

[1] Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.165
[2] Ibid., p.165
[3] Dan (R.Père François Pierre), Op.cit., p.349
[4] HAEDO "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.229

على التزام المرأة في مدينة الجزائر بتعاليم الإسلام[1].

إن أساس الحياة الزوجية كان يجب أن تبنى على المودة، والرحمة، والالتزام بالشرع وقد ذكر الأب دان في القرن11هـ (17م) أنه في حالة مطالبة المرأة بالطلاق فقد كان يتوجب على والدها إعادة المهر أو الصداق الذي قدمه الزوج ولابد أنه كان يقصد بإرجاع الزوجة للصداق في حالة مطالبتها بالطلاق ما يسمى بالخلع، و أما إذا كان الزوج هو الذي بادر إلى الطلاق فلم يكن من حقه، المطالبة باسترجاع الصداق؛ أي المهر، بل وكان يحق للزوجة المطالبة بمؤخر الصداق ومثال ذلك ما ورد في أحد عقود المحاكم الشرعية الذي تضمن حل خلاف بين طليقين ومما جاء فيها : ".... الحمد لله بعد أن تقرر الاشتراك بين المكرمين مراد بن عبد الله آغا وزوجه كانت الولية أم الحسن بنت السيد موسى بن ظنون في جميع الدار والعلوي الكائنين بزنقة.....{عبارة غير واضحة }بناحية باب عزون بالجزاير المحمية .....لمراد أغا المذكور خمسة أسهم ولأم الحسن المذكورة ثلاثة أسهم من ثمانية وقد وقع التفرق {أي الافتراق وهنا بمعنى الطلاق } بين الزوجين المذكورين ،وقامت أم الحسن المذكورة طالبة منه مالها عليه من صداق وغيره وترافع من ناب عن كل واحد منهما لدى القضاة والحكام وطال بينهما النزاع فما كان إلا أن نديا إلى الصلح الذي سماه الله خير ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم أجرا ....."[2].

و في حالة الطلاق كان يجب على الزوج النفقة على أطفاله، وكان على المرأة أن تقيم في بيت الزوجية السابق – في إطار أشهر العدة –[3].

---

[1] كما أنه من خلال دراسة استقرائية وتحليلية لعقود الطلاق المتواجدة بسلسلة المحاكم الشرعية يمكن استنباط الأسباب التي كانت تؤدي بالزوجة إلى طلب الطلاق وفي ذلك أنظر الدراسة الهامة للأستاذة الباحثة لواليش فتيحة عن العائلة في مدينة الجزائر في القرن 17 م و 18 م التي انطلقت فيها من دراسة استقرائية وتحليلية لما ورد في وثائق سجلات المحاكم الشرعية حيث أوردت عدة أسباب للطلاق منها:الإهمال العائلي واستخدام العنف ضد الزوجة،و غياب أو اختفاء الزوج...الخ. أنظر:
Fatiha Loualiche, la famille à Alger XVII^{e} et XVIII^{e} siècles Parenté, alliances et patrimoine, Préface de Bernard Vincent, Média-Plus, constantine, 2017, pp.87-90

[2] الوثيقة رقم 11 :" رسم حل خلاف بين مطلقين ،ورسم تحبيس ووقف مرجعه الحرمين الشريفين" في العلبة 41 تاريخها أواسط قعدة الحرام عام 1084 هـ/1673م ،في سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائري

[3] في حين تذكر الأستاذة الباحثة لواليش فتيحة أنه كان يحق للأم المطلقة ، وبخاصة في حالة الخلع أن تختار بين أن تشترط النفقة لأطفالها، وبين الحصول على الحضانة النهائية لأبنائها والتكفل شخصيا بنفقتهم مما يعني أنها تحتفظ بأبنائها معها حتى في حالة إعادة الزواج مرة أخرى. أنظر:Fatiha Loualiche ,la famille … ,p.87

كما ذكر هايدو في أواخر القرن 10هـ(16 م) أن الطلاق كان جد شائع في مدينة الجزائر لأن دينهم ،وقانونهم يبيح الطلاق[1]، وقد يكون في قوله هذا نوعا من المبالغة ،التي يمكن تفسيرها بإنتماءه الديني إلى الديانة المسيحية الكاثوليكية التي تدين الطلاق ،علما أن إثبات صحة ما ذكره هايدو أو نفيه يتطلب دراسة إحصائية لعقود الطلاق التي تعود للمرحلة التاريخية التي يتطرق إليها وهنا لابد أن نذكر أن هذه العقود بالنسبة للمرحلة المدروسة ككل نادرة جدا حسبما تبين لنا من خلال العينات التي اطلعنا عليها لحيث ترد عبارة الطلاق في سياق وثائق موضوعها الأساسي ليس الطلاق في حد ذاته ولكن إما تقسيم تركة ،أو حل نزاع ،أو عقد تحبيس ...الخ مثلما وردت الإشارة للطلاق ضمن وثيقة حل النزاع بين المطلقين المشار إليها أنفا بلفظ "الافتراق" أو "التفريق"[2].

5-مراسيم الوفاة " المآتم":

وكانت من المناسبات الاجتماعية في مدينة الجزائر حيث يجتمع الأهل والأقارب للترحم والبكاء على فراق المتوفي، أو المتوفية ،وتذكر أمور الآخرة وفق تقاليد ،وعادات تتماشى مع الدين الإسلامي.

فعندما يكون المرء في سكرات الموت يحيط به أهله، و أقرباؤه، و على الحاضرين أن يذكروه بالشهادة و أن لا يتوقفوا عن" ذكر الله و الرسول صلى الله عليه و سلم" إلى أن يفقد المرء القدرة على الكلام ،و الإحساس أي يسلم الروح إلى بارئها ،و بمجرد أن يتم ذلك حتى يتم غسله بعناية بالماء الساخن،و الصابون بعد أن يتم تمديده أرضا فوق لوح خشبي[3]،و بعدها يلبس المتوفى سواء كان رجلا أو امرأة بقميص، و سروال نظيفين شديدي البياض ،ثم كان يتم لفه في إزار أبيض يغطي كل الجسم بما في ذلك الرأس، و القدمين[4]؛ أي كان يتم تكفينه بالكفن، و في هذه الأثناء كانت تبكي النساء على الميت من شدة الحزن ،و التأثر[5].

---

[1] HAEDO "Topographie…", In: **R.A.**,T.15, 1871,p.229

[2] ويبدو أن هذه الندرة تمس العهد العثماني ككل وليس القرنيين 10هـ (16م)-11هـ(17م) فقط بل القرنين 12 هـ(18م)و13هـ(19م)، وهذا ما توضح لنا من خلال دراسة الأستاذ الباحث خليفة حماش؛ حيث ذكر أن بحثه أسفر عن 53 وثيقة طلاق وهي عينة غير كافية لكي يستخلص منها مدى إنتشار الطلاق في المجتمع ،مرجع سابق ،ص.203

[3] HAEDO "Topographie…" , In : **R.A.**,T.15,1871, p.376

[4] Joao Mascarenhas,Op.cit.,p.87

[5] Dan (Père François), Op.cit.,p.275

و بعد غسل الميت من طرف النساء إن كان امرأة، و من طرف الرجال إذا كان رجلا كان يوضع الجثمان على نقالة، أو نعش منخفض كان بعض المرابطين أو الأئمة يقومون بكرائه لهذا الغرض[1]، وكان يغطى الميت فيما بعد بإزار عريض ،و طويل ملون يغطيه تماما و إذا كان الميت فتاة عزباء، فإن الإزار المذكور كان يلف بثلاث شرائط من قماش الموسلين، أما إذا كانت متزوجة ،فيوضع عليه اثنان، و إذا كانت أرملة يلف بشريط واحد فقط، و إذا كان الميت رجلا، فقد كان يوضع فوق الغطاء عادة كثير من الورود، وعمامة إذا كان من عادته ارتداؤها في حياته و بهذه الطريقة كان يمكن التعرف على جنس المتوفى ووضعيته،ومكانتهالاجتماعية[2].

و كان لايتم إخراج جثمان المتوفى لدفنه إلا بعد الحصول على الإذن أو التصريح بالدفن الذي كان يمنح من طرف البيت مالجي[3] فلم يكن يتم دفن أحد إلا بعد الحصول على موافقته وترخيصه[4].

و قد كان البيت مالجي[5] يمارس هذه المهام باسم الباشا حتى يعلم من المتوفى، و يتسنى بذلك

---

[1] HAEDO "Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.377

[2] Joao Mascarenhas, Op.cit, p.88

[3] Claude BONTEMS, manuel des institutions algériennes, de la domination turc a l'indépendance,en deux tomes ,1er édition, Edition Cujas 1976 ,tome"1 la domination turque et le régime militaire 1518-1870" p.48

[4] وقد تطرق حمدان بن عثمان خوجة في كتابه إلى البيت مالجي ودوره الهام ،وبين أن وظيفته من الوظائف التي استحدثها العثمانيون في مدينة الجزائر وهو ما نستخلصه من قوله :"ووفقا لأحد قوانين حكومة الأتراك –عهد ذاك–تأسست في الإيالة هيأة يسمى رئيسها التركي بيت المالجي يساعد هذا الرئيس قاض وموثقان وكاتبا ضبط ،ومسجلون ..." أنظر حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق،ص.134

[5] وأرجعت الباحثة الأستاذة عائشة غطاس منصب البيت مالجي أو الناظر على شغل المواريث المخزنية إلى الستينيات من القرن 11 هـ 16 م وذكرت نماذج عن الأسماء الأولى التي تطلعنا عليها وثائق المحاكم الشرعية حيث ذكرت اسم القائد عادل بن خيضر التركي، والقائد سعدي خوجة ،والقائد صفا بن عبد الله ،وأكدت أيضا على أن منصب البيت مالجي كان منصبا حساسا وخطيرا في آن واحد ،وتولاه المنخرطون في الجيش علما أنه في البداية كان يقع اختياره ضمن صنف القياد {وهذا ماتوضح لنا من خلال بعض عقود تقسيم التركات ومن الأمثلة عن ذلك " وانهى الأمر في ذلك الى الامين المعظم المرعي الاجل السيد القايد محمد جلبي بن عثمان التركي الناظر وقت تاريخ على شغل المواريث المخزنية ببلد الجزاير المحمية ...أنظر الوثيقة رقم17 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق } ثم أصبح ينتقى من صنف الآغاوات مثل الحاج مصطفى=

معرفة ما تركه من أملاك و تركات و هل ترك ورثه[1]؛ لأنه في حالة ما إذ لم يترك ورثته فإن كل ما تركه كان يذهب إلى خزينة الدولة على اعتبار أن وارثه الوحيد بيت المال كما يتوضح لنا مما ورد في إحدى وثائق تقسيم التركات:

"الحمد لله هذا نص الأول من هما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم بعد أن توفي الى عفو الله ورحمته قاسم المعتوه{كذا}بن الفقيه احمد الأندلوسي{كذا} واحاط بميراثه بيت المال الموفور من بلد الجزاير المعمور لا غير في علم من علم ....."[2].أو يكون بيت المال طرفا من الأطراف المستفيدة من التركة أي من الورثة ولاسيما عندما لا يترك المتوفي عصب ،فيكون بيت المال عصبه ،وهذا ما توضحه لنا احدي وثائق تصفية تركة منتمية لوثائق المحاكم الشرعية حيث جاء فيها في هذا الشأن :

"بعد أن تقرر الاشتراك بين الولية خديجة بنت الحاج محمد الوجدي وولديها محمد وفاطمة ولدا{كذا} للمرحوم اوسط{كذا} محمد عرب المذكورين فيما يلصق آخر بأول هذا إن جميع الدار بعلويها{كذا} الكاينة أعلا كوشة الشيخ سيدي يوسف الكواش سند الجبل داخل محروسة الجزاير{كذا} على نسبة مذكورة معهم حيث أشير على نسبة أن لخديجة المذكورة منها ربعا واحد ولولدها محمد المذكور ربعا واحد وخمسة أسدس الربع ولابنتها فاطمة المذكورة ربعا واحد وسدس الربع بمضي ما قيد في رسم غير المشار إليه بشهادة شهديه التفرد التام ثم توفي محمد المذكور عن أمه المذكورة وعصبه بيت المال الموفور من بلد الجزاير{كذا} المعمور لا وارث له سواهم في علم من علم وانتقل ما ناب بيت المال من ما ناب الهالك المذكور المبين فيه ....."[3].

كما أنه في حالة وجود وارث ولكنه غائب عن المدينة كان البيت مالجي، أو ناظر بيت المال يقوم

=آغا ابن محمد التركي سنة 1672 ،والحاج مرتضى آغا ابن على التركي 1675 أنظر عائشة غطاس ،النظم الإدارية المركزية ،" في الدولة الجزائرية الحديثة... ،صص118-119 كما عثرنا على وثيقة نستخلص منها أن البيتمالجي كان يختار أيضا من صفوف من سبق لوالدهم تولى مناصب في الدولة لها علاقة بالإدارة ،وضبط الأموال ومن تم احتمال توارث الخبرة في هذا المجال:"وانهى الأمر في ذلك إلى الأمين المعظم .....الأرضى السيد محمد جلابي ابن المرحوم حمودة خوجة دفتردار الناظر وقت إذن على شغل المواريث المخزنية ....."أنظر: الوثيقة رقم 5 في العلبة 29-30،المصدر السابق

[1] HAEDO, "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.377

[2] الوثيقة رقم 17،في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم41 في العلبة 71-72 ،المصدر سابق

يقوم بقبض حقه، أو نصيبه من الميراث، و إيداعه ببيت المال حتى يتبين مصير الغائب، وهذا ما توضحه إحدى الوثائق المتعلقة بتقسيم تركة أحد المتوفين على يد ناظر بيت المال؛ حيث جاء فيها:" إن السيد رجب خوجة ابن التركي توفي عن زوجته فاطمة بنت عبد الله وأولاده الثلاثة منها وهم مصطفى، ومحمد ،وخديجة، ثم توفي أحد الولدين عن أمه ،وشقيقته، ثم توفي الابن الثاني عن أمه ،وشقيقته ،وعصبه عمه عثمان الغايب ببر الترك وأخيرا توفيت البنت خديجة عن أمها وعصبها وهو عمها عثمان الغائب ببر الترك ؛حيث جاء فيها إشارة وافية لمهام ،ودور البيت مالجي في حفظ حقوق الغائبين من الورثة وإشارة أيضا إلى الموظفين الذين كانوا يسعدونه في أداء مهامه ،ونص ذلك:

« .....وانتهي الأمر في ذلك إلى الأمين المعظم يحي أغا بن خليل التركي الناظر وقت تاريخه على شغل المواريث المخزنية ببلد الجزائر المحمية والمفوض اليه{كذا}من قبل من له ذلك التفويض التام ورام قبض جميع ما خلفه الهالك الاول{كذا} رجب خوجة المذكور يتوصل الى{كذا} ما ناب العاصب عثمان المذكور لغيبته[1] عن حضرة البلد المذكورة وذلك بمقتضى العادة المقررة من ضبط أموال الاسرى[2]{كذا} والغيب إلى ظهور عاقبة امور اربابها فأجيب إلى ذلك ووصل إلى دار الهالك المذكور صحبة المعظم الييباشي والسيد علي خوجة بيت المال وغيرهما من دكان بيت المال .....".[3]

[1] ويشير حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة إلى أنه:".... إذ كان الميت أجنبيا، أو مجهولا، أو كان أهله متغيبين فإن هيأة بيت المال تمثلهم فتبيع التركة في المزاد العلني –كما سيأتي ذكره لاحقا–وتحتفظ بالقيمة كوديعة مقدسة، ويودع المبلغ في صندوق عمومي، ويسجل مقداره في ثلاثة سجلات، ولا يستطيع أحد أ يتصرف فيه إلا بإذن شرعي..." حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق ،صص.134 -135 ومنه نستخلص أن السلطة كانت تحمي أملاك الأشخاص، وحقوقهم في التركات وهذا يناقض ما تذهب إليه العديد من الدراسات الغربية خاصة التي تركز على حرص السلطات في ظل الحكم العثماني على مصادرة الأملاك بأي طريقة ووسيلة إلى درجة لجوء أصحابها إلى تحبيسها لحمايتها أنظر في ذالك الفصل الخامس من هذا الباب .

[2] و نستخلص هذا الدور من خلال ما ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية: أشهد الأمين المعظم الوجيه المفخم.....علي آغا بن محمد التركي الناظر وقت تاريخه على شغل المواريث المخزنية ببلد الجزائر المحمية والمفوض إليه في أمورها من قبل من له ذلك أته باع عن الأسير رمضان المدعو السبع بن محمد الشريف المذكور .....بمقتضى العادة المقررة بالبلد المذكور من ضبطه أسعده لله أموال الأسرى والغيب إلى ظهور عاقبة أمور أربابها.....أنظر:الوثيقة رقم"79،في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم 31 ، من الملف الثاني ،في المجموعة 3205، من الرصيد العثماني

كما أنه كان من مهام البيتمالجي حسب ما ورد دائما في وثائق تقسيم التركات بيع أملاك بيت المال التي تؤول إليها من التركات حيث ترد العبارة الآتية :".....وبيع ما هو على ملك بيت المال أغناه الله تعالى من الدور والأراضي والجنات داخل البلد المذكور وخارجه بإذن من له ذلك شرعا ....."[1].

و ما ورد في وثيقة تصفية تركة على يد البيت مالجي لصالح بيت المال يؤكد ذلك:
".....شهد الآن الأمين المذكور أنه باع عن نظره من المكرم الحاج احمد المذكور جميع الدار مع اصطبلها.....وخمسمائة دينار قبضها الأمين المذكور من المبتاع المذكور معاينة القبض التام وابراءه من ذلك الابراء التام و أورد العدد المذكور بيت المال حيث جرت العادة بايراد مثله منها وسلم له بحق نظره تملك المبيع المذكور التسليم التام بحيث لم يبقى{كذا} لبيت المال في ذلك كله حق و لا شبهة ملك....."[2].

وكان يتم تعيين أوصياء للقصر من الورثة في حالة عدم وجود أوصياء عليهم [3].كما كان البيت مالجي مسئولا ،ومشرفا على خدمات الدفن وحراسة المقابر والعناية بها[4]. عندئذ يؤذن بحمل الميت إلى مثواه الأخير وكان يذهب موثقا البيت المالجي إلى مسكن المتوفى ليقوما بتسجيل وتقييد كل الأشياء الموجودة فيه أي مخلفات الهالك من أملاك منقولة ،وكان يحرص أيضا على نقل الأشياء الثمينة خوفا من ضياعها إلى موضع أمن حتى يجتمع الورثة أو ذوي الحقوق من أجل تقسيم التركة[5].

المهم أنه ،و بعد القيام بكل تلك الإجراءات كان يتم إخراج جثمان المتوفى إلى الشارع حيث كان يقوم الأهل ،و الأصدقاء المتواجدون أمام باب بيته بحمل نعشه فوق أكتافهم و يتناوبون في حمله في الطريق[6] قاصدين أولا المسجد للصلاة عليه صلاة الجنازة ،وكان يتقدم

---

[1] الوثيقة رقم 17،في العلبة 119-120 ،مصدر السابق

[2] المصدر نفسه

[3] حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع سابق ،ص.134

[4] Devoulx (Albert), tachrifate…, p.28

[5] حمدان بن عثمان خوجة، المرجع سابق ،ص.134

[6] Joao Mascarenhas,Op.cit.,p.88

الموكب الجنائزي عدد من الطلبة الذين يرتلون بأصوات مرتفعة أدعية، وينشدون لا إله إلا الله[1] و يذكر هايدو في10هـ(16 م) هنا أن الأغنياء، و الأعيان هم الذين كانوا يطلبون خدمات هؤلاء الطلبة[2]. وعندما كان يحمل المتوفى إلى القبر يتم مراعاة أن يحمل نعشه بصورة تجعل رأسه في مقدمة النعش ، ورجليه إلى الخلف على عكس ما تمارسه الأمم الأخرى[3].

و جرت العادة أن لا ترافق النساء الموكب الجنائزي مهما كانت صلة القرابة التي تصلها به سواء كانت أما، أو أختا ،أو بنتا للمتوفى أو المتوفاة، أو قريبة له، أولها، ولم تكن من عادتهم أن يحملوا الشموع، و المصابيح أو القناديل كما هي العادة عند المسيحيين ،وفي حالة وفاة أحدهم يوم الجمعة ؛ فإنه لا يوارى التراب إلا في منتصف النهار ساعة الصلاة ؛حيث يحمل جثمانه إلى أحد المساجد لتؤدي صلاة الجنازة عليه بعد صلاة الظهر[4].

و بعد الصلاة على الميت كان يتم نقله إلى المقبرة سريعا؛ أي بخطوات سريعة قدر الإمكان[5] و بعد الوصول إلى مكان الدفن كان يتم وضع الجثة بكل هدوء و لطف ،وبعناية كبيرة في الحفرة المخصصة لها بطريقة تضمن عدم سقوطها ،أو تلقيها ضربة لأن هذا يعتبر إساءة في حق المتوفى[6].

و عند انتهاء مراسيم الدفن كان يعود الجميع إلى منازلهم، و قبل مغادرتهم المقبرة كان أهل المتوفى يقدمون للمساكين الذين لا يفوتون فرصة كهذه للإسراع إلى المقبرة قطعا من الخبز، وبعض التين المجفف، أو العنب ؛وذلك بحسب فصول السنة [7].

كما أن بعض العائلات الميسورة كانت تقدم الكسكسي المعد بلحم الغنم، تصدقا على روح المرحوم، أو المرحومة وقد ورد في وثيقة تقسيم التركة- المشار إليها آنفا-إشارة إلى هذه العادة أي إخراج الصدقات على روح المتوفى عند تناولها لما أخرجته الزوجة لتجهيز جنائز أبنائها "... وفيما أخرجته في أكفان الهالكين المذكورين ومؤن تجهيزهم وصدقة عليهم وغير ذلك خمسماية دينار.....وغير ذلك من سائر اللوازم....."[8].

---

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.275
[2] HAEDO, "Topographie…", In: **R.A.**, 1871,T.15,p.377
[3] Joao Mascarenhas, Op.cit.,p.88
[4] HAEDO (F.D), "Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871,p.378
[5] Joao Mascarenhas,Op.cit.,p.88
[6] HAEDO ,"Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871,p.378
[7] Ibid ., p.378

[8] الوثيقة رقم 31، من الملف الثاني بالمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، المصدر السابق

و تجدر الإشارة إلى أن هذه المصاريف كانت تقتطع وتستخلص في العادة من تركة المتوفي شأنها في ذلك شأن قيمة الديون المترتبة على المتوفى التي كانت تستخلص أيضا من التركة قبل تقسيمها بين الورثة وهذا ما يتضح من خلال وثيقة فريضة أخري جاء فيها:

"... فتجمل من جميع متروك الهالك المذكور مقوما و مبيعا ومحصلا بانضمام بعضه إلى بعض ما قدره اثني عشر ألف دينار واحدة و تسعة وثلاثون دينار وسبعماية دينار بموحدة ودينار واحد خرج من ذلك في كفن الهالك المذكور، ومؤون تجهيزه، وصدقة عليه ثلاثة وتسعون دينار.....وفي دين له أيضا من ثمن صابون ثلاثة وستون دينار وفي دين للولية مسعودة مايتا دينار تنثان{كذا} واثنان وثلاثون دينار وفي دين عليه لقاسم المعلاوي من ثمن زيت {حيث أن المتوفى كان يحترف صنع الصابون فالزيت من المواد الأولية لصنعته }مايتا دينار تنثان واحد عشر دينار وفي ثمن زيت اشتريت للحانوت على يد شريكه المذكور يوم وفاة الهالك المذكور ماية دينار واحد وعشرون دينار وفي دين عليه لعيسى المغراوي ...ولصانعه موسى اثنان و أربعون دينار{ وهذا دليل على الالتزام الذي ساد في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني اتجاه الأجراء وعدم أكل ثمن تعبهم وعرقهم كما أمر به الإسلام حتى بعد وفاة صاحب العمل}.....وفي دين عليه من كراء الدكان ثمانية دنانير ونصف الدينار"[1].

كما كان يقتطع من التركة أيضا قبل تقسيمها على الورثة ما يندرج في إطار الوصية إذ كان للمتوفى وصية حيث كان البيت مالجي يشرف على تنفيذ محتواها إذ كانت لا تتجاوز المقدار الذي ينص عليه الشرع لأن الواهب –المتوفى – لا يملك التصرف إلا في ثلث أملاكه في إطار الهبة بعد أن يقوم البيت مالجي بتسجيل ذلك لديه و التأكد من صحة رسم ،أوعقد الهبة [2].

وبالإضافة إلى المصاريف السابق ذكرها والتي كانت تقتطع من تركة المتوفى لابد من ذكر مصاريف أخري ذات صلة مباشرة بتقسيم التركة ،والمتمثلة في التكاليف ،والمصاريف التي تتطلبها مسألة بيع ممتلكات المتوفى في المزاد العلني ؛حيث نجد في أحد عقود تقسيم التركات عبارة " .....وهو آخر مزايد فيه ولم يلق مزايد{مزايدا} عليه....."[3].

---

[1] الوثيقة رقم3 في العلبة18 -2 ،المصدر السابق

[2] حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق ،صص.134 -135

[3] الوثيقة رقم31 ، من الملف الثاني بالمجموعة 3205، المصدر السابق

وهي العملية التي كان يشرف عليها البيت مالجي وقد وجدت في مدينة الجزائر أماكن خاصة لذلك وهو ما يؤكده ما ورد في عدة عقود تقسيم التركات حيث ترد فيها العبارات الآتية :"....ثم أمر الأمين المذكور بالنداء على الأملاك المذكورة فندي على كل منها حيث ينادى على مثله من البلد المذكور الأمر المألوف...."[1]. "فأمر بالنداء على جميع الدار المذكورة بالإصطبل فنودي عليها حيث ينادى على مثلها من البلد المذكور وفي موطن الرغبة ومضان {كذا} الزيادة ..... "[2].

و يبدو أن ذلك المكان عرف بدكان المواريث وهو ما نستخلصه من العبارة الآتية –التي وردت بدورها في عقد فريضة –:".....فبيع جميع ما خلفته الهالكة من اسباب وأثاث وحلي وأواني نحاس وغير ذلك بدكان المواريث المخزنية من البلد المذكور على يد الأمين المسطور ....."[3].

وكان يستعان في عملية البيع العلني بالدلالين ومن تم ضرورة دفع أجورهم ،فضلا عن ما كانت تتطلبه طبيعة بعض الأملاك من خدمات أخري مثلا في تصفية تركة أمين الصبانيين تم الاستعانة بمن يقوم بكيل كميات الزيت[4]؛ التي تندرج ضمن تركة المتوفى ليتم بيعها، وطبعا مقابل أجرة كانت تقتطع بدورها من قيمة التركة فضلا عن الحقوق التي كانت تذهب لموظفي ومساعدي البيت مالجي[5]. و ورد ذكر هذه الحقوق في أحد عقود تقسيم التركات بالصيغة الآتية :

".....وفي السداد المعتاد ،وعوايد الدكان {دكان بيت المال }،والييباشي ،والشاوش والعداد {والذي كان مكلف بعد أموال التركة ويبدو أنه كان من الموظفين المساعدين للبيت مالجي}.....وفي أجرة الدلالين وغير ذلك من سائر الضروريات ...."[6].

---

[1] المصدر نفسه

[2] الوثيقة رقم 17،في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1 ،المصدر السابق

[4] وهي المهنة التي تخصصت فيها جماعة الأغواطيين كما سبق ذكره أنظر الفصل الثاني في الباب الأول من هذا العمل

[5] وقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة أنه لا يجب أن تتجاوز قيمة هذه المصاريف سبعة في المائة ،المرجع السابق ،ص135

[6] الوثيقة رقم 3 في العلبة 18-2،المصدر السابق

و كانت تستخلص من التركة أيضا أجرة الخبراء الذين يقومون بتقييم وتحديد قيمة الأملاك العقارية التي خلفها المتوفى وهذا ما نستدل عليه من خلال المصاريف التي وردت في رسم تركة إحدى النساء الثريات في مدينة الجزائر: ".....قسم ذلك بين من ذكر بعد مراعاة ماخرج منه في السداد المعتاد ،وعوايد الييباشي والشاوش ،والعداد ،وأجرة السماسرة{يقصد بهم الدلالين} وأجرة مقومي الأماكن المذكورة{وقد ورد ذكر هؤلاء في محل آخر من هذه الوثيقة :".....بتقويم الأمينين المكرمين السيد محمد بن المرحوم السيد يوسف بن الشويهد{ويبدو أنه كان يتولى مهام أمين الأمناء }والمعلم احمد امين صناعة البناءين في التاريخ ..." [1].

و كان يتم إسقاط جميع المصاريف المذكورة من القيمة الإجمالية للتركة، ومن تم يتم تقسيم التركة على الورثة المستحقين لها حسب الحصة التي يكفلها له الشرع بناء على الأسهم.

ومن خلال ما ورد في عدة وثائق من سلسلة المحاكم الشرعية والتي جاءت على شكل كراسات ،وملفات ومجموع أوراق معنونة ببيان الخارج من بيت مال المسلمين في العلبة 109-110 يمكن أن نستخلص الوظائف التي كانت مرتبطة ببيت المال والتي كانت تساعد البيت مالجي على أداء مهامه ،وهي وظائف كانت تقدم خدمات لعائلات المتوفين ،حيث ورد فيها ذكر :

"عوايد الشاوش ،و عوايد الغسال –القائم على غسل المتوفى- و عوايد الغسالة-القائمة على غسل المتوفاة-،و عوايد للنعش[2]،و عوايد لوكيل الجبانة –أي للقائم على العناية بالمقبرة – وعوايد الحمار ،وعوايد الحفار[3] –أي الذي كان يتكفل بحفر القبور –عوايد البراح و مصاريف الدلالين كما نجد إشارة للداخل من الأكفان وكان بيت المال يتكفل أيضا بدفن الفقراء ،وأبناء

[1] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1 ،المصدر السابق

[2] وقد أورد كونليس دو بجناكر وصفا مفصلا للنعش الخشبي المعتمد في الجنائز بمدينة الجزائر خلال القرن11 هـ(17م) أنظر :Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.153

[3] ونستدل على وجود هذه المهنة من خلال ما ورد ذكره في أحد رسوم تقسيم التركات عند ذكر المصاريف التي أخرجت في جنازة المتوفى كالآتي:".....وخرج منها في حفر قبره وتغطيته ودكه وصدقة و أجرة الطلبة 15 دينار في كفنه16 دينار وفي سداد تسعة وثلاثون دينار{وقد يكون المقصود ديون ترتبت عليه أو سداد مستحقات تقسيم التركة }"أنظر الوثيقة رقم 39 في العلبة 124 ،المصدر السابق

السبيل"[1].

ومن العادات أيضا التي كانت تمارس خلال المآتم عدم قيام عائلة المتوفى بطبخ الطعام لمدة ثلاثة أيام؛ أي لا تشعل الموقد في الدار؛حيث كان الأهل، أو الأصدقاء هم الذين يتكفلون بإرسال الطعام إليهم[2]؛أي مراعاة لانشغالهم بحزنهم على فقيدهم ،وهذا تطبيقا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ،و هي دليل على تقاسمهم وتفهمهم لحزنهم كنوع من المواساة والمساندة . وهذا عكس ما هو الأمر عليه حاليا؛حيث أن أسرة المتوفي هي التي تتكفل عناء تحضير الطعام للمعزين وإن هناك من يعتبر القيام بذلك كنوع من الصدقة على روح المتوفى.

و خلال هذه الأيام الثلاثة التي كانت تعقب الجنازة كانت تقدم الصدقات للفقراء والمحتاجين محبة لوجه الله، وترحما على روح الفقيد والمتمثلة أساسا في الخبز، والتين بمقدار ما كان يأكله المرحوم، أو يقدر على أكله خلال وجبة[3].

و كانت النساء خلال الأيام الثلاثة التي تلي الوفاة، و لاسيما موت أحد أولادهن أو آبائهن ترتدين بعض الألبسة(Voile) الصفراء، أو السوداء، ولا تصبغن الشعر بالحناء ولكن لمدة ثلاثة أيام فقط[4].

و في اليوم الموالي للجنازة كان يأتي أهل ،وأصدقاء المتوفى لزيارة القبر؛ حيث كانوا يبكون ويدعون له لبعض الوقت، ويترحمون على روحه ،وبعد انصراف الرجال، كان يأتي دور نساء بيت المتوفى ،وصديقاتهن اللواتي كن يجتمعن عند القبر للبكاء ،والترحم على روح المتوفى وتبادل الحديث، وقد تتواصل هذه العملية بعد الأيام الثلاثة التي تلي الوفاة ؛ أي زيارة القبر والدعاء للميت بالرحمة والغفران .كما كان يتم إحضار بعض الزهور لوضعها على القبر وتريد العادة أيضا أنه طوال السنة وتحديدا كل يوم إثنين،و جمعة صباحا ،وكذلك كل يوم خميس مساء أن تذهب النساء بصورة دورية إلى زيارة المقابر[5]،وهذا ما كان يفعله بعض الرجال في نفس الأيام ولكن في الصباح الباكر[6].

---

[1] بيان الخارج من بيت مال المسلمين، في العلبة 109-110، من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] Joâo Mascarenbas, Op.cit.,p.89 voir aussi Dapper, Op.cit.,p.176

[3] HAEDO "Topographie…", In: **R.A.,** T.15, 1871,p.381 voir aussi Dapper,Op.cit.,p.176

[4] Ibid., pp.380-381

[5] Ibid., p.380 Voir aussi Joao Macarangas, Op.cit., p.89

[6] Ibid., In: **R.A.**,T.15,1871,p.380

و بعض النساء كن يحضرن الخبز، واللحم، والفواكه عند زيارتهن للمقابر ،و يقمن بترك هذه الأطعمة للفقراء[1]؛ فزيارة المقابر كانت تعتبر من بين أهم اهتماماتهن ، وكانت المرأة تعتبر مقصرة إن لم تقم بذلك ؛ ولهذا السبب لم تكن أي امرأة في مدينة الجزائر تهمل مسألة الذهاب لزيارة المقابر للدعاء للمتوفى ،والترحم عليه على الأقل في أيام الخميس، والجمعة[2].

و هذه عن أهم العادات، والتقاليد المتبعة عند الوفاة في مدينة الجزائر من طرف سكانها من المسلمين.

وكان اليهود يتبعون عند وفاة أحد منهم بعض العادات [3] الشبيهة بتلك الموجودة لدى المسلمين ولكن مع وجود عدة اختلافات يفرضها اختلاف الديانة؛ فقد كانوا يقومون بغسل الميت و إلباسه قميصا ،وسروالا أبيضا، ولفه في غطاء يجب أن يكون جديدا[4].

ثم يحمل إلى المدفن في وسط حشد من أهله، وأصدقائه، وهم يرتلون أدعية عبرية، إلى أن يصلوا إلى المقبرة الواقعة عند مخرج باب الواد إلى اليسار، وكانت لديهم طريقة مميزة للدفن ،وهي دفنهم لموتاهم وهم راكعون وليس ممددين[5] ،كما كان يميز قبورهم تلك الكتابات الجنائزية التي كانت تكتب عادة بالغة العبرية[6].

و ما سبق ذكره دليل على الاحترام ،والحرية الدينية التي حظي بها اليهود في مدينة الجزائر في كل الأمور المتعلقة بطقوسهم الدينية بما في ذلك مراسيم الوفاة ،و كانت النساء اليهوديات تزرن المقابر كل يوم خميس للبكاء، ولكن ما يميزهن هو أنهن كن يعبرن المقبرة منتوفات الشعر ومطلقات صرخات كبيرة و هذا بالإضافة إلى جلسات البكاء والندب المنظمة خلال السنة التي تعقب وفاة الميت حيث كانت تجتمع النساء اليهوديات في منزل المتوفى ،وعلى صوت بعض الآلات أو ببساطة على إيقاع التصفيقات ينشدن بأصوات مرتفعة أناشيد لإثارة الدموع حول مزايا المتوفى

---

[1] DAN (R.Père François Pierre),Op.cit., p.275

[2] HAEDO ,"Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871, p.204

[3] وقد حظيت طائفة اليهود في مدينة الجزائر ،وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية بدراسات أكاديمية إنطلاقا من الوثائق الأرشيفية وخاصة بالنسبة للقرنين 18 -19 م ونذكر منها على سبيل المثال:نجوى طوبال،طائفة اليهود في مدينة الجزائر مابين(1700 -1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،الطبعة الأولى ،دار الشروق للطباعة والنشر ،الجزائر، 2009 وأيضا محمد دادة ،اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ القرن 18 م حتى1830م)،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق،1985

[4] HAEDO ,"Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871,p.381

[5] Ibid.,p.381

[6] Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit, In : **R.A.,** T.14, 1870, p.195

وتكون هذه الجلسات في شكل حلقة تكون فيها الشعور منتوفة، والوجوه مخدوشة نتيجة للندب و من لا تستطيع من الأرامل تنظيم حلقات البكاء المشتركة لعجزها عن جمع العدد الكافي تنسحب في ركن من أركان المسكن تندب، و تطلق صرخات تحطم الآذان، و تسكب الدموع[1]. وهذه من الممارسات المحرمة على المسلمات.

ولابد في الأخير من التحدث عن المقابر التي كانت تقع خارج المدينة في الضواحي خارج باب الواد؛ حيث كانت مقبرة في غاية الاتساع، وفيها كان يدفن المسلمون، و غير المسلمين من نصارى، و يهود[2]،و كان لكل منهم قسم خاص لدفن موتاهم يحاط به جدار منخفض.

وكان للانكشارية مقبرة طويلة ،و كبيرة، و عريضة جدا أين كانوا يدفنون دون سواهم و كانت توجد خارج باب عزون [2]، وأحيانا كان يدفن بعض الموتى –لكن قلة قليلة منهم– في حدائقهم و تخصص أشجارها المثمرة كصدقة جارية من حق أي كان أن يأكل منها[3].

كما خصصت مقبرة لقبور ولاة[4] الجزائر متقنة البناء[5]، وكانت مخصصة للقياد الكبار و الباشاوات[6] ؛حيث كانوا يدفنون في قبب واسعة دائرية مثبتة كقوس منحنية جميلة النقوش و البناء أي شبيهة بالضريح و كان الدخول إليها يتم عن طريق باب ضيقة، و كانت دائما مقفلة بواسطة قفل،و حول هذه القبب كانت توجد نوافذ صغيرة يدخل عبرها بعض النور في حين أن البعض الأخر كان لا يملك نوافذ ،و في وسط هذه القبب كان يبنى قبر ،أو ضريح فوق

---

[1] HAEDO ,"Topographie…", In: **R.A.**, T.15 , 1871,p.382

[2] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص231

[2] HAEDO ,"Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.387

[3] Ibid., pp.377-378

[4] ويبدو أن بعض الولاة كانت لديهم مقبرة خاصة ربما مقبرة عائلية وهذا ما نستخلصه من أحد عقود التحبيس الذي يشير إلى مقبرة خاصة بالداي محمد التريكي حيث حبس شطر حانوت على طالبيين اثنين يقرأن القرآن العظيم بجبناته الكاينة خارج باب الوادأحد ابواب البلد المذكور القريبة من برج المرحوم علي باشا....."أنظر: أنظر الوثيقة رقم 3 :"عقد تحبيس حانوت من طرف الداي محمد التريكي "، في العلبة 10 -1 تاريخها أواخر جمادى الأولى 1084 هـ(1673 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 231

[6] وهو ما ذهب إليه دابر حين ذكر أن قبور الباشاوات كانت متواجدة خارج باب الواد، و أن من بين قبور الباشاوات كانت قبور الباشاوات حسن ،وصالح ،وسليمان ومصطفي تشد الأنظار. أنظرDapper ,Op.cit.,p.171

الأرض،و بدرجات من الحجارة ،و مربعات من الزليج ، أو الآجر، و كلها كانت متقنة الصنع و كانوا يضعون في النهاية حجرين دائريين والمقصود بها الشواهد واحد عند الرأس ،و الثاني عند القدمين أين ينقشون بأحرف بارزة كلمات من القرآن مع اسم و مكانة المتوفى[1] ؛وذكر بعض خصاله الطيبة باللغة العربية، أو باللغة التركية العثمانية، و كان يعلو هذان الشاهدان مجسمات تمثل شكل العمامة، والهلال[2].

أما قبور بقية المسلمين سكان مدينة الجزائر ،فكانت حفرا في الأرض يوضع بها الميت كما سبق القول بكل عناية ،و يغطى القبر عادة بحجارة كبيرة، و بالتراب ،و عند الانتهاء من تغطيته يحددون معالم القبر بحجرين مصقولان جيدا واحد عند قدميه و الأخر عند الرأس ؛حيث كانوا يكتبون اسم المرحوم، وتاريخ وفاته، و تعرف بالشواهد[3].

و كانت تزرع بالمقابر أنواع مختلفة من الأزهار والأعشاب العطرية لاسيما حول القبور وفوقها وقد يكون الهدف من وراء ذلك تجميل المكان، ولكن الهدف ربما كان رغبتهم في أن يظهروا أنه لا يوجد شيء يمثل رهافة الحياة كالأزهار[4] وكان يتم العناية بهذه النباتات حيث كان يتم الحرص على انتزاع كل الأعشاب والنباتات الضارة التي يمكن أن تنمو في جوارها [5]؛فكانت المساحات المحيطة بالقبر أشبه بالحديقة الصغيرة [6]كما حظيت القبور نفسها بالعناية؛ فقد كانت كلها تقريبا تغسل وتبيض بالجير كل شهر.[7]

وبالتالي كانت المقابر في ظل الحكم العثماني بمدينة الجزائر تحظى بالعناية والاهتمام والاحترام وكانت للمقابر حرمتها المقدسة، وكان للمقابر وكلاء يشرفون عليها؛ أي قائمون على العناية بالمقبرة ،وهذا ما نستخلصه من سجل بيان الخارج من بيت مال المسلمين؛حيث وردت فيه عبارة عوايد لوكيل الجبانة[8]؛وهو المصطلح الذي كان يطلق على المقبرة ويبدو أن هذا الوكيل كان تابعا

[1] HAEDO ,"Topographie…" ,In : **R.A.**, T.15, 1871, p.379
[2] Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit., In : **R.A.,** T.14, 1870, p.195
[3] Joao MASCARENHAS, Op.cit., p.88
[4] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.276 voir aussi Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit., In:**R.A.,** T.14 ,1870, ,p.195
[5] Pananti Pilippo, Op.cit., p.321
[6] Ibid., p.195
[7] Belachemier (Jean- Louis), Op.cit., p.186 voir aussi Pananti Pilippo, Op.cit., p.321
[8] بيان الخارج من بيت مال المسلمين، في العلبة 109-110، المصدر السابق

لمؤسسة بيت المال.

وللأسف هذا ما نفتقده في وقتنا الحالي في العديد من مقابرنا ؛حيث أصبحت حرمة المقابر والموتى تنتهك بممارسات لا تمت للدين ،وللأخلاق ،والإنسانية بأية صلة ربما لافتقار العديد منها لمن يقوم عليها في حين كان للمقابر بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وكلاء يشرفون على صيانتها والمحافظة عليها كما سبق ذكره.

و مما سبق يتضح لنا أن المآتم عند سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني، وبخاصة المسلمين منهم كانت مناسبة للتآزر بين أفراد العائلات، وتذكر الآخرة فضلا على أنها كانت مناسبة للقيام ببعض أعمال الخير ،وإبراز مظاهر التكافل الاجتماعي كالتصدق على الفقراء.

6-الأطعمة:

أ-المؤثرات المحلية و العثمانية والأندلسية في مطبخ مدينة الجزائر:

لقد كان المطبخ الجزائري في ظل الحكم العثماني من أغنى، وألذ المطابخ في البلاد الإسلامية والسر في ذلك أنه كان يجمع بين أشهى، وأطيب الأطباق من بلاد المشرق إلى بلاد الأندلس[1] فالتنوع الذي كان عليه مجتمع مدينة الجزائر من حيث أصول سكانه انعكس على الأطعمة التي تنوعت بدورها في إطار التأثيرات المتبادلة، والتفاعل الحضاري الإيجابي؛ فوجدت أطباق محلية صميمة ، وأخرى ذات أصول أندلسية ،وعثمانية، وغيرها وقد امتزجت كل هذه الوصفات والأطباق لتشكل مائدة جزائرية متميزة[2] ؛فالأطباق المحلية كانت كثيرة ،وكان يتصدرها الصحن التقليدي للمغرب الإسلامي والذي كان متمثلا في"**الكسكسي**"أو"**الطعام** " أو **الكسكسو**"[3].

وقد أشار إليه معظم رحالة ،وكتاب الفترة المدروسة فحسب هايدو في القرن 10هـ(16م)فإن النمط الغذائي الذي كان سائدا عند سكان مدينة الجزائر في الغالب عند الأغنياء، و الفقراء على

---

[1] أحمد توفيق المدني،الجزائر...، ص.213.

[2] وهذا ما ينفي الادعاءات المغرضة لبعض الرحالة ،والأسرى الذين كتبوا عن هذا الموضوع وزعمهم أن الأطباق كانت قليلة وغير متنوعة من أمثال هايدو، والأب دان.

[3] ابن رزين التجيبي ،فضالة الخوان في طيبات الطعام ،والألوان ،صورة من صور الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر- بني مرين ، حققه وقدم له محمد بن شقرون،أشرف على إعداده الدكتور إحسان عباس،،الطبعة الثالثة ، دار الغرب الاسلامي تونس 2012، صص.87-89 وفيه وصف دقيق لوصفات مختلف أنواع الكسكسي التي كانت تطبخ في الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي.

حد سواء كان يرتكز أساسا على الكسكس مع بعض الفواكه، وبعض اللحم نصف المطبوخ الذي كانوا يحفظونه في علب بين قطع الشحم ،والزيت ويعرف **بالخليع** أو كانوا يعدونه ،أو يحضرونه مع بعض اللحم المطهو مع الحمص،والقرع ،والأرز، أو القمح المكسر المدشش والمقصود كما يبدو البرغل[1].

ويبدو أن هايدو ،وغيره من الذين كتبوا عن الموضوع لم يفهموا أن الكسكس لم يكن عبارة عن أرز، أو قمح مكسر؛ فالكسكسي في حد ذاته والمعروف كذلك بالطعام كان يصنع من الدقيق الذي كان يتم فتله للحصول على حبات صغيرة في آنية خشبية شبيهة بالقصعة معروفة **"بالجفنة"** ثم كان يطهى بالبخار بواسطة آنية مشكلة من كسكاس وقدر[2].

فكان يتم وضع الكسكس في الكسكاس على قدر به ماء يسخن كما هو الحال إلى يومنا هذا باستثناء أن الآنية المستعملة حينها كانت من الفخار وفي بعض الأحيان من النحاس ،أو القصدير و كانت تستعمل عدة طرق لتحضير ،وتقديم هذا الطبق الشعبي لذيذ الطعم، و المغذي جدا؛ حيث أنه كان مرافقا عند التقديم بالمرق والخضروات، أو يقدم بالبيض المسلوق، أو بأعشاب حلوة المذاق ، أو يدهن بالزبدة ،أو الزيت لاسيما من طرف الفقراء الذين لا يتمكنون من شراء اللحم[3].

ونحن نعلم اليوم أن هذا الطبق التقليدي، متكامل و جد مغذي[4]. و إلى جانب الكسكس وجدت

---

[1] HAEDO (F. D) ,"Topographie…", In**:R.A.**, T.15, 1871, p.209

[2] حول هذه الآنية والتطورات التي شهدتها، وكذا أبرز أواني المطبخ سواء المستخدمة لإعداد الطعام ،أو حفظه وحفظ مكوناته أنظر :حورية شريد ،تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني(دراسة تاريخية أثرية) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ،إشراف الأستاذ الدكتور صالح بن قربة،معد الآثار ،جامعة الجزائر2 ،2010-2011

[3] وليام شالر ،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ،تعريب ،وتعليق ،وتقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1982 ،صص.87-88

[4] وقد أدرك بعض الملاحظين الأروبيين ذلك خلال العهد العثماني وحرصوا على ذكره ،وتدوينه ومن أمثالهم بيناتي الذي ذكر ما يلي:" إن طبق الكسكسي الشهير يحضر بوضع كمية معينة من حبوب خاصة ببلاد بربرية {بلاد المغرب الإسلامي } في آنية بها عدة ثقوب{يقصد الكسكاس} والتي توضع على قدر ملئ بالحم الدجاج أو الغنم والبخار المتصاعد من المزيج المتواجد بالقدر هو الذي ينضج الكسكسي ؛ثم يدهن بقليل من الزبدة ويضاف إليه محتوى القدر من لحم ومرق وهذا المزيج يشكل أحد أفضل الأطعمة التي يمكن أن نتخيلها فلا يجب أن نتعجب إذا من إعتباره طعاما أوطبقا وطنيا ....."أنظر :=

معجنات أخري بعضها محلي مثل المحمص أو المحمصة ،والفداوش–الشعرية–[1] وبعضها الآخر يعد تأثيرا عثمانيا مثل الرشتة ،و بعضها مستورد مثل المقارون أو المعكرونة [2].

وحسب هايدو أيضا فإن سكان مدينة الجزائر نادرا ما كانوا يأكلون الدجاج، ودائما في هذا الصدد وضح الأب دان أنهم كانوا لا يأكلون تقريبا اللحم المشوي، وطعامهم العادي كان مشكلا من الأرز، و الكسكس، ولحم الغنم،و العجول، والثيران، والدجاج المغلي، أي المطهو بالمرق مشيرا إلى أن المسلمين في مدينة الجزائر لم يكونوا يأكلون إلا اللحم المذبوح[3]وقد كانوا يحضرون اللحم المسلوق ،و اللحم المشويّ بطريقة جد شهية و لذيذة.

واشتهر سكان مدينة الجزائر بإعداد عدة مؤن من لحم البقر ، ومن لحم الغنم منها ما عرف بلحم الخليع ؛حيث كان يتم نزع العظم من قطعة لحم بقري أو غنمي ،وكان يتم تقسيمها إلى قطع صغيرة كان يتم تجفيفها في الشمس بعد أن يتم تمليحها ثم يتم غليها بعض الشيء وبعد أن يتم تقطيرها يتم وضعها في جرة، ويصب فوقها زيت الزيتون وتغلق الجرة لتسحب منها بعض القطع من الحم حسب الحاجة لإعداد الكسكس أو لإعطاء نكهة للكرنب وغيره من الخضروات الورقية ،ومنها ما عرف بالحم القديد الذي كان يعد من قطع لحم البقر أو الغنم ،أو الجمال التي كان يتم تمليحها ،وتجفيفها في الشمس وكان يتم الاحتفاظ بها هكذا دون غمرها في الزيت ،أو الشحم[4].

و الطرق التي كانت تستخدم لحفظ اللحوم ،والتي تم وصفها أعلاه سابقة لقدوم العثمانيين إلى مدينة الجزائر ،ويبدو أن هؤلاء قد استقدموا إلى الجزائر طريقتهم الخاصة في حفظ اللحوم وهي شبيهة بالطرق المحلية ولكنها أطيب مذاقا حسب ما ذكره أحد الملاحظين الأوروبيين حيث يتم نزع العظم من اللحم وتقطيعه إلى قطع صغيرة جدا وتنزع قطع الشحم منها ويتم قليها جزئيا ثم

=Pananti Pilippo,Op.cit.,p. 323

[1] وهي من المعجنات السابقة لاستقرار العثمانيين في الجزائر على غرار الكسكس حول طرق إعدادها أنظر ابن رزين التجيبي،المصدر السابق ،صص.90-91،وأنظر قانون مدينة الجزائر،المصدر السابق،الورقة 17–النسخة 2

[2] قانون مدينة الجزائر ،المصدر السابق ،الورقة 17-النسخة 2

[3] DAN (R.Père François Pierre) ,Op.cit., p. 281

[4] Jean-Michel Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII e siècle, Mémoires et Observations rassemblés et présente par Joseph Cuoq, Edition Sinbad, paris, 1983, p.131

كان يتم تمليحها قليلا ويتم وضعها في جرة ومن ناحية أخري يتم تذويب قطع الشحم ثم تتم عملية تصفيتها ومزجها بالزبدة ويسكب هذا المزيج على قطع اللحم في الجرة ويتم الاحتفاظ بها طيلة السنة وتعرف" بالقارومة " ،وهي مئونة جد ملائمة ،وجيدة للمسافر الذي يسافر سفرا طويلا[1].

وإلى جانب القارومة وجدت أطباق عثمانية أخرى في مدينة الجزائر خلال المرحلة محل هذه الدراسة نذكر منها على سبيل المثال طبق" **البيلاف بيلو**" باللغة العثمانية ، وهو طبق أناضولي كان أيضا شائعا في مدينة الجزائر وكان مؤلفا من أرز، ولحم ،وتوابل وقد ذكره روكفيل بقوله :"كان سكان مدينة الجزائر يتناولون طبقا مشكلا من قطع لحم الغنم المشوي وأرز مطبوخ بالبصل وكان طبقا عثمانيا أيضا"[2].

كما كان الإقبال شديدا من طرف السكان على طبخ "**الدولما**" (معناه الحرفي المحشوة) التي كانت تعد من مختلف أنواع الخضروات وعند العودة إلى الحديث عن موضوع طبق الدولما نجد تنوعا ،وتعددا فيها إذ وجد طبق" **سوبان دولماسي**" (Sovon Dolmaci)، وهو عبارة عن بصل مملوء بلحم الخروف المرحي ،أو المفروم ،والرز أي بصل محشو وكذلك الطبق الأكثر شعبية لدي العثمانيين و المعروف" **بيابراك دولماسي**"(Yaprak dolmaci)[3] ؛ ونقصد به لحم مغلف بأوراق العنب ، وكان يشكل هذا الأخير أحب الأطباق إلى العثمانيين خاصة، وكان كما سبق الذكر عبارة عن دولما مشكلة من اللحم المفروم الموضوع في أوراق العنب على شكل كريات صغيرة ؛ والتي كان يتم غليها في المرق، ثم تناولها مع بعض الكريمة[4].

وإلى جانب الأطباق السابق ذكرها وجد طبق الكباب-كابوبس- ،وهو كذلك طبق عثماني كان شائع في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ليصبح من الأطباق التقليدية لديه، وكان يعد من لحم العجول، والخرفان والغنم، كما وجد طبق "**الكفتة**" (kofte) الذي كان عبارة عن وجبة كراكب

[1] Ibid.,p.131

[2] Rocqueville (Sieur. De), Op.cit., p.78

[3] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.94

[4] Rocqueville (Sieur. De) ,Op.cit, p.77

من اللحم تعد بطرق متنوعة[1]، وكذلك طبق "**البوراك**"(börek) المعد بأوراق الديول أوراق من العجين يتم حشوها بالجبن أو اللحم المفروم[2] و الذي لايزال طبقا شعبيا في الجزائر إلى اليوم ولاسيما خلال شهر رمضان.

كما وجدت أطباق أخرى ذات تأثير عثماني "**كالتربية**"(terbiya et trebya) وهي عبارة عن طبق من اللحم باللفت والمطبوخ في المرق؛ فتسميته مشتقة من الكلمة العثمانية تربيه(terbiïé) والتي تعني مزج و تحضير الأطعمة والمرق،وطبق آخر عرف "**بالبرانية**"(brâniya et barrâ) وهي عبارة عن طبق لحم معد بمرق به خبز، وبيض، وجبن ومحمر(gratine) وقد يحضر أيضا بالبتنجال. كما وجد طبق آخر وهو طبق "**البازينة**"أو "**البازينه**" (bâzîna ou baziné) وهو طبق أشبه بالعصيدة يحضر بالسميد، ومرق اللحم المطهو مع الحمص[3].

وإلى جانب الأطباق العثمانية المالحة أدخلت أيضا أطباق حلوة المذاق إلى مطبخ مدينة الجزائر أي تحليات عثمانية مثل التحلية المعروفة "**بتراز**"(trâz) وهي مشتقة من كلمة "**چرز**"(tcherez) التي تعنى تحلية (dessert)وكانت مشكلة من فواكه جافة جوز، ولوز، وبندق ،وقسطل ،وزبيب وتين مجفف وتمر.وفي إطار التحليات وجدت تحلية أخرى عرفت بـ"پالوزة"(palouze) وهي نوع من الجيلي(gelée) أوالكريمة المصنوعة من السميد الرقيق جدا والحليب، والسكر وفي المراحل اللاحقة سيعوض السميد بطحينة الأرز[4].

وقد تبنى العثمانيين بدورهم الأطباق المحلية لاسيما طبق الكسكس وهو ما نستخلصه من خلال ما أورده"دو شستال دو بويس" le Sieur du Chastelt des Boys "؛حيث ذكر أنه رأي في مطابخ قصر الجنينة أطباقا وفيرة مليئة بالأرز، و الكسكس الذي عرفه بكونه نوعا من المقرونة

---

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.94

[2] Marie-Hélène Sauner-Leroy, LA Cuisine Ottomane ou la transmission d'un art de vivre, In : **La pensée de midi** 2000/3 (N° 3), Actes sud, Article disponible en ligne à l'adresse : http://www.cairn.info/revue-la-pensee-de-midi-2000-3-page-45.htm,p.48

[3] Ben Cheneb Mohammed ,Mots Turks et persans conserves dans le parler algérien, Thèse complémentaire présentée et soutenue devant la faculté des lettres d'Alger en vue du doctorat des lettres,1922 ,florilège,(محمد بن شنب منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق),Casbah Editions,Alger,2011,pp.142-153

[4] Ibid.,pp.151-153

المصنوعة من الفرينة ذو شكل صغير ،ومستدير مع الدجاج المغلي؛أي المطهو بالمرق هذه العناصر الممزوجة معا كانت موجهة كلها لطاولة الباشا ،و الجنود الضباط؛حيث كان يوجد بالمطبخ كل ما يجب لطرد الجوع[1].

وإلى جانب ما سبق ذكره من مأكولات محلية وعثمانية نجد أطباق ،وكيفيات أندلسية كانت سائدة في مدينة الجزائر في إطار التأثيرات المتبادلة ، فوجد طبق "**الحم لحلو**"، وأنواع مختلفة من المرق ،وطبق "**الطبيخة**"، و"**البغرير**" بالإضافة إلى "**المرقاز**"، أو "**المرقاس**"[2]؛وهو نوع من النقانق من اللحم و"**لحم القديد**"[3]،والمربيات المتنوعة.[4] وغيرها[5].

وتميز المطبخ الأندلسي الذي انتقلت مؤثراته إلى مدينة الجزائر لاسيما في ظل الحكم العثماني بالاستعمال الكبير للخضروات المتنوعة ولاسيما في إعداد مختلف أنواع الحساء، والعصائد التي كانت تتكون من الفرينة أو السميد أو عجائن أخرى التي تمزج في غالب الأحيان بالخضروات وبخاصة السبانخ التي كانت من الخضروات المحببة لديهم لإعداد الحساء وكذا الثوم ،والبسباس وفي بعض الأحيان كان يضاف اللحم أيضا إلى هذه العصائد كما تميز بكثرة استعمال الأعشاب العطرية والتوابل وبخاصة المعدنوس،والحشيش مقطفة ،والنعناع ،والحبق (basilic)،و الزعتر،والزعفران

---

[1] Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit., In **R.A.**, T.11,1867, p.167

[2] أنظر ابن رزين التجيبي،المصدر السابق صص.144-146أنظر أيضا:Guichard Pierre ,Op.cit., p.339

[3] ابن رزين التجيبي،المصدر السابق ،ص.272

[4] وذكر ديسبارمي أن المرأة التي تريد القيام بعمل شيء إضافي و مستحسن لاستقبال الضيوف بالإضافة إلى إعدادها للحلويات تقوم بتحضير و صنع المعجون، أو المربى خلال مواسم الفواكه ،وتحفظه في آواني خاصة لاستعمالها عند قدوم الضيوف أو خلال الولائم؛ حيث تقدمها مع القهوة، وكذلك عند اجتماع أفراد الأسرة في العشية ،وخلال السهرات العائلية وكانت المربيات تصنع من كل الفواكه مثل السفرجل، ومن الخوخ ،وحب الملوك ،والتفاح ،والإجاص ،ومن العنب، والطرنج ،أو الأترنج ولأن هذا الأخير مر كانوا يضعون حصتين من السكر ،وحصة من الطرنج في حين أن الفواكه الحلوة المذاق كان يضعون لها حصة سكر واحدة ويضاف لمعجون الفواكه نصيب من المسك ،أو العنبر حتى تكون رائحته طيبة وذكر أن المعجون المحبب لدى خاصة الناس معجون الزهر والورد المسكي؛ حيث لا يأخذون من الزهر إلا الورق الأبيض ويتركون تلك الحبيبة الخضراء التي في قلب الزهر ومن الورد أيضا لا يأخذون إلا الورق الأحمر ويطهى معجون الزهر بحصتين من السكر ويكون لونه بعد نضجه جميلا ورائحته زكية. أنظر: جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق،صص.99-100

[5] Mahfoud Kaddache, L'Algérie durant …, p. 208

والزنجبيل والقرنفل[1]،والقرفة،والكركم ،والفلفل الأسود ،والسمسم والبرقودش،والمليسة،والخردل وجوز الطيب يضاف إلى ذلك استعمالهم الكبير لمادة العسل وكذا الخل، والملح المستعملين خاصة في حفظ الأطعمة وكذا سكر القصب ،والتمر وكذلك المكسرات وبخاصة اللوز، والجوز ،والجبن حيث اشتهروا بالكسرة أو الخفاف بالجبن الأبيض والتي عرفت بالمجبنة التي كانت تقدم ساخنة جدا بعد أن يتم وضعها في العسل ورشها بالقرفة وقد دخلت هذه الأكلة حتى في تراث المطبخ الإسباني وتحديدا في المطبخ التقليدي القشتالي و اشتهروا أيضا بتعطير أطباقهم وبخاصة الحلويات بماء الورد أو ماء الزهر خاصة زهر البرتقال[2].

أما المشروبات التي كان يتناولها سكان مدينة الجزائر؛ فكانت متمثلة في الماء الصافي أو مزيج من الماء، والعنب، وعصير الليمون[3] ، وكانوا يحضرون أيضا الشربات التي كانت عبارة عن ماء ممزوج بالسكر وعصير بعض الليمون يضاف إليه في بعض الأحيان بعض اللوز فيتشكل لديهم عصير مركز من السكر، وعصير الليمون الذي يتم مزجه بالماء ؛فيكتسب هذا الأخير نكهة أو مذاق جد طيب[4].

كما وجد لديهم مشروب آخر عرف ببوجة (boja)[5] المصنوع من الطحين الأبيض المستخلص من الشعير ،أو الأرز ومن الماء وطعمه ،أو مذاقه يذكر شاربه بطعم اللبن الرائب بالإضافة

---

[1] و استعمال التوابل من أهم ما ميز الطبخ فبي بلاد الأندلس والمغرب في العهد الموحدي:"يجب أن تعلم أن معرفة استعمالات التوابل في الأطعمة هو المبدأ الأساسي في إعداد الطعام ويشكل القاعدة التي يرتكز عليها فن الطبخ؛ حيث نجد أن التوابل تتكيف مع عدة أطباق ومن خلال استعمالها يتحول مذاق الأطعمة ؛فتجعلها التوابل أفضل و أكثر لذة، و استعمال التوابل ينتج مفعولا مزدوجا ؛فمن ناحية لديها أثار إيجابية ومن ناحية أخرى؛ فهي تمنع أضرار محتملة....." أنظر:
Anonyme, La cocina hispano-magribi en la época almohade segùn un ms. inédito,Kitâb al-tabï h fi l-Magrib wa-l-Andalus fi 'asr al-Muwahhidïn, A. HuiCl MlRANDA éd., Madrid, 1965 ; Id., Traduction espanola de un manuscriio anônimo del siglo xni sobre la cocina hispano-magribi, A. Huici Miranda trad., Madrid, 1966, p.65copie d'âpre García Sánchez Expiración. La consommation des épices et des plantes aromatiques: en al-Andalus. In: **Médiévales**, n°33, 1997. Cultures et nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger.pp.41-53; referanse noumerique :doi :10.3406/medi. 1997.1393 http://www.persee.fr/ doc/ medi_0751-2708_1997_num_16_33_1393,pp.42-43

[2] Guichard Pierre, Op.cit , pp.340 - 341 voir aussi García Sánchez Expiración, Op.cit., pp.46 -51 voir aussi Pananti, Op.cit., p.323

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.82

[4] Cornelis Pijnacker,Op.cit.,p.108

[5] Ibid.,p108

إلى مشروبات أخرى كالقهوة، والشاي[1].

و إلى جانب ما سبق ذكره وجدت أطباق متنوعة، وشهية من الحلويات[2] ؛ التي أبدعت في صنعها وتحضيرها النساء في مدينة الجزائر فكانت متنوعة في الشكل والذوق ،ولاسيما بمناسبة الأفراح كالزواج، والميلاد، وغيرها من المناسبات السعيدة ،وتنوع طرق تحضير النوع الواحد منها فقد كانت محضرة ،و متبلة ،ومعطرة بعشرين طريقة مختلفة أي بمعني تنوع الحلويات ،وكانت تقدم في أطباق صغيرة مزينة بالورد ،والأزهار ،وفي بعض الأحيان بشموع صغيرة مضاءة [3] ،وبناء عليه يمكن القول أن الطبخ في مدينة الجزائر لم يكن مجرد استجابة لحاجة إنسانية ولكن مجالا للإبداع والتفنن حتى في طريقة تقديم الأطباق .

و قد وجدت هذه الحلويات وراجا في أوساط سكان المدينة من اليهود أيضا، فكانت أعراسهم تتوج بآخر ما توصل إليه ابتكار النساء المسلمات في مدينة الجزائر فوجدت حلويات التشراك القنيدلات،و البقلاوة[4].و القطايف التي كانت تعرف أيضا بالشهدة ،أو المشهدة، كما عرفت أيضا

---

[1] Ibid.,p.108

[2] و يذكر جوزيف ديسبارمي في كتابه عن عادات وعوائد سكان الجزائر الحلويات التي كانت تصنع من طرفهم ضمن عادات وصفات متوارثة منذ العهد العثماني فصنفها إلى: الصنف الأول حلاوات ،أو حلويات بالعقدة؛ أي تستعمل فيها حشوة تصنع من اللوز الذي يتم قليه حتى يتخلص من قشرته الرقيقة ويتم درسه أي طحنه بالمهراز ويمزج بمقدار من السكر ونصيب من السمن وماء الزهر حتى يتم الحصول على عجينة متجانسة تستعمل في حشو بعض الحلويات مثل: القطايف والمحنشة، وكعب الغزال ،والكعك،والمقروط،والتشراك ،والصامصة ،والبقلاوة ...الخ والصنف الثاني حلاوات أوحلويات بلاعقدة أي لا تستعمل فيها حشوة مثل :الزلابية ،والمحلبي الذي يصنع بوضع الحليب على النار حتى يغلي ثم يوضع فيه الأرز والسكر وعندما ينضج يضاف إليه ماء الزهر وترش عليه القرفة، والبغرير،والمعارك،والمسمن والذي يعتمد في صنعه على عجين يتم حله على طريقة تحضير الرشتة ويقطع، ويطوى العجين كما عند تحضير المحاجب ،ويقلى في الزيت وبعد قليه يوضع عليه العسل والغريبية وهي عبارة عن فرينة معروكة في السمن ،والسكر ثم تكور مثل حبة إجاص تقريبا،وتطهى في الكوشة طت كل حلوى من هذه الحلويات بمناسبة معينة مثلا المقروط اقترن تحضيره بالاحتفال بختان الأطفال واستقبال الحجاج العائدين من الحج في حين ارتبطت الطمينة بالاحتفاء بمولود جديد وبالمولد النبوي الشريف ،والبغرير بالليلة العيد الكبير أي عيد الأضحى وهكذا. أنظر: جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق ،صص.97-99

[3] Lessore (E) , Wyld (W),Op.cit, Planche.XX

[4] ويبدو أن البقلاوة تندرج ضمن التأثيرات العثمانية المشرقية في مجال الحلويات ،حيث نسجل أنه كانت تقدم للجنود الإنكشارية عند تلقيهم لرواتبهم إلى جانب وجبة طعام أطباق من حلويات البقلاوة، وهذه الحلوى على غرار حلويات القطايف معروفة أيضا في ألبانيا ،و بلغاريا،و وكرواتيا ،وصربيا ،ومقدونيا(macédonien) ،و البوسنة، واليونان وفي كل منها =

بحلوى العسل[1].

ومن الحلويات الأخرى في مدينة الجزائر التي كانت تلقى إقبالا عليها الطمينة[2] بالإضافة إلى النوقة[3] التي كانت أحب الحلويات لليهود والمقروض أو المقروط بمختلف أنواعه المحشو بعجوة التمر أو باللوز ،وهو من الحلويات السابقة لقدوم العثمانيين للجزائر ،ولكن عرفت صناعة حلوى المقروط[4]. بعد استقرارهم في مدينة الجزائر تطورا من حيث الأدوات المعتمدة في صنعه فأوجدت قوالب خشبية خاصة لصنع هذه الحلوى مزينة بأشكال هندسية ،ونباتية وقد كانت هذه القوالب تستعمل أيضا لتزيين الخبز وتشكيله.

و دون أن ننسي ذكر حلوى الزلابيا[5] التي تخصص أفراد جماعة بني ميزاب في صنعها وبيعها وقد ورد ذكر هذه الحلوى الشهيرة، والشعبية في قانون مدينة الجزائر عند الحديث عن تحديد

= ارتبطت هذه الحلويات بممارسة مدنية، أو حضرية أي كانت حلويات خاصة بسكان المدن، ومخصصة لأيام الأعياد والاحتفالات، و المناسبات العائلية أنظر:

Marie-Hélène Sauner-Leroy,Op.cit.,pp.47-48 وبالتالي عرفت هذه الحلويات انتشارا على يد العثمانيين في المناطق التي امتد إليها حكمهم فتأثيراتهم البارزة في مجال الطبخ لا تكمن في جلبهم لأطباق جديدة خاصة بهم بقدر ما تكمن بالدرجة الأولى في كونهم شكلوا قناة فعالة لانتقال مختلف التأثيرات المشرقية، والأوربية إلى بلاد المغرب الإسلامي والجزائر على وجه الخصوص ،وانتقال التأثيرات الأندلسية المغربية إلى المشرق بل والمناطق الأوروبية التي خضعت لسلطتهم لاسيما كمنطقة البلقان أي دورهم الفعال في حركة التأثير ،والتأثر في مجال فن الطبخ بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق الإسلامي وشرق أوروبا.

[1] ابن رزين التجيبي،المصدر السابق،صص.71-72

[2] وصنعها يتم بقلي السميد في الطاجين حتى يقلى جيدا ثم يخلط بالسمن، والعسل ويوضع المزيج في صحون ويرش بالقرفة أنظر : جوزيف ديسبارمي ،المرجع السابق ،ص.99 و لاتزال الطمينة من الأطباق الشعبية لدى سكان مدينة الجزائر لارتباطها بالمناسبات والأفراح كما تشهد إقبالا عليها في مناطق أخرى من الجزائر .

[3] وهي من التأثيرات الأندلسية ومكوناتها الأساسية العسل ،ودقيق الذرة والزيت وكمية من الشمع وبكمية من اللوز أنظر :

Kuhne Brabant Rosa, da Silva Monique. Le sucre et le doux dans l'alimentation d'al-Andalus. In: **Médiévales**, n°33, 1997."Cultures et nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger. pp. 55-6, p64, referanse noumerique doi : 10.3406/medi 1997.1394 http : //www.persee.fr/doc/medi_0751-2708_1997_num_16_33_1394

[4] أنظر ابن رزين التجيبي،المصدر السابق،ص 79

[5] علما أنه هناك نوع من الخلاف حول أصل هذه الحلوى بين من يرجح كونها مشرقية عثمانية ومن يرجح أن أصولها أندلسية مغربية ولاسيما أنها أدرجت ضمن الأطباق التي كانت متواجدة بالأندلس وبلاد الغرب الإسلامي قبل قدوم العثمانيين أنظر : ابن رزين التجيبي،مصدر سابق،صص.79- 80 والزلابية لا تصنع عادة في الدار بل يتم شراءها من عند السفانجي وهي عجين على شكل قطبان أو دائرية مقلية في الزيت ويتم غطسها بالعسل أنظر:جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق ص.98 =

ثمنها: "الحمد لله قومت الزلابيا بامر {كذا} صاحب السعادة بابا احمد ضي {كذا} اصلح الله حاله امر {كذا} عبد الله بن الحاج يوسف اربعين درهم لرطل وسليمان المحتسب والمعلم مسعود متع {كذا} السوق سوم {كذا} العسل احدى{كذا} وعشرون درهم دخلنا عند بابا احمد على شان {كذا} الزليبا متع {كذا} سوق الدخان قطعها باب احمد للمعلم مسعود باربعين درهم لرطل عام1109"[1].

كما جاء أيضا في هذا الشأن:" الحمد لله دخلنا عند بابا مصطفي ضاي اصلح {كذا} الله حاله على شان {كذا} الزلبيا مشينا انا {كذا} وعبد الله محمد بن الحاج يوسف والمحتسب سليمان ومسعود الحاج امتع {كذا} سوق الدخان وتكلمنا مع الدولاتلي و عمل متع {كذا} سوق الدخان باربع {كذا} واربعين {كذا} وامتع {كذا} النشا باربعين {كذا} وهذا التسريح كان يوم ثلاثة وعشرين رمضان من عام1112(1700م)"[2].

و من أنواع التحليات فضلا عن الحلويات السابق ذكرها حلويات العسل وكانت جد محببة لديهم[3]. وقد تحدث الأسير دوشستال دوبويس في القرن 11هـ (17م) عن قالب حلوى لذيذ أكله كان مشكلا من ترمس،و لوز، وعسل ،وحليب ،وكان جد محبب لدى العثمانيين[4]؛ حيث كان العسل يندرج في معظم تركيبات الحلويات.

و ما سبق ذكره يعتبر نموذجا فقط لأهم المأكولات، والأطباق، والمشروبات التي كانت سائدة في مدينة الجزائر في تلك الفترة والتي جسدت مختلف المؤثرات المحلية ،والأندلسية ، والعثمانية علما أن هناك اختلافا في أنواع المأكولات، والأطعمة التي كان يتناولها سكان مدينة الجزائر تبعا للإمكانات المادية التي كان يملكها كل منهم ؛إذ كان بإمكان الفقراء منهم الاكتفاء بكسرة خبز وقليل من الزيتون،و الجبن في حين كان يقدم عند الأغنياء عدد كبير من أطباق اللوز والتمر والمربيات والحليب ومشتقاته- من لبن وأجبان- والعسل، والعديد من الأطباق المشابهة[5].

=وقد بقيت شهرة هذه الحلوى إلى يومنا هذا و تناولها يرتبط خاصة بالاحتفاء بشهر رمضان.

[1] قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، الورقة 10 من النسخة الأولى/ ورقة 44، 45من النسخة الثانية

[2] المصدر نفسه ،الورقة 45-46 من النسخة الثانية

[3] Rocqueville (Sieur. De), Op.cit.,p.78

[4] Op.cit In:**R.A.**,T.12,1868, p.29

[5] SHAW (Thomas),Op.cit.,p.122

و بصورة عامة فإن النمط الغذائي لسكان مدينة الجزائر كان متنوعا، وغنيا بعدد من الأطباق الشهية والمتوازنة التي كانت تمنح للشخص الطاقة التي يحتاجها للنشاط، فمثلا طبق الكسكس وحده كان كافيا كوجبة كاملة متكاملة لاحتوائها على مختلف العناصر الغذائية من عجائن وخضر واللحم وغيرها، ولعل فيما ذكره أحد الرحالة مايتبث أيضا تنوع الأطباق؛ فقد ذكر أنه رأي من بين سكان مدينة الجزائر من كانوا يقدمون في بعض الأحيان خلال احتفالاتهم أكثر من ألفين طبق محضر بأربعين طريقة مختلفة[1]؛ فمن المميزات الأخرى للطبخ في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني استعمال السكر[2]،والتوابل، وماء الورد والياسمين بكثرة في اعداد الأطباق المتنوعة لإعطاءها النكهة الطيبة ،والمميزة[3].

ب- تنوع ووفرة المواد الغذائية في مدينة الجزائر :

ولإعداد الأطباق المتنوعة السالف ذكرها كانت تستعمل كميات كبيرة من الخضروات والفواكه والأعشاب العطرية و هو ما كان متوفرا في مدينة الجزائر ؛حيث وجدت فيها سلع كثيرة و متنوعة وبثمن زهيد ولاسيما الفواكه ،والخضروات[4] ؛وهذا بفضل ما كان لضواحي المدينة التي عرفت بالفحص أو الفحوص من ثروة فلاحية كما أشار إليها كل من هايدو في القرن 10هـ(16م) و دان في القرن 11هـ(17م) وغيرهما[5].

والتي تجسدت في الخضروات المتنوعة كالفصولياء ،والباذنجان، والفلفل ،و البصل ،وأصناف شتى من الفواكه مثل الجوز ،واللوز ،والرمان ،والبرتقال، و المشمش ،والليمون،و التوت ،والتين وعلى وجه الخصوص العنب حيث كانت تنتج منه ضواحي مدينة الجزائر سبعة أصناف يستهلك جله مباشرة وقليله يحول إلى زبيب[6].

---

[1] Ibid.,p.123

[2] و قد ورد ذكر هذه المادة في الوثائق الأرشيفية مثلا في رسم تقسيم تركة:".....وسكر بعضه أبيض وبعضه أصفر....." أنظر:الوثيقة رقم5 في العلبة 18-1،المصدر السابق

[3] Lessore (E) , Wyld (W),Op.cit., Planche.XX

[4] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p.91

[5] أنظر مبحث الحدائق في الفصل السادس من الباب الثاني

[6] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص .295

وفي الثروة الحيوانية كتربية الضأن ،والبقر،و الدواجن ، و كذلك في استخلاص كميات كبيرة من العسل من المناطق الجبلية ،أو في الفحوص ؛حيث كان يتم تربية النحل لإنتاج العسل وكذلك بفضل السوقين الأسبوعيين اللذين كانت تشهدهما مدينة الجزائر كل أسبوع حيث كان يحضرهما عدد لا متناه من سكان الجبال ،والسهول والهضاب المجاورة لها[1] ،والذين كانوا يحضرون إليها مختلف أنواع الفاكهة والحبوب ، والدواجن التي كانت تباع فيها بأثمان جد معقولة على حسب ما ذكره نيكولا دو نيكولاي في القرن 10هـ (16م)[2].

وقد تحدث نيكولاي دو نيكولاي أيضا عن الوفرة الكبيرة في الدواجن مبرزا سبب ذلك حيث ذكر أن الدجاج والديكة كانت متوفرة بكثرة وبأسعار معقولة في مدينة الجزائر لأن غالبية مساكن المدينة اشتملت على محاضن لحضن البيض وتفقيسها وكانت عبارة عن أفران يوضع فيها البيض وعن طريق الحرارة البطيئة المنبعثة منها كان يتم حضن و تفقيس هذا البيض دون الحاجة للاستعانة بالدجاجات لتحضنها[3].

كما أشار تقرير عسكري سياسي عن سواحل إفريقية وضع من طرف عضويين من تنظيم فرسان جزيرة مالطة مؤرخ بتاريخ 1 سبتمبر 1587 إلى أن سكان مدينة الجزائر لم يكونوا يخزنون المئونة والطعام ؛حيث كانوا يعيشون مما كان يجلب إليهم كل يوم من خارج المدينة ؛أي كانوا يكتفون بتوفير الطعام الكافي ليومهم وهكذا دواليك؛فكل الأراضى و المناطق المحيطة بها كانت تتوفر على كل ما هو ضروري لإطعام سكانها[4].

و من خلال ما سبق نستخلص أن الارتباط القوي بين المدينة والريف في ظل الحكم العثماني من حيث المبادلات التجارية- كما مر بنا سابقا -ووفرة المواد الغذائية التي كانت ترد إلى مدينة

---

[1] شجع الحكام العثمانيون إقامة وعقد هذه الأسواق كوسيلة لتحقيق التواصل بين المدينة، والريف وتشجيع المبادلات والحركة التجارية ولإثبات سلطتهم أيضا عندما يلتزم سكان الأرياف الوافدين على المدينة بدفع رسوم لولوج هذه الأسواق ،والمتاجرة فيها بما استقدموه من سلع.

[2] Nicolas de Nicolay, Op.cit., pp.15-16

[3] Ibid., p18

[4] Lanfreducci et Bosio, Costa E discorsi di Barberia, rapport maritime militaire et politique sur la cote d'Afrique depuis le Nil jusqu'à Cherchell, par deux membres de l'ordre de malte 1er septembre 1587, manuscrit italien des Archives du Gouvernement General de l'Algérie Traduction française de Pierre Grandchamp, publié avec une préface, des notes est des éclaircissements par CH.Monchicourt, In : **R.A.**, T.66, 1925, p.539

الجزائر بصورة يومية من فحوصها ،والأرياف القريبة منها وبخاصة سهل متيجة جعل سكانها لا يشعرون بالحاجة إلى تخزين الطعام ،و المؤن وهذا دليل أيضا على ازدهار كل من النشاط الفلاحي ،ونشاط تربية المواشي في ظل الحكم العثماني،ودلالة على الاكتفاء الذاتي الذي كانت تحققه مدينة الجزائر بفضل فحوصها؛ولكن من ناحية أخري فإن مسألة عدم تخزين الطعام إن صحت تعد نقطة ضعف من الناحية العسكرية، والاستراتيجية في حالة تعرض المدينة لحصار وكذا في حالة حدوث مجاعة ومن هذا المنطلق يمكن أن نتساءل هل فعلا لم يهتم سكان مدينة الجزائر بتخزين الطعام، وهم الذين كانوا عرضة للحمالات الأوربية المستمرة على أساس أن مدينة الجزائر كانت عاصمة البلاد ،والمركز الذي ينطلق منه نشاط الغزو والجهاد البحري ؟

ولاسيما أن المعروف عن سكان مدينة الجزائر إعدادهم لمؤن من اللحم واشتهار الأندلسيين المقيمين بها بصنع المربيات،و المصبرات المتنوعة –وهو ما تم توضحيه آنفا– كما كانت تحضر فيها المخللات بمختلف أنواعها كمخللات الباذنجان،وغيرها والتي تعد من التأثيرات العثمانية المشرقية وكلها أطعمة ميزتها الأساسية أنها تعد بطريقة تسمح بتخزينها لمدة طويلة نسبيا.

وتطرق كرنيليس بجناكر في القرن 11هـ(17م) بدوره إلى هذه الوفرة في المواد الغذائية بصورة يومية؛ حيث يذكر أن أسواق الحيوانات كالخيول ،والبقر ،والثيران ،والخراف ،والجمال وأسواق الخضر ،والحبوب، والجلود ،وفحم الخشب –المستخدم في الطبخ كما سبق ذكره– كانت تتواجد كلها خارج باب عزون وعند الفجر تكون الحركية فيها دائما كبيرة لدرجة يشبه فيها هذا التجمع تجمع قوات الجيش؛ حيث نشاهد عدد كبير من الأكواخ مصنوعة من القش وعدد كبير من قطعان الغنم والبقر، والثيران ،و يضيف أنه من الرائع مشاهدة ذلك المنظر[1].

وفي إطار روايته للأحداث التي شهدها أثناء سفارته إلى الجزائر في القرن 11هـ(17م) ذكر توماس هس (Thomas HESS) أنه أهدى مئونة من المواد الغذائية الطازجة المتمثلة في خراف ودجاج، وحجل ،وبيض، وبطيخ و رمان ،وعنب ،وليمون ،وتمر ،وخبز وغيرها من الأطعمة لأصدقائه الذين رافقوه في رحلته إلى مدينة الجزائر وسبقوه إلى مغادرتهم لها وذلك اعترافا منه بصداقتهم و بصحبتهم الطيبة[2].

[1] Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.8
[2] HESS Thomas ,Op.cit.,p.96

و هذا يؤكد ما سبق ذكره عن وفرة المواد الغذائية ،وتنوعها في مدينة الجزائر وهذا ما نستخلصه من خلال ما ذكره نيكولاي دو نيكولا عن إقامته في مدينة الجزائر التي وفد إليها في مهمة ديبلوماسية ستقوده حتى عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول خلال القرن 10هـ(16م):

" كان الحاكم يرسل كل يوم طيلة أربعة أيام ستة ثيران ،و واحد وعشرون كبش وفي نفس الوقت كان قادة أو قباطنة غيلوطات مدينة الجزائر وغيرهم من سكانها يحضرون لنا كل أنواع الفواكه كالإجاص ،والتفاح ،والتين ،والعنب،والبطيخ ذات المذاق الممتاز ،وبعض الخبز الخالي من الخميرة الشبيه بالكعك أو البسكويت وكان يعطى لكل منهم بعض القطع النقدية[1].

وقد ركز دان بدوره في القرن 11هـ(17 م) على توفر اللحوم بأنواعها؛ حيث ذكر أن الدواجن، و أنواع اللحوم الأخرى كانت متوفرة بشكل كبير ،ومعتبر في مدينة الجزائر خاصة والجزائر عامة ،وعلى هذا الأساس فأسعارها كانت منخفضة ،وقد عدد أنواع اللحوم وأسعارها حيث ذكر لحم الغنم والبقر ،والدجاج ،وطائر الحجل المتواجد بكثرة ،وما شد انتباهه أكثر هو سعر الخبز الذي وصفه بالملائم والمقبول جدا[2].

ونضيف عنصرا هاما آخر كان يدخل في إطار التركيبة الغذائية لسكان مدينة الجزائر، ألا وهو السمك الذي كانت توفره سواحل مدينة الجزائر، حيث قال هايدو في القرن 10هـ(16م) عن مدينة الجزائر وثروتها السمكية:

" في هذه البلاد البر، والبحر يشتركان في توفير كل شيء بكثرة ؛فرغم قلة مراكب الصيد التي كانت تعد بثمانية إلى عشرة مراكب وعدم ابتعاد الصيادين عن الشاطئ بأكثر من نصف ميل إلا أن مردود الصيد كان معتبرا، وكانت نوعية الأسماك جيدة ومن شتى الأنواع كالسردين والتورتة،و السلمون،و الإقليدس،وغيرها والعديد من الأصداف اللذيذة الطعم إضافة إلى نوع من الحشائش البحرية شبيهة بالأشنيات التي كان الأسرى يجلبونها لأكلها أو بيعها"[3].

ومن خلال ما أورده هايدو نستخلص أيضا أن الأسرى العبيد وجدوا في تنوع الثروة السمكية

[1] Nicolas de Nicolay, Op.cit ,p.14
[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,pp.82-83
[3] Topographie…" In :**R.A.**,T.15,1871,p.465

فرصة للحصول على الطعام ومصدر للدخل ،و يذكر توماس هس بدوره في القرن 11هـ (17م) أنه أثناء عودته من جولته الذي قادته خارج مدينة الجزائر وهو يتنزه على شاطئها،وجد جماعة من الصيادين كانت تصطاد السمك فاشتري منهم سمك الروجي (rougets)[1]،والذي يعرف في اللغة العربية بسلطان إبراهيم وكانت هذه الأسماك المتنوعة تعد وفق عدة كيفيات مشوية و مقلية...الخ. و قد ذكر دابر بدوره في القرن11 هـ(17م) أن حصيلة صيد السمك في مدينة الجزائر كانت معتبرة لدرجة أنه كان يمكن الحصول عليه بالمجان ،ويضيف أن الوفرة في اللحوم والأسماك، و الفواكه جعلت أسعارها منخفضة[2].

و مما سبق يتضح أن مدينة الجزائر كانت تحوى العديد من الأسواق، والفنادق المتخصصة في توفير المواد الغذائية ،وما يرتبط بضروريات الطبخ ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: سوق الخضارين ، أو الديوان،و سوق رحبة الزرع ،أو رحبة الشعير ،سوق السمن ،فندق الزيت و فندق الدقيق سوق الفكاهين–وهم من يقومون ببيع الفاكهة– ،و فندق الأرز ، سوق اللحميين و دار اللحم،وسوق الحواتين ،و رحبة القمح ،و رحبة الفحم ،وسوق الصفارين ،و سوق القزادرية وسوق الديوان ،و الكوشات –بمعنى المخابز– وسوق التبانين،و سوق الفخارجية، أو الفخارين– صانعي الأدوات ، والأواني الفخارية التي كانت تستعمل بكثرة من طرف سكان مدينة الجزائر في اعداد وطبخ الطعام ،وتناوله أيضا كالقدور ،والصحون .....الخ[3].

و في الجدول الآتي محاولة لرصد بعض المواد الغذائية والأطعمة التي كانت متوفرة، و رائجة في أسواق مدينة الجزائر وتلقى إقبالا عليها من طرف السكان وتمت محاولة تصنيفها استنادا لما جاء في قانون مدينة الجزائر أو قانون أسواق مدينة الجزائر:

الخضر و الفواكه	المعجنات	المكسرات والحلويات	التوابل	اللحـــــوم والأسماك	أخري
الكرمـــــوص التين-	المعكرونة	الزلابية		السردين	الملح

[1] HESS Thomas ,Op.cit.,p.101
[2] Dapper, Op.cit., p.172
[3] راجع الباب الثاني فصل المرافق التجارية

الخضر و الفواكه	المعجنات	المكسرات والحلويات	التوابل	اللحـــــوم والأسماك	أخري
الزبيب	المحمصة	اللوز	سكنجبير	السلمون	السكر
الكرمـــــوص التين-	المعكرونة	الزلابية		السردين	الملح
العنب	الكسكس	البقلاوة		الكفتة	زيت متع صنهاجة
التمـــر –التمـــر المعجونـــة أي الغرس	الدقيق	المستكة	القرفة	الأنشب [1]	الأرز
الدلاع	السفنج	القســـــطل – الأخضر- واليابس -		الشـحم غـير المـــــذوب والشـــــحم مذوب	السمن
الحمص	الشـــــعرية أوالدويدة	البطراوش [2]		لحـــم البقـــر والغنم	الخل
البصل	الخبز	البندق		الخليع	الحليب والجبن

[1] وهو نوع من سمك السردين يحفظ مملح وهي كلمة محرفة عن الفرنسية " Anchois "حسب الشرح الذي أورده الأستاذ الباحث ناصر الدين سعيدوني في تحقيقه لمخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد ،قانون أسواق مدينة الجزائر 1107 -1117 هـ/1695 -1705م ،تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي 1427 هـ-2006، شرح المحقق في الهامش ص.51

[2] من ثمار الأشجار البرية أنظر:المصدر نفسه ،شرح المحقق في الهامش،ص.53

الخضر و الفواكه	المعجنات	المكسرات والحلويات	التوابل	اللحوم والأسماك	أخري
زيتون	البشماط	البلوط الأخضر		التينينا يقصد بها على الأرجح سمك التونة [1]	العسل –عسل السكر
البطيخ	الكعكة				
التفاح	خبز الرضوم [2]				ماء الزهر
					القهوة

ولابد من الإشارة في إطار آداب الطعام في ظل الحكم العثماني إلى الالتزام الكبير لسكان مدينة الجزائر في كل مرة كانوا يتناولون فيها الطعام بذكر البسملة في البداية والحمدلة في نهايته حيث ذكر أحد الملاحظين الإنجليز أن سكان مدينة الجزائر في كل المرات التي يأكلون، أو يشربون فيها، أو يشرعون في عمل ما لا يفوتهم على الإطلاق أن ينطقوا بكثير من الاحترام ،والجدية بعبارة "بسم الله" وعندما ينتهون من الأكل ،أو العمل بعبارة" الحمد الله" كما سجل حرصهم الكبير على غسل أيديهم قبل الشروع في الأكل ، وبعده وذكر أن الجميع يلتزمون بنفس آداب المائدة بغض النظر عن الغنى والفقر[3].

وفي الأخير يمكن القول أن الطبخ في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كان ضرورة لتلبية حاجة المرء للغداء ،وفنا لكونه كان مجالا للإبداع مأكولات ،وحلويات متنوعة ،ومظهرا من المظاهر الحضارية لمجتمع مدينة الجزائر، ودليلا على امتزاج مختلف التأثيرات التي كانت مدينة الجزائر ميدانا لها ،والناتجة عن التنوع السكاني في ظل هذا الحكم الشيء الذي أثرى المطبخ الجزائري .

[1] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ،شرح المحقق في الهامش،ص.54

[2] و هو نوع من الخبز اعتاد يهود مدينة الجزائر وضعه أمام بيوتهم ويعتبر إحدى العادات المتوارثة في بعض أعيادهم الدينية أنظر: المصدر نفسه، شرح المحقق في الهامش، ص.68

[3] SHAW (Thomas),Op.cit., p.124

الفصل الثاني: الملابس والأزياء

1-ملابس وأزياء الرجال

2–ملابس وأزياء النساء

3- التأثيرات الأندلسية والعثمانية في مجال الملابس والأزياء

الفصل الثاني الملابس والأزياء

تعد الملابس، والأزياء بمثابة المرآة العاكسة للحياة الاجتماعية فقد كانت تؤدي دورا هاما إذ لم تكن مجرد ثوب يرتديه الناس لستر أنفسهم، بل كانت حينها تعبيرا عن المستوى الحضاري للمجتمع، وأذواق أفراده، كما كانت تعكس مكانة، ومستوى من يلبسها أو يرتديها، بل وحتى انتمائه العرقي، أو الديني كما هو الشأن بالنسبة لليهود كما سيتضح لنا.

بالإضافة إلى أنها تسمح لنا بالكشف عن ذلك التنوع السكاني الذي كان يزخر به مجتمع مدينة الجزائر، وتلمس مختلف التأثيرات الحضارية التي أفادت منها في مجال الأزياء و في هذا الصدد نشير إلى أن اختلاف الملابس كان مرتبطا أيضا باختلاف الفصول، وهذا دليل على تكيف المجتمع مع الأحوال المناخية، أو مسايرة الطبيعة بما يضمن الراحة للمرء.

وفيما يلي ذكر لأهم الأزياء، والملابس التي كانت سائدة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر خلال القرنين16م(10هـ) و17م (11هـ) هذه الملابس التي كانت جزء لا يتجزأ من تقاليده، والتي لا تزال رمزا للأصالة، والانتماء الحضاري.

1-ملابس وأزياء الرجال:

كانت عبارة عن مزيج من الأطرزة المحلية المغاربية، والأندلسية، والعثمانية وتحدث هايدو في القرن 10هـ(16 م) عن ملابس المسلمين في مدينة الجزائر بنوع من التفصيل ، وقد تطرقت مصادر أخرى في القرن11هـ(17م) إلى هذا الموضوع وعلى ضوء ما أوردته نستخلص أن ملابسهم كانت تتكون أساسا من:

أ-الأزياء الخاصة بالبدن :

1-القميص:

كان يعتبر من الألبسة الداخلية التي يلبسها الرجل في مدينة الجزائر وكان عريضا جدا ويبسط أو يدلى من فوق الحزام على السروال ،[1]وكان له أكمام واسعة أيضا تشمر في فصل الصيف تبعا للعادة المشرقية وهو تأثير عثماني[2] ، و ارتدى العثمانيون هذه القمصان في حين نجد أن قمصان

[1] HAEDO "Topographie…" In :**R.A.,** T.15, 1871,p.57
[2] Marçais Georges, Costume Musulman d'Alger 1830- 1930, Librairie Plon, Paris 1930 p.34

البلدية، والأندلسيون ، والكراغلة لم تكن تختلف كثيرا عنها، و كانت هذه القمصان عموما تصنع من الكتان.

2- الغليلة:

وكانت عبارة عن سترة ،أو معطف قصير كان ينزل إلى ما فوق الركبة[1] وعرفت طريقها إلى الجزائر عن طريق مهاجري الأندلس[2] وقد ورد ذكرها ضمن مخلفات أحد الأندلسيين في إطار تقسيم تركته "....وغليلة ديمي قماش...."[3]، و ورد ذكرها في رسم تقسيم تركة أخرى كالآتي "غليلة ملف خضرا بيعت بخمسة وعشرين دينار ..."[4].

وكانت الغليلة مصنوعة من الجوخ، وأحيانا من الحرير، و كانت تقفل من الأمام عند البطن بواسطة زر كبير من الذهب ،أو الفضة مصنوع من خيوط ذهبية ،أو فضية وهكذا كانت الغليلة مفتوحة من الأعلى ومن الأسفل وكميها لا يتجاوزان المرفقان، ومن فوقهما كانوا يشمرون كمي القميص العريضة، وهكذا كانت أيديهم من المرافق إلى المعصم تظل عارية[5] ،و كانت تلبس عندما يبرد الجو لاسيما من طرف الحضر وبخاصة الأندلسيين والبلدية والكراغلة[6].

3-القندورة (الدرة):

الدرعة باللهجة المحلية، وكانت عبارة عن قميص خفيف و واسع ،وناصع البياض مصنوع من القطن[7] ؛وذو أكمام عريضة، و كانت القندورة تلبس في معظم الأحيان بدون حزام[8] وترتدي في الفصول الحارة؛ إذ كانت تلبس بمجرد الإحساس بالحر عوض الغليلة[9].

و كانت مستعملة بشكل عام في البلاد الإسلامية؛حيث كانت تلبس في الهند من طرف

---

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 280

[2] Dozy (R), Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, BEROT,1845 p. 323

[3] الوثيقة رقم 5، في العلبة رقم 18 -1، المصدر السابق

[4] الوثيقة رقم 6 في العلبة 124، المصدر السابق

[5] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.280

[6] HAEDO ,"Topographie …" In :**R.A.**,T.14, 1870,p.86

[7] Ibid.,p.490

[8] Marçais (G) ,Costume..., p.72

[9] HAEDO ,"Topographie…" In:**R.A**,T.14, 1870, p.490

رجال القانون، أو العلماء، ومعروفة في مصر، وكذلك بإسبانيا[1] .وكان هذا اللباس غريبا عن العثمانيين، لكنه كان شائعا بين سكان مدينة الجزائر الآخرين من الحضر، وبخاصة مهاجري الأندلس[2].

4-الصدرية:

وكانت تعتبر اللباس الثاني بعد القميص بالنسبة للعثمانيين وبقية سكان مدينة الجزائر لاسيما من البلدية، والأندلسيين والكراغلة وعموما من السكان الحضر وقد ورد ذكر الصدرية في وثائق المحاكم الشرعية عند التطرق لتقسيم تركة أحد الأندلسيين [3]،وقد كانت عبارة عن سترة لا تحتوي على أكمام، ولا تمتلك أي فتحة من الأمام ،أو الوراء فقط ثلاثة فتحات واحدة لتمرير الرأس ،والفتحتين المتبقيتين لليدين؛فقد كانت تمرر اليدين في الفتحتين المخصصتان لهما، ثم يتم رفعهما قليلا فتنزل الصدرية بالتدريج حتى تمر الرأس عبر الفتحة المتواجدة في الوسط[4].

5-جلاكو(glaco) :

و كانت عبارة عن سترة من الجوخ الملون، وكان يلبس عندما يبرد الجو، ولم تكن أكمامه تجاوز المرفقين.[5] ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى أنه كان من عادة المسلمين في مدينة الجزائر أن يجعلوا أكمام كل ملابسهم على الشكل السابق ذكره؛ أي قصيرة إلى غاية المرفقين والسبب في ذلك حسب إعتقادنا تسهيل عملية الوضوء دون الاضطرار إلى نزع السترة، أو غيرها في كل مرة، وهذا دليل على أن الملابس أيضا كانت تصنع، وتخاط للتوافق وتتماشي مع متطلبات الحياة اليومية و الدينية، وهو دليل أيضا على مدى مراعاة مجتمع مدينة الجزائر تطبيق تعاليم الإسلام في أدق التفاصيل.

6-القفطان:

وكان عبارة عن معطف مبطن أحيانا بالفرو يرتدى من فوق السترة وكان يعتبر من ألبسة الأبهة

[1] Dozy (R), Op.cit., p.49
[2] Marçais (G), Costume..., p.72
[3] الوثيقة رقم 5 في العلبة رقم 18 -1 ،المصدر السابق
[4] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, pp.282-283
[5] HAEDO, "Topographie…", In :**R.A.**, T.15,1871, p.57

أدخله العثمانيون إلى مدينة الجزائر في إطار نشر ثقافتهم ،و كان شبيها إلى حد كبير بجبة الكهان كما وصفه هايدو في القرن 10هـ(16م) .وكان مفتوحا من الأمام، ومزينا بأزرار كبيرة مصنوعة من خيوط ذهبية، أو فضية تمتد من الأعلى إلى غاية مستوى الحزام[1] ،وكانت موضوعة للزينة فقط والزخرفة ،فالقفطان لم يكن يغلق إلا عند منتصف الجسم بواسطة حزام عريض أشبه بوشاح جد عريض،وكبير إلى درجة أنه كان يصل إلى الكليتين[2] ،و كان مصنوعا ؛أي الحزام من قماش رقيق ذي ألوان زاهية، و كان يسمح لصاحبه بحمل خناجر جد جميلة من الجهة اليسرى وكذا الخمد الذي فيه السيف[3].

وهكذا كان القفطان [4]يبقى مفتوحا من الأسفل، والأعلى، فيسمح بظهور الصدرية أو القميص الذي يكون دائما من لون مخالف للون القفطان[5] .أما من حيث طول القفطان فقد كان يصل إلى منتصف الساقين، وفي بعض الأحيان أسفل بقليل، ولكنه دائما كان لا يتجاوز الركبتين وكانت أكمامه قصيرة تصل إلى المرفقين، ولتعويض ذلك كانوا يستعملون حلا يثير الإعجاب متمثلا في تزويد القفطان، وكل ما سبق ذكره من ملابس بأكمام متحركة كانت مصنوعة من الحرير أو الفلور—القطيفة- ،والتي كان يسهل نزعها عند القيام بعملية الوضوء، وكانت ترتدي خاصة عندما يبرد الطقس[6].

و كان القفطان الذي يلبسه الأغنياء[7] يصنع عادة من الساتان-الأطلس الدمشقي- أو الدان أو أقمشة غالية أخرى أما بالنسبة البقية السكان فكانت تصنع من أقمشة أقل كلفة، و قد كان

---

[1] Ibid., p.57

[2] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T.5, p.283 voir aussi Rocquville, Op.cit., pp.82-83

[3] HAEDO, "Topographie…" In:**R.A**, T15, 1871, p.57

[4] وكان القفطان في العادة موشى ومزين بشرائط فاتنة تنتهي حواشيها بأزار من حرير، أو مجدول وتتولى فيه الأصداف والتنميقات في صفين متقابلين في شكل بديع وغالبا ماكانت تلك الأصداف مغشاة بخيوط الذهب أو الفضة .أنظر:محمد بوسلام ،اللباس التقليدي في المغرب الجذور والانتاج والأصناف والتطور ،دار أبي رقراق للطباعة والنشر ،2014 ،ص.128.

[5] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.28

[6] HAEDO (F.D)," Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.57

[7] حيث يعتبر القفطان حلة كاملة وعباة فارهة، وغالية الثمن مصنوعة من قطن ومور أو ملف أوحرير أوديباج فلم يكن رداء يرتديه كل الرجال ؛ فقد اختص بأهل العلم والجاه والسلطة وجمهور الفقهاء والأعيان وكبار الموظفين في الحفالات االكبرى والمناسبات الرسمية كما كان يعد بمثابة الزي الرسمي لحكام البلاد ، وأفراد الجيش النظامي "أي جنود الإنكشارية وبإعتباره لباسا وبإعتباره لباسا نسويا =

هـذا اللبـاس يرتـدى مـن طـرف العثمـانيين، خاصـة ذوي الأصـول التركيـة و لا سـيما مـن طـرف الانكشـارية؛فقد كـان بمثابـة الـزى الرسمـي،و الرئيسـي لهـم طيلـة القـرن10 هـ(16م) والقـرن 11هـ (17 م) من أبسط جندي إلى غاية القائد الأعلى الأغا[1]، و كان القفطان الذي يرتدي من طرفهم يتميز بوجود نشان ملون على عنقه أو ياقته، و يذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن كل من كانت تسول له نفسه تقليد هذا النشان على ثيابه كان يعرض نفسه للعقاب .وعند قيامهم بتدريباتهم كان الجنود الإنكشارية يرفعون طرفي القفطان و يثبتونهما في الحزام- الذي كان يلبس فوق القفطان كما سبق الإشارة إليه –حتى لا يشكل عائقا لتحركاتهم خلال التدريب باستثناء الانكشارية المكلفين بالطبخ (ahtchi) فقفاطينهم كانت قصيرة جدا. [2]و قد كان بمثابة اللباس الرسمي أيضا لحكام الجزائر طيلة العهد العثماني ؛حيث كان يرسل إليهم القفطان من طرف الباب العالي من اسطنبول عند تنصيبهم كحكام على الجزائر ،أو تجديد عهدتهم، أو لمكفائتهم على جهودهم في خدمة الدولة ويرد ذكره في المصادر والوثائق الرسمية تحت عبارة "الخلعة السنية".

7-الفرجة:

و كانت عبارة عن معطف من الجوخ الملون في أغلب الأحيان باللون الأحمر طويلة وعريضة و مفتوحة من الأمام دون عنق أو ياقة، و ذو أكمام أطول من تلك الخاصة بالقفطان و الغليلة حيث كانت أكمامه تغطي الذراعين إلى غاية كف اليد [3]، ولكن طولها لم يكن يتجاوز طول القفطان ولاتتعدى منتصف الساقين أوما فوق الكعبين إلا بقليل، وكانت تبطن أحيانا بالفرو و تلبس من فوق القفطان، و من تمه فقد كانت بمثابة ثوب أدخله العثمانيين إلى مدينة الجزائر شأنه شأن القفطان، و كانت نلبس طوال أيام السنة من طرف الشخصيات البارزة و الهامة في مجتمع مدينة الجزائر أما الآخرين فقد كانوا ينزعونها عندما يسخن الجو و يقومون بطيها ،وإلقاءها على كتفهم الأيسر، وكانوا يجوبون الشوارع بهذا الشكل[4].

= أيضا –كماسيأتي ذكره لاحقا –فلم تكن النساء بدورهن ترتدينه في سائر الأيام بل كن يحتفظن به لارتداءه في المناسبات فقط ،فلم يكن إقتناءه ممكنا إلا من طرف الأثرياء والميسوريين.أنظر :محمد بوسلام ،مرجع سابق ،ص128

[1] Marçais (G), "Costume...", p.38
[2] "Topographi…", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.59
[3] Ibid., p.58
[4] "Topographi…", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.58

8-**السروال**:

كان من الملابس الهامة، و البارزة إذ كان الرجال في مدينة الجزائر يرتدون سروالا عريضا متعدد الثنيات أو الطيات[1]يصنع من أنسجة مختلفة حسب الإمكانات المادية وفصول السنة فالسروال المخصص لفصل الشتاء كان مصنوعا من قماش صوفي (drap)بينما كان سروال فصل الصيف مصنوعا من الكتان(toile) ،و كانت السراويل إما تصل إلى الركبة حيث تضيق فتكون الأقدام عارية،أو كانت تصل إلى الكاحل فتغطيها [2].وقد ورد ذكرها ضمن مخلفات أحد الأندلسيين في إطار تقسيم تركته "....وسرولان....."[3].

9-**البرنوس**:

و قد ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م) في إطار حديثه عن هندام الرجل الحضري، كما ورد ذكره من خلال رسوم تقسيم التركات في إطار سلسلة المحاكم الشرعية مثلا ذكر في احدها بالعبارة الآتية ".....وبرنوصا{كذا} بسبعة دنانير... "[4].

و قد كان هذا اللباس بمثابة اللباس الذي كان يختم به الرجل الجزائري لباسه ،و من الألبسة الهامة التي كان يرتديها، و ما يميزه أنه لم يكن مقتصرا على طائفة أو جماعة معينة من سكان مدينة الجزائر بل كان لباسا مشتركا بين جميع السكان،و كان يختلف فقط من حيث المادة التي يصنع منها و اللون تبعا لمكانة من كان يرتديه ،و بحسب فصول السنة .وقد كان عبارة عن معطف ضيق في الجهة العلوية ،و عريض في الأسفل، له غطاء رأس مربع الشكل، و كانوا يغطون رأسهم بالغطاء عندما تمطر[5]. و كان ينسج من قطعة واحدة بما في ذلك الرداء، و القلنسوة غطاء الرأس[6] ،وذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن سكان مدينة الجزائر كانوا يرتدون ،أو يلبسون برنوسا مصنوعا من الصوف الأبيض بالنسبة للأغلبية، ومن الصوف الأسود، أو الأزرق للناس ذو المكانة والهيبة

[1] Marçais (G), "Costume...", p.34
[2] Topographie…", In:**R.A.,**T.15,1871, pp.57-58 voir aussi Dapper,Op.cit.,p.175
[3] الوثيقة رقم5 في العلبة رقم 18 -1 ،المصدر السابق
[4] الوثيقة رقم 6 "في العلبة124، المصدر السابق
[5] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit.,T.5, p.283
[6] Marcais(G)," Costume...", p.20

كالقضاة، والعلماء ،والأئمة أما في فصل الشتاء؛ فقد كان هذا البرنوس مصنوعا من قماش من الجوخ و بنفس الألوان[1].

و كانت البرانس تتسم بالبساطة، والأناقة، وقد كان يستورد من تلمسان إلى مدينة الجزائر الكثير من البرانس البيضاء، و الزرقاء، و السوداء المنسوجة بشكل جيد[2].

و أشار الأب دان بدوره إلى البرنوس في القرن11هـ (17م) حين ذكر أن سكان مدينة الجزائر كانوا يرتدون برنوسا مصنوعا من الكتان ذات قلنسوة واسعة جدا[3]؛في حين وصفه دابر في القرن11هـ (17م) بالثوب المصنوع من الصوف الأبيض المزود بقلنسوة تتدلى من الخلف [4] ؛أما طول البرنوس فكان لا يتعدى الركبتين إلا بقليل، وكان لا يحتوي على أكمام، ومفتوحا من الأمام ولم يكن يشد إلا عند الصدر بأشرطة عريضة من الصوف، أو الحرير[5].

و كان البرنوس يرتدى من طرف العثمانيين في بعض الأحيان، وقد كانت برانيسهم مطرزة في حواشيها، ومزينة بأشرطة من الحرير، و كان يوجد في طرف غطاء الرأس ؛الذي يشتمل عليه البرنوس أهداب من الحرير[6].

ويندرج هذا في إطار تأثرهم بالأزياء المحلية ،واحترامهم للتقاليد ،والخصوصيات المحلية –وقد ذكر الفارس دارفيو في القرن 11 هـ(17م) عند تعداده لملابس العثمانيين أن معاطف مناسباتهم عندما كانوا يجولون عبر أنحاء المدينة بقصد إجراء زيارة ،أو للذهاب للديوان كانت تتمثل في برنوس من القماش الأسود للشتاء أومن الصوف من نفس اللون لفصل الصيف. كما ذكر أنه كان يعطى للأطفال برانيس حمراء اللون[7] ،و أن اليهود كانوا يرتدون من فوق ملابسهم برنوسا لا يتخلون عنه مطلقا حتى لا يخلوا أبدا بالاحترام الذي يجب عليهم الالتزام به تجاه الأماكن التي يمكن أن يقصدوها[8].

---

[1] "Topographie…" In:**R.A**, T.14,1871, p .492
[2] DOZY (R), Op.cit., p.75
[3] Op.cit.,p.280
[4] Dapper,Op.cit., p.175
[5] Marcais (G),Costume..., ,pp.20-21
[6] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T.5, p.283
[7] Ibid., pp.283-284
[8] Ibid., p.288

و مما سبق نستخلص أن البرنوس كان زيا مشتركا يرتديه جميع سكان مدينة الجزائر بما في ذلك جماعة البرانية ، ونستثني من ذلك الأسرى العبيد الأوروبيين ؛فقد كان بمثابة لباس موحد للرجال في مدينة لجزائر في ظل الحكم العثماني.

10- **الكبوط (القباء):**

وكان عبارة عن معطف به غطاء للرأس"قلنسوة "، وأكمام طويلة وقد كان مصنوعا من الصوف المصبوغة طبيعيا ذات لون أسمر، ومزينا برسوم، وزخارف مصنوعة بقطع من الجوخ المختلفة الألوان التي تم خياطتها الواحدة أمام الأخرى؛ حيث كانت تشكل في الأمام شكل ورود وفي الظهر شكل أزهار مفتوحة قليلا[1]. أما عن أصل هذا اللباس ،فيبدو أنه أدخل إلى مدينة الجزائر من طرف العثمانيين؛فقد كان لباسا للجنود اليولداش ،ولكن بعد استقرارهم بمدينة الجزائر أصبح لباسا يلبس من طرف عامة الشعب، وأصبح الكبوط لباسا شائعا ولاسيما لدى الحمالين والعاملين في الميناء، والزنوج على وجه الخصوص كانوا يرتدونه في غالب الأحيان بل وأصبح لباسا يرتديه حتى الأغنياء؛ حيث نجد لباس الكبوط قد ورد ذكره في تركة أحد الأندلسيين[2]؛والذي نستشف من ما ورد في تركته أنه كان من الأثرياء .في حين كان رجال القبائل، وخاصة الزواوة يلبسون في أغلب الأحوال لباسا بسيطا مشكلا من قميص وسروال، و كانوا يملكون في العادة برانيس من الصوف الخشنة ، يلفونها حول أجسادهم[3].

أما ملابس الرجال من يهود سكان مدينة الجزائر؛ فقد كانت شبيهة إلى حد كبير بتلك الخاصة بالمسلمين؛ فقد كانوا يرتدون سراولا من الكتان، و قميصا، ومعطف طويلا مثل سلطانية ذو لون أسود، ومن فوق كانوا يرتدون برنوسا أسود إذ يقال أن لون اللباس المميز لليهود عن بقية سكان مدينة الجزائر من المسلمين، وغيرهم كان اللباس ذو اللون الأسود،وأنه كان مفروضا عليهم لتميزهم عن بقية السكان مع أنه كما و أشارنا أنفا فقد ذكر درافيو أن العثمانيين كانوا يرتدون برانيس سوداء، كما نجد في تقسيم تركة أحد الأندلسيين أنه ضمن ما خلفه من الألبسة برنص {كذا}

[1] Marçais Georges, Costume..., pp.77- 79

[2] الوثيقة رقم 5"في العلبة رقم 18-1، المصدر السابق

[3] HAEDO (F. D) ,"Topographie…" In**:R.A**, T.15, 1871, p.40

كحل "[1].

وهنا نتسأل هل أن ارتداء اليهود لملابس سوداء اللون لم يكن بناء على اختيار حر، وميل لهذا اللون ربما لاعتبارات ترتبط بالناحية الدينية لديهم؟ وليس بناء عن إلزام وفرض مادام بقيت السكان لم يمتنعوا عن ارتداء ملابس ذات لون أسود ، وما يدعم ذلك أيضا أن هايدو أشار إلى ارتداء اليهود لبرانيس بيضاء في بعض الأحيان [2]علما أن كرنيليس بجناكر (Cornilis PIJNACKER) في القرن 11 هـ (17م) عند ذكره لأكثر الألوان رواجا في ملابس سكان مدينة الجزائر وأكثر الألوان المحببة لديهم ذكر أن اللون الأسود مكروه من طرفهم لأنه اللون الذي ينبغي على اليهود ارتداءه ففي الوقت الذي سمح فيه للنساء اليهوديات بارتداء ألوان أخرى كان يجب على رجال اليهود أن يرتدوا أثوبا وأحذية وأغطية رأس سوداء اللون لا غير ولكنه من ناحية أخرى يذكر أن العمال اليهود كانوا معفيين من ذلك حيث كان يمكنهم ارتداء ثيابا داخلية بيضاء، أو حمراء اللون وذكر أيضا أنه لاحظ خلال شهر رمضان ارتداء كبار السن من الشخصيات التركية –العثمانيين– أثوابا سوداء اللون من قماش رفيع ليبرزوا أن مرحلة الصيام للتدبر ،و التفكر[3]. وهذا ماينا قض قوله السابق عن كراهية سكان مدينة الجزائر المسلمين للون الأسود مما يدعونا إلى إعادة النظر في مدى صحة إجبارية ارتداء اليهود للون الأسود في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني.

هذا فيما يتعلق بملابس البدن التي كانت أكثر شيوعا في أوساط مجتمع مدينة الجزائر أما ملابس الرأس فقد كانت متمثلة في : **ب– ملابس الرأس:**

1–العمامة:

وقد ذكر هايدو في أواخر القرن16م(10هـ) أن ارتداء العمامة كان شائعا في مدينة الجزائر من قبل قدوم العثمانيين، وكانت عبارة عن قطعة من القماش الأبيض[4] من نسيج الكتان أو الحرير،أو الموسلين على شكل شريط كان يلف على الرأس حول الطاقية عدة مرات، وأحيانا كان المقصود بالعمامة الطاقية–الشاشية–، وقطعة القماش التي تلف حولها وكانت العمامة تصنع

[1] الوثيقة رقم 5 في العلبة 18–1، المصدر السابق

[2] HAEDO (F. D) ,"Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.92

[3] Cornilis PIJNACKER , Op.cit.,pp179-180

[4] HAEDO (F. D) ,"Topographie…" In:**R.A.**, T.14, 1870,p.492

من أقمشة متنوعة حسب إمكانات لابسها ،ومكانته؛ فكانت تصنع من الموسلين، والحرير ذو اللون الأسود، المخطط بالخيوط الذهبية،أومن الصوف، ومن الكشمير وإن كانت كما سبق القول مصنوعة من الموسلين الأبيض بشكل أكبر[1]؛ وكانت هذه العمامة –المقصود هنا الشريط– تلف الرأس ،والرقبة، وكانت تمرر تحت الذقن لتسقط في الأخير على الصدر[2]،وكانت تلبس من طرف الحكام، والعلماء والفقهاء ،وكان التمييز بينها في عدد الثنيات أو الطيات أو نوعية القماش ،وكانت عمامات الحكام مسطحة بالمقارنة بغيرها ،ومقببة من نسيج الموسلين و كانت تلف حول الشاشية[3].

2–الشاشية:

كانت تعتبر من ملابس الرأس ،وكانت عبارة عن نوع من القلانس المستديرة أو المخروطية الشكل، أما من حيث لونها؛ فقد كانت حمراء في معظم الأحيان ،وملساء وكانت مصنوعة من الصوف[4]، أو تصنع في بعض الأحيان من القطن الأبيض ،و كانت مبطنة لكي تستقيم و كان لون قماش قرص الشاشية يخالف لون حوافها، أو محيطها[5].

وقد كانت صناعة الشاشية[6] الحمراء المستديرة جد شائعة في مدينة الجزائر بل كانت صناعة الشاشية خلال القرنين 10هـ (16 م)11هـ(17 م) على رأس صناعة المنسوجات، ويعود الفضل

---

[1] DOZY (R), Op.cit.,p.305
[2] HAEDO (F.D), "Topographie…" In:**R.A**, T.14, 1870, p.492
[3] Marçais (G), Costume..., p.87
[4] Ibid., p 87
[5] DOZY (R), Op.cit., p.243

[6] ونجد إشارة لهذه الصنعة في المصادر المحلية كوثائق سلسلة المحاكم الشرعية ومن النماذج عليها ما ورد في إحدى الوثائق بيع وشراء وتصفية أملاك:".....أنه باع.....من المكرم الأجل أوسطا إبراهيم صانع الشواشي ابن الحاج أحمد....."أنظر: الوثيقة رقم79 " في العلبة 119–120،مصدر سابق كما نجد إشارة إليها من خلال قانون مدينة الجزائر حول اتفاق وقع بين جماعة الشواشي –صانعي الشاشية –وسلطات المدينة حول تنظيم هذه الحرفة حتى لا يقع فيها فساد ، ونستخلص من خلاله أيضا أنواع الشواشي وأسعارها التي كانت تصنع حينها :"الحمد لله حضر جماعة الشواشي بين يدي بابا حسن ضي اصلح الله حاله على شان الصنعة لا يقع فيها فساد وأمر عبد الله محمد الشويحت {كذا}وسي سليمان شيخ البلد وسي احمد بن الفاسيا وأمين الشواشي وكتب عقدا في دار القاضي وحضر الجماع محمد بن الدباغ والحاج محمد الستين.....واتفقوا الشاشيا{كذا} الطويل خمس في الطريح{قد يكون المقصود المقلس}خمسون والشاشيا{كذا} القصير ثمانية في الطريح واجرتها خمسون درهم ....."أنظر:قانون مدينة الجزائر، المصدر السابق، ورقة 64 و65 من النسخة الثانية.

في ازدهارها خلال هذه الفترة إلى اهتمام الأندلسيين بهذه الصناعة بل إن عائلات كاملة منهم اتخذت منها حرفة، وميراث يتوارثه الأبناء عن الآباء، ونذكر على سبيل المثال عائلة بوناطيرو التي تخصصت في صناعة الشاشيات في مشاغل بحي باب الواد، وقد كانت الشاشية الجزائرية شهيرة لدرجة أنه كان يتم تصديرها بشكل كبير إلى المشرق العربي والأناضول[1].

-ألبسة الرأس الخاصة بالإنكشارية :

كما كانت توجد في مدينة الجزائر بعض ألبسة الرأس الخاصة ،والمميزة للإنكشارية نذكر منها:

3-العصابة:

كل الإنكشارية باستثناء أولئك الذين يحتلون مراتب صغيرة في سلم المسؤوليات كانوا يرتدون عصابة مصنوعة من القماش الرقيق الناصع البياض[2]،و التي كانت تلف بشكل مضخم حول الطرطور الذي سوف يأتي ذكره.

4-العرقية:

كانت عبارة عن طاقية صغيرة من الكتان القطني المزخرفة ولم يكن ارتدائها حكرا على الإنكشارية حيث استعملت من طرف بقية سكان مدينة الجزائر[3].

5-الطرطور أو الطرطورة:

وقد كان عبارة عن قلنسوة من الجوخ الأحمر على شكل مخروط طويل بحوالي 2با لم حيث كان جزء منه يتأرجح من خلف الرأس على الظهر وبالإضافة إلى الطرطورة كان الإنكشارية يعصبون رأسهم من فوق الجبهة بشريط من الكتان الأبيض "العصابة "مشكلين ثلاثة، أو أربع دورات[4].

وهذه كانت أغطية الرأس المميزة لجنود الإنكشارية عن باقي سكان مدينة الجزائر باستثناء العرقية علما أن طباخ الإنكشارية الأتاشى كان يرتدي لباس رأس مميز عن بقية الإنكشارية متمثلا

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق،ص.70

[2] HAEDO (F .D) ,"Topographie…" In:**R.A.**,T.15,1871,p.58

[3] Ibid., p.58

[4] Ibid., p.59

في قلنسوة صغيرة من الجوخ ملونة لا تكاد تثبت على الرأس لصغرها، وكانت تلبس مائلة من الجهة اليمنى، ومزينة بريشة طويلة للطاووس[1].

و ارتدى اليهود بدورهم أغطية رأس مختلفة تبعا للمناطق التي قدموا منها فارتدى اليهود القادمين من بلاد الأندلس قلنسوة مستديرة شبيهة بالشاشية ، في حين كان يهود إيطاليا، وفرنسا يرتدون نوع من أغطية الرأس الشبيهة بالقلنسوة ذات الشكل المخروطي، تتدلى مؤخرتها من وراء الرأس على الرقبة. في حين كان يضع اليهود الأهالي كلوتة (calotte)، وكانت عبارة عن قلنسوة حمراء اللون تشبه الشاشية وكانوا يلفون حولها شريط من القماش الأبيض؛ أي كان غطاء الرأس هذا شبيها بعمامة المسلمين، ولكن كان عليهم ترك شعرهم يتدلى على جبهتهم –ونعتقد أن هذا الأمر كان مرتبطا بطقوسهم، وعاداتهم الدينية ،ولم يكن من قبل الإجبار لتميزهم عن المسلمين لأنه حينها كان الأجدر منعهم أصلا من ارتداء العمامة –، أما اليهود الذين كانوا يأتون إلى مدينة الجزائر من القسطنطينية فكانوا يرتدون شريط أصفر حول القلنسوة أي عمامة صفراء اللون.[2] وما يشذ الانتباه فيما سبق ذكره أن لون أغطية رأس اليهود الذي لاتمت بصلة للون الأسود الذي كانوا كما سبق توضيحه ملزمين بارتداءه مما يجعلنا نشكك مجددا في مدى صحة هذه الالزامية.

أما فيما يتعلق بالأحذية؛ فقد كانت أحذية الرجال في مدينة الجزائر قليلة بالمقارنة مع الألبسة الأخرى الخاصة بالبدن، والرأس ولكنها تميزت بتعدد ألوانها حسبما نستخلصه مما أورده كرنيليس بجناكر (Cornilis PIJNACKER) في القرن 11 هـ (17م) عند حديثه عن الصلاة في المساجد فذكر التنوع الكبير في ألوان أحذية المصلين التي كانت تترك عند مدخل المسجد أحذية حمراء وبرتقالية ،وزرقاء ،وخضراء ،وبنفسجية والعديد من الألوان الأخرى [3] وكانت أهم هذه الأحذية متمثلة في :

1-التيماك(temg):

وقد كان من الأحذية المشهورة خلال القرنين 10-11هـ/16-17م في مدينة الجزائر وقد أتى به

[1] Ibid, pp58 -59
[2] HAEDO (F .D) "Topographie…" In:**R.A.**,T.15,1871,p.92 voir aussi ARVIEUX (Chevalier d') , Op.cit, T.5,p.288
[3] Cornilis Pijnacker , Op.cit.,p.170

العثمانيون عند دخولهم إليها، وكان التيماك عبارة عن جزمة مصنوعة من جلود المعز الصفراء أو الحمراء المعروفة بالفيلالي ،أو من ألوان أخرى[1] .وقد كان مشكلا من قسمين جلد رقيق وجلد خشن،و كان الجلد الرقيق يشكل جوربين طولهما يعادل طول الساق بهما تموجات مثل ألة الأركورديون-آلة موسقية- وكانا يجمعان مع نعلين من الجلد الخشن[2]، وكانا الجوربين في بعض الأحيان من القماش السميك كالجوخ، وكانا من نفس اللون[3].وقد كان هذا الحذاء بشكله المنخفض ،والفتحة الواسعة لإدخال القدم يسهل عملية نزعه دون صعوبة[4].

وقد ذكر الفارس درافيو(ARVIEUX) في القرن 11هـ(17م) أن التيماك كان ينعتل من فوقه البابوج ،وأن هذا الحذاء كان مناسبا، و ملائم لتفادي توسيخ وإتلاف الزرابي التي يتم المشي عليها في المساجد ، أو في الدور التي يتم زيارتها[5] ؛أي للحفاظ على نظافتها ،وقد كانت تستورد وتستقدم من تركيا وكان يلبس خاصة من طرف رجال الدولة ،والإنكشارية من العثمانيين.

2-الباست(best):

وقد كان نوعا من الجزم الصغيرة الشبيهة بالتيماك ،وأصلها من تركيا وقد كانت جزمة دون نعل، أو مداس، و لا كعب ؛أي عبارة عن جوارب جلدية، ومصنوعة من جلد المعز المصبوغ بمواد نباتية، وكان الباست في بعض الأحيان مطرزا بخيوط ذهبية وفضية ،وتظهر عليها غالبا خطوط تمثل أشكالا هندسية مختلفة، هذه الجزم كانت تستعمل لركوب الأحصنة ؛أي من طرف الفرسان حيث كانت تسمح لهم بالركض بسهولة أكبر، وكانت لها ميزة أخري عند انتعالها مع البابوج أو الصباط ،وهي القيام بالصلاة بسهولة أكبر حيث يكتفي بنزع البابوج أو الصباط وكانت هذه الجزم تلبس من طرف موظفي الدولة [6].

3-البابوش أو البابوج:

ويعتبر هذا الحذاء من أصل فارسي، أدخل إلى مدينة الجزائر بعد مجيء العثمانيين إليها وشاع

---

[1] HAEDO (F .D) ,"Topographie…" In:**R.A.**,T.15,1871,p.57
[2] Marçais (G)," Costume..." , p.50
[3] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.282
[4] Marçais (G), Costume..,Op.cit., p.50
[5] Op.cit., T.5, p.282
[6] Baghli wahiba,Op.cit.,p.22

استعماله في أوساط سكان مدينة الجزائر، وكان عبارة عن خف مستدق الطرف بدون حزام خلفي ولا عقب[1]،و مذبب من الأمام،و كان مصنوعا من الجلد الأحمر ،أو الأصفر من جلد الماعز المعروف بالفيلالي، وقد كان مزودا بتفريشة صلبة حتى تسهل عملية نزعه في كل مرة يدخلون فيها إلى المنزل لتفادي توسيخه بالأتربة التي تعلق به في الخارج[2].

كما أنه كان يتم تزويده في الكعب بقطعة من الحديد على شكل نصف دائرة مثبتة بواسطة المسامير[3]،والهدف من وراء ذلك كان الحفاظ عليه لأطول مدة، و كان كل سكان مدينة الجزائر صغارا ،وكبارا يخضعون نعالهم لهذه العملية[4].التي كان يقوم بها حرفيين يعرفون بالسمارين –سبق ذكرهم عند الحديث عن أسواق مدينة الجزائر– وفي بعض الأحيان كان الرجال يرتدون خفا ذا ألوان مختلفة بنفس ارتفاع تلك الخاصة بالنساء وكان مفتوحا من الأمام ،ومزخرفا بأقمشة وأشرطة من الحرير الأبيض والأزرق و كان يعرف **بالمندسة** و ينتعل خاصة من طرف الحضر[5].

و إلى جانب التيماك والبابوش، والمندسة ؛فقد كانت توجد أحذية أخرى تعرف بـ:

4–الصباط:

كان عبارة عن حذاء مكشوف، وذو كعب صغير منخفض ،أو دون كعب و كان ملونا وقليلا ما كان أسود اللون حسبما ذكره هايدو في القرن 10هـ(16م) بل بني ،أو ذا لون آخر وكان مصنوعا من الجلد المصبوغ[6] . ويلبس خاصة عندما يبرد الجو[7]، أما اليهود فكانوا ينتعلون جزم أو تيماك أسود اللون، إذ لم يكن في استطاعتهم ارتداء حذاء ذو لون آخر غير اللون الأسود ولكنهم كانوا يرتدون في الغالب سندالا[8].

5–الريحيات:

التي كانت بدورها عبارة عن خف يلبس مع بعض الاختلاف في الشكل من طرف الرجال ،والنساء

---

[1] Ibid.,p. 51
[2] HAEDO (F.D) "Topographie…" In : **R.A.**,T.15,1871,p.58
[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.280
[4] HAEDO (F.D) "Topographie…" In : **R.A.**,T.15,1871,p.58
[5] Ibid., T.14 ,p.492
[6] Marcais (G)," Costume..." , p.79
[7] HAEDO (F. D) "Topographie…" In : **R.A.**,T.14,1870,p.492
[8] Ibid., T.15, 1871, p.95

على حد سواء، وكانت مذببة من الأمام والخلف، وكان بها عقب مرتفع[1]. وكانت تلبس في البيت ولعل اسمها اشتق من كلمة الراحة لتوفيرها الراحة لمنتعلها وهذا لخفتها، وليونتها ،وعند الخروج كانت توضع داخل الصباط الذي كان يغطيها، وقد كان ينزع الصباط عند الدخول لقاعة الصلاة، ولكن كان يحتفظ بالريحيات؛ حيث كانت لخصائصها المذكورة آنفا تسمح بالقيام بفرض الصلاة بكل ارتياح. كما وجدت عدة أنواع منها مثلا ريحيات للنساء المصنوعة من المخمل (الفلور) المطرز.[2] وكان المتخصصون في صناعتها يعرفون بالروايحية[3] .

2-ملابس نساء مدينة الجزائر:

لقد كانت ملابس نساء مدينة الجزائر متنوعة تتمازج فيها مختلف الأطرزة ؛حيث امتزجت التأثيرات العثمانية، والأندلسية مع الأطرزة المحلية لتقدم مجموعة من الألبسة المميزة لنساء مدينة الجزائر. و ملابس النساء المسلمات فيها كانت متشابهة وإن اختلفت من حيث نوعية الأقمشة المستعملة والتطريز تبعا للإمكانات المادية التي تملكها المرأة.كما نسجل وجود بعض الملابس انحصرت في فئات دون الأخرى، ومن أهم الملابس التي كانت تشكل أزياء المرأة في مدينة الجزائر بصورة عامة خلال القرنين 10 و11هـ(16 و17 م) نجد:

1- القميص:

والذي كان يعتبر من أهم ملابس المرأة في مدينة الجزائر ،وكان يصنع من قماش من الكتان الناصع البياض والرقيق، و كان جد عريض، وطويل بحيث يصل إلى القدمين و لا يحتوي على عنق أو ياقة مثلما هو الحال في كل أجزاء ملابسهن التي كانت دائما على هذه الشاكلة وهو تأثير عثماني[4]، وهو بمثابة قميص داخلي ،ففوق هذا الأخير الكثير من النساء كن يرتدين قميصا خارجيا كان في العادة من الحرير العادي أو الشفاف،والذي كان ينزل ،و ينسدل بدوره إلى غاية القدمين و قد كانت النساء التركيات العثمانيات تلبسن قمصان شبيهة بهذه مصنوعة من الحرير الرقيق أو الشفاف، ولكنها كانت غنية بالتطريز، ومزودة بأكمام جد عريضة[5] ،و كانت هناك أيضا

[1] Marçais (G), "Costume...", p.111
[2] Baghli wahiba, Op.cit., p.28
[3] محمد بوسلام ،مرجع سابق ،ص.117
[4] HAEDO (F. D) "Topographie…" In:**R.A.**,T.15,1871, p.107
[5] Ibid., p.107

قمصان مطرزة بخيوط حريرية مختلفة الألوان في المناطق التي تم خياطتها وعلى طول فتحة العنق والأكمام[1].

و إلى جانب هذا القميص نجد ثلاثة أثواب أخرى كانت تشكل قطعا هامة من لباس المرأة في مدينة الجزائر، وهي:

2-الملحفة:

و كانت المرأة تضع الملحفة فوق القميص لتغطي شفافيته، ومن ثم كانت تشبه الحايك الذي تلبسه المرأة عند خروجها وهناك من النساء من كن يلبسن الملحفة مع الحايك عند خروجهن[2]. كانت عبارة عن نوع من الإزار باستثناء أن الإزار مربع الشكل ،وأن الملحفة عريضة بحوالي ثلاثة أذرع تقريبا ،وطويلة بـ ثمانية، أو تسعة أذرع ،وكن تلفن بها أنفسهن من فوق القميص[3].

3-الدرة:

وهي نوع من القمصان الكبيرة، والعريضة جدا قماشها كان رقيقا وناصع البياض[4] وكانت شبيهة بالجبة ،وكانت تلبس من طرف الرجل ،والمرأة ولكنهما كان يختلفان في عدة نواحي كنوعية القماش والزينة ،وكان يطلق عليها اسم "القندورة" باللغة المحلية. وكانت تلبس خاصة من طرف النساء الأندلسيات المقيمات في مدينة الجزائر، و كانت مطرزة، و تزين بجواهر ثمينة.وقد تكون متعددة الألوان كأن يكون جزء ،أو جانب منها أصفر اللون، والجانب الآخر أزرق ،أو أحمر[5].

4-الفوطة:

وكانت عبارة عن وشاح عريض يثنى حول خصر المرأة؛ حيث كان ينزل باستقامة من الوراء ويعقد في الأمام، أو يمسك بواسطة حزام[6] من أقمشة رقيقة ،أو من الحرير المتعدد الألوان[7]. وكانت الفوطة تلبس عادة من طرف المرأة في البيت ،فعند دخولها كانت تنزع الحايك وتضعها عوض

---

[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.285
[2] Marçais (G)," Costume.. ", Op.cit., p 96
[3] HAEDO (F.D) ,, "Topographie…" In:**R.A.**,T.15,1871,p.107
[4] Ibid.,p.107
[5] Marçais (G), "Costume.. ", Op.cit., p. 95
[6] Ibid., p.94
[7] Ibid., p.94

السروال[1] في فصل الصيف؛ حين يصبح الجو حارا، أو يضعن الفوطة مباشرة فوق السروال لاسيما في فصل الشتاء حين يبرد الجو[2]، وكانت تصنع من الحرير ،والقطن، وهناك من الفوط من كانت مخططة بألوان متعددة فضلا عن وجود فوط خاصة بالحمام[3]، وكانت طويلة تصل إلى الكاحل أي إلى غاية القدم ،ومنها ما كان يصل إلى الركبة.

5-الغليلة:

وكانت بمثابة اللباس المشترك لكل المجتمع ؛فقد كان يلبسها الرجال ،والنساء على حد سواء و كان الاختلاف دائما في أنواع الأقمشة المستخدمة ،والزينة ،و التطريز،و كانت تلبس من طرف جميع نساء مدينة الجزائر من الحضريات المسلمات،وحتى اليهوديات على خلاف القندورة والملحفة.

وقد كانت الغليلة الخاصة بالنساء عبارة عن ثوب ،أو سترة طويلة من الكتان أو الحرير تصل إلى منتصف الساقين وكانت فتحة الغليلة الأمامية الواسعة جدا والممتدة من العنق إلى غاية الصدر تسمح بإظهار اللباس الداخلي المتمثل أساسا في القميص[4].

و كانت أكمام الغليلة الشبيهة بأكمام القفطان لا تتجاوز المرفقين، وهو حال كل ملابسهن والهدف من وراء ذلك كما سبق الإشارة إليه في ملابس الرجال تسهيل عملية غسل الساعدين عندما تدعو الحاجة لذلك مثلا: في الاحتفالات كالأعراس، وكذا للوضوء لأداء الصلاة، ولهذا السبب كانت الغليلة هذه مزودة بأكمام منفصلة متحركة من الحرير ،أو الكتان، لتكون عبارة عن امتداد للأكمام الغليلة القصيرة لتغطية الساعدين[5].

و كانت الغليلة مفتوحة من الأمام، ولا تغلق إلا على مستوى الصدر بواسطة زرين كبيرين من الذهب، أو الفضة الجميلة الصنع و كانت تصنع بالنسبة للنساء العثمانيات من الدمشقي والستان ،وهي من الأقمشة الغالية.، وكانت تلبس الغليلة خاصة عندما يبرد الجو وكانت المرأة ترتدي فوق القميص السابق الذكر غليلتين الواحدة على الأخرى إذا كان البرد قارصا وهو أمر نادر

---

[1] Dozy (R) ,Op.cit., p.340
[2] Belkaid (Leyla) : Algéroise Histoire d'un Costume Méditerranéen, Edisud, Aix-en-Provence, France, 1998, p. 63
[3] Dozy (R), Op.cit., p.340
[4] HAEDO (F.D) "Topographie…" In:**R.A.**,T.15, 1871,p.107
[5] Ibid.,p.108

في مدينة الجزائر لكون الجو معتدل بها كما يخبرنا بذلك هايدو في القرن 10هـ(16م)[1]؛فقد كانت الغليلة حسب درافيو(ARVIEUX) لباسا صيفيا[2] .

6-القفطان:

و يعتبر القفطان لباس أبهة أصله من الأناضول دخل إلى الجزائر في القرن 10هـ(16م)عن طريق العثمانيين[3]، والقفطان في واقع الأمر كان شبيها بالغليلة إلى درجة الخلط بينهما، ولكنه كان أطول منها، ومميزا للنساء، والفتيات الميسورات أما الأخريات ،فكن يحتفظن به للاحتفالات والمناسبات الهامة إذا ما تمكن من اقتناء واحد[4]، وكان مفتوحا من الأمام كالغليلة لإظهار اللباس الداخلي ومطرزا بالخيوط الذهبية ،والفضية على جانبيه وكانت تتوزع أيضا على جانبيه أزرار كبيرة من الخيوط الفضية ،أو الذهبية، وكانت تثبت على مستوى البطن بواسطة زرين فقط[5].

وذكر الفارس درافيو في القرن 11هـ(17م)أن أكمامه كانت عريضة بحيث تسمح لأكمام القميص

---

[1] Ibid.,p.107

[2] Op.cit.,p.286

[3] ويرى بعض الباحثين الذين تخصصوا في دراسة تاريخ اللباس التقليدي في بلاد المغرب الاسلامي أن:" القفطان مشرقي وأن أصل الكلمة خفتان وهي فارسية تحولت إلى قفتان ثم قفطان في اللغة العربية وأن جميع المصادر تؤكد أن العرب اقتبسوه عن الفرس ثم نشروه في أرجاء الإمبراطورية {كذا}الاسلامية أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية واهتموا بتدقيق تفصيله وتوشيته عبر القرون وارتقوا بمستواه حتى جعلوه أحسن ردا لديهم وفي الأندلس تم تطوير شكله حتى بلغ أوجه واكتماله " ويفهم مما سبق ذكره أن القفطان كان لباسا معروفا في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس عل وجه الخصوص قبل قدوم العثمانيين وارتباط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية في حين ذكر باحثون آخرون أن :"رداء القفطان لم يكن خاصا بالعرب بل كان أيضا من أشهر ملبوسات الأتراك وعلى أيديهم اكتمل انتشاره في باقي ربوع العالم الاسلامي ابتدأ من القرن 16 م لاسيما عندما توسعت الإمبراطورية {كذا} العثمانية في مختلف أجزاء المشرق والمغرب الكبير" وهنا نستخلص أن الفضل في انتشار رداء القفطان في بلاد المغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب الأقصى- حيث يعد القفطان إلى اليوم من الألبسة الرسمية مع العلم أن النفوذ العثماني لم يمتد إليه بصفة رسمية- يرجع للعثمانيين ومن ثم يندرج ضمن المؤثرات العثمانية في مجال الألبسة ،والأزياء وفي الأخير نعتقد بناء على كل ما ذكر آنفا أنه وإن وقع اختلاف بين الباحثين حول مدى مساهمة العثمانيين في إدخال هذا النوع من الألبسة لبلاد المغرب الإسلامي ؛فإن مما لاشك فيه أن اصله لباس فارسي مشرقي ،وأن استعمال القفطان عرف رواجا و انتشارا كبيرا في ظل حكمهم لمدينة الجزائر وغيرها من المناطق التي امتد إليها حكمهم أو تلك التي كانت تربطها بهم- بحكم الجوار- علاقات سياسية، وديبلوماسية ،واقتصادية ،واجتماعية كما كان عليه لحال مع المغرب الأقصى ؛فقد كان القفطان في ظل الحكم العثماني بمثابة الزي الرسمي للحكام ،والعسكر وعلى وجه الخصوص الجيش الإنكشاري.حول الآراء المختلفة التي أوردناها وعلقنا عليها انظر :محمد بوسلام،مرجع سابق ،صص.130 وابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعدي،الدار البيضاء،1987 ،ص.254.

[4] Belkaid (Leyla),Op.cit, p 82

[5] Marçais Georges, "Costume... ", p.100

بالظهور[1]. ويبقى القفطان مثل الغليلة مفتوحا من الأعلى، والأسفل، ومن فوق القفطان كانت النساء تتحزمن بأحزمة مصنوعة من أقمشة رقيقة أو من الحرير ذي ألوان متنوعة[2].

و كانت الأقمشة المستخدمة في صنعه متنوعة تبعا لذوق المرأة وإمكاناتها المالية فمثلا الفتيات الميسورات كن يرتدينه من الستان، أو الدمشقي، أو أنواع أخرى من الحرير ،وقد ورد ذكره في المصادر المحلية وكمثال عن ذلك نورد ما ورد في رسم تقسيم تركة إحدى النساء في مدينة الجزائر :".....وأربعة قفاطين أحدهما ديباج وإثنان منهما موبر والرابع لبيس {كذا}....."[3] . و في رسم آخر لتقسيم تركة : ".....قفطان عناية خوخي{قد يقصد به وردي اللون}"[4] .كما كان يرد ذكر القفطان ضمن عقود الزواج كجزء من المهر أو الصداق لا سيما في أوساط الأسر الغنية[5].

7-السروال:

كانت المرأة في مدينة الجزائر تلبس نوعان من السراويل نوع مخصص للبيت وآخر مخصص للخروج؛ فكن تلبسن في منازلهن سراويل صغيرة،وعريضة دون مبالغة وقصيرة؛ حيث تغطي الفخذين إلى غاية الركبتين، وكانت ملونة، وأحيانا مطرزة[6]، وهو تأثير أندلسي و كان السروال يرتدى تحت القميص، وقد تجلى فيه الذوق الرفيع للنساء الحضريات من حيث استعمال الأقمشة الرفيعة ،والمطرزة بأشكال نباتية تمثل أزهارا صغيرة،وأوراق أشجار و كانت المرأة تلبسه عند انشغالها في العمل المنزلي فقد كان مريحا ،وخفيفا يوفر الستر ،والخفة ،وسهولة الحركة المطلوبة في آن واحد[7].

---

[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit, T5, p 286

[2] HAEDO (F. D) "Topographie…" In:**R.A.**, T.15,1871, p.108 voir aussi ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit.,T.5, p.286

[3] الوثيقة 26 " رسم تقسيم تركة احدى النساء الأندلسيات الثريات في مدينة الجزائر، في العلبة 5-1 من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها أواسط ذي القعدة الحرام من عام 1047 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

[4] الوثيقة رقم 6 في العلبة 124، المصدر السابق

[5] راجع مبحث الزواج في الفصل الأول من هذا الباب

[6] Marçais Georges, " Costume…", p.94

[7] Belkaid (Leyla) ,Op.cit., p.46

أما السروال الآخر وهو سروال الخروج ،أو سروال الزنقة؛ فكان مصنوعا من الكتان الأبيض اللون بالنسبة للمرأة المتزوجة، ومتعدد الألوان بالنسبة للفتيات العازبات، وكثيرا ما كان يلبس فوق السروال الأول[1]،و ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن كل النساء عندما كن يخرجن كن يرتدين سراويل من الكتان شديدة البياض، والتي كانت تنزل إلى غاية الكاحل[2].

كما ذكر دوبرفي في القرن 11هـ(17م) أنهن كن تستعملن سراويل طويلة من القماش الرقيق والتي كانت تنحدر، أو تنزل حتى القدم[3].

8-الحايك:

وهو لباس محلي صميم، كانت ترتديه النساء في مدينة الجزائر قبل مجيء العثمانيين، و كان لباسا ضروريا للمرأة عند خروجها من منزلها لقضاء شؤونها عبر شوارع ،وأزقة مدينة الجزائر[4]؛لأن النساء كن يتنقلن في كثير من الأحيان عن طريق الأسطح- كما سبق أن أشرنا إليه في الباب الخاص باالمرافق الحضارية-.

وكان الحايك شبيها بالملحفة السابق ذكرها؛إذ كان عبارة عن إزار طويل بـ 30با لم وعريض بحوالي14،أو15 با لم؛ أي قطعة مستطيلة،وكان مصنوعا من قماش من الصوف الرقيق أو من قماش مصنوع من الصوف والحرير ذات البياض الناصع[5].

وكانت النساء تحافظن على بياض الحايك عن طريق غسله بالصابون[6]،واللون الأبيض كان محببا في حايك المرأة في مدينة الجزائر لأنه كان يدفع أشعة الشمس عنها ؛ أي يخفف من شدة الحرارة وكان الحايك بمثابة الستار الذي يحمي المرأة من نظرات الغرباء ،و وسيلة لإخفاء حليها كذلك لتفادي الحسد ،والعين[7].

---

[1] Marçais Georges, Costume…, Op.cit., p. 94
[2] HAEDO (F D),"Topographie…" , In:**R.A.,** T.15,1871, p.111 voir aussi Rocquevill (sieur,de) Op.cit.,p.81
[3] Op.cit.,p.362
[4] Belkaid (Leyla),Op.cit., p.143
[5] HAEDO (F D) ,"Topographie…" In:**R.A**, T.15,1871, p .110
[6] Ibid.,p.110
[7] Belkaid (Leyla) ,Op.cit., p.143

أما عن طريقة لباس الحايك ؛فقد كانت المرأة تلف به كل جسمها ،حيث كانت تربط طرفا منه على صدرها بواسطة دبابيس، أو أبارزيم ذهبية، أو فضية[1] ثم تلقي به فوق الكتفين والرأس وتمسك الطرف الآخر تحت ذراعها الأيمن.

وكانت المرأة قبل ارتداء الحايك ترتدي ما يعرف **بالعجار** الذي كان عبارة عن قطعة من القماش الرقيق الأبيض[2] المربعة ،أو المثلثة، أوالبيضاوية الشكل، وأحيانا كانت تزخرف حواشيه بالدانتيلا وكان يربط خلف الرقبة بواسطة خيطين على شكل عقدة لتغطية أسفل الوجه بحيث تبقى العينين مكشوفتين فقط[3]. وقد أشار روكفيل في القرن 11 هـ(17م)واصفا إياه بالمنديل القطني الذي تضعه المرأة لتغطية أنفها والجزء السفلى من وجهها[4].

وبهذه الطريقة كانت النساء مغطيات من الرأس إلى غاية القدمين، إلى درجة أنه لم يكن في استطاعة أحد معرفتهن بما في ذلك أزواجهن، إلا عن طريق الأشخاص المرفقين لهن ولاسيما من الخدم والعبيد ؛فالنساء خاصة الميسورات منهن كن يملكن حسب إمكاناتهن عددا من الخدم والعبيد يقومون بمرفقتهن عادة عند خروجهن، ولاسيما للذهاب إلى الحمام لحمل ما كن بحاجة إليه من لوازم الاستحمام[5].

ولابد من الإشارة إلى أن الخادمات الزنجيات كن يتحجبن في حايك مختلف في اللون إذ كان لونه في أغلب الأحيان أزرقا سماوي به مربعات صغيرة، أو أشرطة، وكان يوضع على الرأس، و ينسدل إلى غاية الحزام كما أنهن لم يكن يضعن العجار فتبقى وجوههن مكشوفة[6].

وإن اختلف لون الحايك[7] إلا أنه كان بمثابة لباس مميز،و موحد لنساء مدينة الجزائر بما فيه النساء

---

[1] عن هذه الحلية أنظر الفصل السابع من هذا الفصل

[2] Marçais Georges, "Costume…", p.103

[3] HAEDO (F D) ,"Topographie…" In:**R.A**, T.15, 1871, p.110

[4] Op.cit,p.83

[5] HAEDO (F D) , "Topographie…" In:**R.A**, T.15, 1871, p.111

[6] Ibid.,p.111

[7] وقد تم الإشارة في إطار تعداد مخلفات المدعو الحاج عبدى آغا في إطار تقسيم تركته إلى حايك أحمر استردته الزوجة بستة وخمسين دينار....." أنظر الوثيقة رقم 35 في العلبة 27 -2 ،مصدر سابق

اليهوديات وهذا على غرار لباس البرنوس بالنسبة للرجال .

و إلى جانب هذه الملابس الخاصة بالبدن كانت المرأة في مدينة الجزائر ترتدي أغطية خاصة بالرأس وقد كانت متنوعة من حيث الشكل، والمواد المستخدمة في صنعها شأنها في ذلك شأن الملابس الخاصة بالبدن، وكانت تلبس من طرف كل النساء المسلمات وحتى اليهوديات منهن .

1-البنيقة:

وكانت مصنوعة من الكتان ،أو القطن ،ومطرزة بإتقان من الأمام بخيوط حريرية ذات ألوان خضراء ،وحمراء ،أو صفراء[1]. وقد كانت البنيقة مطرزة أيضا بأشكال ،وزخارف نباتية كالأزهار بخيوط من الحرير دائما، و كانت المرأة تقوم بوضع شعرها بداخل البنيقة[2].

أما من حيث الشكل ؛فقد كانت مكونة من قلنسوة مذببة توضع على الرأس وشريطين متدليين يلفان حول الشعر لتجفيفه[3] ،و مصنوعة من قطعة واحدة، وكانت المرأة تستعمل البنيقة في الحمام، ولكن أيضا في منزلها خلال الأشغال المنزلية في ساعات محددة من النهار ،والسنة حيث إن اختيار مادة مشهورة بقدرتها على الامتصاص كالكتان في صنعها يؤكد أن استعمالها الأول كان لتغطية ،وإمساك الشعر المبلل دون إهمال دورها في الحفاظ على البرودة، والانتعاش للرأس في أوقات الحر[4]. و بالإضافة إلى البنيقة كانت النساء تضعن على رؤوسهن إحدى هذه الأشياء الثلاثة:

2-العصابة أو القفالى:

وكانت عبارة ظفيرة تركية من الكتان الرقيق المطرز بالحرير عريضة بأربعة أصابع ،وطولها يتراوح ما بين ثمانية ،و عشرة بالم مزينة ،ومزخرفة في نهايتها بأشرية من الذهب. و كانت تربط فوق وحول الرأس بواسطة عقدة خلف الرقبة ، و كانت أطرافها تنزل متدلية فتتجاوز الحزام[5] ،وكانت توضع

---

[1] HAEDO (F.D) , "Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.108

[2] Belkaid (Leyla) ,Op.cit., p.121

[3] Marçais Georges, " Costume… " , p.112

[4] Belkaid (Leyla) ,Op.cit.,p.122

[5] HAEDO (F D) , "Topographie…" In: **R.A.,** T .15, 1871,p.108

على الرأس كتاج للزينة[1] .وأحيانا كانت تصنع على شكل حلية من الذهب مطعمة باللؤلؤ والزمرد وغيرها من الأحجار الكريمة، أو تكون عبارة عن شريط من الكتان مطرز باللؤلؤ و يثبت عليها كليل أو تاج مشكل من عدة قطع معدنية من الذهب، أو الفضة المرصعة بالجوهر مركبة على شكل مفصلي(d'un diadème formé de plaques articulées)[2].

3- **الشنبيرأو شمبير(chanbir ou chenbir):**

وهو شبيه إلى حد كبير بالعصابة غير أنهما يختلفان في نوع القماش الذي يصنعان منه فالعصابة ،أو القفالي من الكتان المطرز بالحرير، في حين أن الشنبير من الحرير فقط [3]؛فقد كان عبارة عن ضفيرة من الأقمشة الحريرية المشدودة كشريط ملون كانت تلفه المرأة حول رأسها وتتدلى أطرافه على الكتفين إلى غاية الحزام[4].

4-**الشاشية:**

وكانت عبارة عن قلنسوة توضع على الرأس، وخاصة من طرف النساء الأكثر غنى في حفلات الزفاف ،وغيرها وكانت كما سبق الذكر عبارة عن قلنسوة دائرية أو مخروطية من الديباج- قماش من الحرير المطعم بخيوط فضية، أو ذهبية – أو من الستان ،أو الدمشقي المطرز بخيوط ذهبية بشكل كبير ،وكانت بعض النساء تزينها باللؤلؤ ،والأحجار الكريمة[5].

وفعلا تطابق أوصاف هايدو لأنواع الشاشية الخاصة بالنساء ما أورده بول أودال (paul Eudel) في قاموسه حول مجوهرات شمال إفريقيا ؛حيث يطلق على النوع الأول أي المطعمة بخيوط فضية وذهبية اسم الشاشية المرصعة وعلى النوع الثاني المزين باللؤلؤ والأحجار الكريمة اسم الشاشية المكللة[6].

---

[1] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص.135.

[2] Marçais (Georges), Les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord, Imprimerie officielle ALGER, 1958, p.4 voir aussi Marçais Georges, Costume…, pp.112-113

[3] Marçais (G), Costume…, p.113

[4] HAEDO (F.D) , "Topographie…" In: **R.A.,** T.15,1871, p.108

[5] Ibid.,p.109

[6] Eudel Paul ,Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du nord, Maroc, Ernest Leroux édition, paris,1906, p.32

وخلال القرن11 هـ(17م) كان يتم تزين هذه الشاشية بقطع نقدية من الذهب والفضة التي كانت تخاط عليها مع عدد من الألئ، و الأحجار الملونة، والتي كانت في العادة مزيفة[1].كما كانت تثبت في الشاشية حلية تشبه دبوس كانت تعرف"بالرعاشة" ،أو الأزهار المرتعشة التي سميت بذلك لأنها كانت تهتز هزات خفيفة عندما تتحرك المرأة ليزيد لمعانها جمالا للشاشية[2].

وفيما يتعلق بالأحذية ؛فقد كان للمرأة في مدينة الجزائر أنواع عديدة من الأحذية تبعا لاستعمالاتها فمنها ما كان ينتعل في البيت، ومنها ماكان ينتعل خارجه ،كما خصصت أحدية أخرى للحفلات وبصورة عامة كانت النساء تنتعلن:

1-البابوج(البابوش):

وكان عبارة عن خف مشدق الأطراف بدون حزام خلفي، ولا عقب، وقد أشار إليه هايدو في القرن 10هـ(16م) حين ذكر أن النساء غالبا ما كن يمشين حافيات الأقدام في بيوتهن ولكنه في بعض الأحيان كن يلبسن أحذية مدببة من الأمام ومصنوعة من الجلد المذهب أي المطرزة بخيوط ذهبية و المزينة من الأمام بأشرطة من الحرير الملون[3]،و ، وكانت تصنع من جلد الماعز الفيلالي-نسبة لتافيلالت بالمغرب الاقصى- ذو اللون الأحمر أو الأصفر، وكان يلبس عادة في أيام الأعراس أو في المنزل ، ولكن من طرف النساء الميسورات خاصة وتجدر الإشارة إلى أن بابوش الرجال كان على العكس منه يتسم بالبساطة و،غياب الزخرفة .

2-الصباط:

وقد كان هذا الأخير يلبس من طرف المرأة عند خروجها من البيت ، و كان يلبس خاصة من طرف المرأة الفقيرة؛ حيث ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أن النساء الأخريات الأكثر فقرا كن يرتدين أحذية تركية ملونة حسنة الصنع[4] وهي تسمية أخرى للصباط، و لا يعرف سبب لتسميته هكذا ربما لأن استعماله كان شائعا في تركيا، أو لأنه كان يستورد منها ،أو أن طريقة صنعه أقبست عن الأتراك العثمانيين ،وقد كان ثمنه منخفض كما كان يصنع من الجلد الأسود، أو المدبوغ

[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit., T.5, p.286
[2] Eudel Paul,Op.cit.,pp.171-172
[3] Topographie…" In: **R.A.**, T.15, 1871, p.109
[4] HAEDO (F D) ,"Topographie…" In: **R.A.,** T.15, 1871, p.109

بألوان أخرى أما شكله؛ فقد كان مربعا من الأمام وله كعب على عكس البابوج. كما كان يوجد نوع آخر منه كان يلبس في الأعراس ،والمناسبات، ولاسيما من طرف العروس، وكان يعرف بصباط المجبود نسبة للتقنية المستعملة في تطريز هذا الصباط وكانت تستعمل الخيوط الذهبية في تطريزه وكان هذا الصباط مزودا بكعب مطرز بدوره[1].

وذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) نوعا آخر من الأحذية كانت تلبسه على وجه الخصوص النساء الأندلسيات قد تكون **الشبرلية أو الشبرلة**، هي المقصودة هنا، وكان عبارة عن نوع من الخف الجلدية الجميلة جدا[2] المصنوعة من جلد المعز الأحمر، ذو عقب، وكعب، وأزرار وقد ورد ذكر للحرفي الذي كان يشرف على صناعتها في أحد عقود المحاكم الشرعية :"....حضرت الان بمحضر شهديه الولية نجمة المذكورة وبعلها المكرم اوسطا محمد الشبارلي صناعة....."[3]. و نختم الحديث عن نعال نساء مدينة الجزائر بذكر:

3- القبقاب:

الذي كان يعتبر نوعا من الأحذية الخشبية، والذي اشتق اسمه قبقاب من الصوت الخاص والمميز الذي يحدثه عند التقائه بالأرض"قب-قاب"، وكان عبارة عن مداس(semelle) من خشب صلب مرتبطة بالقدمين عن طريق شريطين مستطيلان طويلين من الجلد على مستوي مشط القدم.[4]

ونميز بين نوعين من القبقاب، والنوع الذي يثير اهتمامنا هنا هو القبقاب المسطح الذي كان مستعملا في مدينة الجزائر، وقد كان مصنوعا من الخشب الأبيض حيث كان يستخدم خشب أشجار الزيتون ،والبرتقال وغيرهما، وكان النعل أو المداس الخشبي المسطح سميكا بما فيه الكفاية ليسمح بعبور الأماكن المبتلة، و الرطبة، وكان يستخدم لذلك في الحمامات التي كانت مزودة بمجموعة منها تستعمل عند الدخول لقاعة الاستحمام لتفادي الانزلاق كما كان هذا النوع من النعال البسيط، وذو الثمن المنخفض شائع الاستعمال؛ حيث كان يستخدم أيضا

---

[1] Baghli wahiba, Op.cit.,p38

[2] Topographie…" In: **R.A.**, T15, 1871, p.109

[3] الوثيقة رقم30 "رسم معاوضة دار بجنة بمدينة الجزائر "في العلبة141تاريخها أواخر ربيع الأول1096هـ (1685م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] Baghli wahiba,Op.cit.,p.46

في داخل الدور[1] ،وربما استخدم من طرف النساء عند قيامهن بالأشغال المنزلية كغسل الملابس،ومسح الأرضية .

وقد توصل العلم الحديث إلى إبراز الميزات ،والخصال العلاجية للقبقاب ،والدراسة العلمية لاستعمالاته العلاجية للقدمين ،وما يندرج في إعادة التأهيل الطبي ما يعرف في المصطلح الطبي بأوغتوبيديك (orthopédique).

ولابد من أن نشير في هذا المقام إلى أن لباس النساء اليهوديات في مدينة الجزائر لم يكن يختلف عن لباس المرأة المسلمة معاد استثناءات قليلة ؛فقد كانت المرأة اليهودية ترتدي الفوطة الحريرية ،أو القطنية المزركشة بخيوط براقة كالمسلمات ،والمحرمةالتي كانت عبارة عن منديل مصنوع من الحرير في غالب الأحيان ،والجبة وهي رداء طويل شبيهة بالقندورة ،وبعضهن كن يرتدين حتى الحايك إلا أنه كان ذو لون أسود على عكس حايك المسلمات الأبيض اللون لكونه كان اللباس الوحيد المسموح لهم به في مجال الألبسة الخارجية؛ وقد سبق وأن تمت مناقشة مدى صحة هذه المعلومة عند الحديث عن لباس الرجال من اليهود. كما أن قلة منهن كن يرتدين السراويل عند الخروج، ولهذا كن يرتدين أحذية من الحبال كانت تلف حول الساق ،أو كن ينتعلن سندالا أو نعال من الجلد الأسود، ولا ترتدين في معظم الأحيان أحذية شبيهة بتلك الخاصة بالنساء المسلمات السابق ذكرها وعند ارتداء بعضهن للحايك ،فقد كن يتركن وجوههن مكشوفة ولا يلبسن العجار[2].

ونستخلص مما سبق أن أزياء المرأة اليهودية في مدينة الجزائر كانت شبيهة إلى حد كبير بملابس نظيرتها المسلمة لاسيما فيما يخص ملابس البيت. [3]

و في الأخير يمكن القول أن الأزياء ،والملابس التي كانت سائدة في أوساط نساء مدينة الجزائر خلال القرنين 10-11هـ/16-17م بناء على ما ورد في المصادر الأولية ،والدراسات المتخصصة تعكس تنوعا كبيرا، وأذواقا مختلفة ،وتعد دليلا على عناية المرأة بأناقتها مع ما يتماشى والعادات

[1] Ibid.,p.46
[2] Joao mascarenhas, Op.cit, p 76 voir aussi HAEDO (F. D) , Topographie…" In: **R.A**, T.15, 1871, p.111
[3] HAEDO (F D) ,"Topographie…" In: **R.A.,** T.15, 1871,p.111

والتقاليد السائدة مع حرصها على أن تكون ملابسها عملية ،وأن توفر لها في نفس الوقت الأريحية لاسيما عند قيامها بأنشطتها اليومية المختلفة، وتخصيصها لملابس محددة لحضور الأعراس والاحتفالات،وغيرها من المناسبات الاجتماعية.

3-التأثيرات الأندلسية والعثمانية في مجال الملابس والأزياء:

وما سبق ذكره من أزياء الرجال ،والنساء لا يعدو أن يكون إلا نموذجا لأهم الملابس الشائعة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ، والتي كانت تنم عن ذوق جميل وتنوع كبير يعكس تنوعه السكاني الذي أدى إلى امتزاج مختلف التقنيات المستخدمة في صنع الألبسة و زخرفتها وتزينها سواء كانت نتيجة تأثيرات أندلسية، أو عثمانية ،أو محلية لتتمخض عنه ملابس وأزياء مميزة لمجتمع مدينة الجزائر ؛فكما أثر العثمانيون في أزياء سكان مدينة الجزائر ببعض ألبستهم كالقفطان والسروال العريض ،وغيرهما ؛فقد تأثروا بالملابس التي كانت سائدة في أوساط المجتمع كالبرنوس الذي يعد لباسا محليا ،وغيره ونفس الأمر فيما يخص الأندلسيين الذين أثروا بشكل ملحوظ على هذا الجانب بفضل احترافهم لمختلف الحرف التي تمس بمجال الملابس والأزياء بصورة مباشرة كالخياطة ،وفن التطريز ،أو غير مباشرة كصباغة الأقمشة ،ودبغ الجلود ولاسيما اختصاصهم في صناعة النسيج والأقمشة وخاصة الحريرية منها[1] .

ومن التقنيات الأندلسية الصميمة التي اعتمدت في تزيين الملابس و أفرشة البيوت المتنوعة و التي لاتزال محل استخدام إلى يومنا وبخاصة في المدن التي حافظت على تلك التقاليد الأندلسية كمدينة الجزائر ،وشرشال ،والبليدة ،و القليعة،و جيجل ،و قسنطينة الدانتيلا وهي قماش يصنع عن طريق تشابك الخيوط بأسلوب معين ،وتظهر به نقوش ذات فتحات وفراغات جميلة تحدث

[1] وكانت الصنائع الخاصة بالأزياء ،والملابس والزينة من بين الحرف الأكثر رواجا وشهرة، ومكانة في مدينة الجزائر ،ومنتوجاتها الأكثر جودة كما أشار إليه أحد الإيطاليين الذين كتبوا عن مدينة الجزائر ومجتمعها ؛حيث قال :" الحرف المحبذة أكثر في مدينة الجزائر هي حرفة الإسكافي .....والمجوهرات وخاصة صانع الشواشي حيث تصنع بها كميات معتبرة جدا من أغطية الرأس هذه والتي تصدر إلى المشرق.....وصوف بلاد بربرية وخاصة صوف مدينة الجزائر قابل لأن يصبغ بمختلف الألوان التي نريد صبغه بها ،وبصورة تثير الإعجاب كما يتم الاهتمام في كل شمال إفريقيا بالمنسوجات الحريرية الرفيعة القادمة من إيالة الجزائر لصنع المحارم التي ترتديها النساء في العادة. ودباغة وتحضير الجلود تتم بطبيعة الحال في مدينة الجزائر ومنتوجاتها الجلدية المدبوغة مصنوعة بإتقان كبير ...."أنظر:

Pananti Pilippoi,Op.cit., p.359

عادة عن طريق خيوط السدى أما خيوط اللحمة فلا تؤدي إلا دورا ثانويا في عملية التخريم حيث أن مهمتها إيجاد التماسك والثبات بين الخيوط ،و تثبيت الفراغات وكانت تستعمل فيها الخيوط الكتانية ،وكانت تتفرع إلى نوعين الدانتلا المسماة محليا "**بالدريبز**" ،وأخري تسمى "**بالشبيكة**" وكانت النساء الأندلسيات هن من يقمن بصنع الدانتلا بنوعيها وكانت تحتل في تزين وتجميل الملابس نفس المكانة التي كان يحتلها فن التطريز ،وكانت تستعمل خاصة في الملابس المخصصة لجهاز العروس حيث كانت المرأة هي التي تعد جهازها بنفسها[1].

و أثر العثمانيون بدورهم في هذا المجال ولاسيما فيما يتعلق بتزيين الملابس باعتماد فن التطريز من خلال إدخال تقنيات جديدة ،و رموز ،وأشكال جديدة [2].كما كان الحال بالنسبة لتأثيرهم على الدلالات الرمزية في صناعة مختلف الأواني والأدوات النحاسية ،وفي مجال العمارة وخاصة الدينية والعسكرية منها بل وساهموا أيضا بإدخال أدوات كانت تستعمل كمسند في تطريز القطع الكبيرة مما يسمح للمطرزة بإبقاء يديها حرتين مما يزيد من جودة ودقة التطريز ، ونقصد بذلك آلة القرقاف (guer -guef)[3].

وهي كلمة تركية المقصود بها نول التطريز–منسج أفقي– حيث يتكون القرقاف الخشبي من إطار

---

[1] شريفة طيان ،فن التطريز الحريري بمدينة الجزائر في العهد العثماني ،في مجلة آثار ،مجلة علمية سنوية تعنى بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار والتراث الجزائر، العدد 06 ،يصدرها معهدا الآثار، جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2006-2007،ص.125وأنظر أيضا Migeon (Gaston) ,les arts du tissue,manuels d'histoire de l'art ,librairie Renouard –H.Laurens, éditeur, Paris,1909,pp.370-383 voir aussi Ricard (Prosper), Dentelle algériens et marocaines,collecion hespéris institut des hautes-études Marocaines numéro IV, librairie Larose ,paris, 1928, pp.14-15

[2] حيث ذكر جورج مارسي أن مدينة الجزائر في العهد العثماني شهدت تطور فن تزييني بديع ويبدو أنه كان خاصا بها وهو يقصد بذلك التطريز على الأقمشة الرقيقة، والخفيفة ،والأنسجة القطنية، والكتانية وهذه التطريزات كانت تعتمد في صنع ستائر الأبواب في دور مدينة الجزائر والتي كانت تتشكل من ثلاثة أشرطة مستطيلة وطويلة ومطرزة تخاط مع بعضها لتشكيل الستار كما كانت تستعمل في مناشف الحمام، وأغطية رأس المرأة وبخاصة البنيقة ومن حيث اللون يمكن أن نجمع هذه التطريزات في عائلتين في إحداهما اللون البنفسجي هو المسيطر وفي الأخرى اللون الأحمر والأزرق الغامق والخلفية في كل منهما دائما بيضاء أو بالون القشدة والنساء في مدينة الجزائر كن هن اللواتي يمارسن هذه الصنعة وذكر أنه من الصعب تحديد أصول الأشكال التي كن يقمن بتطريزها وأنه يميل للاعتقاد أنها أشكال مستوردة من القسطنطينية –إسطنبول-أي أفاد هذا الفن المتميز من التأثيرات العثمانية.

أنظر: Marçais Georges, "L'art… ", pp.145-146

[3] Aicha Amamra ,"l'art De broder et de tisser en Algérie ",In:**Algérie en héritage Art et Histoire** Exposition présentée à l'institut du monde arabe du 7 octobre 2003au 25 janvier2004, Institut du Monde Arabe/Actes Sud, Frances, 2003, pp.324-325

مستطيل الشكل ممدود يتراوح طوله ما بين 1متر و1.20متر، و به مسندان مزودان بأربع قوائم يتراوح ارتفاعها ما بين 0.35 و0.40 متر وما بين 0.40 و0.50 متر حيث يتم في ذلك مراعاة قامة المرأة وهي جالسة ،و ثقبت أطراف المسندين بنقرتي التعشيق تستلمان العارضات المتحركة والمسماة محليا بالسيوف ،وتثبت أجزاء القماش المطرزة وتلف حول إحدى عوارض الإطار الطويلة أما الأجزاء التي لم تطرز بعد فتلف حول العارضة الموازية التي تمد مع سيران العمل في حين أنه كان يتم استعمال الطارة في تطريز القطع الصغيرة[1].

وتزداد أهمية فن التطريز في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني حين نعلم أن المتاحف الجزائرية لا تحتفظ بأي نموذج مطرز يعود إلى ما قبل الفترة العثمانية بالرغم من وجود بعض الإشارات إلى هذا النشاط الفني في بعض المصادر السابقة لاستقرارهم[2] ؛وهذا يدل على الدور الكبير الذي أداه العثمانيون في إثراء هذا الفن، والمحافظة عليه ومن تم تعريفنا عليه من خلال التحف الفنية المتواجدة في المتاحف من مطرزات ،وألبسة ،وأفرشة...الخ والتي تعود لهذه المرحلة وانتقال مختلف تقنياته عبر الأجيال ،وتواصلها إلى يومنا هذا .

و غالبا ما كانت تستعمل في مدينة الجزائر الخيوط الحريرية ذات الألوان الزاهية المتنوعة لتطريز وتزيين ،وزخرفة الألبسة ،وغيرها [3] و يعد ذلك من التأثيرات العثمانية في هذا الميدان في حين يعتبر استخدامهم للخيوط الذهبية والفضية من بين التأثيرات الأندلسية ؛حيث حافظت مدينة الجزائر

---

[1] شريفة طيان ، فن التطريز ... ،ص.125.

[2] DRICI (R), Introduction , In: **Harmoni et Symbiose dans la broderie algérienne** collection du Musée National des Arts et Tradition populaires, Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires. Alger, sans date, p.5

[3] وينبغي هنا الإشارة إلى أن ألوان الخيوط الحريرية القديمة؛ أي التي تعود للعهد العثماني كانت تتميز بالمعان وحدة أكثر وثبات أيضا –أي لا يحول لونها الأصلي- أيضا وبإمكانها مقاومة أشعة الشمس عندما تتعرض لحرارتها ،وقد كانت الألوان الأكثر استعمالا حينها تتمثل في اللون الأحمر القرمزي ،والأزرق القاتم ،والبنفسجي المائل إلى الأزرق وهذه الألوان شبيهة بالتي كانت تستعمل حينها بتركيا والتي تطغى على منسوجاتها بالإضافة إلى اللون الأخضر، ويندرج ذلك ضمن التأثيرات العثمانية في هذا المجال أنظر : شريفة طيان ، فن التطريز ...، ،ص.121 وكانت الألوان المستعملة في صبغ وتلوين الخيوط تصنع محليا فوجدت الأصباغ النباتية أي المستخرجة من النباتات كالنيلة التي تعطى اللون الأزرق،و استعملت أيضا كقاعدة لدرجات من الألوان كالبني والزيتوني والأسود،و مادة الزعفران والتي تعطى صبغة ذهبية قوية ومركزة، وكذلك قشور الرمان التي يستخلص منها لون أصفر يميل إلى الخضرة عند استعماله لصبغ الصوف الأبيض كما يمكن الحصول بمزج قشر الرمان بأعشاب =

على التقاليد الأندلسية مع التأثر بالطرق الفنية العثمانية التي أصبحت متبعة منذ القرن 10هـ (16م) لاسيما ما يتصل بالتطريز بالخيوط الحريرية التي كانت تتمازج في قطعة واحدة على قماش خفيف ورقيق يكون في غالب الأحيان من الحرير والكتان مع الخيوط الذهبية جنبا إلى جنب، وتسمية القطع المطرزة كانت تتم بناء على التقنية المستخدمة في التطريز والمجال الذي ستستخدم فيه القطعة المنجزة.[1]فخلال هذه الفترة برزت تقنيات متعددة ومختلفة في فن التطريز ومن أبرزها تقنيتي المجبود[2] والفتلة [3]التي برع فيهما الأندلسيون وقد تجسدت هذه التقنيتين خاصة في الملابس الحضرية وتقنية

=بنباتات أخرى ذات خصائص صباغية ألوانا متنوعة مثل :البرتقالي والبني والأسود واستعملت أيضا الأصباغ الحيوانية مثل :

الدودة القرمزية والتي يستخلص منها اللون الأحمر الأرجواني ،والمريق وهو نوع من الأسماك ويستخلص منه اللون الأحمر الأرجواني وعند مزجه مع أملاح النحاس كان يتم الحصول على ألوان عديدة وأخيرا نجدالأصباغ المعدنية مثل :المغرة وهي مادة معدنية يستخلص منها اللونيين الأصفر والأحمر ،ومادة الزنجار أو النحاس المخضر- تعطى اللون الأخضر- في حين كان يستعمل الشب في المحافظة على ثبات هذه الألوان أو الأصباغ أنظر: شريفة طيان ساحد،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني،دار المعرفة الجزائر،2011 ،صص 140 -142 ومن الدراسات الأخرى التي اهتمت بموضوع النسيج وما يتصل به من صباغة وتقنيات تصنيع وتطوره لدى المسلمين أنظر :عائشة عبد العزيز التهامي ،النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن 8-11 هـ/14 -17 م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية 2003

[1] DRICI (R), Broderie D'Alger, In: **Harmoni et Symbiose…**, collection du Musée National des Arts et Tradition populaires, Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires.Alger, sans date,p.7

[2] **تقنية المجبود** : تمر هذه العملية بعدة مراحل في أول الأمر يتم تصميم الرسم المختار على الجلد جلد الماعز المعالج ثم يثبت على قطعة القماش وعندما يجف يشد بواسطة خيط ذهبي أو فضي- وهذا ذهابا وإيابا وفي كل مرة يتم تثبيت الخيط عند إرجاعه بواسطة عروتين(deux point)في نفس الوقت نحضر لمرور الإبرة بطريقة التخريز(poinçon)وندخلها في المكان الذي يتم فيه إدخال وإخراج الغرزة وهذه المرحلة تتبع بعملية تزيين الطرز بواسطة خيوط صغيرة ذهبية أو فضية يتم إدارتها بشكل حلزوني (spirales)كنيثر(kentir) ،وهذه التقنية تم توارثها من العهد العثماني إلى يومنا هذا مع إدخال إضافات عليها مثل الاعتماد إلى جانب الكنثير لإضفاء مزيد من الزخرفة على اللباس المطرز بتقنية المجبود برقاقات زركشية (paillettes) النجوم .أنظر:

Achour(C), Broderie vestimentaire, In : **Harmoni et Symbiose… ,** collection du Musée National des Arts et Tradition populaires, Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires.Alger, sans date,p. 6

[3] **تقنية الفتلة** : تعتبر هذه التقنية بالمقارنة مع السابقة أكثر سهولة وبساطة حيث يرسم الشكل المختار على ورق ناسخ ويتبث بواسطة مساكات على قطعة قماش من القطيفة أي قماش الفلور(velours)هذا بعد تثبيت البطانة ويؤخذ الخيط مزدوجا ويثبت بواسطة خيطة رقيقة وفي آخر الأمر وبعد ملء الرسم بالخيوط المذهبة أو الفضية ينزع الورق الناسخ وتتم عملية الزخرفة بواسطة الكنثير وفي الفترة المعاصرة بواسطة برقاقات (paillettes) زركشية النجوم أيضا . أنظر:

.Ibid.,p 6

النابل[1] ،وتقنية المنزل والتي تتم بغرزة الخط و الملء يكون بمرور ممدد وتتم على رسم ذي زخارف نباتية غصينات ملتوية وتنجز في كثير من الأحيان بلون البنفسجي وفي بعض الأحيان يضاف لها زخارف أزهار وزهيرات ومجمل الأشكال والزخارف موضوعة في قلادة مركزية[2].

وتقنية المعلقة وتتسم هذه التقنية بالغرزة المنحرفة والمتساوية ذات زخرفة نباتية وأزهار و ورود حيث يسيطر الون الأزرق والأحمر ،وتبدو التطريزات بشكل مكثف وتكون مصحوبة بأشكال أخري خاصة في أطراف القطعة المطرزة تنجز بغرز متعددة منها غرزة الحساب وتقنية الزليلج التي تعرف أيضا بالغرزة التركية لأن أصول هذه التقنية عثمانية ويذكرنا اسمها باسم البلاطات الخزفية التي ميزت العمارة الدينية والسكنية خلال العهد العثماني بمدينة الجزائر والتي عرفت اسم "الزليج" وتتم هذه التقنية بغرزة التفريغ بدون شد الخيط لتكون على شكل نجوم[3].

وهذا التعدد في التقنيات أدى إلى تنوع الغرز المعتمدة في التطريز التي كانت مزيج من التأثيرات الأندلسية والعثمانية ،سواء تلك استخدمت في تزيين الملابس مثل: الأحزمة، والمناديل و أغطية الرأس كالمحارم ،والبنيقة ،أو صنع أفرشة البيت مثل :أغطية الفراش ،ستائر الأبواب والنوافذ الوسائد والأزر ...الخ؛ فبرزت الغرز الرئيسة التي ميزت مطرزات مدينة الجزائر والمتمثلة في غرزة المعلقة و غرزة الزليلج ،وغرزة المنزل ،و غرزة المطرحة وكذا الغرز الثانوية التي تمثلت في غرزة التربيع ،وغرزة الريشة، وغرزة المسطحة ،وغرزة المستقيمة ،وغرزة السلسلة ،وغرزة الضفيرة[4].

---

[1] وتتم باستعمال الغرزة المسطحة على القرقاف - منسج أفقي-كما تعرف هذه التقنية بالغرزة الفارسية وتكون هذه الزخارف على أشكال هندسية وعادة الشكل الرئيسي ،والقاعدي هو المعين و عند تجميع هذه الأشكال الهندسية مع بعضها كانت تعطي صورا متعددة نذكر منها :نجوم ثمانية الشكل ،وحبيبات البن إضافة لأشكال نباتية علما أنه تعتمد فيها غرز أساسية وأخري ثانوية مثل الغرزة المظفرة، و الغرزة الرباعية ،وقد كانت تستعمل و لاتزال في طرز مختلف القطع الخاصة بالأثاث المنزلي ،و أفرشته سواء المستعمل منه لأغراض تزيينه وجمالية أو لاستعمالات يومية مثل ستائر الأبواب وأغطية الموائد وكذا بعض قطع ملابس النساء مثل أغطية الرأس الخاصة بالاستحمام البنيقة ،والشال وكانت القطع المطرزة بهذه التقنية تزين أطرافها في بعض الأحيان بالدانتيلا المرهفة الصنع والبالغة الرقة والمملول ذات الأشكال الهندسية، والنباتية بخاصة الأزهار ومن تم نلاحظ من خلال هذا التمازج بين تقنية النابل التي تعد التأثيرات الشرقية التي تسللت إلى الجزائر على يد العثمانيين و الدانتيلا التي تعد من التأثيرات الأندلسية كما سبق الذكر. أنظر:

DRICI (R) ," Broderie...", p.9

[2] Ibid.,p 7

[3] Ibid.,p8

[4] شريفة طيان ، فن التطريز...، ص.122 ،وأنظر أيضا:

Marius Vachon , Industrie Algérienne, Arts Indigenes,In **: supplément au Numéro 23 du Bulletin de L'Office de Renseignements généraux de l'Algérie**,Bureaux de L'Office de Renseignements généraux de l'Algérie ,Paris, 1902,p.30

وكان يتم التطريز على منسوجات موحدة اللون ،بحيث تظهر الزخرفة أي الأشكال المطرزة بارزة أو مسطحة حسب الغرز المتبعة ،وقد تكون الزخرفة أو التطريز المنجز مستقلا عن القماش الذي تبث عليه أي تم إنجاز التطريز على قطعة قماش معينة ثم يتم تثبيت هذه القطعة المطرزة على قطعة قماش أخرى؛ و كما تنوعت التقنيات والغرز المعتمدة في التطريز ؛فقد تنوعت أيضا الأقمشة والمواد المستعملة للتطريز؛ فتم إعتماد الأقمشة الرقيقة مثل :الحرير والقماش القطني وقماش الكتان والأقمشة الثقيلة مثل القطيفة ،و مواد أخرى مثل الجلود علما أن الطرز على الجلود كتطريز سروج الخيول،حافظات النقود ...إلخ تخصص فيها الرجال بالدرجة الأولى لما تتطلبه من جهد[1].

وكانت عملية زخرفة الملابس باستعمال عناصر نباتية وهندسية- بالدرجة الأولى حيث أن اعتماد العناصر الحيوانية بالمقارنة بها كان نادرا –تقوم أساسا على ملء كل المساحات بصفة متماثلة ونجدها في كل من السترة ،والصدرية ،والقفطان ،و الشاشية ،و البنيقات -أغطية رأس الاستحمام-،والسراويل ،والأحذية ....إلخ[2].

ونستدل على القيمة الفنية ،والجمالية العالية لحرفة الطرز ،والتطريز في مدينة الجزائر وإفادتها من مختلف التأثيرات الحضارية المشار إليها آنفا خلال العهد العثماني في الاهتمام الذي شهده هذا الفن ،و استمراريته خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي ،حيث أقيمت مدارس خاصة لتعليم هذه الحرفة في مطلع القرن 20 م بمساعدة إحدى المهتمات والمعجبات بهذا الفن وهي لوس أبان (Luce Abn)[3] .

[1] Achour(C) ,Op.cit.,p.6
[2] Ibid.,p.6
[3] DRICI (R) ," Broderie... ",p. 9

الفصل الثالث : المناسبـات و الأعيـاد الدينيـة

1-شهـر رمضـان

2-عيد الفطر

3-العيد الأضحى

4-المولد النبوي الشريف

5-يوم الجمعة

6-ركب الحج

الفصل الثالث : المناسبات و الأعياد الدينية

كانت المناسبات، و الأعياد الدينية محل اهتمام مجتمع مدينة الجزائر المسلم في ظل النظام العثماني على غرار كل المجتمعات الإسلامية الأخرى حينها كما تمخض عن الالتزام والاحتفاء بهذه المناسبات، و الأعياد الدينية عدد من التقاليد، والعادات المتميزة و وهذا ما سيتم عرضه من خلال عناصر هذا الفصل .

1- شهر رمضان:

كان شهر رمضان من المناسبات الدينية الهامة في المجتمع الجزائري كيف لا والصوم فيه أحد الأركان الخمسة للإيمان ، و قد تشكلت لدى المجتمع في مدينة الجزائر عادات خاصة و مميزة في الاحتفاء بشهر رمضان تحدث عنها العديد من الذين كتبوا عن مدينة الجزائر و مجتمعها ،و عاداته ، و تقاليده من أسرى، و رحالة ،و غيرهم، ممن كانوا شهود عيان على العادات التي كانت سائدة خلال هذا الشهر المبارك خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة.

وكان يتم معرفة دخول شهر رمضان من خلال ترقب الهلال ؛حيث كان سكان مدينة الجزائر يقضون الليلة –ليلة الشك–في ترقب هلال شهر رمضان من على أسطح دورهم وبمجرد رؤيتهم له يبدؤون بالهاتف بأعلى أصواتهم عبر المدينة معلنين عن دخول شهر رمضان[1].

و ذكر هايدو أواخر القرن 10هـ (16 م)،و روكفيل في القرن 11هـ (17م)أنه كان يعلن عن حلول شهر رمضان في مدينة الجزائر بإطلاق طلقة مدفع لإعلان الجميع بحلوله[2].كما كان يتم إعلان موعد الإفطار بطلقة مدفع، وكانت هذه الطريقة معتمدة أيضا للإعلان عن حلول عيد الفطر وانتهاء شهر رمضان[3] ، وكذلك عند عودة السفن من الغزو البحري منتصرة فطلقات المدافع إذا كانت وسيلة للتعبير عن السرور ،والفرح وتحية ترحيب أيضا[4].

---

[1] THOMAS HEES ,Op.cit.,p.102
[2] Rocquerville (sieur.de), Op.cit., p.89
[3] THOMAS HEES ,Op.cit.,p.114
[4] والدليل على ذلك أنه كانت تطلق طلقات المدافع للترحيب بعودة السفن منتصرة من حمالاتها البحرية كما كانت تعمد كتحية متبادلة عند استقبال القناصل الغربيين ،وعند توديعهم ؛ويقول وليام شالر":عندما كانت السفن الحربية ترسوا أمام=

ويعد هذا التقليد تقليدا ارتبط بالعثمانيين وما يؤكد ذلك أن مدينة الجزائر لم تعرف المدافع إلا بعد مقدمهم كما أن هذا التقليد ما يزال معتمدا إلى يومنا هذا في تركيا خلال شهر رمضان وقد ظل سكان مدينة الجزائر متمسكين بهذا التقليد حتى بعد الاحتلال الفرنسي، والدليل على ذلك ما ذكره الرحالة الألماني فاغنر سنة 1838م عند حديثه عن بعض التقاليد المتبعة في شهر رمضان وأيام العيد الصغير؛حيث يذكر أن الإعلان عن بداية شهر الصيام مائة طلقة من مدفع كبير أقيم بالميناء علما أن التزام سلطات الاحتلال بهذا التقليد لم يكن من قبل الإحسان إذ أنه ومقابل ذلك كانت تحتم على المسلمين أن يدفعوا خمسة فرنكات لكل طلقة في مقابل أداء هذه التحية[1].

و احتل شهر رمضان مكانة معتبرة لدى سكان مدينة الجزائر إلى درجة أن النساء الحوامل و المرضى كانوا لا يفطرون خلال هذا الشهر بالرغم من وجود رخصة للمرضى ، و للمسافرين على مسافة معينة بما في ذلك البحارة للإفطار[2]؛ وهو الأمر الذي انتزع إعجاب من تحدثوا عن شهر رمضان ممن كانوا لا يعترفون بالإسلام كدين سماوي، وخاتم الأديان بل و يتعمدون الإساءة اليه من خلال إطلاق ادعاءات مغرضة من أمثال الأب دان في القرن 11هـ (17م)؛حيث لم يتمكن من إخفاء وكتم إعجابه إلى حد الانبهار حين ذكر أن المجاهدين البحارة الذين كان يطلق عليهم اسم لصوص البحر كانوا لا يتجرؤون على عدم الالتزام بالصيام بالرغم من وجودهم في عرض البحر ،و الجهد الذي يبذلونه[3].

ومن المعلوم أن عدد كبير من هؤلاء البحارة خلال المرحلة محل الدراسة كانوا من الأعلاج مما يعني التزام هؤلاء أيضا بالصيام وبالتالي التزامهم بتعاليم الإسلام؛ فلم يكن إسلامهم أمرا شكليا بل التزام و ممارسة فعلية دينية ،وأخلاقية جسدية ،وروحية .

=وعندما كان ينزل قبطانها للبر كان يتم تحيته بخمس طلقات مدفعية وبنفس هذا العدد من الطلقات كانت تتم تحيته عند مغادرته وهذه الطريقة كانت متبعة أيضا لتحية القنصل ؛ حيث كانت تطلق خمسة طلقات بارود لتحيته وذلك عند مقدمه: وعند مغادرته أيضا أنظر: William Shaler Op.cit.,p.57

[1] أبوالعيد دودو ،المرجع السابق ص66

[2] HAEDO, Topographie…" In : **R.A.**, T.15, 1871, p.211voir aussi Lucien Chaillou, Op.cit., p.32

[3] Op.cit.,p.270

ومن شدة تمسك المسلمين في مدينة الجزائر بالصيام في هذا الشهر، و القيام فيه أحسن قيام كان من يكتشف، و هو يفطر دون عذر شرعي حسب ما أورده الأب دان في القرن 11هـ(17م) يتلقى مائة، أو مئتي ضربة بالعصا[1]. في حين أشار روكفيل(Rocqueville) في القرن 11 هـ(17م) إلى أن المفطر عمدا دون عذر كان يجبر على ابتلاع الرصاص الذائب[2].

و قد يكون في ذلك الكثير من المبالغة ،و لكنه مع هذا دليل على الحرص الكبير الذي كان لدى سكان مدينة الجزائر لأداء هذا الفرض في حين ذهب هايدو في القرن 10هـ(16 م) للقول أن الأكثر تدينا على حد تعبيره كانوا يصمون أشهر رجب، و شعبان، و رمضان[3]. و من سكان مدينة الجزائر من كانوا يحرصون على صيامهم لدرجة تغطية وجوههم خلال النهار بقماش فاتح اللون حتى لا يشموا أي رائحة طعام أو شراب[4].

و كان صيام شهر رمضان صعبا بالنسبة لسكان مدينة الجزائر من البرانية خاصة الذين كانوا يمارسون مهنا جد متعبة ،وبالرغم من ذلك ؛فقد كانوا حريصين على أدائه في حين أن السكان الذين كانوا ينتمون إلى مكانة اجتماعية أعلى أي الأغنياء كانوا يتداركون خلال الليل ما فاتهم من جراء امتناعهم عن الطعام والشراب خلال اليوم[5].

و حينما كان يحين موعد الإفطار، كان جميع أفراد العائلة[6] يجتمعون لتناول إفطارهم المشكل من أطباق متنوعة، كالشربة، واللحم، أو السمك، وغيرها من الأطعمة حسب أذواقهم ،وكانوا يتناولون وجبة أخرى حيث أشارت إليها عدة مصادر فبدءا من منتصف الليل كانوا يتناولون

---

[1] Ibid., p. 270

[2] Rocqueville (Sieur, de)Op.cit., p.90 Voir aussi ARANDA (Emmanuel d'), Op.cit., p.74

[3] HAEDO "Topographie…" In : **R.A.**, T.15, 1871, p. 211

[4] Laugier de Tassy, " histoire de royaume ... ", p.116

[5] Hebnstreit (J.E.), Op.cit.,p.25

[6] وهنا نشير إلى أن الأطفال الذين كانوا يصومون للمرة الأولى كان يتم معاملتهم معاملة خاصة للاحتفاء بأول يوم صيام لهم ففي اليوم الذي يصبح فيه الطفل صائما يأخذه والده في جولة برفقته ويشترى له بعض الملابس الجديدة وعندما يقترب موعد آذن المغرب يعيده للدار فيجد أن أمه حضرت له كأس شربات ، وأسندت السلم إلى حائط وسط الدار وعندما يضرب المدفع معلنا وقت المغرب يأمره والده بصعود درجات السلم ويمد إليه كأس الشربات فيشرب ،ووالدته وأقاربه يتفرجون عليه ويطلقون الزغاريد وعندما يشرب الشربات يجد في قاع الكأس قطعة نقدية ويقال أن الهدف من صعوده السلم جعله يدرك ويفهم أن الذي يتبع الدين ويلتزم بتعاليمه هو رجل كبير وصاحب شأن. أنظر : جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق،ص18

وجبة تسهل عليهم عملية تحمل عناء الجوع والعطش طيلة اليوم [1]،والمؤكد أنهم كانوا يقصدون بها وجبة السحور–التي تعد سنة مباركة –وكان بعض سكان مدينة الجزائر يجوبون أزقتها حوالي منتصف الليل، وهم يقرعون الطبول لإيقاظهم وتنبيههم لوقت السحور، وكانوا يقومون بذلك تطوعا كعمل خيري، كما كانوا يدقون على الأبواب ،وكان وقت السحور يمتد إلى حوالي ساعتين قبل طلوع النهار، حيث كانت تقرع الطبول مجددا للإعلان عن نهاية موعد السحور و هكذا كان يتم إعلام الجميع فكانوا يمتنعون عن أكل شيء بعدها[2].

وهذه العادة التي كانت ممارسة في مدينة الجزائر لم يعد لها وجود بها في وقتنا الحالي إلا أنه لا يزال معمولا بها مثلا في مدينة غرداية، وكذا في بعض المدن الإسلامية الأخرى كالقاهرة ؛حيث يعرف من يقوم بهذه العملية بالمسحراتي.

ومن العادات التي كانت سائدة خلال شهر رمضان الاحتفال بليلة القدر حيث كانت تقام لهذه الليلة، وما ترمز إليه احتفالات، ومأدب كبيرة إضافة إلى توزيع الصدقات على الفقراء.– والاحتفال بهذه الليلة لا يزال من أهم المظاهر المميزة لشهر رمضان[3].

كما جرت العادة أيضا خلال هذه الليلة بإشعال الكثير من المصابيح، والقناديل في المساجد و الجوامع فكان يدخلها العديد من المسلمين لأداء الصلاة والتفرج، وكان يتم أيضا إضاءة كل السفن الراسية في الميناء سواء كانت سفن حربية ،أو سفن تجارية، أو قوارب صيد بعدد كبير من القناديل فكان منظرها وأنوارها تتلألأ على سطح البحر منظرا جميلا جدا[4]،ومن التقاليد الأخرى المميزة لهذا الشهر أن أبواب المدينة وخلافا لسائر الشهور الأخرى كانت تظل مفتوحة خلال الليل وأصبح ذلك تقليدا معمولا به كل سنة خلال ليالي هذا الشهر[5].

إذ جرت العادة في مدينة الجزائر في غير هذا الشهر أن لا يخرج أحد من داره بعد حلول الظلام إلى غاية شروق الشمس؛ حيث كانت تغلق أبواب المدينة وكانت الأزقة بدورها تقفل

---

[1] Rocqueville (Sieur, de), Op.cit., p.91Voir aussi DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 270

[2] HAEDO "Topographie…", In : **R.A.**, T.15, 1871, p.210 Voir aussi ARANDA (Emmanuel d'), Op.cit., p.7 voir aussi THOMAS HEES, Op.cit., pp.102-103

[3] HAEDO "Topographie…" In : **R.A.**, T.15, 1871,pp.211-212

[4] Ibid.,p.213

[5] THOMAS HEES ,Op.cit.,p.103

بواسطة بابين واحد عند مدخلها ،و الأخر عند مخرجها أو منفذها ، وكان نهج السوق الكبير هو الوحيد الذي يظل مفتوحا[1].

و كان يسمح حتى للأسرى العبيد الأوربيين بالخروج خارج أسوار المدينة؛ حيث كانوا يتمتعون خلال ليالي رمضان بنوع من الحرية، أكثر من أي وقت آخر، فلم يكونوا يسألون إلى أين يذهبون وقد كان البعض من هؤلاء الأسرى العبيد يستغلون هذه الفرصة لصنع زوارق صغيرة ليحاولوا الفرار بواسطتها[2].

و الجميع في شهر رمضان كانوا يخرجون، ويسهرون في الخارج، وقد كانت النساء أيضا تخرجن في الليل متخذات من الليل حجابا، ولم تكن تخرجن وحدهن ولكن برفقة بعض الخادمات أو أزواجهن؛ حيث كن تتبادلن الزيارات العائلية، فيما بينهن، وتقضين سهرات ممتعة في تبادل الأحاديث حول صينية من الشاي، والقهوة ،وأطباق الحلويات ،والزلابيا، والاستماع باللألحان الأندلسية العذبة، في حين أن الكثيرين كانوا يفضلون المكوث في بيوتهم، وقضاء ليالي رمضان في جو عائلي[3].

ومن هنا كان لشهر رمضان في أوساط مجتمع مدينة الجزائرفي ظا الجكم العثماني نكهته الخاصة، وتقاليده المميزة التي كان يلتزم بها سكان مدينة الجزائر؛ فقد كان شهرا للعبادة وإراحة الأبدان، والسمو بالنفوس وفرصة للتكافل الاجتماعي من خلال تقديم الصدقات، ومناسبة أيضا للترويح عن النفس وتوطيد أواصر القرابة، والعلاقات العائلية بتبادل الزيارات، وقضاء السهرات في جو عائلي ؛حيث كانت المدينة تشع أنوارا، وتتيح الفرصة للتنقل عبر أحياء المدينة ليلا.

2-عيد الفطر:

وكانت تندرج في إطار الاحتفال بعيد الفطر تقاليد، وعادات، وممارسات اجتماعية متميزة تستمد أصولها من الإسلام. و كانت الأعياد الجزائرية الدينية تدعى **بيرمات** من الكلمة التركية (Bayrams) [4]الخاصة بالعطل الدينية؛ فقد كانت مرتبطة بالممارسات الاجتماعية الدينية

[1] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p. 68
[2] Rocqueville (Sieur, de), Op.cit., p. 92
[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول ص.155
[4] THOMAS HEES, Op.cit., p.118

للإسلام[1].

و كان عيد الفطر يدعى باللغة التركية العثمانية " **سكر بيرام**" أي عيد السكر، وقد سمي هكذا لأنه جرت العادة فيه على تبادل الهدايا، وخاصة تلك الحلويات الصغيرة المصنوعة أساسا من السكر بمناسبة نهاية شهر رمضان.[2] كما عرف أيضا بالعيد الصغير تميزا له عن العيد الكبير وهو عيد الأضحى وقد كان يتم الإعلان عن حلول عيد الفطر من خلال صوت المدافع[3].

وفي صباح أول يوم عيد كان كل المسلمين في مدينة الجزائر، يخرجون من باب الواد ليتجمعوا في حقل مغلق على شكل مصلى مخصص لهذه المناسبة لأداء صلاة العيد و الباشا يشارك في صلاة العيد، وعند الانتهاء منها كانوا يصغون إلى خطبة الإمام المليئة بالوعظ والنصح والإرشاد، والدعاء بالخير لجميع المسلمين، وما يتماشى مع المناسبة وبعد أداء الصلاة كان كل مصلي يعود إلى منزله[4].

و اهتم الحكام في ظل الحكم العثماني بتمكين سكان مدينة الجزائر من أداء شعائرهم الدينية لاسيما في المواسم والأعياد، ولهذا شهد القرن11 هـ(17م) بناء مسجد بالحقل المغلق المذكور آنفا وعرف باسم مسجد المصلى، ويذكر ألبير دفوا في هذا الصدد أنه خارج باب الواد كانت تتواجد أرض استعملت كمصلى للصلاة على الجنائز العديدة التي كان يتم دفنها في المقابر الواسعة التي كانت تحيط بهذه الناحية من المدينة وفي سنة 1086 هـ/ 1675م قام الداي الحاج محمد بن محمود الدولاتلي ببناء مصلى مغطى ومسجد في هذا المكان كما قام بوقف وحبس العديد من الأملاك لصالح هذا المسجد والمصلى الملحق به[5].

ونجد ذكرا لهذا المعلم في سجلات بيت البايلك وتتضمن صفحات هذا السجل على ماكان يتم تحصيله من أوقاف مسجد المصلى خارج باب الواد بمحروسة الجزائر الذي أنشأ بنيانه وأقام قواعده أبو عبد الله السيد الحاج محمد الدولاتي بمعنى الداي الذي أقام الأوقاف المشار

---

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.100 أنظر أيضا :William Shaler, Op.cit., p.50

[2] وليم سبنسر، المرجع سابق، ص.101

[3] William Shaler, Op.cit.,p.50

[4] HAEDO "Topographie…" In : **R.A .**, T.15, 1871, p.212 voir aussi THOMAS HEES, Op.cit., p 119 et DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 270

[5] Albert Devoulx, "Les Edifices Religieux **...** ", pp.49-51

المشار إليها وجعل جميع المتحصل من هذا السجل تحت اشراف مؤسسة سبل الخيرات[1].

و في أول يوم من أيام العيد أيضا كانت تسود عادة طيبة، وحميدة، مستمدة دائما من الإسلام تمثلت في تصالح المتخاصمين فيما بينهم؛ حيث كانوا يتبادلون السلام والعناق الأخوي فكان يسود التفاهم الذي كان يحل محل الخلافات، والنزاعات في ذلك اليوم السعيد، و كانوا يقومون خلال هذا اليوم أيضا بتقديم الصدقات للفقراء فضلا عن زكاة الفطر التي كانت تخرج قبل صلاة العيد[2].

وخلال هذا اليوم أيضاكان يخرج الرجال، والشبان خارج باب الواد وهم يرتدون أبهي حلة يملكونها لنيل قسط من التسلية، والترفيه فيقصدون الشاطئ على صهوات أحصنتهم وهناك كانوا يتبارزون بالقصب ويلعبون ،ويتسابقون ،وكانت هذه الألعاب تستمر طيلة أيام الاحتفال بالعيد[3].

و خلال أيام العيد كانت الأفراح تعم الجميع، والاحتفالات قائمة في كل مكان؛ حيث كان يجتمع الناس البسطاء لاسيما من جماعة البرانية في مجموعات كل حسب أصولهم، فالقبائل كانواذ يجتمعون في جهة ،والقادمون من الصحراء عامة في جهة أخرى، إلى جانب الزنوج أيضا وكل هذه الجماعات كانت ترقص، وتطرب على أنغام الآلات الموسيقية من طبول ومزامير حسب عادات المناطق التي جاؤوا منها[4].

ولا يعني ذلك حسب ما يبدو عدم اختلاطهم، واختلافهم التام لأن احتفالهم كلهم بهذه المناسبة دليل على الوحدة والتشارك؛ فالاحتفالات، والأعياد الإسلاميةكانت واحدة لدى الجميع ولكن طريقة الاحتفال بها هي التي كانت تختلف تبعا لأصول السكان ؛أي حسب جهات البلاد التي قدموا منها ؛فقدكان لكل منطقة من مناطق البلاد بعض التقاليد، العادات الخاصة المميزة لها لاسيما من حيث الرصيد الغنائي والموسيقى، وكذا في مجال المأكولات والحلويات المخصصة

[1] السجل رقم 415 يتضمن بيان ما يتم تحصيله من أوقاف مسجد المصلى خارج باب الواد بمحروسة الجزائر في العلبة 310-328من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائر تاريخه1087 -1130 هـ/1676 -1717 م

[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p. 270

[3] HAEDO "Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.212 voir ARANDA (Emmanuel d') Op.cit.,p.73

[4] HAEDO "Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p.212

لهذه المناسبة، وإن كان هذا دليلا على شيء ،فإنما يدل على حظ مدينة الجزائر في أن تكون مجمعا لهذا التنوع و الزخم الثقافي الذي كان صورة إيجابية لامتزاج مختلف هذه المميزات الثقافية المحلية وانصهارها في بوتقة واحدة هي الإسلام فكل سكان مدينة الجزائر المسلمين كانوا يسخرون ثقافتهم المحلية للاحتفال بهذا العيد الديني.

ومن وسائل التسلية الأخرى التي كان تتخلل احتفال سكان مدينة الجزائر بعيد الفطر في ظل الحكم العثماني ، نذكر الذهاب للتأرجح على المراجيح خاصة بالنسبة للأطفال، وكانت المراجيح مشكلة من أوتاد جد مرتفعة ،ومثبتة جيدا في الأرض تدلى من فوقها حبال طويلة كان يربط في نهايتها المتدلية لوح خشبي يجلس عليه كل من يريد التأرجح[1].

و حرص الحكام العثمانيون على توفير فضاءات تسمح لسكان مدينة الجزائر بالاحتفاء بأعيادهم الدينية ؛فكانت تمتد خارج باب الوادي، وبالقرب منها ساحة واسعة مفتوحة خصصت للتسلية والترفيه، والاحتفالات، والأفراح التي كانت تقام بمناسبة الأعياد ،وخاصة عيد الفطر وقد وصف توماس هس بدوره الاحتفالات التي كانت تقام خلال عيد الفطر في القرن 11هـ(17م) في فحص باب الواد ،حيث كانت تمارس في تلك الساحة ألعاب متنوعة[2].سبق ذكر بعضها كالمراجيح التي كانت تتواجد بها ويضاف إليها لعبة صاري الحلوى التي تنص على وجوب تسلق الصاري الذي كان عبارة عن وتد طويل مدهون بالشحم بشكل جيد، ومن كان يصل إلى نهايته كان يحصل على كيس الحلوى المعلق في قمته، وقد تم تثبيت هذا الصاري عند باب الواد من طرف الحاكم حسن آغا سنة 1541م بمناسبة ختان ابنه، وقد علق حينها في رأس الصاري قطعة قماش غالية وصرة مملوءة بالذهب كانت من نصيب من يتمكن من تسلقه والوصول إلى قمته[3].

وكان يحضر هذه الاحتفالات جمع كبير من سكان مدينة الجزائر و يرتدي الأطفال خلالها ملابس رائعة، و شاشيات مزينة بخيوط من ذهب وبحبات اللؤلؤ والكبار بدورهم كانوا يرتدون أحسن ما لديهم من الألبسة كما كان يتواجد بساحة الاحتفالات عدد كبير من بائعي السكاكر والحلويات ،والعديد من الخيام المنصوبة حيث كان يتم بيع القهوة والعصائر والتبغ[4].

[1] Ibid., p.212
[2] THOMAS HEES, Op.cit.,p.118
[3] Corinne Chevallier, Op.cit.,p.76
[4] THOMAS HEES, Op.cit.,p.118

ومما يشد الانتباه خلال الاحتفالات بعيد الفطر، أن الأسرى العبيد المسيحيين كانوا هم أيضا يشاركون في تلك الأفراح، وهذا ما أشار إليه هايدو في القرن 10 هـ(16م) مبينا استياءه من تصرفاتهم؛ فقد كانوا يضعون أقنعة تنكرية تمثل وجوها، وشخصيات مختلفة، ويرقصون على طريقتهم كما كانوا ينظمون مسابقات فيما بينهم، وألعاب كمسابقة الرماية المتمثلة في رمي السهام على هدف متمثل في حبة تفاح أو برتقال، و كان الرابح من يصيب الهدف، وكانوا يراهنون على يمامة يأخذها الفائز، أما الخاسر ؛فكان عليه دفع إسبرة-قطعة نقدية-[1].

وكان بعضهم الآخر يساهم في إدخال البهجة ،والفرحة على نفوس المسلمين وبخاصة الأطفال منهم مقابل بعض القطع النقدية ؛حيث كانوا يصنعون دمى وعرائس ويحركونها أو يقومون بألعاب خفة، وألعاب بهلوانية كانت تفرح وتسعد الجمهور، والمتفرجين كبارا وصغارا[2].

و استمرت مشاركة الأسرى العبيد المسيحيين في احتفالات سكان مدينة الجزائر المسلمين بمناسبة أعيادهم الدينية خلال القرن 11هـ(17م) استنادا لما سجله دراندا حيث ذكر أنهم كانوا يقومون بعدة أنشطة خلال أيام العيد فمنهم من كان يقوم بجر عربات صغيرة كان يركبها الأطفال، في حين كان يقوم آخرون ببيع لعب لهم ،وأخيرا منهم من كانوا يمارسون ألعاب خفة وكانوا يجيدون تحصيل أموال الأطفال عن طريق هذه الأعمال ،وأضاف دراندا أنه هذا العيد الذي كان يحتفل به لمدة ثمانية أيام كان ملائما جدا للعبيد المسيحيين؛ ففي الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى من الاحتفالات لم يكن يتم تشغيل أي عبد [3]؛ أي كانت تمنح لهم أيام للعطلة والراحة ،وهذا ما يفسر مشاركتهم في الاحتفالات للترويح عن أنفسهم ،ولكسب بعض الأموال.

ونفس الأمر نستخلصه مما أورده توماس هس أيضا في القرن 11هـ(17م) فقد أشار بدوره إلى أنه رخص للأسرى العبيد بالمشاركة في الاحتفالات بعيد الفطر ؛ فسمح لهم بنصب خيام على غرار الخيام التي كان ينصبها المسلمين للمتاجرة في الساحة الكبرى المعدة للاحتفالات خارج باب الوادي –التي سبق ذكرها أعلاه- كما ذكر أن أغلبيتهم كانوا يرتدون ملابس جديدة

[1] HAEDO "Topographie…" In: **R.A.**, T.15, 1871, p.113
[2] Ibid., p.113
[3] ARANDA (Emmanuel d'), Op.cit., p.74

بهذه المناسبة[1].و يمكن أن نستخلص من ذلك أن فرحة العيد وما كان يرافقها من أعمال إحسان كانت تمتد لتشمل هؤلاء أيضا.

ومما تقدم ذكره يمكن القول أن الاحتفال بعيد الفطر في ظل الحكم العثماني كان من العادات الثابتة الراسخة في مجتمع مدينة الجزائر لكونها عيدا دينيا وفق تقاليد، متفق، ومجمع عليها من طرف جميع سكانها المسلمين فضلا على أنها كانت مناسبة أيضا يسعد فيها الجميع دون استثناء بما في ذلك الأسرى العبيد، وهذا ما كان يعطي الاحتفالات بعيد الفطر نكهة خاصة مميزة فمشاركة هؤلاء في الاحتفال دليل على الحرية النسبية التي كانوا ينعمون بها، وإمكانية مخالطتهم واتصالهم وتواصلهم ببقية سكان مدينة الجزائر ، كما أن مشاركتهم في الاحتفال، والرقص دليل على تأثرهم ببعض العادات السائدة لدى المسلمين، وللتسامح الذي كانوا ينعمون به في أوساطه لاسيما وقت المناسبات والأعياد الدينية وهو أمر برز كأثر هام في الميدان الاجتماعي أفرزه الحكم العثماني و ازدهار النشاط البحري في ظله ،و ما نجم عنه من تنوع في التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر.

3-العيد الأضحى:

وكان يتم الاحتفال بعيد الأضحى بعد عدة شهور من الاحتفال بعيد الفطر، وكان يعرف في اللغة التركية **بقربان بيرامي** ، أو **بيوك بيرامي**، والذي كان معناه الحرفي هو عيد المسلم الكبير للتضحية وكانت تلك هي التسمية السائدة لدى العثمانيين[2].

أما عند بقية سكان مدينة الجزائر؛ فكان يعرف بعيد الأضحى، أو العيد الكبير، وكان يحتفل به إحياء لسنة إبراهيم الخليل، و الفريضة المرتبطة بها وكان أب كل عائلة ،أو القائم على شؤونها مطالبا بتقديم أضحية يومها إن استطاع ،وتمكن من ذلك[3].

و خلال هذه المناسبة كان بعض الأغنياء يتصدقون على الفقراء بعدة خراف ليضحوا بها ، ومن ثم كانوا يدخلون البهجة والسرور عليهم[4]. وهي صورة من صور البر ،و التكافل والتضامن الاجتماعي،التي كانت سائدة في مجتمع مدينة الجزائر.

---

[1] THOMAS HEES, Op.cit., p .118

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق،ص.100

[3] HAEDO "Topographie…" In:**R.A.**, T.15, 1871, p. 214

[4] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 270

وكان العيد الأضحى يدوم ثلاثة أيام وسط احتفالات، ومباريات شبيهة بتلك التي كانت تسود في عيد الفطر؛ فجميع سكان مدينة الجزائر كانوا يؤدون صلاة العيد خارج باب الواد في مسجد المصلى-المذكور آنفا-، وبعد خطبة عيد الأضحى كانوا يتوجهون إلى منازلهم في الوقت الذي تكون فيه الشمس قد بلغت الأفق منذ ساعتان،؛فيشرف أب كل عائلة على ذبح الأضحية لأن قيمة هذا الفعل تكمن في أن يقوم به أب الأسرة نفسه، وعندما تكون الأضحية جاهزة للنحر يوجه رأس الكبش تجاه القبلة ثم تتم عملية نحره، مع ذكر البسملة[1].

وبعد هذه العملية كان يتم تعليق الأضحية بعد سلخها إلى غاية اليوم الثالث ؛حيث كان يوزع جزء منها على الفقراء، ويأكل الباقي من طرف العائلة، وقد يحفظ جزء منه بعد أن يملح ويجفف تحت أشعة الشمس، والمقصود به "**لحم القديد**" المشار إليه سابقا في المبحث الخاص بالأطعمة وكان سكان مدينة الجزائر يعتبرون لحم الأضحية لحما مباركا، وصحيا.[2]

و في هذا الإطار نورد ما ذكره الأسير دو شستال دو بويس (le sieur du chastelt des boys) القرن11هـ(17م) عن الاحتفال بالعيد الأضحى في مدينة الجزائر:

".....وهو يسمي من طرف الأتراك العثمانيين لتفريقه عن تسمية رمضان باحتفال وعيد بيرام ومونيك عيد كرنال أو الكبش في لغتنا وهو الاسم الذي أعطي له بسبب التضحية بالغنم[3] التي تلتزم بها كل عائلة مسلمة فقيرة، أوغنية وهم يعتبرون أنفسهم جد متدينين إذ قاموا بذبح كباش يماثل عددها عدد الأطفال الذكور والنساء فضلا عن الزوج ،ورؤساء العائلات هم الذين كانوا يترأسون العملية وهكذا إذا وجد 6 أطفال و3 نساء و الزوج موجود كان يضحي ب10 خراف أي خروف عن كل شخص.....{ونعتقد أن هذا ماكان به الأغنياء لتوفر الامكانات المادية } وكانوا يقومون بتمليح اللحم ،ثم يأكلونه طيلة السنة و يسمون هذه المئونة لحم الخليع{حسب ما يذكره المؤلف ولكن حسب وصف طريقة اعدده فهي تنطبق على لحم القديد خاصة أنه يذكر أنه سبق له تناوله ولكنه لم يستسيغ مذاقه لكونه جد يابس أو جاف وهو مالا ينطبق على لحم الخليع} الذي يستعملونه

[1] HAEDO "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p. 214

[2] Ibid., p.214

[3] Le Pasque de Beran et des Moniques,Pasques de Carnère ou du mouton en notre langue voir Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit, T.14, 1870, p.197

أساسا خلال أسفارهم الطويلة سواء على البحر أو البر...."[1].

و بعد الانتهاء من صلاة عيد الأضحى وذبح الأضاحي كانت تفتح أبواب قصر الجنينة على مصراعيها للعامة، فيقدم الكسكسي المطبوخ بعناية لكل من حضر[2]. و خلال أيام العيد أيضا كان يتم تحضير وجبات غذاء لكل جنود الإنكشارية في ساحات ثكناتهم بأمر من الباشا حيث كان يمكن لأكثر من ألف رجل الأكل دفعة واحدة[3].

كما أنه جرت العادة خلال هذه الأيام المباركة سواء كان عيد الفطر، أو عيد الأضحى بوضع حراس من الإنكشارية في كل الأبراج، والحصون وقت الذهاب للصلاة لأنها كانت تقام خارج المدينة، خشية من أن يستغل الأسرى العبيد المسيحيون الفرصة للاستحواذ على المدينة[4].

وما سبق ذكره دليل على حرية الحركة التي كان يتمتع بها الأسري العبيد داخل مدينة الجزائر وقد كانت تسود العيد الأضحى على غرار الاحتفالات، والأعياد الدينية الأخرى مظاهر متميزة وقد أثارت مظاهر الاحتفال بالعيد الأضحى الأسير "دو شستال دو بويس(le sieur du chastelt des boys) وجعلته يشير إليها في كتابه «l'odyisseé» ؛حيث ذكر أنه:

" خلال احتفالات أعياد بيرام –أوكرنار– المصالحات أمرا عادي، والصدقات على الفقراء تتضاعف ويزداد تدينهم خلالها قوة ،وحرارة –يقصد سكان مدينة الجزائر المسلمين– والاحتفالات والألعاب العمومية معلنة ترى الأتراك، وغيرهم من المسلمين من عرب، وبربر عند أول لقاء بينهم ،و حوار يتصافحون ويتبادلون التهاني، ويتمنى بعضهم لبعض الهناء ،والرخاء والازدهار،و البعض الآخر منهم الأكثر تدينا –حسب رأيه –كانوا يتبادلون التراشق بالعطور والروائح الطيبة الأريج وأخيرا الحقد، والحسد ليس لهما أي وجود و تأثير خلال هذا الفصل السعيد إلا عند اليهود الذين كانوا ينقلون العدوى أحيانا للمسيحيين الذين لم يعد الإحسان يسود عندهم كما كان سابقا"[5].

---

[1] Ibid., p.197

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.101

[3] HAEDO "Topographie…" , In: **R.A**, T.15, 1871, p.216

[4] Ibid., p.216

[5] Sieur du Chastelet des Boys, Op.cit, In :**R.A.**, T.14, 1870, pp.197-198

وما ذهب إليه الأسير"دو شستال دو بويس" خلال القرن 11 هـ(17 م) يدعم ويؤكد ما ذهب إليه هايدو خلال القرن 10 هـ(16 م) ويؤكد لنا كيف أن هذه المناسبات الدينية كانت تدعم الروابط الاجتماعية في مجتمع مدينة الجزائر ،وكيف أن العادات والتقاليد المرتبطة بتطبيق الفرائض وإحياء السنن الدينية التي يقوم عليها الإسلام كانت عامل وحدة و تجانس بين أفراد المجتمع و تشير إلى أمر هام آخر ألا وهو مشاركة العثمانيين بما فيهم الأعلاج في هذه الاحتفالات مما يعني احتكاكهم، وتواصلهم مع بقية أفراد المجتمع.

و على غرار عيد الفطر كانت تقام خلال العيد الأضحى عدة ألعاب ،ونذكر في البداية الألعاب البهلوانية التي كانت تشبه المصارعة، وكانت تقام أيام العيد الأضحى على وجه الخصوص وسهرات رمضان[1] ؛وكانت هذه الألعاب تقام أيضا بانتظام أيام الجمعة في باب الواد بعد انتهاء صلاة الظهر مباشرة[2].وبحسب هايدو فقد كان هؤلاء المتصارعون من صفوف الإنكشارية حيث أن الاحتفال بعيدي الفطر ،و الأضحى كان مناسبة ليمارس الإنكشارية ألعاب تعد بمثابة نوع من التمرين بالنسبة إليهم[3].

وكانت هذه اللعبة تنص على أن يتقدم أشهر االمتصارعين على شكل زوجين في حوالي عشر أزواج، ويصعدون إلى الحلبة المعدة لذلك، وكان الباشا وأعوانه يجلسون على زرابي حول الحلبة في حين كان المتصارعون على الحلبة يشرعون في المصارعة بحيث كانا يصطدمان بقوة الواحد بالآخر بطريقة تجعل المرء يتعجب، و يتسأل كيف أنهم لا يحطمون رؤوسهم على حد ما ذكره روكفيل (Rocqueville) في القرن11هـ(17م)[4].

و تعتمد هذه اللعبة على خفة الحركة في الحلبة إلى جانب إظهار القوة، والصلابة، فكان كل زوجين من المتصارعين يأخذان وقتا للمصارعة، و هكذا إلى أن ينتهي جميع اللاعبين؛فيمنح الباشا بعض النقود لكل واحد منهم[5].

---

[1] Rocqueville (sieur, de), Op.cit.,p.91

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1، ص.157

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In: **R.A.**, T.14, 1870,p.515

[4] Op.cit., p.92

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1، ص.157 أنظر أيضا وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.103

في حين يشير توماس هس بدوره في القرن11هـ(17م) إلى هذه اللعبة مبينا أنه كانت تقام عروض خاصة بالحاكم "الباشا" وكبار الموظفين، و الضباط وعلى رأسهم الآغا،وكان يحضرها أيضا القناصل الأوروبيين ، وكانت تقام بمقر السلطة أي قصر الجنينة، وتحديدا بساحة القصر التي كانت تعد خصيصا لهذا الغرض بحيث كان يتم تغطيتها بكميات كبيرة من الرمال[1].

وعروض أخرى لعامة السكان كانت تقام خارج باب الوادي علما أن كل المتصارعين كانوا من الأتراك العثمانيين حيث يسمى هس هذه اللعبة "بالمصارعة بين الأتراك "وأن المصارعين كانوا في العادة من خيرة الأتراك –وهذا ما يمكن أن يؤكد ما ذكره هايدو بأن أولئك المتصارعين كانوا من صفوف الإنكشارية بل إن هس نفسه يشير إلى ذلك عند التطرق إلى العروض الخاصة التي كانت تقام بساحة قصر الجنينة و التي كانت تعد خصيصا لهذا الغرض –كما تم الإشارة إليه سابقا –حيث يطلق على المتصارعين عبارة الجنود لقوله كانت توجد في الساحة حلقة مشكلة من جنود أتراك عثمانيين جالسين على الأرض ،ومن كان يرغب منهم في المصارعة كان يقوم بنزع ثيابه مبقيا على سرواله فقط وكان اللاعبون يدهنون أجسادهم بزيت الزيتون لتصعب عملية الإمساك بهم[2].

وبعدها كان يتوجه المصارعان الواحد تلوى الآخر إلى قلب الحلبة في الرمال أين كانا يقفان منتصبان الواحد أمام الآخر أو في بعض الأحيان جانبا إلى جنب ؛ حيث كان يتم تغطيتهما بشال ،أو رداء رجل عجوز من الأشراف ،أو من رجال الدين[3] – على حسب تعبير هس – وكان يقومان بتبادل التحية والاحترام بخفض رأسيهما وبوضع كل منهما ليديه على كتفي الآخر ثم يبدو أنهما يقومان ببعض الحركات الدينية برفعهم إصبعهم نحو السماء وأيديهم مستديرة نحو الأرض ،وبصرهما أيضا باتجاه الأرض[4].

---

[1] THOMAS HEES, Op.cit., pp.114-115

[2] Ibid.,p.113

[3] بمعنى أن هذه اللعبة كانت ترتبط ببعد روحي على ما يبدو ،وقد يكون لذلك علاقة بالطريقة البكداشية التي كان يتبعها الأتراك العثمانيون وبخاصة الإنكشارية منهم؛ فهذه اللعبة تندرج في إطار التأثيرات العثمانية.

[4] ربما المراد هنا قيامهم بالتشهد

وكان الشريف أو رجل الدين يقوم بتشجيعهم بخطاب صغير ويباركهما قبل بداية المصارعة ثم ينزع عنهما الشال أو الرداء فيبدأ المتصارعان في السير بطريقة دائرية أي الدوران وهما يقومان بحك أيديهم في الرمال باستمرار[1].

لتبدأ بذلك المصارعة و أغلب المصارعين كانوا يشرعون بصدم رأسهم برأس المنافس ،وخلال المصارعة كان كل متصارع يقوم بترقب تحركات خصمه، أو منافسه وكل منهما يحاول الإمساك بالآخر ومحاولة إسقاطه ،ومن ينجح منهما في ذلك يعد الفائز والخاسر هو الذي يجد نفسه منبطحا على بطنه وعندها كان يقوم المتفرجون بالتصفيق ؛ثم كان يتقدم متصارعين غيرهما إلى الحلبة وهكذا دواليك ،وكان الفائز يقوم بدورة على المتفرجين لتجميع ما يقدمونه إليه من قطع نقدية[2]،و يضيف توماس هس أنه خلال العروض الخاصة وعند انتهاء المصارعة كان المتصارعين يسلمان على بعضهما ويقومان بتحية الباشا قبل وبعد الشروع في المصارعة[3].

وإلى جانب هذه اللعبة المتمثلة في المصارعة كانت توجد ألعاب أخرى تقام في أيام الأعياد وكذلك في شهر رمضان ويوم الجمعة ؛ومنها لعبة كان يشارك فيها حاكم البلاد إذ كان يخرج من المدينة ناحية ضاحية باب الوادي برفقة أكبر عدد ممكن من الناس ويتوجه صحبتهم إلى أرض منبطحة بالقرب من شاطئ البحر؛ حيث كان يتواجد عدد كبير من فرسان الصبايحية مسلحين برماح، فكانوا يبدؤون بمطاردة بعضهم البعض وهم على صهوات أحصنتهم والفارس الذي كان يقترب أكثر من الباشا، ويرمي إليه بعمامته أو قلنسوته عوض الرمح، كان يعتبر فائزا فيمنحه الباشا بعض المال كمكافأة له[4].

وكانت هناك لعبة شبيهة بهذه إلى حد ما تتمثل في أن الفرسان كانوا يسيرون الواحد تلو الآخر، ويرمون عصيهم التي تشبه الرماح على بعضهم البعض، وقد كان الفائز منهم من كان ينجح في إصابة صاحبه، وفي نهاية اللعبة كان الباشا بدوره يمتطي صهوة حصانه، ويسير خلف

---

[1] و السبب في ذلك كما يبدو هو التمكن من الإمساك بالخصم و عدم انفلاته ؛أي محاولة التقليل من أثر الزيت المدهون على جسم كلا المصارعان مما يصعب عملية الإمساك بالخصم.

[2] THOMAS HEES, Op.cit p113

[3] Ibid,p 115

[4] Rocqueville (sieur, de), Op.cit, p.93 voir aussi Haëdo, (F.D), "Topographie …" , In: **R.A.** T.14, 1870, p.515

أحد الفرسان، ويحاول إصابته بعصاه، وكان المحظوظ من الفرسان من يصيبه الباشا ؛حيث كان يتقدم منه الباشا بعد نزوله من حصانه ،ويمنحه مبلغا من الدراهم[1].

وقد أشار توماس في القرن 11هـ(17م) إلى هذه اللعبة و ذكر أنها كانت تقام بالساحة الموجودة خارج باب الواد مشيرا إلىأن اللعبة لم تكن تقتصر على الأتراك العثمانيين بل كان يشارك فيها بقية سكان مدينة الجزائر من المسلمين ؛حيث يذكر:

".....و نرى فيها السكان المحليين والأتراك في حلقة كبيرة على ظهور أحصنتهم يتسابقون مع بعضهم وهم ممسكين بقصبات من الخشب، وكأنها رماح التي يرمونها بعضهم على بعض ومشاهدة ذلك أمر مسل جدا"[2].

وكان الجنود من صفوف الإنكشارية يقدمون أيضا عروض مباريات ،ومنافسات في الرماية وتقوم هذه المباريات على تحدى أحد الجنود لجندي آخر حول من منهما يتمكن من إطلاق سهمه بقوة أكبر لأبعد مسافة، و أقربها من الهدف ،وكانت توجد حلبتين أعدتا خصيصا لهذا الغرض واحدة خارج باب عزون ،و الأخرى خارج باب الواد وكانت منافسات الرماية تقام حتى خارج المناسبات الدينية يقوم بها الإنكشارية في أوقات راحتهم كنوع من التمرين والترويح عن النفس[3].

ومما تقدم عرضه يمكن القول أن الألعاب المقامة للاحتفال بالعيد الأضحى في ظل الحكم العثماني كانت بمثابة مناسبات رسمية لحضور الباشا وغيره من كبار الموظفين ،و مناسبات شعبية في آن الوقت لأنه كان يحضرها سكان مدينة الجزائر، صغارا وكبارا، بغض النظر عن أصولهم وقد كانت هذه الألعاب مصدرا للترفيه والتسلية بالنسبة لسكان مدينة الجزائر وفرصة للتفرج والاستمتاع وأيضا للتواصل بين مختلف العناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر .

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 1، ص.17

[2] THOMAS HEES, Op.cit., p. 118

[3] Haëdo, (F.D), "Topographie …" ,In: **R.A.**, T.14 , 1870,p.515

فالاحتفاء بالعيد الأضحى مثله مثل الاحتفاء بعيد الفطر كان مناسبة للذكرى ،والاتعاظ ومناسبة لاجتماع الأسر، وتوطيد الأواصر،والصلة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر من خلال روح التضامن، والتآخي، ومناسبة للترفيه، والاحتفال وتقريب الحكام من المحكومين.

4-المولد النبوي الشريف:

كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من المناسبات الدينية التي كان يحتفل بها سكان مدينة الجزائر المسلمين، وقد كانت تسود الاحتفال به عادات، وتقاليد تصب كلها في إطار الممارسات الاجتماعية للدين الإسلامي الذي كان يحيط بكل نواحي الحياة في المدينة.

و كان سكان مدينة الجزائر يحتفلون خلاله بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم لمدة ثلاث ليالي كاملة حسب هايدو في القرن 10هـ(16م)[1] وهذا ما ذهب إليه أيضا في القرن 11هـ(17م) رجل الدين من تنظيم التثليث[2] المكلف بفداء الأسرى العبيد المسحيين في مدينة الجزائر الأب إيرون(pèreHeron)[3]،و 8 أيام بلياليها حسب الأب دان في القرن 11هـ(17م)[4].

و خلال احتفالهم بالمولد النبوي الشريف كانوا يجهزون منازلهم لاستقبال هذه المناسبة السعيدة حيث كانت تغسل كل أدوات المنزل، وأثاثه ،ويعاد ترتيبه وتضاء بها الأنوار عن طريق المصابيح والقناديل الزيتية، والشموع الجميلة المحاطة بالزهور الملونة بمختلف الألوان[5] ،إذ كانت تضاء في كل بيت شمعة ،وتوضع على المائدة، وتبقى مشتعلة إلى غاية أن تذوب نهائيا[6]. وفي نفس الوقت كانت تعد، وتحضر كميات كبيرة من الكسكسي باللحم والحمص[7]؛الذي كان يشكل الطبق التقليدي الرئيسي لسكان مدينة الجزائر، وطبق المناسبات المختلفة[8].

---

[1] Topographie…", In: **R.A.**, 1871, T.15, p.214

[2] أنظر الفصل السادس في الباب الأول من هذا العمل

[3] Père Héron, Relation du voyage que le R. P. Héron, supérieur ministre du couvent de la Sainte Trinité de Chasteau-Bbriant en Bretagne, a fait en la ville d'Alger et cote de Barbarie d'où il a retiré cinquante- cinq captifs da la main des turcs et remis en liberté par ordre du R^me père pierre mercier générale et grand ministre de tout ledit ordre de la sainte Trinité prédicateur et conseiller du Roy en ses conseils d'Etat prive, Publication Julian Jacquin, Paris ,1660 ,p.24

[4] Op.cit, p. 272

[5] HAEDO, "Topographie…" ,In:**R.A.**, T.15, 1871, p.214

[6] DAN (R.Père François Pierre) , Op.cit, p.272

[7] HAEDO ,Topographie… » ,In :**R. A.**, T.15, 1871, p. 215

[8] أنظر الفصل الأول من هذاا الباب

و من العادات التي كانت سائدة أيضا في هذه المناسبة إضاءة جميع جوامع و مساجد المدينة بالمصابيح والقناديل والشموع فتشع بالأنوار[1].

وحرص سكان مدينة الجزائر على جعل ليالي مدينة الجزائر خلال الاحتفال بالمولد النبوي مشعة بالأنوار؛ حيث كان يتم صنع عدد معتبر من الشموع ذات الأشكال المتنوعة بعضها على شكل منارات (phanaux) ،وكان يتم تلوينها أو طلاؤها بألوان متعددة، ومختلفة، وكان يتم تزيينها بأزهار مصنوعة من الشمع أيضا متعددة الأنواع ،بالإضافة إلى تزينها بأشكال أخري مصنوعة بدورها من مادة الشمع[2].

و كان الأطفال وبخاصة أطفال الكتاتيب يشاركون أيضا في إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف ، ويضفون عليه جوا بهيجا ؛ فكانوا يجتمعون طيلة أيام هذا الاحتفال في مدارسهم التي زينها المعلمون بستائر، وشرائط من الكتان، أو الحرير والعديد من الزرابي والتي كانت تشع بالأنوار، والأضواء؛ حيث جرت العادة خلال الاحتفال بالمولد النبوي أن يهدي كل تلميذ شمعة جميلة جدا لمعلمه ،أو مؤدبه ،وكانوا يتنافسون فيما بينهم حول من يحضر أجمل، وأكبر شمعة [3].و يبدو أن هذه العادة تعبر عن التقدير والاحترام الذي كان يكنه التلامذة لمعلمهم ودليلا على المودة والأواصر الطيبة التي كانت تجمع بين المعلم وتلامذته.

وطيلة أيام الاحتفال كان الأطفال منشغلين بإنشاد المدائح ،والتواشيح الدينية التي لقنهم إياها المعلم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم؛حيث كان يشرع أحدهم في الإنشاد في حين كان الآخرون يرددون ما ينشده[4].

و في الليل كان يجتمع معلمي المدارس بالعشرات رفقة طلبتهم في الجامع الكبير، والرئيسي وكانوا يخرجون منه جميعا في نظام بديع وكل واحد منهم يحمل بيده شمعة، مشتعلة[5].فيجوبون أزقة المدينة هكذا، وهم ينشدون المدائح، و التواشيح الدينية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

[1] HAEDO, "Topographie… », In: **R.A.**, T.15,1871, pp. 214-215
[2] Père Heron ,Op.cit, p .24 voir aussi Johannes Hlding, Dissertation académique traitant brièvement de la Maurétanie ou des royaumes De Fès de Maroc et D'Alger, Stockholm 1699, Nouvelle édition , traduite du latin en français,traducteur du texte Franz Dolveck Introduction par Joachim östlund,Fredrikstad, Norvége,2010,p.33
[3] HAEDO ,"Topographie… », In: **R.A.**, T15,1871, p. 215
[4] Ibid.,p.216
[5] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.272 voir aussi Johannes Hlding, Op.cit.,p.33

متبوعين بعدة موسيقيين كانوا يعزفون على آلات موسيقية متنوعة[1] تتناسب مع المديح الديني كآلة البندير الإيقاعية التي كانت تستعمل غالبا في المناسبات الدينية ،والتي تعرف أيضا بالدف.

و خلال هذه الجولة كان يتكفل اثنين من معلمي المدارس بحمل نقالة من النحاس بها هرم مغطى كليا بالزهور و يعلوه هلال [2]،و هكذا كان هذا الموكب البهيج يجوب أزقة المدينة التي كانت تتم تهيئتها بأنوار مبهرة أيضا احتفالا بالمناسبة[3].

و نلاحظ أن هذه العادة لا يزال معمولا بها خلال الاحتفال بالمولد النبوي في العديد مدن الجزائر مثل مدينة شرشال حيث يتم تشكيل مجسم صغير لمسجد يعرف بمنارة شرشال يتم التجوال به عبر أزقة المدينة في جمع غفير ،وفي جو تسوده المدائح الدينية.

ويذكر دان في القرن 11هـ(17م)أنه خلال هذه الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف التي كانت تدوم حسبه 8 أيام كان يسمح للجميع بما فيهم الأسرى العبيد بالتجوال في كل أزقة المدينة ليلا، وهذا ما كانوا لا يجرؤون على فعله خارج هذه الأيام لأنه كان أمرا ممنوعا ويعرضهم للعقوبات على غرار بقية السكان[4].و بالتالي كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فرصة أخرى هامة لإبراز مظهر هام من مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وهو مظهر التسامح الديني.

5-يوم الجمعة:

كان يوم الجمعة يوما مميزا لدى سكان مدينة الجزائر المسلمين ؛فقد كان بمثابة يوم العطلة الأسبوعية ،ومن الأيام ذات البعد الديني لدى مجتمع مدينة الجزائر المسلم ؛فقد كان ليوم الجمعة مظهره الخاص، فالدكاكين كانت تغلق أبوابها عند صلاة الظهر ، والجميع كان يتوقف عن العمل ويقصد المساجد الجوامع لأداء صلاة الجمعة[5].

حيث كان يظهر سكان مدينة الجزائر حرصا كبيرا على أداء الصلوات في الجامع في هذا اليوم أكثر من أي يوم آخر من أيام الأسبوع، و كان الباشا نفسه يقصد الجامع لأداء صلاة

---

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.272

[2] ويبدو أن ذلك المجسم كان يمثل صومعة المسجد.

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.272

[4] Ibid.,p. 272

[5] Ibid.,p.269

الجمعة يرافقه حراسه من الإنكشارية.[1] وكان اجتماع المصلين للصلاة يوم الجمعة فرصة للبعض ليقوموا بعمل الخير إذ يذكر هايدو في القرن 10هـ(16م) أنه في كل يوم في مواقيت صلاة الظهر،و صلاة العصر وخاصة يوم الجمعة كان يقوم عدد من المرابطين بالدخول للمساجد بجرار مليئة بالماء،ويمرون بين صفوف جموع المصلين ويقدمون الماء لمن يطلبه حتى يدعوا الله لهم بالخير[2].

وبعد أداء صلاة الجمعة كان بعض التجار، وأصحاب الحرف يعودون لفتح دكاكينهم أين كانوا يقضون بقية النهار، في حين أن معظمهم لم يكونوا يعودون لفتح الدكاكين بعد الصلاة بل كانوا يستغلون بقية اليوم للراحة في جو أسري؛ فيذهبون في نزهات خاصة مع أهلهم و يخرجون إلى بساتينهم القريبة للتمتع بجمال الطبيعة، أو يتبادلون الزيارات مع الأقارب[3].

كما أن يوم الجمعة كان فرصة لتذكر الموتى من الأهل، وغيرهم ومن ثم زيارة المقابر لاسيما من طرف النساء اللواتي كن يتوجهن منذ الصباح الباكر إلى المقابر لزيارة موتاهن، والترحم عليهم وبلغت أهمية يوم الجمعة لدى سكان مدينة الجزائر إلى حد جعله اليوم الوحيد الذي كانت تنطلق فيه السفن للغزو البحري من ميناء مدينة الجزائر[4].

ويبدو أن الكثير من الحرفيين والعمال المرتبطين بأعمال لصالح الدولة كانوا يتسلمون أجورهم أيام الجمعة وهذا ما نستخلصه من قائمة الأجور التي وردت في السجل الخاص ببيان الخارج من أجرة معلمي الساقية ؛حيث تسبق القائمة دائما بالتاريخ الوارد بالعبارة الأتية مثلا :الجمعة الأولى من جمادى الثانية 1082هـ/1672 م، وبالطبع دائما يرد ذكر يوم الجمعة مع اختلاف الشهور والسنوات ويبدو أن الأجرة كانت تدفع يوم جمعة من كل أسبوع حيث نسجل ورود الجمعة الأولى من الشهر ثم الجمعة الثانية من نفس الشهر ثم الجمعة الثالثة من نفس الشهر وصولا للجمعة الرابعة كما نجد إشارة إلى أجرة المعلم يوسف جمعتين يعني أجرته لأسبوعين[5].

---

[1] HAEDO ,"Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.216

[2] Ibid., p.63

[3] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق،الجزء1 ص.156

[4] HAEDO,"Topographie…" , In: **R.A.**, T.15, 1871, p.44

[5] السجل رقم 170 سجل يتضمن بيان الخارج من أجرة معلمي الساقية التابعة لمصلحة المياه العلبة 70،مصدر سابق

6-ركب الحج :

كان خروج سكان مدينة الجزائر إلى الحج، وعودتهم منه في ظل الحكم العثماني من المناسبات الدينية الهامة السائدة في مجتمع مدينة الجزائر إلى جانب كونها ركن من أركان الإسلام الخمس وكانت ترافقه عادات، وتقاليد متميزة كان يلتزم بها سكان مدينة الجزائر المسلمين .

أ-الاستعدادات للذهاب إلى الحج ودور السلطات العليا في ذلك:

وعند حديثه عن موضوع الحج ذكر الأب دان في القرن 11هـ(17م) أنه في كل سنة كانت تتجه جماعة من سكان مدينة الجزائر إلى الحج، و كان خروجهم للحج ،وعودتهم منه مناسبة هامة للاحتفال لاسيما عند عودة هؤلاء الحجاج بعد رحلة طويلة، وشاقة[1] ، وقد أثار صبرهم على الطريق الطويلة[2] التي كان عليهم قطعها واجتيازها، والمتاعب التي كانوا يتحملونها خلال رحلة الحج التي كانت تستمر أحيانا مدة سنة كاملة عن طريق القوافل[3] إعجاب الأب دان الذي عبر عنه في كتابه وهذا بالرغم من تحامله على الإسلام والمسلمين .

والدليل أيضا على الصعوبات والمخاطر التي كانت تتربص بالحجاج خلال رحلة الذهاب إلى الحج والعودة منه وثائق المحاكم الشرعية التي وردت في طياتها وصايا كان يتركها الحجاج لعائلتهم

---

[1] وقد ذكر نيكولا دونيكولاي أنه وحتى يهون الله عليهم طريق الحج الشاق ،ويمن عليهم بالسلامة كان الحجاج يقومون قبل مغادرتهم للحج بطلب الصفح والمسامحة من بعضهم البعض ومن كل معارفهم{وهذه عادة طيبة لما لها من أثر في توثيق الصلات والعلاقات بين أفراد المجتمع واستبعاد ما قد يعكرها} أنظر:

Nicolas de Nicolay, Op.cit., p.123

[2] علما أنه إلى جانب اعتماد القوافل للذهاب للحج أي الطريق البري كان الحجاج أيضا يسافرون بحرا عند توفر وسيلة النقل وهذا ما نستخلصه من احدى وثائق المحاكم الشرعية : " صلى الله على مولانا وسيدنا محمد وصلى الله على صحبه وسلم تسليما صح ما فيه عند غفر الله عثمان القاضي بمحروسة الجزائر بعد أن تعين للسفر من محروسة الجزائر الشباك- نوع من أنواع السفن -الذي تحت رياسة الكريو متوجها للإسكندرية وتعين فيه اناس كثيرون من أعيان اهل بلد الجزاير المسطور لازال لواء الإسلام فيه منشور بعون الملك القيوم بقصد الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ....." الوثيقة رقم32"رسم نقل صفرة أوقاف الحرميين الشريفيين من طرف ركب الحج"في العلبة29-30 تاريخها 1089 هـ ، من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر وهذا ما نستخلصه أيضا من خلال ماأورده التمكْورتي في رحلته:"....ولقد سارت السفينتان اللتان جئنا فيها راجعتين من الجزائر إلى اصطنبول بأموال كثيرة .....وسافر فيها كثير المسلمين وقاضي البلد المعرج بماله ونسائه وأولاده والتجار والحجاج وغيرهم"،المصدر السابق،ص.129

[3] DAN (R.Père François Pierre),Op.cit., p.274 voir aussi Nicolas de Nicolay,Op.cit., p.123

ليتم تنفيذها والعمل بها في حال طال غيابهم[1] أوفي حالة عدم عودتهم ووفاتهم وعلى سبيل المثال الوصية التي أوصى بها الحاج محمد آغا؛ حيث أوصى زوجته على ماله وعلى بنيه من غير تعقب لاحد من خلق الله عليها ولا اشراف لأحد أيضا عليها سوى لحاكم الشرع –المقصود به على ما يبدو القاضي– وجارها السيد محمد شاوش له بعض النظر في بعض الأمور المهمة خاصة وأن وصيته سارية المفعول في الحالات الآتية :في غيبته إن طالت ومرضه المتصل بوفاته وبعد وفاته، و فعلا توفي هذا الأخير في الحج بالحجاز عن زوجه ،وأبناءه محمد ويوسف ونفسة وحسن .[2]

وكان يتم توديع الذاهبين إلى الحج في جو بهيج؛ حيث يتم إيصالهم من طرف الأهل والأقارب والعلماء، والأئمة إلى غاية أبواب المدينة[3]وجرت العادة، و التقليد أيضا قبل مغادرة الحجاج إلى الحج أن يساهم بقية سكان مدينة الجزائر الذين لا يذهبون إلى الحج ؛حيث كان يتم تكوين مجموعات من ثلاثة، أو أربعة أشخاص تجوب أزقة المدينة ،وفحوصها وهي تحمل راية خضراء يعلوها هلال و تنشد مدائح دينية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لتجميع الصدقات ،و الأمر المثير للإعجاب هو العدد الكبير من الصدقات ،و الهبات التي كان يقدمها السكان لهم للاعتقاد السائد لديهم بأنه من لم يكن يذهب للحج كان عليه أن يشارك بما يستطيعه لصالح من يذهبون

---

[1] فمن المخاطر التي كان يتعرض لها الحجاج وبخاصة الذين يقومون برحلة الحج بحرا تعرضهم للغارات البحرية وتحولهم إلى أسرى وعبيد حيث كانت السفن المقلة للحجاج عرضة لذلك وقد أبرز الأستاذ الباحث مولاي بلحميسي عدة أمثلة عن ذلك في دراسته التي خصصها لشرح الظروف التي كانت تؤدي لتعرض الجزائريين للأسر فمثلا أشار إلى أنه في سنة 1689 م ثمانية جزائريين أردوا أداء مناسك الحج أبحروا على سفينة بريطانية وعند خروجهم من تونس تم اختطافهم وأسرهم من طرف قراصنة فرنسيين وكانت هذه مأساة حزن لها كل سكان مدينة الجزائر كما نسجل الاهتمام البالغ الذي أولته سلطات الجزائر لهذه القضية ومد يد العون للأسرى الجزائريين وفك أسرهم من خلال إرسال عدة مراسلات إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر للتوسع أكثر أنظر :

Muolay BELHAMISSI, course et contre-course en méditerranée ou comment les Algériens tombaient en esclavage (XVI eme siecle-1er tiers du XIX eme siècle) In : **cahiers de la Méditerranée**,numéro 65(L'esclavage en méditerranée à l'époque moderne), Decembre 2002, centre de la méditerranée moderne et contemporaine, p.61

وقد أورد التمكْورتي بدوره في رحلته حادثة تبرز أيضا هذه المخاطر أنظر ،مصدر سابق،صص129 -130

[2] الوثيقة رقم6"رسم يحوى وصية وتقسيم تركة "في العلبة19–2 تاريخها 1040 (16م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p. 273

إليه[1].

وتمثل هذه العادة وجه من وجوه التضامن في أوساط مجتمع مدينة الجزائر وعامل تقارب وانسجام بين أفراده وتعبيرا عن مدى تمسكهم بأداء شعائرهم الدينية و حرصهم على إعانة غيرهم على أداءها والتمسك بها.

كما كانت ترسل تبرعات، وصدقات للفقراء، والمحتاجين في مكة ،والمدينة من طرف مؤسسة أوقاف مكة و المدينة المعروفة بأوقاف الحرمين الشريفين أي من مداخيل الأوقاف الموقفة عليها أو من صدقات وتبرعات سكان مدينة الجزائر لصالحهم[2] ؛ففي سنة 1089هـ /1678م تم إرسال1.200دينار وهي تشكل حصيلة أوقاف الحرمين لسنة 1088هـ وهذا عن طريق عدد كبير من الأعيان المتجهين للحج بحرا عن طريق ركوبهم سفينة يونانية متجهة لمصر أما سنة1096 هـ/1685 م؛ فقد تم إرسال 400 دينار ذهبي رفقة الحجاج عن طريق سفينة هولندية في حين أرسل خلال سنة 1104هـ/1693 م مبلغ 1666 دينار ذهبي المعروفة بالسلطاني حصيلة أوقاف الحرمين لسنتين 1103-1104 هـ/1692 -1693م من طرف الحجاج الذي أبحروا على ظهر سفينة الرايس الحاجي أحمد بن غانم[3].

وبعد أداءهم لفريضة الحج كان الحجاج يعودون إلى مدينة الجزائر ،حيث كان يتم استقبالهم بفرحة وسرور من طرف جميع سكانها ،ولاسيما علمائها، ومرابطيها ، وأئمتها الذين كانوا يذهبون أفواجا لاستقبال الحجاج عند أبواب المدينة، و كانت عائلات الحجاج تقيم احتفالات و مأدب بمناسبة عودتهم سالمين سعداء بأدائهم لفريضة الحج[4].

وقد وصف روكفيل في القرن 11 هـ (17م) عودة ركب الحجاج بقوله :

".....في شهر أفريل عادت قافلة الجزائر من الحج بعدد 15 ألف رجل و8 ألاف جمل يتقدمهم مرابطهم و يرافقه 2000 حاج على ظهور أحصنتهم ،ويحمل كل منهم قصبة من قصب السكر في يده ويرتدون البرنوس والكل يذهب لتقبيل ثوب هذا المرابط ومن لا يستطيعون الوصول إليه

[1] Ibid.,p. 275

[2] حول مؤسسة أوقاف الحرميين الشريفين العودة إلى الفصل الخامس من هذا الباب

[3] Devoulx (Albert), Corporations Religieuses..., pp. 23-24

[4] DAN (R.Père François Pierre),Op.cit., p.273

يقبلون ذيل الحصان وخلف المرابط كان يوجد خادم يمتطى بدوره حصانا و يحمل في كيس سبحة طويلة وذات حبات كبيرة بحجم تفاحات متوسطة الحجم[1].

وما نسجله في ظل الحكم العثماني الأهمية الكبيرة التي كانت توليها السلطات في الجزائر لركب الحج و اتضح لنا ذلك من خلال مسألتين و هما:

1-كل جماعة من الحجاج كانت ترافق من طرف موظف مكلف رسميا من طرف الباشا بأداء مهام البيت مالجي، وكانت المهمة الخاصة الموكلة لهذا الموظف تتمثل في أن يجمع ويجلب لمدينة الجزائر مخلفات كل جزائري يتوفى خلال رحلة الحج ،و ينتمي لموكب الحج الذي يشرف عليه وقد كان مكلفا أيضا بالعلاقات الرسمية مع سلطات البلاد التي يتم اجتيازها ،أو عبورها من طرف الحجاج ،ومع ممثلي الجزائر في هذه البلاد[2].

و يبدو أن الهدف المرجو تحقيقه من تطبيق هذا الإجراء كان الإبقاء على الصلة بالحجاج و أخبارهم، و إعلام عائلاتهم في حالة وفاتهم، و اتخاذ التدابير الضرورية من جراء ذلك بما يصب في مصلحة الورثة سواء كان بيت المال طرفا مستحقا للتركة أم لا.

2-المراسلات المتبادلة بين ولاة مصر وحكام الجزائر العثمانيين، والعلاقات الرسمية التي كانت تتم بينهما بمناسبة رحلة الحج [3]،والهدف منها كما يبدو كان الاطمئنان على حجاج الجزائر وضمان الحماية لهم ؛فقد كان ولاة مصر يحرسون في مراسلاتهم إلى حكام الجزائر على إبراز الحرص الذي يولونه لتوفير الأمن للحجاج الجزائريين ومن العبارات الدالة على ذلك؛و التي وردت في نص هذه المراسلات نورد مايلي:

" دعاء حاكم مصر بتواصل قدوم الحجاج من الجزائر إلى الحرمين الشريفين كل عام بشكل متواصل ودون تباطؤ وأن يترافق ذلك كما كان الحال دائما مع السلام ،والأمن ويبرز أن مصر وحكامها منذ العديد من السنوات يقدمون المساعدة والعون للحجاج القادمين من الجزائر

[1] Rocqueville (Sieur de), Op.cit.,pp.56-57

[2] Devoulx (Albert), Corporations Religieuses.., pp. 23-24

[3] وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن اعتبار هذه المراسلات استمرارية وتواصل لتقليد سابق في بلاد المغرب الإسلامي ؛حيث ذكرت المصادر السابقة للعهد العثماني المراسلات المتبادلة بين حكام بلاد المغرب الإسلامي الزيانيون-المغرب الأوسط-والحفصيون-المغرب الأدنى- والمرينيون –المغرب الاقصى-وحكام مصر المماليك حول قضية الحجاج وتأمينهم للمزيد من المعلومات =

وبخاصة الحجاج الذين ينتسبون لفرق الأوجاق ؛أي الجنود و منهم المكلفين بإيصال صرة حصيلة أوقاف الحرمين الشريفين ويحيطونهم بالاهتمام الكبير منذ أن يتواجدوا على أرض مصر حيث يحصلون على حماية خاصة، و أعرب أيضا عن رجائه بأن يعتبر حاكم الجزائر هذه المعاملة الحسنة للحجاج القادمين من الجزائر كعربون تقدير ،وصداقة.[1]

وأهمية الحج لدى مجتمع مدينة الجزائر والسلطات العثمانية فيها كان جزء لا يتجزأ من الأهمية التي كانت توليها له السلطات العثمانية في مقر السلطنة ؛فقد كان الحج في كل سنة بالنسبة للدولة العثمانية مناسبة لتأكيد سلطتها الروحية ودورها كأبرز وأهم قوة إسلامية فالسلاطين العثمانيون الذين كانوا يحملون من بين ألقابهم لقب خادم الحرمين الشريفين كانوا يرون أنفسهم خداما للمنطقة أو الأراضي المقدسة وليس حكاما وكان يسرهم لقب خادم الحرمين أشد السرور[2].

و كانوا يبدون انشغالا و اهتماما دائمين بضمان السير الحسن لموسم الحج، وقد تجسد ذلك بصور مختلفة من بينها تطوير مراكز حراسة قوافل ركب الحجاج المكلفة بضمان أمنهم وسلامتهم عبر الطريق المنطلق من الشام والطريق المنطلق من مصر–فمصر ،والشام شكلتا مركزي انطلاق القوافل الرئيسة للحجاج برا [3]؛ولهذا تم تحسين أمن ركب الحج بفضل تنظيم شكل إحدى المهام الرئيسية لولاية مصر وبلاد الشام ،وفيما يتعلق بحجاج الجزائر فقد كانوا مع بقية الحجاج القادمين من بلاد المغرب الإسلامي –تونس ،وليبيا والمغرب الأقصى – ،وإفريقيا الداخلية يندرجون ضمن قافلة مصر التي كانت تجمع كل سنة 30000، أو 40000حاج وكانوا تحت إمرة أمير الحج الذي كان يتمثل في أحد أكبر موظفي الدولة –،وكذا من خلال العمل على توفير مصادر المياه الضرورية للحجاج على طول الطريقين[4].

وما سبق ذكره أكده أحد مصادر القرن 11 هـ (17 م) وتحديدا روكفيل الذي استفسر من أحد الأعلاج في مدينة الجزائر عن كيفية الذهاب إلى الحج ؛فذكر له أنه في دمشق كان يوجد

= عن هذا الموضوع أنظر: Atalla Dhina, Op.cit.,pp.406-410

[1] Devoulx (Albert), Corporations Religieuses, Op.cit.,pp. 24-25

[2] ضياء قازيجي ،المرجع السابق ،ص.585

[3] Nicolas de Nicolay, Op.cit., p.123

[4] André Raymond ,Op.cit,pp 46-47

أكثر من ستين ألف رجل حاج قدموا إليها بقوافلهم من كل المناطق التابعة للدولة العثمانية وأنهم كانوا يشكلون ركبا كبير يسير معا رفقة جمال تحمل سلعهم ومؤنهم ومؤونة دوابهم والتي كانت تقتصر على الأرز ،والكسكس وكريات مصنوعة من عجينة التمر –ما يعرف بالغرس لدينا – لتقدم للجمال وأنه كان يمكن لهذه الأخيرة أن تمضي 3 أو 4 أيام دون شرب الماء وأنه على مسافة فرسخ(lieue)[1] كانت تتوزع عيون يتزود منها الحجاج بالماء ويدعون دوابهم تشرب منها[2].

وقد أشار روكفيل في القرن 11 هـ (17 م) أيضا لمسألة هامة تبين مدى اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بركب الحج ألا و هي كسوة الكعبة ؛حيث ذكر أنه في كل سنة كان السلطان العثماني يرسل غطاء –الكسوة –مطرز ،ومطعم بأنواع مختلفة من الأحجار وكان يتم تحميله على ظهر جمل كان يتم تزينه بشكل كبير وكان يحمل حول عنقه الكثير من اللؤلؤ وفى سيقانه كانت توجد أساور أو خلاخل من الأحجار الكريمة وأنه كان يتم وضعها في مكانها المعهود وكان يتم استعادة كسوة السنة الماضية التي كان يتم إعادتها إلى حاكم دمشق وسط احتفال كبير، والذي كان يعيد إرسالها بدوره إلى السلطان العثماني في القسطنطينية –اسطنبول-[3].

ولم تقتصر الرعاية التي كانت توفرها الدولة العثمانية للحجاج على الحجاج الوافدين من الأراضي التابعة لها ولكنها شملت أيضا الوافدين للحج من مناطق لم ترتبط بها كالمغرب الأقصى[4] ؛وهذا ما نستخلصه من حكم ورد في سلسلة الدفاتر المهمة أرسله السلطان العثماني مراد الثالث إلى أمير أمراء مصر وقاضيها كما أرسلت نسخة منه إلى أمير أمراء جزائر الغرب حسن فينزيانوا ؛حيث نصت على حسن معاملة الحجاج الوافدين من مراكش ،وفاس الوافدين على مصر وعدم إيذاءهم وإرسالهم مع بقية الحجاج القاصدين الكعبة المشرفة لكي يؤدوا حجهم

[1] أي ما يعادل 4 كيلومترات

[2] Rocqueville (Sieur de), Op.cit., pp. 58-60

[3] Ibid., pp. 60-61

[4] و يتأكد ذلك أيضا من خلال خطاب همايوني وجه إلى شريف مكة ينص على السماح لرجال الأمير عبد المالك-السعدي- حاكم فاس ومراكش بتقسيم وتوزيع الصدقات التي يرسلها إلى فقراء الكعبة المعظمة أو المدينة المنورة وتأمين العملية والحيلولة دون تدخل أو تعرض أحد لهم عند أداءهم هذه المهمة .أنظر: مهمة دفتري رقم 30صحيفة 182 حكم رقم 428 بتاريخ 985/3/5 في الأرشيف الوطني الجزائري

المبرور ويعودوا كغيرهم دون أن يمنعهم أو يزاحمهم أحد وكما كان الحال عليه بالنسبة للحجاج الجزائريين ؛فإنه إذ تبث شرعا وجود ورثة للحجاج ،أو للتجار القادمين من تلك الديار فيجب تسليم تركاتهم لورثتهم وفق الشرع[1].

ب–مكانة الحجاج في مجتمع مدينة الجزائر :

وقد جرت العادة لدى سكان مدينة الجزائر أن يحظى الحاج باحترام، وتقدير كبيران مهما كانت وضعيته الاجتماعية، وكان يطلق عليهم لقب حاجي بمعنى أنه حاج بيت الله الذي كان بمثابة لقب شرفي يعتز به حامله لأنه دليل على أدائه لفريضة الحج، وقد كان يلزم عادة اسم حاجي اسم الحاج مثلا محمد حاجي[2]، و وجدت عائلات اشتملت على عدة أفراد قاموا بأداء فريضة الحج وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من خلال أحد عقود سلسلة المحاكم الشرعية حيث جاء فيه:".....الحاجة نفسة بنت الحاج أحمد الشريف عرف خواجة.....وبعلها الحاج عبد المالك بن الشيخ سيدي بوزيان الحاج....."[3].

ووفق ما ورد أيضا في عقد بيع وشراء نجد أن الابن حاج والأب كذلك والجد".....السيد الحاج محمد بن التاجر الأمين الفاضل الكبير الحاج أحمد بن الحاج عمار الأندلسي ....."[4]كما أن العديد منهم كان يؤدون مناسك الحج والعمرة أيضا ومثال ذلك ما ورد في إحدى وثائق سلسلة المحاكم الشرعية :

".....الحمد لله بعد أن تقرر الاشتراك بين الولية نفسة بنت الحاج علي عرف الشكلاح وزوجها الناسك الأبر الحاج المعتمر السيد الحاج عاشور....."[5].

---

[1] مهمة دفتري رقم 30صحيفة 182 حكم رقم 426 بتاريخ 985/3/5 في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] HAEDO "Topographie…", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.219

[3] الوثيقة رقم 30 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر في العلبة19–1تاريخها 1040 هـ (1630م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] الوثيقة رقم 54 "رسم بيع وشراء وعقد وقف ذري لامرأة بمدينة الجزائر في العلبة41–1تاريخها غرة صفر الخير 1100هـ (1689م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[5] الوثيقة رقم6"رسم تقسيم تركة ووصية وعقد وقف ذري "في العلبة10–2 تاريخها أواسط جمادى الأولى من عام 1095 هـ (1684م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

ونظرا لأهمية أداء فريضة الحج لدى سكان مدينة الجزائر لم يكن يقتصر أداؤها على الرجال فحسب حيث كانت نساء مدينة الجزائر حريصات أيضا على أداء هذه الفريضة بالرغم من الصعوبات التي كانت تتخلل هذه الرحلة إلى البقاع المقدسة وهذا ما نتلمسه من خلال وصف دابر للهودج ؛حيث ذكر أن النساء ذوات المكانة كن تملكن هودج من الخيزران مغطى بأقمشة ملونة هذا الهودج كان منخفضا لدرجة أنهن كن مضطرات للجلوس وهن متربعات داخله وكان الهودج عريضا بما يكفي لحمل شخصين هذه الطريقة في السفر كانت تعتمد خلال الأسفار الطويلة خاصة عندما كن يذهبن للحج إلى مكة فيبصرن مايحدث في الطريق دون أن تتم رؤيتهن وهن في مأمن من الرياح ،والغبار ،والمطر ،والحر الشديد[1].

و مما يدل أيضا على ذهاب نساء مدينة الجزائر للحج الإشارات العديدة التي وردت في عقود سلسلة المحاكم الشرعية و على سبيل المثال –لا الحصر– ما ورد في رسم شراء أملاك لصالح الحرمين الشريفين من طرف وكلاء هذه الأوقاف:".....الولية الحاجة فاطمة بنت الحاج ابراهيم ...."[2]وكذا في عقد شراكة بين زوجين :".. الحمد الله بعد أن تقرر الاشتراك بين الحاج مسعود بن كباب و زوجته الحاجة رحمة بنت عثمان في جميع الدار....."[3].

و نستدل على ذلك أيضا من خلال حكم سلطاني ورد إلى أمير أمراء الجزائر حول قضية سيدة تقدمت بشكوى إلى السلطان العثماني تتضمن تعرض ابنتيها المدعوتان عائشة وفاطمة للأسر أثناء سفرهما إلى مكة المكرمة للأداء مناسك الحج بعد أن ركبتا بطريق الصدفة سفينة الكافر المدعو قران يريول أحد أتباع ملك فرنسا وقد أمر السلطان العثماني بضرورة السعي لإطلاق سراح الفتاتين وبقية الأسرى المسلمين المحتجزين في قلعة مرسيليا بشتى الوسائل ومطالبة ملك فرنسا بالتزام المعاهدة الهاميونية التي تربط بلده بالدولة العثمانية[4].

و نستخلص مما سبق إلى جانب أداء النساء في مدينة الجزائر لمناسك الحج أيضا المخاطر؛التي

---

[1]Dapper, Op.cit., p.177

[2] الوثيقة رقم69،في العلبة27 –2،المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم 33 ""عقد شراكة بين زوجين وتقسيم تركة "،في العلبة 109 –110 تاريخها أواخر ذي الحجة الحرام 1033 من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[4] مهمة دفتري7 صحيفة 887 حكم 2433 تاريخها 976/5/11هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

التي كان يمكن أن يتعرض لها الحجاج في طريقهم للحج كما سبق وذكرناه بالإضافة إلى حرص السلاطين العثمانيين على سلامة الحجاج ومد يد المساعدة إليهم عند تعرضهم للمخاطر.

و تبرز المكانة المتميزة للحجاج في مجتمع مدينة الجزائر من خلال ما أورده الأب دان في القرن 11هـ(17م) حيث ذكر أن الحجاج تمتعوا في مدينة الجزائر بامتياز يتمثل في أن شهادتهم كانت تعادل شهادتان لدى القاضي والقضاء[1]، وهذا يدل على مكانة الحاج في مجتمع مدينة الجزائر التي كان يستمدها من المكانة الكبيرة التي كان يحظى بها الإسلام في أوساطه، إلا أن هذه المعلومة غير مؤكدة، إذ يبدو أن دان قد أساء فهم هذه المسألة فالإسلام واضح فيما يتصل بالشهادة لدى القضاء ؛فالشهادة في أي قضية أي البينة، وهي برهان المدعي تكون شاهدان عدول؛ أي رجلان أو رجل وامرأتين ،وهذا بناء على النص القرآني؛ ولكن أن تكون شهادة الحاج تساوي شهادتين؛ فهذا غير وارد في الشريعة الإسلامية ،ويبدو أن المقصود هو الجانب المعنوي من القضية أي الدلالة على المصداقية التي كانت تعطى لشهادة وكلمة الحاج.

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p.273

الفصل الرابع :المذاهب الدينية والقضاء

1 -المذاهب الدينية

2- القضاء

الفصل الرابع :المذاهب الدينية والقضاء

1-المذاهب الدينية :

لقد كانت الممارسة الاجتماعية للدين عميقة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر؛ فالإسلام باعتباره دين دنيا وآخرة كان يؤثر بكل ما يمس بالحياة الاجتماعية وبالممارسات اليومية لسكان مدينة الجزائر؛ فيطبع عاداتهم ،وتقاليدهم كما سبق ومر بنا؛ و كان المذهب المالكي هو المذهب الإسلامي السائد في مدينة الجزائر قبل مجيء العثمانيين وإدخالهم المذهب الحنفي إليها والذي أعتبر بمثابة المذهب الرسمي للدولة العثمانية ومصدر تشريعاتها[1].

وكان العثمانيون بما فيهم الأعلاج ينتمون عادة إلى المذهب الحنفي الذي كان أكثر تحررا من المذهب المالكي الذي كان يقف موقفا أكثر صرامة من بعض القضايا [2] -مثلا ما يتعلق بالوقف الذري أو الأهلي - ،وانتمى إلى هذا المذهب أيضا الكراغلة، ووجد في مدينة الجزائر إلى جانب هذين المذهبين، المذهب الإيباضي الذي كانت تمثله جماعة بني ميزاب.

ولم يحاول العثمانيون فرض مذهبهم الحنفي على بقية سكان المدينة[3].حيث يبدو أن السلطات العثمانية في الشؤون الدينية للسكان، بل عملت على احترام الميزات المحلية والمحافظة عليها للرابطة الدينية التي تربطها بالسكان ولأنها كانت سياسة سارت عليها الدولة العثمانية في جل المناطق التي ارتبطت بها وهي سياسة ضمنت لها بسط نفوذها دون حدوث صدمات ومواجهات مع أهالي تلك المناطق.

وهذا ما لاحظه الضابط بليسي دو رينو في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ؛ فقد ذكر أن الحنفيين و المالكيين في مدينة الجزائر كانوا يشكلون مذهبيين من مذاهب الإسلام وكانا يختلفان حول بعض الممارسات الدينية و القضايا التشريعية التي لا تكاد تذكر أما فيما يتعلق ببقية الأمور

---

[1] للتوسع حول هذا الموضوع أنظر: أورهان صادق جانبولات ،قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي،الطبعة الأولى ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هردن،فرجينيا ،الولايات المتحدة 1433هـ/2012

[2] جون. ب وولف، المرجع السابق، ص.154

[3] Corinne Chevallier, Op.cit., p.69

فقد تعايشا هذان المذهبان[1] في جو من التفاهم ،والوئام بعيدا عن الدخول في خلافات وصراعات ،وتبادل الاتهامات كما كان يفعل البروتستانت ،والكاثوليك[2].

وكما سبق ذكره في الفصل الثاني؛ فقد كان لكل مذهب منهما مساجده ؛فالمذهب المالكي كانت له مساجده، ومن أبرزها الجامع الكبير ،وكان للمذهب الحنفي بدوره مساجده كالجامع الجديد، ويذهب الباحث مصطفى أحمد بن حموش إلى القول:" بأن التعايش الذي نشأ بين المذهبيين ارتكز على تقاسم الميادين عموما ؛ففي حين اتجه المذهب المالكي إلى الاهتمام بالأحوال الشخصية والجماعية المتعلقة بالسكان المحليين انفرد المذهب الحنفي بشؤون الإدارة العامة ،والسياسية وتأقلم المذهب الحنفي أيضا مع المعطيات المحلية للإقليم الجديد؛ حيث أصدر فتاوى متميزة عن تلك التي كانت تصدر في المشرق"[3].

---

[1] فرغم وحدة المراجع التي تتمثل أساسا في القرآن والسنة، واعتبار القياس، والعرف و الاجتهاد في الاستدلال فإن الحياة العملية الميدانية عرفت اختلافا بينا بين المذهبين وهذا راجع إلى الظروف التي رافقت نشأة كل منهما، وتطورهما من ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية وجغرافية –. هذا إلى جانب الاختلاف في منهجية استنباط الأحكام لدى علماء المذهبين فعلماء الأحناف قد تميزوا بقضية وضع الأسئلة والإجابة عنها قبل وقوعها في حين عاكسهم علماء المذهب المالكي في ذلك ؛ففي الوقت الذي تميز فيه الأحناف بالتنظير عرف المالكية بفكرهم الواقعي؛ فالمذهب المالكي لا يعول على استخدام الرأي أو الجدل بقدر ما يعتمد على النص والنقل، وعلى الأثر والرواية؛ فهو مذهب ملائم لطبيعة المغاربة لأنه عملي أكثر منه نظري يستند على الواقع، ويأخذ بالعرف والعادة ؛حيث انفردوا عن غيرهم بما يعرف بفقه النوازل الذي يدون الفتاوى التي صدرت تبعا لوقائع وقعت فعلا ؛أي أن الأحناف اتبعوا منهج احتياطي من حيث التنبؤ بالقضايا قبل وقوعها في حين اتبع المالكية منحى تصحيحي يقوم على استخراج الأحكام تبعا للأحداث والوقائع ،غير أن هذا الاختلاف في المنهج والبيئة الذي ميز كل من المذهبين لا يعني عدم وجود فضاءات فقهية من الاتفاق بين المدرستين المالكية والحنفية فلمتتبع لأصول كل منهما يجد الكثير من الاعتبارات المشتركة بينهما التي تجعل من الممارسة الميدانية مساحة للالتقاء بينهما ،ومن بينها اعتبار المصالح المرسلة في غياب النصوص ما يفتح لعلماء كلا المدرستين مجال الاجتهاد فضلا على اعتبرهما للعرف عند عدم معارضته لنصوص الشريعة ومقاصدها مصدر آخر للأحكام . أنظر مصطفى أحمد بن حموش،"المدينة والسلطة ..."، ص.88- 89

و حول أوجه الشبه والاختلاف بين المذهبين أنظر أيضا: وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المذاهب الفقهية الأربعة أئمتها –أطوارها –أصولها–آثارها، راجعه أ.د أحمد الحجي كردي والشيخ علي الشربجي ود.بومية بن محمد السعيد والشيخ عدنان بن سالم النهام، الطبعة الأولى ،إدارة الإفتاء، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية،الكويت،1436 هـ-2015 م

[2] Pellissier de Reynaud, Op.cit.,tome 1, p.10

[3] مصطفى أحمد بن حموش ، "المدينة والسلطة..." ،ص.87

وكان للمذهبين المالكي، والحنفي رجال إفتاء[1] ،وقد أوجد منصب الإفتاء من طرف العثمانيين فكان للمذهب المالكي رجال إفتاء خاصين به نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سيدي عمار الذي تولى الإفتاء سنة 1022هـ-1613م،وسيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة[2] سنة 1029 هـ-1620م والمذهب الحنفي أيضا كان له رجال إفتاء منهم مثلا:الشيخ محمد بن يوسف الذي تولى الإفتاء عام 1022هـ-1613م ،و محمد بن حسين الذي تولى الإفتاء عام 1029 هـ-1620م وكان المفتي الحنفي يشغل منصب المفتي العام ،وتعينه كان يتم من الباب العالي؛ حيث ارتبطت وظيفته بالسلطان العثماني مباشرة [3]كما تشير إليه الأوامر السلطانية خلال العهد العثماني الأول "مرحلة البايلربايات"وأعتبر المفتي الحنفي العام شخصية رفيعة المقام [4]؛حيث أسندت له بدوره مهمة تعيين القاضي الحنفي ،والقاضي المالكي[5].

و تشير بعض الدراسات إلى أن المفتي الحنفي باعتباره يمثل المذهب الرسمي للدولة كان مقدما على المفتي المالكي [6] ولكن يبدو أن ذلك لم يكن قاعدة مطلقة ؛فالمفتي المالكي سيدي سعيد ابن الحاج ابراهيم قدورة الذي اشتهر بفضائله ،وعلمه، وكفاءته كثيرا ما كان يتقدم المفتي الحنفي خلال اجتماعات المجلس العلمي[7].

---

[1] Pétis de la Croix, Op.cit., p.13

[2] وكانت أسرته من الأسر التي توارثت منصب المفتي المالكي انطلاقا منه حيث تولاه أبنائه من بعده وهم على التوالي :سيدي محمد بن سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة الذي تولاه رسميا بعد وفاة والده 1066 هـ-1655 م وبقى هذا الأخير في منصب المفتي المالكي مدة أكثر من 40سنة حيث توفي سنة 1107هـ-1696 م ثم مباشرة بعد وفاته خلفه في المنصب أخوه المفتي سيدي أحمد بن سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة إلى غاية 1118 هـ-1706 م أنظر:
DEVOULX Albert," Les Edifices Religieux...", pp.105-106

[3] Pétis de la Croix, Op.cit., p.13

[4] Pellissier de Reynaud, Op.cit, tome1, p 10 voir aussi DEVOULX Albert, "Les Edifices Religieux...", p.98 voir aussi Delphin, "chronique…", p.192

[5]مصطفى أحمد بن حموش،" المدينة والسلطة..." ،ص.87

[6] DEVOULX Albert ,"Les Edifices Religieux...", p. 98

[7]ولنا أن نتسأل هل كان ذلك ناجما عن امتياز منح له شخصيا على أساس الخصال التي كان يتمتع بها وكفاءته العلمية أو أنه كان يمكن لأي مفتي مالكي أن يتقدم المفتي الحنفي متى امتلك مؤهلات تؤهله لذلك أو بصياغة أخرى هل الكفاءة العلمية ،والسعة المعرفية هي التي كانت في واقع الأمر تحدد أي مفتى يتقدم الآخر علما أن بتي دولاكروا يذكر في القرن11 ه(17م)أن المفتي المالكي كان الأول وكان يشرف على إدارة الجامع الأعظم ؛فهل قصد بقوله هذا أنه كان مقدما على المفتي الحنفي؟ أنظر:
Pétis de la Croix, Op.cit, p12

وهو ما توصل إلى إبرازه ألبير دفوا انطلاقا من الإشارات الواردة في وثائق صدرت عن جلسات المجلس العلمي[1].

ويمكن القول أن هذا التمايز ،والتفريق بين المذهبين لم يكن بهذه الصورة التامة والقطعية وهذا ما تدل عليه عقود التحبيس ،فكثيرا ما كان يلجأ سكان مدينة الجزائر من أتباع المذهب المالكي إلى وقف، و تحبيس أملاكهم وفق مذهب أبي حنيفة النعمان ؛أي على المذهب الحنفي نظرا لكونه كان أكثر مرونة فيما يتعلق بالوقف ولاسيما فيما يتعلق بالوقف الذري،علما أن من الفقهاء المالكية من أباح الوقف الذري وهذا ما يتضح من خلال عقد وقف ذري عقد في المحكمة المالكية ومما جاء فيه: "الحمد لله بعد أن استقر على ملك السيد محمد ابن السيد الحاج محمد المليانى .....جميع البحيرة المذكورة معه في المشار إليه بمقتضى ما قيل الاستقرار التام وكان ذلك كذلك حضر الآن بمحضر شهديه بالمحكمة المالكية من بلد الجزاير المحمية بالله تعالى لدى قاضيها الشيخ الإمام القدوة الهمام العلامة الواضع اسمه فيه وهو{نجد طابعا أوختما } السيد محمد المذكور وأشهدهما على نفسه أنه حبس لله تعالى بنية سنية على أساس التقوى وإخلاص النية جميع البحيرة المذكورة ابتداء على نفسه ينتفع بغلتها مدة حياته مقلدا في ذلك ابن شعبان من المالكية الذي يرى جواز الحبس على النفس بشرطهم بعد وفاته ترجع البحيرة المذكورة حبسا ووقفا على أولاده الموجودين الآن ..... "[2].

ويشير عقد تحبيس ذري آخر إلى طلب القاضي من المفتي الحنفي إصدار فتوى بخصوص صحة وجواز عقد وقف ذري على المذهب الحنفي يخص امرأة مالكية المذهب التي قصدته لتستفتيه في هذه المسألة فاستجاب له المفتي الحنفي وأصدر الفتوى التي تجيز الوقف وأقر المفتي المالكي على صحة نص الفتوى التي أصدرها المفتي الحنفي مما يبرز الدور التكاملي بين المذهبين في مدينة الجزائر ونص ذلك :

" نص السؤال الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد على آله وصحبه وسلم تسليما سيدي رعاكم الله .....معارج السيادة.....وأمدكم بالحسنى وزيادة جوابكم على مسألة وهي

[1] DEVOULX Albert , "Les Edifices Religieux"..., p.102

[2] الوثيقة رقم45"رسم تحبيس ذري بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر في العلبة19 -2 تاريخها 1099 (1806م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

أن امرأة لها ملك وارادت تحبيسه على نفسها تنتفع بغلتها مدة حياتها ثم بعد وفاتها يكون حبسا على ذريتها.....والمسألة أن المرأة المذكورة مالكية المذهب فاتت الان تستفيه هل يسوغ ما رمته من التحبيس .....على مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة ....."[1].

وبعض طرح القضية أدرج نص فتوى المفتي الحنفي:

".....جوابكم الشافي بنص تؤجرون وترحمون والسلام عليكم والرحمة والبركة ونص جواب المفتي الحنفي الحمد لله إذا جعل الواقف ملكه تحبيسا على هذا المنوال فهو جائز.....ابتداء بقول أبي يوسف قالوا يجوز الوقف والشرط جميعا وذاك هو الشهير.....والفتوى على قول أبي يوسف رحمه الله ترغيبا للناس في الوقف والله أعلم بالصواب كتبه الفقير إلى الله مسلم بن علي وفقه الله ونص خطاب مفتي المالكية الحمد لله الجواب أعلاه صحيح وعليه يوافق محمد بن سعيد- قدورة-وفقه الله "[2].وعلى أساس هذه الفتوى التي اتفق عليها كلا المفتيين استند القاضي لعقد وإبرام عقد الوقف .

ومن الأدلة الأخرى على التكامل والتسامح الذي كان سائدا بين المذهبين أن حبوس الجامع الأعظم كان يشترك في تحبيسها المالكين ،والأحناف على حد سواء بل ووجد منهم الحكام وأصحاب المناصب العليا في الدولة من العثمانين[3].

كما أن تشكيلة المجلس العلمي -كما سيرد ذكرها لاحقا-[4] تدل على الترابط، والتكامل الذي كان قائما بين المذهبين ،ولعل ما ورد في احدى وثائق المحاكم الشرعية دليل آخر على ذلك وهي تتناول قضية استبدال وقف بآخر أنفع منه؛ حيث أن الواقف المدعو الحاج علي أودباشي بن على المذكور أراد استبدال جميع الدار الكاينة بحومة عمور وجميع الجنة الكاينة بفحص زغارة خارج

[1] الوثيقة رقم 38"رسم تحبيس ذري بمدينة عقد الجزائر"، في العلبة 119-120تاريخها 1093 (16م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] المصدر نفسه

[3] أنظر الوثيقة التي نشرها الباحث عبد الجليل التميمي ودراسته المرفقة بها بعنوان :وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر منشورات المجلة التاريخية المغربية ،تونس ،1980 و أنظر فصل المرافق الدينية والعلمية في الباب الثاني من هذا العمل وأنظر أيضا الفصل الخامس من هذا الباب.

[4] راجع عنصر القضاء في هذا الفصل.

باب الواد اللذان أوقفهما على نفسه وعقبه من بعده وجعل مرجعه فقراء الحرمين الشريفين بجميع الدار الكاينة أعلا سوق الكتان التي استجد بناءها ،وأكمله فستفتى في ذلك المفتي وهنا نلاحظ أن المفتي الحنفي الذي تم استفتاءه استند في فتواه إلى أقوال الأئمة الحنفيين والمالكين معا:" واستفتى في ذلك العلماء الأعيان ومصابيح الزمان فأفتوه بأنه يسوغ له ذلك على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وقول ابن شعبان من الأئمة المالكية....."[1].

ونفس الأمر نجده في وثيقة أخرى حول تعويض وقف بآخر ؛حيث استند فيها إلى فتوى علماء المذهبين معا: "..... واعتمد في الإذن المسطور {إذن المعاوضة }مشهور مذهب الامام الأعظم ابي حنيفة رضي الله عنه وقول ابن شعبان من الأئمة المالكية رضي الله عنهم ....."[2].

ومن هنا نسجل التسامح الذي كان سائدا في مجتمع مدينة الجزائر والاحترام المتبادل بين المذاهب السائدة فيه لأنها كانت في أصولها واحدة تستمد قواعدها، وأسسها من الإسلام، ولم يكن الخلاف بينها في الأصول بل في الفروع، فتلك المذاهب كانت نتاج للاجتهاد، والتفقه في الدين من طرف كبار علماء المسلمين، وكانت تلك الحقيقة كما يبدو واضحة في أذهان سكان مدينة الجزائر ؛فوجد كل مذهب مكانا له دون المساس بغيره بل حدث نوع من التكامل بينهما لخدمة المجتمع وتيسير أموره بما يتوافق مع الشرع الإسلامي.

و قد كان لهذا التعايش بين المذهبين المالكي والحنفي انعكاسه الإيجابي على الحياة العلمية وتجسد ذلك في الجامع الأعظم الذي أصبح بمثابة دار للمناظرة وتبادل الآراء الفقهية بينهما[3].

---

[1] الوثيقة رقم 4 في العلبة10-2،المصدر السابق وأنظر أيضا الوثيقة رقم 45 "رسم تحبيس ذري مرجعه أوقاف الحرمين الشريفين ،في العلبة 119-120 تاريخها أواخر ربيع الأول 1107 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر وأنظر أيضا الوثيقة رقم79 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 31 " رسم معاوضة وقف بآخر تحت إشراف قاضي مدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها تحوي تاريخين أواخر صفر من عام 1087 هـ و تاريخ ربيع الثاني 1101 هـ

[3] وتجدر الإشارة إلى أن تلك المناظرات كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى حدوث خلافات بين ممثلي المذهبين ولاسيما إذا تشبث كل طرف برأيه وللتوسع أكثر بهذه القضية أنظر ,

DEVOULX Albert ,"Les Edifices Religieux...", p.107

و التي تجسدت في جلسات المجلس العلمي[1].

وشمل التسامح المذهبي في ظل الحكم العثماني أتباع المذهب الإيباضي، ونسجل لجوء بعض أتباعه مثل أفراد جماعة الجرابة إلى المذهب المالكي ،والحنفي لوقف أملاكهم وهذا ما نستخلصه من ما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية :

".....الحمد لله بعد أن ملك المعظم الأحضى الثقة.....السيد الحاج بلقاسم بن زكريا الجربي جميع الدار .....ثم أن المالك المذكور أراد تحبيس الأماكن المذكورة على نفسه ثم على أولاده من بعده ومرجع ذلك فقراء الحرمين مكة المدينة..... .....معتمدا في تحبيسه المرقوم على النحو المرسوم مذهب الإمام الأعظم-أبي حنيفة النعمان- وجل أكابر مشايخ مذهبه على مقتضى ما قيد في الورقة الملصق آخرها بأول هذا إنشاء الله تعلى ومقلد فيما ذكر من قال بصحة التحبيس المزبور على النحو المسطور من أيمة المالكية كابن شعبان وغيره واستفتى في ذلك علاء الوقت.....من مفتى وقاضي فأجيب بتسويغ ذلك....."[2].

و يندرج إدخال العثمانيين للمذهب الحنفي إلى مدينة الجزائر ضمن الآثار الإيجابية المترتبة في الناحية الدينية التي انعكست بدورها على الحياة الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر ولاسيما في مجال الأوقاف ولكنهم أدخلوا أيضا العديد من العادات التي كانت تعتبر بدعا أكثر من أي شيء آخر، نذكر منها على سبيل المثال إعطاء الفرد بظهره إلى الشمس حينما يتوقف في الشارع وعندما يكون جالسا ليتناول وجبة يضع قدمه اليسرى تحت اليمنى، وكذا الاعتقاد بالأرواح الشريرة إضافة إلى زيارة القبب بانتظام ،وإشعال المصابيح الزيتية ووضع الزهور لاسيما من طرف النساء لتدعيم التدخل الديني الذي يطلبنه بهدف إبعاد المصاعب الاجتماعية وغيرها[3]، التصديق بما يعرف بالدراويش[4].

---

[1] أنظر حول المجلس العلمي مبحث القضاء من هذا الفصل.

[2] الوثيقة رقم20،في العلبة10-2 ،مصدر سابق

[3] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.105

[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، صص.83 -86

و قد يكون مرد ذلك اعتقاد العثمانيين بما يعرف بكرامات الأولياء الصالحين و في هذا الصدد نورد ما ذكره هايدو في القرن10هـ(16 م): "...كل مركب كان يغادر مدينة الجزائر للغزو البحري أو التجارة كان عليه قبل ذلك أن يؤدي التحية للمرابط والولي الصالح المدفون خارج باب عزون في قبة أو ضريح[1] هناك على مرتفع كان يشرف على خليج مدينة الجزائر ،وكان يعرف بسيدي بتقة ؛حيث يلتفت كل أفراد طاقم السفينة باتجاه الضريح ويقولون بصوت مرتفع بسم الله بسم الله ويجب على المسيحيين المتواجدين على السفينة أن يقولوا معهم نفس العبارة "[2].

والسبب في ذلك أن سيدي بتقة –أبو التقا–هذا كان معاصرا لحملة شرلكان على مدينة الجزائر سنة1541م وساهم في هزيمتها بحسب اعتقاد سكان مدينة الجزائر حينها من خلال اعتكافه وصلاته، وصيامه منذ وصول حملة المسيحيين، وتسببه في العاصفة التي أودت بالأسطول من خلال ضربه البحر بعصاه وهذا ما عد من طرفهم من كرامات الأولياء الصالحين[3].

2–القضاء:

أ– القضاء و أجهزته المساعدة على تحقيق العدالة:

طبع التميز المذهبي جانب العدالة، والقضاء ؛فقد كان بمدينة الجزائر قاضيان قاضي للحنفية وقاضي للمالكية؛ فكان القضاة الحنفيون ينظرون في الخلافات والقضايا التي يكون العثمانين أو الكراغلة طرفا فيها في المحكمة الحنفية التي وردت الإشارة إليها في المصادر المحلية الأرشيفية وبخاصة في وثائق المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك وثيقة قضائية جاء فيها: "الحمد الله حضر بمحضر شاهديه وبالمحكمة الحنفية من بلد الجزاير المحمية الناسك الأبر الحاج محمد ....."[4].

---

[1] وقد خصص سكان مدينة الجزائر، وحكامها العديد من الأوقاف لصالح هذه الأضرحة وقد اهتمت عدة دراسات أكاديمية ومقالات بهذا الموضوع منها على سبيل المثال: ياسين بودريعة،أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف أد.عائشة غطاس،جامعة الجزائر ،السنة الجامعة 2006 -2007،وأنظرأيضا المقال الآتي: دويدة نفيسة ،المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية في **مجلة إنسانيات** المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الصادرة عن مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران ،عدد خاص بفضاءات وطقوس جنائزية، السنة التاسعة عشرة،عدد68،أفريل –جوان 2015

[2] HAEDO "Topographie…", In:**R.A.,** T.15, 1871,p.44

[3] DEVOULX Albert, "Les Edifices Religieux **…",** p.205

[4] الوثيقة 24 في العلبة 22–2، المصدر السابق

أما قضاة المالكية فكانوا يهتمون بالقضايا المتعلقة بالمسلمين أتباع المذهب المالكي[1] ؛ والذين كانوا يشكلون غالبية مجتمع مدينة الجزائر، وقد و رد ذكر المحكمة المالكية في الوثائق الأرشيفية ومن نماذجها عقد وقف ذري جاء فيه: "..... وكان ذلك كذلك حضر الآن بمحضر شاهديه بالمحكمة المالكية من بلد الجزاير المحمية بالله تعالى....."[2].

وكان قاضي الحنفية يمضي الرسوم، والأحكام بالمدد الأسود، في حين كان قاضي المالكية يمضيها بالمدد الأحمر، ولعل السبب في ذلك كان التمييز بين ما أصدره كل منهما[3].

ولم تكن الأحكام القضائية توقع من طرف القاضي بكتابة اسمه، كما هو الشأن لدى المسيحيين حسبما ذكره هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م)، وإنما كان يتم ذلك بواسطة ختم أو طابع مميز مصنوع من الذهب، أو الفضة شبيه بخاتم إصبع كبير، والرموز المتواجدة على الختم كان يختم بها من طرف القاضي على كل الأحكام القضائية بعد وضعه الختم في الحبر. وقد ذكر هايدو أن القاضي التركي العثماني الحنفي كان مقدما على القاضي المالكي ،وأنه كان يمكنه نقض أحكام هذا الأخير[4]،وإن صح ذلك فقد يكون مرده أن المذهب الحنفي كان بمثابة مذهب السلطة حينها مع العلم أن اصدار الأحكام أو نقذها لابد له أن يستند إلى خلفية شرعية.

وكان القضاة في مدينة الجزائر حسب جواؤ مسكغناس(JoâoMascarenhas)في القرن11 هـ(17م) شيوخ أغنياء مثقفين متفقهين في القرآن الكريم، وذوي سمعة طيبة وأنهم كانوا يصدرون أحكاما شفوية في كل القضايا ؛ إذ أنهم درسوا كل القوانين التي يطبقونها؛وهكذا ينزلون العقوبة أو يجرمون، أو يبرؤون مباشرة بناء على وثيقة {البينة} يقدمها الطرفان المتنازعان ،أو اعتمادا على شهادات الشهود الذين يجب تقديمهم مباشرة[5].

وهذا ما سبق أن تحدث عنه هايدو في أواخر القرن10 هـ(16م) حين ذكر أن القاضي كان ينظر ويحكم مباشرة في كل القضايا المدنية ،و الإجرامية ؛ إذكان يكفي تقديم الشهود ليصدر الحكم

[1] HAEDO, (F.D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,pp. 466- 467

[2] الوثيقة رقم45 في العلبة19 –2،المصدر السابق

[3] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.84

[4] Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871, p. 468

[5] Mascarenhas, Op.cit., p. 96

ولتنتهي الجلسة[1] ؛فكان نظام العدالة سريعا ،ومختصرا،حياديا[2] يستمد أحكامه لدى أتباع المذهبين من الشريعة الإسلامية، فلم تكن المحاكمات لتستمر أكثر من بضع ساعات إلا نادرا وقد كان يتوجب قبل أن تعرض أي قضية على القاضي دفع موزونة-عملة نقدية- والتي كانت تستخدم في كتابة الأحكام، وعشرة بالمائة عند تقسيم التركات[3].

وكان يساعد القاضي في أداء مهامه مجموعة من الكتاب الذين كانوا يسجلون، وينقلون الأحكام والعقوبات الصادرة عن القاضي؛ ويسلمون نسخا منها[4] لمن يطلبها من الأطراف المتنازعة، أو المعنية بالقضيةوكان هؤلاء الكتاب يعرفون بالعدول وشهود القاضي،و الملاحظ أيضا أنه لم يكن هناك وجود للمحامين في التنظيم القضائي في مدينة الجزائر[5].

وكان للعسكر،أو الإنكشارية محكمة خاصة بهم لا يحضرها أجنبي عن العسكر[6].و كانوا عرضة لتنفيذ الأحكام بمقتضى قانونهم الحنفي[7] المستمد دائما من الشريعة الإسلامية ولكن الأحكام كانت تطبق عليهم خفية ،وفي سرية؛ حيث كانت تنزل عليهم العقوبة في منزل أغا القمرين بعيدا عن أنظار بقية السكان[8].

ويمكن اعتبار ذلك نوعا من التمييز بين الإنكشارية، وبقية سكان مدينة الجزائر الذين كانت تطبق فيهم الأحكام علنية ،ولكننا نلمس دوما العدالة من حيث خضوع هؤلاء للمحاسبة أو خضوعهم للعقوبات إن أجرموا؛ أي بمعنى آخر كانوا يعاقبون كغيرهم ،وإن تم ذلك؛ فكان يتم

---

[1] Topographie…", In:**R.A.**, T.15, 1871, p.468

[2] وليم سبنسر، مرجع سابق، ص.108

[3] Mouloud Gaïd,. Op.cit, p.203

[4] و ما ورد في عقود المحاكم الشرعية يدل على وجود عملية نسخ العقود والأحكام القضائية لصالح الأطراف المتقاضية وهذا ما نستخلصه من ديباجة عدة عقود حيث ترد فيها العبارة الآتية :"الحمد لله هذه نسخة رسم تنقل هنا للحاجة إليه والتوثق به....."أنظر على سبيل المثال لا الحصر :الوثيقة رقم 5 في العلبة 29-30،المصدر السابق

[5] Haedo ,Topographie…" :In, **R.A.**, T.15, 1871, p. 468

[6] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.86

[7] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.109

[8] Mouloud Gaïd , Op.cit., p. 203

في السرية[1] ربما بهدف الحفاظ على هيبة المؤسسة العسكرية، وإعطاء العامة شعورا بالثقة في حراسة المؤسسة الرسمية للنظام العام ،ثم إن هذا لا يختلف عن ما يسمي اليوم بالمحاكم العسكرية الخاصة بالجيش.

و كان لليهود في مدينة الجزائر قضائهم الخاص بهم وفق قوانينهم الخاصة ،وكانت السلطة القضائية لديهم خاضعة للمقدم أي رئيس الطائفة اليهودية، ومطبقة بتفويض من محكمة حاخامية مؤلفة من ثلاثة قضاة، وهكذا كان لهم حرية التقاضي لدى محاكم خاصة بهم مستقلة عن السلطة الإسلامية وفق تشريع وضعه رجال دينهم[2].

وهذه صورة من صور التسامح الديني إلى جانب حرية العبادة، ولكن المثير للاهتمام هو أن اليهود كانوا كثيرا ما يشتكون من عدم الثقة في محاكمهم التي عرفت بفسادها، وعدم نزاهتها وتحيزها لطرف ضد الآخر، وأحكامها الظالمة نتيجة لتلقيها الرشاوى، على عكس نظام القضاء الإسلامي حينها في مدينة الجزائر الذي تميز بكونه قضاء عادلا ذو مستوى أخلاقي عالي بشهادة بعض اليهود أنفسهم.

و ما يدعم ذلك لجوء الكثير من اليهود إلى المحاكم الإسلامية للبت والفصل في منازعاتهم وفق المبادئ القرآنية؛ حيث كان اليهود يفضلون أحكامها بالمقارنة مع عدالتهم التي لم تكن إسما على مسمى، وهذا ما عرض الكثير منهم للانتقادات اللاذعة ،واعتبار ذلك لاسيما من طرف رجال دينهم المتشددين بمثابة خروج عن الدين وعصيانا لتعاليمه، لكن هذا لم يمنع اليهود المناشدين للعدالة من اللجوء إلى المحاكم الإسلامية[3].

و ما يؤكد ذلك ما ورد في بعض عقود المحاكم الشرعية التي توضح بشكل جلي لجوء اليهود لمحاكم المسلمين حتى في القضايا التي لا يكون المسلمين طرفا فيها ومن أمثلة ذلك وثيقة تعود

---

[1] فحسب قانون السلطان العثماني مراد الأول(1362-1389م) يجب أن يحاكم الإنكشاري محاكمة سرية من طرف ضباط الجيش وعلى رأسهم الآغا وتتراوح العقوبة المفروضة عليهم بين السجن ،والجلد ،والإعدام الذي كان ينفذ سريا في جنح الظلام .:أنظر : جميلة معاشي ،" الإنكشارية ..."، ص. 33

[2] Mouloud Gaïd , Op.cit., p.203

[3] EISENBETH (M), Op.cit., p.167 voir aussi فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص.156

لسلسلة المحاكم الشرعية تتناول إشهاد بإثبات ملكية يهودي[1] لعلوي وكذا بيع ورثته لهذا العلوي بعد وفاته ليهودي آخر وقد تم تدوين ذلك لدى المحكمة الحنفية وكل الأطراف المعنيين من أهل الذمة اليهود ونص ذلك كالآتي :

"..... الحمد لله الذي يشهد به .....بمعرفة الذمي شلوم اليهودي معرفة تامة معتبرة شرعا يشهد فيها.....أن له ملكا من جملة أملاكه جميع العلوي الكاين بدار اللحم المجاور لعلوي موسى اليهودي.....قيد رسم اتباث الملكية لدى الشيخ الفقيه .....أبي البنا السيد محمد أفاندي قاضي الحنفية.....وتوفي المالك شلوم المذكور عن زوجته الذمية طنيبنة وولديه منها شلومي الكبير الملك أمر نفسه وإبراهيم الصغير المستقر إلى نظرها..... وكان ذلك كذلك حضر الآن لدى شهديه بالمحكمة الحنفية.....الذمي شلومي المذكور في حق نفسه والذمية طنيبنة في حقها وحق ابنها ابراهيم.....وباعا صفقة واحدة .....من الذمي هارون اليهودي .....جميع الربع المذكور....."[2].

و ما يؤكد أيضا لجوء اليهود للقضاء الإسلامي ما ورد في تكانوت الجزائر[3]،وتحديدا في مادته الثامنة التي تنص على عدم جواز رفع أي قضية أو نزاع بين الزوج وزوجته أمام أي محكمة أخرى غير محاكم اليهود[4].

وقد كان للأوروبيين في مدينة الجزائر أيضا محاكمهم ،وقوانينهم الخاصة بهم ،وقد كانت هذه القضايا، والنزاعات بين الأوروبيين تحل من طرف محاكم خاصة يشرف عليها القناصل في القنصليات[5] بل وكان من حق الأسري العبيد المسيحيين أن يشتكوا للقضاء من سوء معاملة

---

[1] أنظر الفصل الخامس في الباب الأول من هذا العمل.

[2] الوثيقة رقم 10 "رسم إثبات ملكية وبيع وشراء بين أفراد من أهل الذمة"، في العلبة 119-120 تاريخها 1175 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] وهو القانون الديني الذي كان يحدد حقوق ووجبات اليهود في مدينة الجزائر وغيرها من المناطق التي استقروا بها في الجزائر وخاصة ما يتعلق بالناحية الاجتماعية والرابطة الزوجية أنظر:

EISENBETH (M), Op.cit , pp.165-167

[4] Ibid.,p.165

[5] Mouloud Gaïd, Op.cit.,p.203

أسيادهم ؛حيث كان يتم إنصافهم عندما تكون شكواهم صحيحة[1].

مع العلم أن القضايا، والخلافات، والمنازعات التي كانت بين مسلم ويهودي، أو بين مسلم ومسيحي كان يتم البت فيها من طرف المحاكم الإسلامية ،ومن طرف الباشا كحالات الإجرام و المسائل الجنائية عامة ،ومختلف القضايا التي كانت تمس بأمن الدولة ،وكل ما قد يصيب المسلمين بضرر كالقتل، وقطع الطريق،والإساءة للديانة الإسلامية ،وغيرها من القضايا.

وكانت ترفع لدى المجلس الشرعي[2] ،أو العلمي القضايا المستعصية والمشاكل العويصة والمنازعات الصعبة، فكان بمثابة محكمة الاستئناف، تراجع فيه الأحكام، وكان يقوم أيضا بالإشراف على تسيير الأوقاف وبخاصة أو أوقاف الحرمين الشريفين ومقر انعقاده كان الجامع الكبير وكان يتألف من أربعة أعضاء وهم : القاضي والمفتي الحنفيين و القاضي والمفتي المالكيين [3]، وأحيانا كان يحضر المجلس حاكم الجزائر،أو ممثل عن المؤسسة العسكرية ،والذي كان يعرف بالبيباشي ،وقد ورد ذكره في إحدى الوثائق المتضمنة قضية بث بها المجلس العلمي ؛حيث تم الإشارة إلى حضوره عند التطرق للحكم ،ونص ذلك:".....بمحضر المعظم محمد بيباشي الموجه من قبل العسكر المنصور لحضور المجلس المرقوم بتاريخ أواخر شهر رمضان قدره من عام خمسة

---

[1] Hebenstreit Op.cit., p.24

[2] وقد ذكرت الأستاذة الباحثة فتيحة الوليش في دراستها الهامة عن الأسرة في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 -19 م أن المجلس العلمي أو الشرعي كان جهاز أو هيئة تبرز المكانة المتميزة للجزائر كولاية ممتازة في إطار الدولة العثمانية على اعتبار أن تواجد هذا الجهاز اقتصر عليها، وعلى تونس ،ولم يكن لديه نظير لا في عاصمة الدولة العثمانية ،ولا في ولاياتها المشرقية فهذه الاخيرة كانت تخضع للسلطة المباشرة لشيخ الإسلام وهو مفتي إسطنبول الذي كان يترأس هيئة فتوى وقضاء تعرف بمشيخة الإسلام ؛والتي كانت تشتمل على جماعة من العلماء، والفقهاء كان لهم دور جد هام وحساس ضمن أجهزة الدولة العثمانية وتؤكد الأستاذة الباحثة أن المجلس العلمي في الجزائر كان يؤدي مهامه بصورة ذاتية بعيدا عن مؤسسة مشيخة الإسلام فقراراته لم تكن تخضع لموافقة واقرار هذه الهيئة على عكس ما كان عليه الحال في بقية ولايات الدولة العثمانية للتوسع أكثر أنظر: Fatiha Loualiche, Op.cit , pp.273-274

وقد أولت الدراسات التاريخية الاكاديمية اهتماما بهذه المؤسسة الهامة وإن ركزت فيها على القرنيين 18 م و19 م مثلا: لطيفة حمصي- المجتمع والسلطة القضائية "المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر نموذجا(1122 -1246 هـ/1710 -1830)،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف أد. عائشة غطاس ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2010 -2011

[3] وتجد الإشارة إلى أن المفتي المالكي كان مقيما في ملحق من ملاحق الجامع الأعظم وهناك كان يتم استفتاءه و استشارته، وهناك كان يصدر قراراته الشرعية وقد كان يشرف أيضا على أوقاف الجامع الأعظم.

DEVOULX Albert, "Les Edifices Religieux ...", p. 99

و ماية{كذا} وألف ...[1].

ويذكر ألبير دفوا أن الييباشي كان مكلفا بمهمة مزدوجة أولا تمثيل السلطة الحاكمة في المجلس العلمي وأن يحرص على أن تحترم قراراته من طرف الأتراك العثمانيين الذين يمثلون أمامه.[2] كما كان يضم المجلس باش عدل ،وعدل مرتبطين بالمجلس[3].

و ما تجدر الإشارة إليه هو أن جلسات هذا المجلس كانت تعقد داخل الجامع الأعظم إذ كان الخصوم من المسلمين، وإن كان من بينهم نصارى، أو يهود ؛فقد كان أعضاء المجلس يخرجون إلى صحن بجانب الجامع ،وهناك كانت تقام الجلسة[4].

---

[1] الوثيقة رقم3"رسم تحبيس لأوقاف بإشراف المجلس العلمي والموثق بالجزائر في العلبة76 -1 تاريخها 1105 (م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] ومدام للإنكشارية محاكمهم الخاصة كما تم الإشارة إليه سابقا ؛فمثول الأتراك العثمانيين أمام المجلس العلمي يعني مثولهم في القضايا التي كانت تجمعهم ببقية سكان مدينة الجزائر بما في ذلك القضايا التي كانت تجمع بين ممثلي السلطة وموظفيها ،والأجهزة التابعة لها وأفراد الرعية و مثولهم يدل من ناحية أخرى على المكانة والسلطة التي كان يحظى بها المجلس العلمي كمثال على ذلك أنظر: الوثيقة رقم 6 "حل نزاع حول تعويض الضرر الملحق بسبب اغتصاب وقف أو حبس" من المجموعة 3205 تاريخها أواخر رمضان 1233 هـ/1817 من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية ملخص الوثيقة : تتضمن قضية طرحت على المجلس العلمي للبث فيها ؛حيث قام الداي السيد علي باشا بغصب شطر دار ثم تحبيسها و وقفها وقام بإدخاله داخل أسوار القصبة وهكذا بقي شطر الثاني من الدار متعطلا لا ينتفع به لأن الاستفادة منه لا تحصل إلا بالدار أكملها ولهذا نجد أن أحد ممن أوقفت عليهم الدار المذكورة وهو السيد حسن قام مدعيا على السيد حسن باشا الذي خلف السيد علي باشا فوجهه هذا الأخير للمجلس العلمي ليبث في هذه القضية وقد حكم لصالح المدعى ؛حيث تم تعويضه من طرف السيد حسن باشا بمنحه جميع جلسة الحانوت الكاينة قرب بيت المال لتلحق بتحبيس الدار المذكورة عوضا عنها .ويمكن أن نعتبر ذلك كدليل على استقلالية القضاء ودوره في الحد من التجاوزات التي كان يمكن أن يقع فيها ولاة الأمور من الحكام، وكبار الموظفين.

[3] DEVOULX Albert ,"Les Edifices Religieux ...", p. 99

[4] ونشير في هذا المحل إلى أننا عثرنا في عقود المحاكم الشرعية على إشارة تفيد بانعقاد المجلس العلمي بدار الإمارة بمدينة الجزائر:".....ترافع مع الحاج مصطفى المذكور بمجلس علمي بدار الإمارة العلية لدى.....أبي العباس أحمد باشا أيده الله ونصره حضره الشيخان الفقيهان .....المفتيان بالبلد المذكور حين التاريخ وهما الفقير إليه سبحانه حسن بن علي وفقه الله و الفقير إلى الله الرحمن ....."أنظر الوثيقة رقم 2 ،قضية عرضت على المجلس العلمي بمدينة الجزائر ،في العلبة119-120تاريخها أواسط جمادى الأخرى عام 1067 هـ(1657م) ورد ذكر انعقاده في وثائق أخرى في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي أنظر: الوثيقة رقم 9 ،رسم وقف ذري بإشراف القاضي الحنفي ،في العلبة 119-120، تاريخها =

ونجد في الوثائق العائدة إلى الرصيد العثماني،و بالضبط في سلسلة المحاكم الشرعية عدد من القضايا التي بث فيها المجلس العلمي لمدينة الجزائر، وعلى سبيل المثال وثيقة تعود إلى القرن 11هـ(17م) وتحديدا لسنة 1687م ومن خلالها يمكننا أن نستخلص العديد من المعلومات منها أعضاء المجلس العلمي ،و أنه كان بمثابة آخر محطة يلجئ إليها المتنازعين و كذا احدي أنواع القضايا التي كان يبث فيها ،وطريقة إيجاده للحلول المناسبة للخصومات- وتتناول هذه الوثيقة خلافا حدث حول دار تركها المتوفي المعظم الحاج شعبان بن آغا ابن يوسف حيث انتقلت تملك هذه الدار لورثته وهم زوجه أم حسن بنت احمد و أولاده منها حسين وعبد الرحمن ومن غيرها يوسف وسبب النزاع الذي وقع هو إدعاء ابن المتوفي يوسف أن ولده الحاج شعبان كان قد حبس عليه خلال حياته جميع الدار المذكورة وعلى أعقابه وأعقابهم وكتب على نفسه رسما بذلك ولكن زوجة والده أم حسن قامت بتغيبه عنه- أي أخفته- وأنكرت هي وولديها حسين وعبد الرحمن أن الهالك المذكور لم يتقدم له في الدار المذكورة عقد تحبيس ولم تخرج عن ملكه إلى أن توفي فيها وطال النزاع بين الفرقين وتكرر ترافعهما في القضية إلى مجالس الحكام المرة بعض المرة إلى أن ترافعا للمجلس العلمي المنعقد للقضية المذكورة وغيرها بالجامع الأعظم من البلد المسطور[1].

وحضر الشيخان ا لفقيهان العالمان الملان{كذا} الخطيبان الباليغان{كذا} المفتيان {كذا} بالبلد المذكور وقتيذ{كذا} وهما الفقير إلى الله سبحانه محمد بن مسلم وفقه الله والفقير إلى الله تعالي محمد بن سعيد وفقه الله و الشيخ الفقيه النبيه الصدر الوجيه الحبر النزيه السيد علي ابن الشيخ محمد قاضي الحنفية في التاريخ الواضع اسمه، و طابعه اعلاه {كذا} دام علاه والشيخ الإمام العلامة النبيه الصدر الوجيه المدرس المحقق الوارد المدقق الناظر في الأحكام الشرعية وتحري القضايا

=1107هـ(1696م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري وهذه الإشارات تدفعنا للتساؤل هل عقدت هذه الجلسات للمجلس العلمي قبل اتخاذ الجامع الأعظم كمقر لاجتماعه ؛أم أنها حالات استثنائية وهو الأمر الذي يحتاج إلى دراسة لكل عقود المحاكم الشرعية التي تطرقت إلى القضايا التي بث فيها المجلس العلمي بمدينة الجزائر. وعن مسألة عقده في صحن الجامع أنظر:

نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.86 و أنظر أيضا: Mouloud Gaïd, Op.cit., p.203

[1] الوثيقة رقم9 "رسم تحبيس لأوقاف بإشراف المجلس العلمي والموثق بالجزائر في العلبة 27 تاريخها 1099 (1688م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

الدينية ساعتين بالبلد المذكور الواضع اسمه معقود فيه احسن{كذا} الله اليه {كذا} ورحم ابويه{كذا} وهو أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن وفقه الله ابقي الله تعلى بركتهم، وحرصهم وقد قام كل من الفرقين بعرض شكواه وأدلته وبراهينه ثم أن العلماء تاملوا من دعوا كل من الفرقين تاملا {كذا} تاما كافيا و امعنوا{كذا} في قضيتهما إمعانا شافيا فظهر لهم ان {كذا} الأبقي{كذا} والأليق في القضية المذكورة الصلح لما في تركه من اثارة{كذا} القطيعة والشحناء بين ذوي الرحم و اسروا {كذا}على الفرقين المذكورين بان يمضوا في تحبيس الدار المذكورة عليهم جميعا سوية ثم على عقبهم وهذا ما تم برضى{كذا}الطرفين[1].

و نلاحظ من خلال هذه الوثيقة أيضا أن المجلس العلمي أخد بعين الاعتبار عند إصداره لحكمه العلاقات العائلية ؛أي صلة الرحم، والقرابة التي بين المتخاصمين بإصداره حكما يضمن المحافظة على هذه الصلة التي أوصي الإسلام برعاية حرمتها وأداء حقها أشد الوصاية ،وكذا إرضاء الأطراف المتنازعة في نفس الوقت، وهنا يمكننا الحديث عن دور القضاء حينها الذي لم يقتصر في حل النزعات والخلافات بين أفراد المجتمع فحسب ،ولكن في المحافظة على الأواصر العائلية ومن ثم على تماسك المجتمع.

و نستدل على هذا الحرص الذي كان يبديه القضاء في المحافظة على صلة الرحم في أوساط المجتمع من خلال قضية أخري بين أب ،وابنتيه حول محصول حبس ذري متمثل في المبلغ المحصل من كراء الديار الثلاثة ،وعلويين ،وحوانيت، وكذا حول حصتهما من تركة والدتهما حكم المجلس العلمي فيها بالصلح صلحا اعتبره الخصمان بمثابة حد نهائي لخلافهما، حيث جاء فيه ما نصه :" ...فوافقا على ذلك وتراضيا عليه موافقة و رضى{كذا} تامين وجعل الفريقان المذكوران هذا الصلح بينهما قاطعا للنزاع وحاسما لمادته بحيث لم يبق لواحد منهما قبل الاخر{كذا} بعد هذا الصلح دعوا ولا مطلب ولا تباعة{كذا} اصلا{كذا} بوجه و لا حال ثم أن السيد محمد المذكور سال{كذا} من العلماء المذكورين أسعدهم الله تعلى الحكم بصحة الصلح المرقوم فاجبوه{كذا} إلى ذلك واشاروا {كذا} على السيد القاضي الحكم بصحة الصلح المرقوم بين من ذكر فاجابهم{كذا} الى ذلك واشهد{كذا} شهديه على نفسه الكريمة انه{كذا} حكم

[1] المصدر نفسه

بصحة الصلح المرقوم حكما تاما انفده{كذا}وامضاه{كذا} واوجب{كذا} العمل بمقتضاه...."[1].

ومن ما سبق نلاحظ أن أحكام هذا المجلس كانت تعتبر بمثابة حل حاسم للخلافات وهذا ما يجعلنا نستشف أمرين هامين وهما:

في المقام الأول مدى فاعلية هذا المجلس في حل النزعات و ثانيا مدى الالتزام في أوساط مجتمع مدينة الجزائر بالأحكام الصادرة عن القضاء لالتزامه الحياد وسهره، وحرصه على تطبيق العدالة وكذا استقلاليته، واستناده إلى أحكام الشريعة الإسلامية، مع مراعاة الحفاظ على أواصر العلاقات الأسرية ،والقرابة قدر الإمكان.

و نسجل هذا الحرص الذي أولاه القضاء للمحافظة على التفاهم، وأواصر العلاقات بين أفراد الأسرة ودائما من خلال وثائق المحاكم الشرعية وتحديدا من خلال ما ورد في العديد من الرسوم الخاصة بتقسيم التركات، وهو اللجوء إلى ما يعرف بالمفاصلة بين الأطراف المستحقين للتركة حيث يتم الاتفاق بصورة تسمح لكل طرف مستحق للميراث أن يأخذ من التركة ما يناسبه ولاسيما فيما يتعلق بالأملاك العقارية وذلك بالطبع في إطار مراعاة الحصة الشرعية المخصصة لكل طرف ونذكر على سبيل المثال-لا الحصر-ما ورد في احد رسوم تقسيم التركات :

".....وذكر الزوج والأخت المذكوران شهيديه أنهما اقتسما ما خلفته الهالكة المذكورة من أسباب وأثاث وحلي وأواني نحاس على مقتضى ارثهم فيها وتوصل الزوج المذكور لما صار له ولابنته من ذلك كما توصلت الأخت المذكورة لما صار لها من ما ذكر التواصل التام وتفاصلوا في جميع ما خلفته الهالكة المذكورة من المال وغيره مفاصلة تامة مطلقة عامة لا تعقبها مطالبة ولا نزاع و لا خصام بحيث أنه لم يبقى للزوج المذكور ولا لابنته المذكورة قبل العاصبة المذكورة{وهي أخت المتوفاة}و لا لها قبلهما في جميع ما ذكر.....بقية حق و لا دعوى ولا مطالب أصلا بوجه و لا حال وخلص الأن للبنت قادن المذكورة بالاسترداد والتصير{وهذا هو أساس المفاصلة}المذكورين تملك جميع الدار القريبة من سيدي علي الفاسي كما خلص للعاصبة قامير

[1] الوثيقة رقم3" في العلبة76 -1، مصدر سابق أنظر أيضا: الوثيقة رقم42 "حل خلاف بين شركاء في ملكية دار بإشراف المجلس العلمي بمدينة الجزائر، في العلبة 109-110،تاريخها أوايل جمادى الأولى عام 1103هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

المذكور بما ورثته من شقيقتها المذكورة وما استردته تملك جميع الدار الكاينة اسفل دار الانكشارية القديمة....."[1].

و كانت تشريعات، وأحكام القضاء مستمدة من الشريعة الإسلامية فضلا عن اجتهادات القضاة التي كانت لا تخرج عن هذا الإطار، فأحكام القضاء كانت تتسم بالنزاهة والإنصاف والتنفيذ الفوري الغير قابل لتماطل، وهو الأمر الذي أشاد به سرفانتيس[2] عبر العديد من كتاباته حيث تحدث عن فاعلية القضاء الإسلامي بالنظر إلى تماطل ،و تعقيدات القضاء الإسباني التي عانى كثيرا منها بعد عودته من الأسر بمدينة الجزائر.[3]

وهذا ماذهب إليه لوجي دوتاسي حين قال لا شيء أسرع من نظام القضاء الجزائري إذ ذكر أنه لم يكن متعفنا –على حد تعبيره–على عكس ما كان عليه الجهاز القضائي في أوروبا وأرجع ذلك لعدم وجود المحامين ،والوكلاء الذين كانوا يهدفون إلى تدليس، وتزوير الحقائق وإلباس الباطل لباس الحق ، وإخفاء حق الأرملة ،واليتيم مشيرا إلى أن البعض قد يعترض على قوله بحجة أن هذه السرعة في إصدار الأحكام يمكن غالبا أن تؤدي إلى ارتكاب الأخطاء فيجيبهم أنه فضلا على أن قضية ما تبدو عادة أوضح عند عرضها ببساطة بدل إغراقها في كم من الكلام والكتابات؛ فإنها تزداد غموضا، وتعقيدا بمرور الوقت.كما أشار إلى عقوبة شهادة الزور ،ممن يدعون على غيرهم بغير وجه حق أي يشهدون بالباطل ، وهي عقوبة الجلد؛ حيث كانوا يتلقون 200 جلدة[4].

وكان للأصحاب الدعاوى، والشكاوى أن يقصدوا الباشا لعرض قضاياهم ؛إذ كان يمثل السلطة العليا؛ إذ كان هذا الأخير يجلس في مقر حكمه بقصره قصر الجنينة من شروق الشمس إلى غروبها للاستماع إلى شكاوى رعاياه ولم يكن يتغيب إلا للذهاب خمسة مرات للجامع لأداء الصلوات،و لتناول وجبة في المساء وقد كان يقضي وحده فيما يتعلق بالقضايا المتعلقة بالزواوة

[1] الوثيقة رقم 19 في العلبة 119-120، المصدر السابق وأنظر في نفس السياق الوثيقة رقم 26 في العلبة 5-1 ،المصدر السابق

[2] أنظر الفصل السادس في الباب الأول من هذا العمل

[3] Emmanuel Roblés,Op.cit., p.31

[4] Laugier de Tassy , Op.cit.,T.2. pp.109 -110

وهم الجنود الذين كانوا لا ينتسبون للإنكشارية وفي القضايا التي يرفعها اليهود إليه وغيرهم من سكان مدينة الجزائر المسلمين ،في حين أن المسيحيين كانوا يحاكمون من طرف قناصلهم – كما سيأتي ذكره- إذ كان الموضوع يتعلق بخلافات مدنية أو جزائية فيما بينهم لكن عندما تتعلق القضية بخلاف بين مسيحي ويهودي ،أو بين مسيحي ومسلم فإن على المسيحيين في هذه الحالة رفع قضيتهم إلى الباشا للبث فيها[1].

و كانت سلطة الباشا تمتد بحسب ما ذكره كرنيلوس بجناكر في القرن 11 هـ(17 م) لتشمل جميع سكان مدينة الجزائر باستثناء الإنكشارية الخاضعين لسلطة الأغا، و الديوان الذي كان يقوم بمقاضاتهم في القضايا التي تتعلق بالقانون المدني كما في القضايا التي تتصل بالقانون الجزائي – العقابي – وكان هذا الإجراء يمتد ليشمل عائلات الإنكشارية أيضا[2].

ولابد هنا من تقديم تعريف بالديوان الذي كان يعد من بين أجهزة السلطة والإدارة التي استحدثت بقيام نظام الحكم العثماني في مدينة الجزائر وكانت لديه صلاحيات تمس أيضا بجانب القضاء خاصة ما يتعلق بالإنكشارية كما سبق ذكره وعرفت هذه الهيئة تطورا ملحوظ في عهد الباشاوات بعدما كان مقصورا على الحكام، والضباط السامين و بعض أعيان البلاد وعلماءها خلال مرحلة البايلربايات[3].

و من المؤكد أن هيئة الديوان أضحت أهم مؤسسة على مستوى الحياة السياسية ابتداء من مطلع القرن 11 هـ(17 م) حيث أن جل القضايا المتصلة بالسياسة الخارجية والأوامر السلطانية وما إلى ذلك[4] كانت تعرض في الديوان[5]. وهذا ما ذهب إليه دوبرقي في مطلع القرن

---

[1] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.137

[2] Ibid.,p.138

[3] أزرقي شويتام ،"المجتمع الجزائري... " ،ص.35

[4] ويبدو أيضا أنه كان ينظر فيه إلى القضايا التي تشغل أفراد مجتمع مدينة الجزائر ؛حيث ذكر الأب دان خلال القرن 11 هـ(17م) أن الأفراد الذين كان لديهم قضايا يعرضونها على الديوان سواء كانوا من المسيحيين ،أو الأتراك أومن بقية السكان المسلمين كان يمكنهم الوقوف عند مدخل مجلس الديوان في انتظار دورهم لعرض قضيتهم وعند هذا المدخل كان يوجد عدد من الشواش الذين كانوا يتحركون جيئة وذهابا بين الجموع وهم يحملون جرار مليئة بالماء لتقديمه لمن يطلب الشرب ،و الارتواء. أنظر:
Dan (R.Père François Pierre), Op.cit., p.113

[5] عائشة غطاس، "النظم الإدارية المركزية.."، ص. 112

11هـ (17 م)[1].وهذا ما نستشفه أيضا من خلال ما ذكره جووا مسكغناس أيضا في مطلع القرن 11 هـ (17 م) بقوله أن السلطة الرئيسية في مدينة الجزائر الأولى في كل الأمور سواء في السلم أو الحرب هي سلطة الديوان[2].

وذكر الأب دان بدوره هذه الهيئة في القرن 11 هـ(17 م) بقوله:" الديوان في الحقيقة هو مجلس الدولة في مدينة الجزائر وفي كل البلاد وهو مشكل من كل ضباط الجيش ويعقد 4 مرات في الأسبوع: يوم السبت وهو يوم الديوان الكبير، والأحد، والاثنين والثلاثاء حيث يعقد يوم السبت في حصن القصبة أما في بقية الأيام –أيام الديوان الصغير –فكان يعقد في الساحة الكبيرة ببيت الباشا والمقصود بها قصر الجنينة والباشا نفسه لا يمكنه حضور جلسات الديوان إذ لم يستدعى من طرف هذا الأخير عن طريق شاوش الديوان الذين يقوم بمهمة دعوته"[3]. وذكر أيضا أنه كان من الممكن لبعض اجتماعات الديوان أن تستمر لست أو سبع ساعات متواصلة[4].لا ومما سبق نستخلص أنه لا يمكن الحديث عن ديوان واحد بل عن ديوانين و هما :

–الديوان الكبير:

1–تعريفه:

كان يعقد بصورة عامة في اليوم الأول من الأسبوع الذي كان يعرف بزوما إرتيسي[5]؛ والتي تعني باللغة التركية العثمانية اليوم الذي يلي يوم الاحتفال– الذي يقصد به يوم الجمعة–أي يوم السبت في الحالات العادية ويذكر بتي دولاكروا أنه في اليوم الذي كان ينعقد فيه اجتماع الديوان الكبير كان يتم أيضا تغيير حراس أبواب المدينة.[6] يضاف إلى ذلك الاجتماعات الاستثنائية التي كان يعقدها الديوان الكبير للبث في قضايا هامة مثل الاستماع إلى أحد السفراء الأجانب،أو من أجل التحقيق في قضية خيانة يتم اكتشافها وإدانة مرتكبيها وكان يعقد في القسم الأعلى من المدينة

[1] De Bereves, Op cit.,pp.374-375
[2] Mascarenhas, Op.cit.,pp.97
[3] Dan (R.Père François Pierre), Op.cit .,p.113
[4] Ibid.,p.114
[5] Zuma ertesi en turc moderne Cumartesi le jour après vendredi samdi voir Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.131
[6] Pétis de la Croix ,Op.cit.,p.13

وتحديدا في القصبة ،ولكنه أيضا كان يعقد في قصر الباشا–والمقصود به قصر الجنينة– الذي كان يقع في القسم السفلى من المدينة القريب من البحر[1].

وقد كان يضم هذا الديوان الباشا و الأغا، و ضباط الجيش ،وممثلي السلطة الدينية القاضي والمفتي الحنفي، و ممثلين عن رياس البحر ،وممثلين عن سكان مدينة الجزائر من الأعيان والعلماء إذ كان يضم عدد اكبيرا من الأعضاء[2].

وكان الديوان الكبير يهتم حسب ما ذكره كورنيلوس دو بنجاكر في القرن 11هـ (17 م) وتحديدا في سنة 1626م بكل القضايا العامة التي تهم الدولة مثل المراسلات مع القوي الأوروبية و مع الباب العالي، والغنائم ،ومحاكمة الإنكشارية ، ودفع رواتب الإنكشارية ،و النظر في القضايا التي كان يعرضها مبعوثي الدول الأوربية و ممثليهم الديبلوماسيين مثل قضايا فداء الأسرى أو استعادة السلع التي كان يتم أخدها في إطار الغنائم البحرية[3].

وقد وجدنا لدى كورنيلوس دو بنجاكر في القرن 11هـ (17 م)وتحديدا 1626م و صفا دقيقا لجلسات هذا الديوان من حيث التفصيل في ذكر أعضاءه وأيضا من حيث المراسيم –البرتوكول – الذي كان متبعا من خلال جلساته من حيث توزيع الحاضرين وطريقة التصويت فيه لاتخاذ القرارات ،ويبدو لنا أن هذا المصدر انفرد بهذه المعلومات وبالأخص التفاصيل؛ فحرصنا على إيرادها فيما يلي لمزيد من التوضيح .

2–جلساته :

"...و كان يحضر لهذا الديوان أولا رئيس الديوان الكبير"الآغا"[4]،و الباشا والذي كان يحق له رفقة المفتي الحنفي بالجلوس ومن أعضائه أيضا الأميرال–القائد الأعلى للأسطول– الذي كان يحق له بالجلوس أيضا والسفراء الذي كان يتم استقبالهم في المجلس كان يحق لهم الجلوس أيضا كما سمح بذلك لمبعوثي الباب العالي ،ولم يكن يتمتع بقية الحاضرين بهذا الحق وعلى يسار المجلس كان يتواجد أولا الأغا القائد الأعلى للإنكشارية ومباشرة خلفه ودون أي ترتيب أو نظام المعزولين آغا

[1] Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.131
[2] Claude BONTEMS, Op.cit.,p.38
[3] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.134
[4] Dan (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.113

وهم قدماء الأغاوات الذين أحيلوا على التقاعد وفي سنة 1626 م كان عددهم يتجاوز 800 معزول آغا[1] وبجانب الأغا كان يتواجد كاهية الأغا أي نائبه الأكبر في تنظيم الإنكشارية ليس من حيث العمر ولكن من حيث سنوات الخدمة في صفوف الإنكشارية، وفي الأسفل على الساحة المكشوفة كان يقف ألف وأربعمائة بولكباشي وذلك دائما سنة 1626م وقد كانوا يصطفون في أربعة عشر صفا في كل منها مائة رجل ولم يكن يتم بلوغ هذا العدد إلا إذ لم يغادروا المدينة في حمالات –مثلا في إطار المحلات لجباية الضرائب –على يمين الباشا في الأسفل من ناحية الأعمدة في مواجهة البولوكباشية كان يقف الأوذباشيات، أو الأوضاباشيات موزعين على أربعة صفوف تضم حوالي مائة رجل ،وكان يبلغ مجموعهم أربعة مائة وأربعة وعشرون رجلا وقد كانت المسافة بين المجموعتين تقدر بعشرين قدم[2].

و كل من ذكر سابقا كان يبدي رأيه حول القضايا المطروحة [3]عن طريق التصويت ،وكانت هذه العملية تتم كالآتي الكاهية نائب الأغا كان يجمع أصوات جماعة المعزولين أغا وكان يحضرها للآغا والباشا في حين كان يتكفل أربعة إنكشارية بجمع أصوات البولوكباشية والأوضاباشية وإعلام الآغا مباشرة دون أن يعير اهتمامه للباشا {ويعد هذا بمثابة دليل على تزايد نفوذ وسلطة الانكشارية على حساب سلطة الباشا}ولكن ما كان يقوله كان يصل إلى مسامع الباشا الذي كان يجلس بجانب الأغا ولا يبعد عنه إلا بدرجتين أو ثلاث وهكذا كانت تسير جلسات الديوان الكبير[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الديوان الكبير كان يصادق أيضا على قرارات الديوان الصغير[5].

–الديوان الصغير :

وهو الديوان الذي كان يجتمع كل يوم ،وكان يتشكل من 48 شخصا 24 منهم يعرفون بالأياباشي(Ajabachis)

---

[1] ومن جانبه ذكر الأب دان أن المعزولين آغا كانوا يحضرون جلسات الديوان ليس بصورة دائمة ولكن يطلب حضورهم ومشورتهم عند مناقشة قضايا جد هامة تحتاج لإيجاد حلول أنظر:Ibid.,p.113

[2] Cornelis Pijnacker, Op.cit., pp.131-133

[3] وحسب الأب دان ؛فإن الآغا باعتباره رئيس الديوان كان يتولى مهام عرض جدول أعمال مجلس الديوان أي القضايا المطروحة التي تحتاج إلى إيجاد حلول واتخاذ قرارات أنظر:.Dan (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.113

[4] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.134

[5] Claude BONTEMS, Op.cit., p.38

،وهم الضباط الأقرب من رتبة الأغا[1]في حين يطلق عليهم بجناكر اسم الأغاوات باشية الإنكشارية الذين يختارون من صفوف البلوكباشية و24 آخرون يختارون من صفوف الأوضابشية و الأغا كان يتزعم أيضا هذا الديوان وخلال غيابه ينوب عنه كاهية الأغا ويهتم هذا المجلس بالقضايا المدنية والجنائية التي تجمع بين الإنكشارية فيما بينهم أوبين هؤلاء وبقية السكان[2].في حين يذكر بتي دولاكروا سنة 1695م أن عدد أعضاءه كان يبلغ 86 عضوا بمعنى أن عددهم ارتفع وذكر أن دور الديوان الصغير هو النظر في القضايا ذات الأهمية القليلة أو العادية عكس الديوان الكبير الذي كان يجتمع للتباحث في القضايا العامة[3].

وكان الديوان الكبير والصغير يشتملان على عدد من الموظفين المساعدين وهم عدد من السعاة أو الرسل عرفوا بالشواش وكان دورهم يكمن في الدعوة لعقد الديوان والحرص على أن تجري مجريات اجتماعاته في جو من النظام[4].وأن يخيم الصمت خلال خطاب الباشا والأغا والقناصلة ومبعوثي وسفراء الدول الأجنبية [5]؛وبالإضافة إلى هؤلاء الشواش ألحق بخدمة الديوانين والباشا 43 خواجة ومسؤوليهم الباش خوجات؛ حيث كان البعض منهم يكلف بقراءة المراسلات ،ونصوص المعاهدات والاتفاقيات بصوت مرتفع ولمرتين[6]،وبعضهم الآخر كان مكلف بتسجيل كل ما يتم مناقشته، والقرارات التي يتم اتخاذها خلال جلسات الديوانين في سجل خاص بذلك[7].

---

[1] وحسب الأب دان فقد كانوا يحضرون أيضا جلسات الديوان الكبير أنظر :

Dan (R.Père François Pierre), Op.cit., p.113

[2] Cornelis Pijnacker, Op.cit., p.134-135

[3] Pétis de la Croix ,Op.cit., p.13

[4] وفي إطار الحفاظ على النظام، والانضباط في الديوان كان يمنع منعا باتا على أعضاءه أن يحملوا معهم أية أسلحة ولا حتى سكين خوفا من حصول اشتباكات محتملة قد تكون نتيجة احتدام النقاش، واختلاف الآراء أنظر:

Dan (R.Père François Pierre), Op.cit., p.114

[5] وبما أن جلسات الديوان كانت تقام بالاعتماد على اللغة التركية العثمانية تأكيدا على ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية والسلطان لعثماني حسبما ذكره الأب دان؛ فقد كان يحضر المترجم أو الترجمان الرسمي والمرتبط بالديوان هذه الجلسات بصورة دائمة ليستفيد منه من يقصد الديوان من مسيحيين ،ومسلمين من سكان مدينة الجزائر عند ذكرهم لالتمساهم أو عرضهم لشكاويهم ولا توجد أمة من الأمم الأوروبية تأتي إلى مجلس الديوان لا تمتلك مترجما يترجم كلامها ويعبر عن أفكارها وآراءها أنظر :

Dan (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.114

[6] Cornelis Pijnacker, Op.cit.,p.135

[7] Dan (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.113

ب-الإجراءات المساعدة للقضاء لتحقيق العدالة:

ونسجل لجوء القضاء في مدينة الجزائر إلى عدة إجراءات مساعدة على تحقيق العدالة من أبرزها اللجوء إلى أصحاب الاختصاص، والاحتراف في المسائل المتعلقة بتقدير قيمة الأملاك المراد بيعها ،أو كرائها ،أو الشراكة فيها ،وما شابه ذلك مثلا الاستعانة لتقويم الدور وغيرها من الأملاك المعنية بما سبق ذكره بالبناءين، وهذا ما يسمح بتقدير وتقويم هذه الأملاك حق قيمتها.

وهو الأمر الذي تشير إليه إحدى وثائق المحاكم الشرعية؛ حيث بعد أن تقرر الاشتراك بين أم و ابنها وابنتها في أرباح كراء دار ورثوها ضمن تركة خلفها أب هذه الأسرة ،وذلك بعد أن تم تحديد حق، ونصيب كل منهم فيها بمقتضي الدين و الشرع وبعد أن تم تسجيل ذلك طلب نائب الابنة الذي لم يكن في الواقع إلا زوجها من أم زوجته تعين ما يخص زوجته أي نصيبها من كراء الدار المذكورة في السنة ،فوافقت على ذلك، وهذا بمحضر القاضي حسين بن يوسف كما هو مسجل في رأس الوثيقة الذي أذن لهم بذلك، و أرسل معهم عدوله ليحضروا عملية تقويم الدار التي قام بها أمين البنائين، و معلم في البناء وبعد أن تمت المسألة تم استدعائهم من طرف القاضي لتقديم ما توصلا إليه من تقيم للدار ومرافقها[1].

وهذا الإجراء شبيه إلى حد كبير بما يحدث في أيامنا حين يقوم القاضي بتعين خبير للقيام بتقرير خبرة حول قيمة العقار محل النزاع سواء كان دارا ،أو غيره ،ولاسيما في حالة حدوث خلاف حول قيمة الكراء كالنظر في شكوى حول رفع ثمن الإيجار الغير متناسب مع مساحة المسكن وحالته أي القيمة الفعلية التي يستحقها، أو في حالة معاوضة وقف بآخر أو في حالة تقسيم تركة حيث ينبغي تحديد قيمة الأملاك قبل الشروع في توزيع التركة على مستحقيها و نورد نص الوثيقة المذكورة آنفا كمثال، و نموذج للوثائق القضائية التي يتم فيها الاستناد إلى طلب رأي الخبراء لأخذ تصور واضح عن الموضوع ،ونصها:

" الحمد لله بعد أن تم اشتراك {كذا} بين الولية خديجة بنت السيد احمد.....زوجا للصاير{كذا}

[1] الوثيقة رقم41، في العلبة71-72 تاريخها1071هـ (1661 م)، المصدر السابق

الى{كذا} عند الله اوسط محمد الخياط...وولديها{كذا} منه الحرة فاطمة المتزوجة من الشاب...التالى {كذا} كتاب الله عز وجل السيد المهدي عرف ابن قارة ومحمد الصغير الذي إلى نظرها بالتقديم الشرعي بمن يجب اعزه الله في جميع الدار المخلفة.....القريبة من كوشة الوالي الصالح البركة سيدي يوسف الكواش نفعنا الله به وبأمثاله امين {كذا} داخل محروسة الجزاير {كذا} المذكورة فيما يلصق اخره {كذا} باول {كذا} هذا ان {كذا} شاء الله تعلى على نسبة لها ربعها و لابنتها المذكورة سدس الربع لوالدها المذكور باقيها بمقتضي رسم غير هذا بشهادة شهديه وعلى الشياع بينهم فيها وحكم.....غير ان من ناب عن ابنتها وهو بعلها السيد المهدى{كذا} المسطور سال منها تعيين ما يخص زوجه المذكورة في نصيبها المسطور{كذا} من كراء الدار المذكورة في السنة فمن له معرفة بذلك فاجابت سؤاله واستنابت{كذا} عن ذلك بعلها المعظم حسين بلكباشي في حقها وحق ولدها محجورها المذكور استنابةّ{كذا} تامة وطلب النايبان{كذا} المذكوران من شهديه الوصول معهما للدار المذكورة صحبة....المعلم علي امين{كذا} البناءين وقت التاريخ والمعلم محمد بن المرابط العارفين بتقيم {كذا} الدور وقسمتها والرجوع اليهما في ذلك[1] فوصلا إليها صحبة من ذكر باذن من له النظر في الاحكام الشرعية حين التاريخ.....والدنانير كلها زيانية وعلى حسب يكون لكل من الشركاء المذكورين من كراء الدار المذكورة كل سنة وان زاد الكراء او {كذا} نقص فلكل منهم بحسب ذلك فمن وصل للدار المذكورة ذكر بإذن {كذا} من ذكر باستدعاء ممن{كذ}ا ذكر وتلقى من المقومين المذكورين القيمة المسطورة{كذا} لمساكن الدار المزبورة {كذا} وسمع من النائبين المذكورين رضاهما بما سطر فيه قيد بذلك شهادته هنا تاريخ اواسط{كذا} جمادى الثانية من عام احد وسبعين والف{كذا} ".[2]

و على اعتبار الأواصر الوثيقة والقوية ما بين الدين والعدالة أو القضاء في الإسلام هذه الأواصر التي كانت تعد بمثابة أقوي ملاط يضمن تماسك الدولة على أساس أن القانون والدين متوحدين في أرض الإسلام[3]. وأن هناك تكامل بين الدور الذي يؤديه الفقيه المفتي والدور الذي

---

[1] وقد وردت في وثيقة معاوضة وقف بآخر عبارات تدل على الاستناد إلى أهل الخبرة :".....بشهادة أهل الخبرة والبصر والمعرفة بأحوال البناء في امره اليهم وهم المكرم المعلم احمد امين جماعة البناين بن تاعباست والمعلم يحي البناء بن عبد الصمد والمعلم محمد البناء عرف الفشطولي بن حمود ....." أنظر: الوثيقة رقم 31 في العلبة 27-2 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم41 "رسم توزيع إرث ..." في العلبة71-72، المصدر السابق

[3] Atalla Dhina ,Op.cit.,p. 320

يؤديه القاضي، ومن تم استعانة هذا الأخير، في كثير من الأحيان بفتاوى المفتي –التي كانت تعرف بالنوازل واستناده إليها للتوصل لإصدار أحكامه على أساس أن النازلة كانت فتوى يصدرها المفتي إجابة على قضية فقهية طرحت عليه أي فتاوى صادرة في قضايا مستحدثة[1].

وهذا ما نستشفه من عقود سلسلة المحاكم الشرعية وخاصة فيما يتعلق بالقضايا المتصلة بالوقف وبخاصة ما يتصل بالوقف الذري ،أو معاوضة وقف بآخر وكان نص السؤال والفتوى الناجمة عنه ترد في أعلى الوثيقة القضائية؛حيث يرد في متن الوثيقة إشارة إلى ذلك: ".....فأفتوه أنه يسوغ له ذلك على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة .....حسبما السؤال والجواب مقيدين أعلاه...."[2].

ومن النماذج عن السؤال والفتوى الناجمة عنه التي كان يستند إليها القاضي نذكر ما ورد في وثيقة معاوضة وقف بآخر :

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم رضي الله عنكم و أدام النفع بكم نازلة وهي رجل حنفي المذهب حبس داره و جنانه وظهر له أن الجنان ربما يضيع فظهرت له دار كبيرة جديدة تعطي كما هو مبين في الرسميين المومى إليهما غلة أكثر من الجنان والدار المحبسة فجاء مستفتيا في النازلة هل يجوز له تعويضهما لحصول النفع أم لا جوابكم الشافي الحمد لله إن كان الأمر كما ذكر فيجوز له التعويض على الوجه المذكور والله العالم كتبه حسن بن رجب مفتى الحنفية ...."[3].

ونجد أيضا في بعض عقود الوقف الذري التي كان يقوم بها أتباع المذهب المالكي إشارة إلى الفتاوى التي كان يستند إليها القاضي في إصدار أحكامه وعقد رسم التحبيس ومن الأمثلة على ذلك نص السؤال و جوابه ،أي الفتوى التي وردت في أحد رسوم الحبوس :

".....الحمد لله سيدي رضى الله عنكم ومتع المسلمين بطول بقائكم جوابكم عن مسئلة وهي أن

---

[1] وتعتبر كتب فقه النوازل من المصادر التي يمكن للمؤرخ أن يستنبط منها معلومات تاريخية خاصة ما يخدم الجانب الاجتماعي والاقتصادي ،ومن نماذجها نوازل الونشريسي التي جمعت في كتاب أشتهر بالمعيار والتي كانت من المرجعيات الفقهية التي يستند إليها علماء وفقهاء بلاد المغرب الإسلامي حتى في العهد العثماني ،وكذلك نوازل ابن الفكون القسنطيني عن الأهمية التاريخية لكتب النوازل يمكن العودة مثلا للدراسات الأتية :أبوالقاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،في10 أجزاء،الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي،بيروت1998، الجزء الثاني1500–1830 ،صص79 –88 وأنظر أيضا :مسعود كريوع، كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي و التوظيف التاريخي– المعيار المعرب للونشريسي انموذجا–،في مجلة علوم الإنسان والمجتمع ،العدد9 ،جامعة بسكرة مارس 2014،صص.49 –77

[2] الوثيقة رقم 4 في العلبة 10–2، المصدر السابق

[3] المصدر نفسه

رجلا له ملك واراد تحبيسه مدة حياته ثم بعد وفاته يكون حبسا على عقبه وعقب عقبه ما تناسلوا ويكون المرجع في ذلك عند انقراض العقب لفقراء الحرميين الشريفين مكة والمدينة ولفقراء الاندلس القاطنين بمحروسة الجزاير والحالة أن الرجل مالكي المذهب فهل سيدي حفظكم الله ورضي عنكم يسوغ ما رامه من التحبيس على النحو المسطور على مذهب أبي حنيفة والطريق النعماني أم لا....."[1].

وكان الرد على هذا السؤال الفتوى أو النازلة الآتية:

"الحمد لله اذ كان الامر كما ذكر فيسوغ له مارام من التحبيس على الوجه المسطور قال ....."فلو قال أرضي هذه صدقة موقوفة لله تعالى على أن لي غلتها ابدا ماعشت ثم من بعدى على ولدى ونسله وعقبه ابدا ما تناسلوا ثم من بعدهم على المساكين يجوز على قول أبي يوسف وهو قول أحمد وابن ابي ليلي وابن شبرمة والزهري وابن شريح من أصحاب الشافعي وبه أخذ مشايخ بلخ وبه يفتى انتهى والله العالم كتبه حسن بن رجب وفقه الله{وهو المفتى الحنفي }"[2].

ثم تلى نص السؤال والجواب الذي يعلوا الوثيقة القضائية عبارات تدل على استناد القاضي على هذه الفتوى في إبرام عقد الوقف :" الجواب أمامه صحيح وعليه وافق الفقير اليه سبحانه أحمد بن محمد زيتون قاضي الحنفية بمدينة الجزائر المحمية "[3] .وعبارة أخرى نطق بها القاضي نفسه:" وافقت على الحبس المزبور فيه موافقة تامة الفقير اليه سبحانه أحمد بن محمد زيتون قاضي الحنفية بمدينة الجزائر المحمية ....."[4].

وكان القاضي حريصا أشد الحرص عند إصداره لأحكامه لاسيما فيما يتعلق بالأوقاف وهو ما نستدل عليه من خلال أمرين وهما :أولا الإجراءات المتخذة من طرف القاضي والمشار إليها سابقا ،وثانيا الصيغ المعتمدة والواردة في وثائق المحاكم الشرعية التي توحي بتمعن القاضي وتبصره الوقت الكافي في القضايا المطروحة أمامه ومن أمثلة ذلك ما ورد من عبارات في عقد معاوضة وقف بآخر : ".....واشهد شهديه أنه حكم بصحة وقفية العلوى المذكور على الولية خديجة

---

[1] الوثيقة رقم 9 في العلبة 119-120، مصدر سابق

[2] المصدر نفسه

[3] المصدر نفسه

[4] المصدر نفسه

المذكورة وبعدها لفقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة على نحو ما نصت عليه المحبسة مريم المذكورة وبملكية الحض المذكور من الدار المذكورة للسيد سعيد الشريف المذكور وصيره مالا من أمواله وملكا من جملة املاكه بسبب المعاوضة المرقومة بعد استقصاء المسوغات في ذلك وثبوت الموجب حكما تاما انفذه وامضاه وسوغه وارتضاه وواجه العمل بمقتضاه صح عنده بموجبه وتم لديه سببه .... "[1].

ج- الموظفين المساعدين للقضاء:

و كان يساعد القاضي في إحلال العدالة بمدينة الجزائر موظف يعرف **بالمزوار** والمسمى أيضا بقاضي الليل الذي كان مكلفا بإيقاف المجرمين الذين يمسكهم بالجرم المشهود كاللصوص ومرتكبي الزنا، وغيرهم.[2] وبسجنهم وكان له سجن مخصص للرجال ،وآخر للنساء وفي هذا الصدد ذكر هايدو في القرن 11هـ (16م) أن عدد السجون في مدينة الجزائر كان بعدد ثلاثة سجون للمجرمين الأول كان متواجدا بقصر الملك أو قصر الحاكم ؛أي بقصر الجنينة ؛حيث كان يسجن فيه من يعرض على الباشا من مرتكبي المخالفات ،وسجن الأغا الذي كان يتواجد في حي الإنكشارية والخاص بهم، ويبدو أن المقصود بحي الإنكشارية الموقع الذي كانت تتواجد وتتمركز فيه ثكنات الإنكشارية والسجن الثالث المعروف بسجن المزوار كان مخصصا لسجن المجرمين الذين تم إيقافهم بالجرم المشهود ،وكذا أولئك الذين تم الحكم عليهم من طرف القاضي[3].

علما أن مصطلح المزوار سابق لقيام الحكم العثماني في الجزائر فهو مصطلح يعود للفترة الإسلامية السابقة من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي وقد ظهر في إطار الدولة الموحدية وتحديدا في عهد عبد المؤمن بن علي الموحدي فكان يوجد على رأس كل واحدة من الإحدى وعشرين قبيلة التي كانت تشكل حينها أساس القوة الموحدية شخصان يعرف كلاهما بالمزوار واحد للأفراد الذين كانوا من الموحدين بالأساس ،والآخر للعناصر التي انضمت إليهم لاحقا وحدها القبيلة الأم كان لديها مزوار واحد كونها كانت كلها موحدية بالأصل، وحينها كانت مهام المزوار في إطار القبيلة بمثابة محتسب ؛أي أنه كان يمارس بالنيابة المهام الأساسية للمهدي وهي مهمة الحسبة ؛ أي السهر

[1] الوثيقة رقم31 في العلبة 27-2 ،المصدر السابق

[2] Haedo, (F.D) "Topographie…"In: **R.A.**, T.15, 1871, p. 468

[3] Ibid.,p.469

على الجانب الأخلاقي ومن هذا المنطلق كان المزوار هو الشخص المكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

وقد بقي مصطلح المزوار قائما بعد سقوط الموحدين حيث ظل مستعملا لدى الحفصيين و المرينيين ،و الزيانيين ،وفي غرناطة لدى ملوك بني الأحمر ؛ولكن الوظيفة والمهام المرتبطة به عرفت تطورا حيث أصبحت وظيفته مثلا في ظل الحفصيين ،و المرينيين شبيهة بوظيفة الحاجب ومن تم ابتعد عن مهامه الأصلية مع احتفاظه ببعض خصائصها ؛ فقد كان دوره لدى المرينيين يتعدى كونه حاجب ؛فقد كان قائدا للجندار وهم الجند- المكلفين بحراسة باب السلطان ونقل أوامره و تنفيذ الأحكام والعقوبات التي كان يأمر بها ،وحراسة المسجونين في سجنه ،وإلى المزوار وسلطته كانت تعود أيضا مهام السهر على باب السلطان ،وإجبار الناس على احترام قواعد الجلسات العامة أمام السلطان أي أن المزوار أضحى حاجبا فعليا مع كونه في نفس الوقت منفذا للقرارات التي يصدرها السلطان لمعاقبة التجاوزات والأخطاء المرتكبة ،ومن هذه الناحية فقد احتفظ ببعض المهام التي كان يؤديها في العهد الموحدي[2] ليعرف تطورا أخر في ظل النظام العثماني تطورا يذكر في نفس الوقت بأصوله الأولى .

فالمزوار في ظل الحكم العثماني كان يعرف أيضا بقاضي الليل [3]،وكان مكلفا بعمل الشرطة في المدينة –كما ذكر آنفا-يقوم بجولات استطلاعية في ساعات متأخرة من الليل وقد كانت جولاته تبتدئ في العادة ثلاثة ساعات بعد بداية الليل مباشرة بعد أن يتم سماع صوت البوق والطبل الصادرين عن بيت الملك-المقصود دار الإمارة وتحديدا قصر الجنينة -[4]، حيث كان يوقف الناس الذين يتجولون إلى ساعات متأخرة من الليل دون مبرر مقنع، وكان هو الذي يرافق المحكومين الذين سوف تنزل بهم العقوبة.[5] وكانت جولته الليلية تستمر حتى يتم سماع صوت البوق ،والطبل من جديد الأمر الذي كان يحدث ساعتين ونصف، أو ثلاث ساعات قبل طلوع النهار ،وكان

[1] Atalla Dhina ,Op.cit., p.148
[2] Ibid., p.149
[3] Albert Devoulx," tachrifate…", Op.cit.,p.22
[4] Haedo (F.D) "Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871, p.469 voir aussi" Mémoire sur le Royaume D'Alger...", p.241
[5] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p. 97

يساعده، ويرافقه لأداء مهامه عدد من الحرس الشاويش ، وكان الحارس الرئيسي فيهم يحمل اسم باش–سكاجي[1] .

و كان المزوار يختار دائما من العنصر المحلي ،وقد كانت صلاحياته فيما يتصل بالشرطة مقتصرة على كل العناصر السكانية في مدينة الجزائر من دون الأتراك العثمانيين ؛فلم يكن من صلاحياته البحث عن مرتكبي التجاوزات من الأتراك العثمانيين ،أو إلقاء القبض عليهم فقد كانت تلك من صلاحيات فرقة شرطة ليلية خاصة مشكلة من 15 إنكشاري وقد كانت هذه الوظيفة آخر وظيفة يشغلونها قبل التقاعد من العمل العسكري يقودها ضابط تركي عثماني يعرف بالآغا القول (kolcu basi / aga el-kol)[2].

وإلى جانب المزوار كان يوجد إداري آخر يساعد القاضي دائما على أداء مهامه وإحقاق العدالة وعرف هذا الموظف بالمحتسب وبحسب هايدو خلال القرن 10 هـ(16م) فقد كانت وظيفة المحتسب من الوظائف الهامة في مدينة الجزائر[3].ووجود هذه الوظيفة يؤكد استمرار التقاليد الإدارية الإسلامية[4]. المعمول بها في الفترة التي سبقت قيام نظام الحكم العثماني ،حيث تم المحافظة عليها وتطويرها في الفترة العثمانية كما سبق الإشارة إليه ، وكان مكلف بمراقبة الموازين والمقاييس في المتاجر والأسواق التي تباع فيها السلع المتنوعة للسكان[5]. و تفقد الحمامات ومدى مراعاتها لشروط النظافة والمواد المستخدمة بها وصلاحيتهاكالصابون كما كان يراقب نوعية الخبز ؛فقد كان بمثابة مفتش للأسواق ،والمخابز وغيرها ،والتجار الذين كان يثبت عليهم الغش كانوا يعاقبون مباشرة بالضرب بالعصي أي بالفلقة و كان يتلقى حقوقا، أو ضرائب عينية على الفاكهة والخضر والحليب، و غيرها من المواد الغذائية الأخرى المجلوبة إلى الأسواق، و نتاج هذه الضريبة كان يباع فيشكل جزء من ثمنه أجر المحتسب والفائض كان يودع من طرفه في خزينة الدولة[6].

---

[1] Ibid, p 97 voir aussi Haedo, (F.D) "Topographie…" In: **R.A.**, T.15, 1871, p.468
Voir aussi Albert Devoulx, " tachrifate…" , p.22

[2] Miriam Hoexter," La shurṭa ou la répression des crimes à Alger à l'époque turque" ,In **Studia Islamica**, Numéro 56(1982), Published by: Maisonneuve & Larose, reference numérique : Stable URL: http://www.jstor.org/stable/1595392,p.121

[3] Haedo, (F.D) "Topographie…" In: **R.A.**, T.15,1871, p.469

[4] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ،شرح المحقق في الهامش، ص 17

[5] Haedo (F.D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.469

[6] Albert Devoulx, tachrifate …, pp.21-22

و ساهمت مختلف الجماعات الحرفية بدورها في الحفاظ على الأمن، و الاستقرار في مدينة الجزائر ؛ فبالرغم أن الهدف الأول منها كان التحكم في النشاط الحرفي والتجاري ،وتحديد الأسعار ومراقبة نوعية المنتجات، وحل المنازعات بين أفرادها؛فإنها وبحكم تركزها الجغرافي في أحياء محددة فإنها مارست فيها دورا ذات طابع إداري من أبرز مظاهره الحفاظ على الأمن ونفس هذا الدور أدته جماعات البرانية وقد امتدد هذا التنظيم الاجتماعي، والحضري ليشمل الأحياء مع العلم أن تقسيم المدينة إلى أحياء مغلقة نوع من التنظيم القديم جدا أي سابق للحكمو قد عرفت أحياء مدينة الجزائر بالحومات وكالجماعات الحرفية وجماعات البرانية فقد شكلت هذه الأحياء صلة هامة وضرورية بين السلطات والسكان[1] ،ووسيلة فعالة في إدارة المدينة وتوفير الأمن .

وبناء على ما سبق ذكره وتوضيحه يمكن القول أن نظام القضاء في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كان نظام جد فعال في توفير العدالة كما ساهمت الأجهزة الملحقة به، والتي سبق ذكرها ولاسيما وظيفتا المزوار، والمحتسب في توفير الأمن والأمانة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر والتقليل قدر المستطاع من الجنح، والمخالفات ؛فقد كانت مدينة الجزائر إحدى أأمن المدن في ظل الحكم العثماني وهو ما نستخلصه من شهادة وليام شالر حين قال أنه :"ربما لا توجد مدينة في العالم تكون فيها الشرطة أكثر نشاطا من شرطة مدينة الجزائر إذ لا يكاد يفلت من نظرها وعلمها إلا النذر القليل من الجرائم ،وأخيرا لا توجد مدينة أخرى كمدينة الجزائر تكون فيها حياة الأفراد وممتلكاتهم أكثر أمنا "[2].

د–العقوبات القضائية وآثارها على المجتمع:

وكانت العقوبات المسلطة على المتهمين الذين تثبت إدانتهم مختلفة، ومتنوعة تبعا للجريمة المرتكبة ،وكان الحكم بالعقوبة ينفذ فور صدوره دون مماطلة، ولكن العقوبة التي كانت أكثر شيوعا هي الجلد أو الفلقة، وقد ذكرها كل من هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16 م) وجوواو مسكغناس (Joâo Mascarenhas) في القرن11 هـ(17م) وقد كان يشرف على تنفيذ العقوبة موظفون يعرفون **بالشاويش** و الذين كانوا ينفذون أوامر القاضي، وينزلون العقوبات بالمجرمين

[1] Larbi Ichaboudene, Alger histoire et capitale de destin national, casbah Edition, Alger 1997 pp.42-43 voir aussi Andre Rymond, Op.cit.,p.
[2] William Shaler, Op.cit.,p.72

كما أنهم كانوا يحضرون المتخاصمين أمام القاضي، ويلقون القبض على المتهمين بأمر من القاضي فقط، وليس من تلقاء أنفسهم، حتى وإن تم ضبطهم بالجرم المشهود ؛فتلك كانت مهمة المزوار –الذي سبق ذكره–[1].

وكانت عقوبة الجلد الشائعة تتمثل في تمديد المحكوم عليه على ظهره[2] ،وضربه ضربا خفيفا ولكن بانتظام عن طريق عصى صغيرة في الحجم ،و بسمك الأصبع[3] فوق البطن وخاصة على بواطن قدميه ، وأحيانا على الظهر، وكان هذا الحكم عادة ما ينفذ من طرف ثلاثة، أو أربعة شواش، وكان عدد الجلدات مختلفا بحسب حكم القاضي، وطبيعة الجريمة يتراوح بين خمسين إلى ألف جلدة[4].

وذكر جوواو مسكغناس(Mascarenhas) في القرن11 هـ(17م) أنهم كانوا يضربون المخالف مائتين ضربة، أو العدد الذي يرونه مناسبا[5] ،ولكن لم تحدد من طرف هؤلاء الذين كتبوا عن هذه المسألة المخالفات، والجرائم التي كانت تعاقب بالجلد أو الفلقة ،وأما إذ تعلق الأمر بسرقة؛ فإنه كان يتم قطع يده اليمنى أما الأحكام بالإعدام أو الشنق؛ فقد كانت قليلة حسب هايدو، ونادرة إلا إذا تعلق الأمر بقاطع طريق خطير، أو مجرم ارتكب جريمة قتل، وعادة ما كان يتم تنفيذ حكم الشنق في باب عزون[6].

وعند تنفيذ الحكم بالإعدام كان يتم مرافقة المتهم دون أن يكون مقيدا لمكان الإعدام من طرف شاوش واحد ،ودون أن يحدث ذلك أي تحرك ،أو ضجيج في أوساط السكان ؛فلا أحد كان يتواجد في مكان تنفيذ حكم الإعدام إلا بعض الأشخاص الذين كانوا يتواجدون هناك من قبل الصدفة عكس ما كان يحدث في أوروبا كما حرص على توضيحه لوجي دوتاسي حين ذكر أن الجزائريين لا يستطيعون أن يظهروا تعجبهم بما فيه الكفاية إزاء رواية المراسيم الذي كانت ترافق تنفيذ أحكام الإعدام في أوروبا إذ يصعب عليهم أن يصدقوا أن سكان مدينة بأكملها

[1] HAEDO, (F.D) "Topographie…",In**:R.A.**, T.15, 1871,p.46 voir aussi Joâo Mascarenhas Op.cit.,p. 97
[2] HAEDO, (F.D) "Topographie…",In: **R.A.**, T.15, 1871,p. 467
[3] Joâo Mascarenhas, Op.cit., p.96
[4] HAEDO, (F.D) "Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871,p.468
[5]Joâo Mascarenhas, Op.cit, p. 96
[6] Haedo, (F.D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.468

يتركون أعمالهم ليروا موت واحد منهم لدرجة أنهم لا يجدون العبارة المناسبة ليصفوا عادة كراء أماكن قريبة من مكان الإعدام ليتسنى للحاضرين أن يشاهدوا على راحتهم عذبات تعيس قاده القدر لهذا المصير، أو السقوط في الهاوية[1].

وإن دلت هذه المقارنة على شيء فإنما تدل على التبصر، والتعقل، والحكمة ،والإنسانية التي كانت تميز مجتمع مدينة الجزائر النموذج المصغر للمجتمع الإسلامي حينها بالمقارنة مع المجتمعات الأوروبية، وهي مقارنة توضح بجلاء الفرق بين من كان يتخذ من تنفيذ الأحكام مناسبة للفرجة و للتسلية ؛وأي تسلية ومن كان يري فيها مصدرا للتبصر ،و الاعتبار.

و ذكر هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16 م)عند حديثه عن العقوبات التي كانت تفرضها السلطات القضائية أنه كان يمكن القيام بأي جريمة وارتكاب أي مخالفة دون خشية من العقوبة مقابل دفع رشوة معتبرة للقاضي[2]،وهو بالطبع تحامل واضح على القضاء في مدينة الجزائر والدليل أن العديد من الكتاب الغربين أجمعوا على امتداح الحياد الذي كان يتمتع به القضاة ،وقدرتهم على إصدار أحكام عادلة ولعل المثال الذي ذكره الأب دان في القرن11 هـ(17م)في نزاهة القضاة رد على ادعاءات هايدو، والتي وإن كانت صحيحة؛ فلابد أنها كانت مقتصرة في عينة صغيرة ومحدودة من القضاة.

فقد ذكر الأب دان في كتابه مثالا عن الأحكام العادلة لأحد القضاة، ورفضه التخلي عن نزاهته، والتي عنونها من شدة انبهاره"بقصة لا تنسى عن نزاهة قاضي مدينة الجزائر"،وملخصها أن أحد سكان مدينة الجزائر ذهب إلى أحد القضاة حاملا معه سلتين مليئتين بالفواكه أراد أن يهديهما إليه، فسأله القاضي أولا إذا كان يريد شيئا منه فأجابه الرجل أنه جاء إليه لتوصيته حول إحدى القضايا، أي التوسط لدى القاضي، فسأله القاضي كم يريد ثمنا لفاكهته، ولكن الرجل رفض أن يأخذ ثمنها معتبرا إياها مجرد هدية ولكن القاضي بدوره أبى إلا أن يدفع للرجل ثمنها وفي نفس الوقت أمر أحد الشواش بإعطاء الرجل خمسين ضربة بالعصي، وهذا ما تم مباشرة وأضاف القاضي أن الرجل كان يستحقها ،وأنه هكذا يجب أن يكون جزاء كل من يريد رشوة القاضي

[1] Laugier de Tassy ,Op.cit., T.2, pp.122-123
[2] Haedo, (F.D) "Topographie…" In: **R.A.**, T.15, 1871,p.468

وعرقلة سير العدالة[1].

و إن دل هذا التصرف على شيء إنما يدل على نزاهة، وعدالة هذا القاضي؛ فقد كان الشرع يطبق بسرعة، وبإنصاف، وبتكاليف قليلة مما دفع بالكثير ممن كتبوا عن هذا الموضوع إلى امتداح نظام القضاء بمدينة الجزائر ،ومن بينهم وليام شالر الذي ذكر أن تكاليف القضاء في مدينة الجزائر كانت قليلة جدا ويبدو بصورة عامة أن السلطة كانت ترغب في أن تمنح ،وتطبق العدالة على كل فرد بطريقة حيادية، وعادلة وكان لسرعة تطبيق الأحكام المدنية ،و الجزائية تأثيرا كبيرا على راحة وهناء نفسية المجتمع الجزائري[2].

وبهذه الطريقة سيطر وخيم القانون، والنظام على سلوك الأفراد في مجتمع مدينة الجزائر و توفرت العدالة في مدينة الجزائر بفضل الإجراءات المتخذة لردع الجرائم ،والتجاوزات من طرف القضاء مما جعل منها مدينة جد هادئة تنعم بالسكينة، والأمن ،والهدوء ،و الاستقرار الداخلي الكبير و يبدو أن هذا التأثير الإيجابي نجم عن ما كان يتحقق في أوساط مجتمع مدينة الجزائر من إحساس بالإنصاف، والأمن جراء حرص السلطات على احترام نظام القضاء وحياده وضمان دوره الفعال في الحفاظ على مكتسبات الأفراد، والمجتمع المادية والمعنوية.

هـ–دور الأوامر والأحكام السلطانية في تحقيق العدالة بمجتمع مدينة الجزائر :

ومن خلال مراسلات أعلى سلطة في الدولة العثمانية ممثلة في السلاطين العثمانيين مع ولاة الأمور العثمانيين في الجزائر نستدل على وجود شكاوي كانت ترد السلطان العثماني من أهالي البلاد ،وكانت تأخذ على محمل الجد ،و تحظى باهتمام السلطان ،والدليل على ذلك ما كان يرد ولاة الأمور في الجزائر من أحكام تصدر عن السلطان العثماني التي تأمرهم بالتحري في شؤون تلك الشكاوى وإعادة الحقوق لأصحابها ،وتلفت نظر الولاة بل وتأمرهم بضرورة الحرص على عدم المساس بأملاك وحقوق أهل البلاد سواء من سكان مدينة الجزائر، أو من أهل البلاد بصورة عامة بغير وجه حق ،وبدون عذر شرعي ،وضرورة الالتزام بما يوجبه الشرع والعدل ،وإنزال العقاب بكل من لا يلتزم بذلك تحقيقا للمصلحة العامة ،وحفاظا على أمن البلاد ،والعباد

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., pp.284- 285
[2] William Shaler, Op.cit., p.35

ومن الأمثلة عن ذلك ما ورد في حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب ووجه أيضا إلى حاجي مراد – ويبدو أن المقصود هنا القاضي الحنفي –ومما ورد فيه :

"حكم إلى أمير أمراء الغرب بلغنا أنباء عن ظلم وتعدي بعض القواد في ولايتك على الخلق والأهالي ومن المعروف أن مرادنا الهمايوني –السلطاني –من تعين الولاة والحكام على تلك الولاية هو تحقيق أمن وأمان ورفاهية واستراحة رعاياها وبراياها وسائر خلقها في ظل عدالتنا الهمايونية كي ينصرفوا إلى الدعاء بدوام وثبات ومجد ورفعة الدولة فأمرنا بالعمل على تأمين الطمأنينة واستراحة رعايا.....تلك الولاية فور وصول هذا الحكم ،والتقيد بما جاء في القانون القديم{كذا} للحيلولة دون السماح لأحد بالظلم والتعدي حسبما جاء في القانون والفرمان الشريف وإعلامنا بذلك..."[1].

ونتلمس ذلك أيضا في حكم أخر مما جاء فيه:".....حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب برسول وعرض حال إلى سدة سعادتنا كشفوا فيه النقاب عن بعض البدع الأحداث[2].....

...و بعد فإن الهدف من نصب الحكام والولاة على ولاية ما هو إلا لدفع الظلم والفساد وإجراء الأحكام الشرعية وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إبداء رضائنا عن التصرفات المغايرة للشرع الشريف والقانون المنيف القائمين في ظل عدالتنا الأبدية.....وعليه فإننا نأمر بدفع تلك البدع وأمرنا :بأن تستأصل تلك البدع حال وصول حكمنا الشريف.....وأن لا تسمح بعد الآن بالظلم والتعدي على أي فرد خلافا للشرع الشريف كما نأمر باسترداد وإعادة الأموال التي سلبت إلى أصحابها.....وعليك بتأديب الأشقياء من أهل الفساد بمقتضى الشرع القويم وبمعرفة القضاة القائمين عليهم....."[3].

---

[1] مهمة دفتري 22 صحيفة 124 حكم 252 بتاريخ 5/ 4 ربيع الأول /981هـ

[2] و للأهمية التي حظيت بها هذه القضية والشكوى فقد أشار إليها السلطان العثماني في خاتمة حكم أخر- موضوعه قضية الاستعدادات لفتح تونس- كالآتي:".....ولقد بعث الأهالي برسول إلى سدة سعادتنا أعرب عن بعض البدع التي أحدثها الولاة في تلك الأطراف وقد صدر حكم همايوني مستقل بشأن عدم التعدي على الرعايا خلافا للشرع والقانون ويجب العمل دائما بمضمونه الهمايوني كما ينبغي الجد والسعي لاستحصال أمن وأمان الولاية ورفاهية واستراحة الرعية وحراسة الولاية فلا تثقلن على الرعايا ولا تعاملهم بما ينافي الشرع والقانون....."أنظر : مهمة دفتري 24 صحيفة 60 حكم 168 بتاريخ 5/ 981/12هـ

[3] مهمة دفتري 24 صحيفة 87 حكم 233 بتاريخ 14/ 12 /981هـ

ونسجل من خلال الحكم السابق أيضا تأكيد السلطات العثمانية العليا على ضرورة تقييد هذا الحكم في سجلات ولاة الجزائر حتى يصبح مرجعية يتم الاحتكام والعودة إليها كلما دعت الحاجة إلى ذلك :

".....كما يجب عليك إثبات أمرنا الهمايوني هذا في السجلات المحفوظة في الجزائر والعمل دائما بمضمونه الهمايوني وعليك بتأديب كل من تسول له نفسه العمل خلافا لذلك حتى يصبح بمثابة عبرة ونصيحة للآخرين وكيلا تترك مجالا لأحد ما بالتصرف خلاف الشرع والقانون....."[1].

وكانت الشكاوى التي ترد إلى السلاطين العثمانيين من أهالي الجزائر [2] تلقى اهتمامهم وعنايتهم بل وحتى الأخبار التي كانت ترد إليهم حول تجاوزات الولاة كانت تحظى بعناية كبيرة والدليل إرسال من يطلع على حقيقة الأوضاع حتى يتم اتخاذ الإجراءات الضرورية لرفع الظلم حيث كان يتم الربط بين حصانة الجزائر، ومناعتها الخارجية وبين مدى التزام حكامها بمبادئ العدالة :

"لقد توارد إلى مسامعنا بالأخبار الواردة الواصلة إلينا بأن حسن باشا أمير امراء جزائر الغرب حاليا قد أصبح يتعدى على الرعايا والبرايا ويظلم الناس والعباد ولذا اذهب بناء على مأموريتك الحالية مع وزيري الموقر ابراهيم باشا ..... يطلب منكما أيضا بسبب الحال والاقتضاء التوجه إلى جزائر الغرب وتونس .....للوقوف على احوال الرعايا والبرايا تحت حكم الوالي المذكور {يقصد حسن باشا أمير أمراء جزائر الغرب} وللعمل في هذا الميدان المبين .....حتى تتمكنا من الإتيان بمعلومات مفصلة عن الأحوال المتعلقة بنظام هذه المناطق والولايات التي لا يجب أن تبتعد أبدا عن اليقظة والتبصر والانتباه حتى

---

[1] المصدر نفسه

[2] ليس سكان مدينة الجزائر فقط ولكن مختلف مناطق وأنحاء البلاد ومن النماذج حكم ورد إلى أمير جزائر الغرب وقاضي تنس حول وجوب التحقيق في شكوى وردت من أهالي تنس ضد قائدها:".....لقد قدمت رقعة .....كشفت النقاب عن ظلم وتعدي قائد لواء تنس الجزائري على الفقراء، والضعفاء وجاء فيها أن العجز قد حل بأهالي الولاية.....عليك بجمع المشار إليه مع أصحاب الدعاوى التي لم يفصل فيها شرعا ومضى عليها خمسة عشر عام وبعد التأكد من تثبيت الحقوق شرعيا ينبغي إعادتها إلى أصحابها....." ومن خلال هذا الحكم نستدل أيضا على مسألة هامة وهي متابعة السلطان =

يتجرء الكفار على الطمع فيها ....."[1].

وعند التأكد من حدوث تجاوزات من طرف الولاة وكبار الموظفين كان يتم التدخل لإنصاف المظلومين وإعادة حقوقهم التي سلبت منهم من غير وجه حق وهذا ما يظهر جاليا من خلال مرسوم سلطاني أرسل إلى العلماء، والصلحاء، والشرفاء وسائر أهالى الجزائر حول الشكاوى المفصلة التي أرسلوها إليه عن تجاوزات وظلم حاكم الجزائر السابق محمد بن صالح رايس وكتخدايه وسلبهما لأموال السكان ؛حيث تمت معاقبة الحاكم السابق وتم إرسال الكتخدا والأموال التي قام بسلبها إلى الجزائر ليقتص منه بحسب الشرع، ويستعيد كل ذي حق حقه كما أبلغهم السلطان بأنه وجه حكما آخر إلى أمير الأمراء علج علي الذي خلف محمد بن صالح رايس في حكم الجزائر ليشرف شخصيا على إعادة الحقوق إلى أهلها[2].

و أشار نص هذا الحكم أيضا إلى أبرز الأهداف التي كان يرمى إليها السلطان العثماني من وراء اتخاذه لمثل هذا الإجراء والمتمثلة في:

".....وأقصى مراد حضرتنا الجليل أن يكون الرعايا والبرايا الذين هم ودايع الله تعالى في أيام دولتنا الفايقة في غاية الأمن والرفاهية والاطمينان فرحين مسترحين في أوطانهم مواظبين على الأدعية المقبولة والأثنية المباركة في أناء الليل وأطراف النهار ....."[3].

ومن خلالها هذه الأهداف نستنتج إدراك السلاطين العثمانيين لمدى الارتباط الوثيق بين تحقيق العدالة و نبذ الظلم وضمان الأمن ،والاستقرار في أوساط سكان الجزائر ،وبين المحافظة والإبقاء على ولائهم وارتباطهم بالدولة العثمانية.

= للقضية وحرصه على الاطلاع على مستجداتها وحلولها:".....ومن تم يجب الإعلام بالتفصيل عن طبيعة هذه الدعاوى وعن كيفية اغتصاب هذه الحقوق وابعث لنا بأسماء الذين أعيدت حقوقهم "أنظر: مهمة دفتري 22 صحيفة 339حكم 671 بتاريخ 15/ 981/5 هـ

[1] مهمة دفتري 44 حكم 183 بتاريخ 991 هـ ،بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] مهمة دفتري 7/2،الصحيفة 907-908الحكم 2483 ،بتاريخ أواخر جمادى الأول 976 هـ(1568 م)في أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول ملاحظة: تم الاستفادة من نص الوثيقة المنشور من طرف الأستاذ الباحث عبد الجليل التميمي في مقاله المعنون بـ: الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الإيالات المغربي في القرن السادس عشر،في المجلة التاريخية المغربية العدادن10- 11،تونس، جانفي /يناير1978،ص.32.

[3] المصدر نفسه

ويبدو أن هذا الحرص الذي أبدته السلطات العليا في الدولة العثمانية لتوفير الأمن والحماية والعدالة للسكان وضرورة الاحتكام إلى الشريعة[1] لم يكن مقتصرا على الجزائر بل شمل كل المناطق التي ارتبطت بها في بلاد المغرب الإسلامي وهذا ما نستدل عليه من خلال حكم صدر إلى رمضان قائم مقام البايلرباي علج علي بتونس مما ورد فيه : ".....وأمرت حال وصوله عليك بتمام البصيرة والانتباه لحفظ وحراسة الولاية والبلاد وضبط وربط العساكر ورعاية الرعية وعدم العدول عن جادة الاعتدال في تدبير تلك الأمور وعليك بمتابعة الشرع القويم وما دعى اليه القانون القديم حتى تظل على حسن معاشرة مع أعيان الولاية وإذا صدر أي ضرر و فساد .....فينبغي أن تكون متحد القلب واللسان مع عساكر المسلمين و الجنود.....وأعيان الولاية لدفع مضرة تلك الفئة الباغية بادلا في سبيل ذلك أنواع السعي والاقدام والاهتمام كما ينبغي بذل المقدور والسعي اللامحصور لتصريف جمهور الأمور المتعلقة بالدين والدولة "[2].

كما يبرز ذلك أيضا حكم ورد إلى أمير أمراء طرابلس وإلى قضاة طرابلس وجربة يطالبه فيه السلطان العثماني بالتحقيق والنظر في التجاوزات التي ارتكبها الحاكم السابق وبعض القواد :

"بلغتنا أنباء عن إغواء بعض القواد لجعفر-دام اقباله-امير امراء الولاية المذكورة سابقا وظلمه واعتدائه على أموال كل من حجاج وسيدي على اشرفي وهما من أعيان البلاد كما أن عيسى قائد جربة وعلي قائد صفاقس .....قد ظلموا وتعدوا على أموال المسلمين في مناطقهم بغير وجه حق.....وبما أن الظلم والتعدي على الرعايا والبرايا وبأي وجه من الوجوه مغاير لرضائنا الشريف فان الأمر يقضى إعادة الحقوق التي سلبها أمير الامراء وقواده

---

[1] و هذا الحرص نتلمسه أيضا من خلال العبارات التي وردت من خلال حكم آخر ينص على تقليد أحمد أعراب باشا حكم الجزائر:".....اعلامهم أن مدينة الجزائر وما تبعها من جملة ممالكنا المحروسة وخلص خلاصة بلادنا المحمية نظرنا السعيد السلطاني والتفافنا الوريف أبدا ديما الى انتظامها وصون أهاليها واقصى مراد حضرتنا الجليلة.....أن يكون رعايانا هناك في أيام دولتنا العادلة امنين مطمئنين منشرحين فرحين آمنين على أنفسهم مضبوطين في جميع أحوالهم ثغورهم مسدودة بسد سديد وقلاعهم مصونة بالأمن والأمان.....،أنظر:مهمة دفتري 10،الصحيفة 179-180الحكم 266 بتاريخ 29 شوال 979 هـ(1572 م)في أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول ملاحظة: تم الاستفادة من نص الوثيقة المنشور من طرف الأستاذ الباحث عبد الجليل التميمي في مقاله لمعنون ب: "الخلفية الدينية للصراع ..."،ص.34

[2] مهمة دفتري 22 صحيفة 135 حكم 287 بتاريخ 19/ 987/10 هـ، في بالأرشيف الوطني الجزائري

إلى أصحابها بحسب الشرع [1].....وامرت حال وصوله ينبغي التحري عن الأموال التي اغتصبها امير الأمراء المومى اليه .....وكذلك عن الأموال التي اغتصبها كل القواد المذكورين من أهالي الولاية والبلاد الواقعة تحت حكمهم بغير حق وخلاف للشرع القويم..... .....وان تبين لك شرعا أن تلك الأموال قد أخدت من اصحابها خلافا للشرع القويم فعليك بإعادتها كاملة لأصحابها.....وبعد ذلك كله ينبغ الاعلام بالشرح والتفصيل عن عدد الأشخاص الذين استعدت حقوقهم ....."[2].

و من خلال هذه الأحكام يمكن القول أن أعلى سلطة كان يمكن لسكان مدينة الجزائر و الجزائر عامة الاحتكام إليها هي سلطة السلطان العثماني ، لاسيما إذا كانوا ضحايا تجاوز أحد الولاة مما يعني التواصل معهم والاطلاع على أحوالهم من خلال العرائض ،والمراسلات التي كانت ترد عليه منهم ،ونستخلص أيضا أن أمر السلطان بإحقاق العدالة ،وما يساهم في تحقيقها من أعمال تحقيق ،وتدقيق في الوقائع ،والاحتكام للشريعة الإسلامية كان يوجه لولاة البلاد ولقضاتها أيضا ،ونستخلص أيضا أن سلطة الولاة كانت خاضعة لقيود من شأنها أن تمنعهم من استغلال سلطتهم بتعسف ،ودون وجه حق، أو عذر شرعي وماسبق ذكره كان ينطبق أيضا على سكان وحكام تونس ،وطرابلس وهو ما نستخلصه أيضا من حكم ورد على أمير امراء تونس وقاضيها :

"لقد اقدم سكان تونس وأهالي ولاية تونس على تقديم عرض حال أي شكوى إلى..... ..مقامي المعلى في حق امير أمراء تونس الأسبق السيد مصطفى .....وذلك بسبب ظلمه وتعدياته على اموالهم وحقوقهم وبدون سبب أو مبرر، ولذا فهم يطلبون مني إصدار فرمانا شاهانيا يتعلق بقضيتهم.....فقد أمرت بما يلي: .....يجب المبادرة إلى التحقيق والتدقيق في الاحوال من خلال الاصول الشرعية والقوانين المرعية فيما يتعلق بقضايا هؤلاء الناس وحقوقهم حتى لا يضيع حق أحد فاذا تبث شرعا بان حقوقهم مهضومة ،وأموالهم مسلوبة من طرف الأمير.....يجب استعادة الحقوق .....وخاصة عندما يثبت شرعا ولدى

[1] مهمة دفتري 18 صحيفة 146 حكم 306 بتاريخ 21/ 979/10 هـ (1571م)في العلبة بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] المصدر نفسه

المحكمة الشرعية بان هذه الحقوق هي حقوقهم و لا يصح له ان يتدخل أو يتعدى عليها كما يجب أن تحذر كل الحذر من مخالفة الشرع ومناصرة الانحراف عن جادة الصواب والعمل بجدية لإرجاع الحقوق لأصحابها ....."[1].

و نستخلص من الحكم السابق أيضا مسألة التقادم من الناحية الجزائية في القانون أي سقوط حق المدعى في رفع قضيته للقضاء إذا انقضى وقت محدد عليها:

".....وخاصة بعدما تبثث دعوى المدعين وحقوق المشتكين لدى المحاكم الشرعية ولم تمر عليها مدة خمسة عشرة سنة بدون إقامة دعوى بخصوصها لأن بعد ذلك قد تسقط بمرور الزمن ....."[2].

ونتلمس من خلاله أيضا الحرص الكبير الذي كانت توليه السلطات العثمانية العليا للمحافظة على الأملاك التابعة للدولة وما يرتبط بها من التزامات مالية في الجزائر وردع تجاوزات رجال وموظفي الدولة،و الزامهم بالخضوع للقوانين وإصدار أوامر للحاكم تنص على وجوب تدخله وتحقيقه في كل تجاوز يحدث بكل حياد ،وموضوعية ،و أن يطبق القانون على الجميع وأن يحرص على رفض أي وساطة مهما كان مصدرها[3].

ويبدو أنه كما كانت تتم محاسبة الحكام الذين لا يتقيدون بواجباتهم في المحافظة على الأمن، والتقيد بمبدأ العدالة المستندة للشريعة الإسلامية في معاملة السكان كان يتم بالمقابل

---

[1] مهمة دفتري 58 صحيفة 135 حكم 189 بتاريخ 19/ 10/ 993هـ ،في العلبة بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] المصدر نفسه

[3] ومن نماذج ذلك ما ورد في احدى مراسلات الدفاتر المهمة إلى أمير أمراء الجزائر:".....عند وصول أمري إليك تحرك في هذا الميدان حسب القيودات المتبعة من قديم الزمان و لا تهتم بتدخلات ذوي النفوذ ولا بتهديداتهم وأعد القيودات والتسجيلات الخاصة بمقاطعات ومناطق الميرية حسب ضبط وربط الدفتردار المشار إليه آنفا دون أن تسمع لمن يستمدون النفوذ منك ومن علاقتهم الخاصة بك ولا تدع تلك الأموال التابعة للدولة للأيادي الآثمة ..."أنظر: مهمة دفتري39 الحكم 438بتاريخ988 هـ بالأرشيف الوطني الجزائري، وأنظر حالات وقضايا مشابهة طرحت في :مهمة دفتري رقم28 صحيفة 257حكم 538 بتاريخ984/7/25 هـ ومهمة دفتري رقم30 صحيفة 180 حكم 423 بتاريخ985/3/5هـ و مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 198 حكم رقم 469 بتاريخ 985/3/5 هـ و ومهمة دفتري رقم36 صحيفة108 حكم 313 بتاريخ987/1/8هـ ومهمة دفتري28 صحيفة 49 حكم رقم118 بتاريخ984/7/25 هـ ،و مهمة دفتري رقم43 حكم 156 بتاريخ988هـ وكلها مراسلات متواجدة بالأرشيف الوطني الجزائري

الإشادة بمن يلتزمون بذلك بل وتتم مكافئتهم ونستدل على ذلك بما ورد في مراسلة من مراسلات الدفاتر المهمة: "وصل أسماعنا أنباء حمايتك وصيانتك للرعايا والبرايا من خطر الأعراب في تلك الديار وكيف أنه تم أخيرا استقرارهم بفضل عدالتك.....ولقاء خدماتك المباركة تلك فقد أرسل إليك خلعة همايونية وأمرت بارتدائك تلك الخلعة....."[1].

ويمكن أن ندرج في إطار مساعي السلطات العثمانية العليا لإحلال العدالة و ماتحققه من أمن واستقرار[2].في المجتمع ضرورة أن يتحلى حاكم البلاد بجملة من الخصال كالفراسة والشجاعة والشهامة، والكياسة،والصبر،وحسن الديانة والعدالة[3] بالإضافة إلى ضرورة التفاف

---

[1] مهمة دفتري 7 ،الصحيفة 897الحكم 2456 ،بتاريخ 976/5/17هـ في العلبة بالأرشيف الوطني الجزائري

[2] حيث أن الأحكام السلطانية الواردة إلى حكام الجزائر لا تخلوا من مسألة حث الحكام ليحرصوا على توفير الأمن والعدالة و كذا ضرورة ارتباطهم بتعاليم الإسلام والحرص على تطبيقها لما لذلك من انعكاس إيجابي على المجتمع ومن نماذج ذلك ما ورد في أحد الأحكام:".....والاهتمام بها وحفظ البلاد وصون العباد ودفع المحن والرزايا عن جميع الرعايا وإحياء شرائع الدين المتين وإجراء قوانين سيد المرسلين ليكون أهالي الإسلام وأمة خير الأنام في تلك الأراضي المباركة في ظل ظليل وعدل جميل تحت كنف حماية سلطتنا السنية وفي زمن خلافتنا الفائقة من أيمانهم وعن شمايلهم محفوفين بكمال الراحة مرفهين .....وأجمل الاستراحة منعمين أمنين ومطمئنين بحيث لا خوف عليهم ولاهم يحزنون...."أنظر: مهمة دفتري 10 الصحيفة 179 180 الحكم 266 ،بتاريخ 970/10/4هـ في الأرشيف الوطني الجزائري ،وفي حكم آخر:"..... تلك الولاية المحمية وأهاليها مطمئنين ومرفهين مصونين من تعدى اللئام في ظل عدالتنا ما دار الليالي والأيام والسنتهم رطبة بالأدعية....لدوام دولتنا وقيام حشمتنا السامية إلى قيام الساعة وساعة القيام والحمد لله وحده والصلوات على من لا نبي بعده" أنظر: مهمة دفتري 10 الصحيفة173 -174الحكم 269، بتاريخ 979/10/4هـ في بالأرشيف الوطني الجزائري

[3] و نستخلص ذلك أيضا من خلال حكم آخر ينص على تقليد أحمد أعراب باشا حكم الجزائر:".....قلدنا أمور تلك لممالك المحروسة مملوك حضرتنا العلية أمير الأمراء الكرام أحمد دام اقباله لفرض شهامته وصلابته وكمال عزمه وشجاعته وحسن تدبيره وكياسته....."أنظر: مهمة دفتري 10،الصحيفة 179-180الحكم 266 ،المصدر السابق،ص34 وهذا على عكس ما تذهب إليه المصادر والدراسات الغربية خاصة ؛والتي تركز على مسألة شراء المناصب بما فيها المناصب العليا في دواليب السلطة بغض النظر عن الكفاءة والجدارة ،وهذا ما استخلصناه من إرسال مرشحين لتولي امارة سنجق إلى الجزائر لإثبات كفاءتهما مما يؤهلهما لتولى امرة السنجق؛ أي مرورهما بمرحلة امتحان وتجربة :"لقد وصل إلى سدة سعادتنا عرضك بشأن تعيين "آغا"و"كتخدا" وقد صدر عن عتبتنا العلية تعيين وإرسال الأغا والكتخدا المطلوبين إلى الإنكشاريين وقد امرت باستخدامهما حال وصولهما .....في خدمة الآغوية والكتخداوية .....إن المذكوران مرشحان لإعطائهما امرة سنجق والمطلوب منك اعلام سدة سعدتنا بأمانة واخلاص عن سلوكهما بما يتعلق في خدمة الدين والدولة في تلك الديار كي يتم بموجب ذلك الاحسان عليهما بالسنجق الهمايوني لقاء خدماتهما" .أنظر : مهمة دفتري 7 ،الصحيفة886 حكم رقم 2431 بتاريخ 11 /5 /976 هـ

الأهالي حول حاكمهم ومناصرته ، وطاعته مادامت أوامره في حدود الشرع والقانون،و فيما شأنه تحقيق الأمن ،والاستقرار[1] : " .....حال وصول حكمي الشريف الواجب إتباعه أن تقبلوا وتقبلوا على المذكور وأن تمتثلوا لأقواله بما يراه مناسبا بشأن نظام وانتظام وضبط وربط تلك الديار ودفع أهل الفساد والعناد وأن تؤازروه من أجل اصلاح البلاد وأن لا تخرجوا على أوامره وان تطيعوه وتنقادوا إليه بما يختص في شؤون تلك الديار .....أن تكونوا على غاية الاتفاق والوفاق معه لحفظ وحراسة البلاد وصون وصيانة الرعية....."[2].

[1] ويبدو أنه تم التأكيد على ضرورة التفاف السكان حول الحاكم ومساندته في كل ما يتعلق بالعمل على تحصين البلاد واستتباب الأمن وتفعيل حركة الغزو والجهاد في كل الأحكام التي كانت تعلم السكان بتنصيب حاكم جديد عليهم ومن نماذجها حكم يعلم أهالي الجزائر بتعيين أحمد أعراب باشا حاكما عليهم:"..... كما أنعمنا على ..... أحمد وهو من الأمراء ذوي الاحترام لدينا بإمارة جزائر الغرب.....وأمرنا حال وصوله(الحكم) عليكم بإطاعة المشار إليه والامتثال لأوامره.....ومن تم بذل المقدور والسعي اللامحصور في سبيل ضبط وحراسة الولاية ودفع مضرة الأعداء والكفار .....عنها وكذلك في سبيل الأمور المتعلقة بالغزو والجهاد لصيانة عرض الدين.....»أنظر:أن تكونوا على حسن إتفاق واتحاد معه وأن يكون قلبكم واحد ووجهتكم واحدة ....."أنظر : مهمة دفتري رقم 18حكم رقم 288 ،المصدر السابق

[2] مهمة دفتري رقم 6 حكم 973، المصدر السابق

الفصل الخامس : مظاهر التكافل الاجتماعي

1-الأوقاف أبرز مظاهر التكافل الإجتماعي
2-المظاهر الأخرى للتكافل الإجتماعي
3-دور السلطة في ميدان التكافل الاجتماعي

الفصل الخامس:مظاهر التكافل الاجتماعي

1-الأوقاف أبرز مظاهر التكافل الإجتاعي:

أ-التعريف بالوقف وأهدافه:

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية[1] وهنا نشير إلى أن ظاهرة التحبيس كانت من الممارسات الخيرية السائدة في بلاد المغرب الإسلامي على غرار المشرق الإسلامي قبل قيام النظام العثماني في الجزائر ؛حيث نجد إشارات إلى ظاهرة التحبيس في كل من الدولة الحفصية والزيانية اللتان كانتا تتقاسمان النفوذ في المغرب الأوسط -وإن كان هذا النفوذ نظريا خاصة في المرحلة الأخيرة من حياتهما- قبل قدوم العثمانيين وتوليهم أمور السلطة فيه ،وكان الوقف حينها يتم وفق المذهب المالكي وكان يقوم به أفراد من الرعية، وكذا السلاطين، وكبار الموظفين ونفس الأمر كان سائدا في المغرب الأقصى في ظل الدولة المرينية[2].

ومن النماذج البارزة على ممارسة التحبيس في المغرب الأوسط قبل قدوم العثمانيين نقيشتان رخاميتان تعودان لعهد دولة بني عبد الواد الزيانيين حيث تعلمنا تلك النقيشة عن تحبيس ووقف أوقاف لصالح مدرسة ولدا الإمام، وزاويتها ومسجدها داخل مدينة تلمسان وقد ورد بالنقيشة الرخامية اسم المحبس ،وتاريخ الحبس ، والمحبس هو:

" أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبو حمو ابن مولانا ابن مولانا الأمير أبي يعقوب ابن مولانا الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير أبي زكريا ابن مولانا أمير المسلمين أبو يحي يغمراسن بن زيان " أما حبسه عليها فتمثل في إجمالي طاحونة مجاورة للزاوية و 30 حانوتا المعروفة تحت اسم حوانيت الصاغة القديمة بالإضافة إلى الكوشة -لطهو الخبز- التي بمنشر الجلد وحمام الطبول وفرن يعرف بفرن مقسم الماء وإلى جانب ما ذكر وقف عليها أملاك أخرى كانت تقع خارج مدينة تلمسان كفندق عرف بفندق العليا ، وعدة أملاك أخرى ورد ذكرها بدقة مع تحديد موقعها كأشجار زيتون والأرض التي غرست عليها والمعصرة وطاحونة الزيت الملحقة بها ،وجميع

[1] حول الوقف وتاريخه ،وشروطه ،وقواعده وأحكامه في التاريخ الإسلامي أنظر: الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1391 هـ-1971 م

[2] Atalla Dhina ,Op.cit.,pp.307-306

نصف البستان الذي هو في إطار الشياع ،وطاحونة مائية وتم التأكيد على أن جميع ما تم تحبيسه من أملاك ملك للمحبس –أي صحة الملكية كأحد أهم أسس صحة التحبيس –مع التأكيد على صفة ديمومة هذا الحبس دون قيود أو شروط والهدف منه وهو تغطية مصاريف أساتذة وطلبة المدرسة وكذا رواتب الإمام ،والمؤذن، و في آخر عقد التحبيس ذكر تاريخين وهما 763هـ/ 1362 م و765 هـ/1364 م[1].

وبالتالي لا يمكن أن نقول أن ظاهرة الوقف في بلاد المغرب الإسلامي من آثار قيام الحكم العثماني في الجزائر ،ولكن يمكن القول أن تأثيره على ظاهرة التحبيس، والوقف على مستوى مدينة الجزائر واضح ؛حيث أن أقدم عقود التحبيس فيها تعود إلى بدايات العهد العثماني كما أن مؤسسات الوقف التي اشتهرت بها مدينة الجزائر أسست في ظل النظام العثماني كما عرف الوقف تطورا بإدخال العثمانيين للمذهب الحنفي- كما سبق ذكره.-

و الوقف في الأصل تعبير عن إرادة الخير في الإنسان المسلم؛ فقد كان بمثابة تجسيد لمثل سائدة في مجتمع مدينة الجزائر أساسها حب عمل الخير والإحسان إلى الآخرين وهو ما نستدل عليه من خلال ما ورد من صيغ دالة على ذلك في جل عقود التحبيس ،والوقف " .....قصد المحبس المذكور بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم والله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ولا يخيب عنده أجر العاملين....."[2].

في حين أن بعض المصادر ،و الدراسات تدرج ضمن أسباب وقف و تحبيس الأملاك التخوف من تعرضها للمصادرات من طرف السلطة أي اتخاذ الوقف وسيلة لحمايتها[3] ؛كدراسة الأستاذ

---

[1] و لأخذ تصور أشمل حول التحبيس ،والوقف في الجزائر عامة قبل قيام الحكم العثماني بها ،وتحديدا خلال العهد الزياني يمكن العودة إلى سلسلة المقالات التي نشرها بغوسلارد في المجلة الإفريقية حول التسجيلات ،أو الكتابات الجدارية في تلمسان حيث أورد النص الأصلي مرفقا بالترجمة الفرنسية بالإضافة إلى التعليقات ،و الشروح التي وضعها لها :
Borsselard, Les inscriptions Arabes de Tlemcen, In: **R.A.,** tome 3, 1858, p. 171-172 et tome 4 ,1960 et tome 5, 961 voir aussi Atalla Dhina, Op.cit.,p.307-308

[2] الوثيقة رقم 41 في العلبة 141، المصدر السابق

[3] أنظر الدراسات الآتية على سبيل المثال: Aumerat, la propriété urbaine à Alger,In **:R.A.,** tome 41,1897 et Devoulx Albert," Corporations Religieuses...", p.3 et Shaler(William), Op.cit., p.36=

الباحث أرزقي شويتام[1] التي يتطرق فيها أيضا إلى فكرة المصادرة غير المباشرة بطرق قانونية عن طريق الوقف؛حيث يذكر أنه مهما كانت دوافع التحبيس، وأشكاله فإننا نلاحظ أن معظم الأشخاص الذين كانوا يستأجرون تلك العقارات الموقوفة هم أصحاب المسؤوليات والنفوذ في الأجهزة الإدارية للدولة وفي مقدمتهم الدايات، والبايات ،ووكلاء البايات، وحكام المدن والخواجات ،والخزناجية ،وأمناء المهن، والقياد ،والبلوكباشية، واليولداش ،ورياس البحر وعلى حد قوله وبكلمة واحدة من أبسط موظف في الدولة إلى قمة الهرم الإداري ولما كان المنتفعون من العقارات المحبسة هم موظفو الدولة في المقام الأول[2]؛ فهذا يعني المصادرة غير المباشرة بالطرق القانونية[3].

في حين تستبعد دراسة الأستاذ الباحث حماش خليفة فرضية اللجوء إلى وقف الأملاك خوفا و خشية من مصادرتها من طرف السلطات من منطلق ثلاث أسباب، وهي :

1-أن عقود الوقف لا تشير مطلقا لا بصيغة مباشرة ،ولا غير مباشرة إلى هذا الدافع وأن الوقف لم يكن أبدا وسيلة تضمن حماية الملكية إذ كان هناك ما يستوجب مصادرتها من طرف السلطة أو تصرف القضاء فيها بأي شكل من الأشكال حتى وإن كانت وقفا[4].

BOYER (Pierre), "la vie quotidienne …", p.48

[1] و يضيف الأستاذ الباحث أرزقي شويتام:"... و إن كان هاجس المصادرة والتغريم يعد من الدوافع التي أدت ببعض الأشخاص إلى تحبيس أملاكهم، ولاسيما تلك المتعلقة بالأراضي والبنايات ؛فإن ذلك لا يقلل من الوازع الديني للمجتمع الجزائري "وهي فكرة هامة نستخلص منها أن دافع الوقف خوفا من المصادرات كان أمرا محصورا في بعض الأفراد، وأن وجود هذا الدافع لا ينفي في أي حال من الأحوال الدافع الأساسي ،وهو الوازع الديني "للتوسع أكثر أنظر :أرزقي شويتام،"المجتمع الجزائري..."،ص.446

[2] والملاحظ أن المستفيدين من استغلال الأملاك الموقوفة المذكورين أعلاه كانوا بدورهم يساهمون مساهمة فعالة في حقل الوقف من خلال تحبيس أملاكهم ؛فلم يكونوا مجرد مستفيدين في غالب الأحيان كما أن الأخذ بفرضية المصادرة غير المباشرة بطرق قانونية التي وضعها الأستاذ الباحث أرزقي شويتام المشار إليها أعلاه يمكن أن يشكل حجة لمناقشة الفكرة القائلة بلجوء السكان إلى الوقف بسبب التعرض إلى المصادرات ؛فمادام ممثلي السلطة أكبر المستفيدين من استغلال هذه الأملاك بعد أن تصبح الأملاك موقوفة وما داما الطرفين مستفيدين ؛فما حاجة السلطات للجوء إلى مصادرة الأملاك للاستفادة منها.

[3] المصدر نفسه،صص.447-448

[4] حماش خليفة ،المرجع السابق،ص.894

ونضيف لاسيما مع وجود عذر شرعي يبيح إبطال الوقف كعدم صحة ملكية العقار المحبس الذي يعد شرطا مهما لصحته ؛حيث يسبق عقد الوقف دائما بعقد الملكية إذ يشار في متن الوقف إلى صحة نسبة العقار وملكيته للشخص الراغب في التحبيس[1].

فترد العبارة الآتية:" من ماله وملكا صحيحا من جملة أملاكه"، و لمزيد من التأكيد قد ترافقها العبارة الآتية:"وأنها{المقصود بها حانوت} لم تخرج عن ملكه ببيع ولاهبة و لاصدقة ولاغيره ولم يفوتها بوجه من وجوه الفوت وهي في حوزته وتصرفه وإستغلاله من غير منازع ....."[2].

وفي حالة ثبوت عدم صحة ملكية المحبس للعقار الذي قام بتحبيسه يتم إبطال هذا الأخير[3].

2-أن عقود المحاكم الشرعية تشير إلى مسألة هامة ونحن نؤيد بدورنا هذه الحجة ،و الاستدلال المنطقي وهي أن الوقف كان يتم في بعض الأحيان بترخيص ،أو موافقة من الباشا ،أو ناظر بيت المال للشخص الراغب في وقف أملاكه[4].

ونعتقد أن ذلك كان يحدث في الحالات ؛التي يمكن أن يكون فيها بيت المال طرفا في الميراث

---

[1] ويتم التركيز في عقود التحبيس على قضية صحة الملكية بذكر الأملاك ونسبتها للمحبس والحرص على تحديد طريقة تملكه لهذه الأخيرة: "الحمد لله بعد أن استقر على ملك المعظم الأحضى.....السيد شعبان بن محمد آغا المذكور مبتاعا في الرسم الأخير من الرسوم .....جميع الدار الكاينة أسفل كوشة إسكندر داخل محروسة الجزاير المجاورة لبعض جهاتها لدار هي الأن على ملك رقية المارداجية{كذا}المذكورة معه حيث أشير.....ملك شطرها الواحد بمضمن ما قيل في المومى إليه و شطرها الآخر بالابتياع الصحيح والثمن المقبوض من السيد محمد بن أحمد.....حسبما بين في رسم هذا بشهادة الفقيهين العدلين محمد الصوري والسيد محمدبن عمر الخليلي .....الاستقرار التام وكان كذلك حضر الآن بمحضر شهديه السيد شعبان المذكور أنظر:الوثيقة رقم 52 "وقف ذري مرجعه الحرمين الشريفين" في العلبة 119-120، تاريخها جمادى الأولى 1087هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] الوثيقة رقم 3 في العلبة 10- 1، المصدر السابق

[3] ومن الأمثلة على إبطال الوقف لثبوت عدم توفر شرط الملكية إبطال الوقف الذري الذي قام به الداي مصطفى باشا حيث أراد خليفته إبطال حبس الدار المذكورة موضوع الوقف لأنه علم بأن السيد مصطفى باشا قد بناها من مال أوجاق العسكر المنصور وليس من ماله الخاص ورفعت هذه المسألة إلى قاضي الحنفية لينظر فيها فحكم هذا الأخير بعد تمعن ببطلان رسم التحبيس والوقف حيث أن حبس ما لا يملك وقضى أيضا بجعل الدار المذكورة ملك من أملاك أهل الأوجاق أنظر: الوثيقة رقم8 "إبطال عقد تحبيس لعدم استفائه الشروط المتوجبة لصحته تاريخها 1223هـ/1807م، من المجموعة3205 من الرصيد العثماني بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية "الحامة"

[4] حماش خليفة ،المرجع السابق ،ص 896

المتعلق بتركته في حالة وافته كأن يكون بيت المال بمثابة عاصب المتوفى ؛حيث نجد إشارات إلى ذلك من خلال رسوم تقسيم التركات ومن نماذجها:".....بعد أن توفيت وصارت الى عفو الله وغفرانه الولية نفسة بنت الحاج احمد الشريف عرف الخواجة .....وعصبها بيت المال الموفور من بلد الجزاير المعمور لاغير في علم من علمه ....."[1].

وقد يكون بيت المال بمثابة الوريث الوحيد للمتوفى مثال: بعد أن توفي الى عفو الله ورحمته قاسم المعتوه{كذا}بن الفقيه احمد الأندلوسي{كذا} واحاط بميراثه بيت المال الموفور من بلد الجزاير المعمور لا غير في علم من علم ....."[2].

ونفس الأمر نستخلصه من دراسة ألبير دفوا حول التنظيمات الدينية في مدينة الجزائر حيث يذكر أنه لاحظ في العقود القديمة للوقف أن هذه الأخيرة لم تكن لتعقد إلا بموافقة من الباشا ؛فالواقف أو المحبس كان بحاجة إذ إلى موافقة ،وإذن الباشا أو البيتمالجي حتى لا يتهم بالتحايل و اتخاذه الوقف كطريقة لنقل أملاكه لجهة أخرى ،والأهم حرمان بيت المال من أخد نصيبه منها [3]؛وقد تم تسجيل عدة حالات وقف تمت بذلك الترخيص الذي كان يثبت ويذكر في عقد الوقف[4].وهذا ما توضح لنا من خلال أحد عقود الوقف:

"....وذلك كله بعد أن استأذن المحبس المذكور في تحبيسه المزبور ناظر المواريث المخزنية ببلد الجزاير المحمية وقت تاريخه وهو المعظم الاجل صاري مصطفى آغا ابن محمد التركي فأذن له في ذلك إذنا تاما تلقاه منه شهيداه{كذا} وشهد عليه اعزه بالإذن ولمن ذكر فيما ذكر على نحو ما سطر ....."[5].

---

[1] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 17،في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[3] Devoulx Albert, "Corporations Religieuses....", p.4 voir aussi

خليفة حماش ،المرجع السابق،ص.896

[4] المرجع نفسه

[5] الوثيقة رقم 9،في العلبة 119-120، المصدر سابق

و من ثمه يمكن القول بأنه إذ كانت فعلا ممارسة المصادرات من قبل السلطة رائجة بصورة كبيرة وكانت هذه الأخيرة تعتبر بأن الوقف حائل، ومانع لذلك لما منحت الموافقات بعقد الوقف في تلك الحالات.

3-أما الحجة الثالثة فتتمثل في أنه كما وجد أشخاص يعمدون إلى تحبيس أملاكهم فور شرائها[1] و جد أشخاص أخرون أوقفوا ،أو حبسوا أملاكهم بعد مدة من اقتناءها وقد كانت تلك المدة تصل إلى سنوات مثلا فاطمة بنت الحاج محمد التي ابتاعت من زوجها حانوتا أوائل959 هـ/1552 م ولم توقفها إلا سنة 975 هـ/ 1568م؛أي بعد إنقضاء16سنة[2].

ويشير عقد وقف أخر أبرمه الداي السيد الحاج محمد الدولاتلي الشهير التريكي أنه قام بوقف حانوت كانت من جملة أملاكه بعد انقضاء 18 سنة من شرائه لها[3].ولعل أبرز مثال وقف الحاج أحمد البرادعي ؛الذي اقتنى جنة في أوائل ربيع الأول 1095 هـ/1684 م وحبسها في رجب 1131 هـ/1719م أي بعد انقضاء 36 سنة من تاريخ شراءه للجنة[4].

و مهما كان الاختلاف حول دوافع ،وأسباب الوقف يبدو لنا أنه لا يوجد خلاف في اعتبار الوقف، أو التحبيس تقليدا راسخا في مجتمع مدينة الجزائر في ظل نظام الحكم العثماني بالإضافة إلى أهمية الأوقاف ،وتأثيرها المباشر على مختلف أوجه الحياة في مدينة الجزائر؛ حيث كان يستفاد من مداخيل الأوقاف، و الحبوس في أغراض كثيرة؛ إذ كان لها دور لا يستهان به في الحياة الاجتماعية؛حيث كانت مصدرا لسد حاجة الفقراء والموعزين والعجزة، وأبناء السبيل من خلال استعمال عوائدها في تقديم المساعدة ، وتوزيع الصدقات عليهم.

وساهمت الأوقاف في تمكين العجزة ،والقصر، والمطلقات، والأرامل من الاستفادة من مداخيل

---

[1] وهو ما لاحظناه أيضا في عدة عقود أوقاف اطلعنا عليها؛فكثيرا ما يرد عقد الشراء وعقد الوقف في نفس الوثيقة ؛فيكتب عقد الشراء بقلب الوثيقة في حين يكتب عقد الوقف في الحاشية وإذ لم يرد بهذه الصورة ؛فإن عقد الوقف يبدأ في معظم الأحيان بتأكيد صحة ملكية العقار أو ملك أخر يراد تحبيسه كما سبق الإشارة إليه .

[2] خليفة حماش ،مرجع سابق،ص.896

[3] الوثيقة رقم 3 في العلبة 10- 1، المصدر سابق

[4] خليفة حماش ،مرجع سابق،ص.896

أملاكهم ،ومصادر رزقهم [1]؛حيث أن الكثير من أصحاب الأملاك أوقفوا على أنفسهم ،ثم على أبنائهم ،وأبناء أبنائهم، وهكذا قبل أن تؤول الأوقاف إلى المرجع الذي قد يكون من المرافق الدينية كالمساجد أو أحد المرافق العامة كالعيون، أو إحدى مؤسسات الوقف وهذا ما كان يعرف بالوقف الأهلي أو الذري أوالخاص[2] ؛الذي لا يباع، ولا يشتري، ولا يصرف للغاية التي أوقف من أجلها إلا بعد انقراض العقب، وانقضاء الورثة، وهكذا فقد ساهم الوقف الأهلي في تماسك الأسرة في مدينة الجزائر والحفاظ على حقوق اليتامى، والأرامل، وهذا ما يوضحه لنا أحد عقود التحبيس حيث نجد فيه أن الحاج سعيد الدباغ ،وبعد أن استفتي العلماء في جواز تحبيس حانوت مع علوى راكب عليها، ومخزن أسفلها، وأجابوه لذلك وبجوازه على مذهب الإمام أبي حنيفة حضر بمحضر شاهديه ليحبس ويوقف ما ذكر آنفا ونص ذلك:

".....حضر الآن بمحضر شاهديه المالك الحاج سعيد الدباغ المالك المذكور واشهدهما انه{كذا} حبس ووقف بنية سنية على امر الاخلاص والتقوى المبنية جميع الحانوت والعلوى الراكب{كذا} عليها مع المخزن أسفلها المذكورين مبداءه{كذا} في تحبيسه اولا{كذا} على ان{كذا} تكون غلة ذلك ينتفع بها مدة حياته ثم بعده تصير الحانوت والعلوى والمخزن المذكورين حبسا ووقفا على ولده علي الموجود الان{كذا} و ما يتزايد له بقية عمره ان{كذا} قدر الله به ذكرا كان ام{كذا} انثي{كذا} وعلى بنات أخيه للاب{كذا} موسي وهن فاطمة و حليمة وخديجة المذكورات على السوية بينهم ولا يفضل الذكر في ذلك على الأنثي {كذا} ثم على ذرية ولده على المذكور وعلى ما يتزايد له....."[3].

ومما سبق نلاحظ أن العم عمد إلى توفير ،و ضمان مصدر معاش لبنات أخيه للأب من خلال إدراجهن ضمن المنتفعين من الحبس الذري الذي قام به في حين أنه في وقتنا الحالي

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق،ص.26

[2] و الأصل في الوقف هو الوقف الخيري العام الذي ترجع فائدته على المصلحة العامة بصورة مباشرة حول أنواع الوقف وطرق الاستفادة والانتفاع منه وأحكامه وقواعده. أنظر الدراسة الآتية: محمد أبو زهرة ،مرجع سابق وأنظر أيضا أبا الخليل سليمان بن عبد الله ،الوقف في الشريعة الإسلامية، مركز الدارسات والبحوث، الرياض1492هـ-2008 م

[3] الوثيقة رقم75 في العلبة 10 -11، المصدر السابق

انتشرت ظاهرة غريبة عن تعاليم ديننا ؛حيث أصبح الأخ الشقيق يحرم أخاه من أبيه، وأمه حقه من الميراث.

ونجد في عقد آخر حرص الجدة على ضمان مصدر دخل لحفيدتها :"ومما حبسته الولية مريم بنت محمد.....على نفسها وبعدها على حفيدتها بنت ابنتها وهي الولية خديجة بنت باكير آغا وبعدها على الحرمين الشريفين جميع العشرين الاثنين وخمسة اثمان العشر واربعة لأسداس ثمن العشر من جميع الدار الكاينة بقاع السور.....[1].

في حين يشير عقد أخر إلى تحبيس المدعو الحاج مصطفى بلكباشي لدار يملكها على أولاده و أولاد شقيقه المرحوم الحاج يوسف أوذباشي وذرية ذريتهم إلى إنقطاع عقبهم دون تمييز في نسبة الاستفادة بين أبناءه وأبناء شقيقه [2].ومن خلاله نسجل مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي على مستوى الأسرة ،والحرص على الاهتمام والعناية والتكفل باليتامى.

و نستشف من خلال عقود الوقف الذري أيضا العلاقة الحسنة التي كانت تربط بين الأصهار وعائلات زوجاتهم حيث نص عقد وقف ذري على إدراج الصهر ضمن المستفدين من الوقف[3].

وهناك أيضا من كان يدرج أقاربه ضمن المستفيدين من عوائد الوقف الذري ومن النماذج على ذلك نذكر وقف المدعو الحاج أحمد بن مصطفى الأندلسي الذي جاء فيه عن ذلك ما يلي :

".....فإن انقرضوا عن آخرهم رجع الحبس المذكور لأقرب الناس للمحبس المذكور من جهة الأب ذكورا وإناثا على الوصف المسطور فإن لم يبقى من القرابة أحد رجع الحبس المذكور إلى فقراء البقعتين الشريفتين....."[4].

كما يطلعنا عقد تحبيس ذري آخر على حرص وسعي الزوج إلى ضمان مصلحة زوجته بعد وفاته

[1] الوثيقة رقم 31 ،في العلبة 27-2 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة ر قم 78 في العلبة84 -85 -86، المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم 1 ،في العلية 10-1،المصدر السابق

[4] الوثيقة رقم 17 في العلبة 119-120، المصدر السابق

حين تصير أرملة من خلال تخصيص غرفة من الدار المحبسة لتستفيد منها في السكن أي الاهتمام في عقد التحبيس بضمان حق كل فرد من أفراد الأسرة[1]؛حيث جاء في عقد التحبيس ".....وكان ذلك كذلك حضر الان{كذا} بمحضر شاهديه على نفسه انه{كذا} حبس على نفسه جميع الدار المذكورة على نفسه مدة حياته على مذهب الامام{كذا} الاعظم{كذا} ابي {كذا} حنيفة رضي الله عنه ينتفع بغلته ثم بعد وفاته ترجع الغرفة الغربية الباب من الدار المذكورة على زوجته { } مدة حياتها ارملة{كذا} تنتفع بها كمسكن فإن ماتت تلحق الغرفة المذكورة بالحبس المسطور{كذا} ...."[2].

وهناك من ذهب أبعد من ذلك في ضمان مصلحة زوجته بعد وفاته من خلال إدراجها ضمن المستفيدين من الحبس سواء ظلت أرملة أم أعادت الزواج و هو ما نستشفه مما جاء في أحد عقود التحبيس :".....وعلى زوجته الآن وهي الولية الحرة الزكية مريم بنت السيد الحاج أحمد مدة حياتها وذلك سواء تزوجت أو تايمت بعد وفاته قاصدا بذلك أجر الله العظيم والدار الآخرة ....."[3].

ومما سبق نستخلص بشكل جلي دور الوقف، أو الحبس في الحفاظ على الروابط الأسرية وكذا صورة من صور التضامن في أوساط الأسرة الواحدة[4].و لاسيما عندما يستهدف من الوقف الذري استفادة جميع الأبناء دون استثناء أو تميز بين الذكور والإناث؛ وهذا ما نستخلصه من الصيغ الواردة

---

[1] الوثيقة رقم32 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"، في العلبة9 -1 تاريخها1096 هـ (1685 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] المصدر نفسه

[3] الوثيقة رقم79 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[4] وإن كان هذا الدور الأساسي للوقف إلا أنه و في بعض الأحيان كان الوقف وعلى عكس المتعارف عليه يتسبب في حدوث خلافات ،ونزعات بين أفراد الأسرة ،وكان يحدث ذلك لعدة أسباب من بينها عندما يستثني عقد الوقف أحد الأطراف مما كان يدفع بهذا الأخير إلى طرق أبواب القضاء وهو ما يلاحظ من خلال عقود المحاكم الشرعية والقضايا التي بث فيها المجلس العلمي حيث تبرز عدة عقود مثلا إقصاء الزوجة من الاستفادة من عقد الوقف، أو البنات أو أبناء البنات ...إلخ . اطلع على الشاهد الوارد في الفصل الرابع من هذا الباب ،ويمكن أيضا للتوسع الاطلاع على دراسة الأستاذ الباحث خليفة حماش ، المرجع السابق وفيها توسع الأستاذ الباحث و انطلاقا من وثائق المحاكم الشرعية في شرح مختلف عوامل ومظاهر النزاع بين أفراد العائلة التي كانت تثيرها عقود الوقف .

في عقود الوقف حيث ترد فيها العبارة الآتية:".....ثم بعد وفاته ترجع الدار المذكورة وما ذكر منها حبسا على ولديه محمد الصغير في حجره وتحت ولاية نظره وقامير المتزوجة المالكة أمر نفسها وعلى ما يتزايد له بقية عمره من الذكور والإناث ان قدر الله تعلى بذلك....."[1].

و لكن نسجل من خلال هذه العقود اختلافا في الحصص من حيث الاستفادة من عوائد الوقف بين الذكور ،والإناث وقد وجدت عدة صيغ في هذا الشأن ؛فهناك من سوى في الاستفادة بين أبنائه وبناته والصياغة كالآتي:" ...الإناث والذكور في ذلك سواء لا مزية للواحد على الآخر ...."أو "على السواء بينهم لا مزية للذكر على الأنثى"[2].

في حين هناك من حدد الاستفادة بينهم بما ينص عليه الشرع فيما يتعلق بالميراث تحت الصياغة الآتية "....للذكر مثل حض الأنثيين...[3]،وهناك من كان يوقف على أبنائه ،وبناته وأحفاده ،وأحفاد أحفاده من ذكور وبنات[4]...إلخ سواء كانوا من نسل أولاده أو بناته أي دون تمييز في حين هناك من كان يوقف على أبنائه ،وبناته وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده وهنا كان يحدث التمييز؛ فقد كان المحبس يقصي أحفاده من بناته من الاستفادة من الوقف، وقد يشمل الإقصاء الذكور منهم والإناث ،وقد يشمل الإقصاء الإناث دون الذكور ، وهناك من كان يخص بالوقف الذكور من أبناء أبنائه دون بناتهن بصورة دائمة وكلية أوبصفة مؤقتة ؛حيث يقصي المحبس نسل وعقب بناته من الاستفادة منه طالما عقب أحفاده من أبنائه الذكور لم ينقطع ليعيد إدراج عقب البنات للاستفادة من الوقف بعد انقطاع عقب الذكور ؛حيث ترد بالصيغة الآتية :

" ثم على أعقاب الذكور منهم فقط وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا في الإسلام فان انقرضوا عن آخرهم ولم يبق من عقب الذكور أحد فيرجع إداك لأعقاب الإناث من بنات صلب المحبس وأعقاب أعقابهن ما تناسلوا بحيث لا يدخل في الحبس المذكور أعقاب الإناث مع وجود أعقاب الذكور ...."[5].

---

[1] الوثيقة رقم 52 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 1 في العلبة 10-1، المصدر السابق

[3] الوثيقة 60 في العلبة 119-120، المصدر السابق

[4] الوثيقة 78 في العلبة 84 -85 -86، المصدر السابق

[5] الوثيقة رقم 52، في العلبة 119-120، المصدر السابق

أو بالصيغة الآتية:".....وعلى أولادهما الذكور منهم دون الإناث وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم الذكور منهم دون الإناث ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام ومن مات منهم من غير عقب رجع نصيبه من ذلك إلى أخيه و لا مدخل للأبناء في ذلك مع الآباء فإن انقرض عقب الذكور من عقب الذكور وبقي بناتهم فهن أحق بهم ما لم يتزوجن فإذ تزوجن ودخلن بيوتهن شاركهن عقب البنات ذكورهم وإناثهم وعلى السواء بينهم وأهل الحاجة بقدر حاجته....."[1].

و لكن نلاحظ من خلال الوثائق الأرشيفية دائما أنه إلى جانب وجود من يميل إلى التحبيس على الذكور من الأبناء و على أعقابهم خاصة من الذكور كما سبق توضيحه وجد من أوقف أملاكه على نسله من البنات وأعقابهن من البنات والذكور على حد سواء كما نستخلصه مثلا من عقد تحبيس قام به جد لصالح حفيدتيه اليتيمتين لضمان مصدر عيش لهما كممارسة تندرج في إطار التكافل الاجتماعي في ظل العائلة الواحدة :

" حبس المعظم الأجل الزكي الأفضل الناسك الأبر السيد الحاج علي آغا الإصبايحية كان ابن المرحوم السيد محمد بن علي على بنتي ولده المرحوم بكرم الله السيد خير الدين وهما آسية ونفسة الصغيرتين في حجره تحت ولاية نظره جميع داره .....وذلك على السواء بينهما والاعتدال لا مزية لواحدة منهما على الأخرى وعلى عقبهم فقط الذكور والإناث في ذلك سواء....."[2].

و ضمن الوقف توزيع ثروات المجتمع على فقرائه، والعجزة منه[3] مبرزا عادة حميمة في مجتمع مدينة الجزائر، والأغلبية المسلمة وهي تحبيب عمل الخير والإحسان- كما سبق ذكره -وضمان الترابط والتآزر بين أفراد المجتمع وإن ظهر ذلك التضامن بصورة أكبر في أوساط جماعات معينة كأهل الأندلس كما سيأتي توضيحه عند الحديث عن مؤسسات الوقف.

---

[1] الوثيقة رقم 45،في العلبة 27-1، المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 62 "عقد تحبيس ذري قام به جد لصالح حفيدتيه اليتيمتين بمدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها 1093 هـ (1682م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1، ص.228

وإلى جانب دورها الاجتماعي البارز أدت الأوقاف أيضا دورا هاما في الحياة الثقافية ،والدينية فكانت المصدر الأساسي لتغطية المصاريف التي كانت تحتاجها مؤسساتها من مساجد، وجوامع و زوايا وكتاتيب ، حيث كان ينفق بفضلها على رجال العلم، والمؤدبين، والأئمة ،و إعالة طلبة العلم من خلال تخصيص منح لهم، وتوفير مساكن لإقامتهم عندما كانوا يأتون من خارج المدينة ويعجزون عن توفير مأوى بإمكانياتهم الذاتية...الخ[1] .كما أن المرافق العامة[2]، ولاسيما العيون والآبار ،وقنوات نقل المياه، وغيرها كانت تؤدي دورا فعالا في الحياة اليومية للسكان؛ فكان هناك من يخصص أوقافا لصالح صيانة المرافق العامة كالعيون، والآبار ،أو لتحقيق الصالح العام كتخصيص أوقاف معينة لدفع تكاليف شراء الزيت للإنارة العامة ،أو الإنارة خلال شهر معين كشهر رمضان وإصلاح السكك ،أو توسعتها ، وغيرها من الأعمال التي تصب في إطار تحقيق المنفعة العامة [3].

وساهمت الأوقاف أيضا في المحافظة على النسيج العمراني للمدينة،وتوسيعه؛حيث استخدمت عوائد الأوقاف في القيام بصيانة ،وتجديد بعض البنايات التي كانت في حد ذاتها وقفا كعين أو تجديد ،وترميم بنايات، ومنشآت كدار، أو حانوت تكون وقفا على معلم آخر مثلا على مسجد، أو عين، ومن ثم نلاحظ مدى أهمية الأوقاف في صيانة مختلف المنشآت القائمة وفي تعمير المدينة وتوسيع عمرانها من خلال استغلال عوائدها في إنشاء البنايات وغيرها من المنشآت الجديدة التي تكون بدورها أوقاف لصالح الجهة التي استخدمت عوائدها في بناءها[4].

ومن خلال أحد عقود التحبيس الذري الذي مرجعه فقراء الحرمين الشريفين نتلمس هذا الحرص على ديمومة الحبس ،أو الوقف من خلال إدراج عبارة مفادها :"إصلاح ما تستدام{كذا} به منفعة الحبس،ورم ما تهدم منه و اصلاحه{كذا} لتتم المنفعة على أتم وجه وتستمر"[5].و الملاحظ عدم خلو أي عقد تحبيس من هذه العبارة، وإن تشهد أحيانا بعد التغيير في الصياغة؛ لكن المعنى

---

[1] حول هذا الموضوع راجع الفصل السادس التعليم واللغات من هذا الباب

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص.26

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1 ص.227

[4] راجع الفصل الثاني" المرافق المائية والصحية "في الباب الثاني من هذا العمل

[5] الوثيقة رقم75 في العلبة 10 -1 ،المصدر السابق

والهدف يبقى نفسه وهناك من يبين في عقد التحبيس ضرورة إخراج ما يلزم من غلة الحبس على ما تقضيه صيانته من لوازم قبل توزيع الغلة على الأطراف المستفيدة:

".....تصرف غلته عليهم عام بعد عام بعد أن تقام منه مصالح الأملاك المحبسة المذكورة من بناء وخدمة وغير ذلك بما يستدام به غلاتها ....."[1].

فكان الوقف من بين الوسائل الأكثر فاعلية في ظل الحكم العثماني وتحديدا منذ أواخر القرن 10هـ / 16م وطيلة القرن11هـ/ 17 م التي رافقت المرحلة الحاسمة للتوسع والتطور العمراني لمدينة الجزائر وإعادة هيكلة نسيجها العمراني من الداخل من خلال تكثيف معتبر لعدد منشآتها ومن الخارج من خلال التوسع نحو الأعلى ما فوق الأسوار العربية- البربرية القديمة[2].

كما وجدت عقود أوقاف نستدل من خلالها على جملة من القيم الدينية ،و الأخلاقية التي سادت في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كبر الوالدين ،وأهمية القرآن الكريم وأجر تلاوته[3] ؛وهذا ما نستشفه من خلال عقد من عقود المحاكم الشرعية الذي يتضمن نسخ 3 نصوص وثائق أو رسوم هي عبارة عن عقود تحبيس قام بها نفس الشخص وهو البيتمالجي صاري مصطفى ؛حيث ورد في النص الأول ما يلي :

".....على أن يعطى من غلة الحبس المذكور في كل شهر ريال واحد على من يقرأ{كذا} على والدي المحبس المذكور ما تيسر من كتاب تنبيه الأنام في علوي مقام نبينا عليه

---

[1] الوثيقة رقم45 "رسم تحبيس ذري بإشراف القاضي بالجزائر"،في العلبة 27-1، تاريخها الثالث من شهر رمضان 955 هـ (1548 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] Samia CHERGUI, Le *waqf* et l'urbanisation d'Alger à l'époque ottomane ,Alger:un métropole en devenir **,** In: **Insaniyat ,**Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales numéro 44-45 centre de recherche en Anthropologie sociales et Culturelle (Crasc) Oran,Algerie, avril - septembre 2009,p.21

[3] بالإضافة إلى الارتباط بالأراضي المقدسة وهذا ما نستدل عليه من خلال الوقف الذي عقده الداي محمد التريكي حيث أشهد على نفسه أنه حبس جميع الحانوت التي يملكها والكاينة في سوق الخياطين بحيث يكون شطرها وقفا على طالبين اثنين يقرأن القرآن العظيم بجبانته الكاينة خارج باب الواد .....في كل يوم من الشهر حزبان دايما ابدا يصرف غلة الشطر منها على الطالبين المذكورين سوية بينهما .....بشرط أن يكونا زكيين وشطرها الآخر يكون وقفا على من يطوف عنه بالبيت المشرف من القاطنين بمكة في كل يوم يطوف تسعة أشواط ثلاثة منه يصرف ثوابها له وثلاثة لأبيه وثلاثة لأمه دايما مؤبدا دون تقصير في ذلك ....."أنظر الوثيقة رقم 3، في العلبة 10 -1، المصدر سابق وحول أهمية القرآن الكريم وتلاوته على الأحياء والأموات على حد سواء ما ورد في رسم تقسيم تركة حيث حرصت المتوفاة أن يصلها أجر تلاوة القرآن حتى بعد وفاتها بتحبيس عقار على من =

الصلاة والسلام وقت الزوال من كل يوم من أيام السنة الى{كذا} آخر الأبد ....."."[1]

في حين نجد في النص الثاني :".....أشهد الآن السيد صاري مصطفى المذكور شهديه على نفسه الكريمة أنه حبس جميع العلويين المذكورين أما الذي على يمين الداخل فعلى فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة .....وأما الذي على يسار الداخل فعلى المسجد المعروف بالجامع الجديد.....على أن يعطى من غلة العلوى{كذا} المحبس عليه المذكور في كل شهر ريال واحد ونصف الريال لمن يقرأ على المحبس المذكور ما تيسر من كتاب الله عز وجل في كل يوم من الأيام إلى اخر {كذا} الأبد ...."."[2]

ونسجل أيضا الإحسان إلى الأبناء من حيث إشراكهم ليس في الإفادة من الوقف ولكن في الإفادة من الأجر والثواب الذي يناله المحبس[3] من جراء تحبيسه ومن النماذج على ذلك ما ورد في أحد عقود التحبيس من إشراك والدة لابنتها في الاستفادة من الوقف وكذا إشراكها في نسبة من الأجر والثواب المترتبين عن عقده:

".....ويكون ثواب ربع الحانوت والغلة الحاصلة منه للولية آمنة بنت محمد خوجا تصدقا من أمها خديجة المحبس لها في ميزان حسناتها ....."."[4]

كما أن العديد من عقود الوقف الذري لم تكتفي بالوقف على مرجع واحد بل يرد فيها ذكر عدة مراجع ومن الأمثلة عن ذلك نذكر :".....رجع الحبس المذكور إلى فقراء البقعتين الشريفتين المقدستين مدينة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم

= يقوم بقراءة القرآن عليها :".....وفي إيصائها بشراء عقار يوقف على من يقرأ القرآن عليها ويصرف ثواب ذلك إليها....." أنظر :الوثيقة رقم 26 في العلبة 5-1، المصدر السابق

[1] الوثيقة رقم 41 ،في العلبة141،المصدر السابق

[2] المصدر نفسه

[3] ونجد أيضا من كان يوقف الأملاك ويجعل ثواب ذلك وأجره لأحد أفراد عائلته المتوفين ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في أحد عقود الوقف حيث أوقف مجموعة من الورثة حصة من حانوت ورثوها وجعلوا أجر ذلك لقريبهم المتوفى الذي أورثهم تلك الحصة".....وصرف المحبسون المذكورون ثواب الحبس المسطور لموروثهم الحاج محمد المذكور....."أنظر:الوثيقة رقم37 في العلبة 119-120، المصدر السابق

[4] الوثيقة رقم 90 في العلبة 27-2، المصدر السابق

والحرم الشريف حرم مكة المنيف وإلى الجامع الأعظم عمره الله بذكره بداخل محروسة الجزاير وإلى فقراء الأندلس القاطنين ببلد الجزاير المسطور تصرف غلة ذلك أرباعا بين من ذكر الربع لكل فريق ....."[1].

ب-شروط عقد الوقف:

وكان الوقف في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني قائما على مبدأ شرعي، ويتم إقراره على أساس قضائية ملزمة كما نستخلصه من عقود الوقف في سلسلة وثائق المحاكم الشرعية حيث كان القاضي مسئولا عن تدوين الوقف بصيغة معينة، وفي حضور الواقف والشهود الذي يرد ذكر أسمائهم في عقد الوقف كما كان يتم تحديد قيمة الوقف ،وموقعه الدقيق إذ تعلق الأمر بعقار كما كانت عليه الحال في أغلب الأحيان وما هي الأهداف والأغراض التي أوقف من أجلها وطريقة الانتفاع منه ، وانتقاله؛ أي تحديد هل هو وقف أهلي يعود بعد انقطاع العقب إلى مرجع معين كمسجد ،أو غيره ،أم أنه وقف للصالح العام أي وقف خيري كوقف لصالح بئر أوعين و ما شابه ذلك إضافة إلى تعيين المشرف عليه وكان يعرف بالوكيل أو الناظر، والشروط الواجب توفرها فيه وفي الأخير يتم ذكر تاريخ الوقف مع إمضاء الحاضرين من شهود، وواقف، وقاضي.

وبناء على ماذكر أعلاه نستخلص أن عملية الوقف أو التحبيس كانت تستند إلى خلفية شرعية تنظمه، وتضمن حقوق الجميع فيه بحيث تحد من المظالم، والأحكام التعسفية؛ فكان على كل الأطراف المعنية بالوقف احترام ،والتزام ما جاء في تلك الصيغة لتجنب حدوث أي تجاوزات؛والدليل على ذلك أن جميع عقود الوقف تحوي عبارات وصيغ تحذر من المساس به دون وجه شرعي ومن نماذج ذلك ماجاء في عقد تحبيس ذري مرجعه فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة ونص ذلك:".....تحبيسا تاما مؤبدا ووقفا دايما مخلدا .....محفوظا بشروطه لا يبدل عن حاله و لا يغير عن سبيله ومنواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن سعي في تبديله أو تغيره أو تغير شيء منه بغير موجب شرعي فالله حسيبه وسايله وولى الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ..."[2].

---

[1] الوثيقة رقم 17 في العلبة 119-120، المصدر سابق

[2] الوثيقة رقم75 في العلبة10-11، المصدر سابق

و نشير هنا إلى أن قضية استبدال وقف بآخر أو ما يسمى بالمعاوضة لم يكن يلغى إمكانية الحفاظ على ديمومة الوقف بل بالعكس فلم يكن الإفتاء والحكم بصحة المعاوضة وقبولها يتم إلا إذا كان الهدف منها مصلحة الوقف ،ومنع انقطاع الاستفادة منه ،وضمان ديمومته وبعد إثبات مدى المنفعة التي تتحقق في حالة اعتماد المعاوضة ولهذا كان القاضي يأمر صاحب الطلب إلى جانب حصوله على فتوى تجيز طلبه إثبات قوله حول جدوى المعاوضة بالاستعانة بأصحاب الخبرة ولعل ما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية دليل على ذلك والتي تناولت قضية معاوضة وقف بآخر أكثر نفعا منه[1].إذ ورد فيها مايلي:

" .....فكلفه إثبات السداد والقيمة فامتثل أمره واثبت السبب والسداد بشهادة الكرام وهو المعلم أحمد أمين جماعة البناءين بن تاعباست والمكرم عبد الله عرف بوكبوط بن سعيد والمعلم محمد البناء بن حمودة ....."[2].

وقد أتبث تقرير الخبراء المذكورين أعلاه والذي استند إليه القاضي في حكمه الفائدة التي ستتحقق لصالح الوقف إن تمت تلك المعاوضة:"....بعد تقيم الدار و ان معاوضة الدار الكاينة اعلا سوق الكتان بالدار الكاينة بسويقة عمور والجنة المذكورين سداد لا غبن فيه ولا حيف على جانب الحبس وبذلك أدوا شهادتهم لدى القاضي لا يشك احد منهم في ذلك ولا يرتاب .....ولجواز المعاوضة في ذلك لما فيه من مصلحة وفتوى العلماء"[3]؛ حيث عادت كل من الدار والجنة المشكلتين للوقف في أول الأمر ملكا من أملاك الواقف في حين خرجت الدار التي عوضتهما من ملكيته وصارت وقفا.

ومن نماذج جواز المعاوضة للحفاظ على ديمومة الوقف ومنفعته أيضا ما جاء في إحدى وثائق المحاكم الشرعية حيث أنه تم وقف أجزاء من دار على المدعوة خديجة بنت باكير في حين أن بقية أجزاء الدار المذكورة كانت على ملك السيد سعيد الشريف الحمامي وحدث أن انهدمت الدار المذكورة بأكملها وانقطع النفع منها فطلب شريك خديجة المذكورة سعيد الشريف أن تبني معه

[1] راجع تفاصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب

[2] الوثيقة رقم 4 في العلبة10-2، مصدر السابق

[3] المصدر نفسه

منابها المحبس عليها من الدار المذكورة فاعتذرت بصعوبة أمر البناء عليها لقلة ذات اليد وغلاء مواد البناء ؛فأرادت المعاوضة معه في الحق المذكور من الدار المذكورة بجميع العلوي الذي كان يملكه شريكها في زنقة الوالي الصالح سيدي رمضان سند الجبل الراكب على كوشة هناك معدة لطبخ خبز العسكر ،و رفعا القضية إلى نظر القاضي يطلبان منه النظر فيما يبيح لهما التوصل لمعاوضة الحبس بما ذكر لقطع منفعة الحبس بتهدمه وقد تم قبول المعاوضة والحكم بصحتها من طرف القاضي لما تم إثبات ضرورة ذلك وفائدته لجانب الحبس:".....ظهر للشيخ القاضي المذكور أعلاه ان يأذن للمترافعين المذكورين في معاوضة ما ذكر بما رسم ويبيح لهما ذلك لأجل ما ذكر ولأنه لو لم يبح لهم هذا الوجه لانقطع الانتفاع من الحبس اصلا....."[1].حيث بين تقرير الخبراء الذي استند إليه القاضي أنهم وجدوا الدر متهدمة لا يمكن الانتفاع بها وان معاوضة الحظ المحبس فيها المذكور بجميع العلوي لا يضر بالحبس بل بالعكس فيه فائدة لأن أقصى ما يبلغه كراء الحق المحبس المذكور لو كانت الدار صحيحة ستة عشر ريالا وقيمة كراء العلوى المذكور تلاثين ريالا ولاسيما أنه سليم[2].

و هنا نشير إلى إمكانية الحفاظ على ديمومة الوقف أيضا كما تبين لنا من أحد عقود الوقف التي اطلعنا عليها في سلسلة المحاكم الشرعية وإن تم تغيير البلد التي عقد فيها الوقف وينطبق هذا على الوقف الذري؛حيث يتعين على المستفيد من الوقف عند تغيير محل إقامته تصفية الأملاك الموقوفة وبثمنها يعيد بعث عقد الوقف السابق بنفس قيمته وبنفس شروطه في محل إقامته الجديد ولكن لابد أن ترد هذه الإمكانية في عقد الوقف الأصلي ،ومن نماذج ذلك ما ورد في أحد عقود الأوقاف:"..... أتاح المحبس لولديه المذكورين إن أراد الانتقال من البلدين المذكورين-حيث تضمن عقد الوقف أملاك محبسة في كل من مدينة الجزائر ومدينة مليانة- إلى غيرهما بيع المحبس المذكور وقبض ثمنه والانتقال به إلى محل استيطانهما واشتراء{كذا} بثمنه ريعا يكون حبسا على الوجه الذي كان عليه الحبس المذكور أولا....."[3].

---

[1] الوثيقة رقم 31،في العلبة27-2، المصدر السابق

[2] المصدر نفسه

[3] الوثيقة رقم45 ، في العلبة 27 -1،المصدر السابق

ج –الواقفون:

و الملاحظ انطلاقا مما ورد في المصادر الأرشيفية أن الكل في مدينة الجزائر كانوا يساهمون في تخصيص الأوقاف للأغراض السابق ذكرها فلم تكن هذه العملية حكرا على طبقة معينة أو مذهب ، أو جنس؛ فكان الجميع يساهمون في تخصيص الأوقاف سواء لصالح المرافق العامة أو للفقراء و المحتاجين، أو للمؤسسات الدينية، والتعليمية في مدينة الجزائر، ولذلك كان يتواجد بين الذين يحبسون أملاكهم المنقولة منها والعقارية : العثمانيون والبلدية، والأندلسيون و الكراغلة، وبعض الأفراد من جماعة البرانية من الذين استقروا بها ؛حيث ساهم أتباع المذهبين المالكي، والحنفي،وحتى المذهب الإيباضي رجالا ،ونساءفي حبس الحبوس، ووقف الأوقاف[1].

ولم يكن الفرق بين هؤلاء إلا في قيمة الوقف، تبعا لإمكاناتهم المادية، فالوقف كان يتم خاصة من طرف الميسورين، ومتوسطي الحال لصالح الفقراء الذين كانوا في حاجة إلى مداخيل الوقف ومن تم قلما كان يساهم هؤلاء في الوقف لحاجتهم .و ساهم أصحاب السلطة بدورهم في توقيف الأوقاف لصالح ما بنوه من مساجد، وجوامع أو زوايا، وكان الدافع ،والوازع عند معظم الواقفين هو دافع، ووازع الغيرة ،والحماس للدين، والعلم ،و إصلاح حال المجتمع الذي يعيشون في وسطه،و في بعض الأحيان كان الدافع هو اكتساب السمعة الطيبة، والذكر الحسن[2].

وفي إطار الأوقاف التي كان يوقفها الأفراد سواء كانوا من المدنيين أو العسكريين من الميسورين أو الحكام، وأصحاب المناصب الهامة في الإدارة ،والسلطة ؛نذكر على سبيل المثال لا الحصر عقد تحبيس قام به الحاج محمد أوذ باشي بتاريخ 1096 هـ /1684 م جاء فيه ما نصه :" الحمد لله بعد أن خلص للحاج محمد اود{كذا} باشي المذكور مبتاعا فيما حوق هذا به تملك جميع الدار الكاينة بحومة الجابل {كذا} جامع المرحوم خضر باشا المذكورة معه.....واراد{كذا} المالك الحاج محمد اود{كذا}باشي المذكور تحبيس الدار المذكورة.....حضر الأن بمحضر شهديه الحاج محمد اود{كذا}باشي المذكور واشهده{كذا}

---

[1] على سبيل المثال أنظر : عبد الجليل التميمي ،وثيقة عن الأملاك المحبسة...، و السجل رقم 218 " من سلسلة سجلات البايلك ،المصدر السابق

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع االسابق، الجزء1 ص.229

على نفسه انه{كذا} حبس على نفسه جميع الدار المذكورة على نفسه مدة حياته على مذهب الإمام ابي حنيفة رضى الله عنه على أن ينتفع بغلته ثم بعد وفاته ترجع الغرفة الغربية الباب من الدار المذكورة على زوجه الولية [ ] بنت [ ]مدة حياتها ارملة تنتفع بها مسكنا فان{كذا} ماتت تلحق الغرفة المذكورة بالحبس المسطور ثم على ذريته وذرية ذريته ما تناسلوا وامتدت{كذا} فروعم في الإسلام الذكور والإناث في ذلك سواء منها أو من غيرها فان انقراض{كذا} الجميع رجعت الدار المذكورة حبسا على فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة سوية بينهما.....[1]".

وهناك من كان يساهم في إثراء رصيد مؤسسات الأوقاف ؛ولكن ليس بصورة مباشرة أي ليس من خلال وقف أملاكه ،ولكن بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال ترك وصية يوصى فيها المتوفى بحصة من أملاكه "الثلث "لصالح إحدى مؤسسات الوقف التي سيرد ذكرها لاحقا ومن نماذج ذلك ما ورد في رسم تقسيم تركة امرأة:

" بعد أن توفيت وصارت إلى عفو الله وغفرانه الولية الحاجة نفسة بنت الحاج احمد الشريف عرف خواجة .....وقد كانت وصت رحمها الله لفقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة زادهما الله شرفا بالثلث الواحد من جميع ما خلفته من قليل الاشياء وكثيرها تافهها وخطيرها اصلا وسواء على وجه وصية الجايزة وحكمها .....".[2] ونجد مثالا آخر في رسم آخر تضمن أيضا تقسيم تركة امرأة :"بعد وفاة المرحومة بكرم الله بنت الناسك الأبر الحاج أحمد الأندلسي.....وقد كانت الهالكة المذكورة أوصت في مرض وفاتها بثلث متخلفها أصلا وسواء لفقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة زادهما شرفا باقرار الوارثين المذكورين بذلك لدى شهديه إقرار تاما لتلقيهما ذلك منها في مرض وفاتها وصحت فريضتها بين الوارثين المذكورين والموصى لهم....."[3].

---

[1] الوثيقة رقم32 ، في العلبة9 -1 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19- 1، المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم70 "رسم يتضمن قضية بيع وشراء"، في العلبة27-2 تاريخها أوائل شهر رمضان المعظم 1075 هـ (1665م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

وقد كانت تلك الأموال تستعمل من طرف وكلاء الأوقاف في توسعة حقل أملاك مؤسسة الأوقاف من خلال ابتياع أملاك تضم لمؤسسة الأوقاف مستعملين الأموال التي يتم التوصية بها لصالحها ،وكذا الأموال التي يتم التصدق بها لصالح هذه المؤسسات، وهذا ما يتضح مثلا من خلال عقد شراء قام به وكلاء الحرمين الشريفين ورد فيه ما يلى :

" الحمد لله اشترى الكرام الأمناء الأخيار وكلاء الحرمين الشريفين.....من الحرة الولية خديجة بنت المرحوم السيد محمود طبعجي .....جميع العلوى المذكور معها حيث أشير الكاين بسوق البرداعية في القديم ..... اشتراء تاما مستوفي الشروط الشرعية بثمن قدره ثلاثمائة ريالا وخمسة وسبعون ريالا بموحدة دفعها الوكلاء المذكورين لها مما تحصل بأيديهم من الصدقات بداخل البلد المذكور لجانب فقراء المكانين المذكورين[1] .....وصار جميع العلوى المذكور لجانب الفقراء المذكورين وقفا عليهم كساير أوقافهم بداخل البلد المذكور وخارجها تصرف غلته عليهم كل سنة بعد اضافة غلته لغلة أوقافهم بالبلد المذكور....."[2].

[1] ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما ورد في عقد شراء أملاك لصالح الحرمين الشريفين :".....دفع الأمناء المذكورون من الثمن المذكور ما قدره ماية ريال واحدة كانت الولية الحاجة فاطمة بنت الحاج ابراهيم أوصت بها لفقراء الحرمين الشريفين وكمل الأمناء المذكورون تمام الثمن المذكور مما بأيديهم....."أنظر الوثيقة رقم 69 في العلبة27-2، المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم19 "رسم يتضمن قضية بيع وشراء"، في العلبة10-2 تاريخها أوائل شهر رمضان المعظم 1075 هـ (1665م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

د–مؤسسات الوقف :

وكانت توجد في مدينة الجزائر أيضا مؤسسات وقف جماعية، ونذكر منها:

1–إدارة سبل الخيرات أو سبيل الخيرات:

و كانت تشكل هيئة، أو مؤسسة شبه رسمية أسسها العثمانيون وكان لها النظر والإشراف على مساجد المذهب الحنفي ،والأملاك المحبسة عليها كالجامع الجديد وجامع صفر وجامع شعبان باشا، و جامع حسن ميزومرطو، وجامع الشبرلة، وجامع كتشاوة ،وجامع القصبة وجامع دار القاضي وكذا على الزوايا والمدارس،وموظفيها ،وتقديم المساعدات،والإعانات للفقراء، و المعوزين المنتسبين لهذا المذهب.[1]

و كانت هذه المؤسسة تقبل الأوقاف الموجهة لخدمة الفقراء ، والعلماء ،والطلبة ، والعجزة وتساهم في نفس الوقت في إنشاء مؤسسات تقوم بنفس مهامها[2]، وكانت تديرها جماعة من الموظفين من أهمهم ناظر أوقاف هذه المؤسسة أي الوكيل ، وكاتب خوجة ينظم عقود هذه الأخيرة وشاوش كان مكلف بالسهر على أبنية المؤسسة ودخول الإيجار–العوائد–وتسهيل عمل الطلبة،و الحزابين الذين كانوا يقرؤون القرآن بجانب هذه المؤسسة،وكان يعينها الباشا نفسه،ومن أبرز ما قامت به إدارة سبل الخيرات إنشاؤها للجامع الجديد، أو الحنفي المسمى أيضا بجامع الصيادة [3].

وقد أنشئت هذه الإدارة في أواخر القرن 10 هـ(16م)[4] وتحديدا سنة 1584م بحسب ماأورده

---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 156 أنظر أيضا
Albert Devoulx, "Les Edifices Religieux...", p.28

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1 ، ص. 234

[3] عقيل نمير حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر،**في مجلة دراسات إنسانية** ، عدد خاص بالملتقي حول موضوع" الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" جمع وتقديم ناصر الدين سعيدوني ،تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2001 – 2002 ص.122.

[4] وهنا نشير إلى أن الأستاذة الباحثة زكية زهرة في دراستها الأكاديمية المتخصصة عن مؤسسة أوقاف سبل الخيرات ومساجدها الحنفية في العهد العثماني بداية من القرن 12 هـ(18 م) أبرزت الاختلاف القائم في تحديد التاريخ الدقيق لنشأة هذه المؤسسة ويبدو أن هذه الاحتمالات تولدت من الخطاء الذي وقع فيه البير دفوا في موافقة التاريخ الهجري من حيث عدم تطابق التاريخ=

ما أورده ألبير دفوا الذي يعد من أوائل من كتبوا عن المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر في العهد العثماني.[1]

وكانت مؤسسة سبل الخيرات تتمتع بتأثير كبير في المجتمع، والدولة نظرا لأهمية الأوقاف التي كانت تتلقاها، والمنشآت التي كانت تشرف عليها ودورها في الأعمال الخيرية لاسيما إعالة ومساعدة المحتاجين، و الإشراف على المؤسسات الدينية ،والثقافية ومصاريفها.[2] وكان معظم الواقفون عليها من الفئة الحاكمة و من أفراد الجيش والسكان الميسورين مما جعل هذه المؤسسة إحدى

=الميلادي الذي ذكره مع التاريخ الهجري أي سنة 1584 م لا تماثل سنة 999هـ ولكن سنة 999 هـ توافق السنة ما بين 1590 و1591م في حين أن تاريخ 992 هـ و الذي يتوافق مع سنة 1584م بل وتبرز كذا الخلاف حول مؤسسها حيث تذكر أن سنة 992 هـ1584 م توافق مرحلة الباشوات الثلاثين وتحديد ولاية حسن باشا الذي يبدأ من 990هـ أفريل –ماي في حين أن تاريخ 999 هـ/1590 -1591 م يوافق تاريخ نهاية ولاية خضر باشا الذي تولى السلطة للأول مرة في شهر رمضان 997 هـ/أوت 1589م ويوافق أيضا تاريخ تعين شعبان خوجة ابن يحي آغا هذا الأخير عين في منصبه في شهر ذي القعدة 999هـ/جويلية –أوت 1591م وبقي في الحكم إلى غاية تعيين مصطفي باشا في 1003 هـ/1594م في حين ذكرت أن الدليل الأول الذي عثرت عليه و بشير إلى مؤسسة سبل الخيرات وجدته في سجل من سجلات رصيد بيت البايلك والذي يحمل تاريخ شهر محرم 1032/نوفمبر 1622 م يتعلق بحوانيت ومخازن مؤسسة سبل الخيرات المخصصة للكراء ولاحظت أن تاريخ 1032 هـ /1622 يوافق حكم حسن باشا (1030 -1032هـ /1621 -1623 م) وهو تاريخ يأتي بعد 33 سنة من التاريخ الذي اتخذه ألبير دفوا وأنه في الفترة الممتدة بين التاريخين لم تعثر على معلومات حول مؤسسة سبل الخيرات ومع هذا تستبعد اتخاذ تاريخ 1622م تاريخا يؤرخ لبروز هذه المؤسسة لأن الأملاك الوارد ذكرها بالسجل قد تم توقيفها في تاريخ سابق لم تتمكن من تحديده ولهذا امتنعت عن وضع فرضية ،أو تأويل لتاريخ التأسيس . ومما سبق نستخلص أنه وإن يكتنف تاريخ تأسيس مؤسسة سبل الخيرات وهوية مؤسسها نوع من الغموض؛ فالشيء المؤكد أنه كانت متواجدة فعليا وتنشط خلال النصف الأول من القرن 11 هـ(17 م)بناء على السجل الذي استندت إليه الأستاذة الباحثة و للتوسع أكثر حول موضوع مؤسسة سبل الخيرات وما يتصل بها كهيكلتها الإدارية وموظفيها من وكلاء وغيرهم ، و هيكلتها القضائية من قاضي ومفتي وغيرهما، والمرافق الدينية والعلمية التابعة لها من مساجد ،وجوامع ،وزوايا وكتاتيب وموظفيها من علماء وأئمة ومفتين... الخ التي كانت تشرف عليها وعلى تسيير أوقافها ، و للتعرف أيضا على طبيعة هذه الأوقاف وإحصاءات عنها وأصناف المحبسين على هذه المؤسسة أنظر :

Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger: la fondation du waqf des subul al -Kayrat et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII e siècle à la colonisation française), directrice de thèse Randi Deguilhem, thèse pour obtenir le grade de docteur D'Aix - Marseille université présentée et soutenu publiquement le 12juillet 2012

[1] Albert Devoulx, "Les Edifices Religieux...", p.28

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 1 ، صص 234 -235

أغنى مؤسسات الوقف في مدينة الجزائر وقد صنفت في المرتبة الثالثة بعد مؤسسة الحرمين الشريفين ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم[1].

وعلى الرغم من أن هذه المؤسسة كانت مخصصة لأتباع المذهب الحنفي إلا أن الاستفادة من أملاكها الموقوفة في داخل مدينة الجزائر ،أو في ضواحيها عن طريق الكراء كان أمرا مسموحا ومتاحا لجميع العناصر المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر دون تمييز لا على أساس الأصل ،أو المركز الاجتماعي أو حتى الدين ؛حيث أدرج العنصر اليهودي أيضا ضمن المستفيدين من كراء أملاك هذه المؤسسة فوفرت بذلك للبعض من هؤلاء الإيواء والسكن، وللبعض الآخر فرصة لممارسة الأنشطة الحرفية والتجارية والفلاحية[2].

2–مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم :

كان جل سكان مدينة الجزائر المسلمين؛ في ظل الحكم العثماني من أتباع المذهب الماكي فرأى حكامها أنه من الأفضل أن يكون لكل من المذهب المالكي، والمذهب الحنفي ما يخصه من الأوقاف، وهذا يندرج دائما في إطار المحافظة على مميزات السكان المحليين،وهم الجمهور والسواد الأعظم المتبعين للمذهب المالكي،وكانت الأوقاف الخاصة بالمذهب المالكي وكل ما يتعلق بها في يد مفتي المالكية؛ فكان يتكفل بمساجد المالكية، و أحباسها من حيث تسيرها والإشراف عليها وفي مقدمتها الجامع الكبير أو الأعظم.[3]

ووضعت أركان مؤسسة خاصة تشرف على الأوقاف المحبسة لصالح الجامع الأعظم وكل المساجد التي كانت تابعة للمذهب المالكي، و احتلت هذه المؤسسة المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين ،ويبدو أن نشاطها بدء مع بداية القرن 10هـ (16م) حيث لم يتم العثور إلى الآن على عقود تعود لما قبل العهد العثماني ويعود أول عقد تحبيس إلى سنة 947هـ/1540-1541 م وبناء عليه يمكن القول أنها ظهرت حوالي منتصف القرن10هـ (16م)[4].

---

[1] زكية زهرة ،أوقاف مؤسسة سبل الخيرات،في الدولة الجزائرية الحديثة...،ص.260.

[2] المرجع نفسه،ص.271.

[3] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.156 أنظر أيضا:

Albert Devoulx," Les Edifices Religieux...",p.99

[4] نعيمة بوحمشوش،"مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر "،في الدولة الجزائرية الحديثة... ،صص.280-281

و كانت حبوس الجامع الأعظم نتاج تحبيس سكان مدينة الجزائر من المالكين ،والأحناف على حد سواء في بل ووجد منهم حتى الحكام ،وأصحاب المناصب العليا في الدولة من العثمانيين[1] ومن أمثلة ذلك ما تضمنه احدي الوثائق العائدة للرصيد العثماني، والمتمثلة في بيان العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد على سبيل المثال إشارة إلى" نسخة الدار الكائنة قرب باب الواد تحبيس الحاج محمد الدولاتلي باشا" بتاريخ 1088هـ(1677-1678)[2]. كما نجد وقف عبارة عن "حض من الدار..... قرب سوق السمن ومعه ثلث فندق خارج باب عزون تحبيس شعبان باشا"بتاريخ 1083هـ(1672-1673).[3]

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الأهمية التي كان يحظى بها الجامع الأعظم[4] لدي كل سكان مدينة الجزائر باعتباره أعرق، وأكبر الجوامع بها كما أنه ينفي وجود خلاف، أو نزاع بين المذهبين المالكي، والحنفي،و يؤكد غياب فكرة التعصب المذهبي و الفصل التام بين المذهبين

---

[1] فمن خلال قراءة تحليلية استقرائية لوثيقة أوقاف الجامع الأعظم التي نشرها وقدمها الأستاذ عبد الجليل التميمي نستخلص أن أوقاف الجامع الأعظم ساهمت فيها مختلف العناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني؛ فكان الواقفون من فئة العلماء، ورجال الدين، وأصحاب الحرف المتنوعة كالحددين، والعطارين ،والدباغين ،وأمناء الحرف أيضا كأمين الحراريين وأمين الكواشين وأمين البنائين وكذلك ساهم سكان المدينة من الحضر خاصة البلدية منهم بالإضافة إلى الوافدين للمدينة من مدن أخرى من الجزائر كقسنيطنة ،وعنابة ،وتلمسان أومن خارج الجزائر كتونس، وتطوان دون نسيان الأندلسيين كما نسجل المساهمة الفعالة للمرأة في تشكيل رصيد أوقاف هذه المؤسسة ،ولكن ما يشد الانتباه هو المساهمة الهامة للعثمانيين بماقيهم الأعلاج ، وكذلك فئة الكراغلة سواء كانوا عسكريين أو مدنيين وهم أساسا من أتباع المذهب الحنفي وطبعا يندرج في إطارهم من كانوا موظفين في الدولة .أنظر: عبد الجليل التميمي ،وثيقة بيان العقود ...، وقد قامت الأستاذة الباحثة نعيمة بوحمشوش بدراسة إحصائية استقرائية انطلاقا من هذه الوثيقة لعدد الوقفيات التي قامت بها كل فئة من الفئات السكانية التي أشرنا إليها و توصلت على ضوء ذلك إلى جملة من الاستنتاجات التاريخية الهامة أنظر:نعيمة بوحمشوش،مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم ،في الدولة الجزائرية ..."،ص.288-291

[2] عبد الجليل التميمي، وثيقة ...،ص.57(الصفحة 1 من الوثيقة)

[3] المصدر نفسه

[4] للتوسع حول تنظيم وهيكلة مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم وموظفيها وأنواع الأملاك المحبسة عليها ،وفئات المحبسين عليها خلال العهد العثماني ومصيرها ،ومصير الأوقاف التابعة لها خلال مرحلة بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر أنظر: الدارسة الأكاديمية المتخصصة الآتية :نعيمة بوحمشوش،الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف،ررسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أد.فتيحة الواليش،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر2 السنة الجامعية 2013-2014

فهما في واقع الأمر كما هو معلوم نتاج اجتهاد كبار علماء المسلمين، فالاختلاف ليس في الأصول ولكن في الفروع، والدين يسر؛فحيث اليسر يباح للمسلم اللجوء.

و ليست عقود الوقف المصدر الوحيد للتعرف على أوقاف الجامع الأعظم؛ ولكن نجد أن رسوم تقسيم التركات قد تشير ضمنيا إلى هذا الأمر [1].ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في وثيقة رسم فريضة ارث –أي تقسيم تركة–من إشارة إلى تحبيس أرض جنة، وبحيرة على الجامع الأعظم عند الحديث عن الأملاك التي خلفها المتوفي :

"...جميع أشجار الجنة والبحيرة الكاينتين*[كذا]* بالحامة خارج باب عزون واحد أبواب [كذا]محروسة الجزاير [كذا] امنها الله تعلى الشهيرتين بالميور في سهم نوبة ونصف النوبة من الماء الهابط من وادي خنيس المبين ذلك في الرسوم بمحوله دون ارض *{كذا}* البحيرة و الجنة المذكورتين فانهما *{كذا}* حبس على الجامع الأعظم من محروسة الجزاير *{كذا}* امنها *{كذا}* الله تعلى حسبما هو مبين ومسطر في المشار اليه ....."[2].

3–مؤسسة أوقاف الأندلسيين :

أسس الأندلسيون بدورهم العديد من المؤسسات الخيرية ،و كان الهدف من ورائها خلق التعاون والتضامن بين أفراد هذه الجماعة، وكذا مساعدة فقراءهم ؛فقد كان عليهم في بادئ استقرارهم في مدينة الجزائر، أن يواجهوا جملة من الصعوبات الناتجة عن تهديد الإسبان، واختلاف البيئة وأسلوب العيش إلى حد ما [3]؛فقد كانوا في بداية الأمر لاجئين يبحثون عن أماكن توفر لهم الاستقرار، والأمن و لم يكن كل الأندلسيين الذين حلوا بمدينة الجزائر من أصحاب الأموال إذ كان من بينهم الفقراء والمحتاجين؛ فمن المشاكل الاجتماعية الهامة التي طرحت نفسها عليهم بإلحاح مسألة التكفل بفقرائهم، لذلك أنشئوا لهم أوقفا خاصة عرفت بأوقاف الأندلس .

و ساهمت العائلات الأندلسية الثرية بفضل نشاطها التجاري، والحرفي– لاسيما في مجال صناعة

---

[1] وهذه الملاحظة تنطبق أيضا على أوقاف بقية المؤسسات الوقفية

[2] الوثيقة رقم9 في العلبة18–1 ،المصدر السابق

[3] ناصر الدين سعيدوني،" دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة ..."،الجزء2، ص.44

النسيج، والحرير، وبروزها في ميدان الزراعة إلى جانب اشتغال بعض أفرادها في المناصب الإدارية والعلمية كما سبق الإشارة إليه –بشكل فعال في تخصيص الأوقاف للإنفاق على المحتاجين من أبناء بلدهم، من أموالهم الخاصة، وعقود التحبيس، والوقف التي تحويها سلسلة بيت البايلك قد تم تحبيس البعض منها من طرف الأندلسيين نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر عقد تحبيس تاريخه 1073هـ (1662 م) نصه:

"تحبيس الشريكان المكرم الحاج مصطفي بن محمد الاندلسي {كذا} المذكور وابنته وانه {كذا} حبس جميع النصف من الثلاثين من الدار الكاينة بحومة بولعبة انه {كذا} حبس على ابنته امنة{كذا} المذكورة وعلى ولدي ولده محمد و عايشة جميع النصف من الثلاثين الخاصة والنصف الاخر {كذا}لأبنته امنة المذكورة ثم على اعقابهم{كذا} فان {كذا} انقرضوا جميعا رجع الشطر للحرمين الشريفين مكة الشرف والمدينة المنورة والشطر الآخر لفقراء الأندلس القاطنين بمدينة الجزائر كما حبست ابنة المذكور الحاج مصطفي امنة{كذا} الثلث الباقي من الدار على اولدها{كذا} الموجودين الان وهم ابراهيم و محمد ويوسف وامنة و ما يتزايد لها ثم على اوليدهم واوليدهم{كذا}ما تناسلوا ثم الشطر للحرمين الشريفين والشطر الآخر لفقراء الأندلس القاطنين بمدينة الجزائر عمرها الله امين سنة 1073 (1662 م)"[1]. وما سبق عبارة عن عقد تحبيس ذري مرجعه الحرمين الشريفين مكة الشريفة والمدينة المنورة و فقراء الأندلس القاطنين بمدينة الجزائر.

وكان ذلك نتيجة إحساسهم بضرورة تكاتفهم، وتأزرهم فيما بينهم ليكون ذلك سندا لهم في وجه نوائب الزمن إضافة إلى رابطة تجمعهم في أرض الغربة رغم كونها أرض إسلام وأهلها أهلهم وذلك ربما لتميزهم بعاداتهم، وأخلاقهم، وسيرتهم، ولكن سرعان ما اندمجوا في مجتمع مدينة الجزائر، وإن بقوا محافظين على رقيهم الحضاري وأثروا في المجتمع إيجابيا في عدة نواحي.

ولهذا سارعوا إلى تحبيس الأوقاف لصالح الفقراء ،والمحتاجين من جماعتهم ،وفي هذا الصدد

[1] السجل رقم 218 ، من سلسلة سجلات البايلك ،الورقة 22 الرقم57 ، في الأرشيف الوطني الجزائر

قامت جماعة من الأندلسيين من أصحاب مهن مختلفة ،ومنهم محمد بن محمد الأبلي وابراهيم بن محمد أبو سهل ،والمعلم أوسطا موسي معلم البناء ،و المتخصص في بناء العيون والمرافق المائية وأحمد المدعو كلاس وعلي بن عمر بائع الصابون ،ومحمد بن محمد العدل ،ويحي الخياط بالاشتراك معا من أجل إنشاء جامع ،ومدرسة زاوية ،و تحبيسهما لصالح الأندلسيين فقط[1].

وهذا ما أشار إليه أحد عقود التحبيس مما جاء فيه :"... وبعد أن تملكت مجموعة من الأندلسيين دار تقع في زنقة مسيد الدالية داخل مدينة الجزاير المحروسة ،والتي دفعوا القسم الأكبر من ثمنها من أموالهم الخاصة ،واستكملوا الباقي من طرف ما قدمه أصدقاؤهم المنتمين لجماعة الأندلسيين أيضا وصرحوا أنهم اشتروا الدار المذكورة بنية هدمها ليبنوا على موقعها مدرسة للدروس العلمية للكبار، وتعليم القرآن العظيم للصغار، و مسجد لأداء الصلوات،وبعد أن تم ذلك قاموا بتحبيس ما تم إنجازه لصالح جماعتهم من الأندلسيين ،وعين المحبسين محمد الابلي ليحوز الحبس لصالح من ذكر وللعناية بمصالحه ،والقيام بالأشياء الضرورية من أجل ذلك ،وتلقي ما سيكون ضروريا لتغطية حاجيات الزاوية المذكورة من مؤن ،وأشياء أخري، وتلقي المداخيل وصرف ما يراه مناسبا؛ أي أنهم جعلوه وكيلا مشرفا على هذا الوقف ،وكل ما يتعلق به وقد قبل ذلك منهم وحاز الحبس المذكور لصالح من ذكر، وكان ذلك في أواخر شهر محرم 1033هـ /1623م [2].

وكان يشرف على هذه الزاوية ،وعلى الأوقاف الكثيرة المخصصة لها وكيل بمساعدة شاوش وكلاهما من الأندلسيين ، وقدمت الزاوية مساعدات دائمة للفقراء ،والمعوزين الذين كانوا يثبتون نسبتهم إلى جماعة الأندلسيين[3]،وشجعتهم في ذلك السلطات العثمانية وتعاطفت معهم[4].

وقد كان إنشاء الزاوية ،أو المدرسة ،والمسجد من طرف هؤلاء الأندلسيين دافعا لتخصيص المزيد من الأوقاف لتنفق مداخيلها على المشرفين على تسيير هاتين المؤسستين الخيريتين[5] ؛حيث بلغت حسب

[1] DEVOULX Albert , " Les Edifices Religieux ..." ,In :**R.A.,** T.12 1868, p.278
[2] Ibid.,pp.278-279
[3] Ibid.,p.280

[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.165

[5] ناصر الدين سعيدوني،" دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر... "،الجزء2، ص.46

بعض الإحصاءات ستين مؤسسة وقف[1].

4-مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين مكة والمدينة :

إلى جانب مؤسسات الوقف الجماعية المذكورة آنفا كانت هناك مؤسسة أخرى للأوقاف هي مؤسسة مكة، والمدينة، والتي كانت لا تقل أهمية عن إدارة سبل الخيرات، وقد تكون سابقة لها من حيث تاريخ تأسيسها ،و كانت تسير من طرف أربعة أشخاص يعرفون بالوكلاء يعينون من طرف الحاكم وهذا ما يتضح من خلال ما ورد في عقد شراء لصالح فقراء الحرمين الشريفين :"الحمد لله اشترى الكرام الأمناء الأخيار وكلاء الحرمين الشريفين[2] وهم المعظم الحاج حسن آغا والحاج أيوب آغا والخيران الفاضلان السيد محمد الحجام والسيد الحاج احمد العطار ابن الحاج عبد الله لجانب فقراء المحليين المذكورين تحت نيابتهم عنهم بالإذن المسند إليهم من قبل ولاة الأمر حكام الجزائر ويدهم نايبة{كذا} عنهم في الثمن والمثمون ....."[3]. وكانت تشرف على إدارة العديد من الأوقاف المحلية سواء منها المالكية، أو الحنفية[4].

فكان جزء من مداخيلها يصرف على صيانة الأملاك الموقوفة لصالحها في مدينة الجزائر[5] وغيرها وجزء آخر منها كان يصرف على المشرفين على هذا الجهاز[6]، في حين كان يؤول أكبر قسم

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، الجزء الأول، ص.237

[2] ويبدو أنه كان يتم اختيار وكلاء الحرميين الشريفيين من العنصر العثماني، ومن العنصر الأندلسي وهو ما نستخلصه من الوثائق الأرشيفية وعلى سبيل المثال نذكر ما ورد في عقد من عقود سلسلة المحاكم الشرعية :"ورام الأمناء الأخيار.....الناظرون في التاريخ على فقراء الحرميين الشريفين مكة والمدينة زادهما الله تشريفا ومهابة وتكريما وتعظيما وهما المعظم الحاج علي والحاج محمد آغا ابن حسن التركيان والمعظمان الخيران وهما السيد الحاج احمد العطار حرفة ابن المرحوم الحاج عبد الله والحاج محمد عرف الفتال ابن احمد الأندلسيان أنظر: الوثيقة رقم32"مصدر سابق، في العلبة29-30

[3] الوثيقة رقم19، في العلبة10-2، المصدر السابق

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1، ص.235

[5] وحسب دراسة بيار بواي ،فقد كان يخصص جزء من مداخيل هذه المؤسسة لفداء الأسرى المسلمين، وكذلك لمساعدة ودعم المحتاجين ،والفقراء في مدينة الجزائر من خلال توزيع المواد الغذائية عليهم وفتح ملاجئ لقضاء الليل ...إلخ أنظر:
BOYER (Pierre), la vie quotidienne ..., p.48

[6] وقد ذكر البير دفوا في دراسته عن التنظيمات الدينية أن عدد موظفي إدارة مؤسسة الحرمين الشريفين معتبر وكان يتشكل من عدة وكلاء ومن عدلين من عدول القاضي ، وكان يتم تعينهما من طرفه لمساعدة ،ومساندة الوكلاء وليعطوا بمساهمتهم هذه طابع قانوني وشرعي لكل العقود ،والوثائق، والكتابات التي يتطلبها تسيير الأوقاف الهامة التابعة لهذه المؤسسة بالإضافة=

من عوائدها إلى الحرمين الشريفين مع ركب الحجاج من سكان مدينة الجزائر الذين كانوا يقصدون الحجاز لأداء مناسك الحج كل سنة ؛حيث كانت توزع هناك على فقراء المدينة، ومكة وخدام الحرمين الشريفين ،علما أن تحديد الحصص المخصصة لهم كانت تتم بمدينة الجزائر أمام المجلس العلمي وبحضور شيخ البلد ،وأمين الأمناء ،وهيئة منتدبة من الجيش وتحت الإدارة العليا للداي ،والباشا حيث كان يتم إعداد قائمة بالأشخاص الذين كان يجب أن تصلهم المساعدات في مكة والمدينة وكانت تسبق هذه القائمة بأسماء الحجاج الذين يتعين عليهم إيصال تلك الإعانات إلى أصحابها ووحدهم من وردت أسماؤهم بالقائمة كان يحق لهم المساهمة في هذه المهمة[1].

وهذا ما يتضح لنا من خلال ما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية: ".....وكان من جملة القاصدين للحج عام التاريخ الحاج محمد ابن مصطفى وسليمان آغا ابن بكير واحمد آغا ابن عبد الجبار ومصطفى آغا بن عبد الله وابراهيم بلك باشي بن دران ومحمود بلكباشي بن خيضر .....ومحمد جلبي ابن مسلم القاضي كان والسيد سليمان خوجة ابن أحمد .....وعلي أوذباشي ابن محمد ومصطفى أوذباشي.....وعلي البابوجي أبن الحاج أحمد والحاج محمد الحفاف ابن احمد والحاج احمد الدباغ ابن محمد ومحمد الدباغ ابن ابراهيم آغا.....ورام الأمناء الأخيار والقضاة الفضلاء الابرار الناظرون في التاريخ على أوقاف المحبسة على فقراء الحرميين الشريفين .....بعث ما تحصل بأيديهم لفقراء المحليين المسطورين من غلة ....صحبة المتوجهين للحج المذكورين فيه آنفا واستأذنوا في ذلك المعظم المفخم و الاحضى والارضى الخلاصة المرتضى السيد محمد الدولاتلى ببلد الجزاير في التاريخ مع أميرها .....اسماعيل باشا.....وعسكر البلد المسطور نصرهم الله على العادة فأذنوا لهم في ذلك... كان....."[2].

وكانت توزع على كل واحد منهم حصة معينة من الإعانات يحتفظ بها كوديعة حتى يسلمها لصاحبها المدون اسمه في القوائم :" .....ان الامر كذلك حضر الان بالجامع الأعظم من البلد المرقوم لدى الشيخيين الفقيهيين والامامين العالمين العاملين .....المفتيين بالبلد المسطور وهما .....والشيخ الفقيه العالم النزيه قاضي الحنفية .....والشيخ العالم الصدر

=إلى المشرف على مالية المؤسسة صراف" صايجي "وباش شاوش والذي كان يترأس الحرس المكلفين بحراسة المباني ....الخ
أنظر: DEVOULX Albert , corporation …,p.5

[1] Ibid.,p.9

[2] الوثيقة رقم32، في العلبة29-30، المصدر سابق

الأوحد.....المسافرون المذكورون وقبضوا من الامناء المذكورين ما تحصل بأيديهم لفقراء المحليين المرقومين ستة وثمانين والف بموحدة .....في أمانة كل واحد من محمد جلبي وسليمان خوجة المذكورين خمسة وعشرون دينار من النعت وفي أمانة كل واحد ممن عداهما ممن ذكر خمسون دينار من النعت المسطور يبلغون ذلك انشاء الله تعالى لفقراء المحليين المسطورين يفرقونه عليهم بمجملهم بمقتضى القائمتين اللتين بأيديهم على حسب ما رقم فيهما من غير تبديل و لا تغير .....فمن حضر بالجامع المذكور لدى العلماء المذكورين وعاين قبض من ذكر ممن ذكر على نحو ما بين وسطر بمحضر المعظم احمد باش اليباشي ابن محمد والمعظم يوسف بلكباشي ابن علي ومحمد اوداباشي ابن أحمد المعينين من قبل العسكر المنصور ....."[1].

ونظرا لمدى الحرص على وصول الأمانات إلى أصحابها تم الإشارة إلى أنه في حالة عجز أحد المعنيين عن مواصلة السفر، أو تأخره عن ركب الحج يتكفل رفقاءه المذكورين معه بالقائمة بإيصال الحصة التي كانت بحوزته إلى مستحقيها ، وكان يتم أيضا تدوين عبارة "دفع" في القائمة أمام اسم المحتاج الذي تسلم حصته[2].

و هذا دائما ما يستخلص من عقود المحاكم الشرعية التي تشير إلى عبارات توحى بقدسية هذه الأمانات وتحذر من تسول له نفسه التلاعب بها :"..... ويوزعون جميع ذلك على نظرهم لمستحقيه على مقتضى نظر الفقهاء، والامناء المومى اليهم من التفريق على من ذكر بالجداول من غير تبديل و لا تغيير ومن عاقه عائق من المتوجهين المذكورين من مرض أو غيره من العوائق أو تخلف لأمر فلمن عداه من المتوجهين معه المذكورين أخد ما بيده على الوجه المبين ومن بدل على رسم فيه أو غير فالله حسيبه وسائله ومتولى الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون في يوم لا ينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ....."[3].

و الأمثلة التي تقدمها لنا وثائق الرصيد العثماني عن عقود أوقاف الحرمين الشريفين وخصوصا سلسلة المحاكم الشرعية كثيرة تبرز الأهمية؛ التي كانت تحتلها هذه المؤسسة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر،ويمكن ذكر بعض النماذج عن ذلك ؛فمثلا جاء في أحد عقود التحبيس الذري أن مرجع

---

[1] المصدر نفسه

[2] DEVOULX Albert," corporation …", p.12

[3] الوثيقة رقم32 ،في العلبة 29-30، المصدر السابق

الحبس هو أوقاف فقراء الحرمين الشريفين مكة ،والمدينة :

".....فإن انقرضوا عن آخرهم واتى الحمام على جميعهم كبيرهم وصغيرهم غنيهم{كذا} فقيرهم رفيعهم و وضيعهم ولم يبقى واحد منهم رجعت الحانوت والعلوي والمخزن المذكور حبسا ووقفا على فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة المنورة مدينة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم و شرف الجد{كذا}وعظم وبارك وانعم وزادهما الله شرفا وتكريما ومهابة وتعظيما تنضاف{كذا} غلة ذلك إليهم كساير{كذا} الأوقاف الموقوفة عليهم بداخل محروسة الجزاير {كذا} وخارجها وتصرف إليهم في كل سنة مع امين ثقة على العادة المألوفة {كذا} في ذلك....."[1].

ومما ذكر آنفا نستخلص أن الأوقاف بصورة عامة أدت دورا فعالا في تنشيط العلاقات الاجتماعية وتوطيد أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع ،وكانت وسيلة مجدية لخدمة كل الجوانب التي تصب في إطار الصالح العام ،وتثري الحياة الاجتماعية كالأوقاف الخاصة بالمرافق العامة و ما يتصل بها ،والتي يكون البعض منها وقفا في حد ذاته، ولاسيما العيون ،فالأوقاف بصفة عامة تجسد صفة وممارسة ،وعادة طيبة مستمدة من الدين الإسلامي كانت سائدة حينها بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني، ألا وهي حب عمل الخير، والإحسان للغير ،و التكافل والتآزر ،والسعي لتحقيق الصالح العام وإن كانت البعض منها لصالح جماعات بحد ذاتها كما كان الحال بالنسبة لأوقاف الأندلسيين أو أوقاف الأشراف ؛فهذا لا يلغي الصالح العام بالنسبة لهذه الجماعة فضلا عن الصالح العام لكل المجتمع حين يكون المرجع مسجدا أو كتابا، أو مرفقا عاما.

[1] الوثيقة رقم75 ،في العلبة 10 -11 ،المصدر السابق

2-المظاهر الأخرى للتكافل الاجتماعي:

و إلى جانب الدور الفعال الذي أدته الأوقاف في مجال التكافل الاجتماعي و تمويل مختلف الجوانب التي تندرج في إطار خدمة المجتمع وتلبية احتياجاته تجسد التكافل الاجتماعي في مظاهر أخرى أبرزها الصدقات[1] ؛التي كانت توزع على الفقراء والمحتاجين وبخاصة خلال المناسبات الدينية فقد ذكر كورنيلس دوبنجاكر[2] في القرن 11 هـ (17م) أن الجزائريين كانوا يقدمون صدقات كبيرة وهم لا يأخذون بعين الاعتبار جنسية، أو ديانة المحتاجين و يضيف أنه رآهم شخصيا يضعون أيديهم في أكياس نقودهم ليسحبوا منها بعض القطع النقدية يقدمونها للشحاذين دون القيام بعدها [3]،وبمناسبة الاحتفال بيوم عاشوراء كان يقوم كل مسلم بإعطاء ثلاثة بالمائة من كل ما ربحه لمساندة الفقراء [4].

ومن الأكيد أن المقصود بما ذكره كورنيلس دوبنجاكر هو إخراجهم للزكاة لتوزيعها على مستحقيها وقد سبقه هايدو في القرن 10 هـ (16م) بالإشارة إلى الزكاة حين ذكر أنه يتوجب على سكان مدينة الجزائر المسلمين تطبيقا لتعاليم دينهم أن يعطوا كل سنة للفقراء اثنين ونصف بالمائة مما كانوا يملكونه وأن ذلك كان ينطبق خاصة على رأس المال المستخدم في التجارة[5]. و هذا دليل على مدى التزام سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني بأداء فريضة الزكاة التي كانت تساهم بدورها في تحقيق التكافل الاجتماعي في أوساط المجتمع.

و يدعم الأب دان خلال القرن 11 هـ (17م) ما سبق ذكره ؛فبالرغم من تحامله الواضح على سكان مدينة الجزائر ،وسكان بلاد المغرب الإسلامي عامة الذي يطلق عليه اسم بلاد بربرية

---

[1] ويبدو أن الصدقات تجاوزات الأموال إلى الأملاك؛ حيث وجد من بين سكان مدينة الجزائر من كان يتصدق بشيء من أملاكه وهو ما نستدل عليه من الصيغة التي وردت في أحد عقود الوقف:"....و لم تخرج عن ملكه ببيع أو هبة و لا بصدقة....." الوثيقة رقم78 ،في العلبة84 -85 -86، المصدر السابق

[2] وعند حديثه عن الأمثال والحكم التي كانت مستعملة ورائجة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر، وتحديدا عند ذكره الحكمة القائلة :"أعمال الخير التي نقوم بها اتجاه الأخرين هي أعمال خير لوجه الله" قال أن الأتراك يحبون كثيرا تقديم العون للمحتاجين وتوزيع الصدقات عليهم. أنظر: Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,p.237

[3] Ibid., p.159

[4] Ibid., p.159

[5] "Topographie…", In : **R.A.,** T.15, 1871, p. 62

إلا أنه يقر أن تقديم الصدقات كانت من الأعمال الجد منتشرة ،والتي كان ينصح القيام بها بها في أوساط المسلمين ؛فكانوا يمارسونها بكل طواعية وبكل سرور ،وأشار أيضا إلى الأعمال الخيرية الأخرى التي كانوا يقومون بها؛ فذكر أن البعض منهم كانوا يبنون ملاجئ لعابري السبيل من أي ديانة كانوا ومنهم من كانوا يقومون بحفر الآبار، وبناء عيون في الفحوص ،والريف للارتواء المسافرين وحتى أن البعض منهم كانوا يبنون جسور، أو معابر فوق مجاري المياه ، وفي الأماكن الأخرى التي كانت تتسبب في معاناة معتبرة للمارة ،وما ينبغي ذكره أن هذه الأعمال الخيرية والصدقات لم تكن حكرا على الأغنياء إذ كان يساهم فيها أيضا الفقراء أنفسهم وذلك على الرغم من حاجتهم وفي كثير من الأحيان كان إسهامهم في العمل الخيري يتم من خلال تسخيرهم لجهدهم الجسدي في مختلف المشاريع الخيرية ،وذات المنفعة العامة و ذلك بالمجان ودون أي مقابل مادي[1].

وكان للزوايا في مدينة الجزائر دور هام في ميدان التكافل الاجتماعي أولا من حيث اشتمال الزاوية على بعض الغرف المخصصة لإقامة عابري السبيل، والفقراء ،أو الطلبة، والعلماء الغرباء عن المدينة ،و الفقراء منهم لدرجة عجزهم عن إيجاد سكن على نفقتهم الخاصة[2] فضلا عن الصدقات والإعانات التي كانت تقدمها هذه الزوايا للفقراء ولاسيما خلال الاحتفالات الدينية ؛إذ تشير احدي الوثائق –كما سبق ذكره–إلى أن زاوية سيدي محمد الشريف كانت تطعم كل الفقراء الذين كانوا يأتون إليها خلال يوم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ،وبهذه المناسبة كان يتم شراء ثورين و18 مكيال من القمح ،و30 رطل من الزبدة ،و عشر حزمات من الحطب، و6 مكايل من الزيت،والخضر وكذا الفحم...الخ[3].

و عند تطرقه لجامع وزاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي يذكر كلاين في كتابه وريقات عن مدينة الجزائر أنه في المباني الملحقة بالجامع، والمشكلة للزاوية كانت توجد عدة قاعات ومن بينها المطابخ ؛ التي كان يتم فيها تحضير الوجبات المخصصة للفقراء ؛فكان جامع سيدي عبد الرحمان الثعالبي ،وزاويته يمدون إليهم يد العون بصورة مستمرة[1].

---

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.287-288
[2] DEVOULX Albert ," Les Edifices Religieux ..." , p.11
[3] Ibid.,p.239
[1] Klein (H) ,Op.cit.,p.157

وكانت عوائد الأوقاف تستعمل أيضا في توزيع الصدقات على المحتاجين لاسيما خلال المناسبات والأعياد الدينية وما يؤكد ذلك سجل من سلسلة البايلك يتضمن ذكر الصدقات والزكاة ومصاريف خاصة على الناس أثناء شهر رمضان المبارك وهي تشتمل على مأكولات كالزلابيا"مع العوايد زلابية برمضان"، ووجه صرف الأموال على يد الأمناء والوكلاء[1].

وكانت وفاة أي شخص في مدينة الجزائر فرصة لعائلته، وأقاربه للقيام بأعمال خيرية يعود أجرها على المرء المتوفى وتجسد في نفس الوقت مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي ؛حيث كانت أعمال الخير هذه تتمثل في توزيع الصدقات [2]على الفقراء والمحتاجين وكذا القيام بعملية عتق الأسرى العبيد[3].

وتجدر الإشارة إلى أن الإحسان في أوساط مجتمع مدينة الجزائر كان يمارس أيضا تجاه الحيوانات من قطط وكلاب وعصافير حيث أشار كورنيلس بجناكر(cornelis pijnacker) في القرن 11هـ (17م) إلى أن الأتراك-العثمانيين- من ذوي المكانة المرموقة كانوا يذهبون إلى أمام مداخل الدور حيث كانت تتواجد الكلاب المريضة[4]،أو تلك التي تملك صغارا ليضعوا لهم مزودا من الطعام

---

[1] السجل رقم 425 الرقم القديم 327 في العلبة 310- 328 ،من سلسلة سجلات البايلك، تاريخه 1070 هـ (1659– 1660م)/ 1149هـ (1736-1737م) في الأرشيف الوطني الجزائري

[2] راجع في ذلك مبحث مراسيم الوفاة"المآتم" في الفصل الأول من هذا الباب.

[3] الوثيقة رقم 26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[4] ويبدو أن الإحسان للحيوانات كان من الممارسات السائدة ليس في مدينة الجزائر ؛فحسب بل في مدن أخرى من بلاد المغرب الإسلامي التي كانت بدورها تحت ظل الحكم العثماني كتونس؛ حيث ذكر كورنليس بجناكر أن العديد من سكانها كانوا يوصون بمبلغ مالي من تركتهم يستعمل كل أسبوع لشراء الطعام وتوزيعه على الكلاب و أروه في أحد أحياء تونس كلبا كان يتلقى -حسب قوله-36 إسبرة –عملة نقدية-كل أسبوع من ميراث سيده المتوفى كما أشار أنه رأى دائما بتونس تجمع لحوالي 70 كلبا جالسين أمام دكان فاعتقد أنه في سوق للكلاب لكن عندما استفسر عن ذلك قال له مرافقه أنه في ذلك المكان كانت تقدم الصدقات للكلاب ،وطلب منه إعطاءه قطعتين نقديتين ليريه ما يعنيه؛ فقدم له ما طلب ؛فتوجه إلى الدكان وهنا أعطى المبلغ لصاحب الدكان الذي كان يحوى الكثير من شواء الكبد وبقايا اللحم والزوائد التي كان يلقى بها الجزارين ومباشرة بعد تلقيه المبلغ المالي قدم صاحب الدكان كمية من هذا الطعام للكلاب المتجمهرة أمام دكانه وأضاف بجناكر أن هذا الإحسان كان يمارس أيضا اتجاه القطط ؛حيث شاهد في سوق السمك في تونس أيضا تجمع عدد كبير من القطط المتواجدين تحت مقدمة الحانوت المصنوعة من الحلفاء والقصب وبعد أن سلم بعض القطع النقدية لمرافقه –وهو ترجمانه أي مترجمه- اشترى بها بعد الأسماك الصغيرة كصدقة وقام بائع السمك بتقطيعها لقطع صغيرة ألقى بها إلى حيث كانت تتواجد القطط وحتى=

بل وكانوا يجلسون على ركبهم لإطعامهم وقد لاحظ ذلك مشيرا إلى الدهشة الكبيرة التي اعترته حينها من جراء ملاحظته تلك[1].

وأشار الأب دان بدوره خلال القرن 11هـ (17م) أيضا إلى أنه كان يندرج في إطار الأعمال الخيرية لسكان مدينة الجزائر توفير ماء الشرب حتى للحيوانات كالقطط ،والكلاب ؛حيث كان سكان الأحياء يتفقون على حمل الماء في مزود إلى زوايا الشوارع لتشرب هذه الأخيرة منه عندما كانت تعجز عن إيجاده بسهولة، وأنه كانت توجد بعض الأوقاف المخصصة لذلك[2].

ولنا أن نتسأل هل أن هذه الممارسات التي سادت في ظل الحكم العثماني تجاه الحيوانات و التي أثارت دهشة كورنليس بجناكر وغيره من الغربيين هي التي ألهمت الغرب عامة ودفعته إلى المناداة بحقوق الحيوانات،وتأسيس جمعيات لحمايتها والعناية بها؟ ونميل للاعتقاد بذلك وهو ما يؤكد مجددا البعد الإنساني الذي يدعو الإسلام إلى تكريسه اتجاه كل كائن حي .

ولم تكن أعمال الخير التي كان يقوم بها سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة تقتصر على الجانب المادي فحسب بل كانت تتعداه إلى الجانب المعنوي ومن النماذج عنها نذكر السعي لإصلاح ذات البين بين المتخاصمين مما كان له أثر إيجابي في تحسين العلاقات الاجتماعية ، ومنع حدوث القطيعة لاسيما إذ كانت تلك الخصومات بين أفراد العائلة الواحدة.

وهذا ما نستدل عليه من خلال ما ورد في بعض وثائق المحاكم الشرعية ومن الأمثلة عن ذلك نذكر قضية وردت في إحدى وثائق هذه السلسلة وملخصها حدوث خلاف ونزاع بين والدة ،و ابنها والسبب هو أن الولد أراد بيع حصته من بيت كان ملكا مشتركا بينه وبين والدته وشقيقته فرفع أمره للقاضي عن طريق نائب عنه وهو المكرم علي صانع الشواشي للبث في القضية

= العصافير كانت تنعم بهذا الإحسان؛ حيث اعتبر الأتراك –العثمانيون– عدم سجنها في الأقفاص من علامات الإحسان لقولهم أن الله خلقها لمتعة وسرور الإنسان؛ فهي لذلك لا تستحق العيش في عبودية ،ولا في خوف، وكان يقدم إليهم الماء في آنيات صغيرة كانت توضع على القبور –والهدف من ذلك كما يبدو اعتبارها صدقة على روح المتوفى أو المتوفاة– وأيضا على طول الأزقة. أنظر Cornelis Pijnacker ,Op.cit.,pp159-161

[1] Ibid.,p.159

[2] DAN (R.Père François Pierre) Op.cit., p.288

فتم تمكينه من ذلك ،ونتيجة لذلك قامت والدته بمطالبته بدفع ما صرفته في كسوته، ونفقته مدة عشرة أعوام وأخد باقي صداقها على والده وكرد على ذلك طالب نائب أو وكيل الابن بمحاسبتها فيما جالت فيه يدها وأخد كراء حظ الولد من الدار المذكورة وفيما صار له من الجنة المباعة بعد موت والده من ثمنها ،و ما تحصل من غلتها وقد حل الخلاف في الأخير بفضل تدخل أهل الخير الذين توسطوا بين الطرفين للوصول لعقد صلح دائم[1].وهذا ما نستخلصه من إحدى العبارات التي وردت بنص الوثيقة وهي كالآتي:

".....وطال نزاعهما في ذلك المرة بعد المرة والترافع إلى مجالس الحكام ..... إلى أن دخل بينهما مبتغى الأجر والثواب من الملك الوهاب وندبهما إلى الصلح الذي سماه الله خيرا ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم أجر فانتدبا إليه واصطلحا صلحا.....توافق على ذلك الفرقين موافقة و رضى تامين وجعل الفريقان المذكوران هذا الصلح بينهما قاطعا للنزاع وحاسما لمادته بحيث لم يبق لواحد منهما قبل الآخر بعد الصلح دعوا و لا مطلب....."[2].

وأحيانا كان يتم المزج في العمل الخيري بين الجانب المعنوي والمادي وهذا ما نستشفه من خلال عتق العبيد سواء كانوا من الأسري العبيد المسيحيين، أو من العبيد الزنوج؛ ومنحهم أملاك أو مبالغ من المال تساعدهم في بدء حياة جديدة في ظل الحرية التي أصبحوا ينعمون بها ومن النماذج على ذلك إحدى نساء مدينة الجزائر الثريات جدا كما يتضح لنا من بيان مخلفاتها التي وردت في نص فريضتها ،وهي"الحرة الطاهرة الجليلة الأصيلة زهرا بنت المرحوم بكرم الله السيد عبد الله الفهري :

" .....ولمبارك الخادم خمسون دينار وذلك بعد أن يخرج جميع من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لوجه الله العظيم ويعطى كل واحد من العتقاء المذكورين خمسون دينار وإن فضلت من الثلث فضيلة فيعطى كل عتقاءها سابق التاريخ {يعني من أعتقتهم في وقت سابق لوصيتها هذه}

[1] الوثيقة رقم12 "رسم يتضمن عقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1107هـ (1696م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] المصدر نفسه

خمسون دينار .....ويصرف باقيه للفقراء...."[1].

وهذا ما يؤكده أيضا رسم آخر تضمن تقسيم تركة أيضا ؛حيث ورد فيها ذكر وصية المتوفى لمعتقيه بجزء من تركته : بعد أن توفي إلى عفو الله تعلى وغفرانه الفقيه .....وأوصى الهالك المذكور لكل من معتقتيه قامير وراضية العلجيتين بخممسمائة دينار كما أوصى لكل واحد من عتقائه شعبان العلج ومعمر الفلادي الصغير ومبارك وعافية وفاطمة الجناويتين بمائة دينار واحدة تجمل في جميع الموصى به المذكور الف دينار واحدة وخمسمائة دينار ....."[2].

ولم يقتصر الأمر على تقديم مساعدات وهبات مالية للمعتقين تساعدهم على تحسين أوضاعهم الاقتصادية، والاجتماعية بل كانت تتم مساعدتهم من خلال إدراجهم ضمن المستفيدين من الوقف الذري، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في أحد عقود الوقف:".....فإن انقرضوا كلهم يرجع الحبس اذ ذاك لمعاتيق المحبس المذكور البيض[3] منهم فقط ذكورهم و إناثهم ثم على اعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام....."[4].

وكذلك من خلال مساعدة العتقاء على الاندماج في الحياة الاقتصادية من خلال منحهم فرصة ممارسة أنشطة اقتصادية في محلات أسيادهم السابقين الذين يمنحونهم حق استغلالها أو اعتمارها كما نستدل عليه من خلال ما ورد في الوثائق المحلية مثلا ما جاء في رسم تحبيس:".....كما ملك أيضا جميع الحانوت بسوق القبايل الغربية الباب والتي هي الآن في اعتمار معتقه الحاج شعبان....."[1].

كما نسجل أيضا مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي في أوساط الأسرة الواحدة حين يقدم الأعضاء الأكثر مالا مساعدات على شكل هبات أو قروض مالية لأقاربهم المحتاجين لتحسين أوضاعهم الاقتصادية ،والاجتماعية وهذا ما يتضح لنا من خلال عقود المحاكم الشرعية

---

[1] الوثيقة رقم14في العلبة 141، المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم 6 في العلبة 124، المصدر السابق

[3] ونستخلص من هذا أنه كان له أيضا معاتيق من السود أي من عنصر الزنوج.

[4] الوثيقة رقم 52 ،،في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

[1] الوثيقة 24 في العلبة 22-2، المصدر السابق

ومن نماذجها ما ورد في أحد عقود تقسيم التركات :

" .....و ناضا ذهب وجد بصندوقه يأتي بيانه وناضا {مبلغ مالي من النقد }أيضا بعث به لبر الترك مع ابن عمه المكرم الأجل السيد الحاج علي بن السيد زروق الفوجيلي قدره ثلاثماية ريال بعد صرف اصلها ثلث يعمل به على وجه القراض {كذا}وحكمه وثلث على وجه القرض والتوسعة ....."[1].

ومن النماذج على ذلك أيضا ما ورد في فريضة الحرة الطاهرة الجليلة الأصيلة زهرا بنت المرحوم بكرم الله السيد عبد الله الفهري – السابق ذكرها– التي وهبت ثلث ما تملكه لعدة أفراد من أقرباءها و أشهدت على نفسها أنه متى حدث بها حادث الموت الذي لا مفر منه .....فإن الثلث الواحد يخرج ويدفع كاملا لجانب الوصية ويدفع منه الربع الواحد للفقيه الأجل التالي كتاب الله عز وجل السيد محمد الجري الصغير ولزوجته الحرة عايشة بنت المرحوم يحي جرواش سوية بينهما واعتدالا لما بينهما من قرابة كما يعطى منه لا بنت خالتها فاطمة بنت علي جرواش ماية دينار ولزهرا بنت يحي جرواش مائتا دينار....."[2].

ويمكن أن يندرج أيضا في إطار مظاهر التكافل الاجتماعي قضية تنازل الدائنين عن استعادة ديونهم من مدينيهم العاجزين عن ذلك وكذا إدراج قضية التكفل بدفع الديون المترتبة على أفراد العائلة المديونين من خلال مداخيل الأوقاف التي أوقفت عليهم ومن نماذج ذلك :".....أهل الحاجة بقدر حاجته.....وإن ركب أحد من عقب الذكور وعقب البنات دين لا يقدر على أداءه يؤدى عنه المذكور من غلة المحبس المذكور فيه....."[1].

و من أوجه و مظاهر التكافل الاجتماعي الأخرى نجد الوصاية على الأطفال ،ولاسيما الأيتام منهم وحماية حقوقهم سواء كان الوصي أحد الولدين بعد وفاة أحدهما أو أحد الأقارب أو أصدقاء العائلة[2] الذين كانوا يحظون بالثقة وكثيرا ما كان حرص الكثير من الأولياء على مصير أبناءهم

---

[1] الوثيقة 1في العلبة 123 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم14في العلبة 141،المصدر السابق

[1] الوثيقة رقم 45في العلبة27-1،المصدر السابق

[2] أنظر على سبيل المثال :الوثيقة رقم12 " في العلبة 141 ،المصدر السابق

في حالة فارقوهم لعارض من العوارض أو حادث من الحوادث يحددون في وصيتهم لمن يعهدون بالوصاية على أبناءهم، وكان ذلك يتم عن طريق القضاء وكان للقاضي سلطة محاسبة هؤلاء الأوصياء[1] ،وأي إجراء كان يريد أن يتخذه الوصي فيما يتعلق بوصيه ولاسيما فيما يتصل بأملاكه كان لا يتم إلا بعد أخذ إذن شرعي من القاضي الذي كان يمعن النظر في ذلك الإجراء ومدى فائدته وجدواه في الحفاظ على الحقوق المادية والمعنوية للموصي عليه.

وهذا ما نستخلصه من خلال رسم يحوى قضية تقسيم تركة وبيع وشراء :"..... وتوفي حسن المذكور عن زوجته الولية عايشة بنت رجب بلكباشي وولديه من غيرها مصطفى ومحمد الصغير المستقريين إلى نظر المعظم السيد الحاج علال العطار حرفة اللمداني ابن علي وذلك بالإيصاء من والدهما المذكور حسبما وردفي رسم تابث لدى من يجب ومؤرخ بأواخر شوال عام أربعة وتسعين وألف .....وأراد الوصي المذكور بيع مناب محجوريه من نصف الحانوت المرقومة لضرر الشراكة .....ولقلة عود النفع على محجوريه المذكورين ورفع أمره في ذلك إلى من له النظر في الأحكام الشرعية وقتئذ.....وأعلمه بما رقم فكلف بإثبات السداد والغبطة...."[1].

ونجد في وثيقة أخرى قضية مشابهة تدعم ما تم ذكره ؛حيث تلجئ فيها الأم الوصية لمن له النظر في الأحكام الشرعية؛ أي القاضي لطلب الإذن والرخصة ببيع الجنة التي ورثها ولديها عن والدهما لغياب من يقوم على شؤون الجنة وخدمتها مما قد يؤدي لخرابها وضياعها ولتستبدل لولديها محجوريها بثمن بيع الجنة ملكا بداخل مدينة الجزائر يكون أكثر نفعا لهما وبناء على دراسة الطلب

---

[1] ويبدو أنه إلى جانب تعيين وصي على الأطفال اليتامى كان يعين مشرف على الوصي وقد يكون دوره مساندة ومساعدة الوصي وربما كان يؤدي أيضا دور الرقيب عليه للتأكد من مدى التزامه ومراعاته لمصلحة اليتامى الذين يكونون تحت نظره وفي عهدته ومن النماذج على ذلك ما ورد في أحد عقود المحاكم الشرعية :"....واستقرت البنت خديجة إلى نظر خالها السيد الطيب بتقديم شرعي لمن يجب أعزه الله تحت إشراف المعظم الأرضى السيد أحمد بن المرحوم السيد محمد بن العالم المرحوم السيد أيوب التقديم المذكور في رسم بيده للعدالة المرضية....."أنظر: الوثيقة رقم4"رسم يتضمن تقسيم تركة وعقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 109-110تاريخها1097هـ (16م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] المصدر نفسه

والتحقق من صحة الوضع ،ومدى تحقيقه لمصلحة الولدين تم الموافقة عليه ن طرف القاضي[1].

ومن الأمثلة أيضا ما ورد في رسم تقسيم تركة ؛حيث يشير هذا الرسم بوضوح إلى أن الوالد الوصي على ابنته إنما تسلم بالنيابة عنها حصتها من تركة والدتها باعتباره وصيا عليها وذلك على سبيل الوديعة حتى تبلغ سن الرشد؛ فتسلم إليها:

"...حضر الان بمحضر شهديه الزوج المذكور في حق نفسه وحق ابنته المذكورة لصغرها وحجره عليها .....وبقى للبنت المذكورة جميع العدد الذي قبضه{أي والدها} لها من خالتها المذكورة المبين آنفا مع ما صار لها من الاسباب والحلي واواني النحاس المذكورة على وجه الحفظ والأمانة الى أن تبلغ مبلغ القبض لنفسها بلا قيد من ذلك بالواجب الشرعي....."[2].

و ما سبق ذكره يعد أمثلة وشواهد عن تنوع مظاهر وصور التكافل، والتضامن الاجتماعي التي سادت في أوساط مجتمع مدينة الجزائر على المستوى الغير رسمي ؛فما هو الدور الذي أدته السلطة في هذا الميدان إذ استبعدنا مساهمة أفرادها في عملية الوقف التي سبق و أشرنا إليها؟ هذا ما سنحاول توضيحه في المبحث الموالي.

3-دور السلطة في ميدان التضامن الاجتماعي:

وفي إطار التضامن الاجتماعي لابد أن نشير إلى عناية الحكام، والسلطة بالمحافظة على ثروات البلاد لضمان الأمن الغذائي للمجتمع ، ولاسيما فيما يتعلق بالمادة الرئيسية التي لم يكن في الإمكان الاستغناء عنها في مجتمع مدينة الجزائر -كما لا يزال عليه الحال في مجتمعنا- وهي الحبوب ولاسيما القمح، والشعير ؛فهما مصدر للدقيق ،أو الطحين الذي كان بمثابة المادة الأولية لصنع كل من الخبز ،والطبق الأكثر شعبية الذي لم يكن يستغني عنه كل السكان وهو طبق الكسكسي ؛حيث تشير العديد من المصادر إلى أن تصدير الحبوب ،وفي مقدمتها القمح كان أمرا ممنوعا إلا في بعض الحالات الاستثنائية مثلا منح بعض الدولة الأوروبية مثل بريطانيا شهادات أو رخص لتصدير الحبوب،و الزيوت ،والشمع ،والجلد ،والصوف مقابل الأسلحة ،والبرود والسفن

[1] الوثيقة رقم37 " في العلبة 124 ،المصدر السابق

[2] الوثيقة رقم19 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

والذخيرة الحربية؛ أي كانوا يحضون بامتياز الشراء منها – والسبب هو ضمان الاحتياط لمجابهة آفة المجاعة.

فقد ذكر روكفيل في القرن 11 هـ(17م) أنه لم يكن من المسموح نقل، أو تصدير الحبوب خارج البلاد لأي كان ،أو لأي سبب كان [1]،و هو تصرف ينم عن تبصر، وتعقل وكذا اهتمام بشؤون وأمور الرعية؛ فقد كانت حكومة الجزائر تدخر القمح لوقت الحاجة في سنوات القحط، والجفاف.

كما أن مساهمة السلطة في تحديد أسعار مختلف المواد، والمنتجات ولاسيما الضرورية منها كالمواد الغذائية[2]. يندرج في هذا الإطار ويبدو أن الدولة العثمانية قد حرصت على إتباع اقتصاد ذات طابع اجتماعي يصب في مصلحة السكان، ومنع الاحتكار، واستغلال النفوذ للسيطرة على الأسواق، وتحقيق أرباح على حساب الرعية ، ومعاقبة كل من لا يلتزم بذلك ليس في الجزائر فحسب ولكن في كل المناطق التي امتدت إليها سلطتها وهذا ما نستخلصه من حكم ورد على حكام تونس :

"أرسل أهالي تونس عريضة .....ويشكون فيها تصرف ولاة هذه الولاية ازاء السلع الداخلة اليها من التجار حيث يبتاعون منهم بأثمان جزئية قليلة ثم يبيعونها كلية ومرتفعة ولا يحترمون التسعيرة الشرعية التي يجب اتباعها فيحصل ضيق وضرر لا يحتمل بالنسبة الى عامة الناس ولذا فقد امرت قائلا:.....امنع الولاة المذكورين من عملية ابتياع الامتعة –جملة – وبأثمان جزئية قليلة وعرضها على الفقراء بأثمان باهضه ومرتفعة وارفع بشكل قطعي هذا النوع من التعامل في البيع والشراء وأجبر الكل على إتباع التسعيرة الرسمية الموضوعة شرعا و لا تدع أحد يخالف القواعد الشرعية في هذا الميدان حتى لا يكون ظلم بواسطة الاحتكار والتحكم في الأسواق من طرف بعض ذوي النفوذ في البلد "[1].

وفي إطار دور السلطة في ميدان التكافل الاجتماعي لابد من ذكر دور مؤسسة بيت المال في هذا الميدان حيث كان بيت المال يقدم خدمات ذات طابع اجتماعي لفئات المجتمع التي تعاني الحاجة ولاسيما من خلال مداخيل الأوقاف التي كان يشرف عليها بيت المال

[1] Op.cit.,p.72

[2] أنظر الباب الثاني فصل المرافق التجارية.

[1] مهمة دفتري 58 الحكم 189 التاريخ 993هـ، في الأرشيف الوطني الجزائري

التي كانت تستخدم في دفع مصاريف المرافق الدينية، وتقديم مساعدات، وإعانات للفقراء والمعوزين ودفع تكاليف جنائز عابري السبيل ،والفقراء[1] .والأجانب الذين لا مأوى لهم ،وفي دفع أجور الأساتذة العموميين الذين يشغلون وقتهم بتنوير المجتمع ،وتزويده بالمعرفة واستخدمت أيضا في تقديم إعانات ومساعدات للمؤلفين ،والطلبة المعدمين ...الخ[2].

كما كان يقوم بيت المال بتقديم مساعدات للموظفين المرتبطين به خلال المناسبات الدينية وقد تمت محاولة الحفاظ على هذه العوايد ؛وهو المصطلح الذي يرد في الوثائق الأرشيفية حتى بعد الاحتلال الفرنسي ؛حيث أصبحت حاجتهم أكبر لهذه العوايد التي كانت تدفع لهم بمناسبة عيد الفطر ،والعيد الأضحى ،والمولد النبوي وعاشوراء منذ العهد العثماني الأمر الذي استخلصناه من العبارات الأتية:"إن خدمة بيت المسلمين لهم عوايد يأخذونها من قديم الزمان"أو "خدمة بيت المسلمين لهم عوايد يأخذونها كل عام على العادة السابقة"[3] ؛التي وردت في مراسلات البيتمالجي إلى سلطات الاحتلال الفرنسي ومن نماذج ذلك مراسلة من البيت مالجي إلى الحاكم الفرنسي بمدينة الجزائر تحديدا البريفي(préfet):"الحمد لله وحده سعادة المحترم مسيو البريفي سوزط بعد السلام التام والإكرام العام نعلم حضرتكم السعيد أن خدمة بيت المال طلبوا مني عوايدهم كما هي العادة- في عيد الفطر يأخذونها وقدر ما خرج العام الماضي ستة وخمسون فرانك وستين سنتيم وكنت أخبرتكم بأنهم طلبوا مني الزيادة لغلاء الأسعار وفقرهم والان نطلب منك أن تزيد لهم بحسب حالهم وعليك السلام من كاتب الحروف محمد العربي ناظر بيت المال سنة 1841م"[1].

ونسجل دور السلطة أيضا في ميدان التكافل الاجتماعي من خلال قيام بعض الحكام إلى جانب تحبيسهم لأملاكهم لصالح الفئات المحتاجة من المجتمع بأعمال خيرية أخرى لفائدة هذه الفئات المعوزة ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به أول حكام الجزائر البايلرباي خير الدين حيث قام بجمع يتامى ،وأبناء وبنات فقراء مدينة الجزائر، وضواحيها اللاتي بلغن سن الزواج فقام

[1] Mercier,Ernest ,Op.cit.,Tome 3,p.136

[2] حمدان بن عثمان خوجة ،المرجع السابق ،ص.135

[3] مجموعة وثائق أشبه بالسجل مرقمة 170 إلى 203 موزعة على العلبتين 8و 9 من سلسلة المحاكم الشرعية ،في الأرشيف الوطني الجزائري

[1] المصدر نفسه

بتختين الأطفال ،وتزويج البنات كما قدم لكل واحد منهم ما يحتاج إليه من المال ،بالإضافة إلى إسكان من يحتاج للسكن ،وتشغيل العاطلين عن العمل منهم[1].ونجده أيضا يوزع الصداقات على الفقراء من خلال ما يتم تحصيله من الغنائم نتاج الغزو، والجهاد البحري[2].

وكانت الإدارة تقوم أيضا بإجراءات أخرى تصب بدورها في طار التخفيف من معاناة السكان لاسيما وقت الأزمات؛ فقد كانت تقوم بتدعيم الأسعار في فترات الغلاء-والتي غالبا ماكانت ترافق فترات انتشار المجاعة ، وذلك بطرحها للمواد الغذائية في الأسواق [3]،كما كانت تتكفل أيضا بتزويد الخبازين بالحبوب الضرورية[1].

وتشير الوثائق الإسبانية وتحديدا رسالة من مدينة جبل طارق إلى مدينة سفيل بإسبانيا إلى ذلك حيث ذكرت أن البايلرباي خير الدين بربروس توجه سنة 1531 م إلى تطوان بالمغرب الأقصى لشراء الحبوب ؛حيث تواجد في هذه المدينة جميع قمح المقاطعة الذي أنتج خلال تلك السنة ،والذي كان يعد حصيلة أفضل وأحسن حصاد في مملكة فاس كلها ،واشترى البايلرباي خير الدين هذا القمح ليوفر لسكان مدينة الجزائر ما يسدون به رمقهم، وليخفف معاناتهم نتيجة

---

[1] خير الدين ،المصدر السابق ،ص.138

[2] "……رجع خيرالدين إلى مدينة الجزائر فاستبشر به أهلها وفرحوا به فرحا شديدا ثم أن خير الدين بدل أموالا كثيرة لفقراء الجزاير {كذا}برسم الصدقة مما فاء الله عليه حتى أغناهم ……".أنظر: مخطوط غزوات عروج وخير الدين...،ورقة 39

[3] ويبدو أن الإخوة بربروس اعتمدوا هذه السياسة قبل قيام الحكم العثماني رسميا في الجزائر ؛حيث ذكر هايدو أن:" الإخوة بربروس قضوا كل فصل الخريف والشتاء في مدينة جيجل وأنه في تلك الفترة كان يعاني سكان البلاد من وطأة مجاعة كبيرة لأنهم لم يتمكنوا إلا من حصد كميات قليلة فقط من القمح، والشعير ولم يكن الأتراك بدورهم يمتلكون مؤونة أفضل منهم وخلال الأيام الأولى من شهر نوفمبر تحسنت أحوال الجو، و الطقس؛ فكان جميلا ومناسبا للإبحار فاستغل عروج الفرصة للذهاب في الغزو البحري ومعه 12 غيلوطة{نوع من السفن}وتوجه نحو جزيرتي صقليا،وسردينيا على أمل أن يغنم بعض السفن المليئة بالحبوب، وفعلا فقد كلل النجاح محاولته تلك ؛حيث تمكن في بضعة أيام من الاستيلاء على ثلاثة سفن محملة بالقمح كانت متجهة من صقلية إلى إسبانيا وعاد مباشرة إلى جيجل ؛حيث وزع وبالمجان كل كميات الحبوب التي غنمها على سكان مدينة جيجل وسكان الجبال المجاورة للمدينة الذين كانوا يعانون بشدة من وطأة المجاعة……".
أنظر:

Haedo (F. D), "Histoire des rois…", p.15

[1] أرزقي شويتام ،" المجتمع الجزائري …" ،صص.323-333

القحط وقلة الزرع الذي أصابهم[1].

وقد أشار هايدو بدوره في القرن 10هـ(16 م) إلى حرص الحكام العثمانيين على حل الأزمات ولاسيما تلك الناتجة عن انتشار المجاعة ، مع أنه لم يشرح أو يوضح الوسائل والسبل التي أعتمدت لتحقيق ذلك فنجده عند وصفه لحكم شعبان باشا (1592 -1595م) يشير ضمنيا إلى ذلك بقوله[2] :"....وقد حكم شعبان باشا بطريقة حسنة لدرجة أنه أرضى الجميع وجعلهم يحبونه، ويقدرونه وقد شهد عهده مجاعة كبيرة في المدينة وفي البلاد وقد عالج هذه القضية بكثير من الاهتمام ،والعناية سنة1592 [1]– وقد تزامنت هذه المجاعة مع وباء الطاعون الذي عرف بوباء تونس والذي استمر لثلاث سنوات – وقد أشار من قبل ذلك إلى معالجة البايلرباي محمد بن صالح رايس (1567 – 1568) لمشكل المجاعة التي أصابت المدينة والبلاد خلال مرحلة حكمه معالجة تميزت بالعناية والحرص[2].

ومسألة تشجيع المبادرات التي تهدف لتحقيق التكافل الاجتماعي ومساندة الفئات المعوزة كانت كما يبدو سياسة سارت عليها السلطات العليا في الدولة العثمانية، وحثت عليها ولاتها في الجزائر وهذا ما نستخلصه من عبارة وردت في حكم وصل إلى أمير أمراء جزائر الغرب بموجبه ينعم عليه السلطان بخلعة همايونية نظير جهوده في خدمة الدولة وصيانة البلاد وأهلها :".....و بذل

---

[1] les sources inédites de l'histoire du Maroc, publiées par le L'-colonel H.de CASTRIES première série-Dynastie Sa'dinne, Archives et bibliothèques D'Espagne, publications de section historique du Maroc, Edition Ernest Leorux, Paris,et Ruiz Hermanos ,Madrid,1912, Tome I, pp 1-2

وأنظر أيضا :عمار بن خروف ،المرجع السابق ،الجزء 2 ،ص.81

[2] و للأسف ،و إن لم تتوسع مصادر القرنيين 10 و11 هـ/ 16 م و 17 م– حسب ما اطلعنا عليه –في إعطاء أمثلة ونماذج عن دور السلطة الفعال في ميدان التكافل الاجتماعي ولاسيما خلال الأزمات و الكوارث الطبيعية من جفاف ومجاعة ،وزلازل وأوبئة؛ فإن المطلع على مصادر القرن 18م ،ومطلع القرن 19 م يجد العديد من الأمثل عن ذلك والتي تقدم تفاصيل عن الإجراءات المتخذة من طرف السلطات لمواجهة هذه الأزمات والكوارث الطبيعية وتوفير الدعم والمساعدة للسكان سواء كان ذلك على مستوي مدينة الجزائر ،أو غيرها من المناطق في البلاد وذلك في المدن والأرياف على حد سواء. أنظر: أحمد توفيق المدني مذكرات أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1974،ص .83 وص 117أنظر أيضا :أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري ...، صص. 428-440

[1] Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois…, p.223

[2] Ibid., p.143

مساعيك المعهودة بالمحافظة على الفقراء[1] .....وأن تشمل بعدلك وعنايتك كل وضيع ورفيع وكل صغير وكبير منهم حتى يكون كل فرد منهم في أحسن حال وأهدأ بال في ظل أيام سعادتنا وحتى ينصرفوا إلى الدعاء بدوام أمر دولتنا وشخصنا "[2].

كما نتبين هذه السياسة كذلك من خلال إحدى مراسلات السلاطين العثمانيين إلى حكام تونس ويبدو أنه من الممكن القيام بإسقاط تاريخي؛ حيث يمكن أن ينطبق ذلك على الجزائر أيضا ومما ورد بالحكم حول هذا الموضوع نورد:

"حكم إلى أمير أمراء ولاية تونس وقاضيها : قام سكان وأهالي تونس بتقديم عرض حال إلى مقامي المعلى يرجون فيها السماح لهم بموجب شريف باجتماع كافة العلماء والصلحاء والمفتي والقاضي يوم السبت في الديوان بتونس وذلك من أجل النظر في مصالح الفقراء والمساكين وتدارس أحوالهم بصفة عامة وبناء على ذلك فقد أذنت لهم بذلك ولكن ضمن القانون والعادة المتبعة في مثل هذه الأمور والأحوال منذ الفتح الخاقاني لهذا البلد ..... اعمل بموجب ومقتضى القانون والعادة الجارية في البلد منذ الفتح الشاهاني حتى يتمكنوا من النظر في أحوال الفقراء والمساكين ....."[1].

ومن خلال حكم آخر وجه إلى أمير أمراء طربلس نتلمس حرص السلطات العليا العثمانية على عدم تعرض الفقراء للظلم ،والتجاوزات ،وزجر ومحاسبة من يقدم على ذلك بل وعدم التواني عن تحميل الحاكم تبعات عجزه ،أو تقاعسه عن حمايتهم والدفاع عنهم:

"كما بعث علماء تونس بمحضر إلى سدة سعادتنا .....كما أعربوا عن ظلم وتعدي بعض رجالك على الفقراء .....حال وصوله عليك .....وضبط رجالك .....وتخويفهم و تهديدهم كيلا يظلموا ويعتدوا على أحد ويجب ردهم عن غيهم حتى يكونوا بمثابة عبرة ونصيحة

---

[1] اطلع السلاطين العثمانيون على أحوال سكان الجزائر ، وبخاصة الفقراء منهم وعرفوا بالتجاوزات التي كانوا يتعرضون لها لاسيما من خلال العرائض والشكاوى التي كانت تصلهم وهذا ما نستخلصه من أحد أحكام مراسلات دفاتر مهمة:".....كما أوضحت العريضة أنواع الظلم والتعدي الذي يمارس على الفقراء....."أنظر :مهمة دفتري24 حكم233 ،المصدر سابق

[2] مهمة دفتري 7 ،الصحيفة 897الحكم 2456 ،المصدر السابق

[1] مهمة دفتري 58 الحكم 189 ،المصدر السابق

للآخرين وفيما إذ وقع اختلال في شؤون الأهالي أو الولاية من جراء اهمالك وتساهلك في ضبط وربط المذكورين وإذ لم تنظم أحوال الفقراء فلن يقبل لك عذر وستعاتب على ذلك ....."[1].

[1] مهمة دفتري 17 ،الصحيفة 5الحكم 8 ،بتاريخ 979/1/25 ، بالأرشيف الوطني الجزائري

الفصل السادس :التعليم واللغات

1- التعليم في مجتمع مدينة الجزائر

2- اللغات في مجتمع مدينة الجزائر

الفصل السادس :التعليم واللغات

1-التعليم :

يعتبر العلم مرآة عاكسة للمستوى الحضاري للمجتمع، فما كانت مكانة العلم في أوساط سكان مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني خلال القرنين16م (10هـ) و17م (11هـ)؟هذا ما سنحاول إبرازه من خلال هذا الفصل.

أ-المؤسسات والأساليب التعلمية:

تبرز العديد من الدراسات التاريخية بأن السلطات بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني لم تكن تهتم بميدان التعليم بل تركته للعامة ؛فالعلم في تلك الفترة كان شأنا من شؤون المجتمع وليس من شؤون الحكومة[1] في حين تذهب دراسات أخرى للقول بأن التعليم كان حرا يشترك فيه الرسمي، وغير الرسمي؛ فقد كان المجتمع كله مسئولا عن القيام بتعليم أطفاله[1].

و ارتكز التعليم في مدينة الجزائر على المساجد؛ فكانت هذه الأخيرة من أهم مؤسساته إلى جانب دورها الأساسي كمركز للعبادة، ودورها في الحياة الاجتماعية، ودورها السياسي والقضائي؛فقد كانت بمثابة مكاتب قرآنية ،ومن المعلوم أن المساجد كانت من أقدم العصور الإسلامية أماكن لأداء الصلوات والتعليم ،وإلى جانب المساجد؛ فقد كانت الزوايا والكتاتيب تؤدي نفس هذه المهام ؛وقد تحدث الجامعي الفاسي في رحلته عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال:

"...وقد كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد ؛حيث أن المحل الذي لا يسع التلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن العظيم وحفاظه كثيرون، و الدروس العليا تلقي في المساجد ،والزوايا العديدة وبالخصوص الجامع الأعظم ؛فكان

---

[1] وهذا ما يذهب إليه أيضا الأستاذ الباحث أرزقي شويتام بقوله: "أنه إذا بحثنا في دور الدولة في مجال التعليم فإنه يكاد يكون غائبا ،إذ لم تكن للدولة سياسية تعليمية ،ولا برامج محددة ؛فكان دورها مقصورا على مبادرات شخصية لبعض الحكام الذين كانوا يشيدون المدارس بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسين ..-أنظر: أرزقي شويتام ،المؤثرات اللغوية الأجنبية ...".

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق الجزء1ص. 188

فيه تسعة عشر أستاذا ".[1]

و من المدارس التي كانت متواجدة خلال المرحلة المعنية بالدراسة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1-مسيد ابن السلطان:

و مسيد هو مصطلح كان يطلق على المدرسة، وكانت مسيد السلطان تقع في مقابلة وعلى مسافة قصيرة من المسجد الذي عرف باسم جامع السلطان أو جامع عين السلطان، أو جامع القهوة الكبيرة ولهذا عرفت هذه المدرسة أيضا بمسيد القهوة الكبيرة ولكن الاسم الأول هو الأقدم ،والذي ورد في عدة وثائق وحسب ألبير دفوا فإن أول وثيقة ورد فيها ذكر هذا الاسم مؤرخة في أواخر القرن 11هـ(16م) ،ومطلع القرن11 هـ (17 م)،وتحديدا 1008 هـ/1599 -1600م ومن خلال احدى وثائق سلسلة المحاكم الشرعية نجد إشارة إلى حومة مسيد ابن السلطان[1]، وقد تم تدمير هذه المدرسة علي يد الاحتلال الفرنسي حوالي1836م[2].

2-مسيد حي القيصرية أو القيسارية :

و يشير عقد أبرم أمام القاضي مدينة الجزائر مؤرخ في أواخر جمادى الثاني 1089 هـ /من 10 إلى 18 أوت 1678 م إلى تملك الداي الحاج محمد ابن محمود الحانوت تقع في سوق القيسارية وهي الحانوت الثامنة على اليمين للداخل للسوق من بابها الغربية متجها نحو الشرق وأعلن أنه حبس هذه الحانوت حتى تخصص لتعليم القرآن وتحول لمدرسة لصالح أبناء المسلمين وقد دمرت هذه المدرسة في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي[3].

---

[1] مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية و الأجنبية، في **مجلة الأصالة** ، العدد8،الصادرة عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر السنة الثانية ربيع الثاني-جمادى الأولى 1392هـ ماي- جوان 1972 ،ص.62

[1] الوثيقة رقم14 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر"في العلبة 141 الثاني من جمادى الأولى عام 1027 هـ (1618م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] DEVOULX Albert, Les Edifices Religieux..., p.131

[3] Ibid., p.151

3-مسيد الدالية :

نجد من خلال الوثائق الأرشيفية عدة إشارات إلى هذه المدرسة؛ فقد ورد ذكرها في أحد عقود تقسيم التركات كالآتي:"....الحمد لله بعد أن تقرر الإشتراك بين الوليات وهن قامير وقادن وعايشة المذكورات.....في جميع الدار والبيت الكاينة قرب مسيد الدالية المذكورة ....."[1].ويشير ألبير دفوا أن اسم الدالية كان يحمله مسجد صغير، وكانت المدرسة المجاورة له تحمل نفس الاسم[2].

والملاحظ أن بعض المدارس كانت تقام في قاعات كبيرة في حين أن أغلبيتها كانت تقام في محلات ومتاجر حقيقية كانت تشرف على الشارع وكان يمكن للمرء أن يرى انطلاقا من هذا الأخير ما يحدث بداخل هذه المدارس على اعتبار أنها كانت مفتوحة بشكل كلي خلال تلقين الدروس[1].

وقد ركزت تلك المؤسسات التعليمية على تلقين طلبة العلم القرآن الكريم حفظا وتفسيرا وقراءة بالإضافة إلى الشعائر الدينية،و بعض الشيء عن قواعد الحساب، والنحو وكان التعليم على نوعين: التعليم الابتدائي، والذي كان يتم في الكتاتيب ،و كان يشرف على تعليم الأطفال فيها مؤدب ،أو الطالب ؛أي بمثابة معلم؛ حيث كان الأطفال يتعلمون الكتابة ،والقراءة بالعربية والتركية حسب هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م) ؛فقد كانت هناك كتاتيب للتعليم باللغة العربية، وأخرى باللغة التركية، وكان القرآن الكريم يدرس باللغة العربية في كليهما لأنها لغته و كانوا يتعلمون أيضا الحساب، وشهور السنة التي كانوا يحددونها على حسب دورات القمر أي الشهور القمرية ليحددوا تواريخ المناسبات ،والأعياد الدينية،و كان يشرع في تحفيظهم القرآن الكريم لاكتساب ملكة اللغة العربية؛ فقد استخدم القرآن الكريم لتدريس،و تعليم التلاميذ الحروف وتجميعها[2].

---

[1] الوثيقة رقم5 "رسم تقسيم تركة بمدينة الجزائر"في العلبة 119-120تاريخهاأواسط محرم الحرام فاتح عام 1156 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] DEVOULX Albert, Les Edifices Religieux ..., p.176

[1] Rozet, Op.cit.,tome 3 ,p.74

[2] Topographie…" ,In : **R.A.**, T.15, 1871, p. 62

وهذا ما ذهب إليه دان خلال القرن 11هـ(17هـ) إذ ذكر أنه كان يتواجد بمدينة الجزائر عدة كتاتيب أين كان يتعلم الأطفال الصغار الكتابة، والقراءة والحساب و لا شيء أكثر[1].

وكانت طريقة التعليم تعتمد على الألواح الخشبية، إذ أنه كان لكل تلميذ لوحته الخاصة به حيث تسهل عليه عملية كتابة القرآن، ومحو الحروف منها بسهولة، وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية والسور[2]،وبعد أن يحفظ التلميذ ما في لوحته كان يرتله على مسامع شيخه الجالس أمامه على حصير[3]. وقد كان الأطفال بدورهم جالسين على زرابي ،وحصائر وهم متربعين والملاحظ في هذه المدارس أنه لم يكن يوجد أي نوع من التميز؛ فإلى جانب ابن الحرفي كان يجلس ابن القاضي.ولمعاقبة الأطفال الذين لا يجتهدون في التعليم، أو المشاغبين منهم كانت تستعمل الفلقة ؛فيضربون على أقدامهم بواسطة عصا خشبية طويلة كانت تستخدم أيضا في معاقبة الثرثارين، والمعرقلين لسير الدروس[1].

ومع ذلك فإن الهدف من تلك العصا كان يتمثل أساسا في الإبقاء على النظام، وجلب الانتباه بالدرجة الأولى ،وقليلا ما كانت تستعمل للعقوبة[2] ؛فقد كانت العلاقة بين المؤدب وطلبة العلم من الأطفال علاقة احترام الصغير للكبير، وقد كانت مبدأ سائدا في المجتمع كله إلى جانب احترام حفظة القرآن، ورجال العلم من طرف جميع أفراد المجتمع صغارا، وكبارا. وقد كان ذلك بمثابة تقليد متوارث؛ فقد كان الشيخ، أو المؤدب بمثابة الأب الروحي للتلامذة.[3]والدليل على ذلك أن أول مكان يقوم به التلاميذ عند دخولهم للكتاب ،أو المدرسة- بعد نزع أحذيتهم

---

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit, p. 28

[2] ويذكر لوجي دوتاسي أن المؤدبين كانوا يلقون درسهم بصوت مرتفع في البداية ؛ثم كان الأطفال يرددون من وراءهم وهم يمررون الريشة على الحروف التي تم خطها من قبل المؤدبين ، ويتعلمون في نفس الوقت طريقة نطقها حتى تصبح أيديهم متمرنة ،ومتمرسة على الكتابة وإعطاء الشكل المطلوب للحروف ؛ أي كان يتم تعليمهم الكتابة والقراءة في نفس الوقت أنظر :Laugier de Tassy ,histoire de …,p.120

[3] عبد القادر حيلمي، المرجع السابق، ص 272 أنظر أيضا : Rozet(M),Op.cit.,tome 3,p.74

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit, p. 28 voir HAEDO, Topographie…" , In : **R.A.**, T.15, 1871, p.63 voir aussi, Pétis de la croix ,Op.cit., p.19 voir aussi Laugier de Tassy , histoire de.., p.120

[2] William Shaler ,Op.cit.,p .78

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1 ص.346

التي كانوا يتركونها عند الباب، وقبل الشروع بالدرس هو تقبيل يد مؤدبهم [1]كدليل على الاحترام والتقدير،كما أن تلامذة هذه الكتاتيب ،والمدارس كانوا جد حريصين على متابعة دروسهم ؛فلم يكونوا يلقون أي اهتمام لما كان يحدث من حولهم خارج قاعة الدرس[2].

وكان الجزائريون يستاؤون جدا لحد أن يثوروا ضد طريقة الأوروبيين في جلد الأطفال بالسوط ؛فكانوا لا يعتبرونها غير لائقة، ومشينة فحسب بل كانوا ينزلونها منزلة الجريمة الشنعاء وهكذا إن حدث لأحد المعلمين في مدينة الجزائر أن يدخل هذه الطريقة والممارسة في التربية فإنه كان يعاقب عقابا قاسيا، وصارما[1].

وقد ذكر الضابط روزيت في بداية الاحتلال الفرنسي ما يؤكد ذلك حين عقد مقارنة بين التعليم في كتاتيب ومدارس مدينة الجزائر ،و بين نظيره في القرى الفرنسية من حيث معاملة المؤدب للتلامذة ؛حيث قال :

"..... رأيتهم يعاقبون{تلمذة مدارس مدينة الجزائر} أحيانا من طرف المعلم، ولكن على الإطلاق لم أرهم يتعرضون لسوء المعاملة التي كان يتعرض إليها التلاميذ في مدارس القرى الفرنسية...."[2].

وكان التلاميذ يذهبون إلى الكتاب مرتين في اليوم، صباحا،ومساء؛ حيث كانوا يبقون في الكتاب خلال الفترتين حوالي ساعتين،أو ثلاثة؛ حيث تخصص حصة الصباح التي تمتد من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة تخصص جلها تقريبا للكتابة أما حصة المساء التي كانت تبدأ عند الساعة الواحدة وتنتهي عند الساعة الرابعة فخصصت لحفظ ما تم كتابته خلال الحصة

---

[1] ويبدو أن على المؤدب أو المعلم أن يتحلى بجملة من الصفات تجعله أهلا لأداء مهامه، ورسالته حسب ماذكره ديسبارمي في كتابه عن عادات وعوائد سكان الجزائر المسلمين وهي أن يكون حافظا للقرآن، وأن يكون عاقلا، ومتدينا لا يدخن ولايشرب الخمر {وإن هذا مرتبط بظواهر برزت خاصة مع الإحتلال الفرنسي ضمن جملة آثاره السلبية }ومايغتب أحد ولايكون نمام ينشر النميمة ،وأن يكون قلبه حليم ،وحنون وأن يكون أيضا أديب لبيب صاحب سياسة على اعتبار أنه قدوة صالحة لتلمذته ؛وأن يعلم الأولاد بحسب قدرتهم على الفهم وإستيعاب المعلومات...." أنظر : جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق،ص.29

[2] Rozet, (M),Op.cit.,tome 3,p.77

[1] Laugier de Tassy,Op.cit ,T.1,p.192

[2] Rozet (M) ,Op.cit.,tome 3,p.77

الصباحية[1] أما العطلة ؛فقد كانت يوم الثلاثاء ،والجمعة، وكانت مناسبة إتمام حفظ القرآن الكريم كله؛ أي ختمه من طرف الطفل مناسبة سعيدة للاحتفال من طرف أهله وزملائه[2]، فكان أهل الطفل يعدون طعاما طيبا يدعى إليه المؤدب، وزملاء الطفل الصغار ،وكان الطفل يمنح قطعة من القماش الجميل من الكتان، أو الحرير ليخيط ثوبا ليرتديه،أو يمنح قطعا نقدية حسب إمكانات كل عائلة ليشتري ثوبا جاهزا، في حين كان آخرون يقدمون له هذا الثوب جاهزا والمتمثل في ثوب" الفرجة"[3].

و كان الطفل الذي يختم حفظ القرآن الكريم يرتدي أجمل ملابسه، و يوضع على ظهر حصان، ويجوب أزقة المدينة رفقة زملائه من الأطفال، و الكل سعيد بهذه المناسبة.[1] فكانوا ينطلقون في موكب ملؤه النشاط ،والسعادة معلنين نجاح زميلهم مرددين عبارات البشائر والتهاني وكان يتقدم الموكب عادة عازفي الغايطة، والمزامير الذين كانوا يضيفون عليه، جوا بهيجا وبعد القيام بجولة في المدينة، كان يتم إيصال هذا الطفل إلى منزله حيث كان يأكل رفقة زملائه الأطفال ما أعده أهل هذا الأخير من أطعمة للمناسبة[2].

ونلاحظ أن الاحتفال بمناسبة انتهاء التلميذ من حفظ القرآن الكريم دليل على اهتمام سكان مدينة الجزائر بتعليم أبنائهم، ومكانة العلم ولاسيما العلوم الدينية عندهم، كيف لا والإسلام كان يدخل في أدق تفاصيل حياتهم، ومكافأة التلميذ على اجتهاده كانت تعتبر حافزا له لبذل مزيد من الجهد، فضلا عن جعله يدرك قيمة ما يتعلمه، ومن ثم زرع قيمة العلم في نفسه وتحفيزه وتحفيز

---

[1] Ibid.,p. 77

[2] ويبدو أنه كان يتم أيضا الإحتفاء بالطفل عند دخوله إلى المدرسة لأول مرة ولاسيما إذا كان والده ميسور الحال حيث كان يقوم بدعوة بعض الأقارب ويختار اليوم الذي يأخذ فيه الولد للمسيد ويشتري السفنج وقالب السكر ويضعهم في طبق كبير ويلبس ولده لباسا جميلا ويسير الوالد رفقه إبنه للمدرسة وسط أقاربهم وأحبابهم ويضع ذلك الطبق أمام الصبيان في الكتاب ويتم تقديم الطفل للمؤدب؛ حيث يبدأ بالتعلم رفقة بقيت الصبيان ويقوم المؤدب بتقسيم السفنج ،والسكر على كل الصبيان الحاضرين في ذاك الوقت ويحفظ حق الغائبين منهم إلى أن يحضروا..."أنظر : جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق، صص29-30 ويبدو أن هذه الممارسة من شأنها التحفيز ،والتشجيع على طلب العلم كما أن هذه الممارسة تخلق جو من الألفة بين تلاميذ الكتاب أو المدرسة.

[3] Haedo, (F.D) , "Topographie…" ,In, **R.A.**, T.15, 1871, p. 62

[1] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p. 28

[2] Haedo, (F.D) , "Topographie…", In**, R.A.**, T.15, 1871, p. 62

زملائه على بذل مزيد من الجهد.

وفي كثير من الأحيان كان الأهل يكافئون المؤدب، أو شيخ الكتاب على المجهود الذي بذله وأعطى ثماره، بمبلغ من المال، وبعض الحلويات،والمؤن كالقمح،و الزيتون...الخ أي نقدا وعينا؛حيث ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م)أن المؤدبين ،أو معلمي القرآن لم يكونوا يلقون أجرة شهرية، أو سنوية ،ولكن عند وصول التلميذ إلى حفظ أجزاء معينة كان يتلقى المعلم[1] اثنين أو ثلاث دوبل (doubles) –نوع من العملة النقدية –[1]،وكان للبنات مدارسهن الخاصة يتعلمن فيها السنن، والقواعد الإسلامية، والقرآن من شيختهن[2].

وهكذا كان مجتمع مدينة الجزائر حريصا على تعليم أبنائه حتى الفقراء منهم كانوا يجتهدون في إرسال أبنائهم إلى الكتاب لتعلم المبادئ العامة للقراءة ،والكتابة ،وتلاوة وحفظ القرآن الكريم –الذي يعد أساس الثقافة الإسلامية، وكذا منح الطفل، وتزويده برصيد من المعارف التي تسمح له بالعيش وسط المجتمع؛ فقد كان التعليم حينها يهدف إلى إكساب الأطفال في أول الأمر ثقافة، وتربية على أسس إسلامية معينة.

و إلى جانب الكتاتيب كانت هناك المدارس العليا، وهذه الأخيرة كانت متصلة بالمساجد الجوامع؛ فكثيرا ما كانت تلقى فيها الدروس، والتعليم فيها كان يتلخص في الآداب ،والفقه المالكي ،والحنفي، ثم التوحيد، وكان هذا التعليم خاصة من حظ الفئات الميسورة ؛فقد كان يتخرج منها المدرسون،و العلماء،و الفقهاء،والمفتون،و القضاة ،وكانت الشهادات الممنوحة حينئذ تعرف بالإجازات؛ التي كانت تثبت جدارتهم في تحصيل العلم وتتيح لهم إمكانية تعليم ماتعلموه

[1] وحسب ماذكره ديسبارمي ؛فإنه عندما كان يختم الطفل ختمة يقوم طالب من الطلبة الأكبر سنا بتزويق و زخرفة لوحة الطفل الذي أتم الختمة زخرفة جميلة بالصماغ ؛فيذهب هذا الأخير ليريها لوالديه فيعطوه الفتوح–مبلغ من المال– ليعطي جزء منه للمؤدب ويحتفظ بنصيبه ليشترى لنفسه بعض الحلويات. وفي ختمة البقرة كان يحمل والده جفنة، أو جفنتين من الكسكس باللحم إلى المسيد أو الكتاب ليتناولها زملاء ابنه كما يقدم للمعلم مبلغا من المال وفي بعض المرات كان يذهب التلاميذ لداره حيث يقرؤون نصيب من القرآن وبعض الأدعية ثم يأكلون ما أعده أهل هذا الأخير، ويبدو أن العملية كانت تكرر إلى غاية ختمه للقرآن كاملا أنظر: جوزيف ديسبارمي،المرجع السابق، صص.30-31

[1] Haedo, (F..D) "Topographie…", In:**R.A.**, T.15, 1871, p. 62

[2] عبد القادر حليمي، مرجع سابق،ص.172 أنظر أيضا :William Shaler,Op.cit.,p.78

من شيوخهم وروايته [1].كما أخذوه عنهم ؛ فكانت بمثابة شهادات تثبت كفاءتهم.

ومن الأمثلة عن هذه المدارس العليا نذكر منها المدرسة القشاشية،التي اهتمت بتدريس الشريعة الإسلامية، والتوحيد، كما أن الجامع الكبير كان يشكل مدرسة عليا؛ حيث كانت تقام به الدروس الكثيرة من طرف أبرز العلماء،و بلغت حلقات الدروس به إثنى عشر حلقة[2].

و اهتم اليهود بدورهم في مدينة الجزائر بتعليم أبنائهم وتدريسهم؛ فقد كان المعلمون اليهود يعلمونهم القراءة، والكتابة، واللغة العبرية و العربية؛ إذ كانوا يكتبون العبرية بحروف عربية بالإضافة إلى تعليمهم طقوس دينهم[1].وقد ذكر هايدو أنه بمجرد أن يتمكن الطفل اليهودي من المشي يمسك والده بيده ،و يأخذه يوم السبت ، أو خلال الاحتفالات والمناسبات الدينية إلى المعبد ويقوم مباشرة بتعليمه القراءة ،والكتابة باللغة العبرية ، وفي بعض الأحيان بالعربية أيضا[2].

ب- المكتبات:

وكانت المكتبات التي تحوي كتب متنوعة متواجدة بالمساجد ،أو ملحقة بها بالإضافة إلى تواجد مكتبات خاصة ، ولاسيما لدى الأسر العلمية وهذا ما نستشفه من خلال عقود المحاكم الشرعية ؛حيث ورد ذكر لهذه المكتبات من خلال التطرق لتصفيات تركات العلماء حيث ترد الكتب كجزء من ممتلكات ،ومخلفات المتوفي وعلى سبيل المثال نذكر تركة" الفقيه الأجل الزكي الأشمل المرحوم السيد محمد بن الشيخ العلامة البحر الفهامة أبي عبدا لله السيد محمد الفوجيلي"؛ حيث ذكر في الوثيقة أنه "خلف عدة كتب"[3] .

وتركة ابن أخيه "العالم أبو العباس أحمد ابن العالم العلامة البحر الفهامة أبي عبد الله السيد محمد ابن العالم الكبير الفقيه المحدث المفسر الشهير أبي عبد الله السيد محمد الفوجيلي" التي تضمنت عدة كتب أيضا تم التفصيل فيها بذكر عناوينها : "وخلف الهالك ...السيد أحمد

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص. 272

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،الجزء 1 ، ص.284

[1] Haedo, (F..D) , "Topographie…" ,In: **R.A.,** T. 15, 1871, p. 94

[2] Ibid.,p.106

[3] الوثيقة رقم 1 في العلبة 123 ،المصدر السابق

المذكور رحمه الله موروثا عنه .....وعدة كتب محتوية على علوم شتى من معقول ،ومنقول{أي تنوع رصيد هذه المكتبة من حيث مواضيع الكتب وعدم اقتصارها على العلوم النقلية بل و احتوائها على كتب تحوى العلوم العقلية أيضا }منها ما هو خاص به رحمه الله مما سيذكر بعد ويفسر{وقد ورد ذكر عناوين الكتب في محل آخر من الوصية ومن هذه العناوين نذكر التبصرة لابن فرحون ،والمدخل لابن الحاج ،والشيخ التواتي في علم الكلام ،ومجموع على تخاميس البردة ،و بديعيات في سفر المكودي ،و شمايل الترمذي ومجموع فيه تقاييد للشيخ الأسيوطي ،واللؤلؤ والمرجان الغريب ، و كراريس من عنوان الدراية وشرح الكافية للناظم ...الخ}ومنه ما هو مشترك بينه وبين شقيقه الشيخ الإمام الصرارة وحد التمام العالم العلامة الفقيه المحدث أبي عبد الله السيد محمد قاضي الجماعة بمحروسة الجزائر وقت التاريخ....."[1].

و اشتراك العلماء في تملك الكتب وبخاصة المنتسبين للعائلة الواحدة يعني انتقال تلك الكتب كجزء من الإرث العلمي العائلي الذي يتجسد الجزء الآخر منه في التكوين العلمي الذي تلقوه في ظل هذه الأسر العملية التي مكنتهم من أن يصبحوا بدورهم علماء.

وإلى جانب المكتبات الخاصة وجدت مكتبات أخرى عامة محبسة في المدارس العليا ،ومثال ذلك نذكر مكتبة الجامع الأعظم التي نستدل على وجودها وثراء رصيدها من خلال ما أورده كلاين في كتابه وريقات عن مدينة الجزائر ؛حيث ذكر وجود نص قديم يعلمنا بأنه خلال القصف المدفعي لمدينة الجزائر من قبل دوكسان سنة 1683م،و الذي تسبب في تضرر وإتلاف الجزء المجاور للمحراب من المسجد تم وضع الكتب المقدسة الموجودة في الجامع في حصن الإمبراطور لتكون فيه بأمان [2].

و هذا الأمر دليل على عناية سكان مدينة الجزائر بالكتب، ومن ثم العلم، وكذا دليلا على احتواء الجامع الأعظم على كتب دينية قيمة[3]؛ أي امتلاكه لمكتبة وهو الأمر الذي تؤكده

---

[1] الوثيقة رقم 1 في العلبة 123 ،المصدر السابق

[2] Klein (H),Op.cit.,p. 26

[3] وما يؤكد ثراء مكتبة الجامع الأعظم الفهرس الذي وضعه الباحث محمد ابن شنب لكتب ومخطوطات الجامع الأعظم ومايشد الإنتباه في القائمة التي أوردها وجود مؤلفات في الفقه وغيره من العلوم الدينية بالغة التركية العثمانية مثلا:تقييد باللغة التركية لمؤلف غير معروف في مسائل فقهية مختلفة وبالخصوص في الغنيمة وتفسير سورة يس باللغة التركية لمولانا قرى وجواهر= =

إحدى وثائق المحاكم الشرعية التي نستخلص منها دور القائمين ،والمشرفين على الجامع وعلى الأوقاف الموقوفة عليه في إثراء رصيد هذه المكتبة من خلال الاستفادة من جزء من مداخيل أوقافه في اقتناء الكتب : "الحمد لله أشهد شهديه الشيخ الفقيه الإمام الهمام .....الورع الناسك الأبر إمام الجامع الأعظم بمحروسة الجزاير سيدي سعيد بن المرحوم .....المنغمس في رحمة الحي القيوم أبي إسحاق السيد الحاج ابراهيم أن جميع ما يأتي ذكره من شراء كتب وأملاك وإقامة بناء بعض الأملاك الآتي ذكرها إنما ذلك كله من ما بيده من خراج أوقاف الجامع المذكور وأنه لاحق له في ذلك لافي ثمن ولامثمون ويده في ذلك كله .....وعارية ليكون جميع ما يشتري من أوقاف الجامع المذكور قصد به وجه الله العظيم...."[1].

وقد ورد في نص الوثيقة تفصيل في عناوين الكتب التي تم شراءها مع الحرص على ذكر سعرها ومصدر بعضها ونخص بالذكر تلك الكتب التي كانت تباع في إطار تصفية تركات[2] أي مصدرها المكتبات العائلية الخاصة :

".....وفي الكتب المذكورة أول ذلك نسخة صحيح الشيخ البخاري الخروبية المشتراه من تريكة المرحوم حفيد سيدي الخروبي وفي عشرة من سفر مكتوبة في الرقع سبعمائة دينار .....وفي نسخة أخري لصحيح الشيخ البخاري أيضا من تركة سيدي محمد الصباغ....

=الكلام من الفرائض باللغة التركية العثمانية لشمس الدين محمد بن أحمد بن سليمان بن كمال باشا وكتاب في فقه الحنفية لمحمود بن قاضي ميناس المشهور بميناس أغلو وكتاب في الفرائض باللغة التركية لمؤلف غير معروف...الخ مما يؤكد مرة أخرى التواصل والتعايش السلمي المذهبي بين المذهب المالكي الذي كان يمثل أتباعه جل مجتمع مدينة الجزائر المسلم ،ومركزه الأول الجامع الأعظم ،والمذهب الحنفي مذهب النظام الحاكم حينها الذي احترم المذهب المالكي وأتباعه. لمزيد من الشواهد أنظر:

Mohmed Ben Cheneb,catalouge des manuscrits Arabes conservés dens les principales bibliothèques Algériennes, Grande Mosquée D'Alger(rue de la marine) ,publié par ordre de M.le Gouverneur Général de L'Algérie ,Typographie Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur, Alger,1909

[1] الوثيقة رقم 26 " شراء كتب وأملاك وإقامة بناء لصلح أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر "، في العلبة123 تاريخها أوايل شهر ربيع الأول 1052 هـ من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر ملاحظة ونجد نسخة ثانية من الوثيقة في نفس العلبة تحت رقم 7

[2] ويرى الأستاذ الباحث خليفة حماش في عملية بيع الكتب في إطار تصفية التركات دليلا على حدوث قطيعة في انتقال الموروث العلمي من الآباء إلى الأبناء في الأسر العلمية ،وبالتالي انقطاع التواصل المعرفي بين أجيالها، وخروجها من دائرة الأسر العلمية إلى دائرة الأسر التي تنتمي إلى العامة أنظر :خليفة حماش ،المرجع السابق ،ص.53

.....وفي شرح الإمام العيني للصحيح المذكور وفي ثلاثة أصفار من تركة المرحوم السيد .....بن شلمون ألفا دينار واحدة واربعمائة دينار في شرح الإمام القسطاني للصحيح المذكور يكون وقفا على من فيه قابلية وأهلية للقراءة من ذرية امام الجامع المذكور أو غيرهم .....وشرح الجامع الصغير..... [1].

و من ثم فأغلب المكتبات في مدينة الجزائر كانت تمتلك رصيدا هاما من المخطوطات و الكتب التي كانت تكتب محليا اعتمادا على النسخ ،أو تجلب من الخارج، وعلى وجه الخصوص من الأندلس، ومصر، وبلاد الحجاز[1].

ويبدو أن موسم الحج كان مناسبة مواتية لشراء الكتب من الأراضي المقدسة وبالتالي إثراء مكتبات مدينة الجزائر وغيرها من مناطق الجزائر التي ينتسب إليها الحجاج.

وتحدث التمكورتي في أواخر القرن 10هـ(16م)عن وفرة الكتب في مدينة الجزائر؛ حيث قال: "...وطلبة العلم فيها لا بأس بهم..... و الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا...."[2].

حيث شاعت حركة النسخ في الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني ،فقد تميز الناسخ قبل مجيء العثمانيين بجودة الخط ،و الاختيار الموفق للورق ،والأهم المهارة في التوثيق ،والدقة في العمل والصحة في النظر وكان الخط الأندلسي هو الشائع ،وبعد استقرار العثمانيين بالجزائر أصبحت حركة النسخ تتم بالخطين الأندلسي والعثماني .[3]

و ما يؤكد ذلك تواجد سوق القيسرية في مدينة الجزائر ، والذي كان يعتبر بمثابة حي للمثقفين

---

[1] الوثيقة رقم 26، في العلبة 123 ،المصدر السابق

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1 ص .286

[2] علي بن محمد التمكورتي،مصدر سابق،ص.129وأنظر أيضا مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة...،ص.59

[3] أحمد مريوش ،حوتية محمد ،أحمد بن جابو ،دبوب محمد ،الحياة الثقافية في الجزائر في العهد العثماني ،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث،منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر،طبعة خاصة ،وزارة المجاهدين الجزائر2007 ،صص.22 -23

،وطالبي العلم ؛فقد كان يوجد فيها ناسخي الكتب، ومجلديها، والوراقين، وبائعي الأقلام الذين كانوا يجتمعون في حوانيت ،ودكاكين كان يقف على أبوابها طلبة العلم لإقتناء ما يحتاجونه من اللوزم التي تعينهم على تحصيل العلم وفي مقدمتها الكتب[1].

ويبدو أن اهتمام أفراد مجتمع مدينة الجزائر في ظل نظام الحكم العثماني بالمطالعة ،وتحصيل العلم تعدى أفراده ،وبخاصة العلماء منهم إلى حكامهم وعلى سبيل المثال نذكر رمضان باشا الذي كان محبا لقراءة الكتب الدينية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية، أو باللغة التركية العثمانية وهي الهواية،أو الانشغال الذي كان يشغل جل الوقت المتبق بعد قيامه بأداء مهام الحكم المنوطة به ،و التي كان ينبغي عليه أن يلتزم بها[1].

ج–مصادر تمويل التعليم ومجالاته في مدينة الجزائر:

وكانت المساجد و المدارس ،والكتاتيب تعتمد أساسا لأداء مهامها على الأوقاف و الأحباس المخصصة للمصاريف التي تتطلبها تلك المؤسسات التعليمية كدفع أجور العلماء من المؤدبين ،والمدرسين بالإضافة إلى الإنفاق على الطلبة من حيث توفير وتخصيص غرف لإقامتهم طيلة فترة طلبهم للعلم ،وتوفير الطعام، والغذاء لهم [2]. والأمثلة التي تقدمها وثائق الرصيد العثماني وخصوصا سلسلة المحاكم الشرعية كثيرة ،ويمكن ذكر بعض النماذج عن ذلك فمثلا لدينا عقد أو رسم تحبيس يشير إلى دكاكين حبست لصالح المساجد:

« الحمد لله حضرت لدي شهيديه الحسيبة الجليلة الحرة الأصيلة المسنة فاطمة بنت المرحوم بكرم الحي القيوم السيد الحاج محمد الصباغ الشريف وأشهدت شهديه على نفسها قولا بالحق ووقوفا عنده وان {كذا} جميع الحانوت الكاينة بمقربة {كذا} من زاوية الشيخ الصالح البركة الناصح القطب الرباني سيدي محمد الشريف نفعنا الله به امين {كذا} المجاورة لحانوت حبس على المسجد الكاين [كذا] بحومة اوصطاوالى الذي يؤم فيه الفقيه الأجل الأفضل الاسهل[كذا] سيدي احمد بن حمودة..... وجميع الحانوت الكاينة بالمحل المذكور الذي نصفها الآخر حبس على جامع

[1] Marcel EMERIT, Op.cit., p .10
[1] Haedo, (F.D) ,Histoire des rois …,p.167
[2] Haedo, (F.D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871, p.255

المرحوم بكرم الله سافير باشا الكاين[كذا] بالمحل المذكور....."[1].

و نؤكد مجددا أن السلطة من حكام، وموظفين سامين كانت تساهم، وتشارك جميع فئات المجتمع في مدينة الجزائر، في فتح الكتاتيب، والمدارس،وتزويدها بالكتب؛ فالجميع سلطة ،ورعية كانوا يساهمون كل بما يقدر عليه في هذه المشاريع العلمية ،والخيرية في آن واحد بالإضافة إلى تخصيص أوقاف لها، وتعيين المدرسين ،وتحديد رواتبهم.

وعلى سبيل المثال يشير عقد تحبيس مؤرخ في بداية ربيع الثاني سنة 1096هـ من 7 إلى 16 مارس 1685م إلى وجود مدرسة مؤسسة من طرف الحاج مصطفي بلوكباشي بن محمد التركي لتلحق بتعليم القرآن الكريم، والتي كانت بابها مجاورة لباب المسجد المسمى باسم المرحوم صفير هذه المدرسة التي وسعت من طرف إبراهيم خوجة داي سنة1683م[1].

كما نجد أن البيتمالجي صاري مصطفى خصص شطرا من غلة الوقف الذي قام به على جامع السيدة لدفع أجرة إمام مسجد السيدة الذي كان يقوم بالتعليم في الكتاب الذي قام بإنشائه البيت مالجي ونص ذلك كالآتي:

"..... حبس جميع السدس الواحد الشايع{كذا} من جميع الحمام المذكور على المسجد القريب من دار الامارة{كذا} العلية المعروف بجامع السيدة.....على أن يعطي أيضا من الغلة للفقيه الأجل الخير الاحمد{كذا} أبي العباس السيد أحمد امام{كذا} المسجد المذكور ربع الريال في كل شهر أجرة تعليمه أولاد المسلمين قراءة القرآن العظيم بالمكتب{كذا}الذي أحدثه المحبس المذكور بسقيف{كذا} المسجد المرقوم ....."[2] .

ونجد أن البيتمالجي صاري مصطفى يقوم بوقف آخر ،ويخصص جزء من مداخيله ليستخدم في دفع أجرة المؤدب الذي يعلم في المدرسة الكتاب الذي أقامه بالقرب من دكان بيت المال

---

[1] الوثيقة رقم16 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة20-1 تاريخها 1094 (1682م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] Devoulx Albert," Les Edifices Religieux ...", In :**R.A**,., T.13, 1869, p. 23

[2] الوثيقة رقم 41 ،في العلبة141 ،المصدر السابق

ونص ذلك:.....أشهد الآن المالك السيد مصطفى آغا شهديه في هذا على نفسه الكريمة أنه حبس جميع الحانوت المذكورة على المسجد القريب منها المعروف بجامع السيدة واشترط في ذلك المحبس المذكور أن يعطى من غلة الحانوت المحبسة المذكورة للمؤدب الذي يقرئ أولاد المسلمين بالمكتب –الكتاب–الذي أحدثه المحبس بإزاء دكان المواريث المخزنية ريال واحد في كل شهر .....و ما يفضل من غلتها يصرف في رم ما تهدم من الحانوت المذكورة ،وكذا المكتب....."[1].

وكانت المؤسسات التعليمية خلال المرحلة المعنية بالدراسة تعتمد في الحصول على تمويلها وتموينها بالإضافة إلى مداخيل الأوقاف كما سبق ذكره على الإعانات التي تقدم لهذه المؤسسات من طرف المحسنين سواء كان في ذلك في الحواضر أو في المناطق الريفية ،و التي كانت ترد إليها في شكل نقود أو بضائع ،ومواد غذائية كالحبوب،والزيتون ،والتين،وحيوانات،وألبسة،ومفروشات وغيرها من الإعانات العينية والتي كانت تقدم بصورة دورية خلال السنة[2].

و من هنا نستخلص حرص مجتمع مدينة الجزائر على تعليم أبنائه، وبناته، ولكن هذا الأخير كان محصورا بشكل كبير في علوم الدين من فقه، وتفسير، وغيره، إلى جانب بعض العلوم التي كانت معروفة في العالم الإسلامي، حينها فضلا عن دراسة تاريخه، ورجاله ؛فقد كانت تهمل بعض العلوم الهامة، و المفيدة في حياة المجتمع كدراسة الطب، والصيدلة والكمياء،وعلم الحساب و الفلك وقد ذكر هايدو في أواخر القرن 10 هـ(16م)في هذا الصدد أنه لم يكن من بين سكان مدينة الجزائر من كان يهتم بالمنطق ،والفلسفة، والميتافيزيقا، والهندسة، وعلم الفلك، وكل فن وعلم آخر؛ فلم تكن توجد أي مدرسة لتعليم إحدى هذه العلوم الكثيرة، ولم يكن يوجد في مدينة الجزائر أي مختص، أو جراح– لمعالجة جرح، أو نزيف لا من صفوف العثمانيين ولا من صفوف بقية سكان مدينة الجزائر؛ فكل الجراحين كانوا مسيحيين باستثناء اثنين فقط أحدهما كان علجا يدعى شعبان ،والأخر أندلسيا أصله من فالنسيا[3].

---

[1] المصدر نفسه

[2] أحمد مريوش وآخرون ،المرجع السابق ،صص.22 -23

[3] HAEDO, (F.D) "Topographie…" , In: **R.A.,** T.15, 1871, p.225

مع العلم أنه كان للمسلمين باع واسهامات هامة في هذه الميادين العلمية في المراحل التاريخية السابقة، وكانت من الميادين التي ازدهرت في إطار الحضارة الإسلامية ؛حيث كانت مجالات خصبة للاجتهاد والإبداع ؛ولكن خلال المرحلة المدروسة غلب التقليد، والجمود على التجديد في هذه الميادين ،ولكن إهمال هذه العلوم لم يكن إهمالا تاما على عكس ما تؤكده المصادر الغربية خاصة ونستدل عل ذلك من خلال :

1-توفر مصادر الطب العربي وعلم الفلك التي ألفت في مرحلة سابقة للعهد العثماني في مكتبات مدينة الجزائر، والجزائر عامة كتآليف ابن رشد، وابن سينا ،وداود الأنطاكي ،وابن البيطار وغيرهم في الطب[1]، وتآليف محمد بن أحمد الحباك في الفلك بعنوان" نيل المطلوب في العمل بربع الجيوب "وشرح محمد بن يوسف السنوسي بعنوان "بغية الطلاب في علم الاسطرلاب" لأستاذه الحباك وقصيدة ابن أبي الرجال القيرواني في الفلك، وشرح أحمد بن القنفذ القسنطيني لها ،وأرجوزة محمد بن علي المعروف بابن مقرع وأعمال ابن البنا المراكشي وأعمال القلصادي، وغيرهما في علم الحساب .[2]

2 –وجود علماء على قلتهم اهتموا بهذه العلوم والدليل ما خلفوه ورائهم من مؤلفات تدل على اهتمامهم هذا حسب ما نستخلصه من دراسة الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله ففي مجال الطب نجد على سبيل المثال عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري سواء من خلاله مصنفه الطبي الصيدلي كشف الرموز، وكذا في رحلته المعروفة برحلة ابن حمدوش التي تخللتها أسماء مؤلفات طبية بالعربية وأخرى مترجمة كان يرجع إليها[3] هو وأمثاله من المهتمين بالطب من أمثال أحمد بن قاسم البوني؛ والذي كان له عدة أعمال في الطب المعروف، والطب الروحاني ؛حيث يمتزج العلم بالخرافة، ومن مؤلفاته إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة ؛حيث يصف الداء والدواء المناسب له وكذا تأليف آخر له بعنوان مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب على شكل أرجوزة ؛حيث نقل فيه عن غيره ممن سابقوه من علماء الطب أمثال ابن البيطار والسيوطي

[1] أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،الجزء2،صص.432

[2] المرجع نفسه ،صص.416

[3] المرجع نفسه،ص.432

والأنطاكي وغيرهم فأخذ عنهم أسماء الأدوية وطريقة التداوي مع ذكر لأنواع المأكولات والمشروبات[1].

ومن أبرز من ألف في علم الحساب والفلك خلال العهد العثماني عبد الرحمن الأخضري حيث ألف "الدرة البيضاء" في علم الحساب ، وهو مؤلف مقسم إلى 3 أقسام القسم الأول خاص بالحساب ،والثاني خاص بقواعد الفرائض، و الثالث بالقسمة العملية للتركات ،وفي علم الفلك وضع نظما سماه" السراج" و نجد أيضا العالم سحنون بن عثمان الونشريسي الذي اهتم بالفلك، والنجوم، والرياضيات وألف كتابه بعنوان "مفيد المحتاج في شرح السراج الذي يعد شرحا لعمل عبد الرحمن الأخضري في علم الفلك[1].

ومن علماء مدينة الجزائر الذي اهتموا بعلم الفلك والميقات –الوقت–وساهموا فيه خلال القرن11هـ(17 م)محمد بن أحمد الصخري الأندلسي الأصل الجزائري المولد ،وكان عالما من علماء المالكية القائمين بتوقيت الجامع الأعظم ،أو الكبير بمدينة الجزائر وعنوان كتابه "القلادة الجوهرية في العمل بالصحيفة العجمية" ،ويعتقد أنه صاحب مؤلف آخر بعنوان "تعديل الكواكب لعرض بلد الجزائر[2].

و لابد أن نشير أيضا إلى أن العثمانيين لم يتبنوا سياسة تقوم على تشجيع العلماء للإنتاج من خلال عقد مجالس علمية ،والمناظرات[3] التي من شأنها خلق جو من المنافسة المفيدة التي ينتج

---

[1] المرجع نفسه،صص.434-435

[1] المرجع نفسه،صص.417-420

[2] المرجع نفسه،ص.425

[3] وقد أقر توماس شو بالاستعداد الطبيعي لسكان مدينة الجزائر للتعلم والبروز في مجال العلوم في حالة عملوا على توظيف قدراتهم وطاقتهم في ذلك وإذا لقوا التشجيع المناسب بقوله:"...بحسب ما ذكرته عن أوضاع التعليم العام في هذا البلد لا يجب أن نتظر أن يتم بلوغ درجة من درجات الإتقان بأي فن من الفنون، أو علم من العلوم ليس لأنهم يفتقرون إلى أناس يمتهنون الطب و أناس يعزفون على الآلات الموسيقية أو للذين يمارسون مهن تتطلب بعض المعارف على غرار العلوم الدقيقة؛ ولكن كل مايقمون به يقمون به بحكم العادة ،والروتين والحق يقال أنه يساعدهم في ذلك الذاكرة القوية التي يتحلون بها ،و ذكائهم الكبير وبناء على ذلك لايمكن أن نعزي لأي شكل من أشكال العجز الطبيعي قلة المجهودات التي يبذلها سكان مدينة الجزائر في مجال العلوم والآداب لأنهم بالتأكيد على العكس من ذلك يتمتعون بقدرات عقلية وفكرية لايمكن التشكيك فيها وأعتقد أنهم إذا أرادوا تكريس أنفسهم للتعلم ووجدوا التشجيع المناسب سيحققون بدون أدنى شك تقدما ملحوظا في هذا المجال..." أنظر=

عنها المزيد من العلم،والاجتهاد كما كان عليه الحال في العصور الإسلامية المزدهرة؛ ولكن يمكن القول –كما سبق الإشارة إليه– أنهم عملوا على نشر التعليم من خلال تشييد المساجد وتخصيص الأوقاف ،والحبوس لها، وكذا من خلال بناء المدارس.

وهذا ما أدى إلى بروز عدة علماء خلال هذه الفترة ،ومعظمهم من علماء الدين واللغة كالشيخ علي بن عبد الرحمان الذي كان عالما ،وفقيها ،وقاضيا للمالكية سنة 1081هـ/ 1671م، وكذلك العالم الفقيه أبو عثمان سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة سنة 1066هـ/ 1656م الذي وصف بالورع ،والثقة ؛والذي ألف عدة مؤلفات، وقد تولى الفتوى بمدينة الجزائر ودرس بالجامع الأعظم، وانتفع به الكثير من طلبة العلم[1].

وقد تحدث ابن زكوار في رحلته عن علماء مدينة الجزائر الذين أخد عنهم ،وتحصل منهم على إجازات ؛و كتب عن مدى تعلقه بها لما أفاده من علوم على يد علماءها ،والقيمة العلمية للإجازات التي منحوها له، ومن تم حزنه على فراقها ؛ فقال بأسلوب أدبي منمق :

" غرر أعلام ،ينجلي بهم الإظلام وشموس أئمة تتفرج بهم كل غمة وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة .....فاهتديت بأنوارهم السنية .....ورتعت في رياض أدبهم فتمتعت وأنهلت من حياض علومهم حتى تضلعت وكرعت.....ونسيت ببشرهم وتأنيسهم وما اقتبسته من المعارف في تدريسهم ما عينته من وهج القفار وقاسيته في لجج البحار .....فلم أزل بين اقتباس أنوار واقتطاف أنوار إلى أن أشعر كبدي بالانصداع داعي الوداع وأصابني من الوجد شبه جنة عندما عزمت على الخروج من تلك الجنة ولما أزف الرحيل ....التمست ممن اصطفيت من أولئك

= 10 :Shaw(Thomas), Op.cit.,pp.80-81 وقد سبق حسن الوزان توماس شو حين أبرز في مطلع القرن 10 هـ(16م) الإستعدادات التي كان يتمتع بها سكان مدينة الجزائر ؛ وإقبالهم الكبير على التعلم كما أشار إلى تراجع العلوم العقلية لديهم مرجعا ذلك للحكام ورجال الدين ومن خلال ماذكره نستخلص أن هذا التراجع سابق لقدوم العثمانيين إلى الجزائر:"إن الأفارقة الذين يسكنون مدن بلاد البربر مدن ساحل البحر المتوسط يهتمون كثيرا بالتعلم ،ويتعاطون الدراسة بكامل العناية وفي طليعة مايدرسون الآداب، والكلام والفقه وكان من عاداتهم في القديم أن يدرسوا الرياضيات والفلسفة وحتى علم الفلك غير أنه منذ أربعمائة سنة خلت .....منعهم فقهاؤهم وملوكهم من تعاطي معظم هذه العلوم وذلك ماحدث للفلسفة والتوقيت الشرعي....."أنظر حسن الوزان، المصدر السابق،ص.85

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.199

الأخيار أن يكتب لي من إجازته ما أطاول به الأحبار..... "[1].

وبعده أشار الجامعي الفاسي الجامعي الفاسي في رحلته إلى الحياة العلمية في مدينة الجزائر وتحدث عن علمائها، وأدباءها فقال:

" .....فهي والحمد لله إلى الآن دار الجوهر الفرد الأدب وعلم العقل والنقل وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل.....وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء مساجدهم بالتدريس معمورة ،ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار، وكلهم متحلون بأحسن الصفات متضلعون بعلم النحو، والفقه، والحديث،وإحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث....." [2].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنه كان لمدينة الجزائر علماء ،وأدباء مشهود لهم بالبراعة فضلا عن حسن الخلق، والدليل على ذلك أنهم كانوا مقصدا لطلبة العلم ،من داخل البلاد وخارجها من أمثال ابن زكوار الفاسي –كما سبق ذكره–الذي اجتمع في مدينة الجزائر بعدد من علمائها سنة 1093 هـ(1683م) من أمثال الشيخ المانجلاتي –عالم وفقيه ،ومعلم توفي في عام 1104هـ(1693م)- كما يمكن أن نستخلص من عقود المحاكم الشرعية بمواضيعها المتنوعة أسماء لعلماء عرفتهم مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة من أمثال الفقيه العالم حسن بن محمد العنابي[3].

و كان علماء مدينة الجزائر من جملة العلماء الذين كانوا يقصدون بلاد المشرق الإسلامي مثل مصر، وبلاد الشام، و أرض الحجاز في إطار الرحلات العلمية، وأداء فريضة الحج للنهل من علم علمائها،وجمع الإجازات،ومن نماذجهم خلال القرن 11هـ(17م) نذكر محمد بن عبد المؤمن

---

[1] ابن زكوار ،نشر أزهير البستان فيمن أجازني بالجزائر و تيطوان من فضلاء أكابر الأعيان،صدر هذا الكتاب بدعم وزارة الثقافة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الحراش،الجزائر2011،صص.40-41 وأنظر أيضا مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحالات ...،ص.116.

[2] المرجع نفسه، ص.62.

[3] الوثيقة رقم 19 في العلبة 119-120 ،المصدر السابق

الذي قال عنه ابن زكوار في رحلته :

"ومنهم الفاضل العلامة الذي جعل للمحاسن علامة .....أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن، الحسني الجزائري، أتم الله نوره وأدام سروره.....غرة مجد في جبين الجزائر ساطعة ودرة فضل في جيد المكارم لامعة، وبحر من السماحة زاخر، أعي الأوائل والأواخر رحل إلى المشرق مرارا وانتجع للمعارف قطارا، وحظي بصحبة شيوخ جلة، أنهله كل واحد منهم وعله....."[1].

وقد وجدت في مدينة الجزائر عائلات من العلماء كان أفرادها يتوارثون العلم ،و هذا ما نستخلصه من الوثائق المحلية، ولاسيما من سلسلة المحاكم الشرعية وبخاصة رسوم تقسيم التركات حيث يتضح توارثه من الجد إلى الأحفاد ومن نماذج ذلك أسرة الفوجيلي ؛ فالجد كان عالما ،وأولاده، وأحفاده بدورهم كانوا علماء أيضا ،وهو ما نستخلصه من وثيقة تقسيم تركة تضمن الرسم الأول منها ما يلى:

".....الحمد بعد أن توفي وصار إلى عفو الله وغفرانه المنغمس في رحمته الحي القيوم العالم الأشمل البقية الأكمل الخطيب الأجمل أبو العباس أحمد ابن العلامة البحر الفهامة أبي عبد الله السيد محمد ابن العالم الكبير الفقيه المحدث المفسر الشهير أبي عبد الله السيد محمد الفوجيلي عن زوجه نفسة{كذا} بنت المرحوم السيد محمد و أولاده منها الأديب الارب{كذا} التحفة النجيب الفقيه العالم الفهامة الخطيب البليغ النهاية أبي عبد الله السيد محمد ،والنشأة الطيبة النخبة المباركة السيد أحمد المستقر إلى نظر شقيقه السيد محمد المذكور بتقديم شرعي اعزه الله ممن يجوز له ذلك والحرائر الجليلات مريم وفطيمة وعزيزة المالكات أمر انفسهن ....."[2].

ومن بين عقود الوقف نجد عقد وقف يشير إلى هذه المسألة إذ ورد فيه عن ذلك ما يلى: "..... وحبس الناصح العالم المحقق البركة أبوعبد الله محمد ابن المرحوم أبي و الحسن

[1] ابن زكوار ،المصدر السابق صص.49-50 وأنظر أيضا مولاي بلحميسي ، الجزائرمن خلال رحالات...، صص124 - 125

[2] الوثيقة رقم 21 في العلبة 123،المصدر السابق

علي الخروبي الطرابلسي..... جميع ما ذكر فيه من الأموال المذكورة لما لها من المنافع والمرافق كافة الحقوق عامة الداخلة فيها والخارجة عنها وما عرف ونسب قديما وحديثا إليها على ولديه الفقيهين المكرمين أبي العباس أحمد و أبي عبد الله محمد....."[1].

كما نجد مسألة هامة ساهمت بشكل كبير في توارث هذا العلم من الآباء إلى الأبناء و الأحفاد و هي حرص عائلات العلماء في مدينة الجزائر على ربط صلات المصاهرة بالزواج فيما بينهم ،وهو ما يتضح لنا دائما من خلال الوثيقة السابق ذكرها ؛فقد كانت زوجة العالم المذكور ابنة عمه الذي كان بدوره عالما من العلماء[2].

وهو ما يتضح أيضا من خلال عقد أخر تضمن بدوره موضوع تقسيم تركة حيث نستدل من خلالها على عائلة فقهاء كانت تتوارث العلم فضلا عن بروز قضية الزواج والتصاهر بين عائلات العلماء:

"بعد أن توفي إلى عفو الله تعلى وغفرانه الفقيه المكرم الأجل ابن عبد الله محمد ابن الفقيه المرحوم برحمته تعالى الفقيه محمد بن عثمان عن زوجه الحرة الفاضلة فاطمة بنت الفقيه المعظم الاحضى المرحوم بكرم الله تعالى أبي عبد الله {كلمة غير واضحة }....."[3].

د–دور العلماء ومكانتهم في مجتمع مدينة الجزائر:

وقد كان للعلماء تأثيرا كبير على المجتمع سواء من خلال دروس الوعظ، أو مجالس الفتوى حيث كان الناس يثقون فيهم أكثر من رجال الحرب،والسياسة ،ويحظون بتقدير كبير من طرفهم لاسيما الفقهاء، والمفتين، والقضاة، وهذا ما توضحه لنا بعض عقود التحبيس ،والتي تشتمل على عبارات توحي بالمكانة ،والتقدير الذي كان يحظى به العلماء في أوساط مجتمع مدينة الجزائر ؛فقد جاء في أحد عقود التحبيس الذري تحبيس حانوت مرجعه فقراء مكة ،والمدينة وتم وصف العلماء،و الفقهاء الذين استفتوا في المسألة بما يلي:" .....أن يكون المرجع فيما ذكر

[1] الوثيقة رقم 45 في العلبة 27-1،المصدر السابق

[2] المصدر نفسه

[3] الوثيقة رقم 6 في العلبة 124 ،المصدر السابق

بعد انقراض نسله وعقبه لفقراء مكة والمدينة واستفتي في القضية المذكورة العلماء الأعلام هداة الأمة ومصابيح الظلام {كذا}أيجوز له ما رام من التحبيس....."[1].

ونفس عبارات التقدير، والاحترام نجدها في عقد تحبيس آخر ؛حيث استفتي صاحبه العلماء حول جواز تحبيس ذري جاء فيه:"... واستفتى في ذلك علماء الاعلام {كذا}و ايمة {كذا} الهدى ومصابيح الظلام أيسوغ مارامه{كذا}..."[2].

ومن ثم عملت السلطة على استمالة العلماء إليها لما كان لهم من مكانة،و تأثير في المجتمع ولكن نخص بالذكر رجال الطرق الصوفية [3]؛ فالناحية العلمية كالناحية الدينية في هذه الفترة كانت واقعة تحت تأثير العقائد الصوفية التي وجد فيها العثمانيين ،وفي أصحابها سندا ودعما لحكم البلاد،والعباد ،ولاسيما خلال القرنين 10هـ(16م)-11هـ (17م)[4].

حيث يشير ا الأستاذ الباحث أبو القاسم سعد الله إلى أن الدين كان المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق ،والمغرب فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان؛ فقد كانوا هنا مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية ،وكانوا يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين فوجدوهم في رجال

---

[1] الوثيقة رقم75"رسم تحبيس ،في العلبة 10-11مصدر سابق

[2] الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن عقد بيع وتحبيس بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة10-1 تاريخها 1093 (1681م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[3] للتوسع في هذا الموضوع يمكن العودة لدراستي الأستاذة الباحثة بعارسية صباح حول طبيعة العلاقة القائمة بين الحكام العثمانيين والقوى الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني الدراسة الأولى تحت عنوان :حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري /السادس عشر ميلادي ، ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف أد.عمار بن خروف،قسم التاريخ جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2006 -2007 والدراسة الثانية تحت عنوان:مواقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني-القوى السياسية والعلمية والصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني-،منشورات نور(Noor) publishing،ريجيا،ليتوانيا،2017 وأنظر أيضا :رشيدة شدري معمر،العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات (1671 -1830)، ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف أد. فلة موساوي قشاعي ،جامعة الجزائر2005-2006

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء1، ص.189

الدين وخصوصا المرابطين..."[1].

وذكر الباحث بيار بواي في دراسته عن السياسية الدينية للعثمانيين في الجزائر أنه على مستوى المدن حيث لم يكن يوجد تنافس حقيقي على السلطة حظي الإخوة بربروس وخلفاءهم منذ البداية بدعم، ومساندة المرابطين ،والعلماء ؛فحدث تحالف بين الطرفين حيث نسجل حرص الإخوة بربروس على كسب ودهم ،وتأييدهم من خلال الأخذ بمشورتهم وعلى سبيل المثال سنة 1519 م تخلى خير الدين عن أموال فداء الأسري من رفقاء ديقوا ديفيرا وهيقو ديمنكاد والذين تم أسرهم بعد فشل الحملتين التي قادهما على التوالي كل من القائدين السابق ذكرهما سنة 1517 م،وسنة1519 م وقام بإعدامهم استجابة لطلب علماء مدينة الجزائر ،وأيضا لم يستأنف مشاريعه بخصوص مدينة تنس إلا بعد حصوله على موافقة العلماء ،كما أنه جعل طلب ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية على لسانهم[2].

ونظرا لمكانة العلماء في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ؛فقد أسند إليهم الحكام العثمانيين أداء مهمات دبلوماسية حساسة؛ فوضع هؤلاء العلماء والمرابطين تأثيرهم ،وسمعتهم وشهرتهم في خدمة هؤلاء الحكام بكل رضى، ومن الأمثلة على ذلك نذكر العالم سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري[3] ؛الذي دخل في مفاوضات من أجل حل الخلاف الجزائري المغربي الذي كان قد وصل لذروته حينها؛ فقد أرسل من طرف السلطان العثماني سليمان وبايلرباي

---

[1] المرجع نفسه ،ص.460 وأنظر دراسة عبد الجليل التميمي بعنوان : الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الإيالات المغربي في القرن السادس عشر...

[2] Pierre Boyer, contribution à l'étude de la politique religieuse des Turc dans la régence d'Alger (XVI-XIX siècles), In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,** numéro 1, 1966, p.17 référence numérique: www .persee.fr/issue /remmm_0035-1474 _1966_num_ 1_1

[3] وقد ذكره ابن عسكر في دوحة الناشر بقوله:" العالم المتصوف أبو عبد الله محمد الخروبي السفاقسي الجزائري ..كان من العارفين وله قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية ،مع تفننه في علوم الفقه ،والحديث وله تصانيف عجيبة مثل كفاية المريد ،وشرح تصلية القطب أبي محمد السلام ابن مشيش ،ورسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس وغير ذلك .....لقى المشايخ وأخد عنهم ورد إلى فاس مرتين الأولى أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشريف سنة تسع وخمسين في معرض الرسالة عن السلطان التركماني أبي الربيع سليمان شاه صاحب القسطنطينية العظمى ،وكان فصيحا العبارة غزير المعرفة كبير الشأن توفي سنة ثلاث وستين بالجزائر رحمه الله ".أنظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي =

الجزائر حينها صالح رايس على رأس وفادة إلى المغرب الأقصى للقاء الشريف السعدي محمد الشيخ بقصد المهادنة وتحديد البلاد بينهما حيث قال الوفراني في ذلك :

".....وفي سنة تسع بمئاة وخمسين قدم عليه بمراكش الفقيه العالم الصالح أبو عبد الله محمد علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر سفيرا بينه وبين سلطان الترك أبي الربيع سليمان شاه صاحب القسطنطينية العظمى بقصد المهادنة بين السلطانين وتحديد البلاد بينهما ....."[1].

وقد حمل إليه رسالة من السلطان العثماني تبين حرص الدولة العثمانية ورغبتها الأكيدة في تحقيق الوحدة في سبيل مواجهة الكفار مما جاء فيها : "على أن أقصى مراد حضرتنا العلية إحياء مراسم الإسلام ،وإطفاء نائرة الكفرة اللئام ،وذلك المراد يكون باتفاق أمراء الإسلام واتحاد أمناء شرع سيد الأنام"[2]. والمساجلات التي جمعته بالعالم المغربي الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله القسطلي الأندلسي[3] خلال أداءه لمهامه في إطار هذه السفارة قد تم تدوينها بدقة ودليل ذلك وصولها إلينا[4].ويبدو أن سفارته نجحت؛حيث أن السلام عقد بين الطرفين في 2 نوفمبر 1552م وتم رسم الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى[5]. إلا أن السلام الذي عقد بين الطرفين لم يستمر طويلا [6].

و من علماء مدينة الجزائر الذين كلفوا أيضا بأداء مهام ديبلوماسية نجد أبو الطيب البسكري الجزائري الذي توجه إلى المغرب الأقصى كسفير مكلف بنقل تهاني ومباركات السلطان العثماني للسلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي بمناسبة انتصار هذا الأخير في معركة وادى المخازن

= دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ،تحقيق محمد حجي ،سلسلة التراجم(1) الطبعة الثانية الرباط 1397هـ/1977 م صص 126،127{كما جاء ذكره في ص9 ،وص40من هذا المؤلف}

[1] راجع الوفراني،مصدر سابق،ص.91

[2] عمار بن خروف، المرجع السابق، الجزء 1ص.146

[3] حول هذه الشخصية أنظر بن عسكر ،مصدر سابق ،ص.7

[4] Pierre Boyer ,contriboution…,,p.17

[5] Haido , Histoire des rois … ,p.89

[6] حول سير تطور العلاقات السياسية بين الجزائر، والمغرب الأقصى، و استخلاص طبيعتها خلال القرن10هـ/16م أنظر: عمار بن خروف،مرجع سابق، الجزءالأول

أو الملوك الثلاثة 986 هـ/1578 م وتوليه عرش المملكة وكانت سفارته في صيف987 هـ/1579 م وعند تطرقه لمسألة هذه السفارة قدم الفشتالي في كتابه مناهل الصفا تعريف مختصر لهذا العالم الذي تعد المعلومات المتصلة به شحيحة على حد علمنا؛ حيث قال:

".....ارسال سلطان الروم وبلاد المشرق وصاحب القسطنطينية العظمى خاقان الترك من بني عثمان السلطان مراد خان{مراد الثالث} أوفدهم من حضرته وأوعز إلى مفتى جزائر من ايالته الشيخ العالم الصدر الكبير الخطيب الشهير أبي الطيب البسكري بصحابتهم {كذا} إلى المغرب واختاره لشهرته ومكانه في العلم والرياسة ليحسن أداء الرسالة وتقرير المودة والاعراب عما في الضمائر وليدل بإرساله على علو عمله وشرف مقدار المرسل إليه....."[1].

وما يؤكد مكانة العلماء في مدينة الجزائر أيضا بل وفي الجزائر كلها على وجه العموم أنهم كانوا أول من يخاطبهم السلاطين العثمانيين في مراسلاتهم إلى سكان الجزائر لإعلامهم في غالب الأحيان بأحكام تعيين الولاة عليهم من منطلق دورهم في مساندة السلطة ،ولكونهم الناطقين الرسميين باسم السكان، ومن يمثلهم[2] :" إلى مفاخر العلماء والفضلاء مراجع الشرفاء والأتقياء علماء وسادات ولاية الجزائر وسائر أهاليها نظرا لاعتمادي تجاه أمير الأمراء الكرام حسن باشا....."[3].

[1] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ،المصدر سابق،ص.50

[2] ومن الأدلة على ذلك أنه عندما قرر خير الدين مغادرة مدينة الجزائر والتوجه إلى جيجل سنة 1520 م بعد تمرد ابن القاضي عليه رفض سكان مدينة الجزائر ذلك ،وطلبوا منه البقاء على لسان علمائهم وهذا مانستخلصه مما ورد في مذكرات خير الدين:".....أرسل الأهالي وفدا كبيرا من العلماء إلى سفينتي فلما حضروا رجوني أن أصرف النظر عن فكرة الرحيل وأبقى في الجزائر لم أتراجع عن قراري إلا أني اعتذرت إليهم بلطف ولين جبرا لخاطرهم فغادروا سفينتي وقلوبهم تعتصر أسى..."أنظر:خير الدين،المصدر السابق،ص.112

[3] مهمة دفتري رقم 6 حكم 973، المصدر السابق

2- اللغات في مجتمع مدينة الجزائر:

كان سكان مدينة الجزائر كما سبق توضيحه ذو أصول مختلفة، ومتنوعة ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التنوع السكاني إلى تنوع و تعدد اللغات المستعملة في أوساط المجتمع للتعبيرعن أفكاره واحتياجاته، وتبادل الآراء في مختلف المسائل المتعلقة بالحياة الاجتماعية، واليومية للسكان، وكل ما كان يصب في صالحها كالمعاملات التجارية، وما شابه ذلك ، وسيتم الحديث عن ذلك بنوع من التفصيل من خلال هذا المبحث .

كانت اللغة العثمانية التركية في مدينة الجزائر هي اللغة الرسمية، أو لغة الطبقة الحاكمة والمعاهدات ،و العقود الرسمية [1] ؛التي كان من الواجب إتقانها من طرف كل قائد للأسطول الجزائري ولكل من كانت له مسؤولية في البلاد[2] ككبار الرسميين، و الإنكشارية وقد جاء بها العثمانيون و كان الأعلاج يستعملونها أيضا ، و كان يوجد عدد كبير من الأسرى العبيد المسيحيين الذين كانوا يتكلمون بشكل جيد هذه اللغة من جراء تعاملهم مع العثمانيين[3]، وذكر دان في القرن 11هـ(17م)أنه لم يكن لها أي شيء مشترك مع اللغة العربية[4].مع العلم أنها كانت تكتب بحروف عربيـــــة.

كما نسجل تسلل بعض المفردات العثمانية إلى اللغة العربية في إطار التأثيرات المتبادلة بين سكان مدينة الجزائر علما أن أغلبية المصطلحات العثمانية قد برزت أكثر في الميدان السياسي ،والإداري وخاصة العسكري[5].

---

[1] علما أنه على المستوى المحلى أي البايلك فإن معظم الوثائق مثل السجلات ،والأوامر ،والأحكام ،والتقارير ،والعقود وغيرها كانت تكتب بالغة العربية أنظر : أرزقي شويتام ،المؤثرات اللغوية..،المرجع السابق ،ص88 ،وهذا ما تأكد لنا فعلا من خلال اطلاعنا على عدد من دفاتر البيالك بالأرشيف الوطني الجزائري ،وكذا من خلال اطلاعنا على وثائق الرصيد العثماني بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،وعلى سبيل المثال لا الحصر المجموعة 1903 التي تضم مجموعة من المراسلات المتبادلة بين آخر دايات الجزائر الداي حسين وآخر بايات بايلك الشرق أحمد باي .

[2] عبد القادر حيلمي، المرجع السابق، ص150

[3] Haedo, (F.D) "Topographie…" ,In **: R.A.**, T.15, 1871,p. 93

[4] Op.cit., p.92

[5] حول المصطلحات العثمانية المتداولة إداريا ،والتي كانت تقوم عليها العلاقة بين السلطة وعامة السكان أنظر: إبراهيم سعيود تأثيرات الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر ،في مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 19 ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ،شوال 1436هـ /2015 م

إلا أن هذا لا يعني عدم وجود مصطلحات عثمانية تخدم الميدان الاجتماعي و ما يتصل به كما نسجل بقاء العديد من الأسماء التي كانت معتمدة للدلالة على أنواع من الصنائع أو على المحترفين لهذه الأخيرة ،والدليل على ذلك ألقاب بعض العائلات التي تدل على الأصل أو المهنة والحرفة والتي لا تزال متداولة إلى يومنا هذا ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: زمرلي –اسطنبولي –صاري –دمرجي –زناجي –صابونجي –خوجة –لاغا–طوبجي–فورطاس– سناجقي –باشا–صبايحي–كورغلي–شارباتجي –باش تارزي أو باشطرزي–قارة – دوقارم[1].

ومن خلال الجدول الآتي محاولة بسيطة لرصد بعض المصطلحات العثمانية[2] التي كانت متداولة في أوساط سكان مدينة الجزائر في الفترة المدروسة والتي لا تزال محل تداول إلى يومنا هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن البعض منها حافظ على مدلوله، ومفهومه الاصطلاحي في حين أن البعض الآخر ،وإن ظل متداولا إلا أنه فقد مفهومه ومدلوله الأصلي، واكتسى مدلولا آخر .

المصطلح	معناه الأصلي	معناه المكتسب	المصطلح	معناه لأصلي	معناه المكتسب
زوالي	فقير	/	طاوة	مقلاة	/
معدنوس	عشبة للطبخ	/	قربي	كوخ	/
بلغة	نوع من النعال كان صانعها يعرف ببلاغجي	/	صابورة	لوحة للكتابة	/

[1] وضعنا هذه المجموعة من الأسماء بالاستناد إلى نور الدين عبد القادر،مرجع سابق ، أرزقي شويتام ،المؤثرات اللغوية..، ودراسة ابن شنب حول المصطلحات التركية–العثمانية–والفارسية الآتي ذكرها.

[2] تم وضع هذا الجدول من منطلق دراسة ابن شنب حول المصطلحات التركية–العثمانية –والفارسية التي ظلت مستعملة في كلام سكان الجزائر بتصرف؛ حيث تمت محاولة تصنيف المصطلحات حسب طبيعتها،و ذكر المصطلح ومدلوله الأصلي ومعناه المكتسب إن وجد أنظر :

Ben Cheneb Mohammed ,Mots Turks et persans conservés dans le parler Algérien,Thése complémentaire présentée et soutenue devant la faculté des lettres d'Alger en vue du doctorat des lettres,1922 ,florilège,(محمد بن شنب منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق),Casbah editions,Alger,2011,pp.136-198

المصطلح	معناه الأصلي	معناه المكتسب	المصطلح	معناه لأصلي	معناه المكتسب
طاولة	المخصصة للعب الشطرنج والضامة	حاليا يقصد بها نوع من الأثاث	دربوكة	آلة موسيقية	/
غايطة	آلة موسيقية	/	مغارف	ملاعق	/
طابونة	موقد للطبخ	/	كباب	نوع من الأطعمة	/
قداش	كان معناه الخادم الذي يؤدي عدة خدمات	هو كم مثلا قداش الوقت أوقداش السوما –بمعنى السعر	بزاف بكزاف	كثير مثلا عندو بزاف الدراهم-لديه كثير من الأموال	/
طاس جمعه طيسان	إناء	/	دوزان		تطلق على الأشياء والأدوات
كاسة	القفاز المستعمل للاستحمام	/	دبوز	إبرة	/
شيش أوشيوش	الخنجر وكذلك السيخ المستخدم للشواء	بمعنى أتحداك أو أراهنك	قفطان	لباس	/
فانوس	مصباح أوقنديل	/	بالزربة	"بسرعة" مثال يشرب بالزربة يشرب بسرعة	/
طنجرة	آنية للطبخ	/	طبسي	صحن	/
فنطازية	تظاهرة إحتفال ولها معاني أخرى كالغرور والكبرياء	/	قاراة	أسود اللون	بقى المصطلح متداولا كلقب لبعض العائلات
فولكة	قارب صيد	/	فوطة	نوع من اللباس	/

المصطلح	معناه الأصلي	معناه المكتسب	المصطلح	معناه لأصلي	معناه المكتسب
شوربة	نوع من الحساء	/	ملوخية	نوع من الأطعمة	/
بابوج	نوع من الأحذية	/	مناقش	أقراط	/
داباشير	المستعمل للكتابة على اللوحة	ينطق حاليا طباشير	لبلبي	الحمص المحمر	/
تزدام	حافظة نقود	/	بوراك	نوع من الأطعمة	/
طرشي	الفلفل	/	دربوز	الشرفة الخشبية	/
بقلاوة	نوع من الحلويات	/	الكبوط	معطف	/
قراقوز	فن مسرحي موسيقى (وتعني العيون السوداء)	/	خردة	الخردوات أوالخردة	/
زورنا	آلةموسيقية والعازف عليهايعرف بالزرناجي منها فرقة الزرنجية	/	كورغلى	أب عثماني ،وأم من العنصر المحلي	بقي متداول كلقب لبعض الأسر
قسطبينة	آدة مستعملة في الخياطة عند استعمال الإبرة	/	الدولمة	نوع من الأطعمة	/
يداس	لعبة	/	بلغة	نوع من النعال	/
صلاطة	نوع من الخضروات	/ وتنطق بمدينة الحزائر شلاظة	قانا	أيضا مثلا أناقانا بمعنى أنا أيضا	/

المصطلح	معناه الأصلي	معناه المكتسب	المصطلح	معناه لأصلي	معناه المكتسب
قوجة وقوجه	كبير ضخم	/	زردة	مأدبة إحتفال	/

أما اللغة الثانية فهي اللغة العربية، التي كانت تعد في واقع الأمر اللغة الأولى في مدينة الجزائر من حيث الاستعمال، وإن لم تكن لغة الإدارة؛فهي لغة القرآن ،والدين ،والعلم، والثقافة الإسلامية، و كانت مستعملة عموما من طرف جميع سكان مدينة الجزائر بما فيهم العثمانيين وحتى المسيحيين الذين كانوا على اتصال دائم مع السكان كانوا يتكلمون العربية إلى حد ما،إلا أن طريقة التكلم بها لم تكن نفسها من حيث النطق ؛أي اختلاف في اللهجة؛فقد وجدت العربية الدارجة التي كانت تدخل في إطار الأحاديث، والكلام اليومي وكانت جد قريبة من اللغة العربية الفصحى التي كانت تدرس في الكتاتيب من خلال تحفيظ القرآن الكريم[1].

ويعتقد أن جماعة بني ميزاب، والقبائل لاسيما الزواوة المقيمين في مدينة الجزائر مؤقتا،أوبصفة دائمة حافظوا على استعمال لغتهم الأم الأصلية ،والمنحدرة من البربرية أو الأمزيغية التمزيغ[2] إلى جانب اللغة العربية ،وبالرغم أن هايدو، وغيره ممن كتبوا عن هذا الموضوع خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة لم يتحدثوا عنها إلا أن إشارتهم إلى استقرار عدد كبير من الزواوة صحبة عائلاتهم في مدينة الجزائر يجعلنا نعتقد ذلك.

كما أن الكثير من المهاجرين الأندلسيين، كانوا يستخدمون اللغة الإسبانية أحيانا ولاسيما الذين وصلوا إلى بلاد المغرب الإسلامي بعد صدور قرارات الطرد النهائي سنة 1609 م[3]. ويبدو أن اليهود في مدينة الجزائر كانوا يستعملون فيما بينهم اللغة العبرية ؛ولكنهم كانوا يتحدثون باللغة العربية أيضا بالإضافة إلى الإسبانية، والفرنسية[4].

ووجدت لغة أخرى ميزت مجتمع مدينة الجزائر، وهي لغة" الفرنكا "والتي تأكدت بداية من القرن

---

[1] Haedo, (F.D) "Topographie…", In **: R.A.**, T.15, 1871,p. 93

[2] Leyla Belkaid, Op.cit., p. 77

[3] Cyril Aslanov, la lingua franca en Méditerranée entre mythe et réalité, Mélanges de l'Ecole française de Rome –Italie et Méditerranée modernes et contemporaine ,En ligne 124-1 2012 mis en ligne 30 septembre 2012 consulte le juin 2016.URL : http// mefrim.revues.org/112,p.3

[4] جون. ب وولف، المرجع السابق، ص.172

11هـ(16 م) وقد اتفق كل من هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م)،والأب دان في القرن 11هـ(17م) على وصف هذه اللغة بمزيج من مختلف الكلمات الإسبانية ،والإيطالية بالنسبة لمعظمها بالإضافة إلى بعض الكلمات البرتغالية التي تسللت، وتغلغلت إليها بعد أن جلب إلى مدينة الجزائر عدد كبير من البرتغاليين من فاس وتيطوان،و الذين أسروا في معركة واد المخازن 4 أوت 1578م[1].

و تضاف إلى كل هذا المزيج بعض الكلمات العربية، ويمكن أن نقول أن هذه اللغة كانت بمثابة لغة هجينة؛ فلم تكن اللغة الأم لأي أمة من الأمم بل كانت تستعمل كلغة ثانية بالنسبة لجميع سكان مدينة الجزائر إلى جانب لغتهم الأم[2].

وهكذا فقد كانت لغة الفرنكا عبارة عن تجميع للمصطلحات، والكلمات، والتعبيرات المستمدة كما سبق الذكر من لغات مختلفة ،وهي الإسبانية والإيطالية، والفرنسية (البروفنسال) و البرتغالية[3]، وفي درجة أقل اللغة العربية ،والتركية العثمانية[4] دون الاهتمام فيها بحالات الصرف ولا بالشكل ،ولا بالأزمنة[5] ؛فقد كانت لغة للتواصل، و المبادلات ،والمعاملات التجارية بالدرجة الأولى[6].

و كان استعمال هذا المزيج اللغوي شائعا جدا في مدينة الجزائر إلى درجة استعماله في كل العمليات والصفقات، وكل العلاقات التي كانت تربط سكانها المسلمين بالمسيحيين المتواجدين بها حسب ما ذكره هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م)، وقد كانت هذه الصفقات كثيرة ومتعددة إلى درجة أنه لم يكن يوجد تركي عثماني ،أو أي فرد من الجماعات السكانية الأخرى وحتى من بين النساء ،والأطفال إلا وكانوا يستعملونها، ويتكلمونها بطلاقة للتفاهم مع الأسيرات

[1] Haedo, (F.D) "Topographie…", In **: R.A**., T.15, 1871,p. 94 voir aussi : DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., pp.92-93
[2] João Mascarenhas, Op.cit., p.203
[3] ARANDA (Emmanuel d') Op.cit., p.21
[4] Jocelyne Dakhlia, lingua franca langue morte, In**:Alger lumières sur la ville**..., p.55
[5] Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d'un vocabulaire de mots Arabe les plus usuels A l'usage des français en Afrique, topographie de FEISSAT Ainé et DEMONCHY, Imprimeurs ; Marseille ,1830 préface -no numérote-
[6] Jocelyne Dakhlia,Op.cit., p.55

الرقيقات الأوروبيات اللواتي كن يعملن كخادمات، والعبيد الأسرى المسيحيين[1]. بل وكان يحدث تبادل لغوي بينهن وبين سيداتهن عل وجه الخصوص؛ حيث كانت السيدات تعرفن استخدام لغة الفرنكا ،و تتعلمنها من خدماتهن المسيحيات ،وكانت الخدمات المسيحيات يتعلمن بدورهن اللغة العربية بكل سهولة من سيداتهن[2].

ونضيف إلى جانب ذلك أن العديد من المسلمين الذين كانوا أسرى في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وعدد كبير من الأعلاج من هذه المناطق، وعدد كبير من اليهود الذين ذهبوا لهذه المناطق كانوا يجيدون الحديث بالإسبانية ،والفرنسية ،والإيطالية[3].

ومن ثم نلاحظ أن مشكل اللغة لم يكن مطروحا في مدينة الجزائر رغم تعدد أصول من كانوا يشكلون مجتمعها، وخاصة فيما يتعلق بالأسرى العبيد المسيحيين ،و الأوروبيين المسيحيين بصفة عامة، ولاسيما إيجاد ما يمكن تسميته مجازا لغة الفرنكا (**لانقا فرنكا** franca) –وكان تعرف بالسبير بالإسبانية من فعل التعارف –حيث كان هذا الخليط اللغوي يكاد يكون لهجة عامة فقد سمح بالتواصل بين المسيحيين من أسرى، وتجار، وقناصل و،غيرهم مع بقية سكان مدينة الجزائر من مسلمين، وبالتالى شكلت لغة" الفرنكا" عامل تواصل داخل تجمع سكاني مختلف،و متباين.

وقد كانت لغة الفرنكا مستعملة في جزء كبير من البحر المتوسط ؛فكل البحارة كانوا يعرفونها إلى حد ما، وهذا ما كان يفسر أن القادمين الجدد إلى مدينة الجزائر، وبخاصة الأسرى كانوا يطلعون بسرعة على عادات المدينة، ومن الميناء اانتقلت إلى المنازل الجزائرية، ومن دون شك عن طريق الأسرى العبيد ؛حيث ذكر بعض العبيد ممن كتبوا عن الموضوع من أمثال سرفنتاس أن أسيادهم كانوا يفهمونها، ويتحدثون بها[4].

وكانت وسيلة للتفاهم، والتواصل أيضا بين مختلف تلك العناصر الأوروبية لاسيما الأسرى منهم ذوي الجنسيات المتعددة و هذا ما نستخلصه من قول دراندا في القرن 11 هـ (17م) أن الفرنكا كانت لغة للتخاطب ما بين الأتراك العثمانيين ،والعبيد ،وفيما بين العبيد أنفسهم

[1] Haedo , (F.D) "Topographie…", In: **R.A.,** T.15, 1871,p. 94
[2] Jocelyne Dakhlia,Op.cit., p.57
[3] Haedo , (F.D) "Topographie…" ,In : **R.A.**, T.15, 1871, p. 95
[4] Corinne Chevallier, Op.cit.,p. 22 voir aussi Jocelyne Dakhlia,Op.cit., p.55

من مختلف الأمم أي الجنسيات ،مضيفا بأنه لولا وجودها لكان من المستحيل للأسياد التحكم في العبيد –أي التواصل معهم لإصدار الأوامر ،وتحديد مهامهم ..إلخ –وضرب مثلا بالعبيد في بانيو علي بتشين ؛ حيث ذكر أنه كان يتواجد به حوالي 550 عبدا كانوا يتكلمون 22 لغة مختلفة[1].

فهذا التنوع اللغوي الذي كان يشكل عائقا للتواصل بين العناصر المختلفة لمشكلة لمجتمع مدينة الجزائر فرض إيجاد حل تمثل في لغة الفرنكا كما ذكر "دو شستال دو بويس (le sieur du chastelt des boys) "أن لغة الفرنكا التي كانت خليط من اللغات الإسبانية والإيطالية والفرنسية أوجدتها ،وفرضتها الضرورة ،والحاجة للتفاهم من طرف هذا العدد الكبير والمتنوع من الأمم و كان يجري استعمالها في كل الشرق ،ولاسيما على الغيلوطات، والسفن في البحار"[2].

وتذكر الباحثة جوسلين دكالية(Jocelyne Dakhlia)– التي تخصصت في دراسة لغة الفرنكا إذ لديها عدة مؤلفات عن هذا الموضوع– أنه كان يتم استخدام هذه اللغة في الشارع وفي الأسواق وحتى في أعلى هرم السلطة ؛فقد كانت معتمدة في مجلس الحكم ليس في المبادلات مع القناصل فحسب ، ولكن أيضا في كل ما يتعلق بالتواصل مع الموظفين الإداريين ،والعسكريين والخدم الذين كانوا في كثير من الأحيان ذو أصول مسيحية؛ وقد يكون المقصود بهم الأعلاج والأسرى العبيد المسيحيين– كما أنها كانت مستخدمة في البيوت للتفاهم مع الخدم ذو الأصول الأوروبية[3].

وقد بقيت لغة الفرنكا هذه مستخدمة إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث جاء في مقدمة القاموس الذي وضع خلال مرحلة بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر أن لغة الفرنكا أو الموريسك الصغير التي كانت منتشرة في الدول البربرية {كذا}عندما كان يحضر بحارة مدينة الجزائر وتونس من حمالاتهم البحرية عددا كبيرا من الأسرى المسيحيين لا تزال مستخدمة من طرف سكان المدن الساحلية في علاقتهم مع الأوروبيين ،و هذا المزيج اللغوي الذي لا يفيد إلا في الاستعمالات المألوفة في الحياة اليومية ،وللعلاقات التجارية الأقل تعقيدا، و لا يخضع لقواعد

[1] ARANDA (Emmanuel d') ,Op.cit.,p.21
[2] Op.cit ,In: **R.A.**, T.13, 1869 ,p.
[3] Jocelyne Dakhlia,Op.cit.,p55

مضبوطة بل وهو يختلف في عدة نقاط بحسب المدن التي تستعمله؛ فلغة الفرنكا في تونس لا تشابه بصورة تامة تلك المستعملة في مدينة الجزائر؛ فالأولى تستمد الكثير من الكلمات والعبارات من اللغة الإيطالية أما الثانية ؛فهي على العكس منها تقترب أكثر من اللغة الإسبانية وقد خصص هذا القاموس للغة الفرنكا[1] التي كانت مستعملة في المدن الساحلية للجزائر في محاولة للاستفادة منها في التواصل بين الجزائريين وقوات الاحتلال الفرنسي و استنادا إلى هذا القاموس تم وضع الجدول الآتي الذي يحوى نماذج لعبارات مستمدة من لغة الفرنكا ،قمنا بترجمة مفهومها إلى العربية:

العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية	العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية
Meskin	مسكين	maigro	زواج
presto, venato-ta	يأتي مسرعا	famia	العائلة
Couina	المطبخ	mouchern	الزوجة
Cousinar	الطبخ	moukera del ratio	زوجة الإبن
molto bouno	لذيذ جدا	sorella	زوجة الأخ
Farina	الفرينة	mouchacha.	–الابنة
campo santo	مقبرة	figlio,mouchachon	الابن
Mouchousbello	جميل جدا	fratello,cognalo	الأخ
cadi.	قاضي	nipota	ابنة الأخ أو الأخت
Agouilla	إبرة	madré, mamma	الأم
ra'i	راعي	adios.	الوداع
Amigo	صديق	tassa	إناء

[1] Dictionnaire de la langue…, préface -no numérote-

العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية	العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية
kiomar	ينادي	marmita	قدر
caserna, caséria	ثكنة	sartan	مقلاة
Caschia	كرسي	Camischia	قميص
mobili, roba di casa	أثاث	bernus	معطف
Fromagio	جبن	Famé	جوع
Latte	حليب	mangiar	يأكل
campo santo	مقبرة	fortounalo	سعيد
dgiardino	حديقة	mercanté –	تاجر
Verdoura	العمل في الحديقة	Botéga	حانوت
Mouzoulmin .	مسلمين	mercantzia	سلعة
Casana	خزانة	calzone.	سروال
Scola	مدرسة	caminar p48	سوق
Fortouna	ثروة	fortounalo	سعيد
ové	البيض	casa	بيت
ciboula	البصل	Navigatsion	إبحار
Fritata	العجة	navigar	بحار
Arangi	البرتقال	bastimento	سفينة
Orzo	شعير	corda	حبل
Pasta	معكرونة	osbidal	مستشفى
Pechi	سمك	falso –sa	مزيف
Festouk	فستق	fantasza	كبرياء

العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية	العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية
portarper,portato-ta	يحضر تحضر	Giara	جرة
Datoll	تمر	Lampa	مصباح
Figa	تين	bouriqua	حمار
Chetan	الشيطان	cavalo	حصان

العبارة بلغة الفرنكا	مفهومها بالعربية
di mi « mon » ; di ti « ton » ; di ello/ féminin di ella « son » ; di noi « notre » ; di voi « votre » ; di loro « leur »	diali, dialek, dialu, dialha, dialna, dialkum, dialhum ou de nta‘ i, nta‘ ek, nta‘ u, nta‘ ha, nta‘ na, nta‘ kum, nta‘ hum. ديالي ديالك ديالها ،تاعي،تاعك،تاعها،بمعني التملك إنه لي إنه لك إنه لها وهي ...الخ نموذج من مؤثرات العربية الدارجة في لغة الفرنكا.

ويبدو مما سبق أن سكان مدينة الجزائر كان لديهم استعداد لتعلم اللغات الأجنبية وأن هذا الاستعداد كان موجودا حتى لدى حكامهم في ظل نظام الحكم العثماني خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة ،وما يوحي لنا بذلك أن البايلرباي الحسن بن خير الدين كان يجيد التحدث بعدة لغات وكأن كل واحدة منها لغته الأم ،وعلى وجه الخصوص عندما كان يتحدث بالإسبانية؛ فكل من كان يستمع إليه حينها كان ليقول أنه ولد بإسبانيا على حد قول هايدو[1].

ومما يدل على اهتمام سكان مدينة الجزائر باللغات وتمكنهم من هذا الميدان أن السلطان العثماني سليم الثاني أرسل حكما إلى أمير أمراء جزائر الغرب علج علي يطلب منه بموجه إرسال مترجم كان يعمل بمدينة الجزائر لحاجة السلطان إليه في مقر السلطنة على أن يظل بها بصفة دائمة :

"حضر إلى سدة سعادتنا المدعو محمد المترجم الحالي في الجزائر بناء على حاجتنا إلى مترجم فأمرت حال وصوله –الحكم– أن تنهى علاقة المذكور من طرفكم وأن يبعث به إلى سدة سعادتنا

[1] Haedo ,Histoire des rois d’Alger…,p .132

مع جميع أسبابه كي يعمل في خدمة الترجمة لدى سدة سعادتنا ....."[1].

[1] مهمة دفتري 10 صحيفة 70 حكم رقم 108 بتاريخ 25 /1 /979 هـ في الأرشيف الوطني الجزائري

الفصل السابع: المرأة في مجتمع المدينة

1- إهتمامات المرأة في مدينة الجزائر

2- دور المرأة و مكانتها في مجتمع مدينة الجزائر

الفصل السابع :المرأة في مجتمع المدينة

من الصعب تكوين فكرة عن المرأة في مجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني وذلك نظرا لغياب الكتابات ،والمصادر التي تناولت هذا الموضوع، باستثناء هايدو في كتابه طبوغرافيا وتاريخ مدينة الجزائر العام ؛حيث تحدث فيه بتوسع عن النساء في مدينة الجزائر ،ومختلف اهتماماتهن خلال أواخر القرن 10هـ (16م) ومع ذلك تبقى المعلومات التي قدمها تقريبية لما فيها من مبالغات، ومعلومات يصعب استيعابها لأن هايدو لم يكن على إطلاع كاف بعادات المسلمين الأصيلة ،ثم كيف تمكن أن يصور أدق تفاصيل الحياة الأسرية، والمرأة على وجه الخصوص لما كانت تتميز به حياتها من ستر ،واحتجاب، ربما عن طريق الرقيقات، والخادمات اللواتي كن يخدمن في البيوت وربما كن متحاملات على مستخدماتهن، فنقلن عنهن أخبارا خاطئة ورغم شح المعلومات إلى حد ما إلا أنه يمكن القول انطلاقا مما توفر منها سواء استنبطت من المصادر المحلية أو الغربية أن المرأة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت لديها عدة واهتمامات تصب كلها في إطار تنشيط الحياة الاجتماعية واليومية للمجتمع وهذا ما ستتم محاولة إبرازه فيما يلي من مباحث هذا الفصل .

1-اهتمامات المرأة في مدينة الجزائر:

ذكر هايدو أن اهتمامات النساء المنزلية كانت قليلة فباستثناء العناية بالأطفال وغسل الملابس مرة في الأسبوع، والطبخ، وعجن الخبز وذلك عندما لا تكون لديهن خادمات للقيام بهذه المهام، وكان هذا حال عدد قليل منهن فقد كن يقمن بقضاء بقية وقتهن وهن مستلقات ومضطجعات ،أو ممددات فوق زرابي ،أو أفرشة لا يفعلن شيئا سوى الأكل، والنوم، وقلما كن تقمن بخياطة ،أو ترقيع بعض القمصان، أو الملابس الأخرى ؛فقد كن يجهلن الدقة في الأعمال اليدوية كالطرز والحياكة، وعملهن كان يمتاز بالخشونة؛ في حين تغنى بأن العلجيات كن يتقن الأشغال اليدوية كالطرز، والخياطة،و الصناعة الحريرية[1].مع العلم أنهن كن مسلمات ومندمجات

[1] "Topographie…", In :**R.A**, T.15, 1871, p. 203

في إطار نساء مدينة الجزائر المسلمات ،ولكن هايدو يركز على أصولهن الأوروبية ليبرز تفوق العنصر الأوروبي ،والحقيقة غير ذلك إذ أن الصناعة اليدوية كانت رائجة في أوساط النساء الجزائريات بما فيهن الأندلسيات فقد اشتهرن بحرفة الطرز على الحرير والجلد وغيرها من المواد[1].

وكانت هذه الأعمال و الأنشطة الحرفية الرئيسية للمرأة في مدينة الجزائر ، وما تزخر به اليوم المتاحف من أقمشة مطرزة ،وملابس ،وأغطية، وغيرها إلا دليلا على ذلك، مثلا بمتحف الفنون والتقاليد الشعبية جملة من الملابس تعد تحفا فنية من حيث براعة صنعها، وهي تعود للفترة المدروسة.

و كانت المرأة تتخصص في طرز القطع الخاصة بالنوافذ،والأبواب؛ أي الستائر، وألبسة الرأس، والمحارم اليدوية، وتطريز القفاطين، وغيرها من الأعمال البديعة التي كانت تشغل من وقتهن الكثير، وينتجن خلاله إنتاجا رفيعا في جودته الفنية[2]. تتجلى فيه مختلف التأثيرات الأندلسية والعثمانية، والمحلية لتنتج فنا خاصا بمدينة الجزائر،و مميزا لها[3].

و كانت نساء مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ماهرات في أعمال الإبرة، وقد كن يقلدن بروعة أشكال الأزهار والأوراق في مطرزاتهن كما كانت النساء تجدن غزل ،و صبغ الصوف ،بعد أن كن يقمن أيضا بتسويته ،أو تفريقه بواسطة عصى معدنية[4].

و كان يضرب المثل بالمرأة في مدينة الجزائر في العفة،و الاستقامة ،و النزاهة ؛فقد كانت تحفظ القران الكريم، و تحرص على تطبيق تعاليم الإسلام[5]. و كان لها دور فعال في الحياة المنزلية و اليومية للأسرة، فقد كان بيتها نظيفا يضرب به المثل في النظافة ،والنقاء حتى أن المرء كان ينتقل فيه حافي القدمين من غرفة إلى غرفة دون أن تلمس قدميه أي وسخ[6] ،و كانت المرأة في مدينة

---

[1] أحمد توفيق المدني، الجزائر ...، ص.212

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.92

[3] راجع في ذلك الفصل الثاني الخاص بالأزياء والألبسة من هذا الباب

[4] Jean Louis, BELACHEMI, Op.cit., p.186

[5] أحمد توفيق مدني، الجزائر ...،ص.212

[6] أبو القاسم سعد الله المرجع السابق،الجزء 1 ص.158 وأنظر أيضا:

DAN(R.Père François Pierre),Op.cit.,p.280

الجزائر تسهر على إعداد ما لذ وطاب من الأطعمة ؛فقد ذكر هايدو في القرن 10هـ(16م)أنهن كن يحسن تحضير مختلف الأطباق.

و كانت المرأة في مدينة الجزائر تعمل ،و تسهر على تربية أولادها على الأخلاق الحميدة و السيرة المرضية[1]. وقد كان أمرا متوقعا في مجتمع إسلامي، فكانت المرأة تربي أولادها و بناتها تربية دينية صحيحة على عكس ما ذهب إليه هايدو في أواخر القرن 10هـ (16م) حين ذكر أن النساء المسلمات في مدينة الجزائر كن يتركن تربية أبنائهن إلى الخدمات المسيحيات اللواتي كن يرضعن هؤلاء الأطفال ، ولم تكن تتم مكافآتهن على ذلك إلا بمقدار قليل جدا ولكن بالمقابل وجد منهن وإن كن قلة من كن يعدن خادماتهن من الإماء الأسيرات المسيحيات المرضعات ،والمربيات بمنحهن حريتهن بعد مرور بضع سنوات بعد أن يقمن برعاية ،وتربية الطفل ،ويقمن بالوفاء بوعدهن[2]. و لابد أن في ذلك نوعا من التحامل على النساء المسلمات.

و إلى جانب هذه الاهتمامات المنزلية التي كانت تقوم بها نساء مدينة الجزائر عامة ؛ فقد كن يشغلن أوقاتهن بنشاطات أخرى؛فكن يقضين وقتهن حسب هايدو في ممارسة سبعة أنشطة وهي :

1-تجميل أنفسهن، فقد كانت نساء مدينة الجزائر يهتممن بزينتهن ،وجمالهن، في سبيل ذلك؛ فكن يستخدمن عدة مستحضرات تجميلية مستمدة من الطبيعة، والتي كن يحضرنها بأنفسهن للاستعمال اليـــومي[3].

و كن يحببن كثيرا العطور،و ماء الزهر المقطر سواء كان ماء زهر البرتقال ،أو الورد التي كان يحضرها تجار فالنسيا ،و يبيعونها في مدينة الجزائر بشكل جيد[4].وبلغ ولع سكان مدينة الجزائر بالأزهار إلى حد بروزهم في مجال العطارة[5] ؛ فكانوا يقطرون الأزهار في الأنابيب المصنوعة من النحاس الأحمر

---

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص .234

[2] Haedo ,"Topographie…", In: **R.A.,** T.15, 1871,p.104

[3] Jean- Louis Belachemi, Op.cit., p. 187

[4] HAEDO (F D) ,"Topographie…", In:**R.A.,** T.15, 1871, p.110

[5] ويبدو أن العطور المصنعة محليا في مدينة الجزائر كانت الأكثر جودة ؛حيث ذكر أحد الملاحظين الإيطاليين أن:"... من بين كل الحرف أو الصنائع الإفريقية الأكثر شهرة هي صناعة واستخلاص ماء أو عطر الورد هذه الزهرة الجميلة تعطى لبلاد بربرية ضعف كمية من العطور التي تستهلك في أوروبا والعطر الأثمن المعروف بالنساري المستخلص من زهرة بيضاء =

لاستخلاص مختلف العطور[1].

و كـن يهـتممن بشـعرهن عنايـة خاصـة ؛فكـن يقضـين وقتـا طـويلا في تسـريحه،و مشـطه و تدليله، و تعطيره برائحة المسك، أو ماء زهر النسرين –وهو مستخلص من ماء الورد– و كان يعـاد تجميعـه في ظفـيره تتخللهـا اللآلـئ الجميلـة، و قطـع مـن المرجـان،و تـربط في نهايتهـا بقطعـة مـن القمـاش الذهبيـة، أو الفضـية ،و تـترك لتتـدلى علـى الظهـر مـن مؤخرة الـرأس[2]،أو كـن تـربطن في مؤخرتها بعض القطع الفضية الصغيرة المثقوبة ،والتي كانت تطفو على أكتافهن[3].و من فوقه كن يضعن أغطية رائعة للرأس[4].مثل الشاشية المكللة والشاشية المرصعة ،والعصابة—التي سبق شرحها عند الحديث عن ألبسة النساء في مدينة الجزائر –و كن يتركن بعض خصلات من الشعر الممشوطة جيدا تتدلى على جانبي الرأس ، و التي كانت تسقط على الصدغين ، و هذه الخصلات من الشعر كانت تسمى "بالسوالف ".

و كـان الشـعر ظـاهرة أساسـية لجمـال المـرأة ،و كـان جمالـه يـزداد بازديـاد طولـه حـتى القـدمين و كانت نساء مدينة الجزائر تحرسن على سواد شعرهن قدر المستطاع مستعملات في ذلك مكونات خاصـة ممزوجـة مـع زيـوت ذات روائـح طيبـة[5]. وكانـت الحنـاء مـن المـواد المسـتخدمة للعنايـة بالشـعر وتجميله[6].

و قـد ذكـر الأب دان خـلال القـرن 11هـ(17م) أنهـن كـن يسـتعملن مـواد خاصـة للحفـاظ على سواد شعرهن ،و حواجبهن، و كانت تلك معايير الجمال لديهن[7].

= قد تكون زهرة النسرين ومن المفارقات أن المسلمين بالرغم من عدم معرفتهم الجيدة بالكمياء–{علما أن الحضارة الإسلامية في عهود ازدهارها شهدت بروز علماء شهد لهم الغرب بكفاءتهم وتميزهم في هذا المجال من أمثال جابر ابن حيان}–هم أقدر وأمهـر مـن الأوروبيـين في اسـتخلاص العطـور؛ فصـبرهم اللامتنـاهي يسـاعدهم بشـكل رائـع في الحصـول علـى عطـر في غايـة الكمال...."أنظر: Pananti Pilippo ,Op.cit., p.360

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص.134

[2] Jean - Louis Belachemi, Op.cit., p.187

[3] ARVIEUX (Chevalier d') , Op.cit., T.5,p.28

[4] Jean -Louis Belachemi, Op.cit,p.187

[5] HAEDO (F. D) "Topographie…" , In:**R.A.**,T.15,1871, p.114

[6] BELHAMISSI Moulay **,**femmes d'Alger autrefois, Polycopie, Biliothéque du centre d'étude diocésain, Alger, 2002, p.6

[7] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.280

كما كن يقمن بتوقيس حواجبهن في شكل هلال، و قد كان رمزا ذو معنى بالنسبة للمسلمين ولايزال كذلك ،و كن تجملن عيونهن لتبدو كعيون الغزلان ؛حيث كان يغلى الجوز ويجفف ثم يهرس ليصير دقيقا، ثم يمزج هذا الأخير بالماء حتى يشكل معجونا فيوضع على جوانب العيون بواسطة مردود مشط ،والهدف كان إعطاء انطباع باتساع ،وصفاء العيون[1].

و كن يضعن على حواجبهن، وجفونهن الكحل الذي كان يحفظ في قوارير صغيرة من الفضة أعدت خصيصا لهذا الغرض وعرفت بمكحيلة جمعها مكحيلات ،أو مكحلة جمع مكحلات[2] ،وباستعمال مادة جد سوداء كن يرسمن على خدودهن ،و ذقونهن بعض الرسومات الدقيقة والجد صغيرة لأزهار، وأوراق الرند، أو النعناع ،أو غيرها، على شكل وشم[3]. وكن يخضبن بالحناء الكفين، وبواطن القدم، ونهايات الأظافر أيضا لأن إظهار الظفر كان يعتبر عيبا لا يليق بالمرأة حتى يعتقد المرء أنهن ينتعلن أحذية سوداء من شدة سواد الحناء المستعملة[4].

و كانت عملية التجميل تتوج بوضع أحمر للشفاه محضر طبيعيا ، والتدبيرات المكانية له فقد كان يوضع أيضا بعضا منه على الخدين فضلا عن الشفاه[5] ، وأكثر ما كانت نساء مدينة الجزائر تستعملنه للزينة هي الحلي المختلفة، فكن يرتدين قلائد وعقود[6] من اللآلىء ،وأخرى من الذهب تنتهي بكرة ذهبية على شكل إجاصة[7] مزخرفة بزخرفة عربية دقيقة[8] ،و كن يلبسن الكثير من الخواتم والأساور[9] من الذهب ،أو الفضة حسب إمكانات كل امرأة ،و عرفت بالمسايس حسب ما ورد في الوثائق المحلية من نماذجها رسم تقسيم تركة وردت فيه عبارة "زويجة مسايس

---

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.90

[2] Eudel Paul , Op.cit., p.139

[3] Jean - Louis Belachemi, Op.cit., p.187

[4] HAEDO (F. D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.109 - 110

[5] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص.90

[6] الوثيقة 82 في العلبة 27-2،المصدر السابق

[7] وإلى جانب إشارة المصادر الغربية لهذه الحلية نجد أن المصادر المحلية أشارت إليها أيضا أنظر :الوثيقة رقم رقم26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[8] HAEDO (F. D) "Topographie…" In-**R.A**, 1871, T15, p 110

[9] آبار ميشال،مرجع سابق ،ص.49

ذهب"[1]،ومن أشهر الحلي حينها خيط الروح الذي كان عبارة عن سلسلة مشكلة من أزهار ذهبية مرصعة بالألماس،والياقوت، والزمرد، والمصقولة مثل الورد، وكانت توضع تحت العصابة و كان خيط الروح من المجوهرات المفضلة لدى النساء الأندسيات[2].

كما اشتهرت المرحلة المعنية بهذه الدراسة بنوع من الأسوار المصنوعة من العاج، وقرون الثيران كانت تعرف حسب ما ورد في إحدى الوثائق التي تتناول تقسيم تركة بـ"مسايس جاموس[3]. كما وجدت أيضا خواتم جاموس[4]؛ ووجدت سوق خاصة لهذه الصنعة والتجارة في مدينة الجزائر كما سبق ذكره[5].

وبالإضافة إلى ذلك فقد كن يتحلين بالكثير من الأقراط المختلفة الأشكال، حيث وجدت أقراط ذهبية صغيرة، وأخرى كبيرة الحجم إلى درجة أنها كانت تصل تقريبا إلى كتفي المرأة فضلا على أنها كانت جد ثقيلة؛ حيث كانت تزن حوالي الرطل حسب هايدو في القرن 10هـ(16م) مما كان يتسبب في امتداد الأذن[6].

و قد ذكر الأب دان(Dan) في القرن 11هـ(17م) أن بعض النساء الأكثر غنى كن يحملن خمسة أو ستة أقراط في كل أذن[7]. كما ذكر دافتي(Davity) ذلك بدوره في القرن 11هـ(17م) أيضا أن آذانهن كانت مثقوبة بثقب يسمح لهن بإدخال ارتداء أقراط مصنوعة من الذهب والفضة ومن معادن أخري[8].فعلا فقد كانت هناك أقراط تصنع من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة –كالزمرد والياقوت الأحمر، و اللآلئ النادرة–[9]؛التي كانت تزيد المرأة جمالا لحسن صنعها وتعرف الأقراط في الوثائق المحلية بمصطلح أخر هو"المناقش"مثال ذلك ما ورد في وثيقة تصفية

---

[1] الوثيقة 82 في العلبة 27–2 ،المصدر السابق

[2] فريدة بن ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، توزيع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977، ص.22 أنظر أيضا : Eudel Paul, Dictionnaire…,p . 93

[3] الوثيقة رقم 5 في العلبة18–1 ،المصدر السابق

[4] Eudel Paul , Dictionnaire…,p 87

[5] راجع حول هذا الموضوع الفصل الثالث من الباب الثاني

[6] Topographie…" , In: **R.A.,** T.15,1871, p.110

[7] Op.cit, pp.280-281

[8] Op.cit.,p.176 voir aussi ARVIEUX (Chevalier d') ,Op.cit., p.283

[9] BREVES ,Op.cit.,p.262

تركة :".....وزويجتين اثنتين مناقش....."[1].وهذه الكلمة لاتزال متداولة إلى يومنا هذا للدلالة على الأقراط. و تحدث دابر في القرن 11هـ(17م) أيضا عن حلي نساء مدينة الجزائر؛ فذكر أنهن كن يملكن قلائد ،وأساور، وخواتم[2] ،وأقراط من الحجارة الكريمة[3].

ونعود للحديث عن القلائد لنقول أن المرأة في مدينة الجزائر كانت تزين رقبتها أيضا بعقود من العنبر كانت تعرف بالعنبرية[4]، والقطع النقدية الذهبية كالسلطاني التي كانت تثبت في مجموعة على خيط مشكلة قلادة كانت تعرف "بالشنتوف"، أو كانت القلائد تصنع من اللؤلؤ الثمين أو ما يعرف بالجوهر وكمثال على ذلك ذكر عقدين من الجوهر في أحد رسوم تصفية تركة امرأة من نساء مدينة الجزائر[5].

كما كان المرأة في مدينة الجزائر تستخدم لتثبت الحايك على الصدر أبازيم من الذهب المصقول، والمزخرف بغصينات رائعة أو من الفضة فتمسك بالثوب ،وتزينه في آن واحد وقد كانت في أكثر الأحيان تصنع من الفضة ويبدو أن الأبازيم من التأثيرات الأندلسية ويذكر بول أودال (Paul Eudel)أن المعنى الإيتمولوجي لكلمة بازيم تعني الضغط بقوة على الأسنان قصد الإمساك بشيء[6]. و ورد ذكر لهذه الحلية في المصادر المحلية حيث نجدها وردت في رسم تقسيم تركة :"....وبزايم ذهبا بألف دينار واحدة ...."[7] .

و كانت الأقدام هي الأخرى تحظى بالاهتمام من حيث الزينة؛ فقد كانت النساء في مدينة الجزائر ترتدين الخلاخل[8] في أقدامهن من فوق الكعبين مصنوعة من الذهب، أو الفضة

---

[1] الوثيقة رقم26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[2] وقد ورد ذكر الخواتم في عقود تقسيم التركات مثلا:" ....زويجة ونايس ذهب و خاتمين...."الوثيقة رقم1 في العلبة 123 المصدر السابق

[3] Dapper, Op.cit.,p.175

[4] الوثيقة رقم26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[5] المصدر نفسه

[6] Eudel Paul, Dictionnaire... ,pp.26-27

[7] الوثيقة 82 " في العلبة 27-2 ،المصدر السابق أنظر أيضا الوثيقة رقم26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[8] و كان الخلخال يتخذ أشكال جد متنوعة حول هذا الموضوع أنظر:

Eudel Paul, Dictionnaire ... , pp.97-102

الجميلة[1] الصنع ،والزخرفة، وكانت عالية ،وعريضة بحوالي أربع ،أو خمسة أصابع[2].

وقد جاءت الإشارة إلى هذه الحلية في أحد عقود البيع ،والشراء ؛حيث تم إيداع هذه الحلي كرهن لدي البائعتين من طرف المشتري حتى يسدد لهما ما تبقي من الثمن المتفق عليه ونص ذلك : "..... فتجمل في مقبوض البايعتين {كذا} المذكورتين الف دينار اثنان وسبعمائة دينار بتأخير الموخرة {كذا} كل الدنانير المذكورة جزايرية خمسينية العدد ويبقي لهما لكمال مالهما ثمانمائة دينار من الصيغة قبضتا فيها فردتي من خلخال ذهب.....رهنا وهذا الى تمام سنة التاريخ....." [3].

ولابد هنا من الإشارة إلى أن الثروة، والمكانة الاجتماعية للمرأة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني كانت تقدر بمدى ما تملكه من مجوهرات وحلي تتحلى بها في مناسبات والأفراح المختلفة بالإضافة إلى تلك التي تتحلى بها بصورة يومية، وكانت صناعة الحلي مزدهرة في مدينة الجزائر وممارسة لاسيما من طرف اليهود الذين أبدعوا في هذا المجال و من خلال وثائق المحاكم الشرعية وبخاصة تلك التي تتعلق بتصفية التركات وبخاصة تركات النساء يمكن الخروج بأسماء المجوهرات التي كانت تستخدم في مدينة الجزائر والتي حاولنا رصدها ،و ذكر نماذج عنها والاستشهاد بها في المحل المناسب لها فيما سبق ذكره.

و كانت نساء القبائل، وخاصة الزواوة تعتمدن في تجميل أنفسهن على الوشم فقد كن يرسمن على أيديهن، وأقدامهن رسومات مختلفة بواسطة الإبر وأحيانا السكاكين التي كانت تساعدهم وتستعمل في ثقب بشرة الجلد، وبعد ذلك كن يضعن على جروحهن بعض المواد وهكذا كن يجدن أنفسهم موشومات[1] بأوشام ذات أشكال مختلفة ،ولم يكن في الإمكان محو آثارها أبدا، وكن يتفننن

---

[1] الوثيقة رقم26 في العلبة 5-1،المصدر السابق

[2] HAEDO (F. D) "Topographie…", In:**R.A.,** T.15, 1871,p.110

[3] الوثيقة رقم31 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 6-1 تاريخها 1043 (1634م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] ويمكن أن نتسأل هنا عن موقف العلماء من هذه الظاهرة وهل صدرت فتاوى في هذا الموضوع على اعتبار أن الوشم غير جائز في الدين الاسلامي.

في إخراجها على هيئة أشكال هندسية جميلة[1].

ودائما في إطار الاهتمام الأول لنساء مدينة الجزائر نجد ذهابهن إلى الحمامات العمومية على الرغم من أن الكثيرات منهن كن يمتلكن حمامات خاصة في منازلهن إلا أنه وجدت قلة منهن لم تكن تذهبن للحمامات العامة على الأقل مرتين في الأسبوع [2]،و قد سبق الإشارة إلى هذه المسألة في الفصل الخاص بالمرافق المائية ،والصحية من الباب الثاني عند الحديث عن الحمامات و دورها الاجتماعي الذي يفسر ذهاب النساء للحمامات العامة رغم امتلاكهن حمامات خاصة في بيوتهن.

2 – و الاهتمام الثاني للنساء في مدينة الجزائر كان يكمن في تبادل الزيارات فيما بينهن و قد بالغ هايدو أواخر القرن 10هـ (16م) حين ذكر أنهن كن يقضين معظم الوقت في الركض من بيت إلى آخر لتبادل دعوات الزيارة. موضحا أنهن كن يقمن باستغلال فرص خروجهن لارتكاب الحماقات[3]. و هذا تحامل واضح؛ فقد كانت المرأة تخرج في تبادل الزيارات، وهي ترتدي الحايك و عند دخولها إلى بيت من تقصدها بالزيارة كانت المرأة تنزع نعليها عند مدخل الدار و ذلك ليعلم من يهم بدخولها من أهل الدار من الرجال ، و حتى صاحب الدار الزوج بوجود نساء ضيفات على أهل بيته؛ فلا يدخل الدار، أو الغرفة حيث هن حتى ينصرفن[4].إذ أن الرجال كانوا مجبرين على البقاء بعيدا عن دورهم عند الزيارات المتبادلة لنسائهم[5].

في حين ذكر الفارس دارفيو في القرن 11هـ(17م) على عكس ماذهب إليه هايدو أن نساء مدينة الجزائر كن قصيرات، وسمينات، وأوعز ذلك إلى قلة التمرين الذي كن يقمن به حيث كن لا يخرجن تقريبا أبدا من بيوتهن إلا للذهاب للحمامات، وإلى المقابر أين كن يذهبن بعد أن يحملن عبيدهن جرار كبيرة من الخشب، أو النحاس لعله يقصد هنا آنية القصعة مليئة بالكسكس واللحم للفقراء[1]".

[1] HAEDO (F. D) "Topographie…", In:**R.A,** T.14, 1871, p.494 voir aussi Davity (Pierre) , Op.cit.,p.175
[2] Dapper, Op.cit,p175
[3] HAEDO (F. D) ,Topographie…" In:**R.A.,** T.15, 1871,p.203
[4] DAN (R.Père François Pierre),Op.cit., p.281
[5] Laugier de Tassy , Op.cit., T.1,p.181
[1] ARVIEUX (Chevalier d'), Op.cit.,p ,T.5, p.285

أما دابر في القرن11هـ(17م) أيضا يذكر أنه لم يكن لدى نساء مدينة الجزائر انشغالات أو اهتمامات ؛فقد كن يقضين طول يومهن جالسات على الحصائر ،والزاربي وهن يتبادلن الأحاديث[1].

وقد يندرج ما ذكره دابر في إطار وسائل الترفيه التي كانت تعتمدها النساء في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني للترويح عن أنفسهن ،وليس انشغالهم الرئيسي والوحيد ويبدو أن دابر قد تجنب الحقيقة بقوله المبالغ فيه،والدليل أنه يناقذ نفسه حين يذكر نشاطات أخري كانت تقوم بها النساء في مدينة الجزائر.

3 – و كان الاهتمام، والنشاط الثالث لهن بمثابة ترويح عن النفس، وتسلية ،و سلوى ويتمثل في الذهاب في كل وقت من أوقات السنة إلى الحدائق،و الفحوص للتمتع بجمال الطبيعة ولاسيما في مواسم الفواكه؛ حيث كن يرقصن على أنغام الآلات الموسيقية العذبة ،و الغناء الأندلسي الأجمل من موشحات أندلسية ، و يستهلكن كميات كبيرة من الكسكس، و اللحم المشوي و الخفاف "السفنج "بعيدا عن أعين الغرباء، و الرجال الذين كانوا لا يقتربون من أماكن اجتماع النسوة احترما، و مراعاة للحرمات، و بعد قضاء أمسية ممتعة، و مسلية كن يعدن إلى منازلهن[2].

4 –ومن بين اهتماماتهن أيضا زيارة أضرحة الأولياء الصالحين[1] مع أبنائهن الصغار والتي كانت تشكل إحدى اهتماماتهن، و كانت هذه الأضرحة كثيرة العدد في مدينة الجزائر فكن يذهبن يوم الاثنين لزيارة ضريح سيدي يعقوب ،و الذي كان يوجد على صخرة بالقرب من البحر خارج باب الواد، أو كن يذهبن إلى ضريح سيدي بغنوس، و الذي كان يقع في قمة جبل بوزريعة؛ حيث دفن هذا الوالي الصالح في المكان الذي انقطع فيه للعبادة، و الزهد. أما أيام الخميس فقد كانت النساء تزرن ضريح سيدي بتكة ،و سيدي عبد العزيز، وسيدي علي الزواوي و ضريح سيدي عبد العباس، و التي كانت تقع كلها خارج باب عزون .أما أيام الجمعة فكن يزرن أضرحة

[1] Dapper op.cit.,p .175
[2] HAEDO, (F..D) "Topographie…", In :**R.**A., T.15, 1871,p .204 voir aussi Dapper, Op.cit, p.175
[1]Ibid

سيدي عبد الرحمان الثعالبي الشهير، و ضريح سيدي جامي خارج باب الواد ،وكذا ضريح المرابط سيدي بولقدور[1].

و كانت النساء خلال زيارتهن لهذه الأضرحة تضعن عليها الشموع ، أو زيت المصابيح،والقناديل الزيتية، أو بعض المال، و أشياء أخري مختلفة كانت كلها للوكيل الذي يعتني بهذا الضريح، و يسهر على صيانته، و حراسته ،و كن تضعن أيضا على هذه الأضرحة الخبز و العنب المجفف ؛أي الزبيب،أو بعض الفواكه ،و عند انتهائهن من الزيارة كن يقدمن للفقراء جزءا من هذه الأطعمة ،و في الأيام التي كانت تزور فيه النساء الأضرحة كان هؤلاء الفقراء يقضون نهارهم عند مداخلها منتظرين ما سوف تجود به عليهم النسوة الزائرات و الباقي من الطعام ، أو الزائد منه كان يأكل في المكان ذاته من طرف صديقات، و مرافقات المرأة إلى الضريح ،و بعد الانتهاء كن يذهبن خارج الضريح للجلوس في بساتين الفحوص المحيطة بمدينة الجزائر لتبادل الأحاديث[2].

5 –و من اهتماماتهن أيضا– كما سبق ذكره– زيارة المقابر زيارة مستمرة خاصة أيام الاثنين والجمعة صباحا وكانت المرأة التي لا تقوم بهذه الزيارات تعتبر مسلمة غير صالحة بحسب ما ذكره هايدو وقد ذكر دابر في القرن 11هـ(17م) أن من بين اهتمامات النساء في مدينة الجزائر زيارة المقابر ،والقيام بالدعاء فيها للموتى[1].

و كانت هذه الزيارات للمقابر فرصة للقيام بعمل الخير حيث ذكر دان في القرن 11هـ(17م) أن النساء كن يزرن المقابر تقريبا كل يوم جمعة وهن يحملن معهن الخبز واللحوم والفاكهة وكن يتركن هذه الغلال كصدقة للفقراء وحتى الطيور التي كانت تقصد المقابر كان لهم نصيب من هذه الغلال بعد أن ينال الفقراء كفايتهم منها[2].

6–ودائما في إطار الأنشطة، والاهتمامات المتعددة للمرأة في مدينة الجزائر، نجد أن النساء كن يجتمعن ليتسامرن، ويطلعن على حظوظهن لمعرفة مستقبلهن على حد تعبير هايدو؛ فقد كن

[1] Haedo ,Topographie …,In: **R.A.**, T.15, 1871, p.204
[2] Ibid.,p.204
[1] Dapper, Op.cit,p175
[2] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit., p. 276

شغوفات جدا بالشعوذة، والسحر،ويقمن بإجراء عدة عمليات سحرية نوعا ما بهدف الحصول على تكهنات عن مستقبلهن[1].

و يبدو أن المقصود بذلك اللعبة القديمة المعروفة "**بالبوقالا**" التي كانت تحظى بشهرة كبيرة لديهن، و نلاحظ أن هذه الأخيرة لاتزال منتشرة في عدة أوساط في مجتمع العاصمة خاصة ويبدو أن هايدو قد بالغ بلا شك عندما جعل كل المسلمات يهتممن بأعمال الشعوذة و السحر ،و إن كان الاهتمام بتلك الأمور متواجد ؛فلابد أنه كان ينحصر في فئة جد ضئيلة في العدد كما أن لعبة البوقالا لم تكن تعدو أن تكون لعبة تتسلي بها النساء في أوقات اجتماعهن لتمضية الوقت كما هو الحال اليوم، و كنوع من الفأل؛ أي أنهن كن يتفألن بها خيرا ،و لم يكن ذلك بالشرك في شيء.

و من اهتمامات المرأة في مدينة الجزائر الذهاب إلى الأعراس، و الاحتفالات الكثيرة و المعتادة كحفلات الزواج، و الميلاد، و غيرها، و التي تقام في أوساط العائلات طيلة السنة فكما سبق القول في مبحث الزواج أنه ،و قبل اليوم المحدد للزفاف جرت العادة، و التقليد أن تقام خلال الثمانية أيام التي تسبق يوم الزفاف احتفالات في منزل العروس تجتمع فيها النساء للرقص،و الاحتفال –كما سبق الإشارة إليه– و من ثم أيام قليلة قبل ذلك كانت قريبات العروس، و في مقدمتهن الأمهات تنتقلن من بيت إلى أخر لتقديم الدعوات؛وحيث كانت النساء تقمن بقضاء وقت طويل في تلك الحفلات التي كانت من الأنشطة الاجتماعية البارزة لهن[1].

2– دور المرأة و مكانتها في مجتمع مدينة الجزائر:

و ساهمت المرأة في مدينة الجزائر في عمليات الغزو البحري إذ شهدت المرحلة المعنية بالدراسة بروز عدة نساء قمن بممارسة التجارة عن طريق عدة وسائل منها تأجير خدمات بحارة كانوا يقومون بالحصول على غنائم لهن من سلع و أسرى، ونحو ذلك، و بيعها في أسواق الجزائر[2].

[1] Ibid, T.15, p. 204

[1] Haedo ,Topographie …In:**R.A.,** T.15,1871, p.206

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء الأول ،ص.157

كما أن منهن من كن يعالجن بأنفسهن حالات إطلاق سراح عبيدهن، أو فدائهم فكن بالتالي يستثمرن أموالهن إذا في المشاركة في عمليات الجهاد البحري، و الحصول على حصص في الغنائم[1]. كما نستدل عليه من الوثائق المحلية:

".....بعد أن توفيت وصارت إلى عفو الله الولية الحرة الأصيلة فاطمة بنت الحاج محمد بن حاميد.....وخلفت الهالكة المذكورة .....وخروبة واحدة بالسفينة المسماة بالباراية....."[2].

وقد ذكر دان(DAN) في القرن 11هـ(17م) في هذا الشأن أن عداء نساء مدينة الجزائر للأعداء المسيحيين كان شديدا ، وأنه وإن لم يستطعن حمل السلاح، وإعلان الحرب ضد هؤلاء فلم تكن أقل حماسا لمحاربتهم ،ولهذا نجد أن أغلبيتهن عند وفاتهن كن يوصين ببعض أموالهن ،أو أملاكهن لشراء أسلحة ،أو صنعها لاستخدامها في الجهاد ضد العدو.[3]

و كانت النساء الجزائر في مدينة تملكن العقارات ،وتبرمن صفقات البيع، والشراء وكدليل على ذلك عقود بيع،وشراء تعود للفترة المدروسة من بينها عقد بيع، وشراء يتضمن قيام أختين ببيع دار يملكانها في مدينة الجزائر بتاريخ أواخر شعبان 1043هـ (1633م) ؛ حيث جاء فيه ما نصه : " الحمد لله تعلى وعلى بركة الله ابتاع المعظم المرعي حسن بلك باشي ابن خضر التركي من الواليتين الأختين المكرمتين امنة وفاطمة بنتي الحاج على{كذا} المذكورتين اعلاه جميع الدار الكاينة{كذا} بحومة القادوس المذكورة في المشار اليه{كذا} بالدار و الحدود والحقوق و المنافع والمرافق الداخلة فيها والخارجة عنها{كذا} وما عد منها وعرف ونسب في القديم والحديث اليها{كذا} بيعا صحت عقده ان{كذا} لاشرط فيه ولاثانيا ولاخيار بثمن قدره ثلاثة الاف دينار وخمسمئة دينار كلها جزائرية خمسينية العدد و سكة (.....)قبضت منه البايعتان {كذا} المذكروتان الف دينار الواحدة التي كانت أمانة للمشتري له وهو حمودة بن الحاج حمود بن حمزة تحت يد التاجر المعظم (....) والف دينار واحدة وستة وعشرين دينار كانت له تحت يد

[1] Corine CHEVALLIER, Op.cit., p.66

[2] الوثيقة رقم 26 في العلبة 5-1 المصدر السابق

[3] DAN (R.Père François Pierre), Op.cit.,p.30

امه{كذا} ودين له عليها ومما كانت قبضته من غلة الحمام والدار مما كان له تحت يد أخيه الشاب المكرم الحاج..... وقدره خمسماية {كذا} دينار واربعة وخمسون دينار ومما تحت يد...علي وقدره مايتا دينار ثنتان وعشرون دينار فتجمل{كذا} في مقبوض البايعتين {كذا} المذكورتين الف{كذا} دينار اثنان وسبعمائة دينار بتأخير الموخرة {كذا} كل الدنانير المذكورة جزايرية{كذا} خمسينية العدد ويبقي لهما لكمال مالهما ثمانمائة دينار من الصيغة قبضتا فيها فردتي{كذا} من خلخال ذهب...رهنا وهذا الى تمام سنة التاريخ وسلمتا له بسبب ذلك تملكه مشترآه{كذا} المذكور فتسلمه منها وملكه دونها وحل فيه محل الملاك في املاكهم{كذا}بعد المعرفة بذلك المعرفة التامة النافية للخطر والجهالة....."[1].

بل وتشير إحدى الوثائق إلى تملك المرأة، وتصرفها بما تملك بالبيع والشراء، وإن كان بحضور الزوج ،ورضاه [2]. كما هو حال البائعة فاطمة المذكورة في عقد البيع والشراء هذا ،أو في غيابه كما توضحه مسألة توكيل الزوجة في عملية شراء عقار من طرف زوجها الغائب لانشغاله بمهام و اشتراكها معه في نسبة من الدار المبتاعة، وهذا شأن المشترية اللونة؛ حيث جاء فيها :

" بعد ان {كذا} خلص للولية فاطمة بنت المرحوم السيد احمد...خوجة المذكورة مالكة.....يلصق اخر{كذا} رقه باول {كذا} كاغد {كذا} هذا ان{كذا} شاء الله تعلى تملك جميع الدار الكاينة قرب سوق الشبارلية{كذا} وقرب مخزن الزرع داخل محروسة الجزاير{كذا}..... حضرت الان{كذا} بمحضر شهديه الولية فاطمة المذكورة وباعت بمحضر بعلها المعظم الأجل الزكي الأفضل السيد علي وشقيقه المعظم الأرضى الخلاصة المرتضى السيد الحاج حسن ولد المرحوم السيد بن محمد الكاتب و وموافقتهما..... .....وسلمت البايعة فاطمة المذكورة اللونة المذكورة تملك جميع الدار

[1] الوثيقة رقم31 في العلبة 6-1، المصدر سابق أنظر أيضا الوثيقة رقم 5، المصدر السابق

[2] وهذا ما تؤكده وثيقة أخرى عبارة عن رسم هبة امرأة حضر زوجها لعقد هذه الهبة ووافق عليها وكلف من طرف زوجته بتنفيذها بعد وفاتها :".....وجعلت صرف ذلك كله على يد بعلها المعظم مصطفى بلك باشي بن أحمد التركي وذلك كله بمحضره وموافقته وقبوله والتزام القيام به حسبه الله....."وبعد وفاتها بحسب نص تقسيم تركتها نلاحظ تنفيذ الزوج لما التزم به .أنظر: الوثيقة رقم14في العلبة 141،المصدر السابق

المذكورة اتم{كذا} تسليم واعمه{كذا} فتسلمتها منها وملكتها دونها وحلت فيها محل الملاك في املاكهم وذوي الاموال{كذا} في اموالهم{كذا} بعد الرؤية والتقليب والرضى ومعرفتهما معا بقدر ماتبايعتا {كذا}فيه وبه المعرفة التامة النافية للخطر والجهالة وامضياه{كذا} بينهما على واجب السنة في ذلك والمرجح.....حيث يجب ثم اشهدت{كذا} المبتاعة اللونة بنت محمد بن رمضان المذكورة شهديه على نفسها ان{كذا} ابتياعها{كذا} لجميع الدار المذكورة انما{كذا} هي ارباعا{كذا} بينها بعلها المعظم المفخم المرعي المحترم علي يلداش خزناجي بدار الأن بدار العلية من البلد المذكور ابن محمد التركي على نسبة ان{كذا} لبعلها المذكور من جميع الدار المذكورة ثلاثة ارباعها{كذا} وللمبتاعة للونة المذكورة الربع الواحد الباقي منها ومن ماله الخاص به دفعت عنه ما يخصه في ثلاثة ارباعه{كذا} المذكورة معه قبل ولاحق لها معه فيها لافي ثمن ولافي مثمون ويدها في تناول ذلك نايبة {كذا} عنه وعارية لغيبته وقتئذ عن البلد المذكورة في خدمة العسكر المنصور وعلى النسبة المسطورة{كذا} تقرر اشتراكهما{كذا}في جميع الدار المذكورة وعلى الشياع بينهما....."[1].

كما نسجل اشتراك المرأة مع زوجها في تملك الأملاك ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في عقد بيع من عقود المحاكم الشرعية:

".....الحمد لله بعد أن استقر على ملك الزوجين وهما سليمان اودباشي بن مصطفى التركي والولية أمنة بنت حمودة الفخار .....في جميع الثلثين من جميع الدار الكاينة اعلا كوشة .....مع جميع الاصطبل {كذا}اسفلها{كذا} المبين ذلك كله في الرسم المشار إليه بالشراء الصحيح....."[1].

وما سبق يؤكد ما ذهب إليه روكفيل(Rocqueville) في القرن 11هـ(17م) حين ذكر أنه كان هناك فصل في الملكية بين الزوجين؛ حيث كانت المرأة تتصرف بحرية فيما تملكه مثل الرجل وإذ ما حدث، وأن يفقد الزوج كل أملاكه كان يصبح متعلقا من الناحية المالية

[1] الوثيقة رقم3 "رسم يتضمن عقد بيع يخص النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 28-1 تاريخها97 10 (1685م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] الوثيقة رقم12 في العلبة 141 ،المصدر السابق

بزوجته التي لم تكن تعطيه إلا ما تريده، وهذا ما يرى غالبا في مدينة الجزائر في مثل تلك الحالات[1].

في حين أن هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م) أشار إلى أن حق الزوجة من إرث ؛أو تركة أحد والديها من متاع، وأثاث كانت تحمله معها إلى بيت الزوجية كان يشاركها زوجها في الانتفاع منه ولكنه كان مجبرا على الحفاظ عليه كما هو فلا ينقص منه شيئا[2]؛أي لم يكن من حقه التصرف فيه بالبيع ،أو الكراء ،و ما شابه ذلك من المعاملات المعروفة.

ونستدل على ذلك من خلال عقود البيع والشراء حيث كان الأزواج ينوبون عن زوجاتهم[3] في عقد صفقات البيع أو الشراء بناء على طلب منهن وفي هذه الحالات كان يتم الحرص على إبراز هذه المسألة في أخر عقد البيع والشراء بالعبارات الآتية :

"مشهدا مع ذلك المبتاع المذكور أن ابتياعه لما ذكر إنما هو لزوجه الحرة الأصيلة الحسيبة الجليلة خديجة بنت مراد ومن مالها الخاص بها دفع عنها جميع العدد ولاحق له معها لا في ثمن و لا في مثمون{كذا} ويده في تناول ذلك نايبة {كذا}عنها وعارية وشهد عليهما بما فيه ....."[1].

مما يؤكد على الاستقلالية المالية التي كانت تنعم بها المرأة في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ،ويعزز ما ورد في المصادر الغربية حول هذه القضية وما يؤكدها أيضا صفقات البيع والشراء التي كانت تعقد بين الزوجين ؛والتي يعد ابرامها وتسجيلها في حد ذاته دليلا على تمتع

---

[1] Op.cit., p.10

[2] HAEDO, (F..D) "Topographie…", In: **R.A.**, T.15, 1871,p.98

[3] ولم يكن الزوج فقط من ينوب عن زوجته في عمليات البيع والشراء ؛فمن النساء من كن يقمن بتوكيل أقاربهن للأداء هذه المهمة كما نستخلصه من عقود المحاكم الشرعية ومن نماذجها عقد شراء عقده جد لصالح حفيدته التي وكلته للقيام بذلك:".....مشهدا مع ذلك المبتاع المذكور أن ابتياعه لما ذكر انما لحفيدته خديجة بنت ابنه المرحوم الحاج محمد ومن مالها الخاص بها دفع عنها جميع الثمن المذكور ولاحق له معها لا في ثمن ولا في مثمون في تناول ذلك نايبة عنها وعارية....."أنظر:الوثيقة 90 في العلبة 27-2، المصدر السابق

[1] الوثيقة رقم 19"رسم بيع وشراء دار بمدينة الجزائر"،في العلبة 22-1 تاريخها أواسط ربيع الثاني من عام1094هـ(1683 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

المرأة بكيان مالي مستقل عن زوجها ،ومن الوثائق الدالة على ذلك عقد بيع وشراء بين زوجين ورد فيه قيام المدعوة الولية الحرة الاصيلة فاطمة بنت المرحوم بكرم الله محمد خوجة بابتياع جميع الدار التي أحدث بناءها في الخربة الكاينة اسفل جامع الولي الصالح البركة سيدي رمضان نفعنا الله ببركاته مع جميع حانوتين اثنين مع جميع الإسطبل المستخرج منهما مع جميع الحانوت اللصيقة بلكوشة من زوجها محمد الصباغ ابن محمد بيعا صحيحا جايز وبثمن قدره خمسة الاف دينار وتسعماية دينار كلها جزائرية خمسينية العدد سلمته الزوجة المبلغ المتفق عليه فسلم لها الزوج التملك في الأملاك المذكورة".....قبض البايع المذكور من المبتاعة المذكورة جميع العدد المسطر..... وابرها من جميعه البراء العام وبسبب ذلك ومن أجله سلم لها تملك المبيع المذكور أتم تسليم وأعمه فتسلمته منه ملكته دونه وحلت فيه محل صاحب المال في ماله....."[1].

و تؤكد دراسة الأستاذ الباحث خليفة حماش التي تنطلق من الوثائق الأرشيفية- ما ذكرناه سابقا ؛حيث بين في إطار دراسته لموضوع القراض أن الزوجة في هذا الصنف من المعاملات المالية كانت تشكل صندوقا احتياطيا يلجأ إليه الزوج لاقتراض المال الذي يكون في حاجة إليه لتدبير وتسير الشؤون اليومية لأسرته ومصدرا لتمويل ،وإجراء معاملاته المالية الكبرى مثل شراء العقارات وممارسة التجارة[1].أو لدفع دين مترتب عليه كما اتضح لنا من خلال أحد عقود المحاكم الشرعية :

" الحمد لله اعتراف بالمجلس العلمي من بلد الجزائر المحمية المكرم المعظم الاجل الفقيه السيد محمد بن القائد صفر عليه في ماله وذمته لزوجه الحرة الأصيلة الفاضلة الجليلة فاطمة بنت الشيخ العالم السيد أحمد أيوب ما قدره الف دينار واحدة واربعمائة دينار وعشرون كلها خمسماية العددكانت اسلفته ذلك حين دفع دين كان عليه للشاب المكرم التاجر السيد أحمد يرد لها جميع ذلك برسم ملحق.....[2] .

---

[1] الوثيقة رقم 52 "رسم بيع وشراء بين زوجين بمدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها أواسط ربيع الثاني من عام1079 هـ (1669م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] خليفة حماش ، المرجع السابق ،ص. 169

[2] الوثيقة رقم 23 ،في العلبة 74-75 ،المصدر السابق

وقد كان القراض بين الزوجين على غرار سائر المعاملات من شراء وبيع ورهن وغيرها يقوم على مبدأ أساسي ألا هو مبدأ التوثيق[1] ،والملاحظ في مسألة القراض بين الأزواج أن عقود المحاكم الشرعية التي تشير إلى اقتراض الأزواج من الزوجات أكثر بكثير من العقود التي تشير إلى اقتراض الزوجات من الأزواج فهي قليلة جدا إلى درجة الندرة[2]. وكما تبين لنا من أحد عقود المحاكم الشرعية ؛فقد كان الزوج ملزما بإعادة المبلغ الذي اقترضه من زوجته متى طالبته بذلك وإن كان لا يملك المبلغ المالي اللازم؛ فقد كان يلجأ إلى تعويضها بما يملكه من ممتلكات أوحصص منها تساوي قيمة دينها عليه ،ومن نماذج ذلك ما ورد في إحدى وثائق المحاكم الشرعية التي تضم رسمين أحدهما عقد زواج ،والثاني رسم تسوية دين مترتب لزوجة على زوجها حيث لم يجد الزوج ما يخلصها به، ولهذا حضر الزوج المدعو السيد محمد للمحكمة ،و أحضر معه شاهديه واشهدهما على نفسه انه باع لزوجه الحرة الولية فاطمة المذكورة جميع النصف الواحد من جميع الحوش مع نصف الجنة اللذان كان يملكهما والواقعان خارج مدينة الجزائر المحمية مقابل الثلاثة الاف دينار ،و المائة دينار وهو المبلغ الذي كان يدين به لزوجته ،وبما أن قيمة ما سبق ذكره تجاوزت قيمة الدين فقد دفعت لزوجها القيمة الزائدة عن قيمة الدين المترتب لها عليه والمقدرة بثلاثين دينار خمسمائة الوصف[1].

كما كان يتم مراعاة نيل المرأة ما يترتب عن باقي صدقها على زوجها حتى بعد وفاته حيث كان يتم تضمين ذلك ضمن رسم تقسيم تركته ومن نماذج ذلك ما ورد في أحد هذه الرسوم:

".....كما خلف الهالك أيضا عليه دنانير لزوجه المذكورة قدره مايتا دينار واثنتان وعشرون

---

[1] حيث كانت العادة المعتمدة في ذلك أن يتوجه الزوج لما يقترض مالا من زوجته إلى المحكمة الشرعية ويحرر بها عقدا يوقعه عدول المحكمة ،ويذكر فيه المعلومات الآتية :اسمه واسم زوجته ،ويشهد فيه على نفسه وأمام القاضي بأن عليه وبذمته دينا لزوجته مع الحرص على ذكر قيمة ذلك الدين وفي بعض الأحيان يشار فيه إلى الظروف، والأسباب التي أدت إليه ليختم العقد في الأخير بتحديد الآجال الواجبة لرد الدين وسداده ونظرا إلى ارتباط ذلك الاقتراض بالشدائد والأزمات فإنه يشار إليه في العقود بعبارة "سلف إحسان وتوسعة " .أنظر:خليفة حماش ، المرجع السابق ،ص.171

[2] خليفة حماش ، المرجع السابق ،ص.169

[1] الوثيقة رقم 23 ،في العلبة 74-75،المصدر السابق

دينار ومنها سبعون دينار كاليها[1] عليه و باقيها قيمة أمة مشترطا عليه....." [2].

وكان يتم أخذ ذلك بعين الاعتبار ،و الحسبان أيضا عند تقسيم تركة الزوجة بعد وفاتها حيث يحتسب باقي صداقها المترتب على زوجها ضمن ما تخلفه أي ضمن تركتها حيث ينبغي على الزوج دفعه ليضم لباقي تركة الزوجة قبل تقسيمها على كل المستحقين لها ،ومن نماذج ذلك ما ورد في أحد عقود تقسيم التركات :".....الهالكة والى ما ترتب لها بذمة بعلها من باقي الصداق .....كما حوسب الزوج المذكور بما بذمته من الصداق ....."[3].

وما ينطبق على باقي الصداق ينطبق على ديون الزوجة على زوجها، والتي كانت تؤخذ أيضا بعين الاعتبار عند تقسيم التركة سواء تقسيم تركة الزوج بعد وفاته ،أو تقسيم تركة الزوجة كما تم توضيحه آنفا .

وتوضح لنا من خلال عقود المحاكم الشرعية أيضا أن الزوجة في مدينة الجزائر كانت تقدم مساعدة مالية لزوجها ،ولكن دون أن تنتظر منه تعويضا أو ردها في وقت لاحق؛ حيث كانت تلك المساعدة تأتي في صورة صدقة تقوم بها المرأة لصالح زوجها ومن نماذج ذلك نذكر ما ورد في أحد العقود :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد تصدقت الولية المكرمة الاصيلة قامير بنت القايد المعظم المرحوم القايد حسن قايد القياد كان بداخل الجزائر على بعلها المعظم المرعى الابر الحاج الناسك صفر بن عبد الله {ويبدو أن المقصود هو عتيق خير الدين وصاحب المسجد الذي يحمل اسمه بمدينة الجزائر } بجميع الحانوتين من أربعة حوانيت المخرجين من الدار الكاينة بالبلد المذكور الموالين لزنقة هناك غير نافذة .....بجميع حدودهما ومنافعهما الداخلة فيها والخارجة عنها وماعدا منها ونسب قديما و حديثا إليها صدقة أخرجتها.....من كسبها وحر مالها من ملكها وصيرتها بهذه الصدقة المذكورة مالا من مال المتصدق عليه الحاج صفر المذكور

[1] أي باقي الصداق راجع الفصل الأول من هذا الباب.

[2] الوثيقة رقم 39 فيالعلبة 124 ،المصدر السابق

[3] الوثيقة رقم 30 في العلبة 19-1 ،المصدر السابق

وملكا من أملاكه لوجه الله المعظم وابتغاء ثوابه الجسيم والله يجزي المتصدقين ولا يضيع آجر المحسنين وقبل المتصدق عليه المذكور الصدقة المذكورة قبولا تاما .....فارغين من أسباب المتصدقة المذكورة وشواغلها{أي تسلم منها الحانوتيين وحازهما وقد أفرغتهما المتصدقة من كل ماله صلة بها لتكون ملكيته تامة للحانوتيين}....." [1].

و إن دل ماسبق ذكره على شيء إنما يدل على المكانة التي كانت تحظى بها المرأة حينها والحرية في التصرف بما تملكه ؛حيث لاحق لأحد بأخذ شيء منها إلا برضاها، وإن تعلق الأمر بزوجها لقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع "...كل مسلم أخ للمسلم وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم "[2].

كما كانت النساء في مدينة الجزائر تتملكن الأراضي الموجودة في الفحوص من حدائق وجنائن و من أمثلة ذلك رسم بيع جنة بفحص بيرطرايلية اشترتها الوالية عايشة بنت سعد الأندلسي بثمن قدره ألف وخمسمائة دينار من البائعين عثمان أودباشي بن عبد الله والمعلم بلقاسم الحوكي بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية وخمسين وألف 1058 هـ(1647 م)[1].

و يشير عقد تقسيم تركة من سلسلة المحاكم الشرعية أيضا إلى تملك النساء للأحواش والمزارع بما فيها من مواشي :".....وخلفت الهالكة .....جميع الجنة الكاينة ببوزريعة وجميع الحوش الكاين برمان بوطن بني خليل.....مشتملا على جنة وبقر و عددها ثمانية وخمسون رأسا وعشرين تلثية فحول –المقصودبهم الثيران–وغير ذلك....[2].

ونستخلص مما ذكر آنفا أنه كان للمرأة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني دور في الحياة الاقتصادية ودور هام في تفعيل الحركة التجارية والحرفية في مدينة الجزائر، والنشاط الفلاحي

---

[1] الوثيقة رقم 26 "رسم تصدق زوجة على زوجها بحانوتيين "، في العلبة 22-2تاريخها أواخر شعبان من عام988 هـ (1580م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] الشيخ محمد عطية سالم ، مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوادع،الرسائل المدنية 12 ،الطبعة الأولى ،طبعة دار التراث الأولى ،مكتبة ار التراث،المدينة المنورة، 1409 هـ-1988 م،ص,95 وأنظر أيضا: مختصر سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،بدون تاريخ،صص.297- 298

[1] Saadeddin Bencheneb , Un Acte de vente dressé ..., p.288

[2] الوثيقة رقم14في العلبة 141،المصدر السابق

في فحوصها من خلال تملك المتاجر،و الورشات الحرفية ،والحدائق والبساتين ،والأحواش ودورها في هذا الميدان كان له آثاره و انعكاساته على الجانب الاجتماعي للأسرة ،وللمجتمع.

وإذ اعتبرنا ما سبق ذكره طريقة غير مباشرة في مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية ؛فإنه يمكن القول أن من النساء في مدينة الجزائر من ساهمن بصورة مباشرة من خلال ممارستهن بأنفسهن لأنشطة حرفية، وتجارية ومن نماذج ذلك نذكر:"نفسة بنت أوسطه محمد البجاج والتي ومن خلال ما ورد ذكره من مخلفاتها التي تم بيعها في المزاد العلني على يد البيتمالجي الذي كان طرفا مستحقا في تركتها أنها كانت تمارس حرفة العطارة ،وتحديدا تقطير ماء الورد ؛حيث تضمنت تركتها زجاجات معبأة بماء الورد عددها إحدى عشرة زجاجة ،وزجاجات فارغة، وقطارة ويبدو أنها كانت تتزود بالمادة الأولية الضرورية لحرفتها من الثلاث بساتين ،أو جنائن التي كانت تملكها بفحص تيقصريين وأنها كانت تعتمد في القيام بذلك على نفسها ،وهو ما نستدل عليه دائما من خلال مخلفاتها التي تضمنت أدوات فلاحية كالفؤوس ،و شاقور ،ومنجل ومنشار[1].

و نستدل على عمل المرأة في مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني من خلال عبارات وردت في بعض عقود تقسيم التركات:

"....وخلفت الهالكة الثانية نفسة المذكورة رحمها الله موروثا أسباب لباسها ،وثياب مهنتها ....."[1] ،وإن لم يتم تحديد نوعية العمل الممارس من طرفها وقد تكون المهنة المقصودة هي مهنة القابلة[2].

---

[1] السجل رقم1 دفتر يختص بمخلفات الموضوعة ببيت المال من الضرائب التي لا وارث لها والتي فيها حظ لبيت المال وهي للمفقودين والأسرى بالخارج وذلك بعهد السيد مصطفى صاري آغا بن الحاج محمد البيت مالجي مرتب حسب الشهور والسنوات الهجرية ،سلسلة بيت المال علبة 1 إلى 3 السنة 1111 هـ/1701 م ، وقد ورد ذكر هذه الوثيقة وتفاصيلها لدى خليفة حماش ،مرجع سابق ، ص.131

[1] الوثيقة رقم 1 في العلبة 123 ،المصدر سابق

[2] و وضع الأستاذ الباحث خليفة حماش فرضيات للأنشطة ؛التي يمكن أن تدل عليها هذه العبارة الواردة في عقود التركات فذكر أن النشاط قد يكون الرقص ،أو الغناء، أو المديح، وهي أعمال كانت تقوم بها بعض النساء في الأعراس وهي مهن تستخدم فيها ثياب خاصة .أنظر : خليفة حماش ،مرجع سابق،ص.129

وكانت نساء القبايل، و خاصة الزواوة اللواتي كن مقيمات في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني مع أزواجهن في غرف، أو بيوت للكراء تعشن بفضل أجرة أزواجهن ،و خاصة بمحصول عمل أيدهن ؛فأغلبهن كن يغزلن، و ينسجن الصوف ، أو يقمن بمختلف الأعمال في منازل الحضر بما فيهم الأعلاج الأغنياء ،فكن مجتهدات ،و نشيطات يساعدن أزاوجهن في مجابهة احتياجات الأسرة بالمهارات التي كن يملكنها.[2]ومن ثم نسجل دور المرأة في إعالة الأسرة ومشاركتها لزوجها في كسب لقمة العيش.

وقامت النساء في مدينة الجزائر بالعديد من الأعمال الخيرية في إطار الحياة الاجتماعية من خلال المساهمة في تخصيص الحبوس، و الأوقاف لصالح الفقراء، و المحتاجين، و كذلك المؤسسات الدينية ،و التعليمية، وتقدم لنا بعض الوثائق العائدة إلى القرن 11 هـ (17م) الموجودة في الرصيد العثماني وبالضبط في سلسلة المحاكم الشرعية أمثلة عن ذلك، فمثلا: نجد عقد هبة و تحبيس يشير إلى تصدق زوجة على زوجها بأجزاء من دار تملكها في حين أوقفت بقيتها عليه و على عقبه، وعقب عقبه، والمرجع هو فقراء الحرمين الشريفين- سبق الإشارة إليها – [1].

وكانت النساء في مدينة الجزائر تحبسن أملاكهن لمصلحة و فائدة العلماء أيضا وتحرصهن على الإفادة من أجر تلاوة القرآن ومن النماذج على ذلك ما ورد في أحد عقود الوقف :

"الحمد لله اشهدت الحرة الأصيلة الزكية الجليلة فاطمة بنت.....المرحوم بكرم الحي القيوم علي بجين{المقصود به رايس البحر الذي اشتهر بمدينة الجزائر خلال القرن 11 هـ (17م) علي بتشين وهو من الأعلاج مما يعد دليلا على اندماجهم بالمجتمع} شهديه على نفسها أنها حبست على الفقيه العالم الزاهد الورع التقي الصالح الناصح الرباني الشيخ سيدي محمد الفرجاني نفعنا الله ببركاته جميع الحانوت الكاينة بسوق البديستان داخل الجزائر المحمية .....مع جميع الدار.....على أن يقرأ في كل شهر ختمة من كتاب الله عز وجل وذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله سبعين الف مرة في كل شهر رجب ويصرف ثواب كله لها سواء كانت

[2] HAEDO (F. D) "Topographie…" , In: **R.A.**, 1871, T.14, p.494

[1] الوثيقة رقم70 "رسم بيان صدقة ..."، في العلبة 76 -1 ،المصدر السابق

ميتة أو حية....."[1].

ومن خلال عقد التحبيس السابق نستخلص مسألة هامة وهي إمكانية تملك المرأة في مدينة الجزائر للثروات ،والعقارات التي كانت تتصرف فيها وفق ما تراه مناسبا ؛أي بحرية كما يبين لنا أيضا مسألة لا تقل أهمية ألا وهي مدى وعي المرأة بأهمية الوقف وفائدته في تنشيط الحياة الدينية، والعلمية ،والاجتماعية، ومن ثم امتلاكها لثقافة، وحس ديني قوي وشعور بالمسؤولية، و إدراك كبير بالأدوار الذي ينبغي أن تؤديها بالمجتمع الأمر الذي يؤكده أيضا تسجيل مئة وخمسة عشر سيدة قمن بتحبيس أملاكهن لفائدة الجامع الأعظم ،ففي احدي الوثائق العائدة للعهد العثماني ،والمتمثلة في بيان العقود والأملاك المحبسة على المسجد الأعظم نجد إشارات عديدة إلى نساء قمن بتحبيس أملاكهن على الجامع الأعظم فمثلا نجد إشارة في هذه القائمة إلى" عقد الدار الكائنة بحومة السلاوي قرب سيدي الجودي تحبيس الولية الزهرا بنت علي بتاريخ 1037هـ" (1662 -1663 م)[1].

وعقد آخر يتضمن "عقد العلوى مع حانوتها قرب سوق الغزال ربعها لفقراء جزاير وربعها لمسجد سيدي رمضان تحبيس خديجة بنت حسن بتاريخ 1103هـ(1691 - 1692م)[2] ؛وكذلك نجد دائما في هذه الوثيقة إشارة إلى "عقد قديم يشتمل على الدار والحانوت قرب جامع الأعظم تحبيس الولية ميمونة بنت عبد الله"[3].

---

[1] علما أن المحبسة المذكورة ضمنت في عقد التحبيس أن يكون الحبس المذكور بعد وفاة العالم المذكور على ولده الشاب علي ونسله إلى انقطاع عقبه على الشرط المبين أعلاه وبعد انقطاع العقب يكون المرجع فقراء المدينة المشرفة وعلى من هو بالحاجة{من أهل العلم} على أن يقرأ في كل شهر ختمة من كتاب الله عز وجل وذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله سبعين ألف مرة في كل شهر رجب أي أن الاستفادة تكون مناصفة بينهما أي شطر للفقراء وشطر لمن يقرأ لها أنظر: الوثيقة رقم 55عقد تحبيس إحدى نساء مدينة الجزائر،في العلبة 41-1تاريخها أواسط شهر قعدة الحرام 1056 هـ(1646م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[1] عبد الجليل التميمي، وثيقة ...،المصدر السابق،58

[2] المصدر نفسه

[3] المصدر نفسه، ص60

و ورد في وثيقة أخرى ما يؤكد اهتمام نساء مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة بالناحية الدينية وادركهن لأهمية القرآن ،وأجر تلاوته، وتتمثل هذه الوثيقة في عقد تحبيس ووقف من طرف امرأة بتاريخ أوائل ربيع الثاني من عام سبعة وتسعين والف1097هـ(1685م)؛ حيث:

" قامت الولية الزكية الفاضلة عايشة المدعوة عويشة بتحبيس جميع الدار التي تملكها وعلويها على من يقرأ حزب القرآن العظيم على والديها مصطفي وفاطمة وولدها محمد بن محمد رءيس {كذا} وشقيقها بل شقيقتها خديجة وعلى من يتوفى لها بعد وجعلت النظر في ذلك لها تقبض غلتها وتصرف لمن ذكر فان{كذا} توفيت فيكون الحبس المذكور على من يقرا{كذا} على من ذكر وعليها ويكون النظر في ذلك لابنتها نفوسة بنت.....تقبض غلتها فتصرفها على قراءة من ذكر فإن توفيت نفوسة المذكورة فيكون الحبس المذكور على من يقرا{كذا}عليها وعلى من ذكر فيها ويكون النظر في ذلك لحفيديها المكرمين الخيرين وهما السيد مصطفي وعبد الرحمن ولدي الحاج ابراهيم بوضربة يتصرفان في ذلك تصرف من ذكر وعلى من مات منهم ومن اولاد {كذا} ابنتها نفوسة واعقابهم {كذا} واعقاب اعقابهم{كذا}ما تنسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام فإن انقرض الجميع فإن الحبس المذكور يرجع لفقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة زادهما الله تعلى شرف ويكون النظر في ذلك لوكلاء الحرمين الشريفين يقبضون غلته ويصرفونها لمن ذكر على ماجرت به العادة في ذلك كل عام.....»[1].

وما سبق يعطينا صورة مغايرة لما هو سائد في المصادر الأجنبية التي تصور بأن اهتمامات النساء في مدينة الجزائر كانت تنحصر في العناية بزينتهن، وأزيائهن، وحضور الأعراس، وما شابه ذلك، و تبقى المعلومات التي نملكها حول المرأة ،و دورها، و اهتماماتها في مجتمع مدينة الجزائر و لاسيما في الفترة المدروسة قليلة[2] ،و غير دقيقة بالشكل المطلوب و المتوفرة منها تحتاج إلى التمحيص،و الغربلة لأن معظمها تدور على لسان أسرى و رجال دين مسيحيين لم يكونوا

[2] الوثيقة رقم45 "رسم يتضمن تحبيس دار علوية أعدت لقراءة القرآن لصالح الوقف بإشراف القاضي الموثق "، في العلبة 76-1 تاريخها 1097 هـ(1686 م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

[2] وتعتبر الأستاذة الباحثة عائشة غطاس من أوائل الباحثين الذين اهتموا بموضوع المرأة خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق المحلية وبخاصة عقود المحاكم الشرعية ودعت إلى ضرورة تخصيص دراسات أكاديمية لهذا الموضوع أنظر:عائشة=

على إطلاع كاف على الحياة الاجتماعية، و القواعد التي كان يسير عليها المجتمع المسلم مما جعلهم يعيدون في الكثير من الأحيان أحكام سطحية،أو مجرد تخمينات، فضلا عن النقذ والأحكام المسبقة الغالبة عليها ولهذا ينبغي العودة أيضا إلى المصادر المحلية متى توفرت كوثائق الرصيد العثماني من عقود تحبيس ،وبيع وشراء، وتقسيم تركات وغيرها لأحداث موازنة ومقارنة بينهما.

و مع ذلك تبقى بعض الآثار المادية التي تعود إلى تلك الفترة من ناحية الأعمال اليدوية و خاصة المتعلقة منها الملابس التي لاتزال تحتفظ بشكلها ،و جمالها ،و رونق وتألق ألوان خيوطها الملونة،و الذهبية ،والفضية ،و تعد نماذجها المتواجدة في المتاحف من أبرز الأدلة على مهارة، و براعة المرأة الجزائرية في الأعمال اليدوية و لعل تواصل، و امتداد تقنيات الطرز المختلفة من مجبود و فتلة[1]. و غيرها إلينا دليل على ذلك لأنها كانت، و لاتزال تشكل جزء من تراثنا الموروث من الأم إلى الابنة فالحفيدة.

و تواجدت في مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني إلى جانب كل من النساء المسلمات -بما فيهن العلجيات- ،والأسيرات المسيحيات نساء يهوديات؛ فقد أشار إليهن هايدو في أواخر القرن 10هـ(16م) ضمن حديثه عن نساء مدينة الجزائر ،واعتبرهن أكثر عناية وإنتاجا من المسلمات فيما يخص الأعمال المنزلية،فقد كن يحسن الخياطة ،والنسيج والغزل ،و يقمن بمختلف الأشغال لكسب حياتهن ،ولم تكن تذهبن إلى الحمامات العامة و لهذا فقد كن وسخات [2]،و رائحتهن تشبه دوما رائحة التيس[3]. وذكر هايدو أيضا أن المرأة اليهودية كانت

=غطاس إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر،في المجلة التاريخية المغربية،العدد19-20، تونس، السنة السابعة أكتوبر 1980 كما توجد بعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع واقع المرأة في مدينة الجزائر بالنسبة للقرن 12 هـ/ 18 م-13هـ/19م على ضوء دراسات الأستاذة عائشة غطاس عن الموضوع مثلا دراسة الأستاذة الباحثة خيراني ليلى، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818-1830م : مستنبطة من مصادر أرشيفية،رسالة دكتوراه في التاريخ لحديث إشراف أد.قشاعي فلة قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعدا لله ،الجزائر 2013

[1] أنظر الفصل الثاني من هذا الباب

[2] أنظر مناقشة هذه الفكرة في الباب الثاني من هذا العمل فصل المرافق المائية والصحية.

[3] Topographie…" ,In: **R.A.**, T.15, 1871,p.202

دائما أكثر عناية،و اهتماما بتربية أطفالها ، وأشد حنانا وحنوا عليهم ، إلى درجة يصعب فيها تخيل مدى مقدار محبتها لأطفالها[1].

و يبدو أن المرأة اليهودية على وجه العموم كانت كالمرأة المسلمة في حياتها العامة تعيش في البيت أساسا في جو محافظ أقل محافظة منه لدى المسلمين لأنها كانت تتمتع بحرية أكبر في الخروج[2]. و من ثم كانت المرأة اليهودية متأثرة بالمرأة المسلمة في نشاطها ،و سهرها على مختلف الأشغال المنزلية[3].والعناية والاهتمام بأفراد أسرتها مما ساهم في توفير حياة أسرية تتميز بالهدوء ونوع من السعادة ،والهناء ،والاستقرار ،وقد يكون هذا ما يفسر أن الكثير من الأسرى المسيحيين تأثروا بنمط الحياة الأسرية في مدينة الجزائر ،و بجاذبيتها مما جذبهم إلى اعتناق الإسلام لينعموا بحياة عائلية هنيئة في ظل تعاليمه السمحة، والدليل على ذلك تكوينهم لأسر في أوساط مجتمع مدينة الجزائر بعد أن أصبحوا مسلمين معروفين تاريخيا بمصطلح "الأعلاج" ، أو "المهتدين ".

و في ختام هذا الفصل يمكن القول أنه كان للمرأة بمدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني مكانة هامة ودور فعال في المجتمع من حيث مساهمتها في تنشيط مختلف المجالات التي تصب في إطار خدمته وضمان فعالياته الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والمحافظة على الموروث الحضاري للمدينة ،ومجتمعها، والعمل على إثراءه وتأكيد وتعزيز أواصر الروابط العائلية والاجتماعية ولاسيما من خلال المشاركة في كل ما يصب في بوتقة التكافل الاجتماعي.

[1] Ibid.,p.216

[2] فوزي سعد الله ،المرجع السابق، ص .135

[3] أحمد توفيق مدني، الجزائر...، ص.213

خاتمة الباب الثالث:

مما سبق نستخلص ما يلي:

1-أن فعاليات سكان مدينة الجزائر ،واهتماماتهم الاجتماعية، كانت متنوعة، وتجسدت في عادات، وتقاليد كثيرة في الفترة موضوع هذه الدراسة .

2-أن العادات، و التقاليد التي كانت سائدة في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني كانت تستمد أغلب طقوسها، وأصالتها من الدين الإسلامي.

3-أن تلك العادات ،والتقاليد أدت دورا بارز في تنشيط العلاقات الاجتماعية خلال هذه الفترة لكونها كانت مناسبة لالتقاء الأهل ،والأحباب، وتقاسمهم الأفراح، والأحزان معا كالأعراس ،والمآتم ،فقد كانت لها دور في توطيد أواصر القرابة والصداقة بين سكان مدينة الجزائر وتجسيد مثل وقيم أخلاقية وإنسانية كمد يد العون للمحتاجين ؛ فالعادات والتقاليد كانت ولا تزال رمزا للتفاعل الاجتماعي الإيجابي وحاجة الإنسان لغيره وللتعبير عن أفكاره وأحاسيسه المختلفة؛ كما ساهمت في تقريب الحكام من السكان، واجاد فضاءات للتواصل بينهم كالاحتفلات التي كانت تقام بمناسبة الأعياد الدينية.

4-أن الجماعة اليهودية تأثرت بمجموعة التقاليد ،والعادات الاجتماعية الدينية لدى سكان مدينة الجزائر المسلمين، ولاسيما فيما يتعلق بحفلات الزواج، والميلاد، وكذا الملابس والمأكولات ومن ثم كان هناك تشابه كبير في أسلوب العيش بين المسلمين، واليهود إذ أنهم قلدوا المسلمين في عدة نواحي تتعلق بالحياة الاجتماعية، وهذا دليل على التفاعل الاجتماعي الفعال بين مختلف المجموعات السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني بغض النظر عن انتمائها، وأصولها، وديانتها، ودليل على جاذبية التقاليد والعادات التي كانت تسود في أوساط المسلمين، وتستمد أصولها من الإسلام الذي يتماشى مع فطرة الإنسان والدليل العناصر اليهودية التي اعتنقت الإسلام في مدينة الجزائر.

بالرغم من تقليد اليهود للعديد من العادات السائدة لدى المسلمين فإنهم احتفظوا بطقوسهم الخاصة التي كانت تميزهم عن غيرهم، وكانت طقوس اجتماعية تستمد في أغلبها من ديانتهم التي كانوا يمارسونها بكل حرية في إطار من التسامح الديني.

5- تمتع ا المرأة في ظل الحكم العثماني بمدينة الجزائر بالاحترام، و الحقوق التي كفلها لها الإسلام ولاسيما استقلاليتها المالية، وحرية التصرف في أملاكها، وأموالها، وحسن توظيفها لهذه الاستقلالية لما فيه صالحها، وصالح بقية أفراد المجتمع وفي مقدمتهم أفراد أسرتها.

6 -إن التنوع المذهبي الذي شهده مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ساهم في تنشيط حياته الاجتماعية واليومية بصورة إيجابية و نجح في تقديم حلول شرعية للمشاكل والقضايا التي كانت تعترض أفراده في جو من التكامل ،وإن وجدت بعض الاختلافات في الآراء فإنها لم تتعدى مجالس المناظرات بين علماء المذهبين ولم تؤثر وتولد توترات وصرعات مذهبية في أوساط المجتمع لإدراك مجتمع مدينة الجزائر وفي مقدمتهم علمائهم أن التنوع المذهبي ثراء ومكسب للمجتمع يزيده تماسكا ،ووحدة وليس فرقة وصراعات ،وقد يكون ماساهم في تحقيق ذلك أن الحكام العثمانيين لم يسعوا إلى فرض المذهب الحنفي على حساب المذهب المالكي ،وأن كل من المذهب المالكي، والمذهب الحنفي مذهبين سنيين ،و لا خلافات جوهرية بينهما ،وأن المذهب الإيباضي بقي محصورا في جماعة بني ميزاب ،وجماعة الجرابة وتم احترام أتباعه من طرف الحكام العثمانيين.

7-إن التكافل الاجتماعي في أوساط مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني لم يكن ممارسة مؤقتة أو مرتبطة بمناسبات معينة بل ممارسة متجذرة فيه ،وتتميز بصفة الديمومة ؛فكانت من الممارسات اليومية الهامة ؛والتي تجسدت في مظاهر متنوعة ،وعمل الخير والاحسان لدى سكان مدينة الجزائر لم يقف عند حاجز العرق، أو اللون ،أو اللغة، أو الدين ،أو الجنس، أو النوع حيث استفادت الحيوانات أيضا من هذه الصفة الأخلاقية الإنسانية التي كانت تزيد مجتمع مدينة الجزائر تماسكا وتلاحما في ظل الحكم العثماني .

8 –تأثير العثمانيين في المجال الاجتماعي من حيث العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية بمجتمع مدينة الجزائر لا يعنى بأي حال من الأحوال أن هذه الظاهرة كانت أحادية الاتجاه فكما أثروا هم تأثروا أيضا بالعديد من العادات والتقاليد المحلية التي كانت متداولة وممارسة لاسيما في مجال الأزياء والمأكولات ومثال ذلك تبنيهم لطبق الكسكسي الذي أضحى من الأطباق المحببة لديهم ،وكذا ارتدائهم لرداء البرنوس وهو دليل على احترام الحكم العثماني للخصوصيات الحضارية المحلية ؛التي كانت تميز مجتمع مدينة الجزائر وأن تأثيره في هذا المجال لا يتعدى عن كونه محاولة للمحافظة عليها و إثرائها وليس محاولة لمحوها ،وطمسها،واستبدالها.

الخاتمة:

نستخلص مما تقدم ذكره جملة من الآثار التي ترتبت عن الحكم العثماني لمدينة الجزائر في الميدان الاجتماعي خلال القرنيين 10 ه(16 م)-11 ه(17 م) -بالإضافة إلى ما ورد من استنتاجات في الخواتيم المرحلية للفصول والأبواب الثلاثة المشكلة لهذا العمل-هي تمتثل فيما يلي:

1- أصبحت التركيبة السكانية لمجتمع مدينة الجزائر تركيبة تتميز بتنوع أصول سكانها "**كزموبولتية** (cosmopolite)؛حيث ساهم الحكم العثماني بمدينة الجزائر في المحافظة على تركيبتها السكانية الأصلية ،و أدى في آن واحد إلى إثراءها بعناصر سكانية جديدة: أتراك عثمانيين –كراغلة –أعلاج –أسري مسحيين ،وتعزيز تواجد عناصر سكانية أخرى من حيث تعدادها : كالأندلسيين واليهود .

2-أضحت مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني محطة جذب للسكان ومقصدا للعديد من العناصر السكانية للتطور، والازدهار الذي أصبحت عليه وبالنظر إلى وضعها الإداري والسياسي كونها عاصمة البلاد؛ فقد كان يهاجر إليها المهاجرون لأغراض، ودوافع مختلفة و متنوعة: كالأغراض العسكرية للتجنيد في الجيش البري ،أو البحري وهذا حال الأتراك العثمانيين و الأعلاج ،و لأغراض اقتصادية لتحقيق الثراء ،أو تحسين المستوى المعيشي على غرار الوافدين من المناطق الداخلية، والريفية للبلاد "جماعة البرانية "،و لدواعي أمنية لاتخاذها ملجأ آمنا ،ومستقرا وهذا كان حال اللاجئين المضطهدين من الأندلسيين ،واليهود الفارين بأرواحهم ودينهم من وجه محاكم التفتيش الإسبانية.

3- مساهمة الحكم العثماني بمدينة الجزائر في الحفاظ على الموروث الحضاري للمدينة ومجتمعها من حيث رصيد العادات، والتقاليد واستمرارية التفاعل الاجتماعي، و إثرائه بتأثيرات مشرقية عثمانية وبمزيد من التأثيرات الأندلسية- بفضل سياستهم المساندة للمهاجرين الأندلسيين والقاضية بتوفير كل الظروف المناسبة والمشجعة لاستقرارهم في الجزائر بمقتضى الواجب الديني أولا ،والافادة منهم في تثبيت دعائم حكمهم في الجزائر ثانيا - في مختلف الميادين؛ فالعديد من العادات ،و التقاليد التي كانت سائدة في مجتمع مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ (16م) 11هـ(17م) لا تزال باقية إلى اليوم متداولة ،و ممارسة بنفس تفاصيلها ولاسيما فيما يتعلق بتقاليد ،و عادات حفلات الزواج، و الميلاد، والختان إلى جانب تلك العادات والتقاليد المرتبطة

بالمناسبات، والأعياد الدينية كإحياء ليلة القدر ، و غيرها و لعل في ذلك نموذج حي للتواصل الحضاري بين الأجيال من جهة، ودور التفاعلات الاجتماعية الفعالة والإبداعية السائدة في أوساط المجتمعات في تشييد صرح التراث الحضاري الوطني وهذا ما حققه مجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة المدروسة؛ فقد نجح في إرساء أسس صميمة لعادات وتقاليد لا تزال تجد إقبالا عليها وتمسكا بها من طرف أجيال اليوم ،ومن هنا يستمد التاريخ حركته و حيويته التي لا تنضب لأنه تاريخ مجتمع لا أفراد منعزلين.

4- تقوية وتعزيز انتماء المدينة للفضاء الإسلامي من خلال التمسك بالدين الإسلامي والاحتفاء بالمناسبات الدينية كشهر رمضان، و المولد النبوي الشريف ،وتنظيم قوافل الحج ،والاهتمام بأوقاف الحرمين الشريفين ، وكذلك من خلال الاعتناء بالمنشآت الدينية، و التعليمية الإسلامية من مساجد ، و جوامع ،وكتاتيب ،ومصليات وزوايا و العمل على تكريس مبدأ التسامح سواء كان ذلك على المستوى المذهبي بين الحنفيين ،والمالكيين ،و الإيباضيين أو على المستوى الديني العقائدي أي اتجاه أهل الذمة اليهود ،والمسيحيين من خلال الحرية الدينية ،وضمان الحقوق التي منحت لهم كحق العمل، والعلاج ،والترفيه.

5- قيام النظام العثماني أدى إلى تزويد مدينة الجزائر بجهاز إداري فعال من حيث تلبيته للاحتياجات والمتطلبات الأساسية للمجتمع من الأمن ،و النظافة ،و المياه وهو مزيج من التقاليد الإدارية الموروثة، والمستحدثة ومن أهم تفرعاته المستحدثة التنظيم الذي أقيم للسهر على كل ما يتعلق بالمياه هذا العنصر الحيوي من قنوات لنقل المياه وعيون وآبار، وغيرها والذي كان يترأسه مسؤول يعرف بقائد العيون ، وكذا التنظيم الإداري الخاص بالحفاظ على نظافة المدينة والذي كان على رأسه موظف يدعى بقائد الزبل ،و كذا قائد الشوارع الذي كان مكلفا بتنظيف المجاري وتبليط الشوارع ومن ثم إيجاد وظائف إدارية تصب كلها في إطار صالح مجتمع المدينة ،وتوفير احتياجاته الضرورية.

6- قيام النظام العثماني في مدينة الجزائر وتشجيعه لهجرة الأندلسيين واستقرارهم في مدينة الجزائر ساهم في تطوير عمران المدينة و اقتصادها بمختلف مجالاته: الفلاحية،والحرفية،والتجارية وكذلك تشجيعه للغزو البحري ودور هذا الأخير في تزويد المدينة بمختلف السلع وتحريك عجلة اقتصادها.

7- قيام النظام العثماني عمل على تعزيز ارتباط، مدينة الجزائر ،وتواصلها مع مجالها الحيوي المتمثل في الفحص وفي سهل متيجة، ومن ثم وجود علاقة وطيدة بين المدينة والريف؛ فالريف كان مصدرا لتمويل المدينة بمختلف احتياجاتها ،وباليد العاملة في حين كانت المدينة بالنسبة لسكان ريفها فضاء للعمل، ولتصريف منتجات الريف لما تتوفر عليه من أسواق .

8-إن قيام النظام العثماني في مدينة الجزائر ساهم في المحافظة على جملة من القيم والمثل الاجتماعية، والأخلاقية و ترسيخها كالعمل من أجل المصلحة العامة ،والتكافل الاجتماعي- ولاسيما من خلال الأوقاف-و الحفاظ على النظافة، والتسامح، والحفاظ على الأمانات والسعي لإصلاح ذات البين ؛حيث شكلت هذه القيم والمثل لبنة هامة من لبنات اللحمة الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر؛ والتي تجسدت العديد منها حتى في النسيج العمراني للمدينة كالحرص على احترام حقوق الجيرة؛ الذي تجلت ملامحه في النمط العمراني للمساكن .

9- ساهم الحكم العثماني في مدينة الجزائر في ضمان صيرورة الحياة الحضرية المدنية فيها بفضل الجهاز الدفاعي الفعال من أبراج وحصون ،وأسوار ،وخنادق وغيرها الذي زودت بها المدينة ،و التي كانت محل تجديد وصيانة وعناية مستمرة والهدف الأساسي منها كان توفير الأمن والأمان للسكان؛ فكان تحقيق ذلك من الغايات الجوهرية التي ينشد تحقيقها حكام الجزائر في ظل الحكم العثماني؛ بل وكانت مسألة حساسة لدى السلاطين العثمانيين أنفسهم؛ والدليل على ذلك أنه لا تكاد تخلوا مراسلة من مراسلاتهم إلى ولاة الجزائر من التذكير ،والتشديد على ضرورة تحصين المدينة وتسخير كل الإمكانات والطاقات في سبيل ذلك لما له من أثر على استقرار السكان وتفرغهم لأنشطتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

حيث نسجل وجود اهتمام بالغ من طرف أعلى السلطات في الدولة العثمانية بأحوال سكان الجزائر عامة، ومدينة الجزائر خاصة على اعتبارهم رعايا للدولة العثمانية من خلال العمل إلى جانب توفير الأمن والأمان للسكان ،ورد الخطر والتهديد الخارجي الصليبي عنهم على وضع حد لأي اضطرابات داخلية تهدد أمن واستقرار السكان ،أو تماسكهم ووحدتهم وتخلق انشقاقات في صفوفهم وهذا على عكس ما تذهب إليه العديد من الدراسات التاريخية وبخاصة تلك التي تعود إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي؛ والتي تركز على دور الحكام العثمانيين في خلق الخلافات والشقاق بين السكان وضرب طرف بالآخر تطبيقا لسياسة فرق تسد ،ونسجل أيضا حرص هذه السلطات على

تحقيق العدالة وإنصاف المظلومين منهم ،والقصاص لهم وإن كان خصومهم من حكام البلاد ،أو من كبار الموظفين فيها، وإبداء حرص مضاعف لقضية إنصاف فئات المجتمع الأكثر ضعفا كالفقراء ،والمحتاجين وإتباع سياسة اقتصادية ذات بعد اجتماعي وغير ذلك مما يمكن اعتباره بمثابة سياسة وإجراءات تخدم مجتمع مدينة الجزائر وتساهم في تفعيل حياته الاجتماعية وصيانتها مما قد يهدد استقرارها .

10- في ظل الحكم العثماني لم يكن لرابطة القرابة أو الأصل النبيل علاقة في تبوء مكانة اجتماعية معتبرة أو متميزة ذات أهمية في مدينة الجزائر كما كان الحال حينها في أوروبا التي شهدت وجود طبقية فعلية في مجتمعاتها أساسها الأصل النبيل ومدى صلة الدم ،والقرابة مع الملك دون نسيان السلطة التي كان يتمتع بها ممثلي السلطة الدينية الكنسية .

ففي مدينة الجزائر كانت الإمكانات المالية، والمهارات الشخصية المتنوعة ،والعلاقة مع السلطة أي الخدمات المقدمة في سبيل خدمة الدولة ؛ هي التي تحدد وضعية أي جماعة سكانية في مدينة الجزائر وإمكانية الارتقاء في السلم الاجتماعي وأحسن مثال على ذلك الأعلاج الذين كانوا في أغلبهم أصحاب مهارات لاسيما في ميدان الملاحة والإبحار، والمعارك والمناورات البحرية وصناعة السفن وغيرها كما أن تكوينهم لثروات من نشاطهم في إطار الجهاد البحري كرياس بحر أهلهم لتبوء مكانة عالية في السلم الاجتماعي ،وحتى السياسي في الجزائر عامة ؛ ولاسيما خلال مرحلة البايلربايات .ومثال ذلك أيضا جماعة بني ميزاب الذين تمكنوا من تبوء مكانة اجتماعية مناسبة بفضل نشاطهم الاقتصادي ودعمهم الدائم للحكام العثمانيين و لم يكن الدين حاجزا أيضا في بلوغ ذلك ؛والدليل المكانة المتميزة التي كان يتمتع بها اليهود وبخاصة منهم أصحاب الأموال والعلاقات التجارية الواسعة من أمثال "يهود ليفورن".

11- قيام النظام العثماني في مدينة الجزائر سمح ببروز أماكن للراحة وللترويح عن النفس والتواصل والاجتماع ضمن النسيج العمراني للمدينة ؛فكانت المقاهي للرجال، والحمامات للنساء بمثابة نوادي اجتماعية للتحدث، والتبادلات الاجتماعية.

12 – إنشاء المرافق الدينية ،والعلمية من مساجد ،وجوامع ،وزوايا ،وكتاتيب ،وتخصيص الأوقاف لها يعتبر من أبرز أعمال البر ،والإحسان التي كانت سائدة في أوساط المجتمع ،والتي كانت تهدف لتحقيق الصالح العام ،ومساهمة الحكام في ذلك بالعديد من المبادرات دليل على اهتمامهم بانشغالات المجتمع ومشاركتهم فيها ،ومساهمة الأعلاج سواء كانوا حكاما أو من

رجال الدولة-أو كانوا غير مرتبطين بمهام سياسية،أو عسكرية -في بناء المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية والعلمية يمكن أن يعد دليلا على اندماجهم في المجتمع الإسلامي وبذلهم لجهود معتبرة في سبيل خدمته بعد أن أصبحوا يشكلون جزءا منه، فضلا عن تكوينهم لأسر في أوساطه مما يزيد من تأكيد هذه المسألة. كما يعد إقدام الحكام العثمانيين على إدخال تحسينات على مرافق دينية وعلمية مالكية شيدت في مراحل سابقة ،و القيام بترميمها إذا استدعت الحاجة أو بناءهم مساجد جديدة لصالح المذهب المالكي أو تخصيصهم لحلقات ودروس للفقه المالكي في الجوامع والمساجد الحنفية مع العلم أن مذهب السلطة كان حنفيا دليلا على احترام خصوصيات غالبية المجتمع وعلى غياب التعصب المذهبي في أوساطه ،ولعل أدل دليل على ذلك المكانة التي كان يحظى بها الجامع الكبير أو الأعظم لدى المجتمع و ممثلي السلطة لدرجة اختياره ليكون مقرا للمجلس العلمي كما كانت الأوقاف الكثيرة المحبسة عليه نتاج تحبيس أتباع المذهب المالكي وأتباع المذهب الحنفي معا.

15 – ساهم الحكم العثماني في تكريس التعاون، والتكتل ،والتآزر بين أفراد المجتمع في مدينة الجزائر الذي كان سمة بارزة في كل ما من شأنه تحقيق المصلحة العامة للمجتمع؛ فكان كل فرد من أفراده يساهم في إنجاز المشاريع الاجتماعية الهامة كل حسب إمكاناته، وقدراته في جو تسوده الأخوة والتعاون تحت رعاية وإشراف الحكام تطبيقا للآية القرآنية الكريمة"**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** "-سورة المائدة جزء من الآية 2.- وتطبيقا للحكمة العربية القائلة:" في الاتحاد قوة وفي التفرقة ضعف" وقد كان ذلك من أبرز سمات المجتمع، والحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر ومما يدل على ذلك تزويد مدينة الجزائر بتجهيز مائي محكم كان نتاج الحاجة والتعبير عن الرغبة في القيام بعمل خيري في آن واحد .كما عزز بروز النظام العثماني في مدينة الجزائر دور الأوقاف الإسلامية الفعال في تنشيط الميدان الاجتماعي وتوفير عامل التكافل الاجتماعي والمحافظة على حقوق اليتامى، والأرامل وتماسك الأسرة؛ أي توفير نوع من التوازن والعدالة الاجتماعية في أوساط المجتمع ولاسيما بعد إدخاله للمذهب الحنفي الذي شكل خلفية شرعية وفقهية هامة للوقف الذري الأهلي.

16 – إن قيام النظام العثماني في مدينة الجزائر لم ينتج عنه تطوير الخدمات الصحية من حيث توفير المرافق الصحية وفي مقدمتها المستشفيات والصيدليات ،والأطباء و تشجيع تطوير علم

الطب والصيدلة ، أو الحرص على تطبيق إجراءات الحجر الصحي بحسب ما ورد في المصادر الغربية على وجه الخصوص ؛والتي أجمعت على هذه المسائل وعلى غياب شبه كلي للأطباء المحليين و مستواهم المتدني؛ و لكن و انطلاقا من وثائق المحاكم الشرعية نجد إشارة إلى أمين الأطباء في مدينة الجزائر، و في وثيقة أخري ذكرا لحانوت طبيب و هذا التناقض يؤكد أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث؛ ولاسيما من منطلق الوثائق الأرشيفية ،كما لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل الدور الفعال الذي أداه الطب الشعبي وبخاصة طب الأعشاب؛ والذي يعرف حاليا بالطب البديل في توفير علاجات طبيعية فعالة جدا للعديد من الأمراض كان يستند فيها إلى الخبرة والتجربة؛ التي كان يتوارثها المعالج أبا عن جد وعلى الاطلاع على كتب الطب التي ألفت في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية والتي كانت تزخر بها المكتبات وخزائن الكتب العامة والخاصة والتي شكلت إحدي الركائز والروافد الهامة لتطوير الطب الغربي الحديث ولعل أدل دليل على نجاعة هذه العلاجات والممارسات الطبية حرص العديد من الأطباء الغربيين، وعلماء النباتات وبخاصة الطبية منها على زيارة مدينة الجزائر والتجوال في فحصوها والمناطق السهلية والجبلية المحيطة بها بل ومنهم من وسع رحلته العلمية لتشمل مختلف مناطق البلاد للتعرف على ثروتها من النباتات الطبية و أخد عينات منها ،والاطلاع باهتمام كبير على مكونات الأدوية المحلية المستنبطة من الطبيعة ،والعلاجات التقليدية .

و يمكننا التأكيد على أن قيام النظام العثماني في مدينة الجزائر ساهم بشكل غير مباشر في توفير نوع من العناية ،و الوقاية الصحية لمجتمع مدينة الجزائر من خلال الاهتمام بمصادر المياه العذبة، وكذا قنوات تصريف المياه ،والحرص على نظافة المدينة إلى درجة تغريم من لا يحترم قواعد النظافة من خلال إيجاد جهاز إداري خصيصا للعناية بهذا الجانب على مستوى المدينة إذ نعلم اليوم جيدا بما لا يدع مجالا للشك أن المياه النقية ،و النظافة تضمنان الوقاية من الكثير من الأمراض و الأوبئة كما أن القيام ببناء الحمامات كان يندرج في هذا الصدد إذ لا تخفى علينا الفوائد الصحية و العلاجية التي كانت توفرها هذه الأخيرة وكان مجتمع مدينة الجزائر يدعم ذلك من خلال التزامه بقواعد النظافة إلى حد كبير، و حرص أفراده على التنظيف اليومي لمنازلهم من الداخل وعنايتهم بنظافتها الخارجية بتبييضها بالجير كلما دعت الحاجة إلى ذلك؛ فقد كانت تلك من أولويات المجتمع وبمثابة ثقافة سائدة لديهم وهذه العناية الصحية الغير مباشرة فضلا عن النمط

الغذائي المتوازن الذي ميز مجتمع مدينة الجزائر ،وميلهم للنشاط البدني من خلال أعمالهم اليومية أو من خلال ممارستهم للرياضة جعل المصادر الغربية تشيد بالمستوى الصحي لسكان مدينة في الأحوال العادية أي خارج هجمات وباء الطاعون الذي كان يصيب البلاد نتيجة مؤثرات خارجية.

17 – حافظت المرأة في مجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني على المكانة التي يكفلها لها الإسلام مما مكنها من أداء دور ايجابي، و فعال جدا في الحياة الاجتماعية ومن المعلومات الواردة في هذا الصدد، يتضح أنها كانت تقوم بدور هام على عدة مستويات في الوسط الأسري كربة بيت تهتم بشؤون كل فرد من أفراد عائلتها إلى جانب قيامها بمختلف الأشغال، و المهام المترلية فضلا عن كونها كانت فنانة ،و مبدعة في مجال الصناعة التقليدية الحرفية، و خاصة في مجال الخياطة و التطريز، و غزل الصوف و نسجه مستعملة تقنيات عديدة مبتكرة.

هذا إلى جانب مساهمتها في تمويل المشاريع الخيرية التي تهدف إلى صلاح المجتمع و لاسيما أفراده المحتاجين من خلال تخصيص الأوقاف، و تحبيس الحبوس. كما أن بعض النساء كن يشاركن في عمليات الجهاد البحري من خلال المساهمة في تجهيز السفن البحرية؛ فكن يحققن بذلك غايتين هما الجهاد ضد النصارى، و الحصول على حصة من الغنائم ، و من ثم فقد كان للعديد من النساء في مدينة الجزائر رؤوس أموال تستثمرها في التجارة ،واقتناء العقارات وبالتالي كن تساهمن مساهمة فعالة في تفعيل اقتصاد مدينة الجزائر؛ الذي كان له انعكاسه المباشر على الميدان الاجتماعي؛ فضلا عن توظيفهن لأموالهن، وأملاكهن ،أو حصيلة عملهن في مساندة أزوجهن وقت الأزمات ومن تم دورهن الفعال في الحفاظ على تماسك الأسرة وترابطها.

18–أدى النظام العثماني في مدينة الجزائر وما رافقه من نشاط بحري جهادي وما نتج عنه من أسرى عبيد مسيحيين تعددت أجناسهم ولغاتهم إلى بروز لغة الفرنكا التي كانت تعبر عن تفاعل سكان مدينة الجزائر فيما بينهم ؛و التي تعد أيضا نموذجا حيا لتكيف الإنسان مع محيطه و وسطه المعيش؛ فكانت تعبيرا عن الحاجة البشرية إلى التواصل ،و التفاهم في مختلف المسائل التي تهم و تخص حياة المجتمع من قريب ،أو بعيد، و من ثم صدقت مقولة :"الحاجة أم الاختراع "،و يمكن اعتبار تلك اللغة لهجة متوسطية –خاصة لغرب المتوسط– بالرغم من كونها كانت شديدة البساطة، و جامدة لقلة المفردات المشكلة لها، و عدم خضوعها لقواعد لغوية مضبوطة؛و لكن

ما يثير الإعجاب بها ،و يجعلها لهجة متوسطية أنها كانت تسمح للسكان في مدينة الجزائر بالتفاهم والتواصل فيما بينهم؛ فقد كانت تسمح للمسلم المتحدث بالعربية، أو الأمازيغية أن يفهم الإسباني، أو الإيطالي و العكس صحيح...الخ.

فهي بالتالي كانت بالفعل نتاجا إنسانيا من حيث كونها مزيج عدة لغات، وكانت دليلا واضحا على ضرورة التعايش، و التواصل بين مختلف الجماعات السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر الأصيلة منها، و الدخيلة، و من ثم فقد كانت من وجهة نظري عامل تواصل، و لا أقول تجانس بين مختلف العناصر المشكلة للمجتمع؛ فكانت أقرب من اللهجات الإقليمية المحلية منها إلى كونها لغة إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تساعد على خلق جو من التفاهم، و التبادل بين السكان بغض النظر عن أصولهم، و إن كان هذا التبادل محدودا في ميادين خاصة مجال المبادلات التجارية، تفاهم الأسياد مع الأسرى العبيد من الأوروبيين، وتفاهم هؤلاء فيما بينهم –و إن لم ترقى تلك المبادلات إلى مستوى محاولة التبادل الثقافي إلا نادرا على حسب المعلومات المتوفرة في المصادر الغربية – كما ساهم العثمانيون في إثراء الرصيد اللغوي المحلي بمصطلحات عثمانية، و هي دليل على التفاعل الاجتماعي الذي حدث بين العثمانيين وبقية سكان مدينة الجزائر .

19– ساهم الحكم العثماني في إثراء وسائل التسلية، و الترويح عن النفس في مدينة الجزائر من ألعاب متنوعة ،وموسيقى راقية طروب توقظ الحواس و تنمي الأحاسيس، و المشاعر، و تداعب الآذان ،و تنشر الحكم ،و العبر من خلال كلمات الأغاني المختارة ولاسيما التواشيح والمدائح الدينية ؛ فقد كان مجتمع مدينة الجزائر يدرج ،و يخصص في إطار حياته الاجتماعية اليومية ساعات للترفيه عن النفس؛ فكانت الألعاب المتنوعة مثل المصارعة ،و الموسيقى خاصة بكل طبوعها الأندلسية والشعبية، والعثمانية كالقراقوز وسائل للترفيه لا غنى عنها ؛فقد كانت إلى جانب دورها الترفيهي بمثابة مناسبات اجتماعية حيث كانت تجتمع مختلف الجماعات السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائربغض النظر عن أصولها للتفرج ،و الاستمتاع ،و بذلك خلق نوع من الإحساس المشترك بمعنى أخر كانت تعم الفرحة،والسرور الجميع دون استثناء؛ فكان من حق الجميع الترفيه عن نفسه ؛فحتى الأسرى العبيد أنفسهم، أوجدوا وسائل لقضاء أوقات فراغهم، و مشاركة بقية سكان مدينة الجزائر أفراحهم لاسيما في الأعياد، وكانت الاحتفالات المدرجة في إطار العادات و التقاليد، والمناسبات و الأعياد الدينية كالزواج، و ليالي رمضان، وعيد الفطر، و عيد الأضحى تشتمل على قسط من التسلية و الترفيه.

20-الارتباط الوثيق لمعظم فئات مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني بالطبيعة، والاهتمام بتوفير المساحات الخضراء والبساتين النظرة البديعة ،ومن ثم اتخاذ المناظر الطبيعية منبعا للراحة الجسدية، والنفسية في آن واحـــد بالرغم من أن مدينة الجزائر داخل أسوارها لم تكن تتوفر على مساحات خضراء لكثرة سكانها، وشكل بنائها ؛حيث كانت المنازل المتراصة تتربع على كل المساحة المتوفرة فيها، إلا أن سكانها تمكنوا من تحويل أسطحهم إلى حدائق معلقة على حد وصف المصادر الغربية لها كما لم يكن هناك أحد من سكانها الميسورين إلا وكان يملك دار، ولو صغيرة في فحص المدينة حيث البساتين ،و الأراضي الخضراء، والطبيعة الخلابة ،وأحواض المياه العذبة ...الخ.

وإن كان الميسورين هم الأكثر ،والأوفر حظا في الاستمتاع بمزايا الطبيعة لامتلاكهم دور ريفية "دويرات " إلا أن أغلب سكان مدينة الجزائر بما فيهم النساء ، كانوا يحظون بفرصة قضاء أوقات استجمام وراحة وسط جو جميل منعش ينبض بالحياة ولاسيما في فصل الربيع، والصيف ؛أي الاستمتاع بكل ما توفره الحياة من متع جمالية دون مبالغة وفق حدود مضبوطة؛ أي تحقيق الانسجام والتوافق بين العمل ،والراحة، وذلك التلاؤم ،والتناغم المنشود مع الطبيعة الذي يغني عن كل مظاهر الأبهة والفخامة المصطنعة.

21- شكل مجتمع مدينة الجزائر نسيجا اجتماعيا متنوعا، تمايزت جماعاته السكانية من حيـــث المستوى الاقتصادي والاجتماعي والعلمي ،و لكنه في آن الوقت مجتمع موحد استنادا إلى قيمه ومثله الأخلاقية والاجتماعية المشتركة ،و العادات و التقاليد الموحدة المبنية على روح الشـــريعة الإسلامية بالإضافة إلى عامل الوحدة المبني على أساس الإحساس المشترك بضرورة الجهاد ضـــد الأعداء في إطار عملية الجهاد البحري، وهي رابطة زادتها قوة التهديدات ،و الأخطار المتربصة بالمدينة وأهلها لاسيما التهديد الإسباني؛ هذا الإحساس الذي اشتركت فيه أيضا الجالية اليهودية بعد أن وجدت في مدينة الجزائر الأمن، و حرية المعتقد ،و الملجأ و قد دفعت الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر، و ما كانت تقدمه من ميزات مقتبسة في مجملها من تعاليم الإسلام عاملا هاما دفع بالكثير من أسرى المسيحيين، من الرجال والنساء على حد ســـواء إلى اعتنـــاق الإســـلام و المكوث فيها و اندماجهم في مجتمعها ،ومساهمتهم فيما فيه صلاحه.

22- ساهمت كل مجموعة من المجموعات السكانية في مدينة الجزائر في إثراء الحياة الاجتماعيـــة وخدمتها ،وتنشيطها كل حسب إمكاناته، واختصاصاته من أعلى الهرم الاجتماعي إلى أســـفله

فالكل كان ينشط في إطار الصالح العام، ونخص بالذكر جماعة البرانية فبالرغم من أوضاعها الاجتماعية المتواضعة بصفة عامة إلا أنها كانت تؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية ،واليومية لسكان مدينة الجزائر، من خلال الأشغال ،والمهام المختلفة التي كانت تؤديها هذه الأخيرة.

23 – إن عدم وجود سياسة واضحة المعالم و جهاز خاص يشرف على الميدان الثقافي والتعليمي و يهتم بهذا الجانب الهام لما له من تأثير و انعكاس على الميدان الاجتماعي لا يعني الإهمال المطلق ،و اللامبالاة من طرف السلطة تجاه هذا الأخير ،والدليل المبادرات الفردية للحكام للاهتمام بهذا الجانب؛ و التي تكاد تكون لكثرتها وتكرارها منهجا ،وسياسة ؛ لاسيما فيما يتصل بمجال التعليم ؛ فالعديد منهم ومن أصحاب المناصب العليا والنفوذ والسلطة قاموا بإنشاء عدد من المساجد ولا يخفى علينا أنه كان للمساجد حينها دورا مزدوجا؛ فقد كانت أمكنة للعبادة وللعلم والدراسة في آن واحد، فضلا عن دورها الاجتماعي، وهو نظام بديع كان يجمع بين عبادتين عظيمتين الصلاة، وطلب العلم والاستزادة بما تيسر من ثقافة إسلامية فضلا عن مساهمتهم مع بقية السكان ،واشتراكهم معهم في بناء الكتاتيب، وتخصيص أوقاف لصالحها و لا يخفى علينا دور الأوقاف في تنشيط الحياة الثقافية، والعلمية من خلال مساهمتها في المحافظة على مراكز النشر والإشعاع الثقافي، والعلمي، والعبادة كالمساجد، والكتاتيب، ودفع أجور المعلمين، ومساعدة طلبة العلم...الخ ،و لم تكن هذه المبادرات حكرا على الحكام أي أن جميع أفراد المجتمع وبخاصة الميسورين منهم كانوا يساهمون في بناء ،وفتح مراكز العلم من مساجد وكتاتيب، وغيرها ويسهرون على توفير مصادر لتمويلها وصيانتها كل حسب إمكانياته ،حيث حرص مجتمع مدينة الجزائر على تعليم أبنائه في ظل النظام العثماني ،وتوفير قسط من التربية الدينية لهم لتعينهم في شؤون دينهم ودنياهم ،ما يدخل في إطار العبادات والمعاملات ؛وهذا دليل على أهمية الدين الإسلامي ،ومكانته في المجتمع ،ودوره في الحياة الاجتماعية حينها باعتباره من أهم ركائزها ومصدر مرجعيتها الأول وهو ما نستخلصه من جل المصادر الغربية التي تحدثت عن التعليم .

24– حظي العلماء بمجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني ،بالاحترام والتقدير و شكل ذلك مظهر من المظاهر التي كانت شائعة في المجتمعات الإسلامية حينها ؛حيث كان يحظى العلماء بالتبجيل ،والاحترام دون أن ننسى التأثير الكبير للمرابطين، والأشراف، وأصحاب الطرق الصوفية في المجتمع بالتنسيق حينها مع السلطة، ولاسيما في هذه الفترة المدروسة إذ

كانت العلاقة بين الطرفين على أحسن ما يرام ؛حيث وحد بينهما تبنيهما لحركة الجهاد ضد الخطر المسيحي فضلا عن المصلحة المتبادلة؛ فقد وجد الحكام العثمانيون في القوى الدينية سندا مهما لبسط سلطتهم في حين منحت القوى الدينية جملة من الامتيازات .

25- المرافق الدينية ،والعلمية كالزوايا كانت تؤدي دورا هاما في إيجاد عامل التكافل الاجتماعي في أوساط مجتمع مدينة الجزائر من خلال تخصيص جزء من مداخيلها لتوزع على الفقراء على شكل صدقات ،وإعانات ولاسيما خلال المناسبات والأعياد الدينية. كما أن البعض من هذه المرافق الدينية ،والعلمية كانت في حد ذاتها ومن منطلق تشيدها تعبيرا عن الشعور بضرورة التآزر ،والتعاون ،والتكافل، و أبرز مثال على ذلك زاوية الأندلسيين ،وإلى جانب ذلك ساهمت العديد من الزوايا في تقديم خدمات صحية للسكان في ظل غياب شبه تام لمؤسسات متخصصة في ذلك "المستشفيات".

26- تميز مجتمع مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني بروح الإبداع، والابتكار ،والتي تجلت من خلال ابتكارهم لمختلف الوسائل، والطرق، والأساليب للحفاظ على المورد الأساسي الذي جعل الله منه كل شيء حيا ونقصد به الماء، إذ نسجل أن مجتمع مدينة الجزائر قام بالاستغلال الأمثل للموارد المائية، والتقشف، والمحافظة على هذا المصدر الثمين من خلال العمل على الاستفادة من مياه الأمطار بتخصيص أماكن في المنازل لتتجمع فيها بما في ذلك أسطح المنازل حيث كانت تتجمع بها مياه الأمطار لتنزل، أو تنساب عبر قنوات إلى خزانات موضوعة خصيصا لهذا الغرض في ساحة ،و قبو المنزل؛ حيث كان يتم استخدام هذا الماء لمختلف الاستعمالات المنزلية كالتنظيف وغيره.

وكذا وضع شبكة قنوات لإيصال المياه إلى المدينة من الينابيع، والعيون الموجودة في ضواحيها، وتوفير قنوات لصرف المياه القذرة، كما نجد طرق التسخين المبتكرة والإبداعية للحمامات المنزلية؛ فقد كان يتم تسخين الحمام بفضل بخار الماء الساخن الذي كان يتصاعد من المطبخ بناء على مشاهدة ميدانية في قصر الرياس-حصن الباستيون23-.

وكذلك مراعاة عامل التهوية في المنازل لضمان خروج الغازات السامة عند الطبخ وإشعال الفحم والحطب للتدفئة، بالإضافة إلى مراعاة عامل الإضاءة عن طريق مراعاة تحقيق الاستفادة من نور الشمس عند بناء الدور ، وكذا الحرص على استخدام مواد بناء محلية تقدم عدة ميزات

كاعتماد خشب العرعار الذي يتميز بصلابته ،وديمومته وكذا إبعاده الحشرات الضارة بفضل رائحته المميزة ؛وإن روح الابتكار، والإبداع هذه التي ميزت جوانب عدة من الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر تعكس، وتجسد مدى تكيف مجتمع مدينة الجزائر مع محيطه، وتطويع ما تقدمه الطبيعة مع متطلباته واحتياجاته اليومية ، وسعيه المستمر لابتكار واختراع كل ما من شأنه أن يضفي على حياته بعض السهولة ،والراحة -بمثابة نوع من التكنولوجيا إن صح التعبير بالنسبة لذلك الوقت-.

ولعل أهم معيار لتقييم مدى رقي، وتطور الحياة الاجتماعية في أي فترة من الفترات، وأي مكان من الأمكنة يجب أن يكون مدى انسجام المجتمع، وتكيفه مع محيطه ودرجة نجاحه في استغلال كل ما في حوزته لتحقيق ذلك الانسجام والتناغم؛ أي مسايرة الأوضاع المحيطة وتطويعها مع ما يتناسب وحاجات المجتمع، ويضمن صيرورة الحياة الاجتماعية دوما إلى الأمام فالابتكار والإبداع عكس الجمود ؛إذ يعطي حركية ،وتجديدا للمجتمع يتماشى مع التحديات المتجددة للحياة ، والمحيط، وهذا ما يبدو أن مجتمع مدينة الجزائر قد حققه في الفترة المدروسة إلى حد ما.

27- إن الهندسة المعمارية للمنازل في مدينة الجزائر خلال المرحلة المعنية بهذه الدراسة وضعت وفق احتياجاته العائلات، وحسب متطلبات الحياة اليومية، فقد كانت توفر الراحة، و الطمأنينة والأمن فضلا على أنها كانت تعكس تقاليد صميمة في المجتمع كالحشمة، والحفاظ على حرمة العائلة وخصوصيتها ،وحقوق الجيرة وهذا ما تضمنه السقيفة كما أنها كانت تبنى وفق ما تستلزمه الحياة الأسرية الموسعة إذ نسجل استغلال أمثل لكل ركن من أركان المترل.

مع الإشارة إلى أن تلك المنازل كانت تختلف من حيث حجمها، ومواد البناء المستعملة في بنائها -وإن كانت جل المواد المستخدمة محلية - تبعا لإمكانات سكانها ومع ذلك ؛فقد كانت تتم وفق مخطط واحد موحد ونسيج عمراني متناسق يؤكد انتماء المدينة إلى الفضاء الحضاري الإسلامي حيث كان يعكس جملة من القيم ،والمثل الاجتماعية التي سادت حينها في مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني وهو ما يجب أن يعكسه النسق العمراني للمدينة؛ أي أن يعكس بوضوح غير قابل للالتباس هويتها الحضارية ؛وهذا ما نحتاج إلى الاقتداء به اليوم حيث أصبحت جل مدننا مجمعا لأطرزه ،وأنماط عمرانية متنوعة جدا ،ومختلفة لا نكاد نستشف من خلالها انتماء حضاري محدد المعالم.

وقد امتد حرص سكان مدينة الجزائر على تأكيد هويتهم ،وانتماءهم الحضاري في ظل الحكم العثماني إلى تأثيثهم لمنازلهم؛ فلم يكن قليلا، أو تافها كما وصفه بعض الرحالة والكتاب الغربيون الذين تناولوا هذا الموضوع من أمثال الأب هايدو فكثرة، وتنوع الأثاث كان يختلف باختلاف الإمكانات والمكانة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر لكنه كان يشترك في كونه عمليا و ينم عن ذوق رفيع ويستمد أصوله في أكثره من التقاليد الحضارية الإسلامية وإن الآثار المتبقية منه في متحف الباردوا، و متحف الفنون و التقاليد الشعبية ،ومتحف الآثار القديمة والإسلامية تدل على ذلك وعلى دقة صنعه، وإنه فعلا مستمد من حضارتنا من خلال النقوش والكتابات الموجودة عليه من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأدعية...الخ فضلا عن زخارف ونقوش وأشكال هندسية جميلة تتماشى وحضارة وتعاليم الإسلام ؛ فلا نجد عليه مثلا تصوير أو تشخيصا للإنسان أو الحيوان؛و إن وجدت فترسم بأسلوب محور و رمزي.

وهذا ما نجده على الصناديق الخشبية، والأواني النحاسية؛ والتي كانت ،ولا تزال تبرز دقة وإتقانا في الصناعة التقليدية الحرفية الموروثة أبا عن جد، وهذا لا يمنع من استيراد بعض الأواني كالخزف الصيني، أو بعض الأثاث من دول أوروبية ،أو مشرقية ،و غيرها؛ فهذا كان أمرا طبيعيا ولعل الأجمل هو ذلك الذوق الجميل الذي كان يظهره، ويبرزه ذلك المزج بين مختلف التحف والأدوات المحلية، وتلك المستوردة سواء من حيث مواد البناء، أو الأثاث، وحتى الأواني الموجودة في المنازل والقصور ؛أي استعمال ،أو استيراد ما يتماشى مع المحيط العام للمترل وطابعه المميز.

ومن ثم بقى الطابع الحضاري الإسلامي هو المسيطر سواء في الجانب العمراني أو من ناحية ترتيب وتأثيث المترل، وهنا نشير إلى أن وجود أدوات وأواني، وأثاث مستورد دليل على ازدهار عمليات الجهاد البحري و التجارة الخارجية لمدينة الجزائر ، ورغم وجود هذه الكماليات المستوردة خاصة في المنازل، والقصور التي كان يملكها الأغنياء، وأصحاب الامتيازات من رجال السلطة فإن البساطة كانت السمة البارزة لمعظم المنازل البساطة المرفقة بلمسة من الجمال والأناقة، والذوق المتميز؛ فقد تميز مجتمع مدينة الجزائر في ظل الحكم العثماني بذوقه، وحسه الفني الراقي سواء تجلى ذلك في الجانب العمراني ،أو في اللباس ،والأزياء وهذا دون نسيان المجال الموسيقى.

ويتضح ذلك من خلال عرض بعض النماذج العمرانية كالقصور، والمساجد، والمنازل وكذلك الألبسة، و الآلات الموسيقية المتنوعة وحتى في مجال الأطعمة التي تم توارث وصفاتها

جيل بعد جيل إذ لم يكن الطبخ حينها مجرد استجابة لحاجة المرء الطبيعية للغذاء ،أو الطعام بل مجالا خصبا للإبداع ،والتفنن وقد شهد هذا الحس الفني الذي ميز مجتمع مدينة الجزائر تطـــورا إيجابيا في ظل الحكم العثماني بفضل تطعيم وإثراء ذوقه ،وحسه الفني المحلي بتأكيـــد المـــؤثرات الأندلسية من خلال دعم الحكام العثمانيين للأندلسيين ومساندتهم خلال هجرتهم، واستقرارهم بالجزائر عامة ومدينة الجزائر خاصة ،وكذلك بإدخالهم لمؤثرات عثمانية مشـــرقية دون نســـيان إفادته أيضا من المؤثرات الغربية الأوروبية من خلال الأسرى المسيحيين والأعلاج على وجـــه الخصوص الذين سعوا إلى توظيف أحسن ما حصلوه من انتماءهم السابق للعالم الأوروبي الغربي المسيحي في خدمة الإسلام الذي انضووا تحت ظلاله بمدينة الجزائر.

هذه أهم الاستنتاجات المتوصل إليها بعد عملية البحث، وعرض المعلومات وهي تخدم في مجملها الإشكال الذي يبحثه هذا العمل؛ أي آثار الحكم العثماني بمدينة الجزائر في الميدان الاجتماعي ومميزات المجتمع والحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 10هـ(16م) 11هـ(17م)و لابد في الأخير من طرح جملة من التساؤلات التي تسمح بفتح آفاق بحث جديدة من أهمها:

– هل ظل مجتمع مدينة الجزائر متمسكا بكل قيمه الاجتماعية والأخلاقية التي ميزت وطبعـــت حياته الاجتماعية خلال القرنين 10هـ (16م) 11هـ(17م) ؟وهل تعززت هذه القيم ببروز قيم جديدة و فيم تمثلت؟

– هل ستبقى عمليات الجهاد البحري، وتهديدات الدول المسيحية عامل وحدة بين مختلف الجماعات السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر في القرون التالية؟

–هل ستظل مدينة الجزائر قطبا يستقطب مختلف العناصر السكانية الوافدة من دواخل البلاد و من خارجها؟ و بالتالي هل سيستمر النمو السكاني لمجتمع مدينة الجزائر على نفس الوتيرة التي كان عليها خلال القرنين 10هـ (16م) 11هـ(17م) أم سيعرف تغيرا في القرون اللاحقة، وفيما تمثلت أسباب هذا التغير وآثاره؟

– هل سيتواصل الازدهار الاقتصادي الذي شاهدته مدينة الجزائر خلال 10هـ (16م) 11هـ (17م) والذي انعكس إيجابيا على عمرانها ومجتمعها خلال المراحل اللاحقة أم سيعرف تراجعا وفي هـــذه الحالة ما هي الانعكاسات الناجمة عن هذا التراجع بخاصة في الميدان الاجتماعي ؟

الملاحق

1 - الوثائق الأرشيفية

الملحق رقم 1: الوثيقةرقم 31 " رسم بيع وشراء لدار ملك لأختين من نساء مدينة الجزائر" في العلبة 6-1 تاريخها أواخر شعبان عام 1043هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

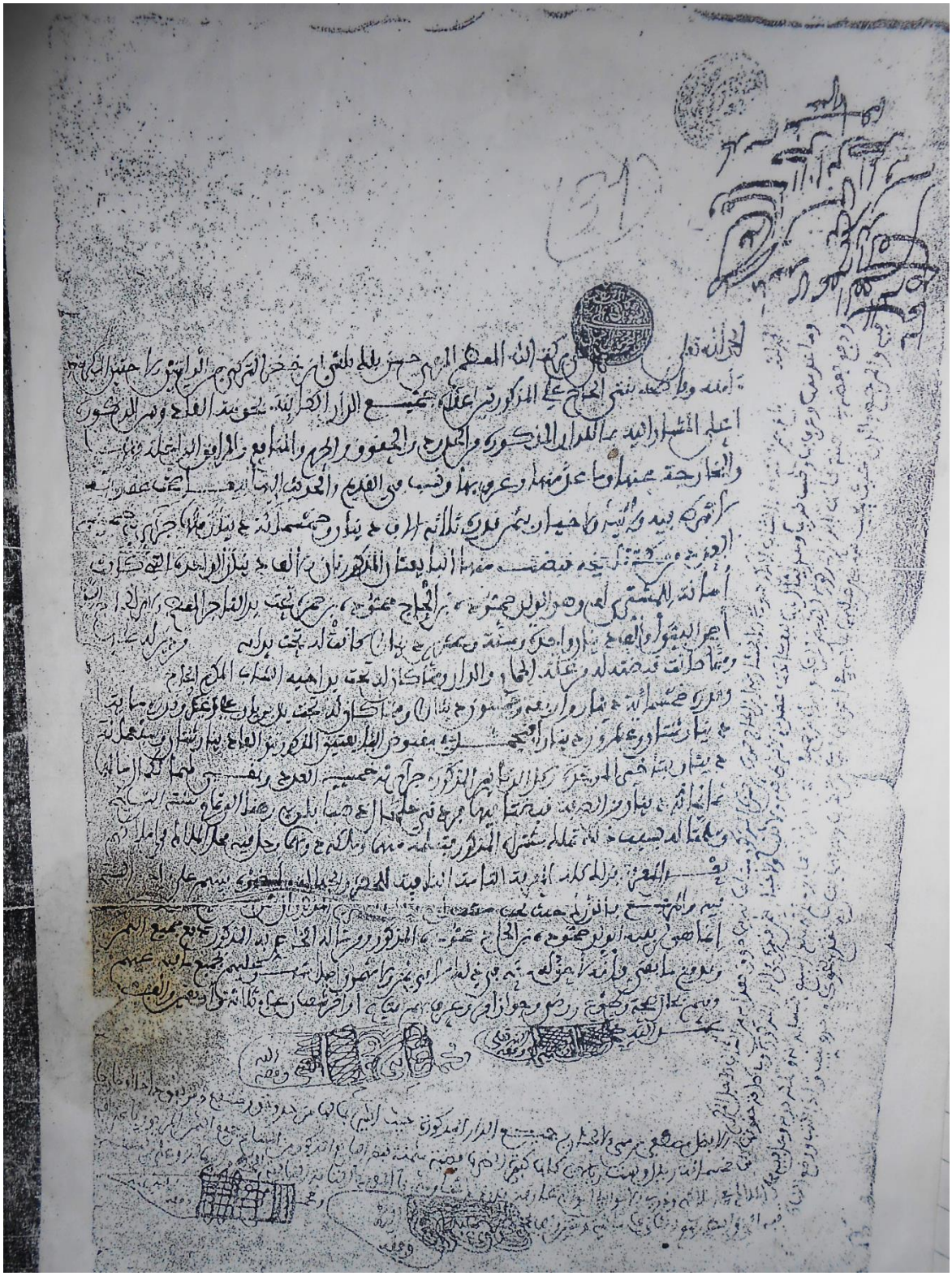

الملحق رقم 1: اعادة نسخ للوثيقة رقم31 في العلبة 6-1 ،تاريخها أواخر شعبان عام 1043هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

" رسم بيع وشراء لدار ملك لأختين من نساء مدينة الجزائر"

"الحمد لله تعلى{ختم دائري} وعلى بركة الله ابتاع المعظم المرعي حسن بلك باشي ابن خضر- التركي من الواليتين الأختين المكرمتين امنة وفاطمة بنتي الحاج على{كذا} المذكورتين اعلاه جميع الدار الكاينة{كذا} بحومة القادوس المذكورة في المشار اليه{كذا} بالدار و الحدود والحقوق و المنافع والمرافق الداخلة فيها والخارجة عنها{كذا} وما عد منها وعرف ونسب في القديم والحديث اليها{كذا} بيعا صحت عقده ان{كذا} لاشرط فيه ولاثانيا ولاخيار بثمن قدره ثلاثة الاف دينار وخمسمئة دينار كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه قبضت منهاالبايعتان {كذا} المذكورتان الف دينار الواحدة التي كانت أمانة للمشتري له وهو الولد حمودة بن الحاج حمود بن حمزة تحت يد التاجر المعظم (....) والف دينار واحدة وستة وعشرين دينار كانت له تحت يد امه{كذا}{ }في دين له عليها ومما كانت قبضته له من غلة الحمام والدار مما كان له تحت يد أخيه الشاب المكرم الحاج{ } وقدره خمسماية {كذا} دينار واربعة وخمسون دينار ومما تحت يد{ عبارة غير واضحة } علي اغا وقدره مايتا دينار ثنتان وعشرون دينار فتجمل{كذا} في مقبوض البايعتين{كذا} المذكورتين الف{كذا} دينار اثنان وسبعمائة دينار بتأخير الموخرة {كذا} كل الدنانير المذكورة جزايرية{كذا} خمسينية العدد وبقي لهما لكمال مالهما ثمانمائة دينار من الصفة قبضتا فيها فردتي{كذا} خلخال ذهبي يكن رهنا وهذا الى تمام سنة التاريخ وسلمتا له بسبب ذلك تملك مشتراه المذكور فتسلمه منها وملكه دونهما وحل فيه محل الملاك في املاكهم{كذا}بعد المعرفة بذلك كله المعرفة التامة النافية للخطر والجهالة بينهم على اخر السنة فيه والمرجع بالدرك حيث يجب انما هي لربيبه الولد حمودة بن الحاج حمودة المذكور ومن ماله الخاص به المذكور دفع جميع الثمن ويدفع ما بقي فإنه لاحق له معه في ذلك لا في ثمن ولا مثموناصلا شهد عليهم بجميع ما فيه {عبارة مبهمة} بحال صحة وطوع ورضى وجواز امره وعرف بتاريخ اواخر شعبان عام ثلاثة وأربعين وألف عبد الله{ختم}" .

في حاشية الوثيقة عقد بيع حمودة بن الحاج حمودة للبيت الذي إشتراه من الأختين":

" الحمد لله باع{كلمة غير واضحة }الشاب الاكرم حمودة الانجشاري بن الحاج حمودة بن حمزة المذكور مبتاعا فيما حوق هذا به من الشاب الاجل المكرم الأفضل مصطفى بن ممي الانجشاري جميع الدار المذكورة حيث أشير بما لها من حد وحق ومنتفع ومرفق داخلا وخارجا وماعد منها وعرف بها{عبارة غير واضحة }...ببيعا حق عقدته لاشرط فيه ولاثنايا ولاخيا ر بثمن قدره في الدار المذكورة وباظافة {كذا} حقوقها من خمسمائة ريال وست ريالات كلها كبيرة الضرب فضية مثمنة قبض البايع المذكور من المبتاع جميع الثمن المزبور باعترافه ودفع بعضه في جنة كانت{عبارة غير واضحة }المذكورة القبض التام وابراه من جميع ثمن{عبارة غير واضحة }...قتسلمه منه وملكه دونه وحل فيه محل المالك في أملاكه وذوي الاموال في اموالهم عارفا قدره ثمنا ومثمونا المعرفة التامة النافية للخطر والجهالة وعلى اجراء{؟} السنة فيه والمرجع بالدرك حيث يجب شهد عليها بما فيه في أحوالها الجايزة شرعا وعرفها بتاريخ تقدم بنحو عام واحد ونيف {؟}واخر الكتب ووضع الشهادة فيه الى

تابع لإعادة نسخ الوثيقة رقم41 في العلبة 6-1 **ص2/2**

أواسط ربيع الثاني عام ثمانية وستين والف {ختمين}".

الملحق رقم 2: الوثيقة رقم 16" رسم تحبيس ذري لامرأة من نساء مدينة الجزائر مرجعه فقراء الحرمين الشريفين"،في العلبة 20 -1 ،تاريخها أوايل صفر الخير عام1094 هـ ،من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

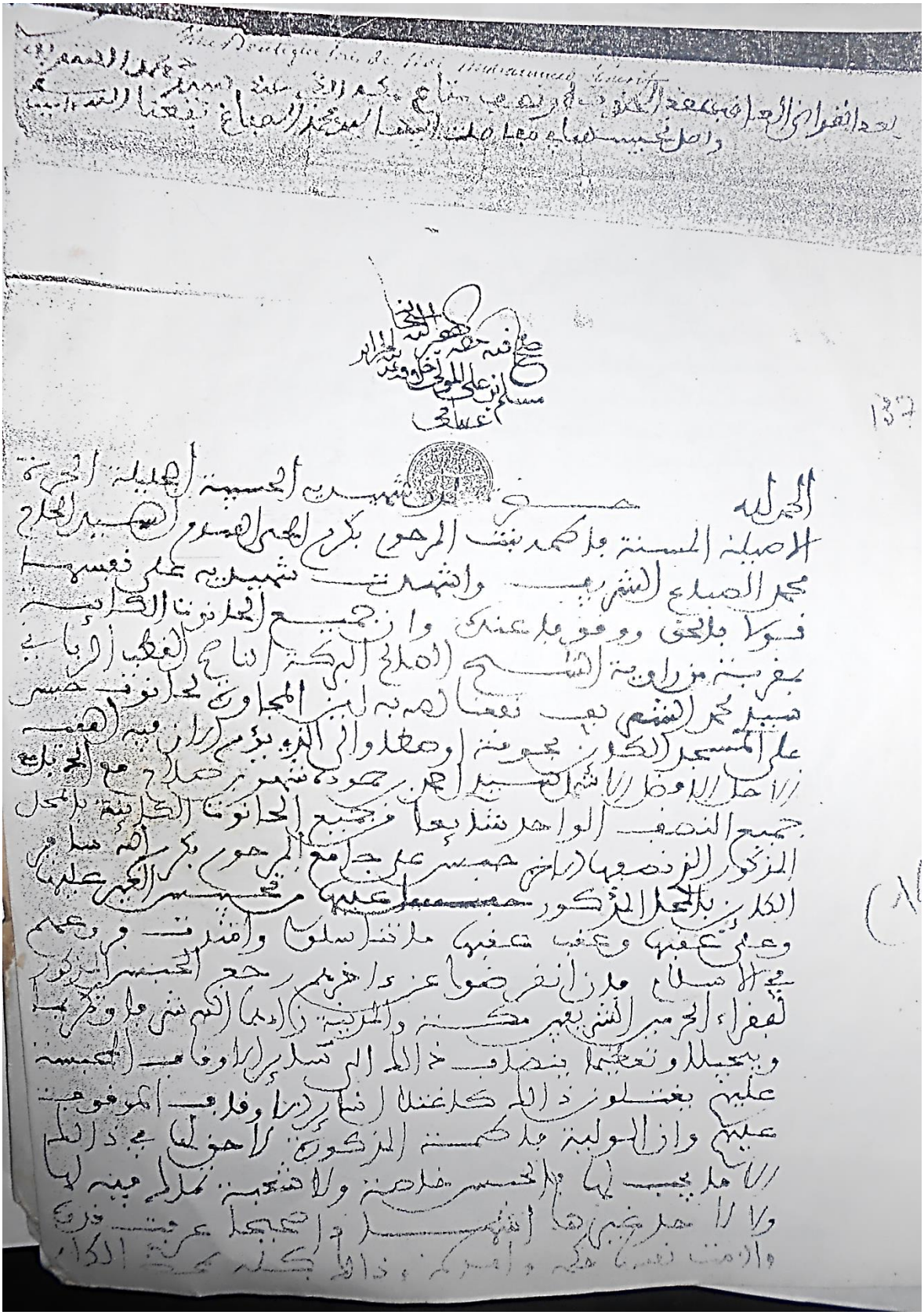

تابع للوثيقة رقم 16 في العلبة 20 -1، **ص2/2**

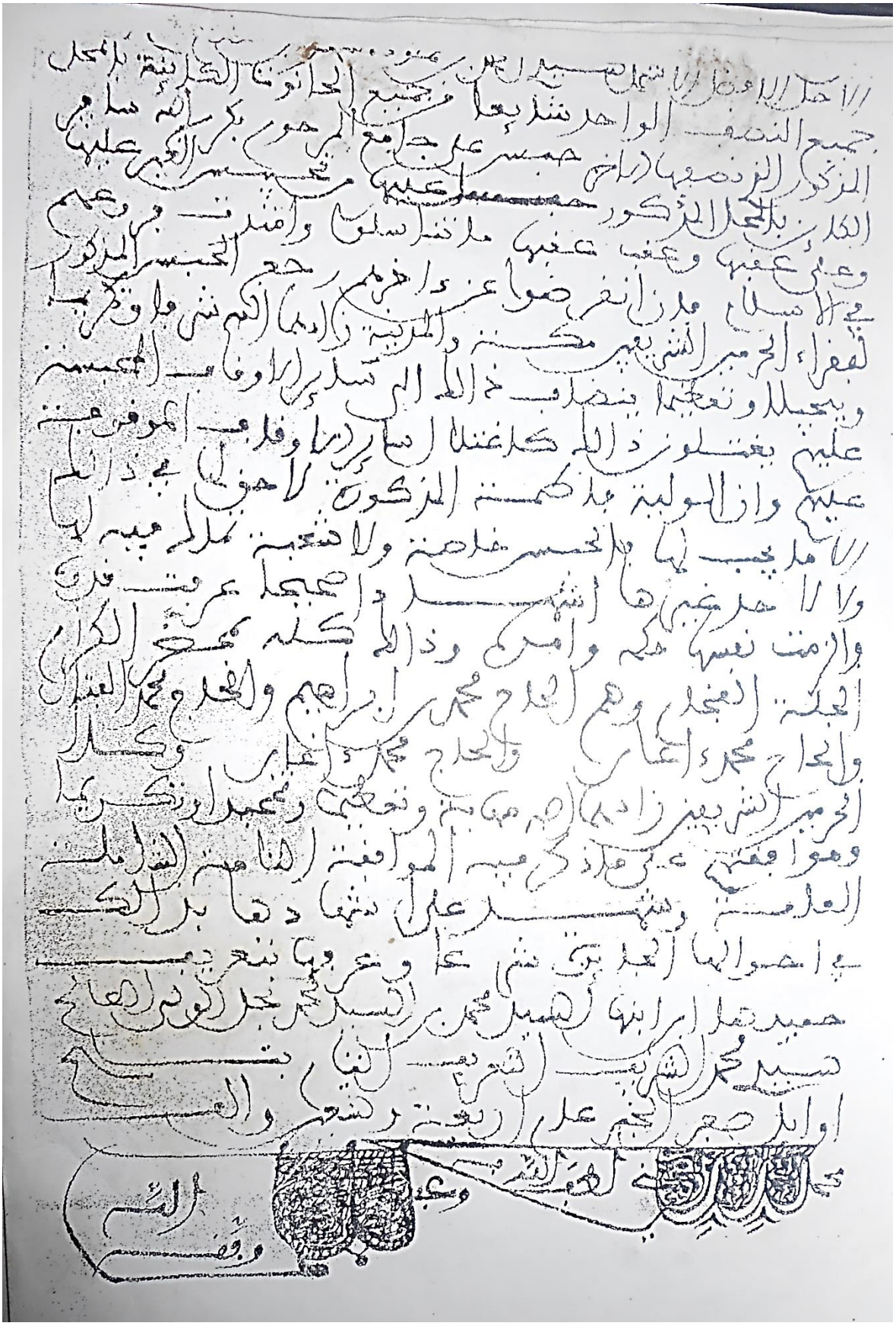

الملحق رقم 2: اعادة نســـخ للوثيقة رقم 16،في العلبة 20 -1 ،تاريخها أوايل صـــفر الخير عام1094 هـ ، من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

" رسم تحبيس ذري لامرأة من نساء مدينة الجزائر مرجعه فقراء الحرمين الشريفين"

"الحمد لله حضر لدى شهيديه الحسيبة الجليلة الحرة الاصيلة المسنة فاطمة بنت المرحوم بكرم الحي القيوم السـيد الحاج محمد الصـباغ الشريف واشـهدت شـهيديه على نفسـها قولا بالحق ووقوفا عنده وأن جميع الحانوت الكاينة(كذا) بمقربة من زاوية الشيخ الصالح البركة الناصح القطب الرباني سيدي محمد الشريف نفعنا الله به أمين المجاورة لحانوت حبس على المسجد الكاين(كذا) بحومة اصطاوالي(كذا) الذي يؤم الان فيه الفقيه الاجل(كذا) الافضل(كذا) الاشمل(كذا) السـيد احمد بن حمودة شـهر بن صـالح ومع {عبارة مبتورة مبهمة}بل مع جميع النصف الواحد شائعا من جميع الحانوت الكاينة(كذا) بالمحل المذكور التي نصفها الاخرحبس على جامع المرحوم بكرم الله سـافيرالكاين(كذا) بالمحل المذكور حبسـا عليها من تحبيس الغير عليها وعلى عقبها وعقب عقبها ماتناسلوا وامتدت في الاسلام فان انقرضوا عن ءاخرهم رجعالحبس المذكور لفقراء الحرمين الشـريفينمكة و المدينة زادهما الله شرفا وتكريما وتبجيلا ينضـاف ذلك الى سـاير الاوقاف الموقوفة عليهم يغتلون ذلك كا اغتلال سـائر الاوقاف الموقوفة عليهم وان الولية فاطمة المذكورة لاحق لها في ذالكالامر يجب لها(كذا)فالحبس خاصـة ولاشـعبة تملك فيه لها ولا لاحد غيرها اشـهادا صحيحا عرفت قدره والزمت نفسها حكمه وامره وذالك كله بمحضر الكرام الجلة الفخار وهم الحاج محمد بن ابراهيمو الحاج محمدالفتال والحاج محمد ءاغا(كذا) بن{ }والحاج محمدءاغا(كذا) بن{ } وكلا الحرمين الشريفين زادهما الله مهابة و تعظيما وتمجيداوتكريما وموافقتهم على ما ذكر فيه فيه الموافقة التامة الشـاملة العامةوشـهد على اشـهادها بذالك(كذا) في احوالها الجايزة(كذا) شرعا وعرفها بتعريف حفيدها ابن ابنها السـيد محمد بنالسـيدمحمد نجل الوالي الصـالح سـيدي محمد الشرـيف التعريف التام بتاريخاوايل صـفر الخير عام اربعةوتسعين والف{ بعدها يرد ختمين}.

الملحق رقم 3: الوثيقة رقم41 "رسم توزيع إرث إلى مســـتحقيه بإشراف ناظر المواريث المخزنيةبالجزائر و تبيان طريقة الاســـتفادة من تركة في الشـــيوع" ، في العلبة71-72 تاريخها1071هـ (1661 م) من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

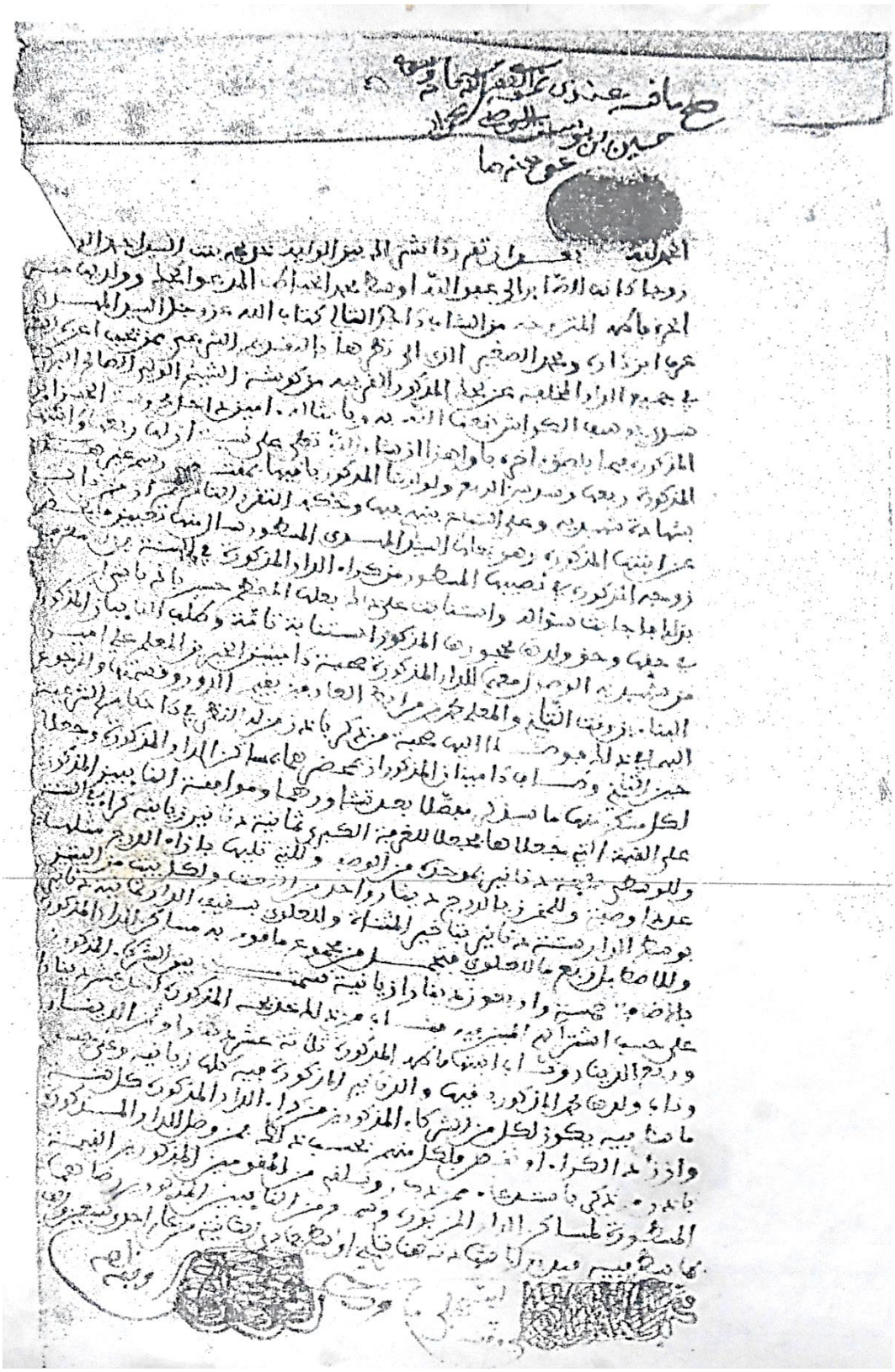

الملحق رقم 3: اعادة نسخ للوثيقة رقم41 "،في العلبة71-72 تاريخها1071ه (1661 م) من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر

رسم توزيع إرث إلى مستحقيه بإشراف ناظر المواريث المخزنية بالجزائرو تبيان طريقة الاستفادة من تركة في الشيوع"

" الحمد لله بعد أن تم اشتراك {كذا} بين الولية خديجة بنت السيد احمد.....زوجا للصاير{كذا} الى{كذا} عند الله اوسط محمد الخياط المدعو اقجاوولديها{كذا} منه الحرة فاطمة المتزوجة من الشاب الاجل التالي كتاب الله عز وجل السيد المهدي عرف ابن قارة ومحمد الصغير الذي إلى نظرها بالتقديم الشرعي بمن يجب اعزه الله في جميع الدار المخلفة عن اقجا المذكور القريبة من كوشة الوالي الصالح البركة سيدي يوسف الكواش نفعنا الله به وبأمثاله امين {كذا} داخل محروسة الجزاير {كذا} المذكورة فيما يلصق اخره {كذا} باول {كذا} هذا ان {كذا} شاء الله تعلى على نسبة لها ربعها و لابنتها المذكورة سدس الربع لوالدها المذكور باقيها بمقتضي رسم غير هذا بشهادة شهديه وعلى الشياع بينهم فيها وحكمالتقرر{كذا} التام غير ان من ناب عن ابنتها وهو بعلها السيدالمهدى{كذا} المسطور سال منها تعيين مايخص زوجه المذكورة في نصيبها المسطور{كذا} من كراء الدار المذكورة في السنة فمن له معرفة بذلك فاجابت سؤاله واستنابت{كذا} عن ذلك بعلها المعظم حسين بلكباشي في حقها وحق ولدها محجورها المذكور استنابةً{كذا} تامة وطلب النايبان{كذا} المذكوران من شهديه الوصول معهما للدار المذكورة صحبة من ذكر فاذن من له النظر فيلاحكامالشرعيةالمعلم علي امين{كذا} البناءين وقت التاريخ والمعلم محمد بن المرابط العارفين بتقيم{كذا} الدور وقسمتها والرجوع اليهما في ذلك فوصلا إليها صحبة من ذكر باذن{كذا} من له النظر في الاحكام الشرعية حين التاريخ وطاف الامينان المذكوران بمحضرهم بمساكن الدار المذكورة وجعلا لكل مسكن منها ما سيذكر مفصلا بعد تشاورهما وموافقة النائبين المذكورين على القيمة التي جعلاها فجعلا للغرفة الكبرى ثمانية دنانير كراء في السنة وللوسطى سبعة دنانير بموحدةمن الوصف وللتي تليها بازاء{كذا} الدرج مثلها عددا وصفة وللمخزن بالدروج دينارا واحد من النعت ولكل بيت من البيتين في وسط الدار ستة دنانير بتاخير{كذا} المثناة وللعلوى بسقيف الدار ثمانية دنانير و للاصطبل{كذا} ربع ما للعلوى فتجمل من مجموع ما قوم به مساكن الدار المذكورة بالاضافة{كذا} خمسة واربعون دينارازيانيةقسمت بين الشركاء المذكورين على حسب اشتراكهم المبين فيه ماناب من ذلك خديجة المذكورة احد عشر دينارا وربع الدينار وناب ابنتها فاطمة المذكورة ثلاثة عشر دينار وثمن الدينار وناب ولدها محمد المذكور باقيهاوالدنانير المذكورة فيه كلها زيانية وعلى حسب يكون لكل من الشركاء المذكورين من كراء الدار المذكورة كل سنة وان زاد الكراء

تابع لإعادة نسخ الوثيقة رقم41 في العلبة71-72

او {كذا}نقص فلكل منهم بحســـب ذلك فمن وصـــل للدار المذكورة ذكر بإذن {كذا} من ذكر باســـتدعاء ممن{كذ}ا ذكر وتلقى من المقومين المذكورين القيمة المســـطورة{كذا} لمســـاكن الدار المزبورة{كذا} وسمع من النائبين المذكورين رضـــاهما بماســـطر فيه قيد بذلك شـــهادته هنا تاريخ اواسط{كذا} جمادى الثانية من عام احد وسبعين والف{كذا} ".

الملحق رقم 4: الوثيقة رقم70" رسم بيان صـدقة، وهي دار مع بيان موصـفاتها لمسـتحق بإشراف القاضي الموثق بالجزائر" في العلبة76-1 تاريخهاأواخر شوال 1013 هـ/1605م، المحاكم الشرعية،في الأرشيف الوطني الجزائري **ص2/1**

تابع للوثيقة رقم70 **ص2/2** في العلبة76-1

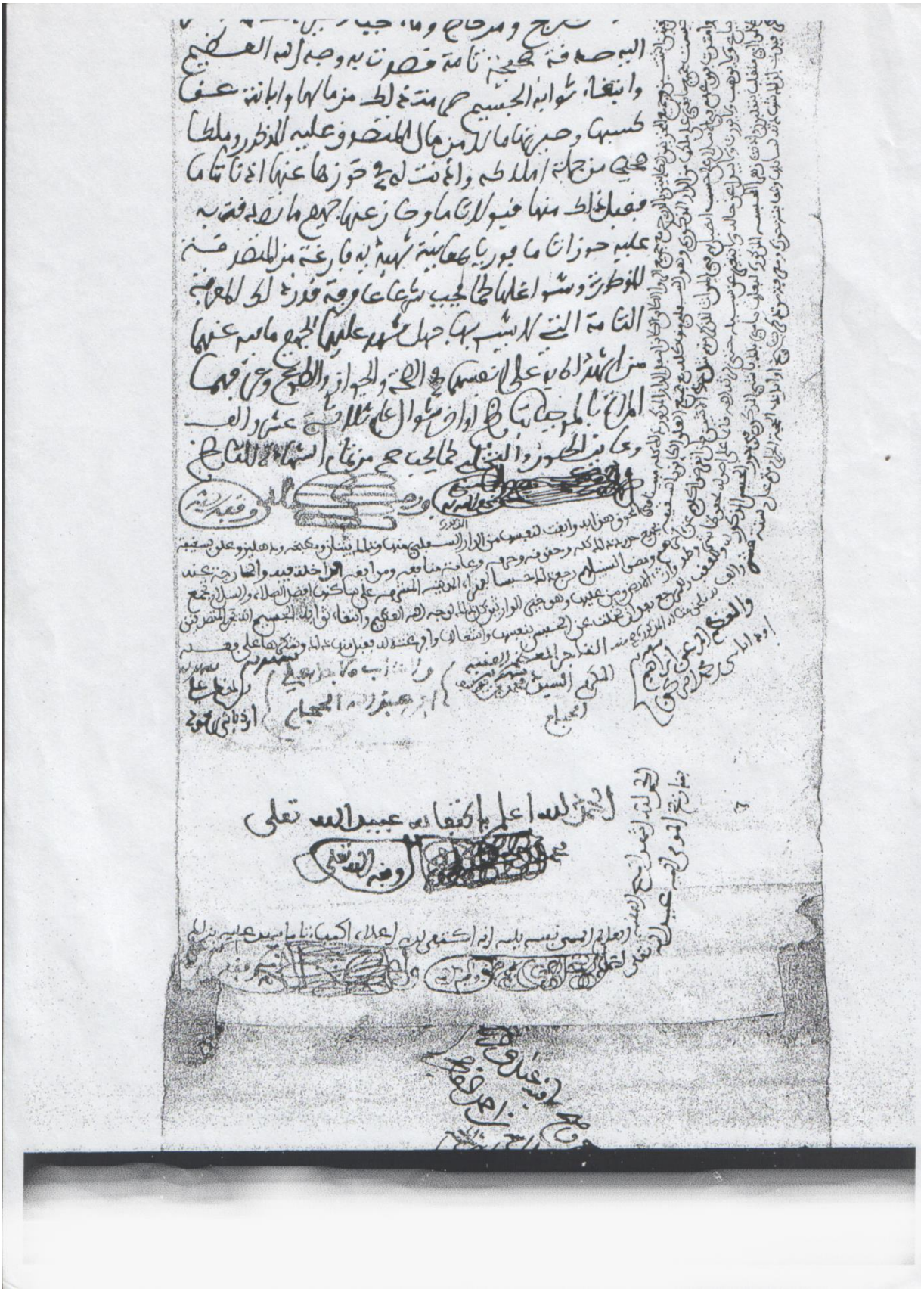

الملحق رقم 4 : اعادة نسخ للوثيقة رقم70 "رسم بيان صدقة وهي دار مع بيان مواصفتها لمستحق باشراف القاضي الموثق"،في العلبة76-1 تاريخها أواخر شـوال 1013 هـ/1605م، المحاكم الشرـعية،في الأرشـيف الوطني الجزائري

رسم بيان صدقة وهي دار مع بيان مواصفتها لمستحق باشراف القاضي الموثق:

"الحمد لله اشهدت(كذا) الحرة المكرمة زهرا بنت عبد الله عتيقة مصطفي قارا علي على نفسها شهيديه (كذا) انها(كذا) تصدقت على بعلها المعظم الاجل(كذا) المرعا (كذا) المفخم مامي اوذ باشي ابن عبد الله بجميع الغرفتين اثنتين احداهما قبلية(كذا) الباب والاخرا(كذا) جوفية الباب مع مخزنين اثنين بالدروج من الدار الكاينةباعلى(كذا) دار علي راسم مسلمان باسفل (كذا) دار ابن عبد الكبير يحدها من اسفل(كذا) دار الفقيه السيد محمد بن ابي عجينة ومن اعلاها(كذا) دار مخلفة عن المرحوم بالله احمد دكروج داخل الجزاير كما تصدقت عليه بجميع الرواق اسفل (كذا) الدار مذكورة بجميع حقوق ذلك كله وحدوده وحرمه ومنافعه ومرافقه وما في الصدقة المذكورة من مدخل ومخرج ومرحاض وماء جب وغير ذلك مما تقتضي اليه (كذا) صدقة صحيحة تامة قصدت بها وجه الله العظيم وابتغاء ثوابه الجسيم حرمت ذلك من مالها و إبانة عن كسبها وصيرتها مالا من مال المتصدق عليه المذكور ملكا صحيحا من جملة املاكه (كذا) واذنت (كذا) له في حوزها عنها اذنا (كذا) تاما فقبل ذلك منها قبولا تاما وحاز عنها جميع ما تصدقت عليه حوزا تاما فوريا بمعاينة شهيديه(كذا) فارغة من المتصدقة المذكورة وشواغلها كما يجب شرعا وعارفة قدر ذلك المعرفة التامة التي لا.....بها جهل شهد عليها بجميع ما فيه عنها من اشهد على انفسها(كذا) في الصحة والجواز والطوع وعرفها بالموجب بتاريخ أواخر شوال عام ثلاثة عشر والف وعاين الحوز(كذا) والتخلي كما يجب صح من تمام الشهادة للتاريخ .

على حاشية الوثيقة عقد تحبيس:

"الحمد لله بعد ان (كذا) تصـدقت الزهر بنت عبد الله عتيقة مصـطفي قارا علي على بعلها مامي بلك باشي ابن عبد الله بجميع الغرفتين اثنتين وجميع المخزنين الكائنين بالدروج مع جميع الرواق الكائن أسـفل الدار المذكورة ذلك كله مبينا في الملحق هذا وابقت(كذا) لنفسها من الدار المذكورة السفلي منها وذلك بيتان ومطبخه ودهليز وعلو بسـقيفة الدار الحدودة في المشـار اليه(كذا) وكان ذلك كذلك حضرـت الزهرا المذكورة لدى شهود واشهدتهم(كذا) على نفسها انها (كذا) حبست جميع ما بقي على ملكها من

تابع لإعادة نسخ الوثيقة رقم70 في العلبة76-1 ***ص2/2***

الدار المذكورة وهو السفلي منها كله مع جميع العلوي الكائن بالسقيفة بجميع حدوده ذلك كله وحقوقه وحرمه وعامة منافعه ومرافقه الدخلة فيه والخارجة عنه وما عد منه وعرف به ونسب قديما وحديثا اليه(كذا) على بعلها المعظم مامي بلك باشي المذكور وعقبه وعقب عقبه ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام على حسب انصابهم (كذا) في الميراث للذكر منهم مثل حظ الأنثيين فإن انقرضوا عن اخرهم(كذا) و مضو لسبيلهم رجع ذلك حبسا لفقراء المدينة المشرفة على ساكنها افضل(كذا) الصلاة والسلام تجمع غلة ذلك وتصرف إلى الفقراء المذكورين وذلك بعد اصلاح (كذا) الحبس المذكور تحبيسا تاما موبدا (كذا) عاما لا يباع و لا يوهب ولا يورث ولا يبدل عن حاله ولا يتغير عن سبيله حتى يرثه الله قائما على اصوله(كذا) محفوظا بشروطه وارث الارض (كذا) ومن عليها وهو خير الوارثين كل ذلك لوجه الله وابتغاء ثوابه الجسيم انه يجز(كذا) المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فمن سعى في تبديله او(كذا) تغير شيء منه فالله حسيبه وسائله وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون و اذنت (كذا) زهرا المحبسة المذكورة لبعلها مامي بلكباشي المذكور في حوز(كذا) الحبس المذكور له وللعقب وللمرجع بعد ان(كذا) تخلت عن الحبس بنفسها واشغالها (كذا) وافرغته(كذا) له فقبل منها ذلك وشكرها على فعله وحازه حوزا تاما شرعيا كما يجب بمعاينة شهوده له و ولعقبه وللمرجع فمن حضر الموطن المذكور كما ذكر وتحقق كما تقيد وسطر قيدت لذلك شهادته لسائلها وبمعاينة حوزه ومعرفة من ذكر بتاريخ أوائل ذي الحجة الحرام متم عام ستة عشر والف (كذا) .....".

الملحق رقم 5: الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن رسم فريضة ارث وبيانات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر "في العلبة18-1 تاريخها1101 هـــ (1689م) من سلسلة المحاكم الشرعية، في الأرشيف الوطني الجزائر**ص2/1**

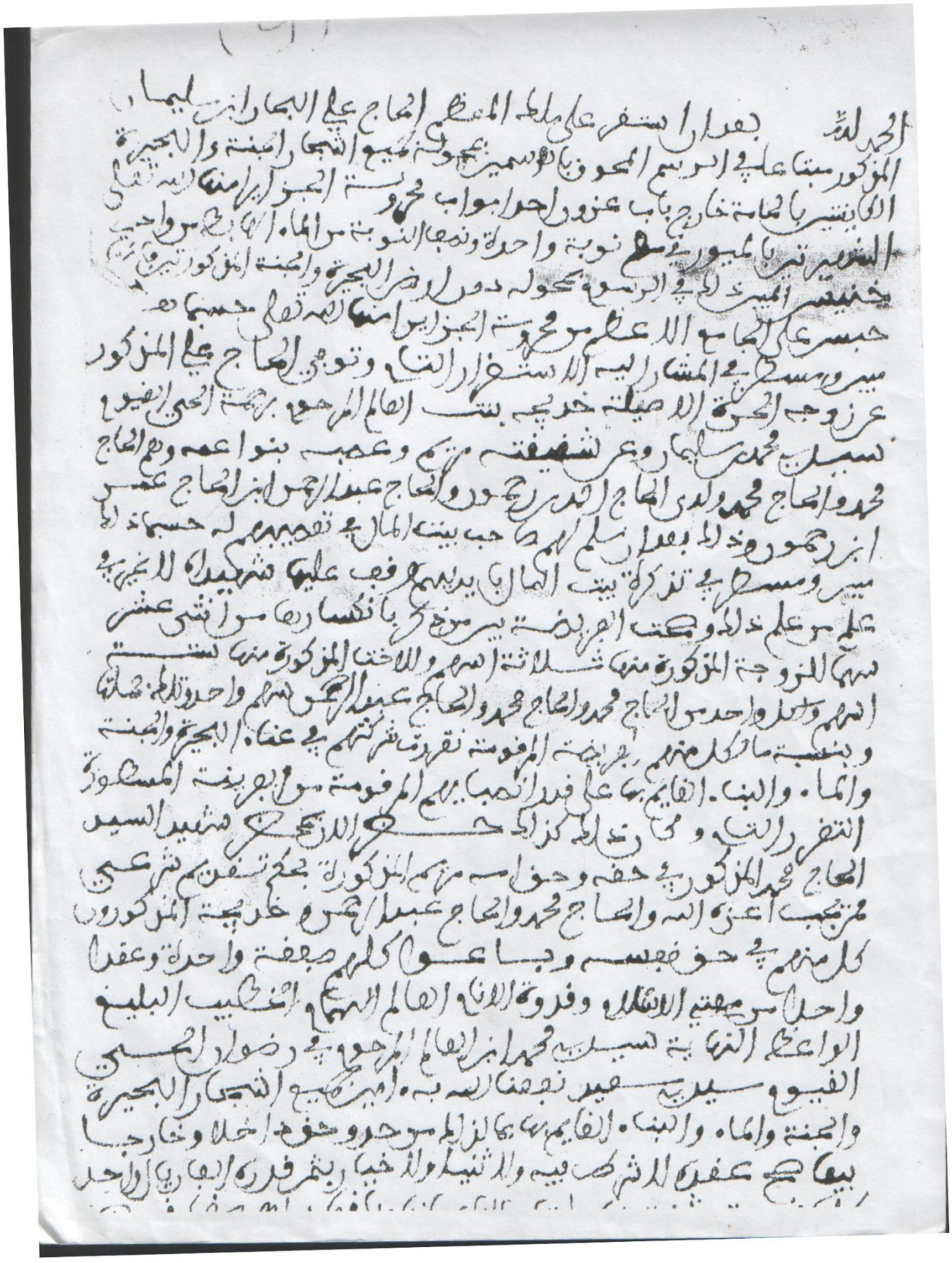

تابع للوثيقة رقم9 في العلبة18-1 **ص2/2**

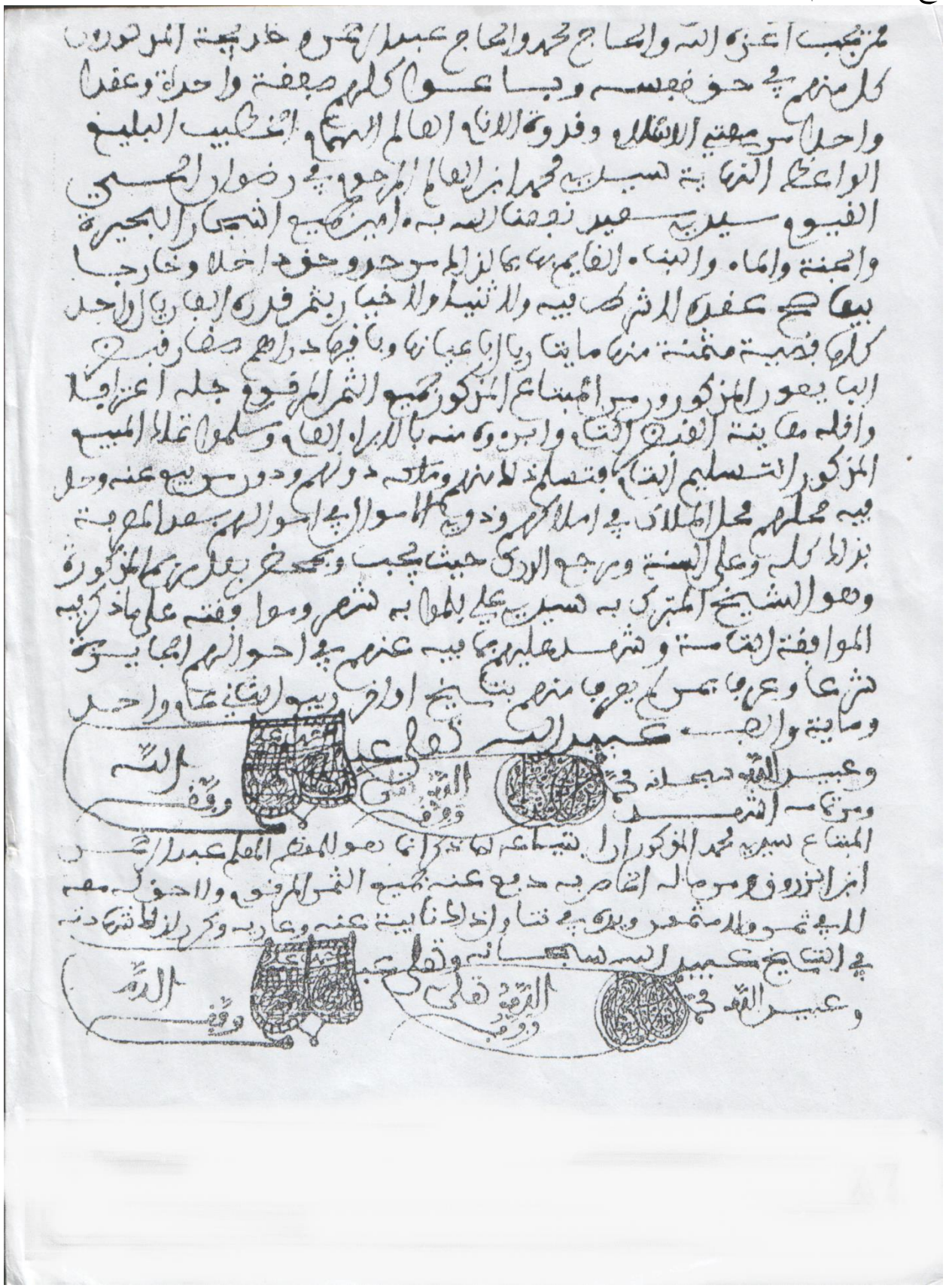

الملحق رقم 5: اعادة نسخ للوثيقة رقم 9 "رسم يتضمن رسم فريضة ارث وبيانات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر"،في العلبة18-1 تاريخها1101 هـــ (1689م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

رسم يتضمن رسم فريضة ارث وبيانات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر":

"الحمد لله بعد أن استقر على ملك المعظم الحاج علي البحار ابن سليمان المذكور مبتاعا في الرسم المحوق(كذا) بالرسمين ....جميع اشجار (كذا) الجنة والبحيرة الكاينتين بالحامة خارج باب عزون احد ابواب (كذا) محروسة الجزاير امنها الله تعالى الشهيرتين بالميور في سهم نوبة واحدة ونصف النوبة من الماء الهابط من وادي خنيس المبين ذلك في الرســـوم ....دون ارض(كذا) البحيرة و الجنة المذكورتين فإنها حبس على الجامع الأعظم من محروســـة الجزاير امنها الله تعالى حســـبما هو مبين ومسطر في المشار إليه الاستقرار التام وتوفي الحاج علي المذكور عن زوجته الحره (كذا) الاصيلة (كذا) خديجة بنت العالم المرحوم برحمة الحي القيوم سيدي محمد سليمان وعن شقيقته مريم وعصبه بنوا عمه وهم الحاج محمد والحاج محمد ولدي الحاج احمد بن رحمون والحاج عبد الرحمن ابن الحاج عمر ابن رحمون وذلك بعد ان (كذا) سلم لهم صاحب بيت المال في .....له حسبما ذلك مبين ومسطر في تذكرة بيت المال وقف عليها شـــهيداه لا غير في علم من علم ذلك وصحت الفريضـــة بين من ذكر بانكسارها من اثني عشرا سهما للزوجة المذكورة منها ثلاثة أسهم وللاخت (كذا) المذكورة منها ستة اســـهم (كذا) ولكل واحد من الحاج محمد والحاج محمد والحاج عبد الرحمن ســـهم واحد وتلك جملتها وبنســـبة ما لكل منهم بفريضـــة المرقومة تقررت شركتهم في عناء البحيرة والجنة والماء والبناء القايم بها على قدر انصباتهم (كذا) المرقومة من الفريضة المسطورة (كذا) التقرر (كذا) التام وكان ذلك كذلك حضر الازكي (كذا) شهديه السيد الحاج محمد المذكور في حقه وحق امه (كذا) مريم المذكورة بحكم تقديم شرعي ممن يجب أعزه الله والحاج محمد والحاج عبد الرحمان و خديجة المذكورون كل منهم في حق نفســـه وباعوا كلهم بصـــفقة واحدة وعقد واحد من مفتي الإســـلام وقدوة الأنام العالم الهمام الخطيب البليغ الواعظ النهاية سيدي محمد بن العالم المرحوم في رضوان الحي القيوم سيدي سعيد نفعنا الله به جميع اشجار(كذا) البحيرة والجنة والماء والبناء القايم (كذا) بها بما لذلك من حد وحق داخلا وخارجا بيعا صح عقده لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار بثمن قدره الف(كذا) ريال واحد كلها فضية مثمنة منها ماية (كذا) ريال باعيانها (كذا) و باقيها دارهم صغار قبض البايعون(كذا) المذكورون

تابع لإعادة نسخ الوثيقة رقم9 في العلبة18-1 ***ص2/2***

من المبتاع المذكور جميع الثمن المرقوم جله اعتراف واقله معاينة القبض التام وابرءوه منه بالابراء (كذا) العام وسلموا تملك المبيع(كذا) المذكور التسليم التام فتسلم ذلك منهم وملك دونهم ودون من بيع عنه وحل فيه محلهم محل الملاك في املاكهم (كذا)وذوي الاموال (كذا) في اموالهم (كذا) بعد المعرفة بذلك كله وعلى السنة ومرجع الدرك حيث يجب وبمحضر بعل مريم المذكورة وهو الشيخ المتبرك به سيدي علي..... به شهد وموافقته على ما ذكر فيه الموافقة التامة وشهد عليهم بما فيه عنهم في احوالهم (كذا)الجايزة شرعا وعرف بمن لم يعرف منهم بتاريخ اواخر (كذا) ربيع الثاني عام واحد ومايه (كذا) والف (كذا).....ومن تمامه ا شهد المبتاع سيدي محمد المذكور ان ابتياعه لما ذكر انما هو للمعظم المعلم عبد الرحمن بن الزروق ومن ماله الخاص به دفع عنه جميع الثمن المرقوم ولاحق له معه لا في ثمن ولا مثمون ويده في تناول ذلك نايبة عنه وعارية وكرر لذلك شهادته في التاريخ .....".

الملحق رقم 6: الوثيقة رقم45 "رسم وقف مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر"، من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر صفر1103 هـ/1691م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

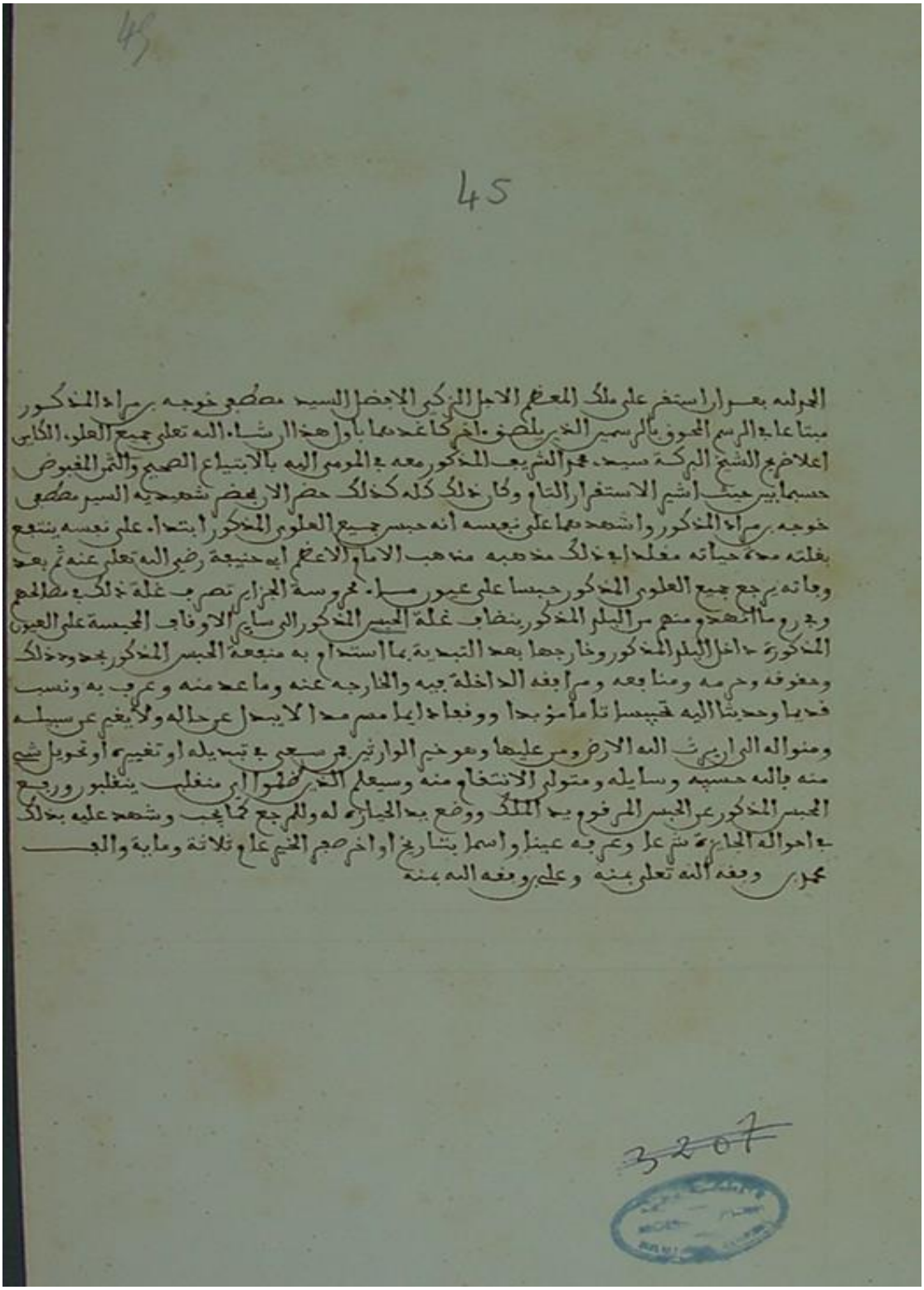

الملحق رقم 6: اعادة نسـخ للوثيقة رقم45 "رسم وقف مصـطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر"، من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصـيد العثماني، تاريخها أواخر صفر1103 هـ/1691م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

"رسم وقف مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر"

"الحمد لله بعد ان(كذا) اسـتقر على ملك المعظم الاجل (كذا)الزكي(كذا) الافضـل(كذا) السـيد مصـطفي خوجة بن مراد المذكور مبتاعا في الرسم المحوق(كذا)بالرسمين الذين يلصـق أخر كاغدهما (كذا)باول(كذا)هذا انشاء الله تعالى جميع العلوي الكاين اعلا (كذا)ضريح الشيخ البركة سيدي محمد الشريـف المذكور معه في الموصى اليه (كذا)بالابتياع الصـحيح والثمن المقبوض حسـبما بين حيث اشير(كذا) الاستقرار التام وكان ذلك كله كذلك حضر الان(كذا) بمحضر شهديه السيد مصطفي خوجة بن مراد المذكور و اشـهدهما على نفسـه انه حبس جميع العلوى(كذا) المذكور ابتداء على نفسـه سـينتفع بغلته مدة حياته مقلدا في ذلك مذهبه مذهب الامام الاعظم(كذا) ابي(كذا) حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه ثم بعد وفاته يرجع جميع العلوى المذكور حبسـا على عيون ماء محروسـة الجزاير تصرف غلة ذلك في مصالحه وفي رم ما تهدم منهم من البلد المذكور ينضاف (كذا)غلة الحبس المذكور الى(كذا) ساير الاوقاف المحبسة على العيون المذكورة داخل البلد المذكور وخارجها بعد التبدية(كذا)بما تسـتدام به منفعة الحبس المذكور بحدود ذلك وحقوقه وحرمه ومنافعه ومرافقه الداخلة فيه والخارجة عنه و ماعد (كذا) منه وعرف ونسب قديما وحديثا اليه(كذا) تحبيسا تاما مؤبدا ووقفا دايما مسرمدا لا يبدل عن حاله و لا يغير عن سـبيله ومنواله الى(كذا) ان (كذا)يرث الله الارض (كذا)ومن عليها وهو خير الوارثين فمن سـعى في في تبديله او(كذا) تغيره او(كذا) تحويل شيء منه فالله حسـيبه و سـايله(كذا) و متولى(كذا) الانتقام منه وسـيعلم الذين ظلموا اي (كذا)منقلب ينقلبون ورفع المحبس المذكور عن الحبس المرقوم يد الملك ووضـع يد الحيازة له وللمرجع كما يجب وشـهد عليه بذلك في احواله(كذا)الجايزة شرعا وعرفه عينا واسـما بتاريخ اواخر(كذا) صـفر الخير عام ثلاثة و ماية(كذا) والف (كذا)محمد بن وفقه الله و علي بن وفقه الله بمنه "

الملحق رقم 7: الوثيقة رقم 31" تقسيم تركة احد المتوفين على يد ناظر بيت المال"، من الملف الثاني للمجموعة 3205 من الرصيد العثماني،تاريخها أويل شهر ربيع الأول 1101 هـ/ 1688م،بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

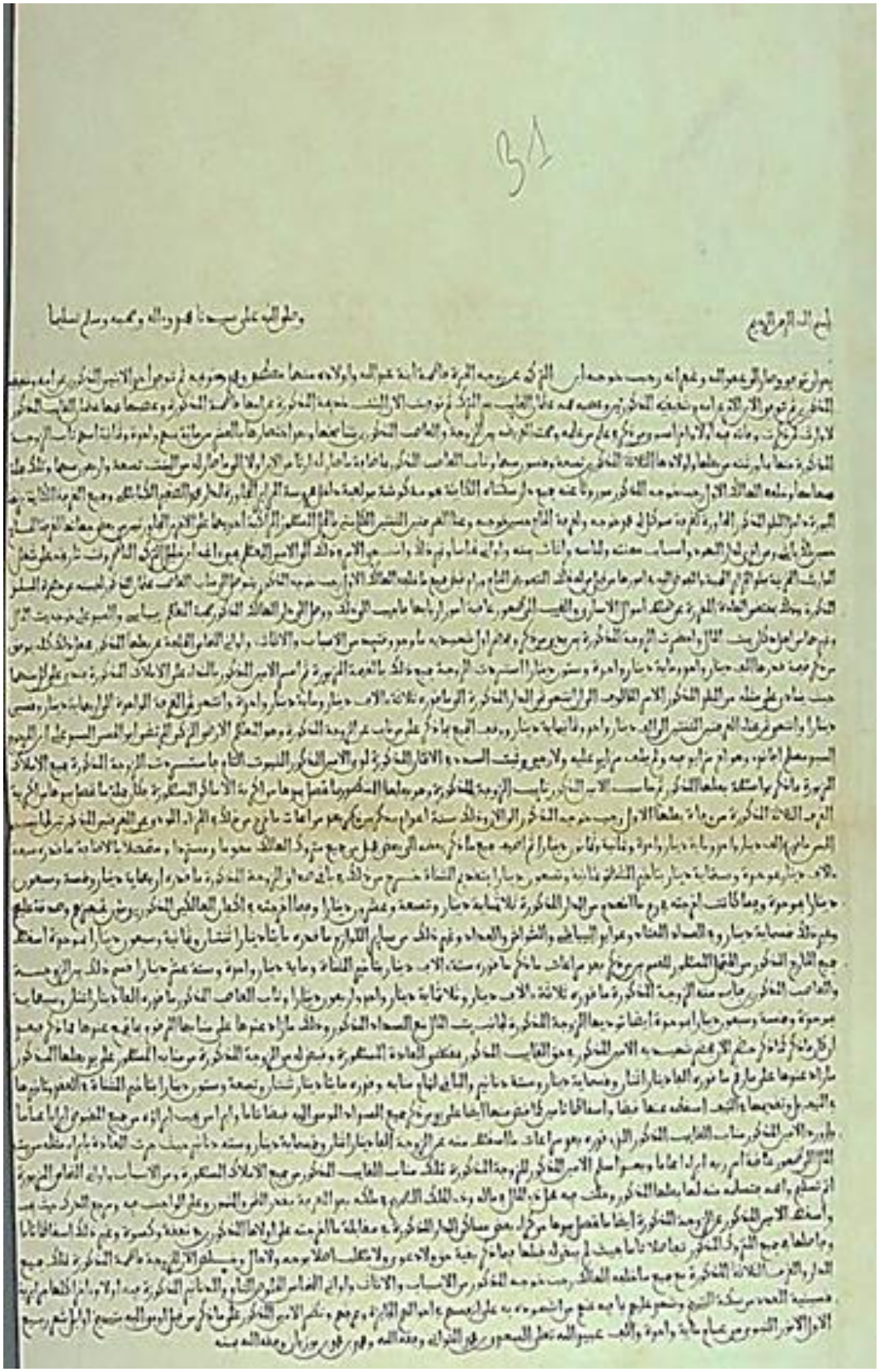

الملحق رقم 7: اعادة نسخ للوثيقة رقم31 " تقسيم تركة احد المتوفين على يد ناظر بيت المال"، من الملف الثاني بالمجموعة 3205 من الرصيد العثماني،تاريخها أويل شهر ربيع الأول 1101 هـ/ 1688م،بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

"بعد أن توفى وصـــار الى(كذا) عفو الله وغفرانه رجب خوجة ابن التركي عن زوجته فاطمة بنت عبد الله وأولاده الثلاثة منها مصـــطفى، ومحمد ،وخديجة، ثم توفي أحد الابنين (كذا) المذكورين عن أمه وشـقيقيه المذكورين ثم توفي الابن الاخر (كذا) عن أمه ،وشـقيقته المذكورتين وعصـبه عمه عثمان الغايب ببر الترك ثم توفيت الان (كذا) البنت خديجة المذكورة عن أمها فاطمة المدكورة وعصبها عمها عثمان الغايب المدكور لاوارث لمن دكرت وفاته فيه اولا (كذا) واخرا (كذا) سوى من دكر علم من علمه وصحت الفريضة بين الزوجة والعاصـــب المذكورين بتناسخ (كذا) وبعد اختصـــارها بالعشر ــ من ماية ســـهم واحدة وثمانية اســـهم(كذا) ناب الزوجة المذكورة منها بما ورثته عن بعلها واولادها (كذا) الثلاثة المذكورين تســـعة وخمسون سهما وناب العاصب المذكور بإضافة ما صار له إرثا من الابن (كذا) اولا (كذا) الى (كذا) ما صار له من البنت تسعة واربعون (كذا) سهما وتلك جملة سهامها وخلف الهالك الاول(كذا) رجب خوجة المذكوره وعصـبها هو عمها عثمان الغائب ببرالترك وروثا عنه جميع دار سـكناه الكاينة بجومة كوشـة بولعبة داخل محروسـة الجزاير المجاورة لدار محمد الصـغير الكبابطي وجميع الغرفة الكاينة بزنقة البوزة داخل البلد المذكور المجاورة لغرفة ســـوكل محمد خوجة ولغرفة الحاج حســـين خوجة ومن الغرفتين الكاينتين بالمحل المســـطور الراكبة احديهما (كذا) على الاخرى(كذا) المجاورتين من بعض جهاتها لغرفة الحاج حســـين بلكباشي ومن اخرى(كذا) لدار اليهود واسباب(كذا) مهنته ولباسه واثاث (كذا) بيته و اواني(كذا) نحاسا وغير ذلك و انتهي الأمر في ذلك الى (كذا) الأمين المعظم يحي أغا بن خليل التركي الناظر وقت تاريخه على شـغل المواريث المخزنية ببلد الجزائر المحمية والمفوض اليه{كذا}من قبل من له ذلك التفويض التام ورام قبض جميع ما خلفه الهالك الاول{كذا} رجب خوجة المذكور يتوصـــل الى{كذا} ما ناب العاصـــب عثمان المذكور لغيبته عن حضرـــة البلد المذكورة وذلك بمقتضى ــ العادة المقررة من ضـــبط أموال الاسرى{كذا} والغيب إلى ظهور عاقبة امور اربابها فأجيب الى (كذا) ذلك ووصل إلى دار الهالك المذكور صحبة المعظم بياباشي والســـيد علي خوجة بيت المال وغيرهما من دكان بيت المال واحضرـــت (كذا) الزوجة المذكورة بين يدي من ذكر وبمحضرـ اول شـهديه ما وجد وقتئذ من الأسـباب والاثاث (كذا) واواني(كذا) النحاس المخلفة عن بعلها المذكور فجعل ذلك كله بوفق من ذكر قيمة قدرها الف دينار واحد وماية دينار واحدة وسـتون دينار اسـتردت (كذا) الزوجة جميع ذلك بالقيمة المزبورة ثم أمر الامين(كذا) المذكور بالنداء على الأملاك المذكورة فندى على كل منها

تابع لإعادة نسخ الوثيقة رقم31 بالمجموعة 3205 من الرصيد العثماني **ص3/2**

حيث ينادى على مثله من البلد المذكور الامر(كذا) المألوف الى أن انتهى(كذا) ثمن الدار المذكورة الى (كذا) ما قدره ثلاثة الاف (كذا) دينار وماية دينار واحدة وانتهى(كذا) ثمن الغرفة الواحدة الى(كذا) اربعماية (كذا) دينار وخمسين دينارا وانتهى(كذا) عناء الغرفتين المشتين ألف دينار واحد وثمانماية دينار ووقف الجميع بما ذكر على من ناب عن الزوجة المذكورة وهو المعظم الزكي المرتضى-أبو الحسن السيد علي ابن المرحوم السيد مسلم أفندي وهو أخر مزايد فيه ولم يلف مزايد عليه وثبت السداد في الاثمان(كذا) المذكورة لدى الامين(كذا) المذكور الثبوت التام فاستردت الزوجة المذكورة جميع الاملاك(كذا) المزبورة بما ذكر بواسطة بعلها المذكور ثم حاسب الامين (كذا) المذكور نايب الزوجة المذكورة وهو بعلها المسطور بما تحصل بيدها من أكرية الأماكن المسطورة فكان من جملة ما تحصل بيدها من أكرية الغرف الثلاثة المذكورة من وفاة بعلها الاول(كذا) رجب خوجة المذكور الى(كذا) الان(كذا) وذلك ستة أعوام بذكر من ذكر بعد واحدة وماية دينار واحدة وثمانية وثمانون دينارا ثم اضيف (كذا) جميع ما ذكر بعضه الى بعض جمل من جميع متروك الهالك مقوما ومستردا ومتحصلا بالإضافة ما قدره سبعة الاف (كذا) دينار بموحدة وستماية دينار وبتأخير المثناة وثمانية وتسعون دينارا بتقديم المثناة خرج من ذلك في صداق الزوجة المذكورة ما قدره اربعماية (كذا) دينار وخمسة وسبعون دينارا بموحدة وفيما كانت أخرجته في رم ما انهدم من الدار المذكورة ثلاثماية دينار وتسعة وعشر- دينارا وفيما أخرجته في أكفان الهالكين المذكورين ومؤن تجهيزهم وصدقة عليهم وغير ذلك خمسماية دينار وفي السداد المعتاد وعوايد البيباشي والشواش والعداد وغير ذلك من ساير اللوازم ما قدره مايتا دينار اثنتان وثمانية وسبعون دينارا بموحدة اسقط (كذا) جميع الخارج المذكور من المتجمل المسطور للقسم بين من ذكر بعد مراعات (كذا) ما ذكر ما قدرة ستة الاف دينار بتأخير المثناة وماية دينار واحدة وستة عشر- دينارا قسم ذلك بين الزوجة و العاصب المذكورين فناب الزوجة المذكورة ما قدره ثلاثة الاف دينار وثلاثماية دينار واحد واربعون دينارا وناب العاصب المذكور ما قدره الفا دينار اثنان وسبعماية بموحدة وخمسة وسبعون دينارا بموحدة أيضا توديها الزوجة المذكورة لجانب بيت المال مع السداد المذكور وذلك ما زاد عندها على منابها المرقوم بما تجمع عندها مما ذكر فبعد ان كان ما ذكر كما ذكر حضر الان(كذا) بمحضر شهديه الامين(كذا) المذكور في حق الغايب المذكور كما جرت العادة المسطورة وقبض له من الزوجة المذكورة من منابه المسطور على يد بعلها المذكور ما زاد عندها على ما رقم ما قدره الفا (كذا) دينار اثنان وخمسماية دينار وستة دنانير

تابع لإعادة نسخ الوثيقة بالمجموعة 3205 من الرصيد العثماني رقم31 **ص3/3**

والباقي لتمام منابه وقدره مايتا دينار ثنتان وتسعة وستون دينارا بتأخير المثناة وتأخيرها بل وتقديمها اسقطه (كذا) عنها قبضا واسقاطا (كذا) تامين كما قبض منها أيضا على يد من ذكر جميع السداد المومى اليه(كذا) قبضـــا تاما و أبرا من يجب ابراءه من جميع المقبوض ابراءا عاما وأورد الامين (كذا) المذكور مناب الغايب المذكور الذي قدره بعد مراعات (كذا) ما أسـقط منه عن الزوجة الفا (كذا) دينار اثنان وخمسـماية دينار وســتة دنانير حيث جرت العادة بابراء مثله من بيت المال الى ظهور عاقبة أمر ربه ابراءا عاما وبهذا ســلم الامين (كذا)ا لمذكور للزوجة ا لمذكورة تملك مناب الغا يب ا لمذكور من جميع الأملاك المســـطورة ومن الا سباب (كذا) واواني (كذا) النحاس المزبورة أتم تسليم وأعمه فتسلمه منه لها بعلها المذكور وحلت فيه محل ذي المال في ماله وذي الملك الصـــحيح في ملكه بعد المعرفة بدر الثمن و المثمون وعلى الواجب فيه ومرجع الدرك حيث يجب وأسـقط الامين(كذا) المذكور عن الزوجة المذكورة أيضـا ما تحصـل بيدها من كراء بعض مســاكن الدار المذكورة في مقابلة ما أخرجته على أولادها المذكورين في نفقة وكســوة وغير ذلك اسـقاطا(كذا) تاما وفاصلها في جميع المتروك المذكور تفاصـلا تاما حيث لم يبقى له قبلها دعوى ولا مطلب أصلا بوجه ولا حال وخلص الان (كذا) للزوجة فاطمة المذكورة تملك جميع الدار والغرف الثلاثة المذكورة مع جميع ما خلفه الهالك رجب خوجة ا لمذكور من الأســـباب والأثاث وأواني النحاس الخلوص التام والدنانير المذكورة فيه أولا وءاخرا (كذا) كلها جزايرية خمسينية العدد من سكة التاريخ وشهد عليهم بما فيه عنهم من أشهده به على أنفسهم في أحوالهم الجايزة وعرفهم ونظر الامين (كذا) المذكور على ما ذكر من قبل أومى اليه بتاريخ اوايل (كذا) شـــهر ربيع الاول (كذا) الأنوار النبوى من عام ماية واحدة وألف عبيد الله تعلى السعدى بن محمد التواتي وفقه الله ومحمد بن محمد بن بوزيان وفقه الله بمنه".

الملحق رقم 8: الوثيقة رقم42 "حل نزاع قديم بين أهل الذمة ـ اليهود ـ والمسلمين ببلد المدية" ،من الملف الثاني بالمجموعة 3205، تاريخها أوائل رمضان 1140هـ (1727م)،بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

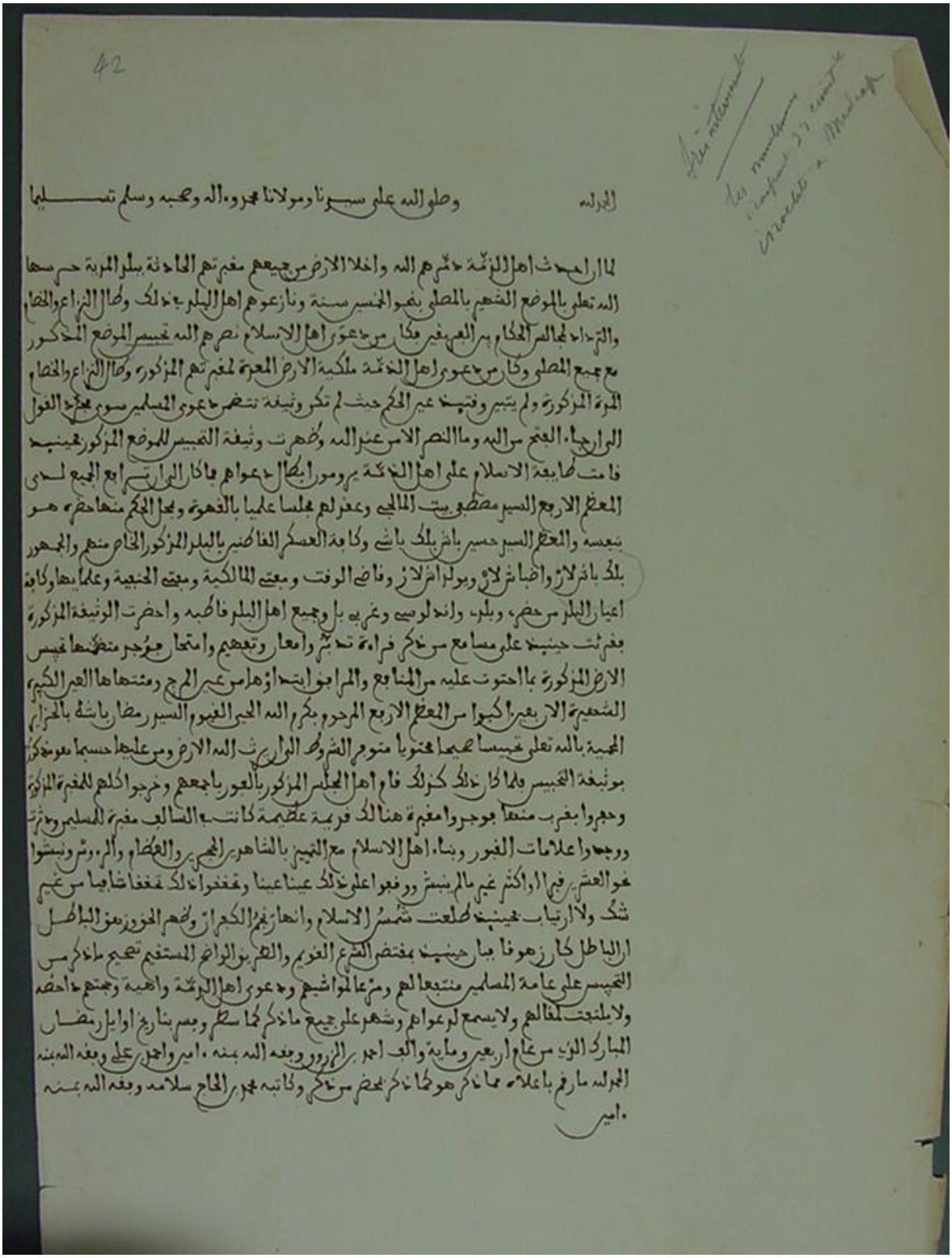

الملحق رقم 8: اعادة نسخ الوثيقة رقم42"حل نزاع قديم بين أهل الذمة ـ اليهود- والمسلمين ببلد المدية" ،من الملف الثاني بالمجموعة 3205، تاريخها أوائل رمضان 1140هـ (1727م)،بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة – الجزائر العاصمة -

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

"لما احدث (كذا) أهل الذمة دمرهم الله وأخلا الأرض من جميعهم مقبرتهم الحادثة ببلد المدية حرسها الله تعلى بالموضع الشهير بالمصلى بنحوالخمسين سنة ونازعوهم أهل البلد في ذلك وطال النزاع والخصام والتردد لمجالس الحكام بين الفريقين فكان من دعوى أهل الاسلام نصرهم الله تحبيس الموضع المذكور مع جميع المصلى وكان من دعوى أهل الذمة ملكية الارض المعدة لمقبرتهم المذكورة وطال النزاع والخصام المدة المذكورة ولم يتبين وقتئذ عين الحكم حيث لم تكن وثيقة تتضمن دعوى المسلمين سوى مجرد القول الى (كذا) أن جاء الفتح من الله وما النصر ـ الا (كذا) من الله و ظهرت وثيقة التحبيس للموضع المذكور فحنئيذ قامت طايفة الاسلام على أهل الذمة يرمون ابطال دعواهم فما كان الا (كذا) أن توافع الجميع لدى المعظم الارفع السيد مصطفى بيت المالجي وعقد لهم مجلسا علميا بالقهوة وبمحل الحكم منها حضره هو بنفسه والمعظم حسين باش بلك باشى وكافة العسكر القاطنين بالبلد المذكور الخاص منهم والجمهور بلك باش لار واضباش لاروا قاضي ومفتي المالكية مفتي الحنفية وعلمايها وكافة أعيان البلد من حضر ـ وبلدي واندلوسي وغربي بل وجميع أهل البلد قاطبة وأحضرت وثيقة المذكورة بما احتوت عليه من المنافع والمرافق ابتداؤها من المرج ومنتهاها العين الكبيرة الشهيرة الان بعين أكبوا من المعظم الارفع المرحوم بكرم الحي القيوم السيد رمضان باشا بالجزاير المحمية بالله تعلى تحبيسا صحيحا محتويا متوفر الشروط الى أن يرض الله الارض ومن عليها حسبما هو مذكور بوثيقة التحبيس فلما كان ذلك كذلك قام أهل المجلس المذكور بالفور بأجمعهم وخرجوا كلهم للمقبرة المذكورة وحضروا بقرب منها فوجدوا مقبرة هناك قديمة عظيمة كانت في السالف مقبرة للمسلمين ودثرت ووجدوا علامات القبور وبناء أهل الاسلام مع التميز بالشاهدين الحجرين والعظام والرؤوس وندبشوا نحو العشرين قبرا أو أكثر غير ما لم ينبش ووقفوا على ذلك عينا عينا وتحققوا ذلك تحققا شافيا من غير شك ولا ارتياب فحينئذ بمقتضى الشرع القويم والطريق الواضح المستقيم تصحيح ماذكر من التحبيس على عامة المسلمين منتفعا لهم ومرعا لمواشيهم ودعوى أها الذمة واهية وحجتهم داحضة ولا يلتفت لمقالهم ولا يسمع لدعواهم وشهد على جميع ماذكر كما سطر وفسر بتاريخ اوايل (كذا) رمضان المبارك من عام أربعين ومايةوألف أحمد بن رزوق وفقه الله بمنه أمين وأحمد بن علي وفقه الله بمنه الحمد لله ما رقم باعلاه مما ذكر كما ذكر بمحضر من ذكر وكاتبه محمد الحاج سلامة وفقه الله بمنه أمين".

2- اللوحات والصور

اللوحة رقم 1

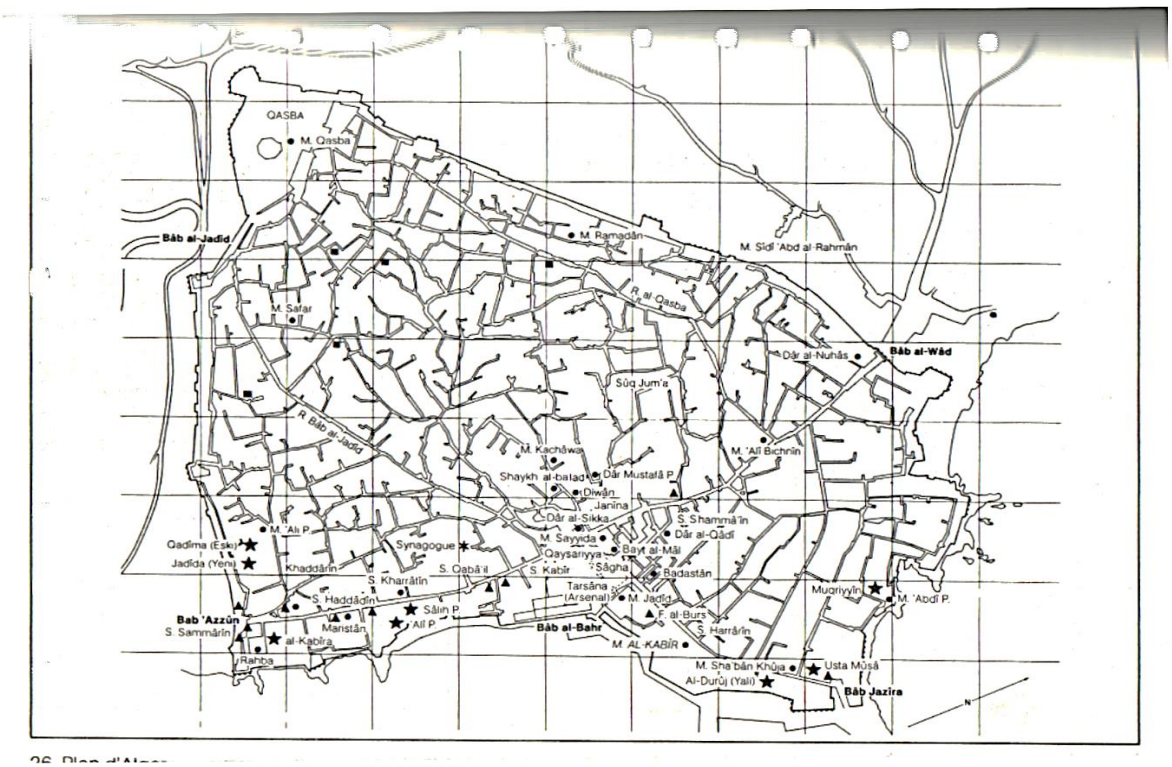

مخطط تقريبي لمدينة الجزائر خلا ل العهد العثماني

f. funduq (caravansérail) h. hâra (quartier) k. khân (caravansérail) m. madrasa M. mosquée P. pacha p. pont Q. quartier R. rue s. souq w. wakâla (caravansérail) ★ caserne ✝ église ▲ funduq ■ petit marché ✱ synagogue	F- فندق (محطة قوافل تجارية) h-حارة (حومة) m-مدرسة M-مسجد P-باشا p-جسر Q-حي R-شارع S-سوق W-وكالة (محطة قوافل تجارية) ثكنة ★ كنيسة ✝ فندق ▲ سويقة ■ معبد يهودي ✱

مصدر المخطط بتصرف:

André Raymond, Grandes villes Arabes à l 'époque Ottomane, EditionsSinbad, Paris, 1955.

اللوحة رقم 2

تمثل هذه اللوحة العناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر مجتمعين في احدى أزقتها

رقم 1:الأتراك العثمانيين

رقم2 :البلدية والأندلسيين

رقم 3و4 :الوافدون على المدينة من عرب وأمازيغ

رقم 5:الزنوج

رقم6 :اليهود

رقم 7:النساء والأطفال

ملاحظة :لم يرد في هذه اللوحة إشارة للكراغلة ولا للعنصر الأوروبي المسيحي من أحرار وأسرى عبيد

مصدر الصورة بتصرف:

Marçais(Georges) : Le Costume Musulman d'Alger …

اللوحة رقم3

تمثل هذه اللوحة أحد أفراد جماعة بني ميزاب الذين تخصصوا في آداء عدد من المهن وفي مقدمتها الإشراف على تسيير الحمامات في مدينة الجزائر حيث تمثل اللوحة على وجه التحديد مزابي صاحب حمام وهو يرتدى عباءة "عباية "مخططة تحمل اسم زرقوته"zerguta حسب ماذكره مارسي.

Marçais(Georges) : Le Costume Musulman d'Alger …

اللوحة رقم4

Vicente Carducho, *Expulsion des Maures,* v. 1627. Dessin. Musée du Prado, Madrid.IN

Encyclopédie Encarta Microsoft ® Encarta ® 2009. © 1993-2008 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

تمثل هذه اللوحة صورة حية عن عملية الطرد الجماعي الغير الإنساني الذي تعرض له الأندلسيين المسلمين على يد الإسبان بعد صدور قرار الطرد النهائي 1609 م الذي أصدره الملك الإسباني فيلب الثالث حفيد الإمبراطورشرلكان واستمرت هذه العملية اللاإنسانية إلى غاية سنة1614،وقد رسمت هذه اللوحة من طرف الرسام الفلورنسي- فانسانكرادوش(Vicente Carducho) الذي كان مقيما بإسبانيا منذ سنة 1585ورسم لوحته هذه سنة 1627.

اللوحة رقم5

ذ

تمثل هذه اللوحة قائد الوصفان وهو يرتدي غليلة مطرزة ومزينة بالأزرار المذهبة ويرتدي على رأسه عمامة كما يلبس سروالا منتفخ وينتعل نوعا من الجزم المعروفة بالتيماك.

Marçais(Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم6

المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-(بتصرف)

تمثل هذه الصـورة المركبة مجموعة من الآلات الموسـيقية الوترية والإيقاعية والهوائية التي كانت تسـتخدم في مدينة الجزائر ،والتي شهدت تنوع في الطبوع الموسيقية-موسيقى عسكرية ،وموسيقى أندلسية ،وموسيقى الزنوج..الخ- في ظل الحكم العثماني وإثراء لرصيدها الفني المحلى وهو الأمر الناجم عن التنوع السكاني الذي شهدته المدينة.

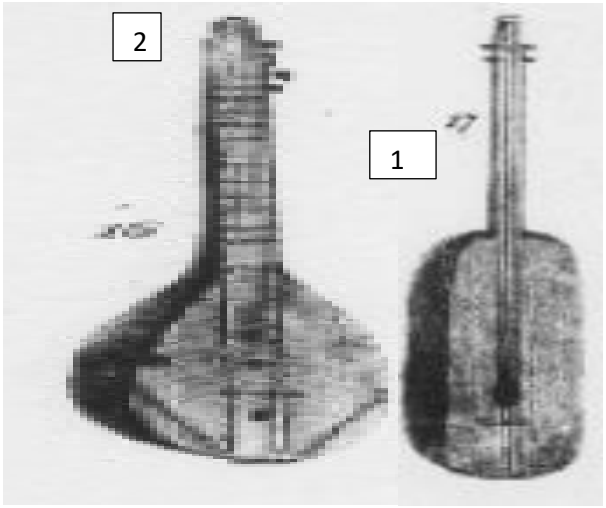

يمثل الشـكل رقم 1و2 آلتين موسـيقيتين وتريتين الأولى كانت تسـتخدم من طرف الموسـقيين الزنوج أما الثانية فهي عبارة عن آلة كان يسـتخدمها الأندلسـيين أما الشكل رقم 3فهوعبارة عن لوحة فرقة موسـيقية مشـكلة من الزنوج وفيها تظهر آلة القرقابو التي إشـتهروا بها وهي بيد العازف الراقص الذي يتوسـط الفرقة .المصـدر: الشـكلين من: .ROZET , Voyage..., Atlas,Op.cit واللوحة : المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-(بتصرف).

اللوحة رقم7

تمثل هذه اللوحة جندي من الجنود العثمانيين في مدينة الجزائر وتحديدا من صفوف طائفة رياس البحر الذين كان لهم أدوارا هامة خلال المرحلة محل الدراسة فلم يقتصر دورهم على الصعيد العسكري والسياسي بل تعدى الأمر ذلك ؛حيث ساهموا بفضل نشاطهم البحري في الازدهار الاقتصادي والعمراني الذي شهدته مدينة الجزائر حينها مما انعكس ايجابيا على الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

اللوحة رقم8

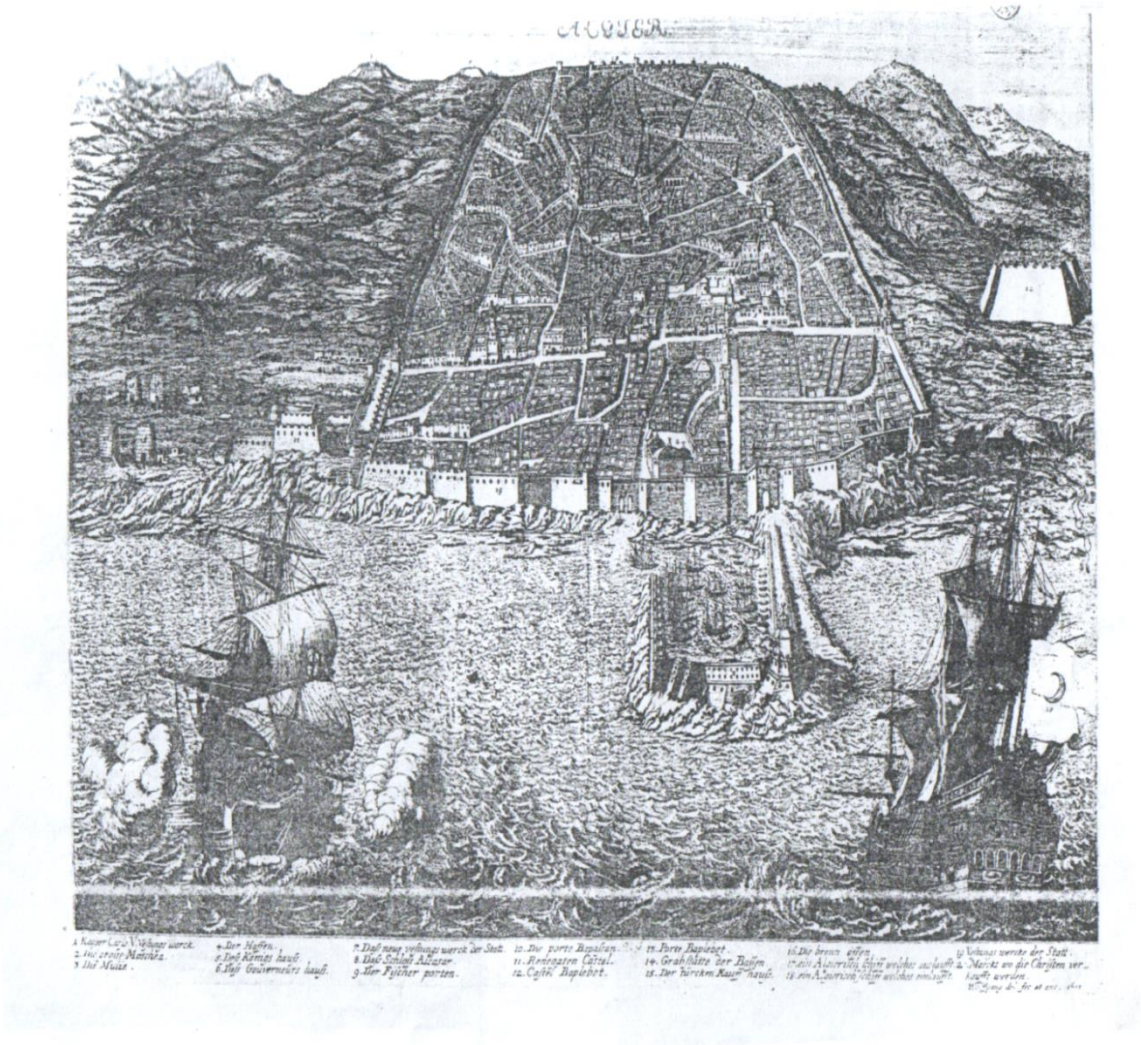

تمثل هذه اللوحة نظرة على مدينة الجزائر خلال القرن 11ه(17م) ونري في هذه اللوحة أسوار المدينة وبعض الحصـــون ،و التحصـــينات ،كما نلاحظ رصـــيف ميناءمدينة الجزائر {أوكاسرة الأمواج } الذي بنيمن ركام حصن البينون .

المصدر:

ESQUER (G) : Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à 1870 Editions Plon, Paris, 1929.

اللوحة رقم 9

تمثل هذه اللوحة نظرة على مدينة الجزائر خلال القرن 11ه(17م) ونري في خلفية اللوحة مدينةالجزائر ورصيف ميناءها.

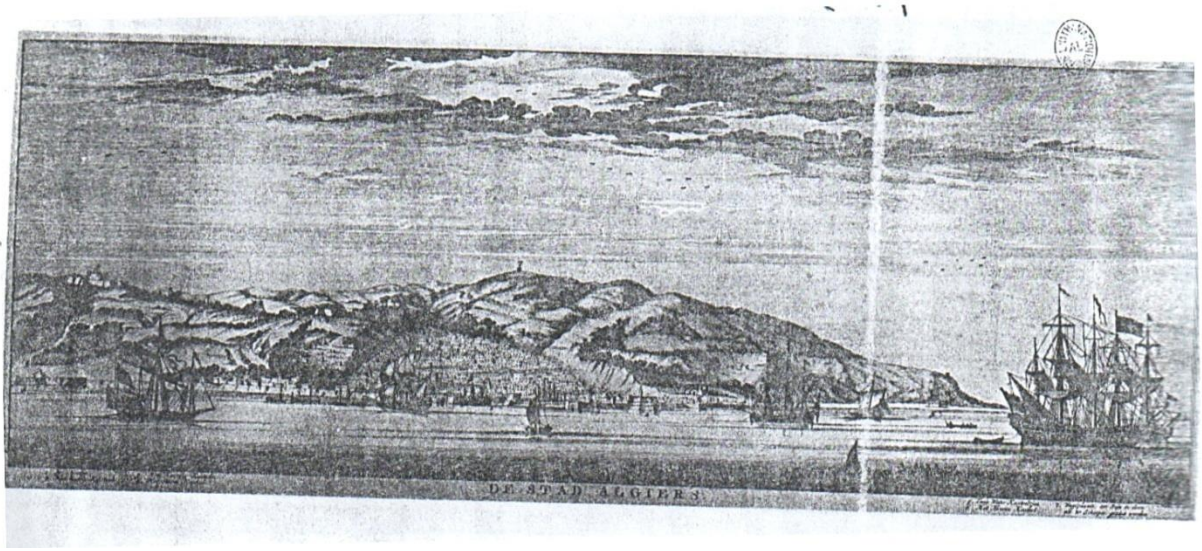

تمثل هذه اللوحة نظرة على مدينة الجزائر من بعيد خلال القرن 11ه(17م) و نلاحظ من خلالها الشكل المثلث لمدينة الجزائر. المصدر :

ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à 1870**Editions Plon, Paris, 1929.

اللوحة رقم 10

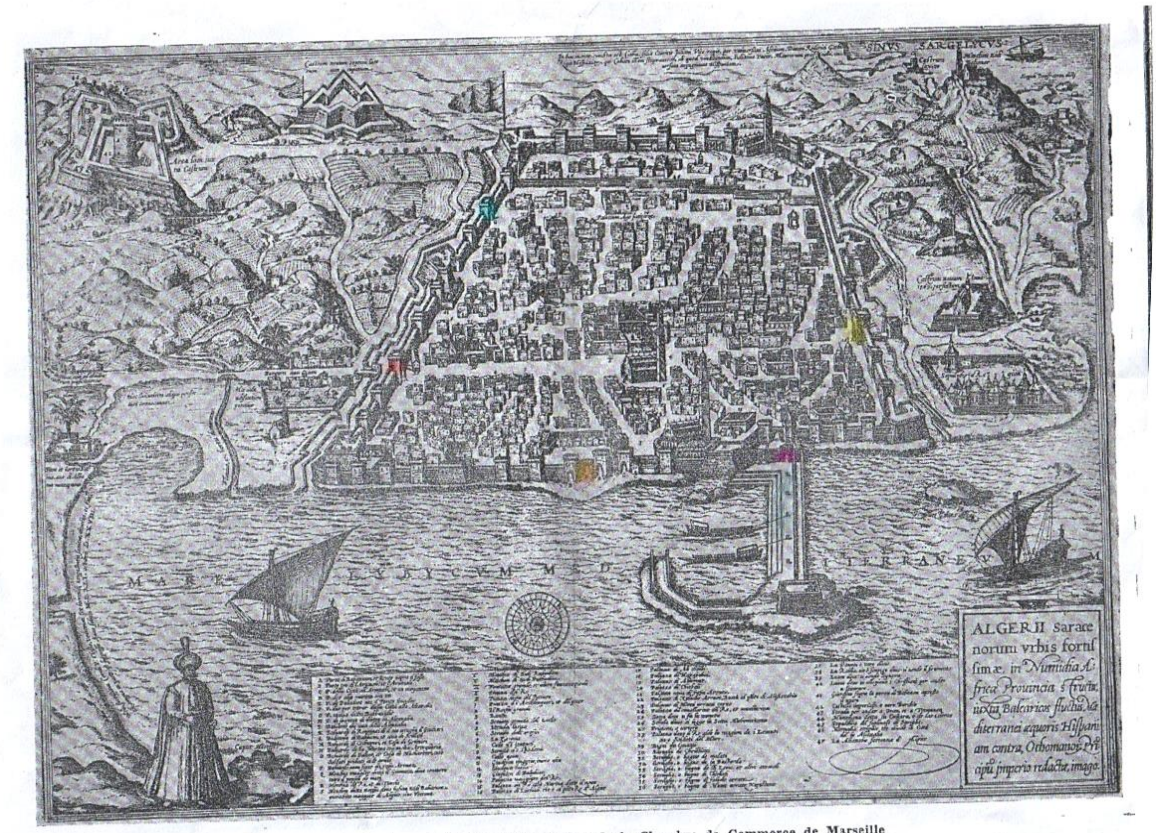

Fig. 1. — El-Djezaïr en 1570 d'après un ouvrage de la Chambre de Commerce de Marseille (Civitates orbis terrarum, de Braun - Cologne, 1577)

تمثل هذه اللوحة منظرا لمدينة الجزائر وتحصيناتها وميناءها خلال سنة 1570

أسماء أبواب مدينة الجزائر الموضحة في المخطط:

- **باب عزون**
- **باب الواد**
- **باب الديوانة أو البحر**
- **باب الجديد**
- **باب الجزيرة**

المصدر : ESQUER (G) :**Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à 1870**

Editions Plon, Paris, 1929.

اللوحة رقم 11

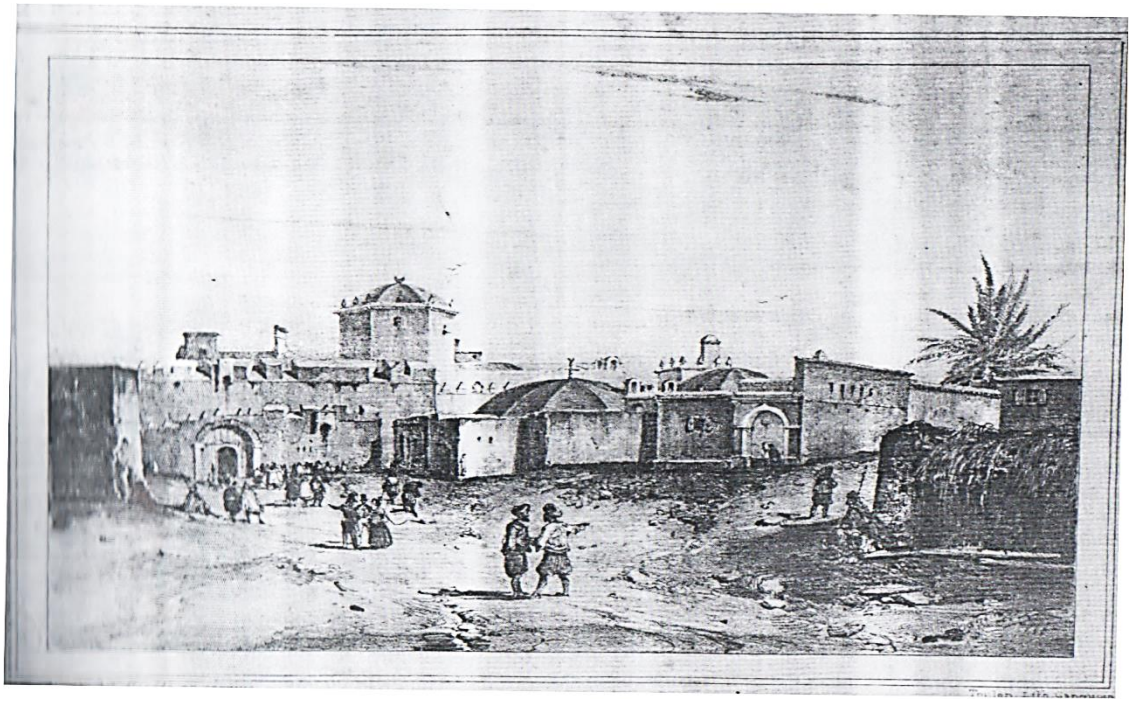

تمثل هذه اللوحة باب الوادي أحد أبواب مدينة الجزائر

تمثل هذه اللوحة ضواحي باب عزون أحد أبواب مدينة الجزائر

المصدر :

OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم12

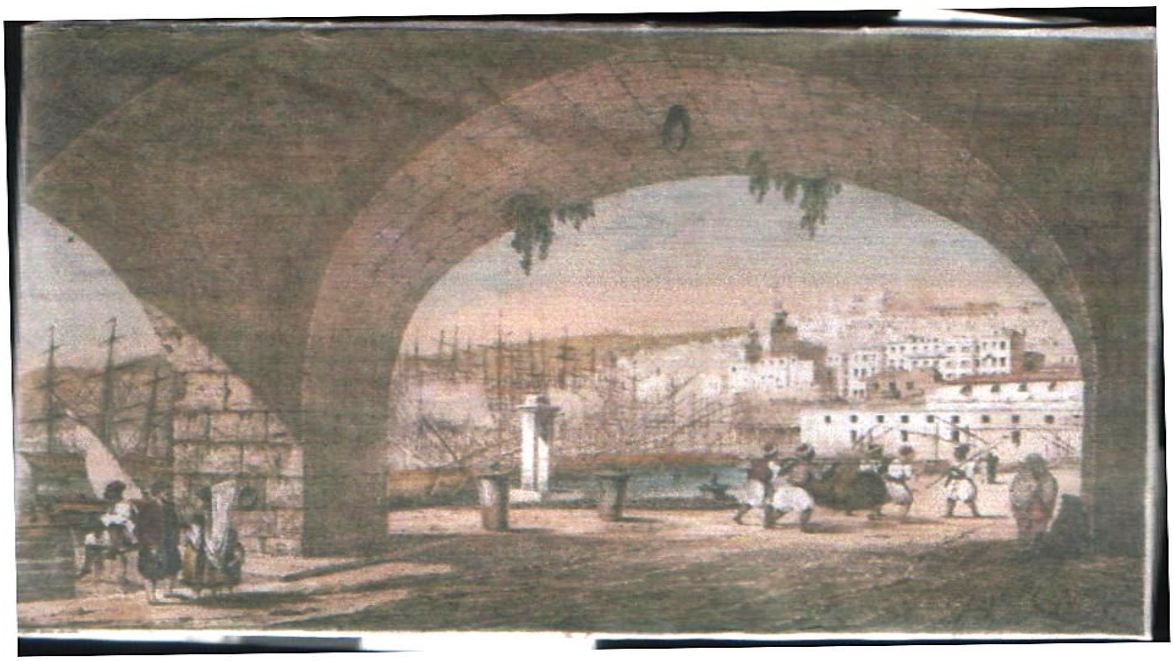

تمثل هذه اللوحة نظرة على مدينة الجزائر من الميناء بالقرب من باب الجزيرة

تمثل هذه اللوحة سكة أو زقاق من الأزقة بأعالي مدينة الجزائر حيث الأحياء السكنية كانت تتمركز أكثر من القسم السفلي منها وتعطينا هذه اللوحة نموذجا لما يعرف **بالصاباط** أي الزقاق المغطى.

المصدر :

OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم13

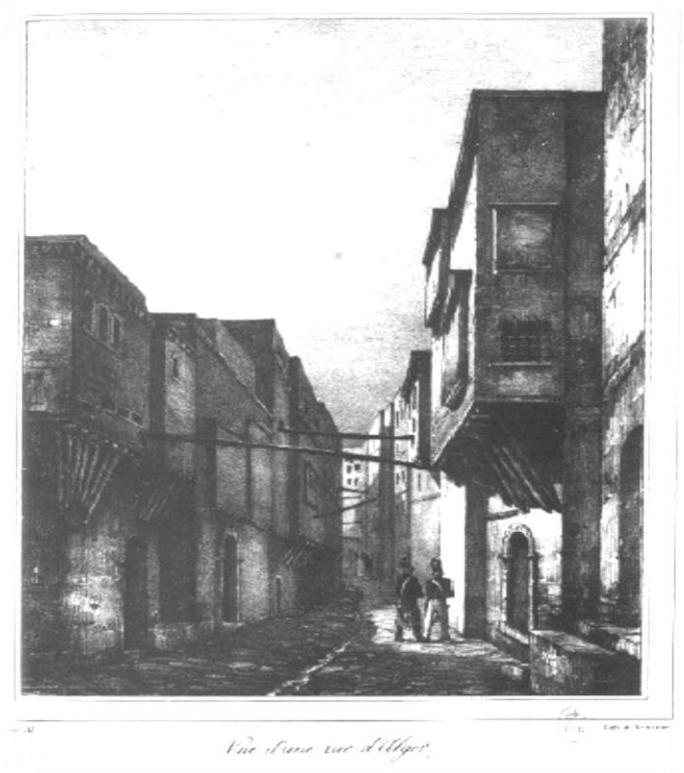

تمثل هذه اللوحة سكة أو زقاق من أزقة مدينة الجزائر حيث نشاهد من خلالها المساكن المطلة عليها

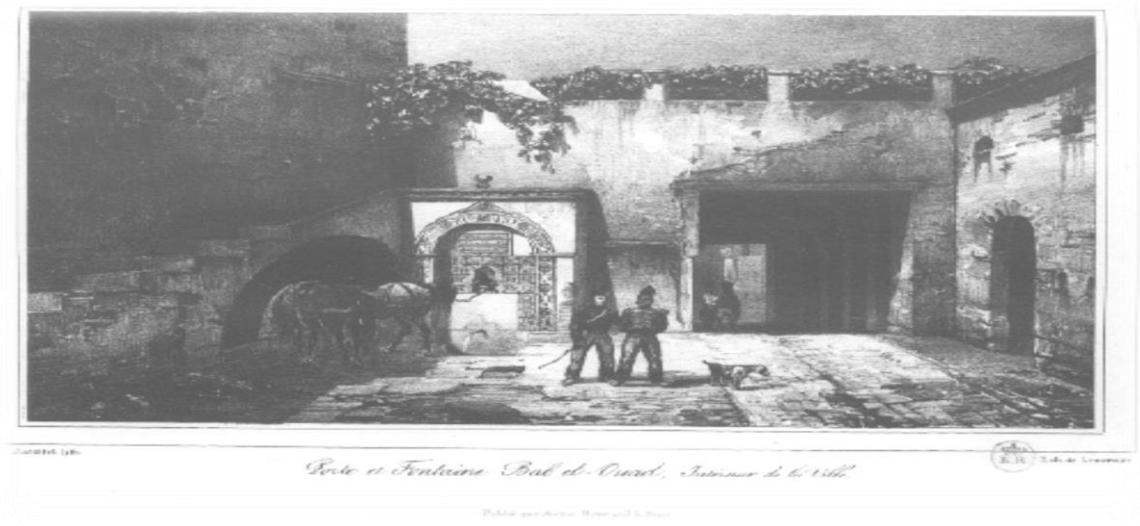

تمثل هذه اللوحة منظرا لباب الواد والعين التي كانت متواجدة بجوارها وكذا الحوض المخصـــص لشربـــ الدواب من خيول وغيرها.

ROZET, Voyage dans la Régence D'Alger Description du pays occupé par l'armée Française en Afrique, Atlas, Arthus Bertrand libraire –Editeur, Paris1833

اللوحة رقم14

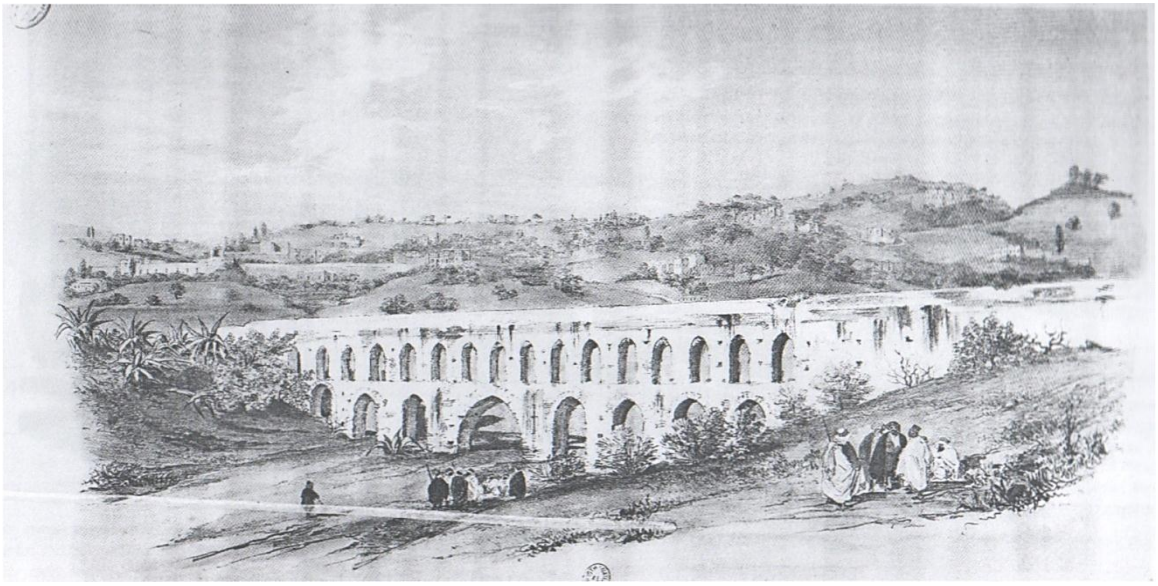

تمثل هذه اللوحة إحدى قنوات نقل الماء والتي كانت عند عبورها بالروابي والمرتفعات تمر على جسور كانت عبارة عن أقواس أعدت خصيصا لهذا الغرض،وكانت مصنوعة من الآجر وكان للبعض من هذه الجسور طابقين مترادفين مثلما هو الشأن بالنسبة لقناة الحامة.

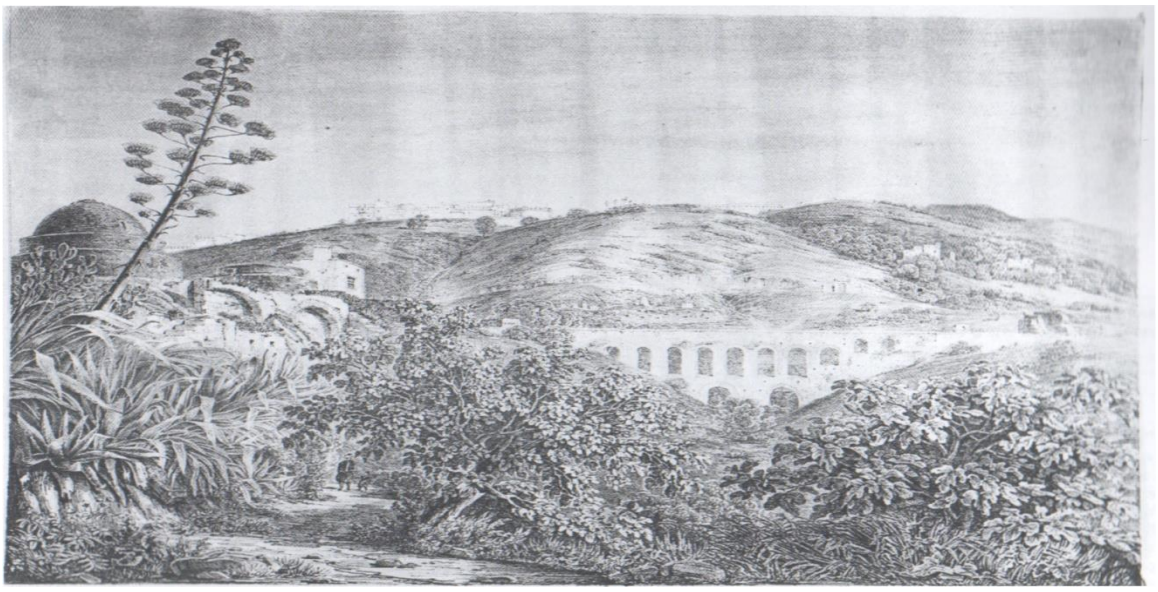

تمثل هذه اللوحة إحدى قنوات نقل الماء وبالضبط القناة التي كانت تدخل للمدينة من باب الوادي أي قناة بئر طرارية .

المصدر : OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D’Alger

اللوحة رقم 15

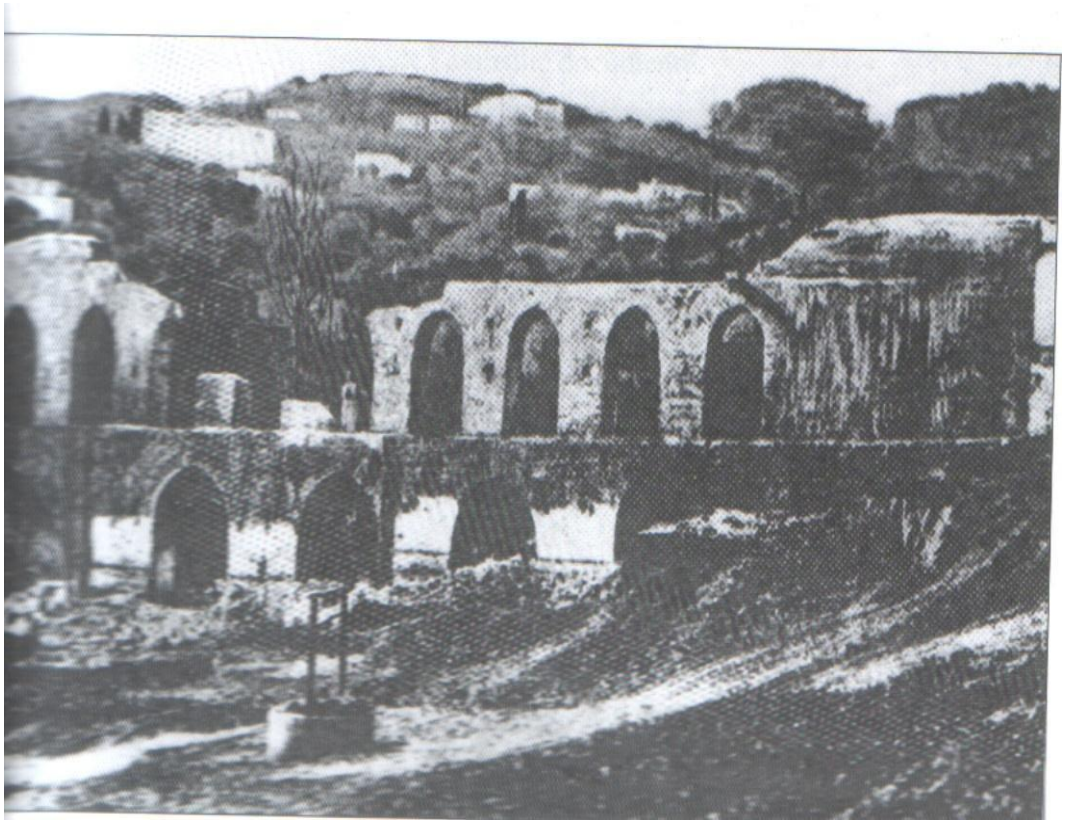

تمثل هذه الصورة آثار قناة الحامة،وقد كانت تنقل الماء من المنبع الرئيسي المتمثل في عين الحامة الطبيعية وكانت من أهم السواقي ،والقنوات خلال العهد العثماني،وينسب بناءها إلى أحد المهندسين الأندلسيين الذي كان يعرف **بأوسطاموسى** .

المصدر بتصرف:

Missoum (Sakina), Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003

اللوحة رقم 16

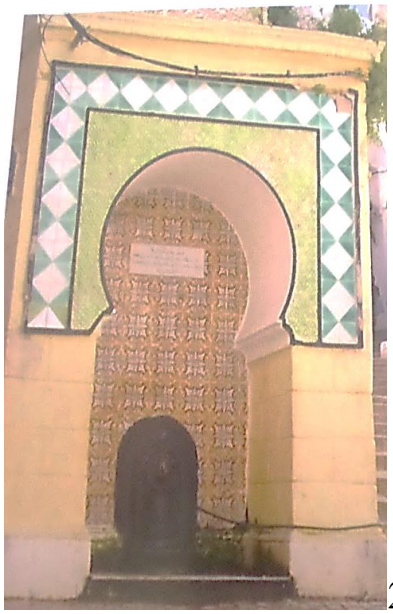
2

1

3

تمثل هذه الصـور الثلاث نماذج لعيون مدينة الجزائر التي تعود للعهد العثماني وكانت العيون حينها من أبرز معالم مدينة الجزائر واســـتعمل في بنائها الزليج -الفاينس- والمرمر، وكانت هذه المواد تســـمح بالحفاظ على النظافة المطلوبة وكانت هذه العيون متواجدة عادة في إطار داخل الحائط أو الجدار وكانت خلفيته مزينة بفسيفساء جد جميلة فالقطع الصغيرة المجمعة بواسطة الملاط كانت تشكل أشكالا جد رائعة ،وفي كثير من الأحيان كان يعلوها سـقف صـغير على شـكل قوس من القرميد الأخضر ـ الجميل وأدت هذه العيون عدة أدوار بداية بتوفير احتياجات السكان من الماء مرورا بتجميلها للمحيط ومحافظتها على نظافته وصولا إلى مساهمتها في انتعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة.

مصدر الصوربتصرف:الصورة رقم 1 ورقم 2:

Aissaoui (Zohra), Carreaux de faïencéeà l'époque Ottomane en Algérie...

الصورة رقم 3 :

Ali Marok, la casbah d'Alger, présentation Mohamed Temmam art et culture, ministère de l'information et de la culture, Alger sans date

اللوحة رقم17

تمثل هذه اللوحة منظرا لخليج مدينة الجزائر كما نلاحظ على الجانب الأيمن من اللوحة قناة لنقل المياه

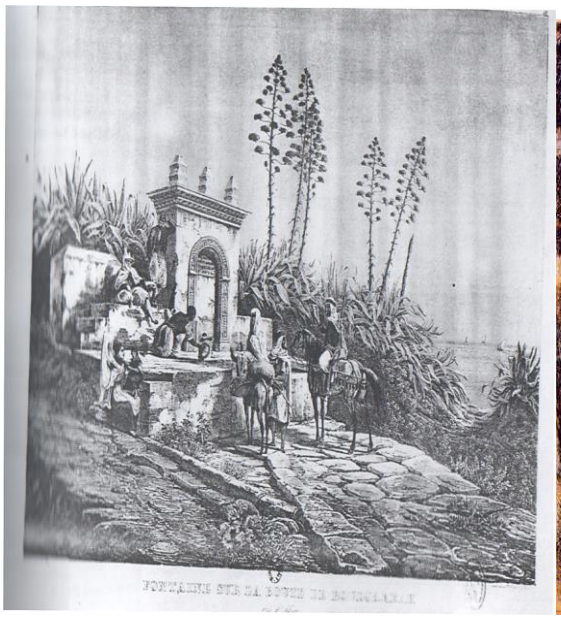

تمثل هذه اللوحة عين ماء على طريق بوزريعة تعد نموذجا للعيون التي كانت منتشرة الجزائر.

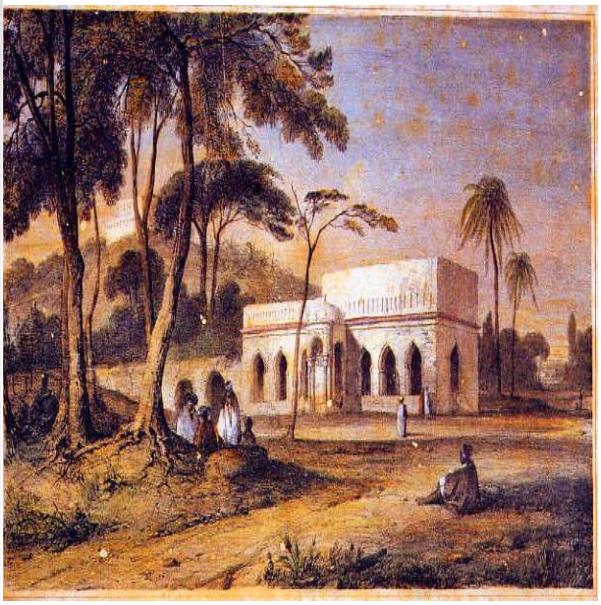

تمثل هذه اللوحة عين بئر خادم في ضواحي مدينة والتي في فحوص مدينة الجزائر

المصدر بتصرف:

OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم18

تمثل هذه الصورة عين ماء في مدينة الجزائر تعود للعهد العثماني، والتي تعد من أبرز مظاهر الشبكة المائية والمرافق العمومية في مدينة الجزائر،والتي ساهمت في إنعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الفترة المدروسة فضلا عن دورها في تجميل المدينة، وتزينها،ببنائها المتقن؛ حيث كانت العيون تبنى بناء يسر الناظرين ؛فقد كانت محاطة بالزليج الملون الأنيق.كما ما نلاحظ بالقرب من العين حامل الماء وهو يحمل على كتفه آنية نحاسية كانت تستعمل لاحتواء الماء.

المصدر بتصرف :

Missoum (Sakina), Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003

اللوحة رقم19

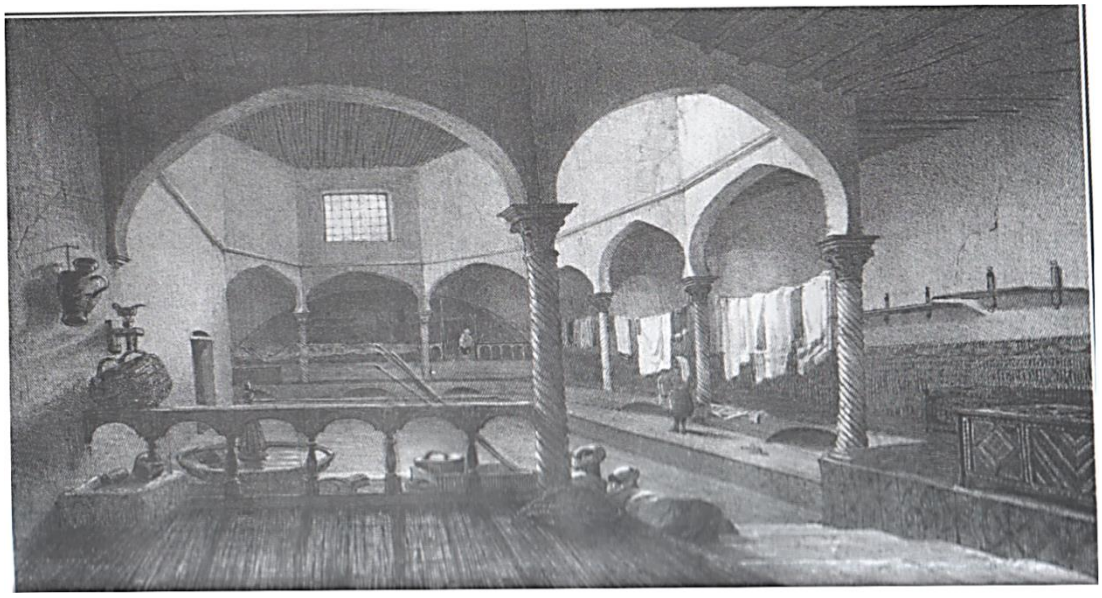

تمثل هذه الصـــورة قاعة الاســـتقبال في إحدى حمامات مدينة الجزائر قاعة اســـتبدال الملابس والراحةعند الانتهاء من الاستحمام.

المصدر: LESSORE (E), WYLD (W) : Voyage Pittoresque dans la Régenced'Alger,PlancheXXXVII

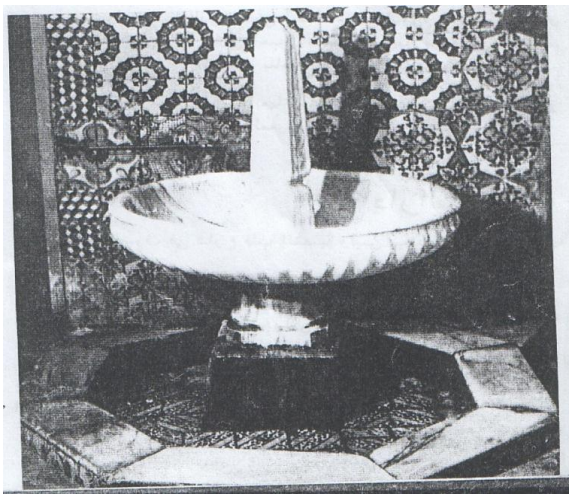

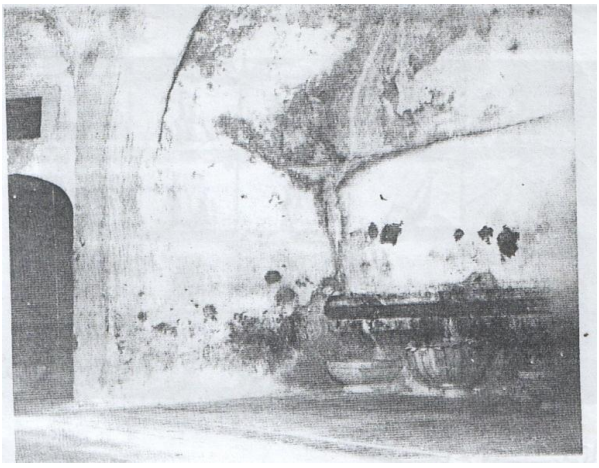

2 **1**

1تمثل هذه الصورة حمام من أقدم الحمامات بالجزائر "حمام سيدنا"و هو حمام حسن باشاوتم الانتهاء من بنائه سنة1550

2تمثل هذه الصورة صحن حمام سيدنا وقد احتفظت الزخارف فيه بطابعها القديم.

المصدر: وزارة الإعلام والثقافة بمشاركة سيد احمد بغلي، "الجزائر

اللوحة رقم20

"طاسة الحمام"(المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة الإناء النحاسي الذي كان يستخدم في الحمام من طرف المستحمين للاغتسال حيث كان يستعمل في رفع الماء من حوض الاستحمام، وهو كما يتضح بديع الصنع وكثيرة الزخرفة ويسمي طاسة الحمام.

اللوحة رقم21

"محبس الحمام " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا آخر من نماذج الأواني النحاسية التي كانت تستعمل من طرف المرأة في الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه(17 م) لحمل أغراض الحمام المتنوعة- المسماة في اللغة العامية "محبس الحمام"- وهي تختلف عن سابقتها في الزخارف والحجم والشكل وفي كونها تملك مقبضا ولديها أرجل قصيرة ترتكز عليها وكانت تستعمل خاصة من طرف العروس.

اللوحة رقم22

"محبس الحمام " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

هذه الصورة آنية نحاسية جميلة الزخارف والنقوش، كانت تستخدم من طرف نساء مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه (7 م)لوضع حوائج الحمام من صابون وعطور وغيرها.

" مشط"(المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة مشطا كانت تستعمله نساء مدينة الجزائر في مشط وتسريح الشعر، وكان هذا المشط كثير لاستعمال في الحمامات وليزال، " وهو كما يتضح مصنوع من الفضة، ويحمل زخارف هندسية ونباتية جميلة.

اللوحة رقم23

تمثل هذه الصـــورة الجامع الأعظم أو الكبير الذي يعد من بين أقدم وأهم المرافق الدينية في مدينة الجزائر و كان يندرج في إطار مســـاجد وجوامع المذهب المالكي و تمتع الجامع الكبير بمكانة هامة لدى مجتمع مدينة الجزائر وحكامها في ظل الحكم العثماني والدليل التحسـينات المعمارية التي أدخلت عليه واتخاذه مقرا تعقد فيه جلسات المجلس العلمي أو الشريف.مصدر الصورة بتصرف:شاوش صالح و بن شـريف مريامة،رحلة في تراث المغرب العربي ،ترجمة محمد هشـام بن شـريف،مراجعةعبد السـلام يخلف ،تقديم البروفيســور مارك كوت، صــدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائريةدار بهاء الدين للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2014ص144

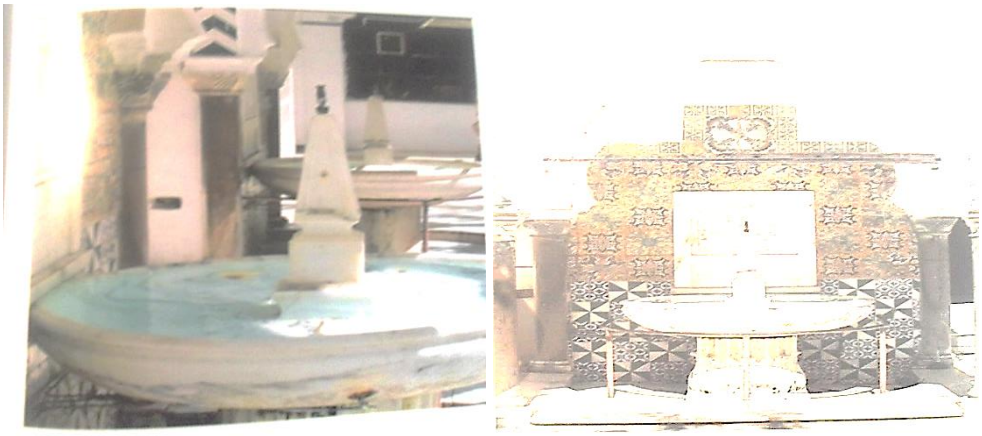

ازدانت قاعة الصلاة في الجامع الأعظم في ظل الحكم العثماني بوجود فسيقتين؛ أي نافورتين من المرمر-الرخام –شـكلت مع حوضـيها من قطعة واحدة من خالص الرخام أضـافها العثمانيون في السـاحة المخصـصـة للوضـوء،وهذا دليل على مكانة هذا الجامع لدى كل سكان مدينة الجزائر بما فيهم أتبـاع المـذهـب الحنفي وممثلي السـلطـة وهو دليـل غيـاب ؛أي خلاف بين المـذهبين السـائـدين فيأوسـاطهموكذا احترام والحكام العثمانيين ومحافظهم على الخصـوصـيات المحلية كإحدى أهم ركائز حكمهم في مدينة الجزائر .مصـدر الصـورة رقم 1 و2 بتصـرف:**معهد العالم العربي** ،قنطرة "qantara " التراث المتوسطي تقاطع الشرق والغرب ،مرجع سابق ،صص60-61

اللوحة رقم24

1

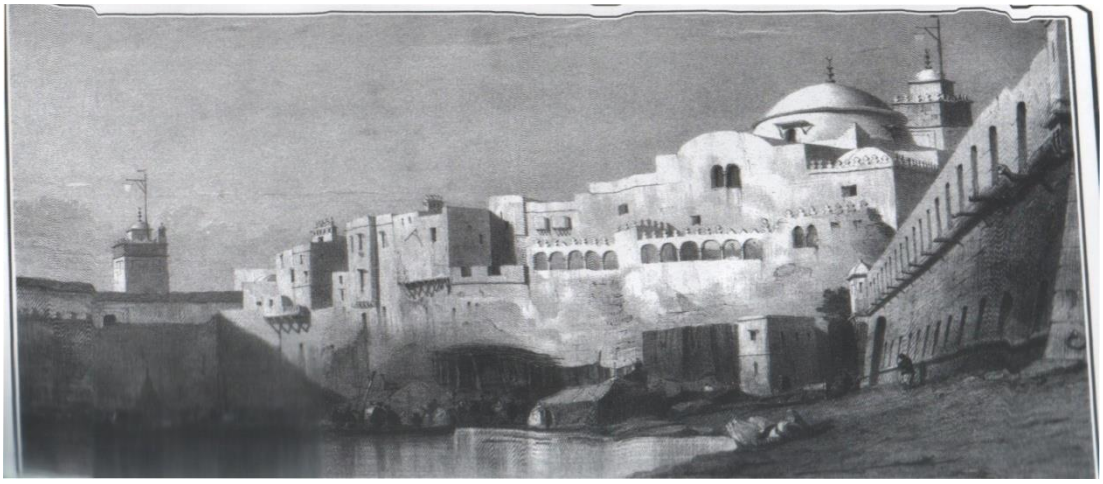

2

تمثل اللوحتين 1،و2 كل من الجامع **الجديد** والذي عرف أيضا (بمسجد المصيدة) وقد شيد بفضل أموال مؤسسة أوقاف سبل الخيرات وكان يقصده أتباع المذهب الحنفي ،و الجامع الأعظم–الكبير- الذي يظهر في خلفية اللوحتين وهو أقدم مســجد جامع في مدينة الجزائر حيث يعود للعهد المرابطي و قد شيد هذا المسجد الجامع في أول رجب 490هـ الموافق لـ 14 جوان 1097 من طرف يوسف بن تا شفين لذا اعتبر من أقدم المباني الدينية في مدينة الجزائر، و أكثرها صيتا، و شهرة وكان يقصده أتباع المذهب المالكي.المصدر :

OfficeCasbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger, Riad el feth et LESSORE (E), WYLD (W) : Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger, planche VIII

اللوحة رقم25

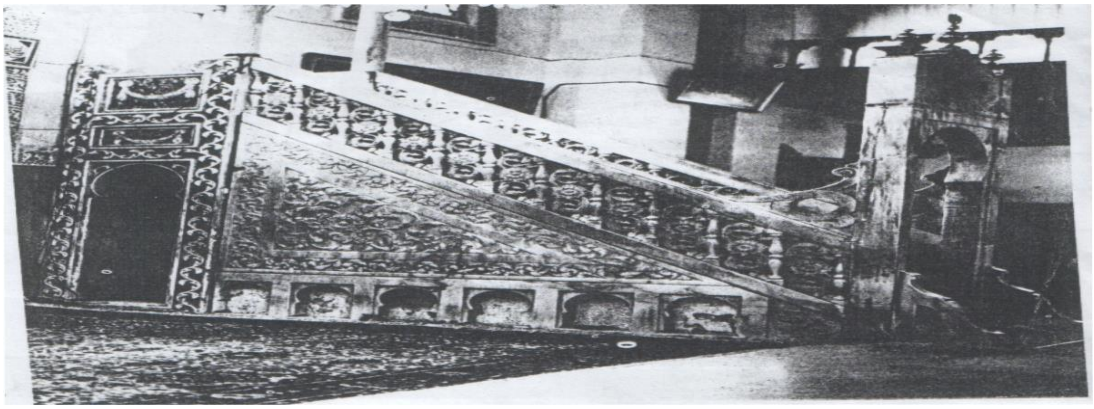

تمثل هذه الصورة منبر قديم بالجامع الجديد وهو الأثاث الوحيد المتبقي من آثار مسجد السيدة

المصدر: وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر

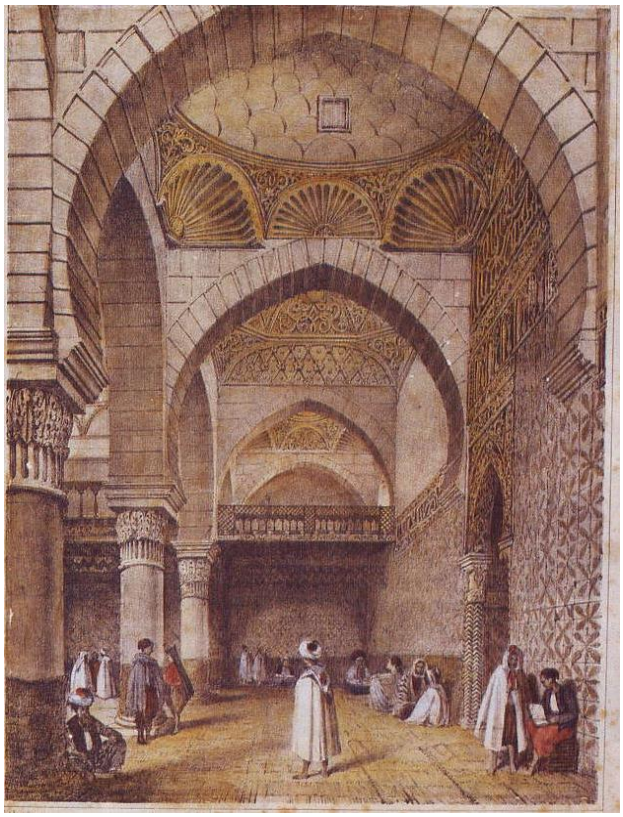

تمثل هاتين اللوحتين قاعة الصلاة لمسجدين في مدينة الجزائر، حيث نلاحظ حلقة للذكر والتعلم أي الدور المزدوج للمسجد الدور الديني، والعلمي. المصدر :

OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D’Alger

اللوحة رقم26

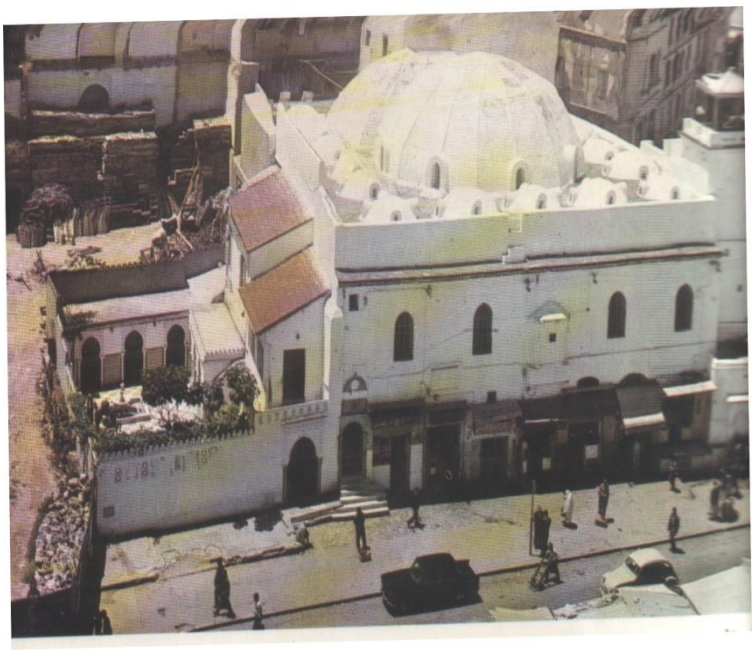

تمثل هذه الصورة مسجد علي بتشين والذي لايزال يحتفظ بهندسته المعمارية ونلاحظ أسفلالمسجد الحوانيت السبعة التي كانت وقفا تصرف مداخليه على صيانة المسجد وتغطية مصاريفه ونلاحظا ايضا العين التي تستند إلى الجامع والحديقة الملحقة به .

المرجع: وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، المساجد في الجزائر

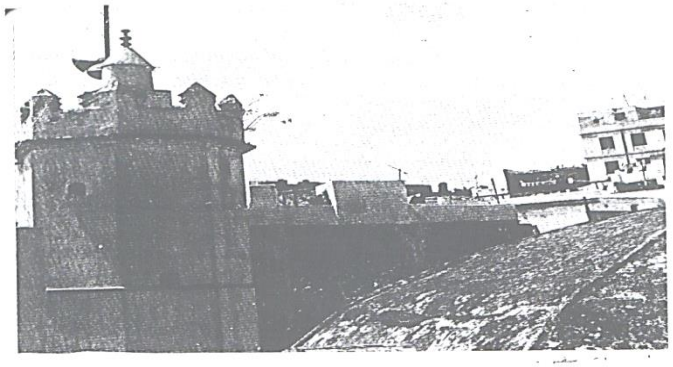

تمثل هذه الصـــورة مئذنة جامع صـــفر التي تعد نموذج للتأثير العثماني في مجال العمارة الدينية وتلاحظ أيضـا جزء من قبته و الذي يثير الإعجاب ويؤكد مهارة البنائين والحرفيين في مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة أن هذا الجامع الذي بني خلال مدة تسعة أشهر فقط حينها و بمواد محلية في مجملها لايزال قائما إلى يومنا هذا.المرجع: وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر

اللوحة رقم27

Jama' Sidi Ramdan. © S. Missoum.

تمثل هذه الصورة مسجد سيدي رمضان -وكان يسمى أيضا بمسجد القصبة- وسقفه المغطى بالقرميد الأحمرالموضوع على سقوف تسعة ذات جانبين متقابلين.

المصدر:Missoum(Sakina), Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003

تمثل هذه الصورة مئذنة مسجد سيدي رمضان وكانيسمى أيضا بمسجد القصبةونلاحظ أيضا جزء من سقفه المغطىبالقرميد الأحمرالموضوع على سقوف تسعة ذات جانبين متقابلين.

المصدر: وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر

اللوحة رقم 28

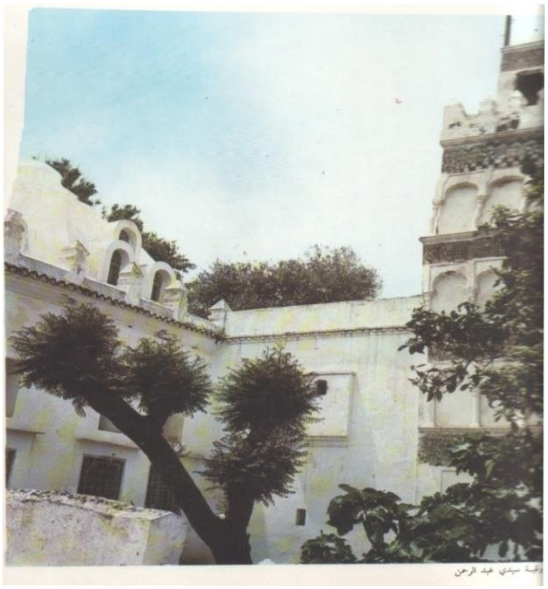

تمثل هذه الصورة مئذنة وقبة مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي .المرجع:

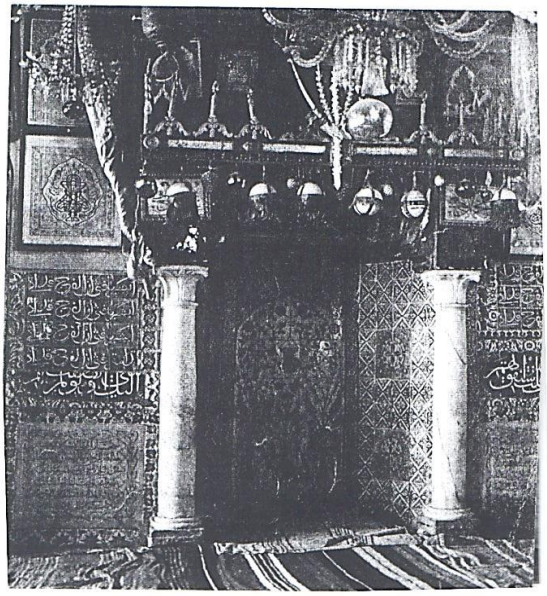

تمثل هذه الصورة محراب سيدي عبد الرحمن الموشى بالزليج و الزخرفة الإسلامية.

وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة ، المساجد في الجزائر، المصدر: وزارة الأخبار و الثقافة، الجزائر

1

2

1 تمثل هذه الصورة مصلي سيدي هلال بمدينة الجزائر نموذج لمصليات تلك الفترة

2 تمثل هذه الصورة واجهة مصلى سيدي هلال

المصدر : وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة، المساجد في الجزائر

اللوحة رقم 29

مربعات الخزف الإسباني مربعات الخزف الإيطالي مربعات الخزف التونسي

مصدر الصور:

Aissaoui) Zohra), Carreaux de faïencée à l'époque Ottomane en Algérie,éditions barzekh Alger, décembre2011

لوحة من البلاطات الخزفية بزخارف نباتية متعددة الألوان مصدرها تركيا

تمثل هذه الصـــور بعض نماذج المربعات الخزفية "الزليج"التي اســـتعملت كثيرا في تزيين المرافق الحضـــارية بمدينة الجزائر من مرافق دينية وسـكنية ومائية وغيرها وقد كانت هذه المربعات الخزفية تمثل أشـكالا متنوعة وتبرز ألوانا متعددة كما تنوعت مصـادرها وأدت دورا هاما في تجميل هذه المرافق وكذلك في الحفاظ على نظافتهاحيث كانت عملية تنظيفها لاتتطلب كثيرا من الجهد ولا سيما أنها كانت تنظف بإستمرار ورغم مرور قرون عليها لاتزال تحافظ على جمالها وإشراقة ألوانها مما يوحي بمهارة صانعيها وخبرتهم وجودة المواد الأولية المستخدمة في صنعها .المصدر بتصرف:المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية - الجزائر العاصمة-

اللوحة رقم 30

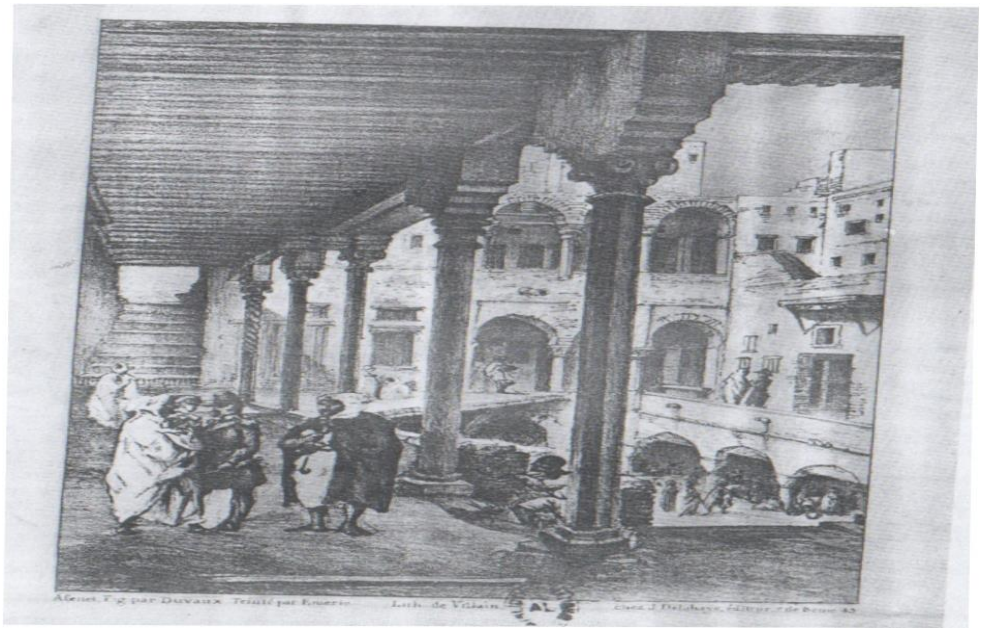

تمثل هذه اللوحة فندق الزيت في مدينة الجزائر الذي كان مخصصا لبيع الزيت وقد كان مشغولا من طرف جماعة الأغوطيين الذين تخصصوا في المتاجرة به ونلاحظ الطوابق الثلاثة التي كان يتشكل منها وكذا ساحته الواسعة المحاطة بالدكاكين والمخازن في الطابق السفلي –الأرضي -.

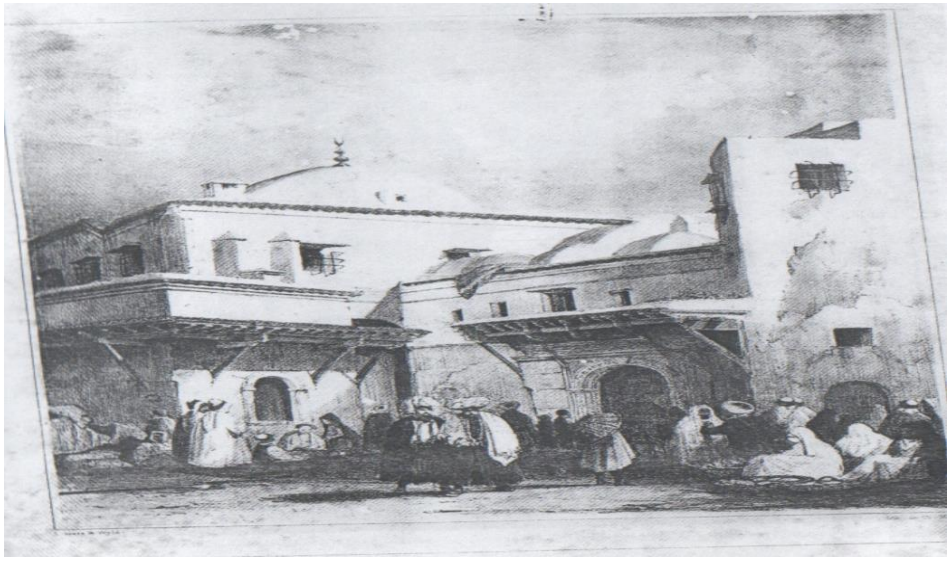

تمثل هذه اللوحة فندق **البحرية أو فندق القهوة الكبيرة** كان يقع في شارع أو طريق باب الجزيرة بالقرب من القهوة الكبيرة التي استمد منها اسمه وكان يسميه الأوروبيين "فندق البورصا".

المصدر: OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم 31

2 1

تمثل اللوحتان **1**و**2** نموذجا للحوانيت في مدينة الجزائر اللوحة **1** حانوت للمواد الغذائية والغلال اللوحة **2** تمثلحانوت لبيع الأنسجة والأقمشة المنسوجة من الحريرية وخيوط مذهبة ونلاحظ من خلال اللوحتان مصطبة الدكان أو الحانوت التي كما توضح لنا اللوحة **1** طريقة عرض السلع. المصدر :

LESSORE (E), WYLD (W) : Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger,**1**plancheVII **2**plancheXIII

تمثل هذه الصورة حانوتين للجزارة حيث نلاحظ طريقة عرض اللحم وكذا العناصر المشكلة لحانوت الجزار والتي كانت تتماشي مع نوع السلعة المعروضة للبيع. المصدر:

Office Riad el feth , Casbah ,Architecture et urbanisme ,Galerie du musée national des beaux – artsD'Alger

اللوحة رقم 32

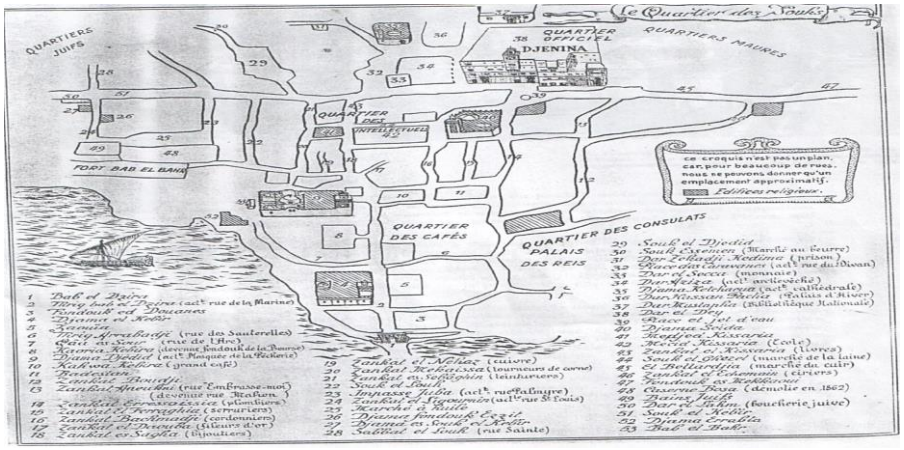

يمثل هذا الشكل مخطط تقريبي لتوزيع الأسواق في مدينة الجزائر

1 باب الجزيرة	19 زنقة النحاس	37 دار مصطفي
2 طريق باب الجزيرة	20 زنقة المقياسية	38 دار الداي
3فندق الديوانة	21 زنقة الصباغين	39 ساحة النافورة
4جامع الكبير	22 سوق اللوح	40 جامع السيدة
5زاوية	23 ممر يوبا	41 مسجد القيصرية
6 طريق عربجي	24 زنقة الصباغين	42مسيد القيصرية
7 قاع الصور	25 سوق(فندق) الزيت	43 زنقة القيصرية
8 القهوة الكبيرة	26 جامع فندق الزيت	44 سوق الغزال
9 جامع جديد	27 جامع السوق الكبير	45 البلغجية
10قهوة كبيرة	28 صباط اللوح	46 زنقة الشماعين
11 البديستان	29 سوق الجديد	47 فندق المكويين
12 زنقة بوجي	30 سوق السمن	48 ثكنة
13 زنقة عنقني	31 دار سركاجي القديمة	49حمام اليهود
14 زنقة الرصاصية	32 ساحة القوافل	50دار اللحم
15 زنقة الفرارية	33 دار السكة	51 سوق الكبير
16 زنقة البشمقجية	34 دار عزيزة	52 جامع الرباط
17 زنقة الذهبة	35 جامع كتشاوة	53 باب البحر
18 زنقة الصاغة	36 دار حسن باشا	

المرجع بتصرف:

Marcel Emerit, les Quartiers Commerçants D'Alger à L'époque Turque, in Algeria, nouvelle série, Edition Baconnier, XX Année, Janvier- Février, Alger 1952, n°25,

اللوحة رقم 33

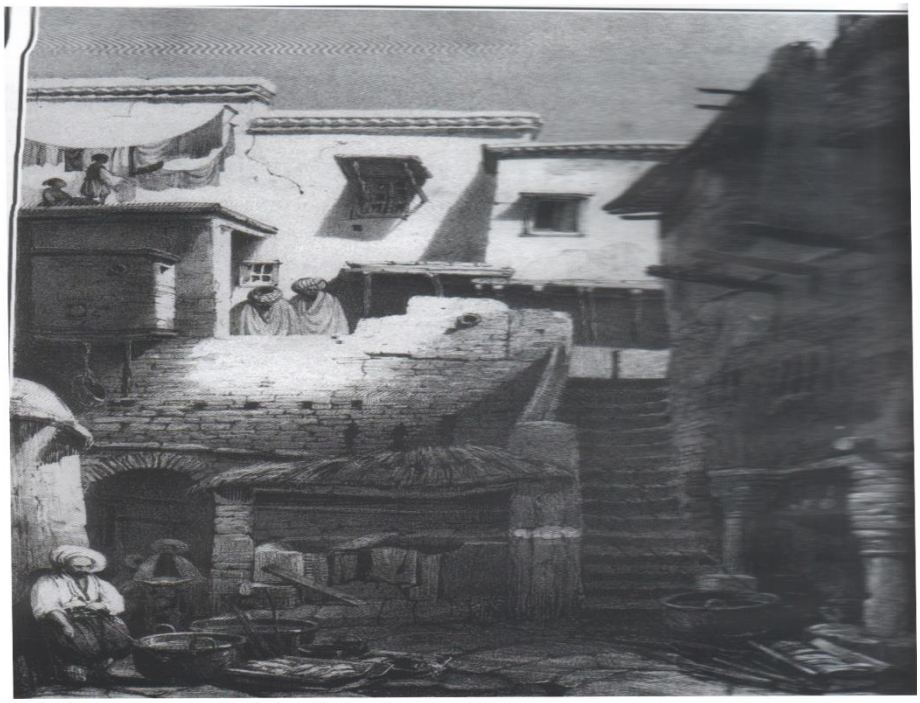

تمثل هذه اللوحة سوق أو زنقة الصباغين بشارع باب عزون؛ حيث برع الصباغين في مدينة الجزائر في صبغ الأقمشة، والحرائر بألوان جميلة.

تمثل هذه اللوحة دكان خراط حيث نلاحظ الحرفي منهمكا في حرفته التي تتطلب المهارة، والبراعة للدقة التي تتطلبها هذه الحرفة. المصدر:

LESSORE (E), WYLD (W):Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger 1Planche XXIII, et2 planche XXII

اللوحة رقم 34

تمثل هذه اللوحة سوق الأسري العبيد في مدينة الجزائر،و المعروفة "**بسوق الباديستان ".**

المصدر :

ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à 1870**EditionsPlon, Paris, 1929.

اللوحة رقم 35

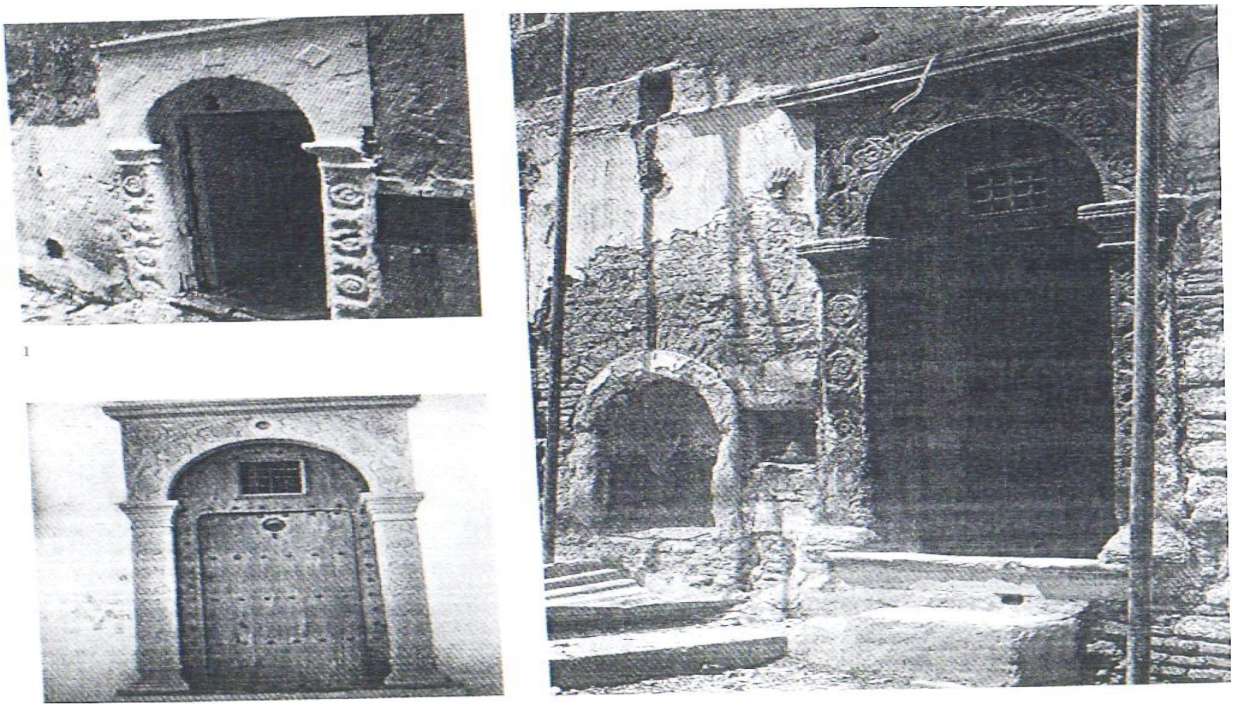

تمثل هذه الصـــورة نموذجا لأبواب مداخل الدور في مدينة الجزائر حيث يبرز بشـــكل واضح مكوناته من إطار صخري(tuf) منقوش مزخرف بدقة والباب من الخشـب السـميك المزخرف كما نلاحظ الفتحة المسيجة أعلى الباب لتوفير الإنارة، والتهوية.

3 **2** **1**

1، و2 تمثل هذه الصـورتان ظلة أي السـقف الصـغير البارز إلى الأمام كان يعلوا أبواب مداخل الدور في مدينة الجزائروالذي عادة ماكان من القرميد الأخضر. **3** تمثل هذه الصورة الفتحات الصغيرة المسيجة التي كانـت تقـام على واجهـة بعض الدور في مـدينـة الجزائر والتي كانـت بمثـابـة نوافـذ.

المرجع بتصرف: André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville....

اللوحة رقم 36

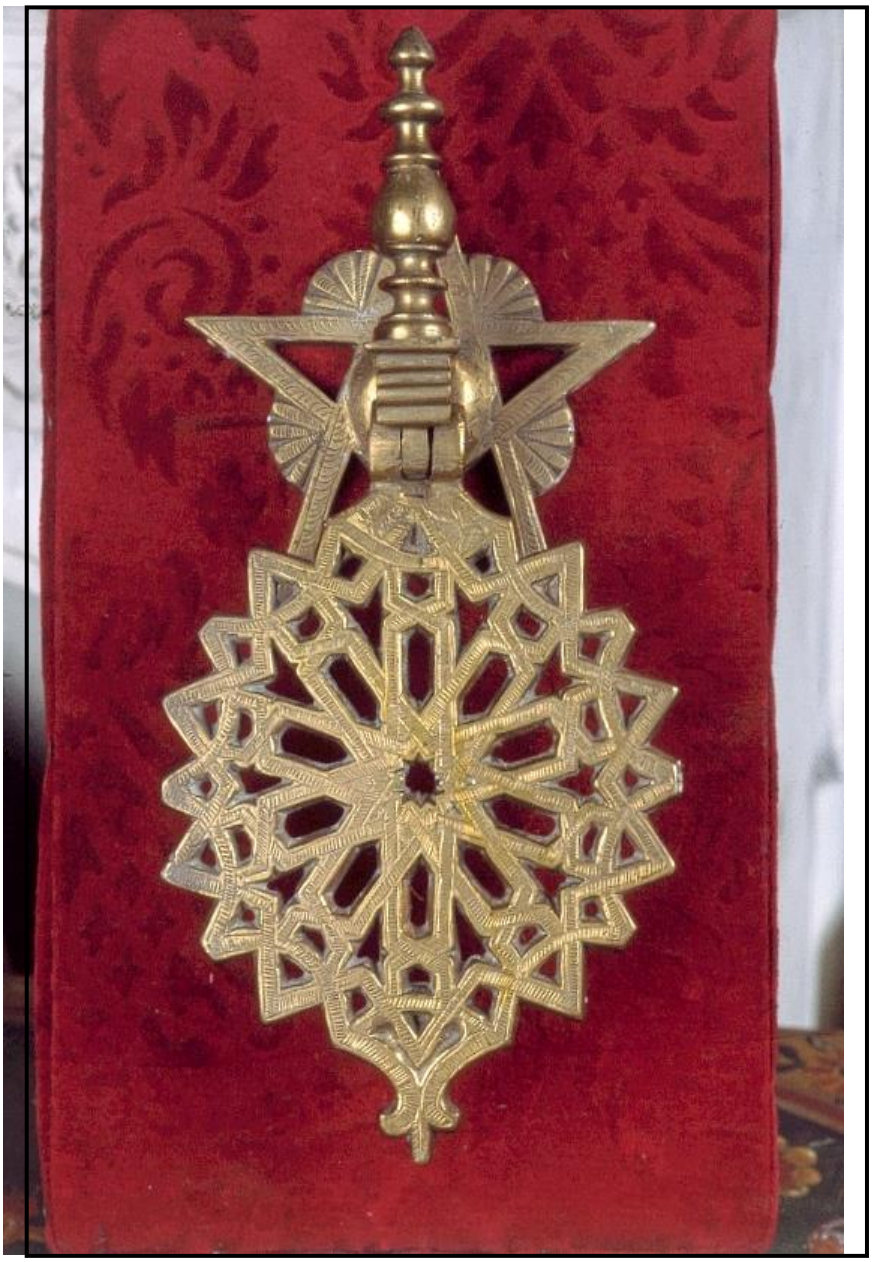

"مطرقة الباب" (المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

هذه الصورة تمثل نموذجا من نماذج مطارق الباب و قد كانت تتوسط هذه الأخيرة وتستعمل للدق والطرق عليها، وهي عادة كانت مصنوعة من النحاس أو الحديد وفي غالب الأحيان تكون نصف دائرة في حين أن هذه الصورة تمثل مطرقة باب ذات شكل هندسي جميل.

اللوحة رقم37

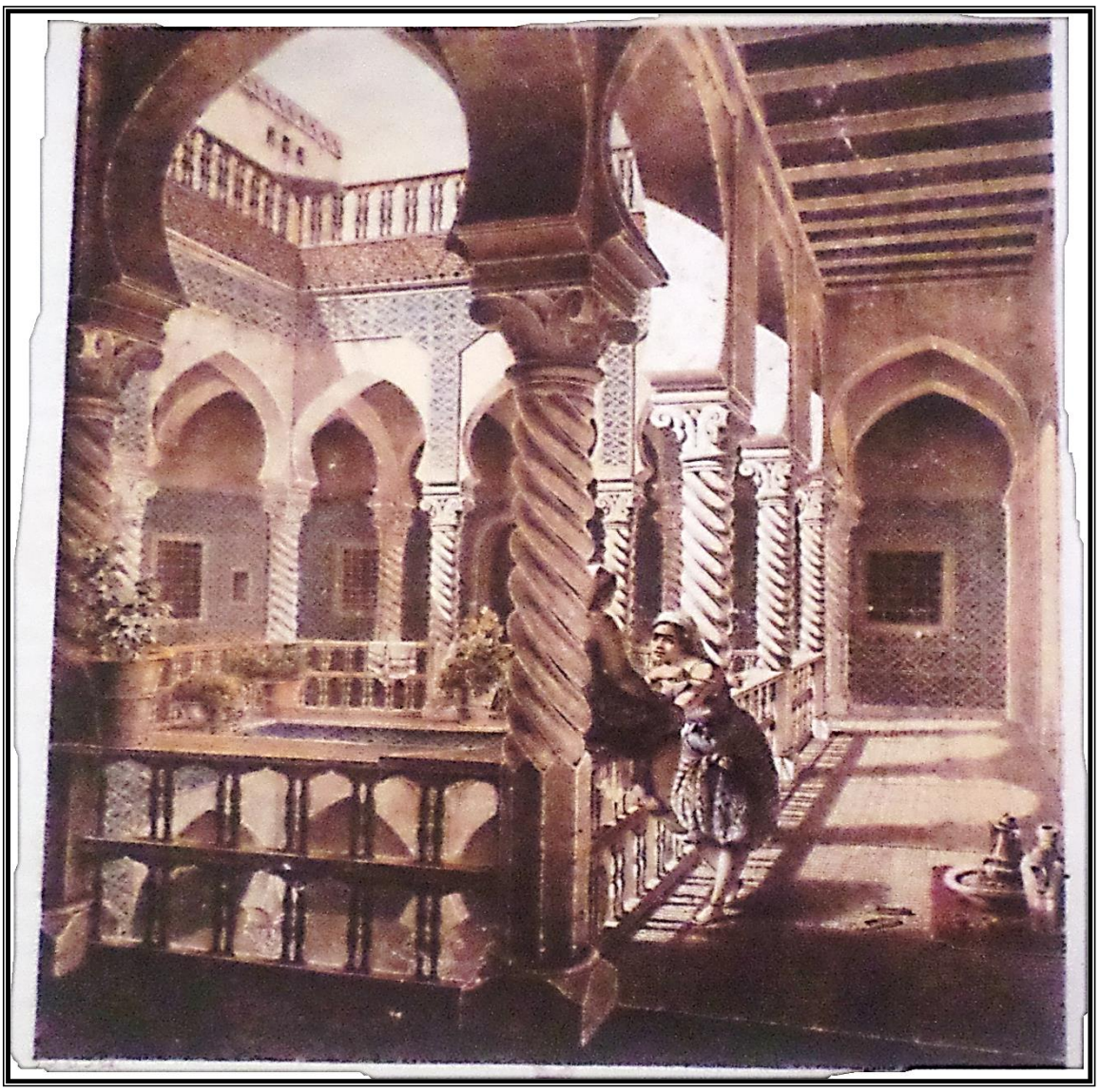

تمثل هذه اللوحة نموذجا للفضـــاء الداخلي لدور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حيث نلاحظ النور والضـوء المســتمد من الســاحة المركزية للدار أي وســط الدار الذي كان مفتوحا على الهواء الطلق كما نلاحظ كل العناصر العمرانية للدار ولاسـيما في الطابق العلوي حيث نلاحظ بشـكل واضح الدربوز أي الشرفة الخشبية .

المرجع بتصرف:

OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée national des beaux –arts D’Alger

اللوحة رقم 38

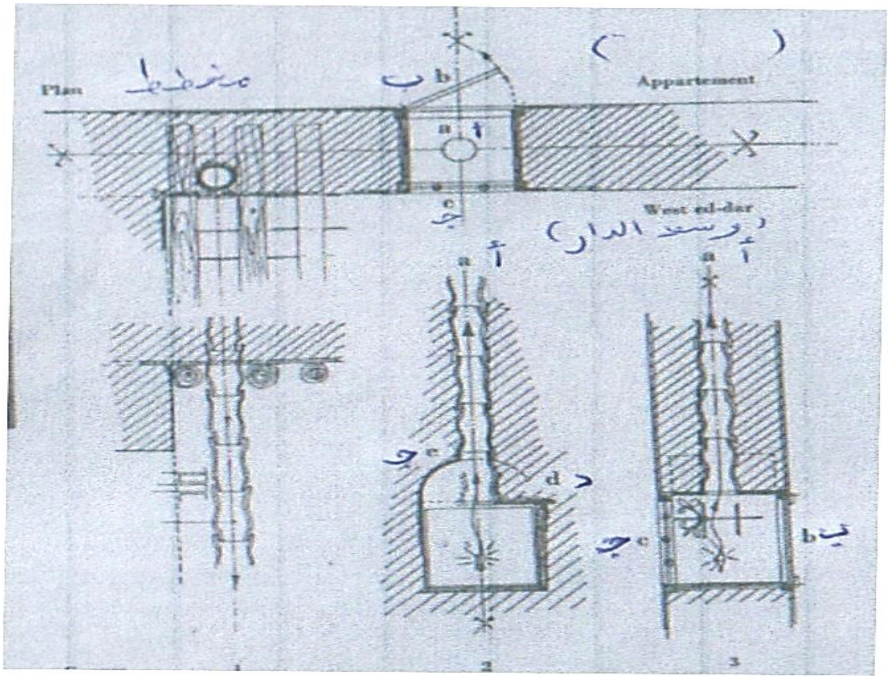

نلاحظ في الجهة اليسرى من هذا المخطط تخطيطا لقناة مخصصة لنزول مياه الأمطار من السطح إلى الخزان الموجود في القبو أما في الجهة اليمني منه فنجد قنوات لتصريف الدخان المنبعث عند الطبخ أو إشعال المصابيح الزيتية والشموع، ونلاحظ بوضوح الاختلاف الموجود في اتجاه تركيب كل من قناة نقل مياه الأمطار، وقناة تصريف الدخان.

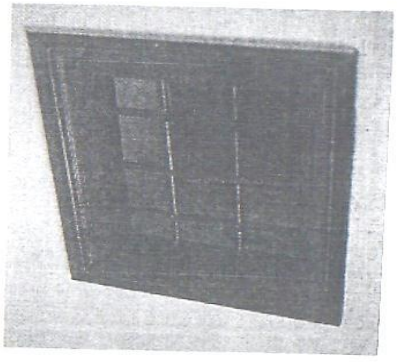

1

2

تبين الصورة 1 فتحات التهوية المسيجة التي كانت تحدث أعلى أبواب الغرف ،والبيوت المطلة على وسط الدار من أجل التهوية .

تبين الصورة 2 نموذجا لفتحات التهوية التي كانت معتمدة في دور مدينة الجزائر

المرجع بتصرف: André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 39

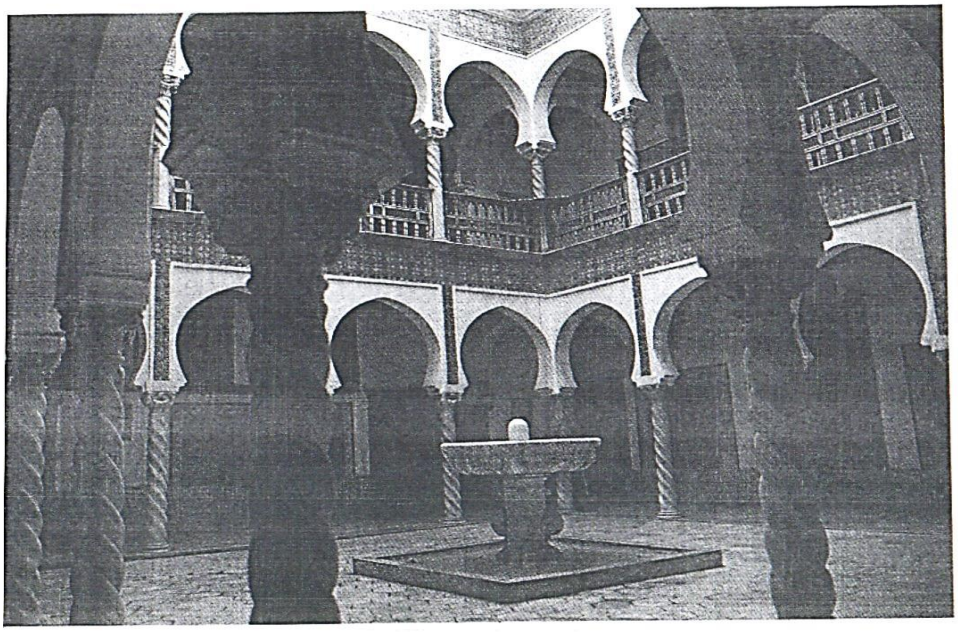

تمثل هذه الصورة وسط الدار حيث نلاحظ الساحة المركزية المفتوحة على الفضاء والمحاطة بالأروقةمن جهاتها الأربع بأروقة ذات أقواس ومحمولة بواسطة أعمدة ومصنوعة من الحجر الجيري أو الآجر في الدور الكبيرة ومن الخشب وحتى من الرخام في بعض الدور التي نراها كالقصور مغطاة في الطابق الأرضي السفلي وكذا الطابق العلوي، إذ كانت البيوت عادة لا تحتوي إلا على طابق أرضي وطابق علوي واحد فقط وفي الوسط نلاحظ نافورة الماء التي كانت تتواجد في الدور الكبيرة.

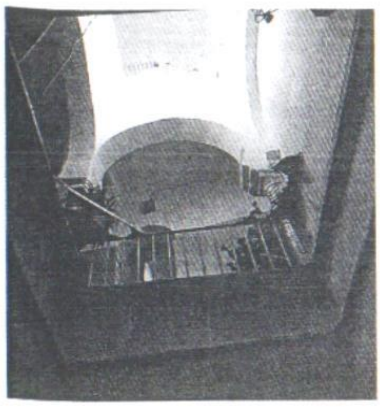

1

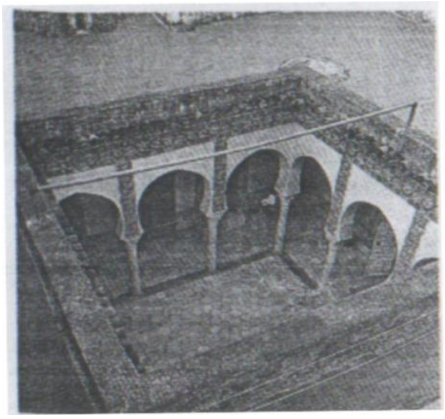

2

1 تمثل هذه الصورة وسط دار ذات طابق أرضي فقط حيث نلاحظ وسط الدار الذي يعلوه مباشرة السطح **2** تمثل هذه الصورة وسط الدار ذات قوس واحد أي وسط دار متواضعة المقاييس ومن تم نلاحظ أنه وإن اختلفت الدور من حيث مساحتها إلا أنها كانت تشتمل على نفس العناصر العمرانية حيث يلاحظ وسط الدار الذي كانت تنتظم حوله بقية العناصر المشكلة للدار من أروقة وبيوت، وغرف..الخ . André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville(بتصرف)

المرجع :

اللوحة رقم 40

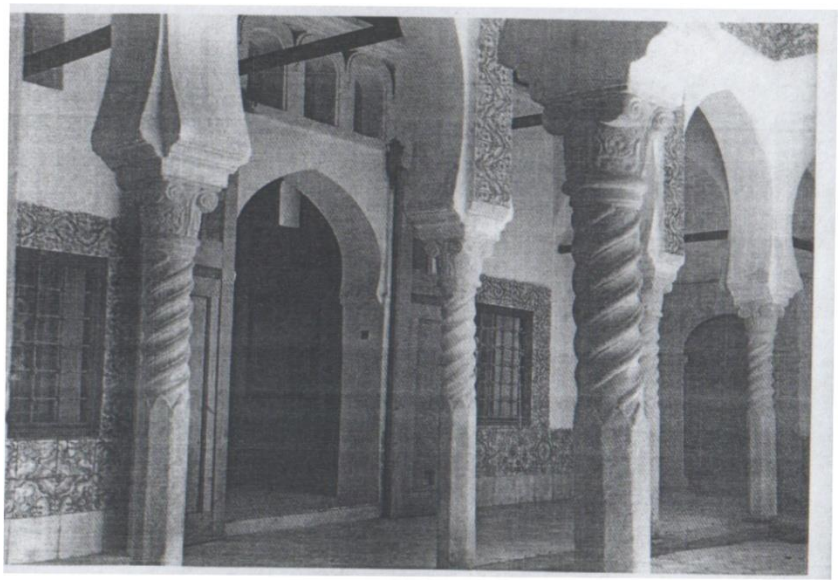

تمثل هذه الصورة البيت الموجودة في المستوى الأرضي والمطلة على الرواق الموجود حول وسط الدار عن طريق الباب والنافذتان الموجودتان على جانبي باب البيت المفتوحة عليها، ونشاهد بوضوح الأروقة المشكلة من أقواس المحمولة بأعمدة جميلة الزخرفة والموضوعة على موضوعة على شريط من الجبس أو الجير يرفعها قليلا عن مستوى وسط الدار كما يمكن ملاحظة الزليج المحيط بالجدران والنوافذ.

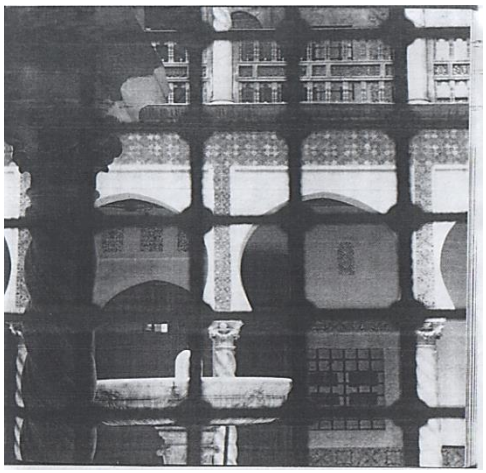

1

1 تمثل هذه الصورة نظرة على وسط الدار من خلال نافذة إحدى البيوت حيث يسمح ارتفاعها المنخفض بالاطلاع على وسط الدار وإن كان من قلب البيت.

2 تمثل هذه الصورةكيف أن توزيع أعمدة الرواق كان يراعى فيه عدم حجب الرؤية لمن كان يتواجد في البيوت ويريد الاطلاع على وسط الدار عبر نوافذ البيت. المرجع بتصرف:

André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 41

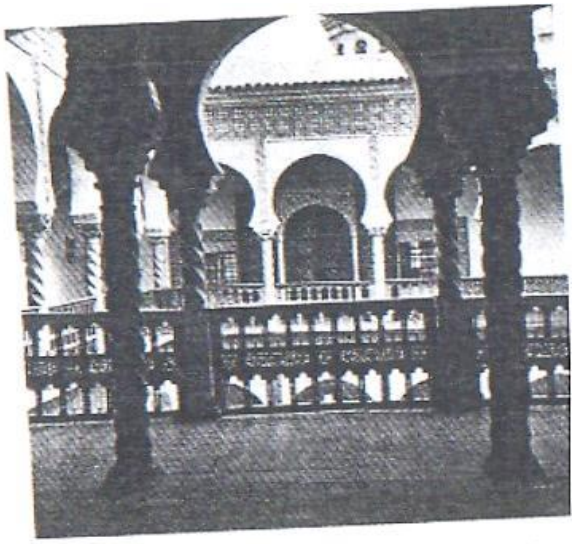

2

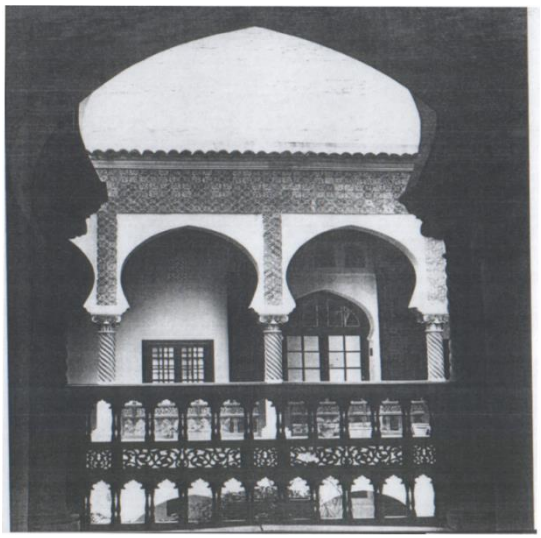

1

1 تمثل هذه الصورة الطابق العلوي للدار حيث نلاحظ الرواق بأقواسه المحمولة على أعمدة على غرار الدور الأرضي كما نلاحظ باب ونافذة إحدى الغرف التي تطل على الرواق ومن تم على وسط الدار كما نري في الصورة رقم**2** الشرفة الخشبية المنقوشة والمزخرفة المحيطة بالرواق العلوي،و المسماة بالدربوز.

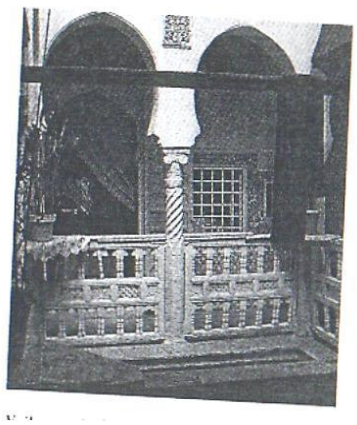

3

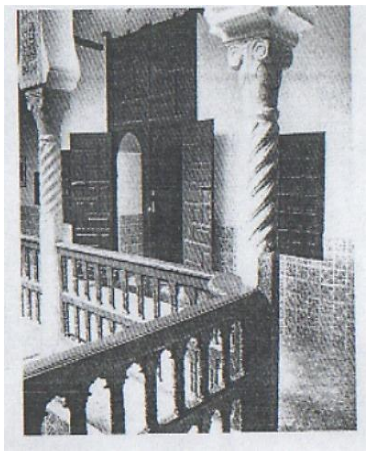

2

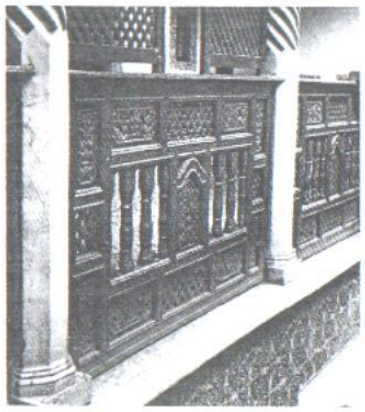

1

1 تمثل هذه الصورة الدربوز أي الشرفة الخشبية المنقوشة والمزخرفة المحيطة بالرواق العلوي ونلاحظ النقوش والزخارف الهندسية التي توحي ببراعة حرفي الخشب النجارين في الجزائر.

2 و 3 تمثل هاتين الصورتين المسطحات الصغيرة التي كانت تشكل زواياالدربوز حيث كانت توضع أحواض كثيرة من الزهور كالياسمين و من تم كانت تلعب دورا تزينيا في البيت.

المرجع بتصرف: André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 42

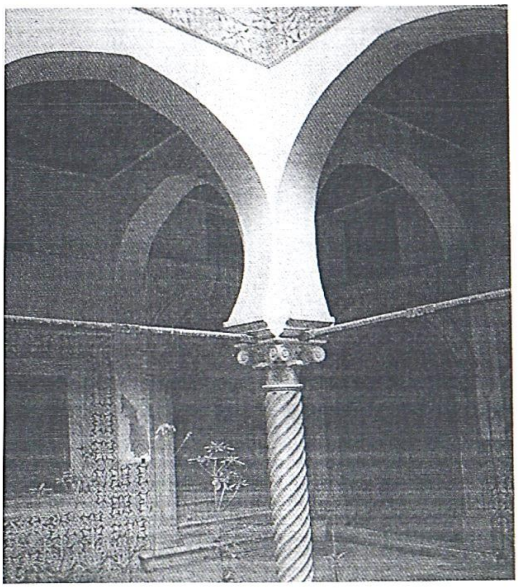

2 1

1 تمثل هذه الصورة أحد أركان وسط الدار حيث يتصاعد منه الدرج الذي يقود إلى الطابق الأول حيث توجد سلسلة أخري تقود إلى السطح.

2 تمثل هذه الصورة درج من الرخام ومغطى على الجوانب بالفاينس المعروف بالزليج أو المربعات الخزفية في إحدى الدور الكبيرة كما نلاحظ في أعلى السلم رفا جداري.

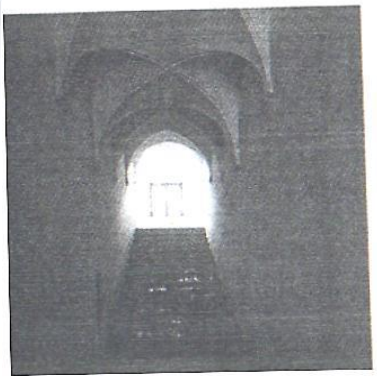

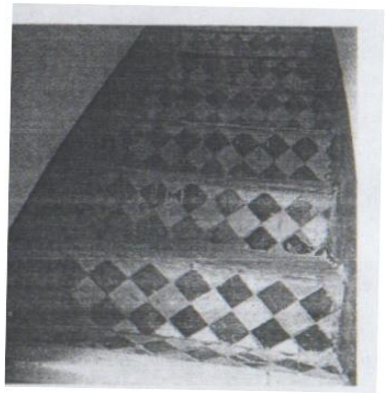

3 2 1

1- تمثل هذه الصورة درج في قصر خدواج العمياء الذي بني في القرن 11ه17م والذي يضم حاليا متحف الفنون الشعبية والتقليدية **2-** تمثل هذه الصورة درج يقود إلى السطح في إحدى دور مدينة الجزائر . 3تمثل هذه الصورة درج مصنوع من الجير وجوانبه مزينة بأشكال هندسية من الزليج كان مستخدم من طرف الخدم. المرجع بتصرف:André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 43

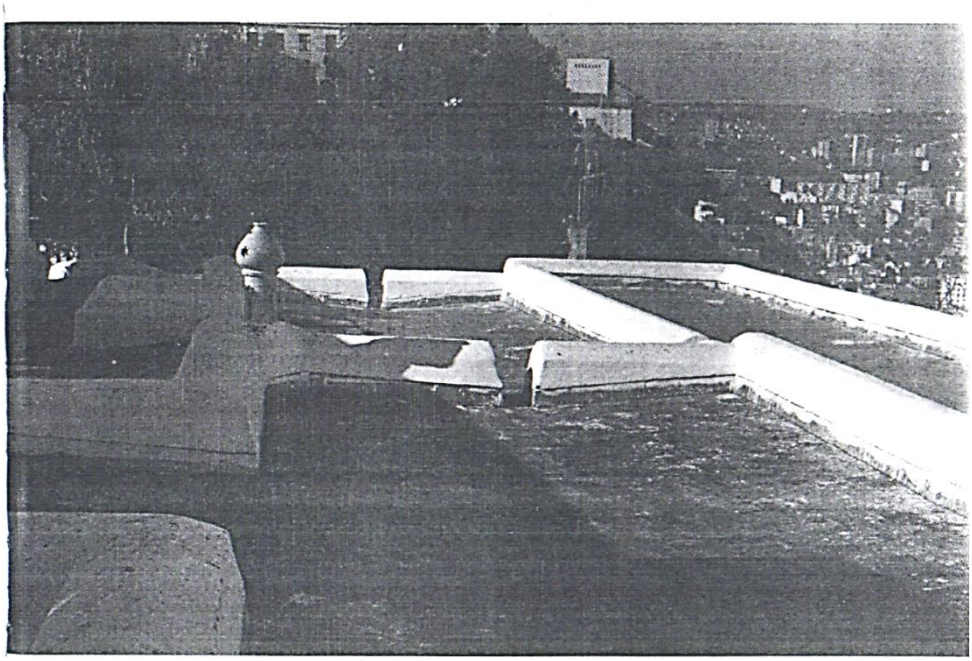

تمثل هذه الصورة سطح إحدى دور مدينة الجزائر العائدة للفترة المدروسة، ونلاحظ بشكل جلي جدرانهالبيضاء، والمدخنة المصنوعة من الفخار في أحد أركانه لتصريف الدخان.

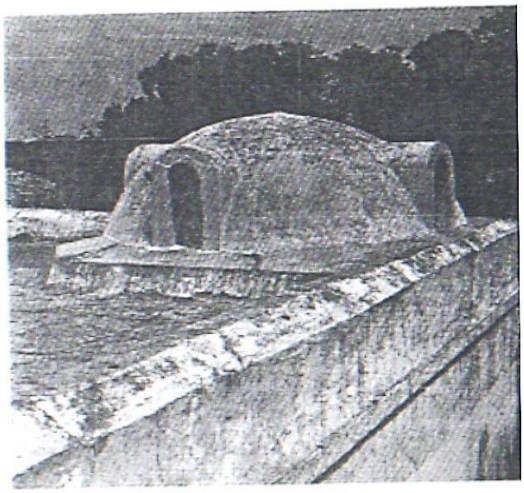

2

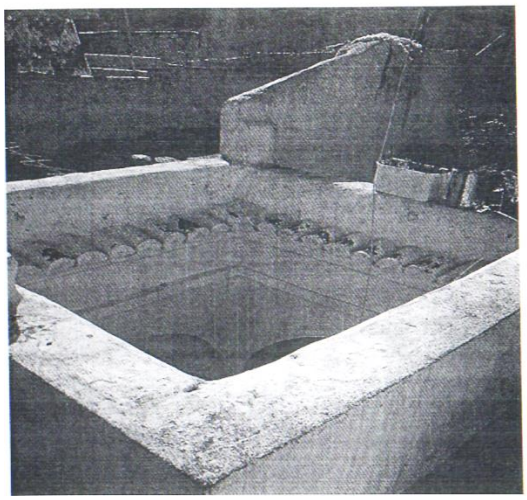

1

1.تمثل هذه الصورة قبة كانت متواجدة على بعض الأسطح بهدف استقبال النور أي كمعبر للنور إلى داخل غرف الدار.

2 تمثل هذه الصورة السماء المفتوح لوسط دار صغير، و الذي ينفتح على السطح.

المرجع بتصرف:André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 44

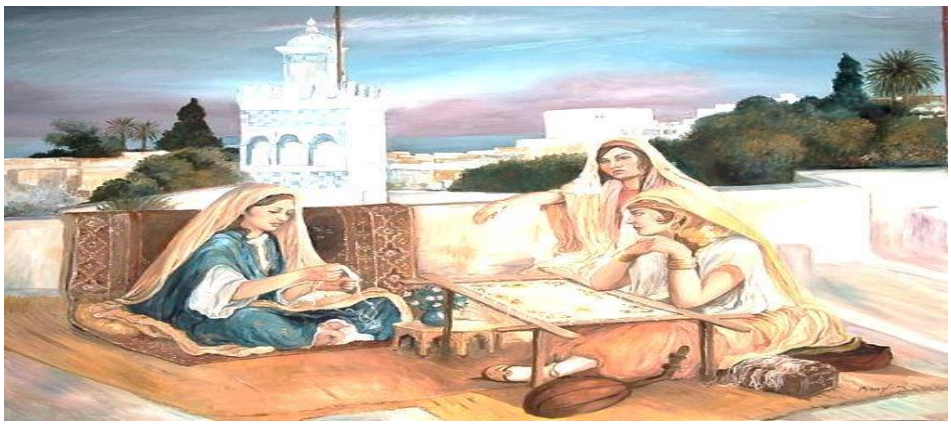

مصدر اللوحة رقم 1الرقمي :https://www.pinterest.fr/pin/143904150573172413/

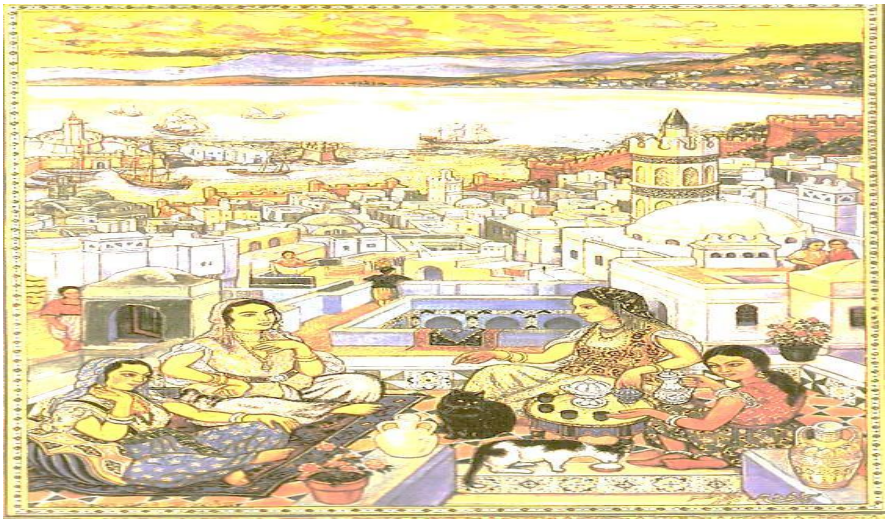

مصدراللوحة رقم 2الرقمي :https://www.pinterest.fr/pin/811773901558385795/

تمثل اللوحتين رقم1 ورقم 2 نسوة من مدينة الجزائر وهن في السطح الذي كان يعوض غياب الحديقة التي لم يكنمن الممكن أن تكون حول المنزل نظرا لازدحام المساكن ، وضيق المساحة داخل أسوار المدينة. وكان المكان المفضل للنساء؛ فقد كان بمثابة عالمهم الخاص والمعتاد حيث كن ينشغلن بالأعمال المنزلية كتجفيف الملابس وتهوية بعض المؤن المخزونة كالقمح المدشش وأكياس الشعير المغربل، وتجفيف بعض المحاصيل الزراعية كالفلفل الأحمروغيره وحيث كن تقمن بإنجاز بعض الأشغال اليدوية كالتطريز كما توضحه اللوحة رقم 1 كما كن يقضين أمسياتهن في الأسطح يتسامرن، ويقمن برعاية أبنائهن ،وذلك عادة حول صينية من الشاي أو القهوة والحلوى كما توضحه اللوحة رقم 2 وكانت النساء تعتمدن على التنقل عبر الأسطح من طرف لتبادل الزيارات مع الجارات والقريبات اللواتي يسكن قريبا عوض الاضطرار إلى الخروج إلى الأزقة.المصدر يتصرف:

Mohamed Racim Master of Islamique miniature art -Alegria
https://www.pinterest.fr/djanat123/mohamed-racim-master-of-islamic-miniature-art-alge/

اللوحة رقم 45

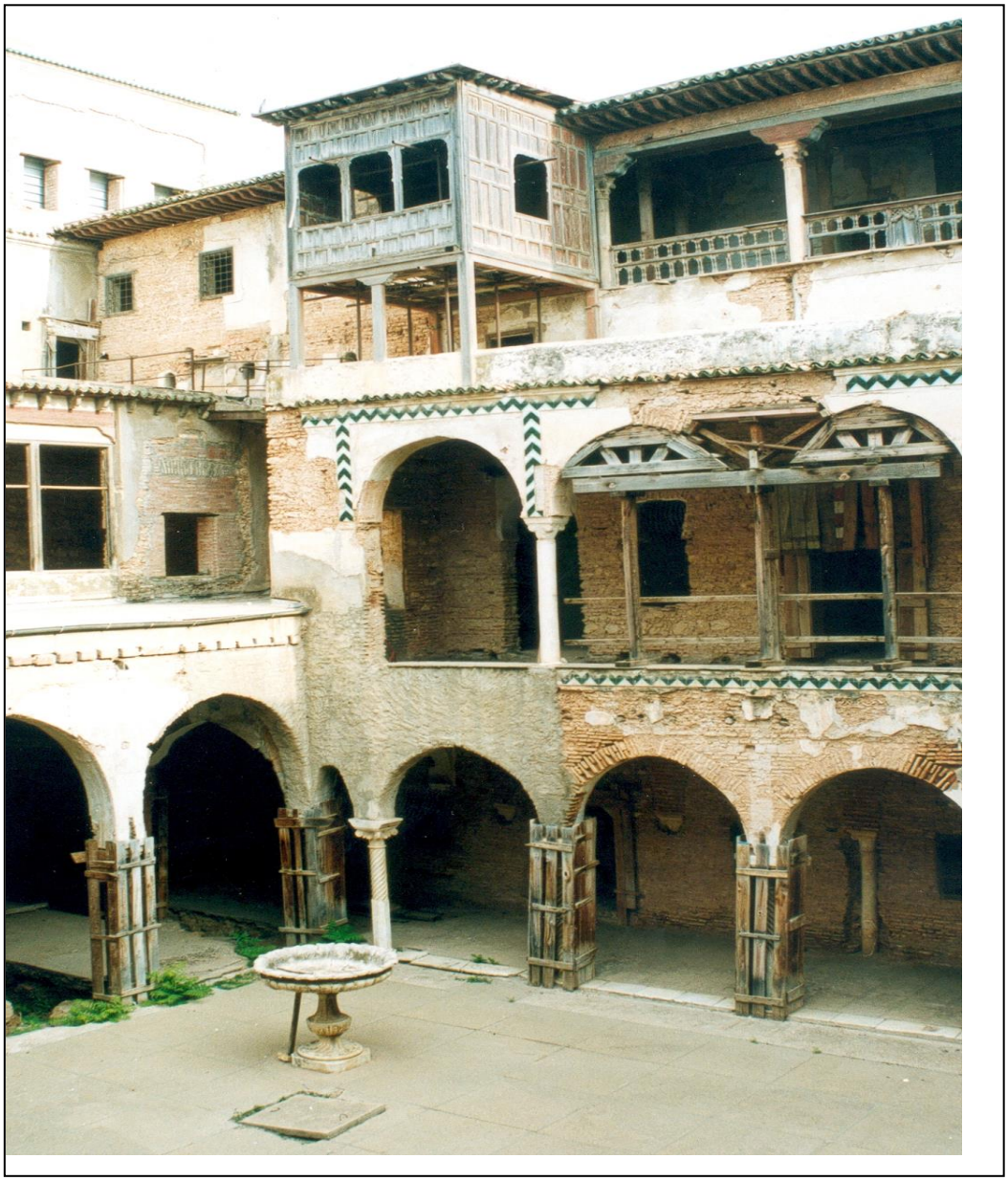

دار السلطان (السيد عنقر المصور بالمتحف الوطني للفنون التقليدية و الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا للمنازل السكنية في مدينة الجزائر حيث يتضح لنا الفناء المنفتح على الفضاء (وسط الدار، الصحن) وهو محاط بالأروقة المشكلة من أقواس وأعمدة رخامية جميلة، وفي وسط صحن الدار نشاهد نافورة الماء (وهذه الصورة تمثل دار السلطان).

اللوحة رقم 46

مثل هذه الصورة نموذج من نماذج الصناديقالكبيرة التي كانت شائعة الاستعمال فيالدور والمساكن فقد كانت بمثابة خزانة متحركة لسكان مدينة الجزائر وتتجلى فيه الزخرفة الجميلة والألوان الأجمل ودقة الصنع والتفنن في الرسم والنقش ينم عن براعة حرفي مدينة الجزائر.

صندوق كبير (المتحف الوطني للفنون والتقاليد و الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

1

2

"فنيق"(المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل الصورتين رقم1 و رقم 2 نموذجا من نماذج الصناديق الصغيرة "فنيق، صنيدق"كان من الأثاث المميز في دور مدينة الجزائر ولاسيما بالنسبة للمرأة، فقد كان بمثابة الخزنة الأمينة لحليها ومجوهراتها وموضعا لأدوات زينتها.

اللوحة رقم 47

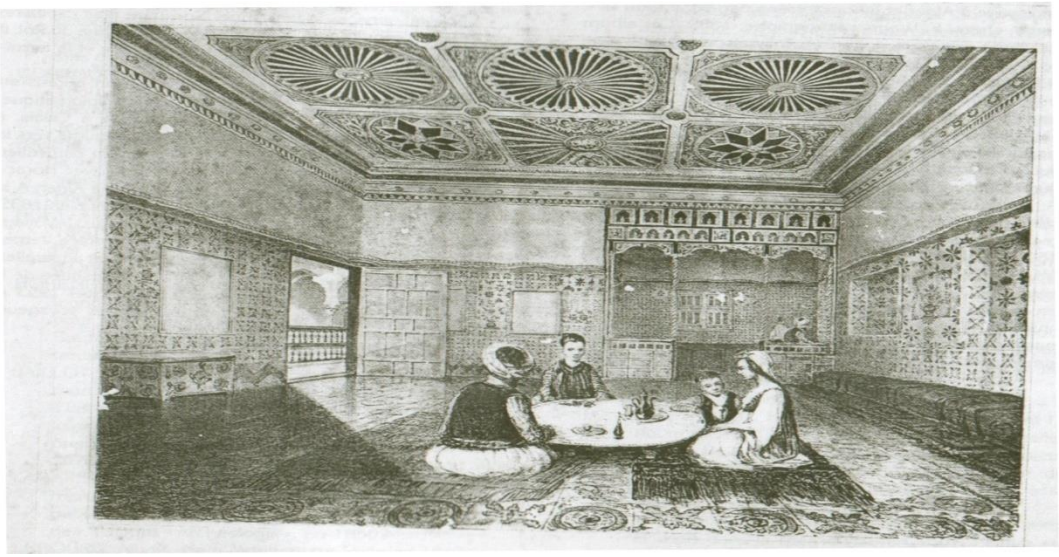

تمثل اللوحة جلسة لعائلة ملتفة حول مائدة الغداء في إحدى دور مدينة الجزائر-وتحديدا بقصر رياس البحر-،ونلاحظ من خلالها بعض العناصر المشكلة لفرش، وأثاث الدار كالصندوق الخشبي، والزرابي والأرائك كما يتضح لنا الدور الذي كانت تؤديه المائدة فيلم شمل الأسرة.

المصدر: LESSORE (E),WYLD (W) : Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger Planche ,XX

مائدة مثمنة الشكل"(المتحف الوطني للفنون و التقاليدالشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصـورة نموذجا للموائد التي كانت مسـتعملة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حيث كان لابد للعائلات الجزائرية في تأثيث بيتها من اسـتعمال المناضـد و**الموائد** التي كانت متنوعة الأشـكال مربعة ودائرية ومثمنة ذات أرجل قصيرة ،ومصنوعة من أنواع مختلفة من الخشب،وأساسا من السرو .

اللوحة رقم 48

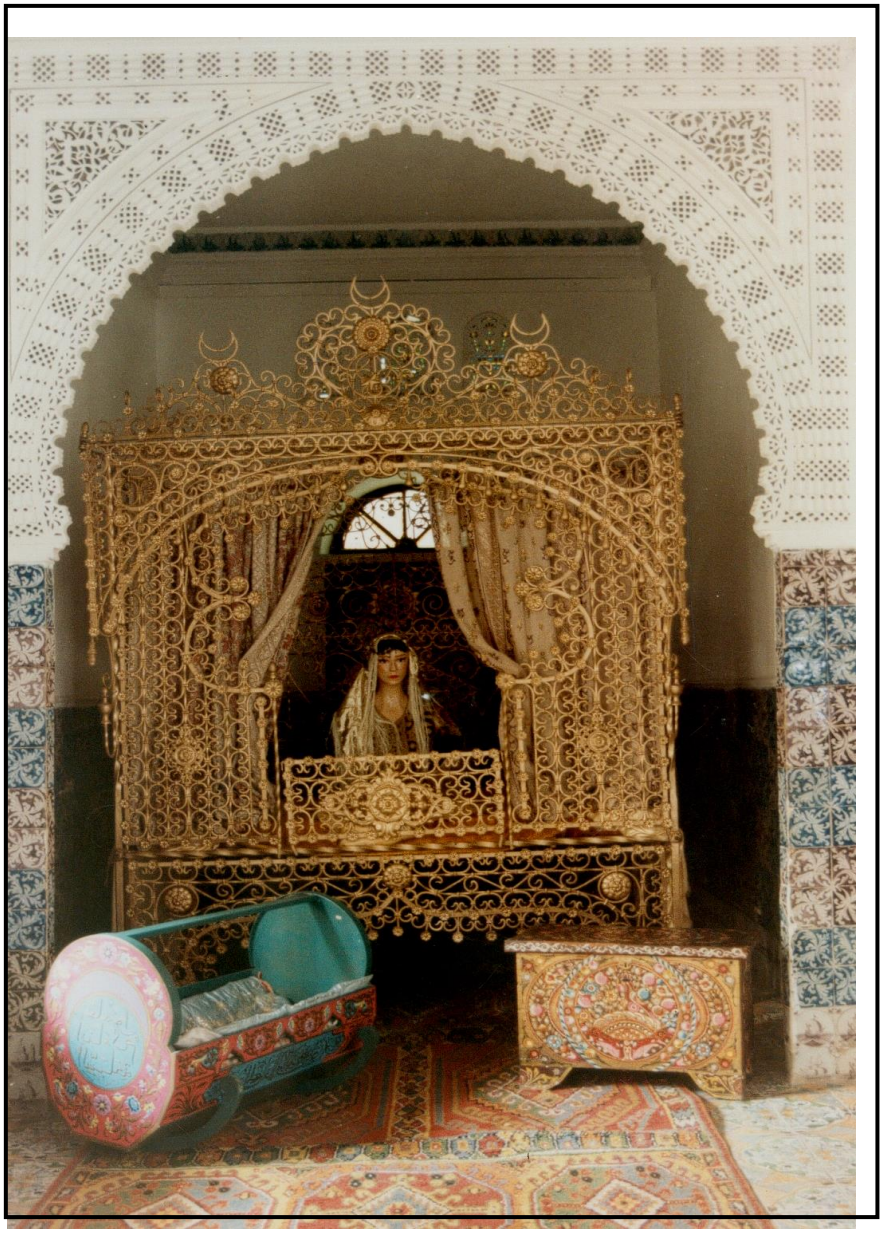

"بنك (سرير) القبة "(المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذج من نماذج الأسرة التي كانت متواجدة بالدور والمنازل بمدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه(17 م) وهذا السرير يعتبر من أجمل وأورع ما وصل إلينا من نماذج أسرة تلك الفترة وهو السرير المعروف "بنك (سرير) القبة " وهو ينتهي كما يتضح بثلاث قباب أوسطها أكبرها حجما وأوسعها قطرا وأقلها استدارة ومنها استمد تسميته وقد كان مصنوعا من النحاس ويلاحظ عليه دقة في التصميم والأناقة في الزخارف إلى جانب "بنك (سرير) القبة"كان يتواجد مهد صغير خشبي "دوح"مزخرف بأشكال نباتية وأحاديث نبوية .

اللوحة رقم 49

"رف جداري " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا من نماذج الرفوف الجدارية المعلقة التي كانت تشكل أثاث رئيسيا في منازل ودور مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه(17 م)وهي كما يتضح كانت مصنوعة من الخشب المزخرف والمنقوش إلى جانب قطع من النحاس، فكانت تحفة فنية بتمازج الخشب والمعدن وروح الإبداع الحرفي.

اللوحة رقم 50

"ستار " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا من نماذج الستائر التي كانت مستخدمة في منازل مدينة الجزائر خلال القرنين 10 ه(16م)-11ه(17 م)وكانت تستعمل لتزين مداخل الغرف والبيوت، وهي تعبر عن نفسها بنفسها فتأسر الألباب لحسنها ودقة تفاصيلها، وإشراق ألوانها وحسن اختيار زخرفتها واحتفاظها بألوانها وجمالها إلا دليل على براعة صنعها وجودة المواد المستعملة فهي تعبير حي للذوق الرفيع الذي ميز سكان مدينة الجزائر وجزء من تراثنا الحضاري.

اللوحة رقم 51

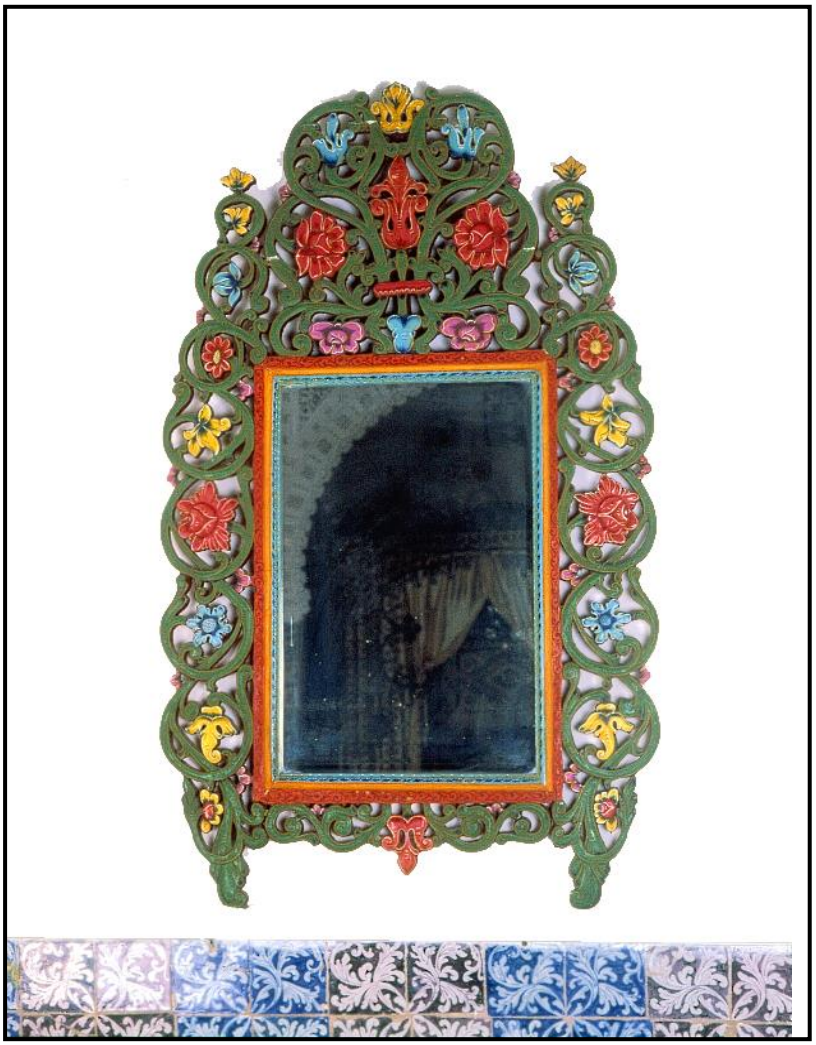

"مرآة " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

في الأعلى كما هو واضح صورة تمثل مرآة وتبدو روح الإبداع في كل زاوية وركن من أركانها فإطارها مصنوع من الخشب المحفور والمنقوش المزخرف بأجمل الأشكال والملون بأبداع الألوانن ملونة بدقة متناهية بحيث لا ينازع لون مكان سواه من الألوان مما يعطي للمرآة رونقا وجمالا يبرز براعة الحرفي الذي صنعها وهي نموذج لمريا مدينة الجزائر.

اللوحة رقم 52

"إبريق" (المتحف الوطني للفنون التقليدية و الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة إبريق من النحاس الأحمر المزخرف المنقوش وقد كان يستخدم في صب الماء قبل الأكل وبعده لغسل الأيدي و يستخدم أيضا كوعاء للشاي فكان يزين الموائد في مدينة الجزائر.

"طبق الكسكسي" (المتحف الوطني للفنون و التقاليدالشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-) تمثل هذه الصورة الطبق الذي كان يوضع فيه الكسكسي "الطعام" تلك الأكلة الشهية التقليدية وقد كان مصنوعا من النحاس وشكله المخروطي كان يساهم على الاحتفاظ بسخونة الطبق ونكهته وعند تقديمه فضلا عن دوره التزييني والتجميلي لمائدة الطعام.

اللوحة رقم 53

تمثل هذه الصورة إبريق صفيحة نحاسيين لغسل اليدين، ونلاحظ الدقة في الصنع، ومراعاةالتفاصيل وإتباع نفس الأسلوب في تزين الإبريق، والوعاء ليشكلا طاقما جميلا.

المرجع : وزارة الإعلام و الثقافة، متاحف الجزائر صور من الماضي، سلسلة الفن و الثقافة، الشركة القومية للنشرو الإذاعة، يناير 1976

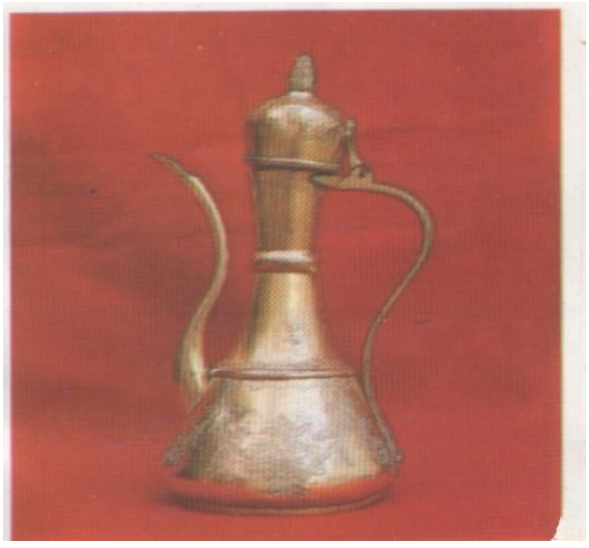

تمثل هذه الصورة إبريق شاي من النحاس كان مستعملا في مدينة الجزائر، ونلاحظ بشكل جلي دقة الصنع والزخرفة. المصدر : متحف الباردو- الجزائر العاصمة –

اللوحة رقم 54

"وعاء لحفظ الماء "(المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا للأوعية المعدنية النحاسية التي كانت تستعمل لحفظ المياه والإبقاء على عذوبتها وبرودتها لاسيما في فصول الحر.

"صينية " (المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

هذه الصورة تمثل نموذجا من نماذج الصواني المنقوشة والمزخرفة بأشكال هندسية جميلة، وكانت مصنوعة من النحاس الأحمر ومصنوعة بدقة وإتقان وكانت تستعمل كمائدة للطعام بوضعها على أرجل خشبية قصيرة.

اللوحة رقم 55

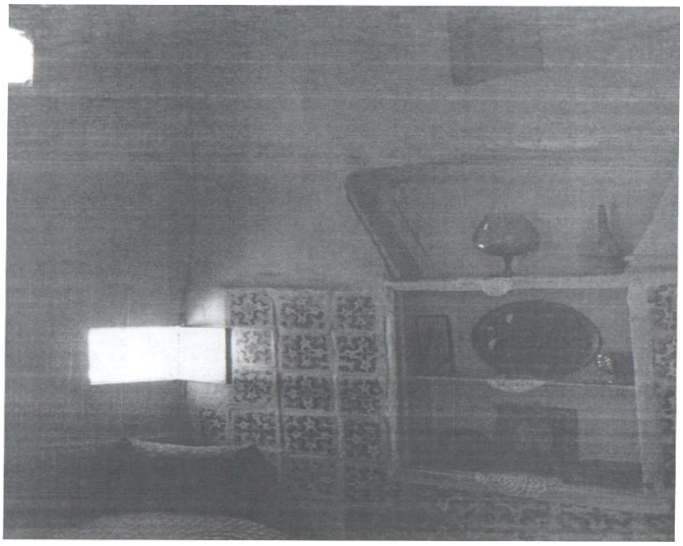

تمثل هذه الصـــورة نموذجا الرفوف الجدارية التي تعد ميزة بارزة في دور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ولاسيما القرنين 10ه(16م) -11ه(17م) ونلاحظ كيف أنها كانت تساهم في توفير المساحة داخل الدار ،وتسـهل عملية ترتيب مختلف الأواني ويبدو أنها من التأثيرات العمرانية المسـتمدة من فن العمارة الأمازيغية حيث نجدها كطابع مميز للدور في القرى و المداشر القبائلية،ويبدو أن هذا التأثير انتقل إلى دور مدينة الجزائر على يد معلمي البناء القادمين من بلاد زواوة الذين ســـاهموا في الحركة العمرانية النشـــيطة التي شاهدتها مدينة الجزائر خلالالقرنين 10ه(16م) -11ه(17م) .

تمثل هذه الصورة نموذجا للأثاث الذي كان مستعملا في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ولاسيما القرنين 10ه(16م) - 11ه(17م) إذ نلاحظ أفرشة متنوعة :مطارح ،ووسائد ،وزرابي كان من شأنها توفير الراحة للجالسين ،وفي الخلفية نلاحظ رفين جدارين، وضعت فيها مجموعة من الأواني كالصواني النحاسية ،وغيرها .

المرجع بتصرف :André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 56

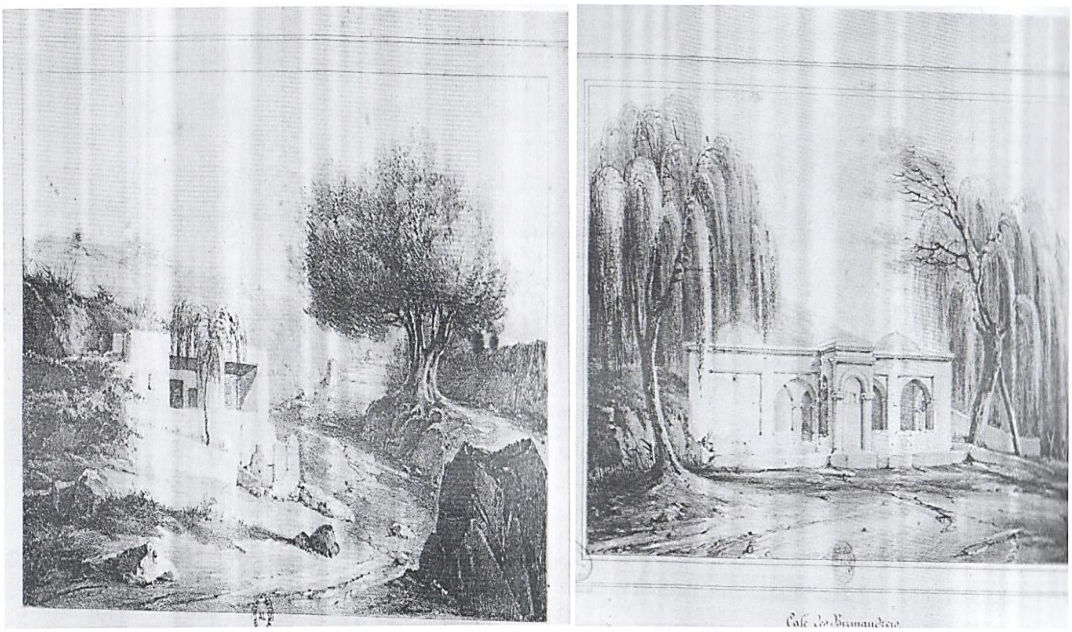

تمثل هذه اللوحة مقهى في فحص مدينة الجزائر لإمبراطور

تمثل هذه اللوحة مقهى وعين حصن في فحص مدينة الجزائر.

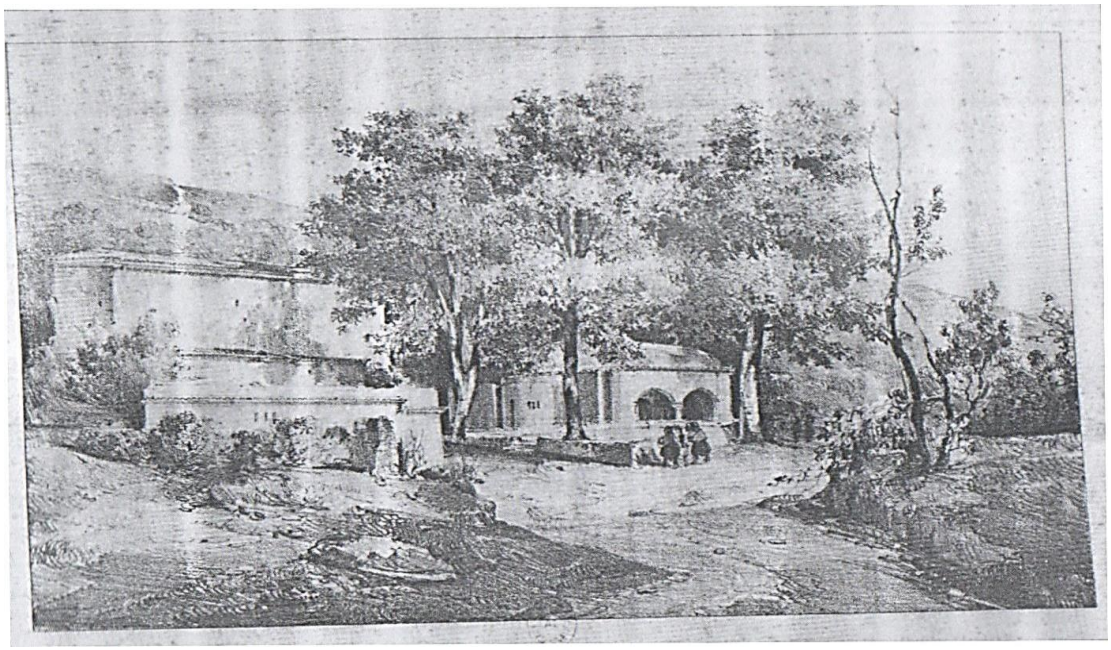

تمثل هذه اللوحة مقهى لعريش في فحوص مدينة الجزائر على طريق قسنطينة .

المصدر: OfficeRiad el feth,Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du museé national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم 57

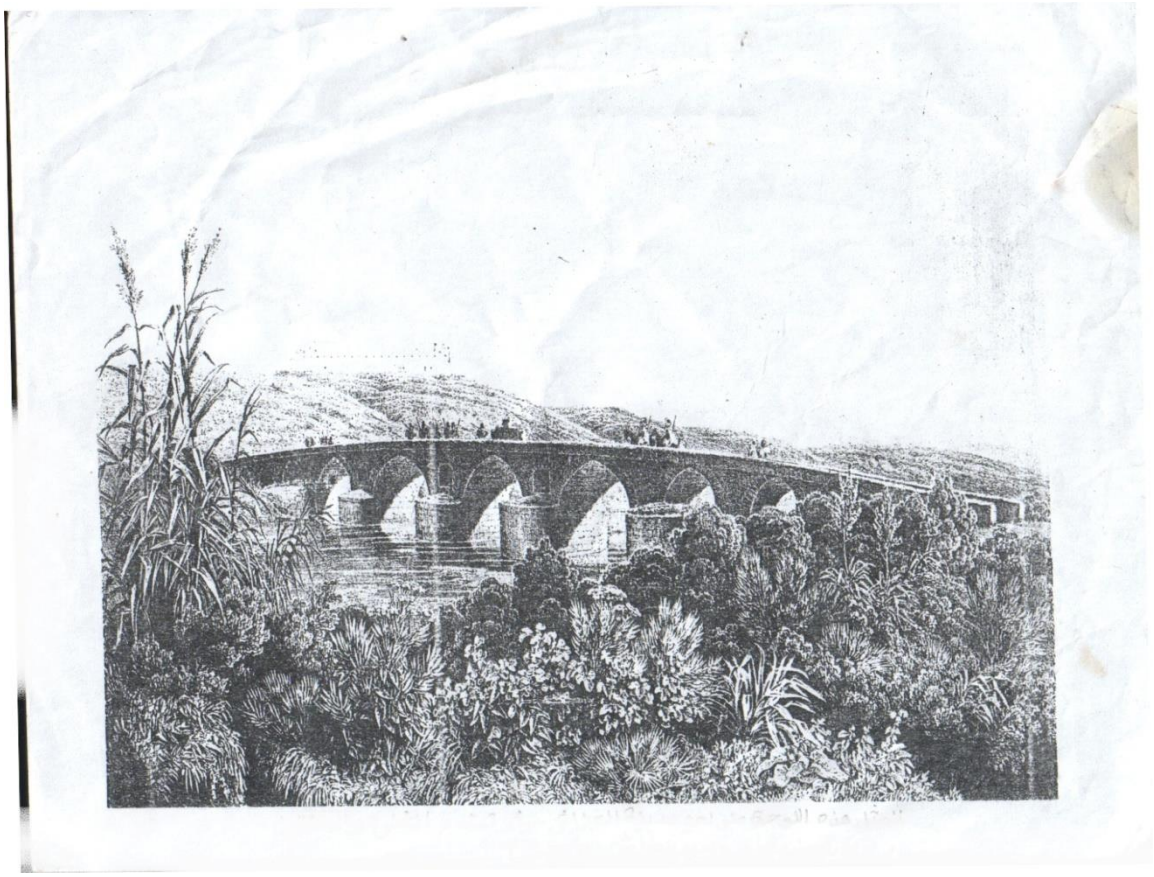

تمثل هذه اللوحة ضواحي مدينة الجزائر، حيث كانت تمتد البساتين ،والجنائن المخضرة ،ويتضح فيها أيضا جسر وادي الحراش .

المصدر :

ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à1870**Editions Plon, Paris1929 .

اللوحة رقم 58

تمثل هذه اللوحة نظرة على مدينة الجزائر من الطريق المؤدي إلى قسنطينة حيث نلاحظ البساتين و الجنائن المشكلة لفحوص مدينة الجزائر وكذا دار من الدور أو المساكن الريفية "الفيلات"التي كانت منتشرة في فحوصها.

تمثل هذه اللوحة دار من الدور أو المساكن الريفية "الفيلات"التي كانت منتشرة في فحوص مدينة الجزائر وسط البساتين والجنائن.

المصدر: Office Riad el feth , Casbah ,Architecture et urbanisme ,Galerie du musée national des beaux –arts D'Alger

اللوحة رقم 59

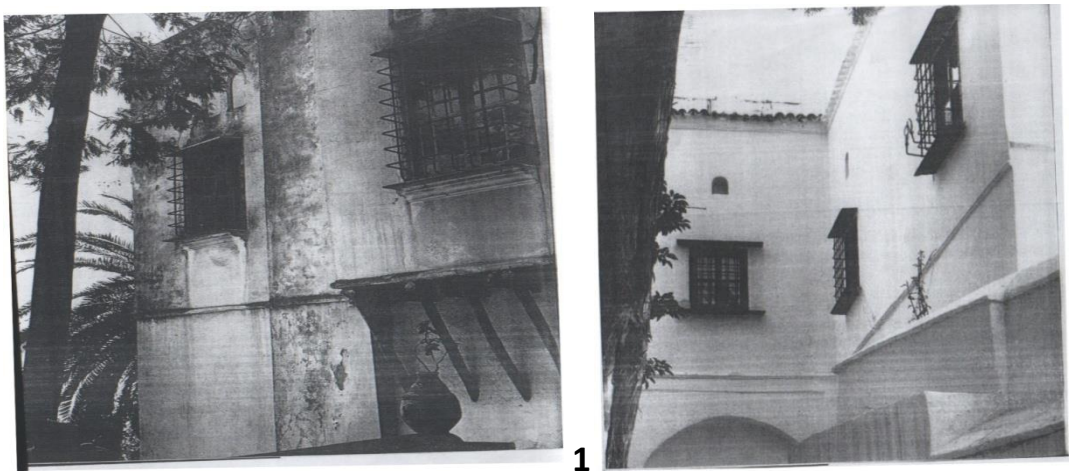

2 1

1 و**2** تمثل هاتين الصـورتان نموذج لواجهة إحدى المسـاكن الريفية "الفيلات" التي كانت منتشرـة عبر فحوص مدينة الجزائر حيث كانت البساتين والجنائن حيث نلاحظ أنه وعلى عكس وجهات الدور داخل أسوار المدينة فإن هذه الدوركانت تملك نوافذ واسعة كما أنها كانت محاطة بالخضرة من بساتين وجنائن.

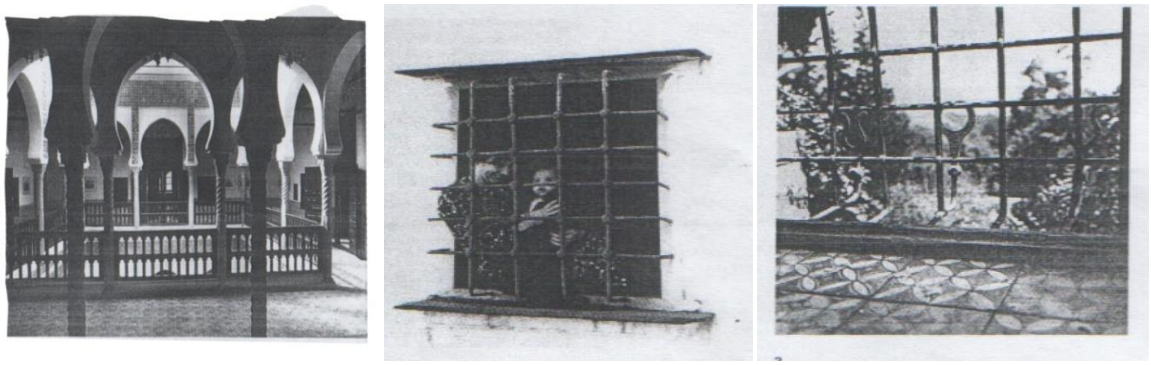

3 2 1

1 تمثل هذه الصورة نافذة في إحدى المساكن الريفية "الفيلات" حيث نلاحظ من خلالها المنظر الجميلللأشجاروالجنائن المحيطة بها كما نلاحظ الزليج - المربعات الخزفية- الذي يحيط بالنافذة.

2 تمثل هذه الصورة وتبرز بشكل واضح الدور الذي كانت تؤديه النافذةفي المسـاكن الريفية "الفيلات" إلى جانبتوفير النور وتجميل الدار فقد كانت بمثابة مقعد، بفضـل سمك الحائط كان يمكن الجلوس فيها للتمتع بالمناظر الخارجيةلاسـيما بالنسـبة للنساء، والأطفال دون الخوف من الوقوع لوجود قضبان فيها.

3 تمثل هذه الصورة وسط دار إحدى المساكن الريفية "الفيلات" الذي لا يختلف في مكوناته عن وسط دار فيالدور داخل أسوار المدينة.المرجع بتصرف : André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville

اللوحة رقم 60

تمثل هذه اللوحة احتفال بعرس من أعراس مدينة الجزائر وبخاصـــة ما يعرف "**تصـــديرة العروس**" ؛حيث ذكر أن "العروس كانت تجلس متربعة أرضـا بين بعض النسـاء وحسـب عدد الفسـاتين التي كانت تملكها تجعل الحضور يرونها على مصطبة أعدت خصيصا لهذا الغرض فترتدي فستانا وتجلس برهة ثم تنهض لتعود فيما بعد وهي مرتدية فســـتانا آخر " أي أن العروس- كما هو الحال اليوم في حفلات الأعراس- كانت تتصـدر المجلس، وتقوم بعرض ما لديها من ثياب، وحلي لتبرز جمالها، وتنوع ما تملك من كســـوة وحلي ولتتقاسم فرحتها مع الحاضرات في جو كانت تخيم عليه موســـيقى مبهجة، وتنبعث منه أنغام الصـونجا، والقصـبة، و دقات الطبول، و *الدربوكة* والدفوف، وآلة الطار، التي كانت تعزف عليها فرقة موسيقية معروفة بالمسمعات أوالمدحات.

مصدر اللوحة:

Mohammed Racim miniaturiste Algérien, introduction et choix des commentaires Sid Ahmed BAGHLI , Arts et métiers graphiques,Printed in France, 1972, p67

اللوحة رقم 61

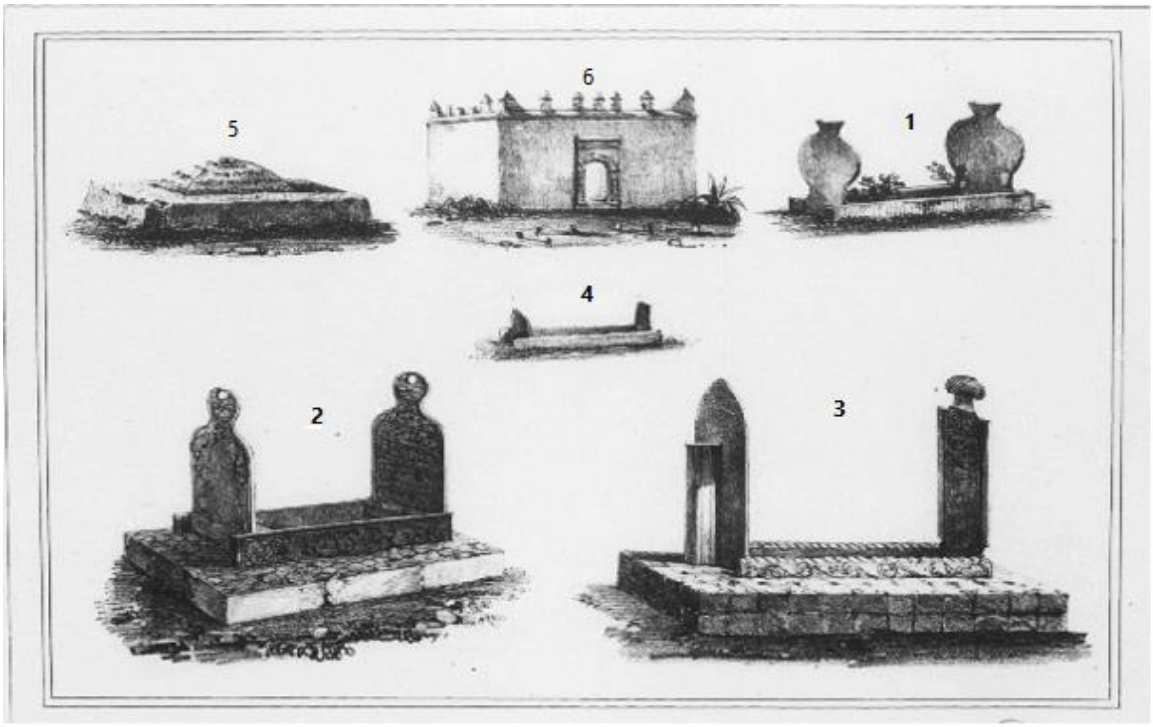

نماذج عن قبور سكان مدينة الجزائر

الشكل رقم1 :نموذج لقبور سكان مدينة الجزائر المسلمون وهي نفسها من حيث الشكل والإختلاف يكمن في أن قبور الأثرياء كانتمن الرخام أو مادة لردواز (ardoise)في حين أن بقية القبور كانت تبنى من الحجارة .

الشكل رقم2-نموذج لقبور الأتراك العثمانيين كانت تقام من الرخام الأبيض

الشكل رقم3 نموذج أخر لقبورالأتراك العثمانيين من الرخام أيضا ومربعات الزليج ،ونلاحظ على أحد الشواهد شكل العمامة

الشـــكل رقم4 نموذج أخر لقبورموتى المســـلمين من أهل مدينة الجزائر والتي كانت تقام إما من الحجارة أومن لردواز (ardoise)

الشـــكل رقم5 نموذج لقبور يهود مدينة الجزائر وكان يقام بالحجارة وتعلوه قطعة من الرخام الأبيض سجلت عليه عبارة عبرية منقوشة باساليب مختلفة.

الشـكل رقم6 نموذج لمدفن خاص بمدينة الجزائر"ضريح" يبدو أن هذا النوع خصـص لدفن العلماء والاولياء الصالحين .

المصدر بتصرف: ROZET ,Voyage…,Atlas,,Op.cit.

اللوحة رقم 62

طنجرة "قدر " آنية صنع الكسكس القدر ،والكسكاس

1 تمثل هذه الصورة نموذجا لآنية صنع مصنوعة من النحاس لطهي الكسكس الأكلة المحلية التي تبناها كل سكان مدينة الجزائر بما في ذلك العثمانيين والتي شدت انتباه الرحالة و الملاحظين الغربيين من أسرى وغيرهم فقاموا بوصف الطرق المختلفة لإعداده كما أشادوا بقيمته الغذائية وهو طبق لايزال يشكل جزء لا يتجزأ من تراث الطبخ الجزائري ودليلا على التواصل الحضاري بين الأجيال في مجال العادات والتقاليد.

2 تمثل هذه الصورة نموذجا للقدور وعرف القدر أيضا حينها بالطنجرة حسبا ورد في الوثائق الأرشيفية التي كانت مستعملة في مدينة الجزائر لإعداد الطعام وهي مصنوعة من مادة النحاس التي كان يشرف على تشكيلها جماعة الصفارين المختصين بحرفة صنع الأواني والأدوات النحاسية بخاصة أدوات المطبخ علما أن هذه الحرفة عرفت تطورا ملحوظ في ظل النظام العثماني من جراء استفادته من عدة مؤثرات وبخاصة المؤثرات العثمانية .

مهراز

تمثل هذه الصورة آنية المهراز التي كانت تستعمل في طحن بعض المواد الغذائية المستعملة في الطبخ كالثوم مثلا.مصدرالصور: المتحف الوطني للفنون والتقاليدالشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-(بتصرف)

اللوحة رقم 63

طبسي عشاوات نحاس أحمر-متحف الآثار القديمة والاسلامية بمدينة الجزائر العاصمة-

تمثل هذه الصورة صحن بغطاء كبير، من النحاس الأحمر، يحمل اسم الصانع أو صاحب التحفة ومكان الصـــنع "محمود بن قدور الفضـــيل في الجزاير"-وهذا التســـجيل لاسم الحرفي يدل على أن الأدوات والأواني النحاسـية كانت إلى جانب دورها العملي تعد بمثابة تحف فنية تعبر عن مهارة وذوق صـانعها الذي يزدان الغطاء بشبكة من المعينات المطروقة، تعلوها الكتابة المذكورة، يليها شريط تكتنفه مراوح نخيلية تفصـل بينها دوائر، يتبعها شريط أوسـع تتناوب فيه شجرة السرـو مع عنصرـ يتخذ شـكل عقد مدبب تكتنفه زخرفة محزوزة.–علما أن شجرة السرـــو تعد من الرموز النباتية في مجال فن العمارة والتطريز وخاصـة في مجال حرفة صـاعة الأواني والأدوات النحاسـية التي أعتمد ت في مدينة الجزائر ضمن التأثيرات العثمانية في الميدان الفني.

اللوحة رقم 64

قالب صنع حلوى المقروط أو المقروض"(المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا لقالب صنع حلوى المقروط وهو مصنوع من الخشب وتبرز فيه أشكال وزخارف هندسية ونباتية هدفها تجميل قطع الحلوى وتحديدها لتسهل عملية تقطيعها وهذا الطابع يبرز براعة الصناع المختصين في تخريم وتخريط الخشب والتي كانت من بين الحرف التي انتشرت في مدينة الجزائر في ظل النظام العثماني وعرف ممارسيها بالخراطيين معتمدين على وسائل بسيطة ولكن على ذوق فني كبير ومهارة مصقولة يدل عليها احتفاظ هذا الطابع بزخارفه وتفاصيله الدقيقة رغم مرور فترة جد طويلة على صنعه وتجدر الإشارة أنه كان يتم استخدام قوالب شبيهة به لتزيين الخبزأيضا.

1 **2** **3**

تمثل الصورة رقم 1 فنجان من الخزف وحامله المعدني المصنوع من النحاس الذي كان يعرف بالظرف كانت تستعمل لإرتشاف القهوة التي أدخلت إلى مدينة الجزائر على يد العثمانيين لتصبح من أحب المشروبات لدى سكان مدينة الجزائر في حين تمثل الصورة رقم 2صحن كان يطلق عليه في مدينة الجزائر اسم طبسي- وفي الصحن ملعقة صنعت من نفس المعدن وإن كان استعمال الملاعق الخشبية هو الرائج في أوساط مجتمع مدينة الجزائر خلال المرحلة المدروسة .

أما الصورة رقم 3 فهي تمثل آنية من النحاس كانت تستخدم لوضع السمن أو الزبدة ولهذا تعرف بالمسمنة أوالزبدية وأحيانا كان يوضع السكر بها وهي مادة كانت تستخدم في إعداد مختلف أنواعالحلويات والمشروبات كالشربات كما وجد في الوثائق المحلية إشارة إلى عسل السكر علما أن سكان مدينة الجزائر كانوا يميلون أكثر لاستعمال العسل الطبيعي الذي كان يجلب إليها من الفحوص وسهل متيجة والمناطق الجبلية.

المصدر بتصرف:المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية -الجزائر العاصمة

اللوحة رقم 65

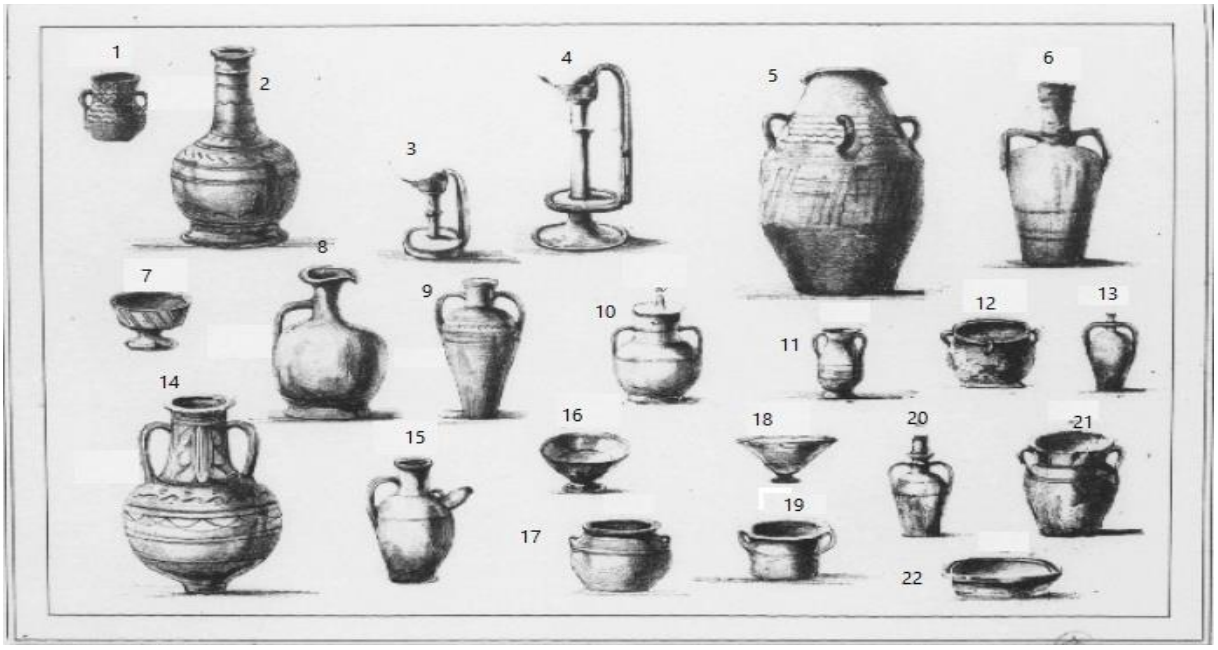

رسومات وأشكال للأواني والأدوات الفخارية التي كانت تستعمل في مدينة الجزائر

الشكل رقم1: إناء للشرب	الشكل رقم14: وعاء لنقل الحليب
الشكل رقم2:آلة موسيقية دربوكة	الشكل رقم15: وعاء لحفظ الزيت
الشكل رقم3: فانوس صغير	الشكل رقم16: فنجان
الشكل رقم4: فانوس كبير	الشكل رقم17: قدر أوطنجرة
الشكل رقم5 :جرة كبيرة لحفظ الزيت ،واللحم وغيره من المواد الغذائية	الشكل رقم18: فنجان
الشكل رقم6: آنية لحفظ الماء	الشكل رقم19:إناء ليلي Pot de nuit.
الشكل رقم7: عبارة عن نوع من الأطباق	الشكل رقم20: Alcarazas.
الشكل رقم8: إناء لحقظ الزيت	الشكل رقم21: أنية لوضع حليب البقرة عند حلبها
الشكل رقم9: آنية لحفظ الماء	الشكل رقم22:طبق لتقديم الطعام
الشكل رقم10: وعاء لشرب الماء	
الشكل رقم11: آنية لحفظ الحليب	
الشكل رقم12: الكسكاس آنية لتحضير الكسكس	
الشكل رقم13: آنية لحفظ الزيت	

المرجع بتصرف: ROZET , Voyage…, Atlas, Op.cit.

اللوحة رقم 66

مثل هذه اللوحة أحد أغنياء مدينة الجزائر بهندامه اليومي فهو يرتدي غليلة مطرزة وقميصا ذو أكمام عريضة، وحزام متعدد الألوان وهو يضع على رأسه عمامة ذات ثانيات أفقية وهو يرتدي سروالا منتفخ الثنيات وعلى رأسه عمامة وهو يرتدي صباط وهو يمسك في يديه غليون ليدخن به التبغ.

المصدر: Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 67

يمثل الشكل رقم 1و2 جندي من الانكشارية بلباسه الرسمي فهو يرتدي سروالا طويلا إلى غاية الركبتين ويلبس أيضا قفطانا وحزاما عريضا يسمح له بأن يحمل سيفه وغمده ،وهو يضع على رأسه الطرطوروينتعل الحذاء الشبيه بالجزمة والمعروف بالتيماك في حين يمثل الشكلرقم3 جندي انكشاري يرتدي زيه الكامل ويحمل بندقية يسندها لكتفه والأهم في أنه وعند قيامهم بتدريباتهم أو في ساحة القتال كان الجنود الإنكشاريةيرفعون طرفي القفطان و يثبتونهما في الحزام حتى لا يشكل عائقا خلال تحركاتهم.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger et ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16e siècle à 1870**

اللوحة رقم 68

يمثل الشكل رقم 1 رجلا يرتدي صدرية فوق قميص ويرتدى سروالاقصير يصل إلى الركبتين ويلف خصره بحزام عريض.

ويضع على رأسه عمامة تعلوها قبعة مصنوعة من الحلفاء لتقيه حرارة الشمس وينتعل صباطا ويمسك بيده عصا يستعين بها في السير ويحمل حقيبة.

ويمثل الشكل رقم 2 رجلا يرتدي قميصا ومن فوقه معطف الغليلةالذي يندرج ضمن التأثيرات الأندلسية في مجال الأزياءو يلبس سروالا قصيرا يصل إلى ركبتيه ويضع على رأسه عمامة ويرتدى فوق زيه هذا برنوسايعد من الأزياء المحلية و ينتعل هذا الرجل بابوشا وهذا الحذاء يندرج ضمن التأثيرات العثمانية في مجال الأزياء.

المصدر: Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 69 .

تمثل هذه اللوحة زنجيا حمالا (عتال)وهو يرتدي قميصا ذا أكمام قصيرة ومن فوقه سترة قصيرة، ويلبس سروالا متعدد الثنايات إلى غاية الركبتين وهو يلبس من فوق كل ذلك اللباس المعروف "بالكبوط" المزود بقلنسوة مدببة ويعد الكبوط من التأثيرات العثمانية في مجال الأزياء.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d’Alger

اللوحة رقم 70 .

تمثل هذه اللوحة أحد سكان مدينة الجزائر اليهود وما يشد الانتباه للوهلة الأولى أن أزياءه لم تكن تختلف عن بقية أزياء سكان مدينة الجزائر المسلمين حيت يرتدي قميصا ومعطف الغليلة بأكمام طويلة مطرزة في أطرافها ويضع على رأسه شاشية ملفوفة بقطعة من القماش الأبيض من نسيج الكتان أو الحرير،أو الموسلين على شكل شريطوينتعل صباطا وأهم مايميز زيه هو رداءالبرنوس الملقى على كتفه.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger …

اللوحة رقم 71 ,.

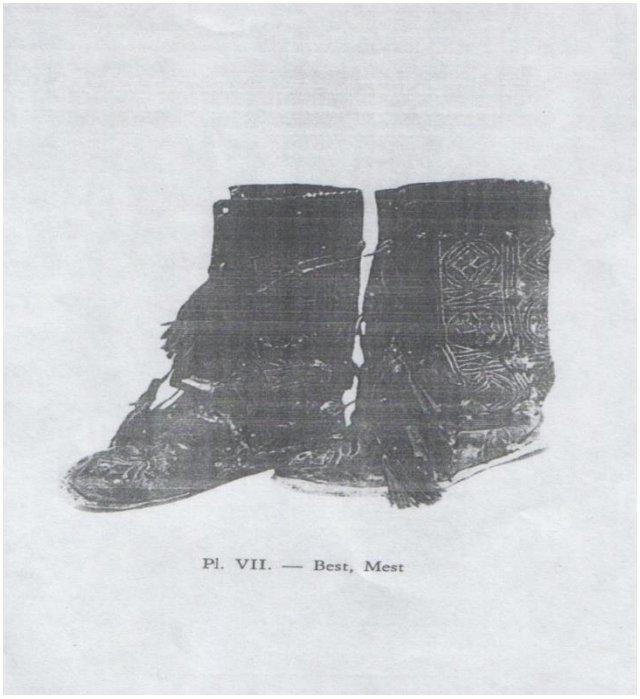

تمثل هذه الصورة **الباست** الذي كان ينتعله الرجال في مدينة الجزائر

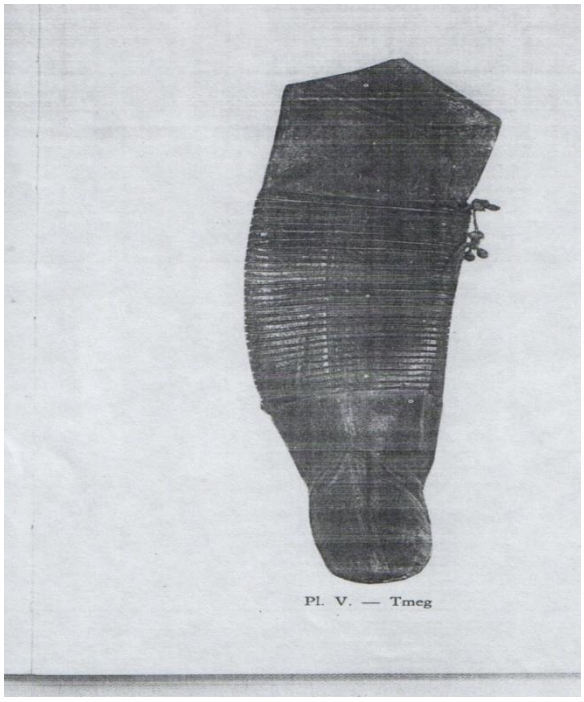

تمثل هذه الصورة **التياك** الذي كان ينتعله الرجال في مدينة الجزائر

المصدر: Baghliwahiba,Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, SNED, Alger,1977

اللوحة رقم 72 .

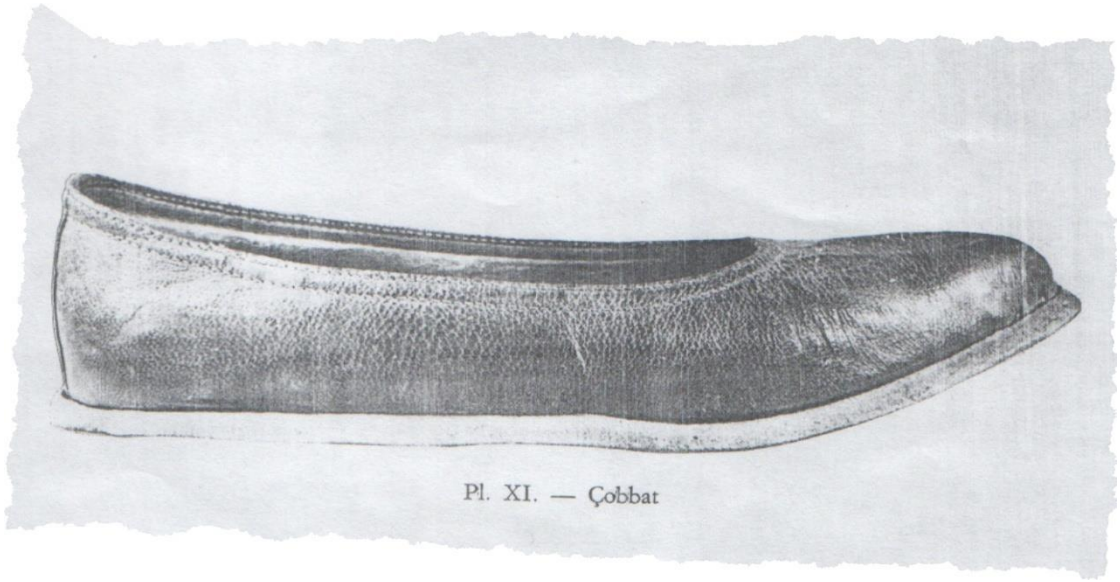

تمثل هذه الصورة **الصباط** الذي كان ينتعله الرجال في مدينة الجزائر

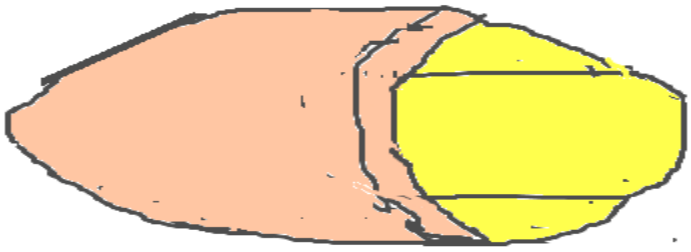

يمثل هذا الشكل **البابوج أو البابوش** و الذي كان ينتعله الرجال في مدينة الجزائر

المصدربنصرف:Baghliwahiba,Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, SNED, Alger,1977

. اللوحة رقم 73

تمثل هذه الصورة **البابوج أو البابوش** و الذي كان ينتعله الصبيان في مدينة الجزائر

المصدر :متحف الباردو- الجزائر العاصمة -

تمثل هذه الصورة هذا الشكل الريحيات و الذي كان ينتعله الرجال والنساء على حد سواء في مدينة الجزائر مع بعض الاختلاف في الشكل .

المصدر :Baghliwahiba,Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, SNED, Alger,1977

اللوحة رقم 74 .

تمثل هذه اللوحة امرأة من نساء مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه (17 م)وهي ترتدي الهندام المعتاد حيث ترتدي قميصا من الكتان الأبيض ذا اكمام عريضة وأبيض اللون (قميص داخلي) ومن فوقه ترتدي الغليلة المخططة المقفولة عند الصدر بواسطة زر واحد وهي مشدودة عند الخصر بواسطة الفوطة المربوطة عليها، وترتدي في الأخير سروالا وردي اللون مطرز بأزهار صغيرة كما رأسها العصابة (العصبة).

مصدر اللوحة بتصرف:Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 75

"الغليلة(الواجهة الأمامية) المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

في الأعلى صورة تمثل السترة التي اشتهرت بلبسها نساء مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه(17 م) والتي عرفت" بالغليلة" وهي كما يتضح متقنة الصنع ولاتزال تحتفظ بروتق وبريق الخيوط الذهبية المستعملة في تطريزها والتي تنم عن تقنيات الطرز المبتكرة التي أبدعتها نساء مدينة الجزائر فكانت آية في الجمال والتي تمازجت فيها التأثيرات الأندلسية والعثمانية المشرقية مع التأثيرات المحلية.

"الغليلة" (الواجهة الخلفية) (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

هذه صورة تمثل الجانب الخلفية للغليلة المذكورة أعلاها، والتي لا تقل تطريزا وزينة عن الجانب الأمامي منها.

اللوحة رقم 76

2 1

تمثل اللوحة رقم1 امرأة وهي ترتدي قميصـــا وغليلة من الجوخ ومطرزة وفي الأســـفل تلبس فوطة معقودة في الجانب وفي الخصر تضع حزاما من الحرير المخطط وتضع على رأسها شاشية وهي مغطاة بمحرمة (منديل من الحرير الملون).

تمثل اللوحة رقم2 تمثل امرأة من نســاء مدينة الجزائر بملابس المنزل أي ملابس الدار فهي ترتدي قميصـا من الكتان ذا أكمام قصــيرة ومزينة بأشرطة ملونة من الحرير ،وهي ترتدي سروالا قصــيرا يصــل إلى الركبتين ويتجاوزهن بقليل وهو نموذج لسراويل البيت وهي ترتدي أيضا حزما عريض مخطط وهي ملفوفة مرتين على الجسم ،وفي شعرها تضع محرمة (منديل من الحرير وعلى الجانبين تسقط على خديها خصال من الشعر المعروفة بالسوالف وهي تنتعل بابوش.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 77

تمثل هذه الصـــورة المركبة طريقة ارتداء النســـاء للحايك والمراحل التي كانت تمر بها المرأة لارتدائه وكان بمثابة اللباس الرسمي إن صـــح التعبير للنســـاء في مدينة الجزائر كما كان البرنوس بالنســـبة للرجال وكن يحرصـــن كل الحرص في المحافظة على لناصـــع البياض كما نلاحظ أن المرأة كانت تســـبق بوضـــع العجار على وجهها قبل الشروع بارتداء الحايك.

مصدر الصورة: Marçais (Georges) :Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 78

1

2

3

يمثل الشكل 1 -2 امرأتين ترتديان الحايك والعجار ونلاحظ التنوع في طريقة ارتداء الحايك بين الشكلين في حين الصورة رقم3تمثل غطاء أسفل الوجه المعروف بالعجار.

مصدر الشكل رقم 1ورقم 2 Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

في حين الصورة رقم 3 مصدرها:المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية -الجزائر العاصمة

اللوحة رقم 79

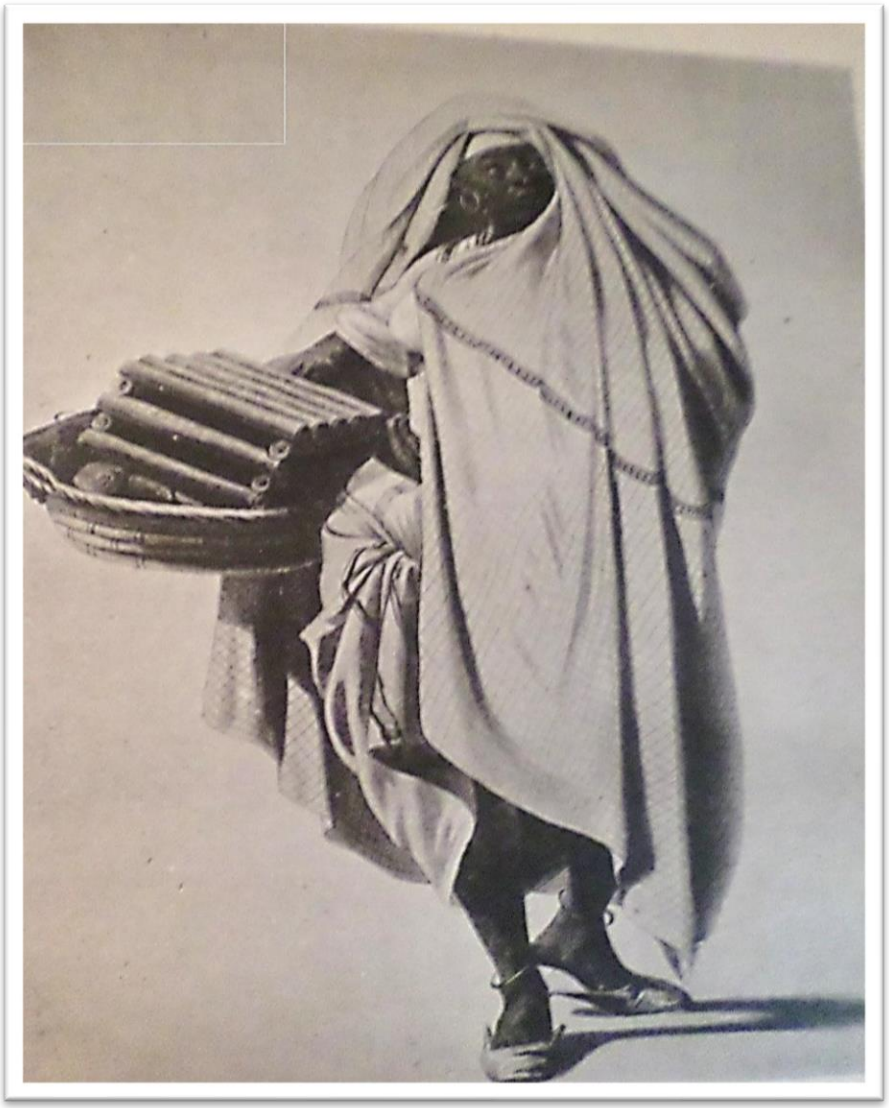

تمثل هذه اللوحة زنجية من الخادمات وهي ترتدي فوطة حول الخصر. وتلبس أيضا الحايك المصنوع من الكتان الأزرق بمربعات صـــغيرة المعروف بالملايا" والخاص بالزنجيات وهي تضـــع في قدميها خلاخيل من النحاس وتنتعل بابوش.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 80

" البنيقة "(المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

الصورة في الأعلى تمثل لباس الرأس الشهير للمرأة في مدينة الجزائر وهو" البنيقة " وتظهر عليها أشكال ومطرزات جد جميلة.

هذه الصـــورة توضح لنا الشـــكل الذي كانت عليه "الغليلة" التي كانت تشكل جزء هام من أزياء المرأة في مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه (17 م) وهي كما يتضح من خلال الصورة ذات أكمام قصيرة حيث يمكن تزويدها بأكمام طويلة متحركة أي يمكن وضـــعها ونزعها حســـب الرغبة والحاجة.

المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

اللوحة رقم 81

Pl. X. — Babouche

تمثل هذه الصورة **بابوج** أو **بابوش** مطرزا كليا بخيوط مذهبة وفضية و التي كانت تنتعلها النساء في مدينة الجزائر

Pl. XII. — Çobbat Medjboud

تمثل هذه الصورة ما عرف **بصباط** المجبوذ مطرز بخيوط ذهبية وفضية و التي كانت تنتعلها النساء في مدينة الجزائر.

المصدر: Baghliwahiba, Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, SNED, Alger, 1977

اللوحة رقم 82

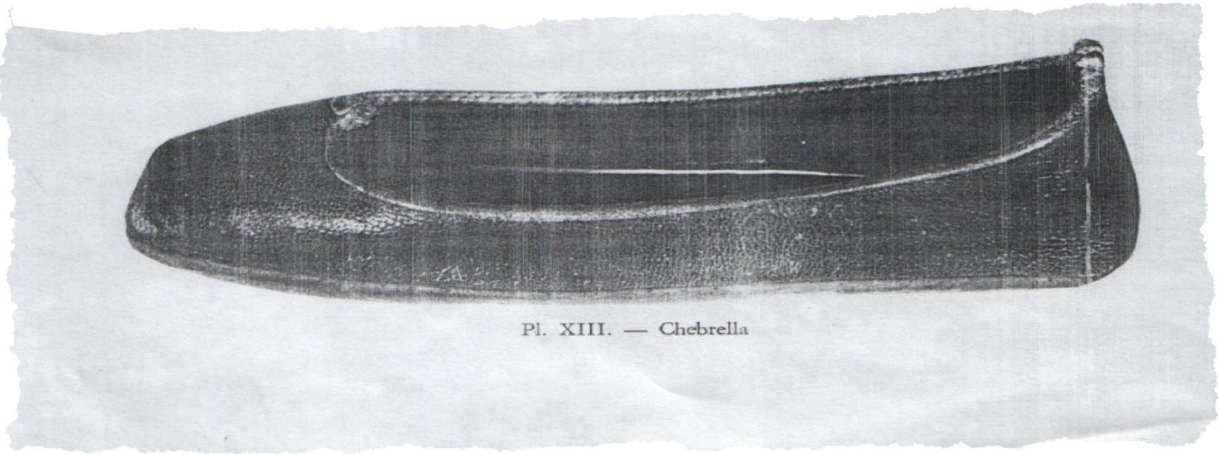

Pl. XIII. — Chebrella

تمثل هذه الصورة الحذاء المعروف **بالشبرلة**و التي كانت تنتعلها النساء في مدينة الجزائر ولاسيما الأندلسيات.

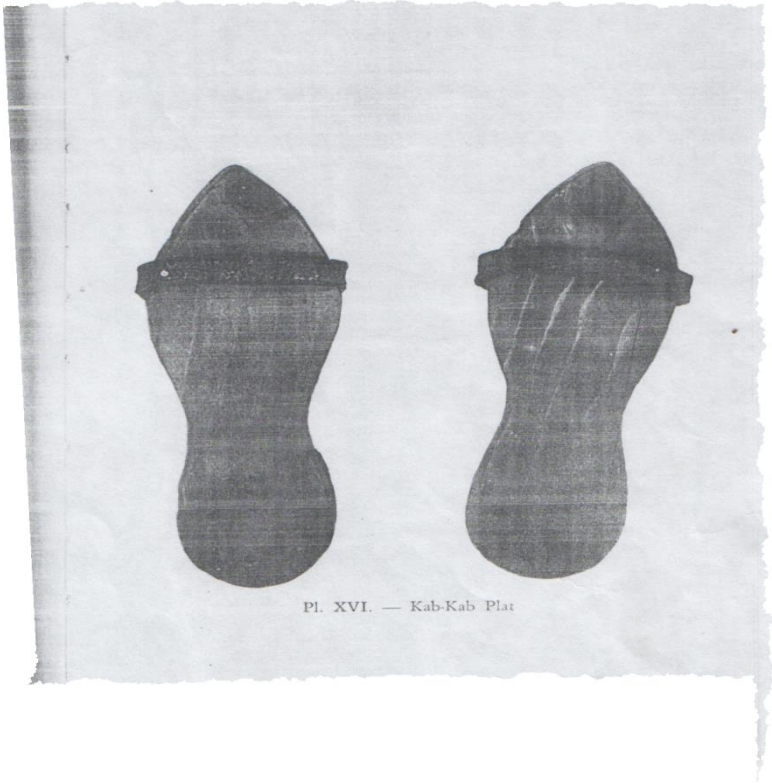

Pl. XVI. — Kab-Kab Plat

تمثل هذه الصورة النعل المعروف **بالقبقاب المسطح المصنوع** من الخشب و التي كانت تنتعلها النساء في مدينة الجزائر لاسيما في الحمامات.

المصدر: Baghliwahiba,Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, SNED, Alger,1977

اللوحة رقم83

هذه اللوحة تمثل امرأة من نساء مدينة الجزائر ترتدي سروالا للمنزل من الحرير الوردي، ومن فوقه ينزل قميص من الكتان الرقيق والجذع مغطي بغليلة -وهي ســترة طويلة من الحرير الأزرق المطرز بخيوط ذهبية -وقد لفت خصرها بفوطة مخططة بخطوط زرقاء اللون والتي يحيط بها حزام مذهب، وتضع على رأسها شاشية لا يبرز منها إلا قمتها لأنها ملفوفة بمحرمة-منديل من الحرير- صــفراء وحمراء اللون التي ثبت فيها دبابيس ملونة، وهي تتحلى بأقراط وعقود من اللآلئ وفي أقدمها خلاخل.

الشكل رقم 1 امرأة يهودية ترتدى لباس خاص بالبيت متمثل في قميص وسروال قصير وترتدي شاشية تعلو رأسها وتتعل قبقابا وهي منشغلة بتقديم الطعام حيث تحمل بيدها اليسرى طبقا فيه طعام وبيدها اليمنى قلة ماء ويشابه هندامها هندام المرأة المسلمة في بيتها ويمثل الشكل الثاني شكل قميص والذي كان يعتبر من أهم ملابس المرأة في مدينة الجزائر ،وكان يصنع من قماش من الكتان الناصع البياض والرقيقكان جد عريض وطويل بحيث يصل إلى القدمين و لا يحتوي على عنق أو ياقة-مثلما هو الحال في كل أجزاء ملابسهن التي كانت دائما على هذه الشاكلة وهو تأثير عثماني وهو شبيه بالجبةوالشكل رقم 3 يمثل أيضا امرأة بلباس البيت وي ترتدى قميصا وتلف حول خصرها فوطة و كانت المرأة تضعها عوض السروال في فصل الصيف؛ حين يصبح الجو حارا، أو تضعها مباشرة فوق السروال لاسيما في فصل الشتاء حين يبرد الجو.

Marçais (Georges) : Le Costume Musulman d'Alger

اللوحة رقم 84

1

4 3 2

تمثل الصور الثلاثة التي التقطت في السنوات الأولى بعد الاستقلال نسوة من نساء مدينة الجزائر يقمن بأعمال التطريز بالاستعانة بآلة القرقاف (guef- guer)وهي كلمة تركية المقصود بها منسج أفقي للتطريز والتي تعد من بين إســـهامات العثمانيين في مجال التطريز و ما يتصـــل بهذا الفن من صـــنع للملابس و أفرشـة البيوت ؛ حيث يسـاعد هذا المنسـج في تطريز القطع الكبيرة مما يسـمح للمطرزة بإبقاء يديها حرتين مما يزيد من جودة ودقة التطريز .

مصدر الصور: المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-(بتصرف)

اللوحة رقم 85

3

تمثل الصـور 1و2،و3 نماذج عن القطع الفنية التي كان يتم تطريزها في مدينة الجزائر والتي تجسـد تمازج التأثيرات العثمانية والأندلسـية في مجال التطريز فالتأثيرات العثمانية حاضرة من حيث الأشـكال وأسلوب التطريز ومن حيث الألوان الأحمر والأزرق الغامق والبنفسجي والتأثير الأندلسي مجسد في الدنتيلا أو الشبيكة التي كانت تدمج ضمن هذه القطع على شكل حواشي وهي باللون الأبيض ونلاحظ أن المواد الأولية المعتمدة تتميز بجودة عالية ويمكن القول أن الإسـهام المحلى في فن التطريز يكمن في الألوان التي كانت تعد محليا بمواد وأصبغة طبيعية ذات جودة كبيرة.

المصدر بتصرف:المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية -الجزائر العاصمة-

اللوحة رقم 86

ليلة من ليالي رمضان بمدينة الجزائر

تمثل هذه اللوحة إحدى حومات"حومة سيدي محمد الشريف" مدينة الجزائر خلال ليلة من لياليشهر رمضان،فمن التقاليد الأخرى المميزة لهذا الشهر أن أبواب المدينة وخلافا لسائر الشهور الأخرى كانت تظل مفتوحة خلال الليل وأصبح ذلك تقليدا معمولا به كل سنة خلال ليالي هذا الشهر حيث كانت المدينة تشع أنوارا، وتتيح الفرصة للسكان للسهر والتنقل عبر أحياءها.

مصدر اللوحة:MohammedRacim,Op.cit,p 57

اللوحة رقم 87

" قمقم" المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل هذه الصورة نموذجا للأدوات النحاسية التي كانت تستخدم في وضع الماء المعطر مثل ماء الزهر البرتقال،وماءالورد والذي كان يرش منه على الضيوف عند الزيارات، وبعد الاستحمام وفي حفلات الأعراس وخلال الأعياد وغيرها، أي بمثابة قنينة ومرش عطور كانت كثيرة الاستخدام في أوساط سكان مدينة الجزائر وهو يعرف في لغتنا الفصحى بالقمقم.

اللوحة رقم88

تمثل هذه اللوحة مباريات المصارعة، وكانت تقام أيام العيد الأضحى على وجه الخصوص وسهرات رمضان وكانت هذه الألعاب تقام أيضا بانتظام أيام الجمعة في باب الواد بعد انتهاء صلاة الظهر مباشر فقد كان هؤلاء المتصارعون من صفوف الإنكشارية حيث أن الاحتفال بعيدي الفطر ،و الأضحى كان مناسبة ليمارس الإنكشارية ألعاب تعد بمثابة نوع من التمرين بالنسبة إليهم.

مصدر اللوحة : Nicolas de Nicolay,Op .cit, p. 159

اللوحة رقم89

تمثل هذه اللوحة عودة حجاج من أداء مناسك الحج ويبدو أن هذين الحاجين كان يتقدمان ركب الحجاج على اعتبار أنهما يحملان على كتفيهما رايات يعلوهما هلالين وهما ينشـــدان المدائح الدينية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

مصدر اللوحة: Nicolas de Nicolay,Op .cit, p124

اللوحة رقم90

تمثل هذه اللوحة أحد السقاءين الذين كانوا يرافقون ركب الحجاج ويشرفون على سقايتهم وتزويدهم بحاجتهم من الماء والعديد من هؤلاء السقاءين كانوا يقومون بهذه المهمة باعتبارها عملا خيريا حيث لم يكونوا يطالبون بمقابل مادي وفي نفس الوقت لا يمتنعون عن قبول ما قد يقدمه إليهم الأشخاص الذين استفادوا من خدماتهم ومن بين هؤلاء السقاءين من كانوا مكلفين بأداء هذه المهام من طرف السلطات وكانوا يتلقون أجرة مقابل ذلك.

مصدر اللوحة:Nicolas de Nicolay,Op .cit, p207

اللوحة رقم 91

تمثل هذه اللوحة أحد كتاتيب مدينة الجزائر حيث أن المحل الذي لا يسع التلاميذ تجعل فيه سدة يجلس عليها الأطفال فكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ويحفظون القرآن العظيم وتوضح هذه اللوحة كيف كان يجلس التلاميذ متربعين حول المؤدب أي المعلم وكيف كان يتم الاعتماد على الألواح الخشبية للكتابة عليها والقراءة منها.

المصدر : OfficeRiad el feth , Casbah ,Architecture et urbanisme ,Galerie du musée national

االلوحة رقم 92

تمثل هذه اللوحة عالما من علماء مدينة الجزائر، وبالضبط إماما خطيب من أئمتها وقد كان للعلماء تأثيرا كبير على المجتمع في مدينة الجزائر والجزائر عامة في ظل الحكم العثماني سواء كان ذلك من خلال دروس الوعظ أو مجالس الفتوى حيث كان الناس يثقون فيهم أكثر من رجال الحرب والسياسة، ويحظون بتقدير كبير من طرفهم لاسيما الفقهاء، والمفتين والقضاة والمدرسيين.

Editions Plon, Paris, ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16esiècle à 1870**, 1929.

االلوحة رقم 93

تمثل هذه اللوحة مرأة من نساء مدينة الجزائر وهي ترتدي لباس خاص بالبيت حيث تضع على رأسها عصابة من القماش وترتدي قميص عريض وتلف خصرها بفوطة وتنتعل بابوشا وهي منشغلة بتقديم الطعام كما يبدو حيث تمسك بيدها اليمنى طبقا خاص بالكسكسي. وتشد بيدها اليسرى على يد طفلها مما يدل على عناية المرأة في مدينة الجزائر بأطفالها وإن انشغلت بالأعمال المنزلية.

مصدر اللوحة.

ESQUER (G) : **Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16ᵉ siècle à 1870**

االلوحة رقم 94

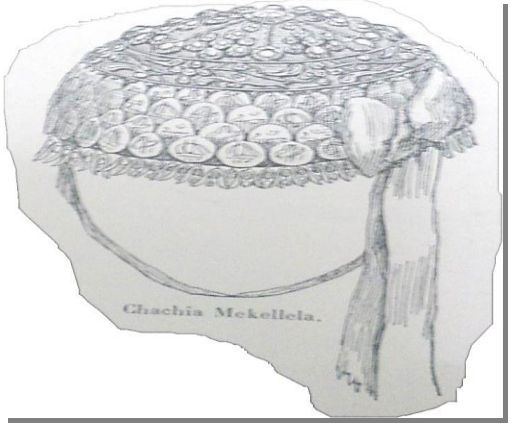

1

لقد كانت النســـاء في مدينة الجزائر ترتدين نوعين من الشـــاشـــيات وكان يطلق على النوع الأول أي المطعمة بخيوط فضـــية وذهبية بالشـــاشـــية المرصـــعة ،وعلى النوع الثاني المزين بقطع نقدية من الذهب والفضـــة التي كانت تخاط عليها مع عدد من الألئ، والأحجار الملونة،الشـــاشـــية المكللة و هذا النوع هو ما يجسده الشكل أعلاه .

4 3 2

تمثل الصـــورة رقم 1 والشـــكل 2 الآنية القارورة التي كانت تضـــع فيها المرأة مادة من المواد التجميلية الهامة لديها وهي مادة الكحل ونســـبة لذلك عرفت هذه الآنية والتي كانت تصـــنع من النحاس و أحيانا بمادة ثمينة وهي الفضـــة بالمكحلة أو المكحيلة تمثل الصورة رقم 3 آنية كانت تضع فيها المرأة في مدينة الجزائر العنبر والمســـك لنشـــر الرائحة الطيبة ولاســـيما مثلا عند ذهابها للحمام و هي عبارة عن مبخرة. مصـــدر الصـــورة رقم 2ورقم4المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشـــعبية بالقصـــبة -الجزائر العاصمة-(بتصرف) والشكل رقم 1ورقم3

Eudel,Dictionnaire des bijoux de l’Afrique du nord ,Maroc ,Ernest Leroux édition,

اللوحة رقم 95

1 **2** **3**

1تمثل هذه الصورة ابزيم **2** تمثل هذه الصورة ابزيم مزين بزجاج أحمر **3** تمثل هذه الصورة دبوس يعرف بالرعاشة

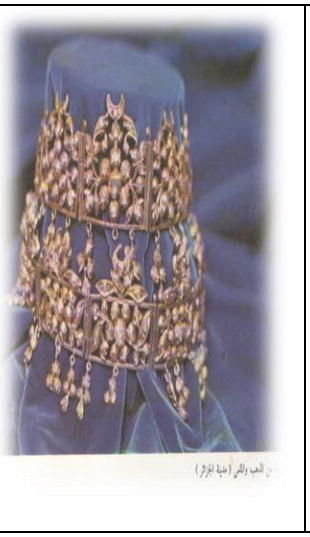

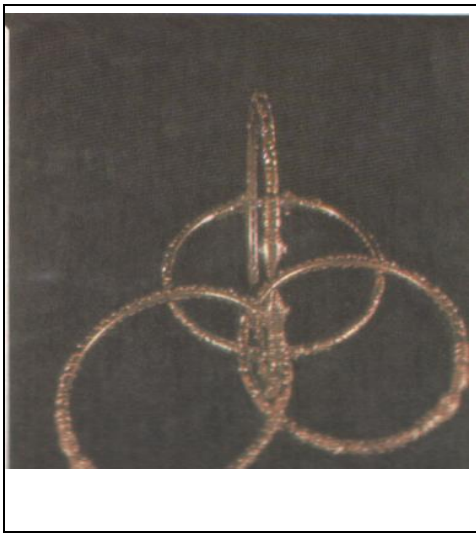

4 5 6

الصورة رقم 4 و5 تمثل قطعة حلي تعرف عصابة من الذهب والماس كانت توضع حول الرأس.

تمثل هذه الصورة رقم 6 قطعة حلي تعرف بالخلخال أو الردايف الذهبي المزخرف المنتهي برؤوس الثعابين كانت توضع في القدمين حلية للتزيين.

المصدر بتصرف : فريدة بن ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، 1977
و المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة

اللوحة رقم 96

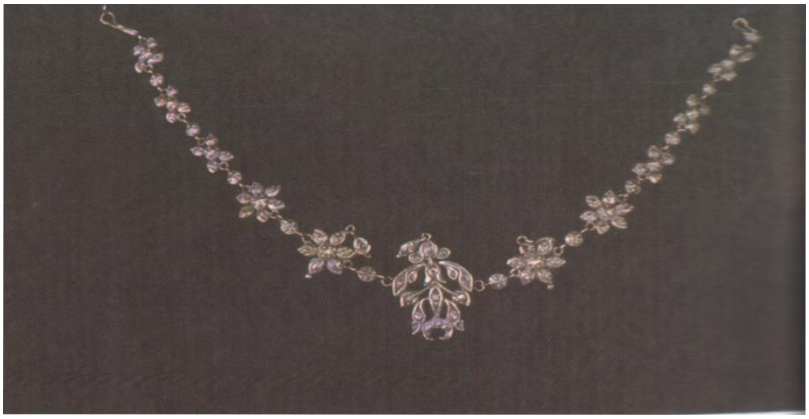

تمثل هذه الصورة قطعة حلي كان استعمالها شائعا في أوساط نساء مدينة الجزائر ويطلق عليها اسم خيط الروح.

2

1

1 تمثل هذه الصورة شاشية موشاة بخيوط ذهبية و قطعة حلي تعرف بالقطينة 2 تمثل هذه الصورة شاشية موشاة بخيوط ذهبية و قطعة حلي تعرف بالشنتوف التي كانت عبارة عن قلادة كانت مشكلة من مجموعة من القطع النقدية الذهبية الرائجة خلال العهد العثماني والمسماة بالسلطاني-اللويز - المصدر: فريدة بن ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، 1977-بتصرف-

االلوحة رقم97

تمثل هذه اللوحة نســاء مدينة الجزائر وســط البســاتين في الفحوص ؛ حيث كن يذهبن في كل وقت من أوقات السنة إلى الحدائق و الفحوص للتمتع بجمال الطبيعة ،ولاسيما في مواسم الفواكه وكانت خلوتهم هذه تحظى بكثير من الاحترام حيث كان يحضر ــ على أي رجل مجرد الاقتراب وإن من بعيد من مكان تواجد النسوة أي الحفاظ على الحرمات.

مصدر اللوحة بتصرف:

Mohammed Racim,Op.cit,p79

اللوحة رقم 98

تمثل هذه اللوحة اجتماع نساء من مدينة الجزائر في إحدى الدويرات الواقعة وسط البساتين في الفحوص ؛وتبرز لنا هذه اللوحة بعض اهتمامات النساء في مدينة الجزائر وطريقة تمضيتهن لأوقاتهن بين الأعمال اليدوية وعزف الموسيقى وارتشاف القهوة والشاي وتبادل الأحاديث بعد الانتهاء من الأشغال المنزلية.

مصدر اللوحة بتصرف: Mohammed Racim ,Op.cit,p83

اللوحة رقم 99

"آنية لعبة البوقالا " (المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالقصبة -الجزائر العاصمة-)

تمثل الصـورة الآنية الفخارية التي كانت تسـتعمل في لعبة البوقالا الشـهيرة لدي نسـاء مدينة الجزائر خلال القرنين 10ه(16 م)-11ه (17 م) والتي لتزال منتشرـة في الأوسـاط الأسرية العاصمية خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر العربية الأرشيفية والمخطوطة:

أ – الوثائق الأرشيفية المتواجدة بالأرشيف الوطني الجزائري :

1-سلسلة المحاكم الشرعية:

1-الوثيقة رقم69 "رسم تحبيس كوشة من طرف إحدى نساء مدينة الجزائر "، بإشراف القاضي بالجزائر في العلبة 141تاريخها1073 ه(1662 م)

2-الوثيقة رقم 5:" رسم تقسيم تركة امرأة "في العلبة 29 -30 تاريخها 1054ه (1644م)

3 -الوثيقة رقم37 "رسم يتضمن عقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 124 تاريخها أواخر رمضان المعظم 1085ه (1674م)

4-الوثيقة رقم49 "رسم إقرار بملكية و تقسيم تركة"،في العلبة 23تاريخها اواسط ربيع الثاني عام1080 ه (1669م)

5 -الوثيقة رقم 5:" رسم تقسيم تركة امرأة "في العلبة 29 -30 تاريخها 1090ه (1679م)

6-الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن عقد بيع و تحبيس بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة10-1 تاريخها1093ه (1681م)

7- الوثيقة رقم20"رسم يتضمن عقد إثبات و تحبيس بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة10-2 تاريخها 1086 ه (1576 م)

8-الوثيقة 3 ،رسم تقسيم تركة أمين الصبانين بمدينة الجزائر " في العلبة 18-2 تاريخها أواسط شهر ربيع الأول 1101ه (1690م)

9-الوثيقة رقم 91 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين "في العلبة 27-2 تاريخها 1162 ه(1749م)

10-الوثيقة رقم 24 "تعاقد حول كراء فرن"،في العلبة 22-2تاريخها ؟ه

11-الوثيقة رقم 30 "رسم تقسيم تركة "،في العلبة 19-1 تاريخها اواخرحجة الحرام متمم عام 1111 ه (1705م)

12-الوثيقة رقم 23 ، عقد زواج وإيفاء زوج بدينه لزوجته " في العلبة74-75 تاريخها غرة جمادى 1010ه(1661 م)

13 - الوثيقة رقم 3،" عقد تقسيم تركة أحد البلكباشية بمدينة الجزائر ،في العلبة 27 -2، تاريخها؟ه

14-الوثيقة رقم31 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 6-1 تاريخها1043(1634م)

15-الوثيقة رقم 52 "رسم تحبيس جلسة بحيرة بخنيس خارج باب عزون"في العلبة 18-1 تاريخها1240ه(1824 م)

16- الوثيقة رقم70 "رسم بيان صدقة وهي دار مع بيان مواصفتها لمستحق بإشراف القاضي الموثق"في العلبة 76 -1 تاريخها 1013 هـ(1605 م)

17-الوثيقة رقم35 "رسم بيان تقسيم تركة ورسم وقف بإشراف القاضي الموثق"، في العلبة 27- 2 تاريخها أوائل حجة الحرام 1067 هـ (1657 م)

18-الوثيقة رقم60 "رسم وقف ذري"،في العلبة 119-120 تاريخها اوائل حجة الحرام1088هـ(1677م)

19-الوثيقة رقم 5 "تقسيم تركة الحاج قاسم عبيد الأندلسيمن أثرياء مدينة الجزائر"،في العلبة 18 -1 تاريخها 1073 هـ(1663 م)

20-الوثيقة رقم19 "رسم شراكة و تقسيم تركة "،في العلبة 119-120تاريخها اواسط صفر الخير عام1088 هـ (1677م)

21-الوثيقة رقم69 "رسم تحبيس كوشة من طرف إحدى نساء مدينة الجزائر "، بإشراف القاضيبالجزائر "في العلبة 141تاريخها1073 هـ (1662م)

22-الوثيقة رقم 19 : عقد بيع وشراء بين التاجر الحاج محمد بن السيد أحمد الأندلسي والذمية حنة بنت الفقيه عمار"،في العلبة 41-2 تاريخها أواخر محرم الحرام فاتح عام 1051 هـ(1641 م)

23-الوثيقة رقم 8 " تأجير قطعة أرض تابعة للمسجد لذميين مجاورين له " في العلبة96 -97 من سلسلةالمحاكم الشرعية تاريخها ربيع الأول 1084 هـ (1673م)

24-الوثيقة رقم 9" عقد بيع وشراء لحصة من دار ملك لأحد أهل الذمة اليهود" في العلبة10 -2 منسلسلة المحاكم الشرعية تاريخها أواخر ضهر رجب 1160هـ(1747 م)

25-الوثيقة رقم 17 "رسم تقسيم تركة ورسم وقف "،في العلبة 119-120 تاريخها اوبل حجة الحرام من عام 1056 هـ(1646 م)

26-الوثيقة رقم2 "رسم تقسيم تركة وفق المذهب الحنفي "، في العلبة 10-2 تاريخها1173هـ (1760 م)

27-الوثيقة رقم 65 عقد بيع وشراء بين شركيين في ملكية علوي و إسطبل"، في العلبة 27-2 تاريخها1104هـ (1693م)

28-الوثيقة رقم78 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"، في العلبة84 -85 -86تاريخها أواسط شوال1112هـ(1700 م)

29-الوثيقة رقم 13 « رسم معاوضة أوقاف لصالح فقراء الحرمين الشريفين "في العلبة 10-2تاريخها غرة شهر صفر الخير المبارك1088 هـ (1677 م)

30-الوثيقة رقم 11 "عقد شركة وبيع وشراء"، في العلبة 29-30 تاريخها أواسط رجب 1072 هـ (1662 م)

31-الوثيقة رقم 41 " نسخة ثلاثة رسوم تحبيس قام بها البيتمالجي صاري مصطفى "،في العلبة 141 تاريخها أواخر شهر ربيع الثاني 1015 هـ (1703م)

32-الوثيقة رقم 69 "عقد بيع وشراء بإشراف القاضي بمدينة الجزائر"، في العلبة 27 -2 تاريخها1067هـ (1657 م)

33-الوثيقة رقم 6 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر"،في العلبة 109-110 تاريخها أوائل شهر حجة الحرام1067 هـ (1657م)

34- الوثيقة رقم 1 "رسم تقسيم تركة أسرة علمية بمدينة الجزائر" في العلبة 123 تاريخها

35-الوثيقة رقم16 "رسم يتضمن عقد بيع لإحدى النساء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة20-1تاريخها 1094 (1682م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

36-الوثيقة رقم44 "رسم يتضمن عقد وقف بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1152هـ(1739م)

37-الوثيقة رقم14 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر «في العلبة 141 الثاني من جمادى الأولى عام 1027هـ (1618م)

38-الوثيقة رقم 19 عقد بيع وشراء وعقد وقف ذري"، في العلبة 35، تاريخها أوائل ربيع الأولعام1101هـ(1690م)

39-الوثيقة رقم 1 ،عقد وقف ذري ،في العلية 10-1 من من سلسلة المحاكم الشرعية تاريخها 1208 هـ (1793 م)

40-الوثيقة رقم75 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"،في العلبة 10-11تاريخها 1109 هـ (1697 م)

41- الوثيقة 56 "نسخة ثلاثة رسوم متعلقة بتحبيس عقارات"،في العلبة 10-1 تاريخهاشهر ربيعالأول1098 هـ (1687 م)

42-الوثيقة رقم47"رسم يحوى وصية وتقسيم تركة "في العلبة23 تاريخها 1040 (1630م)

43-الوثيقة رقم35 "رسم بيع وشراء ، "في العلبة124 ،تاريخها أواسط شعبان عام1089 هـ-(1678م)

44-الوثيقة رقم 82 " رسم تقسيم تركة بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 27-2 تاريخها اوائل حجةالحرام 1067هـ (1657م)

45-الوثيقة رقم 6 "رسم تقسيم تركة أحد الفقهاء بمدينة الجزائر "في العلبة124،تاريخها صفر 1019 هـ (1610م)

46-الوثيقة 39 "رسم تقسيم تركة الحاج منصور بن علي البلبلي"، تاريخها أوائل رجب عام 1008 هـ-(1599م)

47-الوثيقة رقم9 "رسم يتضمن رسم فريضة ارث و بينات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر،في العلبة18-1 تاريخها 1101هـ (1689م)

48-الوثيقة رقم 4 "رسم استبدال وقف بآخر"في العلبة10-2 ،تاريخها اواخر شهر صفر الخير من عام1105 هـ- (1694م)

49-الوثيقة رقم41 "رسم توزيع إرث إلى مستحقيه بإشراف ناظر المواريث المخزنية بالجزائر"فيالعلبة71-72 تاريخها1071هـ (1661 م)

50-الوثيقة رقم 11 :" رسم حل خلاف بين مطلقين ،ورسم تحبيس ووقف مرجعه الحرمين الشريفين" في العلبة 41 تاريخها أواسط قعدة الحرام عام 1084 هـ(1673م)

51-الوثيقة رقم79 "رسم تصفية أملاك للإيفاء بديون مستحقة بإشراف ناظر المواريث المخزنية بالجزائر "، في العلبة 119-120تاريخها أواخر شوال 1096هـ (1685م)

52-الوثيقة رقم 3 :"عقد تحبيس حانوت من طرف الداي محمد التريكي "، في العلبة 10 -1 تاريخها أواخر جمادى الأولى 1084 هـ (1674 م)

53-الوثيقة 83"رسم تحبيس ذري لامرأة بمدينة الجزائر مرجعه الحرمين الشريفين " في العلبة 119-120 تاريخها غرة شهر ربيع الأول 1101هـ (1690م)

54-الوثيقة 26 " رسم تقسيم تركة احدى النساء الأندلسيات الثريات في مدينة الجزائر،في العلبة5-1 تاريخها أواسط ذي القعدة الحرام من عام 1047 هـ(1638 م)

55-الوثيقة رقم30 "رسم معاوضة دار بجنة بمدينة الجزائر "في العلبة141تاريخها أواخر ربيع الأول1096هـ (1685م)

56-الوثيقة رقم32"رسم نقل صفرة أوقاف الحرميين الشريفيين من طرف ركب الحج"،في العلبة29-30 تاريخها 1089هـ(1678 م)

57-الوثيقة رقم6"رسم يحوى وصية وتقسيم تركة "في العلبة19-2 تاريخها 1040 (1630م)

58-الوثيقة رقم 30 "رسم تقسيم تركة امرأة بمدينة الجزائر في العلبة19-1تاريخها 1040 هـ (1630م)

59-الوثيقة رقم 54 "رسم بيع وشراء وعقد وقف ذري لامرأة بمدينة الجزائر في العلبة41-1تاريخها غرة صفر الخير 1100هـ (1689م)

60-الوثيقة رقم6"رسم تقسيم تركة ووصية وعقد وقف ذري "في العلبة10-2 تاريخها أواسط جمادى الأولى من عام 1095 هـ (1684م)

61-الوثيقة رقم 33 "عقد شراكة بين زوجين وتقسيم تركة "،في العلبة 109 -110 تاريخها أواخر ذي الحجة الحرام 1033هـ(1624 م)

62-الوثيقة رقم45"رسم تحبيس ذري بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر في العلبة19 -2 تاريخها 1099هـ (1806م)

63-الوثيقة رقم 38"رسم تحبيس ذري بمدينة عقد الجزائر"، في العلبة 119-120تاريخها 1093 هـ (1682 م)

64-الوثيقة رقم 45 "رسم تحبيس ذري مرجعه أوقاف الحرمين الشريفين ،في العلبة 119-120 تاريخها أواخر ربيع الأول 1107 هـ(1696م)

65-الوثيقة رقم 31 " رسم معاوضة وقف بآخر تحت إشراف قاضي مدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها تحوي تاريخين أواخر صفر من عام 1087 هـ و تاريخ ربيع الثاني 1101 هـ

66-الوثيقة رقم 10 "رسم إثبات ملكية وبيع وشراء بين أفراد من أهل الذمة"، في العلبة 119-120 تاريخها 1175هـ(1762 م)

67- الوثيقة رقم3"رسم تحبيس لأوقاف بإشراف المجلس العلمي والموثق بالجزائر في العلبة76 -1 تاريخها 1105هـ(1694 م)

68 -الوثيقة رقم 2 ،قضية عرضت على المجلس العلمي بمدينة الجزائر ،في العلبة119-120تاريخها أواسط جمادى الأخرى عام 1067 هـ(1657م)

69-الوثيقة رقم 9،رسم وقف ذري بإشراف القاضي الحنفي ،في العلبة 119-120،تاريخها1107 هـ(1696 م)

70-الوثيقة رقم9 "رسم تحبيس لأوقاف بإشراف المجلس العلمي والموثق بالجزائر في العلبة 27 تاريخها 1099 (1688م)

71-الوثيقة رقم42 "حل خلاف بين شركاء في ملكية دار بإشراف المجلس العلمي بمدينة الجزائرفي العلبة 109-110تاريخها أوايل جمادى الأولى عام 1103هـ(1692 م)

72-الوثيقة رقم 52 "وقف ذري مرجعه الحرمين الشريفين" في العلبة 119-120تاريخها جمادى الأولى 1087هـ(1676 م)

73-الوثيقة رقم32 "رسم تحبيس لصالح الحرمين الشريفين بإشراف القاضي بالجزائر"، في العلبة9 -1 تاريخها1096 هـ (1685 م)

74-الوثيقة رقم 62 "عقد تحبيس ذري قام به جد لصالح حفيدتيه اليتيمتين بمدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها 1093 هـ (1682م)

75-الوثيقة رقم45 "رسم تحبيس ذري بإشراف القاضي بالجزائر"،في العلبة 27-1 تاريخها الثالث من شهررمضان 955 هـ (1548 م)

76-الوثيقة رقم70 "رسم يتضمن قضية بيع وشراء"، في العلبة27-2 تاريخها أوائل شهر رمضان المعظم 1075 هـ(1665 م)

77-الوثيقة رقم19 "رسم يتضمن قضية بيع وشراء"، في العلبة10-2 تاريخها أوائل شهر رمضان المعظم 1075 هـ(1665 م)

78-الوثيقة رقم12 "رسم يتضمن عقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 141تاريخها1107هـ (1696م)

79-الوثيقة رقم4"رسم يتضـمن تقسـيم تركة وعقد بيع بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 109-110 تاريخها1097هـ(1686 م)

80-مجموعة وثائق أشبه بالسجل مرقمة من 170 إلى 203 موزعة على العلبتين8و 9

81- الوثيقة رقم45 "رسم يتضمن تحبيس دار علوية أعدت لقراءة القرآن لصالح الوقف بإشراف القاضي الموثق "، في العلبة 76-1 تاريخها 1097 هـ (1686 م)

82-الوثيقة رقم 26 "رسم تصدق زوجة على زوجها بحانوتيين"،في العلبة 22-2تاريخها أواخر شعبان من عام988 هـ (1580م)

83-الوثيقة رقم 52 "رسم بيع وشراء بين زوجين بمدينة الجزائر "،في العلبة 27-2 تاريخها أواسـط ربيع الثاني من عام1079 هـ (1669م)

84-الوثيقة رقم 19 "رسم بيع وشراء دار بمدينة الجزائر "،في العلبة 22-1 تاريخها أواسط ربيع الثاني من عام1094 هـ(1683 م)

85-الوثيقة رقم3 "رسم يتضـمن عقد بيع يخص النسـاء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 28-1 تاريخها97 10 (1685م)

86-الوثيقة رقم31 "رسم يتضـمن عقد بيع لإحدى النسـاء بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 6-1 تاريخها 1043 (1634م)

87-الوثيقة رقم14 "رسم تقسـيم تركة امرأة بمدينة الجزائر"، في العلبة 141 الثاني من جمادى الأولى عام 1027 هـ(1618 م)

88-الوثيقة رقم37 "وثيقة تحوى رسمين أحدهما رسم بيع وشراء والثاني رسم تحبيس"،في العلبة 119-120 تاريخ الرسم الأول شـهر رمضـان 1064 هـ وتاريخ الرسم الثاني غرة شـعبان 1073 هـ(1663 م)

89-الوثيقة رقم 26 " شراء كتب وأملاك وإقامة بناء لصـلح أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر" في العلبة123 تاريخها أوائل شهر ربيع الأول 1052 هـ(1642 م) وتوجد نسخة أخرى لهذه الوثيقة في نفس العلبة تحت رقم 7

90-الوثائق رقم 2 إلى 5 "حول النسب الشريف و إثباته في العلبة 153

2-سلسلة سجلات البايلك :

1-السـجل رقم 218 "سجل يتضـمن بيان كراء الأملاك الموقوفة على فقراء الحرمين الشـريفين في مدينة الجزائر والمدن الأخرى على يد الأمناء محمد آغا ومصطفي آغا..."،الرقم القديم 313في العلبة 29-ب-

2-السجل رقم 216 سجل يتضمن ضبط الأوقاف المحبسة على فقراء الحرمين الشريفين وفقراء الأندلس بمدينة الجزائر"،في العلبة 28

3-السجل رقم262، العلبة 30استمدت منه الوثيقة المعنونة:"**شركة الأندلس**"،وتاريخها سنة 1032 هـ(1622م)

4-السجل 423" يتضمن بيان الأموال المنفقة على أوقاف سبل الخيرات المتحصل عليها لبناء المسجد الذي وقع الأمر ببنائه بالمدرسة العنانية ....الجامع الجديد على يد السيد شعبان آغا علبة 310 إلى 382 الرقم القديم 325، السنة 1066 هـ/1655 م -1656 م/ 1671 م – 1672 م

5-السجل رقم 153 الرقم القديم 69 في العلبة 68 إلى 69 ،سجل يتضمن 3 أقسام يهمنا منه الجزء الأول الذي يحوي بيان الواردات التي ترد عن طريق البحر من السفن وهي مواد استهلاكية غذائية وغيرها ومدخول هذه المواد من الرسوم المستوفاة مرتبة حسب التاريخ عن السنة والشهور تاريخه1081(1670 1671م)/ 1090(1679 -1680م)

6-السجل رقم 425 الرقم القديم 327 في العلبة 310- 328 تاريخه تاريخه1070 هـ (1659– 1660م) 1149هـ (1737-1736م)

7- السجل رقم 170سجل يتضمن بيان الخارج من أجرة معلمي الساقية التابعة لمصلحة المياه"، العلبة 70 تاريخه 1079 -1090هـ/1668-1669 م-1679 -1680م

8-السجل رقم 415 يتضمن بيان ما يتم تحصيله من أوقاف مسجد المصلى خارج باب الواد بمحروسة الجزائر في العلبة 310-328من سلسلة سجلات البايلك في الأرشيف الوطني الجزائرتاريخه1087 - 1130 هـ/1676 -1717 م

3-سلسلة بيت المال :

1 -السجل رقم1 دفتر يختص بمخلفات الموضوعة ببيت المال من الضرائب التي لا وارث لها والتي فيها حظ لبيت المال وهي للمفقودين والأسرى بالخارج وذلك بعهد السيد مصطفى صاري آغا بن الحاج محمد البيت مالجي مرتب حسب الشهور والسنوات الهجرية ،سلسلة بيت المال علبة 1 إلى 3 السنة 1111 هـ/1701 م

4-سلسلة الدفاتر المهمة:

1-مهمة دفتري رقم22 حكم رقم 273بتاريخ16 /981/04 هـ (15 /8 /1573م)

2-مهمة دفتري رقم 22 صحيفة 176حكم رقم 359 بتاريخ04/28 /981هـ(27 /1573/8م)

3-مهمة دفتري رقم 18 صحيفة 135 -136حكم رقم 288 بتاريخ10/19 /979 هـ(3/5 /1572 م)

4-مهمة دفتري رقم 21 حكم رقم 645 بتاريخ 12/22 /980 هـ(1573/4/25 م)

5-مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 526بتاريخ21 /980/11 هـ (1573/3/25م)

6-مهمة دفتري رقم11 حكم صحيفة رقم 55 رقم 158بتاريخ993هـ (1585 م)

7-مهمة دفتري رقم21 حكم رقم 639بتاريخ16 /980/12 هـ (1573/4/19م)

8-مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 228 حكم رقم 532 بتاريخ 985/3/13هـ(1577/5/31م)

9-مهمة دفتري 48 حكم 44 بتاريخ 990 هـ(1582 م)
10-مهمة دفتري 18 صحيفة 146 حكم 306 بتاريخ 21/ 979/10هـ(1572/3/7 م)
11-مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 199 -حكم رقم 471 بتاريخ 985/3/5هـ(1577/5/23 م)
12-مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 183 حكم رقم 430 بتاريخ 985/3/5هـ(1577/5/23 م)
13-مهمة دفتري رقم 21 صحيفة 627حكم رقم 640 بتاريخ 980/12/16هـ(1573/4/19 م)
14-مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 102 -103 حكم 164 بتاريخ979 هـ(1572 م)
15-مهمة دفتري رقم 6 صحيفة 451حكم 973 بتاريخ 7 /976/9 هـ(1569/2/23 م)
16-مهمة دفتري رقم43 حكم 148رقم 284 بتاريخ988 هـ(1580م)
17-مهمة دفتري رقم 16 صحيفة 313حكم 555 بتاريخ 979/6/11هـ(10/31 /1571 م)
18-مهمة دفتري رقم48 حكم رقم 140 بتاريخ990 هـ(1582 م)
19-مهمة دفتري رقم48 حكم رقم 47 بتاريخ990 هـ (1582 م)
20-مهمة دفتري رقم 9 صحيفة رقم 89 حكم 231 بتاريخ 10/24 /997هـ(1589/9/5 م)
21-مهمة دفتري رقم23 صحيفة121 حكم رقم 244 بتاريخ 981/7/19 هـ(1573/11/14م)
22-مهمة دفتري رقم23 صحيفة139- 140حكم رقم 284 بتاريخ 981/7/28 هـ(1573/11/23م)
23-مهمة دفتيرقم 44 حكم 112 بتاريخ 990 هـ (1582 م)
24-مهمة دفتري رقم 21 حكم 503 بتاريخ 21 /11 /980 هـ (1573/3/25 م)
25- مهمة دفتيرقم 46 حكم 326 بتاريخ990 هـ (1582م)
26-مهمة دفتيرقم 22 صحيفة 124 حكم 252 بتاريخ 5/ 4 ربيع الأول /981هـ(1573/7/4 م)
27-مهمة دفتيرقم 44 حكم 183 بتاريخ 991 هـ(1583 م)
28-مهمة دفتيرقم 22 صحيفة 135 حكم 287 بتاريخ 19/ 987/10هـ(1579/12/9 م)
29-مهمة دفتري رقم18 صحيفة 146 حكم 306 بتاريخ 21/ 979/10هـ(1572/3/7 م)
30-مهمة دفتري رقم58 صحيفة 135 حكم 189 بتاريخ 19/ 993/10 هـ(10/14/ 1585م)
31-مهمة دفتيرقم 7 ،الصحيفة 897الحكم 2456 ،بتاريخ 976/5/17هـ(1568/11/7 م)
32-مهمة دفتيرقم 58 الحكم 189 التاريخ 993 هـ(1585م)
33-مهمة دفتيرقم 7 صحيفة 481 حكم رقم 1389 بتاريخ 13 /11 /975 هـ(1568/5/10م)
34-مهمة دفتيرقم 17 ،الصحيفة 5الحكم 8 ،بتاريخ 979/1/25 هـ(1572/12/1م)
35-مهمة دفتيرقم 10 صحيفة 70 حكم رقم 108 بتاريخ 25 /1 /979هـ(1571/6/19 م)
36-مهمة دفتري رقم21 حكم صحيفة267 رقم 639بتاريخ16 /980/12 هـ(1573/4/19)
37-مهمة دفتيرقم 39 الحكم 438بتاريخ988 هـ (1580م)
38-مهمة دفتري رقم28 صحيفة 257حكم 538 بتاريخ984/7/25 هـ(1576/10/18 م)

39-محمة دفتري رقم30 صحيفة 180حكم 423 بتاريخ985/3/5 هـ(1577/5/23 م)
40-محمة دفتري رقم23 صحيفة121 حكم رقم 244 بتاريخ 981/7/19هـ(1573/11/14 م)
41-محمة دفتري رقم23 صحيفة139- 140حكم رقم 284 بتاريخ 981/7/28هـ(1573/11/23م)
42-محمة دفتري رقم 9 صحيفة 77حكم 264 ،بتاريخ 977/10/23 هـ(31 /1570/3 م)
43-محمة دفتري رقم14 صحيفة40 -41حكم 48 ،بتاريخ979هـ (1572م)
44-محمة دفتري رقم 18 صحيفة135الحكم 287 بتاريخ 19 /10 /979 هـ (1572/3/5 م)
45- محمة دفتري رقم 30 صحيفة 198 حكم رقم 469 بتاريخ 985/3/5هـ(28 /1571/7 م)
46-محمة دفتري رقم 10 صحيفة 102 -103حكم 164 بتاريخ بتاريخ979/8/27 هـ (1573/9/24 م)
47-محمة دفتري رقم 30صحيفة 182 حكم رقم 428 بتاريخ 985/3/5 هـ(1580/4/19 م)
48-محمة دفتري رقم 30 صحيفة 180 حكم رقم 422 بتاريخ 985/3/5 هـ(1577/5/23 م)
49-محمة دفتري رقم 30صحيفة 182 حكم رقم 426 بتاريخ 985/3/5 هـ(1577/5/23 م)
50-محمة دفتري رقم36 صحيفة108 حكم 313 بتاريخ987/1/8هـ(1579/3/7م)
51-محمة دفتري رقم44 حكم رقم 150 بتاريخ 991 هـ (1583 م)
52-محمة دفتري رقم 16 صحيفة رقم 24 حكم رقم 40بتاريخ979/5/20هـ(1571/10/10م)
53-محمة دفتري رقم 12 صحيفة رقم 8 حكم رقم 15 بتاريخ 5/17 /978 هـ(1570/10/17 م)
54-محمة دفتري رقم14 صحيفة 199حكم 283،بتاريخ979/2/3هـ (1571/6/27م)
55-محمة دفتري رقم14 صحيفة 200حكم 284بتاريخ979/2/3هـ (1571/6/27 م)
56-محمة دفتري رقم 14 صحيفة274حكم رقم 390 بتاريخ3/17 /978 هـ(1570/8/19م)
57-محمة دفتري رقم14 صحيفة رقم 41حكم رقم 49بتاريخ غرة صفر979 هـ(1572 م)
58-محمة دفتري رقم43 صحيفة رقم 41حكم رقم 257بتاريخ 988 هـ (1580م)
59-محمة دفتري رقم16 حكم رقم 150بتاريخ4./6 /979 هـ (1571/10/24 م)
60-محمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 547حكم رقم 1048بتاريخ10/27 /979 هـ (1572/3/13 م)
61-محمة دفتري رقم10،الصحيفة179 -180الحكم 266 ،بتاريخ 970/10/4هـ (1563/5/27 م)
62-محمة دفتري رقم6 ،الصحيفة 451الحكم 972 ،بتاريخ 972/9/7هـ(1565/4/8 م)
63-محمة دفتيرقم 6 صحيفة 618 حكم 1361 تاريخها 972/12/9هـ(1565/8 م)
64-محمة دفتري رقم7صحيفة رقم 113 حكم رقم51بتايخ975/2/5 هـ(8/11 /1567 م)
65-محمة دفتيرقم7 صحيفة 887 حكم 2433 تاريخها 976/5/11هـ (
66-محمة دفتيرقم7صحيفة 138 حكم 355تاريخها 975/4/17هـ(1567/10/21 م)
67-محمة دفتري رقم 5 صحيفة 313 حكم 817 بتاريخ23 /6 /973 هـ (1566/1/15 م)
68-محمة دفتيرقم24 صحيفة107 حكم 293 بتاريخ981/12/20 هـ (174/4/12 م)

69-مهمة دفتيرقم 24 حكم 246 بتاريخ981/12/14 هـ (1574/4/6 م)
70-مهمة دفتيرقم24 صحيفة 383حكم 882 بتاريخ 3 /2 /982 هـ (1574/5/25 م)
71-مهمة دفتري رقم 25صحيفة97 الحكم 1071بتاريخ 4 /12 /981 هـ (1574/3/27م)
72-مهمة دفتيرقم28صحيفة 49 حكم رقم118 بتاريخ984/7/25 هـ(12 /8/ 1582 م)
73-مهمة دفتري رقم10،الصحيفة173 -174الحكم 269 ،بتاريخ 979/10/4هـ(1572/2/19 م)
74-مهمة دفتري رقم24 صحيفة 5حكم 13 بتاريخ 16 /11 /981 هـ(1574/3/9 م)
75-مهمة دفتري رقم 24 صحيفة 72حكم رقم221 بتاريخ 12/14 /981 هـ (1574/4/6 م)
76-مهمة دفتري رقم 23 صحيفة 294الحكم 634 بتاريخ 23 /10 /981 هـ(1574/2/15م)
77-مهمة دفتري رقم23 صحيفة 349حكم رقم783 بتاريخ 12/18 /981 هـ(1574/4/10 م)
78-مهمة دفتري رقم 24 صحيفة 24الحكم 199 بتاريخ 5 /2 /981 هـ(1573/6/6 م)
79-مهمة دفتيرقم24 صحيفة 72حكم 198 بتاريخ 5 /981/12 هـ(1574/3/28 م)
80-مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 571حكم رقم 1088بتاريخ 979/11/7هـ (1572/3/22 م)
81-مهمة دفتيرقم12 حكم 579تاريخها 979 هـ(1572م)
82-مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 541-543 حكم رقم 1037بتاريخ 979/10/25 هـ (1572/3/11 م)
83-مهمة دفتري رقم28 صحيفة 257حكم 538 بتاريخ984/7/25 هـ(1576/10/18 م)
84-مهمة دفتري رقم16 صحيفة رقم 368حكم رقم 347 بتاريخ979/6/17 هـ (1571/11/6 م)
85-مهمة دفتيرقم 22 صحيفة 339حكم 671 بتاريخ 15/ 981/5 هـ(1573/9/12 م)
86-مهمة دفتيرقم 24 صحيفة 87 حكم 233 بتاريخ 14/ 12 /981هـ(1573/6/15 م)
87-مهمة دفتري رقم24 صحيفة 60 حكم 168 بتاريخ 5/ 981/12هـ(1574/3/28 م)
89-مهمة دفتري رقم 43الحكم 125 بتاريخ 988 هـ(1580م)
90-مهمة دفتيرقم 30 صحيفة 128 حكم 427،بتاريخ 985/3/5 هـ(1577/5/23م)
91-مهمة دفتري رقم 42 حكم 83 تاريخ989 هـ(1581م)
92-مهمة دفتري رقم7صحيفة 906 حكم رقم 2481 بتاريخ5/22 /976 هـ(1568/11/12م)
93-مهمة دفتري رقم42 حكم 86 تاريخ989 (1581م)
94-مهمة دفتري رقم6 صحيفة451 حكم 972 تاريخ972/9/7 هـ(1565/4/8م)
95-مهمة دفتري رقم12 صحيفة 563لحكم 1074 بتاريخ 4 /11 /979 هـ(1572/3/19 م)
96-مهمة دفتيرقم10 صحيفة 14حكم 16 بتاريخ 2 /1 /979 هـ(1571/5/27م)
97-مهمة دفتري رقم12 صحيفة رقم 571حكم رقم 1088بتاريخ 979/11/7هـ (1572/3/22 م)
98-مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 228 حكم رقم 532 بتاريخ 985/3/13 هـ(31 /1577/5م)
99-مهمة دفتري رقم 30 صحيفة 223 حكم رقم 517 بتاريخ 985/3/13 هـ(1577/5/31م)

100-مهمة دفتري رقم 21 صحيفة 627حكم رقم 640 بتاريخ 980/12/16 هـ(1573/4/19 م)
101-مهمة دفتري رقم 22 صحيفة 186- 187حكم رقم 360 بتاريخ981/04/28 هـ(1573/8/27م)
102-مهمة دفتري رقم30 صحيفة 347حكم رقم 348 تاريخ18 /985/2 هـ(1577/5/7 م)
103-مهمة دفتري رقم14 صحيفة رقم 920 حكم رقم 1361 بتاريخ 9/17 /978 هـ(1571/2/12 م)
104-مهمة دفتري 7/2،الصحيفة 907-908الحكم 2483 ،بتاريخ أواخرجمادى الأول976 هـ(1568 م)
105-مهمة دفتري 17 ،الصحيفة 5الحكم 8 ،بتاريخ 979/1/25(1571/6/19 م)
106- مهمة دفتري 7 ،الصحيفة886 حكم رقم 2431 بتاريخ 11 /5 /976 هـ (1568/11/1آ م)

ب–وثائق الرصيد العثماني بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

1 -الملف الثاني من المجموعة 3205[1]:

1-الوثيقة رقم: 53" "تنازل عن وقف من أوقاف جامع الأعظم وتعويضه بوقف آخر" تاريخها أواخر ذو الحجة 1102هـ (1690 م)
2-الوثيقة رقم45 « رسموقف مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر " تاريخها أواخر صفر1103 هـ (1691 م)
3-الوثيقة رقم 54" رسم تحبيس و وقف لصالح أوجاق 138 ، تاريخها أواخر حجة االحرم 1200 هـ (1785م)
4-الوثيقة رقم16" رسم تحبيس ووقف مقبرة لصالح أوجاق314 "تاريخها أواسط شوال المبارك 1131 هـ (1718م)
5-الوثيقة رقم 40 « رسم وقف وتحبيس لصالح عيون مدينة الجزائر"، من الملف الثاني للمجموعة 3205 تاريخها أواخر شعبان 1177 هـ (1764 م)
6-الوثيقة رقم 6 "حل نزاع حول تعويض الضرر الملحق بسبب اغتصاب وقف أو حبس"، من المجموعة 3205 تاريخها أواخر رمضان 1233 هـ (1817م)
7-الوثيقة رقم42: "حل نزاع قديم بين أهل الذمة ـــ اليهود ـــ والمسلمين ببلد المدية" ،من الملف الثاني للمجموعة 3205، تاريخها أوائل رمضان 1140هـ (1727م)
8-الوثيقة رقم 31: " تقسيم تركة احد المتوفين على يد ناظر بيت المال" تاريخها أوئل شهر ربيع الأول 1101 هـ (1688 م)
9-الوثيقة رقم 39 « رسم وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر"تاريخها أوائل ربيع الثاني 1219 هـ (1804 م)

[1] **ملاحظة** :تم إدراج وثائق في هذه المجموعة تعود لمرحلة لاحقة بالنسبة للإطار الزماني المحدد لدراستنا ولكن تم اعتمادها في إطار عملية الإسقاط التاريخي ولأن المسائل التي تشير إليها تندرج في إطار ممارسات تعود لفترات سابقة كحل نزعات متعلقةبالوقف ....الخ.

10-الوثيقة رقم 19 " رسم تحبيس ووقف لجلسة حانوت "تاريخها أواسط شعبان 1222 هـ(1806م)
11- الوثيقة رقم 55:" رسم تحبيس ووقف لجلسة حانوت"تاريخها رجب 1230هـ(1814 م)
12-الوثيقة رقم4 « رسم بدفع مبلغ من المال مقابل إدخال الماء إلى أحد البســـاتين "، من الملف الثاني في المجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر صفر1216 هـ / 1801 م

2 -المجموعة 3207:

13-الوثيقة رقم18 "فرمان السلطان محمد الرابع إلى سلطات الأناضول ،تاريخها 1091 هـ/1680 م

المجموعة3190 الملف الأول:

14-الوثيقة 42 عهد أمان خاص بمحلة التيطري تاريخها أواسط رجب 1095 هـ(1684م)
15-الوثيقة 43 عهد أمان خاص بمحلة الشرق تاريخها أواسط رجب 1095 هـ(1684م)
17-الوثيقة 45 عهد أمان خاص بمحلة الغرب تاريخها أواسط رجب 1007 هـ(1599م)

2– المخطوطات المتواجدة بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة :

1-مخطوط قانون مدينة الجزائر، أو قانون الأسواق نسختان النسخة الأولى تحمل رقم 2311،والنسخة الثانية رقم 1378
2-مخطوط القضـــاء بالمرفق في المباني والدير ونفي الضرـــر "مجموعة من النوازل المالكية المتعلقة بالملكية العقارية " القسم الأول من المخطوط من الورقة 1 إلى الورقة 49، ويحمل ترقيم 1292
4-رسالة أهالي الأندلس إلى السلطان بايزيد الثاني ،مخطوط مصنفبعنوان:" رسالة المسلمين الإسبان إلى السلطان العثماني "و ترقيمه1620والنسخة المرقمنة منه رقم .cd-579
5-مخطوط قائمة تاريخية لباشوات الجزائر، و ترقيمه 1639 والنسخة المرقمنة منه تحت رقم cd-466BKY
6-مخطوط غزوات عروج وخير الدين ،وترقيمه 1622والنسخة المرقمنة منه تحت رقمcd-35

قائمة المصادر العربية المطبوعة [1]:

1 -**الإفراني(محمد الصـــغير)** ،نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي الطبعة الأولى،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،المغرب الأقصى،1419هـ-1998م
2-البكري (أبي عبيد)، كتاب المسالك والممالك ،حققه وقدم له أدريان فان ليوفن و أندري قيري دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان،1992 ،الجزء الثاني
3-التجيبي(ابن رزين)،فضالة الخوان في طيبات الطعام ،والألوان ،صورة من صور الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر- بني مرين ، حققه وقدم له محمد بن شـقرون،أشرف على إعداده الدكتور إحسان عباس،الطبعة الثالثة ، دار الغرب الإسلامي،تونس 2012

[1] ملاحظة: أدرجت ضمن هذه القائمة مصادر سابقة للمرحلة المدروسة لأنها تعد مصادر عن تاريخ مدينة الجزائر في الفترة الوسيطة التي تم الحديث عنها ضمن مبحث نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر.

4-التنبكتي(أحمد بابا) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،القاهرة، 1351هـ

5-التمكْورتي(علي بن محمد)،النفحة المسكية في السفارة التركية ،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادليالمطبعة الملكيةالرباط 1423- 2002

6-ابن حمدوش (عبد الرزاق)، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليقالدكتور أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر1983

7-ابن حوقل النصيبي(أبي القاسم)، كتاب صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان 1992

8-ابن الخطيب(لسان الدين أبي عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي-)،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ،فيجزأين،تحقيق سيد كسروي حسن الطبعة الأولى، منشورات علي بيضون لنشر- كتب السنة والجماعة ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1424 هـ-2002 م ،الجزء الثاني

9-ابن خلدون (عبد الرحمن)،تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،القسم الأول ،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادةومراجعة سهيل زكار طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ ومخطوطات ومذيلة بحواشي وشروح وتمتاز بفهارس للموضوعات والأعلام والأماكن الجغرافية،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1431 هـ-2000،الجزء السادس

10 -خير الدين، مذكرات خير الدين، ترجمة د. محمد دراج ،الطبعة الثانية منقحة ومزيدة،شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر 1434 هـ-2013 م

11-ابن زرع الفاسي (أبي الحسن علي بن عبد الله)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،قد عنى بتصحيحه وطبعه ،وترجمته العبد الضعيف المفتقر إلى رحمة ربه مدرس العربية في المدرسة الاوبسالية كارل يوحنا نورنبرغ،طبع بمدينة اوبسالة بدار الطباعة المدرسية سنة 1833

12-ابن زكوار،نشر- أزهير البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان من فضلاء أكابر الأعيان،صدر هذا الكتاب بدعم وزارة الثقافة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، المعرفة الدولية للنشر- والتوزيع،الحراش،الجزائر،2011

13-الشويهد (عبد الله بن محمد)،قانون أسواق مدينة الجزائر 1107 -1117 هـ/1695 -1705م، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي1427 هـ-2006

14-**العبدري البلنسي (محمد)**،الرحلة المغربية،تقديم أ.د سعد بوفلاقة ،منشورات بونة للبحوث والدراسات الجزائر 1428 هـ/2007 م

15-**ابن عسكر الحسني الشفشاوني(محمد)**،دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر تحقيق محمد حجي ،سلسلة التراجم(1)، الطبعة الثانية ،الرباط 1397هـ/1977

16-**العياشي(عبد الله بن محمد)**،الرحلة العياشية 1661-1663،في مجلدين ،حققها وقدم لها د.سعيد الفاضلي ود.سليمان القرشي، الطبعة الأولى ،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبيالإمارات المتحدة العربية، 2006، المجلد الثاني

17 -**الفشتالي(أبي فارس عبد العزيز)** ،مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا،دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ،الرباط ،1972

18-**ابن القاضي (أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي)**،ذرة الحجال في أسماء الرجال، في 3 مجلدات،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،الناشر دار التراث ،القاهرة والمكتبة العتيقة تونس،1390هـ/1970م،المجلد 3

19-**مجهول**، "غزوات عروج و خير الدين"، تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر، مطبعة الثعالبية الجزائر، 1934

20 -**مجهول**،تاريخ الدولة السعدية التدمكية،تقديم وتحقيق عبد الرحمن بنحادة ،،الطبعة الأولى، الناشر عيون المقالات،مطبعة تيملي نشر طباعة وتوزيع ،مراكش1994

21 -**المحبي** ،خلاصة الآثر في أعيان القرن الحادي عشر ،في أربعة أجزاء،مصر ،1284هـ، الجزء الثالث

22-**المقري التلمساني(أحمد بن محمد)**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها ابن الخطيب ،في ثمان مجلدات، حققه الدكتور احسان عباس دار صادر بيروت ،1388هـ-1968م،المجلد الرابع

23-() ،أزاهير الرياض في أخبار عياض،في خمسة أجزاء،ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شبلي،المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ،بيت المغرب مطبعة لجنة التأليف والترجمةوالنشر،القاهرة ،1357 هـ-1939 مالجزء الأول

24-**الوزان الفاسي(الحسن بن محمد)المعروف باليون الإفريقي**، وصفإفريقيا ،في جزأين، ترجمهعن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر،الطبعة الثانية ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان1983 ، الجزء الثاني

قائمة المصادر بالغة الأجنبية:

1-Al-Idrisi, Description De L'Afrique septentrionale Et Saharienne Texte arabe extrait du « kitab Nuzhat al-Muchtaq fi Ikhiraq al-Afaq" d'après l'édition de Leyde (1866) par R. DOZY et J.de GOEJE, publié par Henri PERES, LA Maison Des Livres, Alger, 1957

2-Aranda (Emmanuel d'), Relation de la captivité et liberté du Sieur Aranda, Chez Jean Momart imprimeur, Bruxelles,1662

3-Arvieux (Chevalier d'), Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli, & autres Echelles du Levant ,en 6 Tomes, Contenant ses voyages à Constantinople, dans l'Asie, la Syrie, la Palestine, l'Egypte, & la Barbarie la description de ces païs, les religions, les mœurs, les coutumes, le négoce de ces peuples, leurs gouvernements, l'histoire naturelle et les événements les plus considérables recueillis de ses mémoires originaux, et mis en ordre avec des réflexions Par Jean-Baptiste Labat de l'Ordre des Frères Prêcheurs, chez Charles- Jean Baptiste Delespine, le fils libraire, Paris 1735 ,Tome 5

4-Avity (Pierre.D'), Description Générale De L'Afrique Seconde partie Du Monde Avec tous Ses Empires, Royaumes, Etats, Et Républiques, Chez Claude Sonnius, A Paris 1637

5-Breves, « Relation des Voyages De Monsieur De Brèves Tant en Gerce, Terre Sainte Et Egypte Qu'aux Royaumes de Tunis et Alger .Ensemble d'Un Traite Fait L'un 1604 entre le Roy Henry le Grand et L'empereur des Turcs Et Trois Discours Dudit Sieur, chez Nicolas Gasse, Paris, 1604

6-catalogue des esclaves chrétiens rachetés ,l'année 1662 au mois d'octobre en la ville d'Alger en Barbarie ,par les Pères de la Mercy du royaume de France partis pour s'acquitter de leur quatrième vœu solennel de leurs convents des villes de Paris et de Bordeaux ,chez Guillaume Sassier Imprimeur et Libraire ordinaire du Roy et de M[r] le Mareschal d'Aumont gouverneur de la ville de Paris ,rue des cordiers proche Sorbonne, aux deux tourterelles,1663

7-Chastelet (Sieur René des boys)," l'odyssée ou Diversité d'aventures rencontres et voyages en Europe Asie et Afrique", In**: Revue Africain**[1] Tome 12,1868, et Tome 13,1869

8- Dapper (<u>Olfert</u>), Description de l'Afrique : contenant les noms, la situation et les confins de toutes ses parties, leur Rivières, leur Villes et leurs Habitation ,leurs Plants et leurs Animaux ;les Meurs, les Coutumes la Langue, les Richesse ,la Religion et le Gouvernement ses Peuple Avec Des Cartes des Etats des Provinces et des Villes, et des Figures en taille-douce, qui représente les habits et les principales Cérémonies des Habitent , les Plants et les Animaux les moins connus traduit. Du flamand

[1] ملاحظة: أدرجت ضمن هذه القائمة المصادر الأجنبية التي نشرت عبر صفحات المجلات؛بخاصة المجلة الإفريقية باعتبارها مصادر أولية وليست مقالات حيث نشرت على شكل حلقات متكاملة ضمن هذه المجالات مما لا يفقدها قيمتها التاريخية وتصنيفها كمصادر أولية وفق الترتيب المتعارف عليه. كما أدرجت ضمن هذه القائمة مصدرسابق للمرحلة المدروسة لأنه يعد مصدرا عن تاريخ مدينة الجزائر في الفترة الوسيطة التي تم الحديث عنها ضمن مبحث نبذة تاريخية عن مدينة الجزائر. كما أشير إلى ورود ذكر المجلة الإفريقية في إحالات المتن بالهوامش مختصرا (abrège) كالآتي:" **R.A**. "

D'O.Dapper D.M., Ches Wolfgan, Waesberge, Boom et Van Someren, Amsterdam, 1686

9- Dan (R.Père François Pierre), Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, 2eme édition, Pierre Ricolet imprimeur et librairie du Roy, Paris, 1637

10-GRADCHAMP(Pierre), une mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle J.B. Salvagodrogman vénitien à Alger et à Tunis 1625, Extrait Alberto SACERDOTI AfricaOvero Barbaria, Relazione al Doge di veneziasulleReggenze di Algeri e di TunisiDelDragomannoGio.BattaSalvago(1625), Imprimerie J.Aloccio, Tunis ,1938

11-Gramaye(Jean-Baptiste), Journal de Jean-Baptiste Gramaye, Traduit et commenté par Abdel HadiBen Mansour dans « Alger 16-17 siècle », les éditions du cerf, paris, 1998

12-Haedo(leBénédictin Fray Diégo de), topographie et Histoire Générale d'Alger**,** traduit de l'Espagnol par MM. Le Dr Monnereau et A. Berbrugger, In:**Revue Africaine**,tome 14,1870,ettome 15,1871

13- (): Histoire des rois d'Alger**,**traduit de l'Espagnole Par H.D de Grammont, éditeur A. Jourdan, Alger, 1881

14-HEES(THOMAS), journal d'un voyage à Alger (1675-1676), traduit par C.H.Bousquet et G.W. Bousquet-Mirandolle, In:**Revue Africaine**, tome 101, 1957

15-Hérault (le R.P. Lucien),les Victoire de la charité ou la relation des voyages de Barbarie faits en Alger par le R.P.Lucien Hérault pour le rachat des français esclaves,aux années1643et1645,chesLouis Boulanger,paris1646

16-Père Héron, Relation du voyage que le R. P. Héron, supérieur ministre du couvent de la Sainte Trinité de Châteaubrianten Bretagne, a fait en la ville d'Alger et cote de Barbarie d'où il a retiré cinquante- cinq captifs da la main des turcs et remis en liberté par ordre du Rme père pierre mercier générale et grand ministre de tout ledit ordre de la sainte Trinité prédicateur et conseiller du Roy en ses conseils d'Etat prive, Publication Julian Jacquin, Paris ,1660

17-Hlding (Johannes), Dissertation académique traitant brièvement de la Maurétanie ou des royaumes De Fès de Maroc et D'Alger, Stockholm, 1699, Nouvelle édition, traduite du latin en français, traducteur du texte Franz Dolveck,Introduction par Joachim östlund, Fredrikstad, Norvège2010

18-Knight (francis),Arelation of Seavenyeares salverie under the Turks of Algeiers sufferedbyan English capttive Merchant ,in two Books,Prined byT.Cotes For M.Sparke Junior ,London,1640 ,second Book

19-l'Africain, (Jean-Léon),Description de l'Afrique, Tierce partie du monde, en Trois volumes, Annotée par Ch.Schefer, nouvelle Edition, Ernest leroux éditeur, Paris, 1896,volume3

20-Lanfreducci et Bosio, CostaE discorsi di Barberia, rapportmaritime militaire et politique sur la cote d'Afrique depuis le Nil jusqu'à Cherchell, par deux membres de l'ordre de malte ,1er septembre 1587 ,manuscrit italien des Archives du Gouvernement General de l'Algérie Traduction française de Pierre Grandchamp, publié avec une préface, des notes est des éclaircissements par CH.Monchicourt,In:**Revue Africaine**, tome 66 ,1925

21-Marmol Y Carvajal (Luis Del), L'Afrique de Marmol,en Deux Tomes,Traduction de Nicolas Sieur d'Ablancourt, Paris, 1667, Tome2

22-MASCARENHAS (Joao de) ,Esclave à Alger Récit de captivité de 1621à 1626 Traduit du Portugais et Annoté par Paul Teyssier, Editions Chandeigne, Paris1998

23-Mémoire sur le Royaume D'Alger, De son étendue et Gouvernement manuscrit,dans la collectionMélange Colbert NO55Année1666, *feuille*39 à45Bibliothèque,Nationale de France (BNF) pressante et annote par Marcel Emerit,un Document inédit sur Alger au XVIIsiècle,extrait des Annales de l'institut études des orientales, TomeXVII Année1959,Edition laTypo-Lit Jules CarbonalAlger,sans date

24-Nicolas de Nicolay , Les navigations, pérégrinations et voyages faits en la Turquie par Nicolas de Nicolay,par Guillaume Silvius,Imprimeurdu Roy1576

25-Pétis (de la croix), mémoire sur Alger 1695, pressante et annote par Marcel Emerit, extrait des Annales de l'institut études des orientales tome XI, année 1953, édition laTypo-Lit Jules Carbonal Alger, sans date

26-Pijnacker(Cornelis), Description historique des villes de Tunis d'Alger et d'autres se trouvant en Barbarie 1626,introduction et annotation Gérard Van krieken,Entreprise Nationale d'ART graphique (ENAG Editions), Alger 2015

27-Projet pour l'entreprise d'Alger,Recueil historique contenant Diverses pièces curieuses de ce temps, sur l'imprimé A Cologne,chez christophore VanDyck1666

28-Relation succincte de ce qui s'est passe en la rade de la ville d'Alger en Afrique depuis l'arrivée du sieur Marquis de Martel lieutenant Générale

Armée Navales de sa Majesté, avec l'escadre des Vaisseaux qu'il Commandait ,Sébastien Mabre-Cramoisy, Imprimeurdu Roy, A Paris 1670

29- Relation véritable contenant le rachat de plusieurs Captifs qui était détenus a rançon dans la ville d'Alger avec une lettre envoyée par l'ambassadeur de France ,touchant les grandes persécutions que les turc font souffrir aux chrétiens ,de l'imprimerie de la Veuve du Pont ,rue d'Escosse proche S .Hilaire A Paris, fait le 19 janvier 1672

30-Roqueville (S. de) , Relations des Mœurs et du Gouvernement des Turcs d'Alger**,** Editions Olivier de Varennes, Paris, 1675

31-les sources inédites de l'histoire du Maroc, publiées par le L'-colonel H.de CASTRIES, première série-Dynastie Sa'dinne,Archiveset bibliothèques D'Espagne, Tome I, publications de section historique du Maroc, Edition Ernest Leroux, Paris,et Ruiz Hermanos ,Madrid,1912

32-, publiées par Robert Ricard et Chantal de la Véronne, première série-Dynastie Sa'dinne, Archives et bibliothèques D'Espagne, Tome II, bibliographie et index Alphabétique des tomes I et IIpar Chantal de la Véronne publications de section historique du Maroc, PAUL Geuthner, Paris, 1956

33-, publiées par Chantal de la Véronne, première série-Dynastie Sa'dinne, Archives et bibliothèques D'Espagne,Tome III 1560-21aout 1578, publications de section historique du Maroc, Paul Geuthner, Paris, 1961

34-The Present State of Tangier in a letter to his Grace the lord Chancellor of Irelandandone of the lordsjusticesthere ,towhich is added the present state of Algiers ,Printed for Henry Herringman,London,1676

ب –قائمة المراجع باللغة العربيةوالمعربة:

-

2-أبو زهرة (الإمام محمد)،محاضرات في الوقف،الطبعة الثانية،دار الفكر العربي ،1391 ه-1971 م

3- بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1979

4-بنأشنهو،(عبد الحميد بن أبي زيان) دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،مطبعة الجيش،الجزائر1972

5- بن حموش(مصطفي أحمد) ،فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 906 ه-1146 ه/1549م-1830م،الطبعة الأولى،دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراثدبي ،دولة الإمارات المتحدة ،1421ه /2000م

6-() ،المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني،دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق،1420ه/1999م

9--بنور(فريد)،المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر1782-1830،مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع ،الجزائر 2008م

10-بن ونيش(فريدة)، المجوهرات والحلي في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، توزيع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1977

11-بوعزيز(يحي)، الموجز في تاريخ الجزائر،في جزأين، الطبعة الأولى،ديوان المطبوعات الجامعيةالجزائر 1999 ،الجزء الثاني" الجزائر الحديثة"

12- بوعمامة(فاطمة) ،اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ14-15 ميلادي،مؤسسةكنوز الحكمة،الجزائر2011

13– بوسلام(محمد) ،اللباس التقليدي في المغرب الجذور والانتاج والأصناف والتطور ،دارأبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب ،2014

14 - التر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر،الطبعة الأولى دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989

15 -التميمي (عبد الجليل) ، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية ،تونس 1980

16-التهامي (الشريف كمال دحومان)،أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري،طبعة مزيدة ومنقحة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،القبة القديمة ،الجزائر1434 هـ-2013 م

17 -جانبولات(أورهان صادق) ،قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي،الطبعة الأولى ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي هردن ،فرجينيا ،الولايات المتحدة ، 1433 هـ/2012

18-الجيلالي (عبد الرحمان محمد)، تاريخ الجزائر العام، في أربعة أجزاء ،الطبعة السابعة منقحة و مزيدة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1915 هـ-1994م،الجزء الثالث

20 -جلال(يحي)،تاريخ المغرب الكبير،في 4أجزاء،دار النهضة العربية ،بيروت1981 ،الجزء الثالث " العصور الحديثة وهجوم الاستعمار"

21 -حتامله (محمد عبده)،التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين (1492-1516) الطبعة الأولى،ساعدت الجامعة الأردنية في نشره ،عمان الأردن ، 1410 هـ/1980م

22 –جي (محمد) ،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، سلسلة من تاريخ المغرب في القرن 17 م، طبعة ثانية موسعة ومنقحة ،مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط 1409 هـ/1988م

23-حساني (مختار)،موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، أجزاء ،دارالحكمة،الجزائر 2007،الجزء الأول" مدن الوسط"

24-الحفناوي(أبي القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي- ابن سيدي ابراهيم الغول) ، ،تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني،طبع في مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر1906

25 - **حمادي (عبد الله)** ،الموريسكيون و محاكم التفتيش1492-1616،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1989 م

26 -**حليمي (عبد القادر)،** " مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830"، الطبعة الأولى، المطبعة العربية لدار الفكرالإسلامي،الجزائر1972م

7**بن خروف(عمار)،** العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ،دار الأمل ،الجزائر، 2006، الجزء الأول وقد اعتمدت طبعة أخرى منه وهي الطبعة الثانية منقحة ومزيدة صادرة عن نفس دار النشر بتاريخ 2016

8-() ،العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي،دار الأمل ،الجزائر،2006،الجزء الثاني

27 -**خلاصي(علي)** ،العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر ،وزارة الدفاع الوطني المتحف الوطني للجيش سلسلة الفرسان الجزائريون،الجزائر 1985م

28 - () قصبة مدينة الجزائر، في جزأين، منشورات دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيعالطبعة الأولى في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،الجزائر2007 م

29-**خليفة (ربيع حامد)**،الفنون الإسلامية في العصر العثماني، الطبعةالأولى،مكتبة زهراء الشرقالقاهرة 2001 م

1**أبا الخليل (سليمان بن عبد الله)** ،الوقف في الشريعة الإسلامية مركز الدارسات والبحوث الرياض1492هـ-2008 م

30 - **دحماني (توفيق)** ،القانون الأساسي السياسي والعسكري للجزائر في العهد العثماني :وثائق تنشر لأول مرة :دراسة في عهد الأمان،الدار العثمانية ،الجزائر 2009م

31 - **دودو(أبوالعيد)** ،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 -1855)،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر 1975م

32- **ديسباري(جوزيف)** ، الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد ،طبع بمطبعة السيد موقان بالبليدة الجزائر 1905

33 - **راجعي (زكية)** ،منازل فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،الطبعة الأولى،دار بصماتالجزائر 2015م

34 - **زوزو (عبد الحميد)**،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830 -1919، طبعة منقحة ومزيدة تصدير أد/أبوالقاسم سعد الله ، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر 2009م

35 - **سبرنج(فيليب)**،الرموز في الفن –الأديان –الحياة ،ترجمة عبد الهادي عباس ،دار دمشق للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ،دمشق ،سوريا1992م

36 -**ســـبنسر(وليام)**،"الجزائر في عهد رياس البحر"، ترجمة زيادية عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م كما تم الاعتماد على طبعة أخرى منه نشر دار القصبة للنشر،الجزائر،2006

37 -**الســخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)** ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، 12جزأ ،دار الجيل،بيروت1412هـ-1992م، الجزء الرابع

38-**سعد الله (أبو القاسم)**، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري(16 -20 م)في جزأين،الطبعة الثانية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1045 هـ/1985 م،الجزء الأول والثاني ؛كما تم الاعتماد على طبعة أخرى منه صادرة عن دار الغرب الإسلامي بيروت 1998 الجزء الثاني"1500 -1830 "

39-**سعد الله (فوزي)** ،يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر 1996 م

40- **سعيدوني (ناصر الدين)** ، " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة في جزأين ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988،الجزء الثاني

41-() ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م

42-() **الشـــيخ بوعبدلي (المهدي)**، الجزائر في التاريخ4 –العهد العثماني-المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984م

43- **سليماني (أحمد)**،تاريخ مدينة الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1989

44-**شالر (وليام)** ،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ،تعريب ،وتعليق ،وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع ،الجزائر 1982

45-**شـــويتام(أرزقي)** ،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246 هـ-1519 -1830م،الطبعة الأولى ،دار الكتاب العربي ،الجزائر 2009

46-() ،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519 -1830 ،دار الكتاب العربي ،الجزائر 2010

47- () ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 -1830 م، الطبعة الأولى دار الكتاب العربي ،الجزائر 2011م

48- **الشيخ محمد عطية(سالم)** ، مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوادع،الرسائل المدنية12 ،الطبعة الأولى ،طبعة دار التراث الأولى ،مكتبة ار التراث،المدينة المنورة، 1409 هـ-1988 م

49-**صـاري (سـليمة أمينة)** ،تراجم فقهاء المالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للشيخ عبد الرحمن الثعالبي(ت875 هـ-1447 م) ،دار الزواوي للدراسات ،دار ابن حزم ، بيروت ،لبنان 1436 هـ-2015م

50-**طعيمة (صابر)** ،الايباضية عقيدة ومذهبا ،دار الجيل، بيروت 1406هـ-1986م
51- **طيان ساحد(شريفة)** ،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني،دار المعرفة الجزائر2011 م
52- **طوبال(نجوى)** ،طائفة اليهود في مدينة الجزائر مابين(1700 -1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،الطبعة الأولى ،دار الشروق للطباعة والنشر،الجزائر2009
53- **عبد العزيز التهامي (عائشة)**،الذسيج في العالم الإسلامي منذ القرن 8-11 هـ/14 -17 م،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية 2003
54-**العروى(عبد الله)**، تاريخ المغرب محاولة في التركيب،ترجمة ذوقان قرقوط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت1977
55-**عنان (محمد عبد الله)**، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، الطبعة الثانية القاهرة 1378هـ/1958م
56-**غطاس (عائشة)**،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700 -1830م مقاربة اجتماعية – اقتصاديةمنشوراتالمؤسسة الوطنية للنشروالإشهار(ANEP)،الجزائر 2007م
57-() ،**زكية زهرة، سعدية (سرقين)، نعيمة (بوحمشوش)** ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحثفي الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،طبعة خاصة وزارة المجاهدين ،الجزائر2007م
58-**غينون (بيار)**، سرفانتيس، سلسلة أعلام الفكر، ترجمة المحامي حسيب نمر، الطبعة الأولى ،مؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت فبراير1979
59- **فكاير(عبد القادر)**،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 -1206هـ/1505-1792م)،دارهومة، 2012م
60-**فارس (محمدخير)**، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ،مطابع ألف باء الأديب ،دمشق 1969
61- **قسوم (عبد الرزاق)**، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الجزائر، الشركة الوطنية للنش والتوزيعالجزائر1978
62- **القشاعي موساوي (فلة)**،الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518 -1871 ،منشورات بن سنان،وزارةالثقافة ،الجزائر ،2010
63-**قان (جمال)** ،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث1500 -1830،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين
64-**كاثكارت(جيمس لندر)** ، مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب ،ترجمة إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجزائرية ،الجزائر ،1982
65-**لعرج(عبد العزيز محمود)** ،الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ،الطبعة الأولى منشورات عويدات ،بيروت لبنان،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990

66-لراوي (مولود مخلص) ،علم الفرائض والمواريث إيضـــاح المنظومة الرحبية،الإصـــدار الأول، بغداد 2009

67-لرادي (فوزية) ،صور من القصبة،الطبعة الأولى،منشورات جمعية المرأة في اتصال الجزائر،2002

الزبيري (محمد العربي) ،مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث،الطبعة الثانية ،الشرـــكة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1985

68-لاشين(موسى شاهين) ،فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،تابع كتاب الصيد والذبائح-كتاب الأضاحي-كتاب الأشربة –كتاب اللباس والزينة –كتاب الآداب-كتاب السلام –كتاب الطب والمرضالطبعة الأولى ،دار الشروق،القاهرة ،1463 هـ-2002 م الجزء الثامن

69 -ماهر (سعاد)،الخزف التركي ،حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة،مطابعمذكور وأولاده ،القاهرة ،1960

70- مختصر سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر ،دون تاريخ

71-محرز (أمين) ،عهد الآغاوات ،دار البصائرالجديدة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2016

72-محمد سـعيد البنا (سـونيا) ،فرقة الإنكشـارية نشـأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصـادر التركية يتراك للطباعة والنشر ،والتوزيع ،القاهرة ،مصر ،2006

73-المدني (أحمد توفيق)،كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

74-() ،حرب الثلاثمئة ســـنة بين الجزائر وإســـبانيا1492-1792 ،المؤســـســـة الوطنية للكتاب الجزائر،1984

75-( )الداي محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه أعمالهنظام الدولة والحياة العامة في عهده ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986

76-معـاشي (جميلة) ،الأسر المحليـة الحـاكمـة في بايلك الشرـــق الجزائري من القرن 10 هـ(16م)إلى 13هـ(19م)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2015

77- معهد العالم العربي ،قنطرة "qantara " التراث المتوســطي تقاطع الشرــق والغربكتاب تم إنجازه بمعونة الاتحاد الأوروبي ضمن إطار برنامج التراث الأوروبي المتوسطي،طبع هذا الكتاب على مطابع مام في مدينة تور،فرنسا ،سبتمبر/أيلول 2008

79-الميلي (مبارك بن محمد الهلالي)،" تاريخ الجزائر في القديم والحديث"،في 3 أجزاء، مكتبة النهضـــة الجزائرية، الجزائر، 1964، الجزء الثالث

80-موسـاوي القشـاعي(فلة) ،الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518 -1871 ،منشورات بن سنان،وزارةالثقافة ،الجزائر ،2010

81-ميني(جورج) ،تاريخ اليهود في الجزائر،ترجمةأ.لبنى مسعودي مراجعة د.جمال بن عمار الأحرمكتبة عراس،سطيف ،الجزائر الطبعة الأولى،1437 هـ-2016-

82- هلايلي (حنفي)،أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي ،دار الهدى ،الجزائر،2010

83- ( )،بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، الطبعة الأولى ،دار الهدىللطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر1428هـ/2007 م.

84- وزارة الأخبار، " الفن المعماري الجزائري" سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،جوان 1870

85- وزارة الأخبار والثقافة، بمشاركة بغلي(سيد أحمد)، الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنيةللنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

86- وزارة الأخبار بمشاركة السيد بورويبة،المساجد في الجزائر، سلسلة الفن و الثقافة الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، بدون تاريخ

87- وزارة الإعلام والثقافة، متاحف الجزائر صور من الماضي، سلسلة الفن،والثقافة، الشركة القوميةللنشر ،والإذاعة، يناير 1976

88-وولف(جون.ب.)،الجزائر و اروبا (1830-1500)، ترجمة و تعليق د.ابو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009

89-نور**الدين (عبد القادر)**، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاءالعهد التركي نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر1385 هـ-1965 م

99-النوري (حمو محمد عيسي)دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، في مجلدين،دار الكروان باريس 1984،المجلد الأول

100- يفر، الجزائر في دراسات وأبحاث: تاريخ المدن الثلاث: الجزائر- المدية- مليانة بمناسبة عيدها الألفي إعداد ودراسة وتمهيد وتعليق عبد الرحمان جيلالي، الطبعة الثانية ،الجزائر، 1972م

قائمة المراجع بالغة الأجنبية:

1-Aissaoui (Zohra) , Carreaux de faïencée à l'époque Ottomane en Algérie, éditions barzekh Alger, décembre2011

2-*Albertini*, (Eugène), .marçais, (Georges), Yever(Georges) ,L'Afrique du nord Français dans l'histoire, édition Archat, Lyon, paris, 1955

3- Anonyme, La cocina hispano-magribi en la época almohade segùn un ms. inédito, Kitâb al-tabï h fi l-Magrib wa-l-Andalus fi 'asr al-Muwahhidïn, A. Huici MlRANDA éd., Madrid, 1965 ; Id., Traducction espanola de un manuscrito anônimo del siglo XIII sobre la cocina hispano-magribi, A. Huici Miranda trad., Madrid, 1966

4-Archive d'outre-mer, Dossier Concernant les Corporations des berranis : Béni –Mezab, Kabail, Négres et biskris 1832- 1841 Rapport au Conseil d'Administration, A.O.M F80-557

5-BARBIER(J.) , Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, avec un vocabulaire français-arabe des mots les plus usités et un résume

Historique des Guerres D'Afrique, Librairie DE L. Hachette Rue Pierre-Sarrazin, 14, Paris, 1855

6-Baghli (wahiba) Les Chaussures Traditionnelles Algériennes, société nationale d'Édition et diffusion (SNED) ,Alger, ,1977

7-Belkaid (Leyla) , Algéroise Histoire d'un Costume Méditerranéen, Edisud, Aix-en-Provence, France, 1998.

8-Belhachemi (Jean-Louis) : Nous les Frères Barberousse Corsaires et Rois d'Alger, Librairie Arthéme-Fayard, Paris, 1984.

9-Belhamissi (Moulay), Histoire d'Alger par ses Eaux (16e- 19e siècle), Entreprise Nationale Algérien du livre (ENAL), Alger, 1994.

10-(), Alger, l'Europe et la guerre secrète (1518 – 1830), Edition Dahlab, Alger, 2000

11-(), femmes d'Alger autrefois ,Polycopie Bibliothèque du centre d'étude diocésain ,Alger,2002

12-(), Les Captifs algériens et l'Europe Chrétienne, Entreprise Nationale du Livre Alger, 1988

13-Ben Cheneb (Mohammed), Mots Turks et persans conserves dans le parler algérien, Thèse complémentaire présentée et soutenue devant la faculté devant des lettres d'Alger en vue du doctorat des lettres, 1922, florilège, (محمد بن شـــنب منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق), Casbah éditions, Alger, 2011

14-Berbrugger (Adrien), Notice sur les Antiquités Romaine D'Alger, avec Dessins de M.Buquet, de L'Imprimerie de A .Bourget, Alger ,1845

15 - ( ) , **le Pégnon d'Alger** ou l'origine du gouvernement Turc en Algérie, Alger ,1860

16-(), Histoire de la marine Algérien (1516-1830) ,2 e Edition Enterprise Nationale du Livre(ENAL), Alger1986

17-BONTEMS, (Claude), manuel des institutions algériennes, de la domination turc a l'indépendance, en 2 tome Edition Cujas 1er édition ,1976 premierTome " la domination turque et le régime militaire 1518-1870"

18-Bouabla (Yamile), Les Turcs au Maghreb Central (16e-19e siècle), société nationale d'Édition et diffusion(SNED), Alger, 1972.

19-BOYER (Pierre), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention Française, Librairie Hachette, 1963

20-BRAUDEL(Fernand), La Méditerranée et le Monde Méditerranéen, époque de Philippe II, Colin, Paris, 1966, Deuxième Edition ,2 volumes

des lettres d'Alger en vue du doctorat des lettres, 1922, florilège

éditions, Alger, 2011

21-Chaillou (Lucien), l'Algérie en 1781mémoire du consul C.-ph Valliére, chez l'auteur villa beau site valbertrand, Toulon, sans date

22-Chenouf(Assia), les juifs d'Algérie…2000 ans d'existence, éditions El Maarifa, Bab el Oued, Alger, 1999

23-Chérif-Seffadj (Nabila), les Bains d'Alger Durant la période ottomane (XVI^{e}- XVII^{e} siècle) Préface de Marianne Barrucand, Ouvrage publié avec le concoure de l'ambassade de France à Alger, Presses de l'université Paris –Sorbonne ,2008

24-Chevalier (Corinne),Les trente Premières Années de l'Etat d'Alger (1510-1541) OPU Alger, 1988.

25-CHOURAQUI(cccc André) , histoire des Juifs en Afrique du Nord, Tome 1en exile au Maghreb, Édition du Rocher Jean-Paul Bertrand ,1998

26-Cresti (Federico), Alger au XVII siècle, préservation et mise en valeur des monuments et sites historique, cours de post-graduation de l'école polytechnique d'architecture et d'urbanisation, EPAU-Alger, Edition CENTRO ANALISI SOSIALE PROGETTIS.R.L ROM .1996

27-Déstry (Stephen), Histoire D'Alger Depuis les temps les plus recules jusqu' à nos jours, Edition mamae tours, 1843

28-Devoulx (Albert), EL Djazair, histoire d'une cité d'icosiume à Alger, Edition critique Présentée par BedredineBelkadi et Mustapha Benhamouch, ENAG Editions Alger ,2003

29- () , Corporations Religieuses D'Alger, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur Libraire –Editeur, Alger, 1912

30- () ,tachrifate Recueil de Notes Historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852

31- () , Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger (extrait de la revue africaine), Typographie Bastide, Alger 1870

32-Dhina(Atalla), les Etats de l'occident muslman aux III-XIV et XV siècles Institution gouvernementales et administratives Office des publications universitaires, Alger 1984

33-Dokali (Rachid), les mosquées de la période turque à Alger, société nationale d'Édition et diffusion (SNED), Alger ,1974

34-Esquer(G) , Iconographie Historique de l'Algérie depuis le 16^{e} siècle à 1870,Editions Plon, Paris, 1929

35-Eudel (Paul),L'Orfèvrerie Algérienne et tunisienne**,** Alger, 1902

36-Fisher (Sir Godfrey), Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1415 a1830 Traduit et Annoté par Farida Hellal, office des publications Universitaire, Alger ,2000

37-Gaïd (Mouloud) , L'Algérie sous les Turcs**,** société nationale d'Édition et diffusion (SNED), Alger,1974

38-Garrot (Henri) , Histoire Générale de l'Algérie**,** Imprimerie Crescenzo Pierre, Alger, 1910.

39-Golvin (Lucien), Palais, et Demeures d'Alger à la période Ottomane, Edisud, Aix-en-Provence, 1988

40-Grammont (H.D.DE) , Histoire d'Alger sous la Domination Turque, Ernest Deroux éditeur, Paris, 1887.

41- (), La Course L'esclavage et La Rédemption à Alger paris, 1885

42-Guyon (Jean-Louis-Geneviéve), Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique :depuis les temps jusqu'à Nos jours, Imprimerie du Gouvernement ,Alger,

43-HIRECHE (Farid),L'art des jardins petit paradis D'Alger, édition les Alternatives Urbaines, Imprimerie Ed'Diwan,Alger,2015

44-Ichaboudene(Larbi), Alger histoire et capitale de destin national, casbah Edition, Alger ,1997

45-Jobin(Henri), Notice sur la Casbah d'Alger, Edition comite du vieil Alger 1968

46-Juchereau (de Saint-Denys), considération statistique, Historique, militaires et politiques sur la Régence D'Alger, Delaunay, Libraire, palais-royal Galerie Valois, Paris, 1831

47-Julien(Charle –André), histoire de L'Afrique du Nord Tunis-Algérie-Maroc De la conquête Arabe A1830, deuxième édition revue et mise à jour par Roger le Tourneau,Avec 27 Croquis et carte, payot,paris,1961

48-Kaddache (Mahfoud), L'Algérie durant la période ottomane, office des publications universitaire, Alger, 1998

49- (), " la Casbah Mémoire " 1950,Suivi de **Documents algériensSérie culturelle** Numéro 55 et 56 septembre 1951, polycopiepar les soins de la bibliothèquedu Centre d'études diocésainLes Glycines,Alger

50-Khiari (Farid),vivre et mourir en Alger (l'Algérie ottomane aux XVI^{e} - XVII^{e}siècles un destinconfisqué),L'Harmattan,Paris,Frances,2002

51-Khodja (Hamdan), le Miroir, introduction d'A.Djeghloul, éditions Sindbad, Paris, 1985

52-KHIATI, (MOSTAFA), La médecine en Algérie au cours de la période ottomane (XVI-XIX), Edition HOUMA, Alger, 2013

53-Klein (H), feuillets d'el-djazair, L.CHAIX, éditeur, Alger, 1937

54-Laugier (de Tassy) , Histoire des Etats Barbaresques qui Exercent la Pirateriecontenant l'origine, les révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de Tunis, de Tripoli et de Maroc, avec leurs forces, leurs revenus, leur politique et leur commerce ,par un auteur qui va résidé plusieurs années avec caractère public (Laugier de Tassy) ; traduite de l'anglais (par P. Boyer de Prébandier) ,en deux Tomes, Chez Chaubert, quai des Augustins, Herissant, Imprimeur rue N. Dame, Paris, 1757, Tome 1et 2

55 -(), histoire du Royaume D'Alger avec l'Eta présent de son Gouvernement de ses forces de terre et mer de ses revenus, police, justice politique et commerce, chez Henri du Sauzet à Amsterdam ,1725

56-les musulmans dans l'histoire de l'Europe ,tome 1 et 2 sous la direction de Jocelyne Dakhila et Bornard Vincent, ouvrage publie avec le concours du centre national du livre, de l'école des hautes études en sciences sociales, de la fondation des treilles, de l'agence nationale de la recherche, Edition Albin Michel, paris 2011

57- LE ROY (Mr), Etat Général et particulier du royaume et de la ville D'Alger aux dépends de l'auteur et se vend chez ANTOINE VAN DOLE et compagnie à l'enseigne de Hugo-Grotius, a LA HAYE ,17

58-Lespès (*René*), Alger Esquisse de Géographie Urbaine introduction au plansD'agrandissement et d'embellissement de la ville D'Alger Ancienne maison Bastide–Jourdan Imprimeur Libraire –Editeur ,Alger , 1925

59-Lessore(E), WYLD (W): Voyage Pittoresque dans la Régence d'Alger, 1833 Imprimé et Publié par Charles Motte Lithographe du Roi, Paris, 1835 Deuxièmes éditions Traduites par Dar El Oumma, Alger, 2002

60-LEYNADIER & CLAUSEL,Histoire de l'Algérie française, précédée d'une introduction sur les dominations carthaginoise, romaine, arabe et turque suivie d'un Précis historique sur l'Empire du Maroc en 3 Tomes,illustrée par MM.T.Guérin, Ramus, H.Morel Editure ,Paris,1846,Tome1

61-Loualiche (Fatiha) , la famille à Alger XVII^{e} et XVIII^{e} siècles Parenté, alliances et patrimoine, Préface de Bernard Vincent, Média-Plus, Constantine, 2017

62-Maitrot de la Motte-Capron(A),le sens Géographique et les sens politique chez les Deys d'Alger, Note : Extraite. du :"Bulletin de la Société. de géographie. d'Alger",2^{emme} semestre, 1937,polycopie par les soins de la bibliothèquedu Centre d'études diocésainLes Glycines, Alger

63-Marçais (Georges) ,Le Costume Musulman d'Alger**,** Librairie Plon, Paris, 1930

64- (), Les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord, Imprimerie officielle, ALGER ,1958

65- (), L'Art en Algerie, Imprimerie Algerienne, Alger 1906

66-Mercier(Ernest), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Tome troisième, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888-Mezali (Hocine): Alger Trente-deux Siècles d'Histoire**,** ENAG, Alger, 2000

67-Merouche (Menouar) , Recherche sure l'Algérie à l'époque ottoman, monnaies prix et revenus 1520-1830, Bouchène, paris ,2002

68-M'hamsadji (Kaddour) , el Qaçba zeman la Casbha d'Alger autrefois, en deux tomes, 2éme Edition, Office desPublication Universitaires, Algerjuin 2009,tome2 "tradition le Mariage"

69-Migeon (Gaston) ,les arts du tissue,manuels d'histoire de l'art ,librairie Renouard – H.Laurens, éditeur, Paris, ,1909

70-Missoum (Sakina), Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003

71-Monlau (Jean), Les Etats Barbaresques, Imprimerie des presses Universitaires de France, Paris, 1964

72-MOUREAU (François), Captifsen méditerranée (XVIe-XVIIIe siècles), Histoire, récits et légendes, Presses de l'université Paris-Sorbonne, 2008

73-Note Traduite de l'arabe adressée par les principaux habitants d'Alger, précédée d'un avant-propos par le DR BARRACHIN, ex sous-intendant civil D'Oran, Paulin, Libraire-éditeur, Garnier ; libraire ; Paris 1833

74-Notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger, Résumé des meilleurs documents anciens et récents sur ce pays. Paris, 1830

75-Office Riad el feth, Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du musée National des beaux –arts D'Alger 10 décembre 1984- 10 mars 1985

76-Pananti (Filippo), Relation d'un séjour à Alger traduit de L'anglais, chez le Normant imprimeur-libraire, à Paris, 1820

77-Pcontet (Eugene), Les Consuls De France à Alger avant la conquête 1579 -1830, Extrait des Etudes En aux messageries Hachet, paris, 1930,

78-Pellissier (de Reynaud) , Annales Algériennes, Nouvelle édition, revue corrigée et continuée jusqu'à la chute D'Abd-el-Kader, Tome premier Librairie militaire j.Dumaine, Libraire-éditeur de L'Empereur, Paris / Libraire Bastide, Alger, Octobre1854

79-Philibert (Marcel),, note sur les carreaux de faïence peintes en Algérie, comité du vieil Alger, 1970

80-Racim (Mohammed), miniaturiste Algérien, introduction et choix des commentairesSid Ahmed BAGHLI, Arts et métiers graphiques, Printed in France ,1972

81-Raymond(André), Grandes villes Arabes à l 'époque Ottomane EditionsSinbad, Paris, 1955

82-Ravérau (André) , La casbah d'Alger et le site créa la ville, Editions Sinbad, Paris, 1989

83-Ricard(Prosper), Dentelle algériens et marocaines, collecion hespéris, institut des hautes-études Marocaines numéro IV, librairie Larose ,paris, 1928

84-Rousseau (Alphonse), Chroniques de la Régence d'Alger, traduites D'un manuscrit Arabe intitulé El-Zohrat-El-Nayerat, Imprimerie du Gouvernement ,Alger ,1841

85-Rozet(M), Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique ,Arthus Bertrand ,libraire éditeur paris ,1833, deuxième et troisième tome

86-Shaler (William) , Esquisse De l'état D'Alger , considéré sous les rapports politique ,historique et civil ,par William Shaler consul-général des états –Unis à Alger, Traduit de L'anglais ,et Enrichi de Notes par M.X BianchiLibrairie Ladvocat, palais –royal ,paris CamoinLibrairie ,Marseille, Laurent, Librairie, Toulon,1830

87-Shaw(Thomas), Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description Géographique, Traduit de l'Anglais et augmenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830

88- Teissier (Octave), Visite à l'Arsenal de Toulon ,Librairie de L.Hachete et C^{ie} Paris ,1861

89-Tocchi (Eit) , Notice sur les poids et mesures et sur les monnaies D'Alger, imprimerie militaire de fort cadet, Marseille, 1830

91-VanKrieken (Gérard), Corsaires et marchandes, les relations entre Alger et les Pays-Bas1604-1830, Editions Bouchene, 2002

92-Venture de Paradis(Jean-Michel) , Tunis et Alger au XVIII ^{e} siècle, Mémoires et observations rassemblés et présente par Joseph Cuoq, Edition Sinbad, paris 1983

93-Wipertus (H.Rudt de Collenberg), esclavage et rançons des chrétiens en méditerranée (1570-1600), préface de Jean Richard, édition le Léopard D'or, Paris 1987

94-Zafrani(Haïm),juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larose Langers-Saints-Geosmes, 2002

قائمة مقالات المجلات باللغة العربية:

1-**آبار (ميشال) ،**" الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي " ترجمة حنفي بن عيسي ،في **مجلة الثقافة** العدد 3،،وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، السنة الأولى جمادي الأولى –يوليو 1971

2-بلحميسي- (مولاي)، "مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية و الأجنبية"،في **مجلة الأصالة**العدد الثامن –عدد ممتاز خاص –،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثانية ربيع الثاني-جمادى الأولى 1392هـ ماي- جوان 1972

3-**()**،" غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر 984هـ -1541م ، في **مجلة الأصالة**،العدد 8، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الجزائر،السنة الثانية، ربيع الثاني - جمادى الأولى 1392/ماي - جوان 1972

4-**بونار (رابح)**،" مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية"، في **مجلة الأصـــالة**، العدد الثامن –عدد ممتاز خاص-، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثانية ربيع الثاني-جمادى الأولى 1392هـ ماي- جوان 1972

5 -**التميمي (عبد الجليل)** ،" الخلفية الدينية للصراع الإسباني –العثماني على الايالات المغربية في القرن السادس عشر"، **في المجلة التاريخية المغربية** ،العدد 10-11،مطبعة الاتحاد التونسي للشغل تونس جانفي /فبراير،1978

6 -()،"رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541 "في **مجلة الاصالة**،العدد 23،وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية،الجزائرلسنة الرابعة محرم-صفر 1395 جانفي – فيفري1975

7-()،"أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة1519" ترجمة وتقديم عبد الجليل التميمي ، ،**في المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)**،العدد ،6 تونس السنة جويلية 1976

8-**الجيلالي (عبد الرحمان)**،"الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا"، في **مجلة الأصالة**، العدد الثامن- عدد ممتاز خاص- ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ،السنة الثانية ربيع الثاني جمادى الأولى 1392 ماي – جوان 1972

9-**دويدة (نفيسة)** ،"المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية" ،في **مجلة إنسانيات** المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية،العدد68 -عدد خاص بفضاءات وطقوس جنائزية-، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران ،السنة التاسعة عشرة، ،أفريل –جوان 2015

10-**سعيدوني(ناصر الدين)**،"من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني" في **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع،جامعة الجزائر، السنة الحامعية 1415هـ-1995م

11-()،" الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان "أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر" ،في **مجلة حوليات**،العدد جامعة الجزائر ، في مجلة حوليات ،العدد7، جامعة الجزائر،1997

12-**سعيود (ابراهيم)** ،"القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا"،في **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد 4 ، جامعة غرداية ،الجزائر،جوان 2008

13-()،"من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"،في **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**،مجلة أكاديمية دورية محكمة ،العدد الأول ، المركز الجامعي غرداية ،ديسمبر 2006

13-()،جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني(مقاربة تاريخية)،في مجلة الحوار المتوسطي،العدد 12-13،جامعة الجيلالي اليابس ،سيدي بلعباس ،الجزائر ، مارس2017 م

14-()،"تـأثيرات الوجود العثماني في بعض منـاحي الحيـاة الاجتماعيـة والثقـافيـة في الجزائر" في **مجلة الدراســات التاريخية** ،العدد 19 ،قســم التاريخ ،كلية العلوم الإنســانية ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ،شوال 1436هـ /2015 م

15-()،" البابا يجلد ...ليعمد علي وأحمد!"في **دورية الحياة**،دورية فكرية محكمة العدد الثامن عشرـــ ، معهد الحياة وجمعية التراث -القرارة ،الجزائر ،رمضان 1453 هـ /جويلية 2014

16-سي يوسـف(محمد) ،"المرأة والسـلطة في الجزائر خلال العهد العثماني"،في **المجلة التاريخية المغربية** العدد الخامس والعشريـن ،منشــورات مؤســســة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،زغوان ، أوت /أب 2002

18-شـــويتام (أرزقي)،"المصـــطلحات ،والمفاهيم الواردة في المصـــادر الغربية حول تاريخ الجزائر الفترة العثمانية1519-1830 "،مداخلة غير منشورة نسخة مخطوطة ألقيت في إطار **الملتقى الدولي الأواصر الثقافية بين الجزائر وتركيا في الفترة الحديثة –مقاربة في التراث المادي واللامادي** -،جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية يومي10-11نوفمبر 2015

19-()،المؤثرات اللغوية الأجنبية في اللغة العربية في الجزائر : العثمانية والفرنسـية أنموذجا،في **أهمية العمل الجواري لترقية استعمال اللغة العربية** ،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر2010

20 -()،،طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519 -1830) ،مداخلة ألقيت في إطار **ندوة تاريخية تحت عنوان "الجزائر خلال الفترة العثمانية : العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية "** ،مركز الأرشيف الوطني الجزائري 12، 13، 14أكتوبر،الجزائر،2009

21- الصباغ (ليلي) "،ثورة مسـلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568 والدولة العثمانية" ، **في مجلة الاصـالة**، العدد 27 (عدد خاص بالملتقى التاسـع للفكر الإسـلامي) ،،وزارة التعليم الاصـلي و الشؤون الدينية،الجزائر، السنة الرابعة محرم-صفر 1395 جانفي- فيفري1975

22-طيان (شريفة) ،"فن التطريز الحريري بمدينة الجزائر في العهد العثماني" ،في **مجلة آثار** ،مجلة علمية ســـنوية تعنى بنشرـــ الدراســـات والأبحاث في الآثار والتراث،العدد 06، معهدا الآثار جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2006-2007

23-عبدالســـلام (رؤوف) ،"الملامح الاجتماعية لنظام الأصـــناف في العراق إبان العهد العثماني" ،في **الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني** ،الجزء الأول والثاني ،جمع وتقديم د. عبد الجليل التميمي منشـــورات مركز الدراســـات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني زغوان1986

24- عنان (محمد عبد الله) ،"الأندلس وآخر مسلميها أمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما"**في مجلة الاصالة**،العدد 27"عدد خاص بالملتقى التاسع للفكر الإسـلامي" ،السـنة الرابعة رمضـان - شـوال 1395هـ سبتمبر- أكتوبر 1975م،وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية،الجزائر

25- غطاس (عائشـــة) ،" الوافدون "البرانية " على مدينة الجزائر 1787 -1830 بين التهميش والاندماج" في **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، السلسلة الأولى: الولايات العربية أثناء العهد العثماني رقم26 في إطار أعمال المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية (22-25 سبتمبر /أيلول 2000 حول العائلة والمهمشون في العالم العثماني: النساء والأطفال والفقراء، إشراف الأستاذ المتميز:د.عبد الجليل التميمنشورات، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ط1، أوت –آب 2002

26-()،"سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر العهد العثماني في مجلة **إنســـانيات**،العدد3 ،مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، شتاء 1997

27-()،"الصـــداق بمدينة الجزائر خلال القرنين 18 و19 **م** "،في مجلة **إنســـانيات**المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد4،مركز البحث فيالأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بوهران، جانفي-أفريل 1998

28-()"،إســـهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر "، في**المجلة التاريخية المغربية**،العدد19-20، ،تونس،السنةالسابعة أكتوبر1980

29-قازيجي(ضياء) ،"خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين"، في ا**لحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر و وثائقها في العهد العثماني**،الجزء الأول والثاني ،جمع وتقديم د. عبد الجليل التميمي منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ،زغوان1986

30-كربوع (مسعود)،كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي و التوظيف التاريخي-المعيار المعرب للونشريسي انموذجا-،في مجلة علوم الإنسان والمجتمع ،العدد9 ،جامعة بسكرة ،مارس 2014

31-لعرج (عبد العزيز)،"مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر "، في **مؤتمر جمعية الأثريين العرب الرابع، الندوة العلمية الثالثة " دراسات في آثار الوطن العربي"** ،منشورات الاتحاد العام للآثاريين العرب القاهرة ،13 – 14شعبان1423 هـ/19 -20أكتوبر2002

32-لواليش(فتيحة) ،"فئة المعتقين بمدينة الجزائر نهاية القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر-من خلال وثائق المحاكم الشرعية"، في **المجلة التاريخية المغربية**،العدد الخامس والعشرين، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،زغوان،أوت /أب 2002

33-المنوني(محمد) ،"ملامح تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة "،في **مجلة مجمع اللغة العربية** الجزء 4،المجلد51،دمشق، السنة1976 م

34-مكى (الطاهر أحمد)، "ترفانتس، قمة الأدب الإسباني كان أسير في مدينة الجزائر"، في **مجلة الأصالة** العدد الثامن –عدد ممتاز خاص،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر،السنة الثانية ربيع الثاني-جمادى الأولى 1392هـ ماي- جوان 1972

35-موساوي (زينب) وعلاوة (عمارة)،"مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، في**مجلة إنسانيات** العدد 44-45تحت عنوان مدينة الجزائر ميتروبول في تحوّل/2009،

Référence électronique:

علاوة عمارة**et**, « مدينة الجزائر في العصر الوسيط » **زينب** موساوي / *Insaniyat إنسانيات [En ligne], 44-45 | 2009, mis en ligne le 11 juin 2012, consulté le 27 août 201 . 3*

URL : http://insaniyat.revues.org/2110

36- نمير (عقيل) ،"حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر"،**في مجلة دراسات إنسانية ،** عدد خاص بالملتقي حول موضوع" الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" جمع وتقديم ناصر الدين سعيدوني ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2001 – 2002

2j – قائمة مقالات المجلات بالغة الأجنبية:

1-ARNAUD,"Voyagesextraordinaires et nouvelles agréables par MOHAMMED ABOU' RAS BEN AHMED BEN ABD EL-KADER EN-NASRI Histoire de L'Afrique septentrionale",In:**RevueAfricaine**,Tome23,1879, A. JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger

2-Achour(C),"Broderie vestimentaire, et Symbiose dans la broderie algérienne " ,In :**collection du Musée National des Arts et Tradition populaires**,Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires. Alger, sans date

3-Amamra(Aicha) "l'art De broder et de tisser en Algérie", In :**l'Algérie en héritage Art et Histoire**, Exposition présentée à l'institut du monde arabe du 7 octobre 2003 au 25 janvier2004, Institut du Monde Arabe/Actes Sud, Frances, 2003

4-"**Arrêté de M. le gouverneur général** qui règle l'organisation des différentes corporations qui résident sur le territoire dont la France s'est réservé l'administration, Alger, le 31 janvier 1838" In: **bulletin officiel des Actes du gouvernement**, depuis le 1 octobre 1834 jusqu' 1 janvier 1839 Numéro 1 a 16 du bulletin publie à Alger, imprimerie Royal ,Paris 1843

5-Arrêté de M. le gouverneur général la corporation des Kabaïls," In: **bulletin officiel des Actes du gouvernement** , depuis le 1 octobre 1834 jusqu' 1 janvier 1839 N°1 a 16 du bulletin, publie à Alger, imprimerie Royal Paris 1843

6-Aslanov(Cyril) ,"la lingua franca en Méditerranée entre mythe et réalité ", In : **Mélanges,** de l'Ecole française de Rome–Italie et Méditerranée modernes et contemporaine En ligne 124-1 2012 mis en ligne 30 septembre 2012 consulte le juin 2016.URL : http//mefrim. revues. org/112

7-Audisio (Gabriel),"recherche sur l'origine et la signification du mot Bagne" In :**Revue Africaine** ,Tome 101, 1957

8-Aumerat, " la propriété urbaine à Alger ",In:**Revue Africaine,**Tome41, 1897

9-BELHAMISSI(Moulay)"course et contre-course en méditerranée ou comment les Algériens tombaient en esclavage "XVI^{ème} siecle-1er tiers du XIXe ^{eme} siècle"In : **cahiers de la Méditerranée**L'esclavage en méditerranée l'époque moderne, Numéro 65, centre de la méditerranée moderne et contemporaine, Décembre 2002

10-(),"femmes d'Alger autrefois", Polycopie, Bibliothèque du Centre d'étude Diocésain, Alger, 2002

11-Bencheneb (Saadeddin),"Un Acte de vente dressé à Alger en 1648", In : **Revue Africaine,**Tome 89, 1945

12-) (,"un contrat de mariage algérois du début XVIII Siècle", extrait des **Annales de l'institut d'études Orientales**, Tome XIII, Edition la Typo-Litho et Jules Carbonal ,Alger, 1955

13-Bensseddik (Nacéra)," chronique d'une cité antique " , In : **Alger lumières sur la ville**, comité Editorial Chabbi-Chemrouk Naima, Djelal-Assari Nadia Safar , Zeitoun Madani, Idi Boumediene Rachid, réalise avec le soutien financier de la délégation de la commission européenne en Algérie, Editions DALIMEN,…,2004

14-BERBBRUGER (Adrien), " la mort du fondateur de la Régence D' Alger",In :**Revue Africaine,** Tome 4 , 1860

-(),"Charte des Hôpitaux Chrétiens D' Alger", In :**Revue Africaine** ,Tome 8,1864

15-Borsselard," Les inscriptions Arabes de Tlemcen" In :**Revue Africaine,**Tome 3, 1858 etTome 4, 1960 et Tome 5 ,1961

16-Boyer (Pierre),"Le Problème Kouloughli Dans La Régence D'Alger", In :**Revue de L'occident Musulman Et de La Méditerrané,** Numéro Spécial Actes Du II^{ème} Congrès international d'études Nord –Africaines, imprimerie louis –jean, Aix en Provence ,1970

17-(),"contribution à l'étude de la politique religieuse des Turc dans la régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)", In :**Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, numéro 1Année 1966, référence numérique www .persee.fr/issue /remmm_0035-1474_1966_ num_ 1_1

18-(), " la révolution dite des Agas dans la régence d'Alger (1659-1671)",In **:Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée**, numéro 13-14 ,1973

19-() Des pachas triennaux à la révolte d'Ali KodjaDey (1571-1817) In :**Revue Historique**,numéro 495, Juillet-Septembre, 1970,

20-Braudel (f.)," les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à1577" In : **Revue Africaine**Tome 69, 1928

21-Cantineau(Joseph), Leschi(Louis),"Monnaies puniques d'Alger", In: **Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres**, 85e année, Numéro 4, 1941, pp.263- 266 référence numérique http://www.persee.fr/ doc/crai_ 0065-0536_1941 _num_85_4_77434

22-CHERGUI(Samia)"Le *waqf*et l'urbanisation d'Alger à l'époque ottomane"Alger:un métropole en devenirIn:**Insaniyat**Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales,Numéro 44-45, avril - septembre 2009,centre de recherche en Anthropologie sociales et Culturelle(Crasc),Oran,Algérie

23-(), " La Nouvelle Mosquée d'Alger. Le déroulement d'une procédure constructive au XVIIe siècle ," In : ***Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*** [En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 05 janvier 2012, consulté le 17 décembre 2013. URL : http://remmm.revues.org/6267

24-Cresti(Fedrico)", Notes sur l'histoire urbaine d'Alger dans la période précoloniale des origines au XVIe siècle"In:**cahiers d'histoire critique de l'Architecture de l'école polytechniqued'Architecture et d'urbanismed'Alger**, Numéro2, Alger, mai1980

25-(), les Aqueducs D'Alger àl'époque Ottomane , In :**Histoire(s) d'eau en Tunisie et ailleurs**,Actes de la Rencontre de Diraset Usages profanes,Usages sacrés de L'eau au Maghreb, Faculté des Sciences Humaines et Sociales Université de Tunis , Texte réunis et édités sous la direction de Mustapha Tlili et Jamel Ben Tahar ,Préface de Abdelhamid Hénia,Afemam,Lyon,juillet 2004 et coédition Laboratoire de recherche Diraset,Arabesques éditions,Tuinis2012

26-(),"Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale", In :**Revue del'Occident musulman et de la Méditerranée,**numéro° 44,1987,pp.125-133,référence numérique http://www.persee.fr/doc/remmm_0035-1474_1987_num_44_1_2162

27-Dakhlia(**Jocelyne**) ," lingua franca langue morte", In :**Alger lumières sur la ville** comité Editorial Chabbi-Chemrouk Naima, Djelal-Assari Nadia Safar , Zeitoun Madani, Idi Boumediene Rachid, réalise avec le soutien financier de la délégation de la commission européenne en Algérie, Editions DALIMEN,…,2004

28-DE Lacroix (Petis), Mémoires sur Alger ,Extrait des **Annales de L'institut des Etudes Orientales**, Tome .XI, année 1953 Editions Jules Carbonel, Alger, 1953.

29-Delphin, chronique des pachas d'Alger de 1515 à1745 , In : **journal Asiatique**, onzième Série, tome XIX, Imprimerie National édition Ernest Leroux, paris, 1922

30-Devoulx (Albert),"Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger" , In: **Revue Africaine,**tome 13, 1869, historique Algérienne, chez bastide libraire – éditeur Alger

31-(), " Les casernes de janissaires à Alger ", préambule de BERBBRUGER (A) In: **Revue Africaine**, Tome 3 ,1858-1959, Office des Publications Universitaires, Alger

32-(),"Batterie des Andalous àAlger", In:**Revue Africaine**,Tome 16 ,1872, , Office des Publications Universitaires, Alger

33-(), "AHAD AMAN, ou Règlement politique et militaire, Texte turc", traduit en arabe par Mohammed ben Mustafa Et reproduit en français, par M. Devoulx fis", In: **Revue Africaine**,Tome4 ,1859-1860

34-DRICI(R), Introduction,In :**Harmonie et Symbiose dans la broderie algérienne** collection du Musée National des Arts et Tradition populaires, Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires, Alger, sans date

35-() ,BroderieD'Alger ,In **harmonie et Symbiose dans la broderie algérienne** collection du Musée National des Arts et Tradition populaires,Ministère de la communication et de la culture Musée National des Arts et Tradition populaires, Alger, sans date

36-Eisenbeth(M),"Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'Epoque Turque 1516-1830 »,**In :Revue Africaine,**. Tome 96 ,1952, Office des Publications Universitaires, Alger

37-Marcel (Emerit), « les Quartiers Commerçants D'Alger a L'époque Turque » In : **revueAlegria** , Numéro 25 , nouvelle série, Edition Baconnier ,XX Année, Janvier- Février, Alger 1952

38-FERAUD(L.) ,Notes sur bougie légendes et traditions, In : **Revue Africaine**tome 3, 1858-1859

39- HEBNSTREIT (J.E.), Voyage a Alger ; Tunis et Tripoli entrepris aux frais et par ordre de Frédéric Auguste ,roi de Pologne ,etc.,en 1732 ,in Nouvelle Annales des voyages et des sciences géographique,publiés par MM.Eyrlés,de Larenaudiére et Klaproth, tome second ,de l'année 1830,Librairie de Gide fils ,paris 1830

40-Hoexter (Miriam), Taxation Des Corporations Professionnelles D'Alger a L'époque Turque ; in **de L'occident Musulman Et de La Méditerrané**,imprimerie louis –jean , Aix en Provence, 2 Eeme Semestre 1983, ,numéro 36

41-Palantet (Eugéne), correspondance des deys D'Alger avec la coure de France 1579-1833, en deux tomes,Ancienne librairie Germer Bailiére et C^{ie} Félix Alcan ,éditeur ,Saint –Germain France ,1889, Tome premier (1570-1700)

42-PASQUALI(E),l'évolution de la rue smusulmane D'el-Djezair,Algeriens ,série culturelle ,Nº75, avril 1955

43-Playfair, « Episodes del'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques » ,**In : Revue Africaine.,** tome 22, 1878, A.jaurdan libraire –Editeure ,Alger

44-Régis(Bertrand), « Les cimetières des esclaves turcs des arsenaux de Marseille et de Toulon au XVIII[e] siècle », In : ***Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*** ,Numéro 99-100 "La tradition manuscrite en écriture arabe " ,novembre 2002,pp205-217 Référence électronique la *REMMM*: 99-100 | novembre 2002 mis en ligne le 12 mai 2009, URL : http://journals .openedition .org/remmm/1185

45-RIGGIO (Achille),Esclaves et missionnaires en barbarie (1672-1682), in R.A volume 93 Anne1943

46-Roblés (Emmanuel)," L'Algérie de Cervantès », In **:Revue Alegria**, Numéro 57 Edition de l'office D'action Economique et Touristique (OFALAC), Alger, bimestriel, XXVII année, Avril, 1959,

47-Golvin(Lucien), Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord. In: **Revue del'Occident musulmanet de la Méditerranée**, Numéro 39, 1985. Les Ottomans en Méditerranée - Navigation, diplomatie, commerce, p.214 référence numérique :doi :ttps://doi. org/ 10.3406 /remmm. 1985.2075 https://www.persee.fr/doc/remmm_0035-1474_1985num_39_1_2075

48-Guichard (Pierre), Alimentation et cuisine en al-Andalus In: Pratiques et discours alimentaires en Méditerranée de l'Antiquité à la Renaissance. Actes du 18ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 4, 5 & 6 octobre 2007. Paris: Académie des Inscriptions et Belles-Lettres 2008. pp. 337-357 (Cahiers de la Villa Kérylos, 19); http://www.persee.fr/ doc/ keryl_ 1275-6229_2008_act_19_1_1168—

49-Hoexter (Miriam),La shurṭa ou la répression des crimes à Alger à l'époque turque In:***Studia Islamica,*** Numéro 56(1982),Published by: MaisonneuveEt Larose, Stable URL: http://www.jstor.org/stable/1595392,p.121

50-Kuhne Brabant Rosa, da Silva Monique. Le sucre et le doux dans l'alimentation d'al-Andalus. In: Médiévales, n° 33, 1997."Cultures et nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger.pp.55-64doi10.3406/medi.1997.1394http://www.persee.fr/doc/medi_0751-2708_1997

51-Le Glay(Marcel), A la recherche d'Icosium , In :**Antiquités Africaines** tome2,1968http://www.persee.fr/doc/antaf_0066-48711968_num_2_1_888

52-Lespés (René), quelques documents sur la corporation des mozabites d'Alger dans les premiers temps de la conquête (1830-1838),in revue Africaine ,tom 66 Année 1925

53-Loualich (**Fatiha**), Alger au XVIIe le regard d'un captif porteur d'eaux (le sieur de Rocquevillle, in L'Afrique au XVIIe siècle, mythes et réalités, actes du VIIe colloque du Centre international de rencontres sur le XVIIe siècle , Tunis, 14-16 mars 2002

57-SánchezExpiración (García) ,La consommation des épices et des plantes aromatiques: en al-Andalus. In: Médiévales,n° 33, 1997. Cultures et nourritures de l'occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger. pp. 41-53;doi : 10.3406/medi.1997.1393http://www.persee.fr/doc/medi_0751-2708_1997_num_16_33_1393

58-Sauner-Leroy(Marie-Hélène),LA Cuisine Ottomane ou la transmission d' un art de vivre, in ,La pensée de midi 2000(/3N° 3),Actes sud, Article disponible en ligne à l'adresse :http://www.cairn.info/revue-la-pensee-de-midi-2000-3-page-45.htm

59-THOMAS CAMPBELL,A ALGER,In:**Revue Britannique ou choixD' articles Traduits des meilleurs écrits périodiques de la Grande-Bretagne**, par MM. SAULNIER Fils, Directeur; Berton; Philaréte CHASLES; Léon GALIBERT; Amédée PICHOT; E. GÉRUZEZ; LARENAUDIÈRE; LESOURD ;H. COQUEREL J. COHEN ; GENEST, D.-M, , ETC, Collecion Décennale, Tome Trentiéme, au bureau de la revue briannique, Imprimerie de Boulé,paris 1846

60-Touati (Houari),port Faix , chargeurs et debardeurs dans l'Alger du XVIIe siècle, dans Histoire sociale de l'Algerie Etudes, Sources et Documents Noumero1, Centre de documentation des Sciences Humaien, ORAN, 1982

61-Vachon (Marius) ,Industrie Algérienne, Arts Indigènes, In :**supplément au N^0 23 du Bulletin de L'Office de Renseignements généraux de l'Algérie**,Bureaux de L'Office de Renseignements généraux de l'Algérie ,Paris,Année 1902

62 -Watbled(E), établissement de la domination Turque en Algérie,In:**revue Africain**(**R.A.**), tome 17, 1873

قائمة الرسائل،و المذكرات الجامعية بالغة العربية:

1 -بعارسية(صباح)،حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري /السادس عشر ميلادي ماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف أد.عمار بن خروف ،قسم التاريخ جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2006 -2007

2-()مواقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني-القوى السياسية والعلمية والصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني-،منشورات نور(Noor publishing)ريجيا، ليتوانيا،2017

3-بن كردة (زهية)،أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر- دراسة تحليلية، ماجستير في الأثار الإسلامية، تحت إشراف دناصر الدين سعيدوني، قسم الآثار ،كلية العلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1999-2000

4- بوحمشوش (نعيمة) ،الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر- والتاسع عشر- ميلادي من خلال وثائق الأوقاف ،رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف د.فتيحة الواليش قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 بوزريعة،السنةالجامعية2013-2014

5- _____ (___) ،مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أد .ناصر الدين سعيدوني ،معهد التاريخ جامعة الجزائر،السنة الجامعية 1998 -1999

6-بودريعة (ياسين)،أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك ،مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف أد.عائشة غطاس ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعة 2006 -2007،

7-بوزغران(صفية)، أثاث المنزل الجزائري بمتحف الباردو مذكرة تخرج نهاية ليسانس في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1988

8-حماش (خليفة) ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث إشراف أد فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ ، جامعة منتوري، قسنطينة 1427ه 2006 م

9-حمصي(لطيفة)، المجتمع والسلطة القضائية "المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر نموذجا(1122-1246 ه/1710 -1830)،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أد. عائشة غطاس جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2010 -2011

10-خيراني (ليلى)، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818-1830م : دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، رسالة دكتوراه في التاريخ لحديث إشراف أد.قشاعي فلة ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعدا لله ،الجزائر 2013

11-دادة (محمد) ،اليهود في الجزائر في العهد العثماني (مذ القرن 18 حتى1830)،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق،1985

12-سعيود (إبراهيم) ،الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث إشراف أد.عائشة غطاس جامعة الجزائر2 2009-2010

13--سمير نامق كنعان (هنادي) ، الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس "دراسة تحليلية، إشراف د. هيثم الرطروط، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في هندسة العمارة بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين2010 م

14-شدري معمر (رشيدة)،العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات (1671 -1830) ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف أد. فلة موساوي قشاعي ،جامعة الجزائر2005-2006

15-شريد (حورية)،المسكن التقليدي بمدينة الجزائر في العهد العثماني: دراسة ميدانية لغرفة نموذجية مذكرة تخرج في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، جوان 1986

16-() ،تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني(دراسة تاريخية أثرية) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ،إشراف الأستاذ الدكتور صالح بن قربة،معد الآثار ،جامعة الجزائر2 ،2010-2011

17-غطاس (عائشة)،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830مقاربة اجتماعية–اقتصادية أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،نوقشت في كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002

)(**18-**،سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر (1516- 1830)، مذكرة سنة أولى ماجستير، إشراف أد .مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 1981 -1982

19-طوبال (نجوى)،الزواج وواقع المصاهرات بمدينة الجزائر(1830-1710) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف أد. أرزقي شويتام ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ،الجزائر 2014

20-() ،،طائفة اليهود في مدينة الجزائر مابين(1700 -1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،الطبعة الأولى ،دار الشروق للطباعة والنشر ،الجزائر، 2009 وأيضا محمد دادة ،اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ القرن 18 م حتى1830م)،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق،1985

21-موساوي القشاعي(فلة) ، الصحة والسكان في الجزائر من العهد العثماني إلى أوائل الاحتلال الفرنسي 1515 -1870 رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ، جامعة الجزائر ،2005

22-موساوي (عربية سليمة)،الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، دراسة أثرية معمارية،رسالة ماجستير في علم الآثار،إشراف أد.لعرج عبد العزيز، دائرة الآثار الإسلامية ،معهد الآثار،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 1990-1991

23-معاشي (جميلة)،الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ،رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث إشراف أد .كمال فيلالي ،جامعة منتوري قسنطينة ،2007-2008

24-عمريوي(فهيمة)،الجيشـــالإنكشـــاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12 هـ/18 م دراســـةاجتماعية – اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشرافأد. عائشة غطاس قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،2009

25-لقوارة (فهيم)،ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصـــادي في العهد العثماني (ق10-11هـ/16 - 17م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفيالتاريخ الحديث إشراف أد .فلة موساوي القشاعي،قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية ،جامعة الجزائر2 السنة الجامعية 2011-2012

قائمة الرسائل،و المذكرات الجامعية بالغة الأجنبية:

1- Zakia (**Zahra**),D'Istanbul à Alger: la fondation du waqf des subul al -Kayrat et ses mosquées hanéfites a l'époque ottomane (du début du XVIII[e] siècle à la colonisation française),directrice de thèse RandiDeguilhem,thèse pour obtenirle grade de docteur présentée et soutenu publiquement le 12juillet 2012universitéD'Aix -Marseille

2-SEFFADJ(**Zine-Eddine**),pendant la période ottomane(XVI-XIX)organisation urbaine et Architecturale du quartier hwanat sidi Abd Allah, tome 1(texte),Doctorat de troisième Cycle Histoire de l'Art et Archéologie islamiques, préparée sous la direction de Madame le Professeur MarianneBARRUCAND,Université de Paris memoiiSorbonne (Paris v),Mars1995

قائمة القواميس و الموسوعات باللغةالعربية :

1-موسوعة تاريخ الحضارات العام ،في 7 مجلدات ، إشراف موريس كوزيه ،الطبعة الثانية ، منشورات عويدات بيروت-باريس 1987، المجلد 4 "القرنان السادس عشر، والسابع عشر"تأليف رولان موسينه، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريدم.داغر.

2-نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت ،لبنان 1400 هـ - 1980 م

3- وزارة الأوقاف و الشئون الدينية ،الموسوعة الفقهية ،الجزء التاسع البيع –البينة ،إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت ،الطبعة الثانية 1407هـ-1987م

قائمة القواميس و الموسوعات باللغة الأجنبية

1-Camps(G), Leglay (M.), Golvin (L.), Mantran(R.)Et Boyer (P.),"Alger",In :**Encyclopédie berbère**, volume 4Alger − Amzwar, ouvrage publié avec le concoures et sur la recommandation du conseil international de philosophie et des sciences humaines(UNESCO), publié par Edisud, Aix-en-Provence, France, 1986

2-Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d'un vocabulaire de mots Arabe les plus usuels A l'usage des français en Afrique, topographie de FEISSAT Ainé et DEMONCHY, Imprimeurs ; Marseille, 1830

3-DOZY (R) ,Dictionnaire Détaillé des Vêtements Chez les Arabes, Bériot, 1845

4-Eudel (Paul) ,Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du nord, Maroc, Ernest Leroux édition, paris, 1906

5-LE Tourneau (Roger) ,Funduk, In :**Encyclopédie de l'islam** ,par B. Lewis CH.Pellat et j .Schacht, Leyde-Paris ,nouvelle éditions,1965,tome II C.G

مواقع الانترنيت، والأقراص المضغوطة:

1-café,CollectionMicrosoft®Encarta®2005.©1993-2004Microsoft Corporation, disque n°2

2-Mombelli(Paul), Autobiographie du dernier roi d'Alger. Site internet: htt p://www.Google .fr .dernierroialger.caloucaera .net, chapitre 5" Bange d'Alger " et chapitre7" le vieux corsaire "

فهرس الأعلام و المجموعات السكانية

-أ-

الأب سيبستيان دوبور(Sépbastien Duport) ص302

إبراهيم باشا ص620

إبراهيم خوجة داي ص687

إبراهيم كرغلي ص182

أحمد أعراب باشا ص 170، 180،269، 277، 278،279

280، 281،282، 311، 317، 324، 622، 625، 626

أحمد باي ص 699

أحمد بن عبد العزيز بن عيشون ص 40

الإدريسي ص 42

الأسري العبيد ص 139، 146، 147، 149، 150

214،213،212،211،210،190،185 216،215 217

218، 220، 223، 227، 230، 231، 232، 237، 239

240،242، 244، 245، 247، 248، 249، 250،253

254، 260، 263، 264، 266 271،279، 287،292

293، 297، 294، 295، 296، 300، 301، 318

323،339، 466،467،507،528،563، 564،559 566

571،573 699 661

اسماعيل باشا ص656

الأشراف ص61، 62

الإمبراطور فيسباسين(Vespasien) ص 34

الأندلسيون ص 40، 48، 52، 51، 61، 64،67،86 94

95، 96، 98،97، 100،99، 102، 103، 104، 105 106

107،108، 109،110، 111، 112،113، 114 115

116،117 219 120، 121، 150، 158، 171، 188

191،198،222 225 234، 247،248، 260 264 396

312،468، 313 314 318، 396،453، 455،456، 458

459، 468،516، 523،524،527، 529 531 547،551

جماعة الأغواطيين ص84، 499

703، 654، 653، 651،652 645

أدوين باشا ص99

الاوفغقانت (Auvergntas) ص81

إيزابيلا ص95

-ب-

برتولي بن ناصر ص150

دو برفي(BREVES) ص 285، 462

بطليموس ص 33

بفايفر سيمون ص78

البكري ص38، 42

البلدية ص27، 61، 62،63، 64، 65، 66، 67

68، 85، 94، 106، 114، 170

بلين(Pline) ص 34

بواي ص178، 661، 703

بيار بينو ص 303

بيار فبريل (PierreFabriel) ص153

بيدرو دو كونسيسيون (بيدرو كيلور) ص 404، 406

بيرام أوذاباشي ص226

بيرنارد دو مونرو ص 302

-ت-

التمكورتي(علي بن محمد)، ص125، 388، 686

توماس شو ص 258،257، 692،259، 693

توماس هس ص181، 190، 203، 459، 517

519 563، 564، 569، 570

تنس ص52، 94، 114، 252، 621،697

-ج-

الجامعي الفاسي ص 679، 695

جان باتيست ص154

أبي الحسن المريني ص44

جماعة البساكرة ص81، 83، 84،91، 323، 381، 413

جماعة الجرابة ص 121، 124،376، 592،740

جماعة الجيجلية ص 75، 89، 90،92

جماعة الزنوج (أوالوصفان) ص127،121،94،93، 128، 129، 130،182، 247، 253

جماعة القبائل ص85 ، 86، 384،392، 451،530، 562، 704،721

جماعة بني مزاب ص 70، 72، 73، 76، 78، 79، 80، 121،176،92،90، 288، 330،513،586، 704، 740

جواؤ مسكغناس ص195، 216، 218، 226،248، 294، 299،300، 332، 335،342، 453، 605 616

جوزيف كيرالت ص 304

جون دوبيفا ص151

خوان بيدرو توديسكو ص244

-ح-

حسن آغا ص77، 78، 112،149، 150، 205،243، 563

الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن باديس ص41

حسن بن خير الدين ص87 ، 111، 161، 162، 168 172، 178، 179،180، 281،294، 328، 330، 336، 478 710

حسن ميزمورطو ص 350

حسن فينزيانو ص271

الحاج محمد الدولاتلي باشا ص651

الحاج مصطفي بلوكباشي بن محمد التركي ص 687

ابن حوقل 36، 37،38، 42

أبو حمو موسي الثالث ص47

-خ-

خيضر باشا ص 141، 319، 322، 357، 358، 360، 384 393، 646، 650

558، 567، 577 579، 580، 668، 726

خير الدين ص46، 47، 48، 50، 51،52، 53، 54، 55 57، 58، 59، 87، 89، 95، 97، 98،99 110، 111،113 121،135،149، 150،161، 162،168،172،175 178، 179، 180، 194، 220، 232، 247، 267، 270،281، 288،294، 328، 330، 336، 337، 346،353، 354، 359 670

ابن خلدون ص37 ،44

-د-

دان(الأب)ص148،151،102، 172، 188، 207، 227، 234، 236، 243،248، 488، 490، 504، 506، 514، 517،528، 556، 557، 571 573، 575، 583،603، 604، 607، 617، 659، 662، 678، 699،704، 715 722، 717، 724

درافيو(الفارس) ص720،569،539،534،528

درانـدا ص225،223،222،221،220، 227، 230، 240 257

دافتي(بيار) ص480،105، 717

الداي شعبان ص 176، 229، 230، 237

دوفـوا ألبير ص356،357، 351،358، 360، 380، 401،405،560،560،588،598،632، 648،649، 655، 676، 677

دوكين (دوكسان) (Duquesne) ص250، 683

ديستري(D'Estrées)ص250

ديقوا دوفيرا(Diego deVera) ص 51

دون لويس دو بيدرولا دانوزيا (don louis de pedrola d'andouesia) ص48

-ر-

روكفيـــــل ص121،،110، 103، 233،234،275، 507،473،448،406،335،333،542، 555، 557

رمضان باشا ص147 ،148، ،542 ،686
-ز-
زواوة ص69، 86 ،87، 89،88 ،92 ،138 ،163 175،246
383 ،452 ،530 ، 603 669،704 721،728 734
ابن أبي زرع ص39
ابن زكوار ص691 ،693،692
أبو زكرياء الحفصي ص 44
-س-
سالم التومي ص45 ، 46، 48 ،68،51
سليم الأول ص 48 ،53،49 ،57، 54 ،107 136،433
سليم الثاني ص 97 ،117 ،118 ،159،119 ،165
-ش-
شرلـــكان ص 52 ،77،76 ،113،81، 150 ،151 207،271
405 ،594
شعبان باشا ص671
-ع-
عبـد الـرحمان الثعـالبي ص 45،361،360 ،366، 367
599،661 ،662 ،724
العبيـــد ص 79 ،87 ،129 ،130 ،153 ،216 ، 217 ،219
220 ،222 ،224 ،227 ،228 229 232،230 ،234 ،236
238 ،242 ،244 ،249
العثمانيـــون(العثمانيين) ص37 ،45،46،48،49 ،51،50
55،57، 58 ،59 ، 61،66 ، 67 ،68،71،72،76،81 ،82
85 87، 89،92،88 ،94،97،112،111 ،113، 114 ،116، 120
121،122، 125 ،126 133 ،134،139،138،145،150،148،157
163 ،168،166، 169، 170 ،171 ،172 ،173 ،174، ، 175، 176
177 ،178 ،182 ،183 ،184، 195، 204 ،206،216،214
255،219،234،232 ،247 ، 236،254 ،248، 258
261 ،264 ،267،266 ،269 ،270،273 ،277،279 ،280،281
-م-
283، 284، 289،298،299 305،310،300 ،311، 312
513،314، 315، 319 323، 324،336،338،345 ،344
349 ،350 ، 352 357 ،360،363 ،365،366،367 ،368
369،370 372،371 ،373، 379،398، 407 ،432،444
459، 479،483،492 ،506،508،507،512، 515 522
524 ،525 ،526 ، 528 ،529، 530 534،539،541،545
551،556،564، 565،567 568، 570،578، 580،583
585،587 ،591، 592 598 614،618، 620،621 ،662
628، 629، 646،661،651 672 ،686،689،691 ، 696
697،699 ،700،706،704 ،740
عـــــروج ص 48،46 ،50 ،51 ،52 ،89،64،57
95 ،101،97، 114 ،121 ،671،267
علـج عـلي ص115 ،116 ،118،117 ،119،147
149، 158 ،161، 164 ،179، 215،180،220
235
علي بتشين ص150 ،229 ،231 ،240 ،257
أبو عمر حكم بن سعيد بن حكم الأموي ص 40
ابن عبد الحكم ص35
ابن علان ص44
أبي العباس السيد أحمد المرتضى ص474
أبي عبد الله محمد المقري ص 97 ،102
-غ-
غرماي ص62 ،64،63، 85 ،101،86 ،105
134، 145، 151،153، 173 ،203، 210
-ف-
فيرموس ص 34
فرديناد الثاني (الكاثوليكي) ص48 ،50 ،95
-ق-
قبيلة المعاقيل ص 63

ماركو انطونيو دو ستويسا ص150
المانجلاتي (الشيخ) ص697
محمد باشا الدولاتلي ص143
حمود خياط بلوكباشي ص137
مراد الرابع (السلطان العثماني)ص290 ،291
مصطفي الإنكشاري ص144
مصطفي بلكباشي ص638
المعتصم بن صمادح ص40
معز الدولة ص40
المنصور بن الناصر بن علناس ص40
المودجار ص102 ،105 ،111 ،113،118
مولقاني (الأب) ص51

- ن-

الناصر بن علناس ص40
نيكولاي بوتان ص 151 ،152
نيكولا دو نيكولاي ص 276،343،517،515،456، 527

- هـ-

هايدو ص 62،63، 64، 85 ،86، 98 ،101، 102 ،103، 104، 110 ،111، 116، 136 137 144 145، 148، 149، 150 ،153،154، 157، 158 162، 163، 178 ،188، 193، 195 ،207 210 214، 226، 227، 228، 231،236، 248 250، 252، 254 ،255،473، 488،484، 490، 491،496، 505، 506، 507، 515 ،518، 523، 526، 527، 528، 530 536 539، 541،545 ،546، 556، 558، 564 ،568، 572، 575 592، 594 ،613 615 618، 660، 671،672، 678، 682 683، 689 704 ،706، 713، 714 715 716، 719 ،722 724
هوقو دي مونكاد (Don Hugo de Moncade) ص 25

- ك-

كاليغولا ص 33
الكراغلة ص26 ،27 ،61 ،66 ،67،71 ،81 ، 95 ،134 ،135 ،136،174 ،175 ،176 ،177، 178 179، 182 ،183 ،184 ،185 ،247 ،249،252 ،265، 294 ،295 ،299 ،594 ،302 ،647 ،653

- ل-

لـــوجي دوتاسي ص222،146،83،238،235،242، 243،258،244،261،256
ليون الإفريقي (حسن الوزان) ص 45، 50 ، 52

- و-

الوندال ص34
وليام شالر ص 67 ،72،78 ،201 ،336،144، 556، 506، 619، 616

- ي-

يحي آغا الصبايحية ص143
يحي أغا بن خليل التركي ص494
يوسف بن تاشفين ص 40
يوسف رايس ص99 ،178
اليهود ص27 ،41،76 ،41 ،76، 102 ،185 186 187، 188 ،189 ،190 ،191، 192 193 194 195 ،196،197، 198 ،199 ،200 ،202،201 203 ،204 ،205 ،206، 207،208،246 ،210،247 263،262 300،276،336، 338 ، 398 ،400 483 ،484 ،485، 486،488 ،490،489 ،502، 512 ،529 ،530 ،531 ،534 ،536 ،539 ،543 547 548، 567 ،596 ،597 ،603 ،651 ،683 ،704 706 715 ،721، 738،739
يهود التوشابيم (اليهود العرب أو الأهالي) ص 186، 187 ،188،194،205
يهود المغورشيم (يهود الأندلس) ص187 188،190، 194،205
يهود ليفورن ص187 ، 189 ، 190 ، 191
يوسف رايس الكرغلي ص99،178

فهرس أسماء الأماكن، والبلدان،والدول

-أ-

أرغون ص102،104، 114،453

اســـبانيا ص32، 47، 48، 52،58، 95، 101،102، 103، 104، 105، 110، 111، 112، 150،187 191، 193، 196،202، 211، 212،215، 224،246، 263، 300،306، 312،313، 368،383،387، 525، 671، 696، 706، 710

اسطنبول(القســـطنطينية) ص124، 180، 232، 335، 518،387،385،383،364،349،336،527، 550، 581

أسوان 598،622، 623، 701

اسكندرية ص41، 386،121، 575

إكزيوم ص 31، 32، 33، 34، 36، 37

إكوسيم ص31، 32، 33، 38

إمارة الثعالبة ص 44

إمارة كوكو ص86، 87

إمارة ملكيش ص43

إمارة بني حماد ص 39

الأناضول ص260،135،134، 351،383، 385، 532، 540

إنجلترا (بريطانيا) ص189، 213، 386،463

إيران ص369،453

إيطاليا ص32،213،189،188، 240،247،300،369، 387 439،454،464

-ب-

باب الجزيـرة(باب البحـر) ص271،276،273، 292، 362، 378،379، 390،450

باب الديوانة (أو باب السردين)ص273

باب الواد ص69، 83،110، 111، 193،194،199، 238، 215، 239، 259، 267، 271، 272، 275، 276،294،318،313،308،296، 312، 317، 321، 322، 333، 340،352،382،392، 393، 394، 413، 450، 452، 454، 455، 463، 564، 565، 570، 571

باب جديـــد ص269،271،274، 312،276، 317، 422،450

باب عزون ص268،267، 269،275،273، 276

بوهمية ص463

بجايـــة ص41،39،34،47،44،43،54،49،48،88، 92،489،363،357

برازيل ص453

برقة ص388

بلاد المغرب ص279،293،300

البليدة ص113،61،52، 247

البندقية ص45، 256،300، 409،324

البيرو ص296

-ت-

تلمسان ص47،40، 53، 59، 62، 89، 102، 127،128، 164،192، 194،267،

تـــــونس ص 40، 48، 58، 95،114،118، 123، 124، 127، 134، 180، 476،478،576، 579، 619، 620، 622، 623،671،668، 672،706، 707

تيطوان ص123، 192،126

-ج-

جربة (جزيرة)ص48، 123، 192،124،622

جزائر ص لم تتم فهرستها نظرا لتكررها في أغلب

صفحات المذكرة

جنوة ص463،386،300،298

جيجـــل ص48،34 ،89،59،51،50، 548،360 670 698

-ح-

حلب ص309

- ر-

رودس(جزيرة)ص356، 385

روما ص 243،34 ،337،300

الروميلي ص 136 ،137

- د-

دار السلطان(أو قصر الجنينة) ص276،108،70 317،277 412 432

دلس ص52

دمشق ص583،582

دولة الحفصية ص 43 ،47،309 ،310، 629

دولة الزيانية ص47،43، 629

الدولة العثمانيـــة ص55،46 ،56 ،95،57 ،100، 101 108،107 ،114، 115، 118، 123،126، 132 134 135 ،157، 163، 171، 172، 178 ،180، 199 235 ،277، 279،344، 349، 364، 518، 581 608،598،586 ،619، 623، 662،669 672، 697، 698

الدولة المرابطية ص39 ،40، 730

الدولة المرينية ص 43 ،47، 629

الدولة الموحدية ص42 ،43 ،46، 364، 613

-س-

السافوا ص453

سان هيلانة (جزيرة) ص453

سردينيا ص147 ، 213 ،453

سهل متيجة ص38،36 ،43،42،39 ،63،52،45 108 ،181، 273،385، 516،449

سوريا ص397

-ش-

شبه الجزيرة العربية ص453

شرشال ص384 ،412،387

-ص-

صقليا (صقلية) ص386 ،675

الصين ص446،387،369،296،47

-ط-

طبرقة ص384

طرابلس ص132،121،49 ،183،165 ،389 ، 400 ،627،626

-ع-

عنابة ص61،70،124 ،195، 304،386

-غ-

غرناطة ص44،96،95 ،103،102،100،97،104 111،114،116، 616

غريلند ص296

-ف-

فاس ص35،124،125،126،127 189،334،384، 386، 583 ،675، 710،583 674،702

فالنسيا ص384،388،404،720،694

فرجينيا ص297

فرنسا ص191،187، 239،272 ،386،305،304 387،454،448،711،585،534

-ق-

مملكة البرتغال ص 218 ، 453

مملكة المغرب ص396

قسنطينة ص441،384،362 ،550، 449
قشتالة ص58 ،454،305،102
القل ص383
-ك-
كتالونيا ص454،388
كورسيكا(جزيرة) ص453
-ل-
ليبيا ص393
ليفورن ص241 ،249، 453
-م-
مالقة ص445،102
مدية ص 249،205،61،52،
مدينة الجزائر ص لم تتم فهرستها نظرا لتكررها في أغلب صفحات المذكرة
المرسي الكبير ص47 ،111
مرسيليا ص237 ،238، 254
مصر ص 35 ،126، 169، 260
مضيق هرمز ص453
المغرب الإسلامي ص 31 ،34 ،47،46، 98،95
100، 122 ،152، 194،174،173، 195 239،235
240 ،249، 260،254، 484،264، 506،505
624،614،612،580،513، 630 661،631
663،705
المغرب الأقصى ص41،32 ،46، 79، 84، 94، 124
115 ،116، 126، 127، 133، 546 580، 582
630 ،672، 699
المغرب الأوسط ص35، ،39 ،43، 44 ،46 ، 55 ،
580، 630
مكسيكو ص926
مليانة ص 52
مملكة بني زيري ص39
مملكة موريطانيا القيصرية ص33
منغوليا ص453
موزنبيق ص453
ميروقة (جزيرة) ص453 ،387
ميتروقة(جزيرة) ص453 ،387
-ن-
نابولي ص368 ،386، 453
ندرومة ص40
نهج الزياتين ص276
نهج السوق الكبير(أو شارع السوق الكبير) ص112
276،275،194 ،392،391،390 ،448
نهج الصياغين ص276
نيس ص453
-هـ-
الهند ص47 ،219
-و-
وادي خنيس ص310 450 ،456
وادي المغاسل ص272،456،310
وادي ميزاب ص 72 ،129
وادي الملح ص 52
وادي ملوية ص 32
وهران ص47 ،49، 70 ،94 ،115،111 ،189
191
-ي-
اليابان ص296 ،387
اليمن ص 453

فهرس المباني، والمنشآت ،والمرافق
فهرس المرافق العسكرية ،والأمنية

تكنات الإنكشارية :

تكنة الدروج ص 292

تكنة الكودارين_أو دار الإنكشارية متاع الخضاريين (و تتشكل من تكنتين التكنة القديمة أو الفوقانية و التكنة الجديدة، أو التحتانية)ص 289، 290، 291

تكنة أو دار إنكشارية الخراطين ص144 ،288

تكنة أو دار إنكشارية أوسطا موسي (أو باب الجزيرة) ص291 ،292

تكنة أو دار إنكشارية مكارون (مقارون أو المقرئيين) ص289

تكنة باب عزون ص 285، 288

البسطارد « bastard » أوسجن الديوانة (أوسجن سيدي حسن) ص494 ،499

السجن الكبير سجن الملك« domas regis »
ص211، 294 ، 297 ، 302

سجن الكراغلة ص299

سجن سانت كترينا ص 299 ،294 ،295

سجن على بتشين (أوبانيو شلبي)ص240 ،708

سجن فرحات باي ص 299،295

سجن علي مامي ص294 ،295

فهرس المرافق المائية ،والصحية

المنشآت المائية:

بئر مراد رايس ص 318

عين بير الدروج ص 317

عين مسجد علي بتشين ص317

قناة الحامة ص 291، 312، 315

قناة بئرطرارية (بيرطريلية) ص311

قناة تليملي ص311 ،316

قناة عين الزبوجة ص312

الحمامات :

حمام البوزة ص336

الحمام المالح ص331

حمام حسن باشا أو حمام سيدنا ص 327، 328 ،330، 335

حمام سركاجي ص77

حمام طاق طاق ص331

حمام فويطة ص77

حمام كتشاوة ص77 ،320

حمام محمد باشا ص 335

المصحات والمشافي

مشفى شارع زاما ص338

ملجئ بوتولي ص338

ملجئ و زاوية ولد دادة ص338

فهرس المرافق الدينية ،والعلمية

المساجد ،والجوامع

مسجد الجامع الأعظم أو الجامع الكبيرص44،40،111 ،199 ،200 ،290 ،344 ،345 ،346 ،347 ،348 ،349 ،350 ،353 ،354 ،362 ،363 ،370 ،386 ،393 ،405 ،589 ،590 ،591 ،592 ،600 ،601 ،652 653 ،654 ،658 ،677 ،685 ،686 ،692 693

مسجد الجامع الجديد ص348 ،350 ،351 ،352 ،368 ،369

مسجد جامع صفر أو سافير باشا ص355،395 ،368

مسجد جامع الحاج حسين ميزمورطو ص 352

مسجد جامع خيضر باشا ص 320 ،323 ،360،396

مسجد جامع السيدة ص 328 ،350 ،357 ،358،359 ،360 ،369

مسجد جامع سيدي رمضان(أو مسجد القصبة) ص354،353 ،355

مسجد جامع علي بتشين ص318 ،353،368

الزوايا

زاوية الأندلسيين ص656

زاوية الجامع الكبير ص361

زاوية(ضريح ومسجد) سيدي عبد الرحمن الثعالبي ص 360 ،365 ،366،367 ،662 ،725

زاويـة (ضريح)سـيدي محمـد الشريـف ص 322، 361 ،362 ،662 ،689

زاوية سيدي علي أتيكة ص340

المصليات

مصلي سيدي هلال ص363

الأضرحة

ضريح سيدي بتكة ص 338

ضريح سيدي بغنوس ص725

ضريح سيدي بولقدور ص 725

ضريح سيدي جامي ص725

ضريح سيدي عبد العزيز ص 725

ضريح سيدي علي الزواوي ص725

ضريح سيدي يعقوب ص 725

المدارس والكتاتيب

مدرسة ولد الإمام ص628

مسيد ابن السلطان ص676

مسيد حي القيصرية أو القيسارية ص676

المدرسة القشاشية ص682

فهرس المرافق الاقتصادية

الفنادق :

فندق الجرابة ص 123، 376

فندق الدروج ص378

فندق الدقيق ص 377 ،518

فندق الديوان (أو فندق بني مسلمان) ص 378 ،518

فندق الروز ص 378 ،518

فندق الزرع أوالمزروعات ص 376

فندق الزيت ص 377،376،518

فندق القهوة الكبيرة(فندق البورصا) ،ص 376،377

فندق الجلد ص394

الأسواق :

دار اللحم ص 398، 518

رحبة الزرع ص 351، 518

رحبة الشعير ص 398، 399، 518

رحبة الفحم ص85، 291، 400، 518

رحبة القمح ص398، 518

سوق القيصرية أو القيسارية ص336

،400،399،382،348

سوق الباديستان ص105 ،204 ،218 ،220 ،225

403،402،382،348،323

سوق البشماقجية ص403

سوق التبانين ص518

سوق الحدادين ص401

سوق الحرارين ص 396

سوق الحواتين أو الحوت ص349 ، 400،518

سوق الخراطين ص 228 ،319 ،393

سوق الخياطين ص385، 409

سوق الدباغين ص394

سوق الديوان (سوق الخضرة)ص 400،518

سوق الرصاصية ص404

سوق السمارين ص 401،400

سوق الشبرلية ص404،384 ،405

سوق الصباغين ص 395،394

سوق الصفارين ص 397،518

سوق الطرازين ص385

سوق العطارين ص404

سوق الفخارين (الفخارجية) ص 403،518

سوق الفرارية ص 399

سوق الفكاهين ص518

سوق القزدارية ص397 ،398،518

سوق اللحمين ص397 ،518

سوق المقياسية ص393،349

سوق أو زنقة الصاغة ص349 ،400 ،401

فهرس المرافق الترفيهية

الفحوص والجنائن

فحص باب الواد ص 563

فحص باب عزون ص

فحص بيرطرارية ص734،450،138

فحص تيقصرين ص735

فحص الحامة ص453

فحص حيدرة ص451

فحص خنيس ص451

فحص زغارة ص591،450

المقاهي

قهوة الدروج ص448

القهوة الكبيرة ص 376 ،377

قهوة لعريش ص448

فهرس العناصر العمرانية، والأثاث والأواني في المنازل داخل الأسوار ،وفي الفحوص

-أ-

أباريق -ابريق- ص 396، 439، 440، 443، 449

أدوات الطبخ ص 438

الأرائك ص 436

الإزار ص 302 ، 337

أسرة ص 286 ،293، 302، 303 ،338، 418 ،436، 437

إسطبل ص279، 293 ،351، 353، 376، 377

الأعمدة ص353 ،367، 370 ،425، 426 ،432، 450

الأواني الفضية ص 440

أواني الكسكس ص 441

أواني فخارية ص 385 ، 402 ، 407 ،439

أواني معدنية ص 438 ،444

أواني نحاسية ص 433،439

-ب-

باب (أبواب)ص 416، 417، 418، 219، 220، 221، 435

باب الفصيل ص 422

بئر ص310، 323 ،324، 329

برمة ص321، 434

بيت و بيوت ص279، 329، 330، 338، 339، 353، 379 ،411، 414، 419، 417، 415، 420، 421، 422، 433، 428، 426، 435، 434، 436، 437، 438

-ج-

جلد ثور ص 435

-ح-

الحصائر ص 286 ،319، 362 ، 393، 424 435، 436 ،437، 444، 682 ،725

حسكة ص436

-خ-

خزان المياه ص295، 314، 315 ،317، 423، 424، 429

-د-

دربوز ص317 ،396، 430

دويرات (دويرة) ص276 ،446، 445، 464

دوكانة ص 419، 437

-ر-

رف جداري(رفوف) ص381 ،420 ،437 ،441
الرفوف الجدارية الخشبية ص437
رواق (رواقـــــات)ص 366 ،425، 431 ،449 ،352
385 ،402 ،416 ،425، 431

- ز-

الزرابي ص 286 ،358 ، 362، 385 ،424 ،433،
434 ،436 ،437 ،444

-س-

الستائر ص 438
سقيفة ص315، 344 ،349 ،357، 359 ،362 ،365
411 ،416 ،424 ،425 ،426، 427 428
سيني ص434

-ش-

شبوخ ص434
الشراشيف ص440
الشمعادانات ص 438

-ص-

صحاف -صحيفة-ص 439
الصناديق(صـــــندوق) ص286 ،388،382 ،389،433
435 ،436، 437، 438

-ط-

طاجين ص434
طاسة ص434،331
طنجرة ص434

-ف-

الفنيق ص 434
فنجان(فناجين)ص442،398،388 ،445 ،449،448

-ق-

قبو ص 348 ،422
قدور ص389 ،400 ،440
قلة ص434
قنوات صرف الدخان ص 426
قنوات صرف المياه ص 324

-غ-

غرفة(غرف)ص 269 ،285 ، 303،338 ،425
426،434،436 ،437 ،462

-و-

وسط الدار(أو الصحن) ص418،310 ،419 ،420
421 ،422 ،423 ،424 ،425 ،426،427،428
429 ،431 ،432 ،437 ،467

-ل-

ليان ص434
لحاف ص434

-م-

مداخن ص426، 428
مصطبة ص 337 ، 380 ،381
مباخر ص 440
المخدات (الوسائد) ص436 ،438
المزهريات ص 370 ،387 ،436
المطارح ص286 ،302 ،434 ،437
مطبخ ص416، 426 ،436 ،438
معالق ص336 ،440
ملاعـق –مغـارف- ص388 ،396،435،442،443
444
مقلى-مقلاة- ص434
مـــــنزل ص 316، 338 ،413، 415 ،418 ،419
423 ،425 ،427 ،428 ،431، 432 434 438

440، 441، 461
منزه ص 416، 430
مهراز ص434، 438
الموائد ص 286 ، 435، 436، 337 ، 439، 440
441

-ن-
نافذة (نوافذ) ص366 ، 367 ، 421 ،414،417، 425
426، 430، 438، 441، 462، 463
نافـــــورة ص 285 ،294، 343 ،343، 449،451
463

فهرس الأطعمة والمشروبات -

-أ-
الأترج ص451 ،509
الإجاص ص 509،517
الأرز ص108 ،218 286 ،380، 460، 462، 505
506، 508، 510، 511، 518، 519، 580
الأشنيات ص 519
أصابع العروس ص335
الأصداف ص519
الإقليدس ص519

-ب-
البيلاف بيلو ص508
الباذنجان ص516 ،518
البازلاء (الجلبانة)ص10
البرقودش ص510
بلوط ص520
بندق ص508 ،519
البوراك ص508
البيض ص487 ،505، 508، 510، 515، 516، 708
بالوزة (palouze) ص508

-ت-
التربية(terbiya et trebya) ص508
التشراك ص511

التفاح ص 108
تمر ص508 ،510 ،512 ،513 ،519
التوت ص514
تورتة ص 517
الخليع ص 385 ، 505 ،506 ،519 ،565
الخيار ص459
الخوخ ص509
الخردل ص510
تين (كرموس) ص496 ،500 ،517،514
التينينا ص520

-ج-
جبن –أجبان – ص508 ، 510 ، 513
519،542 ، 708
جوز ص508 ،514،510 ،485 ،716
جوز الطيب أو المستكة ص519،510

-ح-
حب الملوك (الكرز) ص509
الحبق ص 509
الحبوب ص515 ،516 ،667 ،668 ،670 ،688
حجل ص516 ،517
الحشيش مقطفة، ص509
حلقومة ص334
حليب ص508،511 ،513 ،519 ،614 ،708

حمص ص505، 508، 519، 571، 702
الحنطة ص42

-خ-

خبز ص74، 75،89، 90، 227، 230، 231، 286، 287، 288، 296، 339، 353، 408، 409، 428، 459، 468، 496، 500، 501، 512، 517، 519، 520،614، 628، 667، 712، 722،723
خبز التوابل ص487
خبز الرضوم ص520
الخفاف ص398
الخل ص519

-د-

دجاج (الدواجن) ص 505، 506، 509، 515، 516، 517
الدقيق ص487 ، 505، 518، 519
الدلاع ص519، 457، 456، 407، 399
الدولما ص507

-ذ-

ذرة ص512

-ر-

رمان ص 514، 316، 550
رشتة ص506، 511

-ز-

زبدة ص478 ، 505، 507، 660
زبيب ص508، 514، 519
الزعتر ص 509
الزعفران ص509
الزلابيا ص 80، 385، 513، 559، 661
الزنجبيل ص510
زيت ص497، 505، 506، 511، 519، 512،518
زيت متع صنهاجة ص519
زيتـــــون ص506، 513، 520، 546، 568، 580، 629، 681، 688

-س-

السباخ ص108 ، 509
سردين ص393 ، 517، 519
السفرجل ص509
السفنج ص385، 398، 478، 482، 486، 487
سكر ص364، 387 ، 485، 509، 508، 511،510، 514، 519، 520، 560، 578، 680، 721
سكنجبير ص519
سلمون ص517، 519
السمسم ص510
سمـــــك ص227، 349، 374، 402، 479، 483، 517، 518، 557، 661
السمن ص36، 42، 385، 409، 487، 511،512، 518، 651
سوبان دولماسي (Sovon Dolmaci)، ص507

-ش-

الشـــــاي ص335، 389، 431، 443، 450، 465، 478، 511، 559
الشحم ص409، 505، 506، 507
الشحم غير المذوب ص 509، 519
الشحم مذوب ص 509 ، 519
الشربات ص 331، 446،335، 510، 478، 557
الشربة ص 557
الشـــــعير ص42، 64،399 ، 400، 407، 429، 430،460، 461، 510، 518، 667، 670

الشهدة ص478 ،511

-ص-

الصامصة ص511

-ط-

طبيخة ص509

طماطم ص 109 ،458 ،459

طمينة ص 487 ،511 ،512

-ع-

عجائن ص506 ، 509 ،514 ،518 ،519 ،520

عسل ص487،478 ،510 ،513،512 ،515 ،520

العنب ص496 ،507 ،514 ،517 ،519 ،722

-غ-

غنم ص505،496 ،506 ،507 ،516 ،517 ،519

565 ،670

-ف-

الفاصولياء ص 514

الفداوش-الشعرية – ص506

الفلفل ص514

الفلفل الأسود ص510

الفول ص459

- ق-

القارومة ص507

القديد (لحم) ص509،506 ،565

القنيدلات ص511

القطايف ص 478، 512،511

القرع ص505

القرفة ص،512،511،510 ،519

القرنفل ص510

القرنون ص108

المحلبي ص511

القسطل-الأخضر واليابس – ص508 ، 519

القمح ص505 ،518 ،660 ،667 ،668 ،670

،671 ،681

القنيدلات ص 511

القهوة ص 509 ،520،511 ،559 ،562 ، 676

-ك-

كباب (كابوبس) ص 507 ،701

الكراث ص108

الكركم ص509

الكرنب ص507

كرمة ص507 ،508

الكسكس أو الكسكسي ص486،496 ،504 ،505

،506 ،508 ،514 ،519 ،566 ،571 580 667

،721 ،739 ،504، 505 ،506،681

كعب الغزال ص511

الكعكة ص520

كفتة ص507 ،519

-ل-

اللبن(الألبان) ص 510 ،

اللحم (اللحوم) ص501 ،505 ،506 ،507 ،508

،509 ،514،516 ،518 ،548 ،557 ،565

596،571 ،721 ،681،661

اللحم الحلو ص509

اللفت ص508

اللوبياء الخضراء ص108

اللوز ص510 ،512 ،513 ،514 ،511،519

الليمون ص510 ،514

-م-

الماء ص 510،491 ،574 ، 580،662،716

المحاجب ص511

الملح ص510 ،519،518

الملفوف ص108

المليسة ص510

المحمصة ص506 ،519

المخنشة ص511

المرق ص 505 ، 506 ،507 ،508 ،509

مربيات ص483 ،488 ،509 ،513 ،516

المعدنوس،ص509

المرقاز أو المرقاس ص509

مشمش ص514

المعارك ص511

المقروط ص 511، 512

المقرون (المقرونة أو المعكرونة) ص506، 509 ،518 519

-ن-

النعناع ص487 ،509 ،716

نوقة ص 512

-ي-

يابراك دولماسي (yaprak Dolmaci) ص 507

فهرس الملابس والأزياء والزينة

-أ-

أبازيم ص 718

أحمر شفاه ص 716

الأساور ص485،580 ،717 ،718

أقراط ص702 ، 717 ،718

-ب-

البابوش أو البابوج ص 534 ،535 ،544 ،546 ،656

الباست ص534

البرنوس ص527 ،528، 529 ، 530، 543

،548،577 ،739

البنيقة ص 543 ،549،552،551

-ت-

التيماك ص533 ،534 ،535

-ج-

جبة ص 525 ،547،537

جلاكو ص525

-ح-

الحايك ص 472 ،473 ،482 ،538 ،539 ،542

543 ،547 ،720 ، 722

الحنة ص 478 ،479 ،482 ،485 ،487

-خ-

الخلخال ص720،721،727

خاتم (خواتم) ص485، 717 ،718 ،719

خيط الروح ص 717

- د-

الدرة(القندورة) ص524 ،538

-ر-

الرعاشة ص 544

الريحيات ص 535

-س-

السروال ص501 ، 526 ،537 ،540 ،547،541

السوالف ص 716

-ش-

الشاشية ص 530 ،531 ،533 ،543 ،544 552

الشبرلة ص 545 ،648

الشنبيرأو شمبير ص 543

الشنتوف ص719

-ص-

الصباط ص 534، 535، 545

الصدرية ص 524، 525، 552

-ط-

الطرطور ص 532

-ع-

العجار ص482، 542، 541

العرقية ص532

العصابة أو القفالي ص532، 543، 543، 717

العطور ص 715

العمامة ص503، 530

العنبر ص 509، 719

عيون الغزلان ص716

-غ-

الغليلة ص 473، 539، 538، 526، 523

-ف-

الفرجة ص 526، 680

الفوطة ص 329، 537

-ق-

القباء(الكبوط) ص 286، 528، 529، 702

القبقاب ص330، 545، 546

القفطان ص57، 155، 407، 475، 525، 526، 538

539، 540، 547، 552

القلائد ص551، 719

قميص ص 491، 501، 522، 523، 524، 529

529، 536، 537، 538، 539، 540، 708

-ك-

الكحل ص478، 479، 487، 482، 716

-م-

ماء زهر البرتقال ص 510

ماء الزهر ص 510، 511، 520، 715

ماء زهر النسرين ص715

ماء الورد ص 510، 514، 715، 733

محرمة ص 485، 546

المسك ص509، 715

الملحفة ص 537، 538، 541

مكحلة (مكحيلة) ص 716

-و-

وشم ص720

فهرس اللوحات والصور

فهرس لوحات الباب الأول: سكان مدينة الجزائر و فعالياتهم"

لوحات وصور الفصل الأول:

لوحة رقم **1** تمثل مخطط عام لمدينة الجزائر

لوحات وصور الفصل الثاني: " السكان المسلمون أهالي البلاد "

لوحة رقم 2 تمثل العناصر السكانية المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر
لوحة رقم 3 تمثل هذه اللوحة أحد أفراد جماعة بني ميزاب المشرفين على تسيير الحمامات في مدينة الجزائر

لوحات وصور الفصل الثالث: " السكان المسلمون الوافدون من عدوتي بلاد الأندلس و المغرب -الأدنى والأقصى -وبلاد السودان الغربي"

لوحة رقم 4 تمثل صورة حية لعملية الطرد النهائي للأندلسيين الموريسكيين
لوحة رقم 5 تمثل قائد الوصفان
لوحة رقم 6 تمثل صورة مركبة لمجموعة من الآلات الموسيقية و فرقة من الموسقيين الزنوج "فرقة القرقابو"

لوحات وصور الفصل الرابع: "السكان المسلمون الوافدون –من آسيا الصغرى والمشرق وأوروبا- و المولدون"الكراغلة"

لوحة رقم 7 تمثل أحد الجنود العثمانيين من صفوف طائفة رياس البحر

فهرس لوحات الباب الثاني"المرافق الحضارية في مدينة الجزائر وخصها"

لوحات الفصل الأول المرافق العسكرية

لوحة رقم 8 : تمثل منظرا لمدينة الجزائر وتحصيناتها وأهم أبوابها وميناءها خلال سنة 1570
لوحة رقم 9 : تمثل منظر لمدينة الجزائر خلال القرن 11 ه(17م)أسوارها وتحصيناتها
لوحة رقم 10 : تمثل منظر لمدينة الجزائر خلال القرن 11 ه(17م)
لوحة رقم 11 : تمثل باب الوادي إحدى أبواب مدينة الجزائر ،و ضواحي باب عزون
لوحة رقم 12 : تمثل نظرة على مدينة الجزائر من الميناء، وسكة أو زقاق من الأزقة بأعالي مدينة الجزائر
لوحة رقم 13: تمثل سكة أو زقاق من أزقة مدينة الجزائر و منظر لباب الواد والعين المتواجدة بجوارها وكذا الحوض المخصص لشرب الدواب.

لوحات الفصل الثاني" المرافق المائية ،والصحية"

لوحة رقم 14: تمثل قناة بئر طرارية،و قناة الحامة ذو طابقين مترادفين
لوحة رقم 15 : تمثل آثار قناة الحامة
لوحة رقم 16 : تمثل 3 صور لنماذج من عيون مدينة الجزائر
لوحة رقم 17 : تمثل خليج مدينة الجزائر، وعين ماء على طريق بوزريعة، وعين بئر خادم
لوحة رقم 18: تمثل إحدى عيون مدينة الجزائر ،وبائع الماء المتجول
لوحة رقم 19: تمثل قاعة الاستقبال في إحدى حمامات مدينة الجزائر، و حمام من أقدم الحمامات بالجزائر "حمام سيدنا"
لوحة رقم 20: تمثل طاسة الحمام
لوحة رقم 21: تمثل محبس الحمام
لوحة رقم 22: تمثل مشط، و محبس حمام

لوحات الفصل الثالث "المرافق الدينية والعلمية "

لوحة رقم 23 : تمثل الجامع الأعظم ونافورتيه الرخاميتين العائدتين للعهد العثماني
لوحة رقم 24: تمثل الجامع الجامع الجديد و الأعظم –الكبير
لوحة رقم 25 : تمثل منبر قديم بالجامع الجديد ،و قاعة الصلاة لمسجدين في مدينة الجزائر
لوحة رقم 26: تمثل مسجد علي بتشين ،و مئذنة و قبة جامع سافير أو صفر باشا
لوحة رقم27 : تمثل مسجد سيدي رمضان ، مئذنة مسجد سيدي رمضان
لوحة رقم28 : تمثل مئذنة وقبة مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي، و محراب سيدي عبد الرحمن الثعالبي الموشى و واجهة مصلى سيدي هلال، ومصلي سيدي هلال
لوحة رقم 29 : تمثل هذه الصور بعض نماذج المربعات الخزفية "الزليج"التي استعملت كثيرا في تزيين المرافق الحضارية بمدينة الجزائر

لوحات الفصل الرابع"المرافق التجارية"

لوحة رقم 30 : تمثل فندق الزيت،و فندق البحرية أو فندق القهوة الكبيرة
لوحة رقم 31 : تمثل حانوت للمواد الغذائية، و حانوت لبيع الأنسجة والأقمشة المنسوجة، و حانوتين للجزارة
لوحة رقم 32 : تمثل مخطط تقريبي لتوزيع أسواق مدينة الجزائر
لوحة رقم 33 : تمثل دكان خراط، وسوق أو زنقة الصباغين
لوحة رقم 34 : تمثل سوق الباديستان

لوحات الفصل الخامس :المرافق السكنية

لوحة رقم35 : تمثل ظلة الباب أي السقف الصغير الذي يعلوه ،والفتحات الصغيرة المسيجة بمثابة نوافذ
لوحة رقم 36 : تمثل مطرقة باب
لوحة رقم 37 : تمثل نموذج للفضاء الداخلي للدار مصدر التهوية والإنارة
لوحة رقم 38 : تمثل قنوات نقل الماء ،وتصريف الدخان ،وفتحات التهوية
لوحة رقم 39 : تمثل وسط الدار،و وسط الدار ذات قوس واحد،و وسط دار ذات طابق أرضي
لوحة رقم 40 : تمثل البيت الموجودة في المستوى الأرضي، نظرة على وسط الدار من خلال نافذة، وتوزيع أعمدة الرواق
لوحة رقم 41 : تمثل الطابق العلوي للدار، و الدربوز أي الشرفة الخشبية ،وزوايا الدربوز
لوحة رقم 42 : تمثل أحد أركان وسط الدار،و درج من رخام ،و درج يقود إلى السطح ،و درج مصنوع من الجير
لوحة رقم43 : تمثل سطح إحدى دور مدينة الجزائر،و قبة كانت متواجدة على بعض الأسطح والسماء المفتوح لوسط دار صغير
لوحة رقم 44 : تمثل منظرين لتجمع نسوة من نساء مدينة الجزائر في السطح
لوحة رقم 45 : تمثل دار السلطان
لوحة رقم 46 : تمثل صندوق كبير ،وصندوق صغير "فنيق"
لوحة رقم 47 : تمثل جلسة لعائلة ملتفة حول مائدة الغداء
لوحة رقم 48 : تمثل مائدة
لوحة رقم 50 : تمثل بنك(سرير) القبة
لوحة رقم 49 : تمثل رف جداري
لوحة رقم 50 : تمثل الستار
لوحة رقم 51 : تمثل مرآة
لوحة رقم 52 : تمثل إبريق ،و طبق كسكسى
لوحة رقم 53 : تمثل إبريق ،وصحيفة نحاسيين ،و إبريق شاي من النحاس
لوحة رقم 54 : تمثل وعاء لحفظ الماء ،و صينية
لوحة رقم 55 : تمثل الرفوف الجدارية

لوحات وصور الفصل السادس المرافق الترفيهية "

لوحة رقم 56 : تمثل مقهى في فحص مدينة الجزائر، ومقهى وعين حصن الإمبراطور ،و مقهى لعريش في فحوص مدينة الجزائر

لوحة رقم 57 : تمثل ضواحي مدينة الجزائر(جسر وادي الحراش)

لوحة رقم 58 : تمثل نظرة على مدينة الجزائر من الطريق المؤدي إلى قسنطينة، و دار من الدور أو المساكن الريفية الدويرات أو"الفيلات" المنتشرة عبر الفحوص

لوحة رقم59 : تمثل نموذج لواجهة إحدى المساكن الريفية "الدويرات"،و نافذة في إحدى المساكن الريفية "الدويرات"بالفحص

فهرس لوحات الباب الثالث "مظاهر الحياة الإجتماعية

لوحات وصور الفصل الأول العادات والتقاليد

لوحة رقم 60 تمثل تصديرة العروس

لوحة رقم 61 : تمثل نماذج لقبور سكان مدينة الجزائر

لوحة رقم 62 : تمثل نماذج أواني الطبخ في مدينة الجزائر آنية صنع الكسكس ،وطنجرة "قدر"ومهراز

لوحة رقم 63 : تمثل طبسي عشاوات من النحاس الأحمر

لوحة رقم 64 : تمثل قالب صنع المقروط أو المقروض والخبز، وفنجان خزفي وحامله المعدني وصحن وملعقة وآنية لحفض السكر أو السمن

لوحة رقم 65 : تمثل رسومات وأشكال للأواني والأدوات الفخارية المستخدمة في مدينة الجزائر

لوحات الفصل الثاني:"الملابس والأزياء"

لوحة رقم 66 : تمثل هندام أحد الأغنياء مدينة الجزائر

لوحة رقم 67 : تمثل هندام الجندي الإنكشاري بمدينة الجزائر

لوحة رقم 68 : تمثل نماذج لألبسة الرجال بمدينة الجزائر لباس الصدرية ،والقميص ،والسروال ،و الحزام و الغليلة والعمامة ،و البرنوس ،و البابوش

لوحة رقم 69 : تمثل هندام زنجي حمال وبخاصة معطف الكبوط

لوحة رقم 70 : تمثل هندام أحد يهود مدينة الجزائر

لوحة رقم 71 : تمثل جزمتي الباست والتيماك

لوحة رقم 72 : تمثل الصباط والبابوش الذي كان ينتعله الرجال بمدينة الجزائر

لوحة رقم 73 : تمثل حذاء البابوش الذي كان يرتديه الصبيان والربحيات

لوحة رقم 74 : تمثل هندام إحدى نساء مدينة الجزائر

لوحة رقم 75 : تمثل معطف الغليلة ذو أكمام الواجهة الأمامية والخلفية

لوحة رقم 76 : تمثل هندام امرأتين من نساء مدينة الجزائر

لوحة رقم 77 : صورة توضح طريقة ارتداء الحايك

لوحة رقم 78 : تمثل نساء ترتدين الحايك وصورة العجار

لوحة رقم 79 : تمثل هندام خادمة زنجية وهي ترتدى الحايك

لوحة رقم 80 : تمثل غطاء رأس المرأة المعروف بمدينة الجزائر بنيقة ومعطف الغليلة بأكمام قصيرة

لوحة رقم 81 : تمثل نعل البابوش، و الصباط المطرز بتقنية المجبود

لوحة رقم 82 : تمثل حذاء الشبرلة الأندلسي، والنعل المعروف بالقبقاب

لوحة رقم 83 : تمثل نساء مدينة الجزائر بملابس المنزل بما فيهن اليهوديات

لوحة رقم84 : تمثل نسوة من نساء مدينة الجزائر وهن يستعملن آلة القرقاف للتطريز

لوحة رقم 85 : تمثل نماذج عن القطع الفنية المطرزة في مدينة الجزائر

لوحات الفصل الثالث " الأعياد و المناسبات الدينية"

اللوحة رقم 86 : تمثل إحدى ليالي شهر رمضان

اللوحة رقم 87 : تمثل آنية القمقم بمثابة قنينة ومرش عطور

اللوحة رقم 88 : تمثل مباريات المصارعة، التي كانت تقام أيام العيد الأضحى، وخلال سهرات رمضان

اللوحة رقم 89 : عودة حجاج من أداء مناسك الحج

لوحة رقم 90 : تمثل أحد السقاءين الذين كانوا يرافقون ركب الحجاج ويشرفون على سقايتهم

لوحات الفصل السادس التعليم واللغات

لوحة رقم 91 : تمثل أحد كتاتيب مدينة الجزائر

لوحة رقم 92 : عالما من علماء مدينة الجزائر

لوحات الفصل السابع : المرأة في مجتمع المدينة

لوحة رقم 93 : تمثل بعض اهتمامات النساء في مدينة الجزائر وطريقة تمضيتهن لأوقاتهن في إحدى الدويرات بفحص مدينـــة الجزائـــر

لوحة رقم 94 : تمثل هذه اللوحة امرأة من نساء مدينة الجزائر وهي تمازج بين الأشغال المنزلية والاعتناء بطفلها

لوحة رقم 95 : تمثل نماذج عن مجوهرات النساء (العصابة-الرعاشة-البزايم-الخلخال)

لوحة رقم 96 : تمثل نماذج عن حلى وزينة المرأة في مدينة الجزائر (خيط الروح- قلادة الشنتوف –الشاشية الموشاة)

لوحة رقم 97 : تمثل آنية "المكحلة "أو "المكحيلة"،و مبخرة.

لوحة رقم 98 : تمثل نسوة في إحدى جنائن فحص مدينة الجزائر

لوحة رقم 99 : تمثل لعبة البوقالا

فهرس المحتوى

مقدمة.....ص1
الباب الأول:التركيبة السكانية وفعاليتها.....ص26
مقدمة الباب ص27
الفصل الأول :مدينة الجزائر جغرافيا وتاريخيا.....ص29
1- الموقع الجغرافي ص30
2- نبذة تاريخية عن ماضي مدينة الجزائر.....ص31
أ-مدينة الجزائر قبل العهد العثماني.....ص31
ب-مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ص45
الفصل الثاني:السكان المسلمون الأصليون.....ص60
1- البلدية.....ص62
2-جماعة البرانية.....ص68
الفصل الثالث: السكان المسلمون الوافدون من عدوتي بلاد الأندلس والمغرب -الأدنى والأقصى- وبلاد السودان الغربي ص93
1-الأندلسيون.....ص94
2- الجماعات السكانية الأخرى" الجربيون والمغربيون والزنوج.....ص121
الفصل الرابع: السكان المسلمون الوافدون -من آسيا الصغرى و المشرق وأوروبا- والمولدون ص133
1-الأتراك العثمانيون:.....ص134
أ-الأتراك العثمانيون بالمولد ص134
ب –الأعلاج ص145
2-الكراغلة.....ص173
الفصل الخامس: أهل الذمة من اليهود ص185
1-:أصولهم وتقسيماتهم وفعالياتهم.....ص186
2- أوضاع اليهود في مدينة الجزائر ص188
3-أوضاع اليهود في مدينة الجزائر ص191
الفصل السادس: أهل الذمة المسيحيون.....ص209
1- المسيحيون الأحرار.....ص210
2 - الأسرى العبيد المسيحيون.....ص214
الفصل السابع: النمو السكاني والمستوى الصحي.....ص245

خاتمة الباب ص262
الباب الثاني:"المرافق الحضارية في المدينة وفحصها".....ص264
مقدمة الباب ص265
الفصل الأول : المرافق العسكرية والأمنية ص266
1-دورالحكام العثمانيون في تزويد مدينة الجزائر بجهاز دفاعي أمني فعال.....ص267
2-دور الأوامر والأحكام السلطانية في تحصين وتأمين مدينة الجزائر ص277
3-ثكنـات الإنكشاريـة.....ص284
4-سجون الأسرى العبيد المسيحيين.....ص292
الفصل الثاني : المرافق المائية والصحية ص308
1-التجهيز المائي القنوات والعيون والآبار.....ص309
2-الحمامات.....ص326
3-المستشفيات.....ص337
الفصل الثالث : المرافق الدينية والعلمية ص340
1-المساجد والجوامع.....ص341
2-الزوايا.....ص360
3-المصليات ص363
4 -التأثيرات المحلية و الأندلسية والمشرقية العثمانية في فن العمارة الدينية والمدنية في مدينة الجزائر ص363
الفصل الرابع :المرافق التجارية ص373
1-الفنادق ص374
2-الأسواق.....ص379
الفصل الخامس :المرافق السكنية داخل أسوار المدينة ص409
1-وصف المرافق السكنية من الخارج ص410
2-وصف المرافق السكنية من الداخل.....ص415
3-أفرشة و أثاث المرافق السكنية.....ص432
الفصل السادس: المرافق الترفيهية.....ص442
1-المقاهي.....ص443
2-الحدائق ص449
3-المساكن الريفية "الدويرات.....ص461

خاتمة الباب ص465
الباب الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية ص469
مقدمة الباب ص470
الفصل الأول:العادات والتقاليد.....ص471
1-الزواج.....ص472
2-الميلاد ص486
3- الختان ص488
4- الطلاق ص489
5- مراسيم الوفاة " المآتم.....ص491
6–الأطعمة ص504
الفصل الثاني :الأزياء.....ص521
1-ملابس وأزياء الرجال ص522
2–ملابس وأزياء النساء ص536
3- التأثيرات الأندلسية والعثمانية في مجال الملابس والأزياء.....ص549
الفصل الثالث:الأعياد و المناسبات الدينية ص554
1-شهر رمضان.....ص555
2-عيد الفطر ص559
3-العيد الأضحى ص564
4-المولد النبوي الشريف.....ص571
5-يوم الجمعة ص573
6-ركب الحج ص575
الفصل الرابع:المذاهب الدينية والقضاء.....ص584
1-المذاهب الدينية ص585
2- القضاء.....ص592
الفصل الخامس:الأوقاف والتضامن الاجتماعي.....ص627
1-الأوقاف أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي.....ص628
2-المظاهر الأخرى للتكافل الاجتماعي.....ص659
3-دور السلطة في ميدان التكافل الاجتماعي.....ص667
الفصل السادس: التعليم واللغات ص674

1-التعليم في مجتمع مدينة الجزائر.....ص675
2- اللغات في مجتمع مدينة الجزائر.....ص699
الفصل السابع : المرأة في مجتمع المدينة.....ص711
1-اهتمامات المرأة في مدينة الجزائر.....ص712
2-دورالمرأة و مكانتها في مجتمع مدينة الجزائر.....ص723
خاتمة الباب ص738
الخاتمة.....ص740
الملاحق.....ص754
قائمة المصادر والمراجع ص881
الفهارس ص924
فهرس المحتوى ص949